سلسلة نصوص تراثية للباحثين (٥٦٧)

الفتوة

المعاني والأوصاف

من كتب التراث

د/ يوسف بن حمود الحوشان

١٤٤٤هـ

نسخة أولية من غير ترتيب او مراجعة

ومتاح لكل أحد الاستفادة منها

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله اما بعد

فهذه نصوص جمعت باستخدام برنامج شاملة وورد من برمجيات الدكتور سعود العقيل بواسطة المكتبة الشاملة

معتمدة على توظيف الكلمة المفتاحية وتوفير النصوص للباحثين لتحريرها والاستفادة منها وهي مشاعة لمن يستفيد منها

وسيتبعها نصوص أخرى يسر الله نشرها والله الموفق

يوسف بن حمود الحوشان

yhoshan@gmail.com

https://t.me/dralhoshan تليجرام

"تذكرها ما بين هذين المآءين؛ العذيب وبارق، وهناك كان مضطربه ومضطرب أصحابه، ومجر عواليهم عند تطاردهم، ومجرى خيولهم عند تسابقهم.

وصحبة قوم يذبحون قنيصهم ... بفضلات ما قد كسروا في المفارق

ثم قال: وتذكرت صحبة قوم فيما هنالك، كانت حالهم في **الفتوة**، ومنزلتهم في الشجاعة، أنهم كانوا لا يستعملون في ذبح صيدهم إلا ما تكسر بأيديهم من السلاح في حربهم، وأنهم كانوا لا يكسرون سيوفهم إلا في جماجم الأبطال، ولا ينقطع (ما) بأيديهم إلا في مفارق الأقران.

وليلا توسدنا الثوية تحته ... كأن ثراها عنبر في المرافق

ثم قال: وتذكرنا ليلا، توسدنا الثوية في طلبه، واضطجعنا في طيب ذلك الترب، وتمتعنا بتكامل ذلك الحسن، فقام ثرى ذلك الموضع في." (١)

"٥٦٨٩ - عبد السلام بن محمد بن أبي موسى أبو القاسم المخرمي الصوفي

(٣٥٩٨) -[١٢: ٣٢٩] سافر الكثير ولقي الشيوخ من أهل الحديث والصوفية، وسكن مكة وحدث بها عن أبي بكر بن أبي داود، وأبي عروبة الحراني، وزيد بن عبد العزيز الموصلي، وأبي الحسن بن جوصا الدمشقي، وأحمد بن عبد الوارث الموصلي وأحمد بن محمد بن أبي الشيخ الرافقي، وأقرانهم.

ولقي من شيوخ الصوفية: محمد بن علي الكتاني، وأبا علي الروذباري، ونحوهما.

حدثنا عنه أبو نعيم الأصبهاني.

وكان ثقة.

أخبرنا أبو نعيم، قال: حدثنا عبد السلام بن محمد البغدادي الصوفي، نزيل مكة بها، قال: حدثنا أحمد بن عمير، قال: حدثنا إبراهيم بن سعيد الجوهري، قال: حدثنا أبو أسامة، قال: حدثنا مسعر بن كدام، عن منصور، عن إبراهيم، عن علقمة، عن عبد الله بن مسعود، قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: " إذا شك أحدكم في صلاته فليتحر الصواب، ثم يسجد سجدتي السهو " بلغني عن أبي العباس أحمد بن محمد بن زكريا النسوي، قال: عبد السلام بن محمد أبو القاسم المخرمي البغدادي شيخ الحرم في وقته، جمع بين علم الشريعة وعلم الحقيقة، **والفتوة** وحسن الخلق، وأقام بمكة سنين، وبها مات سنة أربع وستين وثلاث مائة." (٢)

"٦٦٢٤ - عمرو بن سلم، أبو حفص النيسابوري الصوفي سماه ونسبه الحاكم أبو عبد الله محمد بن عبد الله النيسابوري، فيما حدثنيه محمد بن علي المقرئ عنه.

وأخبرني أبو الحسن محمد بن عبد الواحد، قال: أخبرنا أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين السلمي، قال: سمعت سعيد بن

---

(١) شرح معاني شعر المتنبي لابن الإفليلي - السفر الأول، ابن الإفلِيلي ٢/٢٧٩

(٢) تاريخ بغداد ت بشار، الخطيب البغدادي ٣٢٩/١٢

عبد الله بن سعيد، يقول: سمعت أبا محمد البلاذري الحافظ الطوسي، يقول: اسم أبي حفص عمرو بن سلم.
وأخبرنا أحمد بن علي ابن التوزي، قال: حدثنا أبو عبد الرحمن السلمي، قال: أبو حفص النيسابوري اسمه عمرو بن سلم، ويقال: عمرو بن سلمة قال: وهو الأصح إن شاء الله، وكان أحد الأئمة والسادة، صحب عبد الله بن مهدي الأبيوردي، وعليا النصراباذي، ورافق أحمد بن خضرويه البلخي.
قلت: وورد أبو حفص بغداد، واجتمع إليه من كان بها من مشايخ الصوفية، وعظموه، وعرفوا له قدره ومحله.
أخبرنا عبد العزيز بن علي الأزجي، قال: حدثنا علي بن عبد الله بن الحسن الهمداني بمكة، قال: حدثنا علي بن محمد بن حاتم، قال: سمعت الجنيد بن محمد يقول: وافى أبو حفص النيسابوري إلى بغداد، ومعه جماعة من أصحابه، فرأيت واحدا منهم معتزلا، لا يكلمونه ولا يكلمهم، فسألت بعض أصحابه، فقلت: ما بال هذا لا يكلمكم ولا تكلموه؟ فقال: هذا جاء إلى الشيخ أبي حفص، ومعه مائة ألف درهم، أنفق كلها عليه ما كلمه منا أحد، ولا كلمه أبو حفص، ولا يقدر أن يدنو إلى واحد منا على ما ترى.
أخبرنا أبو عبيد محمد بن محمد بن علي النيسابوري، قال: سمعت أبا عمرو بن حمدان، يقول: سمعت أبا عثمان سعيد بن إسماعيل الواعظ الرازي، يقول: دخلت مع أبي حفص على مريض، فقال المريض: آه، فقال: ممن؟ فسكت، فقال: مع من.
أخبرنا ابن التوزي، قال: أخبرنا أبو عبد الرحمن السلمي، قال: سمعت أبا أحمد بن عيسى يقول: سمعت محفوظ بن محمود يقول: سمعت أبا حفص يقول: الكرم طرح الدنيا لمن يحتاج إليها، والإقبال على الله لاحتياجك إليه.
أخبرني أبو الحسن بن عبد الواحد، قال: أخبرنا محمد بن الحسين النيسابوري، قال: سمعت منصور بن عبد الله يقول: بلغني أن أبا حفص كان أعجمي اللسان، فلما دخل بغداد قعد معهم يكلمهم بالعربية.
حدثنا الأزجي قال: حدثنا علي بن عبد الله الهمداني، قال: حدثنا الخلدي، قال: سمعت الجنيد وذكر عنده أبو حفص النيسابوري، فقال: كان رجلا من أهل الحقائق، ولو رأيته لاستغنيت، وقد كان يتكلم من غور بعيد، ثم قال: كان من أهل العلم البالغين، وأهل خراسان شيوخهم، أحوالهم وأمورهم وحقائقهم بالغة جدا، وكذلك تباعهم أيضا أشباه لهم، في الحال.
ولقد قال له يوما رجل من أصحابه: كان من مضى لهم الآيات الظاهرة، وليس لك من ذلك شيء، فقال له: تعال، فجاء به إلى سوق الحدادين، إلى كور محمي عظيم، فيه حديدة عظيمة، فأدخل يده فأخذها فبردت في يده، فقال له: يجزيك؟ قال: فأعظم ذلك وأكبره، ثم مضى.
أخبرني أبو الحسن بن عبد الواحد، قال: أخبرنا محمد بن الحسين السلمي، قال: سمعت عبد الله بن علي يقول: سمعت أبا عمرو بن علوان، وسألته: هل رأيت أبا حفص النيسابوري عند الجنيد؟ فقال: لم أكن ثم، ولكن سمعت الحسن يقول: أقام عندي أبو حفص سنة مع ثمانية أنفس، فكنت في كل يوم أقدم لهم طعاما جديدا، وطيبا جديدا، وذكر أشياء من الثياب وغيره، فلما أراد أن يمر كسوته، وكسوت جميع أصحابه، فلما أراد أن يفارقني، قال: لو جئت إلى نيسابور علمناك **الفتوة** والسخاء، قال: ثم قال: هذا الذي عملت كان فيه تكلف، إذا جاءك الفقراء فكن معهم بلا تكلف، حتى إن جعت جاعوا، وإن شبعت شبعوا، حتى يكون مقامهم وخروجهم من عندك شيئا واحدا.

أخبرنا أبو حازم عمر بن أحمد بن إبراهيم العبدويي بنيسابور، قال: سمعت عبد الملك بن إبراهيم القشيري يقول: سمعت أحمد بن محمد بن مقسم المقرئ، يقول: سمعت أبا محمد المرتعش يقول: سمعت أبا حفص النيسابوري يقول: ما استحق اسم السخاء من ذكر العطاء، ولا من لامحه في قلبه، وإنما يستحقه من نسيه حتى كأنه لم يعط.

أخبرنا ابن التوزي، قال: أخبرنا أبو عبد الرحمن السلمي، قال: سمعت عبد الرحمن بن الحسين الصوفي يقول: بلغني أنه لما أراد أبو حفص النيسابوري الخروج من بغداد شيعه من بها من المشايخ والفتيان، فلما أرادوا أن يرجعوا، قال له بعضهم: دلنا على الفتوة ما هي؟ فقال: الفتوة تؤخذ استعمالا ومعاملة لا نطقا، فعجبوا من كلامه.

قال أبو عبد الرحمن: توفي أبو حفص سنة سبعين ومائتين، ويقال: سنة سبع وستين، ويقال: أربع وستين.

أخبرني محمد بن علي المقرئ قال: أخبرنا محمد بن عبد الله النيسابوري الحافظ، قال: سمعت أبا سعيد بن أبي بكر بن أبي عثمان يذكر عن آبائه، أن أبا حفص توفي سنة خمس وستين ومائتين.." (١)

"٤٤٩٠ – رويم بن أحمد وقيل رويم بن محمد بن يزيد بن رويم بن يزيد أبو الحسن وقيل أبو محمد وقيل أبو الحسين الصوفي

سمعت أبا نعيم الحافظ ذكره، فقال: يكنى أبا الحسن من أفاضل البغداديين، وقال: كان عالما بالقرآن ومعانيه.

وقال لي أبو طالب يحيى بن علي الدسكري عن أبي عبد الرحمن السلمي: كنية رويم أبو محمد وأخبرني أبو الحسن محمد بن عبد الواحد، قال: أخبرنا محمد بن الحسين بن موسى، قال: سمعت جعفر بن أحمد الرازي، يقول: كنية رويم أبو الحسين، وهو من بني شيبان، وهو من أهل بغداد.

أحد أئمة أهل زمانه، كان عالما بالقراءات أخبرنا إسماعيل بن أحمد الحيري، قال: أخبرنا محمد بن الحسين السلمي، قال: سمعت أحمد بن محمد بن زكريا، يقول: سمعت أحمد بن عطاء يقول: كان رويم يتفقه لداود بن علي الأصبهاني أخبرنا أبو نعيم الحافظ، قال: سمعت محمد بن علي بن حبيش، يقول: كان رويم يقول: السكون إلى الأحوال اغترار، وكان يقول: رياء العارفين أفضل من إخلاص المريدين أخبرنا رضوان بن محمد الدينوري، قال: سمعت عبد الواحد بن الحارث الفقيه يقول: سمعت علي بن نصر، يقول: سمعت الهيكل الهاشمي الصوفي، يقول: سمعت رويما، يقول: الفقر له حرمة وحرمته ستره وإخفاؤه، والغيرة عليه، والضن به، فمن كشفه وأظهره وبذله، فليس هو من أهله ولا كرامة حدثنا عبد العزيز بن علي الوراق، قال: سمعت علي بن عبد الله الهمذاني، يقول: سمعت محمد بن إبراهيم، يقول: سمعت رويم بن أحمد، يقول: منذ عشرين سنة لا يخطر بقلبي ذكر الطعام حتى يحضر أخبرنا أحمد بن علي بن الحسين، قال: أخبرنا محمد بن الحسين النيسابوري، قال: سمعت أبا الحسين الفارسي، يقول: سمعت إبراهيم بن فاتك، يقول: قال رويم: التوكل إسقاط رؤية الوسائط، والتعلق بأعلى العلائق وسئل رويم عن المحبة، فقال: الموافقة في جميع الأحوال وأنشد:

ولو قلت لي مت مت سمعا وطاعة وقلت لداعي الموت أهلا ومرحبا

وقال: الأنس أن تستوحش مما سوى محبوبك.

---

(١) تاريخ بغداد ت بشار، الخطيب البغدادي ١٣٣/١٤

أخبرنا أبو نعيم الحافظ، قال: أخبرنا جعفر الخلدي في كتابه، قال: سمعت رويم بن أحمد، يقول: الإخلاص ارتفاع رؤيتك عن فعلك، والفتوة أن تعذر إخوانك في زللهم، ولا تعاملهم بما يحوجك إلى الاعتذار إليهم وقال سمعت رويما يقول: الصبر ترك الشكوى، والرضى استلذاذ البلوى، واليقين المشاهدة، والتوكل إسقاط رؤية الوسائط، والتعلق بأعلى الوثائق.

أخبرنا إسماعيل بن أحمد الحيري، قال: أخبرنا محمد بن الحسين السلمي، قال: سمعت أحمد بن إبراهيم يحكي عن أبي عمرو الزجاجي، قال: نهاني الجنيد أن أدخل على رويم، فدخلت عليه يوما، وكان قد دخل في شيء من أمور السلطان، فدخل عليه الجنيد فرآني عنده، فلما أن خرجنا، قال الجنيد: كيف رأيته يا خراساني؟ قلت: لا أدري، قال: إن الناس يتوهمون أن هذا نقصان في حاله ووقته، وما كان رويم أعمر وقتا منه في هذه الأيام، ولقد كنت أصحبه بالشونيزية، في حال الإرادة، وكنت معه في خرقتين، وهو الساعة أشد فقرا منه في تلك الحالة، وفي تلك الأيام وقال السلمي سمعت منصور بن عبد الله، يقول: سمعت أبا العباس بن عطاء، يقول: رويم أتم حالا من أن تغيره تصاريف الأحوال.

أخبرنا الحيري، قال: أخبرنا محمد بن الحسين، قال: سمعت أبا الحسن بن مقسم، يقول: مات رويم ببغداد سنة ثلاث مائة." (١)

"الربذ: السريع الضرب بالقداح، يقول: هو حاذق بالقمار والميسر خفيف اليد بضرب القداح؛ وهذا كان مدحا عند العرب في الجاهلية، وقوله (إذا شتا) لأن القحط والجدب أكثر ما يكون في الشتاء، وقوله (هتَّاك غايات التِّجار) الغايات: العلامات والرايات، وأراد بالتِّجار الخمارين، ومعناه أنه يأتي الخمارين فيشتري كل ما عندهم من الخمر، فيقلعون راياتهم ويذهبون، فذلك هتكها، والمُلوَّم: الذي يكثر لومه على إنفاق ماله في الفُتوة، وقال (ربذ يداه) ولم يقل (ربذة) واليد مؤنثة لأنه أضمر في ربذ، ثم جعل قوله (يداه) بدلا من المضمر، كما تقول: ضربت زيدا يده، ومذهب الفراء في هذا إنه يجوز أن يذكَّر المؤنث في الشعر إذا لم تكن فيه علامة التأنيث.

(لَمَّا رَآنِي قَدْ نَزَلْتُ أُرِيدُهُ ... أَبْدَى نَوَاجِذَهُ لِغَيْرِ تَبَسُّمِ)

أي كلح في وجهي فبدت أضراسه، والناجذ الأضراس ومعناه إنه لما رآني أستبسل للموت، و (أريده) في موضع الحال.

(فَطَعَنْتُهُ بالرُّمْحِ ثُمَّ عَلَوْتُهُ ... بِمُهَنَّدٍ صَافِي الحَدِيدَةِ مِخْذَمِ)

ويروى (صافي الحديد مُخذم) والمُخذم: الذي ينتسف القطعة، أي يرمى بها، والمهنَّد: المعمول بالهند، قال أبو عمرو الشيباني: التهنيد شحذُ السيف، والمِخذم: مفعل من الخذم وهو القطع.." (٢)

"قال: يقول: إنما أترك لذتي في خلوتي، لما في المروءة والفتوة والأبوة، لا لما يتخوف من تبعات اللذة، وهذا سرف نعوذ بالله منه.

وأقول إن أبا الطيب أطلق اللفظ بذكر التبعات، ولم يقيد بالتبعات التي تتخوف من قبل أهل المحبوب من قتل وقتال، وتوعد وتهدد، فذلك أراد، ولم يرد التبعات التي تلحقه من الآثام التي يكون الله – سبحانه – هو المطالب بها والمجازي عليها في

---

(١) تاريخ بغداد ت بشار، الخطيب البغدادي ٤٢٨/٩

(٢) شرح القصائد العشر، التبريزي، أبو زكريا ص/٢٠٥

الآخرة.

وقوله: (الكامل)

عجبا له حفظ العنان بأنمل ... ما حفظها الأشياء من عاداتها!

قال: يقول: كيف حفظ العنان بأصابعه، وإنما من شأنها، ابدا، العطاء والبذل، لا الحفظ.

وأقول: إن كان أراد بالحفظ إمساك الشيء ولزومه طويلا، كإمساك المال، فليس من عاداتها.

وإن أراد بالحفظ إمساك الشيء ولزومه، على الجملة، كلزوم السيف في الحرب وحفظه، وإمساك الرمح والقلم والكتب، فهي كذلك وهو من عاداتها.

وكأنه أراد بقوله: الأشياء التي تتمول وتقتنى من الذهب والفضة، ونفائس الذخائر من الثياب والجواهر والخيل والعبيد، فإن ذلك ليس من عاداتها، فأطلق بقوله:." (١)

"وقال في قوله: (المنسرح)

فقلت أن الفتى شجاعته ... تريه في الشح صورة الفرق

قال: الفتى هاهنا، يعني أبو العشائر. وذلك أبلغ من أن يكون الفتى شائعا في الفتيان، لأنه إذا شاع فيهم، كان أبو العشائر كواحد منهم، وإذا خص **بالفتوة**، فهو مميز من كل الفتيان. ووصفه بالشجاعة، وادعى أن شجاعته توهمه إنه يفرق من الشح، فتريه الشجاعة صورة الفرق، فكأنه يقبل تلك الصورة.

فيقال للشيخ: الألف واللام في الفتى للجنس، وضربه مثلا فقال: أن الفتى، وهو الكامل الأخلاق، تريه شجاعته (انه) إذا بخل فقد جبن، فلا يبخل كما لا يجبن، ولا معنى لقوله: يقبل تلك الصورة. وهذا المعنى قد جاءه في شطر بيت من قوله: (البسيط)

هو الشجاع يعد البخل من جبن ... هو الجواد يعد الجبن من البخل." (٢)

"قوله تعالى:" والذين كفروا" أي أشركوا، لقوله: (وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار" الصحبة: الاقتران بالشيء في حالة ما في زمان ما فان كانت الملازمة والخلطة فهو كمال الصحبة وهكذا هي صحبة أهل النار لها. وبهذا القول ينفك الخلاف في تسمية الصحابة رضي الله عنهم إذ مراتبهم متباينة على ما نبينه في" براءة" «١» إن شاء الله. وباقي ألفاظ الآية تقدم معناها والحمد لله.

[سورة البقرة (٢): آية ٤٠]

يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأوفوا بعهدي أوف بعهدكم وإياي فارهبون (٤٠)

قوله تعالى: (يا بني إسرائيل) نداء مضاف علامة النصب فيه الياء وحذفت منه النون للإضافة. الواحد ابن والأصل فيه بني

---

(١) المآخذ على شراح ديوان أبي الطيب المتنبي، المهلبي، أبو العباس ٤٥/١

(٢) المآخذ على شراح ديوان أبي الطيب المتنبي، المهلبي، أبو العباس ١٠٤/٢

وقيل: بنو فمن قال: المحذوف منه واو احتج بقولهم: البنوة. وهذا لا حجة فيه لأنهم قد قالوا: الفتوة وأصله الياء. وقال الزجاج: المحذوف منه عندي ياء كأنه من بنيت. الأخفش: اختار أن يكون المحذوف منه الواو لأن حذفها أكثر لثقلها. ويقال: ابن بين البنوة والتصغير بني. قال الفراء: يقال: يا بني ويا بني لغتان مثل يا أبت ويا أبت وقرى بهما. وهو مشتق من البناء وهو وضع الشيء على الشيء والابن فرع للأب وهو موضوع عليه. وإسرائيل هو يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام. قال أبو الفرج الجوزي: وليس في الأنبياء من له اسمان غيره إلا نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فإن له أسماء كثيرة. ذكره في كتاب" الآثار" له. قلت: وقد قيل في المسيح إنه اسم علم لعيسى عليه السلام غير مشتق وقد سماه الله روحا وكلمة، وكانوا يسمونه أبيل الأبيلين ذكره الجوهري في الصحاح. وذكر البيهقي في" دلائل النبوة" عن الخليل بن أحمد: خمسة من الأنبياء ذوو اسمين محمد وأحمد نبينا صلى الله عليه وسلم وعيسى والمسيح وإسرائيل ويعقوب ويونس وذو النون وإلياس وذو الكفل صلى الله عليهم وسلم

---

(١). راجع ج ٨ ص ١٤٨." [١]

"قوله تعالى: (لنعلم أي الحزبين أحصى) " لنعلم" عبارة عن خروج ذلك الشيء إلى الوجود ومشاهدته، وهذا على نحو كلام العرب، أي نعلم ذلك موجودا، إلا فقد كان الله تعالى علم أي الحزبين أحصى الأمد. وقرأ الزهري" ليعلم" بالياء. والحزبان الفريقان، والظاهر من الآية أن الحزب الواحد هم الفتية إذ ظنوا لبثهم قليلا. والحزب الثاني أهل المدينة الذين بعث الفتية على عهدهم، حين كان عندهم التاريخ لأمر الفتية. وهذا قول الجمهور من المفسرين. وقالت فرقة: هما حزبان من الكافرين، اختلفا في مدة أصحاب الكهف. وقيل: هما حزبان من المؤمنين. وقيل غير ذلك مما لا يرتبط بألفاظ الآية. و" أحصى " فعل ماض. و" أمدا" نصب على المفعول به، قاله أبو علي. وقال الفراء: نصب على التمييز. وقال الزجاج: نصب على الظرف، أي أي الحزبين أحصى للبثهم في الأمد، والأمد الغاية. وقال مجاهد:" أمدا" نصب معناه عددا، وهذا تفسير بالمعنى على جهة التقريب. وقال الطبري:" أمدا" منصوب ب" لبثوا". ابن عطية: وهذا غير متجه، وأما من قال إنه نصب على التفسير فيلحقه من الاختلال أن أفعل لا يكون من فعل رباعي إلا في الشاذ، و" أحصى " فعل رباعي. وقد يحتج له بأن يقال: إن أفعل في الرباعي قد كثر، كقولك: ما أعطاه للمال وآتاه للخير. وقال في صفة حوضه صلى الله عليه وسلم:" ماؤه أبيض من اللبن". وقال عمر بن الخطاب: فهو لما سواها أضيع.

[سورة الكهف (١٨): آية ١٣]

نحن نقص عليك نبأهم بالحق إنهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى (١٣)

قوله تعالى: (نحن نقص عليك نبأهم بالحق) لما اقتضى قوله تعالى" لنعلم أي الحزبين أحصى " اختلافا وقع في أمد الفتية، عقب بالخبر عن أنه عز وجل يعلم من أمرهم بالحق الذي وقع. وقوله تعالى: (إنهم فتية) أي شباب وأحداث حكم لهم

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ٣٣٠/١

بالفتوة حين آمنوا بلا واسطة، كذلك قال أهل اللسان: رأس الفتوة الإيمان. وقال الجنيد: الفتوة بذل الندى وكف الأذى وترك الشكوى. وقيل: الفتوة اجتناب المحارم واستعجال المكارم. وقيل غير هذا. وهذا القول حسن جدا، لأنه يعم بالمعنى جميع ما قيل في الفتوة.." [1]

"وإن كانت بقرا فبقرتين. وقال أبو بكر الوراق: دلهم بهذه الآية على الفتوة «١». أي لن تنالوا بري بكم إلا ببركم بإخوانكم والإنفاق عليهم من أموالكم وجاهكم، فإذا فعلتم ذلك نالكم بري وعطفي. قال مجاهد: وهو مثل قوله:" ويطعمون الطعام على حبه مسكينا" [الإنسان: ٨] «٢» (وما تنفقوا من شيء فإن الله به عليم) أي وإذا علم جازى عليه.

[سورة آل عمران (٣): الآيات ٩٣ الى ٩٤]

كل الطعام كان حلا لبني إسرائيل إلا ما حرم إسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التوراة قل فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين (٩٣) فمن افترى على الله الكذب من بعد ذلك فأولئك هم الظالمون (٩٤)

فيه أربع مسائل: الأولى- قوله تعالى: (حلا) " حلا" أي حلالا، ثم استثنى فقال: (إلا ما حرم إسرائيل على نفسه) وهو يعقوب عليه السلام. في الترمذي عن ابن عباس أن اليهود قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم: أخبرنا، ما حرم إسرائيل عل نفسه؟ قال: (كان يسكن البدو فاشتكى عرق «٣» النسا فلم يجد شيئا يلائمه إلا لحوم الإبل وألبانها فلذلك حرمها). قالوا: صدقت. وذكر الحديث. ويقال: [إنه]»

نذر إن برأ «٥» منه ليتركن أحب الطعام والشراب إليه، وكان أحب الطعام والشراب إليه لحوم الإبل وألبانها. وقال ابن عباس ومجاهد وقتادة والسدي: أقبل يعقوب عليه السلام من حران يريد بيت المقدس حين هرب من أخيه عيصو، وكان رجلا بطشا قويا، فلقيه ملك فظن يعقوب أنه لص فعالجه أن يصرعه، فغمز الملك فخذ يعقوب عليه السلام، ثم صعد الملك إلى السماء ويعقوب ينظر إليه فهاج عليه «٦» عرق النسا، ولقي من

---

(١). الفتوة: يعبر بها عن مكارم الأخلاق.

(٢). راجع ج ١٩ ص ١٢٥.

(٣). النسا (بالفتح مقصور): عرق يخرج من الورك فيستبطن الفخذ.

(٤). كذا في ب ود.

(٥). برأ من المرض (بالفتح) لغة أهل الحجاز. وسائر العرب يقولون: برئت (بالكسر).

(٦). في ب ود: به.." [2]

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ٣٦٤/١٠

(٢) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ١٣٤/٤

"٦٦ - حسان بن سعيد، أبو علي المنيعي المروروذي. [المتوفى: ٤٦٣ هـ]
بلغنا أنه من ذرية خالد بن الوليد رضي الله عنه. سمع من أبي طاهر بن محمش الزيادي، وأبي القاسم بن حبيب، وأبي الحسن السقاء، وجماعة. روى عنه محيي السنة البغوي، وأبو المظفر عبد المنعم القشيري، ووجيه الشحامي، وعبد الوهاب بن شاه. وذكره عبد الغافر الفارسي فقال: هو الرئيس أبو علي الحاجي شيخ الإسلام المحمود بالخصال السنية. عم الآفاق بخيره وبره. وكان في شبابه -[١٩١]- تاجرا، ثم عظم حتى صار من المخاطبين من مجالس السلاطين، لم يستغنوا عن الاعتضاد به وبرأيه، فرغب إلى الخيرات، وأناب إلى التقوى والورع، وبنى المساجد والرباطات، وبنى جامع مدينته مروالروذ. وكان كثير البر والإيثار، يكسو في الشتاء نحوا من ألف نفس، وسعى في إبطال الأعشار عن البلد، ورفع الوظائف عن القرى. ومن ذلك أنه استدعى صدقة عامة على أهل البلد، غنيهم وفقيرهم، فكان يطوف العاملون على الدور والأبواب، ويعدون سكانها، فيدفع إلى كل واحد خمسة دراهم. وتمت هذه السنة بعد موته. وكان يحيي الليالي بالصلاة، ويصوم الأيام، ويجتهد في العبادة اجتهادا لا يطيقه أحد. قال: ولو تتبعنا ما ظهر من آثاره وحسناته لعجزنا.
وقال أبو سعد السمعاني: حسان بن سعيد بن حسان بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن محمد بن منيع بن خالد بن عبد الرحمن بن خالد بن الوليد المخزومي المنيعي، كان في شبابه يجمع بين الدهقنة والتجارة، وسلك طريق الفتيان حتى ساد أهل ناحيته **بالفتوة** والمروءة والثروة الوافرة. إلى أن قال: ولما تسلطن سلجوق ظهر أمره، وبنى الجامع بمروالروذ، ثم بنى الجامع الجديد بنيسابور. وبلغني أن عجوزا جاءته وهو يبنيه، ومعها ثوب يساوي نصف دينار وقالت: سمعت أنك تبني الجامع، فأردت أن يكون لي في البقعة المباركة أثر. فدعا خازنه واستحضر ألف دينار، واشترى بها منها الثوب، وسلم المبلغ إليها، ثم قبضه منها الخازن، وقال له: أنفق هذه الألف منها في عمارة المسجد. وقال: احفظ هذا الثوب لكفني ألقى الله فيه. وكان لا يبالي بأبناء الدنيا ولا يتضعضع لهم. وحكي أن السلطان اجتاز بباب مسجده، فدخل مراعاة له، وكان يصلي، فما قطع صلاته، ولا تكلف حتى أتمها. فقال السلطان: في دولتي من لا يخافني ولا يخاف إلا الله. وحيث وقع القحط في سنة إحدى وستين كان ينصب القدور ويطبخ، ويحضر كل يوم ألف من خبز ويطعم الفقراء. وكان في الخريف يتخذ الجباب والقمص والسراويلات للفقراء، ويجهز بنات الفقراء، ورفع الأعشار من أبواب نيسابور. وكان -[١٩٢]- مجتهدا؛ يقوم الليل، ويصوم النهار ويلبس الخشن من الثياب. توفي يوم الجمعة السابع والعشرين من ذي القعدة، رضي الله عنه.." (١)
"-سنة ثمان وسبعين وخمسمائة
فيها تراخت الأسعار بالعراق.
وفيها وثب على عبد الوهاب الكردي صاحب قلعة الماهكي ابن عمه جوبان، فأخرجه منها، ونادى بشعار الدولة العباسية، فأرسلت إليه الخلعة والتقليد بولايتها.
وفيها وصل قاضي الموصل ووزيرها ابن الشهرزوري إلى الديوان العزيز يطلب أن يتقدم إلى السلطان صلاح الدين بالارتحال عن الموصل، فإنه نزل محاصرا، ذاكرا أن الخليفة أقطعه إياها، فأجيب سؤاله، وكتب إلى السلطان بالارتحال عنها. وسار إليه

---

(١) تاريخ الإسلام ت بشار، الذهبي، شمس الدين ١٠/١٩٠

في الرسلية شيخ الشيوخ صدر الدين عبد الرحيم.
وفيها افتتح ملك الروم قليج رسلان بن مسعود بلدا كبيرا بالروم كان للنصاري، وكتب إلى الديوان بالبشارة.
وافتتح فيها صلاح الدين حران، وسروج، وسنجار، ونصيبين، والرقة، والبيرة. ونازل الموصل وحاصرها، فبهره ما رأى من حصانتها، فرحل عنها، وقصده شاه أرمن بعساكر جمة، واجتمع في ماردين بصاحبها، وفتح آمد. ثم رجع إلى حلب فتملكها، وعوض صاحبها سنجار.
وفيها تفتى الناصر لدين الله إلى الشيخ عبد الجبار، ولقب بشرف الفتوة عبد الجبار، وخلع عليه. وكان النقيب لهم أبا المكارم أحمد بن محمد بن دادا بن النيلي. وفتى الناصر لدين الله في ذلك الوقت ولد رفيقه علي بن عبد الجبار، وخلع عليه وعلى النقيب.
وكان عبد الجبار هذا في مبدأ أمره شجاعا مشهورا، تهابه الفتيان، وتخافه الرجال. ثم ترك ذلك ولزم العبادة، وبنى لنفسه موضعا، فأمر الخليفة بإحضاره حين تضوع عبير أخباره، وتفتي إليه، وجعل المعول في شرعها عليه.
وفيها خرج صلاح الدين من مصر غازيا، وما تهيأ له العود إليها، وعاش بعد ذلك اثنتي عشرة سنة. -[٤٨١]-
وفيها بعث صلاح الدين أخاه سيف الإسلام طغتكين على مملكة اليمن، وإخراج نواب أخيه تورانشاه منها، فدخل إليها، وقبض على متولي زبيد حطان بن منقذ الكناني. فيقال: إنه قتله سرا، وأخذ منه أموالا لا تحصى. وهرب منه عز الدين عثمان ابن الزنجيلي. وتمكن سيف الإسلام من اليمن.
وفيها مات عز الدين فروخشاه ابن شاهنشاه بن أيوب، فبعث عمه على نيابة دمشق شمس الدين محمد ابن المقدم.." (١)
"٩٠ - عبد الجبار بن يوسف بن صالح البغدادي. [المتوفى: ٥٨٣ هـ]
شيخ الفتوة ورئيسها، ودرة تاجها، وحامل لوائها.
تفرد بالمروءة والعصبية، وانفرد بشرف النفس والأبوة، وانقطع إلى عبادة الله تعالى بموضع اتخذه لنفسه وبناه، فاستدعاه الإمام الناصر لدين الله، وتفتى إليه، ولبس منه.
خرج حاجا في هذه السنة فتوفي بالمعلى، ودفن به في ذي الحجة.." (٢)
"-سنة تسع وتسعين وخمسمائة
أنبأنا ابن البزوري قال: في سلخ المحرم ماجت النجوم، وتطايرت كتطاير الجراد، ودام ذلك إلى الفجر، وانزعج الخلق، وخافوا وضجوا بالدعاء إلى الله تعالى، ولم يعهد ذلك إلا عند ظهور رسول الله صلى الله عليه وسلم.
وفيها جمع الملك العادل عسكرا عديدا، وفرق عليهم العدد والأموال، وقدم عليهم ولده الأشرف موسى، وأمره أن يحاصر ماردين، فقطع صاحب ماردين الميرة عن عسكر العادل، وأمر أهل القلاع أن يقطعوا السبل والميرة، والتقى طائفة من هؤلاء بطائفة من هؤلاء، فاقتتلوا وانهزم عسكر ماردين بعد أن قطعوا الطرق وتعذر سلوكها، وسار جماعة من عسكر العادل إلى

---

(١) تاريخ الإسلام ت بشار، الذهبي، شمس الدين ١٢/ ٤٨٠

(٢) تاريخ الإسلام ت بشار، الذهبي، شمس الدين ١٢/ ٧٦٠

راس عين، وبقي الملك الأشرف فلم ينل غرضه، ودخل الملك الظاهر صاحب حلب في الصلح، فأجاب العادل على أن يحمل إليه صاحب ماردين مائة وخمسين ألف دينار، وأن يخطب له في بلاده، وأن يضرب السكة باسمه، ويكون عسكر ماردين في خدمته، فأجاب صاحب ماردين إلى ذلك.

وذكر سبط ابن الجوزي مثل ما قدمنا من موج النجوم وتطايرها.

وقال العز النسابة: رئي في السماء نجوم متكاثفة متطايرة، شديدة الاضطراب إلى غاية.

وفيها شرع العادل في عمارة أسوار قلعة دمشق. -[٩٥٣]-

وفيها مات السلطان غياث الدين الغوري، وقبض أخوه السلطان شهاب الدين إلب غازي على جماعة من خواص أخيه وأتباعه وصادرهم، وبالغ في التنكيل بامرأة أخيه، وأخذ أموالها، وسيرها إلى الهند على أسوأ حال، وهدم تربتها، ونبش أبويها، ورمى بعظامهم.

وفيها سير الملك العادل المنصور علي ابن الملك العزيز، وقيل اسمه محمد، إلى مدينة الرها، وألزمه المقام بها، وكان بدمشق هو وأمه وأخوته، فخاف العادل من ميل الرعية إليه، وأن يتملك دمشق فأبعده.

وفيها بعث الخليفة الناصر لدين الله إلى الملك العادل وأولاده بسراويلات الفتوة ومعها الخلع.

وكان الأشرف بحران، ملكه أبوه بها مع الرها وغيرها في عام أول.

وفيها خرج ابن لاون صاحب سيس لحرب البرنس صاحب أنطاكية، وعاث وأفسد.

وقدم عكا خلق من الفرنج وتحركوا، فاهتم لهم العادل، ثم ترحلوا لأجل الغلاء والقحط بعكا، وخافوا لا يقطع العادل عن عكا الميرة.

وفيها سار صاحب حماه الملك المنصور ونزل ببعرين، فقصده الفرنج من حصن الأكراد وطرابلس وغيرها، فالتقوا فهزمهم وقتل وأسر، وذلك في رمضان، ثم لم ينشب أن خرج جمع منهم في أربع مائة فارس وألف ومائتي راجل، فالتقاهم صاحب حماه فكسرهم، وقتل منهم مقتلة عظيمة، وأسر جماعة، وذلك في رمضان أيضا، ومدحه الشعراء.." (١)

"٣٠٩ - عبد الرحيم بن علي بن الحسن بن الحسن بن أحمد بن المفرج بن أحمد. القاضي الفاضل أبو علي، ابن القاضي الأشرف أبي الحسن، اللخمي البيساني، العسقلاني المولد، المصري الدار، [المتوفى: ٥٩٦ هـ] الكاتب، صاحب ديوان الإنشاء في الدولة الصلاحية وبعدها.

ولد في منتصف جمادى الآخرة سنة تسع وعشرين وخمسمائة، ولقبه محيي الدين. وفي نسبته إلى بيسان تجوز، فإنه ليس منها، وإنما ولي أبوه قضاءها، فلهذا نسب إليها.

انتهت إلى القاضي الفاضل براعة الإنشاء، وبلاغة الترسل، وله في ذلك معان مبتكرة لم يسبق إليها مع كثرتها.

قال القاضي شمس الدين ابن خلكان: نقل عنه أنه قال: إن مسودات رسائله في المجلدات والتعليقات في الأوراق، إذا جمعت ما تقصر عن مائة مجلد. وله نظم كثير.

---

(١) تاريخ الإسلام ت بشار، الذهبي، شمس الدين ٩٥٢/١٢

واشتغل بصناعة الإنشاء على الموفق يوسف ابن الخلال شيخ الإنشاء للمتأخرين من خلفاء بني عبيد.

ثم إنه خدم بثغر الإسكندرية في شبيبته، وأقام بها مدة. -[١٠٧٤]-

قال عمارة اليمني: ومن محاسن العادل ابن الصالح بن رزيك: خروج أمره إلى والي الإسكندرية بتسيير القاضي الفاضل إلى الباب، واستخدامه في ديوان الجيش، فإنه غرس منه للدولة، بل للملة، شجرة مباركة متزايدة النماء، أصلها ثابت وفرعها في السماء.

وقال العماد الكاتب: وتمت الرزية الكبرى وفجيعة أهل الدين والدنيا بانتقال القاضي الفاضل من دار الفناء إلى دار البقاء، في داره بالقاهرة، في سادس ربيع الآخر. وكان ليلتئذ صلى العشاء، وجلس مع مدرس مدرسته، وتحدث معه ما شاء، وطالت المسامرة، وانفصل إلى منزله صحيح البدن، وقال لغلامه: رتب حوائج الحمام، وعرفني حتى أقضي مني المنام. فوافاه سحرا للإعلام، فما اكترث بصوت الغلام، ولم يدر أن كلم الحمام حمى من الكلام، وأن وثوقه بطهارته من الكوثر أغناه عن الحمام، فبادر إليه ولده فألفاه وهو ساكت باهت، فلبث يومه لا يسمع له إلا أنين خفي، ثم قضى سعيدا ولم يبق في مدة حياته عملا صالحا إلا وقدمه، ولا عهدا في الجنة إلا أحكمه، ولا عقدا في البر إلا أبرمه، فأن صنائعه في الرقاب، وأوقافه على سبل الخيرات متجاوزة الحساب، ولا سيما أوقافه لفكاك أسرى المسلمين إلى يوم الحساب، وأعان الطلبة الشافعية والمالكية عند داره بالمدرسة، والأيتام بالكتاب.

وكان للحقوق قاضيا، وفي الحقائق ماضيا. سلطانه مطاع، والسلطان له مطيع، ما افتتح الأقاليم إلا بأقاليد آرائه، ومقاليد غناه وغنائه، وكنت من حسناته محسوبا، وإلى مناسب آلائه منسوبا، أعرف صناعته، ويعرف صناعتي، وأعارض بضاعته الثمينة بمزجاة بضاعتي. وكانت كتابته كتائب النصر، وبراعته رائعة الدهر، ويراعته بارئة للبر، وعبارته نافثة في عقد السحر، وبلاغته للدولة مجملة، وللمملكة مكملة، وللعصر الصلاحي على سائر الأعصار مفضلة، وهو الذي نسخ أساليب القدماء بما أقدمه من الأساليب، وأعربه من الإبداع، وأبدعه من الغريب. وما ألفيته كرر دعاء في مكاتبة، ولا ردد لفظا في مخاطبة. بل تأتي فصوله مبتكرة مبتدعة مبتدهة، لا مفتكرة بالعرف والعرفان، معرفة لا نكرة.

وكان الكرام في ظله يقيلون، ومن عثرات النوائب بفضله يستقيلون، -[١٠٧٥]- وبعز حمايته يعزون. فإلى من بعده الوفادة؟ وممن الإفادة؟ وفي من السيادة؟ ولمن السعادة؟

وقال ابن خلكان في ترجمته: وزر للسلطان صلاح الدين.

ومن شعره عند وصوله إلى الفرات يتشوق إلى النيل:

بالله قل للنيل عني: إنني ... لم أشف من ماء الفرات غليلا

وسل الفؤاد فإنه لي شاهد ... إن كان جفني بالدموع بخيلا

يا قلب كم خلفت ثم بثينة ... وأعيذ صبرك أن يكون جميلا

وكان الملك العزيز ابن صلاح الدين يميل إلى القاضي الفاضل في أيام أبيه، واتفق أنه أحب قينة وشغف بها، وبلغ صلاح الدين، فمنعه من صحبتها، ومنعها منه، فحزن ولم يستجر أن يجتمع بعد هذا بها، فسيرت له مع خادم كرة عنبر، فكسرها فوجد فيها زر ذهب، فلم يفهم المراد به، وجاء القاضي الفاضل فعرفه الصورة، فعمل القاضي في ذلك:

أهدت لك العنبر في وسطه ... زر من التبر دقيق اللحام

فالزر في العنبر معناهما ... زر هكذا مستترا في الظلام

وله:

بتنا على حال يسر الهوى ... وربما لا يمكن الشرح

بوابنا الليل، وقلنا له: ... إن غبت عنا دخل الصبح

وله:

وسيف عتيق للعلاء فإن تقل: ... رأيت أبا بكر، فقل: وعتيق

فزر بابه، فهو الطريق إلى الندى ... ودع كل باب ما إليه طريق

ولهبة الملك ابن سناء الملك فيه – وقد ولي الوزارة – من قصيدة: -[١٠٧٦]-

قال الزمان لغيره إذ رامها: ... تربت يمينك لست من أربابها

اذهب طريقك لست من أربابها ... وارجع وراءك لست من أترابها

وبعز سيدنا وسيد غيرنا ... ذلت من الأيام شمس صعابها

وأتت سعادته إلى أبوابه ... لا كالذي يسعى إلى أبوابها

فلتفخر الدنيا بسائس ملكها ... منه ودارس علمها وكتابها

صوامها قوامها علامها ... عمالها بذالها وهابها

وبلغنا أنه كتبه التي ملكها بلغت مائة ألف مجلد، وكان يحصلها من سائر البلاد.

وذكر القاضي ضياء الدين القاسم بن يحيى الشهرزوري أن القاضي الفاضل لما سمع أن العادل أخذ الديار المصرية دعا على نفسه بالموت خشية أن يستدعيه وزيره صفي الدين ابن شكر، أو يجري في حقه إهانة، فأصبح ميتا. وكان له معاملة حسنة مع الله وتهجد بالليل.

وقال العماد في الخريدة: وقبل شروعي في أعيان مصر، أقدم ذكر من جميع أفاضل العصر كالقطرة في بحره، المولى القاضي الأجل، الفاضل الأسعد، أبو علي عبد الرحيم ابن القاضي الأشرف أبي المجد علي ابن البيساني، صاحب القرآن، العديم الأقران، واحد الزمان

إلى أن قال: فهو كالشريعة المحمدية نسخت الشرائع، يخترع الأفكار، ويفترع الأبكار، وهو ضابط الملك بآرائه، ورابط السلك بآلائه. إن شاء أنشأ في يوم ما لو دون، لكان لأهل الصناعة خير بضاعة. أين قس من فصاحته، وقيس من حصافته؟ ومن حاتم وعمرو في سماحته وحماسته؟ لا من في فعله، ولا مين في قوله، ذو الوفاء والمروءة، والصفاء **والفتوة**، والتقى والصلاح، والندى والسماح. وهو من أولياء الله الذين خصوا بكرامته، وأخلصوا لولايته. وهو مع ما يتولاه من أشغال المملكة، لا يفتر عن المواظبة على نوافل صلواته، ونوافل صلاته. يختم كل يوم القرآن المجيد، ويضيف إليه ما شاء الله من المزيد، وأنا أوثر أن أفرد لنظمه ونثره كتابا، فإنني أغار من ذكره مع الذين هم كالسها في فلك شمسه وذكائه، وكالثرى

عند ثريا علمه وذكائه، فإنما تبدو النجوم إذا لم تبرز الشمس -[١٠٧٧]- حاجبها. وإنه لا يؤثر أيضا إثبات ذلك، فأنا ممتثل لأمره المطاع، ملتزم له قانون الاتباع، لا أعرف يدا ملكتني غير يده، ولا أتصدى إلا لما جعلني بصدده.

قلت: وكان رحمه الله أحدب. فحدثني شيخنا جمال الدين الفاضلي أن القاضي الفاضل ذهب في الرسلية إلى صاحب الموصل، فحضر، وأحضرت فواكه، فقال بعض الكبار منكتا على الفاضل: خياركم أحدب. فقال الفاضل: خسنا خير من خياركم.

وحدثني الفاضلي في آخر سنة إحدى وتسعين أن القاضي والعماد الكاتب كانا في الموكب، فقال القاضي الفاضل:

أما الغبار فإنه ... مما أثارته السنابك

وقال للعماد: أجز. فقال:

فالجو منه مغبر ... لكن تباشير السنابك

يا دهر لي عبد الرحيـ ... ـم فلا أبالي مس نابك

قلت: وقد سمع أبا طاهر السلفي، وأبا محمد العثماني، وأبا الطاهر بن عوف، وأبا القاسم ابن عساكر الحافظ، وعثمان بن سعيد بن فرج العبدري.

قال المنذري: وزر للسلطان صلاح الدين، وركن إليه ركونا تاما، وتقدم عنده كثيرا. وكان كثير البر والمعروف والصدقة. وله آثار جميلة ظاهرة، مع ما كان عليه من الإغضاء والاحتمال.

توفي في ليلة سابع ربيع الآخر.

وقال الموفق عبد اللطيف: ذكر خبر القاضي الفاضل

كانوا ثلاثة إخوة:

واحد منهم خدم في الإسكندرية وبها مات، وخلف من الخواتيم صناديق. ومن الحصر والقدور والخزف بيوتا مملوءة. وكان متى رأى خاتما أو سمع به تسبب في تحصيله.

وأما الآخر فكان له هوس مفرط في تحصيل الكتب، كان عنده زهاء مائتي ألف كتاب، من كل كتاب نسخ.

والثالث القاضي الفاضل، وكان له غرام بالكتابة، وبتحصيل الكتب أيضا، وكان له الدين والعفاف والتقى، مواظب على أوراد الليل، والصيام والتلاوة. ولما ملك أسد الدين -[١٠٧٨]- احتاج إلى كاتب، فأحضره، فأعجبه نفاذه وسمته ونصحه، فلما ملك صلاح الدين استخلصه لنفسه، وحسن اعتقاده فيه.

وكان قليل اللذات، كثير الحسنات، دائم التهجد، يشتغل بالأدب والتفسير.

وكان قليل النحو، لكن له دربة قوية توجب له قلة اللحن، وكتب من الإنشاء ما لم يكتبه أحد. أعرف عند ابن سناء الملك من إنشائه اثنين وعشرين مجلدا. وعند ابن القطان – أحد كتابه – عشرين مجلدا. وكان متقللا في مطعمه ومنكحه، وملبسه. لباسه البياض، لا يبلغ جميع ما عليه دينارين.

ويركب معه غلام وركابي. ولا يمكن أحدا أن يصحبه. ويكثر تشييع الجنائز، وعيادة المرضى، وزيارة القبور. وله معروف معروف في السر والعلانية.

وكان ضعيف البنية، رقيق الصورة، له حدبة يغطيها الطيلسان.

وكان فيه سوء خلق يكمد به في نفسه، ولا يضر أحدا به.

ولأصحاب الفضائل عنده نفاق، يحسن إليهم ولا يمن عليهم. ولم يكن له انتقام من أعدائه إلا بالإحسان إليهم، وبالإعراض عنهم.

وكان دخله ومعلومه في السنة نحو خمسين ألف دينار، سوى متاجر الهند والمغرب، وغيرهما.

مات مسكوتا، أحوج ما كان إلى الموت عند تولي الإقبال، وإقبال الإدبار، وهذا يدل على أن لله به عناية.." (١)

"-سنة سبع وعشرين وستمائة

قال أبو شامة: أخذت بعلبك من الأمجد في ربيع الآخر، ورحل الأشرف إلى الشرق واستعمل على دمشق أخاه إسماعيل، فلما كان في شوال جاءنا الخبر: بأن السلطان الملك الأشرف التقى الخوارزمي - يعني جلال الدين - وأن الأشرف كسره في أواخر رمضان. وقد كان الخوارزمي استولى على خلاط، وأخذها من نواب الأشرف بعد أن أكلوا الجيف والكلاب، وزاد فيهم الوباء، وثبتوا ثباتا لم يسمع بمثله، لعلمهم بجور خوارزم شاه، ولم يقدر عليها إلا بمخامرة إسماعيل الإيواني، تدنى إليه، واستوثق منه، ثم اطلع الخوارزمية بالجبال ليلا، واستباحوها، فإنا لله. فسار الأشرف لحربه، واتفق هو وصاحب الروم على لقائه، فكسرا الخوارزمية، ووقع منهم خلق في واد، فهلكوا، -[٦٥٢]- ونهبوا، وتتبعوا أياما، وضربت البشائر في البلاد.

وقال أبو المظفر ابن الجوزي: أخذ خوارزم شاه جلال الدين مدينة خلاط في جمادى الأولى بعد حصار عشرة أشهر، وكان فيها مجير الدين ابن العادل؛ وأخوه تقي الدين؛ وزوجة الأشرف بنت ملك الكرج، فأسرهم جلال الدين. فأرسل صاحب الروم إلى الأشرف يأمره بالمسير، فإنه ينجده، فشاور أخاه الملك الكامل فقال: نعم مصلحة، فجمع جيشه وسار إلى صاحب الروم، وكان معه أخواه شهاب الدين غازي، والملك العزيز عثمان، وابن أخيه الملك الجواد. وجمع ملك الروم جيوشه أيضا واجتمعا، والتقاهم الخوارزمي؛ فانكسر كسرة عظيمة، وأخذ الأشرف خلاط، وأرسل إلى الخوارزمي يطلب إخوته، فأرسلهم ولم يرسل المرأة.

قال عبد اللطيف بن يوسف: كسر الله الخوارزميين بأخف مؤنة بأمر لم يكن في الحساب، فسبحان من هدم ذاك الجبل الراسي في لمحة ناظر.

وفيها رجعت رسل الخليفة من عند جلال الدين منكوبري ملك الخوارزمية، وخلع على رسوله الذي قدم معهم.

وفيها خرج الموكب الشريف لتلقي رسول الملك محمد بن يوسف بن هود المغربي؛ صحبة رسول الملك الكامل زعيم مصر، فأخبر أن ابن هود استولى على أكثر بلاد المغرب التي بيد بني عبد المؤمن، وأنه خطب بها للمستنصر بالله، فحمد فعله، وكتب له منشور متضمن شكر همته العالية.

وفيها سير جلال الدين الخوارزمي إلى المستنصر، وطلب منه سراويل الفتوة ليتشرف بذلك؛ فسيره إليه مع تحف ونعم لا تحصى، وفرس النوبة، ففرح بذلك وسر وقبل الأرض مرات.

---

(١) تاريخ الإسلام ت بشار، الذهبي، شمس الدين ١٠٧٣/١٢

وفيها ملك المايرقي تلمسان، وخطب فيها للمستنصر بالله.
وأما أمر الخوارزمية وكسرتهم، قال الموفق: فتح بعض الأمراء باب خلاط للخوارزمية في جمادى الآخرة، لا ركونا إلى دينهم ويمينهم، بل إيثارا -[٦٥٣]- للموت على شدة القحط، فدخلوا، وقتلوا، وسبوا، واستحلوا سائر المحرمات، دخلوا نصف الليل فبقوا كذلك إلى آخر صبيحته، ثم رفعوا السيف، وشرعوا في المصادرات والعذاب. وكانوا يتعمدون الفقهاء والأخيار بالقتل والتعذيب أكثر من غيرهم.
وأما الكامل، فانصرف إلى مصر بغتة، فضعف الناس، وأيقنوا أن الخوارزمي إن ملك الشام والروم عفى آثارها وأباد سكانها. ثم اصطلح الأشرف وعلاء الدين صاحب الروم صلحا تاما بعد عداوة أكيدة، وجيشوا الجيوش، والقلوب مع ذلك مشحونة خوفا، ولم يزل على وجل مفرط من التقاء الجيشين، حتى أتاح الله كسرة الخوارزميين بأهون مؤنة.
فقرأت في كتاب بعض الأجناد: إنا رحلنا من سيواس، وطلبنا منزلة يقال لها ياصي جمان في طرف أعمال أرزنجان، إذ بها عشب ومياه؛ فلما سمع العدو بمجيء العسكرين، ساق سوقا حثيثا في ثلاثة أيام، ونزل المرج المذكور وبه جماعة من عسكر، فكبسهم بكرة الرابع والعشرين من رمضان، وضرب الأشرف المصاف مع الخوارزمي، وقامت الحرب على ساق إلى قرب الظهر، ثم نصر الله، وكسر العدو شر كسرة. وكان معه خلق لا يحصون. والمصاف في اليوم التاسع والعشرين من رمضان.
قال الموفق: ثم تواصل الناس ومعهم السبي والأخاديد من المماليك والدواب والأسلحة، والكل رديء، يباع الجوشن بثلاثة دراهم، والفرس هناك بخمسة دراهم، وفي حلب بعشرين درهما وثلاثين في غاية الرداءة. وكذا قسيهم وسائر أسلحتهم. ووصل منهم أسرى فيهم رجل، حكى لمن أنس به من الفقهاء العجم، قال: إن صاحبنا دهش وتحير لما شارف عسكر الشام، فلما رأيناه كذلك، انقطعت قلوبنا، ولولا عسكر الشام، أبدنا عسكر الروم، أنا بنفسي قتلت منهم خمسين فارسا.
وحكى نسيب لنا جندي، قال: وصلنا إلى مرج ياصي جمان، ونحن متوجهون إلى خلاط على أن العدو بها، فإذا بعسكر الخوارزمي محيط بنا، فوقع على طائفة من عسكر الروم، فقتل منهم نحو مائتين، ونهب، وأسر. ثم -[٦٥٤]- من الغد وقع جيش الخوارزمي على عسكر الروم ونحن نرى الغبرة، فأباد فيهم قتلا وأسرا. وقد كثر القول بأنهم قتلوا من عسكر الروم سبعة آلاف من خيارهم، وقيل: أكثر وأقل.
وقال لي رجل من أهل أرزنجان: إن جميع الروم كان بها، وعدتهم اثنا عشر ألفا، فلم يخلص منهم إلا جريح، أو هارب توقل الجبل، وإن صاحب الروم بقي في ضعفة من أصحابه نحو خمسة آلاف، وأصبحنا يوم الخميس على تعبئة، ووقعت مناوشات. فكان أصحابنا أبدا يربحون عليهم، وعرفنا قتالهم، ونشابهم، وضعف خيلهم، وقلة فروسيتهم، فتبدل خوفنا منهم بالطمع، واحتقرناهم، وتعجبنا كيف غلب هؤلاء أمما كثيرين؟ وبتنا ليلة الجمعة على تعبئة، وكان الرجل قد عزم على الهرب، ففر إليه مملوكان، فشجعاه، فثبت لشقاوته. وأصبح الناس، ففر من عنده اثنان إلى الملك الأشرف؛ فسألهما عن عدة أصحابهم، قالا: هم ثلاثون ألفا. وبقي الأشرف يجول بين الصفوف، ويشجع الناس، ويحقر العدو. وأصبح الناس يوم السبت على تعبئة تامة، فسأل الأشرف المملوكين عن موضع الخوارزمي، قالا: هو على ذلك التل، وشعره في كيس أطلس، وعلى رأس كتفه برجم صغير مخيط بقبائة، فحمل طائفة من الخوارزمية على عسكر الروم؛ فثبتوا، فتقدم الأشرف إلى سابق الدين ومعه من عسكر مصر ألف وخمسمائة فارس، وإلى عسكر حمص وحلب وحماة، فانتقى ألف فارس، وندب بعض أمراء العرب

في ألف فارس من العرب، فحملوا على التل الذي عليه الخوارزمي، فلما عاين الموت الأحمر مقبلا، انهزم، فلما رأى جيشه فراره انهزموا. وأما الذين حملوا على عسكر الروم، فبقوا في الوسط، فلم يفلت منهم أحد. ثم إن الخوارزميين لشدة رعبهم لم يقدروا على الهرب، ولم يهتدوا سبيلا، وأكثرهم نزلوا عن خيولهم، وانجحروا في بطون الأودية والبيوت الخربة، فتحكم فيهم الفلاحون والغلمان، وقتلهم أضعف الناس. وانحرف منهم ثلاثة آلاف على بلاد جانيت، فخرج إليهم فلاحو الروم والنصارى فقتلوهم عن آخرهم. وفلق -[٦٥٥]- الخوارزمي عند هربه نحو مائتي حصان، ووصل خلاط في سبعة أنفس، فأخذ حرمه وما خف من الأموال، واجتاز على منازجرد وكانت محصورة بوزيره، ووصل جائعا فأطعمه وزيره. ثم دخل أذربيجان بالخزي والصغار، فصادر أهل خوي، ومات منهم جماعة تحت العقوبة.

وأما الأشرف فلو ساق بعسكره وراءهم لأتى عليهم قتلا وأسرا. وتسلم أرزن الروم، وسلمها إلى علاء الدين كيقباذ، فأخذ ملكا خيرا من جميع مملكته.

وأما صاحبها ابن مغيث الدين ابن عم علاء الدين فإنه رمي بالخذلان، والتجأ إلى كهف حتى أخذوه أخذ النساء. ثم نزل الأشرف على منازجرد، وصمم على أن يدخل وراء الخوارزمي، وأقام شهورا، ثم تراسلا في الصلح، فاصطلحا على ما يؤثر الملك الأشرف. فرجع وفرق العسكر، وأمنت خلاط وشرعت تعمر.

وحكى أمير قال: حملنا على الخوارزمي فوقع عسكره في واد وهلكوا، زحمناهم على سفح يفضي إلى واد عميق، فتكردسوا بخيولهم، فتقطعوا إربا إربا. وأشرفنا على الوادي ثاني يوم فرأيناه مملوءا بالهلكى لو نجد فيهم حيا إلا خادم الخوارزمي مكسور الرجل، وأقمنا أياما نقلب القتلى لعل أن يكون فيهم جلال الدين الخوارزمي. وأسر خلق من خواصه وأعلامه وسناجقه. وذكروا أن العرب أخذوا من خيمته باطية ذهب وزنها خمسة وعشرون رطلا، فنفلهم إياها الملك الأشرف. والعجب أن هذه الوقعة لم يقتل فيها من عسكر الشام أحد، ولا جرح فرس إلا رجل من عسكر حمص جرح بسهم. وزالت هيبة الخوارزمية من القلوب، وزال سعدهم.." (١)

"٦٧ - أحمد أمير المؤمنين الإمام الناصر لدين الله، أبو العباس ابن الإمام المستضيء بأمر الله أبي محمد الحسن ابن الإمام المستنجد بالله أبي المظفر يوسف ابن الإمام المقتفي لأمر الله أبي عبد الله محمد ابن الإمام المستظهر بالله أحمد ابن المقتدي بأمر الله أبي القاسم الهاشمي العباسي البغدادي. [المتوفى: ٦٢٢ هـ]

ولد يوم الاثنين عاشر رجب سنة ثلاث وخمسين وخمسمائة. وبويع أول ذي القعدة سنة خمس وسبعين.

وكان أبيض اللون، تركي الوجه، مليح العينين، أنور الجبهة، أقنى الأنف، خفيف العارضين، أشقر اللحية، مليح المحاسن. نقش خاتمه " رجائي من الله عفوه ".

أجاز له أبو الحسين عبد الحق اليوسفي، وأبو الحسن علي بن عساكر البطائحي، وشهدة، وجماعة. وأجاز هو لجماعة من الكبار، فكانوا يحدثون عنه في حياته، ويتنافسون في ذلك، وما غرضهم العلو ولا الإسناد، بل غرضهم التفاخر، وإقامة الشعار والوهم.

---

(١) تاريخ الإسلام ت بشار، الذهبي، شمس الدين ٦٥١/١٣

ولم تكن الخلافة لأحد أطول مدة منه، إلا ما ذكر عن الخوارج العبيديين، فإنه بقي في الأمر بديار مصر المستنصر نحوا من ستين سنة. وكذا بقي الأمير عبد الرحمن صاحب الأندلس خمسين سنة.

وكان المستضيء أبوه قد تخوف منه، فاعتقله، ومال إلى أخيه أبي منصور. وكان ابن العطار، وأكثر الدولة مع أبي منصور، وحظية المستضيء بنفشا، والمجد ابن الصاحب، ونفر يسير مع أبي العباس. فلما بويع أبو العباس، قبض على ابن العطار وسلمه إلى المماليك. وكان قد أساء إليهم، فأخرج بعد أيام ميتا، وسحب في شوارع بغداد. وتمكن المجد ابن الصاحب فوق الحد وطغا، وآلت به الحال إلى أن قتل.

قال الموفق عبد اللطيف: وكان الناصر لدين الله، شابا مرحا، عنده ميعة الشباب. يشق الدروب والأسواق أكثر الليل والناس يتهيبون لقاءه. وظهر -[٦٨٧]- التشيع بسبب ابن الصاحب، ثم انطفى بهلاكه. وظهر التسنن المفرط ثم زال. وظهرت الفتوة والبندق والحمام الهادي، وتفنن الناس في ذلك. ودخل فيه الأجلاء ثم الملوك، فألبسوا الملك العادل وأولاده سراويل الفتوة، وكذا ألبسوا شهاب الدين الغوري ملك غزنة والهند، وصاحب كميش، وأتابك سعد صاحب شيراز، والملك الظاهر صاحب حلب، وتخوفوا من السلطان طغريل. وجرت بينهم حروب. وفي الآخر استدعوا تكش لحربه، وهو خوارزم شاه، فخرج في جحفل لجب، والتقى معه على الري، واحتز رأسه، وسيره إلى بغداد. ثم تقدم تكش نحو بغداد يلتمس رسوم السلطنة، فتحركت عليه أمة الخطا، فرجع إلى خوارزم، وما لبث أن مات. وكان الناصر لدين الله قد خطب لولده الأكبر أبي نصر بولاية العهد، ثم ضيق عليه لما استشعر منه، وعين أخاه، ثم ألزم أبا نصر بأن أشهد على نفسه أنه لا يصلح، وأنه قد نزل عن الأمر. وأكبر الأسباب في نفور الناصر من ولده هو الوزير نصير الدين ابن مهدي العلوي، فإنه خيل إلى الخليفة فساد نية ولده بوجوه كثيرة. وهذا الوزير أفسد على الخليفة قلوب الرعية والجند، وبغضه إليهم وإلى ملوك الأطراف، وكاد يخلي بغداد عن أهلها، بالإرهاب تارة وبالقتل أخرى، ولا يقدر أحد أن يكشف للخليفة حال الوزير، حتى تمكن الفساد وظهر، فقبض عليه برفق. وفي أثناء ذلك، ظهر بخراسان وما وراء النهر خوارزم شاه محمد بن تكش وتجبر وطوى البلاد، واستبعد الملوك الكبار وفتك بكثير منهم، وأباد أمما كثيرة من الترك، فأباد أمة الخطا، وأمة الترك، وأساء إلى باقي الأمم الذين لم يصل إليهم سيفه. ورهبه الناس كلهم. وقطع خطبة بني العباس من بلاده، وصرح بالوقيعة فيهم. وقصد بغداد فوصل إلى همذان وبوادره إلى حلوان فوقع عليهم ثلج عظيم عشرين يوما، فغطاهم في غير إبانه، فأشعره بعض خواصه أن ذلك غضب من الله، حيث نقصد بيت النبوة. والخليفة مع ذلك قد جمع الجموع، وأنفق النفقات، واستعد بكل ما تصل المكنة إليه، لكن الله وقى شره ورده على عقبه. وسمع أن أمم الترك قد تألبوا عليه وطمعوا في البلاد لبعده عنها، فقصدهم، فقصدوه، ثم كايدوه، وكاثروه إلى أن مزقوه في كل وجهة، وبلبلوا لبه، وشتتوا شمله، وملكوا عليه أقطار الأرض، حتى ضاقت عليه بما رحبت، وصار أين توجه، وجد سيوفهم متحكمة فيه، فتقاذفت به البلاد حتى -[٦٨٨]- لم يجد موضعا يحويه، ولا صديقا يؤويه، فشرق وغرب، وأنجد وأسهل، وأصحر وأجبل، والرعب قد ملك لبه، فعند ذلك قضى نحبه.

قال: وكان الشيخ شهاب الدين لما جاء في الرسالة خاطبه بكل قول ولاطفه، ولا يزداد إلا طغيانا وعتوا، ولم يزل الإمام الناصر مدة حياته في عز وجلالة، وقمع للأعداء، واستظهار على الملوك، لم يجد ضيما، ولا خرج عليه خارجي إلا قمعه،

ولا مخالف إلا دمغه، وكل من أضمر له سوءا رماه الله بالخذلان. وأباده. وكان مع سعادة جده شديد الاهتمام بمصالح الملك، لا يخفى عليه شيء من أحوال رعيته كبارهم وصغارهم. وأصحاب أخباره في أقطار البلاد يوصلون إليه أحوال الملوك الظاهرة والباطنة حتى يشاهد جميع البلاد دفعة واحدة. وكانت له حيل لطيفة، ومكايد غامضة، وخدع لا يفطن لها أحد. يوقع الصداقة بين ملوك متعادين وهم لا يشعرون، ويوقع العداوة بين ملوك متفقين وهم لا يفطنون.

قال: ولو أخذنا في نوادر حكاياته، لاحتاجت إلى صحف كثيرة.

ولما دخل رسول صاحب مازندران بغداد، كانت تأتيه ورقة كل صباح بما عمل في الليل، فصار يبالغ في التكتم، والورقة تأتيه، فاختلى ليلة بامرأة دخلت من باب السر، فصبحته الورقة بذلك، وفيها: كان عليكم دواج فيه صورة الأفيلة. فتحير، وخرج من بغداد وهو لا يشك أن الخليفة يعلم الغيب؛ لأن الإمامية يعتقدون أن الإمام المعصوم يعلم ما في بطن الحامل، وما وراء الجدار.

وقيل: إن الناصر كان مخدوما من الجن.

وأتى رسول خوارزم شاه برسالة مخفية وكتاب مختوم، فقيل: ارجع، فقد عرفنا ما جئت به، فرجع وهو يظن أنهم يعلمون الغيب.

ووصل رسول آخر فقال: الرسالة معي مشافهة إلى الخليفة، فحبس، -[٦٨٩]- ونسي ثمانية أشهر، ثم أخرج وأعطي عشرة آلاف دينار، فذهب إلى خوارزم شاه، وصار صاحب خبر لهم، وسير جاسوسا يطلعه على أخبار عسكر خوارزم شاه لما وجه إلى بغداد، وكان لا يقدر أحد أن يدخل بينهم إلا قتلوه، فابتدأ الجاسوس وشوه خلقته وأظهر الجنون، وأنه قد ضاع له حمار فأنسوا به، وضحكوا منه، وتردد بينهم أربعين يوما، ثم عاد إلى بغداد، فقال: هم مائة وتسعون ألفا إلا أن يزيدوا ألفا أو ينقصوا ألفا.

وكان الناصر إذا أطعم أشبع، وإذا ضرب أوجع، وله مواطن يعطي فيها عطاء من لا يخاف الفقر. ووصل رجل معه ببغاء تقرأ " ﴿قل هو الله أحد﴾ " تحفة للخليفة من الهند، فأصبحت ميتة، وأصبح حيران، فجاءه فراش يطلب منه الببغاء، فبكى، وقال: الليلة ماتت، فقال: قد عرفنا هاتها ميتة، وقال: كم كان في ظنك أن يعطيك الخليفة؟ قال: خمسمائة دينار، فقال: هذه خمسمائة دينار خذها، فقد أرسلها إليك أمير المؤمنين، فإنه علم بحالك مذ خرجت من الهند!

وكان صدر جهان قد صار إلى بغداد ومعه جمع من الفقهاء، وواحد منهم لما خرج من داره من سمرقند على فرس جميلة، فقال له أهله: لو تركتها عندنا لئلا تؤخذ منك في بغداد؟ فقال: الخليفة لا يقدر أن يأخذها مني، فأمر بعض الوقادين أنه حين يدخل بغداد يضربه، ويأخذ الفرس ويهرب في الزحمة، ففعل، فجاء الفقيه يستغيث فلا يغاث، فلما رجعوا من الحج خلع على صدر جهان وأصحابه سوى ذلك الفقيه، وبعد الفراغ منهم، خلع عليه، وأخرج إلى الباب وقدمت له فرسه وعليها سرج من ذهب وطوق، وقيل له: لم يأخذ فرسك الخليفة، إنما أخذها أتوني، فخر مغشيا عليه، وأسجل بكراماتهم.

قلت: يجوز أن يكون الخليفة أو لبعض خواصه رئي من الجن، فيخبره بأضعاف هذا، والخطب في هذا سهل، فقد رأينا أنموذج هذا في زماننا بل وأكثر منه.

قال الموفق عبد اللطيف: وفي وسط ولايته اشتغل برواية الحديث، -[٦٩٠]- واستناب نوابا في ذلك، وأجرى عليهم

جرايات، وكتب للملوك والعلماء إجازات. وجمع كتابا سبعين حديثا ووصل على يد شهاب الدين إلى حلب، وسمعه الملك الظاهر وجماهير الدولة، وشرحته شرحا حسنا، وسيرته صحبة شهاب الدين. وسبب انعكافه على الحديث أن الشريف العباسي قاضي القضاة نسب إليه تزوير، فأحضر القاضي وثلاثة شهود، فعزز القاضي بأن حركت عمامته فقط، وعزز الثلاثة بأن أركبوا جمالا وطيف بهم المدينة يضربون بالدرة، فمات واحد تلك الليلة، وآخر لبس لبس الفساق ودخل بيوتهم، والثالث لزم بيته واختفى وهو البندنيجي المحدث رفيقنا. فبعد مدة احتاج، وأراد بيع كتبه، ففتش الجزاز، فوجد فيه إجازة للخليفة من مشايخ بغداد، فرفعها، فخلع عليه، وأعطي مائة دينار، وجعل وكيلا عن أمير المؤمنين في الإجازة والتسميع.

قلت: أجاز الناصر لجماعة من الأعيان فحدثوا عنه منهم: أبو أحمد بن سكينة، وأبو محمد ابن الأخضر، وقاضي القضاة أبو القاسم ابن الدامغاني، وولده الظاهر بأمر الله، والملك العادل، وبنوه المعظم والكامل والأشرف.

قال ابن النجار: شرفني بالإجازة، فرويت عنه بالحرمين، وبيت المقدس، ودمشق، وحلب، وبغداد، وأصبهان، ونيسابور، ومرو، وهمذان. ثم روى عنه حديثا بالإجازة التي أذن له بخطه.

وقال الموفق عبد اللطيف: وأقام سنين يراسل جلال الدين حسن صاحب ألموت يراوده أن يعيد شعار الإسلام من الصلاة والصيام وغير ذلك مما رفعوه في زمان سنان، ويقول: إنكم إذا فعلتم ذلك كنا يدا واحدة، ولم يتغير عليكم من أحوالكم شيء، ومن يروم هذا من هؤلاء، فقد رام منال العيوق، واتفق أن رسول خوارزم شاه بن تكش ورد في أمر من الأمور، فزور على لسانه كتب في حق الملاحدة تشتمل على الوعيد، وعزم الإيقاع بهم، وأنه سيخرب -[٦٩١]- قلاعهم، ويطلب من الخليفة المعونة في ذلك، وأحضر رجل منهم كان قاطنا ببغداد، ووقف على الكتب، وأخرج بها وبكتب أخرى على وجه النصيحة نصف الليل على البريد، فلما وصل ألموت، أرهبهم، فما وجدوا مخلصا إلا التظاهر بالإسلام، وإقامة شعاره. وسيروا إلى بغداد رسولا ومعه مائتا شاب منهم، ودنانير كبارا في مخانق، وعليها " لا إله إلا الله محمد رسول الله "، وطافوا بها في بغداد، وجميع من حولها يعلن بالشهادتين.

وكان الناصر لدين الله قد ملأ القلوب هيبة وخيفة. فكان يرهبه أهل الهند ومصر كما يرهبه أهل بغداد، فأحيى هيبة الخلافة وكانت قد ماتت بموت المعتصم، ثم ماتت بموته. ولقد كنت بمصر والشام في خلوات الملوك والأكابر، فإذا جرى ذكره، خفضوا أصواتهم هيبة وإجلالا.

وورد بغداد تاجر معه متاع دمياط المذهب، فسألوه عنه، فأنكر، فأعطي علامات فيه من عدده وألوانه وأصنافه، فازداد إنكاره، فقيل له: من العلامات أنك نقمت على مملوكك التركي فلان، فأخذته إلى سيف بحر دمياط خلوة، وقتلته ودفنته هناك، ولم يشعر بذلك أحد.

قال ابن النجار في ترجمة الناصر: دانت له السلاطين، ودخل تحت طاعته من كان من المخالفين، وذلت له العتاة والطغاة، وانقهرت بسيفه الجبابرة والبغاة، واندحض أضداده وأعداؤه، وكثر أنصاره وأولياؤه، وفتح البلاد العديده، وملك من الممالك ما لم يملكه من تقدمه من الخلفاء والملوك أحد، وخطب له ببلاد الأندلس وبلاد الصين، وكان أسد بني العباس، تتصدع لهيبته الجبال، وتذل لسطوته الأقيال. وكان حسن الخلق، لطيف الخلق، كامل الظرف، فصيح اللسان، بليغ البيان، له التوقيعات المسددة، والكلمات المؤيدة، كانت أيامه غرة في وجه الدهر، ودرة في تاج الفخر. وقد حدثني الحاجب أبو

طالب علي بن محمد بن جعفر قال: برز توقيع من الناصر لدين -[٦٩٢]- الله إلى جلال الدين ابن يونس صدر المخزن: " لا ينبغي لأرباب هذا المقام أن يقدموا على أمر لم ينظروا في عاقبته، فإن النظر قبل الإقدام خير من الندم بعد الفوات، ولا يؤخذ البراء بقول الأعداء، فلكل ناصح كاشح، ولا يطالب بالأموال من لم يخن في الأعمال، فإن المصادرة مكافأة للظالمين، وليكن العفاف والتقى رقيبان عليك ". قال الحاجب أبو طالب: وبرز توقيع آخر منه إلى ابن يونس: " قد تكرر تقدمنا إليك مما افترضه الله علينا، ويلزمنا القيام به؛ كيف يهمل حال الناس حتى تم عليهم ما قد بين في باطنها، فتنصف الرجل، وتقابل العامل إن لم يفلج بحجة شرعية ".

وقال القاضي ابن واصل: كان الناصر شهما، شجاعا، ذا فكرة صائبة وعقل رصين، ومكر ودهاء، وكانت هيبته عظيمة جدا، وله أصحاب أخبار في العراق وسائر الأطراف، يطالعونه بجزئيات الأمور، حتى ذكر أن رجلا ببغداد عمل دعوة، وغسل يده قبل أضيافه، فطالع صاحب الخبر الناصر بذلك. فكتب في جواب ذلك: " سوء أدب من صاحب الدار، وفضول من كاتب المطالعة ".

قال: وكان مع ذلك رديء السيرة في الرعية، مائلا إلى الظلم والعسف، فخربت في أيامه العراق، وتفرق أهلها في البلاد، وأخذ أموالهم وأملاكهم، وكان يفعل أفعالا متضادة، إلى أن قال: وكان يتشيع، ويميل إلى مذهب الإمامية بخلاف آبائه، إلى أن قال: وبلغني أن شخصا كان يرى صحة خلافة يزيد، فأحضره الخليفة ليعاقبه، فقيل له: أتقول بصحة خلافة يزيد؟ فقال: أنا أقول: إن الإمام لا ينعزل بارتكاب الفسق، فأعرض الناصر عنه، وأمر بإطلاقه، وخاف المحاققة.

قال: وسئل ابن الجوزي، والخليفة يسمع: من أفضل الناس بعد -[٦٩٣]- رسول الله - صلى الله عليه وسلم -؟ فقال: أفضلهم بعده من كانت ابنته تحته، وهذا جواب محتمل لأبي بكر وعلي - رضي الله عنهما -.

وكتب إلى الناصر خادم له اسمه يمن ورقه فيها يعتب، فوقع فيها: " بمن يمن يمن، ثمن يمن ثمن ".

وقال أبو المظفر الجوزي: قل بصر الخليفة في الآخر، وقيل: ذهب جملة. وكان خادمه رشيق قد استولى على الخلافة، وأقام مدة يوقع عنه. وكان بالخليفة أمراض مختلفة، منها عسر البول، والحصى، ووجد منه شدة وشق ذكره مرارا، وما زال يعتريه حتى قتله. وغسله خالي محيي الدين يوسف.

وقال الموفق: أما مرض موته، فسهو نسيان، بقي به ستة أشهر ولم يشعر أحد من الرعية بكنه حاله، حتى خفي على الوزير وأهل الدار. وكان له جارية قد علمها الخط بنفسه، فكانت تكتب مثل خطه، فتكتب على التواقيع بمشورة قهرمانة الدار. وفي أثناء ذلك نزل جلال الدين محمد خوارزم شاه على ضواحي بغداد هاربا منفضا من المال والرجال والدواب، فأفسد بقدر ما كانت تصل يده إليه. وكانوا يدارونه ولا يمضون فيه أمرا لغيبة رأي الخليفة عنهم، إلى أن راح إلى أذربيجان، ونهب في ذهابه دقوقا واستباحها. وكانت خلافته سبعا وأربعين سنة. توفي في سلخ رمضان، وبويع لولده أبي نصر ولقب بالظاهر بأمر الله؛ فكانت خلافته تسعة أشهر.

وذكر العدل شمس الدين محمد بن إبراهيم بن أبي بكر الجزري، قال: حدثني والدي قال: سمعت الوزير مؤيد الدين ابن العلقمي لما كان -[٦٩٤]- على الأستاذدارية، يقول: إن الماء الذي يشربه الإمام الناصر كانت تجيء به الدواب من فوق بغداد بسبعة فراسخ، ويغلى سبعة غلوات، كل يوم غلوة، ثم يحبس في الأوعية سبعة أيام، ثم يشرب منه، وبعد هذا ما مات

حتى سقي المرقد ثلاث مرار وشق ذكره وأخرج منه الحصى.

وقال ابن الساعي: فأصبح الناس يوم الاحد - يعني يوم الثلاثين من رمضان - وقد أغلقت أبواب دار الخلافة، وتولى غسله محيي الدين ابن الجوزي، وصلى عليه ولده الظاهر بأمر الله بعد أن بويع، بايعه أولا أقاربه، ثم نائب الوزارة مؤيد الدين محمد القمي وولده فخر الدين أحمد، والأستاذ دار عضد الدولة أبو نصر ابن الضحاك، وقاضي القضاة محيي الدين ابن فضلان الشافعي، والنقيب قوام الدين أبو علي الموسوي. ودفن بصحن الدار، ثم نقل بعد شهرين إلى الترب، ومشى الخلق بين يدي جنازته. وأما بيعة الظاهر، فهي في سنة اثنتين في الحوادث.

وقال ابن الأثير: بقي الناصر ثلاث سنين عاطلا عن الحركة بالكلية وقد ذهبت إحدى عينيه، وفي الآخر أصابه دوسنطاريا عشرين يوما، ومات ولم يطلق في طول مرضه شيئا مما كان أحدثه من الرسوم. وكان سيئ السيرة خرب في أيامه العراق، وتفرق أهله في البلاد، وأخذ أموالهم وأملاكهم. قال: وكان يفعل الشيء وضده، جعل همه في رمي البندق والطيور المناسيب، وسراويلات **الفتوة**.

ونقل الظهير الكازروني في " تاريخه " وأجازه لي أن الناصر في وسط خلافته هم بترك الخلافة، والانقطاع إلى التعبد. وكتب عنه ابن الضحاك -[٦٩٥]- توقيعا فقرئ على الأعيان، وبني رباطا للفقراء، وأتخذ إلى جانب الرباط دارا لنفسه كان يتردد إليها، ويحادث الصوفية وعمل له ثيابا كثيرة بزي الصوفية.

قلت: ثم ترك ذلك، ومل، الله تعالى يسامحه ويرحمه.." (١)

"٦٩٢ - منصور المستنصر بالله، أمير المؤمنين، أبو جعفر ابن الظاهر بأمر الله أمير المؤمنين محمد ابن الناصر لدين الله أبي العباس أحمد ابن المستضيء بأمر الله الحسن ابن المستنجد يوسف ابن المقتفي الهاشمي العباسي البغدادي. [المتوفى: ٦٤٠ هـ]

ولد سنة ثمان وثمانين وخمسمائة. وأمه جارية تركية. بويع بعد موت أبيه في رجب سنة ثلاث وعشرين.

قال ابن النجار: فنشر العدل في الرعايا، وبذل الإنصاف في القضايا، وقرب أهل العلم والدين، وبنى المساجد والربط والمدارس والمارستانات، وأقام منار الدين، وقمع المتمردة، ونشر السنن، وكف الفتن، وحمل الناس على أقوم سنن، وقام بأمر الجهاد أحسن قيام، وجمع الجيوش لنصرة الإسلام، وحفظ الثغور، وافتتح الحصون. إلى أن قال: وكان أبيض، أشقر الشعر، ضخما، قصيرا، وخطه الشيب، فخضب بالحناء، ثم ترك الخضاب.

وقال الموفق عبد اللطيف: بويع أبو جعفر، وسار السيرة الجميلة، وعمر طرق المعروف الداثرة، وأقام شعار الدين ومنار الإسلام، وعمر بسخائه وبذله. واجتمعت القلوب على حبه والألسنة على مدحه.

ولم يجد أحد من المتعنتة فيه معابا، قد أطبقوا عليه. وكان جده الناصر يقربه ويحبه ويسميه القاضي لعقله وهديه وإنكاره ما يجد من المنكر. والناس معه اليوم في بلهنية هنية، وعيشة -[٣٣١]-

مرضية.

---

(١) تاريخ الإسلام ت بشار، الذهبي، شمس الدين ٦٨٦/١٣

وسير إليه خوارزم شاه يلتمس منه سراويل **الفتوة**، فسيره إليه مع أموال جمة وتحف. وفيما سير إليه فرس النوبة، فسر بذلك وابتهج، وقبل الأرض مرات شكرا لله على هذه المنزلة التي رزقها وحرمها أبوه، ثم إنه أذعن بالعبودية والطاعة.

وقال ابن واصل: بنى المستنصر على دجلة من الجانب الشرقي مما يلي دار الخلافة مدرسة ما بني على وجه الأرض أحسن منها ولا أكثر وقفا، وهي بأربعة مدرسين على المذاهب الأربعة. وعمل فيها بيمارستانا كبيرا، ورتب فيها مطبخا للفقهاء، ومزملة للماء البارد.

ورتب لبيوت الفقهاء الحصر، والبسط، والفحم، والأطعمة، والورق، والحبر، والزيت، وغير ذلك. وللفقيه – بعد ذلك – في الشهر ديناران، ورتب لهم حماما، ورتب لهم بالحمام قومة. وهذا ما سبق إليه.

وللمدرسة شبابيك على دجلة. وللخليفة منظرة مطلة على المدرسة يحضر فيها الخليفة، ويسمع الدرس.

إلى أن قال: واستخدم عساكر عظيمة لم يستخدم مثلها أبوه ولا جده، وكانت تزيد على مائة ألف وعشرين ألف فارس، وأكثر من ذلك، كذا قال ابن واصل. وكان ذا همة عالية، وشجاعة وإقدام عظيم.

قصدت التتار البلاد فلقيهم عسكره فهزموا التتار هزيمة عظيمة. وكان له أخ يقال له: الخفاجي، فيه شهامة زائدة، كان يقول: إن وليت لأعبرن بالعساكر نهر جيحون، وآخذ البلاد من أيدي التتار وأستأصلهم.

فلما مات المستنصر لم ير الدويدار ولا الشرابي تقليد الخفاجي خوفا منه، وأقاما أبا أحمد للينة وضعف رأيه؛ ليكون لهما الأمر لينفذ الله أمره في عبادة. وقد رثاه الناصر داود بقصيدة فائقة مطلعها:

أيا رنة الناعي عبثت بمسمعي ... وأججت نار الحزن ما بين أضلعي

وأخرست مني مقولا ذا براعة

يصوغ أفانين القريض الموشع ... نعيت إلي البأس والجود والحجى

فأوقفت آمالي وأجريت أدمعي -[٣٣٢]-

وقال الحافظ عبد العظيم: مولده في صفر سنة ثمان وثمانين، وتوفي في العشرين من جمادى الأولى.

قال: وكان راغبا في فعل الخير، مجتهدا في تكثير أعمال البر. وله في ذلك آثار جميلة كثيرة، وأنشأ المدرسة المعروفة به، ورتب فيها من الأمور الدالة على تفقده لأحوال أهل العلم وكثرة فكرته فيما يقضي براحتهم وإزاحة عللهم ما هو معروف لمن شاهده وسمع به.

وأنبأني ابن البزوري أنه توفي يوم الجمعة عاشر جمادى الآخرة، وكذا قال ابن النجار في " تاريخه "، وغيره. وهو الصحيح. وقول المنذري وهم.

قال ابن البزوري: توفي بكرة عن إحدى وخمسين سنة وأربعة أشهر وسبعة أيام. وكتم يومئذ موته فخطبوا له يومئذ، فحضر شرف الدين إقبال الشرابي ومعه جمع من الخدم إلى التاج الشريف، وحضروا بين يدي ولده أبي أحمد عبد الله، فسلم عليه إقبال بإمرة المؤمنين، واستدعاه إلى سدة الخلافة.

ثم عرف الوزير، وأستاذ الدار ذلك، واستكتماه إلى الليل. ثم استدعي الوزير، فجاء من باب السر الذي بدار الأمير علاء

الدين الدويدار المقابل لداره، واستدعي – وهو عاجز – في محفة، وأحضر أيضا مؤيد الدين محمد ابن العلقمي أستاذ دار. فمثلا بين يدي السدة، فقبلا الأرض وهنآه بالخلافة، وعزياه بالمستنصر وبايعاه.

وأحضر جماعة من الأسرة الشريفة من أعمامه وأولاد الخلفاء، ثم خرج الوزير وسلم إلى الزعماء والولاة محال بغداد، وأمر أن لا يركب أحد من الأمراء من داره. وفي بكرة السبت رأى الناس أبواب الخلافة مغلقة، وجلس عبد اللطيف بن عبد الوهاب الواعظ وأخبر بوفاة الخليفة وجلوس ولده المستعصم بالله، ومولده سنة تسع وستمائة.

ثم لما ارتفع النهار استدعي الأعيان للبيعة وجلس الوزير لعجزه، ودونه بمرقاة أستاذ الدار، وكان يأخذ البيعة على الناس، وصورتها: " أبايع سيدنا ومولانا أمير المؤمنين على كتاب الله وسنة رسوله واجتهاد رأيه الشريف وأن لا خليفة –[٣٣٣]– للمسلمين سواه ".

فبايع الناس على درجاتهم. ثم أسبلت الستارة. وبايع من الغد الأمراء الصغار والمماليك الميامين. ثم بايع في اليوم الثالث من تبقى من الأمراء والتجار وبياض الناس.

ثم جلس الملأ للعزاء بالمستنصر، وتكلم المحتسب جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن ابن محيي الدين يوسف ابن الإمام أبي الفرج ابن الجوزي. وتكلم الشعراء، فأول من أورد مقدمهم صفي الدين عبد الله بن جميل حاجب المخزن بقصيدته التي يقول فيها:

عز العزاء وأعوز الإلمام

واسترجعت ما أعطت الأيام ... فدع العيون تسح بعد فراقهم

عوض الدموع دما فليس تلام

بانوا فلا قلبي يقر قراره ... أسفا ولا جفني القريح ينام

فعلى الذين فقدتهم وعدمتهم

مني تحية موجع وسلام

ثم أنشد الشعراء وعزوا بالمستنصر، وهنؤوا بالمستعصم. ثم برزت مطالعة على يد إقبال الشرابي في كيس، وبسمل الخدم بين يديها، فقرأها الوزير، ثم قرأها أستاذ الدار على الناس قائما، خلاصتها التأسي والتسلي والوعد بالعدل والإحسان.

قلت: بلغ ارتفاع وقوف المستنصرية في بعض الأعوام نيفا وسبعين ألف مثقال، وتليها في الكبر وكثرة الريع المنصورية بالقاهرة، وبها ضريح السلطان في قبة عظيمة، وبها دار حديث، وبها بيمارستان عديم النظير، إلا أن يكون الذي بدمشق.

فمن جملة القري الموقوفة على المدرسة المستنصرية ما مساحته مائة ألف جريب، وخمسون ألف جريب سوى الخانات والرباع، وغير ذلك. ويقرب من وقفها وقوف جامع دمشق وهي أكثر منه وقوفا. لكن اليوم ما يدخل المستنصرية عشر ذلك، بل أقل بكثير.." (١)

---

(١) تاريخ الإسلام ت بشار، الذهبي، شمس الدين ١٤/٣٣٠

"١٣٤ - محمد بن عبد الله، الجرديكي، الحلبي، الزاهد. [المتوفى: ٦٨٢ هـ]

كان فقيرا صالحا، كبير القدر، مشهورا بين الفقراء **بالفتوة** والخدمة ودماثة الأخلاق، وكان محبا للعزلة، كثير الصمت والرياضة، حسن النزاهة، وهو من بيت إمرة وحشمة، أقام بدمشق في أواخر عمره، وحصل له طرف فالج، وكان مقيما بمقصورة الحلبيين من الجامع، وبها توفي في ثاني ربيع الأول، وشيعة الخلق، وكان من أبناء الثمانين، رحمه الله.." (١)

"٢٧٢ - محمد بن إياز، الأمير الكبير، ناصر الدين ابن الأمير افتخار الدين الحراني، الحنبلي. [المتوفى: ٦٨٤ هـ]

ولي ولاية دمشق بعد موت الافتخار والده، وأضيف إليه شد الأوقاف والنظر فيها استقلالا. وكان نائب السلطنة لا يخالفه، ولا يخرج عن رأيه. وله المكانة العالية عند الملك الظاهر، وكلمته مسموعة في سائر الدولة. وكان ذا عقل ورأي وذكاء وخبرة بالأمور، وكان مليح الخط، جيد الفضيلة، كثير المكارم **والفتوة**.

قال الشيخ قطب الدين: كان يكتب خطا منسوبا، رأيته يكتب وهو ينظر إلى جهة أخرى، قال: وكان كثير المكارم والستر وقضاء حوائج الناس، يصلح لكل شيء. سمعت بعض الأمراء يقول: والله يصلح لوزارة بغداد في زمن الخلفاء، ولا يقوم غيره مقامه. ثم استعفى من ولاية البلد فأجيب، ثم ولاه السلطان الملك المنصور نيابة حمص فتوجه على كره فلم تطل مدته بها.

وتوفي ليلة نصف شعبان بها، فنقل إلى دمشق ودفن بتربة الشيخ أبي عمر، ولم يبلغ الستين. وقد سمع الحديث الكثير، وما أظنه حدث.." (٢)

"٦١١ - إبراهيم بن محمد بن طرخان، الحكيم، عز الدين، أبو إسحاق الأنصاري، السويدي، ثم الدمشقي، [المتوفى: ٦٩٠ هـ]

شيخ الأطباء بالشام.

ذكر أنه من ولد سعد بن معاذ سيد الأوس رضي الله عنه. ولد سنة ستمائة بدمشق في ذي القعدة وسمع من داود بن ملاعب وأحمد بن -[٦٥٠]-

عبد الله السلمي وعلي بن عبد الوهاب أخي كريمة وتفرد عنه والحسين بن إبراهيم بن مسلمة وزين الأمناء ابن عساكر وقرأ لولده البدر محمد علي مكي بن علان والرشيد العراقي واستنسخ له الأجزاء وقرأ " المقامات " في سنة تسع عشرة على التقي خزعل النحوي وأخبره بها عن منوجهر، عن المصنف. وقرأ كتبا في الأدب والنحو على الزين ابن معطي وعلى النجيب يعقوب الكندي وأخذ الطب عن المهذب عبد الرحيم الدخوار وغيره وبرع في الطب وصنف فيه ونظر في علم الأوائل. وله شعر جيد وفضائل وكتب بخطه الكثير. وكان مليح الكتابة. كتب " القانون " لابن سينا ثلاث مرات.

وكان أبوه تاجرا من السويداء التي بحوران: ذكره الموفق في " تاريخ الأطباء " فقال: كان صديقا لوالدي. وعز الدين ولده أوحد زمانه وعلامة أوانه، مجموع الفضائل، كثير الفواضل، كريم الأبو ة، غزير **الفتوة** وافر السخاء، حافظ الإخاء، اشتغل

---

(١) تاريخ الإسلام ت بشار، الذهبي، شمس الدين ٤٨٥/١٥

(٢) تاريخ الإسلام ت بشار، الذهبي، شمس الدين ٥٢٧/١٥

بصناعة الطب حتى أتقنها إتقانا لا مزيد عليه، حصل كلياتها واشتمل على جزئياتها. واجتمع مع أفاضل الأطباء ولازم أكابر الحكماء. وقرأ في علم الأدب حتى بلغ فيه أعلى الرتب.

إلى أن قال: وهو أسرع الناس بديهة في قول الشعر وأحسنهم إنشادا وكنت أنا وهو في المكتب وهو أجل الأطباء قدرا وأفضلهم ذكرا وأعرف مداواة وألطف مداراة وأنجح علاجا وأوضح منهاجا. ولم يزل في المارستان النوري.

وأنشدني لنفسه فيما كان يعانيه من الخضاب بالكتم:

لو أن تغير لون شيبي ... يعيد ما فات من شبابي

لما وفى لي بما تلاقي ... روحي من كلفة الخضاب

وله كتاب " الباهر في الجواهر " وكتاب " التذكرة الهادية " في الطب.

روى عنه ابن الخباز والبرزالي وطائفة واشتغل عليه جماعة -[٦٥١]-

كثيرة ومات في شعبان ودفن بتربته إلى جانب الخانقاه الشبلية وله تسعون سنة.." (١)

"٦٤ - ن ت: الحكم بن هشام الثقفي العقيلي [الوفاة: ١٧١ - ١٨٠ هـ]

كوفي نزل دمشق.

وروى عن: قتادة، وحماد بن أبي سليمان، ومنصور بن المعتمر، وعبد الملك بن عمير،

وعنه: ابن المبارك، وأبو مسهر، والهيثم بن خارجة، وهشام بن عمار، وإسحاق بن إبراهيم الفراديسي.

وكان شريف النفس متعففا.

قال أبو زرعة: لا بأس به.

وقال ابن معين: ثقة.

وقال العجلي: كان ثقة حدثني أبي قال: كان الحكم فقيرا فيدعى إلى الطعام، وهو جائع، فيلبس مطرف خز عتيقا، ثم يدخل العرس فيبارك، ولا -[٦٠٧]- يأكل، وكان عسرا في الحديث ثم إنه انبسط، وكان مؤاخيا لأبي حنيفة.

وروى سليمان بن أبي شيخ، عن عبد الله بن صالح العجلي قال: أقبل الحكم بن هشام يريد مندلا، فلما جلس قال له أصحاب مندل: يا أبا محمد، ما تقول في عثمان؟ قال: كان، والله خيار الخيرة، أمير البررة، قتيل الفجرة، منصور النصرة، مخذول الخذلة، أما خاذله فقد خذل، وأما قاتله فقد قتل، وأما ناصره فقد نصر، قالوا له: فعلي خير أم معاوية؟ قال: بل علي - رضي الله عنه -. قالوا: فأيهما كان أحق بالخلافة؟ قال: كان أحق بالخلافة من جعله الله خليفة.

أبو مسهر: حدثنا الحكم بن هشام العقيلي قال: من أغرق في الحديث فليعد للفقر جلبابا، فليأخذ منه أحدكم بقدر الطاقة، وليحترف حذر الفاقة.

الأصمعي، عن الحكم بن هشام قال: يقال: خمسة قبيحة: **الفتوة** في الشيوخ، والحرص في الزهاد، وقلة الحياء في ذوي

---

(١) تاريخ الإسلام ت بشار، الذهبي، شمس الدين ٦٤٩/١٥

الحسب، والبخل في ذوي المال، والحدة في السلطان.
قال أبو حاتم الرازي: الحكم بن هشام الثقفي لا يحتج به.." (١)
"٢٢٣ - عبد الرحمن بن أحمد، وقيل: عبد الرحمن بن عطية، وقيل: ابن عسكر، وقيل: ابن أحمد بن عطية السيد القدوة، أبو سليمان الداراني العنسي، [الوفاة: ٢١١ - ٢٢٠ هـ]
قيل: أصله واسطي.
ولد في حدود الأربعين ومائة، أو قبل ذلك،
وروى عن: سفيان الثوري، وأبي الأشهب، وعبد الواحد بن زيد، وعلقمة بن سويد، وعلي بن الحسن الزاهد، وصالح بن عبد الجليل.
وعنه: تلميذه أحمد بن أبي الحواري. وهاشم بن خالد، وحميد بن هشام العنسي، وعبد الرحيم بن صالح الداراني، وإسحاق بن عبد المؤمن، وعبد العزيز بن عمير، وإبراهيم بن أيوب الحوراني، وآخرون.
قال أبو الجهم بن طلاب: حدثنا أحمد بن أبي الحواري قال: كان اسم أبي سليمان عبد الرحمن بن أحمد بن عطية العنسي من صليبة العرب.
وقال حميد بن هشام: قلت لأبي سليمان عبد الرحمن بن أحمد بن عطية، فذكر حكاية.
واختلف على أبي الجهم فقال أبو أحمد الحاكم، عنه، عن ابن أبي الحواري: اسمه عبد الرحمن بن عسكر.
قال ابن أبي الحواري: سمعت أبا سليمان رحمة الله عليه يقول: صل خلف كل مبتدع إلا القدري لا تصل خلفه، وإن كان سلطانا.
وقال: سمعت أبا سليمان يقول: كنت بالعراق أعمل، وأنا بالشام أعرف.
قال: وسمعته يقول: ليس لمن ألهم شيئا من الخير أن يعمل به حتى يسمعه من الأثر. فإذا سمعه من الأثر عمل به وحمد الله حيث وافق ما في قلبه.
وقال الخلدي: سمعت الجنيد يقول: قال أبو سليمان الداراني: ربما يقع في قلبي النكتة من نكت القوم أياما فلا أقبل منه إلا بشاهدين عدلين: الكتاب والسنة. -[٣٧٠]-
قال الجنيد: وقال أبو سليمان: أفضل الأعمال خلاف هوى النفس.
وقال: لكل شيء علم، وعلم الخذلان ترك البكاء. ولكل شيء صدأ، وصدأ نور القلب شبع البطن.
وقال أحمد بن أبي الحواري: سمعت أبا سليمان يقول: أصل كل خير الخوف من الله، ومفتاح الدنيا الشبع، ومفتاح الآخرة الجوع.
وقال الحاكم: أخبرنا الخلدي قال: حدثني الجنيد قال: سمعت السري السقطي قال: حدثني أحمد بن أبي الحواري قال: سمعت أبا سليمان يقول: قدم إلي أهلي مرة خبزا وملحا، فكان في الملح سمسمة فأكلتها، فوجدت رانها على قلبي بعد سنة.

---

(١) تاريخ الإسلام ت بشار، الذهبي، شمس الدين ٤/٦٠٦

وقال أحمد: سمعت أبا سليمان يقول: من رأى لنفسه قيمة لم يذق حلاوة الخدمة.

وعنه قال: إذا تكلف المتعبدون أن يتكلموا بالإعراب ذهب الخشوع من قلوبهم.

وقال أحمد: سمعت أبا سليمان يقول: إن في خلق الله خلقا لو زين لهم الجنان ما اشتاقوا، فكيف يحبون الدنيا وقد زهدهم فيها.

وسمعته يقول: لولا الليل لما أحببت البقاء في الدنيا. وما أحب البقاء في الدنيا لتشقيق الأنهار وغرس الأشجار، ولربما رأيت القلب يضحك ضحكا.

وقال أحمد: رأيت أبا سليمان حين أراد أن يلبي غشي عليه، فلما أفاق قال: بلغني أن العبد إذا حج من غير وجهه، فلبى قيل له: لا لبيك ولا سعديك حتى تطرح ما في يديك، فما يؤمنا أن يقال لنا مثل هذا؟ ثم لبى.

وقال الجنيد: شيء يروى عن أبي سليمان أنا أستحسنه كثيرا، قوله: من اشتغل بنفسه شغل عن الناس، ومن اشتغل بربه شغل عن نفسه وعن الناس.

وقال عمر بن بحر الأسدي: سمعت ابن أبي الحواري قال: سمعت أبا سليمان يقول: من وثق بالله في رزقه زاد في حسن خلقه، وأعقبه الحلم، وسخت نفسه في نفقته، وقلت وساوسه في صلاته.

وعن أبي سليمان قال: **الفتوة** أن لا يراك الله حيث نهاك، ولا يفقدك حيث أمرك. وللشيخ أبي سليمان رضي الله عنه كلام جليل من هذا النمط. -[٣٧١]-

وقد أنبأنا أبو الغنائم بن علان، عن القاسم بن علي، قال: أخبرنا أبي، قال: أخبرنا طاهر بن سهل، قال: أخبرنا عبد الدائم الهلالي، قال: أخبرنا عبد الوهاب الكلابي قال: سمعت محمد بن خريم العقيلي قال: سمعت أحمد بن أبي الحواري يقول: تمنيت أن أرى أبا سليمان الداراني في المنام، فرأيته بعد سنة، فقلت له: يا معلم، ما فعل الله بك؟ قال: يا أحمد دخلت من باب الصغير، فلقيت وسق شيح، فأخذت منه عودا، فلا أدري تخللت به أم رميت به؟ فأنا في حسابه من سنة.

قال أبو زرعة الطبري: سألت سعيد بن حمدون عن موت أبي سليمان الداراني فقال: سنة خمس عشرة ومائتين.

وكذا ورخ وفاته أبو عبد الرحمن السلمي، والقراب.

وقيل: سنة خمس ومائتين، قاله ابن أبي الحواري.." (١)

"١٣ - أحمد بن خضرويه البلخي الزاهد، أبو حامد، [الوفاة: ٢٣١ - ٢٤٠ هـ]

من كبار المشايخ بخراسان.

صحب حاتما الأصم، وأبا يزيد البسطامي. قال السلمي في " تاريخ الصوفية ": أحمد بن خضرويه من جلة مشايخ خراسان، سألته امرأته أن يحملها إلى أبي يزيد، وتبرئه من مهرها، ففعل. فلما قعدت بين يديه كشفت عن وجهها، وكانت موسرة، فأنفقت مالها عليهما. فلما أراد أن يرجع قال لأبي يزيد: أوصني. قال: ارجع فتعلم **الفتوة** من امرأتك. وبلغني عن أبي يزيد أنه كان يقول: أحمد بن خضرويه أستاذنا. ويقال: إن أحمد بن خضرويه صحب إبراهيم بن أدهم ولقيه.

---

(١) تاريخ الإسلام ت بشار، الذهبي، شمس الدين ٥/٣٦٩

قلت: هذا بعيد.

ثم قال السلمي: سمعت منصور بن عبد الله قال: سمعت محمد بن حامد يقول: كنت جالسا عند ابن خضرويه وهو في النزع، فسأله رجل عن مسألة، فقال: يا بني، بابا كنت أدقه منذ خمس وتسعين سنة يفتح الساعة، لا أدري أيفتح بالسعادة أم بالشقاء، فأنى لي أوان الجواب. وكان عليه سبعمائة دينار دينا، فوفاها إنسان عنه. -[٧٥٨]-

وكان أبو حفص النيسابوري يقول: ما رأيت أكبر همة ولا أصدق حالا من أحمد بن خضرويه. وكان له قدم في التوكل.

وبلغنا عنه أنه قال: القلوب جوالة، فإما أن تجول حول العرش، وإما أن تجول حول الحش.

قيل: إن أحمد بن خضرويه مات سنة أربعين ومائتين.." (١)

"٣٤٨ - عمرو بن سلم، وقيل: عمرو بن سلمة، وقيل: عمر بن سلم، الأستاذ أبو حفص النيسابوري الزاهد، [الوفاة: ٢٦١ - ٢٧٠ هـ]

شيخ الصوفيه بخراسان.

روى عن: حفص بن عبد الرحمن الفقيه.

وعنه: أبو عثمان سعيد بن إسماعيل الحيري الزاهد تلميذه، وأبو جعفر أحمد بن حمدان، وحمدون القصار، وآخرون.

قال أبو نعيم: حدثنا أبو عمرو بن حمدان، قال: حدثنا أبي قال: قال أبو حفص النيسابوري: المعاصي بريد الكفر كما أن الحمى بريد الموت.

وحدثنا أبو عمرو بن حمدان قال: كان أبو حفص حدادا، فكان -[٣٧٩]- غلامه ينفخ عليه الكير مرة، فأدخل يده وأخرج الحديد من النار، فغشي على غلامه، وترك أبو حفص الحانوت، وأقبل على أمره.

وقيل: إن أبا حفص دخل على مريض، فقال المريض: آه. فقال أبو حفص: ممن؟ فسكت، فقال: مع من؟ قال المريض: فكيف أقول؟ قال: لا يكن أنينك شكوى، ولا سكوتك تجلدا، وليكن بين ذلك.

وعن أبي حفص قال: حرست قلبي عشرين سنة، ثم حرسني عشرين سنة، ثم ورد علي وعليه حالة صرنا محروسين جميعا.

قيل لأبي حفص: من الولي؟ قال: من أيد بالكرامات، وغيب عنها.

قال الخلدي: سمعت الجنيد ذكر أبا حفص فقال أبو نصر صاحب الحلاج: نعم يا أبا القاسم، كانت له حال إذا لبسته مكث اليومين والثلاثة لا يمكن أحد أن ينظر إليه. وكان أصحابه يخلونه حتى يزول ذلك عنه، وبلغني أنه أنفذ في يوم واحد بضعة عشر ألف دينار يشتري بها الأسرى من الديلم، فلما أمسى لم يكن له ما يأكله.

ذكر المرتعش قال: دخلنا مع أبي حفص على مريض، فقال له: ما تشتهي؟ قال: أن أبرأ، فقال لأصحابه: احملوا عنه، فقام المريض وخرج معنا، وأصبحنا كلنا نعاد في الفراش.

قال السلمي في تاريخ الصوفية: أبو حفص من قرية كورداباذ على باب نيسابور، كان حدادا. وهو أول من أظهر طريقة التصوف بنيسابور.

---

(١) تاريخ الإسلام ت بشار، الذهبي، شمس الدين ٧٥٧/٥

قال أبو محمد البلاذري: اسمه عمرو بن سلم، وكذا سماه أبو عثمان الحيري.
وذكر السلمي أنه كان ينفخ عليه غلام له الكير، فأدخل أبو حفص يده في النار وأخرج الحديد، فغشي على الغلام، فترك أبو حفص الصنعة وأقبل على شأنه.
سمعت عبد الله بن علي يقول: سمعت أبا عمرو بن علوان وسألته: هل رأيت أبا حفص عند الجنيد؟ فقال: كنت غائبا، لكن سمعت الجنيد -[٣٨٠]- يقول: أقام عندي أبو حفص سنة مع ثمانية أنفس، فكنت كل يوم أقدم لهم طعاما وطيبا، وذكر أشياء من الثياب فلما أراد أن يذهب كسوتهم، فلما أراد أن يفارقني قال: لو جئت إلى نيسابور علمناك السخاء **والفتوة**، ثم قال: عملك هذا كان فيه تكلف، إذا جاءك الفقراء فكن معهم بلا تكلف، إن جعت جاعوا، وإن شبعت شبعوا.
قال الخلدي: لما قال أبو حفص للجنيد: لو دخلت خراسان علمناك كيف **الفتوة**، قال له البغداديون: ما الذي رأيت منه؟ قال: صير أصحابي مخنثين، كان يكلف لهم كل يوم ألوان الطعام وغير ذلك، وإنما **الفتوة** ترك التكلف.
وقيل: كان في خدمة أبي حفص شاب يلزم السكوت، فسأله الجنيد عنه فقال: هذا أنفق علينا مائة ألف درهم، واستدان مائة ألف درهم، ما سألني مسألة إجلالا لي.
وقال أبو علي الثقفي: كان أبو حفص يقول: من لم يزن أحواله كل وقت بالكتاب والسنة ولم يتهم خواطره، فلا تعده.
وفي معجم بغداد للسلفي بإسناد منقطع: قدم ولدان لأبي حفص النيسابوري فحضرا عند الجنيد فسمعا قوالين فماتا، فجاء أبوهما وحضر عند القوالين، فسقطا ميتين.
وقال ابن نجيد: سمعت أبا عمرو الزجاجي يقول: كان أبو حفص نور الإسلام في وقته.
وعن أبي حفص قال: ما استحق اسم السخاء من ذكر العطاء، ولا لمحه بقلبه.
وعنه قال: الكرم طرح الدنيا لمن يحتاج إليها، والإقبال على الله لاحتياجك إليه.
وعنه قال: أحسن ما يتوسل به العبد إلى مولاه دوام الفقر إليه على جميع الأحوال، وملازمة سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم في جميع الأفعال، وطلب القوت جهده من وجه حلال.
توفي الزاهد أبو حفص سنة أربع وستين، وقيل: سنة خمس وستين، -[٣٨١]- ووهم من قال: سنة سبعين ومائتين.." [١]
"١٣٧ - رويم بن أحمد، وقيل: ابن محمد بن يزيد بن رويم بن يزيد، أبو الحسن الصوفي البغدادي. [المتوفى: ٣٠٣ هـ]
كان عالما بالقرآن ومعانيه، وكان ظاهري المذهب.
تفقه لداود بن علي.
وجده الأعلى رويم بن يزيد هو المذكور في طبقة المأمون.
قال جعفر الخلدي: سمعته يقول: الإخلاص ارتفاع رؤيتك عن فعلك، **والفتوة** أن تعذر إخوانك في زللهم، ولا تعاملهم بما

(١) تاريخ الإسلام ت بشار، الذهبي، شمس الدين ٣٧٨/٦

يحوجوك إلى الاعتذار، والصبر ترك الشكوى، والرضى استلذاذ البلوى، واليقين المشاهدة، والتوكل إسقاط الوسائل.

وقيل: إن رويما دخل في شيء من أمور السلطان، فلم يتغير عن حاله ولا توسع، فليم في ذلك فقال: كذب الصوفية أحوجني إلى ذلك. وكان له عائلة.

قال ابن خفيف: ما رأيت حكيما في علوم المعارف مثل رويم. -[٦٨]-

وقال محمد بن علي بن حبيش: كان رويم يقول: السكون إلى الأحوال اغترار.

وقال: رياء العارفين أفضل من إخلاص المريدين.

وقد امتحن رويم في فتنة الصوفية لما قام عليهم غلام خليل، فذكر السلمي أن غلام خليل قال: إني سمعته يقول: ليس بيني وبين الله حجاب. فأحوجه ذلك إلى الخروج إلى الشام وتغيب.

توفي رويم ببغداد.." (١)

"٢٦٤ - علي بن أحمد بن سهل، ويقال علي بن إبراهيم، أبو الحسن البوشنجي الزاهد، [المتوفى: ٣٤٧ هـ] شيخ الصوفية.

صحب: أبا عمر الدمشقي، وأبا العباس بن عطاء. وسمع بهراة: محمد بن عبد الرحمن السامي، والحسين بن إدريس.

وعنه: أبو عبد الله الحاكم، وأبو الحسن العلوي، وعبد الله بن يوسف الأصبهاني.

وقد صحب بنيسابور أبا عثمان الحيري. واستوطن نيسابور سنة أربعين، فبني بها دارا للصوفية، ولزم المسجد إلى أن توفي بها.

قال السلمي: هو أحد فتيان خراسان، بل واحدها، له شأن عظيم في الخلق والفتوة. وله معرفة بعلوم عدة. وكان أكثر الخراسانيين تلامذته. وكان عارفا بعلوم القوم.

قال الحاكم: سمعته يقول، وسئل: ما التوحيد؟ قال: أن لا تكون تشبه الذات، ولا تنفي الصفات. وسمعته سئل عن الفتوة فقال: الفتوة عندكم في آية من كتاب الله: ﴿يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة﴾. وفي خبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: " لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه ". فمن اجتمعا فيه فله الفتوة.

وقال البوشنجي: النظر فخ إبليس نصبه للصوفية، وبكى. -[٨٥٥]-

قال الحاكم: سمعته غير مرة يعاتب في ترك الجمعة فيقول: إن كانت الفضيلة في الجماعة فإن السلامة في العزلة.

قلت: هذا عذر غير مقبول منه، ولا رخصة في ترك الجمعة لأجل سلامة العزلة. وهذا بالإجماع.." (٢)

"١٣٦ - محمد بن إسحاق بن أيوب، أبو العباس النيسابوري، [المتوفى: ٣٥٤ هـ]

أخو الإمام أبي بكر الصبغي، ومحمد الأسن. -[٧٣]-

---

(١) تاريخ الإسلام ت بشار، الذهبي، شمس الدين ٦٧/٧

(٢) تاريخ الإسلام ت بشار، الذهبي، شمس الدين ٨٥٤/٧

قال الحاكم: لزم **الفتوة** إلى آخر عمره، وكان أخوه ينهانا عنه لما كان يتعاطاه، لا لجرح في سماعه.

سمع: إبراهيم بن عبد الله السعدي، ويحيى بن محمد الذهلي، وسهل بن عمار، ومحمد بن أيوب بن الضريس. وعاش مائة سنة وزيادة أربع سنين، وعقد له مجلس الإملاء بعد وفاة أخيه.

قلت: روى عنه الحاكم.." (١)

"٣٣٣ - عبد الله بن علي بن محمد بن يحيى، أبو نصر السراج الطوسي الصوفي، [المتوفى: ٣٧٨ هـ]

مصنف كتاب " اللمع " في التصوف.

سمع: جعفرا الخلدي، وأبا بكر محمد بن داود الدقي، وأحمد بن محمد السائح.

روى عنه: أبو سعيد محمد بن علي النقاش، وعبد الرحمن بن محمد السراج، وغيرهما.

قال السلمي: كان أبو نصر من أولاد الزهاد، وكان المنظور إليه في ناحيته في **الفتوة** ولسان القوم، مع الاستظهار بعلم الشريعة، وهو بقية مشايخهم اليوم. ومات في رجب، ومات أبوه ساجدا.." (٢)

"١٤٧ - علي بن محمد بن أحمد بن ميلة بن خرة، ويعرف أبوه محمد بماشاذه، أبو الحسن الإصبهاني الزاهد الفقيه الفرضي، [المتوفى: ٤١٤ هـ]

أحد أعلام الصوفية.

قال أبو نعيم: صحب أبا بكر عبد الله بن إبراهيم بن واضح، وأبا جعفر محمد بن الحسن، وزاد عليهما في طريقهما خلقا وفتوة. جمع بين علم الظاهر والباطن، لا تأخذه في الله لومة لائم، وكان ينكر على المتشبهه بالصوفية، وغيرهم من الجهال فساد مقالتهم في الحلول والإباحة والتشبيه، وغير ذلك من ذميم أخلاقهم، فعدلوا عنه لما دعاهم إلى الحق جهلا وعنادا، وأنفرد في وقته بالرواية عن محمد بن محمد بن يونس الأبهري، وأبي عمرو أحمد بن محمد بن إبراهيم بن حكيم، وأبي علي أحمد بن محمد بن إبراهيم المصاحفي، ومحمد بن أحمد بن علي الأسواري، وتوفي يوم الفطر. -[٢٤٠]-

قلت: أخبرنا بلال الحبشي، قال: أخبرنا عبد الوهاب بن ظافر، قال: أخبرنا السلفي، قال: أخبرنا محمد وأحمد ابنا عبد الله بن أحمد؛ قالا: حدثنا علي بن ماشاذة إملاء، قال: حدثنا أبو علي الصحاف قال: حدثنا أحمد بن مهدي، قال: حدثنا ثابت بن محمد، قال: حدثنا سفيان الثوري، عن أبي الزبير، عن جابر، قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: " لا يقطع الصلاة الكشر، ولكن يقطعها القرقرة ".

وروى أيضا عن عبد الله بن جعفر بن فارس، ومحمد بن عبد الله بن أسيد، وأبي علي أحمد بن محمد بن عاصم، وعبد الله بن محمد بن عيسى، وغياث بن محمد، وأبي أحمد العسال، وغيرهم. وأملى عدة مجالس. روى عنه أبو عبد الله الثقفي في " فوائده "، ورجاء بن قولوية، وأحمد ومحمد ابنا عبد الله السوذرجاني، وأبو الحسين سعيد بن محمد الجوهري، وأبو نصر عبد الرحمن بن محمد السمسار، وآخرون.

---

(١) تاريخ الإسلام ت بشار، الذهبي، شمس الدين ٧٢/٨

(٢) تاريخ الإسلام ت بشار، الذهبي، شمس الدين ٤٥٢/٨

قال أبو بكر أحمد بن جعفر اليزدي: سمعت الإمام أبا عبد الله بن منده وقت قدومه من خراسان سنة إحدى وسبعين يقول: وعنده أبو جعفر ابن القاضي أبي أحمد العسال وعدة مشايخ، فسأله ابن العسال عن أخبار مشايخ البلاد التي شاهدها، فقال: طفت الشرق والغرب، فلم أر في الدنيا مثل رجلين، أحدهما والدك القاضي، والثاني أبو الحسن علي بن ماشاذه الفقيه، ومن عزمي أن أجعله وصيي، وأسلم كتبي أليه، فإنه أهل له. أو كما قال.

أخبرني إسحاق الصفار، قال: أخبرنا ابن خليل، قال: أخبرنا أبو المكارم، قال: أخبرنا أبو علي، قال: أخبرنا أبو نعيم في آخر كتاب " الحلية " قال: ختم التحقق بطريقة المتصوفة بأبي الحسن علي بن ماشاذه لما أولاه الله من فنون العلم والسخاء **والفتوة**؛ كان عارفا بالله، فقيها عاملا، له من الأدب الحظ الجزيل.." (١)

"٣٠٧ - أحمد بن عبد الله بن سليمان بن محمد بن سليمان بن أحمد بن سليمان بن داود بن المطهر بن زياد بن ربيعة، أبو العلاء التنوخي المعري اللغوي، [المتوفى: ٤٤٩ هـ]

الشاعر المشهور، صاحب التصانيف المشهورة والزندقة المأثورة.

له " رسالة الغفران " في مجلد قد احتوت على مزدكة واستخفاف، وفيها أدب كثير، وله " رسالة الملائكة " و" رسالة الطير " على ذلك الأنموذج، وله كتاب " سقط الزند " في شعره، وهو مشهور؛ وله من النظم " لزوم ما لا يلزم " في مجلد أبدع فيه.

وكان عجبا في الذكاء المفرط والإطلاع الباهر على اللغة وشواهدها.

ولد سنة ثلاث وستين وثلاثمائة، وجدر في السنة الثالثة من عمره فعمي منه، فكان يقول: لا أعرف من الألوان إلا الأحمر، فإني ألبست في -[٧٢٢]- الجدري ثوبا مصبوغا بالعصفر، لا أعقل غير ذلك.

أخذ العربية عن أهل بلده كبني كوثر وأصحاب ابن خالويه، ثم رحل أطرابلس، وكانت بها خزائن كتب موقوفة فاجتاز باللاذقية ونزل ديرا كان به راهب له علم بأقاويل الفلاسفة، فسمع أبو العلاء كلامه، فحصل له به شكوك، ولم يكن عنده ما يدفع به ذلك، فحصل له بعض الانحلال، وأودع من ذلك بعض شعره، ومنهم من يقول ارعوى وتاب واستغفر.

وممن قرأ عليه أبو العلاء اللغة جماعة فقرأ بالمعرة على والده وبحلب على محمد بن عبد الله بن سعد النحوي وغيره، وكان قانعا باليسير، له وقف يحصل له منه في العام نحو ثلاثين دينارا، قرر منها لمن يخدمه النصف، وكان أكله العدس، وحلاوته التين، ولباسه القطن، وفراشه لباد، وحصيرة بردية، وكانت له نفس قوية لا تحمل منة أحد، وإلا لو تكسب بالشعر والمديح لكان ينال بذلك دنيا ورياسة، واتفق أنه عورض في الوقف المذكور من جهة أمير بحلب، فسافر إلى بغداد متظلما منه في سنة تسع وتسعين وثلاثمائة، فسمعوا منه ببغداد " سقط الزند "، وعاد إلى المعرة سنة أربعمائة، وقد قصده الطلبة من النواحي.

ويقال عنه إنه كان يحفظ ما يمر بسمعه، وقد سمع الحديث بالمعرة عاليا من يحيى بن مسعر التنوخي، عن أبي عروبة الحراني، ولزم منزله، وسمى نفسه " رهن المحبسين " للزوم منزله، وذهاب بصره، وأخذ في التصنيف، فكان يملي تصانيفه على الطلبة،

---

(١) تاريخ الإسلام ت بشار، الذهبي، شمس الدين ٩/٢٣٩

ومكث بضعا وأربعين سنة لا يأكل اللحم، ولا يرى إيلام الحيوان مطلقا على شريعة الفلاسفة، وقال الشعر وهو ابن إحدى عشرة سنة.

قال أبو الحسين علي بن يوسف القفطي: قرأت على ظهر كتاب عتيق أن صالح بن مرداس صاحب حلب خرج إلى المعرة وقد عصى عليه أهلها، فنازلها وشرع في حصارها ورماها بالمجانيق. فلما أحس أهلها بالغلب سعوا إلى أبي العلاء بن سليمان وسألوه أن يخرج ويشفع فيهم. فخرج ومعه قائد يقوده، فأكرمه صالح واحترمه، ثم قال: ألك حاجة؟ قال: الأمير أطال الله -[٧٢٣]- بقاءه كالسيف القاطع، لان مسه، وخشن حده وكالنهار الماتع، قاظ وسطه، وطاب إبراده. ﴿خد العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين﴾. فقال له صالح: قد وهبتها لك. ثم قال له: أنشدنا شيئا من شعرك لنرويه. فأنشده بديها أبياتا فيه، فترحل صالح.

وذكر أن أبا العلاء كان له مغارة ينزل إليها ويأكل فيها، ويقول: الأعمى عورة والواجب استتاره في كل أحواله. فنزل مرة وأكل دبسا، فنقط على صدره منه ولم يشعر، فلما جلس للإقراء قال له بعض الطلبة: يا سيدي أكلت دبسا؟ فأسرع بيده إلى صدره يمسحه، وقال: نعم، لعن الله النهم. فاستحسنوا سرعة فهمه، وكان يعتذر إلى من يرحل إليه من الطلبة، فإنه كان ليس له سعة، وأهل اليسار بالمعرة يعرفون بالبخل، وكان يتأوه من ذلك.

وذكر الباخرزي أبا العلاء فقال: ضرير ما له في الأدب ضريب ومكفوف في قميص الفضل ملفوف، ومحجوب خصمه الألد محجوج. قد طال في ظل الإسلام إناؤه ولكن إنما رشح بالإلحاد إناؤه، وعندنا بإساءته لكتابه الذي زعموا أنه عارض به القرآن وعنونه " بالفصول والغايات في محاذاة السور والآيات ".

قال القفطي: وذكرت ما ساقه غرس النعمة محمد بن هلال بن المحسن فيه فقال: كان له شعر كثير وفيه أدب غزير، ويرمى بالإلحاد، وأشعاره دالة على ما يزن به، ولم يكن يأكل لحما ولا بيضا ولا لبنا، بل يقتصر على النبات، ويحرم إيلام الحيوان، ويظهر الصوم دائما. قال: ونحن نذكر طرفا مما بلغنا من شعره ليعلم صحة ما يحكى عنه من إلحاده، فمنه:

صرف الزمان مفرق الإلفين ... فاحكم إلهي بين ذاك وبيني

أنهيت عن قتل النفوس تعمدا ... وبعثت أنت لقبضها ملكين

وزعمت أن لها معادا ثانيا ... ما كان أغناها عن الحالين

ومنه: -[٧٢٤]-

قران المشتري زحلا يرجى ... لإيقاظ النواظر من كراها

تقضى الناس جيلا بعد جيل ... وخلفت النجوم كما تراها

تقدم صاحب التوراة موسى ... وأوقع بالخسار من اقتراها

فقال رجاله وحي أتاه ... وقال الآخرون: بل افتراها

وما حجي إلى أحجار بيت ... كؤوس الخمر تشرب في ذراها

إذا رجع الحكيم إلى حجاه ... تهاون بالمذاهب وازدراها

ومنه:

عقول تستخف بها سطور ... ولا يدري الفتى لمن الثبور

كتاب محمد وكتاب موسى ... وإنجيل ابن مريم والزبور

ومنه فيما أنشدنا أبو علي ابن الخلال قال: أخبرنا جعفر، قال: أخبرنا السلفي، قال: أنشدنا أبو زكريا التبريزي، وعبد الوارث بن محمد الأسدي لقيته بأبهر قالا: أنشدنا أبو العلاء بالمعرة لنفسه قال:

ضحكنا وكان الضحك منا سفاهة ... وحق لسكان البسيطة أن يبكوا

تحطمنا الأيام حتى كأننا ... زجاج، ولكن لا يعاد له السبك

ومنه:

هفت الحنيفة والنصارى ما اهتدت ... ويهود حارت والمجوس مضللة

اثنان أهل الأرض: ذو عقل بلا ... دين، وآخر دين لا عقل له

ومنه:

قلتم لنا خالق قديم ... صدقتم، هكذا نقول

زعمتموه بلا زمان ... ولا مكان، ألا فقولوا

هذا كلام له خبيء ... معناه ليست لكم عقول

ومنه: -[٧٢٥]-

دين وكفر وأنباء تقال وفر ... قان ينص وتوراة وإنجيل

في كل جيل أباطيل يدان بها ... فهل تفرد يوما بالهدى جيل

فأجبته:

نعم أبو القاسم الهادي وأمته ... فزادك الله ذلا يا دجيجيل

ومنه:

فلا تحسب مقال الرسل حقا ... ولكن قول زور سطروه

وكان الناس في عيش رغيد ... فجاؤوا بالمحال فكدروه

ومنه:

وإنما حمل التوارة قارئها ... كسب الفوائد لا حب التلاوات

وهل أبيحت نساء الروم عن غرض ... للعرب إلا بأحكام النبوات

أنبأتنا أم العرب فاطمة بنت أبي القاسم قالت: أخبرنا فرقد الكناني سنة ثمان وستمائة قال: أخبرنا السلفي، قال: سمعت أبا زكريا التبريزي قال: لما قرأت على أبي العلاء بالمعرة قوله:

تناقض ما لنا إلا السكوت له ... وأن نعوذ بمولانا من النار

يد بخمس ميء من عسجد وديت ... ما بالها قطعت في ربع دينار؟

سألته عن معناه فقال: هذا مثل قول الفقهاء عبادة لا يعقل معناها.

قلت: لو أراد ذلك لقال: تعبد ما لنا إلا السكوت له، ولما اعترض على الله بالبيت الثاني. -[٧٢٦]-

قال السلفي: إن قال هذا الشعر معتقدا معناه، فالنار مأواه، وليس له في الإسلام نصيب. هذا إلى ما يحكى عنه في كتاب " الفصول والغايات " وكأنه معارضة منه للسور والآيات، فقيل له: أين هذا من القرآن؟ فقال: لم تصقله المحاريب أربعمائة سنة. إلى أن قال السلفي: أخبرنا الخليل بن عبد الجبار بقزوين، وكان ثقة قال: حدثنا أبو العلاء التنوخي بالمعرة، قال: حدثنا أبو الفتح محمد بن الحسين، قال: حدثنا خيثمة فذكر حديثا.

وقال غرس النعمة: وحدثني الوزير أبو نصر بن جهير قال: حدثنا أبو نصر المنازي الشاعر قال: اجتمعت بأبي العلاء فقلت له: ما هذا الذي يروى عنك ويحكى؟ قال: حسدوني وكذبوا علي. فقلت: على ماذا حسدوك، وقد تركت لهم الدنيا والآخرة؟ فقال: والآخرة؟ قلت: إي والله.

قال غرس النعمة: وأذكر عند ورود الخبر بموته، وقد تذاكرنا إلحاده، ومعنا غلام يعرف بأبي غالب بن نبهان من أهل الخير والفقه. فلما كان من الغد حكى لنا قال: رأيت في منامي البارحة شيخا ضريرا، وعلى عاتقه أفعيان متدليان إلى فخذيه وكل منهما يرفع فمه إلى وجهه، فيقطع منه لحما يزدرده وهو يستغيث. فقلت وقد هالني: من هذا؟ فقيل لي: هذا المعري الملحد.

ولأبي العلاء:

أتى عيسى فبطل شرع موسى ... وجاء محمد بصلاة خمس

وقالوا: لا نبي بعد هذا ... فضل القوم بين غد وأمس

ومهما عشت في دنياك هذي ... فما تخليك من قمر وشمس

إذا قلت المحال رفعت صوتي ... وإن قلت الصحيح أطلت همسي

وله:

إذا مات ابنها صرخت بجهل ... وماذا تستفيد من الصراخ؟

ستتبعه كفاء العطف ليست ... بمهل أو كثم على التراخي

وله: -[٧٢٧]-

لا تجلسن حرة موفقة ... مع ابن زوج لها ولا ختن

فذاك خير لها وأسلم لل ... إنسان إن الفتى من الفتن

وله:

منك الصدود ومني بالصدود رضا ... من ذا علي بهذا في هواك قضى

بي منك ما لو غدا بالشمس ما طلعت ... من الكآبة أو بالبرق ما ومضا

جربت دهري وأهليه فما تركت ... لي التجارب في ود امرئ غرضا

إذا الفتى ذم عيشا في شبيبته ... فما يقول إذا عصر الشباب مضى

وقد تعوضت عن كل بمشبهه ... فما وجدت لأيام الصبا عوضا

وله:

وصفراء لون التبر مثلي جليده ... على نوب الأيام والعيشة الضنك

تريك ابتساما دائما وتجلدا ... وصبرا على ما نابها وهي في الهلك

ولو نطقت يوما لقالت أظنكم ... تخالون أني من حذار الردى أبكي

فلا تحسبوا وجدي لوجد وجدته ... فقد تدمع العينان من كثرة الضحك

أنشدنا أبو الحسين ببعلبك قال: أخبرنا جعفر قال: أخبرنا السلفي، قال: أنشدنا أبو المكارم عبد الوارث بن محمد الأسدي رئيس أبهر قال: أنشدنا أبو العلاء بن سليمان لنفسه قطعة ليس لأحد مثلها:

رغبت إلى الدنيا زمانا فلم تجد ... بغير عناء والحياة بلاغ

وألفى ابنه اليأس الكريم وبنته ... لدي فعندي راحة، وفراغ

وزاد فساد الناس في كل بلدة ... أحاديث مين تفترى وتصاغ

ومن شر ما أسرجت في الصبح والدجى ... كميت لها بالشاربين مراغ

ولما مات أوصى أن يكتب على قبره:

هذا جناه أبي علي ... وما جنيت على أحد

الفلاسفة يقولون: إيجاد الولد وإخراجه إلى هذا العالم جناية عليه، لأنه يعرض إلى الحوادث والآفات، والذي يظهر أن الرجل مات متحيرا، لم يجزم -[٧٢٨]- بدين من الأديان، نسأل الله تعالى أن يحفظ علينا إيماننا بكرمه.

أنبأتنا فاطمة بنت علي، قالت: أخبرنا فرقد بن ظافر، قال: أخبرنا أبو طاهر بن سلفة، قال: من عجيب رأي أبي العلاء تركه تناول كل مأكول لا تنبته الأرض شفقة بزعمه على الحيوانات، حتى نسب إلى التبرهم، وأنه يرى رأي البراهمة في إثبات الصانع، وإنكار الرسل، وتحريم الحيوانات وإيذائها، حتى الحيات والعقارب، وفي شعره ما يدل على غير هذا المذهب، وإن كان لا يستقر به قرار ولا يبقى على قانون واحد، بل يجري مع القافية إذا حصلت كما تجيء، لا كما يجب. فأنشدني أبو المكارم الأسدي رئيس أبهر قال: أنشدنا أبو العلاء لنفسه:

أقروا بالإله وأثبتوه ... وقالوا: لا نبي ولا كتاب

ووطء بناتنا حل مباح ... رويدكم فقد بطل العتاب

تمادوا في الضلال فلم يتوبوا ... ولو سمعوا صليل السيف تابوا

وبه قال: وأنشدني أبو تمام غالب بن عيسى الأنصاري بمكة قال: أنشدنا أبو العلاء المعري لنفسه:

أتتني من الأيام ستون حجة ... وما أمسكت كفي بثنى عنان

ولا كان لي دار ولا ربع منزل ... وما مسني من ذاك روع جنان

تذكرت أني هالك وابن هالك ... فهانت علي الأرض والثقلان

إلى أن قال السلفي: ومما يدل على صحة عقيدته ما سمعت الخطيب حامد بن بختيار النميري بالسمسمانية - مدينة

بالخابور - قال: سمعت القاضي أبا المهذب عبد المنعم بن أحمد السروجي يقول: سمعت أخي القاضي أبا الفتح يقول: دخلت على أبي العلاء التنوخي بالمعرة ذات يوم في وقت خلوة بغير علم منه، وكنت أتردد إليه وأقرأ عليه، فسمعته وهو ينشد من قيله:

كم غودرت غادة كعاب ... وعمرت أمها العجوز

أحرزها الوالدان خوفا ... والقبر حرز لها حريز

يجوز أن تبطئ المنايا ... والخلد في الدهر لا يجوز -[٧٢٩]- ثم تأوه مرات وتلا قوله تعالى: " ﴿إن في ذلك لآية لمن خاف عذاب الآخرة ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود﴾ ﴿وما نؤخره إلا لأجل معدود﴾ ﴿يوم يأت لا تكلم نفس إلى بإذنه فمنهم شقي وسعيد﴾ ".

ثم صاح وبكى. بكاء شديدا، وطرح وجهه على الأرض زمانا، ثم رفع رأسه، ومسح وجهه وقال: سبحان من تكلم بهذا في القدم، سبحان من هذا كلامه. فصبرت ساعة، ثم سلمت عليه، فرد وقال: متى أتيت؟

فقلت: الساعة. ثم قلت: أرى يا سيدنا في وجهك أثر غيظ. فقال: لا يا أبا الفتح، بل أنشدت شيئا من كلام المخلوق، وتلوت شيئا من كلام الخالق، فلحقني ما ترى. فتحققت صحة دينه، وقوة يقينه.

وبالإسناد إلى السلفي: سمعت أبا بكر التبريزي اللغوي يقول: أفضل من رأيته ممن قرأت عليه أبو العلاء، وسمعت أبا المكارم بأبهر، وكان من أفراد الزمان، ثقة مالكي المذهب، قال: لما توفي أبو العلاء اجتمع على قبره ثمانون شاعرا، وختم في أسبوع واحد عند القبر مائتا ختمة.

وبه قال السلفي: هذا القدر الذي يمكن إيراده هنا على وجه الاختصار، مدحا وقدحا، وتقريظا، وذما، وفي الجملة فكان من أهل الفضل الوافر، والأدب الباهر، والمعرفة بالنسب، وأيام العرب. قرأ القرآن بروايات، وسمع الحديث بالشام على ثقات، وله في التوحيد وإثبات النبوة وما يحض على الزهد، وإحياء طرق الفتوة والمروءة شعر كثير، والمشكل منه فله على زعمه تفسير.

قال القفطي: ذكر أسماء الكتب التي صنفها. قال أبو العلاء: لزمت مسكني منذ سنة أربعمائة واجتهدت أن أتوفر على تسبيح الله وتحميده، إلا أن أضطر إلى غير ذلك، فأمليت أشياء تولى نسخها الشيخ أبو الحسن علي بن عبد الله بن أبي هاشم، أحسن الله توفيقه، ألزمني بذلك حقوقا جمة، لأنه أفنى زمنه ولم يأخذ عما صنع ثمنه، وهي على ضروب مختلفة، فمنها ما هو في الزهد والعظات والتمجيد. فمن ذلك: كتاب " الفصول والغايات " وهو موضوع على حروف المعجم، ومقداره مائة كراسة، ومنها كتاب أنشئ في ذكر غريب -[٧٣٠]- هذا الكتاب، لقبه " الشادن ". نحو عشرين كراسة وكتاب " إقليد الغايات " في اللغة، عشر كراريس، وكتاب " الأيك والغصون " وهو ألف ومائتا كراسة، وكتاب " مختلف الفصول " نحو أربعمائة كراسة، وكتاب " تاج الحرة " في عظات النساء، نحو أربعمائة كراسة، وكتاب " الخطب " نحو أربعين كراسة، وكتاب " تسمية خطب الخيل " عشر كراريس. كتاب " خطبة الفصيح ". نحو خمس عشرة كراسة، وكتاب يعرف " برسيل الراموز " نحو ثلاثين كراسة. كتاب " لزوم ما لا يلزم " نحو مائة وعشرين كراسة. كتاب " زجر النابح " أربعون

كراسة. كتاب " نجر الزجر " مقداره كذا. كتاب " راحة اللزوم في شرح كتاب لزوم ما لا يلزم " نحو مائة كراسة. كتاب " ملقى السبيل " مقداره أربع كراريس.

قلت: إنما مقداره ثمان ورقات، فكأنه يعني بالكراسة زوجين من الورق.

قال: وكتاب " خماسة الراح " في ذم الخمر، نحو عشرة كراريس. " مواعظ "، خمس عشرة كراسة. كتاب " وقفة الواعظ ". كتاب " الجلي والجلى " عشرون كراسة. كتاب " سجع الحمائم " ثلاثون كراسة. كتاب " جامع الأوزان والقوافي " نحو ستين كراسة. كتاب " غريب " ما في هذا الكتاب نحو عشرين كراسة كتاب " سقط الزند "، فيه أكثر من ثلاثة آلاف بيت نظم في أول العمر. كتاب " رسالة الصاهل والشاحج " يتكلم فيه على لسان فرس وبغل أربعون كراسة. كتاب " القائف " على معنى "كليلة ودمنة " نحو ستين كراسة. كتاب " منار القائف " في تفسير ما فيه من اللغة والغريب، نحو عشر كراريس. كتاب " السجع السلطاني " في مخاطبات الملوك والوزراء، نحو ثمانين كراسة. كتاب " سجع الفقيه " ثلاثون كراسة. كتاب " سجع المضطرين "، -[٧٣١]- " رسالة المعونة ". كتاب " ذكرى حبيب "كتاب " تفسير شعر أبي تمام "، نحو ستين كراسة. كتاب يتصل بشعر البحتري. كتاب " الرياش " أربعون كراسة. كتاب " تعليق الخلس "كتاب " إسعاف الصديق ". كتاب " قاضي الحق ". كتاب " الحقير النافع " في النحو، نحو خمس كراريس. كتاب " المختصر الفتحي ". كتاب " اللامع العزيزي " في شرح شعر المتنبي، نحو مائة وعشرين كراسة. كتاب في الزهد يعرف بكتاب " استغفر واستغفري " منظوم فيه نحو عشرة آلاف بيت. كتاب " ديوان الرسائل "، مقداره ثمان مائة كراسة. كتاب " خادم الرسائل ". كتاب " مناقب علي رضي الله عنه ". رسالة " العصفورين ". كتاب " السجعات العشر ". كتاب " عون الجمل ". كتاب " شرف السيف ". نحو عشرين كراسة. كتاب " شرح بعض سيبويه " نحو خمسين كراسة. كتاب " الأمالي "، نحو مائة كراسة.

قال: فذلك خمسة وخمسون مصنفا في نحو أربعة آلاف ومائة وعشرين كراسة.

ثم قال القفطي: وأكثر كتب أبي العلاء عدمت، وإنما وجد منها ما خرج عن المعرة قبل هجم الكفار عليها، وقتل أهلها، وقد أتيت قبره سنة خمس وستمائة، فإذا هو في ساحة بين دور أهله، وعليه باب. فدخلت فإذا القبر لا احتفال به، ورأيت على القبر خبازى يابسة، والموضع على غاية ما يكون من الشعث والإهمال.

قلت: وقد رأيت قبره أنا بعد مائة سنة من رؤية القفطي فرأيت نحوا مما حكى، وقد ذكر بعض الفضلاء أنه وقف على المجلد الأول بعد المائة من كتاب " الأيك والغصون "، قال: ولا أعلم ما يعوزه بعد ذلك.

وقد روى عنه، أبو القاسم التنوخي، وهو من أقرانه، والخطيب أبو زكريا التبريزي أحد الأعلام، والإمام أبو المكارم عبد الوارث بن محمد الأبهري، والفقيه أبو تمام غالب بن عيسى الأنصاري، والخليل بن عبد الجبار القزويني، -[٧٣٢]- وأبو طاهر محمد بن أحمد بن أبي الصقر الأنباري وغير واحد.

ومرض ثلاثة أيام، ومات في الرابع ليلة جمعة، من أوائل ربيع الأول من السنة، وقد رثاه تلميذه أبو الحسن علي بن همام بقوله:

إن كنت لم ترق الدماء زهادة ... فلقد أرقت اليوم من جفني دما

سيرت ذكرك في البلاد كأنه ... مسك فسامعه يضمخ أو فما

وأرى الحجيج إذا أرادوا ليلة ... ذكراك أخرج فدية من أحرما.." (١)

"بالله جُدْ لي بوعدِ صِدْقٍ ... وخلِّ هذا الدَّلالَ عَنْكَا

ولا تَدعْني أظلُّ أشكوُ ... مثلُ مُحيَّاكَ لَيْسَ يَشْكَا

فقال: سمعاً وطاعة لإشارتك، وحظي أوفى وأوفر في إتيانك وزيارتك، وشرع في القيام، فسقطت مغشيا، فضمني ضمة عدت بها قويا سويا.

فقال: تثبت أيها الشهم الشجاع، وتجلد أيها البطل المطاع فما أنت من أراذل الناس، ولا ممن يردعه الباس، بل أنت من جملة السراة وأساطينهم، والمعروف عند ملوك الإسلام وسلاطينهم، فقف عند مقدار نفسك العزيزة، ولا تعد عن ألفاظك الوجيزة، ثم أنشدني في الحال مرتجلاً:

فأنت إمامي في العلا والودادا ... فما زلتَ تدَّعي فيهم سيْداً سيَّدا

فيا لكَ من حَبْرٍ وبَحْرِ مَواهِبٍ ... تجدُ الفتاوَى **والفُتُوَّةَ** سَرْمَدَا

على هذه الأيَّام ما تستحقُّه ... فكم قد أضاعتْ منكَ حقَّاً مُؤَكَّدا

فلم أنصفتَ ساورتْ محلَّك بالسُّهَا ... عُلُوَّاً وصاغت نعلَ رِجْلِكَ عَسْجَداً

فقلتُ له: لقد أهديتني بفصاحة لسانكَ، وأسكرتني بخمرة رضابك وبنانك، فمتعني بك سويعة يسيرة، وعللني بالنظر إليك مدة قصيرة، وأسكرني من رضاب ثغرك ولفظه، وسر في أمان الله وحفظه:

مَتِّعْ لواحظَنَا بحسنكَ ساعةً ... ودَعِ النُّفُوسَ تروحُ وهي توالفُ

فاجعلْ وعُوُدكَ لي صُدُوداً خالصاً ... فلقد أراك إذا وعدتَ تخالفُ

واشقوتي في حُبِّ أهيفَ فاتني ... فمالي عليه سوى البُكاء مُساعفُ

سَلْ خصرَهُ عن طُل ليلة شعره ... إنَّ السَّقيم بطُول ليلٍ عارِفُ

فقال: دعني من التسويف والتعليل، فلا بد من التفرق والرحيل، وميعادنا يوم السبت المذكور، والله سبحانه وتعالى ميسر الأمور.

ثم ودعني، فودعت عقلي وقلبي، ولاقيت أحزاني وكربي، فقبلت فاه العاطر، وعانقت قوامه المياد، وضاعف الوجد حزني فتقطع القلب أو كاد، فما رويت بمراشفه وإن كان لها برد في الفؤاد، ولا سررت بمعانقته لأنه عناق بعاد:

قبَّلتُهُ ولثمتُ باسِم ثَغْرِهِ ... مع خَدِّه وضَمَمْتُ عادلَ قَدِّهِ

ثُمَّ انثنيتُ ومُقلَتي تبكي دماً ... يا ربِّ لا تجعله آخِرَ عَهْدِهِ

---

(١) تاريخ الإسلام ت بشار، الذهبي، شمس الدين ٩/٧٢١

ثم امتطى ظهر جواده الأشقر، وصبح جبينه قد أشرق وأسفر، وطرفه قد سكر وعربد، وخده قد توهج وتوقد، وصدغه قد تعقرب وتجعد، وعطفه قد تثنى وتفرد، وخصره قد تناحف." [1]

"كان أو معصية ـ فهو عيش النفس ـ (يعني باتباع الهوى) (١)، وكل فعل يفعله العبد بالاقتداء فهو عتاب (٢) على النفس) (٣) ـ يعني لأنه لا هوى له فيه ـ واتباع الهوى هو المذموم، ومقصود القوم تركه ألبتة.

وقال: (أصولنا سبعة أشياء: التمسك بكتاب الله، والاقتداء بسنة رسول الله، وأكل الحلال، وكف الأذى، واجتناب الآثام، والتوبة، وأداء الحقوق) (٤).

وقال: (قد أيس (٥) الخلق (٦) من هذه الخصال (٧) الثلاث: ملازمة التوبة، ومتابعة السنة (وترك أذى الخلق) (٨)) (٩).

(وسئل عن **الفتوة** (١٠) فقال: (اتباع السنة) (١١)) (١٢).

وقال أبو سليمان الداراني (١٣): (ربما تقع في قلبي النكتة من نكت (١٤) القوم أياما، فلا أقبل منه (١٥) إلا بشاهدين عدلين: الكتاب والسنة) (١٦).

---

(١) ما بين المعكوفين ليس في القشيرية. ولعله من كلام المؤلف.

(٢) في الرسالة القشيرية "عذاب".

(٣) رواه عنه أبو القاسم القشيري في رسالته (ص١٩).

(٤) انظره في طبقات الصوفية للسلمي (ص٢١٠).

(٥) في (ت): "يئس".

(٦) في طبقات الصوفية "العلماء والحكماء".

(٧) في (ت) و (غ): "الخلال".

(٨) ما بين المعكوفين ساقط من (ت).

(٩) انظره في طبقات الصوفية للسلمي (ص٢١٠).

(١٠) ذكر الإمام ابن القيم هذه المنزلة في مدارج السالكين وقال عنها: هي منزلة الإحسان إلى الناس، وكف الأذى عنهم، واحتمال أذاهم. انظر المدارج (٢/ ٣٥٣).

(١١) الرسالة (١٠٤)، وعزاه إليه الإمام ابن القيم في مدارج السالكين (٢/ ٣٥٦).

(١٢) ما بين المعكوفين ساقط من (ت).

(١٣) هو أبو سليمان عبد الرحمن بن عطية، ويقال عبد الرحمن بن أحمد بن عطية العنسي الداراني، زاهد العصر، ولد في حدود الأربعين ومائة، وروى عن سفيان الثوري وجماعة، وروى عنه أحمد بن أبي الحواري، توفي سنة خمس عشرة ومائتين.

---

[1] لوعة الشاكي ودمعة الباكي، الصفدي ص/٣١

انظر: سير أعلام النبلاء (١٠/ ١٨٢)، طبقات الصوفية للسلمي (ص٧٥)، حلية الأولياء (٩/ ٢٥٤)، صفة الصفوة (٤/ ٢٢٣)، الرسالة القشيرية (ص١٩).

(١٤) في (م) و (خ) و (ط): "نكته".

(١٥) في (ت): "منها".

(١٦) عزاه إليه أبو عبد الرحمن السلمي في طبقات الصوفية (ص٧٨)، وابن الجوزي في صفة الصفوة (٤/ ٢٢٩)، والقشيري في الرسالة (ص١٩).." [1]

"تحصل لتارك السنة، وإن كان ذلك جهلا منه، فما ظنك به إذا كان عاملا بالبدعة كفاحا؟!

وقال: " هممت أن أسأل الله أن يكفيني مؤنة الأكل ومؤنة النساء، ثم قلت: كيف يجوز أن أسأل الله هذا؟ ولم يسأله رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم أسأله، ثم إن الله سبحانه كفاني مؤنة النساء حتى لا أبالي استقبلتني امرأة أم حائط ".

وقال: " لو نظرتم إلى رجل أعطي من الكرامات حتى يرتقي في الهواء؛ فلا تغتروا به حتى تنظروا كيف تجدونه عند الأمر والنهي، وحفظ الحدود وآداب الشريعة ".

وقال سهل التستري: "كل فعل يفعله العبد بغير اقتداء: طاعة كان أو معصية، فهو عيش النفس يعني: باتباع الهوى، وكل فعل يفعله العبد بالاقتداء؛ فهو عتاب على النفس يعني لأنه لا هوى له فيه ".

واتباع الهوى هو المذموم، ومقصود القوم تركه ألبتة.

وقال: " أصولنا سبعة أشياء: التمسك بكتاب الله، والاقتداء بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأكل الحلال، وكف الأذى، واجتناب الآثام، والتوبة، وأداء الحقوق ".

وقال: " قد أيس الخلق من هذه الخصال الثلاث: ملازمة التوبة، ومتابعة السنة، وترك أذى الخلق ".

وسئل عن **الفتوة؟** فقال: " اتباع السنة ".

وقال أبو سليمان الداراني: " ربما تقع في قلبي النكتة من نكت." [2]

"زاهداً.

(الثاني) - المحبوب، فتارك ما لا يؤبه إليه كالتراب والحجر لا يسمى زاهداً.

(الثالث) - كونه لأجل الله، فبذل المال وتركه على سبيل السخاء **والفتوة** واستمالة القلوب والطمع في الثناء لا يكون زهداً، إذ الذكر والثناء وميل القلوب أهنأ من المال، فهو استعجال حظ آخر للنفس.

(الرابع) - المقدور، فمن ترك ما لا يقدر عليه كغير ابن أدهم من أمثالنا في دعوى الزهد في الملك لا يكون زاهداً. وفي إفراد المباح إشارة إلى أن الزهد يتبعض كما أن التوبة تتبعض، فمن ترك بعض التمتعات من الشهوة والغضب والرياسة دون بعض كان زاهداً.

---

(١) الاعتصام للشاطبي ت الشقير والحميد والصيني، الشاطبي، إبراهيم بن موسى ١٦١/١

(٢) الاعتصام للشاطبي ت الهلالي، الشاطبي، إبراهيم بن موسى ١٢٦/١

وأما القانع فهو المرجح لوجود المال على عدمه ترجيحاً لا يحمله على الدأب فيه، فقولنا (المرجع) خرج به من لا يحب حصوله ولا يكره زواله وهو الراضي، وقولنا (ترجيحاً لا يحمله على الدأب فيه) خرج به من يتركه عجزاً ويسعى فيه ما وجد إليه سبيلا وهو الحريص.

وهذه المرتبة – وهي مرتبة الحرص – وإن كانت دنيا فإن لها فضلا لدخولها تحت العمومات الواردة في فضل الفقر، وذلك جمع بين قوله صلى الله عليه وسلم ﴿يدخل فقراء أمتي الجنة قبل أغنيائهم بخمسمائة عام﴾ وبين قوله صلى الله عليه وسلم في حديث آخر (بأربعين خريفاً) أي أربعين سنة، بأن الأول تقدير تقدم الفقير الزاهد على الغني الراغب، والثاني تقدير تقدم الفقير الحريص على الغني الراغب، فكأن الفقير الحريص على درجتين من خمسة وعشرين درجة من الفقير الزاهد، إذ هذه نسبة الأربعين إلى الخمسمائة.

وأما قوله صلى الله عليه وسلم ﴿يا معشر الفقراء أعطوا الله الرضا من قلوبكم تظفروا بثواب فقركم وإلا فلا﴾ فلا يقتضي أن الحريص لا ثواب له على فقره، لأن العمومات تقتضي أن له ثواباً، فلعل المراد بعدم الرضا الكراهة لفعل الله من حبس الدنيا عنه، ورب راغب في المال لا يخطر بقلبه إنكار على الله ولا كراهة لفعله.

إذا عرفت تمايز هذه الحقائق بمسمياتها وأسمائها فاعلم أن وجود المال في اليدين لا في القلب ودخول الدنيا على العبد وهو خارج عنها لا ينافي الزهد، فإن ترك المال وإظهار الخشونة سهل على من أحب المدح، فكم من الرهابين من رد نفسه في كل يوم إلى قدر يسير من الطعام ولازم ديراً لا باب له، وإنما أعلى المقامات أن يستوي عند القلب وجود المال وفقده، فإن وجده لم يفرح ولم يتأذ." (١)

"٢٩٧ – إبراهيم بن محمد بن عرفة النحوي نفطويه.

مشهور له تصانيف بقي إلى حدود العشرين وثلاث مئة. -[٣٦١]-

قال الدارقطني: ليس بقوي، ومرة: لا بأس به.

وقال الخطيب: كان صدوقا انتهى.

وقال مسلمة: كان كثير الرواية للحديث وأيام الناس ولكن غلب عليه الملوك وكان لا يتفرغ للناس وكانت فيه شيعية ومات سنة تسع عشرة وثلاث مئة ويقال: سنة إحدى وعشرين.

وقال ياقوت في "معجم الأدباء": هو إبراهيم بن محمد بن عرفة بن سليمان بن المغيرة بن حبيب بن المهلب بن أبي صفرة العتكي الأزدي.

قال الثعالبي: لقب نفطويه تشبيها له بالنفط لدمامته وأدمته وقدر على وزن سيبويه لأنه كان يجري على طريقته في النحو ويدرس كتابه وكان عالما بالعربية واللغة والحديث أخذ عن ثعلب والمبرد، وغيرهما ، روى عنه المرزباني وأبو الفرج الأصبهاني، وغيرهما.

قال المرزباني: ولد سنة أربع وأربعين ومئتين وكان من طهارة الأخلاق وحسن المجالسة والصدق فيما يرويه على حال ما

---

(١) الفلاكة والمفلوكون، الدلجي، أحمد بن علي ص/١١

شاهدت عليها أحدا وكان حسن الحفظ للقرآن يبتدأ في مجلسه بشيء منه على قراءة عاصم ثم يقرىء غيره.

وكان فقيها عالما بمذهب داود رأسا فيه وكان مسندا في الحديث ثقة صدوقا لا يتعلق عليه بشيء مما رواه وكان جالس الملوك والوزراء وأتقن الحفظ للسيرة وأيام الناس ووفيات العلماء مع المروءة **والفتوة** والظرف ويقول من الشعر المقطعات في الغزل وكان بينه وبين محمد بن داود مودة أكيدة.

وأنشد له:

أتخالني من زلة أتعتب ... قلبي عليك أرق مما تحسب.

قلبي وروحي في يديك وإنما ... أنت الحياة فأين عنك المذهب. -[٣٦٢]-

قال ياقوت: وكان بين نفطويه، وابن دريد منازعة فأنشد كل منهما في الآخر ما هو متداول بين الناس.

وقال الزبيدي في طبقات النحاة: كان ضيقا في النحو واسع العلم بالشعر ، وكان غير مكترث بإصلاح نفسه حتى كان من يجالسه يتأذى برائحته وذكر له قصة مع الوزير في ذلك ومما حفظ عنه أنه ذكر في بعض مجالسه أن شيعيا قيل له: معاوية خالك؟ فقال: لا أدري ، أمي نصرانية.

وقال الفرغاني: كان يقول: الاسم المسمى وجرت بينه وبين الزجاج في ذلك مناظرة وكان يقول: إذا دعوت للذمي بالبقاء والعافية والسلامة فاقصد بذلك الإخبار بأن الله صنع له ذلك حينئذ.

قال المرزباني: مات في ربيع الأول سنة ثلاث وعشرين وثلاث مئة وحضرت جنازته فتقدم في الصلاة عليه البربهاري كبير الحنابلة.." (١)

"وزهرها بثغر باسم ونحرها بقلب صافي، وأدواحها ببسط بساط البسط من ظلها الضافي، وقامت لنا الأشجار على سوقها، وسفرت لنا عرائس الورود عن لثام غبوقها، وأدارت علينا سلاف طلها كؤوس الزهور، قبل أن ترشفه شمس البكور، وحيتنا راحة الراحة والسرور، بأصابع المنثور، وغنت لنا مطوقات شواديها على العيدان، وأعربت وهي عجماء بفنون تمايلت لها قدود الأفنان، حتى لو سمعها ركب العشاق على النوى لنسي الحجاز والعراق وتمنى الدخول لذلك البستان، ورقصت بين أيدينا جواري الماء، وظهرت مع وجود شموسنا وبدورنا نجوم النبات حتى ظنناهم نجوم السماء، ولاح لنا عرض الغيث وشارب الآس فأذكرنا العيش السالف، وطاف النسيم بكعبة صفانا طوف القدوم فما كان ألطف ذلك الطائف.

غير أننا كنا نسمع محاورة، ضمنها منافرة ومفاخرة، فسألنا الرياض عن جلبة الأثر، فقالت سلوا النسيم فقد أصبح عند النسيم الخبر، فوجهنا وجه السؤال الوسيم، إلى قبلة النسيم، فتدلى وتدلل، وما ألطف النسيم إذا تعلل، ثم مر بنا مُقْبلا ومُقَبّلا، هذا وكلما مرَّحلا، وقال: يا أهل الفراسة والسياسة، **والفتوة** والمروة والحماسة، إنها منافسة بين الماء والهواء أوجبها حب انفراد كل منهما عن صاحبه بالرياسة،

---

(١) لسان الميزان ت أبي غدة، ابن حجر العسقلاني ١/٣٦٠

فهل تنعمون بحضورهما لديكم، ومثولهما بين يديكم، ليعرض كل ماله من حسن الأوصاف، وتحكموا بينهما بالعدل والإنصاف،." [1]

"مُتَقَابِلِينَ﴾ (١) وقد صح عنه رضي الله عنه أنه قال: والله إني لأرجو أن أكون أنا والزبير وطلحة ممن قال الله فيهم ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ﴾ وقد ذكر سيدي عبد الوهاب الشعراني في المنن الكبرى عن نفسه أنه يشفع يوم القيامة في أعدائه قبل أحبابه إظهارا للفتوة. ونقل مثل ذلك عن سيدي محيي الدين بن العربي. أترى أن عندهما من **الفتوة** أكثر مما عند أبي الحسن رضي الله عنه وكرم الله وجهه؟ حاشا ثم حاشا، وما المناسبة بينهما وبينه. ولا ريب أن عفوه عن معاوية وحزبه من المؤمنين يسر رسول الله – صلى الله عليه وسلم – لكونهم بمنزلة أولاده في الشفقة، فلو لم يكن إلا هذا السبب لكفى في حمل علي على العفو عنهم بل والشفاعة لهم.

ولكن أنت أيها الرجل تطالع التأريخ، فترى تلك الأعمال الفظيعة المنسوبة إلى معاوية وحزبه في شأن علي، فيحملك الغيظ على كراهتهم، وتتصور أنك لو عمل معك أحد مثل ذلك العمل لا تعفو عنه أبدا، وتقيس عليا على نفسك فتظن أنه هو أيضا لا يعفو أبدا. فقد أخطأت بذلك خطأ عظيما. أين أنت من

---

(١) الحجر: ٤٧." [2]

"ولسفك دمي علي أهون مما فعلت، فخذ ما دفعته لك فإني غني عنه، فضحك وقال: أردت أن تكذبني في مقالي هذا! والله لا أخذته ولا آخذ لمعروف ثمنا أبدا، ومضى لسبيله، فوالله لقد طلبته بعد أن أمنت، وبذلت لمن يجيء به ما شاء فما عرفت له خبرا، وكأن الأرض ابتلعته. . ألا ترى معي أن ما فعله هذا الجندي الفقير إن لم يفق به معن بن زائدة وأشباه معن بن زائدة، في باب المروءة **والفتوة** والنجدة والكرم وعبقرية الروح فإنه لا يقل عنهم!

جهد المقل إذا أعطاك نائله ... ومكثر من غنى سيان في الجود

فهو كما قال الشاعر:

ولم يك أكثر الفتيان مالا ... ولكن كان أرحبهم ذراعا

ومن هنا حثوا على الجود والمروءة والتسخي حتى في حالة العسر والضيق فمن ذلك ما قرأناه منسوبا لبزر جمهر أو ليحيى بن خالد البرمكي أو لامرأة من العرب توصي به ابنها، وهو: إذا أقبلت عليك الدنيا فأنفق، فإنها لا تفنى، وإذا أدبرت عنك فأنفق فإنها لا تبقى. أخذه بعض الشعراء فقال:

وأنفق إذا أنفقت إن كنت موسرا ... وأنفق على ما خيلت حين تعسر

فلا الجود يفني المال والجد مقبل ... ولا البخل يبقي المال والجد مدبر

---

(١) المفاخرة بين الماء والهواء، أحمد البربير ص/٢٤

(٢) الأساليب البديعة في فضل الصحابة وإقناع الشيعة، يوسف النبهاني ص/١٧٣

وقال الآخر في معناه:

لا تبخلن بدنيا وهي مقبلة ... فليس ينقصها التبذير والسرف." [1]

"(قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له إبراهيم (٦٠)

أي تقاولوا الأمر فيما بينهم حتى قال قائلون منهم (سمعنا فتى يذكرهم يقال له إبراهيم)، وعبر عن إبراهيم بقوله (فتى)؛ لأنه كان أقرب إلى الشباب والفتوة، و (يذكرهم) معناه يذكرهم بالاستنكار بعبادتها، وإنكار أن تكون آلهة، وأن الله هو وحده الرب الذي يعبد في السماوات والأرض؛ لأنه الذي خلقهم، وهو وحده المعبود، وفهم ذلك من " يذكر "، فإنه في هذا المقام الذي تجري فيه شبهة إتهامه بتكسيرها، وتحطيمها لابد أن يكون الذكر بغير ما يوافقهم في عبادتها؛ ولذلك اتجه الاتهام إليه، وأرادوا الإثبات.." [2]

"معنى قوله تعالى: (يخلقكم في بطون أمهاتكم خلقا من بعد خلق)

قال تعالى: ﴿يخلقكم في بطون أمهاتكم خلقا من بعد خلق في ظلمات ثلاث﴾ [الزمر:٦] قص علينا سبحانه قصة آدم وكيف خلقه من تراب، وكيف نفخ فيه من روحه وكيف أسجد له ملائكته، ثم هنا أكد لنا كيف خلق زوجته وأنها خلقت منه، ثم كيف خلقنا نحن.

فقوله: ﴿يخلقكم﴾ [الزمر:٦] أي: خلقنا من مني كما خلق جميع الخلق من البشر سوى آدم وحواء.

قوله: (خلقا من بعد خلق) أي: في أطوار، خلقنا نطفة ثم علقة ثم مضغة مخلقة وغير مخلقة، ثم خلق العظام ثم كساها اللحم، ثم نفخ فيها الروح ثم خرج الإنسان في هذا الوجود وليدا ضعيفا.

واستمر الإنسان منتقلا من طور إلى طور: الرضاع ثم الطفولة والتمييز، ثم الفتوة واليفوعة، ثم الشباب، ثم الكهولة، ثم الشيخوخة، ثم الموت.

فهو إلى قوة ثم إلى ضعف، أتى بنا من العدم وسننتهي بالعدم، وهو عدم مؤقت، إذ لا نسميه عدما إلى الأبد، وإنما هي نقلة من دار إلى دار، فنحن كنا عدما لا وجود لنا، وإن كنا في صلب أبينا آدم ولكننا لا ندري.

ولذلك نبينا عليه الصلاة والسلام عندما أسري به صعد السماء الأولى وقال له جبريل: هذا أبوك آدم، فسلم عليه النبي عليه الصلاة والسلام، فوجد أبانا آدم إذا التفت يمينا ضحك، وإذا التفت يسارا بكى، فسأل النبي صلى الله عليه وسلم جبريل عليه السلام قال: ما هذا؟ قال: إذا التفت يمينا رأى ذريته وأولاده المنعمين في الجنة فسره ذلك وأضحكه، فإذا التفت يسارا رأى المعذبين من أولاده وسلالته في النار فساءه ذلك وبكى.

فنحن كنا في أصلاب آبائنا الأولين وأمرنا بعبادته سبحانه ونحن في أصلابهم، فقال: ألست بربكم؟ فأجاب الجميع: بلى. قالها من سيكون مؤمنا ومن سيكون كافرا، قالها المؤمن عن رضا وقالها الكافر عن كراهية، ولكنه قهر على أن يقول: بلى. فقوله: ﴿يخلقكم في بطون أمهاتكم﴾ [الزمر:٦] خلقنا في البطون، وآدم خلق من التراب، وحواء خلقت من ضلع آدم،

---

(١) الذخائر والعبقريات، البرقوقي ٧٨/١

(٢) زهرة التفاسير، محمد أبو زهرة ٤٨٨٦/٩

وعيسى خلق من بطن أمه ولكن بلا أب.

قوله: ﴿خلقا من بعد خلق﴾ [الزمر:٦] أي: أطوارا من نطفة، إلى علقة، إلى مضغة، إلى إلى، إلى أن يكون الفرد منا بشرا سويا في هذا الوجود ذكرا أو أنثى، شقيا أو سعيدا.

ما الرزق؟ ما الحياة؟ ما الأجل؟ كل ذلك يكون مسجلا قبل خروج الجنين من رحم أمه.

قال تعالى: ﴿في ظلمات ثلاث﴾ [الزمر:٦] أي: ظلمة البطن، وظلمة الرحم، وظلمة المشيمة.

والمشيمة هي تلك الجلدة الرقيقة التي يكون فيها الجنين وهو في رحم أمه، فتلك ظلمات، وخرجنا من الظلمات إلى النور. وكنا نجهل كل شيء ولا نعلم شيئا.." (١)

"تفسير قوله تعالى: (وأخرى لم تقدروا عليها قد أحاط الله بها)

قال الله تعالى: ﴿وأخرى لم تقدروا عليها قد أحاط الله بها وكان الله على كل شيء قديرا﴾ [الفتح:٢١].

هذه الآية مرتبطة بالآية السابقة: ﴿وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها فعجل لكم هذه وكف أيدي الناس عنكم ولتكون آية للمؤمنين ويهديكم صراطا مستقيما * وأخرى لم تقدروا عليها قد أحاط الله بها وكان الله على كل شيء قديرا﴾ [الفتح:٢٠ - ٢١].

فالله جل جلاله وعد المؤمنين من أهل الحديبية الذين لم يأخذوا غنائم في صلح الحديبية، بأن يأخذوا غنائم كثيرة معجلة، وهي غنائم غزوة خيبر، هذه المعركة التي قام بها اليهود فأدبهم المصطفى عليه الصلاة والسلام، فأرسل جيوشه وكان على رأسها وحمل الراية فيها: أبو بكر ثم عمر، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لأعطين الراية غدا رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله) وأعطاها لـ علي، فكان النصر وكان فتح خيبر على يده.

وعندما خرج اليهود صباحا بمساحيهم وفئوسهم للعمل والزراعة إذا بهم يرون رسول الله صلى الله عليه وسلم وجيشه، فيتصايحون: محمدا والجيش، فقال عليه الصلاة والسلام: (إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين).

وكان المنذرون هم هؤلاء اليهود، فنصر الله عبده ونبيه صلى الله عليه وسلم والمؤمنين نصرا عزيزا مؤزرا، والغنائم كانت كثيرة: كانت عقارا وأرضا وذهبا وفضة، وجعل كل ذلك عليه الصلاة والسلام من نصيب من حضر صلح الحديبية وعمرتها، وهذا معنى قوله تعالى: ﴿فعجل لكم هذه﴾ [الفتح:٢٠] إلى أن قال ربنا: ﴿وأخرى لم تقدروا عليها قد أحاط الله بها﴾ [الفتح:٢١].

فهذه معركة جديدة وغنائم جديدة لا تعجزنا، ولم تفكروا يوما بقدرتكم عليها، ولكن الله جلال جلاله قد أحاط بها قدرة وعلما، فجعلها من نصيب عباده المؤمنين.

وقال ابن عباس: كانت هذه التي لا يقدرون عليها هي حرب فارس والروم، والغنائم التي بشره الله بها هي غنائم حرب فارس والروم، وهو معنى قوله تعالى: ﴿وأخرى لم تقدروا عليها قد أحاط الله بها﴾ [الفتح:٢١] أي: أحاط بها علمه وقدرته، فهو قادر جل جلاله أن يقويكم وينصركم لتقاتلوا هؤلاء الذين لم تحدثوا أنفسكم يوما بحربهم وقتالهم، ولكن الله قد أحاط علمه

---

(١) تفسير المنتصر الكتاني، الكتاني، محمد المنتصر ٥/٢٦٩

بهذه الغنائم التي ما حدثتم أنفسكم فيها يوما.

وقوله تعالى: ﴿وكان الله على كل شيء قديرا﴾ [الفتح:٢١] أي: كان الله على كل شيء قديرا لا يعجزه شيء، وكل ما يريده يقول له: كن فيكون.

ولقد حارب المؤمنون فارس والروم، ففتحوا فارس، وأذلوا الروم، وكانت غنائم عظيمة غنمها المسلمون، قال ابن عباس وقتادة في قوله تعالى: ﴿وأخرى لم تقدروا عليها قد أحاط الله بها﴾ [الفتح:٢١] هي **الفتوة** الآتية والمقبلة، وهي كل ما يفتح في الأرض للمسلمين من أرض فارس والروم والقسطاط والبربر والهند والقسطنطينية وفرنسا وجميع دول الكفر التي فتحها المسلمون وغنموا غنائمها، وكانوا قبل الإسلام لا يقدرون عليها، فقدروا عليها ببركة الإيمان وقوة الإسلام، فكان لهم ما أرادوا.." (١)

"أنواع الطواف

الطواف بالحج ثلاثة أنواع: الطواف الأول: عند دخول الحاج إلى مكة من خارجها، فعليه أن يطوف بالبيت سبع مرات: ثلاث منها تكون هرولة أو قريبا من الهرولة -تكون خببا-، وأربع تكون مشيا عاديا، وهذا هو طواف القدوم.

الطواف الثاني: طواف الإفاضة، وهو ركن بإجماع، وهو المقصود في قوله تعالى: ﴿وليطوفوا بالبيت العتيق﴾ [الحج:٢٩].

الطواف الثالث: قال بوجوبه المالكية، ومن لم يفعل فعليه دم، وعليه أن يعود إليه إذا تركه ولو كان قد وصل إلى بلده، ولكن الجمهور على سنيته، ولا خبب فيه ولا هرولة، كطواف الزيارة.

وهذا الطواف الثالث يسمى طواف الوداع.

والسر في الهرولة أو الخبب في طواف القدوم هي ذكرى لدخول رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة في عمرة القضاء بعد معاهدة الحديبية، وذلك في السنة السابعة.

فقد دخل صلى الله عليه وسلم والسيوف في أغمادها وقرابها، واختفى أهل مكة لكيلا يروا هذا المنظر من محمد صلوات الله وسلامه عليه، فقد أرادوا قتله، وأرادوا سجنه، وأرادوا منعه من الخروج، وقصدوا له الغوائل من كل جانب، فأنقذه الله منهم، وذهب إلى المدينة، فأصبح ذا أنصار وأعوان وجند، فامتنع عنهم، وما عادوا يطمعون في القضاء عليه إلا حربا، اختفوا لكي لا يروه؛ عداوة وحقدا، وإذا بالأطفال وإذا بالغلمان والعبيد والأرقاء ذهبوا إلى سادتهم يقولون: انظروا إلى محمد ومن معه جاءوا يجرون أرجلهم فقرا وحاجة، وألبسة ممزقة، ووجوه ضعيفة هزيلة، ووجوه لشيوخ لا يكادون يستطيعون رفع الأقدام من الأرض، فخرجوا ليروا هذا المنظر، وليتشفوا فانتبه النبي عليه الصلاة والسلام لذلك أو سمعه أو قيل له، فأمر أصحابه وهو القائل عليه الصلاة والسلام: (رحم الله مؤمنا أظهر من نفسه قوة)، وهو القائل كذلك: (المؤمن القوي خير من المؤمن الضعيف، وفي كل خير)، وأمر بأن يطوفوا مظهرين القوة، فأخذوا يهرولون، والله تعالى ألبسهم لباس القوة ولباس الشباب، ولباس ما يسمى الآن الرياضة **والفتوة**، فرأى هؤلاء هذا المنظر فكبتوا به وتألموا له، وحزنوا من أجله، وقالوا: أهؤلاء الذين قلتم لنا إنهم ضعاف هزال ويكادون يجرون أرجلهم في الأرض جرا؟! والله! إنهم كالنمر وهم يقفزون، والله!

---

(١) تفسير المنتصر الكتاني، الكتاني، محمد المنتصر ٢/٣٤٢

إنهم كغزلان الغاب وهم يطوفون، وكان هذا هو المقصود عند النبي عليه الصلاة والسلام؛ ليغيظ عدوه، وإغاظة العدو مهما تكن قلتها فيها أجر وثواب للمؤمن المسلم، فبقي بعد ذلك لكل قادم، ولكل زائر لمكة طائفا كان أو معتمرا أو حاجا: أن يكون طوافه للقدوم بهذا النوع ذكرى لليوم الأول الذي دخل فيه صلى الله عليه وسلم على هذه الحالة.

وأما الطواف الثالث وهو طواف الوداع فلا يحتاج لذلك، وأهل مكة ليس عليهم طواف قدوم؛ لأنهم مقيمون في مكة فليس هناك قدوم، ومن حج من مكة كذلك ليس عليه صلاة قدوم؛ لأنه قد قدم وأقام فليس هناك حاجة إلى طواف القدوم.

قال تعالى: ﴿ثم ليقضوا تفثهم وليوفوا نذورهم -يقومون بالوفاء بها كاملة- وليطوفوا بالبيت العتيق﴾ [الحج:٢٩].

قال العلماء في سبب تسمية الكعبة وبيت الله الحرام بالعتيق كلمات قد تكون جميعها صحيحة، وتصلح جميعها أن تكون تفسيرا لكلمة العتيق.

فالعتيق هو: الكريم، التليد، المقبول والمحبوب، القديم الذي مضى عليه زمن الله أعلم كم مقداره.

وقالوا: سمي العتيق؛ لأنه أول بيت بني، فهو أعتق بيت وأقدم بيت لله في الأرض، وهذا أكده القرآن، وزادته السنة بيانا، فقد قال تعالى: ﴿إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة﴾ [آل عمران:٩٦].

وسئل عليه الصلاة والسلام: (ما أول مسجد بني في الأرض؟ قال: بيت الله الحرام، ثم سئل: والمسجد الأقصى، قال: بني بعده بأربعين عاما)، فهو بهذا الاعتبار عتيق والكلام صحيح قرآنا وسنة.

وقالوا: العتيق الذي كرمه الله من أن يحتله ويستذله جبار من الجبابرة، أو عدو من الأعداء يهينه أو يذله، فلم يحدث لهذه البنية الكريمة، وهذه الديار المقدسة ما احتلها عدم لا في أيام الجاهلية ولا في أيام الإسلام.

ومن هنا كان العرب وضعهم في الجاهلية والإسلام غريبا، فقد كان يوجد في أيام الجاهلية دولتان عظيمتان متسلطتان على الأرض: فارس والروم، وتقريبا أنهما قد احتلتا العالم، ولكنهما لم يحتلا جزيرة العرب، كان لهم شبه سيادة في اليمن، أما الحجاز فلا.

ومن هنا لم يصل ولم يقدر الله جبارا من الجبابرة ولا طاغية من الطغاة على أن يحتل مكة أو يذلها وأن يذل أهلها، قد كان بعض ذلك من بعضهم لبعض، وهذا كلام آخر، ومع ذلك فهؤلاء لم يضربوا الكعبة، ولكن حدث ذلك أيام بني أمية؛ أيام عبد الملك بن مروان بتنفيذ الحجاج الظالم، وقد كان يحكم مكة عبد الله بن الزبير رضي الله عنه فحاربه وقاومه ليذله ويخضعه لـ عبد الملك، فامتنع كل الامتناع وأبى كل الإباء، إلى أن تفرق عنه أصحابه، وبقي فريدا، وقال لأولاده أيضا: اذهبوا عني، دعوني للقدر ولقضاء الله، وما أرى صبيان بني أمية إلا ممثلين بجسدي، ولعلهم يصلبونني على الكعبة، فقالت له أمه: أأنت على حق أم على باطل؟ قال: بل أنا على حق، قالت: والله! إن كنت على غير حق في حربك مع هؤلاء -وأنت تعلم أنك لست على حق- فإني أخشى أن يتلاعب بك صبيان بني أمية، وأما إن كنت على حق فلا تهتم بهم، فالشاة لا تعذب بعد السلخ -أي: بعد الموت- فالشاة عندما تموت ويذهب الجزار ليسلخ جلدها عنها فإنها لا تعذب وقد ماتت، فعش عزيزا ومت عزيزا، فإن أنت صلبت أو مثل بك فإنك لن تعذب جسدا، وتكون قد قدمت ما استطعت، والغلبة والنصر بيد الله، وليس ذلك بيد أحد، قال تعالى: ﴿أن القوة لله جميعا﴾ [البقرة:١٦٥].

فحدث ما توقع، فـ الحجاج ضرب الكعبة بالمنجنيق، ولكن هذا كان ظلما واعتداء منه، ولم يقصد به هوان الكعبة أو إذلالها

وإلا لكان مرتدا، ولكان عبد الملك مرتدا، ولكان كل من صنع ذلك مرتدا، وهو قد فعل ما فعل وقال: إن ابن الزبير هو المسئول فهو الذي أحوجني لفعل هذا، وبمجرد ما انتهت المعركة عاد للبيت فجدد بناءه وجدد تنظيمه، وطاف به معتذرا، وأما إن كان محقا أم مبطلا فهذا كلام آخر.

قال تعالى: ﴿ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب أليم﴾ [الحج:٢٥] فكل الأحكام في الشريعة لا تكون إلا بعد فعل الذنب إلا في مكة، فمجرد الإرادة بالظلم والاعتداء فإن الإنسان يأثم وقد يعاقب، وللشارع أن يؤدبه بما يراه مصلحة لتطهير مكة منه، ولإبعاد الظلمة منها بأي عمل من الأعمال.

وقد جاء أبرهة وحاول أن يذل الكعبة وأن يهدمها حجرا حجرا، ولكن هيهات، فقد سلط الله عليه طيرا أبابيل كما قصصنا، فجاءت هذه الطيور السوداء يحمل كل واحد منها ثلاث حجرات بحجم حبة العدسة؛ واحدة في المنقار واثنتين في الرجلين، فرميت هذه الحجارة على رأس الفيال، فدخلت من الرأس إلى الأمعاء، ومنه إلى ظهر الفيل، ومنه إلى بطن الفيل فأصبح الفيل وراكبه عصفا مأكولا؛ أي: كالحشيش الذي تأكله الدواب، وأصبحوا كالبعر عندما يخرج من الدواب وأصبحوا كرجيعها، أي: كالحشيش الذي يؤكل فيخرج بعرا، وهكذا فإن الله طهرها من الجبابرة في الجاهلية وفي الإسلام.

﴿وليطوفوا بالبيت العتيق﴾ [الحج:٢٩] قالوا: لا يمسها جبار، وفسروا العتيق بأنه عندما فاضت المياه أيام نوح على قومه، فقد حفظ الله البيت، فلم يغرق في هذا الطوفان، وقيل: إنه رفع، وقيل بقي في مكانه، ولكن المياه بقيت بعيدة عنه.

كما جعل الله طريقا في البحر يبسا لموسى ومن معه، وتبعهم فرعون ومن معه من جنده، وأصبح البحر كالجبل عن اليمين من المياه وعلى اليسار من المياه، فدخل فرعون فالتقى الجبلان وغرق فرعون ومن معه، كان هذا الماء مفروزا عن الكعبة فلم تغرق كما غرق الكون.." (١)

"البحر : كامل تام (سِرْبٌ مَحَاسِنُهُ حُرِمتُ ذَوَاتِهَا ** داني الصفات بعيد موصوفاتها) (أَوْفَى فكُنْتُ إذا رَمَيْتُ بمُقْلَتي ** بَشَراً رأيتُ أرَقَّ مِن عَبَرَاتِهَا) (يَسْتَاقُ عيسَهُمُ أنيني خَلفَهَا ** تتوهم الزفراتِ زجرَ حداتها) ٤ (وكأنَّهَا شَجَرٌ بَدَتْ لَكِنّهَا ** شجر جنيت الموت من ثمراتها) ٥ (لا سرت من إبل لو اني فوقها ** لَمَحَتْ حرارَةُ مَدمَعيّ سِماتِهَا) ٦ (وحملتُ ما حملتِ من هذي المها ** وحملتِ ما حُملتُ من حسراتها) ٧ (إنّي على شَغَفي بما في خُمْرِها ** لأعفُّ عما في سراويلاتها) ٨ (وترَى المُرُوّةَ **والفُتُوّةَ** والأبُوّ ** ةَ فيّ كلُّ مليحة ضراتها) ٩ (تكبو وراءك يا ابن أحمد قرّحٌ ** ليست قوائمهنَّ من آلاتها). (لا خَلْقَ أسمَحُ منكَ إلاّ عارِفٌ ** بك راء نفسك لم يقل لك هاتها)

". (٢)

٤٤. "ألبسَ علي بن أبي طالب – رضي الله عنه – لباس **الفتوة**، ثم أمره أن يلبس من شاء، ويقولون : . يعني رواته . إن اللباس أنزل على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في صندوق، ويستدلون عليه بقوله تعالى : (((((((((((((((((

(١) تفسير المنتصر الكتاني، الكتاني، محمد المنتصر ٣/٧٢

(٢) ديوان المتنبي، ١ ص/٣٤

((((((((((((((((((((((((((((((((((((((((((((((((((((((((((((((((((((((((((((((((...(الآية .

هذا باطل لا أصل له ، ولم يفعل هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أحد من أصحابه .

[مجموع الفتاوى (١١/٨٥-٨٨)]

٤٥. " الذي أيَّن الأين فلا يقال له : أين "

أجمع العلماء على أنه من أكذب الحديث .

[درء تعارض العقل والنقل (٥/٢٢٥)]

٤٦. " اللهم أحيني مسكيناً ، وأمتني مسكيناً ، واحشرني في زمرة المساكين "

هذا يروى لكنه ضعيف لا يثبت ، ومعناه احيني خاشعاً متواضعاً (٦) ، وحكم بضعفه في مواطن .

[مجموع الفتاوى (١٨/٨٢) (١٨/٣٢٦,٣٨٢) (١١/١٣٠)]

٤٧. " اللهم إنك أخرجتني من أحب البقاع إلي فاسكني في أحب البقاع إليك "

هذا باطل ، بل لا يثبت في الترمذي وغيره أنه قال لمكة " والله إنك لأحب بلاد الله إلى الله وقال : إنك لأحب البلاد إليَّ " فأخبر أنها أحب البلاد إلى الله وإليه .

[مجموع الفتاوى (١٨/٣٧٨) (٢٧/٣٦)]

٤٨. " اللهم إني أسألك بحق السائلين عليك وبحق ممشاي هذا ، فإني لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا رياءً ولا سمعة ..." الحديث

هذا الحديث رواه عطية العوفي وفيه ضعف .

[اقتضاء الصراط المستقيم (٢/٧٨٧) مجموع الفتاوى (١/٢٠٩، ٣٣٩,٣٦٩)]

٤٩. " اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك "

روى الترمذي أنه كان يقول ذلك في وتره ، لكن هنا فيه نظر [صح الحديث من طريق مسلم كدعاء في السجود]

[مجموع الفتاوى (١٧/٩١) (٩/٩٨)]

٥٠. " أم أيمن امرأة من أهل الجنة "

هذا الخبر لا يعرف في شيء من دواوين الإسلام .

[منهاج السنة (٤/ ٢٣٦. ٢٣٧)]

٥١. " أمتي كالغيث لا يدرى ألوه خير أم آخره "

فيه لين .

[مجموع الفتاوى (١١/٣٧١)]." [1]

"الشمس، وأن حصول النبوة ليس هو أمرا يحدثه الله بمشيئته وقدرته، وإنما حصول هذا الفيض على هذا المستعد، كحصول الشعاع على هذا الجسم الصقيل، صار كثير منهم يطلب النبوة؛ كما يحكى عن طائفة من قدماء اليونان، وكما

---

(١) الأحاديث والاثار التي تكلم عليها شيخ الإسلام ابن تيمية، ١ ص/٩

يعرض ذلك لطائفة من الناس في أيام الإسلام..". كتاب الصفدية ١٢٢٩. وانظر: المصدر نفسه ١٢٣٠-٢٣٤. ودرء تعارض العقل والنقل ٥٣٥٣-٣٥٦. ومنهاج السنة النبوية ٢٤١٥-٤١٦، ٤٣٤-٤٣٥. وبغية المرتاد ص ٣٨٤. وشرح حديث النزول ص ٤٢١. والفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ص ٢٠٤. وانظر ما سبق في هذا الكتاب ص ٦٠٩-٦١٢، ٧٣٢-٧٣٥، ٨٣٤-٨٤١، ٨٥٥-٨٥٧.

وانظر عن طلب صوفية الفلاسفة، أو ملاحدة الصوفية للنبوة في: درء تعارض العقل والنقل١٠٢٠٤-٢٠٥. والرد على المنطقيين ص ٤٨٣. وكتاب الصفدية ١٢٥٠-٢٥١، ٢٨٤-٢٨٥. والفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ص ١٩٦-١٩٩، ٢٣٦-٢٣٧.

فالنبوة فضل من الله، ومنة يمن بها على عباده، واصطفاء منه جل وعلا، قال العلامة السفاريني رحمه الله:

ولا تنال رتبة النبوة بالكسب والتهذيب والفتوة

لكنها فضل من المولى الأجل لمن يشاء من خلقه إلى الأجل

انظر: لوامع الأنوار ٢٢٦٧.." (١)

"البحر : وافر تام (تناءوا بعد قربهم ملالا ** وسِرنا يَمْنةً وسَرَوْا شِمالا) (فلست ترى غداةَ البين إلاّ ** عناةً أو حداةً أو جمالا) (ومعتدلاً حكى الخَطيَّ لوناً ** وليناً واهتزازاً واعتدالا) ٤ (ظننتُ ، ولم يطف بي منه طيفٌ ** ولو زار الخيال رأى خيالا) ٥ (وكيف يكون لي صبرٌ وفيه ** خلالٌ صيّرت جسمي خلالا) ٦ (تصيدني الغزال بمقلتيه ** وقدماً كنت أصطاد الغزالا) ٧ (وقائلةً إلى كم ذا التواني ** إذا ما المال عن كفّيك مالا) ٨ (فقلتُ : إلى صلاح الدين قصدي ** فتىً حاز الفتوَّةَ والجمالا) ٩ (تيمَّمْ وجهه تظفرْ برُشْدٍ ** وكيف يضلُّ من قصدَ الهلالا)٠ (لقد فاق الأنامِ أباً وعمّاً **كما فاق الأنام أخاً وخالا)

." (٢)

"لكن المعرفة الشخصية بينهما(١)، وصداقة الطفولة، والفتوّة الأولى، ومجالس طلب العلم، إلى آخر ما هنالك، جعلت هذه العداوة من طراز آخر ـ كما يبدو ـ فلا مقاطعة كاملة بينهما، بل يستنتج؛ أنهما كانا يتناصحان هذا وأعني شيخ الإسلام يدعوه إلى الحق وإلى صراط مستقيم، وذاك يدعوه إلى ما ظنه حقاً وهو عنه بمعزل.

وإخال أنك ستوافقني القول، في احتمال كون ابن السَّرَّاج، هو الشخص المعني في كلام ابن شيخ الحزامين (ت٧١١هـ)، الذي ذكر أن أحدهم ألّف في ابن تيمية كرّاسة يذمّه فيها، مع ذكر فضائل له، تعمية لسوء نيّته، وجعل يدور بها على بعض محبي ابن تيمية، ويقرؤها في خلوة عليهم(١)، وسيقوى عندك هذا الاحتمال إن استرسلت في القراءة و تأمّلت كلام ابن السَّرَّاج.

---

(١) النبوات، ا ٤٠/١١٦

(٢) ديوان عرقلة الكلبي، ا ص/١٤٦

كانت عقلية ابن السَّرَّاج خرافية كما سيتّضح لك من النقول التي سأنقل لك بعضها، وانظر إلى حديثه عن رمز قلندري هو يوسف القميني، فبعد أن ذكر أن هذا الشيخ وقع نظره على أبيه وجدّه فأفلحا به غاية الفلاح،قال: "وخصنا الله تعالى من تلك البركة الموروثة، بما عمّنا بأنواع الرباح، وأوصاف الخير والنجاح ولذلك صار أكثر نصيبنا لما وفقنا الله تعالى لسلوك هذا الطريق الشريف من حال الصغر من المولهين، ولنا معهم أحوال وقضى لنا ببركتهم آمال.".

وقد قال شيخ الإسلام كلاماً ما أظنّه قصد به إلاّ ابن السَّرَّاج وأباه وجَدّه أو أمثالهم: "... فهؤلاء يعمدون إلى الصبيان ويربّونهم على التوَلّه تربية، ويعوّدونهم الخروج عن العقل والدين عادة، كما يعوّد الأنبياء والصالحون أتباعهم ملازمة العقل والدين"(١).." (١)

" وقاعدة في السياحة ومعناها في هذه الأمة وقاعدة في خلة ابراهيم الخليل عليه السلام وأنه الإمام المطلق وقواعد عدة في الشهادتين

وقواعد كثيرة فيمن امتحن في الله وصبر

وقاعدة في الصبر والصفح الجميل والهجر الجميل

وقاعدة فيما تتعلق بالوسيلة بالنبي والقيام بحقوقه الواجبة على أمته في كل زمان ومكان وبيان خصائصه التي امتاز بها على جميع العالمين وبيان فضل أمته على جميع الأمم

وقاعدة تتعلق بالصبر المحمود والمذموم وقاعدة تتعلق برحمة الله تعالى في إرسال محمد وأن إرساله أجل النعم

وقاعدة في الشكر لله وأنه يتعلق بالأفعال الاختيارية

وقاعدة في المقربين هل يسألهم منكر ونكير

وقاعدة في **الفتوة** الاصطلاحية وأنه ليس لها أصل في الأحكام الشرعية

وقاعدة في الكلام على المرشدة التي ألفها ابن تومرت وله أجوبة تتعلق بها أيضا

وقاعدة في كلام الجنيد لما سئل عن التوحيد فقال هو إفراد الحدوث عن القدم ." (٢)

"١(نكاد نلقتاك بالذكرى إذا خطرت **كأنما اسمك يا سعدي مسماك)(وتشتكي الطير نعّاباً بفرقتنا ** وما طيور النوى إلاّ مطاياك)(لقد عرفناك أياماً وداومنا ** شجو فيا ليت أنَّا ما عرفناك)٤ (نرعى عهودك في حلّ ومرتحلٍ ** رعيَ ابن أيوب حال اللائذ الشاكي)٥ (العالم الملك السيار سؤدده ** في الأرض سير الدراري بين أفلاك)٦ (ذاك الذي قالت العليا لأنعمه ** لا أصغر الله في الأحوال ممساك)٧ (له أحاديث تغني كلّ مجديةٍ ** عن الحياء وتجلي كلّ أحلاك)٨ (ما بين خيط الدجى والفجر واضحةً **كأنها دررٌ من بين أسلاك)٩ (كافاك يا دولة الملك المؤيد عن ** برّ البرية من للفضل أعطاك)٠ (لك **الفتوة** والفتوى محررة ** لله ماذا على الحالين أفتاك)

---

(١) أضواء على الرسالة المنسوبة إلى الحافظ الذهبي، ١ ص/٢٩

(٢) العقود الدرية، ١ ص/٥٨

(١) ".

"٣(غاب الوزير وكان العطف شيمته ** وجئت نعم أمير بالرجاء ملي)(فشيبة الحمد عندي والولاء معاً ** حقان بين أبي بكر وبين علي)(بقّلت وجنة المليح وقد ولّ ** ى زمان الضنا الذي كنت أملك)٤ (يا عذار المليح دعني فاني ** لست في ذا الزمان من خل بقلك)٥ (يا ابن النبوة والفتوة والتقى ** عذراً لمعلوم الولا لا يجهل)٦ (كم بيت مدح قلت فيك لنظمه ** يا بيت عاتكة الذي أتغزل)٧ (دامت صلاة الحمى الزينيّ واصلة **كأن احسانها نصباً على الحال)٨ (ولا برحنا وان شطّ المزار بنا ** من هالة البدر معنيً في ابن منهال)٩ (يا فتى العليا وصاحبها ** ما ترى في واثق الأمل) ٤٠ (تالياً إنسان مقلته ** خلق الانسان من عجل)

---

(٢) ".

"البحر : – (يا ابن النبوة والفتوة والتقى ** عذراً لمعلوم الولا لا يجهل) (كم بيت مدح قلت فيك لنظمه ** يا بيت عاتكة الذي أتغزل)

---

(٣) ".

"٢(تهلل اذ طارحته بمدائحي ** تهلل وسميّ البروق بوسمها)(حفيٌّ بطلاب الفضائل والندى ** فلله ما حي عيّها بعد عدمها)(وفاصل أحكام القضاء بفطنة **كأن سرار الشهب من فتح فهمها)٤ (اذا اختصم الأقوام ضاء بفكرة ** يقول ضياء الصبح لست بخصمها)٥ (و لا عيب فيه غير إسراف أنعم ** ترى عزمها في الجود غاية غنمها)٦ (يجانس بالفتوى الفتوة جائداً ** ويعرب عن فصل الأمور بحزمها)٧ (اذا زعماء القوم همت بشاوه ** فقد طلبت شأو النجوم بزعمها)٨ (فديناه ندباً زاد في شأو بيته ** اذا نقصت ذات البيوت بجرمها)٩ (و قاضي القضاة تعرب الخلق مدحه ** فتعجز حتى عربها مثل عجمها)٠ (فيمدحه حتى النسيم بعرفه ** وتصغى له حتى الجبال بصمها)

---

(٤) ".

"٣(قرين الفتاوى والفتوة لم يذق ** بليل مداد بين ذاك مناما)(تسهّد في حفظ الممالك جفنة ** وفي كلّ جفن قد أنام حساما)(بكفّ كريم الراحتين مؤمل ** فيا لك برقاً في الندى وغماما)٤ (ويا لك في النطق البليغ قدامة ** وفي طيران الذكر عنه قداما)٥ (شكوت له ظلم الزمان وانما ** الى سيدٍ برٍّ شكوت غلاما)٦ (فردّ الزمان الجهم عني خاضعاً

---

(١) ديوان ابن نباتة المصري، ا ص/١٤٠٧

(٢) ديوان ابن نباتة المصري، ا ص/١٦٣١

(٣) ديوان ابن نباتة المصري، ا ص/١٦٥٨

(٤) ديوان ابن نباتة المصري، ا ص/١٧٤٩

** فتى ليس غيم الظن فيه جهاما)٧ (وجدد من جدواه مالا نسيته ** ولم يبق من عند الزمان مراما)٨ (وألبسني بيضاء رد ضياؤها ** لدى حاسد حتى استحال ضراما)٩ (أمدّ يدي في كل يومٍ لذيلها ** فآخذ من جور الشتاء ذماما) ٤٠ (ومذ علقت منها بناني بعروةٍ ** شددت لطرف القول فيه حزاما)

". (١)

"الإشارة : واعبدوا الله ، أي : بالقيام بوظائف العبودية ، ومشاهدة عظمة الربوبية ، وقال بعض الحكماء : العبودية : ترك الاختيار ، وملازمة الذل والافتقار. وقيل : العبودية أربعة أشياء : الوفاء بالعهود ، والحفظ للحدود ، والرضا بالموجود ، والصبر على المفقود ، وعنوان ذلك صفاء التوحيد ، ولذلك قال : ﴿ولا تشركوا به شيئا﴾ أي : لا تروا معه غيره ، كما قال القائل :

مذ عرفت الإله لم أر غيرا

وكذا الغير عندنا ممنوع

وقال آخر : (لو كلفت أن أرى غيره ، لم أستطع ، فإنه لا غير معه حتى أشهده). فإذا حصلت العبودية في الظاهر ، وتحقق التوحيد في الباطن ، ظهرت عليه مكارم الأخلاق فيحسن إلى الأقارب والأجانب ، ويجود عليهم بالحس والمعنى ، لأن **الفتوة** من شأن أهل التوحيد ، ومن شيم أهل التجريد ، كما هو معلوم من حالهم ، نفعنا الله بذكرهم ، وخرطنا في سلكهم. آمين.

جزء : ٢ رقم الصفحة : ٤٣

قال الورتجبي : " الوالدين " : مشايخ المعرفة. ثم نقل عن الجنيد ، أنه قال : أمرني أبي أمرا ، وأمرني السري أمرا. فقدمت أمر السري على أمر أبي ، وكل ما وجدت فهو من بركاته. هـ. وذوو القربى هم الأخوة في الشيخ ، ﴿واليتامى﴾ : من قصدهم من المتفقرة الجاهلة ، ﴿والمساكين﴾ : ضعفاء اليقين من العامة ، أمر الله تعالى أهل الخصوصية بالإحسان إليهم والبرور بهم ، وهو أن يقرهم في طريقهم ، ويحوشهم إلى ربهم.

". (٢)

"﴿إنهم فتية﴾ ، استئناف بياني ، كأن سائلا سأل عن حالهم ، فقال : إنهم فتية شبان كاملون في **الفتوة** ﴿آمنوا بربهم﴾ ، فيه التفات إلى ذكر الربوبية التي اقتضت تربيتهم وحفظهم ، ﴿وزدناهم هدى﴾ ؛ بأن ثبتناهم على ما كانوا عليه ، وأظهرنا لهم من مكنونات محاسننا ما آثروا به الفناء على البقاء. وفيه التفات إلى التكلم ؛ لزيادة الاعتناء بشأنهم ، ﴿وربطنا على قلوبهم﴾ أي : قويناهم ، حتى اقتحموا مضايق الصبر على هجر الأهل والأوطان ، والنعيم والإخوان ، واجترأوا على الصدع بالحق من غير خوف ولا حذر ، والرد على دقيانوس الجبار ؛ ﴿إذ قاموا﴾ أي : انتصبوا لإظهار شعار الدين ، قال

---

(١) ديوان ابن نباتة المصري، ا ص/١٧٧٣

(٢) البحر المديد ـ موافق للمطبوع، ا ٢/ ٦٤

مجاهد : خرجوا من المدينة فاجتمعوا على غير ميعاد. فقال أكبرهم : إني لأجد في نفسي شيئا ، إن ربي هو رب السماوات والأرض ، فقالوا : نحن أيضا كذلك ، فقاموا جميعا ﴿فقالوا ربنا رب السماوات والأرض﴾ ، وعزموا على التصميم بذلك. وقيل : قاموا بين يدي الجبار من غير مبالاة به ، حين عاتبهم على ترك عبادة الأصنام ، فحينئذ يكون ما سيأتي من قوله تعالى : ﴿هؤلاء...﴾ الخ : منقطعا صادرا عنهم ، بعد خروجهم من عنده.

جزء : ٤ رقم الصفحة : ١٤٣

ثم قالوا : ﴿لن ندعو من دونه إلها﴾ ، لا استقلالا ولا اشتراكا ، ولم يقولوا : ربا ؛ للتصميم على الرد على المخالفين ، حيث كانوا يسمون أصنامهم آلهة ، وللإشعار بأن مدار العبودية على وصف الألوهية. ﴿لقد قلنا إذا شططا﴾ : قولا ذا شطط ، وهو الجور والتعدي ، أي : لقد جرنا وأفرطنا في الكفر ، وقلنا قولا خارجا عن حد المعقول ، إن دعونا إلها غير الله جزما. ﴿هؤلاء قومنا﴾ قد ﴿اتخذوا من دون آلهة﴾ ، فيه معنى الإنكار ، ﴿لولا﴾ : هلا ﴿يأتون عليهم﴾ : على ألوهيتهم ﴿بسلطان بين﴾ : بحجة ظاهرة ، ﴿فمن أظلم﴾ أي : لا أحد أظلم ﴿ممن افترى على الله كذبا﴾ بنسبة الشريك إليه ؛ فإنه أظلم من كل ظالم.

". (١)

"المجال، وأحجم عن الزج بسية قوسي في هذا النضال. اتقاء ما عسى أن يعرض له المرء نفسه من متاعب تنوء بالقوة، أو فلتات سهام الفهم وإن بلغ ساعد الذهن كمال **الفتوة**. فبقيت أسوف النفس مرة ومرة أسومها زجرا، فإن رأيت منها تصميما أحلتها على فرصة أخرى، وأنا آمل أن يمنح من التيسير، ما يشجع على قصد هذا الغرض العسير. وفيما أنا بين إقدام وإحجام، أتخيل هذا الحقل مرة القتاد وأخرى الثمام. إذا أنا بأملي قد خيل إلي أنه تباعد أو انقضى، إذ قدر أن تسند إلي خطة القضا١. فبقيت متلهفا ولات حين مناص، وأضمرت تحقيق هاته الأمنية متى أجمل الله الخلاص، وكنت أحادث بذلك الأصحاب والإخوان، وأضرب المثل بأبي الوليد ابن رشد في كتاب "البيان"٢ ولم أزل كلما مضت مدة يزداد التمني وأرجو إنجازه، إلى أن أوشك أن تمضي عليه مدة الحيازة، فإذا الله قد من بالنقلة إلى خطة الفتيا٣. وأصبحت الهمة مصروفة إلى ما تنصرف إليه الهمم العليا، فتحول إلى الرجاء ذلك الياس، وطمعت أن أكون ممن أوتي الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها الناس٤. هنالك عقدت العزم على تحقيق ما كنت أضمرته، واستعنت بالله تعالى واستخرته؟ وعلمت أن ما يهول من توقع كلل أو غلط، لا ينبغي أن يحول بيني وبين نسج هذا النمط، إذا بذلت الوسع من الاجتهاد، وتوخيت طرق الصواب والسداد.

أقدمت على هذا المهم إقدام الشجاع، على وادي السباع٥؛ متوسطا في معترك أنظار

—

١ في ٢٦ رمضان ١٣٣١هـ والقضاء هنا بالقصر لمراعاة السجع.

٢ حيث ذكر أنه شرع فيه، ثم عاقه عنه تقليد خطة القضاء بقرطبة فعزم على الرجوع إليه إن أريح من القضاء وأنه عرض

---

(١) البحر المديد . موافق للمطبوع، ٤ /٢٠٦

عزمه على أمير المؤمنين علي بن يوسف بن تاشفين، فأجابه لذلك وأعفاه من القضاء ليعود إلى إكمال كتابه "البيان والتحصيل" وهذا الكتاب هو شرح جليل على كتاب "العتبية" الذي جمع فيه العتبى سماع أصحاب مالك منه. وساع أصحاب ابن القاسم منه.

٣ في ٢٦ رجب ١٣٤١هـ

٤ أردت الإشارة إلى الحديث: "لا حسد إلى في اثنتين" لأنه يتعين أن لايكون المراد خصوص الجمع بين القضاء بها وتعليمها، بل يحصل المقصود ولو بأن يقضى بها مدة، ويعلمها الناس مدة أخرى.

٥ وادي السباع موضع بين مكة والبصرة وهو واد قفر من السكان تكثر به السباع قال سحيم بن وثيل:

مررت على وادي السباع ولا أرى ... كوادي السباع حين يظلم واديا

أقل به ركب أتوه تئية ... وأخوف إلا ما وقى الله ساريا." (١)

"والمراد بالخسران: انتفاء النفع المرجو من الرجال، استعاروا له انتفاء نفع التاجر من تجره، وهو خيبة مذمومة، أي إنا إذن لمسلوبون من صفات **الفتوة** من قوة ومقدرة ويقظة. فكونهم عصبة يحول دون تواطيهم على ما يوجب الخسران لجميعهم. وتقدم معنى العصبة آنفا. وفي هذا عبرة من مقدار إظهار الصلاح مع استبطان الضر والإهلاك.

وقرأ الجمهور بتحقيق همزة ﴿الذئب﴾ على الأصل. وقرأه ورش عن نافع، والسوسي عن أبي عمرو، والكسائي بتخفيف الهمزة ياء. وفي بعض التفاسير نسب تخفيف الهمزة إلى خلف، وأبي جعفر، وذلك لا يعرف في كتب القراءات. وفي البيضاوي أن أبا عمروا أظهر الهمزة في التوقف، وأن حمزة أظهرها في الوصل.

[١٥] ﴿فلما ذهبوا به وأجمعوا أن يجعلوه في غيابت الجب وأوحينا إليه لتنبئنهم بأمرهم هذا وهم لا يشعرون﴾.

تفريع حكاية الذهاب به والعزم على إلقائه في الجب على حكاية المحاورة بين يعقوب – عليه السلام – وبنيه في محاولة الخروج بيوسف – عليه السلام – إلى البادية يؤذن بجمل محذوفة فيها ذكر أنهم ألحوا على يعقوب – عليه السلام – حتى أقنعوه فأذن ليوسف – عليه السلام – بالخروج معهم، وهو إيجاز.

والمعنى: فلما أجابهم يعقوب – عليه السلام – إلى ما طلبوا ذهبوا به وبلغوا المكان الذي فيه الجب.

وفعل "أجمع" يتعدى إلى المفعول بنفسه. ومعناه: صمم على الفعل، فقوله: ﴿أن يجعلوه﴾ هو مفعول ﴿وأجمعوا﴾.

وجواب "لما" محذوف دل عليه ﴿أن يجعلوه في غيابت الجب﴾ ، والتقدير: جعلوه في الجب. ومثله كثير في القرآن. وهو من الإيجاز الخاص بالقرآن فهو تقليل في اللفظ لظهور المعنى.

وجملة ﴿وأوحينا إليه﴾ معطوفة على جملة ﴿وأجمعوا أن يجعلوه في غيابت الجب﴾، لأن هذا الموحى من مهم عبر القصة. وقيل: الواو مزيدة وجملة ﴿أوحينا﴾ هو جواب "لما"، وقد قيل بمثل ذلك في قول امرئ القيس:." (٢)

---

(١) التحرير والتنوير، ٦/١١

(٢) التحرير والتنوير، ٣٢/١٢

"جاء به الإسلام من إباحة ما في الأرض جميعا من الطيبات إلا ما بين الله تحريمه في آية ﴿قل لا أجد في ما أوحي إلي محرما﴾ [الأنعام:١٤٥] الآية.

وقد وصف إبراهيم – عليه السلام – بأنه كان أمة. والأمة: الطائفة العظيمة من الناس التي تجمعها جهة جامعة. وتقدم في قوله تعالى: ﴿كان الناس أمة واحدة﴾ في سورة البقرة [٢١٣]. ووصف إبراهيم – عليه السلام – بذلك وصف بديع لمعنيين:

أحدهما: أنه كان في الفضل **والفتوة** والكمال بمنزلة أمة كاملة. وهذا كقولهم: أنت الرجل كل الرجل، وقول البحتري:

ولم أر أمثال الرجال تفاوتا ... لدى الفضل حتى عد ألف بواحد

وعن عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " معاذ أمة قانت لله".

والثاني: أنه كان أمة وحده في الدين لأنه لم يكن في وقت بعثته، موحد لله غيره. فهو الذي أحيا الله به التوحيد، وبثه في الأمم والأقطار، وبنى له معلما عظيما، وهو الكعبة، ودعا الناس إلى حجه لإشاعة ذكره بين الأمم، ولم يزل باقيا على العصور. وهذا كقول النبي صلى الله عليه وسلم في خطر بن مالك الكاهن: "وأنه يبعث يوم القيامة أمة وحده"، رواه السهيلي في الروض الأنف. ورأيت رواية أن النبي صلى الله عليه وسلم قال هذه المقالة في زيد بن عمرو بن نفيل.

والقانت: المطيع. وقد تقدم في قوله تعالى: ﴿وقوموا لله قانتين﴾ في سورة البقرة [٢٣٨].

واللام لام التقوية لأن العامل فرع في العمل.

والحنيف: المجانب للباطل. وقد تقدم عند قوله: ﴿قل بل ملة إبراهيم حنيفا﴾ في سورة البقرة [١٣٥]، والأسماء الثلاثة أخبار ﴿كان﴾ وهي فضائل.

﴿ولم يك من المشركين﴾ اعتراض لإبطال مزاعم المشركين أن ما هم عليه هو دين إبراهيم – عليه السلام –. وقد صوروا إبراهيم وإسماعيل – عليهما السلام – يستقسمان بالأزلام ووضعوا الصورة في جوف الكعبة، كما جاء في حديث غزوة الفتح، فليس قوله: ﴿ولم يك من المشركين﴾ مسوقا مساق الثناء على إبراهيم ولكنه تنزيه له عما اختلقه عليه المبطلون. فوزانه وزان قوله: ﴿وما صاحبكم بمجنون﴾ [التكوير:٢٢]. وهو." (١)

"اضطهاد الرومان القرطاجنيين لهم.

ويجوز أن يكون لأهل كلتا الملتين اليهودية والنصرانية خبرا عن قوم من صالحيهم عرفوا بأهل الكهف أو كانوا جماعة واحدة ادعى أهل كلتا الملتين خبرها لصالحي ملته. وبني على ذلك اختلاف في تسمية البلاد التي كان بها كهفهم.

قال السهيلي في "الروض الأنف" : وأصحاب الكهف من أمة عجمية والنصارى يعرفون حديثهم ويؤرخون به ا هـ. وقد تقدم طرف من هذا عند تفسير قوله تعالى: ﴿ويسألونك عن الروح قل الروح﴾ في سورة الإسراء [٨٥].

[١٠] ﴿إذ أوى الفتية إلى الكهف فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من أمرنا رشدا﴾

﴿إذ﴾ ظرف مضاف إلى الجملة بعده. وهو متعلق بـ ﴿كانوا﴾ فتكون هذه الجملة متصلة بالتي قبلها.

---

(١) التحرير والتنوير، ١٣١/٢٥٤

ويجوز كون الظرف متعلقا بفعل محذوف تقديره: اذكر، فتكون مستأنفة استئنافا بيانيا للجملة التي قبلها. وأيا ما كان فالمقصود إجمال قصتهم ابتداء، تنبيها على أن قصتهم ليست أعجب آيات الله. مع التنبيه على أن ما أكرمهم الله به من العناية إنما كان تأييدا لهم لأجل إيمانهم. فلذلك عطف عليه قوله: ﴿فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة﴾ .

وأوى أويا إلى المكان: جعله مسكنا له، فالمكان: المأوى. وقد تقدم عند قوله تعالى: ﴿أولئك مأواهم النار بما كانوا يكسبون﴾ [يونس: ٨] في سورة يونس.

والفتنة: جمع قلة لفتى، وهو الشاب المكتمل. وتقدم عند قوله تعالى في سورة يوسف. والمراد بالفتية: أصحاب الكهف. وهذا من الإظهار في مقام الإضمار لأن مقتضى الظاهر أن يقال: إذ أووا، فعدل عن ذلك لما يدل عليه لفظ الفتية من كونهم أترابا متقاربي السن. وذكرهم بهذا الوصف للإيماء إلى ما فيه من اكتمال خلق الرجولية المعبر عنه **بالفتوة** الجامع لمعنى سداد الرأي، وثبات الجأش، والدفاع عن الحق، ولذلك عدل عن الإضمار فلم يقل: أذ أووا إلى الكهف.

ودلت الفاء في جملة ﴿فقالوا﴾ على أنهم لما أووا إلى الكهف بادروا بالابتهال إلى الله.." (١)

"ولكل مولود مدة معينة عند الله لبقائه في رحم أمه قبل وضعه. والأكثر استكمال تسعة أشهر وتسعة أيام، وقد يكون الوضع أسرع من تلك المدة لعارض، وكل معين في علم الله تعالى. وتقدم في قوله تعالى: ﴿إلى أجل مسمى فاكتبوه﴾ في سورة البقرة.

وعطف جملة: ﴿ثم نخرجكم طفلا﴾ بحرف "ثم" للدلالة على التراخي الرتبي فإن إخراج الجنين هو المقصود، وقوله: ﴿طفلا﴾ حال من ضمير ﴿نخرجكم﴾ أي حال كونكم أطفالا. وإنما أفرد ﴿طفلا﴾ لأن المقصود به الجنس فهو بمنزلة الجمع.

وجملة: ﴿ثم لتبلغوا أشدكم﴾ مرتبطة بجملة ﴿ثم نخرجكم طفلا﴾ ارتباط العلة بالمعلول، واللام للتعليل، والمعلل فعل ﴿نخرجكم طفلا﴾.

وإذا قد كانت بين الطفل وحال بلوغ الأشد أطوار كثيرة علم أن بلوغ الأشد هو العلة الكاملة لحكمة إخراج الطفل. وقد أشير إلى ما قبل بلوغ الأشد وما بعده قوله: ﴿ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد إلى أرذل العمر﴾ وحرف "ثم" في قوله: ﴿ثم لتبلغوا أشدكم﴾ تأكيد لمثله في قوله: ﴿ثم نخرجكم طفلا﴾ هذا ما ظهر لي في اتصال هذه الجملة بما قبلها وللمفسرين توجيهات غير سالمة من التعقب ذكرها الآلوسي.

وإنما جعل بلوغ الأشد علة لأنه أقوى أطوار الإنسان وأجلى مظاهر مواهبه في الجسم والعقل وهو الجانب الأهم كما أومأ إلي ذلك قوله بعد هذا ﴿لكيلا يعلم من بعد علم شيئا﴾ فجعل "الأشد" كأنه الغاية المقصودة من تطويره.والأشد: سن **الفتوة** واستجماع القوى. وقد تقدم في سورة يوسف ﴿ولما بلغ أشده آتيناه حكما وعلما﴾.

ووقع في سورة المؤمن ﴿ثم لتبلغوا أشدكم ثم لتكونوا شيوخا﴾ . فعطف طور الشيخوخة على طور الأشد باعتبار أن الشيخوخة مقصد للأحياء لحبهم التعمير. وتلك الآية وردت مورد الامتنان فذكر فيها الطور الذي يتملى المرء فيه بالحياة. ولم يذكر في آية سورة الحج لأنها وردت مورد الاستدلال على الإحياء بعد العدم فلم يذكر فيها من الاضمحلال، ولأن

---

(١) التحرير والتنوير، ١٥/٢٤

المخاطبين بها فريق معين من المشركين كانوا في طور الأشد، وقد نبهوا عقب ذلك إلى أن منهم نفرا يردون إلى أرذل العمر، وهو طور الشيخوخة بقوله: ﴿ومنكم من يرد إلى." (١)

"والعبرة من سياقة هذا الجزء من القصة المفتتح بقوله تعالى ﴿ولما توجه تلقاء مدين﴾ إلى قوله ﴿والله على ما نقول وكيل﴾ هو ما تضمنته من فضائل الأعمال ومناقب أهل الكمال وكيف هيأ الله تعالى موسى لتلقي الرسالة بأن قلبه في أطوار الفضائل، وأعظمها معاشرة رسول من رسل الله ومصاهرته، وما تتضمنه من خصال المروءة **والفتوة** التي استكنت في نفسه من فعل المعروف، وإغاثة الملهوف، والرأفة بالضعيف، والزهد، والقناعة، وشكر ربه على ما أسدى إليه، ومن العفاف والرغبة في عشرة الصالحين، والعمل لهم، والوفاء بالعقد، والثبات على العهد حتى كان خاتمة ذلك تشريفه بالرسالة وما تضمنته من خصال النبوة التي أبداها شعيب من حب القرى، وتأمين الخائف، والرفق في المعاملة، ليعتبر المشركون بذلك إن كان لهم اعتبار في مقايسة تلك الأحوال بأجناسها من أحوال النبي صلى الله عليه وسلم فيهتدوا إلى أن ما عرفوه به من زكي الخصال قبل رسالته وتقويم سيرته، وإعانته على نوائب الحق، وتزوجه أفضل امرأة من نساء قومه، إن هي إلا خصال فاذة فيه بين قومه وإن هي إلا بوارق لا تَهطال سحاب الوحي عليه. والله أعلم حيث يجعل رسالته وليأتسي المسلمون بالأسوة الحسنة من أخلاق أهل النبوة والصلاح.

[٢٩] ﴿فلما قضى موسى الأجل وسار بأهله آنس من جانب الطور نارا قال لأهله امكثوا إني آنست نارا لعلي آتيكم منها بخبر أو جذوة من النار لعلكم تصطلون﴾

لم يذكر القرآن أي الأجلين قضى موسى إذ لا يتعلق بتعيينه غرض في سياق القصة. وعن ابن عباس قضى أوفاهما وأطيبهما إن رسول الله إذا قال فعل أي أن رسول الله المستقبل لا يصدر من مثله إلا الوفاء التام، وورد ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم في أحاديث ضعيفة الأسانيد أنه سئل عن ذلك فأجاب بمثل ما قال ابن عباس. والأهل من إطلاقه الزوجة كما في الحديث: "والله ما علمت على أهلي إلا خيرا" .

وفي سفر الخروج: أنه استأذن صهره في الذهاب إلى مصر لافتقاد أخته وآله. وبقية القصة تقدمت في سورة النمل إلا زيادة قوله: ﴿آنس من جانب الطور نارا﴾ وذلك مساو لقوله هنا ﴿ إذ رأى نارا فقال لأهله امكثوا إني آنست نارا﴾ .

والجذوة مثلث الجيم، وقرئ بالوجوه الثلاثة، فالجمهور بكسر الجيم، وعاصم بفتح الجيم وحمزة وخلف بضمها، وهي العود الغليظ. قيل مطلقا وقيل المشتعل وهو الذي في (القاموس). فإن كان الأول فوصف الجذوة بأنها من النار وصف مخصص، وإن." (٢)

"علمت أنه وقعت منه موقع الاستحسان وأن زيدا علم ذلك وانه أحب أن يطلقها ليؤثر بها مولاه النبيء صلى الله عليه وسلم، وأنه لما اخبر النبيء صلى الله عليه وسلم بذلك قال له: ﴿أمسك عليك زوجك﴾ "وهو يود طلاقها في قلبه ويعلم أنها صائرة زوجا له".

---

(١) التحرير والتنوير، ١٤٦/١٧١

(٢) التحرير والتنوير، ٤٨/٢٠١

وعلى تفاوت أسانيده في الوهن ألقي إلى الناس في القصة فانتقل غثه وسمينه، وتحمل خفه ورزينه، فأخذ منه كل ما وسعه فهمه ودينه. ولو كان كله واقعا لما كان فيه مغمز في مقام النبوة.

فأما رؤية زينب في بيت زيد إن كانت عن عمد فذلك أنه استأذن في بيت زيد فإن الاستئذان واجب فلا شك أنه رأى وجهها وأعجبته ولا أحسب ذلك لأن النساء لم يكن يسترن وجوههن قال تعالى: ﴿ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها﴾ [النور: ٣١] "أي الوجه والكفين" وزيد كان من أشد الناس اتصالا بالنبيء، وزينب كانت ابنة عمته وزوج مولاه ومتبناه، فكانت مختلطة بأهله، وهو الذي زوجها زيدا، فلا يصح أن يكون ما رآها إلا حين جاء بيت زيد، وأن كانت الريح رفعت الستر فرأى من محاسنها وزينتها ما لم يكن يراه من قبل، فكذلك لا عجب فيه لأن رؤية الفجأة لا مؤاخذة عليها، وحصول الاستحسان عقب النظر الذي ليس بحرام أمر قهري لا يملك الإنسان صرفه عن نفسه، وهل استحسان ذات المرأة إلا كاستحسان الرياض والجنات والزهور والخيل ونحو ذلك مما سماه الله زينة إذا لم يتبعه النظار نظرة.

وأما ما خطر في نفس النبيء صلى الله عليه وسلم من مودة تزوجها فإن وقع فما هو بخطب جليل لأنه خاطر لا يملك المرء صرفه عن نفسه وقد علمت أن قوله: ﴿وتخشى الناس﴾ ليس بلوم، وأن قوله: ﴿والله أحق أن تخشاه﴾ ليس فيه لوم ولا توبيخ على عدم خشية الله ولكنه تأكيد لعدم الاكتراث بخشية الناس.

وإنما تظهر مجالات النفوس في ميادين الفتوة بمقدار مصابرتها على الكمال في مقاومة ما ينشأ عن تلك المرائي من ضعف في النفوس وخور العزائم وكفاك دليلا على تمكن رسول الله صلى الله عليه وسلم من هذا المقام هو أفضل من ترسيخ قدمه في أمثاله أنه لم يزل يراجع زيدا في إمساك زوجه مشيرا عليه بما فيه خير له وزيد يرى ذلك إشارة ونصحا لا أمرا وشرعا.

ولو صح أن زيدا علم مودة النبيء صلى الله عليه وسلم تزوج زينب فطلقها زيدا لذلك دون أمر من النبيء عليه الصلاة والسلام ولا التماس لما كان عجبا فإنهم كانوا يؤثرون النبيء صلى الله عليه وسلم على." (١)

"الضروريات، ثم الحاجيات التي لا يستقيم نظام البشر بدونها، فإن كل ما اشتملت عليه الأديان المذكورة من هذا النوع قد أودع مثله في دين الإسلام. فالأديان السابقة كانت تأمر بالتوحيد، والإيمان بالبعث والحياة الآخرة، وتقوى الله بامتثال أمره واجتناب منهيه على العموم، وبمكارم الأخلاق بحسب المعروف، قال تعالى ﴿قد أفلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى بل تؤثرون الحياة الدنيا والآخرة خير وأبقى إن هذا لفي الصحف الأولى صحف إبراهيم وموسى﴾[الأعلى:١٤-١٩] وتختلف في تفاصيل ذلك وتفاريعه.

ودين الإسلام لم يخل عن تلك الأصول وإن خالفها في التفاريع تضييقا وتوسيعا، وامتازت هذه الشريعة بتعليل الأحكام، وسد الذرائع، والأمر بالنظر في الأدلة، وبرفع الحرج، وبالسماحة، وبشدة الاتصال بالفطرة، وقد بينت ذلك في كتابي مقاصد الشريعة الإسلامية. أو المراد المماثلة فيما وقع عقبه بقوله ﴿أن أقيموا الدين﴾ إلخ بناء على أن تكون ﴿أن﴾ تفسيرية، أي شرع لكم وجوب إقامة الدين الموحى به وعدم التفرق فيه كما سيأتي. وأيا ما كان فالمقصود أن الإسلام لا يخالف هذه الشرائع المسماة وأن اتباعه يأتي بما أتت به من خير الدنيا والآخرة.

---

(١) التحرير والتنوير، ٢١/ ٢٦٥

والاقتصار على ذكر دين نوح وإبراهيم وموسى وعيسى لأن نوحا أول رسول أرسله الله إلى الناس، فدينه هو أساس الديانات، قال تعالى ﴿إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده﴾ [النساء: ١٦٣] ولأن دين إبراهيم هو أصل الحنيفية وانتشر بين العرب بدعوة إسماعيل إليه فهو أشهر الأديان بين العرب، وكانوا على أثارة منه في الحج والختان والقرى **والفتوة**. ودين موسى هو أوسع الأديان السابقة في تشريع الأحكام، وأما دين عيسى فلأنه الدين الذي سبق دين الإسلام ولم يكن بينهما دين آخر، وليتضمن التهيئة إلى دعوة اليهود والنصارى إلى دين الإسلام.

وتعقيب ذكر دين نوح بما أوحي إلى محمد عليهما السلام للإشارة إلى أن دين الإسلام هو الخاتم للأديان، فعطف على أول الأديان جمعا بين طرفي الأديان، ثم ذكر بعدهما الأديان الثلاثة الأخر لأنها متوسطة بين الدينين المذكورين قبلها. وهذا نسج بديع من نظم الكلام، ولولا هذا الاعتبار لكان ذكر الإسلام مبتدأ به كما في قوله ﴿إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده﴾ [النساء: ١٦٣] وقوله ﴿وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح﴾ [الأحزاب: ٧] وذكر في الكشاف في آية الأحزاب أن تقديم ذكر النبي صلى الله عليه وسلم في التفصيل لبيان." [1]

"٣(فصرنا نشبهث النسرينِ بعداً ، ** وكنّا أُلفَةً كالفَرقَدَينِ)(علمتُ بأنّ وعدَكَ صارَ مَيناً ، ** لزَجري مُقلَتَيكَ بصارِمَينِ)(وقلتُ ، وقد رأيتُك : خابَ سعيي ** لكونِ البدرِ بينَ العقربينِ)٤ (فلِمَ دَلّيتَني بحِبالِ زُورٍ ، ** ولم أطعَمتَني بسَرابِ مَينِ)٥ (وهَلاّ قلتَ لي قَولاً صَريحاً ، ** فكانَ المنعُ إحدَى الراحتينِ)٦ (عرفتكَ دونَ كلّ الناسِ لَمّا ** نقدتكَ في الملاحةِ نقدَ عينِ)٧ (وكم قد شاهدَتكَ النّاسُ قَبلي ، ** فَما نَظَروكَ كلّهُمُ بعَيني)٨ (وطاوعتُ **الفتوةَ** فيكَ حتى ** جَعَلتُكَ في العَلاءِ برُتبَتَينِ)٩ (فلمّا أن خلا المغنى وبتنا ** عُراةً بالعَفافِ مؤزَّرَينِ) ٤٠ (قضينا الحجّ ضماً واستلاماً ، ** ولم نشعرْ بما في المشعرينِ)

". [2]

"٣(فكسا وجهةُ الحياءُ وأمسى ** نادِماً سادِماً يَعَضّ اليَدَينِ)(وانثَنَى باكياً يُقَبّلُ كَفّ ** يّ ويهوي طوراً على القدمينِ)(قائلاً : إن عَفوتَ قِيلَ كما قي ** لَ وما شاعَ عنكَ في الخافقَينِ)٤ (إنّ في رتبةِ **الفتوةِ** أصلاً ** لكَ يُعزَى إلى أبي الحَسَنَينِ)٥ (صاحبِ النصّ والأدلةِ والإجما ** عِ في المشرقينِ والمغربينِ)٦ (ومُجَلّي الكروبِ عن سيّدِ الرُّس ** لِ ببدرٍ وخيبرٍ وحنينِ)٧ (قلتُ بشراكَ قد أقلتكَ إكرا ** ماً لذكرِ المولى أبي السبطينِ)٨ (فعَلَيه السّلامُ ما جَنّ لَيلٌ ، ** وأنارَ الصّباحُ في المَشرِقَينِ)

". [3]

---

(١) التحرير والتنوير، ١١٩/٢٥

(٢) ديوان صفي الدين الحلي، ١ ص/٦٢٥

(٣) ديوان صفي الدين الحلي، ١ ص/٧٩٥

"ما عندهم أهل المنابر فوقهم*** مما يرون بهم من الاحسان

فيرون ربهم تعالى جهرة*** نظر العيان كما يرى القمران

ويحاضر الرحمن واحدهم محا***ضرة الحبيب يقول يا ابن فلان

هل تذكر اليوم الذي كنت فيـ***ـه مبارزا بالذنب والعصيان

فيقول رب أما مننت بغفرة*** قدما فانك واسع الغفران

فيجيبه الرحمن مغفرتي التي*** قد أوصلتك الى المحل الداني

فصل

في المطر الذي يصيبهم هناك

ويظلهم اذ ذاك منه سحابة*** تأتي بمثل الوابل الهتان

بينا هم في النور اذ غشيتهم*** سبحان منشيها من الرضوان

فتظل تمطرهم بطيب ما رأوا*** شبها له في سالف الأزمان

فيزيدهم هذا جمالا فوق ما*** لهم وتلك مواهب المنان

فصل

في سوق الجنة الذي ينصرفون اليه من ذلك المجلس

فيقول جل جلاله قوموا الى*** ما قد ذخرت لكم من الاحسان

يأتون سوقا لا يباع ويشترى*** فيه فخذ منه بلا أثمان

قد أسلف التجار أثمان المبيـ***ـع بعقدهم في بيعة الرضوان

لله سوق قد أقامته الملا***ئكة الكرام بكل ما احسان

فيها الذي والله لا عين رأت*** كلا ولا سمعت به اذنان

كلا ولم يخطر على قلب امرئ*** فيكون عنه معبرا بلسان

فيرى امرأ من فوقه في هيئة*** فيروعه ما تنظر العينان

فإا عليه مثلها اذ ليس يلـ***ـحق أهلها شيء من الأحزان

واها لذا السوق الذي من حله*** نال التهاني كلها بأمان

يدعى بسوق تعارف ما فيه من*** صخب ولا غش ولا ايمان

وتجارة من ليس تلهيه تجا***رات ولا بيع عن الرحمن

أهل المروة والفتوة والتقى*** والذكر للرحمن كل أوان

يا من تعوض عنه بالسوق الذي*** ركزت لديه راية الشيطان

لو كنت تدري قدر ذاك السوق لم*** تركن الى سوق الكساد الفاني

فصل

في حالهم عند رجوعهم الى أهليهم ومنازلهم

فاذا هم رجعوا الى أهليهم*** بمواهب حصلت من الرحمن

قالوا لهم أهلا ورحبا ما الذي*** أعطيتم من ذا الجمال الثاني

والله لازددتم جمالا فوق ما*** كنتم عليه قبل هذا الآن

قالوا وأنتم والذي أنشأكم*** قد زدتم حسنا على الاحسان." (١)

"البحر : طويل (عليّ لها أن تنبذ المقلة الكرى ** وتذريَ دمعاً كاليواقيت أحمرا) (وان ليس يسلوها الفؤاد ولو مدى ** فواق ويبقى والهاً متحيرا) (وان لا تصيخ الأذن سمعاً لعاذل ** يزخرف تزويراً من القول منكرا) ٤ (وان ليس إلا في نعوت جمالها ** ينوس لساني بالبديع محبرا) ٥ (وان ليس تجري في ضميري مطامع ** من الوصل تأباها الفتوة مصدرا) ٦ (نعم غرضي والشاهد الله وقفة ** أنازعها فيها الحديث وأنظرا) ٧ (ويا حبّذا إن روقت كأس قرقف ** يعود به غرس الأماني مثمرا) ٨ (ومن لي بآمالي ودوني من النوى ** ومن نكبات الدهر قاصمة العرى) ٩ (لحا الله سوء الحظ من صاحب أما ** لها لحظة عني بمن جار واجترى).٠ (كأن خلال المجد مهما تجمّعت ** لدى المرء مغناطيس كل حبو كرى)

". (٢)

"البحر : مجزوء الكامل (أمن الفتوة أن تباح ** طرف الظريفات الملاح) (قالوا نعم إن لم تكن ** فحشا فليس بها جناح) (كم في الدفاتر عن أولات ** الحسن يحكى والقباح) ٤ (وإليك ما صدعت به ** بالأمس رائدة الصلاح) ٥ (نفثات صدر كريمة ** وضّاحة النسب الصراح) ٦ (من نسوة شم الأعنة ** يعربيات فصاح) ٧ (ما دنست أعراضهن ** بريبة أو شرب راح) ٨ (قالت وقد مزجت حديث ** الجد منها بالمزاح) ٩ (واها لما يلقى البنات ** من امتهان واقتراح).٠ (يتحكم الرجل المشوَّه ** في الصبيات الصباح)

". (٣)

"البحر : طويل (سلي تعرفي أن الفتوة ملبسي ** وإني بجلباب المروءة مكتسي) (سمت بي إلى العلياء نفسي وهمّتي ** وفي ربوة المجد المؤثل مغرسي) (سرت في بسيط الأرض نجب غزائمي ** وبتّ وأوج المكرمات معرسي) ٤ (سميري كتابي والعلوم مدامتي ** ومبتكر الآداب آسي ونرجسي) ٥ (سلكت بجدّي واجتهادي محجّة ** لكسب المعالي من

---

(١) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ١ /٩٣٢

(٢) ديوان ابن شهاب، ١ ص/١١٦

(٣) ديوان ابن شهاب، ١ ص/٢٠١

نفيس وأنفس) ٦ (سبيلاً به سارت كرام أبوّتي ** وقومي إلى وادي الخفار المقدس) ٧ (سراة بني الزهراء من خير منبت ** وبيت على السبع الطباق مؤسّس) ٨ (سحاب الندى منهلة منهم على ** حدائق عزّي بالحيا المتبجّس) ٩ (سأحمل نفسي يا ابنة العم فاعلمي ** على شانهم في كل ناد ومجلس)٠ (سماحة نفس واقتراف مكارم ** وعرض مصون طاهر لم يدنس)

---

(١) ".

"التفسير الوسيط للقرآن الكريم ، ج ١٣ ، ص : ١٩٢

و الأشد : قوة الإنسان واشتعال حرارته ، من الشدة بمعنى القوة والارتفاع. يقال : شد النهار ، إذا ارتفع ، وهو مفرد جاء بصيغة الجمع ، ولا واحد له من لفظه.

والمراد ببلوغ أشده : أن يصل سنه على الراجح - إلى ثلاث وثلاثين سنة.

وقوله : أوزعني أى : رغبني ووفقني ، من قولك : أوزعت فلانا بكذا ، إذا أغريته وحببته في فعله. أى : أن هذا الإنسان بعد أن بقي في بطن أمه ما بقي ، وبعد أن وضعته وأرضعته وفطمته وتولته برعايتها ، واستمرت حياته « حتى إذا بلغ أشده » أى : حتى إذا بلغ زمن استكمال قوته ، وبلغ أربعين سنة وهي تمام اكتمال العقل والقوة **والفتوة**.

قال على سبيل الشكر لخالقه رب أوزعني ... أى : يا رب وفقني وألهمني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي بأن وفقتني ووفقتهما إلى صراطك المستقيم ، وبأن رزقتهما العطف علي ، ورزقتني الشكر لهما ، ووفقني - أيضا - أن أعمل صالحا ترضاه منى ، وتقبله عندك وأصلح لي في ذريتي أى : واجعل - يا إلهى - الصلاح راسخا في ذريتي ، وساريا فيها ، لأن صلاح الذرية فيه السعادة الغامرة للآباء.

إني تبت إليك توبة صادقة نصوحا وإنى من المسلمين الذين أخلصوا نفوسهم لطاعتك ، وقلوبهم لمرضاتك.

فأنت ترى أن الآية الكريمة قد اشتملت على أسمى ألوان الدعوات ، التي عن طريق إجابتها تتحقق السعادة الدنيوية والأخروية.

قال صاحب الكشاف : فإن قلت : ما معنى « في » في قوله : وأصلح لي في ذريتي؟

قلت : معناه أن يجعل ذريته موقعا للصلاح ومظنته ، كأنه قال : هب لي الصلاح في ذريتي ، وأوقعه فيهم. « ١ ».

وفي الآية الكريمة : تنبيه للعقلاء ، إلى أن شأنهم - خصوصا عند بلوغ سن الأربعين. أن يكثروا من التضرع إلى الله بالدعاء ، وأن يتزودوا بالعمل الصالح ، فإنها السن التي بعث الله - تعالى - فيها معظم الأنبياء ، والتي فيها يكتمل العقل ، وتستجمع القوة ، ويرسخ فيها خلق الإنسان الذي تعوده وألفه ورحم الله القائل :

إذا المرء وافى الأربعين ولم يكن له دون ما يهوى حياء ولا ستر

فدعه ، ولا تنفس عليه الذي مضى وإن جر أسباب الحياة له العمر

---

(١) ديوان ابن شهاب، ١ ص/٢٩١

(١) تفسير الكشاف ج ٤ ص ٣٠٢.." [١]

"فقد كان أكبر أمنيتي منذ أمد بعيد تفسير الكتاب المجيد، الجامع لمصالح الدنيا والدين، ومُوْثِقِ شديد العرى من الحق المتين، والحاوي لكليات العلوم ومعاقد استنباطها، والآخذِ قوس البلاغة من محل نياطها؛ طمعاً في بيان نُكَتٍ من العلم وكلياتٍ من التشريع، وتفاصيلَ من مكارم الأخلاق، كان يلوح أنموذج من جميعها في خلال تدبره، أو مطالعة كلام مفسِّرِه(١).

ولكني كنت على كلفي بذلك أَتَجَّهم التقَحُّم على هذا المجال، وأحجم عن الزجّ بِسِيَةِ قوسي في هذا النضال؛ اتقاءَ ما عسى أن يعرِّض له المرءُ نفسه من متاعب تنوء بالقوة، أو فلتاتِ سهامِ الفهم وإن بلغ ساعدُ الذهن كمالَ **الفُتُوَّة**؛ فبقِيتُ أسوّف النفس مرة ومرة أسومها زَجراً، فإن رأيتُ منها تصميماً أَحَلْتُها على فرصة أخرى، وأنا آمل أن يُمْنَح من التيسير ما يشجّع على قصد هذا الغرض العسير.

وفيما أنا بين إقدام وإحجام، أتخيل هذا الحَقل مَرَةً القتاد وأخرى الثُّمام(٢)

(١) ــ أشير بهذا إلى أن المهم من كلام المفسرين يرشد إلى الزيادة على ما ذكروه، والذي دون ذلك من كلامهم ينبه إلى تقويم ما ذكروه، والمفسر هنا مراد به الجنس.

(٢) ــ قوله: =القتاد+: يشير به إلى الصعوبة؛ لأن القتاد هو الشوك؛ ولهذا يقال لما عَزَّ وصعب وعسر: دونه خرط القتاد.

وقوله: =الثُّمام+: هو نبت قريب سهل التناول؛ لأنه لا يطول؛ فصار يضرب به المثل لما قرب وسهل تناوله.(م)." [٢]

"فأما رؤيةُ زينبَ في بيت زيدٍ إن كانت عن عمد فذلك أنه استأذن في بيت زيد فإن الاستئذان واجب؛ فلا شك أنه رأى وجهها وأعجبته ولا أحسب ذلك لأن النساء لم يكن يسترن وجوههن قال ــتعالىــ: [وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ مَا ظَهَرَ مِنْهَا] (أي الوجه والكفين) وزيد كان من أشد الناس اتصالاً بالنبي، وزينب كانت ابنة عمته، وزوج مولاه ومتبناه، فكانت مختلطة بأهله، وهو الذي زوجها زيداً، فلا يصح أن يكون ما رآها إلا حين جاء بيت زيد، وإن كانت الريح رفعت الستر فرأى من محاسنها وزينتها ما لم يكن يراه من قبل ــ فكذلك لا عجب فيه؛ لأن رؤية الفجأة لا مؤاخذة عليها، وحصول الاستحسان عقب النظر الذي ليس بحرام أمر قهري لا يملك الإنسان صرفه عن نفسه، وهل استحسان ذات المرأة إلا كاستحسان الرياض والجنات والزهور والخيل ونحو ذلك مما سماه الله زينة إذا لم يتبعه النَّظَّار نظرة.

وأما ما خطر في نفس النبي " من مودة تزوجها فإن وقع فما هو بخطب جليل؛ لأنه خاطر لا يملك المرء صرفَه عن نفسه؛ وقد علمت أن قوله: [وَتَخْشَى النَّاسَ] ليس بلوم، وأن قوله: [وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ] ليس فيه لوم ولا توبيخ على عدم خشية

(١) التفسير الوسيط للقرآن الكريم، ١٩٢/١٣

(٢) التقريب لتفسير التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور، ١ ص/٥٣

الله ولكنه تأكيد لعدم الاكتراث بخشية الناس.

وإنما تظهر مجالاتُ النفوس في ميادين الفتوة بمقدار مصابرتها على الكمال في مقاومة ما ينشأ عن تلك المرائي من ضعف في النفوس، وخور العزائم.

وكفاك دليلاً على تمكن رسول الله " من هذا المقام هو أفضل من ترسخ قدمه في أمثاله أنه لم يَزَلْ يراجعُ زيداً في إمساك زوجه مشيراً عليه بما فيه خير له، وزيد يرى ذلك إشارةً ونصحاً لا أمراً وشرعاً.." (١)

"كل ذلك في سياق الحث على الإنفاق الواجب وغيره، وأشير إلى أنها ينبغي أن تتخذ الحياة وسيلة للنعيم الدائم في الآخرة، ووقاية من العذاب الشديد.

وما عدا ذلك من أحوال الحياة فهو متاع قليل، ولذلك أعقب مثل الحياة الدنيا بالإخبار عن الآخرة بقوله: [وَفِي الآخِرَةِ عَذَابٌ] الخ. ٢٧/٤٠٠_٤٠١

٩_ وقد ذكر هنا من شؤون الحياة ما هو الغالب على الناس وما لا يخلو من مقارفة تضييع الغايات الشريفة أو اقتحام مساوٍ ذميمة، وهي أصول أحوال المجتمع في الحياة.

وهي _أيضاً_ أصول أطوار آحاد الناس في تطور كل واحد منهم؛ فإن اللعب طور سِنّ الطفولة والصبا، واللهوَ طور الشباب، والزينة طور الفتوة، والتفاخرَ طور الكهولة، والتكاثر طور الشيخوخة، وذكر هنا خمسة أشياء:

فاللعب: اسم لقول أو فعل يراد به المزاح والهزل؛ لتمضية الوقت، أو إزالة وحشة الوحدة، أو السكون، أو السكوت، أو لجلب فرح ومسرة للنفس، أو يجلب مثل ذلك للحبيب، أو يجلب ضده للبغيض، كإعمال الأعضاء وتحريكها؛ دفعاً لوحشة السكون، والهذيان المقصود لدفع وحشة السكوت، ومنه العبث، وكالمزاح مع المرأة لاجتلاب إقبالها ومع الطفل، تحبباً أو إرضاءً له.

واللعب: هو الغالب على أعمال الأطفال والصبيان؛ فطور الطفولة طور اللعب ويتفاوت غيرهم في الإتيان منه؛ فيقل ويكثر بحسب تفاوت الناس في الأطوار الأولى من الإنسان، وفي رجاحة العقول، وضعفها.

والإفراط فيه من غير أصحاب طوره يؤذن بخسة العقل، ولذلك قال قوم إبراهيم له: [أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنْ اللاَّعِبِينَ].

واللعب يكثر في أحوال الناس في الدنيا؛ فهو جزء عظيم من أحوالها، وحسبك أنه يَعمُر معظم أحوال الصبا.

واللهو: اسم لفعل أو قول يقصد منه التذاذ النفس به، وصرفها عن ألم حاصل من تعب الجسد أو الحزن أو الكمد، يقال: لها عن الشيء، أي تشاغل عنه، قال امرؤ القيس:

وبيضة خدر لا يرام خِباؤها ... تمتعتُ من لَهْوٍ بها غيرَ معجَل." (٢)

"وقال النابغة يذكر حجه:

حيَّاكِ ربي فإنا لا يحل لنا ... لَهْوُ النساء وإن الدِّين قد عَزمَا

---

(١) التقريب لتفسير التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور، ١ ص/١٠٩

(٢) التقريب لتفسير التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور، ١ ص/٢٤٣

ويغلب اللهو على أحوال الشباب، فطور الشباب طوره، ويكثر اللهو في أحوال الدنيا من تطلب اللذات والطرب.
والزينة: تحسين الذات أو المكان بما يجعل وقعه عند ناظره مُسراً له، وفي طباع الناس الرغبة في أن تكون مناظرهم حسنة في عين ناظريهم وذلك في طباع النساء أشد، وربما كان من أسباب شدته فيهن كثرة إغراء الرجال لهن بذلك.
ويكثر التزين في طور **الفتوة**؛ لأن الرجل يشعر بابتداء زوال محاسن شبابه، والمرأة التي كانت غانية تحب أن تكون حالية، وليس ذلك لأجل تعرضها للرجال ــ كما يتوهمه الرجال فيهن غروراً بأنفسهم ــ بل ذلك لتكون حسنة في الناس من الرجال والنساء.
ويغلب التزين على أحوال الحياة؛ فإن معظم المساكن والملابس يراد منه الزينة، وهي ذاتية ومعنوية، ومن المعنوية ما يسمى في أصول الفقه بالتحسيني.
والتفاخر: الكلام الذي يفخر به، والفخر: حديث المرء عن محامده والصفات المحمودة منها فيه بالحق أو الباطل.
وصيغ منه زِنَة التفاعل؛ لأن شأن الفخر أن يقع بين جانبين كما أنبأ به تقييده بظرف (بينكم).
والناس يتفاخرون بالصفات المحمودة في عصورهم وأجيالهم وعاداتهم؛ فمن الصفات ما الفخر به غير باطل.
وهو الصفات التي حقائقها محمودة في العقل أو الشرع.
ومنها ما الفخر به باطل من الصفات والأعمال التي اصطلح قوم على التمدح بها، وليست حقيقة بالمدح مثل التفاخر بالإغلاء في ثمن الخمور، وفي الميسر، والزنى، والفخر بقتل النفوس، والغارة على الأموال في غير حق.
وأغلب التفاخر في طور الكهولة واكتمال الأَشُدَّ؛ لأنه زمن الإقبال على الأفعال التي يقصد منها الفخر.
والتفاخر كثير في أحوال الناس في الدنيا، ومنه التباهي والعُجب، وعنه ينشأ الحسد.." [1]
"وعن قتادة: ليس مِنْ خُلُقٍ حَسَنٍ كان أهل الجاهلية يعملون به ويستحسنونه إلا أمر الله به في هذه الآية، وليس مِنْ خُلُقٍ كانوا يتعايرونه بينهم إلا نهى الله عنه وقدح فيه، وإنما نهى عن سفاسف الأخلاق، ومذامِّها. ١٤/٢٥٩
١٠ــ وقد اهتدى الخليفة عمر بن عبدالعزيز × إلى ما جمعته هذه الآية من معاني الخير؛ فلما استخلف سنة ٩٩ كتب يأمر الخطباء بتلاوة هذه الآية في الخطبة يوم الجمعة، وتجعل تلاوتها عوضاً عما كانوا يأتونه في خطبة الجمعة من كلمات سب علي بن أبي طالب ÷.
وفي تلاوة هذه الآية عوضاً عن ذلك السب دقيقة أنها تقتضي النهي عن ذلك السب؛ إذ هو من الفحشاء والمنكر والبغي.
ولم أقف على تعيين الوقت التي ابتدع فيه هذا السب، ولكنه لم يكن في خلافة معاوية ÷. ١٤/٢٥٩
١١ــ وفي السيرة الحلبية أن الشيخ عز الدين بن عبدالسلام ألف كتاباً سماه (الشجرة) بَيَّن فيه أن هذه الآية اشتملت على جميع الأحكام الشرعية في سائر الأبواب الفقهية، وسماه السبكي في الطبقات (شجرة المعارف). ١٤/٢٦٠
١٢ــ وقد وُصِفَ إبراهيم ــ عليه السلام ــ بأنه كان أمة.

---

(١) التقريب لتفسير التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور، ١ ص/٢٤٤

والأمة: الطائفة العظيمة من الناس التي تجمعها جهة جامعة.

وتقدم في قوله ــتعالىــ: [كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً] في سورة البقرة، وَوَصْفُ إبراهيمَ ــ عليه السلام ــ بذلك وصفٌ بديع لمعنيين: أحدهما: أنه كان في الفضل **والفتوة** والكمال بمنزلة أمة كاملة، وهذا كقولهم: أنت الرجل كل الرجل، وقول البحتري:

ولم أر أمثال الرجال تفاوتاً ... لدى الفضل حتى عد ألف بواحد

وعن عمر بن الخطاب ÷أن النبي " قال: =معاذ أمة قانت لله+.

والثاني: أنه كان أمة وحده في الدين؛ لأنه لم يكن في وقت بعثته موحد لله غيره؛ فهو الذي أحيا الله به التوحيد، وبثه في الأمم والأقطار، وبنى له مَعْلَماً عظيماً وهو الكعبة، ودعا الناس إلى حَجّه؛ لإشاعة ذكره بين الأمم، ولم يزل باقياً على العصور.." (١)

"ج ٢ ، ص : ١٧٩

المفردات :

تستفتيان الاستفتاء طلب الفتوى أى : السؤال عن المشكل المجهول والفتوى جوابه وهذا اللفظ مأخوذ من **الفتوة** الدالة على معنى القوة والثقة بضع قيل :

هو من ثلاث إلى تسع ويغلب أن يطلق على السبع.

المعنى :

بعد أن تكلم مع صاحبيه في شأن التوحيد ومقدماته تكلم في تأويل رؤياهما فقال :

يا صاحباي أما أحدكما - الذي رأى أنه يعصر عنبا يصير خمرا - فيسقى ربه خمرا وربه مالكه وسيده ولم يقصد ربوبية العبادة فإن ملك مصر أيام يوسف لم يدع الألوهية كفرعون مصر أيام موسى. وأما الثاني - وهو الذي رأى أنه يحمل خبزا تأكل الطير منه فيصلب فتأكل الطير آكلة اللحوم كالحدأة من رأسه ، لا تناقشا! قد قدر الله الأمر وسبق الحكم الذي فيه تستفتيان ، وهذا خارج عن تأويل الرؤيا ولكنه من باب المكاشفة وصفاء الأرواح ، لعله إخبار ووحى ليوسف ، وقال للذي ظن أنه ناج منهما - وانظر إلى التعبير بقوله : ظن أى : في الواقع لأنه ربما يغير الملك رأيه الذي قال أو تأتى حوائل تحول بين تحقيق ما قاله يوسف قال له - : اذكرني عند ربك وسيدك الملك ، أى :

حدثه عن خبري وحالي ، ويقصد يوسف أن يطرق الأبواب الظاهرية والأسباب المادية ليخرج من السجن فيتمم فصول روايته.

فأنسى الشيطان صاحبه أن يذكر يوسف عند الملك فأنساه الشيطان ذكر إخبار ربه أى : تذكيره بأمر يوسف فترتب على

---

(١) التقريب لتفسير التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور، ا ص/٣٦١

هذا أن يلبث في السجن بضع سنين هل هي ثلاثة أو سبعة أو قل أو أكثر الله أعلم بتحديدها وإن كانت من ثلاث إلى تسع.." (١)

"ج ٣ ، ص : ٣٨

المفردات :

ضعف الضعف : ما قبل القوة شيبة أى : شيبا وهو بياض الشعر الأسود ساعة : مدة من الزمن قليلة يؤفكون يقال : أفك الرجل : إذا صرف عن الصدق والخير ولا هم يستعتبون أى : لا يطلب منهم الإعتاب.

وحقيقة أعتبته : أزلت عتبة فالإعتاب إزالة العتب بفعل ما يرضى ، يقال : استعتبته فأعتبنى ، أى : استرضيته فأرضانى مبطلون أى : متبعون الباطل والسحر ولا يستخفنك يقال : استخف فلان فلانا ، أي : استجهله حتى حمله على اتباعه في الغي.

المعنى :

وهذه الآية تتعلق بالإنسان ناطقة بإثبات القدرة والعلم والإرادة وغيرها من الصفات لله - سبحانه وتعالى - فهذا الانتقال والتحول من حال إلى حال دليل على القدرة ، وآية على البعث الذي ينكره المشركون.

الله هو الذي خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ، فالإنسان خلق من منى يمنى ، من ماء مهين ، من نطفة هي غاية في الضعف والصغر والقلة ، حتى أنها تحوى ملايين صالحة لتلقيح بويضة المرأة. والشخص منا يكون واحدا منها ، ثم يظل ينتقل الإنسان من ضعف : وهو في بطن أمه ثم وهو رضيع ، ثم وهو يدرج حتى يصير في دور المراهقة والشباب والرجولة فتظهر عليه علامات القوة والفتوة والشباب ، ثم جعل من بعد القوة ضعفا وشيبة. تلك مراحل لا بد من مرورها على الإنسان ويستحيل عليه أن يولد قويا ، كما أنه يستحيل عليه أن يكون في دور الشيخوخة قويا بل لا بد فيها من ضعف وشيبة.." (٢)

"ج ٣ ، ص : ٣١٦

ولما ذكر سابقا أنه خالق الليل والنهار لتسكنوا فيه ، والنهار لتبصروا أمر معاشكم وخالق الأرض للاستقرار عليها ، والسماء كالبناء عليكم ، وصوركم في أحسن صورة ورزقكم من فضله بأبهى نعمه. ذكر هنا من دلائل التوحيد والكمال أنه خلقكم من تراب ، أى : خلق أباكم آدم منه أو خلقنا من تراب إذ المنى من الدم ، والدم من الغذاء وهو من التراب ، ثم من نطفة ثم من علقة ثم يخرجكم من بطون أمهاتكم أطفالا ثم يرعاكم لتبلغوا قوتكم ومنتهى شبابكم ، ثم يبقيكم لتكونوا شيوخا كبارا ضعافا بعد القوة والفتوة ، ومنكم من يتوفى من قبل هذا ، ومنكم من يرد إلى أرذل العمر ، فعل ذلك بكم لتبلغوا أجلا مسمى ووقتا محدودا ينتهى بانقضاء الآجال.

ولعلكم بعد هذه الآيات الكونية الناطقة بوحدانية الله تعالى ، وأنه الخالق القادر السميع البصير وأنه الإله ولا إله غيره ،

---

(١) التفسير الواضح ـ موافقا للمطبوع، ١٧٩/٢

(٢) التفسير الواضح ـ موافقا للمطبوع، ٣٨/٣

ولعلكم بعد هذا تعقلون دلائل التوحيد فتوحدوه.

هو الذي يحيي ، وهو الذي يميت ، وهو الذي إذا أراد شيئا حصل بمقتضى إرادته بسرعة كأنه قال له : كن فيكون ، وهذا تمثيل لتأثير قدرة الله في المقدورات التي يريدها وتصوير لسرعة حصولها من غير أن يكون أمر ولا مأمور.

المجادلون وجزاؤهم وصبر النبي صلى الله عليه وسلم على إيذائهم [سورة غافر (٤٠) : الآيات ٦٩ الى ٧٨]

ألم تر إلى الذين يجادلون في آيات الله أنى يصرفون (٦٩) الذين كذبوا بالكتاب وبما أرسلنا به رسلنا فسوف يعلمون (٧٠) إذ الأغلال في أعناقهم والسلاسل يسحبون (٧١) في الحميم ثم في النار يسجرون (٧٢) ثم قيل لهم أين ما كنتم تشركون (٧٣)

من دون الله قالوا ضلوا عنا بل لم نكن ندعوا من قبل شيئا كذلك يضل الله الكافرين (٧٤) ذلكم بما كنتم تفرحون في الأرض بغير الحق وبما كنتم تمرحون (٧٥) ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين (٧٦) فاصبر إن وعد الله حق فإما نرينك بعض الذي نعدهم أو نتوفينك فإلينا يرجعون (٧٧) ولقد أرسلنا رسلا من قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك وما كان لرسول أن يأتي بآية إلا بإذن الله فإذا جاء أمر الله قضي بالحق وخسر هنالك المبطلون (٧٨)." [١]

"٩- سبعة ألفاظ عام أريد به الخاص و خاص أريد به العام، و عام أريد به العام و خاص أريد به الخاص و لفظ يستغني تنزيله عن تأويله و لفظ لا يعلم تأويله إلا الراسخون و لفظ لا يعلم تأويله إلا اللّه. التفسير الحديث، ج ١، ص: ٢٤٧

١٠- المطلق و المقيد و العام و الخاص و النصّ و المؤول و الناسخ و المنسوخ و المجمل و المفسر و الاستثناء و هذا قول الفقهاء.

١١- الحذف و الصلة، و التقديم و التأخير، و الاستعارة و التكرار، و الكناية و الحقيقة و المجاز، و المجمل و المفسر، و الظاهر و الغريب و هذا قول علماء اللغة.

١٢- التذكير و التأنيث، و الشرط و الجزاء، و التصريف و الإعراب و الإقسام و جوابها، و الجمع و الإفراد و التصغير و التعظيم، و اختلاف الأدوات و هو قول علماء النحو.

١٣- الزهد و القناعة مع اليقين و الجزم و الخدمة مع الحياء، و الكرم و **الفتوة** مع الفقر، و المجاهدة و المراقبة مع الخوف، و الرجاء و التضرع و الاستغفار مع الرضى، و الشكر و الصبر مع المحاسبة و المحبة و الشوق مع المشاهدة و هذا قول الصوفية.

١٤- أمر و نهي و بشارة و إنذار و أخبار و أمثال.

١٥- علم الإنشاء، و علم الإيجاد، و علم التوحيد و التنزيه، و علم صفات الذات، و علم صفات الفعل، و علم صفات العفو و العذاب، و علم الحشر و الحساب، و علم النبوات.

---

(١) التفسير الواضح ـ موافقا للمطبوع، ٣/ ٣١٦

١٦- المحكم و المتشابه و الناسخ و المنسوخ و الخصوص و العموم و القصص.

١٧- سبع لغات لغة قريش و لغة اليمن و لغة جرهم و لغة هوازن و لغة قضاعة و لغة تميم و لغة طي.

١٨- سبعة أوجه إعراب للكلمة الواحدة حتى يكون المعنى واحدا و إن اختلف لفظا.

١٩- سبعة أحرف هي أمهات الهجاء و هي الألف و الباء و الجيم و الدال و الزاي و السين و العين.

٢٠- إن جبريل كان يكرر كل كلمة سبع مرات على سبعة أوجه.." (١)

"البحر : - (وما ألان قناتي غمز حادثة ** ولا استخف بحلمي قط إنسان) (أمضي على الهول قدما لا ينهنهني ** وانثني لسفيهي وهو حردان) (ولا اقارض جهالا بجهلهم ** والأمر أمري والأيام أعوان) ٤ (أهيب بالصبر والشحناء ثائرة ** وأكظم الغيظ والأحقاد نيران) ٥ (وما لساني عند القوم ذو ملق ** ولا مقالي إذا ما قلت إدهان) ٦ (ولا أفوه بغير الحق خوف أخي ** وأن تأخر عني وهو غضبان) ٧ (ولا أميل على خلي فآكله ** إذا غرثت وبعض الناس ذؤبان) ٨ (إن **الفتوة** فاعلم حد مطلبها ** عرض نقي ونطق فيه تبيان) ٩ (بالعلم يفخر يوم الحفل حامله ** وبالعفاف غداة الجمع يزدان)٠ (ود الفتى منهم لو مت من يده ** وإنه منك ضخم الجوف ملآن)

". (٢)

"٢(أبى لِيَ مَجدي **والفتوَّةُ** والنُّهى ** وهمَّةُ نفسٍ أنتجتها المناجِيبُ)(وقد عَلمْت قومي وما بي غباوةٌ ** بأنِّيَ لنَيل المُكرمات لمخطُوبُ)(وهذا أبي لا الظَّنُّ فيه مخيَّبٌ ** ولا المجد متعوسٌ ولا الرأي مكذوبُ)٤ (له من صَميم المجدِ أرفعُ رتبةٍ ** ومن هاشمٍ نهجٌ إلى الفَخر مَلحُوبُ)٥ (وهل هو إلاَّ دَوحةٌ قد تفرَّعتْ ** فكنتُ لها غُصناً نَمَتْه الأنابيبُ)٦ (وما ذاتُ نشرٍ قد تضاحك نَورُها ** وهلَّ بها من مَدمَع المزنِ شُؤ بوبُ)٧ (تُغانُ لها ريحُ الصَّبا إن تنفَّست ** وللشمس تَفضِيضٌ عليها وتَذهيبُ)٨ (ينافسُ ريَّاها من المِسْكِ صائِكٌ ** ومن نفحات المَنْدل الرَّطب مَشبوبُ)٩ (بأعبقَ نشراً من لَطيمةِ خُلْقِه ** إذا فُضَّ عنها من مَكارمه طِيبُ)٠ (هُمامٌ إذا ما همَّ أمضى على العِدى ** من العَضب حدّاً وهو أبيضُ مَذروبُ)

". (٣)

"البحر : طويل (أناسٍ عفيفَ الدين أم أنت ذاكرُ ** عهوداً سقتهن العهاد البواكر) (ومثلُك من لم ينسَ عهداً وإنَّما ** هو الدهرُ لا يُلفى على الدَّهر ناصرُ) (وما أنت ممَّنْ يُبْخَسُ الودُّ عندَه ** ولكن قضاءٌ أوجَبَتْهُ المقادرُ) ٤ (أرومُ لك العذرَ الجميل مُصحّحاً ** وفاك وقد كادت تضيق المعاذر) ٥ (أُعيذُك أن أمسي لودِّك عامراً ** ويُصبحُ ودِّي

---

(١) التفسير الحديث، ١ ص/٣٠٨

(٢) ديوان ابن شهيد، ١ ص/٣٣

(٣) ديوان ابن معصوم المدني، ١ ص/١٤

وهو عندك داثرُ) ٦ (أبى لكَ أصلٌ في المروءَة طاهرٌ ** وفرعٌ بأنواع **الفتوة** ظاهر) ٧ (وإن تنسك الأيام عهدي فإنني ** وحقك للعهد القديم لذاكر) ٨ (إليكَ أخا الهيجاءِ نفثةَ مُوجَعٍ ** رآك لها أهلاً فهل أنت شاكر) ٩ (ودم وابق واسلم ما تألق بارقٌ ** وهب نسيمٌ واستهلت مواطر)

---

(١) ".

"٣(تالله ما فعل الأعداء فعلته ** كلا ولا اهتضموا ما ظل يهتضم)(هلاَّ نُهَاهُ نُهاه أو حفيظتُه ** عن سلب ما حلي النسوان والحرم)(وافى بهن وما أوفى بذمته ** سلباً عواطل لا سورٌ ولا خدم)٤ (أين **الفتوة** إن لم ينهه ورعٌ ** ولم يَخَفْ غبَّ ما قد راح يجترم)٥ (هبه أضاعَ إخائي غير محتشمٍ ** أليس عن دون هذا المرء يحتشم)٦ (كأنَّه كان مطوياً على إحنٍ ** فعندما غبت عنه راح ينتقم)٧ (ما كان هذا جزائي إذ رعيتُ له ** حقَّ الاخاءِ ولكن للورى شيمُ)٨ (فقل سلامٌ على الأرحام ضائعةً ** فقد لعمري أضاعت حقَّها الأممُ)

---

(٢) ".

"١(أهديتَ من غررِ المعاني مُعجزاً ** بهرَ العقولَ بديعُه وبيانُه)(لله درك ناطقاً يقضي على ** حر الكلام بما يشاء لسانه)(ومحبراً وشي القريض إذا امتطى ** متنَ البراعَة للبيانِ بَنانُه)٤ (ومبرزاً إن رام سبقاً أقصرت ** عن أن تحاولَ شأوَه أقرانُهُ)٥ (قسماً بأيمان **الفتوَّة** والوَفا ** وقديم عهدٍ أسست أركانه)٦ (إن الوداد كما عهدت وإنما ** هذا الزمان تلونت ألوانه)٧ (والعذرُ في تركي دعاءَك مسرعاً ** عذرٌ وحقك واضحٌ برهانه)٨ (لكن عَسى قد آن إبَّانُ اللِّقا ** والشيء يُقبِلُ إن أتى إبَّانُهُ)٩ (فيلين من دهري بذلك ما قسا ** ويعود بعد إساءةٍ إحسانه)

---

(٣) ".

"٢(فَأَرَضْتُهُ بَعْدَ الْجِمَاحِ بِهَا ** حتى تسهّلَ خُلقهُ الوعر)(نَظَمَ الْهَوَى عَقْدَ الْعِنَاقِ لَنَا ** وَمِنَ الْعَفَافِ تَضُمُّنَا أُزْرُ)(رفعَ الشبابُ حجابَ أوجهنا ** ومنَ **الفتوّة** بيننا سترُ)٤ (ولكمْ عرجتُ إلى محلٍّ عُلاً ** فوقَ السماكِ وتحتهُ الغفرُ)٥ (بمطهّمٍ مثلِ الظليمِ إذا ** مَا شَدَّ قُلْتُ بَأَنَّهُ صَقْرُ)٦ (تدري المها أنْ لا نجاةَ لها ** منهُ ويعلمُ ذلكَ العفرُ)٧ (فَإِذَا لَهُ آجَالُهَا عَرَضَتْ ** عرضتْ لها آجالها الحمرُ)٨ (مثلُ الرياحِ رواحُ أربعةٍ ** شهرٌ وسيرُ غدوّها شهرُ)٩ (كَمُلَتْ صِفَاتُ الصَّافِنَاتِ بِهِ ** فبذاتهِ لجميعها حصرُ)٠ (يَجْرِي وَيَجْرِي الْفِكْرُ يَتْبَعُهُ ** فيفوتُ ثمَّ ويحسرُ الفكرُ)

---

(١) ديوان ابن معصوم المدني، ١ ص/١٤٤

(٢) ديوان ابن معصوم المدني، ١ ص/٣٦٨

(٣) ديوان ابن معصوم المدني، ١ ص/٤١٨

". (١)

"ص -٣٧- المخالفات أفضل، لأنه أشق وأصعب فإن أعمال البر يفعلها البر والفاجر ولا يصبر عن المخالفات إلا الصديقون قالوا ولأن الصبر عن المحرمات صبر على مخالفة هوى النفس وهو أشق شيء وأفضله قالوا ولأن ترك المحبوب الذى تحبه النفوس دليل على أن من ترك لأجله أحب اليه من نفسه وهواه بخلاف فعل ما يحبه المحبوب فإنه لا يستلزم ذلك قالوا وأيضا فالمروءة والفتوة كلها في هذا الصبر.

قال الإمام أحمد: "الفتوة ترك ما تهوى لما تخشى" فمروءة العبد وفتوته بحسب هذا الصبر قالوا وليس العجب ممن يصبر على الأوامر فإن أكثرها محبوبات للنفوس السليمة لما فيها من العدل والإحسان والإخلاص والبر وهذه محاب للنفوس الفاضلة الزكية بل العجب ممن يصبر عن المناهي التي أكثرها محاب للنفوس فيترك المحبوب العاجل في هذه الدار للمحبوب الآجل في دار أخرى والنفس موكلة بحب العاجل فصبرها عنه مخالف لطبعها.

قالوا: ولأن المناهى لها أربعة دواع تدعو اليها نفس الإنسان وشيطانه وهواه ودنياه فلا يتركها حتى يجاهد هذه الأربعة وذلك أشق شيء على النفوس وأمره قالوا فالمناهى من باب حمية النفوس عن مشتهياتها ولذاتها والحمية مع قيام داعى التناول وقوته من أصعب شيء وأشقه قالو أو لذلك كان باب قربان النهى مسدودا كله وباب الامر انما يفعل منه المستطاع كما قال النبي: "اذا أمرتكم بأمر فاءتوا منه ما استطعتم وما نهيتكم عنه فاجتنبوه" فدل على ان باب المنهيات أضيق من باب المأمورات وانه لم يرخص في ارتكاب شيء منه كما رخص في ترك بعض المأمورات للعجز والعذر قالوا ولهذا كانت عامة العقوبات من الحدود وغيرها على ارتكاب المنهيات بخلاف ترك المأمور فإن الله سبحانه لم يرتب عليه حدا معينا فأعظم المأمورات الصلاة وقد اختلف العلماء هل على تاركها حد أم لا؟." (٢)

" لأنه أشق وأصعب فإن أعمال البر يفعلها البر والفاجر ولا يصبر عن المخالفات إلا الصديقون قالوا ولأن الصبر عن المحرمات صبر على مخالفة هوى النفس وهو أشق شيء وأفضله قالوا ولأن ترك المحبوب الذى تحبه النفوس دليل على أن من ترك لأجله أحب اليه من نفسه وهواه بخلاف فعل ما يحبه المحبوب فإنه لا يستلزم ذلك قالوا وأيضا فالمروءة والفتوة كلها في هذا الصبر

قال الإمام أحمد الفتوة ترك ما تهوى لما تخشى فمروءة العبد وفتوته بحسب هذا الصبر قالوا وليس العجب ممن يصبر على الأوامر فإن أكثرها محبوبات للنفوس السليمة لما فيها من العدل والإحسان والإخلاص والبر وهذه محاب للنفوس الفاضلة الزكية بل العجب ممن يصبر عن المناهي التي أكثرها محاب للنفوس فيترك المحبوب العاجل في هذه الدار للمحبوب الآجل في دار أخرى والنفس موكلة بحب العاجل فصبرها عنه مخالف لطبعها

قالوا ولأن المناهى لها أربعة دواع تدعو اليها نفس الإنسان وشيطانه وهواه ودنياه فلا يتركها حتى يجاهد هذه الأربعة وذلك أشق شيء على النفوس وأمره قالوا فالمناهى من باب حمية النفوس عن مشتهياتها ولذاتها والحمية مع قيام داعى

---

(١) ديوان ابن معتوق، ا ص/١٩٢

(٢) عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين، ا ١١/٥

التناول وقوته من أصعب شيء وأشقه قالو أو لذلك كان باب قربان النهى مسدودا كله وباب الامر انما يفعل منه المستطاع كما قال النبي اذا أمرتكم بأمر فاءتوا منه ما استطعتم وما نهيتكم عنه فاجتنبوه فدل على ان باب المنهيات أضيق من باب المأمورات وانه لم يرخص في ارتكاب شيء منه كما رخص في ترك بعض المأمورات للعجز والعذر قالوا ولهذا كانت عامة العقوبات من الحدود وغيرها على ارتكاب المنهيات بخلاف ترك المأمور فإن الله سبحانه لم يرتب عليه حدا معينا فأعظم المأمورات الصلاة وقد اختلف العلماء هل على تاركها حد أم لا فصل

فهذا بعض ما احتجت به الطائفة وقالت طائفة أخرى بل الصبر على فعل المأمور أفضل وأجل من الصبر على ترك المحظور لأن فعل المأمور أحب إلى الله من ترك المحظور والصبر على أحب الامرين أفضل وأعلى وبيان ذلك من وجوه ". (١)

" يأتون سوقا لا يباع ويشتري ... فيه فخذ منه بلا أثمان ... قد اسلف التجار أثمان المبيع بعقدهم في بيعة الرضوان ... لله سوق قد اقامته الملا ... ئكة الكرام بكل ما احسان ... فيها الذي والله لا عين رأت ... كلا ولا سمعت به أذنان ... كلا ولم يخطر على قلب امرىء فيكون عنه معبرا بلسان ... فيرى امرءا من فوقه في هيئة ... فيروعه ما تنظر العينان ... فاذا عليه مثلها اذ ليس يلحق أهلها شيء من الأحزان ... واها لذا السوق الذي من حله ... نال التهاني كلها بأمان ... يدعى بسوق تعارف ما فيه من ... صخب ولا غش ولا ايمان ... وتجارة من ليس تلهيه تجا ر ... ات ولا بيع عن الرحمن ... أهل المروءة والفتوة والتقى ... والذكر للرحمن كل أوان ... يا من تعوض عنه بالسوق الذي ... ركزت لديه راية الشيطان ... لو كنت تدري قدر ذاك السوق لم تركن ... الى سوق الكساد الفاني ." (٢)

"(ب) التخبي: الإخباء، ويقال: ترباه، أي: رباه، وتزبى زبية، أي: أتخذها، وقال: كاللذ تزبى زبية فاصطيد وتقبي يلمقا، أي: لبسه.

(ت) تشتى بموضع كذا، وتعتى، أي: عتا وتفتى، من الفتوة.

(ج) تحجيت بالشيء، أي: تمسكت به ولزمته، وتدجى الليل، أي: أظلم، وتهجى الحرف وهجاه، بمعنى.

(ح) تدحت المرأة، [وترحت الحية]، [أي: استدارت]، [وتضحى، أي: تغدى]. وفي الحديث: "أنه نهى عن الاقتعاط، وأمر بالتلحي، وهو أن يدير العمامة تحت ذقنه. وتنحى عنه".

(خ) فلان يتسخى على أصحابه: يتندى.

(د) تبدى، أي: أقام بالبادية، وتحديث الناس القراءة والصراع أينا أقرأ، وأينا أصرع، وتردى من جبل، أو بئر، وتردى، أي: ارتدى، وتسداه، أي: علاه، وتصدى له، أي: تعرض، وتعدى الحد، أي: جاوزه، والتغدي، خلاف التعشي، وتندت الإبل، من الندوة، وفلان يتندى على أصحابه، أي: يتسخى.

(ر) تحراه، أي: توخاه، وتدراه وادراه، بمعنى، أي: ختله، وتذريت السنام، أي: علوته، وقال: أنا سيف العشيرة فاعرفوني

---

(١) عدة الصابرين، ١ ص/٢٧

(٢) شرح القصيدة النونية، ١ /٢ ٥٨٨

حميدا قد تذريت السناما

وتسرى، أي: تكلف السرو، وتسرى من السرية.

وتعرى، أي: تجرد. وتفرى، أي: تشقق، وتقرى المياه، أي: تتبعها. وتهراه بالهراوة: إذا ضربه بها، وقال: يكسى ولا يغرث مملوكها إذا تهرت عبدها الهاريه

(ز) تعزى، أي: تصبر، وتعزى، أي: تنسب والتنزي: النزو في مهلة.

(س) تحسى الحساء: إذا حساه في مهلة.

." (١)

"(ث) الغثيان: الغثي.

(ف) النفيان: ما انتفى من المطر، ومن ماء الدلو.

(ل) الغليان: الغلي.

(م) الصميان: من التفلت. والهميان: الهمي، وهو السيلان.

فعوعل

٧٧٧ باب فعوعل

(ج) الخجوجى: الطويل الرجلين. والشجوجى: الطويل.

(ر) شرورى: اسم جبل. والمروري: جمع مروراة، وهي القفر من الأرض.

(ط) القطوطى: الذي يقارب المشي من كل شيء.

(ل) القلولى: الطائر الذي يرتفع في طيرانه.

انقضت أبواب الأسماء من ذوات الأربعة بحمد الله ومنه

هذه أبواب الأفعال

فعل يفعل

٧٧٨ باب فعل يفعل

بفتح العين من الماضي وضمها من المستقبل: (ب) يقال: جبوت الخراج، لغة في جبيت، جباوة، وجبوت الماء في الحوض: لغة في جبيت. وحبا على استه حبوا. وحبا الرمل، أي: أشرف. وحبا السهم: إذا زلج على الأرض، ثم أصاب الهدف، وحبوت للخمسين، أي: دنوت لها. ويقال: هو يحبو ما حوله، أي: يمنعه. وحباه بالشيء، أي: أعطاه. حباء. وخبت النار، أي: طفئت. وربا، أي: زاد. وربا الفرس: إذا انتفخ من عدو أو فزع. وربوت في بني فلان، أي: نشأت. وربا من النفس. وصبا، أي: مال إلى الجهل **والفتوة**، صبوة. وضبته النار، أي: غيرته. وطباه الشيء، أي: دعاه. وكبا الفرس لوجهه،

---

(١) ديوان الأدب تأليف: أبو إبراهيم الفارابي، ١ /

أي: سقط. وكبا الزند: إذا لم تخرج ناره. وكبا الفرس: إذا لم يعرق. [وكبت النار: إذا غطاها الرماد والجمر تحته]. ونبا به الموضع، أي: تجافى. ونبا السيف: إذا لم يعمل في الضريبة. وهبا الغبار، أي: سطع. وهبت النار، أي: صارت رمادا.

". (١)

" وقال يحيى بن معاذ : الزهد يورث السخاء بالملك والحب يورث السخاء بالروح

وقال ابن الجلاء : الزهد هو النظر إلى الدنيا بعين الزوال فتصغر في عينك فيسهل عليك الإعراض عنها

وقال ابن خفيف : الزهد وجود الراحة في الخروج من الملك

وقال أيضا : الزهد سلو القلب عن الأسباب ونفض الأيدي من الأملاك

وقيل : هو عزوف القلب عن الدنيا بلا تكلف

وقال الجنيد : الزهد خلو القلب عما خلت منه اليد

وقال الإمام أحمد الزهد في الدنيا قصر الأمل وعنه رواية أخرى : أنه عدم فرحه بإقبالها ولا حزنه على إدبارها فإنه سئل عن الرجل يكون معه ألف دينار هل يكون زاهدا فقال : نعم على شريطة أن لا يفرح إذا زادت ولا يحزن إذا نقصت

وقال عبد الله بن المبارك : هو الثقة بالله مع حب الفقر وهذا قول شقيق ويوسف بن أسباط

وقال عبدالواحد بن زيد الزهد : الزهد في الدينار والدرهم

وقال أبو سليمان الداراني : ترك ما يشغل عن الله وهو قول الشبلي

وسأل رويم الجنيد عن الزهد فقال : استصغار الدنيا ومحو آثارها من القلب وقال مرة : هو خلو اليد عن الملك والقلب عن التتبع وقال يحيى بن معاذ : لا يبلغ أحد حقيقة الزهد حتى يكون فيه ثلاث خصال : عمل بلا علاقة وقول بلا طمع وعز بلا رياسة وقال أيضا : الزاهد يسعطك الخل والخردل والعارف يشمك المسك والعنبر وقيل : حقيقته هو الزهد في النفس وهذا قول ذي النون المصري

وقيل : الزهد الإيثار عند الاستغناء والفتوة الإيثار عند الحاجة قال الله تعالى : ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ." (٢)

" سأله السائل عن طريق مصر مثلا فيذكر له معها طريق مكة والمدينة وخراسان والعراق والهند وأي حاجة بالسائل إلى ذلك

ولعمر الله ليس ذلك بعيب وإنما العيب : الجهل والكبر وهذا موضع المثل المشهور :

لقبوه بحامض وهو خل ... مثل من لم يصل إلى العنقود الخامسة : الجود بالنفع بالجاه كالشفاعة والمشي مع الرجل إلى ذي سلطان ونحوه وذلك زكاة الجاه المطالب بها العبد كما أن التعليم وبذل العلم زكاته السادسة : الجود بنفع البدن على

---

(١) ديوان الأدب تأليف: أبو إبراهيم الفارابي، ١ /

(٢) مدارج السالكين، ٢ /١١

اختلاف أنواعه كما قال : يصبح على كل سلامى من أحدكم صدقة كل يوم تطلع فيه الشمس يعدل بين اثنين : صدقة ويعين الرجل في دابته فيحمله عليها أو يرفع له عليها متاعه : صدقة والكلمة الطيبة : صدقة وبكل خطوة يمشيها الرجل إلى الصلاة : صدقة ويميط الأذى عن الطريق : صدقة متفق عليه السابعة : الجود بالعرض كجود أبي ضمضم من الصحابة رضى الله عنهم كان إذا أصبح قال : اللهم إنه لا مال لي أتصدق به على الناس وقد تصدقت عليهم بعرضي فمن شتمني أو قذفني : فهو في حل فقال النبي : من يستطيع منكم أن يكون كأبي ضمضم

وفي هذا الجود من سلامة الصدر وراحة القلب والتخلص من معاداة الخلق ما فيه الثامنة : الجود بالصبر والاحتمال والإغضاء وهذه مرتبة شريفة من مراتبه وهي أنفع لصاحبها من الجود بالمال وأعز له وأنصر وأملك لنفسه وأشرف لها ولا يقدر عليها إلا النفوس الكبار فمن صعب عليه الجود بماله فعليه بهذا الجود فإنه يجتني ثمرة عواقبه الحميدة في الدنيا قبل الآخرة وهذا جود **الفتوة** قال تعالى : والجروح قصاص ." (١)

" وثمرته وإن حصلت ضرورة بالذات : لم يمتنع أن يطلق عليها كونها كسبية باعتبار السبب والله أعلم

فصل ومن منازل إياك نعبد وإياك نستعين منزلة **الفتوة** هذه المنزلة

حقيقتها هي منزلة الإحسان إلى الناس وكف الأذى عنهم واحتمال أذاهم فهي استعمال حسن الخلق معهم فهي في الحقيقة نتيجة حسن الخلق واستعماله والفرق بينها وبين المروءة : أن المروءة أعم منها **فالفتوة** نوع من أنواع المروءة فإن المروءة استعمال ما يجمل ويزين مما هو مختص بالعبد أو متعد إلى غيره وترك ما يدنس ويشين مما هو مختص أيضا به أو متعلق بغيره و **الفتوة** إنما هي استعمال الأخلاق الكريمة مع الخلق

فهي ثلاثة منازل : منزلة التخلق وحسن الخلق ومنزلة **الفتوة** ومنزلة المروءة وقد تقدمت منزلة الخلق وهذه منزلة شريفة لم تعبر عنها الشريعة باسم **الفتوة** بل عبرت عنها باسم مكارم الأخلاق كما في حديث يوسف بن محمد بن المنكدر عن أبيه عن جابر رضي الله عنه عن النبي : إن الله بعثني لأتمم مكارم الأخلاق ومحاسن الأفعال وأصل **الفتوة** من الفتى وهو الشاب الحديث السن قال الله تعالى عن أهل الكهف : إنهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى الكهف : ١٣ وقال عن قوم إبراهيم : إنهم قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له إبراهيم الأنبياء : ٦٠ وقال تعالى عن يوسف ودخل معه السجن فتيان يوسف : ٣٦ وقال لفتيانه : اجعلوا بضاعتهم في رحالهم يوسف : ٦٢ ." (٢)

" فاسم الفتى لا يشعر بمدح ولا ذم كاسم الشاب والحدث ولذلك لم يجيء اسم **الفتوة** في القرآن ولا في السنة ولا في لسان السلف وإنما استعمله من بعدهم في مكارم الأخلاق وأصلها عندهم : أن يكون العبد أبدا : في أمر غيره

وأقدم من علمته تكلم في **الفتوة** جعفر بن محمد ثم الفضيل بن عياض والإمام أحمد وسهل بن عبدالله والجنيد ثم الطائفة فيذكر أن جعفر بن محمد سئل عن **الفتوة** فقال للسائل : ما تقول أنت فقال : إن أعطيت شكرت وإن منعت صبرت فقال : الكلاب عندنا

---

(١) مدارج السالكين، ٢/٢٩٥

(٢) مدارج السالكين، ٢/٣٤٠

كذلك فقال السائل : يا ابن رسول الله فما **الفتوة** عندكم فقال : إن أعطينا آثرنا وإن منعنا شكرنا وقال الفضيل بن عياض : **الفتوة** الصفح عن عثرات الإخوان وقال الإمام أحمد رضي الله عنه في رواية ابنه عبدالله عنه وقد سئل عن **الفتوة** فقال : ترك ما تهوى لما تخشى ولا أعلم لأحد من الأئمة الأربعة فيها سواه ." (١)

" وسئل الجنيد عن **الفتوة** فقال : لا تنافر فقيرا ولا تعارض غنيا وقال الحارث المحاسبي : **الفتوة** أن تنصف ولا تنتصف

وقال عمر بن عثمان المكي : **الفتوة** حسن الخلق وقال محمد بن علي الترمذي : **الفتوة** أن تكون خصما لربك على نفسك وقيل : **الفتوة** أن لا ترى لنفسك فضلا على غيرك وقال الدقاق : هذا الخلق لا يكون كماله إلا لرسول الله فإن كل أحد يقول يوم القيامة : نفسي نفسي وهو يقول : أمتي أمتي

وقيل : **الفتوة** كسر الصنم الذي بينك وبين الله تعالى وهو نفسك فإن الله حكى عن خليله إبراهيم عليه السلام : أنه جعل الأصنام جذاذا فكسر الأصنام له فالفتى من كسر صنما واحدا في الله وقيل : **الفتوة** أن لا تكون خصما لأحد يعني في حفظ نفسك وأما في حق الله **فالفتوة** : أن تكون خصما لكل أحد ولو كان الحبيب المصافيا وقال الترمذي : **الفتوة** أن يستوي عندكم المقيم والطارىء وقال بعضهم : **الفتوة** أن لا يميز بين أن يأكل عنده ولي أو كافر وقال الجنيد أيضا : **الفتوة** كف الأذى وبذل الندى وقال سهل : هي اتباع السنة وقيل : هي الوفاء والحفاظ وقيل : فضيلة تأتيها ولا ترى نفسك فيها وقيل : أن لا تحتجب ممن قصدك وقيل : أن لا تهرب إذا أقبل العافي يعني طالب المعروف وقيل : إظهار النعمة وإسرار المحنة وقيل : أن لا تدخر ولا تعتذر

وقيل : تزوج رجل بامرأة فلما دخلت عليه رأى بها الجدري فقال : اشتكيت عيني ثم قال : عميت فبعد عشرين سنة ماتت ولم تعلم أنه بصير فقيل له في ذلك فقال : كرهت أن يحزنها رؤيتي لما بها فقيل له : سبقت الفتيان وقيل : ليس من **الفتوة** أن تربح على صديقك ." (٢)

" واستضاف رجل جماعة من الفتيان فلما فرغوا من الطعام خرجت جارية تصب الماء على أيديهم فانقبض واحد منهم وقال : ليس من **الفتوة** أن تصب النسوان الماء على أيدي الرجال فقال آخر منهم : أنا منذ سنين أدخل إلى هذه الدار ولم أعلم أن امرأة تصب الماء على أيدينا أو رجلا وقدم جماعة فتيان لزيارة فتى فقال الرجل : يا غلام قدم السفرة فلم يقدم فقالها ثانياوثالثا فلم يقدم فنظر بعضهم إلى بعض وقالوا : ليس من **الفتوة** أن يستخدم الرجل من يتعاصى عليه في تقديم السفرة كل هذا فقال الرجل : لم أبطأت بالسفرة فقال الغلام : كان عليها نمل فلم يكن من الأدب تقديم السفرة إلى الفتيان مع النمل ولم يكن من **الفتوة** إلقاء النمل وطردهم عن الزاد فلبثت حتى دب النمل فقالوا : يا غلام مثلك يخدم الفتيان

---

(١) مدارج السالكين، ٢/ ٣٤١

(٢) مدارج السالكين، ٢/ ٣٤٢

ومن الفتوة التي لا تلحق : ما يذكر أن رجلا نام من الحاج في المدينة ففقد هميانا فيه ألف دينار فقام فزعا فوجد جعفر بن محمد فعلق به وقال : أخذت همياني فقال : أي شيء كان فيه قال : ألف دينار فأدخله داره ووزن له ألف دينار ثم إن الرجل وجد هميانه فجاء إلى جعفر معتذرا بالمال فأبى أن يقبله منه وقال : شيء أخرجته من يدي لا أسترده أبدا فقال الرجل للناس : من هذا فقالوا : هذا جعفر بن محمد رضي الله عنه

فصل قال صاحب المنازل نكتة الفتوة : أن لا تشهد لك فضلا ولا ترى

لك حقا يقول : قلب الفتوة وإنسان عينها : أن تفنى بشهادة نقصك وعيبك عن فضلك وتغيب بشهادة حقوق الخلق عليك عن شهادة حقوقك عليهم والناس في هذا مراتب فأشرفها : أهل هذه المرتبة وأخسها : عكسهم ." (١)

" وهم أهل الفناء في شهود فضائلهم عن عيوبهم وشهود حقوقهم على الناس عن شهود حقوق الناس عليهم

وأوسطهم : من شهد هذا وهذا فيشهد ما في العيب والكمال ويشهد حقوق الناس عليه وحقوقه عليهم قال : وهي على ثلاث درجات الدرجة الأولى : ترك الخصومة والتغافل عن الزلة ونسيان الأذية هذه الدرجة من باب الترك والتخلي وهي أن لا يخاصم أحدا فلا ينصب نفسه خصما لأحد غيرها فهي خصمه

وهذه المنزلة أيضا ثلاث درجات لا يخاصم بلسانه ولا ينوي الخصومة بقلبه ولا يخطرها على باله هذا في حق نفسه

وأما في حق ربه : فالفتوة أن يخاصم بالله وفي الله ويحاكم إلى الله كما كان النبي يقول في دعاء الاستفتاح : وبك خاصمت وإليك حاكمت وهذه درجة فتوة العلماء الدعاة إلى الله تعالى وأما التغافل عن الزلة فهو أنه إذا رأى من أحد زلة يوجب عليه الشرع أخذه بها : أظهر أنه لم يرها لئلا يعرض صاحبها للوحشة ويريحه من تحمل العذر وفتوة التغافل : أرفع من فتوة الكتمان مع الرؤية

قال أبو علي الدقاق : جاءت امرأة فسألت حاتما عن مسألة فاتفق أنه خرج منها صوت في تلك الحالة فخجلت فقال حاتم : ارفعي صوتك فأوهمها أنه أصم فسرت المرأة بذلك وقالت : إنه لم يسمع الصوت فلقب بحاتم الأصم وهذا التغافل هو نصف الفتوة

وأما نسيان الأذية فهو بأن تنسى أذية من نالك بأذى ليصفو قلبك له ولا تستوحش منه قلت : وهنا نسيان اخر أيضا وهو من الفتوة وهو نسيان إحسانك إلى ." (٢)

" وفي علم الخصوص : من طلب نور الحقيقة على قدم الاستدلال لم يحل له دعوى الفتوة أبدا وهذا موضع عظيم يحتاج إلى تبيين وتقدير والمراد : أن السائر إلى الله يسير على قدم اليقين وطريق البصيرة والمشاهدة فوقوفه مع الدليل : دليل على أنه لم يشم رائحة اليقين والمراد بهذا : أن المعرفة عندهم ضرورية لا استدلالية وهذا هو الصواب ولهذا لم تدع الرسل قط الأمم إلى الإقرار بالصانع سبحانه وتعالى وإنما دعوهم إلى عبادته وتوحيده وخاطبوهم خطاب من لا شبهة عنده قط في الإقرار بالله تعالى ولا هو محتاج إلى الاستدلال عليه ولهذا : قالت لهم رسلهم : أفي الله شك فاطر السموات والأرض إبراهيم

---

(١) مدارج السالكين، ١ ٢/٣٤٣

(٢) مدارج السالكين، ١ ٢/٣٤٤

: ١٠ وكيف يصح الاستدلال على مدلول هو أظهر من دليله حتى قال بعضهم : كيف أطلب الدليل على من هو دليل على كل شيء فتقيد السائر بالدليل وتوقفه عليه دليل على عدم يقينه بل إنما يتقيد بالدليل الموصل له إلى المطلوب بعد معرفته به فإنه يحتاج بعد معرفته إلى دليل يوصله إليه ويدله على طريق الوصول إليه وهذا الدليل : هو الرسول فهو موقوف عليه يتقيد به لا يخطو خطوة إلا وراءه

وأيضافالقوم يشيرون إلى الكشف ومشاهدة الحقيقة وهذا لا يمكن طلبه بالدليل أصلا ولا يقال : ما الدليل على حصول هذا وإنما يحصل بالسلوك في منازل السير وقطعها منزلة منزلة حتى يصل إلى المطلوب فوصوله إليه بالسير لا بالاستدلال بخلاف وصول المستدل فإنه إنما يصل إلى العلم ومطلوب القوم وراءه والعلم منزلة من منازلهم كما سيأتي ذكرها إن شاء الله تعالى ولهذا يسمون أصحاب الاستدلال : أصحاب القال وأصحاب الكشف : أصحاب الحال والقوم عاملون على الكشف الذي يحصل بنور العيان لا على العلم الذي ينال بالاستدلال والبرهان ." (١)

" وهذا موضع غلط واشتباه فإن الدليل في هذا المقام شرط وكذلك العلم وهو باب لا بد من دخوله إلى المطلوب ولا يوصل إلى المطلوب إلا من بابه كما قال تعالى : وائتوا البيوت من أبوابها البقرة : ١٨٩ ثم إنه يخاف على من لا يقف مع الدليل ما هو أعظم الأمور وأشدها خطرا وهو الانقطاع عن الطلب بالكلية والوصول إلى مجرد الخيال والمحال فمن خرج عن الدليل : ضل سواء السبيل

فإن قيل : تعلقه في المسير بالدليل : يفرق عليه عزمه وقلبه فإن الدليل يفرق والمدلول يجمع فالسالك يقصد الجمعية على المدلول فماله ولتفرقة الدليل قيل : هذه هي البلية التي لأجلها أعرض من أعرض من السالكين عن العلم ونهى عنه وجعلت علة في الطريق ووقع هذا في زمن الشيوخ القدماء العارفين فأنكروه غاية الإنكار وتبرأوا منه ومن قائله وأوصوا بالعلم وأخبروا أن طريقهم مقيدة بالعلم لا يفلح فيها من لم يتقيد بالعلم والجنيد كان من أشد الناس مبالغة في الوصية بالعلم وحثا لأصحابه عليه والتفرق في الدليل خير من الجمعية على الوهم والخيال فإنه لا يعرف كون الجمعية حقا إلا بالدليل والعلم فالدليل والعلم ضروريان للصادق لا يستغنى عنهما نعم يقينه ونور بصيرته وكشفه : يغنيه عن كثير من الأدلة التي يتكلفها المتكلفون وأرباب القال فإنه مشغول عنها بما هو أهم منها وهو الغاية المطلوبة

مثاله : أن المتكلم يفني زمانه في تقرير حدوث العالم وإثبات وجود الصانع وذلك أمر مفروغ منه عند السالك الصادق صاحب اليقين فالذي يطلبه هذا الاستدلال الذي هو عرضة الشبه والأسئلة والإيرادات التي لا نهاية لها هو كشف ويقين للسالك فتقيده في سلوكه بحال هذا المتكلم انقطاع وخروج عن الفتوة وهذا حق لا ينازع فيه عارف فترى المتكلم يبحث في الزمان والمكان ." (٢)

" يريدك ولا يريد منك بل إرادته مقصورة عليك وعلى مرضاتك والثاني : يريد منك ولا يريدك بل إرادته مقصورة على حظوظه منك والثالث : يريدك ويريد منك والرابع : لا يريدك ولا يريد منك بل هو متعلق القلب ببعض عبيدك فله

---

(١) مدارج السالكين، ٢/١ ٣٤٧

(٢) مدارج السالكين، ٢/١ ٣٤٨

يريد ومنه يريد فإن آثر العبيد عندك وأحبهم إليك وأقربهم منك منزلة والمخصوص من إكرامك وعطائك بما لا يناله العبيد الثلاثة : هو الأول هكذا نحن عندالله سواء وأما قوله : ولا تقف في شهودك على رسم فيعني : أن لا يكون منك نظر إلى السوي عند الشهود كما تقدم مرارا وهذا عند القوم غير مكتسب فإن الشهود إذا صح محا الرسوم ضرورة في نظر الشاهد فلا حاجة إلى أن يشرط عليه عدم الوقوف عليها والشهود الصحيح ماح لها بالذات لكن أوله قد لا يستغني عن الكسب ونهايته لا تقف على كسب قال : واعلم أن من أحوج عدوه إلى شفاعة ولم يخجل من المعذرة إليه : لم يشم رائحة **الفتوة**

يعني أن العدو متى علم أنك متألم من جهة ما نالك من الأذى منه احتاج إلى أن يعتذر إليك ويشفع إليك شافعا يزيل ما في قلبك منه **فالفتوة** كل **الفتوة** : أن لا تحوجه إلى الشفاعة بأن لا يظهر له منك عتب ولا تغير عما كان له منك قبل معاداته ولا تطوي عنه بشرك ولا برك وإذا لم تخجل أنت من قيامه بين يديك مقام المعتذر لم يكن لك في **الفتوة** نصيب

ولا تستعظم هذا الخلق فإن للفتيان ما هو أكبر منه ولا تستصعبه فإنه موجود في كثير من الشطار والعشراء الذين ليس لهم في حال المعرفة ولا في لسانها نصيب فأنت أيها العارف أولى به ." (١)

" قال : وفي علم الخصوص : من طلب نور الحقيقة على قدم الاستدلال : لم يحل له دعوى **الفتوة** أبدا كأنه يقول : إذا لم تحوج عدوك إلى العذر والشفاعة ولم تكلفه طلب الاستدلال على صحة عذره فكيف تحوج وليك وحبيبك إلى أن يقيم لك الدليل على التوحيد والمعرفة ولا تشير إليه حتى يقيم لك دليلا على وجوده ووحدانيته وقدرته ومشيئته فأين هذا من درجة **الفتوة**

وهل هذا إلا خلاف **الفتوة** من كل وجه

ولو أن رجلا دعاك إلى داره فقلت للرسول : لا آتي معك حتى تقيم لي الدليل على وجود من أرسلك وأنه مطاع وأنه أهل أن يغشى بابه لسكنت في دعوى **الفتوة** زنيما فكيف بمن وجوده ووحدانيته وقدرته وربوبيته وإلهيته : أظهر من كل دليل تطلبه فما من دليل يستدل به إلا ووحدانية الله وكماله أظهر منه فإقرار الفطر بالرب سبحانه خالق العالم : لم يوقفها عليه موقف ولم تحتج فيه إلى نظر واستدلال : أفي الله شك فاطر السموات والأرض إبراهيم : ١٠ فأبعد الناس من درجة **الفتوة** : طالب الدليل على ذلك

وليس يصح في الأذهان شيء ... إذا احتاج النهار إلى دليل

فصل ومن منازل إياك نعبد وإياك نستعين منزلة المروءة

المروءة فعولة من لفظ المرء **كالفتوة** من الفتى والإنسانية من الإنسان ولهذا كان حقيقتها : اتصاف النفس بصفات الإنسان التي فارق بها الحيوان البهيم والشيطان الرجيم فإن في النفس ثلاثه دواع متجاذبة : داع يدعوها إلى الاتصاف بأخلاق الشيطان : من الكبر والحسد والعلو والبغي والشر والأذى والفساد والغش وداع يدعوها إلى أخلاق الحيوان وهو داعي الشهوة ." (٢)

---

(١) مدارج السالكين، ٢/١ ٣٥٠

(٢) مدارج السالكين، ٢/١ ٣٥١

" وداع يدعوها إلى أخلاق الملك : من الإحسان والنصح والبر والعلم والطاعة فحقيقة المروءة : بغض ذينك الداعيين وإجابة الداعي الثالث وقلة المروءة وعدمها : هو الاسترسال مع ذينك الداعيين والتوجه لدعوتهما أين كانت فالإنسانية والمروءة والفتوة : كلها في عصيان الداعيين وإجابة الداعي الثالث

كما قال بعض السلف : خلق الله الملائكة عقولا بلا شهوة وخلق البهائم شهوة بلا عقول وخلق ابن آدم وركب فيه العقل والشهوة فمن غلب عقله شهوته : التحق بالملائكة ومن غلبت شهوته عقله : التحق بالبهائم ولهذا قيل في حد المروءة : إنها غلبة العقل للشهوة وقال الفقهاء في حدها : هي استعمال ما يجمل العبد ويزينه وترك ما يدنسه ويشينه وقيل : المروءة استعمال كل خلق حسن واجتناب كل خلق قبيح وحقيقة المروءة تجنب للدنايا والرذائل من الأقوال والأخلاق والأعمال فمروءة اللسان : حلاوته وطيبه ولينه واجتناء الثمار منه بسهولة ويسر ومروءة الخلق : سعته وبسطه للحبيب والبغيض ومروءة المال : الإصابة ببذله مواقعه المحمودة عقلا وعرفا وشرعا ومروءة الجاه : بذله للمحتاج إليه ومروءة الإحسان : تعجيله وتيسيره وتوفيره وعدم رؤيته حال وقوعه ونسيانه بعد وقوعه فهذه مروءة البذل

وأما مروءة الترك : فترك الخصام والمعاتبة والمطالبة والمماراة والإغضاء عن عيب ما يأخذه من حقك وترك الاستقصاء في طلبه والتغافل عن عثرات ." (١)

" المروءة : تسليمه على ما فيه من العيوب وتقاضي الثمن كاملاأو رؤية منته في هذا الإصلاح وأنه هو المتولي له لا أنت فيغنيك الحياء منه عن رسوم الطبيعة والاشتغال بإصلاح عيوب نفسك عن التفاتك إلى عيب غيرك وشهود الحقيقة عن رؤية فعلك وصلاحك

وكل ما تقدم في منزلة الخلق و الفتوة فإنه بعينه في هذه المسألة فلذلك اقتصرنا منها على هذا القدر وصاحب المنازل رحمه الله استغني بما ذكر في الفتوة والله أعلم

فصل ومن منازل إياك نعبد وإياك نستعين منزلة البسط والتخلي عن القبض

وهي منزلة شريفة لطيفة وهي عنوان على الحال وداعية لمحبة الخلق

وقد غلط صاحب المنازل حيث صدرها بقوله تعالى حاكيا عن كليمه موسى عليه الصلاة و السلام : إن هي إلا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدي من تشاء الأعراف : ١٥٥ وكأنه فهم من هذا الخطاب : انبساطا بين موسى وبين الله تعالى حمله على أن قال : إن هي إلا فتنتك وسمعت بعض الصوفية يقول لآخر وهما في الطواف لما قال : إن هي إلا فتنتك تدارك هذا الانبساط بالتذلل بقوله : أنت ولينا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الغافرين الأعراف : ١٥٥ أو نحو من هذا الكلام

وكل هذا وهم وفهم خلاف المقصود فالفتنة ههنا : هي الامتحان والاختبار كقوله تعالى : وكذلك فتنا بعضهم ببعض ليقولوا : أهؤلاء من الله عليهم من بيننا وقوله : وأن لو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماء غدقا لنفتنهم فيه الجن

---

(١) مدارج السالكين، ٢/٣٥٢

: ١٦١٧ وقوله : ونبلوكم بالشر والخير فتنة الأنبياء : ٣٥ والمعنى : أن هذه الفتنة اختبار منك لعبدك وامتحان تضل بها من تشاء وتهدي من تشاء فأى تعلق لهذا بالانبساط وهل هذا إلا توحيد وشهود ." (١)

" للحكمة وسؤال للعصمة والمغفرة وليس للعارف في هذه المنزلة حظ مع الله وإنما هي متعلقة بالخلق

وصاحب المنازل : جعلها ثلاث درجات الأولى : مع الناس والثانية والثالثة : مع الله وسنبين ما في كلامه بحول الله وقوته وتوفيقه قال : الانبساط : إرسال السجية والتحاشي من وحشة الحشمة السجية الطبع وجمعها سجايا يقال : سجية وخليفة وطبيعة وغريزة و إرسالها تركها في مجراها

والتحاشي من وحشة الحشمة التحاشي : هو تجنب الوحشة الواقعة بينك وبين من تحبه وتخدمه فإن مرتبته تقتضي احتشامه والحياء منه وإجلاله عن انبساطك إليه وذلك نوع وحشة فالانبساط : إزالة تلك الوحشة لا تسقطك من عينه بل تزيدك حبا إليه ولا سيما إذا وقع في موقعه قال : وهو السير مع الجبلة أي المشي مع ما جبل الله عليه العبد من الأخلاق من غير تكلف

قال : وهو على ثلاث درجات الدرجة الأولى : الانبساط مع الخلق وهو أن لا تعتزلهم ضنا على نفسك أو شحا على حظك وتسترسل له في فضلك وتسعهم بخلقك وتدعهم يطؤونك والعلم قائم وشهود المعنى دائم يريد : لا تبخل عليهم بنفسك فيحملك ذلك البخل على اعتزالهم وتشح بحظك في الخلوة وراحة العزلة : أن تذهب بمخالطتهم بل تحملك السماحة والجود والبذل على أن تترك ذلك لراحة إخوانك بك وانتفاعهم بمجالستك فتتكرم عليهم بحظك في عزلتك وخلوتك وتؤثرهم به على نفسك وهذا من الفتوة والمروءة والتخلق ضد من أضدادها قوله : وتسترسل لهم في فضلك ." (٢)

" وبحمدك لك الحمد على حلمك بعد علمك واثنان يقولان : سبحانك اللهم ربنا وبحمدك لك الحمد على عفوك بعد قدرتك ولهذا يقترن كل من هاتين الصفتين بالأخرى كقوله : والله عليم حليم وقوله : وكان الله عفوا قديرا

وكذلك قول إبراهيم الخليل صلى الله عليه و سلم الذي خلقني فهو يهدين والذي هو يطعمني ويسقين وإذا مرضت فهو يشفين الشعراء : ٧٨٨٠ ولم يقل وإذا أمرضني حفظا للأدب مع الله

وكذلك قول الخضر عليه السلام في السفينة : فأردت أن أعيبها الكهف : ٧٩ ولم يقل فأراد ربك أن أعيبها وقال في الغلامين : فأراد ربك أن يبلغا أشدهما الكهف : ٨٢

وكذلك قول مؤمني الجن : وأنا لا ندري : أشر أريد بمن في الأرض الجن : ١٠ ولم يقولوا : أراده ربهم ثم قالوا : أم أراد بهم ربهم رشدا وألطف من هذا قول موسى عليه السلام : رب إني لما أنزلت إلي من خير فقير القصص : ٢٤ ولم يقل أطعمني وقول آدم عليه السلام : ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين الأعراف : ٢٣ ولم يقل :

---

(١) مدارج السالكين، ٢/١ ٣٥٤

(٢) مدارج السالكين، ٢/١ ٣٥٥

رب قدرت علي وقضيت علي وقول أيوب عليه السلام : مسني الضر وأنت أرحم الراحمين الأنبياء : ٨٣ ولم يقل فعافني واشفني

وقول يوسف لأبيه وإخوته : هذا تأويل رؤياي من قبل قد جعلها ربي حقا وقد أحسن بي إذا أخرجني من السجن يوسف : ١٠٠ ولم يقل : أخرجني من الجب حفظا للأدب مع إخوته وتفتيا عليهم : أن لا يخجلهم بما جرى في الجب وقال : وجاء بكم من البدو ولم يقل : رفع عنكم جهد الجوع والحاجة أدبا معهم وأضاف ما جرى إلى السبب ولم يضفه إلى المباشر الذي هو أقرب إليه منه فقال : من بعد أن نزع الشيطان بيني وبين إخوتي فأعطى الفتوة ." [1]

"البحر : – (تصابى فأضحى بعد سلوتِهِ صبًّا ** و عاودَ عمروٌ طوْقَه بعدَ ما شَبَّا) (و مرَّ به رَطْبُ البَنانِكأنه ** يُميِّلُ من أعطافِهِ غُصُناً رَطْبا) (نَشرْتُ له صَدْرَ العِتابفقال لي ** ظَفِرْتَ بنا فَاطْوِ العِتابَلك العُتبى) ٤ (و لا وصْلَ إلا أن تَبيتَ أكُفُّنا ** ركائبَ تُزْجي من مُدامتِنا رَكْبا) ٥ (فجدِّدْ بها عهدَ التَّواصُلِ بينَنا ** و داوِ بها شَوقاً ونَفِّسْ بها كَرْبا) ٦ (و كنْيا بْنَ فهْدٍ في الفُتوَّةِ عاذري ** فما زِلتَ خِدْناً للفُتوَّةِ أو تِرَبا) ٧ (و لا تَجعَلِ الذَّنْبَ العظيمَ خيانةً ** فليسَ مليحُ الذَّنبِ مُقترفاً ذَنْبا)

". [2]

"ص –٣٤٩– فيها الذي والله لا عين رأت كلا ولا سمعت به أذنان

كلا ولم يخطر على قلب امرئ فيكون عنه معبرا بلسان

فيرى امرءا من فوقه في هيئة فيروعه ما تنظر العينان

فإذا عليه مثلها إذ ليس يلـ حق أهلها شيء من الأحزان

واها لذا السوق الذي من حله نال التهاني كلها بأمان

يدعى بسوق تعارف ما فيه من صخب ولا غش ولا أيمان

وتجارة من ليس تلهيه تجا رات ولا بيع عن الرحمن

أهل المروة والفتوة والتقى والذكر للرحمان كل أوان

يا من تعوض عنه بالسوق الذي ركزت لديه راية الشيطان

لو كنت تدري قدر ذاك السوق لم تركن إلى سوق الكساد الفاني

فصل: في حالهم عند رجوعهم إلى أهليهم ومنازلهم

فإذا هم رجعوا إلى أهليهم بمواهب حصلت من الرحمن

قالوا لهم أهلا ورحبا ما الذي أعطيتم من ذا الجمال الثاني

---

(١) مدارج السالكين، ٢/١ ٣٨٠

(٢) ديوان السري الرفاء، ١ ص/١٨٦

والله لازددتم جمالا فوق ما كنتم عليه قبل هذا الآن

قالوا وأنتم والذي أنشاكم قد زدتم حسنا على الإحسان

لكن يحق لنا وقد كنا إذا جلساء رب العرش ذي الرضوان." (١)

"١(و اسنحْ نقصٌ عليكَ منْ أنبائها ** ما كانَ منها قائماً وحصيدا)(يا ليتَ شعري هلْ لعيشٍ بالحمى ** زمنٌ تألفَ شملهُ فيعودا)(وطنٌ عهدتُ بِهِ حبيباً زائراً ** و هوىً يطيبُ ومعهداً معهودا)٤ (و زمانُ أنسٍ بالوصالِ وجيرةٍ ** كانوا فبانوا منزلاً و صدودا)٥ (نزلوازبيدَ فليتَ كلَّ غمامةٍ ** تسقى منازلَ نازلينَ زبيدا)٦ (أرضٌ غدا روضَ المروءةِ ناضراً ** فيها وطلعُ المكرماتِ نضيدا)٧ (و بلادٌ اشتملتْ جوانبهاعلى ** أملِ العناةِ صوادراً وورودا)٨ (قمرُ الفتوةِ عصمةُ العربِ الذي ** لولاهُ لمْ يكنِاالجداموجودا)٩ (إنَّ ابنَ إسماعيلَ أحمَدَلمْ يزلْ ** في سلكِ أربابِ الوفامعدودا)٠ (زرهُتجددهُ العالمينَ ودارهُ ال ** دنياو سائرَ منْ لقيتَ وفودا)

". (٢)

" ١ – (تفتيت بها إذ كره ... الشكة أمثالي)

٢ – (كجيب الدفنس الورها ... عريعت بعد إجفال)

وقال ربيعة بن مقروم تقدمت ترجمته

٣ – (أخوك أخوك من تدنو وترجو ... مودته وإن دعي استجابا)

٤ – (إذا حاربت حارب من تعادي ... وزاد سلاحه منك اقترابا)

٥ – (وكنت إذا قريني جاذبته ... حبالي مات أو تبع الجذابا)

٦ – (فإن أهلك فذي حنق لظاه ... علي تكاد تلتهب التهابا)

---

١ – تفتيت أي تخلقت بأخلاق الفتيان والشكة ما يلبس من السلاح والمعني أنه وجد الفتوة في نفسه مع كبره وضعفه عن حمل السلاح كالشيوخ أمثاله لضعفهم عنه وكراهتهم له يريد بهذا البيت أنه طعن رجلين كانا على فرس في حرب البسوس فانتظما في رمحه من قوة الطعنة

٢ – الدفنس الحمقاء والورهاء قليلة العقل وريعت أي أخيفت والأجفال الإسراع في المشي والمعنى أن هذه الطعنة لقوتها اتسع محلها كاتساع جيب المرأة الحمقاء التي تسرع في المشي وهي خائفة وربما مزقت جيبها في هذه الحالة

٣ – أخوك الثاني توكيد للأول ومعناه أن أخاك الصادق الإخاء من تدنو منه بالقرب ونرجو مودته بالصدق وإذا دعوته لأمر اعتراك أجابك

---

(١) متن القصيدة النونية، ١ /٣٤٧/٢

(٢) ديوان البرعي، ١ ص/٣٦١

٤ – إذا حاربت الخ معناه إذا حاربت عدوك قرب منك هذا المؤاخى لك ومعه سلاحه ليعينك

٥ – وكنت الخ معناه أن حبالي متينة محكمة القوى فإذا جاذبت خصمي بها مات قبل وصوله إلى أو صار منقادا لي ذليلا بجذبي له

٦ فذي حنق أي رب ذي حنق والحنق ." (١)

" ١ – (فإن تك أفنته الليالي وأوشكت ... فإن له ذكرا سيفني اللياليا)

وقالت امرأة من كندة

٢ – (لا تخبروا الناس إلا أن سيدكم ... أسلمتموه ولو قاتلتم امتنعا)

٣ – (أنعى فتى لم تذر الشمس طالعة ... يوما من الدهر إلا ضر أو نفعا)

وقالت امرأة من بني أسد

٤ – (خليلي عوجا إنها حاجة لنا ... على قبر أهبان سقته الرواعد)

٥ – (فثم الفتى كل الفتى كان بينه ... وبين المزجى نفنف متباعد)

---

١ – أوشكت أي أسرعت والمعنى لئن أسرعت الليالي في هلاكه فإن ذكره باق لا يفنى

٢ – لا تخبروا الخ هذا تهكم وسخرية يشوبه تعيير وتوبيخ تريد أنكم قد ارتكبتم أمرا عظيما بتسليمكم سيدكم فاستروا أمركم ولا تنبئوا الناس به المعنى لا تخبروا الناس بخذلانكم لسيدكم لأن ذلك عار عليكم إذ لو لم تسلموه لأعدائه وقاتلتم دونه لاشتدت وطأته عليهم ولم يصلوا إليه

٣ – ذرور الشمس انتشارها في الجو والمعنى أنا أخبركم بموت رجل شريف لم تطلع عليه شمس يوم إلا نفع أصدقاءه أو ضر أعداءه

٤ – عاج بالمكان أقام به والرواعد السحب التي لها رعد والمعنى يا خليلي قفا على قبر أهبان سقته السحب الماطرة فإن في الوقوف حاجة لنا لا بد من قضائها

٥ – المزجي الضعيف والنفنف المهواة بين الجبلين والمعنى إنما أمرتكم بالوقوف على هذا القبر لأن به فتى كامل الفتوة بينه وبين الضعيف مهواة بعيدة حتى لا التقاء بينهما ولا تدان ." (٢)

" وقال رقيبة الجرمي

١ – (أقول وفي الأكفان أبيض ماجد ... كغصن الأراك وجهه حين وسما)

٣ – (أحقا عباد الله أن لست رائيا ... رفاعة بعد اليوم إلا توهما)

٢ – (فأقسم ما جشمته من ملمة ... تؤد كرام القوم إلا تجشما)

---

(١) ديوان الحماسة، ا ١/٢١٠

(٢) ديوان الحماسة، ا ١/٤٠٤

٣ – (ولا قلت مهلا وهو غضبان قد غلا ... من الغيظ وسط القوم إلا تبسما)

وقال آخر

٥ – (ألا لا فتى بعد ابن ناشرة الفتى ... ولا عرف إلا قد تولى فأدبرا)

٦ – (فتى حنظلي ما تزال ركابه ... تجود بمعروف وتنكر منكرا)

مجرى الأسماء وقوله غير عبد أي هو عبد لأصحابه في خدمته لهم وكفايته أمورهم وغير عبد في الرق والملك والمعنى كان غير كسلان ولا متوان بل كان ذا سرعة وخبرة وكان عبد ود لأصحابه لا عبد رق

١ – الأبيض الماجد الكريم الشريف ووسم خرج قليلا

٢ – أحقا انتصب على الظرفية ومعنى البيتين أقول في حال مالف في الأكفاق شريف كريم معتدل القامة كغصن البان وجهه وسيم حين نبت عذاره أفي الحق يا عباد الله أني لا أرى رفاعة بعد هذا اليوم طول الدهر إلا متوهما

٣ – تجشم تكلف والمعنى ما كلفته بأمر يصعب حمله على الكرام إلا تحمله

٤ – المعنى أني ما قلت له مهلا حال غضبه الشديد بين القوم إلا تهلل وجهه بالتبسم

٥ – لا فتى مبتدأ محذوف الخبر ولا عرف مثله والمعنى ذهبت الفتوة والمروءة من الناس وأدبر المعروف بعد ابن ناشرة

٦ فتى خبر مبتدأ محذوف والمعنى هو ." (١)

" ١ – (ألا هلك المكسر يالبكر ... فأودى الباع والحسب التليد)

٢ – (ألا هلك المكسر فاستراحت ... حوافي الخيل والحي الحريد)

وقال ابن أهبان الفقعسي يرثي أخاه

٣ – (على مثل همام تشق جيوبها ... وتعلن بالنوح النساء الفواقد)

٤ – (فتى الحي إن تلقاه في الحي أو يرى ... سوى الحي أو ضم الرجال المشاهد)

٥ – (إذا نازع القوم الأحاديث لم يكن ... عييا ولا ربا على من يقاعد)

---

١ – المكسر اسم رجل وأودى هلك والباع الكرم مجازا والحسب الشرف والتليد القديم يتلهف ويتحسر قائلا لقد هلك المكسر فمات بموته الجود والشرف القديم

٢ – الحفاء رقة القدم والحريد المنفرد يصفه بأنه كان يبعد الغزو فلا يبقى على الخيل وإن حفيت لقوته وشجاعته فلما مات استراحت الخيل وذهب ما بها من الحفاء واطمأن الحي المنفرد الذي كان يروعه ويفزعه وقت الإغارة

---

(١) ديوان الحماسة، ١ /٤٠٨

٣ – من عادتهم أنهم يذكرون المثل ويريدون الممدوح صيانة له ونزاهة وليكون المدح بطريق أثبت وسبيل أقوم وهو طريق الكناية والفواقد جمع فاقدة وهي التي مات زوجها والمعنى أن هماما حقيق بأن تشق النساء الفاقدات جيوبهن ويرفعن أصواتهن بالنوح تحسرا وجزعا عليه

٤ – المعنى أن هذا الفقيد إن تلقه في الحي أو في مكان غيره أو عند حصول وفود الرجال في مجامع الملوك تلق **الفتوة** والرئاسة له في كل حال مسلمة إليه

٥ – التنازع التناول والمعنى أن هذا الفتى إذا جالس القوم وتناول معهم أطراف الأحاديث لم يكن عييا ولا متكبرا على من يجالسه ." (١)

" ١ – (أخا طارقا أو جار بيت فإنني ... أخاف مذمات الأحاديث من بعدي)

٢ – (وإني لعبد الضيف ما دام ثاويا ... وما في إلا تلك من شيمة العبد)

وقال آخر

٣ – (وليس فتى الفتيان من جل همه ... صبوح وإن أمسى ففضل غبوق)

٤ – (ولكن فتى الفتيان من راح أو غدا ... لضر عدو أو لنفع صديق)

وقال حزاز بن عمرو من بني عبد مناف

بمؤاكلته والمعنى أن حاتما الطائي يقول لزوجته إذا فرغت من اتخاذ الزاد وإعداده فاطلبي من أجله من يؤاكلني فإني لم أعود نفسي الأكل وحدي

١ – أخا طارقا بدل من أكيلا في البيت الذي قبله والطارق الذي يأتي ليلا فإنني الخ معناه أنه لا يسرني أن يذمني الناس بعد حياتي ويصفوني بالبخل إذا تكلموا في شأن الجود والكرم

٢ – ثاويا أي مقيما معناه أني أقوم بخدمة الضيف مدة إقامته عندي وما في من شيء يقال له خدمة إلا خدمتي للضيف والمراد من ذلك أنه من أهل الجود والسيادة

٣ – الصبوح الشرب في أول النهار والغبوق الشرب في آخره

٤ – راح من الرواح وهو من زوال الشمس إلى الليل وغدا من الغدو وهو من أول النهار إلى الزوال ومعناه مع البيت الذي قبله ليس الفتى الكامل **الفتوة** ." (٢)

" ١ – (فإن بني لأم بن عمر وأرومة ... سمت فوق صعب لا تنال مراقبه)

٢ – (أضاءت لهم أحسابهم ووجوههم ... دجى الليل حتى نظم الجزع ثاقبه)

و٣ – قال آخر

---

(١) ديوان الحماسة، ١ /٤٤١

(٢) ديوان الحماسة، ١ /٢٤٥

٤ - (يا أيها المتمني أن يكون فتى ... مثل ابن ليلى لقد خلى لك السبلا)

٥ - (أعدد نظائر أخلاق عددن له ... هل سب أحد أو سب أو بخلا)

الشديد قيل له بنو لأم

١ - الأرومة الأصل والمراقب واحدها مرقبة وهي المكان المشرف العالي يقف عليه الحارس يقول إن بني لأم بن عمرو سادة أعزاء سموا فوق صعب من المجد يشق الارتقاء إليه يريدان بني لأم حازوا من المجد والشرف مالا يرام

٢ - نظم الجزع أي حمل ناظمه على نظمه والجزع خرز فيه بياض وسواد تشبه به العيون والضمير من ثاقبه يعود إلى الجزع معناه أن أحسابهم ووجوههم أضاءت لهم ظلام الليل حتى حملت في ضمن ذلك ناظم الجزع على نظمه يشير بهذا البيت إلى أنهم من ذوي الجاه والحسب

٣ - هو محمد بن بشير الخارجي من بني خارجة بن عدوان وقد تقدمت ترجمته هذا الشعر يرثي به سليمان بن الحصين وكان خليلا مصافيا له وصديقا مخلصا فلما مات سليمان جزع عليه وحزن حزنا شديدا فرثاه بهذه الأبيات

٤ - مثل ابن ليلى هو سليمان بن الحصين وقوله لقد خلى لك السبلا أي لقد ترك لك الطرق في اكتساب مناقب الفتوة معناه يا من تمنى أن يكون مثل ابن ليلى في فتوته لقد خلي لك الطرق في اكتساب مناقب الفتوة

٥ - أو سب أي هل سبه أحد معناه أنه صاحب ." (١)

" ١ - (إذا ما صنعت الزاد فالتمسي له ... أكيلا فإني لست آكله وحدي)

٢ - (أخا طارقا أو جار بيت فإنني ... أخاف مذمات الأحاديث من بعدي)

٣ - (وإني لعبد الضيف ما دام ثاويا ... وما في إلا تلك من شيمة العبد)

وقال آخر

٤ - (وليس فتى الفتيان من جل همه ... صبوح وإن أمسى ففضل غبوق)

٥ - (ولكن فتى الفتيان من راح أو غدا ... لضر عدو أو لنفع صديق)

---

١ - إذا ما صنعت الزاد أي إذا فرغت من إعداد الزاد والأكيل من يؤاكلك والمعنى أن حاتما الطائي يقول لزوجته إذا فرغت من اتخاذ الزاد وإعداده فاطلبي من أجله من يؤاكلني فإني لم أعود نفسي الأكل وحدي

٢ - أخا طارقا بدل من أكيلا في البيت الذي قبله والطارق الذي يأتي ليلا فإنني الخ معناه أنه لا يسرني أن يذمني الناس بعد حياتي ويصفوني بالبخل إذا تكلموا في شأن الجود والكرم

٣ - ثاويا أي مقيما معناه أني أقوم بخدمة الضيف مدة إقامته عندي وما في خصلة من خصال العبد إلا خدمتي للضيف والمراد من ذلك أنه من أهل الجود والسيادة

---

(١) ديوان الحماسة، ١ ٢٧٢/٢

٤ – من جل همه أي أكبر همه وقصده والصبوح الشرب في أول النهار والغبوق الشرب في آخره

٥ – راح من الرواح وهو من زوال الشمس إلى الليل وغدا من الغدو وهو من أول النهار إلى الزوال ومعناه مع البيت الذي قبله ليس الفتى الكامل **الفتوة** من يمضي أيامه في الأكل والشرب بل الفتى الكامل هو الذي يذل أعداءه ويعز أصدقاءه في كل أوقاته ." (١)

" أبو عبدالله إبراهيم بن محمد بن عرفة نفطويه بقرطبة قال دخلت على محمد بن داود الأصبهاني في مرضه الذي مات فيه فقلت له كيف تجدك قال حب من تعلم أورثني ما ترى فقلت له ما منعك عن الاستمتاع به مع القدرة عليه قال الاستمتاع على وجهين أحدهما النظر المباح والثاني اللذة المحظورة فأما النظر المباح فأورثني ما ترى وذكر القصة وستأتي في باب عفاف العشاق والمقصود أنه لم ير النظر إلى معشوقه ولا عشقه حراما وجرى على هذا المذهب أبو محمد بن حزم في كتاب طوق الحمامة له قالوا ونحن نحاكمكم إلى واحد يعد بآلاف مؤلفة وهو شيخ الإسلام ابن تيمية فإنه سئل

ما تقول السادة الفقهاء رضي الله عنهم في رجل عاشق في صورة وهي مصرة على هجره منذ زمن طويل لا تزيده إلا بعدا ولا يزداد لها إلا حبا وعشقه لهذه الصورة من غير فسق ولا خنى ولا هو ممن يدنس عشقه بزنى وقد أفضى به الحال إلى الهلاك لا محالة إن بقي مع محبوبه على هذه الحالة فهل يحل لمن هذه حاله أن يهجر وهل يجب وصاله علىالمحبوب المذكور وهل يأثم ببقائه على هجره وما يجب من تفاصيل أمرهما وما لكل واحد منهما على الآخر من الحقوق مما يوافق الشرع الشريف

فأجاب بخطه بجواب طويل قال في أثنائه فالعاشق له ثلاث مقامات ابتداء وتوسط ونهاية أما ابتداؤه فواجب عليه فيه كتمان ذلك وعدم إفشائه للخلق مراعيا في ذلك شرائط **الفتوة** من العفة مع القدرة فإن زاد به الحال إلىالمقام الأوسط فلا بأس بإعلام محبوبه بمحبته إياه فيخف بإعلامه وشكواه إليه ما يجد منه ويحذر من اطلاع الناس على ذلك فإن زاد به الأمر حتى خرج عن الحدود والضوابط التحق بالمجانين والموسوسين فانقسم العشاق ." (٢)

" عشق عشر سنين بما يبقى عاره وتنشر بالقبيح أخباره في ساعة تنفد لذتها وتبقى تبعتها إني إذا للئيم لم يغذني أصل كريم

وقال عباس الدوري كان بعض أصحابنا يقول كان سفيان الثوري كثيرا ما يتمثل بهذين البيتين

تفنى اللذاذة ممن نال صفوتها ... من الحرام ويبقى الوزر والعار

تبقى عواقب سوء في مغبتها ... لا خير في لذة من بعدها النار

وقال الحسين بن مطير

ونفسك أكرم عن أمور كثيرة ... فما لك نفس بعدها تستعيرها

ولا تقرب المرعى الحرام فإنما ... حلاوته تفنى ويبقى مريرها

---

(١) ديوان الحماسة، ٢/١ ٣١٠

(٢) روضة المحبين، ١ ص/١١٨

وقال الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه **الفتوة** ترك ما تهوى لما تخشى

وقال الخرائطي حدثنا إبراهيم بن الجنيد حدثنا عبدالله بن أبي بكر المقدمي حدثنا جعفر بن سليمان الضبعي قال سمعت مالك بن دينار يقول بينا أنا أطوف إذ أنا بجارية متعبدة متعلقة بأستار الكعبة وهي تقول يا رب كم من شهوة ذهبت لذتها وبقيت تبعتها أيا رب أما لك أدب إلا النار فما زال مقامها حتى طلع الفجر فلما رأيت ذلك وضعت يدي على رأسي خارجا أقول ثكلت مالكا أمه جويرية منذ الليلة قد بطلته

وطائفة بالبيت والليل مظلم ... تقول ومنها دمعها يتسجم

أيا رب كم من شهوة قد رزئتها ... ولذة عيش حبلها يتصرم ." (١)

" الأصنام التي في القلب بل المراد كسرها من القلب أولا قال الحسن بن علي المطوعي صنم كل إنسان هواه فمن كسره بالمخالفة استحق اسم **الفتوة** وتأمل قول الخليل لقومه ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون كيف تجده مطابقا للتمائيل التي يهواها القلب ويعكف عليها ويعبدها من دون الله قال الله تعالى أرأيت من اتخذ إلهه هواه أفأنت تكون عليه وكيلا أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلا

الحادي والأربعون أن مخالفة الهوى مطردة للداء عن القلب والبدن ومتابعته مجلبة لداء القلب والبدن فأمراض القلب كلها من متابعة الهوى ولو فتشت على أمراض البدن لرأيت غالبها من إيثار الهوى على ما ينبغي تركه

الثاني والأربعون أن أصل العداوة والشر والحسد الواقع بين الناس من اتباع الهوى فمن خالف هواه أراح قلبه وبدنه وجوارحه فاستراح وأراح قال أبو بكر الوراق إذا غلب الهوى أظلم القلب وإذا أظلم ضاق الصدر وإذا ضاق الصدر ساء الخلق وإذا ساء الخلق أبغضه الخلق وأبغضهم فانظر ماذا يتولد من التباغض من الشر والعداوة وترك الحقوق وغيرها

الثالث والأربعون أن الله سبحانه وتعالى جعل في العبد هوى وعقلا فأيهما ظهر توارى الآخر كما قال أبو علي الثقفي من غلبه هواه توارى عنه عقله فانظر عاقبة من استتر عنه عقله وظهر عليه خلافه وقال علي بن سهل رحمه الله العقل والهوى يتنازعان فالتوفيق قرين العقل والخذلان قرين الهوى والنفس واقفة بينهما فأيهما غلب كانت النفس معه ." (٢)

"من حملت: مفعول فاعرفن وفاعله النوى والهون بالفتح: الرفق، وبالضم: الهوان.

يقول للركائب: اعرفن الذي حملته عليكن النوى: وهو البعد. واعرفن حقه وامشين له مشياً ليناً، لئلا تتعبنه. وذلك يدل على عظم حال من عليهن.

قد كان يمنعني الحياء من البكا ... فاليوم يمنعه البكا أن يمنعا

البكا: يمد ويقصر.

يقول: قد كان في أول أمري يمنعني الحياء من البكاء لفقد الأحباء، فالآن تزايد الحب وغلب البكاء الحياء ومنعه من منعي

---

(١) روضة المحبين، ١ ص/٣٣٠

(٢) روضة المحبين، ١ ص/٤٨٢

عن البكاء، فصار الحياء ممنوعاً بعد أن كان مانعاً. ومثله قول بعض الأعراب:

قد كنت أعلو الحب حيناً فلم يزل ... بي النفض والإبرام حتى علانيا

حتى كأن لكل عظم رنةً ... في جلده ولكل عرقٍ مدمعا

حول الكلام عن الإخبار عن النفس إلى الغيبة.

فقال: وقد بلغ البكاء إلى حدٍّ حتى صار يبكي جميع جسد العاشق، فصار كل عرق منه يجري الجمع، وكل عظم أو عضو يرن رنيناً من ألم الفراق! وشدة الاشتياق! ويجوز أن يكون الهاء راجعاً إلى كل عضو.

وكفى بمن فضح الجداية فاضحاً ... لمحبه وبمصرعي ذا مصرعا

الجداية: الغزالة. ومن: في موضع الرفع، لأنه فاعل كفى ويجوز أن يكون فاضحاً تمييزاً أو حالاً، وذا في موضع الجر؛ لأنه بدل من مصرعي ومصرعاً نصب على التمييز. والمصرع: يجوز أن يكون اسماً، ومصدراً. وكلاهما محتمل في البيت.

يقول: كفى بمن فضح الغزالة بحسن جيده وعينه أن يكون فاضحاً لمحبه، وكفى بمصرعي هذا مصرعاً.

المعنى: أنه إذا فضح الغزالة، فليس بعجب أن يفضحني في حبه، وكفاني مصرعي يوم فراق من هذه حاله.

سفرت وبرقعها الفراق بصفرةٍ ... سترت محاجرها ولم تك برقعا

روى: الحياء والفراق.

يقول: هذه المرأة سفرت وجهها ومحاجرها، وقامت لها مقام البرقع، ولم تكن هذه صفرة برقعها.

فكأنها والدمع يقطر فوقها ... ذهبٌ بسمطي لؤلؤٍ قد رصعا

الهاء، في كأنها للصفرة وفي فوقها للمحاجر. ويجوز أن يكون في فوقها للصفرة أيضاً. والسمط: اسم لكل جانب من جوانب القلادة.

يقول: كأن صفرة وجهها والدمع فوقها، قلادة من ذهب رصع بلؤلؤ. وشبه الصفرة بالذهب والدمع باللؤلؤ لصفائه ورقته

كشفت ثلاث ذوائبٍ من شعرها ... في ليلةٍ فأرت ليالي أربعا

وروى: نشرت يقول: كشفت ثلاث ظلم، فصارت الليالي أربعاً. شبه كل ذؤابة منها بليلة لسوادها، ولم يجعلها قطعة من الليل؛ دلالة على كثرة الشعر ووفور السواد.

واستقبلت قمر السماء بوجهها ... فأرتني القمرين في وقتٍ معا

يقول: استقبلت القمر بوجهها، وهو قمر أيضاً، فأرتني قمرين معاً، أحدهما قمر السماء، والثاني وجهها. ومعاً: نصب على الحال، أي مصطحبين. وقيل: أراد بالقمرين الشمس والقمر. فكأنه يقول: أرتني الشمس والقمر معاً في وجه واحد وجعل وجهها شمساً للمبالغة.

ردي الوصال سقى طلولك عارضٌ ... لو كان وصلك مثله ما أقشعا

روى: ما أقشع وما أقلع فاعله ضمير وصلك والهاء في مثله للعارض وهو السحاب.

يقول: ارجعي إلى الوصال الذي كان بيننا، ثم دعا لها أن يسقى طلولها سحابٌ دائم لا انقطاع له، ولو كان وصلك مثله أي مثل هذا السحاب في الإدامة ما أقشع ذلك الوصل.

زجلٌ يريك الجو ناراً، والملا ... كالبحر والتلعات روضاً ممرعاً

زجل: صفة السحاب أي ذي صوت وهو الرعد. والملا: المكان الواسع، وأراد الأرض. والتلعات: جمع تلعة وهي المكان المرتفع. والممرع: الخصيب.

يقول: سقى طلولك سحابٌ ذو رعدٍ، يريك الجو ناراً؛ من كثرة بروقه، ويريك الأرض الواسعة كالبحر؛ من كثرة مائه، ويريك التلعات معشبةً ممرعة كأنها روضة مريضة مخصبة.

كبنان عبد الواحد الغدق الذي ... أروى، وآمن من يشاء، وأفزعا

الغدق: الكثير، وهو صفة البنان. وروى وأفزعا وأجزعا شبه بنان الممدوح بسحابٍ هذه صفته، ثم أخذ في وصف البنان بأنه غدق يروى كل أحد ويؤمن من يشاء ويخيف. وصفه بغاية السخاء وغاية الفتوة والعلا، وهذا تحقيق. التشبيه بالسحاب لأنه يروي البلاد والعباد ويأتي بالغيث الذي هو رحمة، وبالصاعقة التي هي نقمة.

ألف المروءة مذ نشا فكأنه ... سقي اللبان بها صبياً مرضعا

اللبان: اللبن وقيل: هو جمع اللبن، ونصب صبياً على الحال.." (١)

"وجاز أن يكون سرب مبتدأ، وإن كان نكرة؛ لأنه لما وصفه قربه من المعرفة، والهاء في ذواتها لمحاسنه وفي محاسنه لسرب وذوات محاسن السرب هي: السرب بعينه. والهاء في موصوفاتها للصفات.

يقول: هذا سرب حرمت ذوات محاسنه. الحسان منه. وهذا السرب صفاته دانية قريبة هي مني؛ لأنها ألفاظ أنا قادر عليها، فمتى شئت وصفتها. فأما الموصوف بالحسن، فبعيد عني، وهن: النساء المعبر عنهن بالسرب.

وإضافة ذوات إلى المضمر في قوله: ذواتها غير جائزة عند البصريين. وأبو العباس المبرد: يجيز ذلك.

أوفى فكنت إذا رميت بمقلتي ... بشراً رأيت أرق من عبراتها

أوفى: أي أشرف، يعني السرب. والبشر: جمع بشرة، وهي ظاهر الجلد. والهاء في عبراتها للمقلة.

يقول: إن هذا السرب لما أشرف علي وهي كناية عن علوهن في هوادجهن للمسير، رميت ببصري بشرات هذا السرب، فرأيت بشراته أرق وأصفى من عبرات عيني عند الارتحال. وإنما قال ذلك، لأن الدمع يضرب به المثل في الصفاء والرقة.

يستاق عيسهم أنيني خلفها ... تتوهم الزفرات زجر حداتها

يقول: كان أنيني على إثر الإبل التي كانت عليها الهوادج سابقاً، فكانت الإبل تظن زفراتي وراءها أنها زجر حداتها، فكانت تجد في السير. وروى: تشتاق عيسهم أنيني خلفها فلشدة شوقها إذا سمعت أنيني جدت في السير لزيادة أنيني.

وكأنها شجرٌ بدت لكنها ... شجرٌ جنيت الموت من ثمراتها

روى: الموت والمر.

يقول: كأن هذه العيس، وعليها الهوادج شجرٌ، لعلوها وارتفاعها. إلا أني جنيت من هذه الشجر، الثمر الذي ليس بمعتاد! وهو الموت، أو المر، من الثمر.

---

(١) معجز أحمد، ١ ص/١٠١

لا سرت من إبل لواني فوقها ... لمحت حرارة مدمعي سماتها

السمة: العلامة التي تكون على الإبل بالنار، والمدمع: مجرى الدمع، وأراد به الدمع هاهنا، ووصفه بالحرارة؛ لأن ماء العين إذا كان من الحزن يكون حاراً، وإذا كان من السرور فهو بارد.

يدعو على الإبل فيقول لها: لا سرت أبداً، ولا قدرت على السير! ولو كنت فوق هذه الإبل راكباً. كانت دموعي تسيل عليها وتمحوا بحرارتها أثر سماتها، وتذهب شعرها كما تمحوه النار.

وحملت ما حملت من هذي المها ... وحملت ما حملت من حسراتها

المها: بقر الوحش.

يقول دعاء لنفسه، وعلى الإبل: ليتني حملت ما عليك من النساء، وحملت أنت ما حملت من حسرات فراقهن.

وقيل أراد: لو كنت فوقك لحملت ما عليك من هذه النساء وحملت أنت حسراتي التي أتحملها؛ لأني إذا حملتهن فرقت بينك وبينهن حسراتي لتبعدهن عنك.

إني على شغفي بما في خمرها ... لأعف عما في سراويلاتها

الشغف: شدة الحب.

يقول: إني على شدة كلفي بما في خمر هذه النساء، وهي الوجوه. أكف نفسي عن مواقعتهن. ومثله: قول العباس بن الأحنف:

عف الضمير ولكن فاسق النظر

وترى المروة والفتوة والأبو ... ة في كل مليحةٍ ضراتها

كل مليحة: فاعل ترى والمروة وما يتبعها: مفعوله. وضراتها: المفعول الثاني. والهاء: للمليحة.

يقول: ترى التقاء الملاح. مروتي وفتوتي وأبوتي. مانعة لي عنهن، فكأن هذه الثلاثة ضرات للملاح؛ لما فيهن من المنع عنها.

هن الثلاث المانعاتي لذتي ... في خلوتي لا الخوف من تبعاتها

يقول: هذه الثلاثة منعتني عن لذتي بالنساء في حال الخلوة؛ لأني لا أخاف تبعات ذلك: أي الخوف من الوشاة، أو عشائرهن أو غير ذلك؛ لأني كنت لا أخاف أحداً. وقيل: أراد خوف الألم والعقاب، لكن الأول أولى.

ومطالبٍ فيها الهلاك أتيتها ... ثبت الجنان كأنني لم آتها

المطالب: جمع المطلب.

يقول: كم من مطالبٍ عظيمة الخطر، فيها الهلاك إذا أتيتها، فآتيتها وأوقعت نفسي فيها وقضيت منها حاجتي، وأنا ثابت القلب حتى كنت لثبات قلبي كأنني غير ملابس لها.

ومقانبٍ بمقانبٍ غادرتها ... أقوات وحش كن من أقواتها

المقانب: جمع المقنب، وهو ما بين الثلاثين إلى الأربعين من الخيل. وكن. للوحش.

يقول: رب جيش تركته بجيش آخر أقواتاً للوحوش، أي قتلته فأكلته الوحوش، بعد ما كانت الوحوش قوتاً له. يعني: أنهم

صعاليك لا قوت لهم إلا ما يصيدون من الوحوش والسباع.

أقبلتها غرر الجياد كأنما ... أيدي بني عمران في جبهاتها." (١)

"وقال رجل: للأحنف: إن قلت واحدة لتسمعن عشرا! فقال: أنت إن قلت عشرا لم تسمع واحدة! وألح رجل على الأحنف بالشتم، فلما فرغ قال: هل لك في الغذاء فإنك مذ اليوم تحدوا بأحمال ثقال؟ وشتم سفيه حكيما وهو ساكت فقال: إياك أعني! فقال: وعنك أغضي! قال:

وبعض انتقام المرء يردي بعقله ... وإن لم يقع إلا بأهل الجرائم

وقيل لبعضهم وقد كان صاحب من له ذنب إليه: هلا جازيت! فقال:

الصقر يحقر عن طراد الدخل

شاعر:

شاتمني عبد بني مسمع ... فصنت عنه النفس والعرضا

ولم أجبه لاحتقاري له ... من ذا يعض الكلب إن عضا؟

ولهذا باب في موضع آخر.

الحث على التصامم عن القبيح والتمدح بذلك:

قال المهلب: إذا سمع أحدكم العوراء فليطأطيء لها تتخطاه. وأسمع رجل آخر وهو ساكت فقال: إني وإياك كما قال زهير:

وذي خطل في القول تحسب أنه ... مصيب فما يلمم به فهو قائله!

حاتم:

وكلمة حاسد في غير جرم ... سمعت فقلت: مري فانفذيني

عنيت بها كأن قيلت لغيري ... ولم يعرق لها يوما جبيني

السموأل اليهودي: رب شتم سمعت فتصاممت، وعي تركته فكفيت.

البحتري:

وأحبس عني تعريض عرضي لجاهل ... وإن كنت في الإقدام أطعن في الصف

الحث على الرحمة ومدح ذويها:

قال النبي صلى الله عليه وسلم: ارحم من في الأرض يرحمك من في السماء. وقال صلى الله عليه وسلم: من لا يرحم الناس لا يرحمه الله. وقال عليه الصلاة والسلام: لا تنزع الرحمة إلا من قلب شقي. وقال: من كرم أصله لان قلبه. وقيل: من أمارات الكرم الرحمة، ومن أمارات اللؤم القسوة.

الحث على العفو مطلقا:

قال الله تعالى: " وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم " . وقال تعالى: " وأن تعفوا أقرب للتقوى " . وقال تعالى:

---

(١) معجز أحمد، ١ ص/١٥٩

" فاعفوا واصفحوا حتى يأتي الله بأمره " . وأدب نبيه صلى الله عليه وسلم فقال: " خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين " ؛ فلما علم أن قد قبل أدبه قال: " وإنك لعلى خلق عظيم " . وقال الأحنف: إياكم وحمية الأوغاد؛ قيل: وما حميتهم؟ قال: يرون العفو مغرما والبخل مغنما. وقيل لبعضهم: هل لك في الإنصاف أو ما هو خير من الإنصاف؟ قال: وأي شيء خير من الإنصاف؟ قال: العفو فالإنصاف ثقيل. وسئل الجنيد رحمه الله عن الفتوة فقال: العفو بدلالة قوله تعالى: " وليعفوا وليصفحوا " . وقيل: العفو عن المذنب زكاة النفس. قيل: من كرم الأخلاق أن تغفر الذنب. من شكر الموهوب العفو عن الذنوب الاحتمال قبر العيوب.

البحتري:

إذا أنت لم تضرب عن الحقد لم تفز ... بشكر ولم تسعد بتقريظ مادح

استطابة العفو ولذته:

قيل: لذة العفو أطيب من لذة التشفي، لأن لذة العفو يتبعها حمد العاقبة، ولذة التشفي يتبعها غم الندامة. وقيل للاسكندر: أي شيء أنت به أسر مما ملكت؟ قال: مكافأة من أحسن إلي بأكثر من إحسانه، وعفوي عمن أساء بعد قدرتي عليه.

ما يستحسن من الكبار فيه الحلم وما يستقبح:

قال معاوية وقد أغلظ له رجل: إني لا أحول بين الناس وبين ألسنتهم ما لم يحولوا بيننا وبين السلطان. وقال المأمون: الحلم يحسن بالملوك إلا في ثلاثة: قادح في ملك، ومتعرض لحرمة، ومذيع لسر. وقال السفاح: الحلم يحسن إلا ما أوضع الدين وأوهن السلطان.

الحث على درء الحد:

قال النبي صلى الله عليه وسلم: أدرؤوا الحدود بالشبهات. وقال عمر رضي الله: لأن يخطىء الإمام في العفو خير له من أن يخطىء في العقوبة. وقال إبراهيم النخعي: لأن أعطل مائة حد قد ثبتت أحب إلي من أقيم حدا قد ثبت.

حث القادر على العفو:

قال أمير المؤمنين علي كرم الله وجهه: إذا قدرت على العدو فاجعل العفو شكر قدرتك. ظفر الإسكندر ببعض الملوك فقال له: ما أصنع بك؟ قال: ما يجمل بالكرام أن يصنعوه إذا ظفروا! فخلى سبيله ورده إلى مملكته. ولما ظفر أنوشروان ببزرجمهر قال: الحمد لله الذي أظفرني بك! فقال: كافىء من أعطاك ما تحب بما يحب. قالت عائشة رضي الله عنها: إذا ملكت فاسجح. وقيل: المقدرة تذهب الحفيظة. وقيل ليوسف عليه السلام: بعفوك عن أخوتك عند قدرتك رفع قدرك.

ذم المتشفى من الغيظ:." (١)

"وأمنتني ثم عاقبتني ... فكان أمان أبي مسلم!

مدح سوء الظن بالناس:

قيل: ما الجزم؟ قال: سوء الظن بالناس.

---

(١) محاضرات الأدباء، ١ /١٠٤

ببغاء البغدادي:

وأكثر من تلقى يسرك قوله ... ولكن قليل من يسرك فعله

وقد كان حسن الظن بعض مذاهبي ... فأدبني هذا الزمان وأهله

وقد تقدم هذا الباب.

ذم من ساء ظنه:

قيل لبعضهم: ما ظنك بالناس؟ قال: ظني بنفسي.

المتنبي:

إذ ساء فعل المرء ساءت ظنونه ... وصدق ما يعتاده من توهم

وقيل: أخفض الناس من لا يثق بأحد، ولا يثق به أحد.

النهي عن الوقوف موضع التهمة:

قال النبي صلى الله عليه وسلم: من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يقومن مقام التهمة. وقيل: من وقف موقف التهمة لم يكن له أجر الغيبة. من جعل نفسه عرضا للتهم فلا يلومن من أساء به الظن.

حقيقة النفاق:

قيل: حقيقة النفاق اختلاف السر و العلانية، واختلاف القول والعمل. وقال صلى الله عليه وسلم: علامة النفاق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا أتمن خان.

موصوف بالنفاق:

قال أبو الحسين بن سعد:

ما إن له في الفضل ... والخيرات جمعا من خلاق

إلا النفاق فإنه ... وافي النصيب من النفاق

ذم ذي الوجهين:

قال الأحنف: إن ذا الوجهين خليق أن لا يكون عند الله وجيها.

صالح بن عبد القدوس:

قل للذي لست أدري من تلونه ... أناصح أم على غش يداجيني

إني لأكثر مما سمتني عجبا ... يد تشج وأخرى منك تأسوني

تذمني عند أقوام وتمدحني ... في آخرين، وكل منك يأتيني!

النهي عن الإستعانة بخائن:

قيل: من استرعى الذئب ظلم.

شاعر:

إن العفيف إذا استعان بخائن ... كان العفيف شريكه في المأثم

آخر:

إذا أنت حملت الخؤون أمانة ... فإنك قد أسندتها شر مسند

آخر:

إن العفيف إذا تكفنه الظنين هو الظنين

وقال علي رضي الله عنه: من تتهمه فلا تأتمنه، ومن تأتمنه فلا تتهمه.

عذر من استعان بخائن سهوا:

أبو تمام:

هذا النبي وكان صفوة ربه ... من بين باد في الأنام وقار

قد خص من أهل النفاق عصابة ... وهم أشد أذى من الكفار

واختار من سعد لغير بني أبي ... سرح لوحي الله غير خيار

؟؟؟الحث على نقض عهد الغادر:

قال بعض العلماء: حق على من جعل لغادر عهدا أن ينقضه لألن الله تعالى يقول: " لا ينال عهدي لظالمين " . وقال الأعمش: نقض العهد مع من لا عهد له وفاء بالعهد.

الحث على الغدر والتبجح به:

قال:

خرق على الناس وخرق لهم ... فإنما الدنيا مخاريق

مسعود الأسدي:

قالوا:غدرت؟ فقلت: حير فربما ... نال العلى وشفى الغليل الغادر

العباس بن الأحنف:

ملني واثقا بحسن وفائي ... ما أضر الوفاء بالإنسان

ومما جاء في المسابقة إلى المعالي والرفعة

والمجد وصيانة النفس

والمروءة والفتوة وتعظيم الأماثل

الممدوح بأن مجاريه إلى العلاء تأخر عنه:

مدح كاتب رجلا فقال: فلان طالت إلى المساعي خطاه، وبذ بشأوه من ساعاه وجاراه. وخطب عمر رضي الله عنه أبا بكر وفضله فقال: وأنه كان كما قال الشاعر:

من يسع كي يدرك مسعاته ... يجتهد الشد بأرض فضاء

والله لا يدرك أيامه ... ذو مئزر ضاف ولا ذو رداء

وفي المثل: فلان لا يشق غباره. وكتب كاتب: لسنا لاحقيك إذا ابتدأت، ولا سابقيك إذا كافأت، سئل مجنون: كيف رأيت بني فلان مع من فاخر؟ فقال:

كانوا ومن عاداهم من البشر ... كأنما أجريت خيلا وبقر

سلم الخاسر:

جاراك قوم فلم ينالوا ... مداك والجري لا يعار

المتنبي:

من تعاطى تشبها بك أعيا ... ه ومن دل في طريقك ضلا

البحتري:

في فتية طلبوا غبارك إنه ... وهج ترفع من طريق السوود

ابن الرومي:." (١)

"من تنزين به الدنيا:

وصف أعرابي رجلا فقال: لئن عابه كونه في الزمان لقد تزين الزمان بكونه فيه.

الجريمي:

تحلت به الدنيا فغطت عيوبها ... وأمست به الدنيا تجل وتحمد

المتنبي:

أنت الذي بجح الزمان بذكره ... وتزيلت بحديثه الأسمار

وقال أبو الفضل به العميد أمدح بيت قول المتنبي:

الدهر لفظ وأنت معناه

قال الشيخ رحمه الله: وأنا استحسن قول الشاعر:

فما أحسن الدنيا وفي الدار خالد ... وأقبحها لما تجهز غازيا!

ابن الرومي:

يا زينة الدين والدنيا إذا احتفلا ... وأظهرا ما أعداء من الزين

من تنافست فيه الأيام:

نصيب:

وهل يخفى على الناس النهار؟

ابن الرومي:

شمس الضحى أبرع ... من أن تطمسا

---

(١) محاضرات الأدباء، ١٣٣/١

آخر:

إني إذا خفي الرجال وجدتني ... كالشمس لا تخفى بكل مكان

ابن هرمة:

إذا خفي القوم اللئام رأيتني ... ما قرن شمس في المجرة أو بدر

وكان علي بن الحسين رضي الله عنهما يطوف بالبيت، فرآه يزيد فقال: من هذا؟ فقال له الحارث ابن الليث:

هذا الذي تعرف البطحاء وطأته ... والبيت يعرفه والحل والحرم

اعتذار من لم يعرف:

قال رجل لسقراط: ذكرتك عند فلان فلم يعرفك! فقال: يضره أنه لا يعرفني لأنه لا يجهل مكان ذي العلم إلا خسيس!

وقال محمد بن الزيات لبعض أولاد البرامكة: من أنت ومن أبوك؟ فقال: أما أنا فالذي تعرفني، وأما أبي فالذي لم يعرفك ولا أباك! المتنبي:

وإذا خفيت على الغبي فعاذر ... أن لا تراني مقلة عمياء

وصف الإنسان بأنه لا يخلو من العيب:

قيل لبعض الفلاسفة: من الذي لا عيب فيه؟ فقال: الذي لا يموت! وقال الأحنف: الشريف من عدت سقطاته أي الرجل المهذب.

شاعر:

ومن ذا الذي ترضي سجاياه كلها؟ ... كفى المرء نبلا أن تعد معايبه!

ولهذا باب آخر في الأخوانيات.

الحث على إكرام النفس عند المذلة:

قال عمرو بن العاص: المرء حيث يجعل نفسه، إن صانها ارتفعت وإن قصر بها اتضعت: بعضهم:

وما المرء إلا حيث يجعل نفسه ... ففي صالح الأخلاق نفسك فاجعل

حاتم:

ونفسك أكرمها فإنك إن تهن ... عليك فلن تلقى لها الدهر مكرما

صالح بن عبد القدوس:

إذا ما أهنت النفس لم تك مكرما ... لها بعد ما عرضتها لهوان

أنشد غلام أبي عبيدة:

ولا تهن للصديق مكرمة ... نفسك حتى تعد من خوله

يحمل أثقاله عليك كما ... يحمل أثقاله على جمله

وإنما يعني بذلك الهوان الذي هو لاعسف، لا الهون الذي قالت العرب فيه: إذا عز أخوك فهن؛ قال صلى الله عليه وسلم: سيد القوم خادمهم.

الممدوح بصيانة النفس:

قال بعضهم: جعلت الدنيا دون عرضي فآثر لدي ما صانه، وأهونها على ما شانه. ووصف آخر رجلا فقال: اشترى بالمعروف عرضه من الأذى فلو كانت الدنيا له فأنفقها صيانة لنفسه لاستقلها.

ابن نباتة:

ليست من الحوادث كل ثوب ... سوى ثوب المذلة والهوان

مدح إهانة النفس حيث تحمد:

مدح أعرابي رجلا فقال: كان يهين نفسا كريمة لقومه، ولا يبقي لغد ما وجد في يومه.

الخنساء:

نهين النفوس وهو النفو ... س يوم الكريهة أوفى لها

ويروى أن الشافعي رضي الله عنه:

أهين لهم نفسي لأكرمها بهم ... ولن تكرم النفس التي لا تهينها

ما جاء في الفتوة:

قيل: الفتوة طعام موضوع ونائل مبذول وبشر مقبول، وعفاف معروف وأذى مكفوف. وجاء جماعة إلى حسان فقالوا: من الفتى؟ فقال:

إن الفتى لفتى الهواجر والسرى ... وفتى الطعان ومدره الحدثان

ذاك الفتى إن كان كهلا أو فتى ... ليس الفتى بمنعم الشبان

المروءة:." (١)

"كان سقراط فقيرا فقال له بعض الملوك: ما أفقرك؟ فقال: لو عرفت راحة الفقر لشغلك التوجع لنفسك عن التوجع لي، فالفقر ملك ليس عليه محاسبة. وقيل له: لم لا يرى أثر الحزن عليك؟ فقال: لأني لم أتخذ ما أن فقدته أحزنني. وقال بعض الحكماء: من أحب أن تقل مصائبه فليقل قنيته للخارجات من يده، لأن أسباب الهم فوت المطلوب وفقد المحبوب، ولا يسلم منهما إنسان لأن الثبات والدوام معدومان في عالم الكون والفساد، وبهذا ألم ابن الرومي فقال:

ومن سره أن لا يرى ما يسوؤه ... فلا يتخذ شيئا يخاف له فقدا

حكي أنه لما غرقت البصرة أخذ الناس يستغيثون، فخرج الحسن رضي الله عنه ومعه قصعة وعصا، فقال: نجا المخفون. وقال بعض الزهاد وقد قيل له: أترضى من الدنيا بهذا؟ فقال: ألا أدلك من رضي بدون، قال: نعم. قال: من رضي بالدنيا بدلا من الآخرة. وقيل لمحمد بن واسع رحمه الله: أترضى بالدون؟ فقال: إنما رضي بالدون من رضي بالدنيا وترك الآخرة.

طيب العيش من قنع بما رزق:

سئل الفرغاني عن الفتوة فقال: هو أن يكون في كل وقت بشرطه. وقيل لبزرجمهر: أي الناس أقل هما؟ فقال: ليس في الدنيا

---

(١) محاضرات الأدباء، ١٣٦/١

إلا مهموم، ولكن أقلهم هما أفضلهم رضا وأقنعهم بما قسم وقيل لبعضهم: من أنعم الناس عيشا؟ فقال: من رضي بحاله ما كانت. وقيل من رضي بما قسم له كان دهره مسرورا. وقيل لابن عوف: ما تتمنى؟ فقال: أستحي أن أتمنى على الله ما ضمنه لي.

النقاد:

دنيا تخادعني كأني ... لست أعرف حالها

حظر الإله حرامها ... وأنا احتميت حلالها

ووجدتها محتاجة ... فوهبت لذتها لها

كون الدنيا عبدا لمن زهد فيها:

قال زاهد لملك: أنت عبد عبدي لأنك تعبد الدنيا لرغبتك فيها، وأنا مولاها لرغبتي عنها وزهدي فيها. ويقوي ذلك ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم: أن الله أمر الدنيا فقال من خدمني فاخدميه، ومن خدمك فاستخدميه. وقيل: من زهد في الدنيا ملكها، ومن حرص عليها أملكها. وقال الحسن رضي الله عنه: أهينوا الدنيا فوال لا هنأ ما تكون حين تهان.

أبو العتاهية:

أرى الدنيا لمن هي يديه ... عذابا كلما كثرت لديه

تهين المكرمين لها بصغر ... وتكرم كل من هانت عليه

إذا استغنيت عن شيء فدعه ... وخذ ما أنت محتاج إليه

الحث على التوكل في أمر الرزق وترك الحرص:

قال أبو الدرداء رضي الله عنه: إن في القرآن آية لو أن جميع الناس أخذوا بها لكفتهم في القناعة. قال الله تعالى: " ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب " . وسئل بزرجمهر عن الرزق فقال: إن كان قد قسم فلا تعجل، وإن كان لم يقسم فلا تتعب. وقال الحسن رضي الله عنه: الحريص الجاهد واقنع الزاهد كلاهما مستوف حظه، وأكله غير منتقص ما قدر له، فعلام التهافت في النار؟ وقال النبي صلى الله عليه وسلم: لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا. وقيل للحارث: كيف قال ذلك والطير تغدو في طلب الرزق وتروح؟ فقال: مهلا إن الطير يأخذ في الحوصلة وأنت لا تقنع بذلك، مع أن الطير لم يخاطب بالضمان منه لرزق، ولم ينزل عليه كتاب. وقال سهل بن وهبان: لا تكونوا للمضمون مهتمين. وقال أعرابي لآخر رآه حرصا: يا أخي، أنت طالب ومطلوب، يطلبك طالب ولن تفوته، وتطلب ما كفيته كأنك لم تر حريصا محروما، ولا زاهدا مرزوقا. وقال آخر: إنك لا تدرك أملك، ولا تسبق أجلك، ولا تغلب رزقك، ولا تعطى حظ غيرك، فعلام تهلك نفسك؟ لكل صباح صبوح، ولكل عشاء عشاء، وفي بعض كتب الله: يا ابن آدم لو أن لك الدنيا كلها لم تنل منها إلا القوت فإذا أعطيتك القوت وجعلت حسابه على غيرك ألم أكن محسنا إليك؟. من قل تفكره في أمر الأرزاق وتوكل على الرزاق:." (١)

---

(١) محاضرات الأدباء، ١ /٢٣٧

"قال بعض الناس: دعاني رجل إلى وليمة في يوم جمعة، فمضيت إلى الجامع وتشاغلت، فجئته مع العتمة فقال لي: يا هذا عصيت الله في هذا اليوم ثلاث مرات: مضيت إلى الصلاة قبل النداء وقد قال الله تعالى: " إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله " ، وقال الله تعالى: " فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض " فأقمت إلى العتمة، وعصيت الرسول حيث قال: الداعي مستغيث فأغيثوه، فأخجلني.

كشاجم:

تأخرت حتى كددت الرسول ... وحتى سئمت من الانتظار

وأوحشت إخوانك المسعدين ... وفجعتهم بشباب النهار

وأضرمت بالجوع أحشاءهم ... بنار تزيد على كل نار

فإن كنت تأمل أن لا تذم ... فأنت وحقك عين الحمار

وكتب الصاحب إلى أبي الحسن العلوي في أبيات، وكان قد عاد إلى داره لشغل ووعد أن يعود إليه فلم يعد:

لم ملت في العود إلى التقصير ... كما يقال: حوصلي وطيري

الحث على ترك من تباطأ أو تأخر:

ابن المعتز:

إذا ما تأخر من قد دعوت ... فدعه وما اختار من أمره

ولا تشربن بتذكاره ... ولكن تثاءب على ذكره

آخر:

إن الفتوة كلها ... في أكل ما يتلهوج

فإذا تعجل خمسة من ستة قد أزعجوا

فدع انتظارك واحدا ... لجماعة قد زوجوا

إن البطيء عن الدعا ... ء إلى الإجاعة أحوج

المعتذر لتأخيره عمن دعاه:

كتب المهلبي إلى صديق دعاه فلم يمكنه الحضور:

لولا شغيل عاقني ... بالقرب حاول عن مزارك

لأتيت نحوك مسرعا ... ولصرت من غلمان دارك

فبحق طرفك وافتنا ... نك والمهذب من نجارك

إلا مننت وقلت لي: إني وهبتك لاعتذارك

ابن طباطبا:

ابسطوا العذر في التأخير عنكم ... شغل الحلي أهلة أن يعارا

فضل المجيب الدعوة على داعيه:
قال ناصر الدولة وقد دعاه إنسان إلى دعوته:
من دعانا فأبينا ... فله الفضل علينا
فإذا نحن أجبنا ... رجع الفضل إلينا
ودعا بعض الناس أديبا فامتنع فقيل له في ذلك فقال: إنه دعاني مرة فأجبته فلم يشكرني عليه.
شاعر:
أتاني رسولك يبغي الحضور ... فخليت من كنت في دعوته
وجئتك يا سيدي مسرعا ... كأني نوالك في سرعته
ابن الحجاج في أبيات له:
جئت بلا وعد لأني فتى ... يضجرني التسويف والوعد
معاتبة من شرب الدواء فلم يدعه:
أبو القاسم بن أبي سعد الأصبهاني:
أبا فرج عش سعيدا لنا ... ودمت وبلغت أقصى المنى
أسأت إلينا وأوحشتنا ... وكنت قديما فتى محسنا
وللبيت مصراعه المستفيض ... ولولاك جئت به معلنا
فبين لنا العذر فيما أتيت ... وصل جمعنا واغتنم شكرنا
الداعي من لا يدعوه:
كان بدمشق شاعران يتعاشران، وأحدهما مكثر عن الآخر ولا يدعوه إلى منزله، فكتب إليه:
أبدا تحصل عندي ... ثم لا أحصل عندك
إن تناصفني وإلا ... أبت يا طائي وحدك
ذكر بعض الكتاب أنه كان يعاشر سوقيا، فاتفق أن دعاه يوما قال: فلما تمكنت اشتغل عني صاحب الدعوة، فعثرت برقعة بخطه فيها: فلان دعاني مرتين، ودعوته ثلاث مرات، فعليه دعوة، وقد ذكرنا على هذا أسامي كل من يعاشرنا، فلما انتهيت إلى اسمي فرأيته قد حصل له علي دعوات فخرجت وقلت: علي أن لا أتناول طعامك حتى أرد ما علي، قال فقلت في ذلك:
أرى الدعوات قد صارت فروضا ... ودينا في البرية مستفيضا
فأكره أن أجيب فتى دعاني ... ولا أدعو فيلقاني بغيضا
آخر:
إذا كنت تدعوني لأدعوك مثله ... ففعلك منحول إلى فعل تاجر
الحث على تجديد الإرسال إلى من دعوته والتعريض:

إذا ما كان بينك في عشي ... وبين أخ من الأخوان وعد

فجدد بالغداة له رسولا ... فإن حوادث الأيام تغدو

مثله:

إذا صاحب لك واعدته ... ليوم اجتماع من الجمعة." (١)

"ومر النخاسي بأبي السماك في شهر رمضان فقال: هل لك في رؤس وشراب كالورس يطيب النفس، ويهضم الطعام ويسهل للفدم الكلام؟ فنزل وتغديا. فأخبر أمير المؤمنين بذلك فأفلت أبو السماك وأخذ النخاسي فأتي به فضربه ثمانين، وزاده عشرين. فقال: يا أمير المؤمنين وما هذه العلاوة؟ فقال: لجراءتك على ربك في شهر رمضان!

من تخلص من الحد في شرب الخمر:

دخل عمر رضي الله عنه على قوم يشربون فقال: ألم أنهكم عن الشرب فشربتم؟ فقال أحدهم: ألم ينهك الله عن التجسس. فلم تجسست؟ فقال: صدقت! فتجافى عنهم. وقال العبدلي للواثق: ما قمرتني إلا لكوني سكران. فقال: قد وجب عليك الحد لأنك أقرزت. فقال: هذا افتخار لا اقرار اعتراف.

التعريض بمن تغرس فيه بأنه شارب:

دخل أمية بن عبد الله على عبد الملك وبوجهه أثر فقال: ما هذا؟ قال: قمت في بعض الليل فأصابني الحائط؛ فتمثل عبد الملك بقول الشاعر:

رأتني صريع الخمر يوما فرعتها ... وللشاربيها المدمنيها مصارع

فقال أمية: لا آخذك الله يا أمير المؤمنين بسوء ظنك، ولا يؤاخذك بسوء مصرعك. وكان البراء بن قبيصة صاحب شراب، فدخل على الوليد بن عبد الملك وبوجهه أثر فقال: ما هذا؟ قال: ركبت فرسا أشقر فكبا بي. فقال: لو ركبت الأشهب لم يعثر بك. فعرض بأنه شرب الخمر ولو شرب اللبن لما سقط. وأنشد ابن الرقاع عبد الملك قصيدة وذكر فيها الخمر فأجاد وصفها، فقال عبد الملك: لقد ارتبت بك في إجادة وصفك الشراب. فقال: وأنا ارتبت بك يا أمير المؤمنين لمعرفتك بجودته.

وصف خصائص جميع الأشربة:

قيل لبعض الحكماء: صف لنا خصائص الأشربة فقال: أما الماء فيعظم خطره عند الحاجة إليه بحسب تعذره عند العدم، وأما اللبن فشبع الغرثان وري الظمآن وزاد العجلان، وأما الماذي فكالمروزي في الدثار، والنرسي في الشعار، وأما الزبيبي فنبيل المنظر سخيف المخبر، وأما الخمر فمزاج الروح وصفية النفس. وقيل لآخر: ما تقول في الماء؟ فقال: هو الحياة ويشركني فيه الحمار. فقيل: فاللبن؟ قال: ما رأيته إلا ذكرت أمي واستحييت. قيل: فالخمر؟ قال: تلك السارة البارة شراب أهل الجنة. ودعا الوليد بن يزيد شراعة من الكوفة وهو من فتيانها، فلما قدم عليه قال: إني والله لم أدعك لأسألك عن قرآن ولا استفتيك في سنة. فقال: لو سألتني عنهما لأصبتني فيهما ثورا فلم دعوتني؟ قال: لأسألك عن الفتوة. فقال: أنا دهقانها الخبير وعالمها الطبيب فسل. فقال: ما تقول في نبيذ التمر؟ قال: اشربه حتى تحر. قال: فنبيذ الدن؟ قال: اشربه حتى تجن.

---

(١) محاضرات الأدباء، ١ /١ ٢٩٤

قال: فالدادي؟ قال: أحلى من الماذي. قال: فنبيذ الذبيب؟ فستر وجهه وقال: العظمة لله. قال: فالخمر؟ قال لا أرى شربها. قال: ولم؟ قال: لأني أؤدي شكرها. قال أبو العيناء: النبيذ المكسود الخمر.

أبو نواس:

ولا تأخذ عن الإخوان لهوا ... ولا عيشا، فعيشهم جديب

دع الألبان يشربها رجال ... رقيق العيش بينهم غريب

بأض نبتها عشب وطلح ... وأكثر صيدها ضبع وذيب

إذا راب الحليب فبل عليه ... ولا تحرج فما في ذاك حوب

فأطيب منه صافية شمول ... يطوف بكأسها ساق أديب

يمد لك القنان إذا حساها ... ويفسخ عقد تكته الدبيب

فذاك العيش لا خيم البوادي ... وذاك العيش لا اللبن الحليب

آخر:

الأشربات سوى ما كان من عنب ... داء وأي لبيب يشرب الداء؟

وصف الشراب بإزالة الغم:

قيل لأعرابي: أتحب الخمر! فقال: أي والله فإنها تسرح في بدني بنورها، وفي قلبي بسرورها. وقيل: لذة الدنيا في الغناء والطلاء والنساء والبناء. وجماع ذلك العافية والشباب والبقاء. ونحوه لأبي نواس:

إنما العيش سماع ... ومدام وغلام

فإذا فاتك هذا ... فعلى العيش السلام." (١)

"حكي عن عثمان الخياط أنه إنما سمي خياطا لأنه نقب على أحذق الناس وأبعدهم في صناعة التلصص، وأخذ ما في بيته وخرج وسد النقب كأنه خاطه فسمي بذلك. وحكى أنه قال: ما سرقت جارا وإن كان عدوا، ولا كريما ولا كافأت غادرا بغدره. وقال لأصحابه: إضمنوا لي ثلاثا أضمن لكم السلامة: لا تسرقوا الجيران واتقوا الحرم ولا تكونوا أكثر من شريك مناصف، وإن كنتم أولى بما في أيديهم لكذبهم وغشهم وتركهم إخراج الزكاة، وجحودهم الودائع. وخرج سليمان وكان من أجلد هذه العصابة ليلة بأصحابه إلى دار بعض الصيارفة فاختفوا، فلما أرادوا الإنصراف قال بعض أصحابه: دعنا نقم على مفارق الطرق لنأخذ من بعض المارة نفقة يومنا، فقال: على أن لا تبطشوا بهم، فقالوا: وهل يفعل ذلك إلا الجبان؟فبينما هم كذلك إذ مر شاب ذو هيئة، فلما قرب سلم عليهم فرد عليه بعضهم السلام، فقام إليه بعضهم فقال رئيسهم: دعه فإنه سلم ليسلم وأجابه بعضكم فصار له ذمة بذلك، قالوا: فنخلي سبيله، قال: أخاف عليه غيركم، ليذهب معه ثلاثة يوصلونه إلى منزله ففعلوا فلما بلغ دفع لهم مالا وقال: لأحوطنكم بمالي وجاهي لما عاملتموني به. فلما عادوا بالدراهم قال رئيسهم: هذا أقبح من الأول تأخذون مالا على قضاء الذمام والوفاء بالعهد، لا أبرح أو تردوا إليه المال!فقالوا: قد افتضحنا بالصبح.

---

(١) محاضرات الأدباء، ١ /٣١١

فقال: لئن نفتضح بالصبح خير من تضييع الذمام وقال: ما خنت ولا كذبت منذ تفتيت.

المتبجح منهم بالصبر على الضرب:

أبو معن الزنجي وكان النظام يقول: لو ادعى النبوة وإن معجزته الصبر على الضرب بالسياط لأدخل عليهم به شبهة عظيمة. وقال عثمان الخياط: ضربته يوما بشمراخ رطب، فالتوى التواء الحية وكاد يواثبني فقلت: إنك لم تتعمد أحسبت أن صبري على السياط طبيعة، إنما هو الكظم والصبر على قدر النظارة، ألا ترى أنه قيل: أصبر الناس من ضرب في السجن خمسين سوطا، لأنه إذا لم يكن من يمدحه تألم، وإذا كان بين الناس بحيث يرونه فهو العزم والمروءة والقيام **بالفتوة**. وقال بعضهم: ضربت بالمدينة ثلاثين حدا على ثلاثين سكرا فما قلت حس، وأن أحدكم ليتألم من دون حد. قيل لبعضهم: من أصبر من رأيت؟فقال: عرفت صبر الهند على النيران، وصبر الأعراب على مد الأعناق لسيوف السلطان، وصبر السند على قطع الآذان وجدع الأنوف، ولم أر أصبر من الفتيان تحت الضرب، والثاني ربما يزهق في ألف درهم وعنده عشرة آلاف، فيضرب سوطا أو سوطين فيخرج عن أهله وعشيرته.

فعل الطرارين:

أتى بعضهم بزازا في غدوة، وهو فارس مع غلام فقال: ائتني بجراب بلخي وجراب مروي وعجل، وخذ الثمن، فأخرج ذلك وساومه وأطمع التاجر وقال: ائتني بآخر. فلما دخل الحانوت قال: ما أضيع متاعكم وأنتم تسخرون بالناس، لو أن إنسانا أخذ متاعك هذا وقفل الباب هكذا ما كنت تفعل؟فحرك التاجر الباب يظن أنه يلعب فإذا هو قد مر إلى الساعة. ودخل آخر على قوم فقال أحدهم: ما في الدنيا أعجب من فلان ترمي بخاتمك في الهواء فإن شئت أتاك به وإن شئت بغيره فقال : أنا أريكم ما هو أعجب من هذا، هاتوا خواتيمكم فأخذها كلها فجعلها في أصابعه وجعل يمشي القهقرى ويصفر، وينظر إلى عين الشمس حتى غاب عن أعينهم فطلبوه فلم يجدوه، فقالوا: هذا والله أعجب!وصلى بعضهم مع قوم فلما سجدوا تناول نعلا كأنه يريد أن يقتل عقربا، فضرب بهائم الآخر ليساره كأنه يريد أن يتناولها فيرمي بها ويعود إلى الصلاة، فمر بالنعل. واكترت امرأة دارا ثم أظهرت أنها تريد تجصيصها لأنها تريد أن تزوج فيها ابنها، فاكترت أجراء وأخذت من الجيران آلات، وجمعت متاع الأجراء والآلات في بيت ثم ذهبت. وقال بعضهم: دخلت مسجدا مع صاحب لي، فنام ووضع عنده عمامته، فإذا أنا برجل قد دخل فأخذ العمامة وجعل يضحك في وجهي، وهو واضع سبابته على فمه، كأنه يقول: اسكت وجعل يتراجع القهقرى، وأرى أنه يلاعبنا فمر فانتبه صاحبي فقلت كان كذا فطلبناه فلم نجده.

المفتخر بصعود المراقب:

ربيعة بن مقروم:

ومربأة أوفيت جنح أصيله ... عليها كما أومى القطامي مرقبا

ربيبة جيش أو ربيبة مقنب ... إذا لم يقد وغد من القوم مقنبا

أبو نواس:

رب فتيان ربأتهم ... مسقط العيوق من سحره." (١)

" - ظننتُ بغى **الفتوةِ** والتمني ... تزولُ بالاكتهالِ فخابَ ظني

- أرى قلبي يظلُّ على صباه ... ولو حامَتْ على التسعين سني

- يكلفني الشقيُّ هوى الصبايا ... فأهواهنَّ ممتثلاً كأني ....

- ويولغُني بأصغرِهنَّ سناً ... وأصغَرُهنَّ أبعدُهنَّ عني

- بكيتُ فقال أصحابي : أتبكي ؟ ... فقلْتُ مضى الشبابُ فهل أغني ؟

- ولو راحَ الهوى لأراحَ نفسي ... من الصَّدِّ المبرَّحِ والتجني

- ولكنَّ الهوى باقٍ وقلبي ... بمعتركِ اللحاظِ بلا مِجَنّ

- دعُوا دمعي يسيلُ فما لمثلي ... شعورُ المستريحِ المطمئن

- وليس أحقَّ من عيني بدمعي ... وأولى بالبكاءِ عليَّ مني

الياس حبيب فرحات ." (٢)

" - فيا عَجباً لمن ربيتُ طِفْلاً ... أُلَقِّمُه بأطرافِ البنانِ

- أُعَلِّمُه الرمايةَ كُلَّ يومٍ ... فلما اشْتَدَّ ساعدُه رماني

- أُعَلِّمُه **الفتوةَ** كل وقتٍ ... فلما طرَّ شاربُه جفاني

- وكم عَلَّمْتُهُ نَظْمَ القَوافِي ... فلما قالَ قافيةً هجاني

الميداني ." (٣)

"أولا: افتتاح الندوة

للأستاذ الدكتور كمال محمد بشر

مقرر اللجنة الثقافية بالمجمع

السيدات والسادة، نبدأ هذه الأمسية الطيبة الطاهرة بكلام الله العظيم يتلوه علينا الأستاذ الشيخ عبد الحي زهران، فليتفضل.

(وبعد أن تلا فضيلته ما تيسر له من كتاب الله، بدأت أعمال الندوة):

الأستاذ الدكتور كمال محمد بشر مقرر اللجنة الثقافية بالمجمع: السيدات والسادة، أهلا بكم ومرحبا في دار الخالدين، وإنه للقاء طيب حيث تجتمع الأجيال، الخالدون بخبرتهم وعمق معارفهم وتقدم أعمالهم، والشباب **بالفتوة** والتطلع إلى المستقبل، ثم أواسط العقد، وهؤلاء ينالون قسطا من الخالدين وقسطا من أصحاب **الفتوة** والشباب. فأهلا بكم جميعا، ومرحبا في

---

(١) محاضرات الأدباء، ١ /٤٠٤

(٢) مجمع الحكم والأمثال، ١ ص/

(٣) مجمع الحكم والأمثال، ١ ص/

داركم ودار الخالدين، والحقيقة أننا رأينا أن نثني في أعمال هذا المجمع الثقافية بهذه القضية الحيوية الكبيرة التي تثار بين الحين والحين. ونحن واثقون أننا سنسمع كلاما جديدا يزيد في معارفنا نحن، ولا نريد أن نحكم على ما يقال الآن، وإنما ننتظر لنسمع ونستفيد، وهذا مؤكد إن شاء الله.

... والآن الكلمة للأستاذ الدكتور محمود علي مكي مدير الندوة يتصرف فيها كيف يشاء.." (١)

"دعا محمد بن عبد الله بن طاهر رجلٌ من أصحابه دعوة تقدَّم بها واحتفل فيها، فلما حضر محمد طالبه بالطعام فمطله، ليتلاحق ويتكامل، على ما أَحبّه من الكثرة والاحتفال، حتى تصرم أكثر النهار ومس محمداً الجوعُ، وتنغص عليه يومه، فشرب عنده أقداحاً، وانصرف وأراد بعد ذلك محمد سفراً فشيعه هذا الرجل، فلما دنا منه ليودعه قال: أيأمر الأمير بشيء، قال: نعم، اجعل طريقك في عودتك على محمد بن الحارث بن بسخنر فسله أن يعلمك **الفتوة**. فمضى حتى دخل على محمد بغتةً وقال: بعثني الأمير إليك لتعلمني **الفتوة**، فضحك وقال: يا غلام هات ما حضر، فجيء بطبق كبير عليه ثلاثة أرغفة من أنظف الخبز، وثلاث سكرجات من خلّ وملح من أجود ما يتخذ من هذه الأصناف، فأبتدأ يأكل فجاءته فضلة باردة من مطبخه، وتداركها الطباخ بطباهجة، ثم وافاه من منزل حرمه فضلة أخرى، وأهدى إليه بعض غلمانه جام حلوى فانتظم له أمر خفيف ظريف في زمانٍ يسير بغير إحشام ولا انتظار، إلى أن أدرك الطعام وأخذ في الشراب، فقال له: إذا دعوت أحداً من إخوانك، فليكن هكذا عملك، ولا تنتظر استكمال الطعام.

وأفطر الواثق في يوم شك فأفطروا فكتب الحسن بن رجاء إلى الحسين بن الضحاك:

هززتك للصبوح وقد نهانا ... أمير المؤمنين عن الصيام

وعندي من قيان القصر عشرٌ ... يطيب بهنَّ إعمال المدام

فكن أنت الجواب فليس عندي ... أحبّ إلي من حذف الكلام

قال، فوافق رسوله حُسيناً وقد وردت عليه رقعة محمد بن الحارث بن بُسخُنَّر النديم وقد أنفذها مع غلام له وضيء الوجه كان يتخطاه ومعه غلمةٌ له أقران وقد جعل الرقعة كالمنشور الذي يكتبه السلطان، وختمها في أسفلها، وكتب فيها:

سر على اسم الله يا أكمل من غصن لُجينِ

في بدورٍ من بني الروم إلى باب الحسين

فاحمل الكلَّ إلى مولاك يا قُرةَ عيني

أره العنف وطالبه إن استعفى بدين

واحذر الرجعة من وجهك في خفي حنين

قال: فوثب مع غلام محمد بن الحارث وكتب إلى الحسن بن رجاء

دعوت إلى مدافعة الصيام ... بإعمال الملاهي والمدام

ولو سبق الرسول لكان سبقي ... إليك ينوب عن كل الكلام

---

(١) قضايا الشعر المعاصر من إصدارات مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ١ ٢/١

وما شوقي إليك بدون شوقي ... إلى عهد التصابي والغرامِ

ولكن سار في نفرٍ إلينا ... على عجلٍ حبيبُ المستهام

فأزعجني بألفاظٍ عذابٍ ... وقد أعطيته طرفي زمامي

ولو خالفته لوردت حتفي ... وعممني بمصقولٍ حُسام

ودخل آدم يوماً على يعقوب بن الربيع وعنده قوم يشربون فرفعوا ما كان بين أيديهم، فلما دخل رأى في وجوههم أثر النبيذ وشم رائحته، فقال: إني لأجد ريح يوسف لولا أن تفندون، فضحكوا، وأخرجوا شرابهم وشرب معهم.

أخبار الشعراء والمجان." [1]

"لا نبالي من لحا في شربها ... أبداً حتى يوافي مصرعه

قال: فيئس أبوه من صلاحه وفلاحه فأعرض عن ذكره.

وشرب رجلٌ في بيت خمارٍ فأصبح ميتاً، فقيل للخمار: أنت قتلته، قال لا والله، ما قتلته إلا شربُهُ على غير طعامٍ.

وكان والبة بن الحُباب من كبار المدمنين، لو قلتُ إنه سنَّ **الفتوَّة** وشرع المنادمة لقلت حقاً، وهو الذي يقول:

وندمانٍ يزيد الكأسَ طيباً ... حليمٍ عند طيشِ ذوي الحُلوم

دعوت (لليلةٍ) وثنيتُ أُخرى ... بتغذية الخؤلة والعموم

فقلت ألا اصطبح، أصبحتُ إلاَّ بقايا غابر الليل البهيم

معتقةٌ كأن المسكَ فيها ... محرَّمة على الرّجُلِ اللئيمَ

وحسبُكَ بي، بها خبراً وعلماً ... ملأتَ يديك من رجلٍ كريم

وكان لوالبة إخوانٌ مثلُهُ في **الفتوة** والظرف وإدمان القصف واللهو قد خلعوا العِذار وأنفقوا الطارف والتليد، منهم، عُباد بن عُباد الذي يقول فيه:

عُبادُنا أطيبُ الخلائق لا الغادر يوماً إذا هُمُ غدروا

أصبحت؛ ماذا بالسكر تنتظرُ ... دونكها قد تبلَّجَ السَحَرُ

دونكها يا عُبادُ صافيةً ... كأنها في الزجاجة الشَّرَرُ

ومنهم مسعود بن عمرو وعمرو، اللذان يقول فيهما:

لما رأيتُ الصبح قد لاحا وأقبل الفجر وقد لاحا

نبهتُ مسعوداً وعَمْراً لها ... فقلتُ قُوما فاشربا الرّاحا

كرخيَّةً كالمسك معشوقةً ... يحسبها الشارب تفاحا

ومنهم أبو الغرثان حفص بن غيلان الذي يقول فيه:

قلت لما بَرَق الفجر وأبصرت الصباحا

---

(١) قطب السرور في اوصاف الخمور، ١ ص/٢٠

ورأيت الديكَ قد أكثر في الصبح الصياحا

أسقِ حفصاً يا أبا الغرثان من كفيكَ راحا

قهوةً أذكى من المسكِ ... إذا ما المسكُ فاحا

مُرة تأبى إذا ما ... مُزجت إلا جماحا

ومنهم عبد الله بن عمرو، الذي يقول فيه: ونديم حُلوِ الشمائل كالدينار محض النجار سهل مُصَفَّى قلت عبد الإله قم بأبي أنت، فلبيَّ، فقلت لبيكَ ألفا هاكها، قال: هاتها، قلت: خذها [قال لا أستطيعها] ثم أغفى.

ولو لم يكن من ظرف والبة إلا أنه أُستاذُ أبي نواسٍ لكفاه.

وناهيك بالحسين بن الضحاك وأبي نواسٍ في صنعة الخمر ونعتها وفي الإدمان لشربها، والحضّ على المثابرة عليها، ووصف المجالس وما فيها، والسقاةِ وبراعة جمالها و[آنيتها] واختلافِ نعوتها والحاناتِ ومن يُلِمُّ بها والخمارين ومسامحةِ بعضهم في بيعها، ومغالاة بعضهم فيها، قال الحسين:

وندمان صدقٍ لا ترى بين جهرِهِ ... وبين الذي تخفي سريرتُهُ فرقا

تنبَّه للناقوس أَوَّلَ نقرةٍ ... ولم تبقَ لذات الكرام له عِلقا

أتانا بها زيتية ذهبية ... كأنَّ حبابا دُرّها، حدقاً زرقا

وهو القائل:

ومهفهف نازعتُ فضلَ وشاحه ... وكسوتُهُ من ساعديَّ وِشاحا

ما زال يَضْحَكُ [بي] ويضحكني به ... لا يستفيق دُعابة ومزاحا

وعواتِقٍ باكرت بين حدائقٍ ... ففضضتهن وقد عَيِين صِحاحا

أتبعتُ وخزة تيكَ وخزةَ هذه ... حتى أنتزفت دماءَهن جراحا

ولربَّ ملتبسِ الجفون بسكرةٍ شرّدتْ عنه منامه فأنزاحا

فكأَنَّ رَيَّ الكأس حين ندبتُهُ ... للشرب أنهض في حشاه جناحا

وقال إسحق بن إبراهيم: كان الأخطل نازلاً على عكرمة الفيّاض فإنه خرج من عنده يوماً فمر بفتيانٍ يشربون، وعندهم قينة يقال لها شقراء، فأقام عندهم أياماً، فلما أتى عكرمة، سأله أين كان فأخبره بخبره فبعث [إلى الفتيان] بألف درهم وأعطاه خمسة آلاف، فمضى بها إليهم وقال: أستعينوا بهذه على أمركم ولم يزل ينادمهم حتى رحل وقال:

لعُمركَ ما لاقيتُ يوم معيشةٍ ... من الدهر إلا يوم شقراء أقصرُ

حواريةٌ لا يدخل الذمُّ بيتها ... مطهَّرةٌ يأْوي إليها مطهَّرُ." (١)

"ومنهم حمَّاد عجرد وكان خليعاً ماجِناً متهماً في دينه، وفيه يقول الشاعر:

نعم الفتى، لو كلن يعرف ربَّهُ ... ويقيمُ وقت صلاته حمَّادُ

---

(١) قطب السرور في اوصاف الخمور، ا ص/٣٠

هدلت مشافرَهُ الدِّنانُ وأنفه ... مثل القدوم يسُنُّها الحدَّادُ

وابيضَّ من شرب المدامة وجهُهُ ... فبياضُه يوم الحساب سوادُ

وكان يهاجي بشاراً، وكان حمَّاد يؤدب ولد الربيع الحاجب، فقال بشار:

يا أبا الفضل لا تنم ... وقع الذئبُ في الغنم

إن حماد عَجْردٍ ... شيخ سوءٍ كما اعتلم

بين فخذيه حربةٌ ... في غلافٍ من الأدم

فهو إن راءَ غفلةً ... مجمج الميم بالقلم

فلما بلغت البيات الربيع صرف حماداً عن تأديب ولده.

ومنهم والبة بن الحباب الأسدي وهو الذي ربّى أبا نواس وأدَّبه وعلَّمه الفتوة وقول الشعر، وكان والبة ظريفاً، شاعراً ماجناً، يقال إنه كشف يوماً عن فقْحةِ أبي نواس فأعجبه حُسنها، فضرط عليه أبو نواس، فقال له والبة: ما هذا؟ فقال: أما سمعت المثل: جزاءُ من قبَّل الاست ضرطة، فزاد عجباً، وعَلِكم أنه سيخرج ماجناً، ووالبة القائل:

مزجت له مشعشعة شمولاً ... معتقةً كرقراق الشراب

فخلت على ترائبها نجوماً ... مطوفةً على ذهبٍ مذابِ

ومنهم فضل القراشي، وكان شاعراً ماجناً خليعاً يهاجي أبا نواس، وهو القائل:

ألا لا تعذلاني قد وهبت للذتي نسبي

إذا ما الماء أمكنني ... وصفو سلافة العنب

صببت الفضة البيضاء فوق قُراضة الذهب

فأسبُك منهما طرباً ... فزرني تلفِ ذا طربِ

ومنهم سلم الخاسر، وكان شاعراً ماجناً، وسميَّ الخاسر لأنه با ع مصحفاً ورثه عن أبيه واشترى بثمنه طنبوراً، وهو القائل:

أمزج الراحَ براح ... واسقني قبل الصباح

ليس من شأني فدعني ... شربُ ذا الماء القراح

ونظر رجل إلى أبي نواس وهو بقُطْرُبُّل وفي يده كأسٌ وبين يديه عنب وزبيب، فقال له: ما هذا يا أبا علي، قال: الأب والابن والروح القدس، وهو القائل: إن تكونا كرهتما لذة العيش م حذار العِقاب يوم العقاب

فدعاني وما ألذ وأهوى ... وادفعاني في نحر يوم الحساب

وروى أحمد بن صالح قال: رأيت أبا نواس يوماً وقد كنس مسجداً ورشَّه ونفض ترابه فقلت له: ما هذا، قال: يرتفع إلى السماء خبر ظريف! وروى الحِرمازي قال: قدم البصرة أعرابيان يقال لأحدهما جيدان وللآخر سيدان من تهامة، فقصدا الوالي وقد امتدحاه، فبينما هما في بعض الطرقات إذا هما ببرذون عابر فاتقاه جيدان فطرده عن نفسه فعاج على رجل سيدان فقطع اصبعاً من أصابعه، فتعلقا بالبرذون ولحقه صاحبه فقدماه إلى الوالي فأخذ لهما منه أرْشَ الإصبع خمسمائة درهم فقال

جيدان لسيدان: ما تبغي من الوالي وهذه الدراهم معنا، مِل بنا إلى دار الخمار فإذا أنفدنا ما معنا رجعنا إليه فمالا إلى بيت خمَّار، فلما سكر جيدان أنشأ يقول:

فلا عطش ما دام في الدنِّ قطرةٌ ... وما بقيت في رجل سيدان إصبع

قال أبو جعفر الحنفي: دعاني يوماً بعض إخواني فوجدت عنده العباس بن الأحنف وأبا نواس فما زالا لا يتذكران ويتناشدان إلى ان قام العباس، فقلت لأبي نواس: كيف رأيك في العباس؟ قال: هو أرق من الوهم وأحسُّ من الفهم، ثم عاد وقام أبو نواس فسألت العباس عن رأيه فيه، فقال: أبو نواس أقر للعيون من إنجاز وعدٍ بعد يأسٍ، فلما أخذ الشراب منا مأخذه قال أبو نواس:

إذا آخيت ذا مجدٍ ... فلا تعدل بعباس

فنعم المرء إن نازعت يوماً ذروة الكاس

فقال العباس:

إذا نازعت صفو الكاس يوماً ... أخا ثقة فمثل أبي نواس

فتى يرضى الخليل ويصطفيه ... إذا ما خَلَّة نزلت بناس

ثم تناول أبو نواس قدحه فقال:

أيا عباس خذ كأسك إني آخذ كاسي

فأخذه وقال:

نعم يا واحد الناس على العينين واراس

فقال أبو نواس:

فقد طاب لنا المجلسُ بالنسرين والآس

فقال العباس:

وأقوامٌ بها ليلٌ ... كرامٌ غير أنكاسِ

فكنا في أطيب يوم بهما، قد شغلانا عن السماع بما يدور بينهما.." (١)

"وقال حاجب بن زُرارة لبنيه يوصيهم: إياكم والخمر فإنها مُفسدة العقول، ذهابةٌ بالطارف والتليد. وقال بعض الكُتُب، إن إبليس لقي يحيى بن زكريا عليه السلام فقال له: ألا أُعلمك أربع خصال تَتَّعِظُ بهنَّ؟ قال: بلى. قال: إياك والحسد فبه سخط الله عليَّ وأُخرجت من الملائكة، وإياك والطَّمع فبه سخط الله على أبيك آدم وأُخرج من الجنة، وإياك والنساء فإنهنَّ مصايدي، وما خلا رجل بإمرأة إلا كنت ثالثهما، وإياك والخمر فإنها حَبلي، ومن جعلت حبلي في عنقه قُدته حيث شئت.

وقيل لأعرابي: اشرب النبيذ، قال: لا أشرب ما يفني تالدي ويشغل عن معادي ويذهب عقلي ويكثر خبلي.

---

(١) قطب السرور في اوصاف الخمور، ١ ص/٤٥

وقال مقيس بن صبابة حين حرَّمها في الجاهلية:

رأيت الخمر طيبةً وفيها ... خصالٌ كلها دنسٌ ذميم

فلا والله أشربها حياتي ... طوال الدهر ما طلع النجوم

وكان عبد الله بن جدعان قد سكر فجعل يساور القمر فلما أصبح وأُخبر بذلك حرمها وقال:

شربت الخمر حتى قال قومي ... ألست عن السفاه بمستفيقِ

وحتى ما أُوسدُ في منامٍ ... أنام به سوى الترب السحيق

وحتى أغلق الحانوت رهني ... وأنكرت العدوَّ من الصديق

وأنشد أبو بكر الأنباري:

تركت النبيذ لأهل النبيذ ... وأقبلت أشربُ ماءً نُقاخا

رأيت النبيذ يُذِلُّ العزيز ... ويكسو النقيَّ النقيَّ اتِّساخا

فهبي عذرت الصبي جاهلاً ... فما العذر فيه إذا المرء شاخا

قال الهيثم بن عدي: كنا نقول بالكوفة: إنه من لم يَروِ هذه الأبيات فلا مروءة له، وهي لأيمن بن خُريم:

وحمراء جرجانيةٌ لم يطف بها ... حنيف ولم تنغر بها ساعة قِدرُ

أتاني بها يحي وقد نمت نومة ... وقد مالت الجوزاء أو جنح النسر

فقلت اغتبقها أو لغيري فاسقها ... فمالي بعد الشيب، ويبك والخمرُ

تعففت عنها في العصور التي خلت ... فكيف التصابي بعدما كلأً العمر

إذا المرءُ وفَّى الأربعين ولم يكن ... له دون ما يأتي حياءٌ ولا سترُ

فدعه ولا تنفس عليه الذي ارتأى ... وإن جرَّ أسباب الحياة له الدهرُ

؟؟؟ذكر ما جاء في الخُمار

رأيت أكثر الناس اختدعوا بالمثل الذي يضرب وهو: الخمر دواءقللخُمار، فأتبعوا السُّكر فعرضت لهم أمراض صعبة، فإن فعل ذلك قومٌ وسَلموا من الأمراض لِقوة أبدانهم وصحة أعصابهم، فإنَّ ذلك غير مخرجهم من الخطأ في فعلهم.

قال بعضهم:

داوِ الخمار بخمرة الكأس المشعشعة العُقارِ

لو خامرت عقل العُزير لزلَّ عن ظهر الحمارِ

وشرب رجلٌ عند خَمَّارٍ نصراني أياماً فأصبح ميتاً فاجتمع عليه الناس وقالوا: قتلته، قال: لا والله، ما قتله إلا قوله: وداوِ بالخمر الخُمارا، واستعماله قول الشاعر:

وكأس شربت على لذةٍ ... وأُخرى تداويت منها بها

لكي يعلم الناس أني امرؤٌ ... أتيت **الفتوَّة** من بابها

وقال الفرس: بالخمر تُدفعُ الخمرُ، وشبَّهت المكثر منها بدود الخلِّ لا يحيا إلا فيه ولا ينتفع إلا به. قال أبو نواس:
اشرب الخمرَ العُقارا ... وانفِ بالخمر الخمارا
واسقنيها من سُلافٍ ... تدع الليل نهارا
قال الرازي: أعظم علاج الخمار النوم والحمّام، فمن أصابه عليه غثيان وتقلب، شرب اسكنجبين بالماء الفاتر، واستعمل القيء مراراً، فإن اصابه صُداع صبَّ على رأسه ماء ورد بكافور وشرب الجُلاَّب وأكل الرُّمان الحامض. ومن أصابه على الخمار بهتةٌ وبلادة استعمل التَّعب ثم دخل الخمام ليعرق، ومن أصابه طيشٌ وهذيان شرب شراباً كثير المزاج وغرَّق رأسه بدهن البنفسج وغَسَل أطرافه بالماء الفاتر وطلب النوم. ودواء الخمار العسِر البطيء الطويل شربُ اليسير من الشراب الكثير المزاج.
وبالجملة إن الشراب صرفاً في الشتاء أنفع من الممزوج، وكذلك الممزوج في الصيف أنفع من الصِّرف، غير أنه لا ينبغي أن يتعرض له من به صُداع أو ضعفٌ في الدماغ والعصب والعين أو حدَّة في الكبد، ومن تسرع إليه الحميات؛ قال أبو نواس:." (١)

"تركتُ الخمور لأربابها ... وأقبلت أرشب ماءً قَراحا
ود كنت حيناً بها معجباً ... كحبِّ الغلام الفتاة الرَّداحا
وما كان تركي لها أنني ... يخاف نديمي علي افتضاحا
ولكنَّ قولي له مرحباً ... وأهلاً مع السهل وانعم صباحاً
وكان رجل من الأزد يكنى أبا شملة قد تتابع في الخمر وغلبت عليه، فأُتي به رسول الله (ص) وهو سكران فخلّى سبيله، ثم أُتي به وهو سكران، فأخذ رسول الله (ص) قبضة من تراب فضربه بها، وقال: اضربوا الخبيث فضربه الناس بأيديهم وبالنعال وأطراف النخل، فلما وُلِّي أبو بكر، أُتي بسكران فسأل: كم ضرب رسول الله (ص) أبا شملة، قالوا: ما ندري، قال: كم كنتم؟ قالوا: عشرين رجلاً، قال: فكم ضربه كل واحد منكم؟ قالوا: الضربة والضربتين، فضربه أربعين، فلما ولي عمر كتب إليه أبو عبيدة بن الجراح من الشام، إن الناس قد تتابعوا في شرب الخمرة، وقد ضربت فيها الأربعين فلم تغن شيئاً، فجمع عمر رجالاً من أصحاب رسول الله (ص) فشاورهم، فقال عليّ: إني لا أرى أحداً أشبه بحدِّ الفِرية منه لأن الرجل إذا سكر هذىوإذا هدى افترى، فقال عمر للرسول: قد سمعت ما قال، فمر رأبا عبيدة أن يضربها فإنا ضاربوها، فضرب أبو عبيدة ثمانين، وضربها عمر بالمدينة.
وقال الضحاك بن مزاحم لبعض أصحابه: مالك ولشرب النبيذ؟ قال: يهضم طعامي، قال: والله لما يهضم من عقلك ودينك أكثر. وسُئل شريك بن عبد الله عن النبيذ قال: إشرب منه ما لا يشرب عقلك. ويُروى أن عثمان بن عفان (رض) خطب الناس يوماً فقال: أيها الناس، اجتنبوا الخمر فإنها أُم الخبائث، ومفتاح كل شر، وإني سمعت رسول الله (ص) يقول: من شرب الخمر في الدنيا حرَّمها الله عليه في الآخرة، أيها الناس اتقوا الخمر فإنها من أجل الذنوب وأكبر الكبائر، ومن

(١) قطب السرور في اوصاف الخمور، ١ ص/٩٩

شرب الخمر وقع على أمه وأخته وهو لا يعلم، فمن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يشرب الخمر ولا يقعد على مائدة يُشرب عليها الخمر فإنَّ اللعنة تنزل عليهم ما داموا في مجلسهم ذلك.

ومن عيوب الشراب أن صاحبه يتكرهه عند شربه ويكلحُ عند شمِّه ويغتم أن يفضل منه شيءٌ في قدحه، ويكثر عتاب ساقيه ويمزجه ليغيِّر طعمه ويتجرعه ولا يكاد يسيغه ويستعين بالنقل من بعده ليغيِّر طعمه ويلقى من الدوار والخمارما لا قوام له، مما يكدر كل لذة وينغص كل طيبة، كما قال بعض الحكماء: اولا أن المخمور يعلم علته لأوصى وصيته، وقد رأيت كثيراً من الناس خدعوا أنفسهم بقول الأعشى:

وكأسٍ شربت على لذةٍ ... وأُخرى تداويت منها بها

وقولهم الخمر علاج الخمار، فأتبعوا السكر سكراً فعرضت لهم أمراض صعبة منها الفالج والسكتة. وإن فعل ذلك قوم وسلموا من الأمراض لصحة أبدانهم وقوة أعضائهم فإن ذلك ليس بمخرجهم من الخطأ في فعلهم ولا يُحتج بهم على غيرهم.

وذكروا أن رجلاً شرب عند خمار نصراني أياماً فأصبح ميتاً فاجتمع الناس عليه وقالوا: قتلته، فقال: لا والله ما قتله إلا استعماله ما كان يغني فيه من هذا الشعر:

داوِ الخُمار بخمرة الكأس المعتقة العُقار

لو خامرت عقل العزير لزلَّ عن ظهر الحمار

وقوله:

وكأس شربت على لذةٍ ... وأُخرى تداويت منها بها

وإكثاره منها على قلة الطعام فصار إلى ما ترون.

وقال عبد الملك بن مروان وذكر الخمر: إن أولها لمُرّ، وآخرها لسُكر وإنها لتُذهب العقل وتكسب الجهل وتسقط المروءة وتفسد الفتوة، وتدعو إلى عشرة الوضيع وتحط درجة الرفيع، ولهي أسرع في عِرض الرجل وماله من النار في يبس العرفج.

قال الزبير بن بكار، ذكر أبو الزناد، أن رجلاً من ثقيف جُلد في الشراب في خلافة عثمان بن عفّان (رض) وكان لذلك الرجل مكان من عثمان ومجلس في خلوته فلما جُلد أراد ذلك المجلس فمنعه عثمان إياه وقال له: لا تعود إلى مجلسك أبداً إلا ومعنا ثالث. وعمل محمد بن عبد الملك الزيَّات أبياتاً، وكتبها في كتاب وعنونه إلى إبراهيم بن رياح وختمه ودسَّ رجلاً فدفعه إليه وهو متولي ديوان الضياع، فلما فضَّه إبراهيم تغير لونه وأمر فطلب الرجل فلم يوجد، وإذا في الكتاب أبيات منها:

يا أبا إسحق إن الراح ضدٌّ للفلاح

؟خدمة الواثق والطاسات في أيدي الملاحِ." (١)

"""""""" صفحة رقم ٤ """""""

وهذا سرد ما اشتمل عليه من الأبواب والكتب والفصول

باب في الإخلاص كتاب العقائد وفضل الذكر والقرآن الخ فصل في الذكر فصل في البسملة مع فصل سور وآيات فصل

---

(١) قطب السرور في اوصاف الخمور، ا ص/١١٥

في أذكار غير القرآن فصل في أذكار الصباح والمساء باب المحبة باب ذكر الموت فصل في الأمل فصل في الصبر فصل في الرضا فصل في الأدب باب فضل الدعاء باب التقوى وفعل الخيرات والكف عن المنكرات باب فضل الصلاة ليلا ونهارا ومتعلقاتها باب في فضل الجمعة ويومها وليلتها باب فضل الزكاة فصل في زكاة الأعضاء باب ذم الكبر باب ذم الغيبة والنميمة كتاب الصوم باب فضل رجب وصومه باب فضل شعبان وصلاة التسابيح باب فضل رمضان والترغيب في العمل الصالح فيه فصل في ليلة القدر باب فضل يوم عرفة والعيدين والتكبير والأضحية باب فضل صيام عاشوراء باب فضل الجوع وآفات الشبع باب فضائل الحج وزيارة النبي (صلى الله عليه وسلم) في أركان الحج باب فضل الجهاد باب بر والوالدين باب الحلم والصفح عن عثرات الإخوان باب الكرم والفتوة ورد السلام فصل في كرم الله تعالى باب فضل الصدقة وفعل المعروف فصل في إكرام الجار باب في الزهد والقناعة والتوكل فصل في القناعة فصل في التوكل باب حفظ الأمانة وترك الخيانة وذكر النساء وفضل الزواج وذم الطلاق والتحذير من لواط وفضل الزراعة فصل في الزراعة وبيان قوله (صلى الله عليه وسلم) خلقتم من سبع ورزقتم من سبع باب الخوف باب التوبة باب فضل العمل واجتناب الظلم والشفقة على خلق الله تعالى والإكرام للمشايخ وفضل التسريح والخضاب فصل في فضل العقل باب فضل العلم وأهله فصل سكنى الشام باب مناقب النبي (صلى الله عليه وسلم) باب مولد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فصل في نسبه (صلى الله عليه وسلم) فصل في رضاعه باب في فضل الصلاة والتسليم عليه (صلى الله عليه وسلم) في إسرائه (صلى الله عليه وسلم) باب في وفاته (صلى الله عليه وسلم) باب في مناقب الصحابة وفضائلهم وأمهات المؤمنين رضوان الله عليهم أجمعين مناقب العشرة رضي الله تعالى عنهم فاطمة رضي الله تعالى عنها فصل في تزويج حواء بآدم مناقب الحسن والحسين رضي الله تعالى عنهما مناقب العباس رضي الله تعالى عنه مناقب حمزة رضي الله عنه باب فضائل الأمم وذكر ما فيها من الأنبياء والأولياء باب في ذكر إبراهيم (صلى الله عليه وسلم) باب في ذكر موسى عليه السلام باب في ذكر عيسى عليه السلام والخضر والياس عليهما السلام فصل في ذكر ما تيسر من المشهورين بالكنية بأسمائهم وتواريخهم من الصحابة رضي الله عنهم باب في أشياء من فعلها حرمه الله على النار وأعتقه منها باب في ذكر الجنة .." (١)

"""""""" صفحة رقم ٢٣٠ """"""

باب الكرم والفتوة ورد السلام

قال الله تعالى ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة قيل نزلت الآية في رجل أهدى له دجاجة فدفعها لجاره فدفعها الآخر إلى جاره وهكذا إلى سبعة دور حتى رجعت إلى الأول وفي مجمع الأحباب أن بعض الصحابة رضي الله عنهم قصد ابن عمه بشربة ماء فلما وصل إليه سمع شخصا يشكو عطشا فأشار إليه أن اسقه فجاءه فوجد آخر يشكو عطشا فأشار إليه أن أسقه فجاءه فوجده قد مات فرجع إلى الثاني فكذلك ثم أتى ابن عمه فكذلك فتعجب من حسن ايثارهم مع شدة اضطرارهم رضي الله عنهم وكان ذلك في وقعة اليرموك وهو مكان معروف ينزله الحجاج في ذهابهم ويسمونه المزيريب وكان ذلك في خلافة سيدنا عمر رضي الله عنه وفي صحيح البخاري أن النبي (صلى الله عليه وسلم) كان أجود الناس وكان

---

(١) نزهة المجالس ومنتخب النفائس، ١ /٤

أجود من الريح المرسلة وما رد سائلا قط وما سئل عن شيء فقال لا قال النووي رحمه الله تعالى في تهذيب الأسماء واللغات ما قال (صلى الله عليه وسلم) لا منعا من الوجدان وأما اعتذارا فقد قالها (صلى الله عليه وسلم) قال تعالى قلت لا أجد ما أحملكم عليه قال في عوارف المعارف عن ابن عيينة رضي الله عنه أن لم يكن عنده (صلى الله عليه وسلم) ما طلب منه وعد به ثم قال في عوارف المعارف أيضا عن جبريل عليه السلام ما ووجدت أحدا أشد إنفاقا لهذا المال من رسل الله (صلى الله عليه وسلم) فان قيل كيف كان أجود الناس فالجواب أن الجود ما كان بغير سؤال والكرم بسؤال فالأول أبلغ وفي المنتخب أن يهوديا رأى النبي (صلى الله عليه وسلم) وعليه قميصان فقال يا محمد أعطني قميصا فنزع له أجودهما فقال عمر رضي الله عنه يا رسول الله هلا أعطيته الأردأ فقال أن ديننا الحنيفة السمحة لا شح فيها كسوته أفضل القميصين ليكون أرغب له في الإسلام . . . موعظتان . . الأولى : رأى النبي (صلى الله عليه وسلم) رجلا يطوف بالكعبة وهو يقول اللهم بحرمة هذا البيت إلا غفرت لي ذنبي فقال ويحك ذنبك أعظم أم الأرضون قال بل ذنبي اعظم قال ذنبك أعظم أم السموات قال بل ذنبي أعظم قال ذنبك أعظم أم العرش قال بل ذنبي أعظم قال ذنبك أعظم أم الله قال بل الله أعظم قال صف لي ذنبك قال يا رسول الله إني صاحب مال كثير وإذا جاءني سائل فكأنما يأتني بشعلة نار قال إليك عني لا تحرقني بنارك أما علمت أن البخل كفر وأن الكفر في النار وعن النبي (صلى الله عليه وسلم) لما خلق الله الإيمان قال يا رب قوني فقواه بحسن الخلق ثم خلق الكفر فقال يا رب قوني فقواه بالبخل . . الثانية : قالت عائشة رضي الله عنها جاءت امرأة إلى النبي (صلى الله عليه وسلم) وقد يبست يداها قالت يا رسول الله ادع الله أن يصلح لي يدي فسألها عن ذلك فقالت رأيت في المنتم كأن أمي في واد من جهنم ومعها خرقة صغيرة وشحمة قلية تتقي بهما النار." (١)

""""""""" صفحة رقم ٤٣٨ """""""

باب مناقب الحسن والحسين رضي الله عنهما

قال بعض المفسرين في قوله تعالى مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان أي بحر النبوة من فاطمة وبحر **الفتوة** من علي رضي الله عنه بينهما حاجز من التقوى فلا تبغي فاطمة على علي ولا يبغي علي على فاطمة يخرج منهما مرج البحرين أي بحر السماء وبحر الأرض فإذا وقع ماء بحر السماء على الأرض صارا لؤلؤا وكان الحسن أول أولاد فاطمة الخمسة الحسن والحسين والمحسن كان سقطا وزينب الكبرى وزينب الصغرى المكناة بأم كلثوم ولدت في حياة النبي (صلى الله عليه وسلم) قال البرماوي في شرح البخاري وخطبها عمر من علي رضي الله عنهما فقال أبعثها إليك فإن رضيتها فقد زوجتكها فبعثها أبوها ببرد وقال لها قولي لعمر هذا البرد الذي قال لك أبي عنه فلما قالت ذلك قال عمر قولي له رضيت رضي الله عنك وعنه ثم وضع يده على ساقها قالت تفعل هذا لولا أنك أمير المؤمنين لكسرت أنفك ثم رجعت إلى أبيها وقالت بعثتني إلى شيخ سوء فقال يا بنية أنه زوجك قال المحب الطبري ولد الحسن في النصف الثاني من رمضان في ثلاث من الهجرة قال علي رضي الله عنه لما حضرت ولادة فاطمة قال النبي (صلى الله عليه وسلم) لأسماء بنت عميس وأم سلمة رضي الله عنهما أحضراها فإذا وقع ولدها واستهل صارخا فأذنا في أذنه اليمنى وأقيما في أذنه اليسرى فإنه لا يفعل ذلك بمثله إلا

---

(١) نزهة المجالس ومنتخب النفائس، ١ /٢٣٠

عصم من الشيطان فلما كان اليوم السابع سماه النبي (صلى الله عليه وسلم) حسنا وقال النسفي لما ولدت فاطمة الحسن قال النبي (صلى الله عليه وسلم) لعلي سمه فقال ما يسميه إلا جده فقال النبي (صلى الله عليه وسلم) ما كنت لأسبق بتسمية ربي فجاء جبريل وقال يا محمد إن الله يهنئك بهذا المولود ويقول لك سمه باسم ابن هارون سبر ومعناه حسن ولما ولدت الحسين قال يا محمد إن الله يهنئك بذا المولود ويقول لك سمه باسم ابن هارون سبير ومعناه حسين . . . موعظة : قال وهب كان يسرج في بيت المقدس كل ليلة ألف قنديل وكان يخرج من طور سيناء زيت مثل عنق البعير حتى يقع في القناديل من غير أن يمسه أحد وكانت تنزل نار بيضاء من السماء فتسرج القناديل بيد سبر وسبير أولاد هارون وكانا قد أمرا أن لا يشعلا بنار الدنيا فاستعجلا ليلة فاسرجا بنار الدنيا فأحرقتها النار فبلغ موسى ذلك فقال يا إلهي قد علمت منزلة أولاد أخي مني فأوحى الله تعالى إليه هكذا أفعل بمن عصاني من أوليائي فكيف أفعل بأعدائي ومن عصاني وقال أنس رضي الله عنه من أسرج في المسجد سراجا لم تزل الملائكة وحملة العرش يستغفرون له ما دام ذلك الضوء في المسجد قال جعفر الصادق رضي الله عنه في قوله تعالى فتلقى آدم من ربه كلمات كان آدم وحواء جالسين فجاءهما جبريل وأتى بهما إلى قصر من ذهب وفضة شرفاته." (١)

""""""""" صفحة رقم ٥٦ """""""

تنظر ، وبالسعود تبشر ، كيف نهنئك بالعيد وأيامك كلها أعياد ، ولياليك أعراس ، وساعاتك تواريخ ، وأوقاتُك مواقيت ، يا أكرمَ من أمسى وأضحى ، سعدت بهذا الأضحى ، عرَّفك الله من السَّعادات ما يُرْبي على عَدَدِ من حَجَ واعتَمَر ، وسعى ونَحَر ، جعل الله أعاديك كأضاحيك .

التهنئةُ بالنّيروزِ وفصلِ الربيع

هذا اليوم في الأيام ، كسيدنا في الأنام ، هذا اليوم غُرَّة في وجه الدَّهرِ وتاجٌ على مفرقِ العَصْرِ ، أسعدَ الله سيدنا بالنيروز الطالع عليه ببركاته ، وأيمن طائره في جميع أيامه متصرفاته ، أقبل النيروز إلى سيدنا ناشراً حلله التي استعارها من شيمته ، ومبدياً حليته ، التي أخذها من سجيَّتِه ، أسعدَ الله بهذا الربيع ، المتشبه بخلقه الجاري في طرْقه ، ثم أسعده الله بالفصل الجديد ، والنيروز الحميد ، سعادة متصلة المادة ، حافظة لجميل العادة ، من هنأ سيدنا بيوم جديدٍ ، وعيدٍ سعيدٍ ، فإني أهنِئ الفصولَ والأعوام ، الشهور والأيام ببقائه ، وأسألُ الله أن يؤنس الدنيا بدوام نعمائه .

التهنئة بالمَهْرَجان

عَرَّف الله سيدنا بركة المهرجانِ ، وأسعده في كل أَوانٍ وزمان ، عَرَّفهُ اللهُ بركةَ المهرجان الذي هو من أعياد المروءة ، ومواقيت الفتوَّة ، المهرجان من غُرر الدهور ، ومواسِم السُّرور ، فعظَّم الله بركتهُ ، ولقاه يُمنه وسعادته ، وجعل أيامه كلها محفوفة بالمواهِبِ ، مكنوفةً بالعطايا والرغائب .

إقامة رسم الهديةِ في النَّوروز والمهرجان

لليوم رسم إن أخل الأولياء عُدَّ هفوةً ، وإن مُنع به الرؤساء حُسب جفوةً ، قد سلكتُ مع مولاي في إقامة رسمِ هذا اليوم

---

(١) نزهة المجالس ومنتخب النفائس، ١ /٤٣٨

سُلوك العبيدِ مع الساداتِ ، والأتباع مع الأرباب ، لمثل هذا اليوم سُنَة على مثلي فيها أن يهدي ويلاطف ، وعلى مثل سيدنا ولا مثيل له أن يقبل ويشرِّف ، قد خدمت سيدنا في هذا اليوم الجديد ، والأوان السعيد ، بقليل يوفرهُ خلوص شكري ، ويسير يكثره واضح عُذري ، قد نقل من إحدى." (١)

" ٣٤١٠ – لما استد ساعده رماني

يضرب لمن يسيء إليك وقد أحسنت إليه قال الشاعر :

فيا عجبا لمن ربيت طفلا ... ألقمه بأطراف البنان

أعلمه الرماية كل يوم ... فلما استد ساعده رماني

وكم علمته نظم القوافي ... فلما قال قافية هجاني

أعلمه الفتوة كل وقت ... فلما طر شاربه جفاني ." (٢)

" وصنف أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد المقدسي جزءا فيمن لقيه من الصحابة وأخبار الحسن مشهورة في مثل تاريخ البخاري وقد كتبت أسانيد الخرقة لأنه كان لنا فيها أسانيد فبينتها ليعرف الحق من الباطل

ولهم إسناد آخر بالخرقة المنسوبة إلى جابر وهو منطقع جدا

وقد عقل بالنقل المتواتر أن الصحابة لم يكونوا يلبسون مريديهم خرقة ولا يقصون شعورهم ولا التابعون ولكن هذا فعله بعض مشايخ المشرق من المتأخرين

وأخبار الحسن مذكورة بالأسانيد الثابتة من كتب كثيرة يعلم منها ما ذكرنا وقد أفرد أبو الفرج بن الجوزي له كتابا في مناقبه وأخباره

وأضعف من هذا نسبة الفتوة إلى علي وفي إسنادها من الرجال المجهولين الذين لا يعرف لهم ذكر ما يبين كذبها

وقد علم كل من له علم بأحوال الصحابة والتابعين أنه لم يكن فيهم أحد يلبس سراويل ولا يسقى ملحا ولا يختص أحد بطريقة تسمى الفتوة لكن كانوا قد اجتمع بهم التابعون وتعلموا منهم وتأدبوا بهم واستفادوا منهم وتخرجوا على أيديهم وصحبوا من صحبوه منهم وكانوا يستفيدون من جميع الصحابة ." (٣)

"عج بالركائب ساحة الجرعاء

عج بالركائب ساحة الجرعاء ... وأنزل بتلك البقعة الفيحاء

وأنخ بعيسك حولها فلأهلها ... فضل على الخدام والأمراء

قوم كرام لا يضام نزيلهم ... وحماهم حام من الأعداء

سبقوا الورى شرفا بكل مزية ... وعلوا على الأبناء والآباء

---

(١) لباب الآداب، ١ ص/٥٦

(٢) مجمع الأمثال، ١ /٢٠٠

(٣) منهاج السنة النبوية، ١ /٨ ٤٧

وتوشحوا البيض الصقال فطأطأت ... لقوى علاهم هامة العلياء

فتحوا المشارق والمغارب مثل ما ... سدوا طريق البغي والفحشاء

قد أغرقوا الدنيا برأفتهم وقد ... داسوا ببأس جبهة الجوزاء

خضعت لهم زهر الغطارفة العظام ... وقد أعزوا عصبة الضعفاء

وجلوا غبار الظلم عن وجه الورى ... والعدل قد بسطوه في الغبراء

وبجودهم عموا الوجود ومجدهم ... كشف الدجا بمحجة بيضاء

قوم رئيسهم الرسول المصطفى المبعوث ... بالآيات والأنباء

عين البرية أصل كل حقيقة ... سر الوجود خلاصة الأشياء

كشاف دهم المعضلات ودافع البلوى ... وترياق الشفا للداء

وإشارة الرحموت في الملكوت والملك ... العظيم ونقطة الإبداء

ورقيقة المقصود من خلق الوجود ... وعينه في عالم الأسماء

والهيكل المحفوظ في طي العمى ... من قبل صبغة طينها والماء

علامة السر الخفي وصاحب القدر ... العلي وسيد الشفعاء

طه سراج المرسلين وقبضة النور ... القديم وأكرم الكرماء

سيف الإله وفارس القدس الذي ... ذلت لديه فوارس الهيجاء

شمس النبوة والفتوة والهدى ... والكوكب اللماع في الظلماء

وطريق كل طريقة وإمام كل ... حقيقة والكنز للفقراء

كم من يد بيضاء شعت منه في ... وجه الكمال ولألأت للرائي

طابت به الدنيا وضرتها معا ... للمؤمنين وعمهم برضاء

وبفضله انجلت الهموم وبدلت ... بعد المضرة والعنا بصفاء

وسما منار الحق فيه إلى السماء ... بالحق لا بالفكر والآراء

وأبان منهاج الأمان بهمة ... أعي علاها مدرك العقلاء

وأتى بقرآن قديم معجز الأيات ... للبلغاء والفصحاء

وأقام ركن الدين بالعزم الذي ... ذلت له الآساد في البيداء

فسل الجيوش بيوم بدر إذ أبا ... دهمو ورد ورودهم ببلاء

واذكر حنينا حين أحنى ظهر حجفلها ... ومزق عصبة الأهواء." (١)

---

(١) موسوعة الشعر الإسلامي، ١٠٩٣١/١

"سرب محاسنه حرمت ذواتها

تراجم شعراء موقع أدب - (ج ٤٧ / ص ٤٠٦)

العصر العباسي >> المتنبي >> سرب محاسنه حرمت ذواتها

سرب محاسنه حرمت ذواتها

رقم القصيدة : ٥٤٧٤

سرب محاسنه حرمت ذواتها داني الصفات بعيد موصوفاتها

أوفى فكنت إذا رميت بمقلتي بشرا رأيت أرق من عبراتها

يستاق عيسهم أنيني خلفها تتوهم الزفرات زجر حداتها

وكأنها شجر بدت لكنها شجر جنيت الموت من ثمراتها

لا سرت من إبل لواني فوقها لمحت حرارة مدمعي سماتها

وحملت ما حملت من هذي المها وحملت ما حملت من حسراتها

إني على شغفي بما في خمرها لأعف عما في سرابيلاتها

وترى المروة **والفتوة** والأبو ة في كل مليحة ضراتها

هن الثلاث المانعاتي لذتي في خلوتي لا الخوف من تبعاتها

ومطالب فيها الهلاك أتيتها ثبت الجنان كأنني لم آتها

ومقانب بمقانب غادرتها أقوات وحش كن من أقواتها

أقبلتها غرر الجياد كأنما أيدي بني عمران في جبهاتها

ألثابتين فروسة كجلودها في ظهرها والطعن في لباتها

ألعارفين بها كما عرفتهم والراكبين جدودهم أماتها

فكأنما نتجت قياما تحتهم وكأنهم ولدوا على صهواتها

إن الكرام بلا كرام منهم مثل القلوب بلا سويداواتها

تلك النفوس الغالبات على العلى والمجد يغلبها على شهواتها

سقيت منابتها التي سقت الورى بندى أبي أيوب خير نباتها

ليس التعجب من مواهب ماله بل من سلامتها إلى أوقاتها

عجبا له حفظ العنان بأنمل ما حفظها الأشياء من عاداتها." (١)

---

(١) موسوعة الشعر الإسلامي، ١ ١/١١٣٩

"٤١. *مفسدة [للمرء] أي مفسدة(١)*

٤٢. [يا للشباب المرح] التصابي(٢) ... *** ... روائح الجنة في الشباب(٣)

٤٣. اصحب ذوي الفضل وأهل الدين ... *** ... فالمرء منسوب إلى القرين

٤٤. إياك والغيبة والنميمة ... *** ... فإنها منزلة ذميمة(٤)

٤٥. لا تهن في الأمور فرطا ... *** ... لا تسألن إن سألت شططا(٥)

٤٦. * وكن من الناس جميعا وسطا(٦)*

---

(١) – في ((الأغاني)) [للعقل] ، قال أبو الفرج : ذكر سليمان بن أبي شيخ قال : قلت لأبي العتاهية : أي شعر قلته أجود ، وأعجب إليك ؟ قال : قولي :

إن الشباب والفراغ والجدة *** مفسدة للعقل أي مفسدة

وقولي ايضا :

إن الشباب حجة التصابي *** روائح الجنة في الشباب

(٢) – في ((الأغاني)) : إن الشباب حجة التصابي] والتصابي والصبا والصيوة : جهلة الفتوة واللهو من الغزل

(٣) – قال أبو الفرج الأصفهاني في كتابه ((الأغاني))( ): أخبرني أبو دلف هاشم بن محمد الخزاع قال: تذاكروا يوما شعر أبي العتاهية بحضرة الجاحظ؛ إلى أن جرى ذكر أرجوزته المزدوجة التي سماها "ذات الأمثال"؛ فأخذ بعض من حضر ينشدها حتى أتى على قوله:

يا للشباب المرح التصابي *** روائح الجنة في الشباب

فقال الجاحظ للمنشد: قف: ثمن قال: انظروا إلى قوله:

........................*** روائح الجنة في الشباب

فإن له معنى كمعنى الطرب الذي لا يقدر على معرفته إلا القلوب، وتعجز عن ترجمته الألسنة إلا بعد التطويل وإدامة التفكير، وخير المعاني ما كان القلب إلى قبوله أسرع من اللسان إلى وصفه.

(٤) – ذميمة أي مذمومة، فعيلة بمعنى مفعولة

(٥) – الفرط : العجلة ، وفرط في الأمر فرطا أي قصر فيه وضيعه حتى فات، والشطط مجاوزة الحدد في البيع والقدر يقال شططت وأشط و أشططت جرت عن الحق

(٦) – الأبيات [٤٣ و٤٤ و٤٥ و٤٦] زيادة من ((الأغاني))." [١]

"٧٩. كم من نقي الثوب ذي قلب دنس ... *** ... الموحش الباطل والحق أنس(١)

٨٠. تحر فيما تطلب البلاغا ... *** ... واغتنم الصحة والفراغا(٢)

---

(١) موسوعة الشعر الإسلامي، ١ ٦/٢٩٦

٨١. المرء يبغي كل من يبغيه ... *** ... وكل ذي رزق سيستوفيه

٨٢. في كل شيء عجب من العجب ... *** ... وكل شيء فبوقت وسبب

٨٣. الحق ما كان أحق ما اتبع ... *** ... وربما لج لجوج فرجع(٣)

٨٤. الأمر قد يحدث بعد الأمر ... *** ... كل امرئ يجري وليس يدري

٨٥. دنياي يا دنياي غري غيري ... *** ... إني من الله بكل خير

٨٦. لكل نفس صبغة وشيمه ... *** ... ولن ترى... عزيمه

٨٧. لا تترك المعروف حيث كنتا ... *** ... واعزم على الخير وإن جبنتا

٨٨. الحمد لله كثيرا شكرا ... *** ... الله أعلى وأعز أمرا

٨٩. لابد مما ليس منه بد ... *** ... والغي لا ينزل حيث الرشد

٩٠. ما شاء ربي أن يكون كانا ... *** ... والمرء يردي نفسه أحيانا(٤)

٩١. كل اجتماع فإلى افتراق ... *** ... والدهر ذو فتح وذو إغلاق

٩٢. كل يناغي نفسه بهاجس ... *** ... [تعلق] من علق الوساوس (٥)

٩٣. نستوفق الله لما نحب ... *** ... ما أقبح الشيخ الكبير يصبو(٦)

٩٤. في كل رأس نزوة وطربة ... *** ... رب رضى أفضل منه غضبة(٧)

---

(١) – الدنس: الوسخ. وقد تدنس الثوب: اتسخ.

(٢) – البلاغ : الكفاية

(٣) – لج في الأمر لجاجة ولجاجا فهو لجوج تمادى فيه وأبى أن ينصرف عنه

(٤) – يردي : يهلك

(٥) – المناغاة المغازلة ، تكليمك الصبي بما يهوى من الكلام، والمرأة تناغي الصبي أي تكلمه بما يعجبه ويسره، والهاجس : الخاطر، في ((الموسوعة)) [تقلق]

(٦) – يقال صبى وتصابي إذا مال إلي الجهل والفتوة

(٧) – النزوة : التفلت والسورة." [1]

"سرب محاسنه حرمت ذواتها

المتنبي

سرب محاسنه حرمت ذواتها داني الصفات بعيد موصوفاتها

أوفى فكنت إذا رميت بمقلتي بشرا رأيت أرق من عبراتها

---

(١) موسوعة الشعر الإسلامي، ١ ٢٩٦/٩

يستاق عيسهم أنيني خلفها تتوهم الزفرات زجر حداتها

وكأنها شجر بدت لكنها شجر جنيت الموت من ثمراتها

لا سرت من إبل لو أني فوقها لمحت حرارة مدمعي سماتها

وحملت ما حملت من هذي المها وحملت ما حملت من حسراتها

إني على شغفي بما في خمرها لأعف عما في سراويلاتها

وترى **الفتوة** والمروة والأبوة في كل مليحة ضراتها

هن الثلاث المانعاتي لذتي في خلوتي لا الخوف من تبعاتها

ومطالب فيها الهلاك أتيتها ثبت الجنان كأنني لم آتها

ومقانب بمقانب غادرتها أقوات وحش كن من أقواتها

أقبلتها غرر الجياد كأنما أيدي بني عمران في جبهاتها

الثابتين فروسة كجلودها في ظهرها والطعن في لباتها

العارفين بها كما عرفتهم والراكبين جدودهم أماتها

فكأنما نتجت قياما تحتهم وكأنهم ولدوا على صهواتها

إن الكرام بلا كرام منهم مثل القلوب بلا سويداواتها

تلك النفوس الغالبات على العلى والمجد يغلبها على شهواتها

سقيت منابتها التي سقت الورى بيدي أبي أيوب خير نباتها

ليس التعجب من مواهب ماله بل من سلامتها إلى أوقاتها

عجبا له حفظ العنان بأنمل ما حفظها الأشياء من عاداتها

لو مر يركض في سطور كتابة أحصى بحافر مهره ميماتها." (١)

"شاعر يرثي نفسه ....للشيخ الاديب علي الطنطاوي رحمة الله ...

واحةالادبواحةالادب لقد وعدتكم أن أضرب لكم في هذه الأحاديث بكل سهل، وأسلك كل واد، وأتحدث عن رجال الفن كما أتحدث عن رجال العلم، وأن أجيئكم مرة مع شاعر أو موسيقي، كما أجيئكم مرات مع الأئمة والقواد. وهاأنذا آتي اليوم ومعي شاعر. شاعر لم يغن مع الحمائم في الروض الأغن، ولم يهم مع السواقي في الوادي الضائع، ولم يدلج مع النجم في الأسحار الندية بعطر الفجر، ولم يتبع الشمس في العشايا السكرى بخمر الغروب، ولم يرقب طيف الحبيب في الليالي التي تكتم أسرار الهوى. ولأن سابقت شاعرية الشعراء الزمان فسبقت الشباب، وظهرت بوادرها في مدارج الصبا، وملاعب **الفتوة**، فإن هذا الشاعر لم تنبثق شاعريته إلا على سرير الموت، وشفا المردى، على عتبة الدنيا خارجا منها، وعتبة الآخرة داخلا إليها. في الساعة التي يعيا فيها الشاعر، ويؤمن فيها الكافر، ويضعف فيها القوي، ويفتقر فيها الغني، ولم

---

(١) موسوعة الشعر الإسلامي، ١/٤٥٣١

تنبثق إلا بقصيدة واحدة، ولكنها كانت نفحة من عالم الخلود فخلد فيها.

* * * * * * * * * *

قصيدة وهبها للموت، إن تغنى له فيها، فوهب له الموت بها الحياة. لم يتفلسف فيها تفلسف المعري، ولا تجبر تجبر المتنبي، ولا أغرب إغراب الدريدي، ولكنه جاء بأقرب الأفكار، في أسهل الألفاظ، فجاءت من هذه السهولة عظمة القصيدة. والفنون كلها تموت يا سادة إن أكرهتها على الحياة في جو التكلف، التكلف في التفكير أو التعبير. إن الفنون لا تحيا إلا في الانطلاق والحرية. كل الفنون: الكتابة والشعر والتصوير والموسيقى، حتى الإلقاء، فليفهم ذلك من يظن أن الإلقاء الجيد هو التشدق والتقعر، وإمالة اللسان، وقلب الحناجر، وضخامة الأصوات...

وما نسمعه كل يوم في الإذاعات.

* * * * * * * * * *." (١)

"التَّقَرُّبُ بِهَا إلَى اللَّهِ وَلَا اتِّخَاذُهَا طَرِيقًا إلَى اللَّهِ وَسَبَبًا لِأَنْ يَكُونَ الرَّجُلُ مِنْ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ وَأَحِبَّائِهِ وَلَا اعْتِقَادُ أَنَّ اللَّهَ يُحِبُّهَا أَوْ يُحِبُّ أَصْحَابَهَا كَذَلِكَ أَوْ أَنَّ اتِّخَاذَهَا يَزْدَادُ بِهِ الرَّجُلُ خَيْرًا عِنْدَ اللَّهِ وَقُرْبَةً إلَيْهِ وَلَا أَنْ يَجْعَلَ شِعَارًا لِلتَّائِبِينَ الْمُرِيدِينَ وَجْهَ اللَّهِ الَّذِينَ هُمْ أَفْضَلُ مِمَّنْ لَيْسَ مِثْلَهُمْ . فَهَذَا أَصْلٌ عَظِيمٌ تَجِبُ مَعْرِفَتُهُ وَالِاعْتِنَاءُ بِهِ وَهُوَ أَنَّ الْمُبَاحَاتِ إنَّمَا تَكُونُ مُبَاحَةً إذَا جُعِلَتْ مُبَاحَاتٍ فَأَمَّا إذَا اُتُّخِذَتْ وَاجِبَاتٍ أَوْ مُسْتَحَبَّاتٍ كَانَ ذَلِكَ دِينًا لَمْ يُشَرِّعْهُ اللَّهُ وَجَعَلَ مَا لَيْسَ مِنْ الْوَاجِبَاتِ والمستحبات مِنْهَا بِمَنْزِلَةِ جَعْلِ مَا لَيْسَ مِنْ الْمُحَرَّمَاتِ مِنْهَا فَلَا حَرَامَ إلَّا مَا حَرَّمَهُ اللَّهُ ؛ وَلَا دِينَ إلَّا مَا شَرَعَهُ اللَّهُ ؛ وَلِهَذَا عَظُمَ ذَمُّ اللَّهِ فِي الْقُرْآنِ لِمَنْ شَرَّعَ دِينًا لَمْ يَأْذَنْ اللَّهُ بِهِ وَلِمَنْ حَرَّمَ مَا لَمْ يَأْذَنْ اللَّهُ بِتَحْرِيمِهِ فَإِذَا كَانَ هَذَا فِي الْمُبَاحَاتِ فَكَيْفَ بِالْمَكْرُوهَاتِ أَوْ الْمُحَرَّمَاتِ وَلِهَذَا كَانَتْ هَذِهِ الْأُمُورُ لَا تُلْزِمُ بِالنَّذْرِ فَلَوْ نَذَرَ الرَّجُلُ فِعْلَ مُبَاحٍ أَوْ مَكْرُوهٍ أَوْ مُحَرَّمٍ لَمْ يَجِبْ عَلَيْهِ فِعْلُهُ كَمَا يَجِبُ عَلَيْهِ إذَا نَذَرَ طَاعَةَ اللَّهِ أَنْ يُطِيعَهُ ؛ بَلْ عَلَيْهِ كَفَّارَةُ يَمِينٍ إذَا لَمْ يَفْعَلْ عِنْدَ أَحْمَد وَغَيْرِهِ وَعِنْدَ آخَرِينَ لَا شَيْءَ عَلَيْهِ فَلَا يَصِيرُ بِالنَّذْرِ مَا لَيْسَ بِطَاعَةِ وَلَا عِبَادَةٍ [طَاعَةٍ وَعِبَادَةٍ] . وَنَحْوِ ذَلِكَ الْعُهُودِ الَّتِي تُتَّخَذُ عَلَى النَّاسِ لِالْتِزَامِ طَرِيقَةِ شَيْخٍ مُعَيَّنٍ كَعُهُودِ أَهْلِ " **الْفُتُوَّةِ** " وَ " رُمَاةِ الْبُنْدُقِ " وَنَحْوِ ذَلِكَ لَيْسَ عَلَى الرَّجُلِ أَنْ يَلْتَزِمَ مِنْ ذَلِكَ عَلَى وَجْهِ الدِّينِ وَالطَّاعَةِ لِلَّهِ إلَّا مَا كَانَ دِينًا وَطَاعَةً لِلَّهِ وَرَسُولِهِ فِي شَرْعِ اللَّهِ ؛ لَكِنْ قَدْ يَكُونُ عَلَيْهِ كَفَّارَةٌ عِنْدَ الْحِنْثِ فِي ذَلِكَ ؛ وَلِهَذَا أَمَرْت غَيْرَ وَاحِدٍ أَنْ يَعْدِلَ عَمَّا أُخِذَ عَلَيْهِ مِنْ الْعَهْدِ بِالْتِزَامِ طَرِيقَةٍ مَرْجُوحَةٍ أَوْ مُشْتَمِلَةٍ عَلَى أَنْوَاعٍ مِنْ الْبِدَعِ إلَى مَا هُوَ خَيْرٌ مِنْهَا مِنْ طَاعَةِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَاتِّبَاعِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ ؛ إذْ كَانَ الْمُسْلِمُونَ مُتَّفِقِينَ عَلَى أَنَّهُ لَا يَجُوزُ لِأَحَدِ أَنْ يَعْتَقِدَ أَوْ يَقُولَ عَنْ عَمَلٍ : إنَّهُ قُرْبَةٌ وَطَاعَةٌ وَبِرٌّ وَطَرِيقٌ إلَى اللَّهِ وَاجِبٌ أَوْ مُسْتَحَبٌّ إلَّا أَنْ يَكُونَ مِمَّا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ وَرَسُولُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ وَذَلِكَ يُعْلَمُ بِالْأَدِلَّةِ الْمَنْصُوبَةِ عَلَى ذَلِكَ وَمَا عُلِمَ بِاتِّفَاقِ الْأُمَّةِ أَنَّهُ لَيْسَ بِوَاجِبِ وَلَا مُسْتَحَبٍّ وَلَا قُرْبَةٍ لَمْ يَجُزْ أَنْ يُعْتَقَدَ أَوْ يُقَالَ إنَّهُ قُرْبَةٌ وَطَاعَةٌ . فَكَذَلِكَ هُمْ مُتَّفِقُونَ عَلَى أَنَّهُ لَا يَجُوزُ قَصْدُ التَّقَرُّبِ بِهِ إلَى اللَّهِ وَلَا التَّعَبُّدُ بِهِ وَلَا اتِّخَاذُهُ دِينًا وَلَا عَمَلُهُ مِنْ الْحَسَنَاتِ فَلَا يَجُوزُ جَعْلُهُ مِنْ الدِّينِ لَا بِاعْتِقَادِ وَقَوْلٍ وَلَا بِإِرَادَةِ وَعَمَلٍ . وَبِإِهْمَالِ هَذَا الْأَصْلِ غَلِطَ خَلْقٌ كَثِيرٌ مِنْ الْعُلَمَاءِ وَالْعُبَّادِ يَرَوْنَ الشَّيْءَ إذَا لَمْ يَكُنْ مُحَرَّمًا لَا يَنْهَى عَنْهُ ؛ بَلْ يُقَالُ إنَّهُ جَائِزٌ وَلَا يُفَرِّقُونَ بَيْنَ اتِّخَاذِهِ دِينًا

---

(١) موسوعة الشعر الإسلامي، ١ /٤٦٠

وَطَاعَةً وَبِرًّا وَبَيْنَ اسْتِعْمَالِهِ كَمَا تُسْتَعْمَلُ الْمُبَاحَاتُ الْمَحْضَةُ وَمَعْلُومٌ أَنَّ اتِّخَاذَهُ دِينًا بِالِاعْتِقَادِ أَوْ الِاقْتِصَادِ أَوْ بِهِمَا أَوْ بِالْقَوْلِ أَوْ بِالْعَمَلِ أَوْ بِهِمَا مِنْ أَعْظَمِ الْمُحَرَّمَاتِ وَأَكْبَرِ السَّيِّئَاتِ وَهَذَا مِنْ الْبِدَعِ الْمُنْكَرَاتِ الَّتِي هِيَ أَعْظَمُ مِنْ الْمَعَاصِي الَّتِي يُعْلَمُ أَنَّهَا مَعَاصِي وَسَيِّئَاتٌ . فَصْلٌ فَلَمَّا نَهَيْتهمْ عَنْ ذَلِكَ أَظْهَرُوا الْمُوَافَقَةَ وَالطَّاعَةَ وَمَضَتْ عَلَى ذَلِكَ مُدَّةٌ وَالنَّاسُ يَذْكُرُونَ عَنْهُمْ الْإِصْرَارَ عَلَى الِابْتِدَاعِ فِي الدِّينِ وَإِظْهَارِ مَا يُخَالِفُ شِرْعَةَ الْمُسْلِمِينَ وَيَطْلُبُونَ الْإِيقَاعَ بِهِمْ وَأَنَا أَسْلُكُ مَسْلَكَ الرِّفْقِ." [1]

"وقال ابن ظافر (١) في وصف هذا المجلس حاذيا حذو الفتح، ما صورته:

حضر الأستاذ أبو محمد ابن السيد عند المأمون ابن ذي النون في بعض منتزهاته، في وقت (٢) طاب نعيمه، وسرت بالسعودنجومه، والروض قد أجاد وشيه راقمه، والماء قد جرت بين الأعشاب أراقمه، وثم بركة مملوة، كأنها مرآة مجلوة، قد اتخذت سباع الصفر بشاطئها غابا، ومجت بها من سائغ الماء لعابا، فكأنها آساد عين، أدلعت ألسنة من لجين، وهي لا تزال تقذف الماء ولا تفتر، وتنظم لآلي الحباب بعدما تنثر، فأمره بوصف ذلك الموضع، الذي تخد (٣) إليه ركائب القلوب وتوضع، فقال بديها يا منظرا ... إلخ، انتهى.

ثم قال الفتح في هذا التصنيف بعد كلام في المذكور، ما نصه: وما أبدع قوله في وصف الراح، والحض على النبذ للهموم والاطراح، بمعاطاة كاسها، وموالاة إيناسها (٤) ، ومعاقرة دنانها،واهتصار ثمار الفتوة وأفنانها (٥) ، والإعراض عن الأيام وأنكادها، والجري في ميدان الصبوة إلى أبعد آمادها:

سل الهموم إذا نبا زمن ... بمدامة صفراء كالذهب

مزجت فمن در على ذهب ... طاف ومن حبب على لهب

وكأن ساقيها يثير شذا ... مسك لدى الأقوام منتهب ولله هو فقد ندب إلى المندوب، وذهب إلى مداواة القلوب من الندوب، وإبرائها من الآلام، وإهدائها كل تحية وسلام، وإبهاجها بآصال وبكر، وعلاجها من هموم وفكر، في زمن حلي عاطله، وجلي في أحسن الصور

---

(١) في ك ق ط ج: وقال الفضل؛ وصوابه ما أثبت، فهذا النص في بدائع البدائه ٢: ٤٠.

(٢) البدائع: يوم.

(٣) البدائع: تخب.

(٤) أزهار الرياض: بمعاطاة كؤوسها، وموالاة تأنيسها.

(٥) ك: من أفنائها.." [2]

"الجواب ذكره ابن عطية في تفسيره، وبسطه الشيخ، رضي الله تعالى عنه، فقال: عموم المؤمنين يقولون " اهدنا الصراط المستقيم " معناه نسألك التثبيت فيما هو حاصل والإرشاد لما ليس بحاصل، فإنهم حصل لهم التوحيد، وفاتهم

---

(١) مناظرة ابن تيمية لدجاجلة البطائحية، ١ ص/٣

(٢) نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ١ ٦٤٥/١

درجات الصالحين، والصالحون يقولون " اهدنا الصراط المستقيم " معناه نسألك التثبيت فيما هو حاصل والإرشاد لما ليس بحاصل، لأنهم حصل لهم الصلاح، وفاتهم درجات الشهداء، والشهيد يقول " اهدنا الصراط المستقيم " درجة الشهادة، وفاته درجة الصديقية، والصديق كذلك يقول " اهدنا الصراط المستقيم " إذ حصلت له درجة الصديقية، وفاتته درجة القطب، والقطب كذلك يقول " اهدنا الصراط المستقيم " فإنه حصلت له رتبة القطبانية، وفاته علم إذا شاء الله تعالى أن يطلعه عليه أطلعه. وقال، رضي الله تعالى عنه: الفتوة الإيمان، قال الله سبحانه وتعالى " إنهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى " وقال، رضي الله تعالى عنه، في قوله سبحانه وتعالى حاكيا عن الشيطان " ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم...الأية " ولم يقل من فوقهم ولا من تحتهم لأن فوقهم التوحيد وتحتهم الإسلام. وقال، رضي الله تعالى عنه: التقوى في كتاب الله، عز وجل، على أقسام: تقوى النار، قال الله سبحانه وتعالى " واتقوا النار " وتقوى اليوم، قال الله تعالى " واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله، وتقوى الربوبية، قال الله تعالى " يا أيها الناس اتقوا ربكم " وتقوى الألوهية " واتقوا الله " وتقوى الإنية " واتقوى يا أولي الألباب " وقال، رضي الله تعالى عنه، في قول رسول الله، صلى الله عليه وسلم، " أنا سيد ولد آدم ولا فخر " أي: لا أفتخر بالسيادة، وإنما الفخر لي بالعبودية لله، وكان كثيرا ما ينشد:." (١)

"أفضيض مسك أم بلن ... سية لرياها نميم

بلد حبيب أفقه ... لفتى يحل به كريم

إيه أبا عبد الإل ... ه نداء مغلوب العزيم

إن عيل صبري من فرا ... قك فاعذاب به أليم

أو أتبعتك حنينها ... نفسي فأنت لها قسيم

ذكري لعهدك كالعرا ... ر سرى فبرح بالسليم

مهما ذممت فما زما ... ني في ذمامك بالذميم

زمن كمألوف الرضا ... ع يشوق ذكراه الفطيم

أيام أعقد ناظري ... في ذلك المرأى الوسيم

وأرى الفتوة غضة ... في ثوب أواه حليم

الله يعلم أن حب ... ك من فؤادي في الصميم

ولئن تحمل عنك لي ... جسم فعن قلب مقيم

قل لي بأي خلال سر ... ك فيك أفتن أو أهيم

ألمجدك العمم الذي ... نسق الحديث مع القديم

أم ظرفك الغض الجنى ... أم عرضك الصافي الأديم

أم برك العذب الجما ... م وبشرك الغض الجميم

---

(١) نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ١٩٢/٢

إن أشمست تلك الطلا ... قة فالندى منها مغيم

أم بالبدائع كاللآ ... لي من نثير أو نظيم

لبلاغة إن عد أه ... لوها فأنت بها زعيم

فقر تسوغ بها المدا ... م وبشرك الغض الجميم

إن الذي قسم الحظو ... ظ حباك بالخلق العظيم

لا أستزيد الله نع ... مى فيك لا بل أستديم

فلقد أقر العين أن ... ك غرة الزمن البهيم

حسبي الثناء بحسن بر ... ك ما بدى برق وشيم." (١)

"أبا مسلم، إن الفتى بفؤاده ... ومقوله لا بالمراكب واللبس

وليس رواء المرء يغني قلامة ... إذا كان مقصورا على قصر النفس

وليس يفيد الحلم والعلم والحجى ... أبا مسلم طول القعود على الكرسي واستدعاه الحكم المستنصر بالله أمير المؤمنين فعجل إليه وأسرع، فأمرع من آماله ما أمرع، فلما طالت نواه، واستطالت عليه لوعته وجواه، وحن إلى مستكنه بإشبيلية ومثواه، استأذنه في اللحوق بها فلومه ولواه، فكتب إلى من كان يألفه ويهواه:

ويحك يا سلم لا تراعي ... لا بد للبين من مساع

لا تحسبيني صبرت إلا ... كصبر ميت على النزاع

ما خلق الله من عذاب ... أشد من وقفة الوداع

ما بينها والحمام فرق ... إلا المناحات في النواعي

إن يفترق شملنا وشيكا ... من بعد ما كان في اجتماع

فكل شمل إلى افتراق ... وكل شعب إلى انصداع

وكل قرب إلى بعاد ... وكل وصل إلى انقطاع ٢ - وقال - سامحه الله تعالى - بعد ترجمة السلطان بالمرية المعتصم بن صمادح ما نصه: ابنه عز الدولة أبو مروان عبد الله (١) ، فتى الراح المعاقر لدنانها، المهتصر لأغصان الفتوة وأفنانها، المهجر لفلاة الظباء والآرام، المشهر في باب الصبابة والغرام، نشأ في حجر أبيه نديم قهوة، ومديم صبوة، وخديم شهوة، لا يريم كاسا، ولا يروم إلا اقتضاء وانتكاسا، ما شهد قتلا ولا قتالا، ولا تقلد صارما إلا مختالا، قد أمن منه جنان الجبان، وعدت له غصون البان، ومازال مرتضعا لأخلاف البطالة، مقتطعا ما شاء من إطالة، متوغلا

---

(١) لم ترد هذه الترجمة في المطمح المطبوع.." (٢)

---

(١) نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ٢٧٢/٣
(٢) نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ٤٠/٧

""""""" صفحة رقم ٩٣ """"""

ركبت فرسي الأشقر فجمح بي حتى صدمني الحائط ، فقال : أما إنك لو ركبت فرسك الأشهب لم يصبك مكروه . ولحارثة فيها أشعارا كثيرة وأخبار مع الأحنف بن قيس ، وكان الأحنف ينهاه عنها وهو لا ينتهي ويجيبه بشعر في مدحها وقيل : إن حارثة هذا أدرك النبي (صلى الله عليه وسلم) بالسن في حال صباه وحداثته .

ومنهم : والبة بن الحباب الأسدي وهو الذي ربى أبا نواس وأدبه وعلمه الفتوة وقول الشعر . حكي أن المنصور قال له يوما : ادخل إلى محمد – يعني المهدي – وحدثه ، فدخل عليه ، فأول ما أنشده قوله :

قولا لعمرو لا تكن ناسيا . . . وسقني لا تحبسن كاسيا

واردد على الهيثم مثل الذي . . . هجت به ويحك وسواسيا

وقل لساقينا على خلوة . . . أدن كذا رأسك من راسيا

فبلغ ذلك المنصور ، فقال : لا تعيدوه إليه أردنا أن نصلحه فأراد هو أن يفسده .

ومنهم : أبو الهندي وهو عبد المؤمن بن عبد القدوس بن شبث بن ربعي اليربوعي ، حج به نصر بن سيار فلما ورد الحرم قال له نصر : إنك بفناء بيت الله الحرام ومحل حرمه فدع الشراب ، فلما زال عنه وضعه بين يديه وجعل يشرب ويبكي ويقول : رضيع مدام فارق الراح روعه . . . فظل عليها مستهل المدامع

أديرا على الكأس إني فقدتها . . . كما فقد المفطوم در المراضع

ومر به نصر بن سيار وهو يميل سكرا ، فقال له : أفسدت شرفك ، فقال : لو لم أفسد شرفي لم تكن أنت اليوم والي خراسان .

ومنهم : سعيد بن وهب وكان شاعرا بصريا .." (١)

""""""""" صفحة رقم ١٩٨ """"""

أين أنا منك ثم لم ينتفع مخارق بنفسه بقية يومه في شيء من غنائه ، والله لكأنما كان يتحدث .

وروى عن منصور بن المهدي قال : كنت عند أخي إبراهيم في يوم كانت عليه فيه نوبة لمحمد الأمين ، فتشاغل بالشرب في بيته ولم يمض ، وأرسل إليه الأمين عدة رسل فتأخر . قال منصور : فلما كان من غد قال لي : ينبغي أن نعمل على الرواح إلى أمير المؤمنين فنترضاه ، فما أشك في غضبه علينا ، فمضينا فسألنا عن خبره فأعلمنا أنه مشرف على حير الوحش وهو مخمور ، وكان من عادته ألا يشرب إذا لحقه الخمار . فدخلنا ، وكان طريقنا على حجرة تصنع فيها الملاهي ، فقال لي : اذهب فاختر منها عودا ترضاه وأصلحه غاية الإصلاح حتى لا يحتاج إلى إصلاحه وتغييره عند الضرب به ؛ ففعلت وجعلته في كمي . ودخلنا على الأمين وظهره إلينا . فلما بصرنا به من بعد قال : أخرج عودك فأخرجته ، فاندفع يغني :

وكأس شربت على لذة . . . وأخرى تداويت منها بها

لكي يعلم الناس أني أمرؤ . . . أتيت الفتوة من بابها

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب ـ موافق للمطبوع، ١/٤ ٩٣

وشاهدنا الورد والياسمي . . . ن والمسمعات بقصابها

وبربطنا دائم معمل . . . فأي الثلاثة أزرى بها

فأستوى الأمين جالسا وطرب طربا شديدا وقال : أحسنت والله يا عم وأحييت لي طربا . ودعا برطل فشربه على الريق وابتدأ شربه . قال منصور : وغنى إبراهيم يومئذ على أشد طبقة يتناهى إليها في العود ، وما سمعت مثل غنائه يومئذ قط . ولقد رأيت منه شيئا عجيبا لو حدثت به ما صدقت : كان إذا ابتدأ يغني صغت الوحوش إليه ومدت أعناقها ، ولم تزل تدنو حتى تكاد تضع رءوسها على الدكان الذي كنا عليه ، فإذا سكت نفرت وبعدت عنا حتى تنتهي إلى أبعد غاية يمكنها التباعد عنا فيها ، وجعل الأمين يعجب من ذلك . وأنصرفنا من الجوائز بما لم ينصرف بمثله قط .." (١)

""""""""" صفحة رقم ٢٣٣ """""""

الله تعالى إخوة يوسف بالزهد في بنيامين وإن كانوا قد قالوا : " ليوسف وأخوه أحب إلى أبينا منا " ، وعزموا على إبعاده كما عزموا على إبعاد يوسف حتى شفع فيه أحدهم فترك ، ولا وصفهم أيضا بالزهد في يوسف عند العزم على إخراجه إلا عند التسليم والبيع . فعلامة الرغبة الإمساك ، وعلامة الزهد الإخراج . فإن أخرجت عن اليد بعض الدنيا دون البعض فأنت زاهد فيما أخرجت فقط ، ولست زاهدا مطلقا ، وإن لم يكن لك مال ولم تساعدك الدنيا لم يتصور منك الزهد ، لأن ما لا تقدر عليه لا تقدر على تركه . وربما يستهويك الشيطان بغروره ويخيل إليك أن الدنيا وإن لم تأتك فأنت زاهد فيها ، فلا ينبغي أن تتدلى بحبل غروره دون أن تستوثق وتستظهر بموثق غليظ من الله تعالى ، فإنك إذا لم تجرب حال القدرة فلا تثق بالقدرة على الترك عندها ، فكم من ظان بنفسه كراهة المعاصي عند تعذرها فلما تيسرت لها أسبابها منة غير مكدرو لا مخوف من الخلق وقع فيها . وإذا كان هذا غرور النفس في المحظورات فإياك أن تثق بوعدها في المباحات . والموثق الغليظ الذي تأخذه عليها أن تجربها مرة بعد مرة في حال القدرة ، فإذا وفت بما وعدت على الدوام مع انتفاء الصوارف والأعذار ظاهرا وباطنا فلا بأس أن تثق بها وثوقا ما ، ولكن تكون من تغيرها على حذر ، فإنها سريعة النقض للعهد ، قريبة الرجوع إلى مقتضى الطبع . وبالحملة فلا أمان منها إلا عند الترك بالإضافة إلى ما تركت فقط وذلك عند القدرة . قال : وليس من الزهد بذل المال على سبيل السخاء **والفتوة** وعلى سبيل استمالة القلوب ولا على سبيل الطمع ، فذلك كله من محاسن العادات ولا مدخل له في العبادات ، إنما الزهد أن تترك الدنيا لعلمك بحقارتها بالإضافة إلى نفاسة الآخرة . فأما كل نوع من الترك فإنه يتصور ممن لا يؤمن بالآخرة فذلك قد يكون مروءة وفتوة وسخاء وحسن خلق ، وحسن الذكر وميل القلوب من حظوظ العاجلة ، وهي ألذ وأهنأ من المال ، بل الزاهد من أتته الدنيا راغمة عفوا وصفوا وهو قادر على التنعم بها من غير نقصان جاه وقبح اسم وفوات حظ للنفس ، فتركها خوفا من أن يأنس بها فيكون آنسا بغير الله ومحبا لما سوى الله ، ويكون مشركا في حب الله غير الله ، أو تركها طمعا في ثواب آخر فترك التمتع بأشربة الدنيا طمعا في." (٢)

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب ـ موافق للمطبوع، ١٩٨/٤

(٢) نهاية الأرب في فنون الأدب ـ موافق للمطبوع، ٢٣٣/٥

""""""""" صفحة رقم ٢٥٨ """""""

وظلام واجتماع وافتراق واتصال وانفصال وشروق وغروب ووجود عدم وليل ونهار وغير ذلك من سائر المتضادات ، وذكر لهم أنواع الآلام المعترضة لأجناس الحيوان الناطق والصامت ، وما يعرض للأطفال والبله والمجانين ، وأن الباري غني عن إيلامهم ، وأراهم أن هناك ضدا شديدا دخل على الخير الفاضل في فعله وهو الله ، تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا ، فاجتذب بذلك عقولهم ودانوا به . فإذا كان ملك الصين سمنى المذهب يذبح الحيوانات ، فتكون الحرب بينه وبين ملك الترك قائمة ، وإذا كان ماني المذهب كان الأمر بينهم مشاعا . ك جاهلية جهلاء ، سبيلهم في الإعتقاد سبيل أنواع الترك ، إلى أن وقع إليهم شياطين المانية ، فزخرف لهم كلاما يريهم فيه تضاد هذا العالم وتنافيه من موت وحياة وصحة وسقم وغنى وفقر وضياء وظلام واجتماع وافتراق واتصال وانفصال وشروق وغروب ووجود عدم وليل ونهار وغير ذلك من سائر المتضادات ، وذكر لهم أنواع الآلام المعترضة لأجناس الحيوان الناطق والصامت ، وما يعرض للأطفال والبله والمجانين ، وأن الباري غني عن إيلامهم ، وأراهم أن هناك ضدا شديدا دخل على الخير الفاضل في فعله وهو الله ، تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا ، فاجتذب بذلك عقولهم ودانوا به . فإذا كان ملك الصين سمنى المذهب يذبح الحيوانات ، فتكون الحرب بينه وبين ملك الترك قائمة ، وإذا كان ماني المذهب كان الأمر بينهم مشاعا .

قال : وملوك الصين ذوو آراء ونحل ، إلا أنهم مع اختلاف أديانهم غير خارجين عن قضية العقل وسنن الحق في نصب القضاة والأحكام ، وانقياد الخواص والعوام إلى ذلك . قال : وأهل الصين شعوب وقبائل كشعوب العرب وأفخاذها ، ولهم مراعاة لحفظ أنسابهم . وينتسب الرجل منهم إلى خمسين أبا وأكثر إلى أن يتصل بعامور . ولا يتزوج أهل كل فخذ إلا من فخذهم ، ويزعمون أن في ذلك صحة النسل وقوام البنية ، وأن ذلك للبقاء وأتم للعمر . قال المسعودي : ولم تزل أمور الصين مستقيمة في العدل على حسب ما جرى به الأمر فيما سلف من ملوكهم إلى سنة أربع وستين ومائتين ؛ فإنه حدث في ملك الصين أمر زال به النظام وانتقض به حكم شرائعهم ومنع من الجهاد . وكان سبب ذلك أن خارجيا خرج ببلد من مدن الصين وهو من غير بيت الملك ، يقال له ياسر ، شرير . وكان في ابتداء أمره يطلب **الفتوة** ، ويجتمع إليه أهل الدعارة والشر ، فلحق الملوك وأرباب التدبير غفلة عنه لخمول ذكره ، وأنه ممن لا يبالي به ؛ فاشتد أمره ، ونما ذكره ، وكثر عتوه ، وقويت شوكته ، وقطع أهل الشر المسافات نحوه . فسار من موضعه وشن الغارات ، ولم يزل كذلك حتى نزل مدينة خانقو ، وهي المدينة العظيمة . قال :." (١)

""""""""" صفحة رقم ١٨٦ """""""

وفيها في شهر رمضان أمر الخليفة ببناء دور بمحال بغداد يفطر فيها الفقراء وسميت دور الخلافة .

وفي سنة ست وستمائة في شهر ربيع الأول عزل فخر الدين بن أمسينا عن نيابة الوزارة ، وألزم بيته ، ثم نقل إلى المخزن ، وولى بعد لنيابة الوزارة مكين الدين محمد بن محمد بن القمي كاتب الإنشاء ولقب مؤيد الدين ، ونقل إلى دار الوزارة .

وفي سنة اثنتي عشرة وستمائة في العشرين من ذي القعدة توفي الملك المعظم أبو الحسن على ولد الخليفة الناصر لدين الله –

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب . موافق للمطبوع، ١٤/٢٥٨

وهو الولد الصغير – فحصل للخليفة عليه ألم عظيم لم يسمع بمثله ، وأمر الخليفة أن لا يعزوه به وكانت له جنازة عظيمة لم يسمع بمثلها ، ولم يبق ببغداد منزل إلا وفيه نعي .

ذكر وفاة الناصر لدين الله وشيء من أخباره وسيرته

كانت وفاته في أخر ليلة من شهر رمضان سنة اثنتين وعشرين وستمائة ، وكانت علته عشرين يوما إصابة دوسنطاريا . وكانت مدة خلافته ستا وأربعين سنة وعشرة أشهر وثمانية وعشرين يوما ، قال ابن الأثير : وكان قبيح السيرة في رعيته ظالما ، فخرب في أيامه العراق وتفرق أهله في البلاد ، فأخذ أموالهم وأملاكهم . وكان كثير التلون بفعل الشيء وضده ، فمن ذلك أنه عمل دور الضيافة ببغداد ثم قطعها ، ثم عمل دارا لضيافة الحج وأبطلها ، وأطلق بعض المكوس التي جددها ببغداد ثم أعادها ، وجعل جل همه في رمي البندق والطيور المناسيب وسراويلات الفتوة ، وبطل الفتوة من البلاد أجمع إلا من لبس منه ، ومنع الطيور المناسيب لغيره إلا ما يؤخذ من طيوره ، ومنع من الرمي بالبندق إلا من ادعى له وانتسب إليه . فأجابه الناس إلى ذلك إلا رجلا واحدا يقال له ابن السفت فإنه فارق العراق والتحق بالشام فأرسل إليه يرغبه بالمال الجزيل ليرمي عنه وينتسب إليه فأبى . فأنكر عليه بعض أصحابه ذلك فقال : يكفيني افتخارا أن كل رام في الدنيا رمى الخليفة إلا أنا والعجم ينسبون إلى الناصر أنه هو الذي راسل التتار وجرأهم على البلاد ، وهذه المصيبة العظمى إن كانت." (١)

""""""""" صفحة رقم ١١٨ """""""

العميد : فإن أجاب إلى ذلك ، وإلا فقل له : أيها السيد الوالد أنت مقبول الحكم والقول ، ولكن لا سبيل إلى إطلاق هؤلاء القوم بعد مكاشفتهم ، وإظهار العداوة ، وسيقاتلونني بغاية ما يقدرون عليه ، فتنتشر الكلمة ، ويختلف أهل هذا البيت أبدا فإن قبلت ما ذكرته ، فأنا العبد الطائع ، وإن أبيت وحكمت بانصرافي ، فإنني سأقتل بختيارا وإخوته ، وأقبض على كل من اتهمه بالميل إليهم ، وأخرج عن العراق ، وأترك البلاد سايبة ليدبرها من اتفقت له ، فخاف ابن العميد أن يسير بهذه الرسالة ، وأشار أن يسير غيره بها ، ويسير هو بعده ، ويكون كالمشير على ركن الدولة بأجابته إلى ما طلب ، فأرسل عضد الدولة رسولا غيره ، وسير بعده ابن العميد على الجمازات ، فلما حضر الرسول عند ركن الدولة ، وذكر بعض الرسالة ، ووثب إليه ليقتله ، فهرب من بين يديه ، ثم رده بعد أن سكن غضبه ، وقال : قل لفلان يعني عضد الدولة وسماه بغير اسمه ، وشتمه : خرجت إلى نصرة ابن أخي ، أو الطمع في ملكه ؟ أما عرفت أني نصرت الحسن بن الفيرزان ، وهو غريب مني ، مرارا كثيرة أخاطر فيها بملكي ونفسي ، فإذا ظفرت أعدت له بلاده ، ولم أقبل منه ما قيمته درهم واحد ، كل طلبا لحسن الذكر ، ومحافظة على الفتوة ، تريد أن تمن على بدرهمين أنفقتهما على ، وعلى أولاد أخي ، ثم تطمع في ممالكهم ، وتهددني بقتلهم ؟ فعاد الرسول ، ووصل ابن العميد ، فحجبه ركن الدولة ، وتهدده بقتلهم ؟ فعاد الرسول ، ووصل ابن العميد ، فحجبه ركن الدولة ، وتهدده بالهلاك ، وأنفذ إليه يقول : والله لا تركتك وذلك الفاعل يعني عضد الدولة تجتهدان جهدكما ، ثم لا أخرج إليكما إلا في ثلثمائة جمازة ، وعليها الرجال ، ثم أثبتوا إن شئتم ، فوالله لا أقاتلكما إلا بأقرب الناس إليكما ، وكان ركن الدولة يقول : يا أخي هكذا ، أضمنت لي أن تحفظ في ولدي ، ثم أن الناس سعوا

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب . موافق للمطبوع، ١٨٦/٢٣

لإبن العميد هذه الرسالة ليجعلها طريقا إلى الخلاص من عضد الدولة ، والوصول إليك لتأمر بما نراه ، فأذن له في الحضور عنده ، واجتمع به وضمن إعاده بختيار عضد الدولة إلى فارس ، وتقريربختيار ، فرده إلى عضد الدولة فعرفه جلية الحال ، فأجاب عضد الدولة إلى العود إلى فارس ، وأعاد بختيار ، وخلع عليه ، وشرط عليه أن يكون نائبا عنه بالعراق ، ويخطب له ، وجعل أخاه أبا إسحاق أمير الجيش ، ورد عليهم جميع ما كان لهم ، وسار إلى فارس في شوال من السنة ، وأمر أبا الفتح بن العميد وزير أبيه أن يلحقه بعد ثلاثة أيام ، فلما سار عضد الدولة أقام ابن العميد عند بختيار ، وتشاغلا باللذات ، واتفقا في." (١)

""""""""" صفحة رقم ٢١ """""""

المصرية إلى الرها .

وفيها ملك الفرنج القسطنطينية من الروم .

وخرج الفرنج منها لقصد الساحل . فجمع الملك العادل عساكره وخرج إليهم . فاستقر الصلح بينه وبينهم على أن يكون لهم من بلاد المناصفات أشياء ، مثل الرملة والناصرة .

وفيها بعث الخليفة - الناصر لدين الله - الخلع إلى الملك العادل وأولاده ، وسراويلات الفتوة ، فلبسوها في شهر رمضان .

ذكر حصار ماردين وما حصل من الاتفاق

وفي سنة تسع وتسعين وخمسمائة ، جمع السلطان الملك العادل عساكره ، وفرق فيهم السلاح والأموال ، وقدم عليهم ولده : الملك الأشرف موسى ، وأمره بالمسير إلى ماردين . فسار إليها وحاصرها ، وشدد الحصار .

فدخل الملك الظاهر غازي ، صاحب حلب ، في الصلح بين عمه وصاحب ماردين . فأجاب الملك العادل إلى الصلح - على أن يخطب له صاحب ماردين في." (٢)

""""""""" صفحة رقم ١٩ """""""

العسكر بألف فارس ، وللأمير ناصر الدين محمد بن صيرم الخازندار بمائتي فارس ، وللأمير الشريف نجم الدين استاد الدار بخمسمائة فارس ، وأمر جماعة من العربان ، وحملت إليهم الطلبخاناة والصناجق ، وأنفق فيهم الأموال لعدة شهور . واشترى السلطان مائة مملوك جمدارية وسلاح دارية للخليفة ، وأعطى لكل واحد منهم ثلاثة أرؤس خيلا وجملا لعدته ، ولم يبق أحد ممن تدعو الحاجة إليه من صاحب ديوان وكاتب إنشاء وديوان وأئمة ومؤذنين وغلمان وحكماء وجرائحية إلا استخدموا .

ولما تكامل ذلك كله تقدم السلطان بتجهيز العساكر .

وفي يوم الأربعاء تاسع عشر شهر رمضان من السنة ركب السلطان هو والخليفة في السادسة من النهار ، ونزل كل منهما في دهليزه ، واستمرت النفقة في أجناد الخليفة .

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب . موافق للمطبوع، ١ ٢٦/١١٨

(٢) نهاية الأرب في فنون الأدب . موافق للمطبوع، ١ ٢٩/٢١

وفي يوم العيد ركب الخليفة والسلطان تحت الجتر ، وصليا العيد ، وفي هذه الليلة حضر الخليفة إلى خيمة السلطان وألبسه **الفتوة** بحضور من يعتبر حضوره في ذلك .

وفي يوم السبت سادس شوال رحلا متوجهين إلى الشام ، فلما وصلا إلى الكسوة خرج عسكر الشام للقائمها ، ودخلا دمشق في يوم الاثنين سابع ذي القعدة . ونزل السلطان بالقلعة ، ونزل الخليفة في تربة الملك الناصر بجبل الصالحية . وجرد الأمير سيف الدين بلبان الرشيدي ، والأمير شمس الدين سنقر الرومي إلى جهة حلب ، وأمرهم السلطان بالمسير إلى الفرات ، وأنه متى ورد عليهم كتاب الخليفة يطلب أحدا منهم إلى العراق يتوجه إلى خدمته لوقته .

وركب السلطان وودع الخليفة ، وسير إليه الملوك الذين ذكرناهم .

ثم ورد كتاب الخليفة يذكر أنه وصل إلى حديثه وعانا ، وولى فيها ثم كان ما." [1]

"فضحك مسم وقال: إن لي خبرًا عجيبًا: كنت أنزل "الأبلة" وأنا مُتعيِّش (١) فحملت منها تجارة إلى البصرة فربحت، ولم أزل أحمل من هذه إلى هذه فأربح ولا أخسر، حتى كثر مالي، ثم بدا لي أن أتسع في الآفاق البعيدة لأجمع التجارة من أطرافها، وأبسط يدي للمال حيث يكثر وحيث يقل، وكنت في مَيْعة الشباب وغُلوائه، وأول هجمة **الفتوة** على الدنيا، وقلت: إن في ذلك خلالًا؛ فأرى الأمم في بلادها ومعايشها، وأتقلب في التجارة، وأجمع المال والطرائف، وأُفيد عظة وعبرة، وأعلم علمًا جديدًا، ولعلني أصيب الزوجة التي أشتهيها وأصور لها في نفسي التصاوير، فإن أمري من أوله كان إلى علو فلا أريد إلا الغاية، ولا أرمي إلا للسبق، ولا أرضى أن أتخلف في جماعة الناس. وكأني لم أر في الأبلة، ولا في البصرة امرأة بتلك التصاوير التي في نفسي، فتأخذها عيني، فتعجبني، فتصلح لي، فأتزوج بها، وطمعت أن أستنزل نجمًا من تلك الآفاق أحرزه في داري؛ فما زلت أرمي من بلد إلى بلد حتى دخلت "بلخ" (٢) من أجلِّ مدن خراسان وأوسعها غَلَّة؛ تحمل غلتها إلى جميع خراسان وإلى خوارزم؛ وفيها يومئذ -كان- عالمها وإمامها "أبو عبد الله البلخي" وكنا نعرف اسمه في البصرة؛ إذ كان قد نزلها في رحلته وأكثر الكتابة بها عن الرواة والعلماء؛ فاستخفتني إليه نزيَّة من شوقي إلى الوطن، كأن فيه بلدي وأهلي؛ فذهبت إلى حلقته، وسمعته يفسر قول النبي -صلى الله عليه وسلم: "سوداء ولود خير من حسناء لا تلد". فما كان الشيخ إلا في سحابة، وما كان كلامه إلا وحيًا يوحى إليه.

---

(١) - أي: متكسب ليعيش لا ليغتني؛ وهذا يسميه العامة "المتسبب".

(٢) - موقعها اليوم في بلاد الأفغان.." [2]

"وما ذاك عن خلق يضيق بطارق، ولكن لأخذي بالاحتياط على حالي، فإن صادف ما خطبته منك - أيدك الله! - قبولا، ولديك نفاقا، فمنية غفل الدهر عنها، أو فارق مذهبه فيما أهداه إلي منها، وإن جرى على رسمه في المضايقة فيما أوثره وأهواه، وأترقبه من قربك وأتمناه، فذمام المروءة يلزمك رد هذه الوقعة وسترها، وتناسيها واطراح ذكرها. وإذا بأبيات

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب. موافق للمطبوع، ١ ١٩/٣٠

(٢) وحي القلم، ١ ص/١٥٦

تتلو الخطاب، وهي:

يا عامر العمر بالفتوة وال ... قصف وحث الكؤوس والطرب

هل لك في صاحب تناسب في ال ... غربة أخلاقه وبالأدب

أوحشه الدهر فاستراح إلى ... قربك مستنصرا على النوب

فإن تقبلت ما أتاك به ... لم تشن الظن فيه بالكذب

وإن تقبلت ما أتاك به ... لم تشن الظن فيه بالكذب

وإن أتى الزهد دون رغبتنا ... فكن كمن لم يقل ولم يجب." (١)

"وكأنني لما ارتديت ظلاله ... جار الوزير المرتدي بظلاله

وقال من أخرى:

أكني عن البلد البعيد بغيره ... وأرد عنه عنان قلب مائل

وأود لو فعل الحيا بسهوله ... وحزونه فعل الأمير بآمل

ومن أخرى:

وركائب يخرجن من غلس الدجى ... مثل السهام مرقن منه مروقا

والفجر مصقول الرداء كأنه ... جلباب خود أشربته خلوقا

أغمامة بالشام شمن بروقها ... أم شمن من شيم الأمير بروقا

ومن أخرى:

وبكر إذا جنبتها الجنوب ... حسبت العشار تؤم العشارا

ترى البرق يبسم سرا بها ... إذا انتحب الرعد فيها جهارا

إذا ما تنمر وسميها ... تعصفر بارقها فاستطارا

يعارضها في الهواء النسيم ... فينثر في الأرض درا صغارا

فطورا يشق جيوب الحيا ... وطورا يسح الدموع الغزارا

كأن الأمير أعار الربا ... شمائله فاشتملن المعارا

ملح من المدح قال من قصيدة:

ظلم التليد وليس من أعدائه ... وحبنا الحسود وليس من أحبابه

فالغيث يخجل أن يلم بأرضه ... والليث يفرق أن يطيف بغابه

ومن أخرى:

أقول للمبتغي إدراك سؤدده ... خفض عليك أليس النجم مطلوبا

---

(١) يتيمة الدهر، ١ /٧٥

إن تطلب السلم تسلم من صوارمه ... أو تؤثر الحرب ترجع عنه محروبا

كم من جبين أزار السيف صفحته ... لعاد طرسا بحد السيف مكتوبا

وكم له في الوغى من طعنة نظمت ... عداه أو نثرت رمحا أنابيبا

ومن أخرى:

كالغيث يحيي إن همى والسيل ير ... دي إن طما والدهر يصمي إن رمى

شتى الخلال يروح إما سالبا ... نعم العدى قسرا وإما منعما

مثل الشهاب أصاب فجا معشبا ... بحريقه وأضاء فجا مظلما

أو كالغمام الجون إن بعث الحيا ... أحيا وإن بعث الصواعق ضرما

أو كالحسام إذا تبسم متنه ... عبس الردى في حده فتجهما

كلف بدر الحمد يبرم سلكه ... حتى ترى عقدا عليه منظما

ويلم من شعث العلا بشمائل ... أحلى من اللعس الممنع واللمى

ومن أخرى:

خلق سهول المكرمات سهوله ... وتوعر الأيام من أوعاره

إن لاح فهو الصبح في أنواره ... أو فاح فهو الروض في نواره

ومن أخرى:

لقد شرفت بسؤددك القوافي ... وفاز بمجدك الشرف التليد

فيوم الحرب تطربك المذاكي ... ويم السلم يطربك النشيد

ومن أخرى:

ومقتبل السن سن الندى ... فأعطى الفتوة حق الفتاء

بكف ترقرق ماء الحياة ... ووجه يرقرق ماء الحياء

ومن أخرى:

أما السماح فقد تبسم نوره ... بعد الذبول وعاد نور ذباله

أطلقت من أغلاله وشفيت من ... أعلاله وفتحت من أقفاله

ومن أخرى:

نسب أضاء عموده في رفعة ... كالصبح فيه ترفع وضياء

وشمائل شهد العداة بفضلها ... والفضل ما شهدت به الأعداء

ومن أخرى:

يريك من رقة الألفاظ منطقه ... در العقود غدت محلولة العقد

جعلته جنة من كل نائبة ... ورحت من جوده في جنة الخلد
المدح بالبأس ووصف الجيش والسلاح والحرب قال من قصيدة:
ناديك من مطر الإحسان ممطور ... ومرتجيك بغمر الجود مغمور
والبيض ظل عليك الدهر منتشر ... والنقع جيب عليك الدهر مزرور
والشرك قد هتكت أستار بيضته ... بحد سيفك والإسلام منشور
كم وقعة لك شبت في الضلال بها ... نار فأشرق منها في الهدى نور
ونهضة خر فسطاط الكفور لها ... خوفا وأذعن بالفسطاط كافور
ومن أخرى:
لله سيف تمنى السيف شيمته ... ودولة حسدتها فخرها الدول." (١)

"ذكرت أن أدهمك قطع الدهر ورباطه، أو قطع الموت نياطه. ووصفت الحمار الذي استعضته، فلا أدري أقرطته، أم عضدته؟ وقد كتبت بابتياع مركوب لك بعيوب، أو يعسوب، أو مرجوب بل رمست أن يقاد إليك في كيس أعجر، فإن شئت فاتركه عندك أشهب، وإلا فابتع به أدهم أو أشقر، ويجنب درج كتابي فليوصل، والنقد عند الحافر، وبه يملك الخف والحافر، ويجنب الأعز السائل، والأقرح النادر.

فصل من كتاب في الغضائري

الغضائري، وما أدراك ما الغضائري. استزاد إلى الجمال جمالا، وعاد بدرا وكان هلالا، فإن شئت فالغصن ميالا، وإن شئت فالدعص منهالا:

كأن جميع الناس يلقون وجهه ... بناظرك المفتون، والحب شامل
رويدك إن أحببت فالغصن مائل ... وإن تصب بعد الدعص فالدغص هائل

وهو يهدي إليك سلاما كرقة خده، ونسيم عرفه، وغزارة دمعك من بعده:

سلاما كما رق على الصبا ... رجاء رسول الورد في ومن الورد

تأبى أيها العبد الصالح، إلا أن تغمسنا معك في مزج المازح:

ألا رب ذي مزج يحرك حبله ... وحبل التقى من قلبه شنزر

فصل

وما الشأن في أنك تنتقل في الهوى تنقل الأفياء، وتتميل في الحب كشارب الصهباء. فمرة الغضائري، حتى إذا حسناك قد صرت له وصار لك، وعلق بك أمله وأملك. بعت قديما بحديث، وتليدا بطريف، واستهوتك حبائل القمى فقمت تفتل في حبله، وتحرص على وصله، ثم تطمع أن تضم ضدا إلى ضد، وتجمع سيفين في غمد. وهيهات! إن الغضائري قد أبلغه ذلك فازور وتنمر، وغار وتنكر، وقد كان له عزم في المسير إلى أصبهان، ففتر بفتور صبوتك، وخفت بظهور نبوتك:

---

(١) يتيمة الدهر، ١ /٢١٠

نقل فؤادك حيث شئت من الهوى ... ما الحب إلا للحبيب الأول

وقد جعله بعض الشعراء للحبيب الآخر، وأما نحن فننشد لكثير:

إذا ما أرادت خلة أن تزيلنا ... أبينا وقلنا الحاجبية أول

والله يسقي عهدك صوب العهاد، ويعدينا وإياك على البعاد.

رقعة استزارة

هذا اليوم يا سيدي طاروني يعجبني نوؤه الفاختي، وإذ قد غابت شمس السماء عنا. فلا بد أن تدنو شمس الأرض منا. فإن نشطت للحضور، شاركتنا في السرور. وإلا فلا إكراه ولا إجبار، ولك متى شئت الاختيار.

وفي مثلها

غدا يا سيدي ينحسر الصيام، وتطيب المدام. فلا بد من أن نقيم أسواق الأنس نافقة، وننشر أعلام السرور خافقة، **فبالفتوة** فإنها قسم للظراف، يفرض حسن الإسعاف، لما بادرتها ولو على جناح الرياح، إن شاء الله تعالى.

أخرى – نحن يا سيدي في مجلس غني إلا عنك، شاكر إلا منك. قد تفتحت فيه عيون النرجس، وتوردت فيه خدود البنفسج، وفاحت مجامر الأترج، وفتقت فارات النارنج، وأنطقت ألسنة العيدان، وقام خطباء الأوتار، وهبت رياح الأقداح، ونفقت سوق الأنس، وقام منادي الطرب، وطلعت كواكب الندماء، وامتدت سماء الند، فبحياتي لما حضرت، لنحصل بك في جنة الخلد، وتتصل الواسطة بالعقد.

في مثلها – نحن وحياتك في مجلس راحه ياقوت، ونوره در، ونارنجه ذهب، ونرجسه دينار ودرهم، ويحملها زبرجد، وألسنة العيدان تخاطب الظراف، بهلم إلى الأقداح، لكننا بغيبتك كعقد عيبت واسطته، وشباب أخذت جدته، فأحب أن تكون إلينا أسرع من الماء في انحداره، والقمر في مداره.

في مثلها – مجلسنا يا سيدي مفتقر إليك، معول في إنائه عليك، وقد أبت راحه أن تصفو إلا أن تتناولها يمناك، وأقسم غناؤه لا طاب أو تعيه أذناك، فأما خدود نارنجه فقد احمرت لإبطائك، وعيون نرجسه فقد حذفت تأميلا للقائك، فبحياتي عليك لما تعجلت، لئلا يخبث من يومي ما طاب، ويعود من همي ما طار.

في مثلها – صرنا أيد الله مولانا في بستان كأنه من خلقه خلق، ومن خلقه سرق، فرأينا أشجارا تميل فتذكر تبريح الأحباب، وقد تداولتهم أيدي الشراب، وأنهارا كأنها من يد مولانا تسيل، أو من راحته تفيض، وحضرنا فلان فعلا نجمنا، وحمد أمرنا، وتسهل طريق الخير لنا، فلما دبت الكؤوس فيهم دبيب البرء في السقم، والنار في الفحم. رأى أن نجعل أنسنا غدا عنده فقلت سمعا، ولم أستجز لأمره دفعا، والتمس أن أخلفه في تجشيم مولاي إلى المجمع، ليقرب علينا متناول البدر بمشاهدته، ولمس الشمس بمطالعته، فإن رأى أن يشفعني أسعفني إن شاء الله تعالى.." (١)

"فصل – أنا على طرف بيتان أذكرني ورده المتفتح بخلقك، وجدوله السابح يطبعك، وزهره الجني بقربك.

فصل من كتاب آخر

---

(١) يتيمة الدهر، ٤٠١/١

علقت هذه الأحرف، وأنا على حافة حوض ذي ماء أزرق كصفاء ودي لك، ورقة قولي في عتابك، ولو رأيته لأنسيت أحواض مأرب ومشارب أم غالب، وقد قابلني شقائق كالزنوج تجارحت فسالت دماؤها وضعفت فبقي ذماؤها، وسامتني أشجار كأن الحور أعارتها أثوابها، وكستها أبرادها، وحضرتني نارنجات ككرات من سفن ذهبت، أو ثدي أبكار خلقت، وقد نبرم بي الحاضرون لطول الكتاب فوقفت وكففت، وصدقت عن كثير مما له تشوفت.

ومن رقعة – مضيت وشاهدت أحسن منظر: فالأرض زمردة، والأشجار وشي، والماء سيوف، والطير قيان.

رقعة في الاعتذار من هفوة الكأس

سيدي أعرف بأحكام المروءة من أن يهدى إليها، وأحرص على عمارة سبل **الفتوة** من أن يخص عليها، وقديما حملت أوزار السكر على ظهور الخمر، وطوي بساطها الشراب، على ما فيه من خطأ وصواب، وكنت البارحة بعقب شكاة أضعفتني ونقلتني عن عادتي، واستعفيت السقاة غير دفعة فأبوا إلا إلحاحا علي وإتراعا إلي، وكرهت الامتناع خشية أن أوقع الكساد في سوق الأنس وتفاديا من أن يعقد على خنصر الثقيل، فلما بلغت الحد، الذي يوجب الحد بدر مني ما يبدر ممن لا يصحبه لبه، ولا يساعده عقله وقلبه. ولا غرو فموالاة الأرطال، تدع الشيوخ كالأطفال. فإن رأى أن يقبل عذري، فيما جناه سكري، ويهب جرمي لمعرفته نيتي في صحوي، وإن أبى إلا معاقبتي جعلها قسمين بين المدام وبيني، فعل إن شاء الله تعالى.

في تنوير باكورة خلاف قد نور

لتنوير الخلاف فضائل لا تحصى، ومحاسن تطول أن تستقصى، منها أنه أول ثغر يبسم عنه الربيع ويضحك، ودر يعقد على القضبان ويسبك، ولتمايله ادكار بقدود الأحباب، وتهييج لسواكن الأطراب، وحمل إلى قضيب منه ورداته متعادلة، ولذاته متقابلة. فأنفدته مع رقعتي هذه إليك، وسألت الله أن يعيده ألف حول عليك، وقلت:

وقصيب من الخلاف بديع ... مستخص بأحسن الترصيع

قد نعى شدة الشتاء علينا ... وسعى في جلاء وجه الربيع

وحكى من أحب عرفا وظرفا ... واهنزازا يثير ماء ضلوعي

رقة ما نظمت نحو بديع ال ... مجد حاكى الربيع حسن صنيعي

في إهداء أترجة

ما زلت يا سيدي أفكر في تحفة تجمع أوصاف معشوق وعاشق، وتنظم نعوت مشوق وشائق. حتى ظفرت بأترجة كأن لونها لوني، وقد منيت ببعدك، وبليت بصدك. وكأن عرفها مستعار من عرفك، وظرفها مشتق من ظرفك، فكأنها بعض من لا أسميه، وأنا أفديه، فأنفذتها وقلت:

مولاي قد جاءتك أترجة ... من بعض أخلاقك مخلوقه

ألبسها صانعها حلة ... من سرق أصفر مسروقه

في إهداء أقلام

قد خدمت دواة مولاي بأقلام تتخفف بأنامله، وتتحمل نفحات فواضله، وتأنقت في بريها فأتت كمناقير الحمام، واعتدال السهام، خمسة منها مصرية مقومة. عليها حلل مسهمة، وعشرة منها بيض كأياديه، وأيام مؤمليه، والله يديم له مواد نعمته، ويوفقني لشرائط خدمته.

تهنئة ببنت

أهلا وسهلا بعقيلة النساء، وأم الأبناء، وجالبة الأصهار، والأولاد الأطهار، والمبشرة بإخوة يتناسقون، نجباء يتلاحقون:

فلو كان النساء كمثل هذي ... لفضلت النساء على الرجال

وما التأنيث لاسم الشمس عيب ... ولا التذكير فخر للهلال

فادرع يا سيدي اغتباطا، واستأنف نشاطا، فالدنيا مؤنثة والرجال يخدمونها، والذكور يعبدونها، والأرض مؤنثة ومنها خلقت البرية، وفيها كثرت الذرية، والسماء مؤنثة وقد زينت بالكواكب، وحليت بالنجم الثاقب، والنفس مؤنثة وبها قوام الأبدان، وملاك الحيوان. والحياة مؤنثة ولولاها لم تتصرف الأجسام، ولا عرف الأنام. والجنة مؤنثة وبها وعد المتقون، ولها بعث المرسلون. فهنيئا ما أوليت، وأوزعك الله شكر ما أعطيت، وأطال بقاءك ما عرف النسل والولد، وما بقي الأمد، وكما عمر لبد.

رقعة مداعبة." (١)

"والسمان: الذي يعطي النساء دواء السمن، والسنان: الذي يعطي دواء الأسنان، وقتت: أكل القت بين أيدي الناس كالجمل.

ودكاك السفوفات ... لريح الجوف والخصر

الدكاك: الذي يرقى من القولنج، ويكون معه حب مصنوع يحتال حتى يبلعه العليل فيزعم أنه انحل بالرقية.

ومنا ذو الوفا الحر ال ... مدلج ذو الكر

والمدلج: الذي يأخذ حاجته من البقال والجبان ويحصل عليه أجرة الشهر لبيته فيهرب ليلا ويفوز بما يلزمه أداؤه.

ومنا شعراء الأر ... ض أهل البدو والحضر

ومنا سائر الأنصا ... ر والأشراف من فهر

ومنا قيم الدين ال ... مطيع الشائع الذكر

يكدى من معز الدو ... لة الخبز على قدر

ومن يطحن ما يطح ... ن بالشدة والكسر

ومن يطحن: هم الذين يطحنون النوى والحديد والزجاج بأيديهم وأضراسهم.

ومطلي دن الأخ ... مع المصموع كالبثر

ومطلي دم الأخ: هم الذين يضربون دم الأخوين والكثيراء والضموغ وينفخونها على أجسادهم فتخرج بهم بثور يمرضون

---

(١) يتيمة الدهر، ١/٤٠٢

منها فيكدرون.

ومنا كل مشقاع ... من الفتيان كاللغر

المشقاع: الأرعن الذي يكتري الثياب البيض ويلبسها. واللغر: هم السفل من الناس.

يلذ الشورز الوجدا ... ن بالخب وبالمكر

الشورز: الأمرد. ويلذ: يدور به العرب من المكدين فؤدبه، ويقول: هذه **الفتوة**، ولا يجوز أن تكون وحدك، فإما أن تصير غلاما لأحدنا وإما أن تخرج من دار الفتيان، فإذا صار مع أحدهم طبخ له قدر الدسكرة، ويقال للقدر بما فيها: الخشبوب.

إلى أن يأكل الخشبو ... ب كرسا أكل مضطر

وما في البيت غير الب ... ت أو بارية القفر

وما للشوزر السوء ... سوى الغيلة والغدر

وأن يصميه حتى ... تراه طافح السكر

يصميه: يسقيه الصمى، وهو الخمر.

فتجري فيه كيذات ال ... بهاليل ولا يدري

الكيذات: الأيور: البهاليل: رؤساء المكدين.

ومنا سعفة الريح ... لضرب الكلب والهر

وسعفة الريح: قوم يرعدون رعدة شديدة تهتز لها مفاصلهم وتصطك أسنانهم، ويقول أحدهم: إنه قتل سنورا أو كلبا فلطمته الجن.

وذو القصعة والمسرا ... د والمكناس والعشر

وذو القصعة والمساد: هؤلاء قوم ينخلون التراب في الطرق ويعلقون على أنفسهم القصلع ويغسلون الأسواق بالماء ويخرجون إلى البيادر فليقطون القصرى وهو ما بقي في السنبل من الحب بعد أن يداس.

وفي الأسواق والأنها ... ر والبيدر والقصر

ومن يقراء بالسبع ... وإدغام أبي عمر و

وأصحاب المقالات ... من الفاجر والبر

ومن علافة ركبت ال ... باز مع الصقر

ومن علافة: هذه امرأة تتزوج بمن يحسن أن يكدي فيشد يدها مجموعة الأصابع ويدعى أنها مقطوعة ويسمى الباز، وربما عوجها كأنها مفلوجة، والصقر: هو أن يشد عينيها ويقول: إنها رمدى أو عوراء ويقال لها أيضا النعلة.

ومنا الكابليون ... ومن يلعب بالجر

ومن يمشي على الحبل ... ومن يصعد بالبكر

ومنا الزنج والزط ... سوى الكباجة السمر

والكباجة: اللصوص، كبج إذا سرق.

ومنا من صما يوما ... فقد هرب في المصر

ومنا من صما: يقول إن من شرب منا الخمر وعرف به فقد أفسد على نفسه البلد، والشيء الفاسد يقال له الهريب، والشيء الجيد يقال له الكسيح.

ومنا كل ذي سمت ... خشوع القن كالحبر

يرقي وتراه با ... كيا دمعته تجري

فإن كبن في السر ... فبالمذقان يستذري

كبن: خري، والكبن الاسم منه، يقول: إنه يظهر الورع والزهد فإذا خلا المسجد وأخذه البطن يخرى تحت السارية أو خلف المنارة ويمسح استه بالمذقان وهو المحراب.

وإن كرس لا والل ... ه لا تم إلى الظهر

ومن صاح بآمين ... من المزلق والذعر

من المزلق: يريد هؤلاء العراة، الواحد مزلق، يصيحون بآمين من الأسواق.." (١)

"أنا خاطب إلى مولاي كريمة وده، على صداق قلب معمور بذكره، مقصور على شكره. معترف بفضله، عالم بتبريز خصله. على أن أصونها من غواشي الصدر في سجوف. وأمسكها مدى الدهر بمعروف، وأنحلها من عادة الرفق، ودماثة الخلق، ووطاة الجناب، ولطافة العشرة والاصطحاب، ما لاتكتسي معه نفورا وانقباضا، ولا تشتكي نشوزا وإعراضا، فإن وجدني مولاي كفؤا له بعد أن جئت راغبا، وبلسان الخطبة خاطبا، أنعم بالإسعاف، وجعل الجواب مقدمة بين يدي هذه النجوى صدقة، طلبا للتحاب لا على حكم الاستحقاق والاستيجاب، ومهما أنعم مولاي بقبولها أيقنت استكفاءه إياي لوده، واستغرقت الوسع والإمكان في شكره. والتحدث بعظيم بره، إن شاء الله تعالى.

وله كتاب هذا كتاب من ديوان العتب والاستبطاء، إليك يا عامل الصدود والجفاء. أما بعد، فقد خالفت ما أوجه التقدير فك، وأخلفت ما وعده الظن بك، وافتتحت ما توليته من عمل الوداد بهجران أطار وادع القرار. وأودع القلب أحر من النار. وتقبته بخلع عذار الوفاء أصلا، ومعاقرة ندمان الجفاء نهارا وليلا.وشغلك خمر الهجران، وخمار النسيان، عن ترتيب أمور المودة وتهذيب جرائد الوصال والمقة، واستعراض روزنامجة الكرم، واسترفاع ختمات العهد المقدم، وتأمل مبلغ اورد والإخراج من الود، تعرف مقدار الحاصل والباقي من أثر الرعاية في القلب، وسلطت أيدي خلفائك، وهم عدة من إعراضك وصدك وجفائك، على رعية النفس وهي التي جعلت أمانة عندك ووديعة قبلك، فأسرفوا في استيكالها، وهموا باجتياحها واغتيالها، غير راع لحرمة الثقة بك، ولا واف بشرط الاعتماد عليك، ولا قاض حق الإيثار لك، والاستنامة أليك، ولا ناظر لغدك إذل استعدت إلى الباب، وطولبت برفع الحساب، واستعرضت جريدة أفعالك، واستقريت صحيفة أعمالك، هنالك يتبين لك ما جنى عليك سوء صنيعك، وما الذي جاش إليك فرط تضيعك، فتصحو تارة عن سكرو جفائك، وتسكر

---

(١) يتيمة الدهر، ١ /٤٤٨

أخرى عن سورة أحبائك، وكم تقرع من ندم اسنانك، وتعض من سدم بنانك. هيهات! لا ينفع اذ ذاك إلا القلب السليم، والعهد الكريم، والعمل القويم، والسنن المستقيم، من لك بها وقد ودت وجوه آثارك، وتلقيت أمانة العهد بسوء جوارك، وقبح إخفارك، لولا التأميل لفيأتك وارعوائك، وانتهائك عن تماديك في غلوائك لأتاك من أشخاص الإنكار ما يقفك على صلاحك، ويكفك عن فرط جماحك، فأجل أعزك الله الغشاء عن عين رعايتك، واطرح القذى عن شرب مخالصتك، وارع ما استحفظته من أمانة الفؤاد، واعلم بأنك مسئول عن عهدة الوداد، واكتب في الجواب بما نراعيه منك، وتعذر إن كان فيما أقدمت عليه لك، إن شاء الله تعالى.

رقعة استزارة هذا يوم رقت غلائل صحوه، وخنثت شمائل جوه، وضحكت ثغور رياضه، واطرد زرد الحسن فوق حياضه. وفاحت مجاهر الأزهار، وانتثرت قلائد الأغصان عن فرائد الأنوار. وقام خطباء الأطيار. فوق منابر الأشجار ودارت أفلاك الأيدي بشموس الراح، في بروج الأقداح، وقد سيبنا العقل في مرج المجون، وخلعنا العذار بأيدي الجنون. فمن طالعنا بين هذه البساتين وأنواع الرياحين، طالع فتيانا كالشياطين، ونصارى يوم الشعانين، فبحق الفتوة التي زان الله بها طبعك، والمروة التي قصر عليها أصلك وفرعك، إلا تفضلت بالحضور ونظمت لنا بك عقد السرور.

رقعة أخرى أمتع الله الشيخ بعنوان الشتاء، وباكورة الديم والأنواء، وهنأه الله اليوم الذي هو نسخة جوده، ومجاجة ماء أرواه الله بماء المجد من عوده. وعرفه من بركاته، أضعاف قطر السماء بأقطاره وساحاته، وأضحك قلوبنا ببقائه، كما أضحك الرياض بأندائه، وحجب عنه صروف الأيام، كما حجب السماء عنا بأجنحة الغمام، قد حضرني أيد الله الشيخ عدة من شركائي في خدمته، فارتحت لاشتراكهم إياي فيما آردعته من فضل نعمته، وأشفقت منسمة التقصير لديه، فقدت هذه الرقعة جنيبة عذر بين يدي عارض التقدير إليه، وفي فائض كرمه ما حفظ شمل الأنس على خدمه، لا زال مأنوس الجناب، بالنعم الرغاب، مأهول المعاهد، بالقسم الخوالد.

فصل في الإنكار على من يذم الدهر." (١)

""""""""" صفحة رقم ١٢٠ """""""

لما قبض ابن عيينة صلة الخليفة قال : يا أصحاب الحديث ؛ قد وجدتم مقالا فقولوا . متى رأيت أبا عيال أفلح ؟ وقال : كانت لنا هرة ليس لها جراء فكانت لا تكشف القدور ، ولا تعيث في الدور ، فصار لها جراء فكشفت عن القدور ، وأفسدت في الدور . قال بعضهم : إذا أنا فعلت ما أمرت به وكان خطأ لم أذمم عليه ، وإذا فعلت ما لم أومر به وكان صوابا لم أحمد عليه . قال آخر ما استنبط الصواب بمثل المشورة ، ولا حصنت النعم بمثل المواساة ، ولا اكتسبت البغضة بمثل الكبر . قيل لروح بن زنباع : ما معنى الصديق ؟ قال : هو لفظ بلا معنى . يعني لعوزه . وقال آخر : السفر ميزان الأخلاق . قال علي بن عبيدة : العقل ملك والخصال رعيته ، فإذا ضعف عن القيام عليها وصل الخلل إليها . قالوا : الكذاب يخيف نفسه وهو آمن . قال بعضهم : لو لم أدع الكذب تأثما لتركته تكرما . وقال آخر : لو لم أدع الكذب تعففا لتركته تظرفا . وقال آخر : لو لم أدع الكذب تحوبا لتركته تأدبا . وقال آخر : لو لم أدع الكذب تورعا لتركته تصنعا . كان

(١) يتيمة الدهر، ١١٥/٢

الثوري يقول : الناس عدول إلا العدول . كان بعضهم يقول : اللهم احفظني من أصدقائي . فسئل عن ذلك فقال : إني أحفظ نفسي من أعدائي . قيل لبعضهم : ما المروءة ؟ قال : إظهار الزي . قيل : فما **الفتوة** ؟ قال : طهارة السر . يحكى ذلك عن البوشنجي شيخ خراسان . سئل بعضهم : أي الرسل أحرى بالنجح ؟ قال : الذي له جمال وعقل .." (١)

""""""""" صفحة رقم ٣٣٦ """""""

قال : قد فعلت . قال السكران : أمه زانية ، إن درعها إلا داري . قيل لشيخ : أتشرب النبيذ ؟ قال : مقدار ما أتقوى به على ترك الصلاة . قال أبو بكر بن عياش : كنت وسفيان الثوري وشريك ابن عبد الله نمشي بين الحيرة والكوفة ، فرأينا شيخا أبيض الرأس واللحية ، حسن السمعة ، له رواء فقلنا : هذا شيخ جليل ، قد سمع الحديث ، ورأى الناس ، وكان سفيان أطلبنا للحديث ، وأشدنا بحثا وأعلمنا به ، وأحفظنا له ، فتقدم إلى الشيخ وسلم ، ثم قال : أعندك رحمك الله شيء من الحديث ؟ قال : أما الحديث فلا ، ولكن عندي عتيق سنتين . فنظرنا ، فإذا هو خمار . با ع بعضهم ضيعته فقال له المشتري : بالعشي أشهد عليك . قال : لو كنت ممن يفرغ بالعشي ، ما بعت ضيعتي . خرج ثمامة من منزل ضيق له ، مع المغرب ، وهو سكران ، فإذا هو بالمأمون قد ركب في نفر ، فلما رآه ثمامة عدل عن طريقه وبصر به المأمون ، فضرب كفل دابته وحاذاه ، فوقف ثمامة ، فقال له المأمون : ثمامة ، قال : إي والله ، قال : من أنا ؟ قال : لا أدري والله . فضحك المأمون حتى انثنى على دابته . وقال : عليك لعائن الله . فقال ثمامة : تترى إن شاء الله . وأمر له بخمسين ألف درهم . قدم شراعه بن زيد على الوليد بن يزيد ، وكان كتب في إقدامه عليه ، فلما دخل ما سأله عن سفرة ، ولا عن نفسه ، حتى قال : يا شراعة ، إني والله ما أرسلت إليك لأسألك عن كتاب الله ، ولا أستفتيك عن سنة رسول الله عليه الصلاة والسلام . قال : لو سألتني عنهما لوجدتني حمارا . قال : إنما أرسلت إليك لأسألك عن **الفتوة** ، قال : يا أمير المؤمنين فاسأل عنها طبيبها الرفيق ، ودهقانها العالم . قال : أخبرني عن الأشربة . قال : سلني : قال ما تقول في الماء ؟ قال : لا بد لي منه ، والحمار شريكي فيه . قال ما تقول في اللبن ؟ قال : ما رأيته منذ فطمت ، إلا استحيلت أمي لطول مصي ثديها . قال : فما تقول في." (٢)

""""""""" صفحة رقم ١٦٦ """""""

كان بعضهم إذا فرغ من صلاته وضع خده على الأرض وقال : المستغيث بعمرو عند كربته . . . كالمستغيث من الرمضاء بالنار وهو يقدر أنه يستجير بالله من النار . قال بعضهم : دخلت الشام فرأيت جماعة يتنقصون أمير المؤمنين عليا – عليه السلام – ومنهم من يشتمه ، فأنكرت ذلك ، وجزعت له ، ولجأت إلى مسجد كان مني بالقرب ، فشكوت ذلك إلى المؤذن ، فقال : ما أنكرت ؟ قد كان ها هنا منذ أيام رجل يتنقص أبا محمد الحجاج بن يوسف . وقال : رأيت بالشام حانوتا تحت مسجد ، يباع فيه الخمر . كان سعيد بن حميد يهوى غلاما ؛ فزاره يوما وأقام عنده ، فلما كان وقت المغرب أراد أن ينصرف ، فقال له : حين سررنا بك أردت أن تكدره ؟ لا أقل من أن تقيم إلى العشاء ؟ فحلف الغلام أنه إذا سمع

---

(١) نثر الدر . موافق للمطبوع، ١٢٠/٤

(٢) نثر الدر . موافق للمطبوع، ٣٣٦/٦

أذان العتمة لم يقعد . فقال سعيد : رضيت ، ثم عمد إلى الدواة فكتب إلى مؤذن المحلة : قل لداعي الفراق : أخر قليلا . . . قد قضينا حق الصلاة طويلا ليس في ساعة تؤخرها وز . . . ر تجازى به ، وتأتي جميلا وتراعى حق الفتوة فينا . . . وتعافى من أن تكون ثقيلا فلما قرأ الرقعة لم يؤذن تلك الليلة ، ومر القوم في سرورهم ، والفتى يترقب الأذان إلى أن سمع صوت الحارس ، فقال له : إذا شئت ؟ قال أخاف نكير الحارس . قال : يا غلام ، افرش له ، فبات عنده . قال المتوكل لعبادة : رفع إلي أنك ضربت إمام مسجد ، وإن لم تأت بعذر أدبتك . قال : يا أمير المؤمنين ،كنت قد خرجت في بعض الأيام لحاجة لي." [1]

"*[مَفسَدَةٌ لِلمَرءِ أَيَّ مَفسدَة (١)]*

[يا لِلشَبابِ المَرِحِ] التَصابي (٢) ... رَوائِحُ الجَنَّةِ في الشَباب (٣)

اصْحَبْ ذَوِي الفَضْلِ وأَهْلَ الدِّينِ ... فَالَمرْءُ مَنْسُوبٌ إِلَى القَرِينِ

إِيَّاكَ والغَيْبَةَ وَالنَّمِيمَة ... فَإِنَّهَا مَنْزِلِة ذَمِيمَة (٤)

لَا تمِبن في الأُمُورِ فرطَا ... لاَ تَسْأَلَن إِنْ سَأَلْتَ شَططاَ(٥)

* وَكُنْ مِنَ النَّاسَ جَمِيعاً وَسَطاً (٦)*

---

(١) – في ((الأغاني)) [للعقل] ، قال أبو الفرج : ذكر سليمان بن أبي شيخ قال : قلت لأبي العتاهية : أي شعر قلته أجود ، وأعجب إليك ؟ قال : قولي :

إن الشباب والفراغ والجدة *** مفسدة للعقل أي مفسدة

وقولي ايضا :

إن الشباب حجة التصابي *** روائح الجنة في الشباب

(٢) – في ((الأغاني)) : إن الشباب حجة التصابي] والتصابي والصبا والصيوة : جهلة الفتوة واللهو من الغزل

(٣) – قال أبو الفرج الأصفهاني في كتابه ((الأغاني))( ): أخبرني أبو دلف هاشم بن محمد الخزاع قال: تذاكروا يوماً شعر أبي العتاهية بحضرة الجاحظ؛ إلى أن جرى ذكر أرجوزته المزدوجة التي سماها "ذات الأمثال"؛ فأخذ بعض من حضر ينشدها حتى أتى على قوله:

يا للشباب المرح التصابي *** روائح الجنة في الشباب

فقال الجاحظ للمنشد: قف: ثمن قال: انظروا إلى قوله:

........................*** روائح الجنة في الشباب

فإن له معنى كمعنى الطرب الذي لا يقدر على معرفته إلا القلوب، وتعجز عن ترجمته الألسنة إلا بعد التطويل وإدامة التفكير، وخير المعاني ما كان القلب إلى قبوله أسرع من اللسان إلى وصفه.

---

(١) نثر الدر . موافق للمطبوع، ١٦٦/٧

(٤) – ذميمة أي مذمومة، فَعِيلة بمعنى مفعولة

(٥) – الفرط : العجلة ، وفرط في الأمر فرطا أي قصر فيه وضيعه حتى فات، والشطط مجاوزة الحدد في البيع والقدر يقال شططت وأشط و أشططت جرت عن الحق

(٦) – الأبيات [٤٣ و٤٤ و٤٥ و٤٦] زيادة من ((الأغاني))." (١)

"نَستَوفِقُ اللهَ لِما نُحِبُّ ... ما أَقبَحَ الشَيخَ الكَبيرَ يَصبو (١)

في كُلِّ رَأسٍ نَزوَةٌ وَطَرَبَة ... رُبَّ رِضىً أَفضَلُ مِنهُ غَضبَة (٢)

*كَم غَضبَةٍ طابَت بِها المَغَبَّة * (٣)

يا عاشِقَ الدُنيا تَسَلَّ عَنها ... وَيلي عَلى الدُنيا وَوَيلي مِنها (٤)

ما أَسرَعَ الساعاتِ في الأَيّامِ ... وَأَسرَعَ الأَيّامَ في الأَعوامِ

لِلمَوتِ بي جِدٌّ وَأَيُّ جِدِّ ... وَلَستُ لِلمَوتِ بِمُستَعِدِّ

هَل أُذُنٌ تَسمَعُ ما تسمع ... قَوارِعُ الدَهرِ الَّتي تُقَرِّعُ (٥)

ما طابَ فَرعٌ لاَ يَطيبُ أَصلُهُ ... اِحذَر مُؤاخاةَ اللَئيمِ فِعلُهُ

اِنظُر إِذا آخَيتَ مَن تُؤاخي ... ما كُلُّ مَن آخَيتَ بِالمُؤاخي

الحَمدُ لِلَّهِ الكَثيرِ خَيرُهُ ... لَم يَسَعِ الخَلقَ جَميعاً غَيرُهُ

مَن يَشتَكِ الدَهرَ يَطُل في الشَكوى ... الدَهرُ ما لَيسَ عَلَيهِ عَدوى (٦)

لَم نَرَ مَن دامَ لَهُ سُرورُ ... وَصاحِبُ الدُنيا بِها مَغرورُ

نَعوذُ بِاللهِ مِنَ الشَقاءِ ... ما أَطمَعَ الإِنسانَ في البَقاءِ

لَم يَخلُ مِن حُسنِ يَدٍ مَكانُهُ ... وَالمَرءُ لَم يُسلِمَهُ إِحسانُهُ (٧)

---

(١) – يقال صبى وتصابي إذا مال إلي الجهل والفتوة

(٢) – النزوة : التفلت والسَوْرة

(٣) – المَغَبَّة، بالفَتْحِ والغِبُّ، بالكسر: عاقِبَةُ الشَّيْء

(٤) –تسل من السلو : وهو نسيان الشيء والذهول عنه

(٥) – جمع قارعة وهي الداهية

(٦) – العدوى : طلبك إلى وال ليعديك على من ظلمك، والعدوى النصرة والمعونة ومنه :استعداه : نصره وأعانه

---

(١) قصائد من عيون الشعر، ١ ص/٦

(٧) – يسلمه :أسلم فلان فُلاناً إذا أَلْقاه إلى التهلَكة ولم يَحْمه من عدُوِّه ومنه الحديث : «المُسْلم أهو المسلم لا يظلِمُه ولا يُسلمه».." (١)

"" اخرى في حل قول القائل "

قل للأمير وما بالحق من باس ... دع عنك ضربك أخماسا لأسداس

من اثنتين فلا تبخل بواحدة ... أما النوال وأما راحة اليأس

حقيق علي أيد الله الامير ان لا أقول غير الحق. ولا يجري بناني بغير الصدق. وما منهما الأمر عاقبته حلوه. وثقيل ثمرته خفه وعندي نكتة من عريضه. وقصيرة من طويلة. وهي ان ضرب الأخماس للأسداس. ليس من فعل كرام الناس. فاما ثمرة النجاح واما روح الياس. واقول ما قال الله المنان فامساك بمعروف أو تسريح باحسان " اخرى في حل قول الشاعر في يحيي بن خالد البرمكي

رأيت يحيي أدام الله دولته ... يأتي من العرف مالم ياته احد

ينسى الذي كان من معروفه أبدا ... إلى العفاة ولا ينسى الذي يعد

سيدنا أطال الله بقاه فرد الأنام واوحد الكرام. فأيامه ربيع مريع. وجوده غريب بديع. فهو يطوى ما تقدم من الإحسان في أثناء الغفلة والنسيان. ويذكر ما يسبق من وعده حتى ينقشه في فص صدره. ويصرف إلى إنجازه جميع فكره. فكأنه قد نظر في سير مولانا الملك خوارزم شاه أدام الله ملكه وأحاط بجلائل نعمه. ودقائق كرمه. فتخلق بخلقه. وجري في طرقه. ولعمري ان من تدبر أخباره. وتبصر آثاره. وعلم ان الكرم مأمولي. لا برمكي. والجود خوارزم شاهي. لا حاتمي. وعرف انه لولا عجائب صنع الله. وبدائع لطف الله. لما نبتت تلك المكارم في لحم. ولا امتزجت تلك الفضائل بدم. ولا اجتمعت تلك المحاسن في شخص. ولا انتظمت تلك المفاخر في نفس. فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون. وسبحان خالق مأمون بن مأمون " اخرى في حل قول الشاعر "

تدعو الضرورات في الأمور ... إلى إستعمال ما لا يليق بالأدب

وحيرة المرء في تقلبه ... تدعو إلى ان يلج في الطلب

سيدنا أطال الله بقاه يعلم ان الضرورة. تبيح المحظورة. وتنقض المروة. وترفض الفتوة. وتدعو المرء إلى ما لا يحسن به. ولا يليق بحسبه وادبه. كما يعلم ان فرط التحير. يمنع من واجب التخير ويحمل الحيي على الوقاحة. حتى لا يبالي بالقباحة. أعاذ الله سيدنا من كل ما يجري على خلاف إيثاره. ويحول بينه وبين اختياره وقد اجتمع علي أدام الله تأييد سيدنا من الضرورة العنيفة والحيرة الشديدة. ما رخص لي في الإلحاح الذي ليس من خلائقي. وبعثني على الالحاف وما كان من طرائقي. وسيدنا أدام الله أيامه. أعلا عيناً فيما يراه من مداواة حالي بطب كرمه. وامساك رمقي بقطرة من ديمه " أخرى في حل قول الآخر "

اطال لك الله السلامة والبقا ... وزادك في الدنيا علوا ومرتقى

---

(١) قصائد من عيون الشعر، ١ ص/١٠

بعثت رسولي وهو حامل رقعتي ... فرأيك فيما قلت امس موفقا

يلقى الشيخ اطال الله بقاه. وادام في المعالي ارتقاه. برقعتي من هو رسولي. في تحصيل سولي. فرأيه في اعادة ظني مصدقاً. وصرفه بالنجاح موفقاً. ان شاء الله تعالى " اخرى في قول الشاعر لعبد الله بن طاهر "

ماذا أقول إذا سئلت وقيل لي ... ماذا اصبت من الجواد المفضل

ان قلت اعطاني كذبت وان اقل ... ضن الامير بماله لم يجمل

فاختر لنفسك ما أقول فانني ... لابد اخبرهم وان لم اسأل

أنا أطال الله الامير ناهض النيه. راحل العزيمة. مسافر الهم والعقيده ولم يبق الا المسير. ومن الله التيسير. ولست ادري ما الذي اقول إذا عاودت اوطاني وسلطاني. وشاهدت خلاني واخواني. وسألوني عن حالي بحضرته. وحظي من ثمار خدمته. فان قلت حصلت في الجنان الخصيبة من نعمته ودرت علي سحابة صلته. كذب لسان حالي لسان مقالي ولم تثن عليه حقائبي واحمالي. وان قلت ان الامير ادام الله تأييده قد ضن. ولم يحقق الظن. كنت وصفت البدر بأن لا يلوح. والمسك بأن لا يفوح. والبحر بأن يغيض. ولا يفيض فانا واقف حيث يقف بي اختياره. من الشكر أو الشكايه. ويرتضيه لي ايثاره. منالثناء أو الاستزاده. فان رأى أعلى الله رأيه ان يطلق لساني باجمل القولين فيه. ولا يكلني الا إلى احسن الظنين به. فعل ان شاء الله تعالى " حل الجواب عنها "

عاجلتنا فاتاك عاجل برنا ... قلا ولو أمهلتنا لم يقلل

فخذ القليل وكن كأنك لم تقل ... ونكون نحن كأننا لم نفعل." (١)

"خاطبتنا أيدك الله مخاطبة من تجهز وتحمل وبرز وهو سائر لايني ومتوجه لاينثني. وكنا نؤثر ان تقيم ولا تريم. لنبلغ من قضاء حقك ما يتأتى في المهل لا على السرعة والعجل. واذ قد جددت في السفر عزمك. وجردت للوطن همك. فجعل الله الخيرة مصاحبة لك. في مقامك وظعنك. وسفرك وحضرك. وسائر متصرفك. ومتوجهاتك. وقد امرنا لك بعجالة قليلة من البر يكثرها ما في التقصير مع المعاجلة من العذر. فخذها وهب انك لم توصل. لنعلم نحن على اننا لم نبذل. والأمر كفاف لدينا. ولا لنا ولا علينا. و ؟ بيننا قائمه لا يلزم أحدنا لائمه. والسلام " اخرى في حل قول منصور الفقيه "

ان إمام الحجاز يقضي ... عليك في الوعد بالضمان

ولي عدات لديك تترى ... معلومة الوقت والمكان

فاوف بالوعد أو فصرح ... بالخلف واسلم على الزمان

ولا تعذب بسوف قلبا ... اقرحه المطل والتواني

الشيخ أطال الله بقاه حجازي الفقه. شافعي الدين. ومن مذهبه. ان من وعد وعدا. فقد ضمن ضمانا وعهد عهدا. وفي دين المروة. وحقوق الفتوة. ان من أعطى من لسانه الوثيقة. لزمته شرائطها على الحقيقة. ولي في ذمة كرمه مواعيد معلومة الأوقات والأزمنة. معروفة المواطن والأمكنة. فان وفى بالعهد. واوفى بالعقد. كان قد جبر كسري. وفك اسري. واستغرق

---

(١) رسائل الثعالبي، ١ ص/١١

شكري. وان رأى غير ذلك فالتصريح. مما يريح. ولا بأس ببرد اليأس. وما اولاه بأن لا يزيد في عذاب قلب مكدود بالوعد. مجرود على شوك المطل. مجروح بأنياب الدهر. والله يعينه على الخيرات. ويوفقه للحسنات. ويوفر حظه من الباقيات الصالحات " اخرى في حل قول ابن الرومي "

جعلت فداك لم اسال ... ك ذاك الثوب للكفن

سألتكه لألبسه ... وروحي بعد في بدني

وقد طال المطال به ... وخفت حوادث الزمن

فلا تجعله غزلاً فر ... حائكه إلى عدن

الا فامنن به ان ال ... سيادة عاجل المنن

الا واجعله ممتثلاً ... محاسن وجهك الحسن

نقياً مثل عرضك إنه ... ما شيب بالدرن

صفيقاً مثل رأيك ... انه والحزم في قرن

رقيقاً مثل فطنتك التي ... دقت عن الفطن

ولا تعجبك قيمته ... كفى بالجمد من ثمن

وحسبك ان بخلت به ... بفقد الحمد من غبن

جعلني الله فداك. يا مولاي واطال بقاك. إلى متى هذا المطل الشديد. بالثوب الجديد. ولم صار الوعد فيه كالموعيد. أما علمت اني سالتكه لألبسته في حياتي. لا لأن أكفن به عند مماتي. وقد طال به التسويف العنيف. حتى خفت عوائق الحدثان. ولم آمن نوائب الزمان. فلا ينبغي ان يكون فرحائكه إلى اليمن والقى عصاه بصنعاء أو عدن. وليس الزعيم الا فضلك بكفابة شغل طلبه. والجري على حكم سوددك في المن علي به. وإجابة دعائي بكرمك. ان تنفذه ممتثلاً محاسنك. محاكياً شمائلك. وتجعله نقياً كعرضك الذي ما شيب بما يلطخه. وما شين بما يوسخه. وتختاره صفيقاً كرأيك الذي لا يتخلله خلل. رقيقاً كفطنتك التي لا يتعرضها زلل. ولا تتعاظمك قيمته فالحمد لله أعلى واغلى. وبالاستحلاب اولى وان بخلت به وحاشاك. فحسبك فوت الشكر عيباً وكفاك

باب

المطل وخلف الوعد

" رسالة في حل قول ابن الرومي "

لو كان مطلك ذا روح وذا جسد ... في طوله ما شككنا انه عوج

كما نوالك مع ما فيه من قصر ... لو مر بالناس قالوا مر ياجوج

" وقول الآخر "

قد بلوناك بحمد الله ... ان أغنى البلاء

فاذا كل مواعي ... دك والريح سواء

" وقول الآخر "

اطلت انتظار غد بعد غد ... ولم ازمنك يدا فوق يد

فسم غدا أنتظر وقته ... فكل غد بعده الف غد." (١)

"إذا تراكبت لديك الهموم. وتراكمت عليك غيوم الغموم وضاقت خطة الخطب. واشتدت ثائرة الكرب. فاتخذ المنى مراوح تروح بها عن قلبك. وتبرد حر صدرك. وترى في حركتها سكون جاشك. وفي الانس بها زوال استيحاشك. فربما اقترن ارجاف القلوب بما يقر العيون. ونطق لسان الفال بما يحقق الظنون

باب

ذم الزمان وانحطاط الكرام وارتفاع اللئام

" فصل في حل قول الشاعر "

كفى حزناً ان المروآت عطلت ... وان ذوي الآداب في الناس ضيع

وان الملوك ليس يحظى لديهم ... من الناس الا من يغنى ويصفع

طنابيرهم معمورة باداتها ... ومسجدهم خال من الناس بلقع

فيا ليتني أصبحت فيهم مغنياً ... ولم أك أشقى بالذي كنت أجمع

كفى حزناً أن قد ضيعت المروة. وعطلت الفتوة. وضاع ذوو الآداب. لقلة الطلاب. واكثر الملوك ساهون لاهون. وبالمغنين وبالصفاعة مباهون. فمجالس انسهم معمورة وبالملاهي مغموره ومساجدهم مهجورة. فياليتني كنت مغنيا لهم فانال المنى. وادرك بالغناء الغني. ولم أك اشقى بجمع العلوم واتقان المعلوم. ولبس ثوب المحروم " اخرى في حل قول الاستاذ ابي بكر الخوارزمي "

نولى العيش وانقطع النظام ... وعاش اللؤم اذ عاش اللئام

وخلفني الزمان على اناس ... إذا حكوا الكلاب فهم كرام

يكاد الدهر يشتمني صراحاً ... لو ان الدهر كان له كلام

فلولا ان انازع حكم ربي ... لقلت فديت موتي والسلام

قد تولت بهجة العيش وانقطع نظام الحرية. ودرس رسم الإنسانية. ووقف فلك المروءة وانقضت ايام الكرام. وعاش اللؤم بعيش اللئام. وخلفني الزمان على اقوام. إذا حكوا الكلاب فهم اكرم الكرام. ولو كان الدهر يتكلم لرشقني بسهام الشتيمة. كما قصدني بافعاله الذميمة. فلولا ان انازع قضاء الله الذي لا احتجاب دونه ولا دفاع. ولا احتراز منه ولا امتناع. لشتمت هذه الدنيا الدنيه. وتمنيت المنيه. واختصرت الكلام. وقلت فديت موتي والسلام " اخرى في حل قوله ايضاً "

خبت نار العلى بعد اشتعال ... وصاح الخير حي على الزوال

عدمنا الجود الا في الاماني ... والا في الصحائف والامالي

---

(١) رسائل الثعالبي، ا ص/١٢

فياليت الدفاتر كن قوماً ... فأثرى الخلق من كرم الفعال

ولو اني جعلت امير جيش ... لما حاربت الا بالسؤال

لان الناس ينهزمون منه ... وقد ثبتوا لاطراف العوالي

لم تر إلى العلى كيف خبا قبسها. وكبا فرسها. والى الخير اكيف آذن بالزوال. وشدت رحاله للارتحال. والى الجود كيف قد أعجز. وعز واعوز. اللهم الا في الدفاتر. وكتب الاخبار والمآثر. فياليت الكتب كانت قوماً فكانت اوجههم للصباحة. وألسنتهم للفصاحة. وايديهم للسماحة. ولو كنت امير جيش يملأ الارض. ويشحن الطول منها والعرض. وسنح لي النهوض إلى عدو ابرز صفحة المكاشفة. وامتطى ظهر المخالفة. فحشد وحشر. وضم ونشر. وجمع اطرافه. والف الفافه. لما حاربته الا بالسؤال. الذي ينهزم منه ابطال الرجال. وطالما ثبتوا للبيض الحداد والسمر الطوال.

" رقعة في حل قول ابن لنكك "

زمان عز فيه الجود حتى ... لصار الجود في أعلى البروج

مضى الاحرار فانقرضوا بادوا ... وخلفني الزمان على علوج

وقالوا قد لزمت البيت جداً ... فقلت لفقد فائدة الخروج

عاتبتني يا سيدي فديتك على لزوم البيت. وقلت ان الحي إذا لم يخرج منه كالميت. كانك لا تعلم ان الخروج إذا كان غير مفيد. كانت العزلة خير قعيد. ولا سيما في هذا الزمان الذي عز فيه جود ذوي الثراء. حتى صار في أعلى بروج السماء. ومضى الاحرار فلم يبق منهم نافخ نار. ولا رافع منار. وبقيت في اعلاج. اعيت خبيئتهم على كل علاج. فهم يصونون فلوسهم. ويبتذلون نفوسهم. افتلومني على بغضهم. والاستمرار على نقصهم ورفضهم. وما اشك انك ان عرفتهم عذرتني. كما عذلتني. ان شاء الله " فصل في حل قول ابن الرومي "

رأيت الدهر يرفع كل وغد ... ويخفض كل ذي شيم شريفه

كمثل البحر يرسب فيه در ... ولا ينفك تطفو فيه جيفه

" وقول جحظه "." (١)

"وَدُمُوْعُهُ تَجْرِيْ بِغَيْرِ قِيَاسِ مَازِلْتُ أَذْكُرُهُ وَلَسْتُ بِنَاسِي فِيْ مُنْتَدَى الأَصْحَابِ وَالْجُلاَّسِ (١) وَسَبَحْتُ فِيْ بَحْرٍ مِنَ الْوَسْوَاسِ وَكَأَنَّ شَيْطَانًا يَجُوْلُ بِرَاسِي وَالْقَلْبُ فِي دَرَكِ الذُّنُوْبِ يُقَاسِي وَيَدُ الشَّبَابِ ضُحىً وَفِيْ إِغْلاَسِ (٤) وَاسْتُرْ فَسِتْرُكَ عِزَّتِيْ وَلِبَاسِي .

؟ ؟ ؟ ؟ ؟ ؟

هَذَا النَّذِيرُ أَتَى

يَا نَفْسُ مَالِيْ وَلِلأَمْوَالِ وَالْعَرْضِ (٥) أَمَا تَرَيْنَ نَذِيْرَ الشَّيْبِ مُنْتَشِراً .

مَاذَا دَهَاكِ نَحَرْتِ الجِسْمَ بِالرَّكْضِ وَالْقَلْبُ مُنْزَعِجٌ بِالضَّعْفِ فِيْ النَّبْضِ .

---

(١) رسائل الثعالبي، ا ص/٢٥

١- الجُلاَّسُ : والجِلْسُ والجَلِيسُ والجِلِّيسُ والمُجالِسُ ، هم الجُلَساءُ والجِلْسُ يقع على الواحد والجمع والمذكر والمؤنث .

٢- التهور : الوقوع في الشيء بقلة مبالات يقال فلان متهور .

٣- الصبا : الصغر والصبوة جهلة الفتوة واللهو يقال رأيته في صباه أي في صغره .

٤- الإغلاس : ظلام آخر الليل .

٥- العرض : بوزن الفلس المتاع ، وكل شيء عرض إلا الدراهم والدنانير .

هَذَا النَّذِيْرُ أَتَى مِنْ كُلِّ نَا حِيَةٍ مَاتَ الْحَنُوْنُ أَبِي وَالأُمُّ قَدْ وَهَنَتْ (١)

تَرَاجَعِي وَاهْدَئِي فَالْمَالُ مَشْغَلَةٌ فَالموْتُ جَاثٍ (٣) عَلَى الأبْوَابِ مُنْتَظِرٌ

وَأَنْتِ لَمْ تَهْدَئِيْ فِي الطُّوْلِ والْعَرْضِ وَأَنْتِ لاحِقَةٌ فِيْ لَمْحَةِ الْغَمْضِ يَكْفِيْكِ مِنْهُ كَفَافٌ (٢) قَامَ بِالْفَرْضِ حَتَّى يُعِيْدَكِ رُغْمَ الأَنْفِ (٤) فِي الأَرْضِ .

؟ ؟ ؟ ؟ ؟ ؟

أَيَا نَفْسُ تُوبِي

قِفَا نَأْكُلِ اللَّحْمَ الطَّرِيَّ فَقَدْ قُلِي فَفِيْ يَمَنٍ مِصْرٌ (٦) طَرِبْتُ لِذِكْرِهَا تَرَى الْخُبْزَ فِيهِ كَالأَهِلَّةِ (٧) وَضْعُهُ .." [(١)]

"فَقَدْ وَصَلَ الْمُبَارَكُ بِالْعَطَاءِ فَكَمْ فَرِحَتْ قُلُوبٌ بِاللِّقَاءِ جَنَابَكَ يَا مُكَلَّلُ بِالْوَفَاءِ وَذَنْبِي فَوْقَ ظَهْرِي كَالْغِطَاءِ عُرُوقِي وَالذُّنُوبُ رَحَى الْبَلاَءِ دَعَوْتُكَ مُخْلِصًا فَاقْبَلْ دُعَائِي .

؟ ؟ ؟ ؟ ؟ ؟

وَدَاعًا حَلِيْفَ الدُّعَا

وَدَاعًا وَدَاعًا غِذَاءَ الْفِكْرْ (٢) عَشِقْتُ لَيَالِيْكَ مُنْذُ الصِّبَا (٣) وَإِنِّيْ أَرَى فِيْكَ أُنْشُوْدَتِيْ فَظِلُّكَ رَوْحٌ (٤) وَرَيْحَانَةٌ (٥) .

حَبِيْبَ الْقُلُوْبِ عَظِيْمَ الْعِبَرْ وَأَصْبَحْتُ أَهْوَاكَ عِنْدَ الْكِبَرْ وَضَوْءَ اهْتِدَائِيْ وَحُلْوَ السَّمَرْ شَذَاكَ (٦) بِرُوْحِي اسْتَوَى وَاسْتَقَرْ .

١- طرا : كافة .

٢- الفكر : إعمال الخاطر في الشيء ، قال سيبويه : ولا يجمع الفِكْرُ ولا العِلْمُ ولا النظرُ ، قال : وقد حكى ابن دريد في جمعه أَفكاراً .

٣- الصبا : الصغر والصبوة جهلة الفتوة واللهو يقال رأيته في صباه أي في صغره .

٤- روح : بفتح الراء الرحمة والرفق والروح من الاستراحة وكذا الراحة .

٥- ريحانة : نبت معروف .

---

(١) روضة الشعر الهادف، ١ ص/٢١

٦- الشَّذا : شِدَّةُ ذكاءِ الريح الطَّيِّبة .

سَأَبْكِيْكَ مَادُمْتَ عَنْ نَاظِرِي فَفِيْكَ الشَّيَاطِيْنُ قَدْ صُفِّدَتْ (١) وَأَوَّلُهُ رَحْمَةٌ أُنْزِلَتْ وَأَوْسَطُهُ مِنْحَةٌ مِنْ غَفُوْرٍ وَعِتْقٌ مِنَ النَّارِ فِي آخِرٍ وَدَاعًا حَلِيْفَ (٣) الدُّعَا وَالْقُنُوْتِ فَدَمْعِي عَلَى الْخَدِّ مُسْتَرْسِلٌ فَهَلْ نَلْتَقِيْ يَاحَلِيْفَ الصَّلاحِ وَهَلْ رَجْعَةٌ لِلَّيَالِي الْمِلاحِ وَنَدْعُوالإِلَهَ بِقَلْبٍ خَشُوْعٍ لَيَالِيْكَ بِالنُّوْرِ قَدْ أَشْرَقَتْ .." (١)

" حدثني إبراهيم بن عاصم قال سمعت صدقة يقول سمعت الشمردل يقول نكح العجز التواني فولد الندامة

قال أبو حاتم رضى الله عنه سبب النجاح ترك التواني ودواعي الحرمان الكسل لأن الكسل عدو المروءة وعذاب على الفتوة ومن التواني والعجز أنتجت الهلكة وكما أن الأناة بعد الفرصة أعظم الخطأ كذلك العجله قبل الإمكان نفس الخطأ والرشيد من رشد عن العجله والخائب من خاب عن الأناة والعجل مخطيء أبدا كما أن المتثبت مصيب أبدا

حدثني محمد بن عثمان العقبي حدثنا محمد بن الحسن المصري حدثني نعيم ابن حماد حدثنا ابن المبارك حدثنا معمر قال كتب عمرو الى معاوية يعاتبه في التأني أما بعد فإن التفهم في الخير زيادة ورشد وإنه من لا ينفعه الرفق يضره الخرق ومن لا تنفعه التجارب لا يدرك المعاني أو قال المعالي ولا يبلغ الرجل مبلغ الرأي حتى يغلب حلمه جهله وتصبره شهوته ولا يدرك ذلك إلا بقوة الحلم

وأنشدني محمد بن حبيب الواسطي ... بني إذا ما ساقك الضر فاتئد ... فللرفق أولى بالأريب واحرز ... فلا تحمين عند الأمور تعززا ... فقد يورث الذل الطويل التعزز ...

أخبرني محمد بن المنذر حدثنا إسماعيل بن إسحاق حدثنا سليمان بن حرب حدثنا حماد عن أيوب قال قال أكثم بن صيفي ما يسرني أني نزلت بدار معجزة فأسمنت وألبنت قيل له لم قال لأني أخاف أن أتخذ العجز عادة

وأنشدني المنتصر بن بلال ... وعليك في بعض الأمور صعوبة ... والرفق للمستصعبات مدان ... وبحسن عقل المرء يثبت حاله ... وعلى المغارس تثمر العيدان ." (٢)

" وهيهات من ذا صحب السلطان فلم يفتتن ومن اتبع الهوى فلم يعطب إن الشجرة الحسنة ربما كان سبب هلاكها طيب ثمرها وربما كان ذنب الطاووس الذي في جماله سبب حتفه لأنه يثقله حتى يمنعه من الهرب ومن صحب السلطان لم يأمن التغيير على نفسه لأن الأنهار إنما تكون عذبه ما لم تنصب الى البحور فإذا وقعت في البحور ملحت على أن قعود العلماء عن أبواب الملوك زيادة في نور علمهم وكثرة غشيانهم إياهم غشاوة على قلوبهم ومن صحب الملوك لم يأمن تغيرهم ومن زايلهم لم يأمن تفقدهم وإن قطع الأمور دونهم لم يأمن فيها مخالفتهم وإن عزم على شيء لم يجد بدا من مؤامرتهم وأسمج شيء بالملوك الحدة

---

(١) روضة الشعر الهادف، ١ ص/٦٩

(٢) روضة العقلاء، ١ ص/٢١٨

ولقد حدثنا أحمد بن الحسن بن عبد الجبار الصوفي حدثنا يحيى بن معين حدثنا المبارك بن سعيد الثوري قال كان يقال خمس خلال هن أقبح شيء بمن كن فيه الحدة في السلطان والكبر في ذي الحسب والبخل في الغنى والحرص في العالم والفتوة في الشيخ

قال أبو حاتم رضى الله عنه رؤساء القوم أعظمهم هموما وأدومهم غموما وأشغلهم قلوبا وأشهرهم عيوبا وأكثرهم عدوا وأشدهم أحزانا وأنكاهم أشجانا وأكثرهم في القيامة حسابا وأشدهم إن لم يعف الله عنهم عذابا

ومن أحسن ما يستعين به السلطان على أسبابه اتخاذ وزير عفيف ناصح على ما تقدم ذكرنا له فإن الوزير إذا غفل الأمير ذكره وإن ذكر أعانه وإن سولت له نفسه سيئة صده وإن أراد طاعة نشطه فهو المحبب له الى الناس والمستجلب له دعائهم

ولقد أنشدني علي بن محمد البسامي ... إذا نسى الأمير قضاء حق ... فإن الذنب فيه للوزير ... لأن على الوزير إذا تولى ... أمور الناس تذكير الأمير ...

قال أبو حاتم رضى الله عنه الواجب على كل من يغشى السلطان وامتحن ." (١)

""""""""" صفحة رقم ٢٨٠ """""""

المشيب ، وعلته أبهة الكبر . خرج عن حد الحداثة ؛ وارتفع عن غرة الغرارة . نفض حبرة الصبا ، وولى داعية الحجا . لما قام له الشيب مقام النصيح ، عدل عن علائق الحداثة بتوبة نصوح . الشيب حلية العقل وشيمة الوقار . الشيب زبدة مخضتها الأيام ، وفضة سبكتها التجارب . سرى في طريق الرشد بمصباح الشيب . عصى شياطين الشباب ، وأطاع ملائكة الشيب . الشيخ يقول عن عيان ، والشاب عن سماع . في الشيب استحكام الوقار وتناهي الجلال ، وميسم التجربة ، وشاهد الحنكة . في الشيب مقدمة الموت والهرم ، والمؤذن بالخرف ، والقائد للموت . الشيب رسول المنية . الشيب عنوان الفساد . والموت ساحل ، والشيب سفينة تقرب من الساحل . صفا فلان على طول العمر ، صفاء التبر على شغب الجمر . لقد تناهت به الأيام تهذيبا وتحليما ، وتناهت به السن تجريبا وتحنيكا . قد وعظه الشيب بوخطه ، وخبطه السن بابنه وسبطه ، قد تضاعفت عقود عمره ، وأخذت الأيام من جسمه . وجد مس الكبر ، ولحقه ضعف الشيخوخة ، وأساء إليه أثر السن ، واعتراض الوهن . هو من ذوي الأسنان العالية ، والصحبة للأيام الخالية . هو هم هرم ، قد أخذ الزمان من عقله ، كما أخذ من عمره . ثلمه الدهر ثلم الإناء ، وتركه كذي الغارب المنكوب ، والسنام المجبوب . رماه من قوسه الكبر . أريق ماء شبابه ، واستشن أديمه . كسر الزمان جناحه ، ونقض مرته . طوى الدهر منه ما نشر ، وقيده الكبر ، يرسف رسفان المقيد ، هو شيخ مجتث الجثة ، واهي المنة ، مغلول القوة ومفلول الفتوة ، ثقلت عليه الحركة ؟ واختلفت إليه رسل المنية . ما هو إلا شمس العصر ، على القصر . أركانه قد وهت ، ومدته قد تناهت . هل بعد الغاية منزلة ، أو بعد الشيب سوى الموت مرحلة ؟ ما الذي يرجى ممن كان مثله في تعاجز الخطا ، وتخاذل ، القوى ، وتداني المدى ، والتوجه إلى الدار الأخرى ، أبعد دقة العظم ، ورقة الجلد ، وضعف الحس ، وتخاذل الأعضاء ، وتفاوت الاعتدال ، والقرب من الزوال .

(١) روضة العقلاء، ١ ص/٢٧٥

والذي بقي منه ذماء يرقبه المنون بمرصد ، وحشاشة هي هامة اليوم أو غد . قد خلق عمره ، وانطوى عيشه ، وبلغ ساحل الحياة ، ووقف على ثنية الوداع ، وأشرف على دار المقام ، فلم يبق إلا أنفاس معدودة ، وحركات محصورة . نضب غدير شبابه .." (١)

"وهذا المثل يضرب على في المداراة والتودد. قاله أبو عبيد القاسم بن سلام وقال: معناه لأن يزل الإنسان وهو عامل بوجه العمل وطريق الإحسان والصواب خير من أن تأتيه الإصابة وهو عامل بالإساءة والخرق. وهذا التفسير لا يعطيه المثل ولا يدل عليه ولا يتم وضربه المذكور به وإنّما معناه كما قال غيره: لأن يستمسك ولا يصرع وإن كان سيء الاستمساك خير من أن يصرع ولو صرعة حسنة لا تضره. وهو واضح ومضربه أيضاً على هذا النحو ظاهر.

سوء الاكتساب يمنع الانتساب.

هذا ظاهر.

أساء سمعاً فأساء جابةً.

الإساءة ضد الإحسان؛ والسمع تقدم؛ والجابة اسم من الإجابة يقال: أجابه إجابة والاسم الجابة كالطاعة والطاقة بمعنى الإطاعة والإطاقة. قال الشاعر:

وما من تهتفين به لنصرٍ ... بأقرب جابة لك من هديلِ

يضرب في سوء المسألة والإجابة في المنطق والإجابة على غير فهم. ونظمه أبو العتاهية فقال:

إذا ما لم يكن لك حسن فهمٍ ... أسأت إجابة فأسأت سمعا

ولست الدهر متسعاً لحل ... إذا ما ضقت بالإنصاف ذرعا

أساف حتى ما يشتكي السواف.

يقال: ساف المال يسوف إذا هلك؛ والسواف كسحاب موتانٌ في الإبل وقيل بالضم أو هو بالفتح في الناس والمال وبالضم مرض في الإبل ويجوز فتحه؛ وأساف الرجل: هلك ماله. قال:

فأبل واسترخى به الخطب بعدما ... أساف ولولا سعينا لم يؤبل

غيره: أساف من المال التلاد وأعدما ويضرب فيمن تعود الحوادث.

سال قضيبٌ حديداً.

قضيب اسم واد باليمن وقد تقدم هذا وقصته هذا وقصته في حرف الهمزة.

ومما يلحق بهذا الباب قولهم في الدعاء:

سلط الله عليه الورى وحمى خيبرا!

والورى بالتحريك اسم من قولك: ورى القيح جوفه يريه إذا أكله؛ وقولهم:

سله من كذا سل الشعرة من العجين.

---

(١) زهر الأداب وثمر الألباب، ١ /٢ ٢٨٠

يحكى أنه لمّا هم حسان بن ثابت رضي الله عنه أن يهجو أهل مكة قال له النبي صلى الله عليه وسلم : كيف وأنا منهم؟ أو كما قال صلى الله عليه وسلم فقال حسان: لأسلنك سل الشعرة من العجين! وأتي بعض الملوك في الصدر الأول برجل وضاع يضع الحديث كذبا فقال اضربوا عنقه! فذهبوا به ليقتلوه. فلما خرجوا قال لهم: أنظروني حتى أجرد كلامي وأسقطه من دواوين الحديث لئلا يلبس على الناس! فرجعوا إلى الملك وشاوروه فقال لهم: اقتلوه! فإنَّ هنا رجالا يسلون كلامه سل الشعرة من العجين. وقولك مثلا:

أسلط من ذئبٍ متنمرٍ.

وقولهم:

السؤدد مع السواد.

أي إنّما يحصل زمان الفتوة وسواد الشعر. ونحوه قول الحماسي:

إذا المرء أعيته السيادة ناشئاً ... فمطلبها كهلاً عليه عسيرُ

و قولك مثلا:

أسير من المثلِ.

ونحو ذلك.

ومن أمثال العمامة قولهم:

اسأل السائل عن طيب اللبن!

يضربون في مخالط الشيء المعنى له إنّه اعرف به. وقولهم:

سخر البخيل يدبر عليك!

وأما الشعر فقالوا: تحسبها حمقاء وهي باخس وتقدم في الحاء. وقال جرير:

وابن اللبون إذا ما لز في قرن ... لم يستطع صولة البزل القناعيس

و تقدم تفسير أبن اللبون والبازل والقرن بفتحتين: الحبل يجمع فيه البعيران. ومنه قول جرير:

وأبلغ خليفتنا إنَّ كنت لاقيه إني لدى الباب كالمشدود في قرن!

و لززت البعير وغيره لزا ولزازاً، وألأززته: شددته وألصقته؛ والقناعيس جمع قنعاس بالكسر وهو العظيم من الإبل.

وقال الحطيئة:

من يفعل الخير لا يعدم جوائزه ... لا يذهب العرف بين الله والناس

و قبله:

لمّا بدا لي منكم عيب أنفسكم ... و لم يكن لجراحي منكم آس

أزمعت يأسا مريحا من نوالكم ... و لن ترى طاردا للحر كالياس

جارا لقوم أطالوا هون منزله ... و غادروه مقيما بين أرماس

ملوا قراه وهرته كلابهم ... و جرحوه بأنياب وأضراس

دع المكارم لا ترحل لبغيتها ... و أقعد فإنك أنت الطاعم الكاسي

من يفعل الخير . . " البيت "

وخاطب بهذا الشعر الزبرقان، وعليه سجنه أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه. وقال زيد الخيل:

أقاتل حتى لا أرى مقاتلا ... و أنجو إذا لم ينج إلاّ المكيس

يروى مقاتلا بكسر التاء، وبفتحها على معنى موضع القتال.

وقال أوس بن حجر:." (١)

"البحر : بسيط تام (رَبَّ **الْفُتُوَّةِ** ، لاَ تَسْبِقْ إِلَى عَذَلٍ ** يَبِيتُ مِنْ مَسّهِ قَلْبِي على مَضَضِ) (فَإِنْ تكنْ هفوَةٌ أَو زَلّةٌ عَرَضَتْ ** فَالسَّهْمُ يَصْدِفُ أَحْيَاناً عَنِ الْغَرَضِ)

". (٢)

" الأنسة وتوصلت بملاطفتك إلى حسم مواد الحشمة فاستشهدت على ثقتي بك فيما أنفذته بمفارقة الحفلة وكلف المكاثرة فإن رأيت أن تكلني في تقبله إلى سعة أخلاقك وتسلك في ذلك أخصر طريق إلى ما أخطبه من مودتك وأزاحم عليه في إخائك فعلت إن شاء الله تعالى

وله في مثله

هذا اليوم أيد الله سيدي من أعياد المروة ومواسم **الفتوة** وأوطان السرور ومحاسن الأزمنة والدهور بلغة الله أمثاله في أنضر عيش وأسبغ سلامة وأبسط قدرة وأكمل مسرة وقد توثبت إلى الاقتداء فيه بأدبه والأخذ بمعرفة فروضه بمذهبه وأطعت في الانبساط إليه دواعي الثقة وأنفذت ما اعتمدت في قبوله على مكاني منه عائذا بالتقليل من كلف المكاثرة ومستثقل الكلفة فإن رأى أن يأتي فيما التمسته ما يناسب شرف طبعه وسعة أخلاقه فعل إن شاء الله تعالى

وله في مثله

لو كانت الملاطفات بحسب الرتب وقدر المنازل لما انبسطت قدرة ولا اتسع مكان لما يستحقه نبل محله وواجبات رياسته ولكنت من بين خدمه ضعيف المنة عن خدمته في هذا اليوم السعيد بلغه الله أمثاله في أفسح أجل وأنجح أمل بما يخدمه به ذوو الخدمات الوكيدة عنده المكينة لديه غير أني أثق منه أيده الله بحمل قليلي على علمه بإخلاصي في ولائه وانتسابي إلى جملته واختلاطي بأنسابه فإن رأى أن يجريني في قبول ذلك على سنة أمثاله من ذوي الجلالة عند أمثالي من الأولياء والحاشية فعل

وله في مثله

---

(١) زهر الأكم في الأمثال والحكم، ١ ص/٣٣٥

(٢) ديوان محمود سامي البارودي، ١ ص/٥٣٧

لو كانت الهدايا لا تتقبل ما لم تناسب في نفاسة القدر وجلالة الذكر ." (١)

" اللذة وبذخائرك من المشروب مع هذه الأوصاف ما يسترق حر الشكر ويحرز قصب السبق إلى الثناء وجميل الذكر فإن رأيت أن تنجد بالممكن منه مروتي على قضاء حق من أوجب المنة علي بزيارتي فعلت

وله في مثله

من كان للفضل نسبا ولفلك الفتوة قطبا لم تفزع القلوب من الهم إلا إليه ولم تعول الأنفس في استماحة المسار إلا عليه وقد طرقني من إخواني من كان الدهر يماطلني بزيارته وينفس علي بقربه ومشاهدته فصادفني من المشروب معسرا ووجدت الانبساط في التماسه من غيرك علي متعذرا وإلى تفضلك تفزع مروءتي في الإسعاف منه بما يلم شعث الألفة ويجمع شمل المسرة ويجعلنا لك في رق الاعتداد بالمنة ويقضي عني بتفضلك حقوق المودة

علي بن خلف

قد انتظم لنا أطال الله بقاء سيدي مجلس واقف بين النشاط والفتور والكآبة والسرور لغروب نجوم الخمر عن سمائه وعطله من حلي نوره ولألائه وقد عولنا في إطلاقه إلى إحدى الجهتين عليه وجعلنا زمامه بيديه فإن رأى أن يروح أفكارنا بشيء من راحه المشابهة عبقا وعتقا لأخلاقه وأعراقه فعل إن شاء الله تعالى

وله في مثله

أفضل ما أهدى سيدي ما أهدى السرور إلى أحبته ونظم شمل المتحققين بخدمته وحسم عنهم هواجس الفكر وأعداهم على الدهر وقد جمعنا مجلس وهبناه للثناء عليه وزفت عرائس الخمر إليه فإن رأى إيثارنا بها ." (٢)

" رقيت إليه من درجة الشافع لغيره والسائل في طريقه وذوي الحق عليه لتكون قد أكملت علي النعمة ووكدت لدي العارفة واستتممت عندي الصنيعة

أبو الخطاب بن الصابي

أبسط الشفاعة وجها وأقربها نجحا وأوقعها في القلوب وأسرعها إلى القبول ما وقع من أقسام ثلاثة من إدلال السائل بحسن الظن وارتياح المسؤول إلى فعل الخير واستحقاق المسؤول فيه لقضاء الحق فإذا اجتمع لها ذلك كانت الثقة بها زائدة والفتوة لها رائدة والفضل عليها قائما والنجح بها قادما وكان الشكر من أقل موجوداتها والمنة من أجل مذخوراتها

وله إن دل المملوك فبصدق المودة أو عول فعلى حسن النية أو استظهر فبقديم الحرمة أو استنصر فبكريم الرعاية ووراء ذلك همة من مولانا بعيدة المرامي طويلة المساعي شامخة الأنف سابقة الطرف توجد الآمال سراحا وتوسعها نجاحا وتأخذها خماصا وتردها بطانا وتوردها هزالا وتصدرها سمانا وثقة مني قد أحكم عقدها الزمان وأوثق شدها الامتحان فصارت لأعراض المملوك رائدة وفي قوة نفسه زائدة فالمملوك من اجتماع هذه الأقسام ووجوب ما تقتضيه من الأحكام بين ظن جميل لا مجال للشك عليه ويقين صحيح لا وصول للارتياب إليه

---

(١) صبح الأعشى، ٩١/٥٣

(٢) صبح الأعشى، ٩١/١٢٦

آخر ولئن كان المملوك أسرف في مجاري التثقيل على مولانا فإن المملوك لم يرد بعضا من دواعي الأمل فيه فإن المظنون من فتوة مولانا رائد الثقة بجميل نيته ولن يعدم النجاح من اعتمد على الفتوة والثقة

آخر وينهي أن المملوك إن أدل فبحق لدى مولانا أكده أو استرسل ." (١)

" الدعوة وحاكم البندق ونحوهم وهذه الطوائف ممن يكتب له إلى الآن أما حاكم البندق فإنه لم يعهد له كتابة من ديوان الإنشاء بمصر والشام على أن المقر الشهابي بن فضل الله قد ذكر وصيته في التعريف ولعله ممن كان يكتب له في زمانه أو قبله ثم ترك وإنما يكون ذلك بحسب اعتناء السلطان بشأن البندق وعدمه كما في لباس الفتوة وأنه ربما اعتنى به بعض الملوك فكتب له ثم ترك

النوع الثاني ولاية أرباب الأقلام وهم صنفان

الصنف الأول أرباب الوظائف الدينية وهم على ثمانية أضرب

الضرب الأول أكابر القضاة بأقطار المملكة كقضاة القضاة بالحضرة السلطانية بالديار المصرية وثغر الإسكندرية وكذلك قضاة القضاة بدمشق ." (٢)

" يخليها من براعة الاستهلال المناسبة للحال والمقصر لها مراع لزيادة الإطناب في الوصف

قلت ولا يخفى أن ما ذكراه في التقاليد يجيء مثله في العهود لجريها على موجبها من مول ومولى

اما إذا كانت الولاية بيعة فإنه يجعل موضع الوصايا ذكر التزام الخليفة البر والإحسان للخلق ووعد النظر في أمور الرعية وصلاح احوالهم وذكر التحليف للخليفة أو له وللسلطان إن كان معه سلطان قام بعقد البيعة له على الوفاء بالعهد والدخول تحت الطاعة قال في حسن التوسل والأمر الجاري في ذلك على العادة معروف لكنه قد تقع أشياء خارجة عن العادة فيحتاج الكاتب فيها إلى حسن التصرف على ما يقتضيه الحال وذكر من ذلك تقليدا أنشأه لمتملك سيس وتقليدا كتبه بالفتوة وسيأتي ذكر ذلك مع ما شاكله في مواضعه إن شاء الله تعالى

الوجه السابع قطع الورق

واعلم أن الولايات من ديوان الإنشاء بالأبواب السلطانية بجملتها ينحصر قطع الورق فيها في خمسة مقادير لا يتعداها

أحدها قطع البغدادي الكامل وهو مختص بالبيعات والعهود مطلقا على أي الافتتاحات كان

الثاني قطع الثلثين من المنصوري وهو لأجل الولايات السلطانيات لأرباب السيوف وبعض أرباب الأقلام ولا يفتتح فيها إلا بالحمد

الثالث قطع النصف منه وهو لما دون ذلك ولا يفتتح فيه إلا بالحمد أيضا ." (٣)

---

(١) صبح الأعشى، ١٣٠/٩١

(٢) صبح الأعشى، ٢٥٧/٩١

(٣) صبح الأعشى، ٢٧٩/٩١

" اللعب وأليف هذا المرام الذي ينشط إليه اللاعب ويستروح إليه التعب اقتضى الرأي الشريف أن نجعله حاكما في هذه الرتبة الجليلة بما علم أو علم منها فاصلا بين أهلها بمعرفته التي ما برحت يؤخذ بها في قواعدها وينقل عنها فرسم بالأمر الشريف أن يكون حاكما في البندق

فليستقر في هذه الرتبة التي تلقاها بيمين كفايته ويمنه وارتقاها بتفرده في نوعه وتقدمه في فنه وليعتمد الإنصاف في أحكام قواعدها وإجراء أمر أربابها على أحوالها المعروفة وعوائدها وينافس المعروفين بها على التحلي بآدابها والتمسك من المروءة والأخوة بأفضل أهدابها وينصف بينهم فيما يعتد به من واجبها ويلزم الداخل فيها بالمشي على المألوف من طرقها والمعروف من مراتبها ولا يحكم في التقديم والتأخير بهوى نفسه ولا يقبل من لم يتحر الصدق في يومه أنه قبل منه في أمسه فإن استدامة شروطها أمان من السقوط عن درجها وإذا حكمت نفوس أهلها الصدق في أقوالها وأفعالها فقد خرجت من خط حرجها وليرع لذوي التقدم فيها قدم هجرتهم واشتهار سيرتهم الحسنة بين أسرتهم وقد خبر من أوصافه الحسنة وسابق رتبته التي لم تكن عين العناية عنها وسنة ما اقتضى استقرار رتبته على مكانتها ومكانها واكتفي له من مبسوط الوصايا بعنوانها فليتق الله في قوله وعمله ويجعل الاعتماد على توفيقه غاية أمله والخير يكون إن شاء الله تعالى

ومن ذلك ما يكتب به في إلباس **الفتوة**

اعلم أن طائفة من الناس يذهبون إلى إلباس لباس **الفتوة** ويقيمون لذلك شروطا وآدابا جارية بينهم ينسبون ذلك في الأصل إلى أنه مأخوذ عن الإمام علي كرم الله وجهه

والطريق الجاري عليه أمرهم الآن أنه إذا أراد أحدهم أخذ الطريق عن كبير من كبراء هذه الطائفة اجتمع من أهلها من تيسر جمعه وتقدم ذلك الكبير ." (١)

" فيلبس ذلك المريد ثيابا ثم يجعل في كوز أو نحوه ماء ويخلط به بعض ملح ويقوم كل منهم فيشرب من ذلك الماء وينسبه إلى كبيرة وربما اعتن بذلك بعض الملوك وقد جرت العادة في ذلك أنه إذا ألبس السلطان واحدا من الأمراء أن يكتب له بذلك توقيعا

وهذه نسخة توقيع بفتوة من إنشاء القاضي محيي الدين بن عبد الظاهر وهو

الحمد لله الذي جعل أنساب **الفتوة** متصلة بأشرف أسباب النبوة وأفضل من أمده منه بكل حيل وقوة وأسعد من سما فكان عليا على كل من سام علوه

نحمده حمدا تغدو الأفواه به مملوة ونشكره على مواهبه بآيات الشكر المتلوة ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة من جعل إلى منهج التوحيد رواحه وغدوه ونشهد أن محمدا عبده ورسوله الذي شد الله أزره بخير من أفتى وفتى فنال كل فتوي من الفتيان به شرف الأبوة والبنوة صلى الله عليه و سلم وآله وصحبه الذين نصروا وليه وخذلوا عدوه صلاة موصلة إلى نيل الأماني المرجوة

---

(١) صبح الأعشى، ١٢/ ٢٦٨

وبعد فإن خير من اتصل به رجاء الرجال الأجواد وطوى البعيد إلى تحصيل مرامه كل طود من الأطواد وأماط به عن مكارم الأخلاق لثام كل جود وامتطى ظهر خير جواد واستمسك من ملابس الشرف بما يؤمن ويؤمل وما يشد به من كل خير لباس التقوى وما تؤيد به عزيمته فتقوى وما يتقيد به على رؤوس الأحزاب وما يتنزل به عليه أحسن آية من هذا الكتاب من اشتهر بالشجاعة التي تقدم بها على قومه وحمد أمسها في يومه وبالشهامة التي لها ما للسهام من تفويق ولزرق الأسنة من تحذيق ولبيض الصفاح من حدة متون وللسمهرية من ازدحام إذا ازدحمت المنون ومن صدق العزيمة ما يشهد به كرم الشيمة ومن شدة الباس ما يجتمع به على طاعته كثير من الناس ومن صدق اللهجة واللسان ما اتصف عفافه منهما بأشرف ما يتصف به ." (١)

" الإنسان ومن طهارة النفس ما يتنافس على مثله المتنافسون ويستضيء بأنواره القابسون ويرفل في حلل نعمائه اللابسون وكان من الذين أبانوا عن حسن الطاعة وأنابوا وإذا دعوا إلى استنفار جهاد واجتهاد لبوا وأجابوا والذين لا يلوون ألسنتهم عن الصدق ولا يولون وجوههم عن الحق والذين لا يقعدهم عن بلوغ الأوطار مع إيمانهم حب الأوطان وإذا نفذوا في حرب الأعداء لا ينفذون إلا بسلطان

ولما كان فلان ذوالمفاخر والمآثر أمير الفتيان مميز الإخوان والأعيان هو صاحب هذا المحفل المعقود والممدوح بهذا المقال المحمود والممنوح بهذا المقام المشهود والثناء الذي سر باله بما سربله أثواب العزة والفخار والاعتناء الذي استخير الله في اصطفائه واختباره في ذلك فخار اقتضى حسن الرأي الشريف كرم الله أنصاره وأعلى مناره أن نجيب وسائل من وقف في هذا القصد وقفة سائل لينال بذلك كل إحسان وإحسان كل نائل ودعا إلى الكريم العام بالإنعام والدعاء لسلطان يدعى له ويدعو كل الأنام فقال أسأل الله وأسأل سلطان الأرض ملك البسيطة إمام العصر رافع لواء النصر ناصر الملة المحمدية محيي الدولة العباسية فاتح البلاد والقلاع والأمصار قاهر الكفار مبيد الفرنج والأرمن والتتار سلطان الزمان خسروان إيران شاهنشاه القان سلطان العالم وارث الملك سلطان العرب والعجم والترك الذي انتهى إليه عن أمير المؤمنين الإمام الأواب المغوار علي بن أبي طالب ذي الفخار شرف الفتوة واتصال الأنساب

قلت هذا ما وقفت عليه من نسخة هذا التوقيع وقد ذكر الشيخ شهاب الدين محمود الحلبي في كتابه حسن التوسل نسخة تقليد أنشأه في الفتوة أسقط منه أول الخطبة وهو وابتدأ منه بقوله

نحمده على ما منحنا من نعم شتى ووهبنا من علم وحلم غدونا بهما ." (٢)

" أشرف من أفتى في الكرم وفتى وآتانا ملك خلال الشرف الذي لا ينبغي لغير ما اختصنا به من الكمال ولا يتأتى وخصنا به من رفع أهل الطاعة إلى سماء النعم يتبوأون من جنان الكرم حيث شاءوا وغيرهم لا تفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة من انتمى في فخار أبوة التقى إلى حسب علي وانتهى من بنوة المروءة إلى سبب قوى ونسب زكي وارتدى حلل الوقار بواسطة الفتوة عن خير وصي عن أشرف نبي ونشهد

---

(١) صبح الأعشى، ١٢ /٢٦٩

(٢) صبح الأعشى، ١٢ /٢٧٠

أن محمدا عبده ورسوله الذي نور شريعته جلي وجاه شفاعته ملي وبسيفه وبه حاز النصر من انتمى إليه فلا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا علي

وبعد فإن أولى من لبى إحساننا نداء وده وربى امتناننا نتاج ولائه الموروث عن أبيه وجده ورقاه كرمنا إلى رتبة علاء يقف جواد الأمل عن بلوغها عند حده وتلقت كرائمنا وفد قصده بالترحيب وأنزلت جار رجائه من مصر نصرها بالحرم الآمن والربع الخصيب وأذنت لأمله ما نأى من الأغراض حتى بلغه بفضلها سهم اجتهاده المصيب وأعدت له من حلل الجلالة ما هو أبهى من رداء السماء الذي تزداد على الأبد جدة برده القشيب وخصته لابتناء المجد بأجل بنوة جعلت له في إرث خلال الشرف أوفر حظ وأوفى نصيب من سمت منابر المجد بذكره وابتسمت أسرة الحمد بشكر أوصافه ووصف شكره واختالت مواد الثناء بحسن خلاله واختارت كواكب السناء إقبال طوالعه بطوالع إقباله وتمسك من طاعتنا بأمثل أسباب الهدى ." (١)

" الأرض القائم لجهاد أعداء الله بالسنة والفرض فاتح الأمصار الذي لم تزل سيوفه تهاجر في سبيل الله عن غمودها إلى أن صار له من الملائكة الكرام أنصار الذي كرم الله شرف الفتوة بانتمائها إليه وأعلى قدر بنوة المروءة باتصالها به عن الخلفاء الراشدين عن أب فأب عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضوان الله عليه وأورثه من خلقه الكرم والبأس فتحليا منه بأجل مواف وأكمل موافق ومنحه بحفظ العهد من خصائصه ما عهد به إليه النبي الأمي من أنه ما يحبه إلا مؤمن ولا يبغضه إلا منافق أعز الله سلطانه وأوطأ جياده معاقل الكفر وأوطانه أن يتقبل قصدي بقبول حسن ويقبل بوجه كرمه على أملي الذي لم يقعد به عن فروض الطاعات وسننها وسن وينظمني في سلك عقود الفتوة ملتزما بأسبابها مقتديا بطاعته التي هي أكمل أنسابها متصفا بموالاته التي لا يثبت لها حكم إلا بها آتيا بشروط خدمته التي من لم يأت بها على ما يجب فما أتى البيوت من أبوابها

فاستخرنا الله تعالى في عقد لواء هذا الفخار لمجده فخار ونظمناه لعقد هذا المقام الكريم واسطة لمثله كان يزينها الادخار

فرسم بالأمر الشريف لا زال جوده يعلي الجدود ويوطد لأبناء ملوك الزمن من رتب الشرف فوق ما وطدت الآباء والجدود أن نصل سببه بهذا السبب الكريم ونعقد حسبه في الفتوة بأواخي هذا الحسب الصميم ونعذق نسبه بأصالة هذه الأبوة التي هي إلا عن مثله عقيم ويفاض عليه شعار هذا ." (٢)

" الخلق المتصل عن أكرم وصي بمن قال الله تعالى في حقه (إنك لعلى خلق عظيم)

فليحل هذه الهضبة التي أخذت من أفق العز بالمعاقد ويحل هذه الرتبة التي دون بلوغها من نوع الفراقد ألف راقد ويجر رداء الفخر على أهداب الكواكب ويزاحم بمواكب مجده النجوم على ورود نهر المجرة بالمناكب وليصل شرف هذه النسبة من جهته بمن رآه أهلا لذلك وليفت في الفتوة بما علم من مذهبنا الذي انتهى فيه منا إلى مالك وليطل على ملوك

---

(١) صبح الأعشى، ٢٧١/١٢١

(٢) صبح الأعشى، ٢٧٣/١٢١

الأقطار بهذه الرتبة التي تفانى الرجال على حبها ويصل على صروف الأقدار بهذه العناية التي جعلته وهي حلية حزب الله من حزبها وليصل سر هذا الفضل العميم بإيداعه إلى أهله وانتزاعه ممن لم يره أهلا لحمله

قلت وما تقدم مما يكتب عن الأبواب الشريفة السلطانية بالديار المصرية والممالك الشامية لأرباب السيوف وأرباب الأقلام وغيهرهم من التقاليد والتفاويض والتواقيع والمراسيم المكبرة والمصغرة ليس هو على سبيل الاستيعاب بل على سبيل التمثيل والتذكير لينسج على منواله وينهج على نهجه فإن استيفاء ما يكتب في ذلك مما يشق ويقف القصد دونه بل لا بد من حوادث تحدث لم يسبق لها مثال يقتفى أثره فيحتاج الكاتب إلى حسن سعته والله تعالى هو الموفق إلى نهج الصواب والهادي إلى طريق الحق في الأمور كلها بمنه وكرمه ." (١)

" بسيوفهم الحداد ومزقت رماحهم من مخالفي دينهم القويم القلوب والأكباد وسلم تسليما كثيرا إلى يوم التناد

وبعد فلما كانت المملكة القبلية جل البلاد الشامية وبها أرزاق العساكر الإسلامية وطريق الحاج إلى بيت الله الحرام وزيارة نبيه عليه أفضل الصلاة والسلام وإلى الأرض المقدسة التي هي على الخيرات مؤسسة وإلى الأبواب الشريفة السلطانية وممر التجار قاصدين الديار المصرية ومنازل العربان ومواطن العشران وجب أن يفوض حكمها إلى من عرف بالشهامة والشجاعة واليقظة التي لا يغفل بها عن مصلحة المسلمين ساعة من اثمر غرسه وما يفوه وأينع بالمروءة **والفتوة** وتقدم في الكمال على زيد وعمرو وأضرم في قلوب الأعداء نارا أحر من الجمر

وكان الجناب الكريم أدام الله نعمته هو المشهور بهذه الصفات والمنعوت بالشجاعة والإقدام وحسن الأدوات

فلذلك رسم بالأمر العالي لا زال إحسانه يثمر غرسا وجوده يسر نفسا أن يستقر الجناب المشار إليه في كشف البلاد القبلية المحروسة على منوال من تقدمه وعادته وحدوده في ذلك ومستقر قاعدته

فليباشر ذلك بهمته العلية وشجاعته الأحزمية ونفسه الأبية وليبيض وجهه في هذه النوبة حتى يطرب الناس بالنوبة الخليلية وليعدل في الكبير والصغير وليقمع رؤوس عشير اتخذوا رأسهم مولى فلبئس المولى ولبئس العشير وليدفع أذى العرب وليحذرهم شرا اقترب وليكثر الركوب إلى المعاملات ولا يخش من كثرة الحركات وليعلم أن كل ما هو آت آت وليتخذ الشرع الشريف إماما وليتوخ أوامره ونواهيه نقضا وإبراما وليقف عند ." (٢)

" تنسف بإشارتها جبال النسفي ولسان النظر الذي أشرف على بعده فاختفى في قربه المشرفي وصاحب الفنون وما وسقت وأفنان الحكم والحكم وما بسقت ونعوت الفضل والفضائل وما عطفت من البيان ونسقت

فليتول تدريس هذه المدرسة المعمورة مؤيد الولاية مجدد البداية لحنيفيتها والنهاية ساجدا قلم الفتاوى **والفتوة** كلما تلا كرمه وكلمه آية بعد آية منفقا من ألفاظه حتى يستغني عن الكنز وصاحبه ويرد فرع المقال على الأصل وطالبه ويعرض عن أعاريض البسيط ويغرق في أفكار وارده المحيط ويمد سماط العلم الذي وفى بعد القدوري وما خان وتفخر بقاضيها أعظم

(١) صبح الأعشى، ١٢١/٢٧٤

(٢) صبح الأعشى، ١٢١/٣١٠

مدينة فما يضرها فقد قاضي خان وتتذكر المقدمية في طلبته فوائد الحلقة وينتقل الجناب الكريم من تقدمتها إلى ما هو أوفى في الغرض وأوفر في النفقة والله تعالى يزيد رتب العلم به سرورا ويجعل له باستطلاعها كتاب حكم وحكم يلقاه منشورا

وهذه نسخة توقيع بتصدير بالجامع الأموي كتب به لقاضي القضاة علم ." (١)

" وما أطيب الاقتناص بعد الشرود وكيف يرى موقع الوصل بعد الصدود

(وزادني رغبة في الحب أن منعت ... أحب شيء إلى الإنسان ما منعا)

تقضي رياضات النفوس السامية بمعاطاة كاسه ومصافاة ناسه لما فيهم من **الفتوة** وكمال المروة وصدق اللسان وثبات الجنان وطيب الأخلاق وحفظ الميثاق لا يعرفون غير الصدق وإن كانوا يميلون إلى الملق ولا يبغون بصاحبهم بديلا يعطفون عليه عطف النسق لا سيما تعاطي صيد طيور الواجب الذي سنه الأكابر وجعلوا أمره من الواجب وتشرفت به هممهم العالية تارة إلى السماء وآونة إلى مشارع الماء

لا يتم سرورهم إلا برؤية تم كبدر التمام ومصباح الظلام يفر من ظله فرارا ويريك بياض لونه وسواد منقاره شيبا ووقارا ولا يداوي هموم لغبهم مثل كي لأجنحته الخوافق في الخافقين نشر وطي ولا تبتهج نفوسهم النفيسة إلا بإوزة يزدري دلالها بالكاعب المعتزة ولا يطرب أسماعهم غير لغات اللغلغة حين تمتد كأنها مدامة في الزجاجة مفرغة ولا يؤنسهم إلا الأنيسة الأنيسة والدرة النفيسة ولا يذهب حرجهم غير الحبرج الصادح المستوقف بحسنه كل غاد ورائح تكاد قلوبهم تطير بالفرح عند رؤية النسر الطائر وتجبر خواطرهم بكسر ذلك الكاسر إذا عاينوا عقبانا أعقبهم الفرح ونزح عنهم الترح وإن كركركي فرعنهم البوس ورأوا على رأسه ذلك التاج الذي لم يعل مثله على الرؤوس وإن عرض غرنوق غرقوا في بحار أفكارهم وجدوا إلى أن يقع بمجدول أوتارهم وإن لاح ضوع كالذهب المصوغ ألقوه في الجبال وهو بدمه مصبوغ وإن مر مرزم كالخودة الحسناء ضربوا له الآلة الحدباء وإن مر السبيطر أجنحته كالسحائب جاءته المرامي من كل جانب وإن عن عنز عمدوا إليه حتى يسقط في يديه قد تعالوا في رتبها وتغالوا في وصف وشيها وجعلوا كل آلة ." (٢)

" وتقليده فإن كثيرا من الناس قد استقبحه ممن فعله وكرهه لمن استعمله ونسبه فيه إلى الشره والنهم وحمله منه على التفه والقرم فمنهم من غلط في استدلاله فأساء في مقاله ومنهم من شح على ماله فدافع عنه باحتياله وكل الفريقين مذموم وجميعهما ملوم لا يتعلقان بعذر واضح ولا يعتريان من لباس فاضح ومنهم الطائفة التي ترى فيها شركة العنان فهي تتدله إذا كان لها وتتدلى عليه إذا كان لغيرها وترى أن المنة في المطعم للهاجم الآكل وفي المشرب للوارد الواغل وهي أحق بالحرية وأخلق بالخيرية وأحرى بالمروة وأولى **بالفتوة** وقد عرفت بالتطفيل ولا عار فيه عند ذوي التحصيل لأنه مشتق من الطفل وهو وقت المساء وأوان العشاء فلما كثر استعمل في صدر النهار وعجزه وأوله وآخره كما قيل للشمس والقمر قمران وأحدهما القمر ولأبي بكر وعمر العمران وأحدهما عمر وقد سبق إمامنا بيان رحمة الله عليه إلى هذا الأمر سبقا أوجب له خلود الذكر فهو باق بقاء الدهر ومتجدد في كل عصر وما نعرف أحدا نال من الدنيا حظا من حظوظها فبقي له منه أثر

---

(١) صبح الأعشى، ١٢١/ ٣٥٥

(٢) صبح الأعشى، ١٤١/ ٣٢٣

يخلفه وصيت يستبد به إلا هو وحده فبيان رضوان الله عليه يذكر بتطفيله كما تذكر الملوك بسيرها فمن بلغ إلى نهايته أو جرى إلى غايته سعد بغضارة عيشه في يومه ونباهة ذكره في غده جعلنا الله جميعا من السابقين إلى مداه والمذكورين كذكراه

أمره أن يعتمد موائد الكبراء والعظماء بغزاياه وسمط الأمراء والوزراء بسراياه فإنه يظفر منها بالغنيمة الباردة ويصل عليها إلى الغريبة النادرة وإذا استقراها وجد فيها من طرائف الألوان الملذة للسان وبدائع الطعوم السائغة في الحلقوم ما لا يجده عند غيرهم ولا يناله إلا لديهم لحذق صناعتهم وجودة أدواتهم وانزياح عللهم وكثرة ذات بينهم والله يوفر من ذلك حظنا ويسدد نحوه لحظنا ويوضح عليه دليلنا ويسهل إليه سبيلنا

وأمره أن يتبع ما يعرض لموسري التجار ومجهزي الأمصار من ." (١)

"ومختار شعره في الرشيد وف مكة. فمما له في الرشيد قوله، وقد ركب في يوم عيد ركبة لم ير الناس مثلها أحسن هيئة وأتم زينة وأكمل أداة وأكثر قواداً وجنداً:

لا زلت تنشر أعياداً وتطويها ... تمضي بها لك أيام وتثنيها

مستقبلاً جدة الدنيا وبهجتها ... أيامها لك نظم في لياليها

العيد والعيد والأيام بينهما ... موصولة لك، لا تفنى وتفنيها

ليهنك النصر والأيام مقبلة ... بالنصر والعز معقود نواصيها

والقصيدة طويلة، وهي مشهورة، فاقتصرنا على ذكرها.

ولأشجع في محمد بن منصور بن زياد يرثيه بقصيدته التي أولها:

أنعى فتى الجود إلى الجود ... ما مثل من أنعى بموجود

أنعى فتى أصبح معروفة ... منتشراً في البيض والسود

أنعى فتى مص الثرى بعده ... بقية الماء من العود

أنعى فتى كان بمعروفه ... يملأ ما بين ذرا البيد

قد ثلم الدهر به ثلمة ... جانبها ليس بمسدود

فأصبحا بعد تساميهما ... قد جمعا في بطن ملحود

الآن تخشى عثرات الندى ... وعدوة البخل على الجود

وأشجع هو القائل في ابن صبيح:

له نظر ما يغمض الأمر دونه ... تكاد ستور الغيب عنه تمزق

ويختار له مرثيته في أخيه:

خليلي لا تستبعدا ما انتظرتما ... فغير بعيد كل ما كان آتيا

ألا تريان الليل يطوي نهاره ... وضوء النهار كيف يطوي اللياليا

---

(١) صبح الأعشى، ١٤١/٤٠٦

هما الفتيان المرديان إذا انقضت ... شبيبة يوم عاد آخر ناشيا

ويمنعني من لذة العيش أنني ... أراه إذا فارقت لهوا برانيا

كأن يمني يزم فارقت أحمدا ... أخي وشقيقي فارقتها شماليا

وأشجع هو الذي يقول:

داء قديم في بني آدم ... صبوة إنسان بإنسان

أخبار العباس بن الأحنف

حدَّثني إبراهيم بن معلى البصري قال: حدَّثني محمد بن عامر الحنفي قال: كان العباس بن الأحنف من بني حنيفة، وكان شاعراً ظريفاً ومفوهاً منطقياً مطبوعاً، وكان يتعاطي الفتوة على ستر وعفة، وله مع ذلك كرمٌ ومحاسن أخلاق وفضل من نفسه، وكان جواداً لا يليق درهماً ولا يحبس ما يملك، ويكنى أبا الفضل. حدَّثنا جابر بن عمرو الباهلي قال: حدثني ابن أبي العلاء قال: كان العباس بن الأحنف منشؤه ببغداد وكان من بني حنيفة، ويدلك على ذلك قوله:

فإن يقتلوني لا يفوتوا بمهجتي ... مصاليت قومي من حنيفة أو عجل

حدَّثني عون بن جعفر عن محمد بن روح قال: وقع بين مسلم بن الوليد صريع الغواني وبين العباس بن الأحنف تهاجٍ في أمر كان بينهما، فقال له مسلم يهجوه:

بنو حنيفة لا يرضى الدعي بهم ... فاترك حنيفة واطلب غيرها نسبا

اذهب إلى عرب ترضى بنسبهم ... إني أرى لك وجهاً يشبه العربا

وحدثني أبو مالك عن الأجلح بن يزيد قال: كان العباس بن الأحنف صاحب غزل، رقيق الشعر، يشبه في عصره بعمر بن أبي ربيعة المخزومي في عصره، ولم يكن يمدح ولا يهجو، إنما كان شعره كله، في الغزل والوصف، وهو الذي يقول:

أشكو الذين أذاقوني مودتهم ... حتى إذا أيقظوني في الهوى رقدوا

لأخرجن من الدنيا وحبهم ... بين الجوانح لم يشعر به أحد

ألقيت بيني وبين الهم معركة ... فليس تنفد حتى ينفد الأبد

ومما يستحسن له قوله:

لو كنت عاتبة لسكن لوعتي ... أملي رضاك، وزرت غير مراقب

لكن مللت فلم تكن لي حيلة ... صد الملول خلاف صد العاتب

ما ضر من قطع الرجاء ببخله ... لو كان عللني بوعد كاذب

وهذا المعنى يشبه قول الشاعر:

أميتني، فهل لك أن تردى ... حياتي من مقالك بالغرور

أرى حبيبك ينمي كل يوم ... وجورك في الهوى عدلا فجوري

ومن بديع ما للعباس وطريفه ما ليس لأحد في معناه شيء يدانيه قوله:

أحرم منكم بما أقول وقد ... نال به العاشقون من عشقوا." (١)

"يا دعبل بن علي أنت في حسن ... كالكلب ينبح من بعد على الأسد

فاكفف لسانك عما قلت في حسن ... فقد رأيت له مثلي من العدد

فكتب إليه دعبل: لا أعود. واتصل الخبر بالحسن فبعث بخمسين ثوباً إلى أبي الأسد.

ومما رويناه واخترناه:

روحي مقيم بين أثوابي ... مستوفز عن جسدي نابِ

نَحُفتُ حتى ما بقي مسلك ... في جسدي مجرى لأوصاب

لم يبق إلا حركات الهوى ... مني وعين ذات تسكاب

من يرني يحسبني لم أمتأرده في شك مرتاب

أي سقام وهوى فادحٍوأي ضر حل أثوابي

لو لمسوني ملء أيديهم ... لم يجدوا غير أسلابي

حدثني أحمد بن مروان الخزري قال: حدثني عبد الوارث بن عمرو من أهل الجزيرة قال: كان أبو الأسد الثعلبي حين ترعرع أخذ في قول الشعر، وكان أصحابنا يقولون: يخرج والله أبو الأسد خروجاً يتحدث به، لأنه كان غواصاً، وما زال كذلك حتى سمي الأخطل الصغير. ثم لم يبق إلا يسيراً حتى لحق بالعسكر، ومدح الملوك، وأجزلوا له. فكان يقدم القدمة ومعه من الورق الكثير، والحملان والطرف ما يعلمه الله، حتى اعتقد ضياعاً بالجزيرة، وكان من أيسر أهلها.

أخبار ابن شادة المعروف بالمخنث

تذاكرنا يوما الطبائع الأربع وتكلمنا فيها، وابن شادة حاضر، فقال: أكثرتم القول في الطبائع، وما حقيقتها عندي إلا أن تأكل وتشرب وتنيك. فقلنا: هذه ثلاث، والطبائع أربع، قال: صدقتم، والغلط كان مني، الطبائع أن تأكل وتشرب وتنيك وتناك. ومما روينا: حدثني عمر بن عبد الرحمن قال: حدثني باذنجانة وهو أحد أولاد الفضل بن ربيع قال:

بالله يا مُنية حتى متى ... يرتفع الحب وينحط

وكيف منجاتي إذا صرت في ... بحر هوى ليس له شطُّ

يا أقدر الناس على علتي ... ما إن أتى الناس بها قط

قد صرت نصواً فوق فرش الهوى ... كأنني من دقتي خط

وهو صاحب بديع رفيق. ومما استملحنا له قوله:

ها أنا ذا يسقطني للبلى ... عن فرشي أنفاس عوادي

لو حسد الساك على دقة ... خلقاً لأمسى بعض حسادي

---

(١) طبقات الشعراء، ١ ص/٧٨

وله أيضاً:

قل للغزال أقمت يا ... سكني على قلبي القيامة

لما رأيتك لا عدم ... تُ رؤاك تخطر في العمامة

كالشمس يزهو نورها ... إما تبدت من غمامه

نظري إليك بما لكم ... في القلب يعطيك ألوَلامه

والجسم فيه شواهد ... بالحب يشهد لي قسامه

وحلفت أنك قاتلي ... والفتك يعقبك الندامه

بجمال وجهك شج لي ... كأس الهوان من الكرامه

فلقد أميل إلى هوا ... ك وقد أغصص بالملامه

ولقد شربت مدامة ... فذكرت ريقك بالمدامه

ولقد يئست من الحيا ... ة كما يئست من السلامه

ولم يكن ابن شادة مخنثاً، إنما كان لا يهجو أحداً ولا يعرض له، فسمي بذلك مخنثاً على التلقيب، وكان آدب الناس.

أخبار المعلى الطائي

حدثني ابن أبي فنن قال: كان المعلى الطائي يصلي في اليوم والليلة ألف ركعة، وكان من أقنع الناس. وقال يوماً: يكفيني في كل سنة خمسون درهماً فضة، فتعجب من ذلك بنوه. وكان لا يغتاب أحداً ولا يتكلم فيه، وكان أعف الناس فرجا وأصدقهم لساناً، وكان من قبل هذه الحال يتعاطى الفتوة والشطارة، ويطلب ويعبث ويفسد ويقطع ويشرب الخمر، ثم تاب وصار بالصفة التي وصفناها. ومما رويناه له قبل التوبة ولكن كان كف عن الفساد الفاحش قوله في مدح المطلب بن عبد الله الخزاعي:

يا شاهر السيف إلى فتنه ... يؤوب مسعاها إلى فوتِ

اخطُبْ إلى مطلبٍ ضربةً ... إن كنت مشتاقاً إلى الموتِ

ترى فتى يروي القنا من دمٍ ... يكسوك منها خلعة الفوت

إذا انتضى أسيافه سخطة ... عجّلن عن سوف وعن ليت

وله أيضاً:

لقد سعدت عيني بوجه كريمةٍ ... وإن كان في غب السرور بها حتفي

فإن مت من شوق إلى عودِ نظرة ... فحسبي من دنياي ما ناله طرفي." (١)

"بأحرزَ موئلا من جارِ أوسٍ ... إذا ما ضيم جيرانُ الضِّعافِ

فقوله: كأطراف الأسافي حسنة الموقع.

(١) طبقات الشعراء، ا ص/١٠١

وكقول الأعشى:

وإذا تكونُ كتيبةٌ ملمومةٌ ... خرساءُ يخشى الذائدون نصالَها

كنت المقدَّم غير لابس جُنَّةٍ ... بالسيف تضرب معلما أبْطالَها

وعلمتَ أن النفس تلقى حتفَها ... ما كان خالقُها المليكُ قضى لها

فقوله: قضى لها عجيبة الموقع.

وكقوله:

ومثلُ الذي تُولونني في بيُوتِكم ... يُروِّي سناناً كالقُدامَى وثَعْلبَا

وما عنده زرقي علمتُ دلالَه ... علي من الريح الجنوب ولا الصبا

وكذلك قوله:

وكأسٍ شربتُ على لذةٍ ... وأخرى تداويت منها بِها

لكي يعلَم الناسُ أنِّي أمرؤٌ ... أتيت **الفُتوةَ** من بابِها

فقوله: منها بها لطيفة حسنة الموقع جداً.

وكقول أبي كبير الهذلي:

ولقد ربأتُ إلى الصحابِ تواكلوا ... حَمْرَ الظهيرةِ في اليفاع الأطولِ

في رأسِ مشرفةِ القذالِ كأنها ... جمرٌ بمسبكةٍ تُشَبُّ لمصطلي

وكقول أبي خراش:

ولم أدْرِ من ألقى عليه رداءَه ... سوى أنه قد سُلَّ عن ماجدٍ محضِ

بلى إنها تعفو الكلُوم وإنما ... تُوكَّلُ بالأدنى وإن جل ما يمضي

فقوله يمضي حسنة جيداً.

وكقول عروة بن أذينة:

وكلُّ هوىً دان عني زمانا ... له من بعد ميعته تجَلي

كأني لم أكن من بعد ألفٍ ... عذلتُ النفسَ قبلُ على هوىً لي

فإن أقصرْ فقد أجريت عصراً ... وبلَّاني الهوى فيمن يُبَلي

فقوله هوى لي لطيفة الموقع.

وكقول ذي الرمة في قصيدته:

أراح فريقُ جيرتِك الجمالا ... كأنهم يريدون احتمالا

فكدت أموت من حزنٍ عليهم ... ولم أرَ نادي الآظعان بالي

فقوله: بالي عجيبة الموقع.

وكقول الفرزدق:

فإن تهجُ آل الزبرقان فإنما ... هجوتَ الطوالَ الشمَّ من هضب يذبلِ

وقد ينبح الكلبُ النجومَ ودونه ... فراسخُ تنضي الطرف للمتأمِّلِ

أرى الليلَ يجلوه النهارُ ولا أرى ... عِظامَ المخازي عن عَطيَّة تنجَلي

فقوله: تنجلي متمكنة في موضعها.

وكقول الحطيئة:

من يفعل الخيرَ لا يعدم جوازيه ... لا يذهبُ العرفُ بين الله والناسِ

دعِ المكارم لا ترحل لبغيتها ... واقعد فإنَّك أنت الطَّاعم الكاسي

فقوله: الكاسي عجيبة الموقع.

وكقوله:

إذا نزلَ الشتاءُ بأرض قوْمٍ ... تجَنّبَ جارَ بيتهِمُ الشتاءُ

هم القوُم الذين إذا ألَمَّت ... من الأيامِ مظلمةٌ أضاءوا

فقوله: أضاءوا حسنة الموقع.

فهذه أمثله قد احتذى عليها المحدثون من الشعراء وسلكوا منهاج من تقدمهم فيها، وأبدعوا في أشياء منها ستعثر بها في أشعارهم كقول أبي عيينة المهلبي:

دنيا دعوتكِ مسمعاً فأجيبي ... وبما اصطفيتك للهوى فأثيبي

دومى أدُمْ لك بالوفاء على الصَّفا ... إنِّي بعهدك واثقٌ فثقي بي

فقوله: فثقي بي لطيفة جداً يستدل بها على حذق قائلها بنسج الشعر.

التخلص

ومن الأبيات التي تخلص بها قائلوها إلى المعاني التي أرادوها من مديح أو هجاء أو افتخار او غير ذلك، ولطفوا في صلة ما بعدها بهافصارت غير منقطعة عنها، ما أبدعه المحدثون من الشعراء دون من تقدمهم، لأن مذهب الأوائل في ذلك واحد، وهو قولهم عند وصف الفيافي وقطعها بسير النوق، وحكاية ما عانوا في أسفارهم: إنا تجشمنا ذلك إلى فلان يعنون الممدوح: كقول الأعشى:

إلى هوذةِ الوَهَّابِ أزجي مطيتي ... أُرجِّي عطاء صالحاً من نوالكا

وكقوله:

أنضيتُها بعدما طال الهبابُ بها ... نؤمُّ هوذَة لا نكساً ولا وَرَعا

يا هوذُ إنك من قومِ أولى حسبٍ ... لا يفشلون إذا ما آنسوا فَزَعا

وكقوله:

فذلك شبهته ناقتي ... وما إن لغيرك إعمالُها

فمنك تؤوب إذا أدبرت ... وقصدكَ يعطفُ إقبالُها

وكقوله:." (١)

"فالغس: اللئيم، والمغمر: الذي لا تجارب له ولا سن.

ع: قوله أيام الردة: هكذا رويت بالكسر، وقال أبو جعفر ابن النحاس سمعت الأخفس يقول: أختار (١) الفتح في ذلك لأن العرب لم يكن ارتدادها إلا مرة، فالفتح أجود.

وقوله: فامتدح هاهنا بالسن: للعرب في ذلك مذهبان: فإذا أرادوا الحزامة وحسن التدبير في الحروب وثبات الأقدام والوطأة إذا اشتدت الخطوب، فإنما يذكرون أهل السن والتجربة، لأنهم أهل الحفائظ والاستبصار وهم أجدر بالحياء من الأغرار (٢) ولذلك قال علي بن أبي طالب ؟ رضي الله عنه ؟ رأي الشيخ خير من مشهد الغلام.

وقال أبو الطيب (٣) :

سأطلب حقي بالقنا ومشايخٍ ... كأنهم من طول ما التثموا مرد وإذا أرادوا شدة المسارعة وحدة المضاربة والإعراض عن ذكر العواقب واطراح ذلك بجابن، ذكروا أهل الشباب والفتوة (٤) ، كما قال عامر بن الطفيل للنبي صلى الله عليه وسلم: والله لأملأنها عليك خيلاً جرداً ورجالاً مرداً. فأما قول قطري (٥) :

ولقد أراني للرماح دريةً ... من عن يميني مرةً وأمامي

حتى خضبت بما تحدر من دمي ... (٦) أكناف سرجي أو عنان لجامي

---

(١) ط: اختاروا.

(٢) س ط: الفرار.

(٣) ديوان المتنبي ٢: ١٠٨.

(٤) س: والقوة.

(٥) راجع أبيات قطري القالي ١: ١٩٠ والسمط: ٨٠٦ والتبريزي ١: ٦٨، وشرح النهج ٢: ٢٦٦، ١: ٣١٣ والخزانة ٤: ٢٥٩ والحصري ٤: ١٦٣.

(٦) أكناف السرج: جوانبه، وعنان اللجام: سيره الذي تمسك به الدابة؛ وفي س: أحناء سرجي.." (٢)

"أما لبيد فقد تحدث كذلك عن ناقته من حيث السرعة، واحتمال الأسفار، وأعضاء جسمها، ولكنه في تصوير سرعتها يقارنها مرة بأتان يطاردها فحل قد اعتاد مطاردة الفحول، فأثر ذلك في جسمه ونشاطه وسرعته، وأخذ يعلو حدب الأكام، وكان الغبار يرتفع في الفضاء من إثر جريهما، كأنه دخان نار ساطعة قد هبت عليها رياح الشمال، واستمرا على ذلك حتى أضناهما التعب، واشتد بهما العطش، ومرة أخرى يقارنها ببقرة وحشية قد أكل السبع ولدها، فذعرت، فأخذت

---

(١) عيار الشعر، ١ ص/٣١

(٢) فصل المقال في شرح كتاب الأمثال، ١ ص/١٥٥

تجري في الفيافي والقفار، وتسمع صوت صياد فتمتلئ رعبا، وتزداد سرعة، ويحس الصائد أنه لا أمل في أن ينالها بسهامه، فيرسل وراءها كلابا مسترخية الآذان، معودة للصيد، فلحقتها الكلاب، فرجعت البقرة عليهن تطعنهن لتطردهن عن نفسها. والشاعر في هذا الوصف قد أفادنا بهذا الاستطراد، بتصوير حمر الوحش، والبقر الوحشية، وكلاب الصيد، وهذه الأوصاف تنبئنا عن أحوال هذه الحيوانات وطبيعتها، كما تدل على دقة الملاحظة، وقوة الإحساس الشعري عند الشاعر الجاهلي.

أما الخيل، فما أكثر الحديث عنها في الشعر الجاهلي، سواء في مجال الصيد، أم في مجال الحرب، وكلاهما يجيء في معرض الفخر **بالفتوة** والبطولة. وقد اشتهر بنعت الخيل من الشعراء طفيل الغنوي وأبو دؤاد الإيادي. والنابغة الجعدي. ومن خير الأمثلة في وصف خيل الصيد

---

٥٥ سامى :بارى في السمو وهو العلو. الكور: الرحل. وواسط الكور: وسطه، وهو العود الذي بين مورك الرحل ومؤخرته، وهو كالقربوس للسرج. عامت: سبحت. بضبعيها: بعضديها. النجاء: السرعة. الخفيدد: ذكر النعام. شبه الناقة به في السرعة. يقول : وإذا أردت أن تسرع، جذبت زمامها، فارتفع رأسها إلى أعلى حتى يوازي وسط الرحل، وانطلقت كالظليم في سرعة فائقة دون أن يحس راكبها أي تعب، وكأنها في عدوها تسبح على سطح الماء.

". (١)

"وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه أصلحوا أموالكم التي رزقكم الله فان اقلالا في رفق خير من اكثار في خرق وقالوا إن في صلاح الأموال سلامة الدين وجمال الوجه وبقاء العز وصون العرض وقالوا أصلح مالك تجده لروعة الزمان وجفوه السلطان ونبوة الاخوان ودفع الأحزان وكتب عتبة بن أبي سفيان إلى وكيله يعاهده صغير مالي يكبر ولا يخف كبيره فيصغر فإنه ليس يشتغلني كثير مالي عن اصلاح قليله ولا يمنعني قليله عن كثير ما ينوبني وقال أحيحة بن الحلاج أصلحوا أموالكم فانكم لا تزالون ذوي مروات ما استغنيتم عن عشيرتكم وقال شبيب بن شيبة لبنيه إن كنتم تحبون المروأة **والفتوة** فأصلحوا أموالكم وقال معاوية اصلاحك ما في يدك أسلم من طلبك ما في أيدي الناس وقال عبد الله بن عباس اطلبوا الغنى باصلاح ما في أيديكم فان الفقر مجمع العيوب وقال البستي

اشفق على الفضة والعين ... تسلم من القلة والدين

فقوة العين بانسانها ... وقوة الانسان بالعين

احتجاج من خمدت يده عن النوال ... خوف التعيير بالفقر وذل السؤال

قال أبو حنيفة لا خير فيمن لا يحفظ ماله ليصون به عرضه ويصل به رحمه ويستغنى به عن لئام الناس وقال الأصمعي لامت أعرابية أباً لها على اتلاف ماله فقال يا أبت حبس المال يمنع العيال من بذل الوجه للسؤال أسرفت في النوال وكثرة النحال امسك فقد أتلفت الطارف والتلاد وبقيت ترقب ما في أيدي العباد يا أبت من لم يحفظ ما ينفعه يوشك أن يقع

---

(١) في تاريخ الأدب الجاهلي، ١ /

بالفقر فيما يضره وقال عبد الله بن المعتز

أعاذل ليس البخل مني سجية ... ولكن وجدت الفقر شر سبيل

لموت الفتى خير من البخل للفتى ... وللبخل خير من سؤال بخيل

وقال سفيان الثوري لان أخلف عشرة آلاف درهم أحاسب عليها أحب إلي من أن أحتاج إلى الناس وكان داود بن علي يقول لابن يترك الرجل ماله بعده لاعدائه خير من الحاجة في حياته لأوليائه وقال يعقوب الكندي من جاد بماله فقد جاد بنفسه لأنه جاد بما لا قوام لها إلا به وقال الشاعر

يا رب جود جر فقر امرئ ... فقام للناس مقام الذليل

فاشدد عرى مالك واستبقه ... فالموت خير من سؤال البخيل

آخر

الموت خير للفتى ... من أن يعيش بغير مال

والموت خير للكريم ... من التضرّع والسؤال

وقال أبو الأسود الدؤلي لو لم نبخل على السؤال بما يسالونا لكنا اسوأ حالاً منهم وقالوا ختم المال حتم وليم مروان بن أبي حفصة على الامساك فأنشد

يقيم الرجال الموسرون بأرضهم ... وترمى النوى بالمقترين المراميا

وما فارقوا أوطانهم عن ملالة ... ولكن حذاراً من شمات الأعاديا

ومن قولهم في أن الفقر والاقلال ... مقرونان بالدحر والاذلال

قال أمير المؤمنين علي كرم الله وجهه الفقر داء لا دواء له من كتمه قتله ومن أذاعه فضحه وقال أيضاً رضي الله عنه مارست كل شيء فغلبته ومارسني الفقر فغلبني إن سترته أهلكني وإن أذعته فضحني وقال لولده محمد بن الحنفية يا بني إني أخاف الفقر فإنه منقصة للدين مذهبة للعقل داعية للمقت وقالوا الفاقة هي الموت الأصغر لا بل هي الموت الأكبر وذكر إن السفاح لما ضرب أعناق بني أمية قام إليه رجل فقال يا أمير المؤمنين هذا والله جهد البلاء فقال مه لا أم لك ما هذا وشرطة حجام الاسواء ولكن جهد البلاء فقر مذقع بعد غنى موسع وقال ابن دأب لقيت رجلاً كنت أعرفه حسن الحال ومن أصحاب الأموال في حالة ردية كأنما أصابته رزية فسلم علي فقلت له ما الذي غير حالك وأذهب مالك فقال تنقل الزمان وكر الحدثان فآثرت الضرب في البلدان والبعد عن الأوطان ومفارقة المعارف والاخوان وعملت بقول الشاعر

سأعمل نصب العيس حتى يكفني ... غنى المال يوماً أو غنى الحدان

فللموت خير من حياة يرى بها ... على الحر ذي الاقلال وسم هوان

متى يتكلم بلغ حكم كلامه ... وإن يقل قالوا عديم بيان." (١)

---

(١) غرر الخصائص الواضحة، ا ص/١٧٠

"بين بهذا الكلام أنه اتقى بما فعل توجه الذم إليه من الناس، فيقول: أخطرت ببالي ما يتعلل به الفتيان في محافلهم ومجالسهم، وتقبيحهم من أخبار الناس ما يستحق بفعله أو بتركه عندهم ذم، فيلحقون به اللوم، ويهجنونه في أحكام الفتوة. ومصدر قوله ذكرت الذكر بضم الذال لأن هذا كان بالقلب، والذكر بكسر الذال باللسان. والمليم: الذي يأتي بما يلام عليه. قوله تعلة مصدر عللته، فهي كالتقدمة والتكرمة. ويجوز أن يكون تسميتهم المعلل، وهو يوم من أيام العجوز، من هذا، كأنه يعلل الناس بشيء من تخفيف البرد.

وقال الشداخ بن يعمر الكناني

قاتلي القوم يا خزاع ولا يد ... خلكم من قتالهم فشل

يروى قالتوا وقاتلي على اللفظ مرة وعلى المعنى أخرى، وجعل النهي في اللفظ للفشل، والمراد لا تفشلوا. وهذا بعث وتحضيض، فيقول: حاربي أعداءك يا خزاعة، ولا يتداخلكم الجبن والضعف منهم. وخزاعة، قال الخليل: هو من خزع عن أصحابه إذا تخلف، لأنهم تخلفوا عن قومهم بمكة أيام سيل العرم.

القوم أمثالكم لهم شعر ... في الرأس لا ينشرون إن قتلوا

يبين بهذا الكلام أنهم ناس كما أن خزاعة ناس، فيقول: لا تهابوهم فإن خلقتهم كخلقتكم، وإنهم إذا قتلوا لم يحيوا من فورهم، فيرجعوا إلى القتال. هذا مبالغة في الاستحثاث والتجسير. وجعل قوله: له شعر في الرأس بما بعده، تفسيرا لماثلة وتبيينا. وجواب إن قتلوا فيما تقدم عليه.

أكلما حاريت خزاعة تح ... دوني كأني لأمهم جمل

قوله كأني لأمهم في موضع الحال، أي تحدوني مشبها جملا لأمهم. وكلما ظرف لقوله تحدوني. وكأنه قال: تحدوني خزاعة كلما حاربت، أي تسوقني لنصرها والدفاع عنها، كأني ناضح لأمهم يستقى عليه الماء، فيقال له أقبل بالدلو وأدبر. وذكر الأم تغليظا للقول وتخشينا. وقوله أكلما ، كأنه أقبل على إنسان بعد أن كان بعثهم وجرأهم على قتال أعدائهم، فقال على طريق الإنكار ما قال.

وقال الحصين بن الحمام المري

تأخرت أستبقي الحياة فلم أجد ... لنفسي حياة مثل أن أتقدما

يجوز أن يكون هذا مثل قولهم: الشجاع موقى . وفي طريقته قول الآخر:

أكان الجبان يرى أنه ... سيقتل قبل انقضاء الأجل

فقد تدرك الحادث الجبان ... ويسلم منها الشجاع البطل

ومثله قول الآخر :

نهين النفوس وهون النفو ... س يوم الكريهة أوقى لها

ويجوز أن يقول: أحجمت مستبقيا لعيشي، فلم أجد لنفسي عيشا كما يكون في الإقدام، وذاك لأن الأحدوثة الجميلة، والنجح عند الناس في المباغي الحميدة، إنما يكون بالتقدم لا بالتأخر، وبالافتخار لا بالانحراف، ومن ذكر بالجميل وتحدث

عنه بالبلاء الحسن حيي ذكره واسمه، وإن ذهب أثره وجسمه. وقوله: حياة مثل أن أتقدم معناه حياة تشبه الحياة المكتسبة في التقدم وبالتقدم.

فلسنا على الأعقاب تدمى كلومنا ... ولكن على أقدامنا تقطر الدما

أراد: لسنا نداميه الكلوم على الأعقاب. ولو لم يجعل الإخبار عن أنفسهم لكان الكلام ليست كلومنا بدامية على الأعقاب. فيقول: نتوجه نحو الأعداء في الحرب ولا نعرض عنهم، فإذا جرحنا كانت الجراحات في مقدمنا لا مؤخرنا، وسالت الدماء على أقدامنا لا على أعقابنا. وقوله تقطر الدما إذا رويت بالتاء كان المعنى تقطر الكلوم الدم، فيكون الدما مفعولا به. ويقال: قطر الدم وقطرته، وهذا وجه حسن، وإن شئت جعلت الدم منصوبا على التمييز، كأنه أراد تقطر دما، وأدخل الألف واللام ولم يعتد بهما، كقول الآخر :

ولا بفزارة الشعر الرقابا

ويجوز أن يروى يقطر الدما بالياء، ويكون الدما في موضع الرفع على أنه فاعل يقطر، لكنه رده إلى أصله فأتى به مقصورا وإن كان الاستعمال يحذف لامه. ومثل هذا البيت قول القطامي:

ليست تجرح فرارا ظهورهم ... وفي النحور كلوم ذات أبلاد

نفلق هاما من أناس أعزة ... علينا وهم كانوا أعق وأظلما

يقول: نشقق هامات من رجال يكرمون علينا لأنهم منا، وهم كانوا أسبق إلى العقوق وأوفر ظلما، لأنهم بدءونا بالشر، وألجؤونا إلى القتال، ونحن منتقمون ومجازون.

وقال رجل من بني عقيل." (١)

"قوله ذو جاء ساعيا ذو بمعنى الذي، وهي لفظة طائية تجيء بهذه الصورة في كل حال ولا تغير. وقوله هلم لهم فيه طريقان: منهم من يجعله اسما للفعل فلا يغيره عن حاله في المؤنث والتثنية والجمع، وهم أهل الحجاز. وفي القرآن: " والقائلين لإخوانهم هلم إلينا " . ومنهم من يجعله هاء التنبيه وقد ركب مع لم وهو فعل ، فيثنيه ويجمعه ويؤنثه. وعلى الطريقتين جميعا يكون ميمه مفتوحة ولا يجريه مجرى رد وزر، فيكسر آخره ويضم وإن كان فعلا، وذلك لأن التركيب قد غيره فسلب بعض أحكامه. ومعنى البيت: أبلغا المرء الذي جاء واليا للصدقات ومستوفيا لها: أقبل وتعال، فإن الذي تعطى بدلا من الفرائض السيف. وهذا في جعله المشرفي هو الفرائض مجازا، كما قال الآخر:

تحية بينهم ضرب وجيع

والفرائض: الأسنان التي تصلح لأن تؤخذ في الصدقات. والمشرفي: السيف نسب إلى المشارف: قرى لهم كانت تطبع السيوف فيها. وقد حكي في المرء الامرؤ وقد بقى ألف الوصل مع دخول الألف واللام، إلا أنه قيل.

وإن لنا حمضا من الموت منقعا ... وإنك مختل فهل أنت حامض

العرب تقول: " الخلة خبز الإبل والحمض فاكهتها " . ومعنى منقعا ثابتا، يقال " أنقع له الشر حتى يسأم " أي أدمه.

---

(١) شرح ديوان الحماسة، ا ١/ ٥٨

والمختل: راعي الخلة، وكانت الإبل إذا بشمت الخلة وسئمته حتى اتخمت منه، نقلوها إلى الحمض لتشتهي الخلة ثانيا. وهذا مثل ضربه لهذا الساعي. يقول: إنك مللت العافية والسلامة، فهلم إلى البلاء والشر من الولاية.

أظنك دون المال ذو جئت تبتغي ... ستلقاك بيض للنفوس قوابض

قوله دون المال تعلق بأظنك، ولا يجوز أن يتعلق بقوله جئت، ولا تبتغي، لأن ذو يطلب من الصلة ما يطلبه الذي وإذا كان كذلك فما في صلته لا يعمل فيما قبله. وقال ذو جئت وكان الأجود أن يقول: ذو جاء يبتغي، لأنه أجري مجرى الذي، فكما جوز أن يقال أنت الذي فعلت كذا، و:

أنا الذي سمتن أمي حيدره

جوز في ذو أيضا، لأن المراد به المخاطب. والمال في الأكثر يطلقونه على الإبل، على هذا قولهم: المال في الرعي. والشاعر قصده في الكلام إلى التهكم والسخرية، وقد خلط به التوعد والاستهانة، لذلك قال أظنك. وقوله ذو جئت في موضع المفعول الثاني وتبتغي في موضع الحال، ومفعوله حذف. والمعنى أحسبك الذي جاء دون المال تبتغي صدقاته، سترى ما أعد لك من سيوف تنتزع الأرواح والمهج. فإن قيل: كيف استجاز تكرير معنى واحد في بيتين على تقارب بينهما، وهلا اكتفى بقوله " هلم فإن المشرفي الفرائض " ؟ قلت: إن قوله أظنك دون المال ذو جئت تبتغي، بما دخله من التهكم والوعيد، وتكشف فيه من الغرض المقصود، صار كأنه أدى غير ما أداه قوله هلم فإن المشرفي الفرائض. ومثله قول عيقمة بن عبدة:

فإن تسألوني بالنساء فإنني ... بصير بأدواء النساء طبيب

إذا شاب رأس المرء أو قل ماله ... فليس له في ودهن نصيب

يردن ثراء المال حيث علمنه ... وشرخ الشباب عندهن عجيب

ألا ترى أنه لم ير المعنى متكررا في البيتين، لما كان أحدهما يشتمل من الاستيفاء والبيان على ما لم يشتمل عليه الآخر.

وقال وضاح بن إسماعيل

صبا قلبي ومال إليك ميلا ... وأرقني خيالك يا أثيلا

يمانية تلم بنا فتبدي ... دقيق محاسن وتكن غيلا

يقال صبا قلبي يصبو صبوا وصبوا. والصبوة: جهل الفتوة. يقول: أسهرني خيالك، وانعدل قلبي عن وجهه وطيته، ذهابا فيك، وميلا إليك. ثم أخذ يصف الخيال فقال: هي تأتيني من ناحية اليمن، فتزور زيارة خفيفة لا لبث معها ولا تمكث فأتمتع بها، وتبدي لي في إلمامها ما دق من محاسنها كالعين والأنف والأسنان والفم، وتستر ما جل منها كالمعصم والساعد والساق والفخذ، فاسهر. كأنه رآها في المنام على ما كان يراها في اليقظة خرادة وحياء. ويقال معصم غيل، وساعد غيل، أي ممتلئ من اللحم غليظ. والمحاسن قيل لا واحد لها، ومثله في ذلك المساوي والمذاكير. وقال الخليل: واحدها محسن، وهي المواضع الحسنة. يقال: امرأة كثيرة المحاسن.

ذريني ما أمن بنات نعش ... من الطيف الذي ينتاب ليلا." (١)

---

(١) شرح ديوان الحماسة، ا ١٩٦/١

"وصفه بأنه مستعمل للحزم وآخذ به، ظاعنا كان أو مقيما. وأشاد بقوله ظاعن إلى غزواته، وأسفاره وغارته؛ وبقوله حل الحزم حيث يحل إلى شدة حذره في إقامته، ودوام اتقائه من الأعداء حتى لا ينساهم ولا يغفل عنهم. وقوله غيث مزن غامر حين يجدي وصفه بأن منافعه عامة للخلق. والمزنة: السحابة البيضاء. والغامر: الشامل جدواه وعطيته. وقوله وإذا يسطو فليث أبل، الأبل: الفاجر المصمم الماضي على وجهه، لا يبالي ما لقي. والمراد أنه في الإحسان بالغ أقصى الغايات، وعند السطوة على الأعداء كالليث الكثير الإفساد، الشديد النكاية. والسطو: البسط على الإنسان تقهره من فوق. ويقال: سطا عليه وسطا به. وقال الخليل: سمي الفرس ساطيا لأنه يسطوا على سائر الخيل، فيقوم على رجليه ويرفع يديه.

مسبل في الحي أحوى رفل ... وإذا يغزو فسمع أزل

وله طعمان: أري وشري ... وكلا الطعمين قد ذاق كل

مفعول مسبل محذوف. وصفه بأنه في الحي – والحال سلامة – يسبل إزاره خيلاء وكبرا، ويتبختر ذاهبا في الترفة إلى أرفع الدرجة، وأنه ذا غزا فهو كالسمع، وهو الولد بين الذئب الضبع، وهو أخبث السباع وأعداها. والزلل: خفة العجز، وذلك خلقته.

وقوله وله طعمان أري وشري يريد به أنه للموالين كالأري – ويراد به العسل وإن كان في الأصل عمل النحل – وللمعادين كالشري، وهو الحنظل. ثم قال: وكلا الطعمين قد ذاق كل، أي كل واحد من الطعمين قد ذاقه كل واحد من قبيلي الأعداء والأولياء. ومفعول ذاق محذوف إذا جعلت كلا مبتدأ، كأنه قال: قد ذاقه كل. والأجود أن تجعل كلا مفعول ذاق ولا تجعله مبتدأ. ومثله: زيدا ضربت ألا ترى أنه يختار على: زيد ضربت. وكلا اسم موحد يؤكد به المثنى، كما أن كلا اسم موحد يؤكد به الجمع. وهو مقصور كمعى، وألفه منقلبة عن واو، وهذا مذهب أصحابنا البصريين، والكوفيين عندهم أنه اسم مثنى.

يركب الهول وحيدا ولا يص ... حبه إلا اليماني الأفل

هذا كقول الآخر:

يظل بموماة ويمسي بغيرها ... جحيشا ويعروري ظهور المهالك

والمعنى: أنه لا يتكثر بالأصحاب إذا هم باقتحام أمر عظيم، وهول شديد، بل يتفرد فيه مستصحبا سيفه الافل، وهو الذي قد كثر فلوله بكثرة الاستعمال. وانتصب وحيدا على الحال. وقوله ولا يصحبه انعطف عليه، وهو صفة للوحيد وتأكيد للوحدة.

وفتو هجروا ثم أسروا ... ليلهم حتى إذا انجاب حلوا

كل ماض قد تردى بماض ... كسنا البرق إذا ما يسل

فتو: جمع فتى، ولام فتى ياء بدلالة قولهم فتيان، لكنه بناه على مصدره وهو الفتوة، وهذا المصدر إنما جاء على هذا عوضا من حمل بنات الواو على الياء كثير، فكأنهم أرادوا أن يحملوا ما هو من الياء على الواو أيضا، وهو شاذ. ومعنى هجروا: ساروا في الهاجرة. ويقال: جبت الظلام واجتبته فانجاب. وجبت المفازة: قطعتها. يريد أنهم وصلوا السير بالسرى، تلما

انكشف الظلام نزلوا. وقد اشتمل هذا الكلام على جواب رب؛ لأن قوله حلوا – وهو جواب إذا إنجاب – صار جوابا لرب أيضا. ويقال: سرى وأسرى بمعنى واحد. وقوله كل ماض قد تردى بماض يريد أن كل واحد من هؤلاء الفتيان نافذ في الأعمال والغزوات، وقد تقلد سيفا نافذا في الضريبات، وإذا انتزع من غمده لمع التماع البرق. ويقال: ارتدى بسيفه وتردى واعتطف به، ويسمى السيف الرداء والعطاف.

فاحتسوا أنفاس نوم فلما ... ثملوا رعتهم فاشمعلوا

قوله رعتهم جواب لما، ومعنى اشمعلوا جدوا في المضي. ويقال رجل مشمعل، أي جاد خفيف. والمعنى أنهم ساروا يومهم وليلتهم، وكل يرجع من نفسه وسلاحه إلى ما يرتضى ويعتد به، ثم نزلوا وهوموا، وناموا نومة خفيفة مثل حسو الطير ماء الثمد، تمشت في يقظتهم بقدر بيبها في عروقهم، ومزاولتها لخفوقهم وسكونهم، فلما صاروا منها كالسكارى أنبهتهم وبعثتهم للارتحال، فخفوا وأطاعوا. ودل بهذا الكلام على أن المرثي كان رئيسهم ومدبرهم، على زيادة غنائه وذكائه، وشهامته ومضائه، وأنه لما بعثهم جدوا وخفوا غير متوقفين في أمره، ولا معتلين على رأيه.

فلئن فلت هذيل شباه ... لبما كان هذيلا يفل." (١)

"قوله لا تخبروا الناس إلا تهكم وسخرية، يشوبه تعيير شديد. أي قد ارتكبتم أمرا عظيما بتسليمكم سيدكم، فاستروا أمركم ولا تنبئوا الناس به. وهذا مخاطبة لقوم خذلوا رئيسهم ولم يثبتوا معه، حتى قتل. فيقول: لو ثبتوا وتابعوا الدافع عن نفسه وعنهم. وقوله إلا أن سيدكم إلا بمعنى غير، فهو منقطع مما قبله. وهذا الاستثناء من المعنى، كأنه قال: سلمتم إلا أن سيدكم أسلمتم.

وقولها أنعى فتى لم تذر الشمس طالعة انتصب طالعة على الحال المؤكد لما قبله. والكوفيون يقولون في مثله: انتصب على القطع. وكما أن الحال يجيء مؤكدا لما قبله تجيء الصفة أيضا مؤكدة لما قبلها. ومثال الحال: رأيته في الحمام عريانا، فعريان حال مؤكدة. ومثال الصفة أن تقول: فعلت كذا أمس الدابر. وذرور الشمس: انتشارها في الجو. والمعنى: أذكر موت فتى لم تطلع الشمس يوما من أيام الدهر عليه إلا وهو ضار لأعدائه ناك فيهم، أو نافع لأوليائه مسد إليهم. وفي هذا ذهب إلى مثل ما قاله عدي:

إذا أنت لم تنفع بودك أهله ... ولم تنك بالبوس عدوك فابعد

وقالت امرأة من بني أسد

خليلي عوجا إنها حاجة لنا ... على قبر أهبان سقته الرواعد

تخاطب صاحبين لها تسألهما التعرج على قبر أهبان زائرين له، ومجدين العهد به. وقوله سقته الرواعد دعاء للقبر بالسقيا. والرواعد: السحاب التي فيها الرعد. وقولها إنا حاجة لنا حشو واعتراض، وقد وقع موقعا حسنا، وفيه استعطاف للمخاطبين واستلطاف فيما تكلفهما. ويقال: ما عند فلان تعويج عليهم، أي تعريج. وعجنا بالمكان أشد العياج والعوج، أي عطفنا.

فثم الفتى كل الفتى كان بينه ... وبين المزجى نفنف متباعد

---

(١) شرح ديوان الحماسة، ا ٢٥٩/١

قولها كل الفتى مفيد للتأكيد، وجامع أسباب الفتوة كلها للموصوف، فكأنها قالت: ثم الفتى التام الفتوة حتى لم يغادر شيئا من علائقها وأسبابها. وقولها كان بينه وبين المزجى، والمزجى: الضعيف، كأنه يزجى الوقت في الاعتداد به بين الفتيان. ويجوز أن يكون سمى الضعيف مزجى لتأخره وحاجتهم إلى تزجيته واستحثاثه فيما يعن. وهذا كما قيل المركب في الضعيف الفروسية. والنفنف: المهواة بين الجبلين، والأرض بين الأرضين. وهذا كما يقال: بين هذا وبين كذا بون بعيد. فتقول: بين هذا الفتى وبين من يزجى في الفتيان مهواة بعيدة، حتى لا التقاء ولا تداني.

إذا انتضل القوم الأحاديث لم يكن ... عييا ولا عبئا على من يقاعد

أصل الانتضال والنضال في الرماء، ثم يستعمل توسعا في المفاخرة وقت المنافرة، ومجاثة الخصوم لدى المناقرة. ألا ترى لبيدا يقول:

فانتضلنا وابن سلمى قاعد ... كعتيق الطير يغضى ويجل

ثم قال:

فرميت القوم رشقا صائبا ... ليس بالعصل ولا بالمفتعل

فيقول: إذا تجاذب القوم أطراف السمر والأخبار، وتنازعوا قصص الفرسان والأيام، ودسوا في أثناء المسارة روائع التبجح والمكاثرة، لم يكن حاجزا فيما بينهم فدما، ولا ضعيف التصرف بكيا، ولا كان ثقيلا على جلسائه، سيئ العشرة لخلطائه، بل كان حسن المجلس معهم، مستحلى المنادمة بينهم، خفيف الوطأة عليهم.

ومن روى: ولا ربا على من يقاعد فإنه يريد: لا متكبرا على جليسه فعل ذي الملكة والسلطان؛ والآخذ على مصطنعه بالاعتلاء والامتناع.

وقال كعب بن زهير

لقد ولى أليته جوى ... معاشر غير مطلول أخوها

كان جوى على ما دل عليه الكلام حلف في وجوه ناكبيه والعازمين على قتله، أنهم لا يستمرئون فعلهم ذلك، وأن عشيرته وأصحابه سيطلبون دمه ويدركون ثأره، فكانوا عند ظنه بهم من غير إهمال ولا تضجيع. فيقول: جعل جوى ولاية يمينه التي أقسم بها إلى معاشر لا يطل دم صاحبهم ولا يهدر، بل لا ينامون ولا ينيمون حتى ينالوا الوتر. وقوله غير مطلول أخوها أي دم أخيها، فحذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه. قال:

دماؤهم ليس لها طالب ... مطلولة مثل دم العذره

وقال:

تلكم هريرة لا تجف دموعها ... أهرير ليس أبوك بالمطلول

أي لا ينسى دمه ولا يبطل ديته. والألية: اليمين، وجمعها ألايا. والفعل منه آليت أولى إيلاء، وائتلى. وفي بعض اللغات يقال الألوة.." (١)

---

(١) شرح ديوان الحماسة، ا ٣٠٣/١

"فإن تهلك جوى فإن حربا ... كظنك كان بعدك موقدوها
خاطب بعد أن أخبر على طريق التسلية، فيقول: إن ذهبت لما دعيت له فإن الذين شبوا نار الحرب بعدك في التقاضي بك كانوا كما ظننتهم، وعند أملك فيهم. فقوله " موقدوها " ارتفع بكان، وكظنك في موضع خبر كان وقد تقدم، والجملة أعني كان موقدوها بعدك كظنك خبر إن، واسم إن وهو حربا نكرة غير موصوفة أيضا، وساغ ذلك لما كان المراد بها مفهوما معلوما. ويجوز أن يجعل قوله "كظنك كان بعدك موقدوها " من صفة حربا، ويجعل خبر إن محذوفا، كأنه قال: إن حربا هذه صفتها وقعت. وبيت الأعشى حجة في الوجهين جميعا. وهو:
إن محلا وإن مرتحلا ... وإن في السفر إذ مضى مهلا
ألا ترى أن معناه إن لنا محلا إن لنا مرتحلا، فحذف الخبر، ومحل ومرتحل نكرتان.
وما ساءت ظنونك يوم تولى ... بأرماح وفى لك مشرعوها
ولو بلغ القتيل فعال قوم ... لسرك من سيوفك منضوها
كأنك كنت تعلم يوم بزت ... ثيابك ما سيلقى سالبوها
قوله وما شاءت ظنونك تشكر للعشيرة وإن كان لفظه إعلام جوى ما كان منهم وثناء عليهم، فيقول: لقد حسن ظنك بأرماح وفى لك مهيئوها ومعلموها يوم حلفك، فلا جرم أنهم صدقوا ظنك بهم، وحققوا اعتقادك فيهم، وجدوا في طلب الأمر وانكمشوا، حتى برت يمينك، وطابت نفوس أودائك والمفجوعين بك. وجعل الباء من قوله بأرماح متعلقا بقوله ظنونك، وإنما الظن كان بأربابها، مجازا واتساعا.
وقوله ولو بلغ القتيل فعال قوم يريد لو أمكن إبلاغ المقتولين ما يفعله الأحياء بعدهم لقمت في ذلك وقعدت، علما بأن ما أتاه قومك إذا تأدى إليك سرك وقوعه وحمدتهم له. ويقال: نضا سيفه وانتضاه، إذا جرده من غمده. وقال من سيوفك وأضافها إليه لما كان أربابها من أسبابه، وما للسبب مثل ما للمسبب.
وقوله كأنك كنت تعلم يوم بزت ثيابك أراد بالثياب السلاح، وهذا كما يقال له البز. قال الهذلي:
فوقر بز ما هنالك ضائع .
يعني به السيف، ومعنى وقر وقع وقرات وهزمات فيه. ويقال بزه كذا وابتزه. وفي المثل: " من عز بز " ، أي من غلب سلب. وقال الدريدي: البز السلاح، يدخل فيه الدرع والمغفر والسيف. وجعل تعلم بمعنى تعرف، لذلك اكتفى بمفعول واحد، كقول الله تعالى: " لا تعلمونهم الله يعلمهم " . وما سيلقى ما بمعنى الذي، وما بعده من صلته، وحذف المفعول من سيلقى استطالة للاسم بصلته، أراد ما سيلقاه، ويعني بذلك ما يصيبهم في مكافأة فعلهم، وعند الانتقام منهم.
وقال آخر:
نعى الناعي الزبير فقلت تنعى ... فتى أهل احجاز أهل نجد
خفيف الحاذ نسال الفيافي ... وعبدا للصحابة غير عبد
يقول: خير الناعي بموت الزبير، فقلت معظما لشأنه، ومفخما للتأثير بمكانه: إنك تذكر موت قريع أهل الحجاز وأهل نحد

ومختارهم، ومن لا تحق الفتوة بالاتفاق إلا له. وقوله خفيف الحاذ وصفه بخفة العجز وقلة اللحم على الفخذ، وذلك مستحب من الفرسان. قال الخليل: الحاذان: أدبار الفخذين، والآحاذ الجميع. وقيل هو الظهر. والحاذ في غير هذا المكان: الحال والمؤونة. وقوله نسال الفيافي أراد نسال في القيافي، فأجراه مجرى قطاع الفيافي. والنسان: مشية الذئب إذا أعنق وأسرع. ويقال: نسل الماشي، إذا أسرع. وفي القرآن: " فإذا هم من الأجداث إلى ربهم ينسلون " أي يسرعون.

وقوله عبدا للصحابة غير عبد يصفه بكرم الصحاب، وحسن التوفر على الرفاق. والصحابة مصدر في الأصل، يقال أحسن الله صحابتك، ثم استعمل صفة، وقوى في الوصفية حتى جرى مجرى الأسماء، وتفرد عن الموصوف به. وكذلك قولهم صاحب اسم الفاعل من صحب، تفرده بنفسه، قوى حتى كأنه ليس بمشتق من صحب، لا يكاد يقال هو صاحب زيدا كما يقال هو ضارب زيدا. ومعنى غير عبد نفي لذل العبودية، لأن قوله عبدا للصحابة أراد كرم الخلق وسهولة الجانب، وتحمل الأعباء عن رفقائه. وقد ألم في هذا بقول الآخر:

طباخ ساعات الكرى زاد الكسل

وقال رقيبة الجرمي، من طيئ

أقول وفي الأكفان أبيض ماجد ... كغصن الأراك وجهه حين وسما

أحقا عباد الله أن لست رائيا ... رفاعة طول الدهر إلا توهما." (١)

"مفعول أقول هي جملة البيت الذي يليه، والواو من قوله: وفي الأكفان أبيض ماجد واو الحال، وكغصن الأراك في موضع الصفة لأبيض. شبه امتداد قامته به. و " وجهه " على هذا يكون مبتدأ وخبره حين وسما، والجملة في موضع الصفة لما قبله. وظروف الأزمنة لا تتضمن الأشخاص والجثث، لا تقول زيد اليوم، ولكن هذا مثل قولهم: الهلال اللليلة، فكما جاز هذا لأن المراد طلوع الهلال الليلة، كذلك قوله وجهه حين وسما لأن المعنى: بقول وجهه حين وسم. ومعنى وسم: خرج قليلا، وحقيقته أنه بمعنى توسم، كما أن وجه بمعنى توجه، ونبه بمعنى تنبه، وقدم بمعنى تقدم. ويقال لون الغلام، وطر، ووسم، وبقل بالتخفيف، في معنى واحد. وأجاز أبو حاتم بقل بالتشديد ورواه الأصمعي ولم يجزه غيره. والمعنى: أقول متلهفا وقد كفن بمرأى مني ثم شاب مجتمع كريم شريف حسن الطأة، كأنه غصن من الأراك ووجهه قد وسم حديثا. والمعنى: اعتبط ولم يمتع بشباه، ولا أمهل لاستكماله واكتتهاله. فأقول: حقا عباد الله ما أرى.

وقد ألم في هذا المعنى بقول النابغة:

يقولون حصن ثم تأبى نفوسهم

كأنه يكذب المشاهدة كما كذب النابغة الإخبار. وكل ذلك لاستفظاع الحال، واستعظام الأمر والخطب. فأما قوله أحقا انتصب عند سيبويه على الظرف، كأنه أفي الحق ذلك. فإن قيل: كيف جاز أن يكون ظرفا؟ قلت لما رآهم يقولون: أفي حق كذا، أو أفي الحق كذا، جعله إذا نصبوه على تلك الطريقة، قال:

أفي حق مواساتي أخاكم ... بمالي ثم يظلمني السريس

---

(١) شرح ديوان الحماسة، ا ٣٠٤/١

وقال:

أفي الحق أني مغرم بك هائم ... وأنك لا خل هواك ولا خمر

وقوله أن لست رائيا أن مخففة من الثقيلة. والمعنى أفي الحق لست رائيا هذا الفتى إلا متوهما أبد الدهر. وقوله توهما مصدر في موضع الحال.

وفائدة قوله عباد الله أنه رجع فيما كان لا يؤمن به ولا يسكن إليه شناعة وقباحة، إلى الناس كافة يستثبتهم و يستفتيهم.

فأقسم ما جشمته من مهمة ... تؤود كرام القوم إلا تجشما

ولا قلت مهلا وهو غضبان قد غلا ... من الغيظ وسط القوم إلا تبسما

يصف رضاه وحسن طاعته له، وقوة نهضته بكل ما يحمله من الأثقال المتعبة، والآراب المثقلة، ودوام صبره على جميع ما يكلفه من المهمات الشاقة على كرام الناس الباهظة، إلى ما كان يوجب له ويعظم قدر كلامه، فقال: ولم أقل له رفقا إذا احتمى غيظا إلا سكن وحسنت فيئته، وكرمت عطفته، حتى بدا لي مضحكه، وتهللت في لقياي غرته. هذا ومجلسه مشهود، والأقوام حوله قعود، فلا يتداخله نخوة، ولا تأخذه بالإباء والتشدد عزة. وهذا كله تنبيه على تعالى لوعته، وتغالي حرقته وفجعته.

وقال آخر:

ألا لا فتى بعد ابن ناشرة الفتى ... ولا عرف إلا قد تولى فأدبرا

فتى حنظلي ما تزال ركابه ... تجود بمعروف وتنكر منكرا

لحى الله قوما أسلموك وجردوا ... عناجيج أعطتها يمينك ضمرا

حذف الخبر من قوله لا فتى ولا عرف جميعا، كأنه قال: لا فتى في الدنيا بعد ذهابه، ولا عرف موجود بعد تولي عرفه. وفي وصفه المرثي بالفتى كأنه جمع له الفضائل كلها، كما أن نفيه العرف كأنه نفى به المحامد كلها؛ لأن مهن شرط الفتوة أن يدخل تحتها خصال الخير، كما أن العرف والمعروف يدخل تحته كل ما عرف في الإحسان والصلاح. ولك أن تنون لا فتى وإن كان الأول أشرف في المعنى وأبلغ، فيكون في موضع الرفع بالابتداء، وكذلك لا عرف ترفعه وتنونه، لأنك تلقى حركة الهمزة من إلا وهي كسرة على التنوين. والفصل بين الرفع والنصب أن النصب يفيد الاستغراق، كأنه نفي قليل الجنس وكثيره، إذا كان جواب هل من فتى، ومن عرف؟ والرفع لا يكون فيه الاستغراق، لكونه جواب هل فتى وهل عرف، فلا يمتنع أن يكون السؤال عن واحد من الجنس ويكون الجواب على حده. وقوله ما تزال ركابه من صفة فتى، وتجود بمعروف خبر ما تزال.

وارتفع فتى حنظلي على أنه خبر مبتدأ محذوف، ولو نصبه على المدح والاختصاص لجاز، وقصده إلى أنه أمار بالمعروف، ونهاء عن المنكر، ولا يرضى بذلك فيما يليه من البلاد، بل ترى الركبان تطوف به، فيأتيهما في الأباعد مثل ما يأتيهما في الأقارب. وقوله ركابه أراد أصحاب ركابه يعني رسله.." (١)

---

(١) شرح ديوان الحماسة، ١/٣٠٥

"وقوله(ألا هلك المكسر) كرره لتفظيع الأمر. ومعنى(استراحت حوافي الخيل) وصفه بأنه يبعد الغزو فلا يبقى على الخيل وان حفيت، فلما مضى نالت الراحة و تودعت. وقال (حوافي الخيل) على أن يصفها بما كان آل أمرها اليه بعد الغزو. و كذلك قوله (الحي الحري) هو المنفرد و المتباعد عن غيره. كأنه لايسلم عليه وان حذر و تباعد. ويقال: كوكب حريد، اذا طلع في أفق السماء متنحيا عن الكواكب. و رجل حريد المحل، اذا لم يخالط الناس ولم ينزل معهم. وقال:

أما بكل كوكب حريد

وقال آخر:

حريد المحل غويا غيورا

وقال ابن أهبان الفقعسي

يرثي أخاه:

على مثل همام تشق جيوبها ... وتعلن بالنوح النساء الفواقد

فتى الحي أن تلقاه في الحي أة يرى ... سوى الحي أو ضم الرجال المشاهد

يقول: عظم الرزءبموت همام فلا مخبأ للجزع ولا مصطبر، ولا اسرارللالتياع ولامدخر. وأنى يكون للسامع به معدل الى التجمل و التجلد، وقد فقد به من يستباح في ندبته كل محظور، و يستجاز في الرثاء له كل مذكور، فلا منع من شق الجيوب، وصدع الأكباد و القلوب، واعلان النياحة، وامتداد المآتم في الاعوال الى كل غاية. وقوله(على مثل همام) يذكر المثل و المقصود نفسه لاغير صيانة له ونزاهة. على ذلك قول القائل: مثلك لايحسن به كذا معناه: أنت لايحسن به ذلك؛ ولكن الغرض ما ذكرته، وقوله(بالنوح) يراد به مصدر ناح. وقد يراد به في غير هذا المكان النساء النائحات.

وقوله (فتى الحي أن تلقاه) جعل له **الفتوة** و الرياسة مسلمة له في كل حال، وعلى كل وجه. ألا ترى أنه قال: هو الفتى بين رجال الحي وعند لقائك اياه فيهم. فمعنى أن تلقاه، هو الفتى لأن تلقاه في الحي، ووقت تلقاه في الحي. وقوله (أو يرى سوى الحي) أيفي مكان آخر وفي قوم آخرين.بدلا من الحي. لأنك اذا قلت: عندي رجل سوى زيد، معناه: عندي رجل مكان زيد، وبدلا من زيد.

وقوله (أو ضم الرجال المشاهد) معناه وهو الفتى اذا حصلت وفود القبائل وألسنتهم ورؤساؤهم في مجامع الملوك الأعاظم، ومشاهد السادة الأكابر.وقوله (أو ضم) محمول على المعنى. يريد: وهو الفتى لأن ضم الرجال. و القسمة بما رتبه قد استوفت الأحوال كلها.

اذا نازع القوم الأحاديث لم يكن ... عييا و عبئا على من يقاعد

طويل بحاد السيف يصبح بطنه ... خميصا وجاديه على الزاد حامد

وصفه بالبراعة وتمام الآلة، و أنه سهل الخلق، سهل الجانب، يباسط منازعه في الأحاديث ويطاوله، لاعى يقصر حديثه، ولا كبر ينفر قعيده، فهو طيب المجلس، خفيف الملتزم، واذا تاملت خلقته كان حسن القوام، تام الجسم، طويل حمائل السيف. هذا في الحي ما أقام، و في السفر تراه يؤثر غيره بالزاد، فبطنه خميص، و مجتديه و المعول عليه حامد له شكور.

وأبلغ من قوله (طويل نجاد السيف) قول مسلم:

يطول مع الرمح الرديني قامة ... ويقصر عنه طول كل مجاد

وقال ابن عمار الأسدي يرثي ابنه

ظللت بجسر سابور مقيما ... يؤرقني أنينك يا معين

وناموا عنك واستيقظت حتى ... دعاك الموت وانقطع الأنين

أصل الظلول العكث في النهار، ولكنه يتوسع فيه فيجعل للأوقات كلها. على ذلك قوله تعالى:(و اذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسودا) و ذلك لايختص بالنهاردون الليل. وهذا الكلام اقتصاص حاله معه في تمريضه، و توليه منه ما تفرد به، وفيه التشكي مما قاساه و تجرع الغصص عنه، فيقول: بقيت مقيما بذلك المكان يسهرني تألمك و أنينك، ونام كل من صحبته فاستيقظت أنا متجردا فيك، و متحملا ما أمكن تحمله عنك، الى أن أجبت داعيك، و اطلقت من أسر الانتظار ناعيك، فانقطع الأنين، وجد مني لفقدك العويل.

وقال أبو وهب العبسي يرثي ابنه

أرابع مهلا بعض هذا و أجملى ... ففي اليأس ناه و العزاء جميل

فان الذي تبكين قد حال دونه ... تراب وزواء المقام دحول

سلك فيما مسلك أوس بن حجر، حين قال:

أيتها النفس أجملى جزعا ... ان الذي تحذرين قد وقعا." (١)

"يقول: لو صمم الناس بالسؤال عنهم فقيل أيهم خير أصلا وسلفا وأيهم أصبر يوما ومشهدا ترى كواكبه ظهرا، لكان يجيء في جواب هذا السؤال: بنو لأم بن عمرو؛ ولأن لهم منصبا علا شرفا باذخا، وعزا شامخا لا تدرك مراقبه، ولا تنال مطالعه. والغرض من الجملة تفضيلهم على جميع الخلق. والأرومة: الأصل الثابت الراسي. وانتصب قبيلة على التمييز، وكذلك يوما. ويعني بذكر اليوم الوقعات والحروب. وعلى ذلك قولهم: يوم جبلة، ويوم الكلاب وما أشبههما. وقوله لا تواري كواكبه إن شئت فتحت فرويت: لا تواري كواكبه، والمعنى لا تتوارى كواكبه، فحذف إحدى التاءين تخفيفا. ومعنى لا تواري بضم التاء لا تستر، والأصل في هذا، وهو يجري مجرى الأمثال، يوم حليمة، وذلك أنه سدت عين الشمس في ذلك الغبار الثائر في الجو فرئيت الكواكب ظهرا، فقيل: ما يوم حليمة بسر، وصار الأمر إلى أن قيل في التوعد: لارينك الكواكب ظهرا. وأصل الصبر حبس النفس على الشر، لذلك قيل: قتل فلان صبرا. وقوله سمت فوق صعب، يريد: فوق جبل صعب يشق الارتقاء إليه. والمراقب هي المحارس، واحدتها مرقبة، وكل ذلك أمثال. وقوله أضاءت لهم أحسابهم ووجوههم، يريد طهارة أنفسهم، وزكاء أصولهم وفروعهم، فهم بيض الوجوه نيرو الأحساب، فدجى ليلهم تنكشف من نور أحسامهم، حتى أن ثاقبه يسهل نظم الجزع فيه لناظمه، وهذا مثل أيضا. ولهاء من ثاقبه يعود إلى ما دل عليه قوله أضاءت لهم أحسابهم، والثقوب: الإضاءة، ويقال: نار ثاقبة، وكوكب ثاقب، وحسب ثاقب، وقد ثقب أي اشتد ضوءه وتلألؤه.

---

(١) شرح ديوان الحماسة، ا ٣٢٨/١

وكعنى نظم حمل على النظم وأقدر، فهو بمعنى انظم. ومثله كرم وأكرم. والضمير من ثاقبه يدل على ظاهره صدر البيت، فهو مثل قولهم: من كذب كان شرا له، ومن صدق كان خيرا له، يريد كان الكذب وكان الصدق، فكذلك هذا، كأنه قال: حتى نظم ثاقب حسبهم الجزع لناظمه.

وقال آخر:

يأيها المتمني أن يكون فتى ... مثل ابن زيد لقد خلى لك السبلا

أعدد نظائر أخلاق عددن له ... هل سب من أحد أو سب أو بخى

يقول: يا من يود ويشتهي أن يكون فتوته مثل فتوة عروة بن ويد الخيل، لقد خلى لك الطرق في اكتساب مناقب الفتوة وادخار أسبابها وموجباتها، فاسع واطلب، لأن مباغيك إن قدرت معرضة لك، وغير ممتنعة عليك، وسبلها غير منسدة ولا محجوبة عن ذهابك واختراقك، ثم قال: هات خصالك واعدد نظائر أخلاقه المعدودة له، وانظر هل أنت في اشتمال الكرم والتحاف العز بحيث لا تسب أحدا تعليا وارتفاع منزلة، وفي نقاء الجيب وطهارة الأصل والفرع بحيث لا يسبك أحد توقيا وتعففا، وهل تقف موقفا تبعد فيه وتتنزه عن أن يقال: ما بخل بما في يده، ولا منع أحدا على رجائه به، فإنه حينئذ يبين لك تفاوت ما بينك وبينه.

وقال آخر:

لم أر معشرا كبني صريم ... تلفهم التهائم والنجود

أجل جلالة وأعز فقدا ... وأقضى للحقوق وهم قعود

وأكثر ناشئا مخراق حرب ... يعين على السيادة أو يسود

قوله تلفهم التهائم أي تجمعهم، وانتصب جلالة على التمييز، وكذلك قوله فقدا، ولا يجوز أن يكون مصدرا، أعني قوله جلالة، لأن أفعل هذا لا يؤكد بالمصدر، فهو من باب شعر وموت مائت، لأن أصله مأخوذ من جلال جليل. وانتصب أجل بفعل مضمر، كأنه قال: لم أر أجل جلالة منهم، لكنه اختصر وحذف. وقوله تلفهم التهائم موضعه نصب لأنه صفة لقوله معشرا، والتقدير: لم أر معشرا تلفهم الأغوار والأنجاد كبني صريم، وام أر أجل جلالة منهم أيضا. وتهامة من الغور، بل هو أعمقها. ثم بين ما فضلهم فيه بعد أن أبهم، وفصل ما أجمل، فقال: هم أتمهم رياسة وأفخمهم فخامة، وأشدهم على الناس فقدا، وأحسنهم في قضاء الحقوق الواجبة عليهم أداء، هذا وهم قعود. وإنما قال ذلك لأن الرئيس ينفذ أمره في مطالبة وإن لم يبرح مكانه. وأعز فقدا، يريد شدة حاجة الناس إلى حياتهم، لوفور فضائلهم وإفضالهم.." (١)

"يقول: ليس المختار من الفتيان والكامل الفتوة فيهم من إذا أصبح كان معظم همه ما يشربه صباحا، وإذا امسى كان معظم همه ما يشربه مساء. والصبوح: ما يصطبح به، اسما له. والغبوق: ما يغتبق به. يريد أن الفتوة ليس في إعداد الأطعمة والأشربة، وإعطاء النفس مناها منهما، لكن الفتوة هو السعي غدوا ورواحا في جر ضرر على منابذ مداج، أو جلب نفع إلى ناصح مواخ.

---

(١) شرح ديوان الحماسة، ا ٤٨٩/١

وقال حزاز بن عمرو، من بني عبد مناف

لنا إبل لن تهن ربها ... كرامتها والفتى ذاهب

هجان تكافأ فيها الصديق ... ويدرك فيها المنى الراغب

ونطعن عنها نحور العدى ... ويشرب منا بها الشارب

قوله لنا إبل لم تهن ربها كرامتها، يريد: أنا نوثر إكراما للنفوس وصيانتها على إكرام المال وصيانته، لأن الأموال إذا لم تجعل واقية للنفس جلبت العار وكسبت الشنار، فنحن نهينها ونبتذلها صونا للنفس، ولئلا يكون المال كالمالك لنا، إذ كان عمر الفتى عارية مستردة، فهو هالك وإن أمهل مدة، وما يقدمه يذكر به، فصيانة مروءتنا من أن ترث أو تهون، أجدى وأوجب من صيانة المال وتثميرها والضن بها. وقد اعترض بقوله والفتى ذاهببين الصفة والموصوف، لأن قوله هجان من صفة الإبل، كما ان لم تهن ربها من صفتها أيضا. ولولا تأكد الجملة به لكان يقبح مافعل، لكون الاعتراض أجنبيا مما قبله وبعده. والهجان يقع على الواحد والجميع، وذلك أن فعالا كما يكون جمعا لفعيل، نحو ظريف وظراف، وكريم وكرام، وكبير وكبار، كسروا عليه فعالا أيضا، فقالوا: درع دلاص وأدرع دلاص، وبعير هجان وإبل هجان، لأن فعيلا متواخيان في أنهما من الثلاثي، وفي موقع الزائد منهما، وفي عدد حروفهما، فيتشاركان في أحكامهما، وإذا كان كذلك فهجان وهو للواحد، كضناك وكناز ومامأشبههما، وهجان وهو للجميع، كظراف وكبار. وقال: سيبويه: يدلك على أن هجانا ليس كالمصادر التي وصف بها نحو ضيف وجنب وزور ومامأشبهها، أنك تقول هجانان فتنتيه، وإذا كان مرصدا للتثنية فهو للجمع كذلك. ومعنى تكافأ فيها الصديق تماثل، من الكفء المثل في المال والحسب وغيرهما. والمراد بالصديق الجنس، يريد يتساؤون فيها، لا استئثار منا بشيء منها دونهم ولا تفرد، بل كل منا ومن الأصدقاء يتصرف فيه على مراده نافذا أمره، وبالغا حكمه. وقوله ويدرك فيها المنى الراغب، أراد الراغبين، أي إن العفاة وطلاب الخير إذا نزلوا بساحتنا نالوا أمانيهم منها كاملة لا يتخللها خرم، ولا يتسلط عليها ثلم.

وقوله ونطعن عنها نحور العدى، لما عدد الوجوه التي ذكر أنهم يصرفون أموالهم غليها، ويقتسمونها فيما ذكر في أثنائها أنهم يدافعون عنها الأعداء فعليها حافظ من محافظتهم، ودونها دافع من مدافعتهم، لا يطمع الأعداء في الإغارة عليها، ولا في احتجان شيء منها، بل يمتلكها وجهان: مثوبة أو صنيعة وقوله ويشرب منا بها الشارب، أراد أنهم يسبؤون بها الخمر ويجعلونها في أثمانها. فهو في هذا وفيما سلكه كقول الآخر:

نحابي بها أكفاءنا ونهيها ... ونشرب في أثمانها ونقامر

ونؤلفها في السنين الكلول ... إذا لم يجد مكسبا كاسب

ولم تك يوما إذا روحت ... على الحي يلفى لها جادب

حبانا بها جدنا والإله ... وضرب لنا خذم صائب

قوله: ونؤلفها في السنين الكلول يعني بالسنين العوام التي تقل الأمطار فيها وتشمل الناس الآفات لها. يقال: أصابتهم السنة. وقد أسنت الرجل، إذا أصابه القحط والجدب. وأراد بالكلول من كان كلا على صاحبه وعيالا لمعيله، لا يحسن التوجيه لكسب، ولا يهتدي لارتزاء خير وترقيح عيش، كالأيتام والأرامل وذوي العاهة. وقوله إذا لم يجد مكسبا كاسب

بدل من قوله في السنين. أي إذا اشتد الزمان وتضايقت الخطوب بما يعم من القحط، وأعوز الكاسبين كسبهم فلزموا مقارهم آيسين من إقبال الزمان وأهله، جعلنا إبلنا يألفها كلول الناس فينالون منها، ويعيشون فيما يعود عليهم من أبانها ومنافعها.." (١)

"السربُ: القطيع من الظباء والشاء والبقر. وعنى (بالسرب) هنا النساء، تشبيهاً لهُن بالظباء. والمحاسنُ: واحدها حُسن على غير قياس. وذواتها: صواحبُها. أي هَواىَ سِربٌ حُرمتُ ذوات محاسنه، وذوات المحاسن هن ذلك السرب. فكأنه قال: حُرمته، بأن حيل بيني وبينه. وقد يجوز أن يكون سرب مبتدأ، ومحاسنه مبتدأ آخر، أو بدلا من سرب. وحُرمت ذواتها: خبر عن المحاسن، والمبتدأ الثاني وخبره؛ خبر عن سرب. فلا يحتج على هذا القول إلى إضمار (هَواى). وأن يكون سربٌ خبر مبتدأ مضمر: أولى كما قدمنا، لقبح الابتداء بالنكرة. ثم قال: (داني الصفاتِ بعيدُ موصوفاتها): إنما دنت صفاته عليه، لأنه يقدر على وصفهن بما أوتيه من السن، والمنطق الحسن. وبعدت موصوفات السرب، لانهن مقصورات محجوبات، أو ممنعات، والضمير في (موصوفاتها): راجعٌ إلى السرب وإن كان مذكراً. لكن جاز ذلك، لأنه في معنى الجماعة. ولا يجوز أن يكون راجعاً إلى الصفات، لأنه نوع من إضافة الشيء إلى نفسه.

(وكأنَّها شَجَرٌ بَدا لكنَّها ... شَجرٌ جَنَيْتُ المُرَّ من ثَمَرَاتها)

أي كأن العيس شجرٌ من عُلُوهن. والعرب تشبه الحمول كثيراً بالنخل، وذلك لما يضعون على الهوادج من الرقم والعُهون الملونة، فيشبهون ذلك بالزهور والبسر الملون. ولم يشبه المتنبي الهوادج وما عليها بذكر النخل، وإنما عنى عُلُو الإبل، فشبهها بالشجر عامة، ثم قال: (لكنها شجر جَنَيتُ المرُ من ثمراتها)، يعني بذلك: إبعاد الإبل حَبَائَبه عنه، وقد بين ذلك بقوله:

(لا سرتِ من إبلٍ لَوَ انِيّ فَوقَها ... لَمَحَتْ حَرارةُ مَدْمَعيَّ سِماَتِها)

دَعَا عليهن ألا يَسْرِن، إشفاقاً من بعد حبائبه عنه إذا سارت

(وَترى المُروة والفُتَّوة والابُوّ ... ةَ في كلُّ مليحة ضَرَّاتِها)." (٢)

"يعني أن الملائح يعشقنه، وهو يوثر عليهن المروة والأبوة والفتوة، وذلك أن هذه الثلاثة يَنْهَيْنَه عن عشق النساء ويأمُرن بُجبهن أنفسهن. فعلم الملائح أن هذه الخصال الثلاث يضرُرن بهن عنده، كما تضر المرأة عند يعلها ضراتُها، إذ لولاهن لواصلهن.

(وَمَقانِبٍ بمقانِب غَادَرْتُها ... أقوات وحشٍ كُن من أقواتها)

(١) شرح ديوان الحماسة، ١ /١٢/٢

(٢) شرح المشكل في شعر المتنبي، ١ ص/٦٥

المِقنبُ: القطعة من الخيل. أي صرفتُ مفنب غيري بمقنبي. فهذا معنى قوله: (وَمَقانب بمقانب غادرتها) وقوله: (أقوات وَحشٍ كُن من أقواتها) أي صَرَعتُ هذه لمقانب، فتركتها أقواتا للوحوش، التي كانت من أقوى هذه لمقانب، فعاد الأمر بالعكس، وجعل الوحش الآكله لهم مما كانوا يقتاتون به، لأن العرب تأكلُ الذئب، والضُبع والهلياع والفهد ونحو ذلك من آكلة الإنسان. وقد شبه بعضهم هذا البيت بقول البحتري:

كلانا بها ذِئبٌ يحدِّث نفسه ... بصاحبه والجِدُّ يتبعُه الجدّ

وليس مثله، لأن البحتري لم يأملُ أكل الذئب كما أمل الذئب أكله وإنما قال:كلانا قاتل لصاحبه، الذئب يري أكلى، وأنا أريد قتله.

(أقْبَلْتها غُرر الجِياد كَأنَّما ... أيْدِىَ بني عمران في جَبَهاتِهاَ)

الكريم يوصف ببياض اليد، وهي الخيل التي أقبلتها هذه الوجوه. هُن غُرّ، فكان غُروها أيدي هؤلاء موضوعة في جبهاتها. يعني أقبلتها خيلاً سابقة، يُقبلون جباهها كما تقبل أيدي بني عمران. فهذا معنى التشبيه.

(تكْبوُ وَرَاءكَ يا ابْنَ أحمد قُرَّحٌ ... لَيْسَتْ قَوائِمهُنَّ من آلاتها)

القُرح هنا: كناية عن الرجال الكهول المُذكين. وأصله في الخيل، واحدها قارح، وهو الذي أتى عليه خمسُ سنين من نتاجه. فشبه الممدوح بفرسٍ جواد، وشبه مبارزيه بخيل قُرح، كقوله:

فدى لأبى المِسْكِ الكرامُ فإنها ... سوابقُ خيلٍ يَهتَدينَ بأدْهَمِ." (١)

"بفتاها): اي بفارسها. ذهب في لفظ الفتى إلى الرفع من شأن الفارس؛ كقولهم: (أنت الفتى كلُّ الفتى) لا يُذهب به إلى فتاء السن: لكنه كقولك: انت الرجلُ. تمدحه بالصبر والثبات والنجدة، لا تعني به الرجولة التي هي الذكورية (والضربُ يأخذُ منكم فوق ما يدعُ). ذهب قوم إلى انه عنى أن القتلى أكثر من الناجين. وهو لعمري قويلٌ والذي عندي انه لم يعين بذلك الكمَّ؛ وانام؛ وانما عنى أن الضرب يأخذ النفوس، ويدع الأبدان؛ والنفس فوق الجسم في لطف الجوهر، وشرف العنصر. فهذا معنى قوله: ما يَدع. لا الكميه التي ذهب اليها أولاً.

وله ايضا:

---

(١) شرح المشكل في شعر المتنبي، ا ص/٦٦

(يردُّ يداً عن ثوبها وهو قاردٌ ... ويعصي الهوى في طيفها وهو راقدُ)

(يرد يدا عن ثوبها): كناية عن العفاف. والثوب هنا: يجوز أن يعني اللباس؛ وان يعني بعض طوائف جسمها؛ كقول الآخر:

خرَّقوا جيبَ فتاتهمْ ... لم يُبلوا حُرمة الرجلهْ

قيل: يعني بالجيب القُبل. وقوله (وهو قادر): اي متمكن بها، لا يتقي رقيباً لانه ذلك في النوم وأثبت لنفسه قدرة في نومه لانه قد تتهيأ للنائم أفعال اليقِظ وإن كانت غير مقصودة، وقد قيل: إن قوله (يريد يدا عن ثوبها وهو قادر): أن هذا إنما هو في اليقظة. وانما اراد وهو يقظان فلم يتزن له، فكنى بالقدرة عن اليقظة لأن اليقظان أملك لذاته من النائم مع أن قادراً مقلوب لفظ راقد. فأناب المقلوب في المقابلة مناب الضد الذي هو يقظان. (ويعصي الهوى وهو راقد): اي انه يملك نفسه عن شهوته في حال النوم. وتلك حال لا يغلب فيه عقلُ شهوةً، لأن التحصيل حينئذ عازب؛ فهو يقرُب بتمالكه عن محبوبه في الحال الرُّقاد.
وجملة معنى البيت: انه اعتاد العفاف في يقظته؛ كقوله هو:

وترى المروة **والفتوةَ** والأبوَّ ... ةَ في كُل مليحةِ ضراتها." [(١)]

"يعزى عن الدنيا ويقول إن تمام هذه الفضائل فيها إنما هو بتيقُّن الفناء. اي لولا خوف الموت، شجع كل الناس وجادوا وصبروا فلم يك أحد مخصوصاً بهذه الفضائل دون صاحبه ولو كان كذلك لم يك لهذه الفضائل فضل لأن الأشياء إنما تَتَبَيَّنَّ بأضدادها. فلو عُدم الضد خفى ضده. وإن شئت قلت: لو أمن الموتُ لما كان للشجاع فضل، لانه قد أمن الموت. وكذلك السخيُّ والصبور لأن اعتقاد الخلود، وتنقل العُسر والشدة إلى الرخاء مما يُسكن النفوس ويسهل البوس. هذا قول أبي الفتح، وهو حسن. وقوله: (لولا لقاء شعُوب) اراد لولا تيقن لقائها. و (الفتى) هنا لا يعني به فتاء السن إنما يراد به المدح. كقولك: أنت الرجلُ اي الجلد الصابر وكقول الهذلي:

فتى ما ابنُ الأغر إذا شَتَوْنا ... وُحبَّ الزاد في شَهرْى قُماحِ

كنى **بالفتوة** عن الكرم، كأنه قال: ابن الأغر كريم مُتَفَتٍّ، ولولا ذلك لم يعمل (فتى) في (إذا) لأن الظروف لا تعمل فيها الا الأفعال أو ما هو في طريقها، واذا قلت زيد فتى تعني به السِّن، فليس فيه معنى فعل.

(فعُوض سيفُ الدولة الأجر إنه ... أجلِّ مُيبِ)

---

(١) شرح المشكل في شعر المتنبي، ا ص/١٠٨

إن شئت عنيت بالمثاب سيف الدولة، وإن شئت عنيت به الأجر الذي أثيبه.

(إذا استقبلت نفسُ الكريم مُصابها ... بخُبثٍ فاستدبرتهُ بطيبِ)

المصاب هنا الإصابة لأن المصدر قد يخرج على شكل المفعول به لانه في المعنى مفعول، فمن ذلك الميسور والمعسور والمعقول والمجلود فأما فيما جاوز الثلاثة فمطرد كالُموفى في معنى التوفية، والمقاتل في معنى القتال أنشد سيبويه:

أقاتل حتى لا أرى لي مُقاتلا ... وأنجو إذا لم ينج إلا المكيس." (١)

"قال ابن عباد كانت الشعراء تصف المآزر تنزيها لالفاظها عما يستشنع ذكره حتى تخطا هذا الشاعر المطبوع إلى التصريح وكثير من العهر احسن من هذا العفاف وسمعت أبا الفضل العروضي يقول سمعت أبا بكر الشعراني يقول هذا ما غير عليه الصاحب وكان المتنبي قد قال لأعف عما في سرابيلاتها جمع سربال وهو القميص وكذا رواه الخوارزمي يقول أنا مع حبي لوجوههن أعف عن أبدانهن.

وترى المروة والفتوة والأب

وة في كل مليحة ضراتها

يقول هن يرين هذه الأشياء والخصال مني ضراتهن لأنها تمنعني الخلوة بهن ويروي وترى المروة بالرفع وكذلك ما عطف عليها وكل بالنصب على اسناد الفعل إلى المروة وقد فسر هذا البيت بما قال:

هن الثلاث المانعاني لذتي

في خلوتي لا الخوف من تبعاتها

يقول هذه الأشياء تمنعني اللذة بهن في الخلوة لا ما يتخوف من تبعات اللذة.

ومطالب فيها الهلاك اتيتها

ثبت الجنان كأنني لم آتها

ثبت الجنان ثابت القلب قال العجاج، ثبت ما صيح بالقوم وقره، يقول قلبي وأنا قد أتيتها كهو وأنا لم آتها يصف قوة قلبه وأنه لا يفزع من شيء.

ومقانب بمقانب غادرتها

أقوات وحش كن من أقواتها

المقانب جمع المقنب وهو الجماعة من الخيل يقول رب جيش قد تركتهم بجيش آخر أقوات وحوش كانت تلك الوحوش من أقواتها أي كانوا يصيدون الوحوش فيتقوتونها فلما قتلتهم صاروا قوتا للوحوش وهذا على مذهب العرب في أكلهم كل ما دب ودرج لأنه لا يتقوت في الشرع من الوحوش ما يتقوت الناس.

---

(١) شرح المشكل في شعر المتنبي، ١ ص/١٢٣

أقبلتها غرر الجياد كأنما

أيدي بني عمران في جبهاتها

اقبلتها ألهاء للمقانب التي اهلكها ويقال اقبلته الشيء أي وجهته إليه وجعلته قبالته مما يليه وعني بالأيدي النعم وجرت العادة في جمع يد النعمة بالأيادي وفي يد العضو بالأيدي واستعمل أبو الطيب هذه في مكان تلك في الموضعين جميعا أحدهما هذا البيت والثاني قوله فتل الأيادي وبياض يد النعمة مجاز والشاعر يورد المجاز موارد الحقيقة.

الثابتين فروسة كجلودها." (١)

" فالغُسّ : اللئيم والْمُغَمّرُ : الذي لا تجارب له ولا سن

ع : قوله أيام الرِّدّة : هكذا رويت بالكسر وقال أبو جعفر ابن النحاس سمعت الأخفش يقول : أختار الفتح في ذلك لأنّ العرب لم يكن ارتدادها إلا مرة فالفتح أجود

وقوله : فامتدح ها هنا بالسن : للعرب في ذلك مذهبان : فإذا أرادوا الحزامة وحسن التدبير في الحروب وثبات الأقدام والوطأة إذا اشتدت الخطوب فإنما يذكرون أهل السن والتجربة لأنهم أهل الحفائظ والإستبصار وهم أجدر بالحياء من الأغرار ولذلك قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه رأي الشيخ خير من مشهد الغلام

وقال أبو الطيب :

(سَأَطْلُبُ حَقِّي بِالقَنَا وَمَشَايِخٍ ... كَأَنَّهُمُ مِنْ طُولِ مَا التثموا مُرْدُ)

وإذا أرادوا شدة المسارعة وحدة المضاربة والإعراض عن ذكر العواقب واّطراح ذلك بجانب ذكروا أهل الشباب والفتوة كما قال عامر بن الطفيل للنبي :

(واللهِ لأمْلأنّها عَلَيْكَ ... خيلاً جرداً ورجالاً مرداً)

فأما قول قطري :

(وَلَقَدْ أَرَانِي للرِّمَاحِ دَرِيَّةً ... مِنْ عَنْ يَمِينِي مَرَّةً وَأَمَامي)

(حَتَّى خَضَبْتُ بِمَا تَحَدَّرَ مِنْ دَمِي ... أَكْنَافَ سَرْجِي أَوْ عنَانَ لِجَامي) ." (٢)

"، ويجوز له أيضاً الخروج عنه بتقليد سائغ ، أي بتقليد عالم من أهل الاجتهاد أفتاه.

«أثرُ العمل بالتّقليد الصّحيح»

من عمل بتقليد صحيح فلا إنكار عليه ، لأنّه لا إنكار في المسائل الاجتهاديّة.

ودعوى الحسبة أيضا لا تدخل فيها ، ولذلك فلا يمنعه الحاكم ما فعل.

وهذا واضح فيما ضرره قاصر على المقلّد نفسه ، كمن مسّ فرجه ثمّ صلّى دون أن يتوضّأ.

لكن لو كان في فعله ضرر يتعدّى إلى غيره ، فقد قيل : إنّ الحاكم أو المحتسب إن كان يرى حرمة ذلك يجب عليه الاعتراض

---

(١) شرح ديوان المتنبي، ١ /٢٩٨

(٢) شرح كتاب الأمثال، ١ ص/١٥٥

عليه(١).

وليس معنى عدم الإنكار على من عمل بتقليد صحيح ترك البيان له من عالم يرى مرجوحيّة فعله ، وكان البيان دأب أهل العلم ولا يزال ، فضلا عن الأخذ والرّدّ بينهم فيما يختلفون فيه.

وقد يخطّئ بعضهم بعضاً ، وخاصّة من خالف نصّاً صحيحاً سالماً من المعارضة.

وهذا واضح على قول أكثر الأصوليّين ، وهم القائلون بجواز تخطئة المجتهد في المسائل الاجتهاديّة.

إلا أنّ هذا البيان يكون مع تمهيد العذر للمخالف من أهل العلم ، وحفظ رتبته وإقامة هيبته.

والله أعلم.

وأيضاً لا تمنع هذه القاعدة الحاكم أن يحكم على مقلّد رفع إليه أمره بما يراه طبقا لاجتهاده ، إذ ليس للقاضي أن يقضي بخلاف معتقده (٢).

«إفتاءُ المقلّد»

يشترط في المفتي عند الأئمّة الثّلاثة أن يكون مجتهداً ، وليس هذا عند الحنفيّة شرط صحّة ولكنّه شرط أولويّة ، تسهيلا على النّاس (٣).

وصحّح ابن القيّم أنّ إفتاء المقلّد جائز عند الحاجة وعدم وجود العالم المجتهد ، وقيّده ابن حمدان – من الحنابلة — بالضّرورة (٤).

---

(١) – نهاية المحتاج ١/٢١٩ د القاهرة

(٢) – الأشباه والنظائر للسيوطي ص ١٥٨ ط– القاهرة الحلبي والمغني لابن قدامة ٣٠٦/٨

(٣) – مجمع الأنهر ١٤٦/٢ والمغني ٥٢/٩

(٤) – إعلام الموقعين ٤٦/١ وصفة الفتوة والمفتي والمستفتي لابن جمدان ص ١٤ دشق – المكتب الإسلامي ص٢٤."

(١)

"ص –٢٠٤– وقد اتفق المسلمون على أنه من حلف بالمخلوقات المحترمة، أو بما يعتقد هو حرمته كالعرش، والكرسى، والكعبة، والمسجد الحرام، والمسجد الأقصى، ومسجد النبى صلى الله عليه وسلم، والملائكة، والصالحين، والملوك، وسيوف المجاهدين، وترب الأنبياء والصالحين، وأيمان البندق، وسراويل الفتوة، وغير ذلك لا ينعقد يمينه، ولا كفارة فى الحلف بذلك .

والحلف بالمخلوقات حرام عند الجمهور، وهو مذهب أبى حنيفة وأحد القولين فى مذهب الشافعى وأحمد، وقد حكى إجماع الصحابة على ذلك . وقيل : هى مكروهة كراهة تنزيه، والأول أصح، حتى قال عبد الله بن مسعود وعبد الله بن عباس وعبد الله ابن عمر : لأن أحلف بالله كاذبا أحب إلى من أن أحلف بغير الله صادقا . وذلك لأن الحلف بغير الله شرك،

---

(١) رفع الملام / علي بن نايف الشحود، ١ ص/٢٣٦

والشرك أعظم من الكذب . إنما نعرف النزاع فى الحلف بالأنبياء، فعن أحمد فى الحلف بالنبي صلى الله عليه وسلم روايتان :

إحداهما : لا ينعقد اليمين به كقول الجمهور : مالك وأبي حنيفة والشافعى .

والثانية : ينعقد اليمين به، واختار ذلك طائفة من أصحابه كالقاضى وأتباعه، وابن المنذر وافق هؤلاء . وقصر أكثر هؤلاء النزاع فى ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم خاصة، وعدى ابن عقيل هذا الحكم إلى سائر الأنبياء . وإيجاب الكفارة بالحلف بمخلوق وإن كان نبيا قول ضعيف فى الغاية، مخالف للأصول والنصوص،." (١)

"ص -٥٧٣- والحرف المضعف كما يقولون : تقضى البازي وتقضض، وصبا يصبو : معناه : مال، وسمي الصبي صبيا؛ لسرعة ميله . قال الجوهري : والصبي أيضا من الشوق، يقال منه : تصابي، وصبا يصبو صبوة وصبوا، أي : مال إلى الجهل والفتوة، وأصبته الجارية .

وقد يستعمل هذا في الميل المحمود على قراءة من قرأ : ﴿ إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابين﴾ بلا همزة في قراءة نافع، فإنه لا يهمز ﴿ الصابئين﴾ في جميع القرآن . وبعضهم قد حمده الله تعالى وكذلك يقال : حن إليه حنينا، ومنه : حنه في الاشتقاق الأكبر يحنو عليه حنوا . قال الجوهري : حنوت عليه عطفت عليه، ويحني عليه، أي : يعطف، مثل تحنن، كما قال الشاعر :

تحنى عليك النفس من لاعج الهوى فكيف تحنيها وأنت تهينها ؟

وقال : الحنين : الشوق وتوقان النفس، ويقال : حن إليه يحن حنينا، فهو حان والحنان الرحمة . يقال : حن عليه يحن حنانا، ومنه قوله تعالى : ﴿ وحنانا من لدنا﴾ [مريم : ١٣] . والحنان بالتشديد : ذو الرحمة، وتحنن عليه : ترحم، والعرب تقول : حنانيك يا رب، وحنانك، بمعنى واحد، أي : رحمتك، وهذا كلام الجوهري .

وفي الأثر في تفسير [الحنان، المنان] : أن الحنان هو الذي يقبل على من أعرض عنه، والمنان الذي يبدأ بالنوال قبل السؤال، وهذا باب واسع .." (٢)

"ص -٨٢- وسئل عن [الفتوة] المصطلح عليها . . . إلخ .

فأجاب رضي الله عنه قائلا :

أما ما ذكره من [الفتوة] التي يلبس فيها الرجل لغيره سراويل، ويسقيه ماء وملحا؛ فهذا لا أصل له . ولم يفعلها أحد من السلف لا علي ولا غيره . والإسناد الذي يذكرونه في [الفتوة] إلى أمير المؤمنين : علي بن أبي طالب، من طريقة الخليفة الناصر وغيره، إسناد مظلم، عامة رجاله مجاهيل لا يعرفون وليس لهم ذكر عند أهل العلم .

وقد ذكر أن أصل ذلك : أنه وضع سراويل عند قبر علي فأصبح مسدودا، وهذا يجري عند غير علي، كما يجري أمثال ذلك من الأمور التي يظن أنها كرامة، في الكنائس وغيرها، مثل دخول مصروع إليها فيبرأ بنذر يجعل للكنيسة، ونحو ذلك

---

(١) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ١/١٤٠٧٥

(٢) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ١٠/٢٦٣/٨٠

. وهذا إذا لم يكن كذبا فإنه من فعل الشياطين . كما يفعل مثل ذلك عند الأوثان، وأنا أعرف من ذلك وقائع متعددة .." (١)

"ص -٨٣- والمقصود هنا أن سراويل **الفتوة** لا أصل له عن علي ولا غيره من السلف، وما يشترطه بعضهم من الشروط، إن كان مما أمر الله به ورسوله، فإنه يفعل؛ لأن الله أمر به ورسوله، وما نهى عنه مثل التعصب لشخص على شخص، والإعانة على الإثم والعدوان، فهو مما ينهي عنه، ولو شرطوه .

ولفظ [الفتى] في اللغة هو الشاب، كما ذكر ذلك أهل اللغة . ومنه قوله تعالى : ﴿ودخل معه السجن فتيان ﴾ [يوسف : ٣٦] ، وقوله : ﴿إنهم فتية آمنوا بربهم ﴾ [الكهف : ١٣] ﴿وإذ قال موسى لفتاه ﴾ [الكهف : ٦٠] . وقد فتى يفتي فهو فتى، أي بين الفتا، والأفتا من الدواب خلاف المسان، وقد يعبر بالفتى عن المملوك مطلقا، كما قال تعالى : ﴿من فتياتكم المؤمنات ﴾ [النساء : ٢٥] .

ولما كان الشاب ألين عريكة من الشيخ صار في طبعه من السخاء والكرم ما لا يوجد في الشيوخ . فصاروا يعبرون بلفظ الفتى عن السخي الكريم . يقال : هو فتى بين **الفتوة** وقد يفتى، ويفاتى، والجمع فتيان وفتية .

واستعمال لفظ الفتى بمعنى المتصف بمكارم الأخلاق موجود في كلام كثير من المشائخ،وقد يظن أن لفظ القرآن يدل على هذا . ومنه قول بعض الشيوخ : طريقنا تفتى وليس تنصر، يعني هو استعمال مكارم." (٢)

"ص -٨٤- الأخلاق؛ ليس هو النسك اليابس . ومنه قول أبي إسماعيل الأنصاري [أبو إسماعيل الأنصارى : هو عبد الله بن محمد بن على بن محمد بن أحمد بن على بن جعفر بن مت الأنصارى الهروى، مصنف كتاب [ذم الكلام] ، وشيخ خراسان، من ذرية صاحب النبى صلى الله عليه وسلم أبي أيوب الأنصارى . ولد سنة ست وتسعين وثلاثمائة . توفى فى ذي الحجة سنة ٤٨١ هـ . [سير أعلام النبلاء : ١٨

٥٠٣ ٥١٨] : **الفتوة** أن تقرب من يقصيك، وتكرم من يؤذيك، وتحسن إلى من يسيء إليك، سماحة لا كظما، وموادة لا مصابرة .

ونقل عن أحمد بن حنبل – رضي الله عنه – أنه قال : **الفتوة** ترك ما تهوى لما تخشى . كما قال تعالى : ﴿وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى ﴾ [النازعات : ٤٠] . فمن دعا إلى ما دعا إليه الله ورسوله من مكارم الأخلاق كان محسنا، سواء سمى ذلك فتوة أو لم يسمه، ومن أحدث في دين الله ما ليس منه فهو رد .

والغالب أنهم يدخلون في **الفتوة** أمورا ينهى عنها فينهون عن ذلك، ويؤمرون بما أمر الله به ورسوله، كما ينهون عن الإلباس، والإسقاء . وإسناد ذلك إلى علي رضي الله عنه وأمثال ذلك .." (٣)

---

(١) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ١٧٩١ /١٢

(٢) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ١٧٩١ /١٣

(٣) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ١٧٩١ /١٤

"ص -٨٥- سئل الشيخ العالم العلامة إمام الوقت، فريد الدهر، جوهر العلم، لب الإيمان، قطب الزمان مفتي الفرق، شيخ الإسلام، تقي الدين أبو العباس أحمد بن الشيخ الإمام شهاب الدين عبد الحليم بن الشيخ الإمام العلامة مؤيد السنة مجد الدين عبد السلام بن تيمية الحراني رضي الله عنه ونفع به آمين في جماعة يجتمعون في مجلس، ويلبسون لشخص منهم لباس [الفتوة] ويديرون بينهم في مجلسهم شربة فيها ملح وماء يشربونها ويزعمون أن هذا من الدين، ويذكرون في مجلسهم ألفاظا لا تليق بالعقل والدين .

فمنها أنهم يقولون : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم ألبس علي ابن أبي طالب – رضي الله تعالى عنه – لباس الفتوة، ثم أمره أن يلبس من شاء، ويقولون : إن اللباس أنزل على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في صندوق، ويستدلون عليه بقوله تعالى : ﴿يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباسا يواري سوءاتكم ﴾ [الأعراف : ٢٦] ، فهل هو كما زعموا ؟ أم." (١)

"ص -٨٦- كذب مختلق ؟ وهل هو من الدين أم لا ؟ وإذا لم يكن من الدين فما يجب على من يفعل ذلك أو يعين عليه ؟ ومنهم من ينسب ذلك إلى الخليفة الناصر لدين الله . إلى عبد الجبار ويزعم أن ذلك من الدين؛ فهل لذلك أصل أم لا ؟

وهل الأسماء التي يسمون بها بعضهم بعضا من اسم الفتوة، ورؤوس الأحزاب والزعماء فهل لهذا أصل أم لا ؟ ويسمون المجلس الذي يجتمعون فيه [دسكرة] ويقوم للقوم نقيب إلى الشخص الذي يلبسونه فينزعه اللباس الذي عليه بيده، ويلبسه اللباس الذي يزعمون أنه لباس الفتوة بيده، فهل هذا جائز . أم لا ؟ وإذا قيل : لايجوز فعل ذلك ولا الإعانة عليه، فهل يجب على ولي الأمر منعهم من ذلك ؟

وهل للفتوة أصل في الشريعة أم لا ؟ وإذا قيل : لا أصل لها في الشريعة فهل يجب على غير ولي الأمر أن ينكر عليهم، ويمنعهم من ذلك أم لا مع تمكنه من الإنكار ؟ وهل أحد من الصحابة رضي الله تعالى عنهم، أو التابعين، أو من بعدهم من أهل العلم فعل هذه الفتوة المذكورة أو أمر بها أم لا ؟

وهل خلق النبي صلى الله عليه وسلم من النور ؟ أم خلق من الأربع عناصر ؟ أم من غير ذلك ؟ وهل الحديث الذي يذكره بعض الناس : " لولاك ماخلق الله عرشا . ولا كرسيا، ولا أرضا، ولا سماء،." (٢)

"ص -٨٧- ولا شمسا، ولا قمرا ولا غيرذلك " صحيح هو أم لا ؟

وهل [الأخوة] التي يواخيها المشائخ بين الفقراء في السماع وغيره يجوز فعلها في السماع ونحوه أم لا ؟ وهل آخي رسول الله صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين والأنصار ؟ أم بين كل مهاجري وأنصاري ؟ وهل آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم على بن أبي طالب– كرم الله وجهه –أم لا ؟ بينوا لنا ذلك بالتعليل والحجة المبينة، وابسطوا لنا الجواب في ذلك بسطا شافيا مأجورين . أثابكم الله تعالى .

فأجاب :

---

(١) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ٢/١٨٠١

(٢) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ٣/١٨٠١

الحمد لله . أما ما ذكر من إلباس لباس [الفتوة] السراويل أو غيره، وإسقاء الملح والماء فهذا باطل، لا أصل له، ولم يفعل هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا أحد من أصحابه . لا علي ابن أبي طالب ولا غيره، ولا من التابعين لهم بإحسان .

والإسناد الذي يذكرونه من طريق الخليفة الناصر إلى عبد الجبار إلى ثمامة، فهو إسناد لا تقوم به حجة، وفيه من لا يعرف، ولا يجوز لمسلم أن ينسب إلى النبي صلى الله عليه وسلم بمثل هذا الإسناد المجهول." (١)

"ص -٨٩- فصل

والشروط التي تشترطها شيوخ [الفتوة] ما كان منها مما أمر الله به ورسوله كصدق الحديث، وأداء الأمانة، وأداء الفرائض، واجتناب المحارم ونصر المظلوم، وصلة الأرحام والوفاء بالعهد . أو كانت مستحبة : كالعفو عن الظالم واحتمال الأذى، وبذل المعروف الذى يحبه الله ورسوله وأن يجتمعوا على السنة، ويفارق أحدهما الآخر إذا كان على بدعة، ونحوذلك . فهذه يؤمن بها كل مسلم سواء شرطها شيوخ الفتوة أو لم يشرطوها، وما كان منها مما نهى الله عنه ورسوله : مثل التحالف الذي يكون بين أهل الجاهلية، أن كلا منهما يصادق صديق الآخر في الحق والباطل، ويعادي عدوه في الحق والباطل، وينصره على كل من يعاديه سواء كان الحق معه أو كان مع خصمه، فهذه شروط تحلل الحرام وتحرم الحلال، وهى شروط ليست في كتاب الله .

وفي السنن عنه أنه قال : " المسلمون عند شروطهم : إلا شرطا أحل حراما أو حرم حلالا " وكل ما كان من الشروط التي بين القبائل والملوك والشيوخ والأحلاف وغير ذلك فإنها على هذا الحكم باتفاق علماء المسلمين، ما كان من الأمر المشروط الذى قد أمر الله به ورسوله." (٢)

"ص -٩١- فصل

وأما لفظ [الفتى] فمعناه في اللغة الحدث كقوله تعالى : ﴿إنهم فتية آمنوا بربهم ﴾ [الكهف : ١٣] ، وقوله تعالى : ﴿قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له إبراهيم ﴾ [الأنبياء : ٦٠] ، ومنه قوله تعالى : ﴿وإذ قال موسى لفتاه ﴾ [الكهف : ٦٠] ؛ لكن لما كانت أخلاق الأحداث اللين صار كثير من الشيوخ يعبرون بلفظ [الفتوة] عن مكارم الأخلاق . كقول بعضهم : طريقنا تفتى وليس تنصر . وقوله بعضهم : [الفتوة] أن تقرب من يقصيك، وتكرم من يؤذيك، وتحسن إلى من يسيء إليك، سماحة لا كظما، ومودة لا مضارة وقول بعضهم : [الفتوة] ترك ما تهوى لما تخشى، وأمثال هذه الكلمات التي توصف فيها الفتوة بصفات محمودة محبوبة، سواء سميت فتوة أو لم تسم، وهى لم تستحق المدح في الكتاب والسنة إلا لدخولها فيما حمده الله ورسوله من الأسماء . كلفظ الإحسان والرحمة، والعفو، والصفح، والحلم، وكظم الغيظ، والبر، والصدقة، والزكاة والخير . ونحو ذلك من الأسماء الحسنة التي تتضمن هذه المعانى، فكل اسم علق الله به المدح والثواب في

---

(١) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ١١/٨٠٤

(٢) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ١١/٨٠٦

الكتاب والسنة كان أهله ممدوحين، وكل اسم علق به الذم والعقاب في الكتاب والسنة كان أهله مذمومين، كلفظ الكذب، والخيانة." (١)

"ص -٤٥١- يصير بالنذر ما ليس بطاعة ولا عبادة [طاعة وعبادة] .

ونحو ذلك العهود التي تتخذ على الناس لالتزام طريقة شيخ معين كعهود أهل [الفتوة] و [رماة البندق] ونحو ذلك ليس على الرجل أن يلتزم من ذلك على وجه الدين والطاعة لله إلا ما كان دينا وطاعة لله ورسوله في شرع الله، لكن قد يكون عليه كفارة عند الحنث في ذلك، ولهذا أمرت غير واحد أن يعدل عما أخذ عليه من العهد بالتزام طريقة مرجوحة أو مشتملة على أنواع من البدع إلى ما هو خير منها من طاعة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم واتباع الكتاب والسنة، إذ كان المسلمون متفقين على أنه لا يجوز لأحد أن يعتقد أو يقول عن عمل : إنه قربة وطاعة وبر وطريق إلى الله واجب أو مستحب إلا أن يكون مما أمر الله به ورسوله صلى الله عليه وسلم، وذلك يعلم بالأدلة المنصوبة على ذلك . وما علم باتفاق الأمة أنه ليس بواجب ولا مستحب ولا قربة لم يجز أن يعتقد أو يقال : إنه قربة وطاعة .

فكذلك هم متفقون على أنه لا يجوز قصد التقرب به إلى الله، ولا التعبد به ولا اتخاذه دينا ولا عمله من الحسنات، فلا يجوز جعله من الدين لا باعتقاد وقول، ولا بإرادة وعمل .

و بإهمال هذا الأصل غلط خلق كثير من العلماء والعباد، يرون الشيء." (٢)

"وقد اتفق المسلمون على أنه من حلف بالمخلوقات المحترمة أو بما يعتقد هو حرمته كالعرش والكرسي والكعبة والمسجد الحرام والمسجد الأقصى ومسجد النبي صلى الله عليه وسلم والملائكة والصالحين والملوك وسيوف المجاهدين وترب الأنبياء والصالحين وأيمان البندق وسراويل الفتوة وغير ذلك لا ينعقد يمينه ولا كفارة في الحلف بذلك . والحلف بالمخلوقات حرام عند الجمهور وهو مذهب أبي حنيفة وأحد القولين في مذهب الشافعي وأحمد وقد حكي إجماع الصحابة على ذلك . وقيل هي مكروهة كراهة تنزيه والأول أصح حتى قال عبد الله بن مسعود وعبد الله بن عباس وعبد الله بن عمر : لأن أحلف بالله كاذبا أحب إلي من أن أحلف بغير الله صادقا . وذلك لأن الحلف بغير الله شرك والشرك أعظم من الكذب . وإنما نعرف النزاع في الحلف بالأنبياء فعن أحمد في الحلف بالنبي صلى الله عليه وسلم روايتان . إحداهما لا ينعقد اليمين به كقول الجمهور مالك وأبي حنيفة والشافعي . والثانية ينعقد اليمين به واختار ذلك طائفة من أصحابه كالقاضي وأتباعه وابن المنذر وافق هؤلاء . وقصر أكثر هؤلاء النزاع في ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم خاصة وعدى ابن عقيل هذا الحكم إلى سائر الأنبياء . وإيجاب الكفارة بالحلف بمخلوق وإن كان نبيا قول ضعيف في الغاية مخالف للأصول والنصوص." (٣)

"والحرف المضعف كما يقولون : تقضى البازي وتقضض وصبا يصبو : معناه مال وسمي الصبي صبيا لسرعة ميله . قال الجوهري : والصبي أيضا من الشوق يقال منه تصابى وصبا يصبو صبوة وصبوا أي مال إلى الجهل والفتوة وأصبته الجارية

---

(١) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ١٠/١٨٠

(٢) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ١٣/١٩٨

(٣) مجموع الفتاوى (ط: دار الوفاء – تحقيق أنور الباز)، ١/٢٠٤

. وقد يستعمل هذا في الميل المحمود على قراءة من قرأ : ﴿ إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين ﴾ بلا همزة في قراءة نافع فإنه لا يهمز " الصابئين " في جميع القرآن . وبعضهم قد حمده الله تعالى ؛ وكذلك يقال : حن إليه حنينا ؛ ومنه حنا في الاشتقاق الأكبر يحنو عليه حنوا . قال الجوهري : حنوت عليه عطفت عليه ويحني عليه أي يعطف مثل تحنن كما قال الشاعر :

تحنى عليك النفس من لاعج الهوى * * * فكيف تحنيها وأنت تهينها

وقال : الحنين : الشوق وتوقان النفس ويقال حن إليه يحن حنينا فهو حان والحنان الرحمة يقال حن عليه يحن حنانا ومنه قوله تعالى ﴿ وحنانا من لدنا وزكاة ﴾ والحنان بالتشديد : ذو الرحمة وتحنن عليه ترحم والعرب تقول : حنانيك يا رب وحنانك بمعنى واحد أي رحمتك وهذا كلام الجوهري .

وفي الأثر في تفسير " الحنان المنان " : أن الحنان هو الذي يقبل على من أعرض عنه والمنان الذي يبدأ بالنوال قبل السؤال وهذا باب واسع .." (١)

"وسئل :

عن " الفتوة " المصطلح عليها . . . إلخ .

فأجاب – رضي الله عنه – قائلا :

أما ما ذكره من " الفتوة " التي يلبس فيها الرجل لغيره سراويل ويسقيه ماء وملحا ؛ فهذا لا أصل له . ولم يفعلها أحد من السلف لا علي ولا غيره . والإسناد الذي يذكرونه في " الفتوة " إلى أمير المؤمنين : علي بن أبي طالب من طريقة الخليفة الناصر وغيره إسناد مظلم عامة رجاله مجاهيل لا يعرفون وليس لهم ذكر عند أهل العلم . وقد ذكر أن أصل ذلك : أنه وضع سراويل عند قبر علي فأصبح مسدودا وهذا يجري عند غير علي كما يجري أمثال ذلك من الأمور التي يظن أنها كرامة في الكنائس وغيرها مثل دخول مصروع إليها فيبرأ بنذر يجعل للكنيسة ونحو ذلك . وهذا إذا لم يكن كذبا فإنه من فعل الشياطين . كما يفعل مثل ذلك عند الأوثان وأنا أعرف من ذلك وقائع متعددة .." (٢)

"والمقصود هنا أن سراويل الفتوة لا أصل له عن علي ولا غيره من السلف وما يشترطه بعضهم من الشروط إن كان مما أمر الله به ورسوله فإنه يفعل لأن الله أمر به ورسوله وما نهى عنه مثل التعصب لشخص على شخص والإعانة على الإثم والعدوان . فهو مما ينهى عنه ولو شرطوه . ولفظ " الفتى " في اللغة هو الشاب . كما ذكر ذلك أهل اللغة . ومنه قوله تعالى ﴿ ودخل معه السجن فتيان ﴾ وقوله : ﴿ إنهم فتية آمنوا بربهم ﴾ ﴿ وإذ قال موسى لفتاه ﴾ . وقد فتي يفتى فهو فتي أي بين الفتا والأفتا من الدواب خلاف المسان وقد يعبر بالفتى عن المملوك مطلقا . كما قال تعالى : ﴿ من فتياتكم المؤمنات ﴾ . ولما كان الشاب ألين عريكة من الشيخ صار في طبعه من السخاء والكرم ما لا يوجد في الشيوخ . فصاروا يعبرون بلفظ الفتى عن السخي الكريم . يقال : هو فتى بين الفتوة وقصد يفتى . ويفاتى . والجمع فتيان وفتية . واستعمال

---

(١) مجموع الفتاوى (ط: دار الوفاء – تحقيق أنور الباز)، ١٥/ ٥٧٣

(٢) مجموع الفتاوى (ط: دار الوفاء – تحقيق أنور الباز)، ١١/ ٨٢

لفظ الفتى بمعنى المتصف بمكارم الأخلاق موجود في كلام كثير من المشايخ وقد يظن أن لفظ القرآن يدل على هذا . ومنه قول بعض الشيوخ : طريقنا تفتى وليس تنصر يعني هو استعمال مكارم." (١)

"الأخلاق ؛ ليس هو النسك اليابس . [ومنه قول أبي إسماعيل الأنصاري : **الفتوة** أن تقرب من يقصدك وتكرم من يؤذيك وتحسن إلى من يسيء إليك سماحة لا كظما وموادة لا مصابرة] (*) .

ونقل عن أحمد بن حنبل – رضي الله عنه – أنه قال : **الفتوة** ترك ما تهوى لما تخشى . كما قال تعالى : ﴿ وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى ﴾ فمن دعا إلى ما دعا إليه الله ورسوله من مكارم الأخلاق كان محسنا سواء سمي ذلك فتوة أو لم يسمه ومن أحدث في دين الله ما ليس منه فهو رد . والغالب أنهم يدخلون في **الفتوة** أمورا ينهى عنها فينهون عن ذلك ويؤمرون بما أمر الله به ورسوله كما ينهون عن الإلباس والإسقاء . وإسناد ذلك إلى علي – رضي الله عنه – وأمثال ذلك .." (٢)

"سئل الشيخ الإمام العالم العلامة إمام الوقت فريد الدهر جوهر العلم لب الإيمان قطب الزمان مفتي الفرق شيخ الإسلام تقي الدين أبو العباس أحمد بن الشيخ الإمام شهاب الدين عبد الحليم بن الشيخ الإمام العلامة مؤيد السنة مجد الدين عبد السلام بن تيمية الحراني – رضي الله عنه – ونفع به آمين :

في جماعة يجتمعون في مجلس ويلبسون لشخص منهم لباس " **الفتوة** " ويديرون بينهم في مجلسهم شربة فيها ملح وماء يشربونها ويزعمون أن هذا من الدين ويذكرون في مجلسهم ألفاظا لا تليق بالعقل والدين . فمنها أنهم يقولون ؛ إن رسول الله صلى الله عليه وسلم ألبس علي بن أبي طالب – رضي الله عنه – لباس **الفتوة** ثم أمره أن يلبس من شاء ويقولون : إن اللباس أنزل على النبي – صلى الله تعالى عليه وسلم – في صندوق ويستدلون عليه بقوله تعالى : ﴿ يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباسا يواري سوآتكم ﴾ الآية – فهل هو كما زعموا ؟ أم." (٣)

"كذب مختلق ؟ وهل هو من الدين أم لا ؟ وإذا لم يكن من الدين فما يجب على من يفعل ذلك أو يعين عليه ؟ ومنهم من ينسب ذلك إلى الخليفة الناصر لدين الله . إلى عبد الجبار ويزعم أن ذلك من الدين ؛ فهل لذلك أصل أم لا ؟ وهل الأسماء التي يسمون بها بعضهم بعضا من اسم **الفتوة** ورءوس الأحزاب والزعماء فهل لهذا أصل أم لا ؟ ويسمون المجلس الذي يجتمعون فيه " دسكرة " ويقوم للقوم نقيب إلى الشخص الذي يلبسونه فينزعه اللباس الذي عليه بيده ويلبسه اللباس الذي يزعمون أنه لباس **الفتوة** بيده فهل هذا جائز . أم لا ؟ وإذا قيل : لا يجوز فعل ذلك ولا الإعانة عليه ؟ فهل يجب على ولي الأمر منعهم من ذلك ؟ وهل للفتوة أصل في الشريعة أم لا ؟ وإذا قيل : لا أصل لها في الشريعة فهل يجب على غير ولي الأمر أن ينكر عليهم ويمنعهم من ذلك أم لا ؟ مع تمكنه من الإنكار وهل أحد من الصحابة – رضي الله تعالى عنهم أو التابعين أو من بعدهم من أهل العلم فعل هذه **الفتوة** المذكورة أو أمر بها أم لا ؟ وهل خلق النبي صلى الله

---

(١) مجموع الفتاوى (ط: دار الوفاء – تحقيق أنور الباز)، ١١/٨٣

(٢) مجموع الفتاوى (ط: دار الوفاء – تحقيق أنور الباز)، ١١/٨٤

(٣) مجموع الفتاوى (ط: دار الوفاء – تحقيق أنور الباز)، ١١/٨٥

عليه وسلم من النور ؟ أم خلق من الأربع عناصر ؟ أم من غير ذلك ؟ وهل الحديث الذي يذكره بعض الناس : ﴿ لولاك ما خلق الله عرشا . ولا كرسيا ولا أرضا ولا سماء." (١)

"ولا شمسا ولا قمرا . ولا غير ذلك ﴾ صحيح هو أم لا ؟ وهل " الأخوة " التي يؤاخيها المشايخ بين الفقراء في السماع وغيره يجوز فعلها في السماع ونحوه أم لا ؟ وهل آخى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بين المهاجرين والأنصار ؟ أم بين كل مهاجري وأنصاري ؟ وهل آخى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم علي بن أبي طالب –كرم الله وجهه – أم لا ؟ بينوا لنا ذلك بالتعليل والحجة المبينة وابسطوا لنا الجواب في ذلك بسطا شافيا مأجورين . أثابكم الله تعالى .

فأجاب :

الحمد لله ، أما ما ذكر من إلباس لباس " **الفتوة** " السراويل أو غيره وإسقاء الملح والماء فهذا باطل لا أصل له ولم يفعل هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أحد من أصحابه . لا علي بن أبي طالب ولا غيره ولا من التابعين لهم بإحسان . والإسناد الذي يذكرونه من طريق الخليفة الناصر إلى عبد الجبار إلى ثمامة فهو إسناد لا تقوم به حجة وفيه من لا يعرف ولا يجوز لمسلم أن ينسب إلى النبي صلى الله عليه وسلم بمثل هذا الإسناد المجهول." (٢)

"فصل :

والشروط التي تشترطها شيوخ " **الفتوة** " ما كان منها مما أمر الله به ورسوله كصدق الحديث وأداء الأمانة وأداء الفرائض واجتناب المحارم ونصر المظلوم . وصلة الأرحام والوفاء بالعهد . أو كانت مستحبة : كالعفو عن الظالم واحتمال الأذى وبذل المعروف الذي يحبه الله ورسوله وأن يجتمعوا على السنة ويفارق أحدهما الآخر إذا كان على بدعة . ونحو ذلك . فهذه يؤمن بها كل مسلم سواء شرطها شيوخ **الفتوة** أو لم يشرطوها وما كان منها مما نهى الله عنه ورسوله : مثل التحالف الذي يكون بين أهل الجاهلية أن كلا منهما يصادق صديق الآخر في الحق والباطل ويعادي عدوه في الحق والباطل وينصره على كل من يعاديه سواء كان الحق معه أو كان مع خصمه فهذه شروط تحلل الحرام وتحرم الحلال وهي شروط ليست في كتاب الله . وفي السنن عنه أنه قال : ﴿ المسلمون عند شروطهم : إلا شرطا أحل حراما أو حرم حلالا ﴾ وكل ما كان من الشروط التي بين القبائل والملوك والشيوخ والأحلاف وغير ذلك فإنها على هذا الحكم باتفاق علماء المسلمين ما كان من الأمر المشروط الذي قد أمر الله به ورسوله." (٣)

"فصل :

وأما لفظ " الفتى " فمعناه في اللغة الحدث كقوله تعالى : ﴿ إنهم فتية آمنوا بربهم ﴾ وقوله تعالى ﴿ قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له إبراهيم ﴾ ومنه قوله تعالى ﴿ وإذ قال موسى لفتاه ﴾ . لكن لما كانت أخلاق الأحداث اللين صار كثير من الشيوخ يعبرون بلفظ " **الفتوة** " عن مكارم الأخلاق . كقول بعضهم : طريقنا تفتي وليس تنصر . وقول بعضهم . ["

---

(١) مجموع الفتاوى (ط: دار الوفاء – تحقيق أنور الباز)، ١١/٨٦

(٢) مجموع الفتاوى (ط: دار الوفاء – تحقيق أنور الباز)، ١١/٨٧

(٣) مجموع الفتاوى (ط: دار الوفاء – تحقيق أنور الباز)، ١١/٨٩

الفتوة " أن تقرب من يقصيك وتكرم من يؤذيك وتحسن إلى من يسيء إليك . سماحة لا كظما ومودة لا مضارة] (*) .
وقول بعضهم : " الفتوة " ترك ما تهوى لما تخشى . وأمثال هذه الكلمات التي توصف فيها الفتوة بصفات محمودة محبوبة سواء سميت فتوة أو لم تسم وهي لم تستحق المدح في الكتاب والسنة إلا لدخولها فيما حمده الله ورسوله من الأسماء . كلفظ الإحسان والرحمة والعفو والصفح والحلم وكظم الغيظ والبر والصدقة والزكاة والخير . ونحو ذلك من الأسماء الحسنة التي تتضمن هذه المعاني فكل اسم علق الله به المدح والثواب في الكتاب والسنة كان أهله ممدوحين وكل اسم علق به الذم والعقاب في الكتاب والسنة كان أهله مذمومين كلفظ الكذب والخيانة." (١)

"يصير بالنذر ما ليس بطاعة ولا عبادة (طاعة وعبادة) .

ونحو ذلك العهود التي تتخذ على الناس لالتزام طريقة شيخ معين كعهود أهل " الفتوة " و " رماة البندق " ونحو ذلك ليس على الرجل أن يلتزم من ذلك على وجه الدين والطاعة لله إلا ما كان دينا وطاعة لله ورسوله في شرع الله ؛ لكن قد يكون عليه كفارة عند الحنث في ذلك ؛ ولهذا أمرت غير واحد أن يعدل عما أخذ عليه من العهد بالتزام طريقة مرجوحة أو مشتملة على أنواع من البدع إلى ما هو خير منها من طاعة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم واتباع الكتاب والسنة ؛ إذ كان المسلمون متفقين على أنه لا يجوز لأحد أن يعتقد أو يقول عن عمل : إنه قربة وطاعة وبر وطريق إلى الله واجب أو مستحب إلا أن يكون مما أمر الله به ورسوله صلى الله عليه وسلم ؛ وذلك يعلم بالأدلة المنصوبة على ذلك وما علم باتفاق الأمة أنه ليس بواجب ولا مستحب ولا قربة لم يجز أن يعتقد أو يقال إنه قربة وطاعة . فكذلك هم متفقون على أنه لا يجوز قصد التقرب به إلى الله ولا التعبد به ولا اتخاذه دينا ولا عمله من الحسنات فلا يجوز جعله من الدين لا باعتقاد وقول ولا بإرادة وعمل . وبإهمال هذا الأصل غلط خلق كثير من العلماء والعباد يرون الشيء." (٢)

" يتفقون عليها ويتحالفون كما كان العرب في جاهليتهم يتحالفون ومنه الحليف الذي يكون في القبيلة فيصير منهم قال الله تعالي والذين عقدت أيمانكم فآتوهم نصيبهم إن الله كان علي كل شيء شهيدا

وقال تعالي وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا إن الله يعلم ما تفعلون ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثا تتخذون أيمانكم دخلا بينكم أن تكون أمة هي أربي من أمة إنما يبلوكم الله به وليبينن لكم يوم القيامة ما كنتم فيه تختلفون

وكذلك ما يوجد من التحالف بالتآخي وغير التآخي للملوك والمشايخ وأهل الفتوة ورماة البندق وسائر المتفقين علي بعض الأمور هو داخل في هذا وأيمان التعاقد والتحالف عام لبني آدم وهم في جاهليتهم تارة يتحالفون تحالفا يحبه الله كما قال النبي لقد شهدت حلفا مع عمومتي في دار عبد الله بن جدعان ما يسرني بمثله حمر النعم أو قال ما يسرني حمر النعم وأن أنقضه ولو دعيت إلى مثله في الإسلام لأجبت ." (٣)

---

(١) مجموع الفتاوى (ط: دار الوفاء – تحقيق أنور الباز)، ١١/٩١

(٢) مجموع الفتاوى (ط: دار الوفاء – تحقيق أنور الباز)، ١١/٤٥١

(٣) قاعدة في المحبة، ١ ص/١٢٤

"١٩٢ رسالة في ثلاثة آيات متشابهة
١٩٣ رسالة في جمل مقالات الطوائف
١٩٤ رسالة في حدود الأسماء
١٩٥ رسالة في حديث الولاء لمن أعتق
١٩٦ رسالة في حقيقة كلام الله
١٩٧ رسالة في حلول الحوادث
١٩٨ رسالة في خاتم الأولياء
١٩٩ رسالة في خواتيم سورة البقرة
٢٠٠ رسالة في ذبائح أهل الكتاب
٢٠١ رسالة في رؤية المؤمنين ربهم في الجنة
٢٠٢ رسالة في سجود السهو
٢٠٣ رسالة في سجود القرآن
٢٠٤ رسالة في سلطة الحاكم
٢٠٥ رسالة في شرط صلاة الجمعة والعيدين
٢٠٦ رسالة في شروط الواقف
٢٠٧رسالة في شمول النصوص
٢٠٨ رسالة في صلاة الجماعة
٢٠٩ رسالة في ضبط كليات المنطق
٢١٠ رسالة في طرق العلم الإلهي
٢١١رسالة في طريقة التوبة
٢١٢ رسالة في عذاب القبر
٢١٣ رسالة في علم الباطن والظاهر
٢١٤ رسالة في عمل القلب
٢١٥ رسالة في عوارض التكاليف
٢١٦ رسالة في فضائل الرمي وتعليمه
٢١٧ رسالة في قدرة الرب
٢١٨ رسالة في قنوط الصبح
٢١٩ رسالة في قوله كما صليت على إبراهيم
٢٢٠رسالة في قوم منتسبين إلى المشايخ

٢٢١رسالة في قيام الممكنات والمحدثات في الواجب القديم

٢٢٢ رسالة في لباس الصلاة

٢٢٣رسالة في لباس الفتوة

٢٢٤ رسالة في ما أحدثته الصوفية

٢٢٥ رسالة في مراتب الذنوب

٢٢٦ رسالة في مرض القلوب وشفاؤها أيضا

٢٢٧ رسالة في مس الصبي الأمرد

٢٢٨ رسالة في مسألة تأويل الصفات

٢٢٩ رسالة في مسائل الأيمان والطلاق

٢٣٠ رسالة في مقام الإيمان بالله ورسوله

٢٣١ رسالة في نكاح الزانية

٢٣٢ رسالة من السجن

٢٣٣ رسالة من الشيخ إلى أصحابه وهو في السجن

٢٣٤ رفع الملام عن الأئمة الأعلام

٢٣٥ زيارة القبور

٢٣٦ زيارة بيت المقدس

٢٣٧ سؤال عما ذكر عن أبي سليمان في تعريف الرضا

٢٣٨ سؤال عن الكيمياء

٢٣٩ سؤال عن المعز الذي بنى القاهرة

٢٤٠ سؤال عن حكم التتار

٢٤١ سؤال عن حكم التتار المنتسبين إلى الإسلام

٢٤٢ سؤال في صفات الرب

٢٤٣ سؤال في علي بن أبي طالب

٢٤٤سؤال في فضل جبل لبنان." (١)

"١(أيّامض أعقدُ ناظريّ ** بذلِكَ المرْأى الوسيمْ)(فأرَى الفتوّةَ غضّةً ** في ثَوْبِ أوّاهٍ حَلِيمْ)(أللهُ يعلمُ أنّ حبّ ** كَ منْ فؤادي بالصّميمْ)٤ (وَلَئِنْ تَحَمّلَ عَنْكَ لي ** جسمٌ ، فعنْ قلبٍ مقيمْ)٥ (قُلْ لي : بأيّ خِلالِ سَرْوِكَ ، ** قبلُ ، أفْتَنُ أوْ أهيمْ ؟)٦ (أبِمَجْدِكَ العَمَمِ ، الّذي ** نَسَقَ الحَدِيثَ مَعَ القَدِيمْ ؟)٧ (أمْ ظرفِكَ الحلوِ الجنَى ؛ ** أمْ

(١) محنة ابن تيمية يرويها بنفسه، ا ص/١١٦

عرضِكَ الصّافي الأديمْ ؟)٨ (أمْ برّكَ العذبِ الجمامِ ، ** وَبِشْرِكَ الغَضّ الجَمِيمْ ؟)٩ (أمْ بالبدائعِ كاللآلىءِ ، ** مِنْ نَثِيرٍ أوْ نَظِيمْ ؟)٠ (وبلاغةٍ ، إنْ عدّ أهلُوهَا ، ** فأنْتَ لهمْ زعيمْ)

". (١)

"ص –١٨٤– يهفو إلى البان من قلبي نوازعه وما بي البان بل من دارة البان

وهذا اللفظ يستعمل في حركة الشيء الخفيف بسرعة، كما يقال : هفا الطائر بجناحه، أي : خفق وطار، وهفا الشيء في الهواء، إذا ذهب كالصوفة ونحوها، ومر الظبي يهفو، أي : يطفو، ومنه قيل للزلة : هفوة، كما سميت زلة، والزلة حركة خفيفة، وكذلك الهفوة . وكذلك يسمى المحب المشتاق الذي صار حبه أقوى من العلاقة [صبا] وحاله صبابة، وهو رقة الشوق وحرارته، والصب المحب المشتاق؛ وذلك لانصباب قلبه إلى المحبوب كما ينصب الماء الجاري، والماء ينصب من الجبل، أي : ينحدر . فلما كان في انحداره يتحرك حركة لا يرده شيء سميت حركة الصب [صبابة] ، وهذا يستعمل في المحبة المحمودة والمذمومة .

ومنه الحديث : إن أبا عبيدة ـ رضي الله عنه ـ لما أرسله النبي صلى الله عليه وسلم في سرية بكى صبابة وشوقا إلى النبي صلى الله عليه وسلم . والصبابة والصب متفقان في الاشتقاق الأكبر . والعرب تعاقب بين الحرف المعتل والحرف المضعف كما يقولون : تقضى البازي وتقضض، وصبا يصبو : معناه : مال، وسمي الصبي صبيا؛ لسرعة ميله . قال الجوهري : والصبي ـ أيضا ـ من الشوق، يقال منه : تصابي، وصبا يصبو صبوة وصبوا، أي : مال إلى الجهل **والفتوة**، وأصبته الجارية . وقد يستعمل هذا في الميل المحمود على قراءة من قرأ : ﴿ إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابين﴾ بلا همزة في قراءة نافع، فإنه لا يهمز ﴿ الصابئين﴾ في جميع القرآن . وبعضهم قد حمده الله ـ تعالى ـ وكذلك يقال : حن إليه حنينا، ومنه : حنه في الاشتقاق الأكبر يحنو عليه حنوا . قال الجوهري : حنوت عليه عطفت عليه، ويحني عليه، أي : يعطف، مثل تحنن، كما قال الشاعر :

تحنى عليك النفس من لاعج الهوى فكيف تحنيها وأنت تهينها ؟." (٢)

"...٢٥٩ – أحدهما: هو موافق لسائر الأئمة الذين يمنعون أن يقسم أحد بالمخلوق، فإنه إذا منع أن يقسم على مخلوق بمخلوق، فَلأنْ يمنع أن يقسم على الخالق بمخلوق أولى وأحرى.

....٢٦٠ – وهذا بخلاف إقسامه سبحانه بمخلوقاته كالليل إذا يغشى، والنهار إذا تجلى، والشمس وضحاها، والنازعات غرقا، والصافات صفا.

...٢٦١ – فإن إقسامه بمخلوقاته يتضمن من ذكر آياته الدالة على قدرته وحكمته ووحدانيته ما يحسن معه إقسامه، بخلاف المخلوق فإن إقسامه بالمخلوقات شرك بخالقها كما في السنن(١٨٧) عن النبي (أنه قال:

---

(١) ديوان ابن زيدون، ١ ص/١٠٧

(٢) شرح حديث النزول، ١ /٣٠٥

...٢٦٢ – "من حلف بغير الله فقد أشرك" وقد صححه الترمذي وغيره، وفي لفظ "فقد كفر" وقد صححه الحاكم.

...٢٦٣ – وقد ثبت عنه في الصحيحين(١٨٨) أنه قال: "من كان حالفاً فليحلف بالله أو ليصمت" وقال: "لا تحلفوا إلا بالله"(١٨٩).

...وقال: "لا تحلفوا بآبائكم فإن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم"(١٩٠).

...٢٦٤ – وفي الصحيحين(١٩١) عنه أنه قال: "من حلف باللات والعُزَّى فليقل: لا إله إلا الله".

...٢٦٥ – وقد اتفق المسلمون على أنه من حلف بالمخلوقات المحترمة أو بما يعتقد هو حرمته كالعرش والكرسي والكعبة والمسجد الحرام والمسجد الأقصى ومسجد النبي (والملائكة والصالحين والملوك وسيوف المجاهدين وترب الأنبياء والصالحين وأيمان السذق(١٩٢) وسراويل الفتوة وغير ذلك لا ينعقد يمينه ولا كفارة في الحلف بذلك.

...٢٦٦ – والحلف بالمخلوقات حرام عند الجمهور(١٩٣) وهو مذهب أبي حنيفة، وأحد القولين في مذهب الشافعي وأحمد. وقد حكي إجماع الصحابة على ذلك.

...وقيل: هي مكروهة كراهة تنزيه.

...٢٦٧ – والأول أصح حتى قال عبد الله بن مسعود وعبد الله(١٩٤) ابن عباس وعبد الله بن عمر: لأن أحلف بالله كاذباً أحب إليَّ من أن أحلف بغير الله صادقاً. وذلك لأن الحلف بغير الله شرك، والشرك أعظم من الكذب.

...٢٦٨ – وإنما يعرف النزاع في الحلف بالأنبياء، فعن أحمد في الحلف بالنبي (روايتان:." [1]

"البحر : كامل تام (ووَطِئتُ أرْدِيَةَ الفُتُوَّةِ كُلَّها ** وفضضت خاتَمَ طِينها المَخْتُوما) (وصحوت إلاَّ من لقاء محدثٍ ** حسنِ الحديثِ يزيدني تعليما) (إن الوَقَارَ وما تَرَى بمَفَارِقِي ** صَرَفَ الغَوَايَةَ فَانْصَرَفْتُ كريما) ٤ (وحَلُمْتُ بعد جهَالةٍ فهجَرتَنِي ** غَضَباً عليَّ بأنْ رَجعْتُ حَلِيما)

." [2]

"كان ابن تيمية من الصغر في عناية الله عز وجل وفي رعايته ، فلا تعلم له صبوة ، ولا تحفظ له عثرة ، لم تنقل له زلة ؛ لأنه عاش في بيت إمامه وعلم وصيانة وديانة ، فقد رباه أبوه المفتي الحافظ عبدا لحليم ، وكان أعمامه أيضاً من أهل الولاية لله عز وجل ، فنشأ بين بيته الطاهر العفيف ، وبيت الله العامر المبارك ، وحفظ كتاب من الصغر ، وتعلم السنة وأخذ الآداب الإسلامية من أهل العلم ، وحفظه الله – الحافظ – عن تهور الشباب ، وطيش الفتوة ، ونزق الصبا ، فعاش عفيفاً ديناً مقتصداً صيناً رزيناً عاقلاً محافظاً على الفرائض ، معتنياً بالسنن ، كثير الأذكار والأوراد ،بعيداً عن اللهو وعن البذخ والسرف واللعب وكل ما يشين الرجال ، وكل ما يخدش المروءة ، وكل ما يذهب الوقار ؛ فصار محل العناية من الأكابر ، حتى كان يعرف إذا مر فيقال هذا ابن تيمية ؛ لاشتهاره بين أقرانه بالجد والمثابرة وحب العلم والبراعة في التحصيل

---

(١) قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة، ١ ص/٨٤

(٢) ديوان بشار بن برد، ١ ص/١٠٤٢

، وسرعة الحفظ والذكاء ، وجودة الخاطر وسيلان الذهن وقوة المعرفة – رحمه الله –

جده في التحصيل

نقل المؤرخون وأهل السير أن ابن تيمية كان منشغلاً في كل أوقاته بتحصيل العلم ما بين قراءة وتكرار وحفظ ومذاكره واستنباط وكتابة وتأليف وتعليق ، فلا تراه إلا منكباً على كتاب أو جالساً بين يدي شيخ ، أو مذاكراً للطلاب، أو مطارحاً لأقرانه وزملائه ، فكل أوقاته انشغال من اولها إلى آخرها ، إلا ما كان فيه وقت مباح كنومٍ أو طعامٍ أو نحو ذلك ، حتى إنه لم يتزوج – رحمه الله – لانشغاله بالعلم والجهاد ونشر الخير في الناس ، ولم يتول أي ولاية ولا مشيخة ولا دار حديث ولا منصب دنيوي ، ولم يتشاغل بالمال ، ولم يذهب." (١)

""""""""" صفحة رقم ٢٠٥ """""""

ربوع فضل يضاهي التبر تربتها . . . ودار أنس يحاكي الدر حصباها

عدا على جيرة حلوا بساحتها . . . صرف الزمان فأبلاهم وأبلاها

بدور تم غمام الموت جللها . . . شموس فضل سحاب الترب غشاها

فالمجد يبكي عليها جازعا أسفا . . . والدين يندبها والفضل ينعاها

يا حبذا أزمن في ظلهم سلفت . . . ما كان أقصرها عمرا وأحلاها

أوقات أنس قضيناها فما ذكرت . . . إلا وقطع فلب الصب ذكراها

ياسادة هجروا واستوطنوا هجرا . . . واها لقلب المعنى بعدكم واها

رعيا لليلات وصل بالحمى سلفت . . . سقيا لأيامنا بالخيف سقياها

لعقدكم شق جيب المجد وانصدعت . . . أركانه وبكم ما كان أفواها

وحر من شامخات العلم أرفعها . . . وانهد من باذخها الحلم أرساها

يا ثاويا بالمصلى من قرى هجر . . . كسيت من حلل الرضوان أرضاها

أقمت يا بحر بالبحرين فاجتمعت . . . ثلاثة كن أمثالا وأشباها

ثلاثة أنت أسداها وأغرزها . . . جودا وأعذبها طمعا وأحلاها

حويت من دررر الحلياء ما حويا . . . لكن درك أعلاها وأغلاها

يا أخمصا وطئت هامن السهمى شرفا . . . شقاك من ديم الوسمى أسماها

ويا ضريحا علا فوق السماك علا . . . عليك من ثصلوات الله أزكاها

بك أنطوى من شموس الفضل آخرها . . . ومن معالم دين الله أسناها

ومن شوامخ أطواد الفتوة أرساها . . . وأرفعها قدرا وأنهاها

فاسحب على الفلك العلوي دبل علا . . . فقد حويت من العلياء أعلاها

---

(١) على ساحل ابن تيمية، ١ ص/٤

عليك مني سلام الله ما صدحت . . . على غصون أراك الدوح ورقاها

تولى ابن البراج قضاء طرابلس عشرين سنة أو ثلاثين . وكان للشيخ أبي جعفر الطوسي أيام قرائته على السيد المرتضى كل شهر إثني عشر دينارا ، ولابن البراج كل شهر ثمانية دنانير ، وكان السيد المرتضى يجري على تلامذته ، وكان قدس الله روحه يدرس في." (١)

""""""""" صفحة رقم ١٦ """""""

الصلاح وفيه تورية :

رب فلاح مليح . . . قال يا أهل الفتوة

كفلي أضعف خصري . . . فأعينوني بقوة

ولآخر فيه

يا عاشقين حاذروا . . . مبتسما من ثغره

فطرفة الساحر مذ . . . شككتم في أمره

يريد أن يخرجكم . . . من أرضكم بسحره

عبد الله بن المعتز

ضعيفة أجفانه . . . والقلب منه حجر

كأنما أجفانه . . . من فعله تعتذر

الصلاح وفيه تورية

أضحى يقول عذاره . . . هل فيكم لي عاذر

الورد ضاع بخده . . . وأنا عليه دائر

وله كذلك

وصاحب لما أتاه الغنى . . . تاه ونفس المرء طماحة

وقيل قد أبصرت منه يدا . . . لشكرها قلت ولا راحة

وله في المجون كذا

كم من مليح صغير . . . على المعنى تعسر

وما تيسر منه . . . وصل إلى أن تعذر سمع أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه رجلا يتكلم بما لا يعنيه ، فقال له : يا هذا إنما تملي على كاتبيك كتابا إلى ربك .

قال أفلاطون إذا أردت أن يطيب عيشك فارض من الناس بقولهم إنك مجنون بدل قولهم إنك عاقل .

دخل أبو حازم على عمر بن عبد العزيز فقال له عمر : عظني ، فقال : اضطجع ثم اجعل الموت عند رأسك ؛ ثم انظر ما

---

(١) الكشكول . موافق للمطبوع، ١/ ٢٠٥

تحب أن يكون فيك في تلك الساعة فخذ به الآن ، وما تكره أن يكون فيك تلك الساعة فدعه الآن ، فلعل الساعة قريب .

دخل صالح بن بشر الزاهد على المهدي فقال له : عظني ؛ فقال له : أليس جلس هذا المجلس أبوك وعمك قبلك ؟ قال : بلى قال : أكانت لهم أعمال ترجو لهم النجاة بها وأعمال يخاف عليهم الهلكة منها ، قال : نعم ، قال : فأنظر فما رجوت لهم فيه فآته ، وما خفت عليهم فاجتنبه .

أتى عبد الله بن مسلم إلى الرشيد فهم بقتله فقال له عبد الله : أسألك بالذي أنت بين يديه أذل مني بين يديك ؛ والذي هو أقدر على عقابك منك على عقابي إلا عفوت عني فعفى عنه .

قوله تعالى : ' ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح ' ليس دالا على أن الكواكب مركوزة في فلك القمر بل على أن فلك القمر مزين بها وهو كذلك ؛ لشفافة الأفلاك وكذا قوله." (١)

"عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "لا تلبسوا الحرير، ولا الديباج، ولا تشربوا في آنية الذهب والفضة، ولا تأكلوا في صحافهما، فإنها لهم في الدنيا ولكم في الآخرة".

المعنى الإجمالي:

نهى النبي صلى الله عليه وسلم الرجال عن لبس الحرير والديباج، لما في لبسهما- للذكر- من الميوعة والتأنث، والتشبه بالنساء الناعمات المترفات.

والرجل يطلب منه الخشونة، والقوة، **والفتوة**.

كما نهى كلا من الرجال والنساء عن الأكل والشرب في صحاف الذهب والفضة وآنيتهما، لما في ذلك من السرف، والفخر، والخيلاء، وكسر قلوب الفقراء الذين لا يجدون رخيص النقد لقضاء الضروري من حاجاتهم، ولما فيه من تضييق النقدين على المتعاملين.

وكما قال صلى الله عليه وسلم: إن الأكل فيهما في الدنيا للكفار الذين تعجلوا طيباتهم في حياتهم الدنيا. واستمتعوا بها.

وهي لكم- أيها المسلمون خالصة- يوم القيامة إذا اجتنبتموها خوفا من الله تعالى وطمعا فيما عنده.

كما أن من لبس الحرير من الرجال في الدنيا، فقد تعجل متعته، ولذا فإنه لن يلبسه في الآخرة.

(ومن تعجل شيئا قبل أوانه عوقب بحرمانه) والله شديد العقاب.

ما يستفاد من الحديثين:

١- تحريم لبس الحرير والديباج على الذكور، والوعيد الشديد على من لبسه.

٢- يباح للنساء لبسه، لكونهن في حاجة إلى الزينة للأزواج. وحله للنساء، وتحريمه على الرجال، بإجماع العلماء.

---

(١) الكشكول . موافق للمطبوع، ١ ٢/ ١٦

٣- تحريم الأكل والشرب في صحاف الذهب والفضة وآنيتهما، للذكور والإناث، لكونهما للكفار في الدنيا، وللمسلمين في الآخرة، ولما ذكرنا من العلل في الشرح.." (١)

"وإجابة من دعاك لأن في ذلك تقريبا بين القلوب، وتصفية النفوس، وفي ا لامتناع، الوحشة، والتنافر.

فإن كانت الدعوة لزواج، فالإجابة واجبة، وإن كانت لغيره، فمستحبة.

وإفشاء السلام، وهو إعلانه وإظهاره لكل أحد، وهو أداء للسنة، ودعاء للمسلمين من بعضهم لبعض، وسبب لجلب المودة.

فقد جاء في الحديث "ألا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم".

أما الأشياء التي نهى عنها في هذا الحديث، فالتختم بخواتم الذهب للرجال، لما فيه من التأنث والميوعة، وانتفاء الرجولة التي سيماها الخشونة.

وعن الشرب بآنية الفضة، لما فيه من السرف والبطر، وإذا منع الشرب مع الحاجة إليه فسائر الاستعمالات أولى بالمنع والتحريم.

وعن المياثر، والقسي، والحرير، والديباج، والإستبرق، وأنواع الحرير على الرجال.

فإنها تدعو إلى اللين والترف اللذين هما سبب العطالة والدعة.

والرجل يطلب منه النشاط والصلابة **والفتوة**، ليكون دائما مستعدا للقيام بواجب الدفاع عن دينه وحرمه ووطنه.

ما يستفاد من الحديث:

١- استحباب عيادة المريض وتجب إذا كان يجب بره. كالوالدين، أو كان يترتب على تركه مفسدة.

٢- استحباب اتباع الجنائز للصلاة عليها ودفنها، وهو فرض كفاية: يسقط مع قيام من يكفى، وإلا أثم من علم بحاله وقدر عليه فتركه.

ومن تبعها حتى يصلى عليها فله قيراط من الأجر، ومن شهدها حتى تدفن فله قيراطان.

تشميت العاطس إذا حمد الله بقوله: (ورحمك الله) وهو واجب إلى نهاية ثلاث مرات، وبعدهن يدعو له بالشفاء.

٤- إبرار قسم المقسم، وهو من مستحب، لما فيه من جبر القلب وإجابة طلبه في غير إثم.

٥- وفيه وجوب نصر المظلوم بقدر استطاعته، لأنه من النهي عن المنكر. وفيه رد للشر، وإعانة المظلوم، وكف الظالم.

٦- إجابة الدعوة. فإن كانت لعرس وجبت الإجابة إن لم يكن ثم منكر لا يقدر على إزالته وإن كانت لغيره من الدعوات المباحة استحبت.." (٢)

"خليلان الأموي يغني لأمير البصرة

---

(١) تيسر العلام شرح عمدة الأحكام، ا ١٩٨/٢

(٢) تيسر العلام شرح عمدة الأحكام، ا ٢٠٢/٢

وحدثني عبد الصمد بن المعذل، قال: كان خليلان١ الأموي يتغنى، ويرى ذاك زائدا في الفتوة. وكان خليلان شريفا وذا نعمة واسعة، فحضر يوما منزل عقبة بن سلم الهنائي وهو أمر البصرة، وكان عاتيا جبارا، فلما طعما وخلوا نظر خليلان إلى عود موضوعس في جانب البيت، فعلم أنه عرض له به، فأخذه فتغنى:

_

١ خليلان، كان يعرف به خليل بن عمرو، مولى بني عامر بن لؤى، كان يؤدب الصبيان ويعلم الجوارى الغناء في موضع واحد. "رغبة الآمل".." (١)

"وعلى قدر إحسان المرء إلى اللئيم تكون إساءة اللئيم إليه، كما قال معن بن أوس متوجعًا من لئيم:

أعلمه الرماية كل يوم ... فلما استد (١) ساعده رماني!

أعلمه الفتوة كل وقت ... فلما طر شاربه جفاني!!

وكم علمته نظم القوافي فلما قال قافية هجاني!!!

ولله در أبي الطيب المتنبي إذ يقول:

إذا أنت أكرمت الكريم ملكته ... وإن أنت أكرمت اللئيم تمردا

ووضع الندى في موضع السيف بالعُلا ... مُضِرٌّ كوضع السيف في موضع النَّدَى

وفي بعض الشعر التركي أو الفرنسي الذي ترجمه أمير الشعراء أحمد شوقي:

إن كنتَ ذا فضل فكُ ... نْهُ على ذكيٍّ أو كريم

فالفضلُ يَنْسَاهُ الغَ ... بيُّ وليس يحفظه اللئيم

السادسة: الصدق

فلا تصحب كذابًا فإنك منه على غرور، فإنه مثل السراب يقرب منك البعيد ويبعد منك القريب.

ولعلك تعدم اجتماع هذه الخصال في سكان المدارس والمساجد، فعليك بأحد أمرين: إما العزلة والانفراد ففيها سلامتك، وإما أن تكون مخالطتك مع شركائك بقدر خصالهم، وذلك بأن تعلم أن الإخوةَ ثلاثة:

١ - أخ لآخرتك: فلا تراع فيه إلا الدين.

٢ - وأخ لدنياك: فلا تراع فيه إلا الخلق الحسن.

٣ - وأخ لتأنس به: فلا تراع فيه إلا السلامة من شره وفتنته وخبثه.

والناسَ ثلاثة:

أحدهم: مثله مثل الغذاء لا يستغنى عنه.

والآخر: مثله مثل الدواء يحتاج إليه في وقت دون وقت.

والثالث: مثله مثل الداء لا يحتاج إليه قط، ولكن العبد قد يُبتلى به، وهو الذي لا أنس فيه ولا نفع، فتجب مداراته إلى

(١) الكامل في اللغة والأدب، ١ /١٩٠

الخلاص منه، وفي مشاهدته فائدة

---

(١) استد – بالسين المهملة: أي: استقام. ومَن رواه بالشين المعجمة فقد أخطأ؛ قال الإمام العلامة عبد الملك بن قُريب الأصمعي [المتوفى سنة ست عشرة ومائتين] (رحمه الله): ((اشتد بالشين ليس بشيء)). نقله الجوهري (رحمه الله) في "الصحاح".." [١]

"أي ما يجب له عليها ويستحقه منها (قال الله تعالى): (﴿الرجال قوامون على النساء﴾) يقومون عليهن قيام الولاة على الرعية، وعلل ذلك بأمرين: وهما قوله: (﴿بما فضل الله بعضهم على بعض﴾) أي بسبب تفضيله بالرجال على النساء بكمال العقل وحسن التدبير ومزيد القوة في الأعمال والطاعات، ولذلك خصوا **بالفتوة** والإمامة والولاية وإقامة الشعائر والشهادة في مجامع القضايا ووجوب الجهاد والجمعة ونحوها والتعصيب وزيادة السهم في الميراث والاستبداد بالفراق. وبأمر كسبي هو قوله: (﴿وبما أنفقوا من أموالهم﴾) في نكاحهن كالمهر والنفقة. ثم قسم الله النساء قسمين فقال: (﴿فالصالحات قانتات﴾) مطيعات قائمات بحقوق الأزواج (﴿حافظات للغيب﴾) لمواجب الغيب: أي يحفظن في غيبة الأزواج ما يجب حفظه في النفس والمال، وقيل للأسرار (﴿بما حفظ ا﴾) أي بحفظ الله إياهن بالأمر على حفظ الغيب والحث عليه بالوعد والوعيد والتوفيق له، أوبالذي حفظه الله لهن عليهم من المهر والنفقة والقيام بحفظهن والذب عنهن. قال السفاقسي: قراءة الجمهور برفع الجلالة وما مصدرية: أي يحفظ الله إياهن وجوز كون ما موصولا اسميا محذوف العائد: أي بما حفظهالله، وأجاز أبو البقاء أن تكون نكرة موصوفة والعائد محذوف، وقرأ أبو جعفر بنصب الجلالة فما بمعنى الذي، وفي حفظ ضمير يعود عليها: أي بالبر الذي حفظ حق الله من التعفف وغيره، وقدره ابن جني بما حفظ حدود الله والمضاف متعين لأن الذات المقدسة لا ينسب حفظها إلى أحد وفيه حذف الضمير من حفظ: أي بحفظهن وهو قبيح لا يجوز إلا في الشعر، والأحسن أن لا يقال حذف الضمير بل عاد عليهن مفردا ملاحظة للجنس، فكأن الصالحات في معنى من صلح، وإنما أدى إلى هذه الشذوذ في هذه القراءة توجيهها على أن ما موصولة، أما إذا جعلناها مصدرية كما تقدم فلا اهـ.
(وأما الأحاديث) النبوية (فمنها حديث عمرو بن الأحوص السابق) بالرفع (في الباب قبله).
(٤٠٣/٢)." [٢]

"أي ما يجب له عليها ويستحقه منها (قال الله تعالى): (﴿الرجال قوامون على النساء﴾) يقومون عليهن قيام الولاة على الرعية، وعلل ذلك بأمرين: وهما قوله: (﴿بما فضل الله بعضهم على بعض﴾) أي بسبب تفضيله بالرجال على النساء بكمال العقل وحسن التدبير ومزيد القوة في الأعمال والطاعات، ولذلك خصوا **بالفتوة** والإمامة والولاية وإقامة الشعائر والشهادة في مجامع القضايا ووجوب الجهاد والجمعة ونحوها والتعصيب وزيادة السهم في الميراث والاستبداد بالفراق. وبأمر كسبي هو قوله: (﴿وبما أنفقوا من أموالهم﴾) في نكاحهن كالمهر والنفقة. ثم قسم الله النساء قسمين فقال: (﴿فالصالحات

---

(١) بلوغ الغاية من تهذيب بداية الهداية، ا ص/١١٨

(٢) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين لـ ابن علان الصديقى، ا ٤٦/١

قانتات﴾) مطيعات قائمات بحقوق الأزواج (﴿حافظات للغيب﴾) لمواجب الغيب: أي يحفظن في غيبة الأزواج ما يجب حفظه في النفس والمال، وقيل للأسرار (﴿بما حفظ ا﴾) أي بحفظ الله إياهن بالأمر على حفظ الغيب والحث عليه بالوعد والوعيد والتوفيق له، أوبالذي حفظه الله لهن عليهم من المهر والنفقة والقيام بحفظهن والذب عنهن. قال السفاقسي: قراءة الجمهور برفع الجلالة وما مصدرية: أي بحفظ الله إياهن وجوز كون ما موصولا اسميا محذوف العائد: أي بما حفظهالله، وأجاز أبو البقاء أن تكون نكرة موصوفة والعائد محذوف، وقرأ أبو جعفر بنصب الجلالة فما بمعنى الذي، وفي حفظ ضمير يعود عليها: أي بالبر الذي حفظ حق الله من التعفف وغيره، وقدره ابن جني بما حفظ حدود الله والمضاف متعين لأن الذات المقدسة لا ينسب حفظها إلى أحد وفيه حذف الضمير من حفظ: أي بحفظهن وهو قبيح لا يجوز إلا في الشعر، والأحسن أن لا يقال حذف الضمير بل عاد عليهن مفردا ملاحظة للجنس، فكأن الصالحات في معنى من صلح، وإنما أدى إلى هذه الشذوذ في هذه القراءة توجيهها على أن ما موصولة، أما إذا جعلناها مصدرية كما تقدم فلا اهـ.
(وأما الأحاديث) النبوية (فمنها حديث عمرو بن الأحوص السابق) بالرفع (في الباب قبله).." (١)

"وكان أبو سليمان يحدثني عن ابن سيار بعجائب، وأما أنا فما عرفته إلا قاضياً جليلاً، صاحب جد وتفخيم وتوقير وتعظيم، وكان مع ذلك بسيط اللسان، شريف اللفظ، واسع التصرف، لطيف المعاني، بعيد المرامي، يذهب مذهب أبي حنيفة.

ثم قال أبو سليمان: الصداقة التي تدور بين الرغبة والرهبة شديدة الاستحالة، وصاحبها من صاحبه في غرور، والزلة فيها غير مأمونة، وكسرها غير مجبور.

قال: فأما الملوك فقد جلوا عن الصداقة، ولذلك لا تصح لهم أحكامها، ولا توفي بعهودها، وإنما أمورهم جارية على القدرة، والقهر، والهوى، والشائق، والاستحلاء، والاستخفاف، وأما خدمهم وأولياؤهم فعلى غاية الشبه بهم، ونهاية المشاكلة لهم، لانتشابهم بهم، وانتسابهم إليهم، وولوع طورهم بما يصدر عنهم، ويرد عليهم.

وأما التناء وأصحاب الضياع، فليسوا من هذا الحديث في عير ولا نفير.

وأما التجار فكسب الدوانيق سد بينهم وبين كل مروءة، وحاجز لهم عن كل ما يتعلق **بالفتوة.**

وأما أصحاب الدين والورع فعلى قلتهم فربما خلصت لهم الصداقة لبنائهم إياها على التقوى، وتأسيسها على أحكام الحرج، وطلب سلامة العقبي.

وأما الكتاب وأهل العلم فإنهم إذا خلوا من التنافس، والتحاسد، والتماري، والتماحك فربما صحت لهم الصداقة، وظهر منهم الوفاء، وذلك قليل، وهذا القليل من الأصل القليل.

وأما أصحاب المذاب والتطفيف فإنهم رجرجة بين الناس، لا محاسن لهم فتذكر، ولا مخازي فتنشر، ولذلك قيل لهم همج، ورعاع، وأوباش، وأوناش، ولفيف، وزعانف، وداصة، وسقاط، وأنذال، وغوغاء، لأنهم من دقة الهمم، وخساسة النفوس، ولؤم الطبائع على حال لا يجوز معها أن يكونوا في حومة المذكورين، وعصابة المشهورين، فلهذه الأمور الحائلة عن مقارها،

---

(١) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ا ٤٠٣/٢

الزائغة إلى غير جهاتها علل وأسباب لو نفس الزمان قليلاً لكنا ننشط لشرحها، وذكر ما قد أتى النسيان عليه، وعفى أثره الإهمال، وشغل عنه طلب القوت، ومن أين يظفر بالغداء، وإن كان عاجزاً عن الحاجة، وبالعشاء وإن كان قاصراً عن الكفاية، وكيف يحتال في حصول طمرين للستر لا للتجمل، وكيف يهرب من الشر المقبل، وكيف يهرول وراء الخير المدبر، وكيف يستعان بمن لا يعين، ويشتكى إلى غير رحيم، ولكن حال الجريض دون القريض، ومن العجب والبديع أنا كتبنا هذه الحروف على ما في النفس من الحرق، والأسف، والحسرة، والغيظ، والكمد، والومد، وكأني بغيرك إذا قرأها تقبضت نفسه عنه، وأمرس نقده عليها، وأنكر علي التطويل والتهويل بها. وإنما أشرت بهذا إلى غيرك لأنك تبسط من العذر ما لا يجود به سواك، وذاك لعلمك بحالي، وأطلاعك على دخلتي، واستمراري على هذا الأنقاض والعوز اللذين قد نقضا قوتي، ونكثا مرتي، وأفسدا حياتي، وقرناني بالأسى، وحجباني عن الأسى، لأني فقدت كل مؤنس، وصاحب، ومرفق، ومشفق، والله! لربما صليت في الجامع فلا أرى إلى جنبي من يصلي معي، فإن اتفق فبقال، أو عصار، أو نداف، أو قصاب، ومن إذا وقف إلى جانبي أسدرني بصنانه، وأسكرني بنتنه، فقد أمسيت غريب الحال، غريب اللفظ، غريب النحلة، غريب الخلق، مستأنساً بالوحشة، قانعاً بالوحدة، معتاداً للصمت، مجتنفاً على الحيرة، محتملاً الأذى، يائساً من جميع من ترى، متوقعاً لما لابد من حلوله، فشمس العمر على شفا، وماء الحياة إلى نضوب، ونجم العيش إلى أفول، وظل التلبث إلى قلوص.

وفي تمجيد الصمت مر بي كلام لبعض الحكماء القدماء أنا أرويه لك ههنا لا لأجدد به عليك ما ليس عندك، ولكن لأذكرك، فإن الإذكار بالخبر بعث على الاهتمام به، والبعث عليه سلوك لطريقه.

قال هذا الحكيم: لو لم يكن للصامت في صمته إلا الكفاية لأن يتكلم، فحكي عنه محرفاً، فيضطر إلى أن يقول: ليس هكذا قلت، وإنما قلت كذا وكذا، فيكون إنكاره إقراراً، ويكون اعترافه بأصل ما حكي عنه شاهداً لمن وشى به، وادعاؤه التحريف غير مقبول منه بلا بينة يأتي بها، لكان ذلك من أكبر فضائل الصمت، وأدع هذا وأقول:." (١)

"كان بعض السلف يقول في دعائه: اللهم احفظني من أصدقائي، فسئل عن ذلك فقال: إني أحفظ نفسي من أعدائي. قال أبو سليمان: إن كانوا عندك أصدقاء فما أقر عينك بهم لأنك محفوظ فيهم، وإن كانوا غير أصدقاء فما وجه فكرك فيهم.

وقال الشاعر:

تود عدوي ثم تزعم أنني ... صديقك، ليس النوك عنك بعازب

وليس أخي من ودني رأي عينه ... ولكن أخي من ودني في المغائب

ومن ماله مالي إذا كنت معدماً ... ومالي له إن عض دهر بغارب

فما أنت إلا كيف أنت ومرحباً ... وبالبيض رواغ كروغ الثعالب

قيل لبزرجمهر: ما بال معاداة الصديق أقرب مأخذاً من مصادقة العدو؟ قال: لأن إنفاق المال أهون من كسبه، وهدم البناء أسهل من رفعه، وكسر الإناء أيسر من إصلاحه.

---

(١) الصداقة والصديق، ١ ص/٢

قال أبو سليمان: لم يعمل شيئاً في الجواب لأنه ماثل مسألة السائل بمسألة مثلها، فلو سأله السائل عن هذه كلها ما كان جوابه، ثم أجاب هو بكلام لا يدخل في هذه الرسالة لأنه من الفلسفة التي هي موقوفة على أصحابها لا نزاحمهم عليها، ولا نماريهم فيها.

وقال الشاعر:

إذا المرء لم يطلب معاشاً لنفسه ... شكا الفقر أو لام الصديق فأكثرا

قال معاوية: المودة بين السلف ميراث بين الخلف.

قال أبو العتاهية: قلت لعلي بن الهيثم: ما يجب للصديق؟ قال: ثلاث خلال: كتمان حديث الخلوة، والمواساة عند الشدة، وإقالة العثرة.

قال عبد الملك بن صالح: مشاهدة الإخوان أحسن من إقبال الزمان، وألذ من نيل الأمان، وأحلى من رضا السلطان.

وقال بزرجمهر: الإخوان كالسلاح، فمنهم من يجب ان يكون كالرمح يطعن به من بعيد، ومنهم كالسهم يرمى به ولا يعود إليك، ومنهم كالسيف الذي لا ينبغي أن يفارقك.

شاعر:

وأبثثت عمراً بعض ما في جوانحي ... وجرعته من مر ما أتجرع

ولابد من شكوى إلى ذي حفيظة ... إذا جعلت أسرار نفس تطلع

وسمعت أبا عثمان أحد الخالديين يحكي أن عياراً سمع رجلاً يقول: إذا عز أخحوك فهن، فقال للقائل: أخطأت، إذا عز أخوك فأهن شأنه وأنا أقول: لو كان هذا الحكم من رجل نبيه له في الحكمة قدم، وفي الفضل قدم، لتأوله متأول على وجه بعيد أو قريب، ولكنه روى عن عيار، وهذا الرهط ليس لأحد فيهم أسوة، ولا هم لأحد قدوة، لغلبة الباطل عليهم، وبعد الحق عنهم، ولأن الدين لا يلتاط بهم، **والفتوة** التي يدعونها بالاسم لا يحلون بها في الحقيقة، وكيف تصح **الفتوة** إذا خالفها الدين، وكيف يستقر الدين إذا فارقته **الفتوة**، الدين تكاليف من الله تعالى، **والفتوة** أخلاق بين الناس، ولا خلق إلا ما هذبه الدين، ولا دين إلا ما هذبه الخلق، على أن ابن المعتز أبا العباس قال: لست لمن خاشنني ألين، ولا إذا عز أخي أهون، ولعل هذا مسلم لأبي العباس لسموق رتبته، وشرف نسبه، ومستفيض أدبه وكرمه، وبعد فالصراخ ممن يظن به أنه صديق ثم يخرج في مسك عدو قديم، والتشكي منه مردد، وليس إلا الصبر والإغضاء، ودفع الوقت، وطرح الأذى عن الفكر، وأنا أقول هذا لأني نظرت في حال الإنسان، وصوبت طرفي فيه وصعدت، وحسبت ماله وما عليه وحصلت، وأجملت ما به وفيه وفصلت، فلم أجد له شيئاً خيراً من الصبر، فيه يقاوم المكروه، وتستدفع، البلية، وبه يؤدى شكر النعمة، وما أحلى ما أشار إليه الشاعر حين قال:

إن الزمان على اختلاف مروره ... ما زال يخلط حزنه بسروره

لم يصف عيشاً منذ كان لمعشر ... إلا وعاد يجد في تكديره

فالعاقل النحرير يلزم نفسه ... صبراً عليه في جميع أموره

وأحق ما صبر امرؤ من أجله ... ما لا سبيل له إلى تغييره

وحكى العلماء أن رجلاً كتب على باب داره: جزى الله من لم نعرفه ولم يعرفنا خيراً. فإننا ما أتينا في نكبتنا هذه إلا من المعارف، وقد قال الآخر:

كفاني الله شرك يا ابن عمي ... فأما الخير منك فقد كفاني

نظرت فلم أجد أشفى لغيظي ... من أني لا أراك ولا تراني

ولقد قلت لابن أبي كانون: لم لا تخالط أصحاب ابن الرازي فأنشد:

إن السلامة من سلمى وجارتها ... أن لا تمر بواديها على حال." (١)

"وإذا أردت الحق علمت أن الصداقة، والألفة، والأخوة، والمودة، والرعاية، والمحافظة قد نبذت نبذاً، ورفضت رفضاً، ووطئت بالأقدام، ولويت دونها الشفاه، وصرفت عنها الرغبات.

ولما غنى علويه المأمون قول الشاعر:

وإني لمشتاق إلى ظل صاحب ... يرق ويصفو إن كدرت عليه

عذيري من الإنسان لا إن جفوته ... صفا لي ولا إن صرت طوع يديه

استعاده المأمون مرات ثم قال: هات يا علويه هذا الصاحب، وخذ الخلافة، قد صرنا، ولله الحمد نرضى اليوم من الصاحب، والجار، والمعامل، والتابع، والمتبوع أن يكون فضلهم غامراً لنقصهم، وخيرهم زائداً على شرهم، وعدلهم أرجح من ظلمهم، وأنهم إن لم يبذلوا الخير كله لم يستقصوا الشر كله، بل قد رضينا بدون هذا، وهو أن نهب خيرهم لشرهم، وإحسانهم لإساءتهم، وعدلهم لجورهم، فلا نفرح بهذا، ولا نحزن لذاك، ونخرج بعد اللتيا والتي بالكفاف والعفاف!.

أخبرنا ابن مقسم النحوي، أخبرنا ثعلب عن أبي زيد عمر بن شيبة قال: قال مطيع بن إياس في صديق كان له يصفه بالنميمة:

إن مما يزيدني فيك زهداً ... أنني لا أراك تصدق حرفا

لا ولا تكتم الحديث ولا تن ... طق جداً ولا تمازح ظرفاً

وإذا منصف أرادك للنص ... ف أبيت الوفاء وازددت خلفا

وإذا قال عارفاً قلت سوءاً ... وإذا قال منكراً قلت عرفا

وأنشد ابن الأعرابي فيما روى ابن مقسم عن ثعلب:

وصلتكم جهدي وزدت على جهدي ... فلم أر فيكم من يدوم على العهد

تأنيتكم جهد الصديق لتقصدوا ... وتأبون إلا أن تحيدوا عن القصد

فإن أمس فيكم زاهداً بعد رغبة ... فبعد اختبار كان في وصلكم زهدي

إذا خنتم بالغيب عهدي فما لكم ... تدلون إدلال المقيم على العهد

---

(١) الصداقة والصديق، ا ص/١٠

صلوا وافعلوا فعل المدل بوصله ... وإلا فصدوا وافعلوا فعل ذي الضد

فكم من نذير كان لي قبل فيكم ... وها أنا ذا فيكم نذيراً لمن بعدي

تعزوا بيأس عن هواي فإنني ... إذا انصرفت نفسي فهيهات من رد

أرى الغدر ضداً للوفاء وإنني ... لأعلم أن الضد ينبو عن الضد

قال لقمان: من يصحب صاحب الصلاح يسلم، ومن يصحب صاحب السوء لا يسلم.

وقال أيضاً: جالس العلماء، وزاحمهم بركبتيك فإن الله يحيي القلوب بنور الحكمة كما يحيي الأرض الميتة بوابل السماء.

قال الفضيل بن عياض: قال لي ابن المبارك: ما أعياني شيء كما أعياني أني لا أجد أخاً في الله قال: فقلت له: لا يهيدنك هذا فقد خبثت السرائر، وتنكرت الظواهر، وفني ميراث النبوة، وفقد ما كان عليه أهل **الفتوة**.

قال بكر بن عبد الله المزني: إذا انقطع شسع نعل صاحبك فلم تقف عليه فلست له بصاحب، وإذا جلس يبول فلم تلبث له فلست له برفيق.

كان عامر بن قيس إذا توجه للغزو توسم الرفاق، فإذا رأى قوماً لهم هدى قال: يا قوم إني أريد أن أصحبكم على ثلاث خلال فيقال له: ما هن؟ قال: أكون خادماً لكم، ومؤذناً بينكم، وأنفق عليكم. فإذا قالوا: نعم صحبهم وإلا تركهم.

قيل لفيلسوف: من أطول الناس سفراً؟ قال: من سافر في طلب صديق.

سمع ابن عطاء رجلاً يقول: أنا في طلب صديق منذ ثلاثين سنة فلا أجده، فقال له: لعلك في طلب صديق تأخذ منه شيئاً، ولو طلبت صديقاً تعطيه شيئاً لوجدت! قال أبو سليمان: هذا كلام ظالم، الصديق لا يراد ليؤخذ منه شيء، أو ليعطي شيئاً، ولكن ليسكن إليه، ويعتمد عليه، ويستأنس به، ويستفاد منه، ويستشار في الملم، وينهض في المهم، ويتزين به إذا حضر، ويتشوق إليه إذا سفر، والأخذ والإعطاء في عرض ذلك جاريان على مذهب الجود والكرم، بلا حسد، ولا نكد، ولا صدد، ولا حدد، ولا تلوم، ولا تلاوم، ولا كلوح، ولا فتوح، ولا تعريض بنكير، ولا نكاية بتغيير.

قيل لأرسطاطاليس الحكيم معلم الإسكندر الملك من الصديق؟ قال: إنسان هو أنت، إلا أنه بالشخص غيرك!." (١)

"قال أبو يعقوب: دخلنا على أبي المطيع القرباني نسأله الحديث فقدم إلينا طعاماً فأمسكنا عنه فقال: يا هؤلاء كانت المواساة بين الإخوان قبلنا بالضياع، والرباع، والبراذين، والمماليك، والدور والبدور، فصارت اليوم إلى هذا وهو مروؤتنا، فإن أمسكتم عن هذا أيضاً ذهب هذا القدر، وماتت سنة السلف فلا تفعلوا، فأقبلنا عليه وأكلنا.

قال بلال بن سعد: أخ لك كلما لقيك ذكرك برؤيته ربك، خير لك من أخ كلما لقيك وضع في كفك ديناراً.

قال يحي بن معاذ: واشوقاه إلى حبيب إذا غضب عفا، وإذا رضي كفى.

قلت لأبي سليمان: هل يلاث ما بين الصديقين، وهل يفضيان إلى هجر، وهل يفزعان إلى عتب؟ فقال: أما ما دامت الصداقة قاصرة عن درجتها القاصية، فقد يعرض هذا كله بينهما، لكنهما يرجعان فيه إلى أس المودة، وإلى شرائط المروءة، وإلى مالا يهتك سجف **الفتوة**، وأما الهجر فإن حدث حدث جميلاً، ولا مستمر لحوافز الشوق إلى المعهود، ومحركات

---

(١) الصداقة والصديق، ١ ص/١١

النفس إلى التلاقي، وأما العتب فربما أصلح ورد الفائت، وشعب الصدع، ولم الشعث، والإكثار منه ربما عرض بالحقد، وأحدث نوعاً من النبو، وقد قيل: وما صافيت من لا تعاتبه، وربما كان العود إلى الصفاء بعد هذا الكدر فوق ما عهداه في الأول. وقال الأول:

أناس أمناهم فنموا حديثنا ... فلما كتمنا السر عنهم تقولوا

ولم يحفظوا الود الذي كان بيننا ... ولا حين هموا بالقطيعة أجملوا

قلت فما الفرق بين الصداقة والعلاقة؟ فقال: الصداقة أذهب في مسالك العقل، وأدخل في باب المروءة، وأبعد من نوازي الشهوة، وأنزه عن آثار الطبيعة، وأشبه بذوي الشيب والكهولة، وأرمى إلى حدود الرشاد، وآخذ بأهداب السداد، وأبعد من عوارض الغرارة والحداثة.

فأما العلاقة فهي من قبل العشق، والمحبة، والكلف، والشغف، والتتيم، والتهيم، والهوى، والصبابة، والتدانف، والتشاجي. وهذه كلها أمراض أو كالأمراض بشركة النفس الضعيفة، والطبيعة القوية، وليس للعقل فيها ظل، ولا شخص، ولهذا تسرع هذه الأعراض إلى الشباب من الذكران والإناث، وتنال منهم، وتملكهم، وتحول بينهم وبين أنوار العقول، وآداء النفوس، وفضائل الأخرق، وفوائد التجارب، ولهذا وأشباهه يحتاجون إلى الزواجر، والمواعظ، ليفيئوا إلى ما فقدوه من اعتدال المزاج، والطريق الوسط. على أن العشق والمحبة وما يحويهما فيهما كلام من نحو آخر. وأنشد أبو عبيدة:

إن كنت لا تصحب إلا فتى ... مثلك لم تقرن بأمثالكا

فأغض عينيك على ما ترى ... فالمسك قد يستصحب الرامكا

يقال: رامك ورامك، سمعته من الحسن بن عبد الله الإمام السيرافي.

عتب ابن ثوابة أبو العباس على سعيد بن حميد في شيء فكتب إليه سعيد:

أقلل عتابك فالزمان قليل ... والدهر يعدل مرة ويميل

لم أبك من زمن ذممت صروفه ... إلا بكيت عليه حين يزول

والمنتمون إلى الإخاء جماعة ... إن حصلوا أفناهم التحصيل

ولكل نائبة ألمت مدة ... ولكل حال أقبلت تحويل

فلئن سبقت لتبكين بحسرة ... وليكثرن علي منك عويل

ولتفجعن بمخلص لك وامق ... حبل الوفاء بحبله موصول

ولئن سبقت، ولا سبقت، ليمضين ... من لا يشاكله لدي عديل

وليذهبن جمال كل مروءة ... وليقفرن فناؤها المأهول

ولذاك نكلف بالعتاب وودنا ... باق عليه من الوفاء دليل

ود بدا لذوي الإخاء صفاؤه ... وبدت عليه بهجة وقبول

ولعل أيام الحياة قصيرة ... فعلام يكثر عتبنا ويطول؟

آخر:

إذا ما أتت من صاحب لك زلة ... فكن أنت محتالا لزلته عذرا

آخر:

البس أخاك على تصنعه ... فلرب مفتضح على النص

ما كدت أفحص عن أخي ثقة ... إلا ذممت عواقب الفحص

آخر:

احذر مودة ماذق ... مزج المرارة بالحلاوه

يحصي الذنوب عليك ... أيام الصداقة للعداوه

سعيد بن حميد:

لقد ساءني أن ليس لي عنك مذهب ... ولا لك في حسن الضيعة مرغب." (١)

"هو حسان بن ثابت بن المنذر الأنصاري، ويكنى أبا الوليد وأبا الحسام، وأمه الفريعة من الخزرج، وهو جاهلي إسلامي متقدم الإسلام، إلا أنه لم يشهد مع النبي صلى الله عليه وسلم مشهداً، لأنه كان جباناً، وكانت له ناصيةٌ يسدلها بين عينيه، وكان يضرب بلسانه روثة أنفه، من طوله، ويقول: ما يسرني به مقول أحد من العرب، والله لو وضعته على شعرٍ لحلقه، أو على صخر لفلقه، وعاش في الجاهلية ستين سنةً وفي الإسلام ستين سنةً، ومات في خلافة معاوية، وعمي في آخر عمره.

قال الأصمعي: الشعر نكدٌ بابه الشر، فإذا دخل في الخير ضعف، هذا حسان بن ثابتٍ فحلٌ من فحول الجاهلية، فلما جاء الإسلام سقط شعره، وقال مرة أخرى: شعر حسان في الجاهلية من أجود الشعر، فقطع متنه في الإسلام، لحال النبي صلى الله عليه وسلم.

وكان حسان يفد على ملوك غسان بالشام، وكان يمدحهم، ومن جيد شعره قوله فيهم:

أَوْلادُ جَفْنَةَ حَوْلَ قَبْرِ أَبِيهِمُ ... قَبْرِ ابْنِ مارِيَةَ الكَرِيمِ المُفْضَلِ

يَسْقُونَ مَنْ وَرَدَ البَرِيصَ عليهِمُ ... بَرَدَى يُصَفَّقُ بالرَّحِيقِ السَّلْسَلِ

يُغْشَوْنَ حَتَّى ما تَهِرُّ كِلاَبُهُمْ ... لا يَسْأَلُونَ عَنِ السَّوَادِ المُقْبِلِ

وابن مارية هو الحرث الأعرج بن أبي شمرٍ الغساني، وكان أثيراً عندهم، ولذلك يقول:

قَدْ أَرَانِى هُنَاكَ حَق مَكِينٍ ... عِنْدَ ذِي التَّاج مَقْعَدِي ومَكَانِي

ولما سار جبلة بن الأيهم إلى بلاد الروم ورد على ملك الروم رسول معاوية، فسأله جبلة عن حسانٍ، فقال له: شيخٌ كبيرٌ قد عمي، فدفع إليه ألف دينار، وقال: ادفعها إلى حسانٍ، قال: فلما قدمت المدينة ودخلت مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم رأيت فيه حسان بن ثابتٍ، فقلت له: صديقك جبلة يقرأ عليك السلام، قال: فهات ما معك، فقلت: يا أبا الوليد كيف علمت؟ قال: ما جاءتني منه رسالةٌ قط إلا ومعها شيءٌ هذا في بعض الروايات.

---

(١) الصداقة والصديق، ١ ص/٢٠

قال: وحدثني ابن أخي الأصمعي عن الأصمعي عن أهل المدينة قال: بعث الغساني إلى حسانٍ بخمس مائة دينارٍ وكسًى، وقال للرسول: إن وجدته قد مات فابسط هذه الثياب على قبره واشتر بهذه الدنانير إبلاً فانحرها على قبره، فجاء فوجده فأخبره، فقال: لوددت أنك وجدتني ميتاً! قال بعض أهل المدينة: ما ذكرت بيت حسانٍ إلا عدت في **الفتوة**، وهو قوله:

أَهْوَى حَدِيثَ النَّدْمانِ فِي فَلَقِ الصُّ ... بْحِ وصَوْتَ الْمُغَرِّدِ الغَرِدِ

وولد لحسانٍ عبد الرحمن، من أخت مارية أم إبرهيم بن رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت تسمى سيرين، وكان عبد الرحمن ابن حسان شاعراً، وكان له ابنٌ يقال له سعيدٌ بن عبد الرحمن.

وكانت لحسانٍ بنتٌ شاعرةٌ، وأرق حسان ذات ليلةٍ فعن له الشعر فقال:

مَتَارِيكُ أَذْنابِ الأُمُورِ إذا اعْتَرَتْأَخَذْنا الفُرُوعَ واجْتَثَثْنَا أُصُولَهَا

ثم أجبل فلم يجد شيئاً، فقالت له بنته: كأنك قد أجبلت يا أبه؟! قال: أجل، قالت: فهل لك أن أجيز عنك؟ قال: وهل عندك ذلك؟ قالت: نعم، قال: فافعلي، فقالت:

مَقَاوِيلُ بالمعروفِ خُرْسٌ عَنِ الخَنَا ... كِرامٌ يُعَاطُونَ العَشِيرَةَ سُولَهَا

فحمي الشيخ فقال:

وقافِيَةٍ مِثْلِ السِّنَانِ رُزِئْتُها ... تَنَاوَلْتُ من جُوِّ السماءِ نُزُولَهَا

فقالت:

يرَاها الَّذي لا يُنْطَقُ الشِعْرُ عِنْدَهُ ... ويَعْجِزُ عن أَمثَالِها أَنْ يَقُولَهَا

فقال حسان: لا أقول بيت شعرٍ وأنت حية، قالت: أو أومنك؟ قال: وتفعلين؟ قالت: نعم، لا أقول بيت شعرٍ ما دمت حياً.

وانقرض ولد حسانٍ فلم يبق له عقبٌ، وقال حسان أو ابنه عبد الرحمن: قلت شعراً لم أقله مثله، وهو:

وإنَّ امْرَءًا أَمْسَى وأَصْبَحَ سالماً ... مِنَ النَّاسِ إلاَّ ما جَنَى لَسَعِيدُ

والناس يقولون:

فشَرُّكما لِخَيْرِكُمَا الفِدَاءُ

وهو عجز بيتٍ لحسان، قال:

أَتَهْجُوهُ ولَسْتَ له بِنِدٍّ ... فشَرُّكما لِخَيْرِكُمَا الفِدَاءُ

النمر بن تولب." (١)

"وأَمنعُ عِرسِي أن يُزَنَّ بها الخَالِي (١)

وَيَا رُبَّ يَومٍ قَدْ لَهوتُ وَلَيلةٍ

بآنسةٍ كأَنَّها خَطُّ تِمثالِ(٢)

---

(١) الشعر والشعراء، ١ ص/٦٠

ويقول :

كَأَني لَمْ أركبْ جَواداً للذّةٍ

ولم أَتبطَّنْ كاعباً ذاتَ خَلخَالِ(٣)

ويقول :

تَمَتَّعْ من الدُّنيا فإنك فانِ

من النَّشَوَاتِ والنساءِ الحِسانِ(٤)

... إنَّ هذه المفردات الدالة قد اقترنت بتعبير الشاعر عن فرديته وخصوصيته، سواء أكان ذلك من خلال الضمائر المتصلة بالفعل مثل: « تمتعت » و « لهوت » أم من خلال السياق الذي يحيط هذه الدلالات، وهو سياق يعبر عن هذه الفردية، ويقيم الشاعر علاقة بين الشيخوخة والعجز من ناحية والصبا والفعل من ناحية ثانية، وتتجسد ملامح القوة **والفتوة** والفعل في الجانب الحسي الجنسي بخاصة، كما أنَّ هذا يتحقق في بعدين: لذة الفروسية ، ولذة العلاقة الجسدية بالمرأة، وهي شأنها شأن كل متعة لا بد أن يغتنمها الشاعر مادامت النتيجة الفناء، إنَّ الشاعر يدفعه . هنا . الإحساس بالفناء والتلاشي وما دام الأمر كذلك فإن الشاعر يهدف إلى الانتشاء في هذه الدنيا .

... ولم يقتصر الأمر على المفردات الدالة، بل تجاوزه إلى قصائد تشتمل ضمناً عليها من خلال أفعال يؤديها، وتتجلى فيها الفردية والخصوصية بجلاء، يقول امرؤ القيس :

سَمَوتُ إليها بَعدما نامَ أهلُها

سُمُوَّ حَباب الماءِ حَالاً على حَالِ (٥)

فَقَالتْ : سَباكَ اللّهُ إنكَ فاضِحِي

أَلستَ تَرَى السُّمارَ والناسَ أحوالِ (٦)

فَقلتُ : يَمِينَ اللهِ أَبرحُ قاعداً

---

(١) . أصبي : أذهب بفؤادها، يزن : يتهم، الخالي : الذي لا زوج له .

(٢) . ... امرؤ القيس، ديوان امرىء القيس، ص ٢٨ . آنسة : أي أمرأة ذات أنس، خط تمثال : أي نقش صورة .

(٣) . ... نفسه، ص ٣٥ . أتبطن : أي جعلت بطني عليها .

(٤) . ... امرؤ القيس، ديوان امرىء القيس، ص ٨٧ .

(٥) . ... سموت : نهضت، حباب الماء : طرائقه .

(٦) . سباك الله : باعدك وفضحك .." [١]

---

(١) الشعر الجاهلي قضاياه وظواهره الفنية، ا ص/٧٥

"" إن لا ألا تجوع فيها ولا تعرى، وأنك لا تظمأ فيها ولا تضحى " فأتى بالجوع مع العري ولم يأت به مع الظمأ، فسر سيف الدولة، وأجازه بصلة حسنة.

قال صاحب الكتاب: قول امرئ القيس أصوب، ومعناه أعر وأغرب؛ لأن اللذة التي ذكرها إنما هي الصيد، هكذا قال العلماء، ثم حكى عن شبابه وغشيانه النساء: فجمع في البيت معنيين، ولو نظمه على ما قال المعترض لنقص فائدة عظيمة، وفضيلة شريفة تدل على السلطان، وكذلك البيت الثاني: لو نظمه على ما قال لكان ذكر اللذة حشواً لا فائدة فيه؛ لأن الزق لا يسبأ إلا للذة، فإن جعل **الفتوة** كما جعلناها فيما تقدم الصيد قلنا: في ذكر الزق الروي كفاية ولكن امرأ القيس وصف نفسه **بالفتوة** والشجاعة بعد أن وصفها بالتملك والرفاهة.

وأما احتجاج الآخر بقول الله عز وجل فليس من هذا في شيء؛ لأنه أجرى الخطاب على مستعمل العادة، وفيه مع ذلك تناسب؛ لأن العادة أن يقال: جائع عريان، ولم يستعمل في هذا الموضع عطشان ولا ظمآن، وقوله تعالى: " تظمأ " و " تضحى " متناسب؛ لأن الضاحي هو الذي لا يستره شيء عن الشمس، والظمأ من شأن من كانت هذه حاله.

وقال الجاحظ: في القرآن معان لا تكاد تفترق، من مثل: الصلاة والزكاة، والخوف والجوع، والجنة والنار، والرغبة والرهبة، والمهاجرين والأنصار، والجن والإنس، والسمع والبصر.

ومن الشعراء من يضع كل لفظة موضعها لا يعدوه؛ فيكون كلامه ظاهراً غير مشكل، وسهلاً غير متكلف، ومنهم من يقدم ويؤخر: إما لضرورة وزن، أو قافية وهو أعذر، وإما ليدل على أنه يعلم تصريف الكلام، ويقدر على تعقيده، وهذا هو العي بعينه، وكذلك استعمال الغرائب والشذوذ التي يقل مثلها في الكلام، فقد عيب على من لا تعلق به التهمة نحو قول الفرزدق:

على حالة لو أن في البحر حاتماً ... على جوده ما جاد بالماء حاتم

فخفض حاتماً على البدل من الهاء التي في " جوده " حتى رأى قوم من العلماء أن الإقواء في هذا الموضع خير من سلامة الإعراب مع الكلفة، وكذلك قوله:

نفلق هاماً لم تنله أكفنا ... بأسيافنا هام الملوك القماقم

أراد: نفلق بأسيافنا هام الملوك القماقم، ثم نبه وقرر فقال: هاماً لم تنله أكفنا، يريد أي قوم لم نملكهم ونقهرهم، وهذا عند الصدور المذكورين بالعلم تكلف وتعمل، لا تعرفه العرب المطبوعون، وكذلك:

إن الفرزدق صخرة عادية ... طالت فليس تنالها الأوعالا

نصب الأوعال بطالت، ويروي " عزت " . وأكثر شعر أبي الطيب من هذه العلامة، ومما لا بأس به قول الخنساء:

فنعم الفتى في غداة الهياج ... إذا ما الرماح نجيعاً روينا

فقدمت " نجيعاً " على " روينا " مبادرة للخبر بالري من أي شيء هو، وكذلك قول أبي السفاح بكير بن معدان اليربوعي:

نهنهته عنك فلم ينهه ... بالسيف إلا جلدات وجاع

أراد نهنهته عنك بالسيف، أو أراد فلم ينهه إلا جلدات وجاع بالسيف، وكلاهما فيه تقديم وتأخير.

ورأيت من علماء بلدنا من لا يحكم للشاعر بالتقدم، ولا يقضى له بالعلم، إلا أن يكون في شعره التقديم والتأخير، وأنا أستثقل ذلك من جهة ما قدمت، وأكثر ما تجده في أشعار النحويين.

ومن الشعر ما تتقارب حروفه أو تتكرر فتثقل على اللسان، نحو قول ابن بشر:

لم يضرها والحمد لله شيء ... وانثنت نحو عزف نفس ذهول

فإن القسيم الآخر من هذا البيت ثقيل؛ لقرب الحاء من العين، وقرب الزاي من السين.

وقال آخر:

وقبر حرب في مكان قفرٍ ... وليس قرب قبر حرب قبر

فتكررت الألفاظ، وترددت الحروف، حتى صار ألقية يختبر به الناس، ولا يقدر أحد أن ينشده ثلاث مرات إلا عثر لسشانه فيه وغلط.

وقال كعب بن زهير:

تجلو عوارض ذي ظلم إذا ابتسمت ... كأنه منهل بالراح معلول

فجمع بين الضاد والذال والظاء، وهي متقاربة متشاكلة.

ومن حسن النظم أن يكون الكلام غير مشبج، والتشبيج: جنس من المعاظلة ترد في بابها إن شاء الله تعالى.." (١)

"فظاهر كلامه أنه يخمش وجه النديم، إلا أن أظافره كليلة، وإنما أراد في الحقيقة أنه لا يظفر وجه النديم ولا يفعل شيئاً من ذلك، وكذلك قوله " لم تحتضره مفاقره " أي: ليس له مفاقر فتحتضره.

وقال أبو كبير الهذلي يصف هضبة:

وعلوت مرتقباً على مرهوبة ... حصاء ليس رقيبها في مثمل

عيطاء معنقة يكون أنيسها ... ورق الحمام جميعها لم يؤكل

يريد أنه ليس بها جميم فيؤكل، يدل على ذلك قوله في البيت الأول " حصاء " وهي التي لا نبت فيها.

وقال أبو ذؤيب يصف فرساً:

متفلق أنساؤها عن قانئ ... كالقرط صار وغبره لا يرضع

فلم يرد أن هناك بقية لبن لا يرضع، لكن أراد أنها لا لبن لها فيرضع.

والشاهد على جميع ما قلته في شرح هذه الأشياء ما جاء في تفسير قول الله عز وجل: " لا يسألون الناس إلحافاً " قالوا: ليس يقع منهم سؤال فيقع إلحافاً: أي هم لا يسألون البتة.

والمعيب من هذا الباب قول كثير يرثي عزة صاحبته:

فهلا وقاك الموت من أنت زينه ... ومن هو أسوأ منك دلاً وأقبح؟

لأنه قد أوهم السامع أن لها دلاً سيئاً، ولكن غيره أسوأ منه وأقبح، فكيف إن كان القبح راجعاً عليها لا على دلها، وليس

---

(١) العمدة في محاسن الشعر وآدابه، ١ ص/٨٥

هذا في شيء من قوله تعالى: " أصحاب الجنة يومئذ خير مستقراً وأحسن مقيلا " لأن هذا إشكال فيه.

باب الاطراد

ومن حسن الصنعة أن تطرد الأسماء من غير كلفة، ولا حشو فارغ؛ فإنها إذا أطردت دلت على قوة طبع الشاعر، وقلة كلفته ومبالاته بالشعر.

وذلك نحو قول الأعشى:

أقيس بن مسعود بن قيس بن خالد ... وأنت امرؤ ترجو شبابك وائل

فأتى كالماء الجاري اطراداً وقلة كلفة، وبين النسب حتى أخرجه عن مواضع اللبس والشبهة..

ولما سمع عبد الملك بن مروان قول دريد بن الصمة:

قتلنا بعبد الله خير لداته ... ذؤابة بن أسماء بن زيد بن قارب

قال كالمتعجب: لولا القافية لبلغ به آدم، ورواه قوم " أبأت بعبد الله " .

وقال أبو تمام:

عبد المليك بن صالح بن عل ... ي بن قسيم النبي في نسبه

فهذا سهل العنان، خفيف على اللسان، وإن كانت الياء في " المليك " ضرورة وتكلفاً.

وقال الحارث بن دوس الإيادي:

وشباب حسن أوجههم ... من إياد بن نزار بن معد

فأطردت ثلاثة أسماء لا كلفة فيها.

وقال أبو تمام في قالب بيت الأعشى، وإن نقص عنه اسماً واحداً:

بنصر بن منصور بن بسام انفرى ... لما شظف الأيام عن عيشة رغد

فأما من أتى بأكثر من هذا ومن الأول فقد قال بعضهم:

من يكن رام حاجة بعدت عن ... ه وأعيت عليه كل العياء

فلها أحمد المرجى بن يحيى ب ... ن معاذ بن مسلم بن رجاء

فجاء كلامه نسقاً واحداً، إلا أنه قد شغل البيت وفصل بين الكلام بقوله " المرجى " غير أن مجانسة رجاء هونت خطيئته وغفرت ذنبه.

وقال الطائي:

عمرو بن كلثوم بن مالك بن عت ... اب بن سهم سهمكم لا يسهم

فخاطب بذلك بني عمرو بن غنم التغلبيين، وهم بنو عم مالك بن طوق، فانتظم له ما أراد من الأسماء، إلا أنه ظاهر التكلف، وقال فأتى بستة:

مناسب تحسب من ضوئها ... منازل للقمر الطالع

كالدلو والحوت وأشراطه ... والبطن والنجم إلى البالع

نوح بن عمرو بن حوى بن عم ... رو بن حوى بن الفتى مانع

فأحكم التصنيع وقابل ستة بستة؛ لأن الأشراط منزلة، وإن جمعها، إلا أن " الفتى " ههنا غضة مع برد لفظ وركاكة، ما أحسن أبا هؤلاء كلهم يقال له الفتى وإن كنا نعلم أنه لم يرد فتاء السن، ولكن **الفتوة**.

وجاء أبو الطيب فجاءك بالتعسف في قوله لسيف الدولة:

فأنت أبو الهيجا ابن حمدان يا ابنه ... تشابه مولود كريم ووالد

وحمدان حمدون وحمدون حارث ... وحارث لقمان ولقمان راشد

ففي هذا المعنى من التقصير أنه جاء به في صفين وأنه جعله أنياب الخلافة بقوله:

أولئك أنياب الخلافة كلها ... وسائر أملاك البلاد الزوائد." (١)

"إذا كان في بخله محكماً ... وحلّ من المجد أعلى الدّرج

وجاءك يخطب زنجيةً ... مشوّهة الخلق فيها هوج

فلا تحفلنّ به خاطباً ... ولا تفرحنّ ولا تبتهج

وإن كان سمحاً جميل الفعال ... كريماً جواداً فإنّ الحرج

وإن القطيعة في صرفه ... ولو جاء يخطب إحدى المهج

بغير صداق لإعساره ... وما عسر منتظر للفرج

قال حمّاد عجرد ، وتروى للعتّابي :

إن الكريم ليخفي عنك عسرته ... حتى تراه غنيّاً وهو مجهود

وللبخيل على امواله عللٌ ... رزق العيون عليها أوجهٌ سود

إذا تكرهت أن تعطى القليل ولم ... تقدر على سعةٍ لم يظهر الجود

أورق بخير ترجّى للنوال فما ... ترجى الثمار إذا لم يورق العود

بثّ النوال ولا تمنعك قلته ... فكلّ ما سدّ فقراً فهو محمود

وقال منصور الفقيه :

ما بالبخيل انتفاعٌ ... ولكلب ينفع اهله

فنزّه الكلب عن أن ... ترى أخا الكلب مثله

أخبرنا عبد الوارث ،قال :حدثنا أبو عيسى ،قال :انشدني ابن المعلم لعلى بن الجهم :

وإذا الكريم أتيته بخديعةٍ ... ألفيته فيما تروم يسارع

ليس الكريم كما ظننت بجاهلٍ ... إن الكريم لفضله يتخادع

قال آخر :

---

(١) العمدة في محاسن الشعر وآدابه، ا ص/١٣٧

لا تطلبن إلى لئيم حاجةً ... واقعد فإنّك قائماً كالقاعد

يا خادع البخلاء عن أموالهم ... هيهات تضرب في حديدٍبارد

قال آخر :

طعامه النجم لمن رامه ... وخبره أبعد من أمسه

كأنّه في جوف مرآته ... يرى ولا يطمع في لمسه

قال آخر :

إن كنت تطمع في كلامه ... فارفع يمينك عن طعامه

سيّان كسر رغيفه ... أو كسر عظمٍ من عظامه

وقال دعبل بن على الخزاعي :

لئن كنت لا تولى يداً دون إمرةٍ ... فلست بمولٍ نائلاً آخر الدّهر

وأيّ جواد لم يجد في ملمةٍ ... وأي بخيل لم ينل ساعة الوفر

وقال منصور الفقيه :

راجى البخيل وضيعٌ ... كما البخيل وضيع

وما يقول سوى ذا ... في ذين إلاّ رقيع

للعرزمي ويروى لأبي الأسود الدؤلي :

وإذا طلبت إلى كريم حاجةً ... فلقاؤه يكفيك والتسليم

وإذا طلبت إلى لثيم حاجة ... فألحّ في رفق وأنت مديم

وقال آخر :

إذا سست قوماً فاجعل الودّ بينهم ... وبينك تأمن كلّ ما تتخوّف

فإن خفت من أهواء قومٍ تشتّتاً ... فالباجود فا جمع بينهم يتألفّوا

فإن كشفت عنك الملمات عورةً ... كفاك غطاء الجود ما يتكشف

قال ابن شهاب :الكريم لا تبخله التجارب.

ويروى عنه أنه قال :إن الكريم لا تحكمه التجارب.

وسئل الحسن بن علي رضى الله عنهما عن البخل ،فقال :هو أن يرى الرجل ما ينفقه تلفاً ،وما أمسكه شرفا.

قال طاووس :البخل أن يبخل الإنسان بما في يديه ،والشّح أن يشح بما في أيدي الناس ،ويحب أن يكون له ما في أيديهم بالحلّ والحرام ولا يقنع .

وقال أبو العتاهية :

وإن امرءا لم يربح الناس نفعه ... ولم يأمنوا منه الأذى للثيم

وإن امرءًا لم يجعل البرّ كنزه ... وإن كانت الدنيا له لعديم

باب المروءة والفتوة

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " حسب المؤمن دينه ، وكرمه تقواه ، ومروءته عقله " . ويروى نحو هذا من كلام عمر أيضاً.

وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم ، أنه قال لرجل من ثقيف : " ما المروءة قال الصلاح في الدين ، وإصلاح المعيشة ، وسخاء النفس ، وصلة الرحم. فقال عليه السلام : " هكذا هي عندنا في حكمة آل داود " .

تذاكروا المروءة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأكثروا فيها ، فقال : " أما مروءتنا فأن نعفو عمن ظلمنا ، ونعطى من حرمنا ، ونصل من قطعنا " .

قال منصورالفقيه :

أعلن وهبٌ كرمه ... في وصله من صرمه." (١)

"فإنّ المروءة لا تستطاع ... إذا لم يكن مالها فاضلا

وقال آخر :

رزفت لباً ولم أرزق مروءته ... وما المروءة إلا كثرة المال

إذا أردت مساماة تقعدّني ... عما ينوّه باسمى رقة الحال

وقال منصور الفقيه :

كلّ من فارق المروءة عاشا ... ونما وفره وزاد رياشا

وأخو الفضل والمروءة والدّي ... ن مقلٌ أموره تتلاشى

وقال سفيان الثورى : من لم يحسن يتقرّا.

ذكرت الفتوة عند سفيان رحمه الله ، فقال : ليست بالفسق ولا الفجور ،ولكن الفتوة كما قال جعفر بن محمد : طعام موضوع ، وحجابٌ مرفوع ، ونائل مبذول ، وبشر مقبول ، وعفاف معروف ، وأذى مكفوف.

قال محمد بن داود : من كان ظريفاً فليكن عفيفاً ، وأنشد لا بن هرمة :

ولرب ليلة لذة قد نلتها ... وحرامها بحلالها مدفوع

وقال صريع الغواني :

وما ذمى الأيام أن ليست حامداً ... لعهد لياليّ التي سلفت قبل

ألا رب يومٍ صادق العيش نلته ... بها ونداماى العفافة والبذل

وقال منصور الفقيه :

فضل التقى أفضل من ... فضل اللّسان والحسب

إذا هما لم يجمعا ... إلى العفاف والأدب

---

(١) بهجة المجالس وأنس المجالس، ١ ص/١٣٨

وقال آخر :

وليس فتى من راح واغتدى ... لشرب صبوح أو لشرب غبوق

ولكن فتى الفتيان من راح واغتدى ... لضرّ عدوّ أو لنفع صديق

وقال جحظة :

ألا يأهل بغداد جميعاً ... عصيتم في المروءة من براكم

تذمون الزمان بغير جرمٍ ... وما بزمانكم عيبٌ سواكم

باب امتحان أخلاق الرّجال

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " الأرواح أجنادٌ مجنده ، فما تعارف منها ائتلف : وما تناكر منها اختلف " .

أخذه بعض الشعراء فقال :

إن القلوب لأجناد مجندةٌ ... لله في الأرض بالأهواء تعترف

فما تعارف منها فهو مؤتلف ... وما تناكر منها فهو مختلف

قال رسول الله صلّى الله عليه وسلم : " الناس كإبل مائة لا تكاد تجد فيها راحلة " .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إن الأمير إذا تجسس على الناس أفسدهم " .

قال رسول الله صلّى الله عليه وسلم : " وجدت الناس اخبر تقله " . وقد روى هذا مرفوعاً عن أبي الدراء.

وفي خبر آخر : " إن الناس سواسيةٌ كأسنان المشط " .

كان يقال : لا يزال الناس بخير ما تباينوا ، فإذا تساووا هلكوا قال الشاعر :

سواءٌ كأسنان الحمار فلا ترى ... لذي شيبة منهم على ناشئ فضلاً

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه :الناس بأزمانهم أشبه منهم بآبائهم قال على بن أبي طالب رضي الله عنه : خالط المؤمن بقلبك ، وخالط الفاجر بخلقك.

كان يقال : يمتحن الرجل في ثلاثة أشياء : عند هواه إذا هوى ، وعند غضبه إذا غضب ، وعند طمعه إذا طمع.

قال أبو عمرو بن العلاء : إذا أردت أن تعرف مالك عند صديقك فاعرف ما كان لصديقه قبلك عنده.

قال سفيان الثورى : إذا أردت أن تعرف مالك عند صديقك فأغضبه ، فإن أنصفك في غضبه وإلا فاجتنبه.

قال الفضل بن عباس بن عتبه بن أبي لهب

إذا أردت وداد امرئٍ ... فسل كيف كان لإخوانه

فإمّا رضيت فأحببته ... وإما ترغبت عن ثيانه

قال الأحنف بن قيس : ما كشفت أحداً قط إلاّ وجدته دون ما كنت أظن قال تأبط شرّاً :

لتقرعنّ على السّنّ من ندم ... إذا تذكرت يوماً بعض أخلاق

وقال آخر :

إنّ المودة بالتجارب ... قضتّ من النّاس المآرب

لم تترّك لي صاحباً ... أصبو إليه ولا أعاتب

متفرداً بتوحّدي ... دون الأباعد والأقارب

ارغب إلى الله الذي ... يعطى الجزيل من المذاهب

بالله تتسع الفجا ... ج إذا تضايقت المذاهب

كان سفيان الثوري يتمثل بهذه الأبيات :

ابل الرجال إذا أردت إخاءهم ... وتوسمنّ أمورهم وتفقد

وإذا ظفرت بذى الأمانة والتقى ... فبه اليدين قرير عين فاشدد." (١)

"قال المأمون: الناس في تصرفهم ومعايشهم بين أربعة أمور، من لم يكن منها كان عيالا عليها وكلاًّ: الإمارة، والتجارة، والزراعة، والصناعة.

أربعة لا يستحيا من الختم عليها: المال لنفي التهمة، والجوهر لأمن البدل، والدواء للاحتياط، والطبب للصيانة.

قال العتبي: اجتمعت الحكماء على أربع كلمات، وهي: لا تحملن على قلبك مالا تطيق، ولا تعمل عملا ليس لك فيه منفعة، ولا تثقن بامرأة، ولا تغتر بالمال وإن كثر.

باب خمسة

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " بُنِي الإسلام على خمس... " الحديث.

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن عمر: " يا عبد الله! اغتنم خمساً قبل خمس: شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك " .

قال بعض الحكماء: خمسة أشياء من أعطيها فقد كمل عيشه: صحة البدن، وهو الجزء الأكبر، والسعة في الرزق، وهو الثاني، والأمن وهو الثالث، والأنيس الموافق وهو الرابع، والدعة، فمن حرمها فقد حرم العيش.

واجتمع الحكماء أنه لا ينبغي للمرء أن ينزل بلدةً ليس فيها خمسة أشياء: سلطان قاهر، وقاضٍ عادل، وسوق قائمة، وطبيب عالم، ونهر جارٍ.

روى الأصمعي، قال: حدثنا الفضل بن عبد الملك بن أبي شهبة، قال: قال الأحنف: لا ينبغي أن تنزل بلداً حتى يكون فيه خمس خصال، فذكرها سواء.

ذكر الشافعي عن مالك، عن الزهري، قال: الذل في خمسة أشياء: حضور المجلس بلا نسخة، وعبور المعبر بلا قطعة، ودخول الحمام بلا خادم، وتذلل الشريف للدنئ لينال منه، والتذلل للمرأة لينال من مالها.

خمسة لا يستحيا من خدمتهم: السلطان، والوالد، والعالم، والضيف، والدابة.

خمسة أشياء تقبح في خمسة أصناف: الحدة في السلطان، وقلة الحياء في ذوي الأحساب، والبخل في ذوي الأموال، **والفتوة** في الشيوخ، والحرص في العلماء والقراء.

---

(١) بهجة المجالس وأنس المجالس، ١ ص/١٤٠

قال وبرة بن خداش: أوصاني عبد الله بن عباس بخمس كلماتٍ هي أحب إلى من الدهم الموقوفة في السبيل، قال لي: إياك والكلام فيما لا يعنيك أو في غير موضعه، فرب متكلم فيما لا يعنيه أو في غير موضعه قد عنت، ولا تمار سفيهاً ولا فقيها، فإن الفقيه يغلبك والسفيه يؤذيك، واذكر أخاك إذا غاب عنك أن يذكرك به، ودع ما تحب أن يدعه منك، واعمل بما تحب عمل رجل يعلم أنه يجازي بالإحسان ويكافى بالإجرام.

قال عمر بن الخطاب: من لم يكن فيه خمس فلا ترجوه لشيء من الدنيا والآخرة: من لم يعرف بالوثيقة في أرومته، والكرم في طبيعته، وبالدماثة في خلقه، وبالنبل في نفسه، وبالمخافة لربه.

خمس من طبيعة الجهال: الغضب في غير شيء، والإعطاء في غير حق، وإتعاب البدن في الباطل، وقلة معرفة الرجل لصديقه من عدوه، وتضييعه لسره.

خمسة أشياء أضيع شيءٍ في الدنيا: سراج يوقد في الشمس، ومطر وابل في أرض سبخة، وامرأة حسناء تزف إلى عنين، وطعام يستجاد ثم يقدم إلى سكران أو شبعان، ومعروف تصنعه عند من لا يشكرك.

خمس لا يشبعن من خمس: أذن من خبر، وعين من نظر، وأنثى من ذكر، وأرض من مطر، وعالم من أثر.

خمس يزدن في النسيان: إلقاء القملة، وأكل التفاح، والحجامة في النقرة، والبول في الماء الراكد، وأكل سؤر الفأرة.

ومما يدخل في هذا الباب قول الأحنف: لا راحة لحسود، ولا مروءة لبخيل، ولا إخاء لكذوب، ولا وفاء لملول، ولا سؤدد لسيء الخلق.

قال الأوزاعي: خمسة كان عليها أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم والتابعون بإحسان: لزوم الجماعة، واتباع السنة، وعمارة المسجد، وتلاوة القرآن، والجهاد في سبيل الله.

باب نوادر من الرؤيا مختصرة

قال رسول الله صلى الله وسلم: " إذا اقترب الزمان لم تكد رؤيا المؤمن تكذب، وأصدقهم رؤيا أصدقهم حديثا، رؤيا المسلم جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة " .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: اللبن فطرة، والقيد ثبات في الدين، والغرق نار؛ لقوله تعالى: " أغرقُوا فأُدخلُوا ناراً " ، ومن رآني فقد رآني، فإن الشيطان لا يتشبه بي.

قال أبو بكر: يا رسول الله! ما أزال أرى كأني أطأ في عذرات الناس، قال: لتلين أمور الناس قال: ورأيت في صدري كالرقمتين. قال: سنتين. قال: ورأيت كأن على حلة حبرة، قال: ولد تحبر به، وفي رواية أخرى: قال له: يا رسول اللهّ! ورأيت كأن في صدري كبتين، قال النبي عليه السلام: " على أمر الناس سنتين " .." (١)

"وما ذاك عن خلق بضيق بطارقٍ ... ولكن لأخذي باحتياطٍ على حالي

فإن صادف ما خطبته منك أيدك الله قبولا ولديك نفاقاً فمنية غفل الدهر عنها، إذ فارق مذهبه فيما أهداه إلى منها، وإن جرى على رسمه في المضايقة فيما أوثره وأهواه، وأترقبه من قربك وأتمناه، فذمام المروءة يلزمك رد هذه الرقعة وسترها وتناسيها،

---

(١) بهجة المجالس وأنس المجالس، ١ ص/٢٠١

واطراح ذكرها إن شاء الله تعالى. وإذا بأبيات تتلو الخطاب وهي:

ياعامر العمر بالفتوة وال ... قصف وحث الكئوس والطرب

هل لك في صاحبٍ تناسب في ال ... غربة أخلاقه وفي الأدب

أوحشه الدهر فاستراح إلى ... قربك مستنصراً على النوب

فإن تقبلت ما أتاك به ... لم تشب الظن فيك بالكذب

وإن أبي الدهر دون رغبته ... فكن كمن لم يقل ولم يجب

قال أبو الفرج: فورد على ما حيرني، واسترد ما أخذه الشراب من تمييزي، وحصل لي في الجملة أن أغلب الأوصاف على صاحبها في الكتابة خطا وترسلاً ونظماً، وشاهدته بالفراسة من ألفاظه، وحمدت أخلاقه قبل الاختبار من رقعته، فقلت للراهب: ويحك! من هذا؟ وكيف السبيل إلى لقائه؟ فقال: أما ذكر حاله فإليه إذا اجتمعنا، وأما السبيل إلى لقائه فسهل إن شئت، قلت: دلني، قال: تظهر فتوراً، وتنصب عذراً تفارق به أصحابك منصرفاً؛ فإذا صرت بباب الدير عدلت بك إلى باب صغير تدخل منه. فرددت الرقعة عليه وقلت: أدفعها إليه ليتمكن أنسه بي وسكونه إلي، ثم عرفته أن التوفر على إعمال الحيلة المبادرة إلى حضرته على ما آثره من التفرد أولى من التشاغل بإصدار جواب وقطع وقت بكتابته.

ومضى الراهب وعدت إلى أصحابي بغير النشاط الذي ذهبت به؛ فأنكروا ذلك مني، فاعتذرت إليهم بشيء عرض لي، واستدعيت ما أركبه، وتقدمت إلى من كان معي من الخدم بالتوفر على خدمتهم؛ وقد كنا عولنا على المبيت، فأجمعوا على تعجيل السكر والانصراف، وخرجت من باب الدير ومعي صبي صغير كنت آنس به وبخدمته، وتقدمت إلى الشاكري برد الدابة وستر خبري ومباكرتي. وتلقاني الراهب، فعدل بي إلى طريق في مضيق، وأدخلني الدير من طريق غامض، وصار بي إلى باب قلايةٍ يتميز عما يجاوره من الأبواب نظافةً وحسناً، فقرعه بحركات مختلفة كالعلامة بينهما، فابتدرنا منه غلام كأن البدر ركب على أزراره: مهفهف الكشح مخطفه، معتدل القوام أهيفه، تخال الشمس برقعت غرته، والليل ناسب أصداغه وطرته.

في غلالة تم على ما تستر، وتجفو مع رقتها عما يظهر، وعلى رأسه مجلسية، فصمته فبهر عقلي، واستوقف نظري، ثم أجفل كالظبي المذعور، وتلوته والراهب إلى صحن القلاية، فإذا أنا ببيت فضي الحيطان، رخامي الأركان، يضم طارمة خيش مفروشة بحصير مستعمل، فوثب إلينا منه فتى مقتبل الشبيه، حسن الصورة، ظاهر النبل والهيئة، متزى من اللباس بزي غلامه، فلقيني حافياً يعثر في سراويله، واعتقني، ثم قال: إنما استخدمت هذا الغلام في تلقيك يا سيدي لأجعل ما لعلك استحسنته من صورته، مصانعاً لما يرد عليك من مشاهدتي.

فاستحسنت اختصاره الطريق إلى بسطي، وارتجاله إلى النادرة على نفسه حرصاً على تأنيسي. وأفاض في شكري على المسارعة إلى امتثال أمره، مكدود بمن كان معك، والتمكن من الأنس بك لا يتم إلا براحتك.

وقد كان الأمر على ما ذكر، فاستلقيت يسيراً ثم نهضت، فخدمت في حالتي النوم واليقظة الخدمة التي عهدتها في دار الملوك

وجلة الرؤساء. ثم جاءنا خادم لم أر أحسن وجهاً، ولا أتم سواداً منه، يضم ما يتخذ للعشاء مما خف ولطف، فقال: يا سيدي العشاء مني للحاجة، ومنك للمؤانسة. فنلنا شيئاً.." (١)

"وما جزعي من أن أموت، وإنني ... لأعلم أن الموت شيء مؤقت

ولكن خلفي صبيةً قد تركتهم ... وأكبادهم من حسرة تتفتت

كأني أراهم حين أنعى إليهم ... وقد خمشوا تلك الوجوه وصوتوا

فإن عشت عاشوا سالمين بغبطةٍ ... أذود الردى عنهم وإن مت موتوا

وكم قائل: لا يبعد الله داره ... وآخر جذلانٍ يسر ويشمت

فعفا عنه المعتصم وقلده عملا.

وهذه بديعة لو وقعت لمرو ثابت الجأش، مع طول المدة وحصول الأمن لكانت عظيمة، فكيف بالبديهة في هذه الساعة التي يحول فيها الجريض دون القريض، وحسبك بحال لم يقدر عبيد بن الأبرص فيها على الروية. وكذلك على بن الجهم قال ارتجالا وقد صلب:

لم يغصبوا بالشاذياخ عشيةال ... إثنين مسبوقاً ولا مجهولا

نصبوا بحمد الله ملء عيونهم ... حسناً وملء قلوبهم تبجيلا

ما ضره أن بز عنه ثيابه ... فالسيف أهول ما يرى مسلولا

وهذا من أحسن شعره وأبدعه.

وروى عن خالد الكاتب أنه

قال: دخلت الدير يوماً فإذا أنا بشاب مغلول مربوط إلى سارية، فملت إليه وسلمت عليه، فقال: من تكون؟ قلت: خالد الكاتب، قال: صاحب المقطعات؟ قلت: نعم، قال: أنشدني، فأنشدته:

ترشفت من شفتيه عقاراً ... وقبلت من خده جلنارا

وعانت منه قضيباً رطيباً ... وردفاً مهيلاً وبدراً أنارا

وعاينت من حسنه في الظلام ... إذا ما تبدى نهاراً جهارا

فأطرق ثم أنشد:

رب ليلٍ أمد من نفس العا ... شق طولاً قطعته بانتخاب

ونعيم ألذ من وصل معشو ... ق تبدلته بيوم عتاب

قال خالد: فوالله إني منذ ثلاثين سنة لا أحسن إجازتهما.

وروى أبو الفرج

أن شحنة بغداد كسر نبيذاً كثيراً حتى ملأ الطريق، فمر به بكر بن خارجة، فلما رآه جلس يبكي فمر عليه بعض أصحابه،

---

(١) بدائع البدائه، ١ ص/٣٥

فسأله عن سبب بكائه، فقال بديهاً:

يا لقومي لما جنى السلطان ... لم يكن للذي أهان هوان

صبها في الطريق من حلب الكر ... م عقاراً كأنها زعفران

صبها في مكان سوءٍ لقد أد ... رك سعد السعود ذاك المكان

قال الكرماني: أنشدنا الجاحظ فقال: إن من حق الفتوة والمروءة ألا أكتبها إلا قائما، فعمدته لأنه كان مفلوجاً حتى كتبها.

وذكر ابن العباس بن إبراهيم الصولي

كان قد ولى بعض النواحي للمتوكل، فأخرج إليه أحمد بن المدبر جملة كبيرة، وجلسا للمناظرة بين يدي المتوكل، ولم يكن إبراهيم من رجال أحمد في كتابة الخراج، ولا واحدٍ من رجاله في البلاغة والشعر؛ فكاد يفتضح، فوقعت قضية للمتوكل أوجبت أن ارتجل إبراهيم:

صد عني وصدق الأقوالا ... وأطاع الوشاة والعذالا

أتراه يكون شهر صدودٍ ... وعلى وجهه رأيت الهلالا

فطرب المتوكل، وأقره على عمله، وسوغه ما عليه.

وذكر أبو الفرج في كتاب القيان والمغنين

انه كان يعشق جارية لبعض الهاشميين يقال لها أمل، فدعا إخواناً له من أجلاء الكتاب، ودعاها ودعا قياناً غيرها، فحضروا وتأخرت، فتنغص عليه يومه من أجلها، ثم جاءت فسرى عنه، وطرب وشرب، وكتب ارتجالا:

ألم تريا يومنا إذ نأت ... فلم تأت من بين أترابها

وقد غمرتنا دواعي السرور ... بإلهائها وبإطرابها

ومدت علينا خيام النعيم ... وكان المنى بعض أطنابها

ونحن فتور إلى أن دنت ... وبدر الدجى بين أثوابها

فلما نأت كيف كنا لها ... ولما دنت كيف صرنا بها

وقرئت عليها الأبيات، فقالت: ليس الأمر كذلك، قد كنتم قبلي في لذة، وإنما تجملتم بهذا لما حضرت، فقال:

يامن حنيني إليه ... ومن فؤادي لديه

ومن إذا غاب من بي ... نهم أسفت عليه

من غاب غيرك منهم ... فإذنه في يديه

فرضيت عنهم، وأتموا يومهم.

وحكى أن علي بن الجهم." (١)

---

(١) بدائع البدائه، ١ ص/٩٦

"ولأبي ذر عن المستملي والحموي ينهى (أن تصبر) بضم الفوقية وفتح الموحدة أن تحبس (بهيمة أو غيرها للقتل) وأو للتنويع فدخل الطير.

وهذا الحديث من أفراده.

٥٥١٥ - حدثنا أبو النعمان حدثنا أبو عوانة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير قال: كنت عند ابن عمر، فمروا بفتية أو بنفر نصبوا دجاجة يرمونها، فلما رأوا ابن عمر تفرقوا عنها، وقال ابن عمر: من فعل هذا؟ إن النبي -صلى الله عليه وسلم- لعن من فعل هذا. تابعه سليمان عن شعبة.

وبه قال: (حدثنا أبو النعمان) محمد بن الفضل قال: (حدثنا أبو عوانة) بفتح العين المهملة الوضاح (عن أبي بشر) بالموحدة المكسورة والمعجمة الساكنة جعفر بن أبي وحشية (عن سعيد بن جبير) أنه (قال: كنت عند ابن عمر) -رضي الله عنهما- (فأمروا بفتية) بكسر الفاء جمع فتى **والفتوة** بذل الندى وكف الأذى وترك الشكوى واجتناب المحارم واستعمال المكارم (أو مروا (بنفر) بالشك من الراوي حال كونهم (نصبوا دجاجة) حال كونهم (يرمونها) ليقتلوها (فلما رأوا ابن عمر تفرقوا عنها. وقال ابن عمر: من فعل هذا) بهذه الدجاجة؟ (إن النبي -صلى الله عليه وسلم- لعن من فعل هذا). بالحيوان، وفي مسلم: لعن من اتخذ شيئا فيه الروح غرضا بمعجمتين واللعن من دلائل التحريم كما لا يخفى.

٠٠٠٠ - حدثنا المنهال عن سعيد عن ابن عمر لعن النبي -صلى الله عليه وسلم- من مثل بالحيوان وقال عدي عن سعيد: عن ابن عباس عن النبي -صلى الله عليه وسلم-.

(تابعه) أي تابع أبا بشر (سليمان) بن حرب لا أبو داود الطيالسي فيما وصله البيهقي (عن شعبة) بن الحجاج قال: (حدثنا المنهال) بكسر الميم ابن عمرو (عن سعيد) أي ابن جبير (عن ابن عمر) -رضي الله عنهما- أنه قال: (لعن النبي -صلى الله عليه وسلم- من مثل بالحيوان) بتشديد المثلثة أي جعله مثلة (وقال عدي) هو ابن ثابت (عن سعيد) هو ابن جبير (عن ابن عباس) -رضي الله عنهما- (عن النبي -صلى الله عليه وسلم-) فيما رواه مسلم والنسائي بلفظ: لا تتخذوا شيئا فيه الروح غرضا.

٥٥١٦ - حدثنا حجاج بن منهال حدثنا شعبة قال: أخبرني عدي بن ثابت قال: سمعت

عبد الله بن يزيد عن النبي -صلى الله عليه وسلم- أنه نهى عن النهبة والمثلة.

وبه قال: (حدثنا حجاج بن منهال) بكسر الميم وسكون النون قال: (حدثنا شعبة) بن الحجاج (قال: أخبرني) بالإفراد (عدي بن ثابت) الأنصاري الثقة (قال: سمعت عبد الله بن يزيد) الخطمي الأنصاري -رضي الله عنه- (عن النبي -صلى الله عليه وسلم- أنه نهى عن النهبة) بضم النون وسكون الهاء أخذ مال الغير قهرا ومنه أخذ مال الغنيمة قبل القسمة اختطافا بغير تسوية ولأبي ذر وابن عساكر: عن النهبى بغير هاء مقصورا (و) عن (المثلة).

٢٦ - باب الدجاج

(باب) حكم أكل لحم (الدجاج) بتثليث الدال المهملة كما حكاه المنذري في الحاشية وابن مالك وابن معين الدمشقي الواحدة دجاجة والهاء فيه للوحدة كالحمام والحمامة، وسميت بذلك كما قال ابن سيدة: لإقبالها وإدبارها يقال دج القوم

يدجون دجا ودجيجا إذا مشوا مشيا رويدا في تقارب خطو وقيل: أن يقبلوا ويدبروا ولأبي ذر: باب لحم الدجاج.

٥٥١٧ - حدثنا يحيى حدثنا وكيع عن سفيان عن أيوب عن أبي قلابة عن زهدم الجرمي عن أبي موسى يعني الأشعرى رضي الله عنه - قال: رأيت النبي -صلى الله عليه وسلم- يأكل دجاجا.

وبه قال: (حدثنا يحيى) هو ابن موسى البلخي في قول ابن السكن أو هو ابن جعفر بن أعين أبو زكريا البيكندي فيما جزم به أبو نعيم والكلاباذي قال: (حدثنا وكيع) بفتح الواو وكسر الكاف ابن الجراح أحد الأعلام (عن سفيان عن أيوب) بن أبي تميمة السختياني الإمام (عن أبي قلابة) بكسر القاف عبد الله بن زيد الجرمي (عن زهدم) بفتح الزاي والدال المهملة بينهما هاء ساكنة ابن مضرب (الجرمي) بفتح الجيم وسكون الراء (عن أبي موسى يعني الأشعري -رضي الله عنه-) سقط لأبي ذر يعني الأشعري أنه (قال: رأيت النبي -صلى الله عليه وسلم- يأكل دجاجا) فيه دليل حله وهو من الطيبات وأكل الفتي منه يزيد في العقل والمني ويصفي الصوت.

٥٥١٨ - حدثنا أبو معمر حدثنا عبد الوارث حدثنا أيوب بن أبي تميمة عن القاسم عن زهدم قال: كنا عند أبي موسى الأشعري وكان بيننا وبين هذا الحي من جرم إخاء فأتي بطعام فيه لحم دجاج وفي القوم رجل جالس أحمر فلم يدن من طعامه، قال: ادن فقد رأيت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يأكل منه. قال: إني رأيته أكل شيئا فقذرته، فحلفت أن لا آكله. فقال: ادن أخبرك أو أحدثك، إني أتيت النبي -صلى الله عليه وسلم- في نفر من الأشعريين، فوافقته وهو غضبان، وهو يقسم نعما من نعم الصدقة: فاستحملناه فحلف أن لا يحملنا قال: ما عندي ما أحملكم عليه. ثم أتى رسول الله - صلى الله عليه وسلم- بنهب من إبل، فقال: أين الأشعريون أين الأشعريون؟ قال: فأعطانا خمس ذود غر الذرى فلبثنا غير بعيد، فقلت لأصحابي: نسي رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يمينه، فوالله لئن تغفلنا رسول

الله -صلى الله عليه وسلم- يمينه لا نفلح أبدا فرجعنا إلى النبي -صلى الله عليه وسلم- فقلنا: يا رسول الله، إنا استحملناك فحلفت أن لا تحملنا، فظننا أنك نسيت يمينك. فقال: «إن الله هو حملكم، إني والله إن شاء الله لا أحلف على يمين فأرى غيرها خيرا منها إلا أتيت الذي هو خير وتحللتها».

وبه قال: (حدثنا أبو معمر) بفتح الميمين بينهما عين مهملة ساكنة عبد الله المقعد البصري قال: (حدثنا عبد الوارث) بن سعيد البصري قال: (حدثنا أيوب بن أبي تميمة) كيسان السختياني (عن القاسم) بن عاصم الكليني (عن زهدم) بفتح الزاي والدال المهملة بينهما هاء ساكنة ابن مضرب بضم الميم وفتح المعجمة وتشديد الراء المكسورة بعدها موحدة الجرمي أنه (قال: كنا عند أبي موسى الأشعري وكان بيننا وبين هذا الحي من جرم) بفتح الجيم (إخاء) بكسر الهمزة والمد والحي بالخفض صفة لاسم الإشارة، ولأبي ذر عن الحموي والمستملي: بيننا وبينه هذا الحي بالرفع، وقال السفاقسي: بالخفض بدلا من الضمير في بينه ورد بأنه يصير تقدير الكلام أن زهدما الجرمي قال: كان بيننا وبين هذا الحي من جرم إخاء، وليس المراد وإنما المراد أن." (١)

(١) شرح القسطلاني = إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، ٨/ ٢٨٤

كناية عن المؤاجرة ، والغراب عند الشعراء كناية عن المأبون ، لأنه يواري سوءة أخيه . والاقتصار عند البخلاء كناية عن البخل . والزوار عند الكرام كناية عن السؤال . وما أفاء الله عند الصوفية كناية عن الصدقة . **والفتوة** عند الشطار كناية عن التلصص . ومزح اليدين عند المعاشرين كناية عن الصفع . والانحياز عند الجند كناية عن الهزيمة ، ورائحة الشباب عند النساء كناية عن الصنّان . والممنع عند الكتاب كناية عن الأعور . والسليم عند العرب كناية عن اللديغ . وأبو البيضاء عندهم كناية عن الزنجي . والطويلة عند المخنثين كناية عن اللحية . والعمار كناية عن الجن . وذكر ابن العميد في رسالة له إلى رجل حلف بالطلاق ، فقال : حلف أيماناً مغلظة سمى فيها حرائره . ولما برص بلعاء بن قيس الكناني قيل له : ما هذا ؟ قال : سيف الله جلاه . ومن أحسن كنايات الصاحب ، وأبي إسحاق الصابي ، وغيرهما من البلغاء عن ذكر موت الملوك والأجلة والرؤساء قولهم : انقضت أيامه ، استأثر الله به . خانه عمره . لم تسمح النوائب بالتجافي عن مهجته . أجاب." (١)

"إذا ليس خارجا عن طباع السيف يقطع الشيء العظيم ثم يغوص بد ذلك في الأرض، فالغلو فيه ضعيف، وقد كدنا نخرج عما نحن بصدد منه، والآن فقد تبينت أن هذا الشاعر بصير بصنعة الكلام، [وأن] فضله هو في طريقه إيراد المعنى مما يلتحق بتأليف اللفظ تصريف الأسلوب، وانظر إلى قوله: [الطويل] كأني لم أركب جواد للذة ولم أتبطن كاعبا ذات خلخال

ولم أسبأ الزق لروي ولم أقل لخيلي كري كرة بعد إجفال

فلقد اعترض في هذين البيتين وقيل: خالف وأفسد ولو جمع الشيء وشكله، فذكر الجواد والكر في بيت، والنساء والخمر في بيت، ولكان أصوب وإنما أغفلوا عما قصد إليه من هذا الترتيب، وذلك أن اللذة التي ذكرها في البيت الأول إنما هي الصيد، ثم حكى عن شبابه وغشيانه النساء، فجمع المعنين للتضايف بينهما، ولو نظم البيت كما قالوا لنقص فائدة تدل عندهم على الملك والسلطان، وكذلك لو فعل في البيت الثاني لكان ذكره اللذة زائدا في المعنى، لأن الزق لا يسبأ إلا للذة، وإنما وصف نفسه **بالفتوة** والشجاعة بعد أن وصفها بالتملك والرفاهية. وقد أتبعه المتنبي في قوله: [الطويل] وقفت وما في الموت شك لواقف كأنك في جفن الردى وهو نائم

تمر بك البطال كلمى هزيمة ووجهك وضاح وثغرك باسم

وذكر الواحدي في شرحهما اعتراض سيف الدولة عليه وعلى امرئ القيس وتخلص المتنبي لنفسه وله، غير أن ترتيب امرئ القيس أبدع وفيه من الفائدة ما ليس في بيتي أبي الطيب. بقي أن نذكر بعض المآخذ التي أصبناها في شعر هذا الشاعر، فمن ذلك أنه له استعانة بالحروف والكلمات، كقوله: [الطويل] ألا رب يوم لك منهن صالح

وأن تكرارا قبيحا في الألفاظ والمعاني يجيء بها على درجة واحد في مواضع مختلفة من غير أن يتصرف في ذلك بما يخفي قبح

---

(١) تحسين القبيح وتقبيح الحسن، ١ ص/٢٢

هذه التكرار وينفي عنه الظنة.

". (١)

"وقيل: بل إن الإبل التي ضلت هي إبل معبد فسأل طرفة ابن عمه مالكا أن يعينه في طلبها فلامه وقال: فرطت فيها أقبلت تتعب في طلبها! فقال قصيدته؛ وهي تربى على مائة بيت، وتختلف بعد المائة باختلاف الروايات، ذكر فيها الأطلال واستوقف بها ثم شبه قباب النساء بسفين الماء، ووصف ذات هواه في الحي فبسط من ذلك صورة رائعة من صور الطبيعة، ثم التفت إلى ناقته فأمضى بها الهم عند احتضاره، واستأمن بها على وضح الطريق من عثاره، ووصف من توثيق خلقها وطيب مرعاها وكرم العتق فيها وتراصف عظامها وتداخل أعضائها؛ فبنى على ذلك بناء يحسن أن يكون بابا من علم التشريح البيطري في الجاهلية... ثم ذكر نشاطها وإسراعها وسهولتها، ونقل من ذلك إلى نفسه فوصف نفاذه ومضيه على الهول وأنه يتقلب على جنبي السيادة واللهو، ونسج من ذلك حاشيته، ثم كأنما سكر كلامه فوصف من سفهه ما تحامته من أجله العشيرة حتى أفرد إفراد البعير الأجرب المذلل... وبعد أن انتهى إلى المذلة صحا على لائمه وأخذ يعد لذاته مما يصفه بالمخيلة والفتوة ونضرة العيش، ثم خرج من ذلك بالسوداء، فذكر الموت ووازن بينه وبين الحياة، ليدل على أن ربح الحياة هو الربح وصار كلامه من ذكر الموت إلى النزع، غير أنه هجم بهذا الموت يعاتب ابن عمه مالكا الذي ضيع إبله، فكأنه يذكره أن ضياع إبله خطب يسير، يحم القضاة فتضيع روحه في الوادي الذي لا يتقدم فيه يطلبها ولا تنشد فيه عند ربها، ثم جعل يذكره بالقربى ورعايتها كأنه يستعطف، ولكنه اتخذ من ذلك وسيلة تخلص بها إلى عمرو بن مرثد أحد سادات العرب، فقال: [الطويل] فلو شاء ربي كنت قيس بن خالد ولو شاء ربي كنت عمرو بن مرثد

". (٢)

"تاريخ الأدب العربي العصر الجاهلي

الموضوعات

أرين محاسنا وكنن أخرى من الأجياد والبشر المصون

ويقول: إنهن كن يمددن أعناقهن مستشرفات للنظر وصاحبته بينهن تفوقهن حسنا وجمالا. وكن كطبيعة النساء في كل عصر ينصرفن عن الشيب ومن قل ماله١؛ ولذلك كثر عتابهم معهن، وخاصة من حيث ما يأخذنه عليهم من البذل الذي يذهب بأموالهم، ودائما نراهم يحتجون عليهن بأن خلود المرء في بذله لا في ثرائه٢. وقد يصورون في تعلقهم بالمرأة ضربا من المتاع الحسي، على نحو ما يصور ذلك طرفة في معلقته وكذلك امرؤ القيس، ومرد ذلك إلى ضرب شاع عندهم من الفتوة؛ فهم يتمدحون بأنهم ينالون من المرأة ما يريدون، وكانوا وثنيين ولم يكن هناك دين يردعهم. على أن منهم من كان يتسامى في غزله حتى ليمكن القول بأن الغزل العذري له أصول في الجاهلية عند عنترة وأضرابه.

---

(١) تاريخ الأدب العربي للرافعي، ١ /

(٢) تاريخ الأدب العربي للرافعي، ١ /

ومن المؤكد أن المرأة الحرة لم تكن ممتهنة عندهم؛ بل كانت في المكان المصون، وكان الشاعر يستلهمها شعره؛ ولذلك كان يضعها في صدر قصيده، ونحس عند كثيرين منهم -وخاصة فرسانهم من مثل عنترة- أنهم يقدمون مغامراتهم في الكرم وفي الحرب لها لينالوا حبها، وكان أكثر ما يشجيهم ويبعث الموجدة في قلوبهم أن تؤسر وتسبى؛ فكان لا يقر لهم قرار إلا أن يعودوا بها مكرمة إلى ديارهم.

". (١)

"تاريخ الأدب العربي العصر الجاهلي

الأحوال الاجتماعية

وكري إذا نادى المضاف محنبا كسيد الغضا نبهته المتورد١

وتقصير يوم الدجن والدجن معجب ببهكنة تحت الخباء المعمد٢

وواضح أنه يجعل من خلال الفتى هذه الخصال الثلاث، وهي الخمر والفروسية أو الشجاعة في الحرب والتمتع بالنساء؛ على أن هذه **الفتوة** التي يصورها طرفة كانت تتسامى عند كثير من فرسانهم مثل عنترة؛ بل حتى من صعاليكهم مثل عروة بن الورد، وسنعرض لذلك في موضع آخر.

ومهما يكن فقد كانت الخمر وما يتبعها من استباحة النساء شائعة في هذا العصر، وكان يشيع معها القمار أو الميسر، وكانت عادتهم فيه أن يذبحوا ناقة أو بعيرا، ويقسموا ما يذبحونه عشرة أجزاء، ثم يأتوا بأحد عشر قدحا، يجرون عليها قمارهم، وكانوا يجعلون لسبعة منها نصيبا إن فازت، وعلى أصحابها غرم إن خابت، وأكبرها نصيبا يسمى المعلى. أما الأربعة الباقون فلا حظ لها حتى إن فازت.

وأكبر الدلالة على شيوع هذه الآفات بينهم الآيات الكثيرة التي هاجمتها في القرآن الكريم وما وضعه الإسلام لها من عقاب صارم حتى يكف العرب عنها، وقد شدد في عقوبة استباحة النساء، وأكثر من النهي عن الخمر والميسر من مثل قوله تعالى: ﴿إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون﴾ وقد وصف الخمر بأنها ﴿رجس من عمل الشيطان﴾. ونجد في الحديث النبوي نهيا كثيرا عنها وأن الله لعنها ولعن عاصرها ومعتصرها وشاربها٣ وقد جعل لها

". (٢)

"وقال:

فإذا ما انقضى دنان على الله؟ ... و اعتمدنا مواضع الصلوات وانفق كثيرا من طاقته الشعرية في التغزل بالغلمان، حتى ان

---

(١) تاريخ الأدب العربي العصر الجاهلي، ١/

(٢) تاريخ الأدب العربي العصر الجاهلي، ١/

السجن لم يشغله عن هذا الموضوع، بل ظل سادرا فيه، ومن الإنصاف له أن نسجل له مزجة بين التهتك والتعفف في مقام واحد، ذهابا مع ما يسميه هو المروة أو **الفتوة**.

ومع ذلك فان السجن كان من أقوى الدوافع التي كادت أن تحطم عليه طريقته الشعرية، التي قامت على المجانة واللهو في الموضوع وعلى الإغراق والإحالة في تعقب الصور والمعاني، وانطلقت أشعاره في السجن من خلجات الحزن العميق ودوافعه، ورده وضعه إلى شيء من التأمل في نفسه وفي نهايته، وملأ أبياته بالبكاء حينا وبالتشوق إلى الانطلاق حينا آخر، وحلت العاطفة الجياشة في شعره محل التصنيع الذهني، ومن أمثلة ذلك قوله (١) :

وقالت تظن الدهر سيجمع بيننا ... فقلت لها من بظن محقق

ولكنني فيما زجرت بمقلتي ... زجرت اجتماع الشمل بعد التفرق

أباكية يوما ولم يأن وقته ... سينفد قبل اليوم دمعك فارفقي ومن قصائده التي انبعثت من المحبس أيضاً (٢) :

على كبري تهمي السحاب وتذرف ... وعن جزعي تبكي الحمام وتهتف

كأن السحاب الواكفات غواسلي ... وتلك على فقدي نوائح هتف ولو أنا قارنا هذه الانطلاقات العاطفية بأبياته التي أوردتها من قبل في وصف الأزهار والربيع لتبين لنا الفرق واضحا، فهنالك اهتدى إلى معنيين جميلين بعد الكد والاجتهاد، حين زعم اولا ان الماء قد غاص

---

(١) المطمح: ٧٢

(٢) المطمح: ٧٣." [1]

"وتحض على **الفتوة**، وتصرف النفس إلى الخلاعة واللذات وتسهل الانهماك في الشطارة والعشق وتنهي عن الحقائق حتى ربما أدى ذلك إلى الهلاك والفساد في الدين وتبذير المال في الوجوه الذميمة وأخلاق العرض واذهاب المروءة وتضييع الواجبات. وان سماع شعر رقيق لينقض بنية الرائض لنفسه حتى يحتاج إلى إصلاحها ومعاناتها برهة، لا سيما ما كان يعني بالمذكر وصفة الخمر والخلاعة، فان هذا النوع يسهل الفسوق ويهون المعاصي ويردي جملة.

والضرب الثاني: الأشعار المقولة في التصعلك وذكر الحروب مشعر عنترة وعروة بن الورد وسعد بن ناشب وما هنالك، فان هذه أشعار تثير النفوس وتهيج الطبيعة وتسهل على المرء موارد التلف في غير حق وربما أدته إلى هلاك نفسه في غير حق والى خسارة الآخرة مع اثارة الفتن وتهوين الجنايات والأحوال الشنيعة والشره إلى الظلم وسفك الدماء.

والضرب الثالث: أشعار التغرب وصفات المفاوز والبيد المهامه فأنها تسهل التحول والتغرب وتنشب المرء فيما ربما صعب عليه التخلص منه بلا معنى.

والضرب الرابع: الهجاء فان هذا الضرب أفسد الضروب لطالبه فانه يهون على المرء الكون في حالة أهل السفه من كناسي الحشوش والمعاناة لصنعة الزمير المتكسبين بالسفاهة والنذالة والخساسة وتمزيق الأعراض وذكر العورات وانتهاك حرم الآبار

---

(١) تاريخ الأدب الأندلسي (عصر سيادة قرطبة)، ١ ص/١٦٦

والأمهات وفي هذا حلول الدمار في الدنيا والآخرة.

ثم صنفان من الشعر لا بنهي عنهما نهيا تاما ولا يحض عليها بل هما عندنا من المباح المكروه وهما: المدح والرثاء، فأما إباحتهما فلأن فيهما ذكر فضائل الموت والممدوح وهذا يقتضي للراوي ذلك الشعر الرغبة في مثل ذلك الحال، وأما كراهتنا لهما فان اكثر ما في هذين." (١)

"إلى الحب والغزل، وعلى شيء من عوائدهم وأساليبهم فيهما، وحدثنا عن غرام بعضهم بالجمال الأشقر، وعن اتخاذ الحمائم لتبليغ الرسائل، وعن التهادي بخصل الشعر مبخرة بالعنبر مرشوشة بماء الورد وقد جمعت في اصلها بالصطكي وبالشمع الأبيض المصفى ولفت في تطاريف الوشي والخز وما أشبه لتكون تذكرة للمحبين، وحدثنا عن ضروب من الحب عندهم أدت إلى الجنون وأخرى أدت إلى الانتحار. ويستشف من أقوال ابن حزم سيطرة الجارية على دنيا الغزل، في الأكثر، وقد يكون من الأخبار ذات الدلالة العميقة قوله: ان المنصور بن أبي عامر قتل جارية تغنت بغزل قيل فيه " صبح " أم مؤيد، وان آلا مغيث استؤصلوا ولم يبق منهم إلا الشريد الضال لأن أحمد بن مغيث تغزل بإحدى بنات الخلفاء (١) ، مما يدل على قيام حدود صارمة تجعل نساء الأشراف في منزلة خاصة لا تتطاول إليها، أولاً يجب أن تتطاول، عيون الشعراء المتغزلين.

على ان ابن حزم ربط الحب في رسالته بالنظرة الأفلاطونية أو قل وثق العلاقة بينه وبين الاخلاق، ولم يكن جاريا في هذا على طبيعته المتدينة فحسب، بل كان أيضاً يصور تيارا قويا في شعر الحب بالأندلس، وجد قبل ان يكتب طوق الحمامة. إذ كانت علاقة الشعر بالأخلاق قد أخذت تتحدد لا على نحو رومنطيقي إعرابي كما حدث في نسيب المشارقة إبان العصر الأموي بل على نحو من الإيمان بالعفاف عند المقدرة وانه سمة أخلاقية ملازمة للفتوة نفسها، تلك الفتوة النابعة أيضاً من النظرة الدينية. وكان ابن فرج صاحب الحدائق نفسه من خير من يمثلون هذا الاتجاه في مقطوعتين من شعره وصلتا إلينا، يقول في إحداهما:

(١) الطوق: ٣٨.." (٢)

"بحيث احتجت عن عينيه القيم الجماعية، كما احتجت عنه إمكان سقوط العظمة التي يستظل بظلها فلما تقلص الظل أصيب الشاعر " بضربة " المفاجأة الحادة؟ هل كان المعتمد رمزا للبطولة والفروسية والفتوة الكاملة فكان انهياره مأساويا لأنه كان يعني انهيار الرمز الكبير؟ هل أحس أولئك الشعراء انهم يودعون صورة " السيادة " العربية في الأندلس إلى الأبد؟ هل كان بكاؤهم على صاحبهم نفورا طبيعيا من السادة الجدد ونحن نعلم أن الشعراء الثلاثة تحاسوا سلطان المرابطين من بعد، ولم يتصلوا بهم؟ . لم لا نقول أن سقوط " العزيز " ؟الصديق - الراعي - الشاعر ؟يستدعي الأسى مثلما يستدعي الوفاء؟

(١) تاريخ الأدب الأندلسي (عصر سيادة قرطبة)، ا ص/١٨٦

(٢) تاريخ الأدب الأندلسي (عصر الطوائف والمرابطين)، ا ص/١٥٧

وقد كان المعتمد نفسه كأحد هؤلاء الأوفياء في إحساسه بالتغيير المخيف الذي لحقه بعد السرير والصولجان، حين اصبح أسيراً مقيدا " وحمل في السيفين، وأحل في العدوة محل الدفين، تنبذه منابره واعواده، ولا يدنو منه زواره ولا عواده " (١) ، فتمثل قصوره: المبارك والوحيد والزاهي ورأى التاج والنهر وكل ما ألفه في أيام ملكه تندبه وتبكيه، واستشهر الغربة والإذلال في كل خطوة، فسجل مشاعره الحزينة وهو يقارن بين حالتيه، وتخير اللحظات التي يحس الإنسان فيها بالبون الواسع بين معالم البهجة والأسى كأيام العيد، فصور ما آل إليه وما آلت إليه بناته من جوع وفقر (٢) :

فيما مضى كنت بالأعياد مسرورا ... فجاءك العيد في اغمات مسرورا

ترى بناتك في الاطمار جائعة ... يغزلن للناس لا يملكن قطميرا

---

(١) القلائد: ٢٣ - ٢٤.

(٢) ديوان المعتمد: ١٠٠ - ١٠١.." [1]

"إن يطل بعدك ليلي فلكم ... بت أشكو قصر الليل معك

وقال يتغزل في ولادة بنت المستكفي التي كان يهواها، وكانت شاعرة:

يا نازحاً، وضمير القلب مثواه ... أنستك دنياك عبداً أنت دنياه

ألهتك عنه فكاهات تلذ بها ... فليس يجري ببال منك ذكراه

عل الليالي تبقيني إلى أمد ... الله يعلم والأيام معناه

وكتب إلى ابن عبد العزيز صاحب بلنسية:

راحت فصح بها السقيم ... ريح معطرة النسيم

مقبولة هبت قبو ... لاً فهي تعبق في الشميم

أفضيض مسك أم بلن ... سية لرياها نميم؟!

بلد حبيب أفقه ... لفتى يحل به كريم

إيه أبا عبد الإل ... له نداء مغلوب العزيم

إن عيل صبري من فرا ... قك، فالعذاب به أليم

أو أتبعتك حنينها ... نفس، فأنت لها قسيم

ذكرى لعهدك كالسها ... د سرى فبرح بالسليم

مهما ذممت فما زما ... ني في زمامك بالذميم

زمن كمألوف الرضا ... ع يشوق ذكراه الفطيم

أيام أعقد ناظر ... ي بذلك المرأي الوسيم

---

(١) تاريخ الأدب الأندلسي (عصر الطوائف والمرابطين)، ١ ص/١٨٩

فأرى الفتوة غضة ... في ثوب أواه حليم

الله يعلم أن حب ... ك من فؤادي في الصميم

ولئن تحمل عنك بي ... جسم، فعن قلب مقيم

وله في ولادة القصيدة التي ضربت في الإبداع بسهم، وطلعت في كل خاطر ووهم، ونزعت منزعاً قصر عنه حبيب وابن الجهم:

بنتم وبنا، فما ابتلت جوانحنا ... شوقاً إليكم، ولا جفت مآقينا

تكاد حين تناجيكم ضمائرنا ... يقضي علينا الأسى، لولا تأسينا

حالت لفقدكم أيامنا فغدت ... سوداً، وكانت بكم بيضاً ليالينا

إذ جانب العيش طلق من تألفنا ... ومورد اللهو صاف من تصافينا

وإذ هصرنا غصون الوصل دانية ... قطوفها، فجنينا منه ماشينا

ليسق عهدكم عهد السرور، فما ... كنتم لأرواحنا إلا رياحينا

من مبلغ الملبسينا بانتزاحهم ... حزناً مع الدهر لا يبلى ويبلينا

أن الزمان الذي كنا نسر به ... أنساً بقربهم، قد عاد يبكينا

غيظ العدا من تساقينا الهوى فدعوا ... بأن نغص، فقال الدهر آمينا

فانحل ما كان معقوداً بأنفسنا ... وانبت ما كان موصولاً بأيدينا

وقد نكون وما يخشى تفرقنا ... فالآن نحن وما يرجى تلاقينا

لم نعتقد بعدكم إلا الوفاء لكم ... رأياً، ولم نتقلد غيره دينا

لا تحسبوا نأيكم عنا يغيرنا ... أن طال ما غير النأي المحبينا

؟والله ما طلبت أهواؤنا بدلاً منكم، ولا انصرفت عنكم أمانينا

ولا اتخذنا خليلاً عنك يشغلنا ... ولا اتخذنا بديلاً منك يسلينا

يا ساري البرق غاد القصر فاسق به ... من كان صرف الهوى والود يسقينا

ويا نسيم الصبا بلغ تحيتنا ... من لو على البعد حيي كان يحيينا

يا روضة طالما أجنت لواحظنا ... ورداً جناه الصبا غضاً ونسرينا

ويا حياة تملينا بزهرتها ... منى ضروباً، ولذات أفانينا

ويا نعيماً خطرنا من غضارته ... في وشي نعمي سحبنا ذيلها حينا

لسنا نسميك إجلالاً وتكرمة ... وقدرك المعتلي عن ذاك يغنينا

إذا انفردت، وما شوركت في صفة ... فحسبنا الوصف إيضاحاً وتبيينا

يا جنة الخلد، بدلنا بسلسلها ... والكوثر العذب زقوماً وغسلينا

كأننا لم نبت، والوصل ثالثنا ... والسعد قد غض من أجفان واشينا

سران في خاطر الظلماء يكتمنا ... حتى يكاد لسان الصبح يفشينا." (١)

" المال الذي ذكره وسعى به كذبا عليه وخوفا من أن يقع في يده فقال له المنصور سألتك أيها الشيخ أن تعفو عنه فقال قد عفوت عنه وأعتقه ووهبته الثلاثة آلاف التي أخذها وثلاثة آلاف أخرى أدفعها إليه فقال له المنصور ما على ما فعلت من مزيد قال بلى يا أمير المؤمنين إن هذا كله لقليل في مقابلة كلامك لي وعفوك عني ثم انصرف قال الربيع فكان المنصور يتعجب منه وكلما ذكره يقول ما رأيت مثل هذا الشيخ يا ربيع

وغضب الرشيد على حميد الطوسي فدعا له بالنطع والسيف فبكى فقال له ما يبكيك فقال والله يا أمير المؤمنين ما أفزع من الموت لأنه لا بد منه وإنما بكيت أسفا على خروجي من الدنيا وأمير المؤمنين ساخط علي فضحك وعفى عنه وقال إن الكريم إذا خادعته انخدع وأمر زياد بضرب عنق رجل فقال أيها الأمير إن لي بك حرمة قال وما هي قال إن أبي جارك بالبصرة قال ومن أبوك قال يا مولاي إني نسيت اسم نفسي فكيف لا أنسى اسم أبي فرد زياد كمه على فمه وضحك وعفا عنه وأمر الحجاج بقتل رجل فقال أسألك بالذي أنت غدا بين يديه أذل موقفا مني بين يديك إلا عفوت عني فعفا عنه ولما ضرب الحجاج رقاب أصحاب ابن الأشعث أتى رجل من بني تميم فقال والله يا حجاج لئن كنا أسأنا في الذنب ما أحسنت في العفو فقال الحجاج أف لهذه الجيف أما كان فيهم من يحسن الكلام مثل هذا وعفا عنه وخلى سبيله وكان إبراهيم بن المهدي يقول والله ما عفا عني المأمون تقربا إلى الله تعالى ولا صلة الرحم ولكن له سوق في العفو يكره أن تكسد بقتلي وسئل الفضل عن الفتوة فقال الصفح عن عثرات الأخوان وفي بعض الكتب المنزلة إن كثرة العفو زيادة في العمر واصله قوله تعالى (ما ينفع الناس فيمكث في الأرض) وقال يزيد بن مزيد أرسل إلي الرشيد ليلا يدعوني فأوجست منه خيفة فقال لي أنت القائل أنا ركن الدولة ." (٢)

"" الصاحب بن عباد " :هو تلميذ إبن العميد، ولكنه فوقه بالصعود في طبقتي المرقصات والمطربات، كقوله: نحن سيدي بمجلس غني إلا عنك، شاكر إلا منك، قد تفتحت فيه عيون النرجس، وتوردت خدود البنفسج، وفاحت مجامر الأترج، وفتقت فارات النارنج، وأنطلقت السن العيدان، وقام خطباء الأوتار: هبت رياح الأقداح، ونفقت سوق الأنس، وقام منادي الطرب، وطلعت كواكب الندمان، وأمتد سماء الند، فبحياتي، إلا ما حضرت لنحصل بك في جنة الخلد، وتتصل الواسطة بالعقد. " وقوله في أخرى " : مجلسنا يا سيدي مفتقر إليك، معول في شرفه عليك، فقد أبت راحته أن تصفو إلا أن تتناولها يمناك، وأقسم غناؤه أن لا يطيب حتى تعيه أذناك، فأما خدود نارجه فقد إحمرت خجلاً لإبطائك، وأما عيون نرجسه فقد حدّقت تأهيلاً للقائك، فبحياتي عليك، إلا ما تعجلت عليك، إلا ما تعجلت لهذه الأوطار، لئلا يخبث من يومي ما طاب، ويعود من همي ما طار، وكقوله: لا إعتراض بين الشمس والقمر، والروض والمطر. " وقوله " : الفاظ كما تورق الأشجار، ومعان كما تضحك الأزهار، من غرته تغور السلامة، حدثته السن الندامة، وكقوله: إثني عليه

---

(١) المغرب في حلى المغرب، ١ ص/٩

(٢) المستطرف، ١ /٤١٣

ثناء العطشان الوارد، على الماء البارد.

" أبو النصر العتبي " : كاتب السلطان محمود هو عندي أرفع الجميع طبقة بما يليق بهذا الكتاب، فإنه فيه أطال وأطاب، وأخذ بالآزرة لا بالأهداب، وأما أقسم على ذلك بأجل ما يقسم به وبراءتي عن يميني، وقوف المطالب بالتحقيق على كابه الموسوم باليميني، فقد صمنه من ذلك العجائب، حط بمراقية مراتب كوكب، وعنوان محاسنه في هذا الباب قوله: يوم رقت غلائل صحوه، وغنجت شمائل جوه، وضحكت ثغور رياضه، وأطرد زرد النسيم فوق حياضه، وفاحت مجامر الأزهار، وأنتشرت قلائد الأغصان عن فرائد النوار، وقسام خطباء الأطيار، على منابر الأشجار، ودارت أفلاك الأيدي بشموس الراح، في بروج الأقداح، وقد سيبنا العقل في مروج الجنون، وجعلنا العذارى بأيدي المجون، فبحق الفتوة التي زان الله بها طبعك، والمروءة التي قصر الله عليها أصلك وفرعك، ألا تفضلت بالحضور، ونظمت لنا بك عقد السرور، وقوله: خيفة سألت في أودية الظنون، وبسطت إليه أجنحة المنون، ونفرته عن ضم القوادم للسكون. وقوله: ولما تسامع القوم بإقباله دب الفشل في تضاعيف أحشائهم، وسرى الوهل في تفاريق أعضائهم، وضاقت عليهم الأرض بما رحبت، فجيوب الأقطار عنهم مزورورة، وذيول الخذلان عليهم مجرورة. وكقوله: لئن حرمت برك والدار دانية، ثم رزقته والمسافة نائية، فقد يضن الحبيب قريباً بوصاله، ثم يسمح بعيداً بطيف خياله، والله يطلع علينا سوالف، تلك الأيام، السوالف، مغلقة الأصداغ بأعتاب الزمان، معجمة الأطراف بخيلان الحسن والأخلاق.

" بديع الزمان الهمذاني " : من سابقي هذه الحلبة، وممن جاز في مراتبهم أعلى رتبة، وشاهدي على ذلك قوه لمن قدم إليه كتابه قبل الوفود إليه، كتابي والبحر وإن لم أره، فقد سمعت خبره، والليث وإن لم ألقه، فقد تصورت خلقه، والملك العادل وإن لم أكن لقيته، فقد بلغني هيبته وصيته، ومن رأى من السيف أثره، فقد رأى أكثره، وهذه الحضرة وإن إحتاج إليها المأمون، ولم يستغن عنها قارون، فإن الأحب إليّ أن أقصدها قصد موال، والرجوع عنها بجمال أحب إلي من الرجوع بمال، قدمت لتعريف، وأنا أنتظر الجواب الشريف، فإن نشط الأمير لضيف ظله خفيف، وضالته رغيف، فليزجر له بالإستقبال، طائر الإقبال. " ومن محاسن تركيبه " التي إحتذى البلغاء فيها حبذوه قوله: أنا لقرب مولاي "كما طرب النشوان مالت به الخمر " ، ومن الإرتياح إلى لقائه، "كما أنتفض العصفور بلله القطر " ، ومن الإمتزاج بولائه، " إلتقت الصهباء والبارد العذب، ومن الإبتهاج بمزاره، "كما إهتزت تحت البارح الغصن الرطب " .

" الأمير أبو الفضل الميكاي " : له في طبقات هذا الكتاب محاسن عنوانها مثل قوله: لو إستطعت لطرت بأجنحة السحائب، وخطبت بالشكر على متون الكواكب، وقوله: كلام سلب الماء رقته، والنحل ريقته، وقوله: أيام ظل العيش رطب، وكنف الهوى رحب، وشرب الصهباء عذب.." (١)

"قال: وأنا أعرق في هذا الأمر من أبي، وأكثر تردداً فيه من جدي، وأحق في هذا الفضل من المولى والعربي. ولنا بعد في أنفسنا ما لا ينكر من الصبر تحت ظلال السيوف القصار والرماح الطوال. ولنا معانقة الأبطال عند تحطم القنا وانقطاع الصفائح. ولنا المواجأة بالسكاكين، وتلقى الخناجر بالعيون، ونحن حماة المستلحم، وأبناء المضايق. ونحن أهل الثبات

---

(١) المرقصات والمطربات، ١ ص/٤

عند الجولة، والمعرفة عند الحيرة، وأصحاب المشهرات، وزينة العساكر وحلى الجيوش، ومن يمشي في الرمح، ويختال بين الصفين. ونحن أصحاب الفتك والإقدام، ولنا بعد التسلق، ونقب المدن، والتقحم على ظبات السيوف وأطراف الرماح، ورضخ الجندل، وهشم العمد، والصبر على الجراح وعلى جر السلاح إذا طار قلب الأعرابي، وساء ظن الخراساني. ثم الصبر تحت العقوبة، والاحتجاج عند المساءلة، واجتماع العقل، وصحة الطرف، وثبات القدمين، وقلة التكفي بحبل العقابين، والبعد من الإقرار، وقلة الخضوع للدهر والخضوع عند جفوة الزوار وجفاء الأقارب والإخوان.

ولنا القتال عند أبواب الخنادق، ورؤوس القناطر. ونحن الموت الأحمر عند أبواب النقب. ولنا المواجأة في الأزقة، والصبر على قتال السجون. فسل عن ذلك الخليدية، والكتفية، والبلالية، والخريبية. ونحن أصحاب المكابدات وأرباب البيات، وقتل الناس جهاراً في الأسواق والطرقات.

ونحن نجمع بين السلة والمزاحفة. ونحن أصحاب القنا الطوال ما كنا رجالة، والمطارد القصار ما كنا فرسانا. فإن صرنا كمناً فالحتف القاضي، والسم الذعاف. وإن كنا طلائع فكلنا يقوم مقام أمير الجيش. نقاتل بالليل كما نقاتل بالنهار، ونقاتل في الماء كما نقاتل على الأرض، ونقاتل في القرية كما نقاتل في المحلة.

ونحن أفتك وأخشب، ونحن أقطع للطريق وأذكر في الثغور، مع حسن القدود وجودة الخرط ومقادير اللحى، وحسن العمة، والنفس المرة. وأصحاب الباطل **والفتوة**، ثم الخط والكتابة، والفقه والرواية.

ولنا بغداد بأسرها، تسكن ما سكنا، وتتحرك ما تحركنا. والدنيا كلها معلقةٌ بها، وصائرةٌ إلى معناها. فإذا كان هذا أمرها وقدرها فجميع الدنيا تبعٌ لها. وكذلك أهلها لأهلها، وفتاكها لفتاكها، وخلاعها لخلاعها، ورؤساؤها لرؤسائها، وصلحاؤها لصلحائها.

ونحن بعد تربية الخلفاء، وجيران الوزراء، ولدنا في أفنية ملوكنا، ونحن أجنحة خلفائنا، فأخذنا بآثارهم، واحتذينا على مثالهم، فلسنا نعرف سواهم، ولا نعرف بغيرهم، ولا يطمع فينا أحد قط من خطاب ملكهم، وممن يترشح للاعتراض عليهم. فمن أحق بالأثرة، وأولى بالقرب في المنزلة ممن هذه الخصال فيه، وهذه الخلال له.

بسم الله الرحمن الرحيم إن ذهبنا حفظك الله بعقب هذه الاحتجاجات، وعند مقطع هذه الاستدلالات، نستعمل هذه المعارضة بمناقب الأتراك، والموازنة بين خصالهم وخصال كل صنف من هذه الأصناف، سلكنا في هذا الكتاب سبيل أصحاب الخصومات في كتبهم، وطريق أصحاب الأهواء في الاختلاف الذي بينهم.

وكتابنا هذا إنما تكلفناه لنؤلف بين قلوبهم التي كانت مختلفة، ولنزيد الألفة إن كانت مؤتلفة، ولنخبر عن اتفاق أسبابهم لتجتمع كلمتهم، ولتسلم صدورهم، وليعرف من كان لا يعرف منهم موضع التفاوت في النسب، وكم مقدار الخلاف في الحسب، فلا يغير بعضهم مغير، ولا يفسده عدو بأباطيل مموهة وشبهات مزورة؛فإن المنافق العليم، والعدو ذا الكيد العظيم، قد يصور لهم الباطل في صورة الحق، ويلبس الإضاعة ثياب الحزم. إلا أنا على حال سنذكر جملاً من أحاديث رويناها ووعيناها، وأمور رأيناها وشاهدناها، وفضائل تلقفناها من أفواه الرجال وسمعناها.

وسنذكر جميع ما في هذه الأصناف من الآلات والأدوات، ثم ننظر أيهم لها أشد استعمالاً، وبها أشد استقلالاً، ومن أثقب

كيسا وأفتح عيناً وأذكى يقيناً، وأبعد غوراً وأجمع أمراً، وأعم خواطر وأكثر غرائب، وأبدع طريقاً، وأدوم نفعاً في الحروب، وأضرى وأدرب دربةً، وأغمض مكيدةً، وأشد احتراساً وألطف احتيالاً؛ حتى يكون الخيار في يد الناظر المتصفح لمعانيه، والمقلّب لوجوهه، والمفكّر في أبوابه، والمقابل بين أوله وآخره، فلا نكون نحن انتحلنا شيئاً دون شيء، وتقلدنا تفضيل بعضٍ على بعض، بل لعلّنا أن لا نخبر عن خاصة ما عندنا بحرف واحد.." (١)

"وخصصنا في أيامنا وزماننا بفتية أشراف، وخلان نظاف، انتظم لهم من آلات الفتوة وأسباب المروءة ما كان محجوباً عن غيرهم، معدوماً من سواهم، فحملني الكلف والمودة لهم والسرور بتخليد فخرهم وتشييد ذكرهم والحرص على تقويم أود ذي الأود منهم حتى يلحق بأهل الكمال في صناعته، والفضل في معرفته، على تمييز طبقة طبقة منهم، وتسمية أهل كل طبقة بأوصافهم، وآلاتهم وأدواتهم، والمذاهب التي نسبوا إليها أنفسهم، واحتملهم إخوانهم عليها. وخلطنا جداً بهزل، ومزجنا تقريعاً بتعريض، ولم نرد بأحد مما سمينا سوءاً، ولا تعمدنا نقداً ولا تجاوزنا حداً.

ولو استعملنا غير الصدق لفضلنا قوماً وحابينا آخرين. ولم نفعل ذلك؛ تجنباً للحيف، وقصداً للإنصاف. وقد نعلم أن كثيراً منهم سيبالغ في الذم، ويحتفل في الشتم، ويذهب في ذلك غير مذهبنا.

وما أيسر ذلك فيما يجب من حقوق الفتيان وتفكيههم، والله حسيب من ظلم، عليه نتوكل وبه نستعين، وهو رب العرش العظيم.

ولم نقصد في وصف من وصفنا من الطبقات التي صنفنا منهم، إلا لمن أدركنا من أهل زماننا ممن حصل بمدينة السلام، إذ من خرج عنها ونزع إلى الفتوة بعد التوبة، وإلى أخلاق الحداثة بعد الحنكة، وذلك في سنة خمس عشرة ومائتين. فرحم الله أمراً أحسن في ذلك أمرنا، وحذا فيه حذونا، ولم يعجل إلى ذمنا، ودعا بالمغفرة والرحمة لنا.

وقد تركنا في كل باب من الأبواب التي صنفنا في كتابنا، فرجاً لزيادة إن زادت، ولاحقة إن لحقت، أو نابتة إن نبتت. ومن عسى أن ينتقل به الحذق من مرتبته إلى ما هو أعلى منها، أو يعجز به القصور عما هو عليه منها إلى ما هو دونها، إلى مكانه الذي إليه نقله ارتفاع درجة أو انحطاطها، ومن لعلنا نصير إلى ذكره ممن عزب عنا ذكره، وأنسينا اسمه، ولم يحط علمنا به، فنصيره في موضعه، ونلحقه بأصحابنا.

وليس لأحد أن يثبت شيئاً من هذه الأصناف إلا بعلمنا، ولا يستبد بأمر فيه دوننا. ويورد ذلك علينا فنمتحنه، ونعرفه بما عنده، ويصير إلى ترتيبه في المرتبة التي يستحقها، والطبقة التي يحتملها.

فلما استتب لنا الفراغ مما أردنا من ذلك خطر ببالنا كثرة العيابين من الجهال برب العالمين، فلم نأمن أن يسرعوا بسفه رأيهم وخفة أحلامهم إلى نقض كتابنا وتبديله، وتحريفه عن مواضعه، وإزالته عن أماكنه التي عليها رسمنا، وأن يقول كل امرىء منهم في ذلك على حاله، وبقدر هواه ورأيه، وموافقته ومخالفته، والميل في ذلك إلى بعض، والذم لطبقة والحمد لأخرى، فيهجنوا كتابنا، ويلحقوا بنا ما ليس من شأننا.

وأحببنا أن نأخذ في ذلك بالحزم، وأن نحتاط فيه لأنفسنا ومن ضمه كتابنا، ونبادر إلى تفريق نسخ منها وتصييرها في أيدي

---

(١) الرسائل للجاحظ، ا ص/٦

الثقات والمستبصرين، الذين كانوا في هذا الشأن، ثم ختموا ذلك بالعزلة والتوبة منه، كصالح بن أبي صالح، وكأحمد بن سلام، وصالح مولى رشيدة.

ففعلنا ذلك وصيرناه أمانة في أعناقهم، ونسخة باقية في أيديهم، ووثقنا بهم أمناء ومستودعين وحفظة غير مضيعين ولا متهمين. وعلمنا أنهم لا يدعون صيانة ما استودعوا، وحفظ ما عليه ائتمنوا.

فإن شيب به شوب يخالفه، وأضيف إليه ما لا يلائمه، رجعنا إلى النسخة المنصوبة، والأصول المخلدة عند ذوي الأمانة والثقة، واقتصرنا عليها، واستعلينا بها على المبطلين، ودفعنا بها إدغال المدغلين، وتحريف المحرفين، وتزيد المتزيدين، إن شاء الله.

ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

فصل من صدر كتابه في النساء

إنا لما ذكرنا في كتابنا هذا الحب الذي هو أصل الهوى، والهوى الذي يتفرع منه العشق، والعشق الذي يهيم له الإنسان على وجهه أو يموت كمداً على فراشه. وأول ذلك إدخال الضيم على مروءته، واستشعار الذلة لمن أطاف بعشيقته.." (١)

"فقد شاركنا العربي في فخره، والخراساني في مجده، والبنوي في فضله، ثم تفردنا بما لم يشاركونا فيه، ولا سابقونا إليه.

قالوا: ونحن أشكل بالرعية، وأقرب إلى طباع الدهماء، وهم بنا آنس، وإلينا أسكن، وإلى لقائنا أحن. ونحن بهم أرحم، وعليهم أعطف، وبهم أشبه. فمن أحق بالأثرة، وأولى بحسن المنزلة ممن هذه الخصال له، وهذه الخلال فيه.

وقلت: وذكرت أن البنوي قال: نحن أصل خراساني، وهو مخرج الدولة، ومطلع الدعوة، ومنها نجم هذا القرن، وصبأ هذا الناب، وتفجر هذا الينبوع، واستفاض هذا البحر، حتى ضرب الحق بجرانه، وطبق الآفاق بضيائه، فأبرأ من السقم القديم، وشفي من الداء العضال، وأغنى من العيلة، وبصر من العمى.

وهذه بغداد وهي مستقر الخلافة، والقرار بعد الجولة، وفيها بقية رجال الدعوة، وأبناء أبناء الشيعة، وهي خراسان العراق، وبيت الخلافة وموضع المادة.

وأنا أعرق في هذا الأمر من أبي، وأكثر تردداً فيه من جدي، وأحق بهذا الفضل من المولى والعربي.

ولنا بعد في أنفسنا ما لا ينكر من الصبر تحت ظلال السيوف القصار، والرماح الطوال، ولنا معانقة الأبطال عند تحطم القنا، وانقطاع الصفائح، ولنا المواجأة بالسكاكين، وتلقي الخناجر بالعيون.

ونحن حماة المستلحم، وأبناء المضايق، ونحن أهل الثبات عند الجولة، والمعرفة عند الحيرة، وأصحاب المشهرات، وزينة العساكر وحلى الجيوش، ومن يمشي في الرمح، ويختال بين الصفين، ونحن أصحاب الفتك والإقدام.

ولنا بعد التسلق ونقب المدن، والتقحم على ظبات السيوف، وأطراف الرماح، ورضخ الجندل، وهشم العمد، والصبر تحت الجراح، وعلى جر السلاح، إذا طار قلب الأعرابي، وساء ظن الخراساني.

ثم الصبر تحت العقوبة، والاحتجاج عند المسألة، واجتماع العقل، وصحة الطرف، وثبات القدمين، وقلة التكفي بجبل

---

(١) الرسائل للجاحظ، ١ ص/١٨٩

العقابين، والبعد من الإقرار، وقلة الخضوع للدهر، والخضوع عند جفوة الزوار، وجفاء الأقارب والإخوان. ولنا القتال عند أبواب الخنادق ورءوس القناطر.

ونحن الموت الأحمر عند أبواب النقب، ولنا المواجأة في الأزقة، والصبر على قتال السجون. فسل عن ذلك الخليدية والكتفية والبلالية، والحزبية، ونحن أصحاب المكابرات، وأرباب البيات، وقتل الناس جهاراً في الأسواق والطرقات.

ونحن نجمع بين السلة والمزاحفة. ونحن أصحاب القنا الطوال ما كنا رجالة، والمطارد القصار ما كنا فرساناً. فإن صرنا كمناً فالحتف القاضي، والسم الزعاف، وإن كنا طلائع فكلنا يقوم مقام أمير الجيش. نقاتل بالليل كما نقاتل بالنهار، ونقاتل في الماء كما نقاتل في الأرض، ونقاتل في القرية كما نقاتل في المحلة.

ونحن أفتك وأخشب. ونحن أقطع للطريق، وأذكر في الثغور، مع حسن القدود، وجودة الخرط، ومقادير اللحى، وحسن العمة، والنفس المرة، وأصحاب الباطل **والفتوة**، ثم الخط والكتابة، والفقه والرواية.

ولنا بغداد بأسرها، تسكن ما سكنا، وتتحرك ما تحركنا. والدنيا كلها معلقة بها، وصائرة إلى مغناها، فإذا كان هذا أمرها وقدرها فجميع الدنيا تبع لها، وكذلك أهلها لأهلها، وفتاكها لفتاكها، وخلاعها لخلاعها، ورؤساؤها لرؤسائها، وصلحاؤها لصلحائها.

ونحن تربية الخلفاء، وجيران الوزراء، ولدنا في أفنية ملوكنا، ونحن أجنحة خلفائنا، فأخذنا بآدابهم، واحتذينا على مثالهم، فلسنا نعرف سواهم، ولا نتهم بغيرهم، ولم يطمع فينا أحد قط من خطاب ملكهم، وممن يترشح للاعتراض عليهم. فمن أحق بالأثرة، وأولى بالقرب في المنزلة ممن هذه الخصال فيه، وهذه الخلال له.

إن ذهبنا – حفظك الله – بعقب هذه الاحتجاجات، وعند منقطع هذه الاستدلالات نستعمل المفاوضة بمناقب الأتراك، والمقارنة بين خصالهم وخصال كل صنف من هذه الأصناف، سلكنا في هذا الكتاب سبيل أصحاب الخصومات في كتبهم، وطريق أصحاب الأهواء في الاختلاف الذي بينهم.

وكتابنا هذا إنما تكلفناه لنؤلف بين قلوبهم إن كانت مختلفة، ولنزيد في الألفة إن كانت مؤتلفة، ولنخبر عن اتفاق أسبابهم، لتجتمع كلمتهم، ولتسلم صدورهم، وليعرف من كان لا يعرف منهم موضع التفاوت في النسب كم مقدار الخلاف في الحسب، لئلا يغير بعضهم مغير، ويفسده عدو بأباطيل مموهة، وشبهات مزورة، فإن المنافق العليم، والعدو ذا الكيد العظيم قد يصور لمن دونه الباطل في صورة الحق، ويلبس الإضاعة ثياب الحزم.." (١)

"اعلم أن المروة هي عماد الأدباء، وعتاد العقلاء، يرئس بها صاحبها، ويشرف بها كاسبها، ولا شيء أزين بالمرء من المروة، فهي رأس الظرف **والفتوة**. وقد قال بعض الحكماء: الأدب يحتاج معه إلى المروة والمروة لا يحتاج معها إلى الأدب. وربما رأيت ذا المروة الخامل، وذا السخاء الجاهل، قد غطت مروته على عيوبه، وستره سخاؤه من معيبه. وأهل المروءات محسودة أفعالهم، متبعة أحوالهم. وقل ما رأيت حاسداً على أدب، وراغباً في أرب. من ذلك ما حكي عن محمد بن حرب أنه قال: كنت على شرطة جعفر بالمدينة، فأتيت بأعرابي من بني أسد يستعدى عليه، فرأيت رجلاً له بيان يحتمل الصنيعة،

(١) الرسائل للجاحظ، ١ ص/١٩٩

فرغبت في اتخاذها عنده فتخلصته ثم لم يلبث أن ردّ إليَّ، فقلت: حماس؟ فقال لي: حماس، والله؛ قلت: ما أرجعك؟ قال: الشر، وما قاله رجل منا يقال له خالد، فأنشدني:

عادوا مروتنا، فضلل سعيهم، ... ولكل بيت مروة أعداء

لسنا، إذا عد الفخار كمعشر ... أزرى بفعل أبيهم الأبناء

قال: فتخلّصته ثانية.

وقيل لبعض حكماء الفرس: أي شيء للمروة أشد تهجيناً؟ فقال: للملوك صغر في الهمة، وللعامة الصَّلف، وللفقهاء الهوى، وللنساء قلة الحياء، وللعامة الكذب، والصبر على المروة صعب، وتحملها عبء. وقد قال خالد بن صفوان: لولا أن المروة اشتدت مؤونتها، وثقل حملها ما ترك اللئام للكرام منها شيئاً، ولكنه لما ثقل محملها، واشتدت مؤونتها حاد عنها اللئام، فاحتملها الكرام.

وقال بعضهم: المكارم لا تكون إلا بالمكاره، ولو كانت خفيفة لتناولها السفلة بالغلبة.

وقال ابن عمر: ما حمل رجل حملاً أثقل من المروة، فقال له أصحابه: صف لنا ذلك! فقال: ما له عندي حد أعرفه، إلا أني ما استحييت من شيء قط علانية، إلا استحييت منه سراً.

وقام رجل من بني مجاشع إلى النبي، صلى الله عليه وسلم، فقال: يا رسول الله ألست أفضل قومي؟ فقال: إن كان لك عقل، فلك فضل، وإن كان لك خلق، فلك مروة، وإن كان لك مال، فلك حسب، وإن كان لك دين، فلك تقى، وإن كان لك تقى، فلك دين.

وروى الهلالي قال: قال رسول الله، صلى الله عليه وسلم، لرجل من ثقيف: ما المروة فيكم؟ قال: الصلاح في الدين، وإصلاح المعيشة، وسخاء النفس، وصلة الرحم. فقال النبي، صلى الله عليه وسلم: كذلك هي فينا.

وقال عمر بن الخطاب: المروة الظاهرة الثياب الطاهرة، يعني النقية من الذنوب.

وقيل للأحنف: ما المروة؟ قال: إصلاح المعيشة، واحتمال الجريرة.

وقال معاوية لصعصعة بن صفوان: ما المروة؟ قال: الصبر على ما ينوبك، والصمت حتى تحتاج إلى الكلام.

وقال محمد بن علي بن الحسين: كمال المروة الفقه في الدين، والصبر على النوائب، وحسن تقدير المعيشة.

وقال معاوية لرجل من عبد القيس: ما تعدون المروة فيكم؟ قال: العفة والحرفة.

وقيل لأبي زهرة: ما المروة؟ قال: إصلاح الحال والرزانة في المجالس، والغداء والعشاء بالأفنية.

وقال عمر بن الخطاب: حسب المرء ماله، وكرمه دينه، وأصله عقله، ومروته خلقه.

وقال علي بن أبي طالب: مروة الرجل حيث يضع نفسه.

وقال عبد الله بن سميط بن عجلان: سمعت أيوب السجستاني يقول: لا ينبل الرجل، حتى تكون فيه خصلتان: العفة عن الناس، والتجاوز عنهم.

وقال مسلمة بن عبد الملك: مروتان ظاهرتان: الرياسة والفصاحة.

وكان يقال: ثلاث يفسدن المروة: الالتفات في الطريق، والشح، والحرص.

وقال عمر بن هبيرة: عليكم بمباكرة الغداء فإن في مباكرة الغداء ثلاث خلال: يطيب النكهة، ويطفئ المرة، ويعين على المروة، قيل: وما إعانته على المروة؟ قال: لا تتوق النفس إلى طعام غيره.

وقال سلم بن قتيبة: لا تتم مروة الرجل، حتى يصبر على مناجاة الشيوخ الدرد.

وسأل ابن زياد رجلاً من الدهاقين: ما المروة فيكم؟ قال: أربع خصال: أن يعتزل الرجل الريبة فلا يكون في شيء منها، فإنه إذا كان مريباً كان ذليلاً، وأن يصلح ماله، فإن من أفسد ماله لم تكن له مروة، وأن يقوم لأهله بما يحتاجون إليه، حتى يستغنوا به عن غيره، فإن من احتاج أهله إلى الناس لم تكن له مروة، وأن ينظر فيما يوافقه من الطعام والشراب فيلزمه، فإن المروة ألا يخلط على نفسه في مطعمه ولا مشربه.

وكان يقال: ثلاث من المروة: تعاهد الرجل إخوانه، وإصلاح معيشته، وإقالته في منزله.." (١)

"اعلم أن من زيّ الظرفاء، وأهل المروّة والأدباء، وأرباب الديانة والترفُّل، استعمال السِّواك والتسوُّك، فهو أنبل النظافة، وأحسن الطهارة، وأكمل المُروّة، ويرغب فيه أهل الظرف **والفُتوّة**، وله خِصالٌ مستحسنةٌ، وهو أيضاً من السُّنّة.

وقد روي في الخبر المأثور عن النبي، صلى الله عليه وسلم، أنه قال: " طهّروا أفواهك فإنها مسالكُ التسبيح " .

وعن أبي بكر الصديق، رضي الله عنه، أنه قال: " السواك مَطْهرةٌ للفم مرضاةٌ للرب " .

وحدّثنا أبي قال: حدّثنا ابن شَيبة عن عبد الله بن إدريس عن محمد بن إسحاق عن عبد الله بن أبي بكر عن عمر عن عائشة قالت: " قال رسول الله، صلى الله عليه وسلم، السواك مَطْهرةٌ للفم مرضاةٌ للربّ " .

وعن علي بن أبي طالب، عليه السلام: أن النبي، صلى الله عليه وسلم، كان إذا قام من الليل تسوّك.

وعن أبي المَليح عن واثِلة بن الأسقَع قال: قال رسول الله، صلى الله عليه وسلم: " لقد أمرتُ بالسواك، حتى حسبتُ أن يكون يُكتب عليّ " .

وعن ابن أبي مُليكة قال: عائشة تقول: " مات رسول الله، صلى الله عليه وسلم، في بيتي، وليلتي، ويومي، وبين سَحْري ونحري، وخلطْتُ ريقه بريقي. فقلت: يا أمّ المؤمنين، وكيف خَلَطت ريقه بريقكِ؟ قالت: دخل عبد الرحمن بن أبي بكر وبيده سواكٌ، فنظر إليه النبي، صلى الله عليه وسلم، فقلتُ: قد اشتهى السواك، فأخذتُ سِواكه فمضغته ثم أعطيته، فاستاك، عليه السلام، فلم يشغل النبي، صلى الله عليه وسلم، نزول الموت عن طلب السواك، إذ هو أظرف ما استُعمل، وأنبل ما استُحسن، لأنه يُبيّض الأسنان، ويُصفّي الأذهان، ويُطيّب النكهة، ويطفئ المِرّة، ويُنشّف البلغم، ويَشُدّ اللثّة، ويُقوّي العُمور، ويجلو البصر، ويُحدّ النظر، ويفتح السُّدَدَ، ويُشهّي الطعام.

وقد استعملوا أمر المَساويك الأراك وقصب السكّر، وأصول السوس، وعود المَحلَب، وعُروق الإذخِر، وعُقَد العاقِرْقَرحا، وكلما أغربوا في اتخاذ ذلك كان أكمل لظَرفهم، وأبلغ في معاني وصفهم.

وللمَساويك أوقاتٌ معلوماتٌ، ومواضع محدوداتٌ، لا تُستعمل في غير أوقاتها، ولا يُتجاوز بها عن ساعاتها، فجائزٌ استعمالها بالغَدَوات والعَشيّات، وأوقات الظهيرات، وقبل الغَداة، وبعد الصلاة، وعلى الريق، وعند النوم، وفي نهار الصوم.

---

(١) الموشى، ١ ص/١٣

ولا يجوز السواك عندهم في موطن شتّى، منها: الخَلاء، والحمّام، وقارعة الطريق، ومَحفِل الناس؛ ولا يَستاك أحدهم وهو قائمٌ، ولا متّكئٌ، ولا نائمٌ، ولا حيث يراه أحدٌ، ولا يَستاك ويتكلّم.

والسواك في الخَلاء والحَمّام من فِعل السِّفلة والعوامّ، وهو أيضاً يُرخي اللثّة، ويُغيّر النكهة، وليس ذلك عندهم من فِعل الأدباء، ولا من فعل ذوي المُروّة والظرفاء. وقد اتخذ أهل الظرف للمساويك طُسوتاً لِطافاً، وأباريق الشَّبَه الخِفاف، وكراسي الأبنوس المصدَّفة، والخيزران المُشبّكة، والأحقاق المخروطة، والمِسواكْدانات المدهونة، والسَّنونات المعمولة، ووقّتوا له الأوقات المعلومة، التي جعلوها كالفرائض المكتوبة، والسُّنن المفروضة، يتأهّبون لوقته.

ولا يَستعملون رأس المسواك مدةً طويلة، وذلك عندهم من الأفعال الذليلة، ويتّخذون لها لفائف الخزّ، وعصائب القَزّ، ليصونوها بذلك عن الدَّنس، ويوقّوها من الغُبار والنجَس، وقد تهادى أيضاً أهلُ الظرف المَساويك، وأقاموها مقام الرهينة، والتذكرة، والوَديعة، والقُبلة، كما فعلوا باللُّبان الممضوغ، والتفاح المَعضوض. وقال العبّاس بن الأحنف:

طال ليلي بجانب المَيدان ... مع جَواري المهديّ والخيزرانِ

أرسلَت باللُّبان قد مضغَته ... بين تفّاحتين في ريحانِ

وبمسواكها الذي اختاره الل ... ه لفيها من طيّب الأغصانِ

فكأني وجدتُ ريحاً من الفِرْ ... دوس فاحَت من ريح ذاك اللُّبانِ

وقال أيضاً:

ولّما وهبتُم خاتماً فرددتُه ... لمعرفتي أنّ الخَواتيم تقْطَعُ

فأهدي سِواكاً مسّ فاكِ فإنه ... يُسكِّن ناراً في جَوى القلب تلذَعُ

وقال بشار بن برد العُقيلي يذكر ذلك أيضاً:

تسوّكتْ لي بمسواكٍ لتُعلِمني ... ما طعم فيها وما همّت بإصلاحِ." (١)

"ومن تكامل ظَرف الظريف ظهور بزّته، وظهور طيب رائحته، ونقاء درنه، ونظافة بدنه، ولا يتّسخ له ثوبٌ، ولا يَدرَن له جيب، ولا ينفتق له ذيل، ولا يُرى في دخاريصه مَيل، ولا في سَراويله ثقب، ولا يطول له ظُفْرٌ، ولا يَكثُر له شَعر، ولا يفوح لإبطه دَفَر، ولا لبدنه غَمَر، ولا يسيل له أنف، ولا يَسود له كفّ، ولا يظهر له شُقاق، ولا يَرشَّش له بصاق، ولا يقف في مأقِه رَمَد، ولا صِوارِه زَبَد.

ومن زيّهم في مُصاحبة الأودّاء، ومعاشرة الأخلاّء، حفظ العهود، وإنجاز الوعود، والدوام على الوفاء، وقلّة الرغبة في الجفاء؛ وحسن المؤاتاة لأودّائهم، والمساعدة لأخلاّئهم، والبِشر بمن لَقوا، والتفقّد لمن فقدوا، والمساعفة بأبدانهم، والمعونة بأموالهم، وتخفيف المُؤن على إخوانهم، وكفّ الأذى عن جيرانهم، والصفح عن المسيء لهم عند إساءته، ومقابلة المحسن بإحسانه، والترحيب بالصغير، والتبجيل بالكبير.

وقد حدّثني محمد بن يونس القيسي قال: حدثنا يزيد بن بيان قال: حدثنا أبو الرجال عن أنس بن مالك قال: قال رسول

---

(١) الموشى، ١ ص/٦٤

الله، صلى الله عليه وسلم: " ما من شابّ أكرم شيخاً عند سنّه إلا قيّض الله له من يُكرمه عند سنّه " .

وقد يجب أيضاً على أهل المُرُوّة مثل الذي يجب على أهل الظرف، والفُتُوّة والأدب، لأنهما ليسا باللذاذة والقصف، ولا بالمفاخرة والحسب، وإنما هما بكمال المُرُوّة والأدب، ولن يعرف الفتى جميل مواهب الفُتُوّة، إلا بسُلوك طرائق المُرُوّة، وقد ذُكرت الفتوّة عند بعض العلماء فقال: إن الفتوة ليست بالفسق والفجور، ولكنها طعامٌ موضوعٌ، وأذىً مرفوع، ونائلٌ مبذولٌ، وبِشرٌ مقبول، وعَفافٌ معروفٌ، واجتنابٌ للقبيح، وأدبٌ ظاهرٌ، وخُلق طاهر، وتركُ مجالسة أهل الشرور، والسموُّ إلى معالي الأمور، والإحسان إلى من أساء، ومكافأة من أحسن، وقضاء حوائج الناس، فهذه جملة من زيّهم في حُسن مناقبهم، ومستحسَن جميل مذاهبهم، ولهم أيضاً رقة الطبع، والتلطّف في كل الأمور، والمداراة، والتملّق، والتأنّي، والترفّق، ومن ذلك قولهم: من حَبّ طَبّ، أي رَفِق ودارى، ومن ذلك سُمّي الطبيبُ طبيباً لترفّقه ومداراته؛ والعرب تقول: هو طَبٌّ بالأمور، أي عالمٌ رفيقٌ؛ قال عمر بن أبي ربيعة:

فأتتْها طَبّةٌ عالمةٌ ... تخلِط الجِدّ مِراراً باللعبْ

ترفع الصوت إذا لانت لها ... وتراخى عند سَوراتِ الغضبْ

ولهم حسن التأني فيما يُريدونه، ولطيف الحيَل فيما يحاولونه، وخفيُّ التلّطف لما يطالبونه؛ حوائجُهُم سريّةٌ، وسرائرهم مخفية، وأمورهم باطنةٌ، وحيلهم لطيفة، يُورِدون الأمور مواردها، ويُصدرونها مصادرها. ولهم فيما استحسنوا من الهدايا بينهم، والبرّ والمُلاطفة والمُكاتبة، والتُّحفة من غيرهم، ما يُستصغر؛ ومن ذلك أنهم ربما أهْدوا الأُتْرُجة الواحدة، والتفاحة الواحدة، والدَّسْتَبويَة اللطيفة، والشَّمّامة اللطيفة، والغُصن من الريحان، والطاقة من النرجِس، والرطلَ من الشراب، والقطعة من العُود، والمَخْزَنة من الطيب، والشيء اليسير، والوَهْط الصغير، ونظير ذلك من الأشياء القليلة، الحقيرة والذليلة، التي لا قدر لها عند ذوي العقول، فيُستكثر ذلك منهم، ويُتلقّى بالقَبول، وتُستحسن هداياهم وتُستظرف، ويُفرَحُ بها وتُستظرف. ورغبة غيرهم من الناس في الأشياء الجليلة، والهدايا النبيلة، والطُّرف السريّة، والتُحف السنيّة، غير أهل الظرف، فإنهم اقتصروا على اللطف اللطيف، والبرّ الخفيف.

ومن ذلك كُتُبُهم المِلاح، وألفاظهم الصحاح، التي يستعطفون بها القلوب، ويسترون بها العيوب، ويستقيلون بها العثرات، ويستدركون بها الهفَوات، التي قد استخلصوها من بديع الحرير الصيني، ومليح المُلحَم النيسابوري، وصفيق الدَّبيقي الحَفي، ونقي التاختَج والقوهي. وتغلغلوا إلى الكتابة في ذلك بالذهب والمِسك والزعفران، والسُّكّ، واتّخذوا لها طَرائف المناديل الرِّقاق، وجِياد الزنانير الدقاق، وطيّبوها بالمِسك والذرائر، وعَنْونوها بمُتظرّفات الأمثال والنوادر، وخَتموها بالغالية المستمسِكة، وطبعوها بنُتَف الألفاظ المهلِكة؛ وقد ضُمّنَت من مَليح المُكاتبة، وطرائف المُعاتبة، وجميل المطالبة، وشكيل المداعبة، ما يُقرّبون به البعيد، ويُهوّنون بن الشديد.." (١)

"عوجا على الطلل المحيل لعلنا ... نبكي الديار كما بكى ابن حذام

في الوقوف حيث انتهت راحة، والترعيج فيه زيادة تعبها وكلالها، وإن قلت المسافة، كما قال أبو تمام:

---

(١) الموشى، ١ ص/٦٨

وما بك إركابي من الرشد مركباً ... ألا إنما حاولت رشد الركائب

لأن هذا القول منه دل على الترعيج والتردد في الرسوم، أو أن أصحابه أرادوا أن يستمر في السير ولا يتعوق في الوقوف فيعود عليها ذلك بضرر في العاقبة وإن أكسبها راحة ما في الوقوف، فقال له أبو تمام " إنما حاولت رشد الركائب " لا رشدي، فأما الأصمعي فإنه يرى التعريج أيضاً وقوفا لا عدولا، قال أبو حاتم: قلت له: ما معنى عرج؟ قال: قف، فقلت: يقال: عرج إذا عدل؟ فقال: لا، وأنشد بيت ذى الرمة:

يا حدايي بنت فضاض أما لكماحتى نكلمها همٌ بتعريج

أي همٌ بوقوف، وهذا لا يمنع أن يكون همٌ بعدول، ونفس الاشتقاق يدل على العدولن والله أعلم.

وقال كثير يصف السيل:

فطوراً يسيل على قصده ... وطوراً يعرج ألا يسيلا

فلو كان هناك قصد إلى الدار من جماعتهم أو منه وحده لما لاموه، ولا عنفوه على احتباسه وإطالته، ولا استعجلوه وهو دائبا يسألهم التلؤم عليه والتوقف معه.

وهذه طريقة القوم في الوقوف على الديار، ولهم فيها من الأشعار ما هو أشهر وأكثر من أن أحتاج إلى ذكره، وتلك سبيل سائر المحدثين، وطريقة الطائيين ما عدلا عنها، ولا خرجا إلى غيرها، ألا ترى إلى قول أبي تمام:

ما في وقوفك ساعةً من باس ... نقصي ذمام الأربع الأدراس

كيف سأل صاحبه أن يقف عليه ساعةً؟ ثم قال بعد بيت آخر:

لا يسعد المشتاق وسنان الهوى ... يبس المدامع بارد الأنفاس

وقوله:

لا تمنعني وقفة أشفى بها ... داء الفراق فإنها ماعون

وقال البحتري:

يا وهب هب لأخيك وقفة مسعدٍ ... يعطى الأسى من دمع المبذول

وقال أيضاً:

قف بها وقفةً ترد عليها ... أدمعاً ردها الكرى أنضاء

وقال أيضاً:

ماذا عليك من انتظار متيمٍ ... بل ما تضرك وقفةٌ في منزل

وقال أيضاً:

خلياه ووقفةً في الرسوم ... يخل من بعض بثه المكتوم

ثم إنا ما علمنا أحداً قصد داراً عفت من شقةٍ بعيدة، واحداً كان أو في جماعة، للتسليم عليها، والمسألة لها، ثم انصرفوا راجعين من حيث جاءوا، وإن هذا ما سمح به، ولا هو من أغراضهم؛ إذ ليس فيه جدوى، ولا يؤدي إلى فائدة، لأن المحبوب إن كان حياً موجوداً فقصد رباعه ومواطنه التي هو قاطنها والإلمام به فيها أولى وأحرى، وإن كان ميتا فالإلمام بناحية الأرض

التي فيها حفرته أولى وأحرى، وعلى أنهم لا يكادون يزورون القبور، وإنما وقفوا علىالديار، وعرجوا عليها عند الاجتياز بها والاقتراب منها؛ لأنهم تذكروا عند مشارفتها أوطارهم فيها، فنازعتهم نفوسهم إلى الوقوف عليها، والتلوم بها، ورأوا أن ذلك من كرم العهد وحسن الوفاء، ألا ترى إلى قول أبي تمام:

أمواطن الفتيان نطوى لم نزر ... شوقاً ولم نندب لهن صعيدا؟

ويروى " لم نزر شعفاً " أي: كيف نطوى الرسوم والدمن التي هي مواقف أهل **الفتوة**، يريد الكرام، ولم نزر حزناً لها ولا سهلا، لأنه أراد بالعشف ما ارتفع من الأرض وعلا، وأراد بالصعيد ما اطمأن من الأرض وسفل، والصعيد إنما هو وجه الأرض الذي فيه التراب، وأكثر ما يكون فيما اطمأن من الأرض، لا فيما علا، فكانوا يرون الوقوف على الديار من **الفتوة** والمروءة، وأن طيها عند الاجتياز بها من النذالة وقبيح الرعاية وسوء العهد.

وما أحسن ما قال أبو نواس:

وإذا مررت على الديار مسلماً ... فلغير دار أميمة الهجران

على طريقة القوم المعتادة.

وقال البحتري يخاطب نفسه أو صاحباً معه:

قف العيس قد أدنى خطاها كلالها ... وسل دار سعدى إن شفاك سؤالها

فمن زعم أن البحتري بهذا القول كان قاصداً للدار وغير مجتازٍ احتاج إلى دليل من لفظ البيت يدل عليه، ولا سبيل له إلى ذلك.

فإن قيل: ولم لا يكون للمطية حق على من بلغته منازل الأحباب يوجب أن يكرمها ويريحها كما قال أبو نواس:

وإذا المطي بنا بلغن محمداً ... فظهورهن على الرجال حرام." (١)

"أخبر في البيت الأول أن التقى بلؤمه في الحبيب الذي لا يلام في مثله ثم أتبع ذلك)خبران(النزاهة رفعت عنه قدره والنزاهة غير التقية وجعل الثاني لقلبه عنه المساعي الجسام وثنى غير التقية أيضاً وليس يثني قلوب العشاق عن العشاق مساع تكون لهم جساماً والذي قسم فأوضح الأقسام وعدل بين موازين الكلام ابن الرومي في قوله:

ينهاهُ عن مأثمٍ تقي ورعٍ ... فيه، وعن مدنسٍ تقي أنف

فلم يدع ذكر الورع وضده من الإثم والأنف وضده من المدنس ولم يخلط في أقسامه ولا خالف بين كلامه فهو أولى بما سبق إليه.

وقال المتنبي:

إنّ بعضاً من القريض هَذاءٌ ... ليس شيئاً وبعضهُ أحكامُ

منهُ ما يجلبُ البراعة والفض ... ل منه ما يجلبُ البِرسامُ

هذا يشبه قول القائل:

---

(١) الموازنة، ١ ص/٩٦

وبعضُ بيوتِ الشعر حكمٌ وبعضها ... جلالفةٌ في ظُلمه الليل خاطِبه

وقال أبو العتاهية:

ولكنَّ قول الشعر ما لم يكن هدى ... ونوراً وحكماً كان عيّاً وظُلمه

وقال: البرسام وليس للعرب إلا البلسام، وقد قال بشار:

أبا أحمدٍ طُول انتظاري يليه ... ووعدك داءٌ مثل داءُ المُبلسمِ

فعجلْ ببأس أو بتعجل حاجة ... كفى ببيان من فصيحٍ وأعجمِ

ولأنك كالعذراء يوم نِكاحها ... إذا استؤذيت في نفسها لم تكلمِ

وقال أبو العباس أحمد بن يحيى تعلب يقال: تبلسم الرجل ولا تعرفه العرب بالزاء.

وبعدها أبيات أوّلها:

لا تنكرن رحيلي عنكَ في عجلٍ ... فإنني لرحيلي غيرُ مُختارِ

يقول فيها:

وربّما فارقَ الإنسان مُهجته ... يوم الوغَى غير قالٍ خَشْية العارِ

ينظر إلى قول ابن الرومي:

أبَتْ لي قُبولَ الضيم نفسٌ أبيّة ... تبيع بعز الموتِ ذُل حَياتها

وبعدها قصيدة أوّلها:

عذيري مِنْ عَذارى من أمورٍ ... سَكَنَّ جَوانحي بدل الخُدور

معنى البيت من عذيري من إنكار خطوب سكن جوانحي بدل خدورهن على وجه الاستعارة لما جعلها إنكارا جعل لها خدورا.

وقال المتنبي:

ومبتسماتِ هيجاواتِ عصرٍ ... عن الأسيافِ ليس عن الثُّغور

معنى الكلام وحروب تبسم هيجاواتها عن الأسياف ليس عن الثغور وهي ألفاظ هائلة المسموع قليلة المنفوع كأنها ثياب خلقان لها روعة وليس لها مقش طائل.

وقال المتنبي:

ركبتُ مشمراً قدمي إليها ... وكلّ عُذافرٍ قلقِ الضُّفُورِ

مشية في الحرب على قدمه أو ركوب الإبل أحسن منه ركوب الخيل، فأما قول الحطيئة:

إما تباشرُك الهمو ... مُ فإنَّها داءُ مخامِرْ

ولقد تقضبيها الصَّري ... مة عنك والقلقُ العُذَافِرُ

فذلك جيد لأن الأسفار وركوب الإبل والعزيمة على الصبر إلى المسافات الطوال ربما أورد من الفوائد ما يزيل الهموم.

وقال المتنبي:

أعرضُ للرّماحِ الصمِّ نحري ... وأنصِبُ حُرَّ وجهي للهجيرِ

صدر البيت من قول القتالي:

نُعرضُ للطّعان إذا ألتقينا ... وُجُوهاً لا تعرّض للسِّبابِ

فجاء بالمعنى وزاد في كلامه ما هو من تمامه وجمع بين **الفتوة** والمروءة وعجز البيت من قول المثقب:

فقلت لبعضهنَّ وشُد رحلي ... لها جَرةٍ نصبتُ لها جَبيني

ولكن أبا الطيب قد جمع الطويل في الموجز القليل وللقتالي زيادة عليه.

وقال المتنبي:

عدوي كل شيء فيك حتى ... لخلت الأكم موغرة الصّدور

فسره بعض أهل العربية فقال معناه أن الأكم تنبو به فلا يطمئن فيها وكل ذلك لعداوته وذكر أن فيه معنى آخر أنها موغرة الصدور لحرارتها وهذا تفسير مظلم لا يحصل له معنى يفهم والذي أرى أن مقصد أبي الطيب أنه رأى في عدوه كل شيء من البشر قد أجمع حتى أوهمه ذلك أن الأكم موغرة الصدور من شرها واحتراقها بنار الحسد والحقد وما شاكل ذلك مما يجر الصدور فضلاً عن الناس.

وقال المتنبي:

ولكني حُسِدتُ على حياتي ... وما خيرُ الحياةِ بلا سُرُورِ

يقرب من قول القائل:

غير مأسوفٍ على زمنٍ ... ينقضي بالهمِ والحُزنِ

يتلوها أبيات هجو في الذهبي:

لما نُسبتَ فكنت ابناً لغير أبِ ... ثُمّ اختبرتَ فلم ترجع إلى أدب." (١)

"ما أن زاد على أن عكس المعنى شبه بشراتهن بعبراته وشبه الديك عبرته بخديه فالمعنى متساوٍ والسابق أولى به.

وقال المتنبي:

فكأنُها شجرٌ بدتْ لكنَّها ... شجرٌ جنيت المُرّ من ثَمراتها

نبهه على هذا المعنى وأشار إليه أبو نؤاس بقوله:

لا أذودُ الطير عن شجرٍ ... قد بلوتُ المرّ من ثمرهْ

قال الحصني:

تخيروا شجراتٍ غير زاكيةٍ ... لقد جنى ثمر المكروه جانيها

هذه معانٍ مستحسنات في معانٍ مختلفات، أما أبو الطيب فإنه شبه الظعن بالشجر ولكنه شجر حتى الموت من ثمراتها وأبو نؤاس يتذكر صنيع أحبابه فلا يعارض البين فيهم لما جنى عليه من مرّ ثمره واستعار الطير وأسم الشجر لما أحتاج إليه من

---

(١) المنصف للسارق والمسروق منه، ١ ص/١٢٨

ذكر الثمر والحصني يذكر اصطفاهم ناساً غير أطاليب فقد جنى ثمر المكروه جاني ثمرهم فالمقاصد وإن اختلفت فالمعاني والاستعارات فقد اتفقت والأول أحق بما فتح.

وقال المتنبي:

إني على شغفي بما في خُمرها ... لأَعِفُّ عما في سَراويلاتِهَا

هذا مما أورده أبو العباس النامي المصيصي في عيوبه فإن كان اشتهى لفظ السراويلات فلا علة لذلك إلا أنها تضم ما تضمه مما يقصد فيه إلى مقصد رديء ولا فرق بين هذا وبين قول أبي نؤاس:

وجهي إذا أقبلت يشفعُ لي ... وبلاءُ قلبك حسن ما خَلْفي

وليس يعيب المحبوب أن يجنب منه الفاسق ما خلفه ويمتنع أو قدامه وقد شرط الرجل العفاف ولم يزل الشعراء يستجيزون النظر إلى الحسن ويعفون عن غير ذلك كما قال مسلم:

أخذتُ لطرف العينِ منها تصيبه ... وأخلفتِ من كفي مكان المخلخلِ

وقال ابن أبي زرعة:

إذا ما خلت مني تناولت كفّها ... وقبلتُ وسط البحر واسطة العِقْدِ

أخذتْ التي فيها العقاب لآخذ ... ولم أرد الأخرى بهزلٍ ولا جدِ

وقال المتنبي:

وترى المروّة والفتوّة والأب ... وّة في كل مليحة ضرّاتها

هُنّ الثلاث المانعاتي لذَّتي ... في خلوتي إلا الخوفُ من تبعاتِها

هذا شعر يدل على قلة ورع وأحسن تخلصاً منه قول القائل:

رموني وإياها بشنعاتهم بها ... أحقُ أذال الله منهم وعجلا

يا من تركناهُ وربّ محمدٍ ... عياناً فأما عفةٌ وتجمَّلا

وقسم الترك على العفة والجميل الذي معناه مروءة ولم يستخف بالتبعات وأحسن تخلصاً منه ابن الرومي حيث يقول:

ينهاه عن مأثمٍ تقي ورعٍ ... فيه، وعن مدنسٍ تقي أنفِ

فجعل تركه للمأثم ورعاً وللمدنس أنفاً وهذا كلام نبيل وتقسيم جليل وقد وافقه إبراهيم بن المهدي بقوله:

استحيبا إلاّ تعفا واعلما ... أن ليس ما أخفيتماه بخافِ

يا رب مجتنب لما فارقتما ... متنزه عنه بغيرِ عفافِ

وقول إبراهيم أقل قبحاً لأنه قد يجوز أن يدفع المرء المأثم تنزهاً لا العفاف ويكون مع عدم العفاف خائفاً من تبعاتها وأبو الطيب قد استعمل شكاً منه خوف التبعات ونسأل الله أن يقينا فيه القول والعمل.

وقال المتنبي:

ومقانبٍ بمقانبٍ غادرتُها ... أقوات وحشٍ كُنّ من أقواتها

المألوف أن يقتات الناس من الوحش الظباء والحمير والبقر والأرانب والثعالب وهذه الأجناس كلها لا تأكل القتلى وإنما تأكلهم السباع والنمور والذئاب وليس هذه من الأقوات فإن أكل منها شيء فجوع مفرط قد فسد معناه على هذا.

وقال المتنبي:

إن الكرام بلا كرامٍ منهُمُ ... مثلُ القلوبِ بلا سُويداواتها

قال الحصني:

حللت من القلوب وأنتَ أهل ... لذاك محل حبات القلوبِ

فالنفي والإثبات هاهنا متساوٍ.

وقال المتنبي:

تلك النفوسُ الغالبات على العُلا ... والمجدُ يغلبُها على شَهَواتها

يريد أنها تغلب على العلا بتركها شهواتها من المال واللذات وهو ينظر إلى قول أبي تمام

إلى سالبِ الجبّار بيضةَ مُلكه ... وآملُه غادٍ عليه فسالبُهْ

فسلبه بيضة ملك الجبار وسلب الأمل له ما حازه من جنس غلبه الممدوحين على العلا وغلبة المجد لهم على شهواتهم.

وقال المتنبي:

تكبُو وراءَكَ يا بن أحمد قُرَّحٌ ... ليست قوائمهن من آلاتِهَا

الهاء من آلاتها: عائدة على)وراءك(لأنها مؤنثة معناه هذه القرح تكبو وراءك إذا تبعتك ولا تحملها قوائمها لصعوبة مسالكك.

وقال المتنبي:." (١)

"ثم قال: وهذا موضع يزيغ عنه العقل الإنسي، ويوسوس منه الإنسان العنصري، وذلك لأن العقل يجد العلة الأولى وجداناً على أتم صورة وأشرف نعت، وأبلغ قول، فيهش إليه ويتهالك عليه، قابلاً لفيضه، ومقتبساً من ذاته، وسابحاً في جوده، ومتشبها بحقيقته، ومناسباً بنعته، يتحلى به من كان به عاقلاً ومن كان به كاملاً على ما دونه وعزوفاً عما سواه، فلذلك يظن الإنسان إذا سما عقله إلى هذه الآفاق العلية ودنا نحو هذه الغايات البعيدة أنه خولط وجن وأنه وسوس، وهذا عار يحل على بؤبؤة العين وناظر الحدقة في حيث هذه الحدائق المؤنقة، والظلال الريحة، والثمرات الحلوة والنعمة الدائمة، والسعادة الحاصلة، والأمنية الشاملة.

قيل: ينزل قليلاً عن هذه الربوة فإنها قد أخذتنا عن درجاتنا ومقاماتنا إلى ما هيئنا لمعرفة هذه الدقائق والتوغل في هذه الأعماق ما **الفتوة؟**

قال: طهارة الحدة والطراوة في كل حال مباشرة، لأنها متى فقدت جاءت الخلوقة والرثاثة، ومن ذلك سمي الفتى فتى، والفتى فتياً لأن الكرم والمجد والجود والعفة والنجدة وكبر النفس وعلو الهمة وسائر خصال الفضل والخير غضة في كل زمان طرية في

(١) المنصف للسارق والمسروق منه، ا ص/١٣٣

كل مكان، كان الطاهر بها والمطهر لها والمؤثر لأجكامها والمجدد لرسومها فتى وصاحب فتوة.

قيل له: فما المرؤة، فإنها تتبع **الفتوة؟** فقال: هي القيام بخواص ما الإنسان يكون عليه محموداً وبه ممدوحاً، وهي أعني المرؤة أشد لصوقاً بباطن الإنسان، وأما **الفتوة** فهي أشد ظهوراً من الإنسان، فكأن الأولى أخص، والثانية أعم، أني لا فتوة لمن لا مرؤة له، وقد يكون ذو مرؤة ولا فتوة له، فإما إذااجتمعا فقد أخذ الحبل بطرفيه، وملك الأمر بجنوبه.." (١)

"ومن أبرز رواياته: الأب غوريو وأوجيني غرانديه وزنابق الوادي وبالثازار وابن العم بون وابنة العم بت وعائلة شوان وطبيب القرية والفلاحون والبحث عن المطلق...

وعلى الرغم من أن قصصه ليست فصولاً لسيرة واحدة فقد كان من دأبه تكرار النماذج نفهسا في أكثر من قصة. وكان – مثل موليير– من أبرع مخترعي النماذج البشريّة، يصفها وكأنما عايشها في أمكنة سكنها وعملها. فهو يرصدها في جميع حركاتها وأعمالها وعاداتها ويصفها خارجياً وداخلياً دون أن يهمل أي شيء من التفصيلات والملامح والألبسة والأمكنة واللهجات فيجعل القارئ يكوّن لها صورة واضحة لاتنسى بحيث يصبح وكأنه مشاهد ومشارك.

فيكتورين

.. "كانت فيكتورين بيضاء كالعاج، وكالمصابة بداء اليرقان؛ تبدو غارقةً في كآبة دائمة، وكبتٍ متواصل. ومع ذلك ترى على وجهها مسحةً من رونق **الفتّوة**، وفي حركاتها مرونة، وتسمع لصوتها رنَّة عذوبة. كان هذا الشقاء الفتيّ يشبه غرسةً ذابلة الأوراق، قد غرست منذ قليل في تربةٍ لا تلائمها... لونها الشاحب وشعرها الأشقر وقامتها النحيلة، كل ذلك كان يعبر عن هذا اللطف الذي يكتشفه شعراؤنا المعاصرون(١)في تماثيل الأجيال الوسطى... كانت عيناها الرماديتان الضاربتان إلى السّواد تعبران عن وداعة وطاعة مسيحيّتين. فلو أنها كانت سعيدة في حياتها لوجدتها فاتنة. إنّ السعادة صفة النساء الشعريَّة كما أن التبرّج رونقهن...!"

من (الأب غوريو)

ترجمة دار عويدات– بيروت

الذَّهب(٢)

(كان الأب غرانديه يستمتع بشعور الغنى بدلاً من أن يتمتع بالثروة، ويعشق الذهب لذاته. وهنا حوارٌ بينه وبين ابنته أوجيني بحضور أمها والخادمة)

– أصغي إليّ يا أوجيني؛ يجب أن تعطيني ذهبك، ولن ترفضي رغبةً لوالدك، أليس كذلك يا حبيبتي؟

وجمت المرأتان، وتابع:

---

(١) المقابسات .. لأبي حيان التوحيدي، ١ ص/٢٤٥

(١) يقصد الرومانسيين

(٢) ترجمة المؤلف من كتاب: Les Grands Ecrivains de France ص ١٣٥٤." [١]

" ٦٢٩ – يريد (مَشُوب) فبناه على شِيب

قالوا : وأكثر ما ياتي على هذا المنقولُ عن الواو إلى الياء قال الفَرّاء : وأنشدني الكسائي فيما جاء بالواو :

وَيأْوِي إلى زُغْبٍ مسَاكِينَ دُونَهُمْ ... فلاَ لاَ تخطّاهُ الرِّفَاقُ مَهُوبُ)

قال : بناهُ على قول من قال (قَد هُوب الرجل)

قال الفَرّاء : وقولهم (العُصِيّ) (وَالحُقِيّ) بالياء لأنهم يجمعون ما بين الثلاثة منه إلى العشر بالياء فيقال (ثَلاَثُ أدْلٍ) (وَعَشْرَة أحْقٍ) (وَعَشْرُ أعْصٍ) فبنوا الكثير على ذلك

قال : وقولهم (الفُتُوَّة) بالواو وأصلها الياء وهي مصدر من مصادر الياء شاذ حُمِلَ على مصادر الواو وهو قولك (أبٌ بَيِّنُ الأبُوّةِ) (وَأخٌ بَيِّنُ الأخُوَّةِ) (وَرِخْوٌ بَيِّنُ الرُّخُوَّة) فلما حملت الفتوة على مصادر الواو جعلت بالواو كما حملت (الشَّرْوى) – وهو ٦ ٣٠ الْمِثِلُ – على الواو إذ أشبهت مصادر الواو مثل دَعْوَى وَنَجْوَى قال : ثم جمعوا الفتى (فُتُوّا) على ذلك بالواو وكان القياس (فُتِّي)

قال : ولم نجد ياء بعدها واو غير مهموزة في الأسماء إلا في (يَوْم) قال : ولا يقال مِنْ يَوْمٍ فَعَلْت وَلاَ يَفْعَلُ ." [٢]

"وهل شاع القول بتكافؤ الأدلة في هذه الناحية إلا به؟ وكثرا المِراءُ والدل والشّكّ إلا في أيامه، لأنه منع أهل القصص من القصص والذكر والزّجر والمواعظ والرقائق، ومنع من رواية الحديث – وقال: " الحديث " حشو – وتفسير القرآن، ونشر التأويل، وسماع قول الصحابة والتّابعين، وما يُعنَى بين الحلال والحرام، ويتعلّق بجلائل الأحكام، وطَرَدَهم ونَفاهم؛ منهم: ابن فارس، والرُّويانيّ، وابن بابَوَيه، وابن العطّار، وابن شاذان، والبَلخيّ، وفلان وفلان وفلان؛ وأجلس النجّار يخدع الديلم بالزّيدية، وزعم أنه على مقالة زيد بن عليّ ورأيه ودينه ومذهبه، وزيدٌ يعلم الله – بريءٌ منه، لفسقه وفجوره وتهتُّكه وظُلمه وغَصْبه ونهْبه وقتْله النفس المحرّمة، وأخذه الأموال المحظورة. أتُرانا لا نعرف مذهبَ زيد، وأن جميع ما هو فيه مخالف للدين والإسلام. وقال الخثعمي: زعم أنه إنما منَع المذكّرين والقُصّاص لئلا يفشو الحشو والتشبيه ولِئلا يُشَنِّعوا عليه الصغير والكبير، فهلاّ منع من الكلام والجدل لئلا يفشو الإلحاد، ولا تكثر الشُّبه؟ ثم يجلس لأصحاب الحديث، ويروي ويُفسل ويكذب ويختلق الإسناد ويبتِك المتن. فأي عيبٍ لم يظهر به ولم يغلب عليه؟ وأيّ خِزْيٍ لم يبن ولم يكثر؟ وأي فعلٍ سيءٍ لا فعله؟ أَ ليس هو سبب كل قبيحة، وفاتح كل باب شرّ؟ فما هذا الغلط فيه؟ وما هذا التعصّب له؟ وما هذا اللّجاجُ بسببه؟ أَ من العدل الذي يُدل به في مذهبه أن يجور ويغصب، ويقتل؟ أم من التديُّن ب " التوحيد " أن يركب الفاحش ويأتي القاذورات؟ ويخلو بالأُبَن والسوءات؟ ويتسنّم الكبائر المبيرات؟ ثم يبني داراً يسمّيها دار التوبة استهزاءً وسخرية وسُخْنَةَ عين؟ أم من المعروف أن يتعاطى كل منكرٍ قولاً وفعلاً؟ إني لأظن أن من ينصر هذا الرجل لأعمى أصمّ قد أسلمه الله من يده، وألجأه إلى الشيطان

---

(١) المذاهب الأدبية لدى الغرب، ا ص/١٤٢

(٢) أدب الكاتب، ا ص/٤٩١

قرينه.

أم من العقل والمروّة والكرم والفتوة أن يقول: أين مائدتنا من مائدة مطرّف؟ يعني أبا نصر مطرف بن أحمد وزير مرداويج الجبلي، وكان أكرم الناس؛ ومن مائدة المهلبي؟ ومن مائدة ابن العميد؟ وأين طعامنا من طعامه؟ وأين إطعامنا من إطعامه؟ وكان أبو الفضل سيّداً، ولكن لم يشُقُّ غبارنا، ولا أَدرك شِوارنا، ولا مسح عذارنا، ولا عرف عَرارنا لا في علم الدين، ولا فيما يرجع إلى منافع المسلمين. فأما ابنه فقد عرفتم قدره في هذا وفي غيره؛ طيَّاش قلاّش، ليس عنده إلا قاش وقماش، مثل ابن عياش والهروي والحواش.

يا قوم! هذا كلام من له عقل ويرجع إلى رزانة؟ ثم يقول في مجلسه: أنا الذُّعاف لمن حساني، والجُراف لمن عصاني، والجُحاف لمن عَناني أو حرّك عِناني؛ أَخْمصي فوق هامة الدّهر، أين ابنُ الزيّات منّا؟ أين ابن خاقان من غُلامنا، يعني أبا العباس الضّبي، ومن عليُّ بن عيسى الحشوي، ومن ابن الفرات الأرعن، ومن ابن مُقلة الخطّاط، ومن الحسن بن وهب الضرّاط؟ هل كانوا إلاّ دوننا إذا ذُكرت سيادتنا، وشوهدت سعادتنا. وُلدت والشِّعرى في طالعي، ولولا دقيقة لأدركتُ النبوّة، وقد أدركت النبوّة إذ قُمت بالذّبّ عنها والنُّصرة لها؛ فمن ذا يجارينا ويُمارينا ويبارينا ويُهادينا ويُضارينا ويُسارينا ويُشارينا؟ وكاد الخثعمي لا يقطع هذا المجلس لطول ما مرّ فيه، وشِدّة ما أهمّه منه.

فهذا كما ترى.

وقلتُ للمسيبي يوماً: لم انقطعت عن هذا الرجل، وقد كان مُحسناً إليك، مُقدِّماً لك، مُعجباً بك؟ فقال: الصَّبر على الرَّقاعة مُعوز، ومُكاذبة النّفس وخِداع العقل من الكلَف الشاقة والأمور الصّعبة، ولَعَن الله الرّغيف إذا لم يصب إلا بضَعَة النّفس، وغضاضة القدر، وكدّ الروح، ومفارقة الأدب الحسن، ودَنس العِرض النَّقي، وتمزيق الدّين المعتَقَد، وكسب الزّور المُحبِط، وإزالة المروّة المخدومة؛ وإني لَكما قال الشاعر:

وإني عَلَى عُدْمي لَصاحِبُ همّةٍ ... لها مذهَبٌ بين المَجَرَّة والنَّسْرِ

وإنَّ امرءاً دُنْياهُ أكبَرَ هَمِّهِ ... لَمستَمسِكٌ منها بحَبْل غُرورِ

وسمعته يقول لابن ثابت: جعلك الله ممّن إذا خَرِئ شطَّر، وإذا بالَ قطّر، وإذا فَسَا غَبَّر، وإذا ضَرط كبَّر، وإذا عَفَج عَبّر.." (١)

"ثم قال: وأما الرقاعة فانتفاش القُضاة والشهود، ألا تراهم كيف يوسّعون أكمامهم، ويعرّضون جيوبهم، ويُرخون أطواقهم، وينظرون إلى الأرض تعظُّماً على من يُكلّمهم، وتبرّؤا ممن يخالفهم؟ ألا ترى إلى دنياتهم وقرامعتهم وقلانسهم وعمائمهم وتحنبُلهم وتقتُّلهم؟ فهم كما قال الشاعر:

وأَنت باللّيل ذِئبٌ لا حريمَ لَهُ ... وبالنّهار عَلَى سمت ابن سِيرينِ

وإذا تكلم أحدهم خفض صوته، وقطّع حروفه، وسبّح في خلال ذلك، وقال: عافاك الله اسمع! ويا هذا أصلحك الله! ويا عبد الله الصالح! قُل خيراً، ولا قليل من الله، ويا فُلان! اتّق ربك الذي إليه معادك، أما عليك حفظة من قِبَل الله؟ أما

---

(١) أخلاق الوزيرين، ١ ص/٣٥

للإسلام عندك حُرمة؟ أما تؤمن بالله؟ أما تؤمن بيوم الحساب؟ قال: وأما الرّعونة فما عليه الشُّطّار من هؤلاء الشباب الجلد الذين يرفعون الحجر، ويدّعون **الفتوّة**، ويُكثرون ذكرها ويحلفون بها، ويسمّونها " الجوامَرْدِية " ، ترى أحدهم يضيّق الأكمام ويحلّ الأزرار، ويفتُل السِّبال، ويمشي متحاملاً، ويتكلم متصاوِلاً.

قال: وأما الجنون فما تجد عليه هؤلاء الذين يتنازعون بينهم قولهم: أبو بكر خير من عليّ، وعليٌّ خير من أبي بكر؛ وإذا حلفوا قالوا: وقدر عليّ، وحقّ الصدّيق؛ ويقولون: بغداد أطيب من البصرة، وبادية البصرة أخف من بادية الكوفة، والرّازقي خير من البارقيّ، والسُّونائي أحلى من الكرخي، وسامَرَّة فوق " إِرَمَ ذاتِ العِماد " ، وفلان فضلي، وفلان مرعوشي؛ وترى لهم في هذا الطريق اهتماماً وإنفاقاً وقوة ومغالبة ومشاغبة ومحاكمة وملاطمة؛ وهكذا إذا جرى حديث الشاعر والشاعر، كالعوفي والنّاشي، والامح، والقاصّ كالبربهاري والقسري.

وقد صدق هذا الشيخ، فقد سمعنا من هذا ما لا يطمع في إحصائه.

وقال الزّعفراني الشاعر: كيف يكون هذا الرجل – يعني ابن عباد – دياناً ومتألّهاً، وهو يبتذل العلوية والأشراف، ويُهينهم أعوانه، وهم يعدون بين يديه فلا ينكر ذلك منهم؛ ولقد فال يوماً، وهو يريد الركوب لبعض حُجّابه: نظف الطريق من هذه الخنافس والجُعْلان والحرابي والغِربان.

فقلت لبعض من كان إلى جانبي: من يعني؟ فقال: يعني هؤلاء الواردين من الحجاز لسواد ألوانهم وتفلفل شعورهم، ودَمامة وجوههم وانحطاط قدودهم، وقلة دَماثتهم واختلاف حركاتهم وشَمائلهم.

قال: أَ فهذا من التشيّع والولاء وما يجب لهذا البيت؟ ثم يدّعي أنه زيدي، فإذا قرض قصيدة غلاَ، وزاد على العَوْفي والنَّاشِي.

وأما أنا فما رأيت أحداً من خلق الله في حدّته سفه لسانه؛ خرج يوماً من دار مؤيد الدولة من باب غامض هرباً من قوم كانوا يرقبونه على الباب المشهور من السَّحَر الأعلى، وهو وحده بين يديه رِكابي، فعرفته عجوز فقامت في وجهه ودعت له، ومدّت يدها بقصعةٍ معها فقال: ما تريدين يا بظراء يا بخراء يا عَفلاء يا فقماء؟ على هذا إلى تباعد، فبقيت العجوز مبهوتة، وقالت: مسكين هذا الرجل، قد جُنّ.

فقلت لبعض أصحابه: ما هذا النّذل والفُحش والخِفّة والطّيش؟ فقال: هذا دأبه إذا جاع.

فقلت: أجاع الله كبده وسلبه نعمته! وحدثني العتّابي قال: الرجل لا دين له؛ سمعته يقول في الخلوة، وقد جرى حديث المذهب: كيف أنزل عن هذا المذهب، يعني الاعتزال، وقد نصرته وشهرت به نفسي، وعاديت الصغير والكبير، وانقضى عمري فيه؟ قلت للعتابي: ومن أين وقع في هذا الإلحاد؟ فقال: لم يزل مترجّحاً قليل الطُّمأنينة سيءَ اليقين، ولكن أهلكه مُقعدة الذي يقال له النَّصيبي أبو إسحق.

وصدق هذا الشيخ؛ كان أبو إسحق شاكاً في النبوّات، وكان يُصادقبهذا من صافاه ووثق به، وهو الذي قال بنكده وخُبثه: لو ظفر يوم الجمل طلحة والزُّبير وعائشة بعليّ بن أبي طالب، دار الخلاف بينهما، وكان لا يعوّل أحدهما في الاستظهار على صاحبه إلا بأن يتزوج عائشة، ثم يكافح صاحبه بها وبشيعتها الذين فتُّوا بعر جَملها وتشافوا به، وتحاثّوا عليه، وكنا نحن

نكوّر عمائمنا ونرفع طيالسنا ونسرّح لحانا ونكتحل ونحتفل، ثم نجلس في المساجد والجوامع ونحتّج لذلك التّزويج، ونتأول كلّ قولٍ، ونخرّج كلّ خبر، ونبلغ كل غاية بكل حيلة.." (١)

"لا يا وليدي الحبيب! ما أحسب ذلك كله الذي خفف من فرحتي بقدومك، وقد يكون بعض ذلك من بعض، ولكن أمراً واحداً قد يكون أقوى أثراً من كل ما ذكرت، ذلك أني منذ أصبت بهذا المرض – منذ خمس سنوات وشهر تقريباً – وأنا أفكر في عجزي عن تربية إخوتك وأخواتك كما أحب: جنوداً في سبيل الله، ليوثاً في نصرة الحق، بحوراً في فعل الخير، زهرات فواحة في حسن الأحدوثة وجميل الأثر، وها أنت يا بني زدتهم واحداً فأصبحتم ستة، فإن يحل بيني وبين ما أحب لكم، أمر من الله قضاه، فبحسبي هدوءاً أن أعتقد أن لكم عند الله طريقاً أمضاه، ولو أني كنت في مقتبل العمر وعنفوان الشباب، وربيع الفتوة لما استطعت أن أنقض ما أبرم فيكم، أو أحول ما أراد لكم، وبحسبي نبية الخير وإن لم أستطعه، وعزم الرشد وإن عجزت عنه، والله خير حافظاً وهو أرحم الراحمين.

فرح الزوج

الزوج الوفي المحب يفرح بولادة زوجته مرتين: مرة لأنها ولدت له مولوداً، وأخرى لأنها سلمت في ولادتها، ولن أنسى فقد أخت حبيبة وهي على فراش الولادة يرحمها الله، لقد عرفت يومئذ معنى اللوعة على فقد الأحبة، لأول مرة في حياتي، ولأول مرة أبكي عن أبي مع أبي يرحمه الله، وقد هدَّه الحزن عليها، وهو شيخ كبير، وأنا بعد لم أعرف معنى الأبوة ولا دخلت عتبتها، فما أشد فرحة الزوج الأب بولادة زوجته." (٢)

"عناجيج في كل رهو ترى ... رعالاً سراعاً تبارى رعيلا

جوانح يخلجن الظبا ... ء يركضن ميلاً وينزعن ميلا

فظل قصيراً على صحبه ... وظل على القوم يوماً طويلا

@طرفة بن العبد

ترجمته والمختار من شعره

طرفة الشاعر الشاب ٥٤٠ – ٥٦٥ م

ترجمة الشاعر

تمهيد

طرفة شاعر صاحب شخصية واضحة في شعره، وصاحب مذهب واضح في حياته، وداعية من دعاة اللهو واللذة والعبث، وشاب جمع إلى فتوة الشاب وطيشه حكمة الشيوخ وتفكيرهم، ويعجب النقاد والمستشرقون به وبشخصيته وشعره إعجاباً شديداً؛ وشعره صورة واضحة لحياته كل الوضوح، بما كان فيها من مطامح وآمال وآلام وأحداث.

---

(١) أخلاق الوزيرين، ١ ص/٥٨

(٢) هكذا علمتني الحياة، ١ ص/٢٣٧

أسرة الشاعر وبيئته

١ – وطرفة شاعر فحل من أعلام الشعر الجاهلي، وهو من ربيعة من بكر بن وائل إحدى قبيلتيها العظيمتين المشهورتين – وهما بكر وتغلب – فهو بكري ربعي.

وربيعة أخت مضر في الشرف والسيادة وضخامة الحسب والقوة والعدد. وبكر أخت تغلب في المجد والجاه والعزة والأنفة، وهما جميعاً من ربيعة. ومن شعراء بكر: الحارث بن حلزة الشاعر الجاهلي المشهور والمعدود من أصحاب المعلقات، وتوفي أواخر القرن السادس الميلادي، ومنهم المرقش الأكبر والمرقش الأصغر.

ذلك هو نسب الشاعر بين العرب وحسبه، أما أسرته القريبة فهي سعد بن مالك من بني قيس. إذ هو طرفة بن العبد بن سفيان بن سعد بن مالك بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة من بكر بن وائل من ربيعة بن نزار من عدنان الجد الأعلى للعرب الحجازيين العدنانيين كما علمت.. واسم طرفة عمرو، وكنيته أبو عمرو.

٢ – كان قومه في عزة ومنعة بعددهم وحسبهم وشرفهم ومكانتهم بين العرب وكان جده سفيان موصوفاً بالشرف والرئاسة، وكان أبو شاباً قوياً ظاهر الفتوة والجرأة والإقدام، مات وطرفة طفل صغير. وترك غير طرفة ابناً آخر اسمه معبد ورد ذكره في معلقة طرفة:

إذا مت فانعيني بما أنا أهله ... وشقي على الجيب يا ابنة معبد

وأم طرفة اسمها وردة، وورد ذكرها في شعره، قال:." (١)

"٥ – طرفة وابن عمه عبد عمرو: كان عبد عمرو بن بشر بن مرثد بن سعد بن مالك زوجاً للخرنق أخت طرفة، وكان عبد عمرو سيداً كريماً شجاعاً مطاعاً في قومه، ظاهر الثراء والقوة والفتوة، وكان من أجمل العرب، كما كان أثيراً رفيع المنزلة عند عمرو بن هند يداعيه وينادمه، وسيد أهل زمانه كما يقولون.

فجاءت أخت طرفة تشكو إليه شيئاً من أمر زوجها، فغضب الشاعر وهجاه بعد ذلك بقصيدته:

أيا عجبا من عبد عمرو وبغيه ... لقد رام ظلمي عبد عمرو فأنعما

ولا خير فيه غير أن له عني ... وأن له كشحا إذا قام أهضما

يظل نساء الحي يعكفن حوله ... يقلن: عسيب من سرارة ملهما

وبدأت الخصمة والشحناء بين الشاعر وابن عمه، وفيه أيضاً يقول من قصيدة له:

ألا أبلغ عبد الضلال رسالة ... وقد يبلغ الأنباء عنك رسول

دببت بسري بعد ما قد علمته ... وأنت بأسرار الكرام نسول

وكيف تضل القصد والحق واضح ... وللحق بين الصالحين سبيل

ومنها:

وأعلم علماً ليس بالظن أنه ... إذا ذل مولى المرء فهو ذليل

---

(١) أشعار الشعراء الستة الجاهليين، ١ ص/١١٣

وإن لسان المرء ما لم تكن له ... حصاة على عوارته لدليل

قتل طرفة: ١ -كان ملك الحيرة عمرو بن هند جباراً عنيداً متكبراً، لا يرى في الناس من يدانيه شرفاً ومجداً، وكان له يوم بؤس ويوم نعيم كل سنة، يركب يوم بؤسه فيقتل أول من يلقاه، وفي يوم نعيمه يقف الناس ببابه فإن اشتهى حديث رجل أذن له فأصاب مجداً ومالاً وملك ثلاثاً وخمسين سنة، وكان العرب تهابه هيبة شديدة، وكان أخوه قابوس ولي عهده جباراً متكبراً مستبداً كذلك. ولم يرض طرفة الشاعر عن طغيانهما واستبدادهما وكبريائهما، فنظم قصيدة يهجوهما بها، وهي طويلة.. ومنها:

فليت لنا مكان الملك عمرو ... رغوثا حول قبتنا تخور

لعمرك إن قابوس بن هند ... ليخلط ملكه نوك كثير

ومنها:

ولما أن أنخت إلى مليك ... مساكنه الخورنق والسدير

لينجزني مواعد كاذبات ... بطي صحيفة فيها غرور

فأوعدني فأخلف ثم ظني ... وبئس خليقة الملك الفجور." (١)

"وفي شعره بعد ذلك – وهو الذي عمله في الكهولة والشيخوخة على مايظهر – أثر الحكمة وقوة الشعور الديني كزهير، مثل قوله:

وما المرء إلا كالشهاب وضوئه ... يحور رمادا بعدما هو ساطع

وما المال والأهلون إلا ودائع ... ولابد يوماً أن ترد الودائع

وما الناس إلا عاملان: فعامل ... يتبر ما يبنى، وآخر رافع

وقصيدته التي مطلعها:

ألا كل شيء ما خلا الله باطل ... وكل نفيم لا محالة زائل

وكل أناس سوف تدخل بينهم ... دويهية تصفر منها الأنامل

وقصيدته:

إن تقوى ربنا خير نفل ... وبإذن الله ريثي والعجل

أحمد الله ولا ند له ... بيديه الخير ماشاء فعل

من هداه سبل الخير اهتدى ... ناعم البال ومن شاء أضل

وكان لبيد أحدث أصحاب المعلقات عصرا وآخرهم موتا.

وشعر لبيد مثال للفخامة والقوة والمتانة والبداوة فتراه فخم العبارة قوي اللفظ قليل الحشو مزدانا بالحكمة العالية والموعظة الحسنة.

---

(١) أشعار الشعراء الستة الجاهليين، ١ ص/١١٨

ولبيد من أحسن الجاهليين تصرفا في الرثاء وفخره قوي ينم عن شرفه وعزته ومجده وحسبه العريق. وقال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم: أصدق كلمة قالها شاعر كلمة لبيد "ألا كل شيء ما خلا الله باطل".

وقد نظم لبيد الشعر في جاهليته وجرى به على سنن الأشراف والفرسان كعنترة وعمرو بن كلثوم فلم يتكسب بشعره ولذلك ترى فيه ولاسيما معلقته قوة الفخر والتحدث **بالفتوة** والنجدة والكرم وإيواء الجار وعزة القبيلة، ولم ينظم شعراً بعد أن أسلم.

هذا ويقدم لبيد بعض النقاد محتجين بأنه أفضلهم في الجاهلية والإسلام وأقلهم لغواً في شعره، وقالت عائشة رضي الله عنها: رحم الله لبيدا ما أشعره في قوله:

ذهب الذين يعاش في أكنافهم ... وبقيت في خلف كجلد الأجرب

لا ينفعون ولا يرجى خيرهم ... ويعاب قائلهم وإن لم يشغب

وكان لبيد جواداً شريفاً في الجاهلية والإسلام وقصص جودة كثيرة.

ديوان لبيد." (١)

"وفي شعره بعد ذلك - وهو الذي عمله في الكهولة والشيخوخة على ما يظهر - أثر الحكمة وقوة الشعور الديني كزهير، مثل قوله:

وما المرء إلا كالشهاب وضوئه ... يحور رمادا بعدما هو ساطع

وما المال والأهلون إلا ودائع ... ولابد يوماً أن ترد الودائع

وما الناس إلا عاملان: فعامل ... يتبر ما يبنى، وآخر رافع

وقصيدته التي مطلعها:

ألا كل شيء ما خلا الله باطل ... وكل نفيم لا محالة زائل

وكل أناس سوف تدخل بينهم ... دويهية تصفر منها الأنامل

وقصيدته:

إن تقوى ربنا خير نفل ... وبإذن الله ريثي والعجل

أحمد الله ولا ند له ... بيديه الخير ما شاء فعل

من هداه سبل الخير اهتدى ... ناعم البال ومن شاء أضل

وكان لبيد أحدث أصحاب المعلقات عصرا وآخرهم موتا.

وشعر لبيد مثال للفخامة والقوة والمتانة والبداوة فتراه فخم العبارة قوي اللفظ قليل الحشو مزدانا بالحكمة العالية والموعظة الحسنة.

ولبيد من أحسن الجاهليين تصرفا في الرثاء وفخره قوي ينم عن شرفه وعزته ومجده وحسبه العريق. وقال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم: أصدق كلمة قالها شاعر كلمة لبيد "ألا كل شيء ما خلا الله باطل".

---

(١) أشعار الشعراء الستة الجاهليين، ١ ص/٢١٧

وقد نظم لبيد الشعر في جاهليته وجرى به على سنن الأشراف والفرسان كعنترة وعمرو بن كلثوم فلم يتكسب بشعره ولذلك ترى فيه ولاسيما معلقته قوة الفخر والتحدث **بالفتوة** والنجدة والكرم وإيواء الجار وعزة القبيلة، ولم ينظم شعراً بعد أن أسلم. هذا ويقدم لبيد بعض النقاد محتجين بأنه أفضلهم في الجاهلية والإسلام وأقلهم لغواً في شعره، وقالت عائشة رضي الله عنها: رحم الله لبيدا ما أشعره في قوله:

ذهب الذين يعاش في أكنافهم ... وبقيت في خلف كجلد الأجرب

لا ينفعون ولا يرجى خيرهم ... ويعاب قائلهم وإن لم يشغب

وكان لبيد جواداً شريفاً في الجاهلية والإسلام وقصص جودة كثيرة.

ديوان لبيد." (١)

"أولا: أن معظم أوائل الصوفية من أصل غير عربي كإبراهيم بن أدهم وشقيق البلخي وأبي يزيد البسطامي ويحيى بن معاذ الرازي.

ثانيا: أن التصوف ظهر أولا وأنتشر في خراسان.

ثالثا: أن تركستان كانت قبل الإسلام مركز تلاقي الديانات والثقافات الشرقية والغربية ، فلما دخل أهلها في الإسلام صبغوه بصبغتهم الصوفية القديمة. وهذا كلام أشبه ما يكون بماذكره كل من ثولك وفون كريمر في هذا الموضوع.

رابعا: أن المسلمين أنفسهم يعترفون بوجود الأثر الهندي.

خامسا: أن الزهد الإسلامي الأول هندي في نزعته وأساليبه. فالرضا فكرة هندية الأصل ، واستعمال الزهاد للمخلاة في سياحتهم ، واستعمالهم للسبح ، عادتان هنديتان) (١).

ثم علق الأستاذ عفيفي على كلام هورتمان بقوله:

(ولكن المسألة أعقد من ذلك بكثير ، فقد تبين لي من البحث في تصوف مشايخ خراسان وتصوف مدرسة نيسابور خاصة ، أنه وإن كانت له صبغة محلية إلى حد ما ، متأثر بتيارات غير محلية وصلت إليه من مراكز التصوف الأخرى في العراق والشام ، وأنه كانت لبعض الحركات غير الدينية - كحركة **الفتوة** التي كانت في بدء أمرها اجتماعية بحتة - شأن كبير في تشكيل بعض تعاليم هؤلاء الصوفية) (٢).

ثم إن الأستاذ عفيفي في مقاله هذا لم يذكر واحدا من المستشرقين الذين كتبوا عن التصوف إلا وقد ذكروا رأيا يشبه رأي هاتمان ، وهورتن.

وقد سبق هؤلاء المستشرقين والقائلين بهذا الرأي من الباحثين ، سبقهم جميعا البيروني ، حيث قارن بين العقائد الهندية

---

(١) أشعار الشعراء الستة الجاهليين، ١ ص/٢٤٦

والعقائد الصوفية في كتابه المشهور (تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة).

وأوجه الشبه التي ذكرها البيروني بين العقائد الهندية والعقائد الصوفية هي تتلخص في أمور ثلاثة:

أولا: الأرواح.

---

(١) مقدمة كتاب في التصوف الإسلامي وتاريخه ص ح ، ط
(٢) أيضا.." (١)

"(ولابد لكل سلسلة من سلاسل التصوف من الأزل إلى الأبد ، ومن آدم إلى انقراض الدنيا أن تكون متصلة بسيد العالمين وأمير المؤمنين) (١).
لأنه (أزهد الصحابة عند المتصوفة) (٢).
كما هو (رأس الفتوة وقطبها) (٣).

فأول وليّ عند المتصوفة هو علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، ومنه إنتقل الولاية إلى غيره من الأولياء كما أنه أول إمام عند الشيعة ، وتسلسلت منه فورثها غيره ، وكذلك الفتوة والقطبية ، وهو الذي ألبس خرقته الحسن البصري ، وهذه الخرقة التي يلبسها المتصوفة خلفاءهم وورثتهم (٤).

وينصّ على تشيع هذا ابن خلدون في مقدمته حيث يقول عند ذكر الصوفية:
(إنهم لما أسندوا لباس خرقة التصوف ليجعلوه أصلا لطريقتهم وتخيّلهم رفعوه إلى عليّ رضي الله عنه وهو من هذا المعنى أيضا ، وإلا فعليّ رضي الله عنه لم يختصّ من بين الصحابة بتخليه ولا طريقة في اللباس ولا الحال ، بل كان أبو بكر وعمر رضي الله عنهما أزهد الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأكثرهم عبادة ، ولم يختصّ أحد منهم في الدين بشيء يؤثر عنه في الخصوص ، بل كان الصحابة كلهم أسوة في الدين والزهد والمجاهدة ، يشهد لذلك من كلام هؤلاء المتصوفة في أمر الفاطمي وما شحنوا كتبهم في ذلك مما ليس لسلف المتصوفة فيه كلام بنفي أو إثبات ، وإنما هو مأخوذ من كلام الشيعة والرافضة ومذاهبهم في كتبهم والله يهدي إلى الحق) (٥).

وهذا إضافة إلى أن هذه الخرقة ونسبتها إلى عليّ ، ورواية لبس الحسن البصري كلها باطل ، لا أصل له ، لأنه (لم يثبت لقاء الحسن مع علي بن أبي طالب رضي الله عنه على القول الصحيح ، لأن عليا رضي الله عنه انتقل من المدينة إلى الكوفة والحسن صغيرا) (٦).

---

(١) التصوف - المنشأ والمصادر، ١ ص/٩٨

(١) انظر طرائق الحقائق لمعصوم علي شاه ج١ ص ٢٥١.

(٢) انظر قوت القلوب لأبي طالب المكي ج١ ص ٢٦٧.

(٣) آئين جوانمردي مقدمة هنري كاربين ص ٨ ، أيضا فتوت نامه لعبد الرزاق كاشاني ص ٢٩ ط طهران ١٣٦٣ شمسي ترجمة فارسية إحسان نراقي ، أيضا طبقات الشعراني ج٢ ص ٩٢ ، أيضا جامع الأصول في الأولياء للكمشخانوي ص ٧.

(٤) انظر عوارف المعارف للسهروردي ص ٩٨ ، أيضا الرسالة القشيرية ج٢ ص ٧٤٧ ، أيضا فوائح الجمال لنجم الدين الكبرى ص ٢٨٢ ، أيضا الأنوار القدسية للشعراني ص ٤٩.

(٥) مقدمة ابن خلدون ص ٤٧٣.

(٦) انظر تهذيب التهذيب لابن حجر ، والتذكرة للذهبي ، الرسائل والمسائل لابن تيمية ، كذلك التصوف لماسينيون.." (١)

"وعلى كل فإن الصوفية ينهون سند لبس الخرقة إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، كما ينهون إليه سلاسلهم. ولا يقتصرون على عليّ بن أبي طالب وحده ، بل يقولون مثل ما يقوله الشيعة تماما: (وثامن الفتيان بعد النبوة والرسالة علي بن أبي طالب كرم الله وجهه حيث أسلم صبيا ، وجاهد في سبيل الله مراهقا ، وبوأه الله قطبانية الأولياء رجلا وكهلا. وعنه أخذ **الفتوة** ابناه الحسن والحسين وهي أعلى مقامات الولاية عد القطبانية التي هي منها والصديقة التي هي كمالها.

ومن دلائل فتوة الحسن رضي الله عنه أن آثر الخلافة الباطنة على الخلافة الظاهرة ، وتنازل عن الظاهرة حقنا لدماء المسلمين.

ومن دلائل فتوة الحسين أن الشهيد الأعظم في سبيل الله وفي سبيل الأمانة.

ومن الخصائص التي خصّ الله تعالى بها عليا كرم الله وجهه أنه إذا كان الرسول مدينة العلم فعليّ بابها ، وإن كان للفروسية أو الولاية فتيان فهو فتاهما الأول.

فعلي بن أبي طالب كرم الله وجهه أول فتيان هذه الأمة وفتى أوليائها ، وحسبه في ذلك أن أراد إفتداء الرسول بنفسه) (١).

ويقول أيضا:

(إن علي بن أبي طالب أخذ البيعة الخاصة بطريق الله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولقن بها ابنه الحسن ، ثم الحسين) (٢).

وكان الصوفي المشهور أبو العباس المرسي تلميذ الشاذلي يقول:

(١) التصوف - المنشأ والمصادر، ١ ص/١٥٢

(طريقنا هذه لا تنسب للمشارقة ولا للمغاربة ، بل واحد عن واحد إلى الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، وهو أول الأقطاب) (٣).

وقالوا:
(وكان من أوائل أهل طريق الله بعد الصحابة علي بن الحسين زين العابدين ، وابنه محمد بن علي الباقر ، وابنه جعفر بن محمد الصادق ، وذلك بعد علي والحسن والحسين رضي الله عنهم جميعا) (٤).

ويقول الكلاباذي في الباب الثاني من تعرفة:

---

(١) جمهرة الأولياء لأبي الفيض المنوفي ج١ ص ٨٩.
(٢) أيضا ص ٨٩ ، ١٢٢.
(٣) طبقات الشعراني ج ٢ ص ١٤.
(٤) جمهرة الأولياء ج١ ص ١٦٣.." [1]

"(ممن نطق بعلومهم ، وعبر عن مواجيدهم ، ونشر مقاماتهم ، ووصف أحوالهم قولا وفعلا بعد الصحابة رضوان الله عليهم: علي بن الحسين زين العابدين. وابنه محمد الباقر. وابنه جعفر بن محمد الصادق رضي الله عنهم) (١).

فانظر الترتيب ، وهذا نفس ترتيب الشيعة لأئمتهم ، حيث يعدّون الإمام الأول والثاني والثالث عليه وابنه الحسن والحسين ، والرابع والخامس والسادس: زين العابدين ، ومحمد الباقر ، وجعفر بن محمد الباقر.
ثم الإمام السابع والثامن عندهم: موسى بن جعفر الملقب بالكاظم ، وعلي بن موسى الكاظم الملقب بالرضا ، من الأئمة الإثني عشر.
وهاهو الشعراني أيضا يعدهم أئمة ، واثني عشر أيضا ، عندما يذكر من بين الصوفية وأولياء الله موسى بن جعفر ، فيقول: (ومنهم موسى الكاظم رضي الله عنه أحد الأئمة الإثني عشر ، وهو موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ... وكان يكنّى بالعبد الصالح لكثرة عبادته واجتهاده وقيامه بالليل ، وكان إذا بلغه عن أحد يؤذيه يبعث إليه بالمال) (٢).

وأما علي بن موسى الرضا فيقولون عنه: (أن شيخ مشائخ الصوفية معروف الكرخي أسلم على يديه) (٣).

ويكتب القشيري عنه: (أبو محفوظ معروف بن فيروز الكرخي كان من المشائخ الكبار ، مجاب الدعوة ، يستشفى بقبره ،

---

(١) التصوف - المنشأ والمصادر، ا ص/١٥٣

يقول البغداديون: قبر معروف ترياق مجرب ، وهو من موالي علي بن موسى الرضا رضي الله عنه) (٤).

وزاد السلمي في طبقاته ، والجامي في نفحاته أنه كان من حجبه ، فيقول:
(معروف بن فيروز ، ويقال: معروف بن علي ، ويلقب بالزاهد ، وهو من أجلة المشائخ وقدمائهم ، والمعروفين بالورع والفتوة. كان أستاذ سري السقطي ، وصحب داؤد الطائي.
وكان معروف أسلم على يد علي بن موسى الرضا ، وكان بعد إسلامه يحجبه ،

---

(١) التعرف لمذهب أهل التصوف للكلاباذي ص ٣٦.
(٢) طبقات الشعراني ج ١ ص ٣٧.
(٣) تذكرة العطار ص ١٥٠ ط باكستان.
(٤) الرسالة القشيرية ج١ ص ٦٥ بتحقيق الدكتور عبد الحليم محمود ومحمود بن الشريف ط القاهرة ، أيضا طبقات الشعراني ج١ ص ٧١.." [١]

"٢٩١. المسند للإمام أحمد.
٢٩٢. المقدمة لأبن خلدون. ط مطبعة مصطفى محمد مصر.
٢٩٣. الملامتية وأهل الفتوة والصوفية لأبي العلاء العفيفي. ط دار إحياء الكتب العربية مصر.
٢٩٤. منهاج السنة النبوية لسيخ الإسلام ابن تيمية. ط لاهور باكستان.
٢٩٥. الملل والنحل للشهرستاني بهامش الفصل لابن حزم. ط بيروت.
٢٩٦. الموطأ للإمام مالك.
٢٩٧. نشأة الفلسفة الصوفية للدكتور عرفان عبد الحميد. ط المكتب الإسلامي بيروت ١٩٧٤ م.
٢٩٨. النجوم الزاهرة للتغري البردي الأتابكي. ط وزارة الثقافة مصر.
٢٩٩. وفيات الأعيان لابن خلكان. ط بيروت.
٣٠٠. الوافي بالوفيات.
٣٠١. ولاية الله والطريق إليها للإمام الشوكاني. ط القاهرة.
٣٠٢. هذه هي الصوفية لعبد الرحمن الوكيل. ط دار الكتب العلمية.

كتب الشيعة والإسماعيلية:
٣٠٣. أجزاء من العقائد الإسماعيلية للداعي إبراهيم. ط امبرين نيشنل بريس ١٧٨٤ م.

---

(١) التصوف – المنشأ والمصادر، ١ ص/١٥٤

٣٠٤. أربعة نصوص إسماعيلية للداعي الإسماعيلي المجهول بتحقيق ماسينيون. ط باريس.
٣٠٥. أساس التأويل للقاضي الإسماعيلي النعمان. ط دار الثقافة بيروت.
٣٠٦. الأصول من الكافي للكليني. ط دار الكتب الإسلامية طهران ١٣٨٨ هجري قمري.
٣٠٧. أعلام النبوة لأبي حاتم الرازي تحقيق صلاح الصادي. ط إيران ١٣٩٧ هجري قمري.
٣٠٨. أعيان الشيعة لمحسن الأمين. ط دار التعارف للمطبوعات بيروت.
٣٠٩. إعتقادات الصدوق لابن بابويه القمي. ط إيران.
٣١٠. الافتخار للداعي أبي يعقوب السجستاني. ط بيروت.
٣١١. الأمالي للمفيد. ط قم إيران.." (١)
"ترجمان السنة لاهور باكستان.
٢٨٠. الفصل في الملل والأهواء والنحل للحافظ ابن حزم. ط بيروت.
٢٨١. فضائح الباطنية للغزالي. ط مؤسسة دار الكتب الثقافية الكويت.
٢٨٢. فلسفة الهند القديمة لمحمد عبد السلام ط الهند الرامبوري.
٢٨٣. الفلسفة الصوفية في الإسلام للدكتور عبد القادر محمود. ط دار الفكر العربي القاهرة.
٢٨٤. القاديانية للمؤلف ط ... باكستان.
٢٨٥. القاموس للفيروز آبادي. ط مصطفى البابي الحلبي القاهرة.
٢٨٦. القول المنبي في تكفير ابن عربي للنحاوي مخطوط.
٢٨٧. لسان العرب لابن منظور الأفريقي. ط دار صادر بيروت.
٢٨٨. مجموعة الرسائل لابن تيمية. ط دار الكتب العلمية بيروت. لبنان.
٢٨٩. مدخل إلى التصوف الإسلامي لأبي الوفاء الغنيمي ط مصر.
٢٩٠. المسند للإمام أحمد.
٢٩١. المقدمة لابن خلدون. ط مطبعة مصطفى محمد مصر.
٢٩٢. الملامتية وأهل الفتوة والصوفية لأبي العلاء العفيفي ط دار أحياء الكتب العربية مصر.
٢٩٣. منهاج السنة النبوية لشيخ الإسلام ابن تيمية. ط ... لاهور باكستان.
٢٩٤. الملل والنحل للشهرستاني بهامش الفصل لابن حزم. ط بيروت.
٢٩٥. الموطأ للإمام مالك.
٢٩٦. نشأة الفلسفة الصوفية للدكتور عرفان عبد الحميد. ط المكتب الإسلامي بيروت ١٩٧٤م.
٢٩٧. النجوم الزاهرة للتغري البردي الأتابكي. ط ... وزارة الثقافة مصر.

(١) التصوف - المنشأ والمصادر، ١ ص/٢٩٢

٢٩٨. وفيات الأعيان لابن خلكان. ط بيروت.

٢٩٩. الوافي بالوفيات.

٣٠٠. ولاية الله والطريق إليها للإمام الشوكاني. ط القاهرة.." [١]

"(٣) البخارى ، كمناقب الأنصار ، بمناقب سعد بن معاذ (٣٨٠٤) ، أبو داود ، كالأدب ، بما جاء فى القيام (٥٢١٥) ، ئحمد ٣ / ٢٢ ، ٧١ .

(٤) مملم ، كاللعان ، لثا ٤ ١ / ٤ ١) ، أبو داود ، كالديات ، بفيمن وجد مع اهله رجلآ يقتله (٥٣٢ ٤) ، الن ماجه ، كالحدود ، بالرجل يجد مع امرأته رجلا (٢٦٠٥) -

(٥) يوسف : ٢٥ .

١ / ٢٠٥

٢٠٥ / ب

كتاب الألفاظ / باب حكم إطلاق لفظة العبد ...

إلخ

أبى هريرة : (ولا يقل العبد لسيده : مولاى لما زاد أبو معاوية : " فإن مولاكم الله دا ، ولم / يذكر جرير عن الأعمش[هذه اللفظة فى الكتاب ، وإنما نهى عن قوله : (ربى) وذكر فيه من حديث معمر عن همام عن أبى هريرة مثله ، وبينث .

وزاد خلاف رواية وكيع وصاحبه ، وقال : (فليقل سيدى ومولاى] ا ، وهذا - والله أعلم - أصح للاختلاف فيه عن الأعمش] (١) كما تقدم ، وكما نهى العبد عن قول هذأ ، كذا نهى السيد فرد الحديث ان يقول : عبدى وأمتى ، وبن العلة فى ذلك بقوله : (كلكنم عبيد اشلد ، وكل نسائكم إماء الله) .

فنهى عن التطاول ، فى اللفظ كما نهى عنه فى الفعل وأمر بالتواضع ؛ إذ هو عبد مثله حقيقة فليجتنب هذه اللفظة تواضعاً واعترافاً بملك الجمييم لله ، فإن حقيقة ملك الحر والعبد لله ، وإنما ملك بنو ادم من بنى ادم بحكم علة الكفر المسلطة على المالك منافعهم وحركاتهم وتصرفاتهم لا اشخاصهم ث ولهذا قال أصحابنا : اذا قال الرجل لعبده : وهبتك خدمتك أو خراجك أو عملك فهى حرية له .

قوله : (وأمره - عليه السلام - بأن يقول : غلامى وفشاى وجاريتى وفشاتى) إذ هذه ألفاظ تنطلق على الحر والعبد ، وليس فيها من معنى الملك ما فى عبدى ، دإنما هى بمعنى الاختصاص ، قال الله تعالى : ﴿ تراود فتاها عن نفسه﴾ (٢) اى عبدها ، ﴿ وقال لفتيته﴾ وقرئ﴿ لفتيانه﴾ ﴿ اجعلوا بفماعتهم في رحالهم﴾ (٣)﴿ ! اذ قال موسى لفتا ، ﴾ (٤) ولم يكن هذا عبدا هو يوشع بن نون صاحبه .

وأصل الفتوة الشباب ، وهو الفتاء ، بالمد .

---

(١) دراسات في التصوف، ١ ص/٣٤٦

والرجل الشاب فتى ، بالقصد ، وفتى ائضا ، وهى بعد الغلومية .
وأصل الغلومية فى بنى آدم فى الصغر ، ينطلق عليه اسم غلام ، من حين يولد إلى أن يبلغ ، فينقطع عنه اسمها .

(١) سقط من ز .
(٢) يوسف : ٣٠ .
(٣) يوسف : ٦٢ .
(٤)١ لكهف ٦٠٠ .

(٤) باب كراهة قول الإنسان : خبثت نفسى

١٦! (٢٢٥٠) حدئنا أبو بكر بن ابى لئمىبة ، حدثنا سفيان بن عيينة .

ح وحدثنا ابو كريب محمد بن العلاء ، حدثنا أبو اسامة ، كلاهما عن هشابم ، عن أبيه ، عن عائشة ، ق الت " : قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : ا لا يقولن أحدكم : خبئت نفسى ، ولكن ليقل : لقست نفسى) .
هذا حديث أبى كريب .
وقال أبو بكر : عن النبى (صلى الله عليه وسلم) .
ولم يذكر : " لكن) .
(...) وحدثناه أبو كريب ، حدثنا أبو معاوية ، بهذا الإسناد .

١٧ - (٢٢٥١) وحدثنى أبو الطاهر وحرملة ، قالا : أخبرنا ابن وهب ، أخبرنى يونس ، عن ابن شهاب ، عن أبى امامة بن يمهل بن حنيف ، عن أبيه ؛ أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال : ا لا يقل أحدكم+ خبئت نفسى ، وليقل : لقست نفسى) .

قوله : ا لا يقولن أحدكم : خبثت نفسى ، ولكن ليقل : لقست نفسى) ،
قال الإمام : لقست نفسى ، أى غثت .
قال القاضى : قال أبو عبيد (١) وغيره : لقست وخبثت بمعنى ، لكن كره - عليه السلام - لفظ الخبث وبشاعة الاسم ، وعلمهم الأدب فى المنطق واستعمال الحسن منه ، وهجران القبيح .
وقيل : اللقس : سوء الخلق .
وقال ثعلب عن ابن الاعرابى : لقست نفسى ، أى ضاقت .
وقال الاصمعى : معناه : غثت .
قال ثعلب : وقول ابن الأعرابى أحسن ؛ لان النفس تضيق من الأمر ولا يكون فيها غثيان .

ولا يعترض على هذا بقوله – عليه السلام – : (فأصبح خبيث النفس كسلان) (٢) ؛

فإن النبي (صلى الله عليه وسلم) هذا مخبر عن غيره معين ، وعن مذموم من الفعل يصلح فيه استعمال هذا اللفظ ، ولو أخبر به مخبر عن نفسه من نومه عن الصلاة وعقد الشيطان على قافيته .

(١) انظر : غريب الحديث ٢ / ٧٢ ، معالم السن ٢٥٨ / ٥ .

(٢) أحمد ٢٤٣ / ٢ ، البخارى ، كبدء الخلق ، بصفة إبليس وجنوثه يا ٣٢٦) ، ملم ، كصلاة المسافرين ، بما روى فيمق قام الليل اجمع حتى أصبح (٧ / ٧٧٦ ٠ ٢) .

١٩٢

كتاب الألفاظ / باب كراهة قول الإنسان : خبثت نفسى." (١)

"حتى أجابه الله فيهم وبشره بما يسره من مآل حالهم ، حيث قال له تعالى : ((إنا سنرضيك في أمتك)) ، وهو معنى قوله تعالى : ﴿ ولسوف يعطيك ربك فترضى ﴾. وقد قال بعض العلماء . والله ما يرضى محمد وأحد من أمته في النار . وهذا كله يدل على أن الله تعالى خص نبينا . صلى الله عليه وسلم . من كرم الخلق ومن طيب النفس ومن مقام الفتوة بما لم يختص به أحد غيره ، وإليه الإشارة بقوله تعالى . ﴿ وإنك لعلى خلق عظيم ﴾ ، وبقوله ﴿ لقد جاءكم رسول من أنفسكم ﴾ الآية ، فصلى الله عليه أفضل ما صلى على أحد من خليقته ، وجازاه عنا أفضل ما جازى نبيا عن أمته . وأمر الله تعالى لجبريل بأن يسأل نبينا عليهما السلام عن سبب بكائه ؛ ليعلم جبريل تمكن نبينا . صلى الله عليه وسلم . في مقام الفتوة وغاية اعتنائه بأمته .

(٦٥) باب شفاعة النبي . صلى الله عليه وسلم . لعمه في التخفيف عنه

١٦٠– عن العباس ؛ قال : قلت : يا رسول الله ! إن أبا طالب كان يحوطك وينصرك فهل نفعه ذلك ؟ قال : ((نعم ، وجدته في غمرات من النار ، فأخرجته إلى ضحضاح)) .

وفي رواية : ((لولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار)) .

ومن باب شفاعة النبي . صلى الله عليه وسلم . لعمه أبي طالب

في التخفيف عنه

قوله : ((كان يحوطك)) ؛ أي : يحفظك . و((ينصرك)) : يعينك ، والنصرة . العون ، تقول العرب . أرض منصورة ؛ أي : معانة على إنباتها بالمطر . وقد كان أبو طالب يمنعه ممن يريد به مكروها ، ويعينه على ما كان بصدده .

". (٢)

---

(١) إكمال المعلم شرح صحيح مسلم – للقاضي عياض، ١ ٩٦/٧

(٢) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، ١ ٨٢/٣

"وقوله : ((ولا يقل أحدكم : ربي ، وليقل : سيدي ومولاي)) ؛ هذا اللفظ متفق عليه عند أكثر الرواة . وفي الأم من رواية أبي سعيد الأشج ، وأبي معاوية عن الأعمش مرفوعا : ((ولا يقل العبد لسيده : مولاي)). وانفرد أبو معاوية ؛ فزاد : ((وإن الله مولاكم)). وقد رواه عن الأعمش جرير ، ولم يذكر ذلك . وقد روي من طرق متعددة مشهورة ، وليس ذلك مذكورا فيها ، بل : اللفظ الأول ؛ فظهر بهذا : أن اللفظ الأول أرجح . وإنما صرنا للترجيح للتعارض بين الحديثين ، فإن الأول يقتضي إباحة قول العبد : مولاي . والثاني يقتضي منعه من ذلك ، والجمع متعذر ، والعلم بالتاريخ مفقود ، فلم يبق إلا الترجيح ؛ كما ذكرناه ، والله تعالى أعلم .

وأمره - صلى الله عليه وسلم - بأن يقول : غلامي ، وفتاي ، وفتاتي ، وجاريتي : إنما كان لأن هذه الألفاظ تنطلق على الحر والعبد ، وليس فيها من معنى الملك ، ولا من التعاظم شيء مما في : عبدي ، وأمتي . وأصل **الفتوة** : الشباب ، وهو الفتاء - بالمد - ثم قد استعمل الفتى فيمن كملت فضائله ، ومكارمه ، كما قالوا : لا فتى إلا علي. ومن هذا أخذ الصوفية **الفتوة** المتعارفة بينهم . وأصل الغلومية في بني آدم ، وهي للصغير ، فينطلق على الصغير اسم غلام من حين يولد إلى أن يبلغ ، فينقطع عنه ذلك الاسم ، وكذلك : الجارية في النساء .

تنبيه : إذا أطلق ((ربي)) على غير الله تعالى فإنما يطلق مضافا ، فيقال : رب الدار ، ورب الفرس . ولا يطلق وفيه الألف واللام إلا إذا أريد به الله تعالى ، قاله ا لجوهري ، وغير .

". (١)

"أنجز حرٌ ما وعد. الوعد نافلةٌ، والإنجاز فريضةٌ. وعد الكريم نقدٌ، وتعجيل اللئيم وعدٌ. ابن المعتز: المسئول حرٌ حتى يعد، ومسترقٌ بالوعد حتى ينجز. الوعد سحابٌ، والإنجاز مطره. الوعد مرض المعروف، والإنجاز برؤه، والمطل تلفه. بعض العرب: لأن أموت عطشاً أحب إلي من أن أخلف وعداً. وفي كتاب المبهج: خلف الوعد خلق الوغد.

المداراة

إذا عز أخوك فهن. لاين إذا عزك من تخاشنه. بالمداراة تساس الأمور. بما تحت التنور يطلى التنور. من حسنت مداراته كان في ذمة الحمد والسلامة. ينبغي للعاقل أن يداري زمانه مداراة السابح للماء الجاري. من لم يلن للأمور عند التوائها تعرض لمكروه بلائها. أبو سليمان الخطابي:

ما دمت حيّاً فدار الناس كلّهم ... فإنّما أنت في دار المداراة

كتمان السر

استعينوا على الحوائج بالكتمان. سرك من دمك. كن على حفظ سرك أحرص منك على حقن دمك. من وهن الأمور إعلانه قبل إحكامه. ابن المعتز: لا تنكح خاطب سرك. كلما كثر خزان الأسرار ازدادت ضياعاً. قلوب العقلاء حصون الأسرار. انفرد بسرك، ولا تودعه حازماً فيزل، ولا جاهلاً فيخون.

التأني والرفق

---

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، ١٨/٤٦

الأناة حصن السلامة، والعجلة مفتاح الندامة. الأناة نجاةٌ. التأني مع الخيبة خيرٌ من التهور مع النجاح. اتئد تصب أو تكد. التأني في الأمور أول الحزم، والتسرع إلى الخطأ عين الجهل. بالتأني تدرك الفرص. ما دخل الرفق في شيءٍ إلا زانه. الرفق مفتاح النجاح. إن لم تدرك الحاجة بالرفق والدوام، فبأي شيءٍ تدرك؟. الخرق بالرفق يلحم. من رفق رتق، ومن خرق خرّق.

حسن الخلق

حسن الخُلق خير قرينٍ. من حسن خلقه استراح وأراح. من حسن خلقه وجب حقه. أطهر الناس أعراقاً أحسنهم أخلاقاً. أقوى الناس على إصلاح أخلاقه أقواهم رأياً. حسن الخلق يذيب الخطايا كما تذيب الشمس الجليد. إنما يستحق اسم الإنسانية من حسن خلقه، ويكاد سيء الخلق يعد من البهائم والسباع. حسن الخلق يوجب المودة.

المروءة

أرسطاطاليس: المروءة استحياء المرء من نفسه. أنوشروان: المروءة ألا تعمل عملاً في السر تستحيي منه في العلانية. غيره: المروءة اسمٌ جامعٌ للمحاسن كلها. المروءة التامة مباينة العامة. ظاهر المروءة باطن **الفتوة**. المروءة الخلق السجيح، والكف عن القبيح. نعم العون على المروءة المال.

وما المروءة إلا كثرة المال

وإنّ المروءة لا تستطاع ... إذا لم يكن مالها فاضلا

المعروف والصنيعة

المعروف حصن النعم من صروف الزمن. المعروف رقٌ، والمكافأة عنه عتقٌ. المعروف كنزٌ لا تأكله النار. صنائع المعروف تقي مصارع الحتوف. زكاة النعم اتخاذ الصنائع. الصنائع ودائع. الأيادي قروضٌ. إنما سمي المعروف معروفاً؛لأن الكرام عرفت فضله فأتته. في كل شيءٍ سرفٌ، إلا في المعروف. نعم العدة عند الحاجة إسلاف الصنيعة. أهنأ المعروف أعجله. أهنأ المعروف مالا تتبذل فيه الوجوه. ابن المعتز: خير المعروف ما لم يتقدمه مطلٌ، ولم يتبعه منٌّ. للجواد الحازم كنزٌ في الآخرة من عمله، وكنزٌ في الدنيا من معروفه. جود المقل من القليل. الجواد من يفيض عن غيضٍ. إن جود المقلّ غير قليلٍ. لا تستحي من القليل، فإن الحرمان أقلّ منه.

الطّرف يجري وبه هزال ... والسيف يمضي وبه انفلال

والحر يعطي وبه إقلال

وقال آخر:

افعل الخير ما استطعت وإن ... كان قليلاً فلن تحيط بكلّه

ومتى تفعل الكثير من الخ ... ير إذا كنت تاركاً لأقلّه

ليس جود الجواد من فضل مالٍ ... إنما الجود للمقلّ المواسي

بشار بن برد:

بثّ النّوال ولا تمنعك قلّته ... فكلّ ما سدّ فهو محمود

بذل الجاه والشفاعة

بذل الجاه أحد المالين

زكاة الجاه رفد المستعين

إعارة القَدْرِ تدفع سوء القَدَرِ، وشفاعة اللسان أفضل زكاة الإنسان. الشفاعات زكوات المروات. الشفيع جناح الطالب.

البحتري:

وعطاء غيرك إن بذلت عنايةً فيه عطاؤك

التجربة." (١)

"حتى أجابه الله فيهم وبشره بما يسره من مآل حالهم ، حيث قال له تعالى : ((إنا سنرضيك في أمتك)) ، وهو معنى قوله تعالى : ﴿ ولسوف يعطيك ربك فترضى ﴾. وقد قال بعض العلماء . والله ما يرضى محمد وأحد من أمته في النار . وهذا كله يدل على أن الله تعالى خص نبينا ـ صلى الله عليه وسلم ـ من كرم الخلق ومن طيب النفس ومن مقام **الفتوة** بما لم يختص به أحد غيره ، وإليه الإشارة بقوله تعالى . ﴿ وإنك لعلى خلق عظيم ﴾ ، وبقوله ﴿ لقد جاءكم رسول من أنفسكم ﴾ الآية ، فصلى الله عليه أفضل ما صلى على أحد من خليقته ، وجازاه عنا أفضل ما جازى نبيا عن أمته . وأمر الله تعالى لجبريل بأن يسأل نبينا عليهما السلام عن سبب بكائه ؛ ليعلم جبريل تمكن نبينا ـ صلى الله عليه وسلم ـ في مقام **الفتوة** وغاية اعتنائه بأمته .

(٦٥) باب شفاعة النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ لعمه في التخفيف عنه

١٦٠- عن العباس ؛ قال : قلت : يا رسول الله ! إن أبا طالب كان يحوطك وينصرك فهل نفعه ذلك ؟ قال : ((نعم ، وجدته في غمرات من النار ، فأخرجته إلى ضحضاح)) .

وفي رواية : ((لولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار)) .

ومن باب شفاعة النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ لعمه أبي طالب

في التخفيف عنه

قوله : ((كان يحوطك)) ؛ أي : يحفظك . و((ينصرك)) : يعينك ، والنصرة . العون ، تقول العرب . أرض منصورة ؛ أي : معانة على إنباتها بالمطر . وقد كان أبو طالب يمنعه ممن يريد به مكروها ، ويعينه على ما كان بصدده .

___." (٢)

"وقوله : ((ولا يقل أحدكم : ربي ، وليقل : سيدي ومولاي)) ؛ هذا اللفظ متفق عليه عند أكثر الرواة . وفي الأم من رواية أبي سعيد الأشج ، وأبي معاوية عن الأعمش مرفوعا : ((ولا يقل العبد لسيده : مولاي)). وانفرد أبو معاوية ؛

---

(١) التمثيل والمحاضرة، ١ ص/٨٧

(٢) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، ١ ١/٤٠٢

فزاد : ((وإن الله مولاكم)). وقد رواه عن الأعمش جرير ، ولم يذكر ذلك . وقد روي من طرق متعددة مشهورة ، وليس ذلك مذكورا فيها ، بل : اللفظ الأول ؛ فظهر بهذا : أن اللفظ الأول أرجح . وإنما صرنا للترجيح للتعارض بين الحديثين ، فإن الأول يقتضي إباحة قول العبد : مولاي . والثاني يقتضي منعه من ذلك ، والجمع متعذر ، والعلم بالتاريخ مفقود ، فلم يبق إلا الترجيح ؛ كما ذكرناه ، والله تعالى أعلم .

وأمره - صلى الله عليه وسلم - بأن يقول : غلامي ، وفتاي ، وفتاتي ، وجاريتي : إنما كان لأن هذه الألفاظ تنطلق على الحر والعبد ، وليس فيها من معنى الملك ، ولا من التعاظم شيء مما في : عبدي ، وأمتي . وأصل **الفتوة** : الشباب ، وهو الفتاء - بالمد - ثم قد استعمل الفتى فيمن كملت فضائله ، ومكارمه ، كما قالوا : لا فتى إلا علي. ومن هذا أخذ الصوفية **الفتوة** المتعارفة بينهم . وأصل الغلومية في بني آدم ، وهي للصغير ، فينطلق على الصغير اسم غلام من حين يولد إلى أن يبلغ ، فينقطع عنه ذلك الاسم ، وكذلك : الجارية في النساء .

تنبيه : إذا أطلق ((ربي)) على غير الله تعالى فإنما يطلق مضافا ، فيقال : رب الدار ، ورب الفرس . ولا يطلق وفيه الألف واللام إلا إذا أريد به الله تعالى ، قاله ا لجوهري ، وغير .

___." (١)

"فعلتْ في البيتِ إذْ مُزجتْ ... مثلَ فعلِ الصبحِ في الظلمِ

فاهتدى ساري الظلامِ بها ... كاهتداءِ السفرِ بالعلمِ

أقول: إني إنما ابتدأت بأشعار أبي نواس في الخمر لأنه أكثر الناس إحساناً فيها، وأولهم استقصاء لمعانيها، وأسبقهم إلى التنوق في أوصافها وألقابها، وأكثرهم معاقرة لندمانها وشرابها، وأوفاهم تشوقاً إليها وتطرباً عليها، وأبلغهم قولاً في نعوتها الرائقة وصفاتها الفائقة، وإن وجد لمن تقدمه شيء من ذلك فإنما يوجد القليل النادر، ومن تأخر عن زمانه عيال عليه وتبع له. وها أنا أذكر ما يخطر من الأشعار والأخبار فيها على حسب ما اشترطته في هذا الكتاب.

كان يقال: للشراب حدان: حد لا هم فيه، وحد لا عقل فيه، فعليك بالأول واتق الثاني. مر أنوشروان وكان يعجبه الورد بوردة ساقطة، فقال: أضاع الله من أضاعك ونزل فأخذها وقبّلها وشرب مكانها سبعة أيام.

قال جميل:

فلمّا ماتَ من طربٍ وسكرٍ ... رددتُ حياتهُ بالمسمعاتِ

فقام يجرُّ عطفيه خماراً ... وكانَ قريبَ عهدٍ بالمماتِ

ابن نباتة السعدي:

نعمتُ بها يجلو عليَّ كؤوسه ... أغرُّ الثنايا واضحُ الجيدِ أحورُ

فواللهِ ما أدري أكانتْ مدامةً ... من الكرمِ تُجنى أم من الشمس تُعصرُ

إذا صبَّها جنحُ الظلامِ وعبَّها ... رأيتَ رداءَ الليلِ يُطوى وينشرُ

---

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، ا ٦٦/٨

الببغاء:

واجلُ شمسَ العقار في يدِ بدرِ ال ... حسن يخدمكَ منهما النيّرانِ

في كؤوسٍ كأنها زهرُ الخش ... خاشِ ضمتْ شقائق النعمانِ

إنما سميت شقائق النعمان لأن النعمان بن المنذر رأى أرضاً كثيرة الشقائق فحماها فنسب إليه.

واختدعها عندَ البزالِ بألفا ... ظِ المثاني ومطرباتِ الأغاني

فهي أولى من العرائس إنْ زفَّ ... ت بعزفِ الناياتِ والعيدانِ

قال ابن الجهم: قلت لجارية: نجعل الليلة مجلسنا في القمر، فقالت: ما أولعك بالجمع بين الضرائر، قلت: فأي الشراب أحب إليك، فقالت: ما ناسب روحي في الخفة ونكهتي في الطيب وريقي في اللذة ووجهي في الحسن، وخلقي في السلاسة.

ابن سكرة:

فما ترى في اصطباحِ صافيةٍ ... بكرٍ حناها في الحانةِ الكبرُ

فهي لمنْ شمَّ ريحَها أثرٌ ... وهي لمنْ رامَ لمسَها خبرُ

في روضةٍ راضها الربيعُ وما ... قصَّر في وشيِ قصرها المطرُ

وقد نأى النأيُ بالعقولِ وما ... قصّر في نيلِ وترِهِ الوترُ

أشخص الوليد بن يزيد شراعة من الكوفة، وقال له: ما أحضرتك لأسألك عن كتاب الله ولا عن سنّة نبيه صلى الله عليه وسلّم، قال: والله لو سألتني عنهما لألفيتني فيهما حماراً، قال: ولكن أسألك عن الفتوة، قال: أنا دهقانها الخبير وطبيبها الرفيق، قال: أخبرني عن الماء، قال: لا بد منه والحمار شريكي فيه، قال: فاللبن، قال: ما رأيته قط إلاّ استحييت من أمي من طول ما أرضعتنيه، قال: فالسويق، قال: فالسويق شراب الحزين والمريض والمستعجل، قال: فنبيذ التمر، قال: سريع الملي سريع الإنفاش ضرط كله، قال: فنبيذ الزبيب، قال: حومة يحامها حول الأمر، قال: فما تقول في الخمر، قال: تلك صديقة روحي، قال: وأنت صديقي فاقعد، أي الطعام أحب إليك، قال: ليس لصاحب النبيذ على الطعام حكم إلاّ أن أشهاه إليه أمره وأنفعه أدسمه، قال: فأي المجالس أطيب، قال: البراح ما لم تحرقه الشمس ويغرقه المطر والله يا أمير المؤمنين ما شرب الناس على شيء أحسن من وجه السماء.

شاعر:

كأنما عرضٌ في كفّ شاربها ... تخالهُ فارغاً والكأس ملآنُ

ابن المعتز:

يا نديميَّ سقّياني فقد لا ... حَ صباحٌ وأذَّنَ الناقوسُ

من كميتٍ كأنها أرضُ تبرٍ ... في نواحيه لؤلؤٌ مغروسُ

وقال:

كأنهُ وكأنَّ الكأسَ في فمهِ ... هلال أول شهرٍ غابَ بالشفقِ

ديك الجن:

فقامَ تكادُ الكأسُ تخضبُ كفهُ ... وتحسبهُ من وجنتيهِ استعارها

مشعشعةٌ من كفِّ ظبيٍ كأنما ... تناولها من خدهِ فأدارها

ظللنا بأيدينا نتعتعُ روحها ... وتأخذُ من أقدامِنا الراحُ ثارها

أخذه ابن الأصباغي فقال:

عقرتهم عقارة لو سالمت ... شرابها ما سميتْ بعقارِ." [1]

"كتب أبو طالب الجراحي من آل علي بن عيسى: فإن رأى أن ينظر نظر راحم متعطف، إلى خادم متلهف، ويجعل العفو عن فرطته وكفرانه، صدقة عن بسطته وسلطانه، فاجدر الناس بالاغتفار أقدرهم على الانتصار، فعل، إن شاء الله تعالى.

وقال شاعر: من الطويل

لئن سمتني ذلا فعفت حياضه ... سخطت ومن يأت المذلة يعذر

فها أنا مسترضيك لا من جناية ... جنيت ولكن من تجنيك فاغفر

وقال سيعد بن حميد: من المنسرح

لم آت ذنبا فإن زعمت بأن ... أتيت ذنبا فغير معتمد

قد تطرف الكف عين صاحبها ... فلا يرى قطعها من الرشد

ذكر عند الحسين بن علي عليهما السلام اعتذار عبد الله بن عمرو ابن العاص من مشهده بصفين فقال: رب ذنب أحسن من الاعتذار منه؛ فنظر إلى هذا المعنى محمود الوراق فقال: من الطويل

إذا كان وجه العذر ليس بواضح ... فإن اطراح العذر خير من العذر

واعتذر رجل إلى سلم بن قتيبة من أمر بلغه عنه فعذره ثم قال له: يا هذا لا يحملنك الخروج من أمر تخلصت منه إلى الدخول في آخر لعلك لا تخلص منه.

وقال علي بن الجهم: من الخفيف

ليس عندي وإن تغضبت إلا ... طاعة حرة وقلب سليم

وانتظار الرضى فإن رضى السا ... دات عز وعتبهم تقويم

وقال آخر: من الطويل

وكنت إذا ما جئت أدنيت مجلسي ... ووجهك من ماء البشاشة يقطر

فمن لي بالعين التي كنت مرة ... إلي بها في سالف الدهر تنظر

وقال السري الرفاء في العفو: من الكامل

---

(١) التذكرة الفخرية، ا ص/٦٣

تلك المكارم لا أرى متأخرا ... أولى بها منه ولا متقدما

عفوا أظل ذوي الجرائم كلهم ... حتى لقد حسد المطيع المجرما

ألم فيه بقول أبي دهبل الجمحي: من المنسرح

ما زلت في العفو للذنوب وإط ... لاق لعان بجرمه غلق

حتى تمنى البراء أنهم ... عندك أمسوا في القد والحلق

وقال محمد بن أبي زرعة الدمشقي: من الخفيف

لا ملوم مستقصر أنت في الجو ... د ولكن مستعطف مستزاد

قد يهز الهندي وهو حسام ... ويحث الجواد وهو جواد

وقال أبو الحسن ابن منقذ من الكامل

أخلاقك الغر السجايا ما لها ... حملت قذى الواشين وهي سلاف

ومراة رأيك في عبيدك ما لها ... صدئت وأنت الجوهر الشفاف

ولأبي العلاء ابن حسول في الاعتذار: من الكامل

قد صدني رمد ألم بناظري ... عن قصد خدمة بابه ولقائه

أو يستطيع الرمد أن يستقبلوا ... لمعان نور الشمس في لألائه

ومن مليح الاعتذار لمسيء قول شمعل بن الحصين التغلبي، وكان خاطب عبد الملك بن مروان بكلام أغلظه فرماه بشيء أصاب ساقه: من الطويل

أمن ضربة بالرجل مني تباشرت ... عداي فلا عار علي ولا سخر

وإن أمير المؤمنين وفعله ... لكالدهر لا عار بما فعل الدهر

عربد غلام هاشمي على جيرانه فشكوه إلى عمه، فأراد أن يتناوله بالأدب فقال له: يا عم، إني أسأت وليس معي عقلي، فلا تسيء ومعك عقلك، فصفح عنه.

وقال شاعر في هفوة الكأس يعتذر عنها: من الطويل

متى شربت ماء الحياة وجوهنا ... تنقل عنها ماؤها وحياؤها

إذا كانت الصهباء شمسا فإنما ... يكون أحاديث الرجال هباؤها

وكتب الصاحب أبو القاسم ابن عباد في مثل ذلك: سيدي أعرف بأحكام المروة من أن يهدي إليها، وأحرص على عمارة سبل الفتوة من أن يحض عليها، وقديما حملت أوزار السكر على ظهور الخمر، وطوي بساط الشراب على ما فيه من خطإ وصواب، واستعفيت السقاة غير دفعة فأبوا إلا إلحاحا علي، وإتراعا إلي، وكرهت الامتناع خشية أن أوقع الكساد في سوق الأنس، وتفاديا من أن يعقد علي خنصر الثقل. فلما بلغت الحد الذي يوجب الحد، بدر مني ما ببدر ممن لا يصحبه لبه،

ولا يساعده عقله وقلبه، ولا غرو فموالاة الأرطال، تدع الشيوخ كالأطفال. فإن رأى قبول عذري، في ما جناه سكري، وأن يهب لي جرمي لمعرفته بنيتي في صحوي، وإن أبي إلا معاقبتي جعلها قسمين بين المدام وبيني، فعل، إن شاء الله.." [1]

"وقال بعض البلغاء: الشراب ريحانة الروح، ودرياق الهم، ومطية اللهو، ومسرة القلب. قد خلص من الأقذاء، وأخذ لدونة الهواء، وعذوبة الماء، فهو معطر للنكهة، محرك للصبابة، ممازج للطبيعة، دقيق المسلك، سريع الذهاب في الجسد، واصل لحبل الفتوة، عاقد للإخاء، باعث على الوفاء، فاسخ للرجاء، ناف للفكرة، ممسك لرماق المهجة، مذك للقريحة، ملائم للغريزة، سام بالهمة، مستل للسخيمة، صاقل للعزيمة، مذهب للترة، مسهل للحمالة، كاسب للثراء من غير ثروة، جامع للشمل، مقرب للسبيل، مهون للجليل، داع إلى الجميل، منساب في المفاصل بغير دليل، كاس للأنفس سرورا، وللأجفان فتورا، وللخدود اشتعالا ونورا، يطيب عند الازدياد، ويلذ عند الأعواد، ويتغلغل في القلب إلى حيث لا يبلغه الفكر.

وقال بهرام جور: هموم الدنيا داء دواؤه الراح.

وقال آخر: للنبيذ حدان: فحد لا هم فيه، وحد لا عقل فيه، فعليك بالأول واتق الثاني.

قال عبد الملك بن مروان للأخطل: ما تصنع بالخمر؟ فإن أولها لمر، وإن آخرها لسكر، قال: أما لئن قلت ذاك، فإن فيما بين ذاك الحالين لمنزلة ما ملكك فيها إلا كعلقة من ماء الفرات بالأصبع.

وكان أبو الهندي يشرب مع قيس بن أبي الوليد الكناني، وكان أبو الوليد ناسكا، فاستعدى عليه وعلى ابنه فهربا منه، وقال أبو الهندي: (من البسيط)

قل للسري أبي قيس أتوعدنا ... ودارنا أصبحت من داركم صددا

أبا الوليد أما والله لو عملت ... فيك الشمول لما حرمتها أبدا

ولا نسيت حمياها ولذتها ... ولا عدلت بها مالا ولا ولدا

قال مطيع بن إياس: إن في النبيذ لمعنى من الجنة كما حكى الله عن أهلها: " الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن " .

جرى في مجلس حامد بن العباس وهو الوزير حينئذ ذكر الخمار وما يلحق الناس منه، فقال حامد لعلي بن عيسى وكان يخلفه: ما تقول يا أبا الحسن في دواء الخمار، وما عندك فيه؟ فقال له علي بن عيسى: وما أنا وهذه المسألة؟! فخجل حامد، ثم التفت إلى قاضي القضاة أبي عمر، فقال له: ما عندك في هذا؟ فقال أبو عمر: قال الله تعالى: " وما آتاكم الرسول فخذوه، وما نهاكم عنه فانتهوا " ؛ وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه: " استعينوا على كل صناعة بأهلها " ، والأعشى هو المشهور بهذه الصناعة في الجاهلية، يقول: (من المتقارب)

وكأس شربت على لذة ... وأخرى تداويت منها بها

ثم أبو نواس في الإسلام يقول: (من البسيط)

دع عنك لومي فإن اللوم إغراء ... وداوني بالتي كانت هي الداء

---

(١) التذكرة الحمدونية، ١ /٤٥٦

فقال حامد لعلي بن عيسى: ا بارد، ما كان ضرك لو جئت ببعض ما أجاب به قاضي القضاة؟ فقد استظهر المسألة ألا بقول الله تعالى، ثم يقول نبيه صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه، ثانيا، وأدى المعنى وتبرأ من العهدة. فكان خجل علي بن عيسى أكبر من خجل حامد.

كان أبو شروان يعجبه الورد ويفضله على سائر الرياحين، فابتنى قبة الكلستان وزخرفها بالذهب ورصعها بالجوهر، وزينها بالتصاوير، وحفها بالتماثيل، وجعل في أعاليها فتوحا ينثر عليه منها الورد. ومر أنو شروان بوردة ساقطة فقال: أضاع الله من أضاعك، ونزل فأخذها وقبلها وشرب في مشكاتها سبعة أيام.

كان بشار في شرب فقال: لا تجعلوا يومنا حديثا كله، ولا شربا كله، ولا غناء كله، تناهبوا العيش تناهبا فإنما الدنيا فرص.

شهد رجل عند شريك، فقال المدعى عليه: إنه يشرب النبيذ، فقال له شريك: أتشربه؟ قال: نعم، وأنا الذي أقول: (من الرمل المجزوء)

وإذا المعدة جاشت ... فارمها بالمنجنيق

بثلاث من نبيذ ... ليس بالحلو الرقيق

يهضم المطعم هضما ... ثم يجري في العروق

فقال شريك: قم فأثبت شهادتك.

قال برج بن مسهر الطائي: (من الوافر)

وندمان يزيد الكأس طيبا ... سقيت وقد تغورت النجوم

رفعت برأسه وكشفت عنه ... بمعرقة ملامة من يلوم

فلما أن تنشى قام خرق ... من الفتيان مختلق هضوم

إلى وجناء ناوية فكاست ... وهي العرقوب منها والصميم

فأشبع شربه وسعى عليهم ... بإبريقين كأسهما رذوم." (١)

"أتي الوليد بن يزيد بشراعة بن الزندبوذ من الكوفة، فحين رآه لم يسأله عن نفسه ولا عن سفره حتى قال له: يا شراعة، والله إني ما أرسلت إليك لأسألك عن كتاب الله، ولا عن سنة رسوله صلى الله عليه وسلم . قال: والله لو سألتني عنهما لألفيتني فيهما حمارا. قال: ولكني أرسلت إليك لأسألك عن **الفتوة**. قال: دهقانها الخبير، وطبيبها الرفيق، سل. قال: أخبرني عن الماء؟ قال: لا بد منه، والحمار شريكي فيه. قال: فما تقول في اللبن؟ قال: ما رأيته قط إلا استحييت من أمي من طول ما أرضعتنيه. قال: فالسويق؟ قال: شراب الحزين والمستعجل المريض. قال: فما تقوله في نبيذ التمر؟ قال: سريع الملء سريع الانفشاش، ضراط كله. قال: فما تقول في نبيذ الزبيب؟ قال: حومة حاموا بها حول الشراب. قال: فما تقول في الخمر؟ قال: تلك صديقة روحي. قال: وأنت صديقي، أقعد. أي الطعام أحب إليك؟ قال: يا أمير المؤمنين، ليس لصاحب النبيذ على الطعام حكم، إلا أن أشهاه إليه أمرؤه، وأنفعه أدسمه. قال: فأي المجالس أحب إليك؟ قال: البراز ما

---

(١) التذكرة الحمدونية، ٣/١ ٤٥

لم تحرقه الشمس ويغرقه المطر؛ والله يا أمير المؤمنين ما شرب الناس على وجه أحسن من وجه السماء.

قال أحمد بن أبي خالد: دخلت على المأمون وهو قاعد يصفي نبيذا بيده، فبادرت لأتولى ذلك فقال: مه! أما أحد يكفيني هذا؟! ولكن مجراه على كبدي فأحببت أن أتولاه بيدي.

الأعشى: (من الكامل)

وسبية مما تعتق ببابل ... كدم الذبيح سلبتها جريالها

الرواة تفسر هذا البيت تقول: شربتها حمراء، وبلتها صفراء. وقال أبو نواس: وهو مثل قولي: (من البسيط)

كأسا إذا انحدرت في حلق شاربها ... أجدته حمرتها في العين والخد

وقال الحسن بن هانئ: (من السريع)

أثن على الخمر بآلائها ... وسمها أحسن أسمائها

لا تجعل الماء لها قاهرا ... ولا تسلطها على مائها

كرخية قد عتقت حقبة ... حتى مضى أكثر أجزائها

فلم يكد يدرك خمارها ... منها سوى آخر حوبائها

دارت فأحيت غير مذمومة ... نفوس حسراها وأنضائها

والخمر قد يشربها معشر ... ليسوا إذا عدوا بأكفائها

وقال: (من البسيط)

قامت بإبريقها والليل معتكر ... فلاح من ضوئها في البيت لألاء

فأرسلت من فم الإبريق صافية ... كأنما أخذها بالعين إغفاء

رقت عن الماء حتى ما يلائمها ... لطافة وجفا عن شكلها الماء

دارت على فتية ذل الزمان لهم ... فلا يصيبهم إلا بما شاؤوا

وقال:

فإذا علاها الماء ألستها ... نمشا شبيه جلاجل الحجل

حتى إذا سكنت جوانحها ... كتبت بمثل أكارع النمل

ولابن المعتز في (هذا) المعنى: (من المنسرح)

للماء فيها كتابة عجب ... كمثل نقش في فص ياقوت

وقال الماهر: (من الخفيف)

هو يوم حلو الشمائل فاجمع ... بكؤوس الشمول شمل السرور

من مدام أرق من نفس الصب ... ب وأصفى من دمعة المهجور

رق جلبابها فلم تر إلا ... روح نار قد حل في جسم نور

وقال علي بن جبلة العكوك: (من الوافر)

وصافية لها في الكأس لين ... ولكن في النفوس لها شماس

كأن يد النديم تدير منها ... شعاعا لا يحيط عليه كاس

وقال ابن المعتز: (من الطويل)

معتقة صاغ المزاج لرأسها ... أكاليل در ما لمنظومه سلك

وقد خفيت من ضوئها فكأنها ... يقين ضمير ليس يدخله شك

وقال أيضا: (من الطويل)

وكرخية الأنساب أو بابلية ... ثوت حقبا في ظلمة القار لا تسري

أرقت صفاء الماء فوق صفائها ... فخلتهما سلا من الشمس والبدر

وقال أبو عون الكاتب: (من الخفيف)

بنت عشر كخاطر الوهم أو خا ... طف برق أو مثل حسن السماع

وقال ابن أبي كريمة: (من البسيط)

كأنها عرض في كف شاربها ... تخاله فارغا والكأس ملآن

وللبحتري في مثله: (من الكامل)

فاشرب على زهر الرياض يشوبه ... زهر الخدود وزهرة الصهباء." (١)

"وقال محمد بن هانئ: (من الخفيف)

رب يوم لنا رقيق حواشي ال ... لهو حسنا جوال عقد النطاق

قد لبسناه وهو من نفحات ال ... مسك ردع الجيوب ردع التراقي

والأباريق كالظباء العواطي ... أوجست (...) الجياد العتاق

مصغيات إلى الغناء مطلا ... ت عليه كثيرة الإطراق

وهي شم الأنوف يشمخن كبرا ... ثم يرعفن بالدم المهراق

عبد الله بن المعتز في الدن: (من المنسرح)

كأنه منذ قام معتمدا ... بعظم ساق شلاء في بدن

ميت وفيه الحياة كامنة ... تدرجه العنكبوت في كفن

بشار، وروي لأبي نواس: (من البسيط)

كأن قرقرة الإبريق بينهم ... صوت المزامير أو ترجيع فأفاء

أبو نواس: (من الكامل)

والكوب يضحك كالغزال مسبحا ... عند الركوع بلثغة الفأفاء

---

(١) التذكرة الحمدونية، ١ /٣ ٥٤

وكأن أحداق الرحيق إذا جرت ... وسط الظلام كواكب الجوزاء

النامي: (من الكامل)

وكأنما الروض السماء ونهره ... فيه المجرة والكؤوس الأنجم

وقال أبو عثمان الخالدي: (من الخفيف)

هتف الصبح بالدجى فاسقنيها ... قهوة تترك الحليم سفيها

لست أدري من رقة وصفاء ... هي في كأسها أو الكأس فيها

وقال البحتري: (من الخفيف)

قد سقاني ولم يصرد أبو الغو ... ث على العسكرين شربة خلس

من مدام نقولها وهي نجم ... ضوأ الليل أو مجاجة شمس

أفرغت في الزجاج من كل قلب ... فهي محبوبة إلى كل نفس

أخذ هذا المعنى من قول بعضهم وقد وصف ابن سريج المغني فقال: كأنه خلق من كل قلب، فهو يغني لكل إنسان ما يشتهيه. وقد قال الحسن بن وهب ووصف صديقا له: هو كما يشتهي إخوانه.

ابن الرومي رحمه الله تعالى: (من الخفيف)

وردة اللون في خدود الندامى ... وهي صفراء في خدود الكؤوس

وقال ابن المعتز: (من الطويل)

يجول حباب الماء في جنباتها ... كما جال الدمع فوق خد مورد

السري الرفاء: (من المتقارب)

كستك الشبيبة ريعانها ... وأهدت لك الراح ريحانها

فدم للنديم على عهده ... وغاد المدام وندمانها

فقد خلع الأفق ثوب الدجى ... كما نضت البيض أجفانها

وساق يواجهني وجهه ... فتجعله العين بستانها

يتوج بالكأس كف النديم ... إذا نظم الماء تيجانها

وطورا يوشح ياقوتها ... وطورا يرصع عيقانها

رميت بأفراسها حلبة ... من اللهو ترهج ميدانها

ودير شغفت بغزلانه ... فكدت أقبل صلبانها

سكرت بقطريل ليلة ... لهوت فغازلت غزلانها

وأي ليالي الهوى أحسنت ... إلي فأنكرت إحسانها

أبو طاهر بن جلنك: (من الخفيف)

مرحبا بالتي بها قتل الهم ... م وعاشت مكارم الأخلاق

وهي في رقة الصبابة والوج ... د وفي قسوة النوى والفراق

لست ادري أمن خدود العذارى ... سفكوها أم أدمع العشاق

حزم بعض الأمراء بالكوفة وتشدد على الخمارين وركب فكسر نبيذهم، فجاء بكر بن خارجة ليشرب عندهم على عادته، فرأى الخمر مصبوبة في الرحاب والطرق فبكى ثم قال، وتروى لذؤيب بن حبيب الخزاعي: (من الخفيف)

يا لقومي لما جنى السلطان ... لا يكونن لما أهان الهوان

صبها في التراب من حلب الكر ... م عقارا كأنها الزعفران

صبها في مكان سوء لقد صا ... دف سعد السعود ذاك المكان

من كميت يبدي المزاج لها لؤ ... لؤ نظم والفصل منها جمان

كيف صبري عن بعض نفسي وهل يص ... بر عن بعض نفسه الإنسان

قال الكرماني: أنشدتها الجاحظ فقال: إن من حق **الفتوة** أن أكتب هذه الأبيات قائما وما أقدر على ذلك إلا أن تعمدني، وقد كان نقرس، فعمدته فقام، فكتبها قائما.." (١)

"وهو كذلك يؤكّد الرؤية الرومانتيكية التي فقدت الأمل بصلاح الإنسان كما فعل أخوه شفيق في ملحمة عبقر في نشيد ((عرّافة عبقر)).

أمّا قوله ((في خُطُواتِهِ نَزَواتٌ مِنَ الأَلَمْ)) فيوحي بالرغبة الجنسيّة المتولّدة عن كلمة (نزوة). وهل الرغبة الجنسيّة إلاّ تفريغ لشحنة عاطفية مغمورة في أعماق النفس؟ وقوله ((تَحْدُو بِذاتِهِ نَزَعاتٌ)) يؤكّد الرغبة السابقة في إحضار صورة الإبل التي يسوقها راعٍ نحو غاية وهدف. أو رغبة لاشعورية بالخلاص.

وعبارة (الشفق الوردي) توحي بالطبيعة الهادئة الجميلة التي تبعث الأمل في النفس.

وفي قوله ((هُوَ في مِيعَةِ الشَّبَاب)) عبارة توحي بالقوّة **والفتوّة** ولكنّها تبرز هنا لتؤكّد ضدّاً هو الغاية والمقصد، وفي قوله ((أبصرت شيخاً هزيلاً)) نقيض الصورة السابقة، يوحي بالوهن الشديد الذي أصابه لكثرة الهموم.

أمّا قوله ((قاصمة الظهر)) قد يوحي هذا التعبير الكنائي بعظم المصيبة التي ترزح على ظهره حتّى تصل حدّاً يتقطّع الظهر منها. وفي قوله ((وجبين ألقت عليه شجون النفس)) يوحي بصورة الوجه المرآة التي تنعكس عليه انفعالات الروح. ومن خلال الغموض الشفّاف أوحي في (البيت الثامن) بأنّ الأحلام وسيلة لتحقيق السعادة وذلك عندما تجاوز العلاقة الحقيقية إلى العلاقة المجازيّة. فأشار للسعادة بالتبسّم.

وفي قوله ((ألف اليأس قلبه)) يوحي بالعلاقة الوشيجة التي تحوّلت إلى علاقة حبّ وعشق ربطت بين الشاعر والأسى واليأس حتّى لغدت قصّة الحب هذا تعيد إلى الذاكرة صورة تراثية لها مدلولها العميق من الحبّ اليائس والحزين إنّها: قصّة حبّ جميل بن معمّر لبثينة. وفي ذلك اعتماد على التراث وإفادة من تجاربه في صنع التجربة المعاصرة.." (٢)

---

(١) التذكرة الحمدونية، ١ ٣/ ٥٨

(٢) الرحلات الخيالية في الشعر العربي الحديث، ١ ص/٢٠١

"ثم يتلازم البابان السابع والثامن وهما: السؤدد والمروءة من ذوي الفضل والفتوة، وحسن الخلق من الخلق. والواقع أنه يمكن اعتبارهما باباً واحداً لولا أن المؤلف حرص كما يبدو على أن يقع كتابه في عشرة أبواب! فالفصل الثامن ينتهي بتعريف منسوب لعمر بن الخطاب للسيد وهو عنده: الجواد حين يسأل، الحليم حين يستجهل، الكريم الجالسة لمن جالسه، الحسن الخلق لمن جاوره. أما الباب السابع فيبدأ بتحديد " ذي المروءة " –كما يقول النبي صلى الله عليه وسلم أو السيد (كما تقول العرب)؛ فإذا هو الذي تتوافر فيه ست خصال: السخاء والنجدة والصبر والحلم والبيان والموضع؛ ثم صارت في الإسلام سبعاً في العفاف. ومن الواضح أن هذا التحديد يتجاهل النسب الذي كانت له مكانته بين شروط السيادة والسؤدد العربية. وربما كان تجاهله في هذه الأقوال قد وقع بتأثير الإسلام، ثم لأن ابن الحداد يكتب كتابه لمملوك أرمني الأصل لا تتوافر فيه شروط السيادة النسبية. ومع هذا فيبدو أن الفخر بالعربية والأعرابية كان ذا حساسية في مواجهة الفرس لا الترك؛ بدليل أن ضياء الدين ابن الأثير كاتب بدر الدين لؤلؤ يفخر بالعروبة والأعرابية في رسائل كتبها عن بدر الدين إلى خلفاء بني العباس وبعض أمراء بني أيوب. لهذا كان الأولى الذهاب إلى تأثير الإسلام في ذلك خصوصاً إذا لاحظنا نظرة المسلمين الأوائل إلى السيادة باعتبارها المروءة.

وقصص ابن الحداد عن السادة والفتيان والأمراء والأجواد تجعل المروءة " بذل الندى، وكف الأذى، ونصرة المولى " ، وأن لا تقول " شيئاً في السر تستجبي منه في العلانية " ، والمبادرة بالمعروف (أي الإعطاء قبل السؤال)، وتلاوة كتاب الله، واتخاذ الإخوان في الله، وبسط الوجه (سعة الخلق)، والورع عن المحارم.

وينصب باب الكتاب التاسع على بيان " فضل المشورة والرأي من ذوي الآراء " . وهو أمر لا يمكن إلا بصعوبة إدخاله ضمن المفهوم العربي للمروءة؛ فضلاً على أنه ينفصل عما قبله وبعده من أبواب. ولا نستطيع تعليل ذلك إلا بأن " الجوهر النفيس " ليس كتاب سمر أو أخبار عادياً؛ بل هو موضوع أساسٌ لخزانة صاحب الموصل الذي كان يقبل في رمضان كما أخبرنا ابن الطقطقى على قراءة هذا النوع من الكتب. ويبدو أن الغرض من هذا الباب كان محاولة إقناع الحاكم الفرد بدر الدين لؤلؤ بفائدة جماعية القرار بالعودة للتاريخ والآثار النبوية. وبالوسع تصور أن أمارة " صغيرة "كالموصل كانت دائماً مهددة بالابتلاع من جانب جيرانها بالشرق أو الغرب؛ ولاشك أنها تدين ببقائها لحكمة صاحبها في اختيار حلفائه، وفي الحفاظ على التوازنات التي قامت في منطقة الجزيرة. ووضع كهذا كان يثير ولا شك قلق رجالات بلاط بدر الدين، كما كان يثير قلق رعيته طبعاً. ومن هنا فإنهم كانوا يحرصون على التزام جانب الحذر الشديد في علاقاتهم مع المحيط؛ وكان المطلوب من بدر الدين أن يأخذ مخاوف الناس هذه في الاعتبار في الإقدام والإحجام. وقد رأوا كيف انتهت إربل بعد وفاة كوكبوري بخمسة أعوام. ثم عاش كثير منهم حتى رأوا الموصل نفسها تنتهي بعد وفاة بدر الدين بعامين. وقد يكون من دوافع عقد هذا الباب للمشورة أن ابن الحداد كان ينحو منحى " مرايا الأمراء " من حيث الإطار على الأقل؛ ومعلوم ان هذا الجنس الأدبي الكلاسيكي لم يكن يخلو من باب في المشورة أو الوزارة. والباب قصير على أي حال إذ يقتصر على

حديث نبوي، وقول لعلي، وآخر للأحنف بن قيس، وقصة عن زياد، وأخرى عن المنصور وعبد الملك بن مروان ثم بعض الأبيات الشعرية.." (١)

"بيد أن هذا الحذر، وهذا التوازن ما يلبث أن يتضاءل حتى يختفي تماماً عبر الأبواب الثمانية الباقية من العمل، منذ الباب الثالث وحتى الباب العاشر. إن سياسة المصلحة والتوازن الكفيلة بتحقيق مصلحة كل من الرعية والراعي تتسارع خطواتها بحيث تفتقد الضبط والتوازن في الأبواب الباقية باستثناء الباب الخاص بالاستشارة. ويحاول ابن الحداد أن يخفي هذه الحركية الشديدة التي تنبض بالتوتر والاحتجاج عن طريق التذكير هنا وهناك بمسألتي السياسة الدنيوية، وإمكان تحقيق مصلحة الرعية والراعي في الوقت نفسه. لكن الذي يحل محل ذلك كله في الحقيقة هو ما يمكن تسميته بسياسة المروءة ومعروف أن المروءة قيمة عربية كبرى قديمة، بل إن بعضهم حاول عن طريقها تلخيص العرف العربي قبل الإسلام. ويبدو أنها متفرعة كمفرد على جذر مرأ والمرء؛ والمرء هو السيد والملك. أي أن المروءة كمفهوم تعني أخلاق السادة والأشراف؛ تماماً مثلما عنت الفتوة فيما بعد أخلاق الفتيان. وهذان المفهومان لأنهما يضمان عرفاً اجتماعياً عاماً فيه الثوابت والمتغيرات يظل صعب الالتقاط والتحديد؛ وقد قدم له كتاب السمر والأخبار عبر العصور تحديدات مختلفة مأثورة؛ كما أن ابن الحداد أدلى بدلوه في هذا المجال في الأبواب السبعة الأخيرة من كتابه؛ وبخاصة في الباب الذي عقده لسياسة المروءة بالذات.

١. – ففي الكامل للمبرد (٢٨٦هـ)؛ يروى عن ابن عمر أنه كان يقول: إنا معشر قريش كنا نعد الجود والحلم: السؤدد؛ وتعد العفاف وإصلاح المال: المروءة... وقيل لعبد الملك بن مروان: ما المروءة؟ فقال: موالاة الأكفاء، ومداجاة الأعداء. وقيل لمعاوية: ما المروءة؟ فقال: احتمال الجريرة، وإصلاح العشيرة؛ فقيل له: وما النبل؟ فقال: الحلم عند الغضب، والعفو عند المقدرة. " وفي الموشى للوشاء روى الهلالي قال، قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) لرجل من ثقيف: ما المروءة فيكم؟ قال: الصلاح في الدين، وإصلاح المعيشة، وسخاء النفس، وصلة الرحم. فقال النبي (ص): كذلك هي فينا. وقال عمر بن الخطاب: المروة الظاهرة الثياب الطاهرة – يعني النقية من الذنوب. وقيل للأحنف: ما المروة؟ قال: إصلاح المعيشة، واحتمال الجريرة. وقال معاوية لرجل من عبد القيس: ما تعدون المروة فيكم؟ قال: العفة والحرفة (الحرمة؟) وقال علي: " مروة الرجل حيث يضع نفسه. وقال مسلمة بن عبد الملك؛ مروتان ظاهرتان: الرياسة والفصاحة " .

٣. – وفي تسهيل النظر وتعجيل الظفر للماوردي (٤٥٠هـ): " فأما الكرم والمروة فهما قرينان في الفضل، ومتشاكلان في العقل. والفرق بينهما مع التشاكل من وجهين؛ أحدهما أن الكرم مراعاة الأحوال أن تكون على أنفعها وأفضلها. والمروة مراعاة الأحوال أن تكون على أحسنها وأجملها. والوجه الثاني أن الكرم ما تعدى نفعه إلى غير فاعله. والمروءة قد تقف على فاعلها ولا تتعدى إلى غيره. فإن استعملها غيره مازجت الكرم ولم تنفرد المروة وصارا بالاجتماع أفضل... وليس واحد من الكرم والمروءة خلقاً مفرداً، ولكنه يشتمل على أخلاق يصير مجموعها كرماً ومروءة... " .." (٢)

---

(١) الجوهر النفيس في سياسة الرئيس، ١ ص/٩

(٢) الجوهر النفيس في سياسة الرئيس، ١ ص/١٧

"أما بعد؛ فإن من وصف السياسة لتعمر البلاد ويأمن العباد، ويصلح الفساد، وتجري الأمور على وفق السداد، وتنتعش الرعية وتقوى على أداء الفرائض الشرعية؛ وتلك نعمة من الله أودعها قلوب الولاة والملوك لينصفوا بين المالك والمملوك والغني والصعلوك. والسياسة سياستان سياسة الدين وسياسة الدنيا. فسياسة الدين ما أدى إلى قضاء الفرض وسياسة الدنيا ما أدى إلى عمارة الأرض. وكلاهما يرجعان إلى العدل الذي به سلامة السلطان وعمارة البلدان، لأن من ترك الفرض قد ظلم نفسه، ومن خرب الأرض ظلم غيره. قال أفلاطون الحكيم: بالعدل ثبات الأشياء وبالجور زوالها. ولما كان العدل هو ميزان الله في أرضه؛ وبه يتوصل إلى أداء فرضه؛ بادرت إلى جمع لمعة فيما ورد من محاسن العدل والسياسة لذوي النفاسة وأرباب الرياسة وجعلتها كتاباً ووسمته " بالجوهر النفيس في سياسة الرئيس " . وكان الذي حداني إلى ذلك ما انتشر في البلاد، واشتهر بين العباد من حسن سيرة المولى الأمير الكبير الأسعد الأمجد العالم العادل الكامل الزاهد العابد المجاهد أخص الخواص العامل بالإخلاص كهف الفقراء والمساكين ملك الأمراء والمقدمين خالصة أمير المؤمنين سعد الدنيا والدين ولي الدولة البدرية وصفي المملكة الرحيمية خلد الله سلطانها وأعلى في الدارين مكانها وإمكانها. أحسن الله عاقبته وأيد ولايته في البلاد، وجميل سيرته ومعدلته بين العباد، والعمل بالعدل والإفضال، وحب الصدقات وفعل الخيرات، والتنفيس عن المكروبين، والإحسان إلى جميع المسلمين المقيمين بمقره والنازحين، وإغاثة الملهوفين، وتحبيس الوقوف وإعطاء الجزيل وإسداء الجميل وتتبع فعل الخيرات؛ لا يحصى من جميع الجهات على دوام الأوقات راجياً من عند الله يوم الفضل والميقات ثواباً موفراً " يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا " بلغه الله الآمال في الدنيا والمآل، وأدام دولته وحفظ مهجته، وأعز أنصاره، وضاعف اقتداره، وأحسن إليه بإحسانه إلينا، وأنعم عليه بإنعامه علينا بمحمد وآله الطاهرين وأصحابه المنتجبين.

ولما تم هذا الكتاب كالدر والعقيان في نحور الحسان حملته خدمة مني لمحروس خزانته العامرة ونعمته الغامرة ليزداد من حسن سيرته وجميل معدلته ويلك نعمة أنعمها الله عليه ليؤدي شكرها إليه. ثبت الله قواعد سلطانه، وأيده بتأييد أعوانه، وتولاه فيما ولاه بمحمد ومن اصطفاه. وبنيت أصول هذا الكتاب على عشرة أبواب: الباب الأول : في فضل العدل من ذوي الفضل.

الباب الثاني: في فضل السياسة من أرباب الرياسة.

الباب الثالث: في فضل الحلم والأناة من الملوك والولاة.

الباب الرابع: في فضل العفو المشوب بالصفو.

الباب الخامس: في اصطناع المعروف إلى المجهول والمعروف.

الباب السادس: في مكارم الأخلاق في متوفري الخلاق.

الباب السابع: في السؤدد والمروة من ذوي الفضل والفتوة.

الباب الثامن: في حسن الخلق من الخلق .

الباب التاسع: في فضل المشورة والرأي من ذوي الآراء.

الباب العاشر: في فضل السخاء والجود المفضل في الوجود.

والله تعالى المسؤول في بلوغ المأمول. إنه ولي الإجابة وموضع الطلابة بمنه وطوله وقوته وحوله.

الباب الأول

في فضل العدل من ذوي الفضل

روي في الخبر الجلي عن الجانب المقدس النبوي أنه قال صلى الله عليه وسلم: العدل ميزان الله في الأرض فمن أخذ به قاده إلى الجنة ومن تركه قاده إلى النار. وقال النبي صلى الله عليه وسلم: يوم من إمام عادل أفضل من عبادة ستين سنة. قلت: وناهيك منها حالة على كل الحوال فاخرة تزين دنيا وتثيب آخرة؛ أوفت عبادة العابدين مقاماً إذا نالت محاولها أفخر مآلاً وأشرف مقاماً. وذلك أن العدل صفة من صفات الخالق، ورحمة موجودة في الخلائق يقمع سيفه كل باغ وعاد، ويكنف ظله كل ملهوف صاد؛ وهو غرس جناه أعذب خير؛ لأن خير الأعمال ما تعدى نفعه إلى الغير؛ وأقول:

والله ما حلي الإمام بحلية ... أبهى من الإحسان والإنصاف

فلسوف يلقى في القيامة فعله ... ما كان من كدر أتاه وصافي." (١)

"وقال سليمان لابنه: لا تكثر الغيرة على أهلك من غير ريبة فترمي بالشر منك وهي برية. وكان يقال: إن أنكأ لعدوك أن لا تريه أنك تتخذه عدواً. وكان يقال: لا ينبغي للوالي أن يحسد الولاة إلا على حسن التدبير. وقال علي عليه السلام: الفرص تمر مر السحاب؛ فإذا مرت بكم فانتهزوها. وقال الخليل بن أحمد: الرجال أربعة؛ عالم فيتعلم منه؛ وجاهل فعلمه تؤجر فيه؛ ورجل كان عالماً فتلف علمه فذاكره تنفعه وتنتفع به؛ وجاهل يريك أنه عالم فلا تناظره. وكان يقال: إذا دخلت على قوم فاجلس حيث أجلسوك فكل قوم أعرف بعوراتهم. وقال عبد الله بن الحسن بن الحسن لابنه: يا بني! إحذر مشورة الجاهل وإن كان ناصحاً كما تحذر مكر العاقل وإن كان عدواً؛ فيوشك أن يورطك الجاهل بمشورته في إغراره فيسبق إليك مكر العاقل؛ ومعاداة الرجال فإنها لن تعدمك مكر حليم ومفاجأة جاهل. قال بعض الحكماء: ليست الفتوة الفسق والفجور! إنما الفتوة طعام مأكول، ونائل مبذول وبشر مقبول، وعفاف معروف، وأذى مكفوف. كانت هند بنت المهلب تقول: إذا رأيت النعم مستدرة فبادرها بتعجيل الشكر قبل حلول الزوال.

وكان يقال: خمسة تقبح في خمسة؛ ضيق ذرع الملوك وسرعة غضب العلماء، وفحش النساء، ومرض الأطباء، وكذب القضاة. وكان يقال: شر خصال الملوك الجبن عن الأعداء، والقسوة على الضعفاء، والبخل عند الإعطاء. وكان يقال: من ستر على مؤمن فكأنما أحياه. ويقال: الستر لما عاينت أحسن من إذاعة ما ظننت. قال عمرو بن العاص لمعاوية: يا أمير المؤمنين! لا تكونن لشيء من أمور رعيتك أشد تفقداً منك لخلة الكريم أن تعمل في سدها، ولطغيان اللئيم أن تعمل في قلعه؛ واستوحش من الكريم الجائع واللئيم الشبعان، فإن الكريم يصول إذا جاع، واللئيم إذا شبع.

قال المدائني! قارف الزهري ذنباً فساح فاستوحش من أهله فلقيه علي بن الحسين فقال له: يا زهري! لقنوطك من رحمة ربك التي وسعت كل شيء أعظم إليك من إكبارك ذنبك! فقال الزهري: الله أعلم حيث يجعل رسالاته. قال بعض الأكابر

(١) الجوهر النفيس في سياسة الرئيس، ١ ص/٢٠

لبنيه: لا يمنعكم من الدواب خوف مؤونتها فإن الله لم يخلق دابة إلا خلق لها رزقها فإن جعلها لكم رزقها عندكم.
وكان يقال: أربع يسود بها العبد: العلم والأدب والفقه والأمانة.
وكان يقال: جالس الكبراء وناطق الحكماء وسائل العلماء؛ فإن مؤاخذتهم كريمة ومجالستهم غنيمة، ومحبتهم سليمة. وكان يقال: أربع لا ينبغي لشريف إن يأنف منهن وإن كان أميراً؛ قيامه عن مجلسه لأبيه، وخدمته للضيف، وقيامه على فرسه وإن كان له مائة عبد، وخدمته للعالم ليأخذ من علمه. أقبل كعب الأحبار إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فأدناه إلى جانبه فتنحى قليلاً؛ فقال له عمر: ما منعك من الجلوس إلى جانبي؟ قال: يا أمير المؤمنين! لأني وجدت في حكمةلقمان فيما وصى ابنه أن قال: يا بني! إذا قعدت إلى ذي سلطان فليكن بينك وبينه مقعد رجل فلعله أن يأتيه من هو آثر عنده منك فتحتاج أن تتنحى له عن مجلسك فيكون ذلك نقصاً عليك وشيناً. وقال كعب الأحبار؛ مكتوب في التوراة: ليكن وجهك بسطاً تكن أحب إلى الناس ممن يعطيهم الذهب والفضة، واشكر لمن لأنعم عليك وأنعم على من شكر لك فإنه لا زوال للنعم. إذا شكرت ولا إقامة لها إذا كفرت؛ والشكر زيادة في النعم، وأمان من الغير. قال بعض حكماء الفرس لابنه: يا بني! خير ما تكون أن تكون مع من هو خير منك وإن غنماً حسناً أن يكون عشيرك وخليطك أفضل منك في العلم فتقتبس من علمه وأفضل منك في المال فيفيدك من ماله، وأفضل منك في الدين فتزداد صلاحاً بصلاحه.
قال مكحول: التقى يحيى بن زكريا عليهما السلام عيسى بن مريم عليه السلام فضحك عيسى في وجه يحيى وصافحه وعبس يحيى. فقال يحيى: ابن خالتي! مالي أراك ضاحكاً كأنك قد أمنت؟ فقال له عيسى: يا بن خالتي! مالي أراك عابساً كأنك قد يئست؟! فأوحى الله إليهما: أحبكما إلي أبشكما لصاحبه. قال أعرابي: من استطاع أن يمنع نفسه من أربعة أشياء فهو خليق أن لا ينزل به من المكروه ما نزل بغيره: العجلة واللجاجة والعجب والتواني، فثمرة اللجاجة الحيرة، وثمرة العجلة الندامة، وثمرة العجب البغضة، وثمرة التواني الذلة.
الباب السابع
في السؤدد والمروة من ذوي الفضل والفنوة." (١)
"إذا كانَ الشِّتَاءُ فَأَدْفِئوني ... فَإنَّ الشَّيْخَ يَهْدِمُه الشِّتاءُ
هذا البيت للربيع ضبع الفزاري، وقد ذكرناه فيما تقدم، وهذا البيت من شعر يمدح فيه بنيه وكنانته، ويذكر برهم له، وهو قوله:
أَلاَ أَبلِغْ بَنِيَّ بَنِي رَبِيعٍ ... فَأَنذَالُ البَنِينِ لَكمْ فِدَاءُ
بِأَنِّي قد كَبِرْت ورَقَّ جِلدِي ... فَلاَ شَغَلتْكم عَنِّي النِّساءُ
وإنَّ كَنائِتِي نساءُ صِدْقٍ ... وَمَا أَلَّى بَنِيَّ وَلاَ أَساءُوا
إذَا كانَ الشِّتَاءُ فَأَدْفِئُونِي ... فَإنَّ الشَّيخَ يَهدِمِهُ الشِّتاءُ
وأَمَّا حِينَ يَذْهبُ كلُّ قَرٍّ ... فَسِربَالٌ رَقيقٌ أوْ رِدَاءُ

(١) الجوهر النفيس في سياسة الرئيس، ا ص/٢٧

إذَا عَاشَ الفتَى مَائتينِ عَاماً ... فَقد ذَهَبَ المسرَّةُ والفَتَاءُ

الأنذال الخساس، واحدهم نذل، ومعنى أللى: قصر في برئ يقال: ألا ألواً، فإذا كثرت الفعل قلت أللى يؤلى تأليةً، قال زهير:

سَعى بَعدهم قومٌ لكَي يُدركوهمفَلم يَفعلوا ولم يُليموا ولَمْ يَأْلواً والقر: البرد، والفتى مقصور: واحد الفتيان، والفتاء ممدود: فتوة السن، يقال: فتى بين الفتوة، ويروى المروءة، واللذاذة.

والتخيل: التكبر، وعجب المرء بنفسه.

ويروى: يهرمه.

وأنشد أبو القاسم في هذا الباب:

فَكيفَ إذا مَرَرْتَ بِدَارِ قوْمٍ ... وَجيرَانٍ لَناَ كانُوا كَرَامِ

هذا البيت: للفرزدق، واسمه همام بن غالب، وقال ابن قتيبة: هميم بن غالب، ويكنى أبا فراس.

واختلف كلام ابن قتيبة في تلقيبه بالفرزدق: فقال في أدب الكتاب: الفرزدق: قطع العجين، واحدها فرزدقة، وهو لقب له؛ لأنه كان جهم الوجه.! وقال في كتاب طبقات الشعراء: إنما لقب بالفرزذق لغلظه وقصره، شبه بالفتيتة التي تشربها النساء، وهي الفرزدقة.

والقول الأول أصح؛ لأنه كان أصابه جدري في وجهه، ثم برئ منه، فبقى وجهه جهماً مبغضاً.

ويروى أن رجلاً قال له: يا أبا فراس، كأن وجهك أحراح مجموعة.! فقال: تأمل، هل ترى فيه حرح أمك؟! وهذا البيت من قصيدة يمدح بها: سليمان بن عبد الملك بن مروان، ويهجو جرير بن الخطفي.

وقيل هذا البيت:

هل أَنْتُم عَائِجُونَ بِنَا لَعَناًّ ... نَرَى العَرَصات أَو أَثَرَ الخِيامِ

أُكَفْكِفُ عبرة العينين مِنّي ... وما بعدَ المَدَامِعِ مِنْ مَلاَمِ

لعنا: لغة في لعلنا، يقال: لعلك، ولغنك – بغين معجمة ونون – ولأنك، ورعنك، وعلك، وأنك، ولو أنك كل ذلك بمعنى واحد.

ويروى: أنه أنشد سليمان هذه القصيدة، فلما بلغ إلى قوله فيها:

ثَلاثٌ واثنتان فَهُنَّ خَمْس ... وَسادِسةٌ تميل إلى شِمامِي

دُفِعْنَ إلي لم يَطمثهنّ قبلي ... وهنَّ أَصحَّ من بيض النَّعاَمِ

فَبِتْنَ بجانِبِيَّ مَصرَّعاتٍ ... وبتُّ أَفضُّ أَغلاَقَ الخِتاَمِ

كأَنّ مَغالِقَ الرَّمان فيه ... وَجمرَ غضًى قَعدْن عليه حَامِ

قال سليمان: أقررت عندي بالزنا وأنا إمام، ولابد من إقامة الحد عليك.! فقال الفرزدق: ومن أين أوجبته علي يا أمير المؤمنين؟ فقال: يقول الله عز وجل: " الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة " .

فقال الفرزدق: إن كتاب الله عز وجل يدرأ عني الحد، يقول الله تبارك وتعالى: " والشعراء يتبعهم الغاوون، ألم تر أنهم في كل وادٍ يهيمون وأنهم يقولون ما لا يفعلون " وإنما قلت ما لم أفعل! فتبسم سليمان، وقال: أولى لك.!! وسلك أبو القاسم في بيت الفرزدق مسلك الخليل وسيبويه، فجعل كان فيه زائدة.

وكان أبو العباس المبرد يرد ذلك، ويقول: الواو في كانوا اسم كان، ولنا خبرها، كأنه قال: وجيران كرام كانوا لنا.

وتابع أبا العباس على ذلك جماعة من النحويين، وقالوا: كيف تلغ كان في هذا البيت، والضمير قد اتصل بها؟! وهذا الذي قالوه لا يلزم؛ لأن ظننت تلغى عن العمل مع اتصال الضمير بها في نحو قولك: زيد منطلق ظننت.

وقد ذكرنا في الكتاب الأول ما احتج به أبو علي الفارسي وابن جنى للخليل، فأغنى ذلك عن إعادته ههنا.." (١)

""""""""" صفحة رقم ٢٠ """""""

قد عبقوا بفوائح الفتوة ، وعلقوا بحبائل المروءة ، وشدوا من الحكمة أشرف الأبواب ؛ واعتزوا من الأدب إلى أعز حرم ؛ وحازوا شرفاً بعد شرف ، وانحازوا عن نطف بعد نطف ونظروا إلى الدنيا بعين بصيرة ، وعزفوا أنفسهم عن زهراتها بتجربة صادقة . فأول ما أبدؤك به أنني طننت ظناً لا كيقين أن شيئاً مما كنت فيه مع الوزير – أدام الله أيامه ، وقصم أعداءه – ليس مما يهمك ، ولا هو مما يقرع سمعك سماعك له ؛ وحسبت أيضاً أنني إن بدأت بشيء منه رذلتني عليه وتنقصتني به ، وزريت علي فيه ؛ وأنك ربما قلت : لم بدأت بما أسئلك عنه ولم أرخص لك فيه ، هلا كظمت على جرتك ، وطويت ما بين جنبيك وما علي مما يدور بين الصاحب وخادمه والرؤوساء ، والناظرين في أمور الدهماء والمتصفحين لأحوال العامة والخاصة ، ولهم أسرار وعيوبٌ لا يقف عليها أقرب الناس إليهم ، وأعز الناس عليهم ، وأنت أيضاً فلم تسألني عنه ، فكان في تقديري أنك قد عرفت وصولي في وقت دون وقت ، وأنك قد حملت أمري على الخدمة التي ليس للعلم بها فائدة ، ولا في الإعراض عنها فائتة . وإذ جرى الأمر على غير ما كان في حسابي وتلبس بظني ، فإني أهدي ذلك كله بغثاثته وسمانته ، وحلاوته ومرارته ، ورقته وخثارته في هذا المكان ؛ ثم أنت أبصر." (٢)

""""""""" صفحة رقم ٣٨ """""""

أبو سليمان عالمٌ فطن . . . ما هو في علم بمنتقص لكن تطيرت عند رؤيته . . . من عورٍ موحش ومن برص وبابنة مثل ما بوالده . . . وهذه قصة من القصص فقال : قاتله الله ، فلقد أوجع وبالغ ، ولم يحفظ ذمام العلم ، ولم يقض حق الفتوة . حدثني عن درجته في العلم والحكمة ، وعرفني محله فيهما من محل أصحابنا ابن زرعة وابن الخمار وابن السمح والقومسي ومسكويه ونظيف ويحيى بن عدي وعيسى بن علي . فقلت : وصف هؤلاء أمر متعذر ، وبابٌ من الكلفة شاق ؛ وليس مثلي من جسر عليه ، وبلغ الصواب منه ؛ وإنما يصفهم من نال درجة كل واحد منهم ، وأشرف بعد ذلك عليهم ؛ فعرف

---

(١) الحلل في شرح أبيات الجمل، ١ ص/٩

(٢) الإمتاع والمؤانسة، ١ ص/٢٠

حاصلهم وغائبهم ، وموجودهم ومفقودهم . فقال : هذا تحايلٌ لا أرضاه لك ، ولا أسلمه في يدك ، ولا أحتمله منك ؛ ولم أطلب إليك أن تعرفهم بما هو معلوم الله منهم ، وموهبة لهم ، ومسوقه إليهم ،." [١]

""""""""" صفحة رقم ٢٣٧ """""""

لهفي على سكباجةٍ . . . تشفي القلوب من السقام يا عاذلي أسرفت في . . . عذل الخليع المستهام رجلٌ يعض إذا نصح . . . ت له على فأس اللجام دع عذل من يعصي العذو . . . ل ولا يصيخ إلى الملام خلع العذار وراح في . . . ثوب المعاصي والأثام شيخٌ يصلي قاعداً . . . وينيك عشراً من قيام ويعاف نيك الغانيا . . . ت ويشتهي نيك الغلام وتراه يرعد حين يذ . . . كر عنده شهر الصيام خوفاً من الشهر المعذ . . . ب نفسه في كل عام سلس القياد إلى التصا . . . بي والملاهي والحرام من للمروءة والفتوة . . . بعد موتي والندام من للسماح وللرما . . . ح لدى الهزاهز والحسام من للواط وللحلا . . . ق وللملمات العظام كان محمد بن الحسن الجرجاني متقعراً في كلامه ، فدخل الحمام يوماً ، فقال للقيم : أين الجليدة التي تسلخ بها الضويطة من الإخفيق ؟ قال : فصفع القيم قفاه بجلدة النورة وخرج هارباً ، فلما خرج من الحمام وجه إلى صاحب الشرطة ، فأخذ القيم وحبسه ، فلما كان عشاء ذلك اليوم كتب إليه القيم رقعةً يقول فيها : قد أبرمني المحبوسون بالمسئلة عن السبب الذي حبست له ، فإما خليتني وإما عرفتهم . فوجه من أطلقه ، واتصل الخبر بالفتح ، فحدث المتوكل ، فقال : ينبغي أن يغني هذا القيم عن الخدمة في الحمام . وامر له بمائتي دينار .." [٢]

""""""""" صفحة رقم ٣٣٨ """""""

وفالوذج عمر ، وفقاع زريق ، ومخلط خراسان من عند أبي زنبور ، ولو كنا نشرب لقلنا : وشراب صريفين من عند ابن سورين ، ولكن إن احببتم أن أحضر بسببكم ومن أجلكم فليس في الفتوة أن أمنعكم من أربكم بسبب ثقل روحي وقلة مساعدتي ، لعن الله الشهادة ، فقد حجتني عن كل شهوةٍ وإرادة ؛ وما أعرف في العدالة ، إلا فوت الطلبة والعلالة . وما أحسن ما قال من قال : ما العيش إلا في جنون الصبي . . . فإن تولى فجنون المدام هذا كله يمر وما هو أشجى منه وأرق ، وأعجب وأظرف ، ثم يندفع علوان ويغني في أبيات بشار : ألا يا قوم خلوني وشاني . . . فلست بتاركٍ حب الغواني نهوني يا عبيدة عن هواكم . . . فلم أقبل مقالة من نهاني فإن لم تسعفي فعدي ومني . . . خداعاً لا أموت على بيان ولا طرب أبي سعيد الرقي على غناء مذكورة إذا اندفعت وغنت : سررت بهجرك لما علمت . . . بأن لقلبك فيه سرورا ولولا سرورك ما سرني . . . ولا كان قلبي عليه صبورا ولكن أرى كل ما ساءني . . . إذا كان يرضيك سهلاً يسيرا ولا طرب ابن مياس على غناء حبابة جارية أبي تمام إذا غنت : صددنا كأنا لا مودة بيننا . . . على أن طرف العين لابد فاضح." [٣]

""""""""" صفحة رقم ٣٦١ """""""

بالأضاحي والكسوة في الأعياد ، وكان يعتق في كل يوم عيدٍ مائة مملوك . وكان حماد بن أبي سليمان يفطر كل ليلةٍ من

---

(١) الإمتاع والمؤانسة، ١ ص/٣٨

(٢) الإمتاع والمؤانسة، ١ ص/٢٣٧

(٣) الإمتاع والمؤانسة، ١ ص/٣٣٨

شهر رمضان خمسين إنساناً ، وإذا كان يوم الفطر كساهم ثوباً ثوباً وأعطاهم مائة مائة . وقال الشاعر : أراك تؤمل حسن الثناء . . . ولم يرزق الله ذاك البخيلا وكيف يسود أخو بطنةٍ . . . يمن كثيراً ويعطي قليلا وقال النبي (صلى الله عليه وسلم) : ' تجافوا عن ذنب السخي ، فإن الله يأخذ بيده كلما عثر ' . وقال عليه السلام : ' من أدى الزكاة ، وقرة الضيف ، وآوى في النائبة ، فقد وقي شح نفسه ' . وقالت أم البنين أخت عمر بن عبد العزيز : أفٍ للبخل ، ولو كان طريقاً ما سلكته ، ولو كان ثوباً ما لبسته ، ولو كان سراجاً ما استضأت به . وقال الأصمعي : قال بعض العرب : ليست الفتوة الفسق ولا الفجور ، ولا شرب الخمور ، وإنما الفتوة طعامٌ موضوع ، وصنيع مصنوع ، ومكانٌ مرفوع ، ولسانٌ معسول ، ونائل مبذول ، وعفاف معروف ، وأذى مكفوف . وقال أبو حازم المدني : أسعد الناس بالخلق الحسن صاحبه ، نفسه منه في راحة ، ثم زوجته ، ثم ولده ، حتى إن فرسه ليصهل إذا سمع صوته ، وكلبه يشرشر بذنبه إذا رآه وقطه يدخل تحت مائدته ، وإن السيىء الخلق لأشقى الناس ، نفسه منه في بلاء ، ثم زوجته ، ثم ولده ، ثم خدمه ، وإ ، ه ليدخل وهم في سرور فيتفرقون فرقاً منه ، وإن دابته لتحيد عنه إذا رأته ، مما ترى منه ، وكلبه ينزو على الجدار ، وقطه يفر منه . وكان على باب ابن كيسان مكتوب : ادخل وكل . وكانت عائشة رضي الله عنها تقول في بكائها على النبي (صلى الله عليه وسلم) : بأبي من لم ينم على." (١)

" فقبلت يده فضحك وقال قد أذنت لك بعد ثلاثة أيام فامض راشدا وأمر لي بمائة ألف درهم

لحن إسحاق هذا من الثقيل الأول

جعفر بن يحيي البرمكي وعبد الملك بن صالح الهاشمي

أخبرني يحيى بن علي قال حدثني أبي عن إسحاق قال

لم أر قط مثل جعفر بن يحي كانت له فتوة وظرف وأدب وحسن غناء وضرب بالطبل وكان يأخذ بأجزل حظ من كل فن من الأدب والفتوة

فحضرت باب أمير المؤمنين الرشيد فقيل لي إنه نائم فانصرفت فلقيني جعفر بن يحي فقال لي ما الخبر فقلت أمير المؤمنين نائم فقال قف مكانك ومضى إلى دار أمير المؤمنين فخرج إليه الحاجب فأعلمه أنه نائم فخرج إلي وقال لي قد نام أمير المؤمنين فسر بنا إلى المنزل حتى نخلو جميعا بقية يومنا وتغنيني وأغنيك ونأخذ في شأننا من وقتنا هذا قلت نعم فصرنا إلى منزله فطرحنا ثيابنا ودعا بالطعام فطعمنا وأمر بإخراج الجواري وقال لتبرزن فليس عندنا من تحتشمن منه

فلما وضع الشراب دعا بقميص حرير فلبسه ودعا بخلوق فتخلق به ثم دعا لي بمثل ذلك وجعل يغنيني وأغنيه ثم دعا بالحاجب فتقدم إليه وأمره بألا يأذن لأحد من الناس كلهم وإن جاء رسول أمير المؤمنين أعلمه أنه مشغول واحتاط في ذلك وتقدم فيه إلى جميع الحجاب والخدم ثم قال إن جاء عبد الملك فأذنوا له يعني رجلا كان يأنس به ويمازحه ويحضر خلواته ثم أخذنا في شأننا فوالله إني لعلى حالة سارة عجيبة إذ رفع الستر وإذا عبد الملك بن صالح الهاشمي قد أقبل وغلط الحاجب ولم يفرق بينه وبين الذي يأنس به جعفر بن يحي

---

(١) الإمتاع والمؤانسة، ١ ص/٣٦١

وكان عبد الملك بن صالح الهاشمي من جلالة القدر والتقشف وفي الامتناع من منادمة أمير المؤمنين على أمر جليل وكان ." (١)

" بعث الوليد بن يزيد إلى شراعة بن الزندبوذ فلما قدم عليه قال يا شراعة إني لم أستحضرك لأسألك عن العلم ولا لأستفتيك في الفقه ولا لتحدثني ولا لتقرئني القرآن قال لو سألتني عن هذا لوجدتني فيه حمارا قال فكيف علمك **بالفتوة** قال ابن بجدتها وعلى الخبير بها سقطت فسل عما شئت

قال فكيف علمك بالأشربة قال ليسألني أمير المؤمنين عما أحب قال ما قولك في الماء قال هو الحياة ويشركني فيه الحمار قال فاللبن قال ما رأيته قط إلا ذكرت أمي فاستحييت قال فالخمر قال تلك السارة البارة وشراب أهل الجنة قال لله درك فأي شيء أحسن ما يشرب عليه قال عجبت لمن قدر أن يشرب على وجه السماء في كن من الحر والقر كيف يختار عليها شيئا

قصة الوليد والمصحف

قال وأخبرنا عمرو عن أبيه عن يحيى بن سليم قال دعا الوليد بن يزيد ذات ليلة بمصحف فلما فتحه وافق ورقة فيها (واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد . من ورائه جهنم ويسقى من ماء صديد) فقال أسجعا سجعا علقوه ثم أخذ القوس والنبل فرماه حتى مزقه ثم قال ." (٢)

" أخبار دقاق

كانت دقاق مغنية محسنة جميلة الوجه قد أخذت عن أكابر مغني الدولة العباسية وكانت ليحيى بن الربيع فولدت له أحمد ابنه وعمر عمرا طويلا وحدثنا عنه جحظة ونظراؤه من أصحابنا وكان عالما بأمر الغناء والمغنين وكان يغني غناء ليس بمستطاب ولكنه صحيح ومات يحيى بن الربيع فتزوجت بعده من القواد والكتاب بعده فماتوا وورثتهم

فحدثني عمي قال حدثني أحمد بن الطيب السرخسي قال كانت دقاق أم ولد يحيى بن الربيع أحمد المعروف بابن دقاق مغنية محسنة متقنة الأداء والصنعة وكانت قد انقطعت إلى حمدونة بنت الرشيد ثم إلى غضيض وكانت مشهورة بالظرف والمجون **والفتوة** قال أحمد بن الطيب وعتقت دقاق فتزوجها بعد مولاها ثلاثة من القواد من وجوههم فماتوا جميعا فقال عيسى بن زينب يهجوها

(قلت لما رأيت دار دقاق ... حسنها قد أضر بالعشاق)

(حذروا الرابع الشقي دقاقا ... لا يكونن نجمه في محاق) ." (٣)

" فاقتتلوا قتالا شديدا وقتلت بينهم قتلى كثيرة وكان الطول يومئذ للأوس فقال حسان في ذلك

(ما هاج حسان رسوم المقام ... ومظعن الحي ومبنى الخيام)

---

(١) الأغاني، ١٥/٤٢٠

(٢) الأغاني، ٧/٥٩

(٣) الأغاني، ١٢/٣٢٨

وذكر الأبيات كلها

أخبرني أحمد بن عبد العزيز عن عمر بن القاسم بن الحسن عن محمد ابن سعد عن الواقدي عن عثمان بن إبراهيم الحاطبي قال

قال رجل من أهل المدينة ما ذكر بيت حسان بن ثابت

(أهوى حديث الندمان في فلق الصبح ... وصوت المسامر الغرد)

إلا عدت في الفتوة كما كنت قال وهذا البيت من قصيدته التي يقول فيها

(انظر خليلي بباب جلق هل ... تؤنس دون البلقاء من أحد)

وقد روي أيضا في هذا الخبر غير الروايتين اللتين ذكرتهما

أخبرني بذلك حرمي عن الزبير عن وهب بن جرير عن جويرية بن أسماء عن عبد الوهاب بن يحيي عن عباد بن عبد الله بن الزبير عن شيخ من قريش قال

إني وفتية من قريش عند قينة من قيان المدينة ومعنا عبد الرحمن بن حسان بن ثابت إذ استأذن حسان فكرهنا دخوله وشق ذلك علينا فقال لنا عبد الرحمن أيسركم ألا يجلس قلنا نعم قال فمروها إذا نظرت إليه أن ترفع عقيرتها وتغني (١) ".

" الوجه عليه منطقة وثياب حسان فقال له يا أبا العباس

(أزعمت أنك لا تلوط فقل لنا ... هذا المقرطق قائما ما يصنع)

(شهدت ملاحته عليك بريبة ... وعلى المريب شواهد لا تدفع)

فضحك أبو العباس وقال خذه لا بورك لك فيه حتى نستريح من عتبك

أخبرني عمي رحمه الله قال قال لي محمد بن موسى بن الحسن بن الفرات الكاتب كان سعيد بن حميد يهوى غلاما له من أولاد الموالي فغاب عنه مدة ثم جاءه مسلما فقال له غبت عني هذه المدة ثم تجيئني فلا تقيم عندي فقال له قد أمسينا فقال تبيت قال لا والله لا أقدر ولم يزل به حتى اتفقا على أنه إذا سمع أذان العتمة انصرف فقال له قد رضيت ووضع النبيذ فجعل سعيد يحث السقي بالأرطال فلما قرب وقت العتمة أخذ رقعة فكتب فيها إلى إمام المسجد وهو مؤذنه قوله

(قل لداعي الفراق أخر قليلا ... قد قضينا حق الصلاة طويلا)

(أخر الوقت في الأذان وقدم ... بعدها الوقت بكرة وأصيلا)

(ليس في ساعة تؤخرها وزر ... فنحيا بها وتأتي جميلا)

(فتراعي حق الفتوة فينا ... وتعافى من أن تكون ثقيلا)

---

(١) الأغاني ١٧٦/١٧١

فلما قرأ المؤذن الرقعة ضحك وكتب إليه يحلف أنه لا يؤذن ليلته تلك العتمة وجعل الفتى ينتظر الأذان حتى أمسى وسمع صوت الحارس فعلم أنها حيلة وقعت عليه وبات في موضعه وقال سعيد في ذلك ." (١)

" والله ما بعثت إليك رقعة وأظن الفاسق قد فعلها ثم دعا ابنه فقرأها عليه فلما سمع ما فيها قال يا غلام لا تنزع عن البغلة

فرجع إلى علي بن أمية فقال نشدتك الله أن تزيد على ما كان فقال له أنت آمن

لحن عمرو الغزال في أبيات علي بن أمية رمل بالوسطى

وقال يوسف بن إبراهيم حدثني إبراهيم بن المهدي قال حدثني محمد بن أيوب المكي

أنه كان في خدمة عبيد الله بن جعفر بن المنصور وكان مستخفا لعمرو الغزال محبا له وكان عمرو يستحق ذلك بكل شيء إلا ما يدعيه ويتحقق به من صناعة الغناء وكان ظريفا أديبا نظيف الوجه واللباس معه كل ما يحتاج إليه من آلة الفتوة وكان صالح الغناء ما وقف بحيث يستحق ولم يدع ما يستحقه وأنه كان عند نفسه نظير ابن جامع وإبراهيم وطبقتهما لا يرى لهم عليه فضلا ولا يشك في أن صنعتهم مثل صنعته وكان عبيد الله قليل الفهم بالصناعة فكان يظن أنه قد ظفر منه بكنز من الكنوز فكان أحظى الناس عنده من استحسن غناء عمرو الغزال وصنعته ولم يكن في ندمائه من يفهم هذا ثم استزار عبيد الله بن جعفر أخاه عيسى وكان أفهم منه فقلت له استعن برأي أخيك في عمرو الغزال إنه أفهم منك وكانت أم جعفر كثيرا ما تسأل الرشيد تحويل أخيها عبيد الله وتقديمه والتنويه به فكان عيسى أخوه يعرف الرشيد أنه ضعيف عاجز لا يستحق ذلك فلما زاره عيسى أسمعه غناء عمرو ." (٢)

" قال فأنشدتها الجاحظ فقال إن من حق الفتوة أن أكتب هذه الأبيات قائما وما أقدر على ذلك إلا أن تعمدني وقد كان تقوس فعمدته فقام فكتبها قائما

وقال محمد بن داود بن الجراح في كتاب الشعراء قال لي محمد بن الحجاج كانت الخمر قد أفسدت عقل بكر بن خارجة في آخر عمره وكان يمدح ويهجو بدرهم وبدرهمين ونحو هذا فاطرح وما رأيت قط أحفظ منه لكل شيء حسن ولا أروى منه للشعر

قال وأنشدني بعض أصحابنا له في حال فساد عقله

(هب لي فديتك درهما ... أو درهمين إلى الثلاثه)

(إني أحب بني الطفيل ... ولا أحب بني علاثه)

(١) الأغاني، ١٦١/١٨١

(٢) الأغاني، ١٤٤/٢٣١

قال ابن الجراح حدثني محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثني بعض أصحابنا الكوفيين قال حضرنا دعوة ليحيي بن أبي يوسف القاضي وبتنا عنده فنمت فما أنبهني إلا صياح بكر يستغيث من العطش فقلت له مالك فاشرب فالدار مليئة ماء قال أخاف قلت من أي شيء قال ." [1]

"*مَفسَدَةٌ [لِلمَرءِ] أَيُّ مَفسدَة (١)*

[يا لِلشَبابِ المَرِحِ] التَصابي (٢) ... *** ... رَوائِحُ الجَنَّةِ في الشَباب (٣)

اصْحَبْ ذَوِي الفَضْلِ وأَهْلَ الدِّينِ ... *** ... فَالَمرْءُ مَنْسُوبٌ إِلَى القَرِينِ

إِيَّاكَ والغَيْبَة وَالنَّمِيمَة ... *** ... فَإِنَّهَا مَنْزِلة ذَمِيمَة (٤)

لَا تهبن فِي الأُمُورِ فرطَا ... *** ... لاَ تَسْأَلَن إِنْ سَأَلْتَ شَططاً(٥)

* وَكُنْ مِنَ النَّاسَ جَمِيعاً وَسَطاً (٦)*

---

(١) – في ((الأغاني)) [للعقل] ، قال أبو الفرج : ذكر سليمان بن أبي شيخ قال : قلت لأبي العتاهية : أي شعر قلته أجود ، وأعجب إليك ؟ قال : قولي :

إن الشباب والفراغ والجدة *** مفسدة للعقل أي مفسدة

وقولي ايضا :

إن الشباب حجة التصابي *** روائح الجنة في الشباب

(٢) – في ((الأغاني)) : إن الشباب حجة التصابي] والتصابي والصبا والصيوة : جهلة الفتوة واللهو من الغزل

(٣) – قال أبو الفرج الأصفهاني في كتابه ((الأغاني))( ): أخبرني أبو دلف هاشم بن محمد الخزاع قال: تذاكروا يوماً شعر أبي العتاهية بحضرة الجاحظ؛ إلى أن جرى ذكر أرجوزته المزدوجة التي سماها "ذات الأمثال"؛ فأخذ بعض من حضر ينشدها حتى أتى على قوله:

يا للشباب المرح التصابي *** روائح الجنة في الشباب

فقال الجاحظ للمنشد: قف: ثمن قال: انظروا إلى قوله:

........................*** روائح الجنة في الشباب

فإن له معنى كمعنى الطرب الذي لا يقدر على معرفته إلا القلوب، وتعجز عن ترجمته الألسنة إلا بعد التطويل وإدامة التفكير، وخير المعاني ما كان القلب إلى قبوله أسرع من اللسان إلى وصفه.

(٤) – ذميمة أي مذمومة، فَعِيلة بمعنى مفعولة

(٥) – الفرط : العجلة ، وفرط في الأمر فرطا أي قصر فيه وضيعه حتى فات، والشطط مجاوزة الحدد في البيع والقدر يقال

---

(١) الأغاني، ١٩٩/٢٣

شططت وأشط و أشططت جرت عن الحق

(٦) – الأبيات [٤٣ و٤٤ و٤٥ و٤٦] زيادة من ((الأغاني))." [١]

"نَستَوفِقُ اللَهَ لِما نُحِبُّ ... *** ... ما أَقبَحَ الشَيخَ الكَبيرَ يَصبو (١)

في كُلِّ رَأسٍ نَزوَةٌ وَطَرِبَة ... *** ... رُبَّ رِضىً أَفضَلُ مِنهُ غَضبَةَ (٢)

*كَم غَضبَةٍ طابَت بِها المَغَبَّة * (٣)

يا عاشِقَ الدُنيا تَسَلَّ عَنها ... *** ... وَيلي عَلى الدُنيا وَوَيلي مِنها (٤)

ما أَسرَعَ الساعاتِ في الأَيّامِ ... *** ... وَأَسرَعَ الأَيّامَ في الأَعوامِ

لِلمَوتِ بي جِدٌّ وَأَيُّ جِدِّ ... *** ... وَلَستُ لِلمَوتِ بِمُستَعِدِّ

هَل أُذُنٌ تَسمَعُ ما تسمع ... *** ... قَوارِعُ الدَهرِ الَّتي تُقَرِّعُ (٥)

ما طابَ فَرعٌ لاَ يَطيبُ أَصلُهُ ... *** ... اِحذَر مُؤاخاةَ اللَئيمِ فِعلُهُ

اِنظُر إِذا آخَيتَ مَن تُؤاخي ... *** ... ما كُلُّ مَن آخَيتَ بِالمُؤاخي

الحَمدُ لِلَّهِ الكَثيرِ خَيرُهُ ... *** ... لَم يَسَعِ الخَلقَ جَميعاً غَيرُهُ

مَن يَشتَكِ الدَهرَ يَطُل في الشَكوى ... *** ... الدَهرُ ما لَيسَ عَلَيهِ عَدوى (٦)

لَم نَرَ مَن دامَ لَهُ سُرورُ ... *** ... وَصاحِبُ الدُنيا بِها مَغرورُ

نَعوذُ بِاللَهِ مِنَ الشَقاءِ ... *** ... ما أَطمَعَ الإِنسانَ في البَقاءِ

لَم يَخلُ مِن حُسنٍ يَدٍ مَكانُهُ ... *** ... وَالمَرءُ لَم يُسلِمهُ إِحسانُهُ (٧)

---

(١) – يقال صبى وتصابي إذا مال إلي الجهل والفتوة

(٢) – النزوة : التفلت والسَوْرة

(٣) – المَغَبَّةِ، بالفَتْحِ والغِبُّ، بالكسر: عاقِبَةُ الشَّيْء

(٤) –تسل من السلو : وهو نسيان الشيء والذهول عنه

(٥) – جمع قارعة وهي الداهية

(٦) – العدوى : طلبك إلى وال ليعديك على من ظلمك، والعدوى النصرة والمعونة ومنه :استعداه : نصره وأعانه

(٧) – يسلمه :أسلم فلان فُلاناً إذا ألْقاه إلى التهلَكة ولم يَحْمه من عدُوّه ومنه الحديث : «المُسْلم أهو المسلم لا يظلِمُه ولا يُسلمه».." [٢]

---

(١) الأرجوزة ذات الأمثال لأبي العتاهية، ١ ص/٦

(٢) الأرجوزة ذات الأمثال لأبي العتاهية، ١ ص/١٠

"استفادت أعمال إيزابيل نيير، وجان بيرو(١) ، بصورة واسعة من حقل (أدب الطفولة **والفتوة**)، إذا حاولنا أن نحتفظ بخصوصية مقارنة لهذا المجال الذي استغله كثيراً علماء الاجتماع، وعلماء النفس، وأخصائيو التربية، فإن إحدى الفوائد الأساسية هي ملاحظة كيف يتم الانتقال، والتبادل بين أشكال (طفلية)، وأشكال (للبالغين)، وكيف يهدف عدد من الإنتاجات إلى (الدمج) الاجتماعي للطفل ضمن المجتمع.

إن مجال الاحتمالات واسع منذ تكييف الأدب مع القراءة في الحالات كلها، انطلاقاً من (التقديم) الخاص للطفل، ووضع مخطط مثالي (أيديولوجي وخيالي) للروابط بين عالم الكبار وعالم الطفل، وبين الطفل والطبيعة (الحيوانات مثلاً).

إن الروابط بين النص والصورة هي أيضاً حقل دراسة غني بصورة خاصة: يستند الاجتماعي والشعري إلى بعضهما بعضاً ويسمحان أيضاً بمعرفة أكثر تميزاً للحدث الأدبي.

يمثل الأدب النسائي، على الأقل منذ القرن الأخير، شكلاً أدبياً من المعارضة والرفض، ستسمح المنظورات التاريخية بتحديد مدى اقتحام المرأة لمجال الكتابة ونتائج ذلك، بصورة أفضل. إن النظام الطبيعي (الحاضر عقائدياً كما هو) هو المُهدد من المرأة التي تحطم صورة الكائن المصنوع تقليدياً للعائلة والأطفال.

انتقل الأدب النسائي خلال مرحلة كفاحية طويلة بين أوجه متعددة. من المفيد دراسة ما اعتبر بلاغة الانعتاق، وكتابة الانحراف عن المركز (ضد المركزية الذكورية، وضد مجتمع بمنطق ذكوري)، إن الأدب النسائي، ومنذ زمن بعيد هو أدب (الاختلاف)، البديل، إذا كان يتابع التفكير في الاستبعاد، والآخر، والوعي بهوية، وإعادة امتلاك جسد، فإنه يقترح خيالاً جديداً، ومعاني جديدة يجب إعطاؤها للحياة اليومية، ومفهوم الخصوصية، وبعض الموضوعات التي مازال يسيطر عليها حتى الآن الأدب الذكوري بصورة رئيسية.

---

(١) انظر الوجيز في الأدب المقارن.." (١)

"بتشريفكم مصر مع الراحة والتكريم فالله يديم حسن راحتكم ويديم مسرتي بأخبار صحتكم وأني شاكر لتفضلكم برسائل الوداد وإبدائكم من دلائل الحب مثل عليه الفؤاد مستيقن أن يدوم هذا الوداد بيننا ويزداد سائل عن صحة ذلك المزاج العاطر مؤمل أن تكونوا في حسن عافية وصفاء خاطر داع بمزيد العمر والأمر لمن له الأمر. وكتب

سلام يسفر عن خالص الوداد ويخبر عما في الفؤاد من كمال المحبة والاتحاد إلى فرع الدوحة العلية المحمدية وثمرة الشجرة المباركة النبوية سلالة الأشراف السادة وصفوة أهل المجد والسيادة حفظ الله حضرته وأدام بهجته ومسرته آمين وبعد فإن الإطناب في وصف تشوقي إلى حضرة السيد أدام الله علاه وزان جيد المعالي بحلاه من قبيل تحصيل الحاصل وتوضيح الواضح بغير طائل فحسبي أن لأكتفي في هذا الشأن بشهادة ذاك الضمير المنير فإنه بنور الله تعالى ما يضيق عنه نطاق التعبير

---

(١) الأدب العام والمقارن، ا ص/٢٨٥

وبينما هذا المحب مشغول اللسان بالثناء على تلك الحضرة مشغوف الجنان بما يرد من أخبار المسرة
وردت مكاتبة سيادتكم فشكرت المولى على صحة سعادتكم وعلمت تفضلكم علينا بالدعوات الخيرية
في تلك الأماكن العلية وهذه منة جليلة يجب شكرها ومنحة جزيلة لا يجهل قدرها ولا بدع في صدور
محاسن الشيم ومعالي الهمم من ذلك الجناب الأكرم فإنكم بضعة النبوة ومعدن الكرم **والفتوة** بكم
تستمطر سحائب البركات وتستفتح أبواب الخيرات وبجدكم يتشفع في يوم المحشر وبأسلافكم الاماجد
يستسقي من الكوثر فلا عدمنا تلك الأخلاق العلية ولا حرمنا هذه المكارم الهاشمية ثم إنني ببركة
دعواتكم وحسن توجهاتكم أحمد الله على الصحة والسلامة وأسأله أن يديم علينا وعليكم إنعامه وقد
بادرت بتحرير خطابي هذا وأنا أحسده على وصوله لذاك النادي المبارك قبلي وأود لو أني أكون
مكانه لأقضي من مشاهدة ذاك المحيا الزاهر أملي وغاية رجائي أن لا تنسونا مما عودتمونا من." (١)

"وكتب إلى أحد أصحابه

كان الله لك وتقبل عملك وأجزل صلتك وتولى مكافأتك على ما نهضت به من أعباء المروءة **والفتوة**
وما تعرضت له من أداء حقوق الصحبة والاخوة فهكذا تكون الإخوان وبمثل هذا الحال تعرف
الخلان فالحمد لله على مادة هذه الأطيان فقد ميزت الأصحاب والأحباب وفرقت بين التبر والتراب
وفصلت بين السحاب والسراب فكانت بالنسبة لي هذه الحال في معرفة الأحوال والرجال كما قال
الشيعة في علي بن أبي طالب رضي الله عنه إنه محك أولاد الزنا وأولاد الحلال فالله يكافئ كل أحد
بفعاله ويمن بالمزيد من افضاله.

وكتب

بعد سلام يغازل عيون الغزلان ويستميل بعذوبته عذبات البان وتحية تلذها المسامع ويطرب بها
السامع وأشواق تجل عن الحصر والحد وتفوق غاية الإحصاء والعد وسؤال عن الخاطر الباهر
وعزيز المزاج الزاهر إلى حضرة من سما سماء المعالي وتعالي طالع سعوده غرة البدر العالي
وتحلت بمدائح محامده الأيام والليالي وازدرى ببدائع فرائده قلائد اللآلي رعاه الله ووقاه وحفظه وأبقاهآمين بينما أنا مشغول
اللسان بالثناء والجنان بالوفاء والولاء انقلب بين أشواق تزيد ومحبة لا تبيد
وأتذكر محاسن تلك الشمائل التي لا أنسى مكارم خلالها ولا تلحق أنامل الأوصاف أن تتعلق بغبار
أذيالها وأترقب حصول الوسائل الموجبة لتسلسل الرسائل إذ رأيت فلانا حبيب الطرفين وقرة العين
متوجها لذاك الجانب في هذين اليومين خصه الله بالسلامة والعافية ومد عليه ظلال افضاله الوافية
فحملتني لواعج الوجد ودواعي المحبة والود أن أصحبه بهذا الرقيم لذلك النادي الكريم عساه أن
شملته أنوار الأنظار البهية أن ينوب عني في تبليغ التحية ومعه هدية دعاني الحب إلى تسيارها وقد

---

(١) الآثار الفكرية، ا ص/٢٣٤

علمت أن ذاك يجل عن مقدارها ولكن القصد بإرسالها الجري على مألوف سنن الوداد والتبرك باقتفاء الحديث الوارد في ذلك عن سيد العباد فالمرجو إذا حظيت بالوصول أن تحفها نسمات القبول." (١)

"الحضرة مستنجدا بها من مرض بدني كان هذا العبد يعانيه ويعد التخلص منه فوق أمانيه فكان من كرامتها أن من الله بالشفاء بعد إعضال الداء والآن يسأل هذا العبد المسكين علاج القلب من ظلمة شقائه ويستمنح من كرم هذه الحضرة حسن شفائه وهذه الحضرة لديها طبه ودواؤه واليها حبه ورجاؤه وقد لذت بالأعتاب سائلا وتمسكت بحلقة الباب أملا وحاشا هذا الكرم أن يرد سائله ويخيب آمله وأن عز المرام وجل المقام فالجاه عظيم والمأمول كريم

يا سادتي سائل فقير قد أم هذا الحمى الكريما

يروم احانكم وحاشا أن ترجعوه إذا عديما

مولاي السيد أشكو إليك أن السن قد صار إلى الشيخوخة والنفس لم تزل في صباها مسترسلة في لهوها ولعبها وهواها لاهية عن وسائل هداها تمر بها الإنابة والموعظة لمحة يسيرة وتعاودها الظلمةوالفغلة أزمانا طويلة وأوقاتا كثيرة فهل قبلتم هذا العبد على شيبه وعيبه وعجزه وعوزه وطمعه وهلعه وادلاله وقلة أدبه وكثرة سؤاله.

عيوب لو قسمن على الغواني لما امهرن إلا بالطلاق

أسألكم بالله وبجدكم رسول الله وبأسلافكم أولياء الله وبأهل الحضرة من رجال الله أن تقولوا قبلناه على ما فيه ثم حاش لله أن تقولوا نعم قبلناه على ما فيه ثم حاش لله وأعوذ به بالكرم المروءة والفتوة وأسرار النبوة أن أطرد عن الباب بعد شرف الانتساب أو أضام بعد هذا المقام أو أبقى سيئ الحال مع حسن الآمال أو أخزى في يوم القيامة وجدكم شفيعها الأعظم صلى الله عليه وسلم سيدي قد باح العبد بما عنده وهو ينظر ما عندكم والسلطان كليل والخاطر عليل ونظركم جليل وفضلكم جزيل ويدكم في النوال أملي من لساني في السؤال والحمد على افضاله وصلاته وسلامه على محمد وآله عدد كمال الله وكما يليق بكماله أفاض الله سبحانه على القلب والأركان من فيض إمداد الحضرة ما يملؤها بنور الحكمة والإيمان واليقين والعرفان إنه أكرم مأمول وخير مسؤول.

مكاتيبمأمورية السويد والنرويج." (٢)

"""""""""" صفحة رقم ١٠٠ """""""

غالب : أي بنيك أحب إليك ؟ قال : الذي لا يرد بسطة يده بخل ، ولا يلوي لسانه عي ، ولا يغير طبعه سفه ، وهو أحد ولدك بارك الله لنا ولك فيه – يعني كعب بن لؤي . ولؤي تصغير لأي ، وهو بقر الوحش . شاعر : الطويل إذا أمل

(١) الآثار الفكرية، ١ ص/٢٣٦

(٢) الآثار الفكرية، ١ ص/٢٧٠

يوما غزاني حبوته . . . كتائب يأس كرها وطرادها سوى أمل يدني إليك فإنه . . . يبلغ أسباب المنى من أرادها قيل لسقراطيس الفيلسوف – وكان من خطبائهم – : ما صناعة الخطيب ؟ قال : أن يعظم شأن الأشياء الحقيرة ، ويصغر شأن الأشياء العظيمة . يقال : فلان قد جمع طهارة المروءة وأريحية **الفتوة** . قيل للبوشنجي شيخ خراسان : ما المروءة ؟ قال : إظهار." (١)

"""""""" صفحة رقم ١٠١ """"""

الزي ؛ قيل : فما **الفتوة** ؟ قال : طهارة السر . وقال بعض السلف : العلوم أربعة : الفقه للأديان ، والطب للأبدان ، والنجوم للأزمان ، والنحو للسان . لأبي زبيد الطائي : الوافر إذا نلت الإمارة فاسم فيها . . . إلى العلياء والحسب الوثيق فكل إمارة إلا قليلا . . . مغيرة الصديق على الصديق فلا تك عندها حلول فتحسى . . . ولا مرا فتنشب في الحلوق أعاتب كل ذي حسب ودين . . . ولا أرضى معاتبة الرفيق وأغمض للصديق عن المساوي . . . مخافة أن أعيش بلا صديق قال الماهاني : سار رجل أبخر رجلا أصم ، فلشدة ما صدم خياشيم الأصم قال للأبخر : قد فهمت ما قلت ؛ فلما ولى قيل للأصم : ما الذي قال لك ؟ قال : والله ما أدري ولكنه فسا في أذني . شاعر : الطويل." (٢)

"فائدة : في ما أوحي إلي في مقطوعة من ما في الرسم ﴿على طاعم﴾ أي طاعم كان من ذكر أو أنثى ﴿يطعمه﴾ أي : يتناوله أكلا أو شربا أو داء أو غير ذلك ﴿إلا أن يكون﴾ أي : ذلك الطعام ﴿ميتة﴾ وهي كل ما زالت حياته بغير ذكاة شرعية ، وقرأ ابن كثير وابن عامر وحمزة تكون بالتأنيث والباقون بالتذكير ورفع ميتة ابن عامر على أن كان هي التامة ، وعلى هذه القراءة يكون قوله تعالى : ﴿أو دما مسفوحا﴾ عطفا على أن مع ما في حيزه أي : إلا وجود ميتة أو دما مسفوحا أي : مصبوبا كالدم في العروق لا كالكبد والطحال ﴿أو لحم خنزير فإنه﴾ أي : الخنزير ﴿رجس﴾ أي : نجس فالضمير يعود على المضاف إليه لأن اللحم دخل في قوله ﴿ميتة﴾ وحينئذ ففي الآية دلالة على نجاسة الخنزير وهو حي فلحمه وكذا سائر أجزائه بطريق الأولى ثم إني رأيت البقاعي في تفسيره جرى على ذلك وقوله تعالى : ﴿أو فسقا أهل لغير الله به﴾ أي : ذبح على اسم غيره عطف على لحم خنزير وما بينهما اعتراض للتعليل.

جزء : ١ رقم الصفحة : ٥٢٤

تنبيه : ظاهر الآية أن المحرمات محصورة في هذه الأربعة وأنه لا يحرم شيء من سائر المطعومات والحيوانات غيرها وهي الميتة والدم المسفوح ولحم الخنزير وما ذبح على اسم غير الله تعالى ، ويروى ذلك عن ابن عباس وعائشة وسعيد بن جبير رضي الله تعالى عنهم لأنه ثبت أنه لا طريق إلى معرفة المحرمات إلا بوحي وثبت أن الله تعالى نص في هذه الآية على هذه الأربعة أشياء وقال تعالى في (البقرة ، ١٧٣)

﴿إنما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل به لغير الله﴾ وإنما تفيد الحصر فصارت هذه الآية المدنية مطابقة للآية المكية في الحكم ولكن الذي ذهب إليه جمهور العلماء أن التحريم لا يختص بهذه فقط بل المحرم ما كان بنص كتاب أو سنة

---

(١) البصائر والذخائر ـ موافقا للمطبوع، ١ /١٠٠

(٢) البصائر والذخائر ـ موافقا للمطبوع، ١ /١٠١

، وقد وردت السنة بتحريم أشياء غير ذلك منها تحريم الحمر الأهلية وكل ذي ناب من السباع أو مخلب من الطيور وورد النهي عن أكل الهر وأكل ثمنه ويحرم أيضا كل ما أمر بقتله كالحدأة والغراب الأبقع أو نهي عن قتله كالهدهد والخفاش وما لا نص فيه بتحريم أو تحليل أو بما يدل على أحدهما كالأمر بالقتل والنهي عنه إن استطابته عرب ذوو يسار وطباع سليمة حال رفاهية حل وإن استخبثوه فلا يحل فإن اختلفوا في استطابته اتبع الأكثر فإن استووا فقريش لأنهم قطب العرب وفيهم الفتوة فإن اختلفت أو لم تحكم بشيء اعتبر الأشبه به من الحيوانات فإن استوى الشبهان أو لم يوجد ما يشبهه

٥٢٥

فحلال لهذه الآية وما جهل اسمه عمل بتسمية العرب له مما هو حلال أو حرام.

ولما حرم الله تعالى هذه الأشياء أباح أكلها عند الاضطرار بقوله تعالى : ﴿فمن اضطر﴾ أي : حصل له جوع خشي منه التلف ﴿غير باغ﴾ أي : على مضطر مثله ﴿ولا عاد﴾ أي : ولا متجاوز قدر الضرورة ، وقرأ نافع وابن كثير وابن عامر والكسائي بضم النون في الوصل والباقون بالكسر ﴿فإن ربك غفور﴾ لا يؤاخذه بالأكل ﴿رحيم﴾ به حيث أباح له ذلك.

﴿وعلى الذين هادوا﴾ أي : اليهود واليهود علم على قوم موسى عليه الصلاة والسلام وسموا به اشتقاقا من هادوا أي : مالوا إما عن عبادة العجل وإما عن دين موسى عليه السلام أو من هاد إذا رجع من خير إلى شر أو من شر إلى خير لكثرة انتقالهم عن مذاهبهم وقيل : لأنهم يتهودون أي : يتحركون عند قراءة التوراة وقيل : معرب من يهوذا بن يعقوب بالذال المعجمة ثم نسب إليه فقيل : يهودي ثم حذف الياء في الجمع فقيل : يهود ﴿حرمنا﴾ أي : بسبب ظلمهم عليهم ﴿كل ذي ظفر﴾ أي : ما هو كالإصبع للآدمي من دابة أو طير وكان بعض ذوات الظفر حلالا لهم فلما ظلموا حرم عليهم فعم التحريم كل ذي ظفر بدليل قوله تعالى : ﴿فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم﴾ (النساء ، ١٦٠)

﴾

جزء : ١ رقم الصفحة : ٥٢٤

ومن البقر والغنم﴾ أي : التي هي ذوات الأظلاف ﴿حرمنا عليهم شحومهما﴾ أي : الصنفين والمراد شحم الجوف وهو الثروب قال الجوهري : هو شحم قد غشي الكرش والأمعاء رقيق ثم استثنى من الشحوم ما ذكره بقوله : ﴿إلا ما حملت ظهورهما﴾ أي : إلا ما علق بالظهر والجنب من داخل بطونهما ﴿أو الحوايا﴾ أي : ما حملته الحوايا وهي الأمعاء التي هي متعاطفة ملوية جمع حوية فوزنها فعائل كسفينة وسفائن ، وقيل : جمع حاوية أو حاوياء كقاصعاء فهو فواعل ﴿أو ما اختلط﴾ أي : من الشحوم ﴿بعظم﴾ مثل شحم الإلية فإن ذلك لا يحرم عليهم.." (١)

"ما تعبدون﴾ وإنما خاطبهم بلفظ الجمع وقد ابتدأ بالتثنية في المخاطبة ؛ لأنه أراد جميع من في السجن من المشركين. والعبادة خضوع القلب في أعلى مراتب الخضوع ، وبين حقارة معبوداتهم وسفالتها بقوله : ﴿من دونه﴾ ، أي : الله الذي قام البرهان على إلهيته وعلى اختصاصه بذلك ﴿إلا أسماء﴾ وبين ما يريد وأوضحه بقوله ﴿سميتموها﴾ ، أي : ذوات أوجدتم لها أسماء ﴿أنتم﴾ سميتموها آلهة وأربابا ، وهي حجارة جماد خالية عن المعنى لا حقيقة لها ﴿وآباؤكم﴾ من قبلكم

---

(١) تفسير السراج المنير ـ موافق للمطبوع، ١ /٣٦١

سموها كذلك ﴿ما أنزل الله بها﴾ ، أي : بعبادتها ﴿من سلطان﴾ ، أي : حجة وبرهان ﴿إن الحكم﴾ ، أي : ما الحكم ﴿إلا لله﴾ ، أي : المختص بصفات الكمال والحكم فصل الأمر بما تدعو إليه الحكمة ﴿أمر﴾ وهو النافذ الأمر المطاع الحكم ﴿أن لا تعبدوا إلا إياه﴾ ؛ لأنه المستحق للعبادة لا هذه الأسماء التي سميتموها آلهة. ولما أقام الدليل على هذا الوجه الذي كان جديرا بالإشارة إلى فضله أشار إليه بأداة البعد تنبيها على علو مقامه وعظيم شأنه فقال : ﴿ذلك﴾ ، أي : الشأن الأعظم وهو توحيده وإفراده عن خلقه ﴿الدين القيم﴾ ، أي : المستقيم الذي لا عوج فيه ﴿ولكن أكثر الناس﴾ وهم الكفار ﴿لا يعلمون﴾ ما يسيرون إليه من العذاب فيشركون. ولما قرر يوسف عليه السلام أمر التوحيد والنبوة إلى الجواب عن السؤال الذي ذكراه فقال :

﴿يا صاحبي السجن﴾ ، أي : الذي يحصل فيه الانكسار للنفس والرقة في القلب ، فتخلص فيه المودة ، ولما كان في الجواب ما يسوء الخباز أبهم ليجوز كل منهما أنه الفائز ، فإن ألجأه إلى التعيين كان ذلك عذرا له في الخروج عن الأليق فقال : ﴿أما أحدكما﴾ وهو صاحب شراب الملك ﴿فيسقي ربه﴾ ، أي : سيده ﴿خمرا﴾ على عادته ، والعناقيد الثلاثة هي ثلاثة أيام يبقى في السجن ، ثم يدعو به الملك فيرده إلى رتبته التي كان عليها هذا تأويل رؤياه ﴿وأما الآخر﴾ وهو صاحب طعام الملك ﴿فيصلب﴾ والسلال الثلاثة ثلاثة أيام ، ويدعو به الملك فيصلبه ﴿فتأكل الطير من رأسه﴾ هذا تأويل رؤياه ، قال ابن مسعود : فلما سمعا قول يوسف عليه السلام قالا : ما رأينا شيئا إنما كنا نلعب ، فقال لهما يوسف عليه السلام ﴿قضي﴾ ، أي : تم ﴿الأمر الذي فيه تستفتيان﴾ ، أي : تطلبان الإفتاء فيه عملا **بالفتوة** ، فسألتما عن تأويله وهو تعبير رؤياكما كذبتما أو صدقتما لم أقله عن جهل ولا غلط.

١٢٣

﴿وقال﴾ يوسف عليه السلام ﴿للذي ظن﴾ ، أي : علم وتحقق ، فالظن بمعنى العلم ؛ لأنه قاله عن وحي لقوله ﴿قضي الأمر﴾ ويجوز أن يكون ضمير ظن للساقي ، فهو حينئذ على بابه ﴿أنه ناج منهما﴾ وهو الساقي ﴿اذكرني عند ربك﴾ ، أي : سيدك ملك مصر بما رأيت مني من معالي الأخلاق وطهارة الشيم الدالة على بعدي مما رميت به ، والمراد بالرب هنا غير المراد به في قوله : ﴿أأرباب متفرقون﴾ فنجا الساقي وصلب صاحبه وفق ما قاله لهما يوسف عليه السلام ، واختلف في ضمير ﴿فأنساه الشيطان ذكر ربه﴾ على قولين :

جزء : ٢ رقم الصفحة : ١٢٠

أحدهما : أنه يعود إلى الساقي ، وهو قول جماعة من المفسرين ، أي : فأنسى الشيطان الساقي أن يذكر يوسف عند الملك قالوا : لأن صرف وسوسة الشيطان إلى ذلك الرجل الساقي حتى أنساه ذكر يوسف أولى من صرفها إلى يوسف.

والقول الثاني وعليه أكثر المفسرين : أنه يرجع إلى يوسف عليه السلام . وقال الرازي : إنه الحق ، أي : أن الشيطان أنسى يوسف ذكر ربه تعالى حتى استعان بمخلوق مثله ، وتلك غفلة عرضت له عليه السلام ، فإن الاستعانة بالمخلوق في رفع الظلم جائزة في الشريعة إلا أن حسنات الأبرار سيئات المقربين ، فهذا وإن كان جائزا لعامة الخلق إلا أن الأولى بالصديقين أن يقطعوا نظرهم عن الأسباب بالكلية وأن لا يشتغلوا إلا بمسبب الأسباب ، فلهذا صار يوسف عليه السلام مؤاخذا بهذا

القول ولم يؤاخذه تعالى في تلك القصة البتة بل ذكره بأعظم وجوه المدح والثناء فعلم بذلك أنه عليه السلام كان مبرأ مما نسبه الجهال والحشوية إليه.." (١)

"﴿فاستفتهم﴾ أي : سل كفار مكة أن يفتوك بأن يبينوا لك ما تسألهم عنه من إنكارهم البعث وأصله من **الفتوة** وهي الكرم ﴿أهم أشد﴾ أي : أقوى وأشق وأصعب ﴿خلقا﴾ أي : من جهة إحكام الصنعة وقوتها وعظمها ﴿أم من خلقنا﴾ أي : من الملائكة والسموات والأرض وما بينهما والمشارق والكواكب والشهب الثواقب.

جزء : ٣ رقم الصفحة : ٤٤٨

تنبيه : في الإتيان بمن تغليب للعقلاء وهو استفهام بمعنى التقرير أي : هذه الأشياء أشد خلقا كقوله تعالى ﴿لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس﴾ (غافر : ٥٧)

وقوله تعالى ﴿أأنتم أشد خلقا أم السماء بناها﴾ (النازعات : ٢٧)

وقيل : معنى أم من خلقنا أي : من الأمم الماضية ؛ لأن لفظ من يذكر لمن يعقل ؛ والمعنى : أن هؤلاء الأمم ليسوا بأحكم خلقا من غيرهم من الأمم الخالية وقد أهلكناهم بذنوبهم فمن الذي يؤمن هؤلاء من العذاب ﴿إنا خلقناهم﴾ أي : أصلهم آدم بعظمتنا ﴿من طين﴾ أي : تراب رخو مهين ﴿لازب﴾ أي : شديد اختلاط بعضه ببعض فالتصق وخمر بحيث يعلق باليد وقال مجاهد والضحاك : منتن فهو مخلوق من غير أب ولا أم وقرأ حمزة والكسائي :

﴿بل عجبت﴾ بضم التاء والباقون بفتحها ، أما بالضم فبإسناد التعجب إلى الله تعالى وليس هو كالتعجب من الآدميين كما قال تعالى ﴿فيسخرون منهم سخر الله منهم﴾ (التوبة : ٧٩)

وقال تعالى ﴿نسوا الله فنسيهم﴾ (التوبة : ٦٧)

فالعجب من الآدميين إنكاره وتعظيمه ، والعجب من الله تعالى قد يكون بمعنى الإنكار والذم وقد يكون بمعنى الاستحسان والرضا كما في

٤٥٣

الحديث : "عجب ربكم من شاب ليست له صبوة" وفي حديث آخر : "عجب ربكم من الكم وقنوطكم وسرعة إجابته إياكم" قوله الكم الأل أشد القنوط.

وقيل : هو رفع الصوت بالبكا ، وسئل الجنيد عن هذه الآية فقال : إن الله تعالى لا يعجب من شيء ولكن وافق رسوله صلى الله عليه وسلم فلما عجب رسوله قال تعالى ﴿وإن تعجب فعجب قولهم﴾ (الرعد : ٥)

أي : هو كما تقوله ، وأما الفتح فعلى أنه خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم أي : عجبت من تكذيبهم إياك.

﴿ويسخرون﴾ أي : وهم يسخرون من تعجبك قال قتادة : عجب نبي الله صلى الله عليه وسلم من هذا القرآن حين أنزل ومن ضلال بني آدم ، وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يظن أن كل من سمع القرآن يؤمن به فلما سمع المشركون القرآن سخروا منه ولم يؤمنوا به عجب من ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال تعالى ﴿بل عجبت ويسخرون﴾.

---

(١) تفسير السراج المنير ـ موافق للمطبوع، ٣/٢٨٨

﴿وإذا ذكروا﴾ أي : وعظوا بالقرآن ﴿لا يذكرون﴾ أي : لا يتعظون.
﴿وإذا رأوا آية﴾ قال ابن عباس وقتادة : يعني انشقاق القمر ﴿يستسخرون﴾ أي : يستهزئون بها وقيل : يستدعي بعضهم من بعض السخرية.
﴿وقالوا إن﴾ أي : ما ﴿هذا إلا سحر مبين﴾ أي : ظاهر في نفسه ومظهر لسخريته ثم خصوا البعث بالإنكار إعلاما بأنه أعظم مقصود بالنسبة إلى السحر فقالوا مظهرين له في مظهر الإنكار :
﴿
جزء : ٣ رقم الصفحة : ٤٤٨
أءذا متنا﴾ وعطفوا عليه ما هو موجب عندهم لشدة الإنكار فقالوا ﴿وكنا﴾ أي : كونا في غاية التمكن ﴿ترابا﴾ وقدموه ؛ لأنه أدل على مرادهم ؛ لأنه أبعد عن الحياة ﴿وعظاما﴾ كأنهم جعلوا كل واحد من الموت أو الكون إلى الترابية المحضة والعظامية المحضة والمختلطة بهما مانعا من البعث ، وهذا بعد اعترافهم بأن ابتداء خلقهم كان من التراب ، ثم كرروا الاستفهام الإنكاري على قراءة من قرأ به كما سيأتي بيانه زيادة في الإنكار فقالوا ﴿أئنا لمبعوثون﴾.
وقولهم ﴿أو آباؤنا الأولون﴾ عطف على محل إن واسمها أو على الضمير في مبعوثون فإنه مفصول عنه بهمزة الاستفهام لزيادة الاستبعاد لبعد زمانهم ، وهذا بيان للسبب الذي حملهم على الاستهزاء بجميع المعجزات وهو اعتقادهم أن من مات وتفرقت أجزاؤه في العالم فما فيه من الأرض اختلط بالأرض وما فيه من المائية والهوائية اختلط ببخارات العالم ، فهذا الإنسان كيف يعقل عوده بعينه حيا ؟
ثم إنه تعالى لما حكى عنهم هذه الشبهة قال لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم
﴿قل﴾ أي : لهؤلاء البعداء البغضاء ﴿نعم﴾ أي : تبعثون على كل تقدير قدرتموه ﴿وأنتم داخرون﴾ أي : مكرهون عليه صاغرون ذليلون وإنما اكتفى تعالى بهذا القدر من الجواب ؛ لأنه ذكر في الآية المتقدمة البرهان القطعي على أنه أمر ممكن وإذا ثبت الجواز القطعي فلا سبيل إلى القطع بالوقوع إلا بإخبار المخبر الصادق ، فلما قامت المعجزة على صدق محمد صلى الله عليه وسلم كان واجب الصدق فكان مجرد قوله ﴿نعم﴾ دليلا قاطعا على الوقوع ، وقرأ ﴿متنا﴾ بضم الميم ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وشعبة ، وكسرها الباقون.
وأما ﴿أءذا﴾ و﴿أئنا﴾ فقرأ نافع والكسائي بالاستفهام في الأول والخبر في الثاني وابن عامر
٤٥٤." (١)
"

وبعد ان تحدث الحق سبحانه وتعالى عن المؤمنين وصفاتهم.. وجزائهم في الآخرة وما ينتظرهم من خير كبير.. اراد ان يعطينا تبارك وتعالى الصورة المقابلة وهم الكافرون.. وبين لنا ان الايمان جاء ليهيمن على الجميع يحقق لهم الخير في الدنيا والآخرة.. فلابد أن يكون هناك شر يحاربه الإيمان.. ولولا وجود هذا الشر.. أكان هناك ضرورة للايمان.. إن الانسان

(١) تفسير السراج المنير . موافق للمطبوع، ٣٠٥/٣١

المؤمن يقي نفسه ومجتمعه وعالمه من شرور يأتي بها الكفر.. والكافرون قسمان.. قسم كفر بالله اولا ثم استمع الى كلام الله.. واستقبله بفطرته السليمة فاستجاب وآمن.. وصنف آخر مستفيد من الكفر ومن الطغيان ومن الظلم ومن اكل حقوق الناس وغير ذلك.. وهذا الصنف يعرف ان الايمان اذا جاء فانه سيسلبه جاها دنيويا ومكاسب يحققها ظلما وعدوانا..

اذن الذين يقفون امام الايمان هم المستفيدون من الكفر.. ولكن ماذا عن الذين كانوا كفارا واستقبلوا دين الله استقبالا صحيحا..

هؤلاء قد تتفتح قلوبهم فيؤمنون. والكفر معناه الستر.. ومعنى كَفَرَ (أي) سَتَرَ.. وكفر بالله أي ستر وجود الله جل جلاله.. والذي يستر لابد ان يستر موجودا، لأن الستر طارئ على الوجود.. والاصل في الكون هو الايمان بالله.. وجاء الكفار يحاولون ستر وجود الله. فكأن الأصل هو الايمان ثم طرأت الغفلة على الناس فستروا وجود الله سبحانه وتعالى.. ليبقوا على سلطانهم او سيطرتهم او استغلالهم او استعلائهم على غيرهم من البشر..

ولفظ الكفر في ذاته يدل على ان الايمان سبق ثم بعد ذلك جاء الكفر.. كيف؟..

لأن الخلق الاول وهو آدم الذي خلقه الله بيديه.. ونفخ فيه من روحه وأسجد له الملائكة.. وعلمه الاسماء كلها..

سجود الملائكة وتعليم الاسماء أمر مشهدي بالنسبة لآدم.. والكفر ساعتها لم يكن موجودا.. وكان المفروض ان ادم بعد ان نزل الى الارض واستقر فيها.. يلقن ابناءه منهج عبادة الله لأنه نزل ومعه المنهج في (افعل ولا تفعل) وكان على ابناء آدم ان يلقنوا ابناءهم المنهج وهكذا..

ولكن بمرور الزمن جاءت الغفلة في أن الايمان يقيد حركة الناس في الكون.. فبدأ كل من يريد ان يخضع حياته لشهوة بلا قيود يتخذ طريق الكفر.. والعاقل حين يسمع كلمة كفر.. يجب عليه أن يتنبه إلى أن معناها ستر لموجود واجب الوجود.. فكيف يكفر الانسان ويشارك في ستر ما هو موجود.. لذلك تجد ان الحق سبحانه وتعالى يقول:﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتاً فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ * هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَّا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً ثُمَّ اسْتَوَىا إِلَى السَّمَآءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾

[البقرة: ٢٩] وهكذا يأتي هذا السؤال.. ولا يستطيع الكافر له جوابا!! لأن الله هو الذي خلقه وأوجده.. ولا يستطيع احد منا ان يدعي انه خلق نفسه او خلق غيره.. فالوجود بالذات دليل على قضية الايمان.. ولذلك يسألهم الحق تبارك وتعالى كيف تكفرون بالله وتسترون وجود من خلقكم؟..

والخلق قضية محسومة لله سبحانه وتعالى لا يستطيع احد ان يدعيها.. فلا يمكن ان يدعي أحد أنه خلق نفسه.. قضية انك موجود توجب الايمان بالله سبحانه وتعالى الذي اوجدك.. انه عين الاستدلال على الله.. واذا نظر الانسان حوله فوجد كل ما في الكون مسخر لخدمته والاشياء تستجيب له فظن بمرور الزمن ان له سيطرة على هذا الكون.. ولذلك عاش وفي ذهنه قوة الاسباب.. يأخذ الاسباب وهو فاعلها فيجدها قد اعطته واستجابت له.. ولم يلتفت الى خالق الاسباب الذي خلق لها قوانينها فجعلها تستجيب للانسان.. وقد اشار الحق تبارك وتعالى الى ذلك في قوله جل جلاله:﴿ كَلاَّ إِنَّ الإِنسَانَ لَيَطْغَىا * أَن رَّآهُ اسْتَغْنَىا ﴾[العلق: ٦-٧] ذلك ان الانسان يحرث الارض فتعطيه الثمر.. فيعتقد انه هو الذي

اخضع الارض ووضع لها قوانينها لتعطيه ما يريد.. يضغط على زر الكهرباء فينير المكان فيعتقد انه هو الذي اوجد هذه الكهرباء! يركب الطائرة.. وتسير به في الجو فيعتقد انه هو الذي جعلها تطير.. وينسى الخصائص التي وضعها الله سبحانه وتعالى في الغلاف الجوي ليستطيع ان يحمل هذه الطائرة.. يفتح التليفزيون ويرى أمامه احداث العالم فيعتقد ان ذلك قد حدث بقدرته هو.. وينسى ان الله تبارك وتعالى وضع في الغلاف الجوي خصائص جعلته ينقل الصوت والصورة من اقصى الدنيا الى اقصاها في ثوان معدودة.. وهكذا كل ما حولنا يظن الانسان انه اخضعه بذاته.. بينما كل هذا مسخر من الله سبحانه وتعالى لخدمة الانسان.. وهو الذي خلق ووضع القوانين.. نقول له انك لو فهمت معنى ذاتية الاشياء ما حدثتك نفسك بذلك.. الشيء الذاتي هو ما كان بذاتك لا يتغير ولا يتخلف ابدا.. انما الامر الذي ليس بذاتك هو الذي يتغير..

واذا نظرت إلى ذاتيتك تلك التي اغرتك واطغتك.. ستفهم ان كلمة ذاتية هي ألا تكون محتاجا الى غيرك بل كل شيء من نفسك.. وانت في حياتك كلها ليس لك ذاتية.. لأن كل شيء حولك متغير بدون ارادتك.. وانت طفل محتاج إلى أبيك في بدء حياتك.. فاذا كبرت وأصبح لك قوة واستجابت الاحداث لك فإنك لا تستطيع ان تجعل فترة الشباب **والفتوة** هذه تبقى.

. فالزمن يملك ولكن لفترة محدودة.. فاذا وصلت الى مرحلة الشيخوخة فستحتاج الى من يأخذ بيدك ويعينك.. ربما على ادق حاجاتك وهي الطعام والشراب..

إذن فأنت تبدأ بالطفولة محتاجا إلى غيرك.. وتنتهي بالشيخوخة محتاجا إلى غيرك.. وحتى عندما تكون في شبابك قد يصيبك مرض يقعدك عن الحركة.. فاذا كانت لك ذات حقيقية فأدفع هذا المرض عنك وقل لن امرض.. انك لا تستطيع..

والله سبحانه وتعالى اوجد هذه المتغيرات حتى ينتهي الغرور من الانسان نفسه.. ويعرف انه قوي قادر بما اخضع الله له من قوانين الكون.. لنعلم اننا جميعا محتاجون الى القادر، وهو الله سبحانه وتعالى، وان الله غني بذاته عن كل خلقه.. يغير ولا يتغير.. يميت وهو دائم الوجود.. يجعل من بعد قوة ضعفا وهو القوي دائما.. ما عند الناس ينفد وما عنده تبارك وتعالى لا ينفد أبداً.. هو الله في السماوات والأرض.

اذن فليست لك ذاتية حتى تدعي انك اخضعت الكون بقدراتك.. لانه ليس لك قدرة ان تبقى على حال واحد وتجعله لا يتبدل ولا يتغير.. فكيف تكفر بالله تبارك وتعالى وتستر وجوده.. كل ما في الكون وما في نفسك شاهد ودليل على وجود الحق سبحانه وتعالى..

قلنا ان الكافرين صنفان.. صنف كفر بالله وعندما جاء الهدى حكم عقله وعرف الحق فآمن.. والصنف الآخر مستفيد من الكفر.. ولذلك فهو متشبث به مهما جاءه من الايمان والادلة الايمانية فإنه يعاند ويكفر.. لانه يريد ان يحتفظ بسلطاته الدنيوية ونفوذه القائم على الظلم والطغيان.. ولا يقبل ان يُجَرَّدَ منهما ولو بالحق.. هذا الصنف هو الذي قال عنه الله تبارك وتعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ ﴾

إنهم لم يكفروا لأن بلاغا عن الله سبحانه وتعالى لم يصلهم.. ولم يكفروا لأنهم في حاجة الى ان يلفتهم رسول او نبي الى منهج الله.. هؤلاء اتخذوا الكفر صناعة ومنهج حياة.. فهم مستفيدون من الكفر لأنه جعلهم سادة ولانهم متميزون عن غيرهم بالباطل.. ولانهم لو جاء الايمان الذي يساوي بين الناس جميعا ويرفض الظلم، لأصبحوا أشخاصا عاديين غير مميزين في أي شيء..

هذا الكافر الذي اتخذ الكفر طريقا لجاه الدنيا وزخرفها.. سواء أنذرته أو لم تنذره فانه لن يؤمن.. انه يريد الدنيا التي يعيش فيها.. بل ان هؤلاء هم الذين يقاومون الدين ويحاربون كل من آمن.. لأنهم يعرفون ان الايمان سيسلبهم مميزات كثيرة.. ولذلك فإن عدم ايمانهم ليس عن ان منهج الايمان لم يبلغهم.. او ان أحدا لم يلفتهم الى ايات الله في الأرض.. ولكن لأن حياتهم قائمة ومبنية على الكفر.

". (١)

"

وساعة يتلو الإنسان – أي يقرأ – فهو يتكلم بترتيب ما رآه من صُور؛ ذلك أن الإنسان عندما يرى أمراً أو حادثة فهو يرى المجموع مرة واحدة، أو يرى كل صورة مكّونة للحدث منفصلة عن غيرها. وعندما يتكلم الإنسان فهو يرتّب الكلمات، كلمة من بعد كلمة، وحرفاً من بعد حرف؛ إذن فالمتابعة والتلاوة أمر خاص بالكلام. ﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ ءَادَمَ بِالْحَقِّ ﴾ والنبأ هو الخبر المهم، فنحن لا نطلق النبأ على مطلق الخبر. ولكن النبأ هو الخبر اللافت للنظر. مثال ذلك قوله الحق:﴿ عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ * عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ ﴾[النبأ: ١-٢]

إذن فكلمة " نبأ " هي الخبر المهم الشديد الذي وقع وأثر عظيم.

﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ ءَادَمَ بِالْحَقِّ ﴾ وساعة نسمع قوله الحق: " بالحق " فلنعلم أن ذلك أمر نزل من الحق فلا تغيير فيه ولا تبديل. ولذلك قال سبحانه:﴿ وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ ﴾[الإسراء: ١٠٥]

أي أن ما أُنزل من عند الله لم يلتبس بغيره من الكلام، وبالحق الجامع لكل أوامر الخير والنواهي عن الشّر نزل. وعندما يقول سبحانه: ﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ ءَادَمَ بِالْحَقِّ ﴾ فسبحانه يحكي قصة قرآنية تحكي واقعة كونية. ومادام الله هو الذي يقصّ فهو سيأتي بها على النموذج الكامل من الصدق والفائدة. ولذلك يسمّيه سبحانه " القصص الحق ":﴿ إِنَّ هَاذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ ﴾[آل عمران: ٦٢]

ويُسمّيه سبحانه:﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ ﴾[يوسف: ٣]

وسبحانه يقول: ﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ ءَادَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَاناً فَتُقُبِّلَ مِن أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الآخَرِ ﴾ ونعرف أن آدم هو أول الخلق البشري، وأن ابني آدم هما هابيل وقابيل، كما قال المفسرون. وقد قرّب كل منهما قرباناً. والقُربان هو ما يتقرب به العبد إلى الله، و " قربان " على وزن " فعلان ". فيقال: " كَفَر كُفراناً " و " غَفَر غُفرانا ". وهي صيغة مبالغة

---

(١) تفسير الشعراوي، ا ص/١٠

في الحدث. وهل قدّم الاثنان قرباناً واحداً؛ أم أن كلا منهما قدّم قرباناً خاصّاً به؟ مادام الحق قد قبل من واحد منهما ولم يتقبّل من الآخر فمعنى ذلك أن كلاً منهما قدّم قرباناً منفصلاً عن الآخر؛ لأن الله قبل قربان واحد منهما ولم يتقبل قربان الآخر.

و " القربان: مصدر. والمصادر في التثنية وفي الجمع وفي التذكير والتأنيث لا يتغير نطقها أو كتابتها. فنحن نصف الرجل بقولنا: " رجل عدل " وكذلك " امرأة عدل " و " رجلان عدل " و " امرأتان عدل " و " رجال عدل " و " نساء عدل ". إذن فالمصدر يستوي فيه المفرد والمثنى والجمع والمذكر والمؤنث.

ونعلم أن آدم هو أول الخلق الآدمي، وجاءت له حواء؛ وذلك من أجل اكتمال زوجية التكاثر؛ لأن التكاثر لا يأتي إلا من ذكر وأنثى:﴿ وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ ﴾[الذاريات: ٤٩]

فكل موجود أراد له الحق التكاثر فهو يخلق منه زوجين.﴿ سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنبِتُ الأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ ﴾[يس: ٣٦]

ونرى ذلك حين نقوم بتلقيح النخلة من طلع ذكر النخل. وهناك بعض الكائنات لا نعرف لها ذكراً وأنثى؛ إما لأن الذكر غير موجود تحت أعيننا، ولكن يوجد على بعد والريح هي التي تحمل حبوب التلقيح:﴿ وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَآءِ مَاءً ﴾[الحجر: ٢٢]

فتأتي الريح بحبوب التلقيح من أي مكان لتخصب النبات، وإما أن الذكورة والأنوثة يوجدان معاً في شيء واحد أو حيز واحد، مثال ذلك عُود الذّرة؛ حيث نجد ذكروته وأنوثته في شيء واحد؛ فقمّة العود فيها الذكورة ويخرج من كل "كوز " ذرة قدراً من الخيوط الرفيعة التي نسمّيها " الشّوشة ". وهذه هي حبال الأنوثة. وينقل الهواء طلع الذكورة من سنبلة الذرة إلى " الشوشة " ، وكل شعرة تأخذ من حبوب اللقاح كفايتها لتنضج الحبوب، وعندما تلتصق أوراق كوز الذرة ولا تسمح بخروج الخيوط الرفيعة لحبال الأنوثة، ولا تصلها حبوب اللقاح، فيخرج كوز الذرة بلا نضج وبلا حبوب ذرة. وعندما نمسك بكوز الذرة ونفتحه قد نجد بعضا من حبوبه ميتة وهي تلك التي لم تصلها حبوب اللقاح؛ لأنها لم تملك خيطا من الحبال الرفيعة لتلتقط به حبوب اللقاح. وحبّة الذّرة التي لم يخرج لها خيط رفيع لالتقاط حبوب اللقاح لا تنضج. إذن فكل شيء فيه الذكورة والأنوثة.﴿ سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الأَزْوَاجَ كُلَّهَا ﴾[يس: ٣٦]

وكذلك قوله: وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالأُنثَىا ﴾.

وكل ما يقال له شيء لا بد له من ذكر وأنثى، حتى المطر لا بد أن يلقح فلو لم يتم تلقيح المطر بالذرات لما نزل المطر، وحتى الحصى فيه ذرات موجبة وذرات سالبة. وعندما اخترعنا الكهرباء واكتشفنا الموجب والسالب ارتحنا. إذن فعندما يقول الحق:﴿ وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾[الذاريات: ٤٩]

وقوله سبحانه:﴿ سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنبِتُ الأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لاَ يَعْلَمُونَ ﴾[يس: ٣٦]

وهذا أول علم للعرب، فلم يكونوا من قبل القرآن أمّة علم.

وقد أوصل القرآن كل العلم للعرب حتى فاقوا غيرهم، عندما أخذوا بأسباب الله، لكن عندما تراخوا وواصل غيرهم الأخذ بالأسباب تقدمت الاكتشافات، وهذه الاكتشافات نجدها مطمورة في القرآن:﴿ سُبْحَانَ الَّذِي خَلَق الأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنبِتُ الأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لاَ يَعْلَمُونَ ﴾[يس: ٣٦]

إذن فكل ما يجدُّ ويحدث ويكتشف من شيء فيه موجب وسالب أي ذكورة وأنوثة؛ يدخل في نطاق:﴿ وَمِمَّا لاَ يَعْلَمُونَ ﴾[يس: ٣٦]

والإنسان سيد الوجود لا بد له من زوجين ذكر وأنثى للتكاثر لا للإيجاد، أما الإيجاد فهو لله سبحانه وتعالى الذي أوجد كل شيء مِن لا شيء.

وعندما جاء آدم وحواء وبدأ اللقاح والتكاثر أخذ عدد سكان الأرض في النمو. ولو أننا رجعنا بالأنسال في العالم كله رجعة متأخرة نجد العدد يقل إلى أن يصل إلى آدم وحواء. مثال ذلك لو عدنا إلى الوراء مائة عام لوجدنا تعداد مصر لا يتجاوز خمسة ملايين نسمة على الأكثر، ولو عدنا إلى الوراء قروناً أكثر فإن التعداد يقل، إلى أن نصل إلى الخلق الأول الذي خلقه الله وهو آدم وخلق له حواء. فالإنسان بمفرده لا يأتي بنسل.

إذن عندما نجري عملية الإحصاء الإنسالي في العالم ونرجع بها إلى الوراء، نعود إلى الخلق الأول. وكذلك كل شيء متكاثر سواء أكان حيواناً أم نباتاً. وعندما نسير بالإحصاء إلى الأمام سنجد الأعداد تتزايد، وتكون القفزة كبيرة. وعندما يبلغنا الحق أنه خلقنا من نفسٍ واحدةٍ وخلق منها زوجها وبثَّ منهُما رجالاً كثيراً ونساء، فإن عِلم الإحصاء إنما يؤكد ذلك. والتكاثر إنا يأتي بالتزاوج. والتزاوج جاء من آدم وحواء. وأراد الحق أن يرزق آدم بتوائم ليتزوج كل توأم بالتوأم المخالف له في النوع من الحمل المختلف. أي يتزوج الذكر من الأنثى التي لم تولد معه في بطن واحدة.

وجاء ربّنا لنا بهذه القصة كي يبين لنا أصل التكاثر بياناً رمزياً. أوضح سبحانه: أن التباعد الزوجي كان موجوداً، ولكنه التباعد الإضافي، صحيح سيكون هذا الولد أخا للبنت هذه، وهذه البنت أخته؛ لكن حين تكون مولودة مع هذا، وتأتي بطن ثانٍ فيها ذكر وأنثى، فسيكون فيها بُعد إضافي، فتتزوج البنت لهذا البطن بالذكر في البطن الثاني. والذكر للبطن الثاني للبنت في البطن الآخر، وهذا هو البُعد الإضافي الذي كان مُتاحاً في ذلك الوقت؛ لأن العالم كان لا يزال في بداية طفولته الواهية.

ونلحظ مثل هذا الأمر في الريف، حين يقول فلاح آخر: " الذرة بتاعك خايب " ، يقول الفلاح الثاني: إني آخذ من الأرض التي أخذت منها الذرة وأعطيها تقاوى منها، فأنا قد زرعت فداناً من ذرة، وأحجز كيلتين أو ثلاثا أستخدمها تقاوى لأزرعها، فتخرج الذرة ضعيفة، فيقول الفلاح الناضج: يا شيخ هات من ذرة جارك. فيكون ذرة جاري فيه شيء من البُعد. وبعد ذلك تصير النوعية واحدة، فيقول الفلاح الناضج: هات من بلد أخرى. وبعد ذلك من بلد ثالثة، ولذلك فالتهجين والتكاثر كيف نشأ؟ من أين نأتي بالتقاوى؟ كلما جئنا بها من الخارج يكون الناتج قوياً.

كذلك التزاوج ليكون في هذه الزوجية مواهب، ولذلك فطن العربي قديماً لها، ومن العجيب أن هذا العربي البدوي الذي لم يشتغل بثقافة ولم نعرف له تعليما ولا علماً، يهتدي إلى مثل هذه الحقيقة اهتداءً يجعلها قضية عامة فطرية.

ويريد أن يمدح رجلاً بالفتوة، فيقول عنه:فتى لم تلده بنتُ عمٍ فيضوي وقد يضوي سليل الأقاربكيف اهتدى هذا الشاعر لهذه؟! وبعد ذلك يقول:تجاوزت بنت العّمِ وهي حبيبة إليّ مخافة أن يضوي على سليلهاأي هو يحبها، لكنه تجتوزها، حتى لا يضوي سليلها.

ولذلك يقول الشاعر في هذه القضية:أنصح من كان بعيد الهم تزويج أولاد بنات العمفليس ينجو من ضوى وسقم الشاعر العربي الذي ليس في أمة مثقفة ولا تعرف التهجين ولا تعرف هذه الأشياء، انتبه إلى هذه المسألة، كيف؟ إما أن يكون قد اهتدى إليها في واقع الكون فوجد أن زواج القريبات يُنشئ ملاً ضعيفاً، وإما أن يكون ذلك من رواسب الديانات السابقة القديمة والعظات الأولى التي ظل الإنسان محتفظاً بها، فإذا أراد الله أن يبدأ تكاثر فلا بد أن يتزوج أخ بأخته، ولكن سبحانه يريد أن نتباعد، نعم أخ وأخت لكن نتباعد فنأخذ البطن المختلف، ولذلك حينما جاءوا لينسبوا قصة ابني آدم قابيل وهابيل، صحيح اختلفوا. مثلا " سِفْر التكوين " تكلم، ونحن نأخذ من " سفر التكوين " لأن التغيير فيه لا يهمهم. فقد كان التغيير في المسائل التي تهمهم، كمسألة نبوّة محمد صلى الله عليه وسلم، إنما المسائل الأخرى لا تهم، ومع ذلك ففيها أيضا الكثير.

إنهم يقولون: إن هابيل هو أول قتيل في الإنسانية وقتله " قابيل " وبعض القصص تقول: لم يكن يعرف كيف يُميته أو يقتله، فالشيطان مَثَّل له بأنه جاء بطير ووضع رأسه على حجر ثم أخذ حجرا آخر فضرب به رأسه حتى قتله، فعلّمه كيف يقتل، مثلما سيأتي الغراب ويعلّمه كيف يدفن، أما مسألة كيف يقتل هذه لم تأت عندنا، إنما كيف يدفن فقد جاءت عندنا.﴿ فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَاباً يَبْحَثُ فِي الأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ ﴾[المائدة: ٣١]

فهذا هو أول من توفّ وقتل، لكن كيف تقولون: إنه لم يكن يعرف القتل حتى جاءه الشيطان وعلّمه كيف يقتل أخاه؟ نقول: أنتم لم تنتبهوا. فالحق قال: ﴿ لَئِن بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ... ﴾

". (١)

"

وساعة نسمع كلمة " أنزلنا " نعرف أن هناك تشريعاً جاء من أعلى. وهناك من يريد أن يلبس الناس أهواءه، فيقول: إن الإسلام دين تقدمي، أو يقول: الإسلام دين رجعي، وكلاهما يحاول أن يلبس الإسلام بما ليس فيه، ونقول: لا تقولوا ذلك ولكن قولوا الإسلام فوقي؛ أنه جاء من الله، فإن كان للتقدمية مزايا فهو تقدمي، وإن كان للرجعية مزايا فهو رجعي، وإن كان لليمين مزايا فهو يميني وإن كان لليسار مزايا فالإسلام يساري؛ فقد جاء الإسلام بالاستطراق الاجتماعي والتقدم العلمي الأصيل؛ لأن مفهوم التقدم هو أن يرتقي الإنسان بنفيه ارتقاءً متقدماً يجعل الناس متكافئين.

---

(١) تفسير الشعراوي، ١ ص/٦٨٩

إن الإسلام ليس تقدمياً فقط بالنسبة للحياة الدنيا ولكن بالنسبة لحياة أخرى خالدة فوق هذه الحياة. إن الذين يناقشون تلك الأفكار لا يحسنون فهم أفكارهم سواء أكانت تقدمية أم رجعية أم يمينية أم يسارية. ونرى أن المناهج المعاصرة التي تسبب كل هذا الصراع في الدنيا من شرق وغرب هي: الرأسمالية والشيوعية والاشتراكية والوجودية وغيرها.

وعندما ننظر – على سبيل المثال – إلى القائمين على أمر الثورة الشيوعية عام ١٩١٧، نجد قولهم: إنهم مازالوا في بداية الطريق إلى الشيوعية، ولكنه اختيار الطريق الاشتراكي.

كان يجب أن يتجهوا إلى ما نادوا به، ولكن ها نحن أولاء نرى أنهم كلما تقدموا في الزمن تراجعوا عن أفكارهم الأولى. حتى انقلبوا على أنفسهم. وذلك دليل على أن المنهج الذي اتخذوه لأنفسهم غير صحيح.

والمنهج الرأسمالي أظل كما هو؟ لا؛ لأن الأحداث قد اضطرت الرأسمالية أن تعطي العمال حقوقاً وبذلك لم تبق لرأس المال شراسته. كما سارت الشيوعية إلى معظم أساليب الرأسمالية. والرأسمالية سارت إلى بعض من أساليب الاشتراكية وهما – إذن – يريدان أن يلتقيا. ولكن الإسلام أوجد هذا اللقاء من البداية، فاحترم رأس المال، واحترم العمل. وكل إنسان لزم حدوده. وضمن وجود واستمرار حركة الحياة. ولذلك نجد أن الرأسمالية تقول: يجب أن توفر الحوافز للعمل. ولم تصل الشيوعية أيضا إلى مداها، بل قامت لإهدار حقوق الناس، ثم ماذا عن الذين لم تمتد إليهم يد الشيوعية – قبل أن توجد – وكان فيهم من يستغل الناس؟

كان العقل يحتم أن تؤمن الشيوعية بان هناك آخرة يعاقب فيها من استغلوا الناس من قبل، ومن مصلحتهم إذن أن توجد آخرة. وكان من اللازم أن يكونوا متدينين. وكذلك الرأسمالية التي لا تعترف إلا بالربح المادي، امتلأت مجتمعاتها بالضحايا الذين فقدوا المعنويات. وقول الحق: " أنزلنا " يعتبر أن هناك منهجاً نزل من أعلى. وحين نأخذ معطيات البيان القرآني، نجده سبحانه يبلغنا تعاليمه: ﴿ قُلْ تَعَالَوْاْ ﴾. أي ارتفعوا إلى مستوى السماء ولا تهبطوا إلى حضيض الأرض.

ولذلك قال الحق: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ ﴾ ونرى أن آيات القرآن تتآزر وتخدم كل منها الأخرى. ونزول الكتاب بالحق يحتاج إلى صدق دليل أنه ينزل من الله حقا، وأن تأتي كل قوانين الحق في حركة الحياة بالانسجام لا بالتنافر، وهناك آية تشرح كلمة " الحق ":﴿ وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ ﴾[الإسراء: ١٠٥]

أي أنه نزل من عند الله وليس من صناعة بشر. ﴿ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ ﴾ أي نزل بالمنهج من عند الله الذي يقيم منطق الحق في كل نفس وكل مكان، ويَضمن كل حق يقيم حركة الحياة.

وهنا أجملت الآية، فقالت: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ ﴾ أي أن القرآن مصدق للكتب السماوية السابقة. وما الفارق بين كلمة " الكتاب " الأولى التي جاءت في صدر الآية، وكلمة " الكتاب " الثانية؟

إننا نعلم أن هناك " ال " للجنس، و " ال " للعهد، فيقال " لقيت رجلا فأكرمت الرجل " ، أي الرجل المعهود الذي قابلته. فكلمة الكتاب الأولى اللام فيها للعهد أي الكتاب المعهود المعروف وهو القرآن، وكلمة الكتاب الثانية يراد بها الجنس أي الكتب المنزلة على الأنبياء قبله، فالقرآن مهيمنٌ رقيبٌ عليها؛ لأنها قد دخلها التحريف والتزييف.

كلمة " الحق " – إذن – تعني أن كتاب الله الخاتم لكتبه المنزلة وهو القرآن قد نزل بالحق الثابت في كل قضايا الكون ومطلوب حركة الإنسان. ونزل بالحق بحيث لم يصبه تحريف ولا تغيير.

إذن فالحق هو في مضمونه وفي ثبوت نزوله. وقد نزل القرآن بعد كتب أنزلها الله متناسبة مع الأزمنة التي نزلت فيها؛ لأنه سبحانه خلق الخلق لمهمة أن يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن يعمروا هذا الكون بما أمدّهم به من عقل يفكر، وطاقات تنفّذ، ومادة في الكون تنفعل، فإن أرادوا أصل الحياة مجرداً عن أي ترقٍ أو إسعاد فلهم في مقومات الأرض ما يعطيهم، وإن أرادوا أن يرتقوا بأنفسهم فعليهم أن يُعملوا العقل الذي وهبه الله ليخدم الطاقات التي خلقها الله في المادة التي خلقها الله، وحينئذ يأخذون أسرار الله من الوجود.

إن أسرار الله في الوجود كثيرة، وتفعل لنا وإن لم نعرف نحن السر. فنجد الجاذبية التي تمسك الأفلاك تفعل لنا، وإن لم نكن قد اكتشفنا الجاذبية إلا أخيراً. والكهرباء السارية في الكون سلباً وإيجاباً تعمل لنا وإن لم نعرف ما تنطوي عليه من سرّ

إن الحق سبحانه حين يريد ميلاد سر في الكون سبحانه يمد الخلق بأسباب بروز هذا السر.واعلموا أن كل سر من أسرار الكون المسخر للإنسان له ميلاد كميلاد الإنسان نفسه، إما أن يصادف – هذا الميلاد – عمل العقل في مقدمات تنتهي إليه، وحينئذ يأتي الميلاد مع مقدمات استعملها البشر فوصلوا إلى النتيجة، تماماً مثل التمرين الهندسي الذي يقوم الطالب بحله بعد أن يعطيه الأستاذ بعضاً من المعطيات، ويستخدمها التلميذ كمقدمات ليستنبط ما يريد المدرس أن يستنبطه من مطلوب الإثبات.

فإن صادف أن العقل بحث في الشيء معملياً وتجريبياً وصل ميلاد السر مع البحث. وإن جاء ميلاد السر في الكون، ولم يشغل الإنسان نفسه ببحث مقدمات توصل إليه، وأراد الله ذلك الميلاد للسر فماذا يكون الموقف؟

أيمنع الله ميلاد السر لأننا لم نعمل؟. لا. بل يخرج سبحانه السر إلى الوجود كما نسمع دائماً عن مصادفة ميلاد شيء على يد باحث كان يبحث في شيء آخر، فنقول: إن هذا السر خرج إلى الوجود مصادفة.

وإذا نظرت إلى الابتكارات والاختراعات وأمهات المسائل التي اكتشفت لوجدتها من النصف الثاني، ونجد المفكر أو العالم وقد غرق في بحث ما، ثم يعطيه الله سراً من أسرار الكون لم يكن يبحث عنه، فيقال عن الاكتشاف الجديد: إنه جاء مصادفة، وحينما جعل الله لكل سر ميلاداً، فهو قد أعطى خلقه حياة من واسع فضله، وأعطاه قدرة من فيض قدرته وأعطاه علماً من عنده ﴿ وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْماً ﴾ ، ووهبه حكمة يُؤتى بها خيرا ﴿ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً ﴾. وهو سبحانه وتعالى يريد من خلقه أن يتفاعلوا مع الكون ليبرزوا الأشياء، وإذا كان سبحانه يريد منا أن ننفعل هذا الانفعال فلا بد أن يضع المنهج الذي صون طاقاتنا وفكرنا مما يبددهما.

والذي يبدد أفكار الناس وطاقاتهم هو تصارع الأهواء، فالهوى يصادم الهوى، والفكرة قد تصادم فكرة، وأهواء الناس مختلفة؛ لذلك أراد الحق سبحانه وتعالى أن يضمن لنا اتفاق الأهواء حتى نصدر في كل حركاتنا عن هوى واحد؛ وهو ما أنزله الخالق الأعلى الذي لا تغيره تلك الأهواء. أما ما لا تختلف فيه الأهواء فتركنا لكي نبحث فيه؛ لأننا سنتفق فيه قهراً

عنا. ولذلك نقول دائما: لا توجد اختلافات في الأفكار المعملية التجريبية المادية، فما وجدنا كهرباء روسية، وكهرباء أمريكية لأن المعمل لا يجامل. والمادة الصماء لا تحابي. والنتيجة المعملية تخرج بوضوحها واحدة.

إننا نرى اتفاق العلماء شرقاً وغرباً في معطيات المادة التجريبية وتحاول كل بلد أن يسرق من البلد الآخر ما انتهى إليه من نتائج لتدخلها على حضارتها، بينما يختلف الأمر في الأهواء البشرية، فكل بلد يحاول أن يبعد هوى الآخر عن حدوده؛ لأن الأهواء لا تلتقي أبداً، والحق قد وضع حركة الحياة لتنفعل بـ " افعل كذا " و " لا تفعل كذا " مما تختلف فيه الأهواء ليضمن اتحادنا وعدم تعاند الطاقات فينا. بل تتساند معاً.﴿ وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ﴾

[المؤمنون: ٧١]

إذن فمنهج الله في كونه إنما جاء لينظم حركة الإنسان فيما تختلف فيه الأهواء. أما الحركة فيما لا تختلف فيه الأهواء فقد تركها سبحانه حرة طليقة: لأن البشر يتفقون فيها قهراً عنهم، لأن المادة لا تجامل والمعمل لا يحابي.

ولذلك قلنا: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين بعثه الله نبياً خاتماً أعطى بـ " افعل ولا تفعل ". أما بالنسبة للأمر المادي المعملي فقد جعل أمره في ذات النبي صلى الله عليه وسلم. " فعندما قَدِمَ النبي صلى الله عليه وسلم المدينة كان أهلها يأبرون النخل؛ أي يلقّحونه ليثمر. فمر النبي صلى الله عليه وسلم بقومٍ يلقحون فقال: " لو لم تفعلوا لصلح ".

فلم يأْبُروا النخل، فخرج شيصا؛ أي بُسْراً رديئاً، وخاب النخل. ومرّ بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: ما لنخلكم؟ قالوا: قلت كذا وكذا. فقال صلى الله عليه وسلم: " إن كان ينفعهم ذلك فليصنعوه، فإني إنما ظننت ظناً فلا تؤاخذوني بالظن ولكن إذا حدثتكم عن الله شيئاً فخذوا به فإني لن أكذب على الله عز وجل ".

وفي رواية أنه صلى الله عليه وسلم قال:

" إنما أنا بشر، إذا أمرتكم بشيءٍ من دينكم فخذوا به وإذا أمرتكم بشيء من رأيي فإنما أنا بشر "

ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليعلنها قضية كونية مادية تجريبية معملية: " أنتم أعلم بأمر دنياكم "

أي أنه صلى الله عليه وسلم ترك للأمة إدارة شئونها التجريبية، ولم يكن ذلك القول تركا للحبل على الغارب في شئون المنهج، فقد وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم الفيصل فيما تتدخل فيه السماء، وفيما تتركه السماء للبشر، وأعمار الناس –كما نعلم – تختلف، فنحن نقول للإنسان طفولة، وله فتوة، وشباب، وله اكتمال رجولة ونضج؛ لذلك يعطي الحق من الأحكام ما يناسب هذا المجتمع؛ يعطي أولاً الاحتياج المادي للطفولة، وعند عصر الفتوة يعطيه المسائل الإدراكية، وعندما يصل إلى الرشد يعطيه زمام الحركة في الكون على ضوء المنهج، فكانت رسالة الإسلام على ميعاد مع رشد الزمان، فَأَمِن الحق سبحانه أتباع محمد صلى الله عليه وسلم، أن يقفوا ليحموا حركة الإنسان من أهواء البشر. وكانت الرسل تأتي من عند الله بالبلاغ للمجتمعات البشرية السابقة علىالإسلام. وكانت السماء هي التي تؤدب. ولكن عندما اكتمل رشد الإنسانية، رأينا الرسول يبلغ، ويوكِّله الله في أن يؤدب من يخرج على منهج الله في حركة الحياة، لأنه صلى الله عليه وسلم أصبح مأموناً على ذلك.

وإذا نظرت إلى الكون قديماً لوجدته كوناً انعزالياً، فكل جماعة في مكان لا تعلم شيئاً عن الجماعة الأخرى، وكل جماعة لها نظامها وحركتها وعيشها وداءاتها.

والإسلام جاء على اجتماع للبشر جميعاً. فقد علم الله أزلاً أن الإسلام سيجيء على ميعاد مع إلغاء فوارق الزمن والمسافات، وأن الداء يصبح في الشرق فلا يبيت إلا وهو في الغرب، وكذلك ما يحدث في الغرب لا يبيت إلا وهو في الشرق.

إذن فقد اتحدت الداءات ولا بد أن يكون الدواء واحداً فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم جامعاً للزمان وجامعاً للمكان ومانعا أن يجيء رسول آخر بعده، وأن العالم قد وصل إلى قمة نضجه. فإذا ما جاء الإنسان ليعلم منهج الله بـ " افعل " ولا " تفعل " ، وجد أن المنهج محروس بالمنهج، بمعنى أن الكتب السابقة على القرآن فيها " افعل " و " لاتفعل " ، والقرآن أيضاً فيه " افعل " و " لا تفعل " لكن المنهج السابق على القرآن كان مطلوباً من المنزل إليهم أن يحافظوا عليه، ومادام قد طلب الحق منهم ذلك فكان من الواجب أن يتمثلوا لطاعته لكنهم تركوا المنهج. فكل منهج عرضة لأن يطاع وعرضة لأن يعصى، ولم يحفظوا الكتب وحدث فيها التحريف بمراحله المختلفة والتي سبق أن ذكرناها وهي النسيان وهو متمثل في قوله الحق:﴿ وَنَسُواْ حَظًّا مِّمَّا ذُكِرُواْ بِهِ ﴾[المائدة: ١٣]

وما لم ينسوه كتموا بعضه، فقال الحق فيهم:﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَـٰئِكَ يَلعَنُهُمُ اللَّهُ ﴾[البقرة: ١٥٩]

وما لم يكتموه حرفوه ولووا ألسنتهم به وقال الحق:﴿ وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقاً يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالْكِتَابِ ﴾[آل عمران: ٧٨]

ولم يقتصروا على ذلك بل وضعوا من عندهم أشياء وقالوا إنها من عند الله. وكان أمر حفظ كتب المنهج السابقة موكولاً لهم وبذلك قال الحق عنهم:﴿ بِمَا اسْتُحْفِظُواْ مِن كِتَابِ اللَّهِ ﴾[المائدة: ٤٤]

أي أن الحق طلب منهم أن يحافظوا على المنهج، وكان يجب أن يطيعوه ولكن أغلبهم آثر العصيان. فلما عصى البشر المنهج، لم يأمن الله البشر من بعد ذلك على أن يستحفظهم على القرآن، وكأنه قال: لقد جُرّبْتم فلم تحافظوا على المنهج، ولأن القرآن منهج خاتم لن يأتي له تعديل من بعد ذلك فسأتولى أنا أمر حفظه:﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾[الحجر: ٩]

ومادام الحق هو الذي يحفظ المنهج فالقرآن مهيمن على كل الكتب؛ لأنه سبحانه وتعالى قد ضمن عدم التحريف فيه. إذن فالكتاب المهيمن هو القرآن، ومادام القرآن هو المهيمن فهو حقيقة ما يسمى بالكتاب.

ودليل العهد هو قول الحق: ﴾ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ الْكِتَابَ ﴿ أما قوله: ﴾ مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ ﴿ فالمقصود به الزبور والتوراة والإنجيل وصحف إبراهيم وموسى، ثم جاء القرآن مهيمناً على كل هذه الكتب.

وساعة نجد وصفاً وصف به غير الله وسمى به الله نفسه فما الموقف؟ نعرف أن لله صفات بلغت في تخصصها به مقامها الأعلى بالله، مثل قولنا: " الله سميع " والإنسان يسمع، و " الله غني " ويقال: " فلان غني "؛ فإذا سمي الحق باسم

وجد في الخلق، فليس من المتصور أن يكون هذا صفة مشتركة بين العبد والرب، ولكننا نأخذ ذلك في ضوء: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾.

إن أي اسم من هذه الصفات على إطلاقه لا ينصرف إلا لله، فإن قلت: " الغني " على إطلاقه فهو اسم لله، وإن قلت: " الرحيم " على إطلاقه فهو اسم لله. فإذا أطلق اللفظ من أسماء الله على اطلاقه فهو لله، واسم " المهيمن " يطلق هنا على القرآن وهو اسم من أسماء الله. ومن معنى " مهيمن " أنه مسيطر.

ومن أمثلة الحياة أننا نرى صاحب مصنع يطلق يد مدير في شئون العمل، وهذا يعني أنه مؤمن ومسيطر وأمين، ولا بد أن متنبه، أي رقيب، وهو شهيد، إذن فالذين فسروا كلمة " مهيمن " على أنه مؤمن قول صحيح.

والذين فسروا كلمة: " مهيمن " على أنه " مؤتمن " قول صحيح. والذين فسروا كلمة: " مهيمن " بأنه " رقيب " قول صحيح. والذين فسروا كلمة: " مهيمن " بأنه " شهيد " قول صحيح. والذين فسروا كلمة: " مهيمن " بأنه قائم على كل أمر قول صحيح. وإذا رأيت الاختلافات في تفسير اسم واحد من أسمائه - سبحانه - فلتعلم أن الحق بصدق عليه كل ذلك، وباللازم لا يكون " رقيباً " إلا إذا كان " شهيداً " ، ولا يكون شهيداً إلا إذا كان قائماً على الأمر، ولا يكون كل ذلك إلا إذا كان مؤمناً ومؤتمنا.

إذن فـ " مهيمن " هو قيم وشاهد ورقيب. ومادام القرآن قد جاء مصدقاً لما بين يديه من الكتاب فعلى أي مجال يهيمن؟ نحن نعرف مدلول الكتاب بأنه نزل من عند الله، فإن بقي الكتاب الذي من عند الله كما هو فالقرآن مصدق لما به، أما إن لعبت في ذلك المنهج أهواء البشر فالقرآن مهيمن لأنه يصحح المنهج وينقيه من أهواء البشر. ﴿ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ اللَّهُ ﴾. و " احكم " مأخوذة من مادة " حكم " ، و " الحَكَمة " هي قطعة الحديد التي توضع في فم الحصان ونربطها باللجام؛ حتى نتحكم في الحصان. والحكمة هي الأ تدع المحكوم يفلت من إرادة الحاكم.

وحين يقول الحق: ﴿ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ اللَّهُ ﴾ فهل يحدث ذلك أيضا مع غير المؤمنين؟ نعم. فإذا ما جاء إليك يا رسول الله أناس غير مؤمنين وطلبوا أن تحكم بينهم فاحكم بما أنزل الله. ولذلك قال الحق:

﴿ فَإِن جَآءُوكَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ ﴾[المائدة: ٤٢]

لكن لماذا جاءوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم برغم عدم إيمانهم به؟

جاءوا إلى الرسول ليحكم بينهم؛ لأنهم ألفوا أن يبيحوا ما حرم الله بشهوات الدنيا وأخذوا لأنفسهم سلطة زمنية، وماداموا قد أخذوا لأنفسهم سلطة زمنية أنستهم حكم الله. وأرادوا - على سبيل المثال - أن يخرجوا على حكم الرجم وتخفيفه، ولذلك ذهبوا إلى النبي، فإن حكم هو بالتخفيف أخذوا بالحكم المخفف، وإذا لم يحكم بالتخفيف فهم لن يأخذوا الحكم، هم ذهبوا إليه صلى الله عليه وسلم بقصد التيسير وقالوا له: أنت تعلم أن لنا سلطاناً وأن لنا نفوذاً ونحن نريد أن تحكم لنا لأنك عندما تحكم لنا سنؤمن بك وبعد ذلك تأتي إليك باقي جماعتنا ليؤمنوا بك ويتبعوك.

لقد رفض رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك تطبيقاً لقول الحق: ﴿ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ اللَّهُ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ ﴾ فإذا كان عندهم كتاب التوراة مصوناً من التحريف، فالرسول يشير عليهم بالحكم الموجود في التوراة، ولذلك عندما استدعى صلى الله عليه وسلم أعلم علمائهم بالتوراة حاول بعضهم أن يضع يده على السطور التي بها الحكم؛ فالحكم بما أنزل الله يكون من التوراة إن لم يبدل، أما إذا كان الحكم قد بدله الناس فالحكم من القرآن؛ لأن القرآن هو المهيمن. ﴿ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ اللَّهُ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ ﴾ لأنهم بهذه الأهواء يريدون أن ييسروا على أنفسهم ليستبقوا لأنفسهم السلطة الزمنية، ووصفهم الحق:﴿ اشْتَرَوْاْ بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَناً قَلِيلاً ﴾[التوبة: ٩]

هم – إذن – يريدون أن يستبدلوا بآيات الله مصلحتهم في الحكم. ويقول الحق: ﴿ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجاً ﴾ ، وإن افترضنا أن بعضا من التوراة لم يحرف، وبه حكم أراد الإسلام أن يبدله، فأي أمر يتبع؟ إن الاتباع هنا يكون للقرآن لأنه هو المهيمن، فسبحانه أراد بالقرآن أن يصحح ويعدل ويغير.

إن مناهج الأديان في العقائد ثابتة لا تغيير فيهان وأما ما يتصل بالأحكام التي تحكم أفعال الإنسان فالله سبحانه وتعالى ينزل حكماً لقوم يلائمهم ثم ينزل حكما آخر يلائم قوماً آخرين. ولذلك نجد أن سيدنا عيسى قال:﴿ وَلأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ ﴾[آل عمران: ٥٠]

أي أن هناك أشياء كانت محرمة في دين اليهود. وجاء عيسى عليه السلام ليحلل بعضاً من هذه المحرمات، وكان التحريم مناسباً بني إسرائيل في بعض الأمور، وجاء المسيح عيسى ابن مريم ليحلل لهم بعضاً من المحرمات، وكان تحريم بعض الأمور لبني إسرائيل بهدف التأديب:﴿ فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ ﴾[النساء: ١٦٠]

إذن فقد يكون تحريم الشيء بسبب الضرر الناشئ منه، أو بهدف التأديب؛ لأن الإنسان أحل لنفسه ما حرمه الله عليه.

﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجاً ﴾ والشرعة هي الطريق في الماء. والمنهج هو الطريق في اليابسة. ومقومات حياة الإنسان هي من الماء ومن الغذاء الذي يخرج من الأرض فكذلك جعل الحق سبحانه وتعالى في القيم هذين الاثنين، الشرعة والمنهاج، ومادام سبحانه قد جعل لكل منا شرعة ومنهاجاً، فلماذا قال في موضع آخر من القرآن:﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّا بِهِ نُوحاً ﴾[الشورى: ١٣]

معنى هذا القول هو الاتفاق في أصول العقائد التي لا تختلف أبداً باختلاف الأزمان. ففي بدء الإسلام نجد أنه جاء ليؤصل العقيدة أولاً بلا هوادة، فنادى بوحدانية الله، وعدم الشرك به، وصفات الكمال المطلق فيه، وعدم تعدد الآلهة. أما بقية الأحكام الفعلية فقد جعلها مراحل. وكان يخفف قليلاً فقليلاً. إذن فالمراحل إنما جاءت في الأحكام الفعلية، أما العقائد فقد جاءت كما هي وبحسم لا هوادة فيه.

إذن فقوله الحق: ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّا بِهِ نُوحاً ﴾. هذا القول مقصود به العقائد. ومادام قد شرع لنا في الدين ما وصى به نوحاً، فهذا توصية بأفعال تتعلق أيضا بزمن نوح، وسبحانه الذي وضع لنا المنهاج الذي نسير عليه في زماننا. إذن فالأمران متساويان. والمهم هو وحدة المصدر المشرّع.

ويقول الحق: ﴿ وَلَوْ شَآءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً ﴾. فلو شاء لجعل " افعل " ولا " تفعل " واحدة في كل المناهج، ولكن ذلك لم يكن متناسباً مع اختلاف الأزمان والأقوام الانعزالية قبل الإسلام بداءاتها المختلفة؛ لذلك كان من المنطقي أن تأتي الأحكام مناسبة للداءات.﴿ وَلَوْ شَآءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَـٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَآ آتَاكُم فَاسْتَبِقُوا الخَيْرَاتِ إِلَىٰ الله مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً ﴾[المائدة: ٤٨]

وسبحانه وتعالى لو شاء لجعلنا أمة واحدة في " افعل " و " لا تفعل " ولكنه – سبحانه – لم يرد ذلك حتى لا يألف الناس العبادة وتصير كالعادة عندهم، فحينما يألف الناس أداء العبادات، فهم بذلك يحرمون لذة التكليف والإيمان، فكان لا بد أن يأتي التشريع مناسبا لكل زمان. وذلك ليفرق بين قوم وقوم ففي الصوم – على سبيل المثال – نجد أن الحق يسمح لنا بالطعام والشراب والجنس في الفترة ما بين الإفطار والسحور؛ فالحق يأتي إلى الشيء الرتيب ويأتي فيه أمر الله بالامتناع عنه لفترة زمنية معينة. ولا يقرب المؤمن هذه المحرمات في زمان معين، ولا يقرب غيرها في أي زمان ومكان. مثل شرب الخمر، أو أكل لحم الخنزير. والمؤمن لا يقرب هذه الأشياء بطبيعة اختياره. ويأتيه الصوم ليعلمه ويدربه على الانصياع للتكليف فيحرمه الحق من الطعام طول نهار شهر رمضان وكذلك الشراب والجنس.

المسألة – إذن – ليست رتابة أبداً. بل هي ابتلاء واختبار البشر ﴿ وَلَـٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَآ آتَاكُم ﴾ والابتلاء –كما نعلم – ليس أمراً مذموماً في ذاته، هو مذموم باعتبار ما تؤول إليه نهايته، ومادام سبحانه يبتلينا فيما آتانا فيجب أن نكون حكماء وأن نتسابق إلى الخير:

﴿ فَاسْتَبِقُوا الخَيْرَاتِ إِلَىٰ الله مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾[المائدة: ٤٨]

والتسابق إلى الخيرات إنما يكون بهدف النجاح في الإبتلاء، والنجاح يعطينا أكثر مما ننال بعدم الانصياع. إذن فالابتلاء في مصلحتنا يعطي الناجحين فيه نجاحاً أخلد، وقصارى ما يزينه الشيطان للناس أو ما تتخيله نفوس الناس، أن تمر الشهوة العابرة وتنقضي في الدنيا العابرة. وبعد ذلك يأتي العذاب المقيم. وعندما نوازن هذا الأمر كصفقة نجدها خاسرة، لكن إن نجحنا في ابتلاء الله لنا فذلك هو الفوز العظيم: ﴿ فَاسْتَبِقُوا الخَيْرَاتِ إِلَىٰ الله مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾.

أي تسابقوا في الوصول إلى الخيرات، لأن الخير إنما يقاس بعائده، فإياكم أن تفهموا أن الله حَرَمكم شهوات الدنيا لأنه يريد حرمانكم، ولكنه حرمكم بعضا من شهوات الدنيا لأنها مفسدة. وكان التحريم لزمن محدود ليعطيكم نعيم ومتع الآخرة المُصلحة في زمن غير محدود، وهذا هو كل الخير.

﴿ إِلَىٰ الله مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً ﴾ والكل يرجع إلى الله سواء الملتزم أو المنحرف، وأمام الحق نرى القول الفصل: ﴿ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾. ومادام هناك اختلاف فلا بد أن يوجد من أخذ جانب الخير ومن أخذ جانب الشر، ولو أن الله قال لنا: " ستأخذون الخير " وسكت عن الشر لكان ذلك كافياً، لكنه يعطينا الصورة الكاملة. ويتبع ذلك قول الحق: ﴿ وَأَنِ احْكُم... ﴾

." (١)

"

ساعة يأتي الحق بأسلوب استفهامي فليس الهدف أن يستفهم. إنه – سبحانه – لا يريد ان يأتي الخبر من عنده، وهو يقدر أن يقول: الذي يفتري ظالم، لكنه هنا يأتي بالاستفهام الذي يؤكد أنه لا يوجد أظلم من الذي يفتري على الله كذباً، ويعرض الله القضية على المؤمنين وكأنه يسأل ليعوض كل مؤمن القضية على ذهنه ويستنبط الجواب. إن الذي يفتري على زميله والمثيل له كذباً نُوقِع به العقاب، فما بالك بمن يفتري على الله؟ وحين تسمع أنت هذا الكلام: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِباً ﴾. وتستعرض الأمر فلا تجد أظلم منه، وهكذا يستخرج الله الحكم من فَم المقابل.

وكيف يفتري إنسان الكذب على الله؟ كأن يبلغ الناس ويدَّعي ويقول: أنا نبي وهو ليس كذلك. هنا تكون الفرية على الله، وإياك ان تظن أنه يكذب على الناس، لا، إنه يكذب على الله؛ لأنه أبلغ أن الله قد بعثه وهو لم يبعثه.

و " الافتراء ": كذب مُتعمَّد مقصود، وينطبق ذلك على النبوات التي ادعيت؛ من مثل مسيلمة الكذاب، سجاح، طليحة الأسدي، الأسود العنسي؛ كل هؤلاء ادعوا النبوة، ومع ذلك لم يسألهم أحد عن المعجزة الدالة على نُبوّتهم؛ لأن كل واحد منهم عندما أعلن نبوته جاء بما يُخفّف عن الناس أحكام الدين.

فواحد قال: أنا أخفف الصلاة، والزكاة لا داعي لها. لذلك تبعهم كل من أراد أن يتخفف من أوامر الدين ونواهيه، موهما نفسه بأنه مُتدين، دون أن يلتزم بالتزامات التدين، وهذا هو السبب في أن أصحاب النبوات الكاذبة، والادعاءات الباطلة يجدون لهم أنصاراً من المنافقين؛ فالواحد من هؤلاء الأتباع قد يكون مثقفاً ثم يصدق نبياً دجالاً، وتسأل التابع للدجال وتقول له: أسألت مدَّعي النبوة هذا ما معجزتك؟ – وهذا أول شرط في النُبوَّة – ولم نجد أحداً سأل هذا السؤال قط، لماذا؟

لأن التدّين فطرة في النفس، ولكن الذي يصعِّب التدين هو الالتزامات التي يفرضها التدين، وعندما يرى التابع الضعيف النفس أن هناك من يُريح من الالتزامات الدينية، ويفهمه أنه على دين، ويقلل الالتزامات عليه، لذلك يتبعه ضعاف النفوس، وتصبح المسألة فوضى.

﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِباً أَوْ قَالَ أُوْحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ ﴾ [الأنعام: ٩٣]

هناك من ادعى وقال: أنا نبي، وقال: سأنزل مثل هذا القرآن، فماذا قال هذا المدَّعي وهو " النضر بن الحارث " يقول – في أمة أذنها أذن بلاغية، تتأثر بموسيقى اللفظ –: " والطاحنات طحنا والعاجنات عجنا والخابزات خبزا "!! ولماذا لم يأت بالمسألة من أولها ويقول: " والزارعات زرعا والحارثات حرثا " ثم يقول مَن ادعى أنه أوحي إليه: " والعاجنات عجنا والخابزات خبزا " ، وكان عليه أن يتبعها أيضاً: " والآكلات أكلا والهاضمات هضما ".

---

(١) تفسير الشعراوي، ١ ص/٧١٠

وطبعاً كان هذا الكلام لوناً من هراء فارغ؛ لأن الحق إنما أنزل كلامه موزونا جاذباً لمعانٍ لها قيمتها في الخبر، ولذلك نزل القول الحق: ﴿ أَوْ قَالَ أُوْحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ ﴾ ، " وقد جاء واحد هو عبدالله بن سعد بن أبي سرح القرشي وكان أخا لسيدنا عثمان من الرضاعة وكان كاتباً لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقعد في حضرة النبي. فنزلت الآية: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ مِن سُلاَلَةٍ مِّن طِينٍ * ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ * ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَاماً فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْماً ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقاً آخَرَ ﴾ [المؤمنون: ١٢-١٤].

وانبهر بالأطوار التي خلق فيها الحق الإنسان فقال: ﴿ تبارك الله أحسن الخالقين ﴾. فقال له رسول الله: اكتبها فقد نزلت. واغْترّ الرجل وقال: إن كان محمدٌ صادقاً لقد أوحى إليّ كما أوحي إليه؛ وإن كاذباً لقد قلت كما قال: فأهدر رسول الله دمه. وقال لصحابته: من رآه فليقتله. وفي عام الفتح جاء به عثمان رضي الله عنه، وقال: يا رسول الله، اعف عن عبدالله، فسكت رسول الله. قال عثمان رضي الله عنه: اعف عنه. فسكت رسول الله. وكررها ثالثا: اعف عنه يا رسول الله. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: نعم.

وكان لسيدنا عثمان منزلة خاصة عند رسول الله، وأشار الرسول لسيدنا عثمان بن عفان، فأخذ الرجل وانصرف، فلما انصرف قال الرسول لصحابته: ألم أقل لكم من رآه فليقتله؟ قال سيدنا عباد بن بشر: يا رسول الله لقد جعلتُ إليك بصري – أي وجَّهت عيني لك – لتشير عليّ بقتله، فقال رسول الله لعباد بن بشر: " ما ينبغي لرسول أن تكون له خائنة الأعين " وأسلم ابن أبي سرح وحسن إسلامه ".

ومن قال سأنزل مثل ما أنزل الله، ما هي عقوبات هؤلاء الذين يفترون على الله الكذب، ويحاولون التغرير بالناس مدّعين أن الله أنزل عليهم وحياً؟

يقول الحق سبحانه: ﴿ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلائِكَةُ بَاسِطُواْ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُواْ أَنْفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ ﴾ [الأنعام: ٩٣].

وساعة تسمع " لو " هذه تعرف أنها شرطية، وأنت تقول – مثلا – لو جاءني فلان لأكرمته. وحين تقرأ القرآن نجد كثيراً من " لو " ليس لها جواب، لماذا؟ لأن الإتيان بالجواب يعني حصر الجواب الذي لا يمكن للفظ أن يحصره فأنت تتركه للسامع مثلما تجد شاباً يلعب دور **الفتوة** في الحارة ويتعب سكانها، ثم وقع في أيدي الشرطة وأخذوه ليعاقبوه، فيقول واحد ممن رأوه من قبل وهو يرهق أهل الحارة: آه لو رأيتم الولد **الفتوة** وهو في يد الشرطة!

أين جواب الشرط هنا؟ إنه لا يأتي؛ لأنه يتسع لأمر عجيب يضيق الأسلوب عن أدائه.

والحق سبحانه وتعالى يقول هنا: ﴿ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ ﴾ ولم يقل لي: ماذا ترى؟ لأنك سترى عجباً لا يؤديه اللفظ. و " الغمرات " هي الشدة التي لا يستطيع الإنسان منها فكاكاً ولا تخلصاً.

ويتابع الحق: ﴿ وَالْمَلائِكَةُ بَاسِطُواْ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُواْ أَنْفُسَكُمُ ﴾ فهل هم ملائكة الموت الذين يقبضون الروح؟ أو الكلام في ملائكة العذاب؟ إنها تشمل النوعين: ملائكة قبض الروح وملائكة العذاب.

﴾ وَالْمَلائِكَةُ بَاسِطُواْ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُواْ أَنْفُسَكُمُ ﴿كأن ملائكة قبض الروح تقول لهم: إن كنتم متأبّين على الله في كثير من الأحكام لقد تأبّيتم على الله إيماناً، وتأبّيتم على الله أحكاماً، وتأبّيتم على الله في تصديق الرسول، فهاهو ذا الحق قد أمرنا أن نقبض أرواحكم، فهل أنتم قادرون على التمرد على مرادات الحق؟ إن كنتم كذلك فليظهر كل منكم مهارته في التأبّي على قبض روحه، أو أن الملائكة يبالغون في النكاية بهم كأن نقول لواحد: اخنق نفسك وأخرج روحك بيديك أو: أخرجوا أنفسكم من العذاب الذي يحيق بكم.

" وعذاب الهون " هو العذاب المؤلم وفيه ذلة. وأساليب العذاب في القرآن متعددة، فيقول مرة: " من العذاب المهين " أو وأعد لهم " عذاباً مهيناً " أو ولهم " عذاب أليم " فمرة يكون العذاب مؤلماً لكن لا ذلة فيه، ومرة يكون العذاب مؤلماً وفيه ذلة. وكما أن النعمة فيها تعظيم فالنقمة فيها ذلة. وأضرب هذا المثل – ولله المثل الأعلى، فالله سبحانه منزّه عن أي تشبيه –: قد نجد حاكماً يعتقل إنساناً ويأمر بأن يجلس المعتقل في قصر فخم وله حديقة، لكن حين يأتيه الطعام، يقول له الحارس: خذ اتسمم، وفي ذلك إهانة كبيرة.

ولماذا يذيقهم الحق العذاب المهين؟ تأتي الإجابة من الله: ﴾ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿. كأن يقول واحد: أوحي إلي ولم يوح إليه شيء. وهم أيضاً يستكبرون على الآيات التي يؤمن بها العقل الطبيعي، ويقول الحق:﴾ وَجَحَدُواْ بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْماً وَعُلُوّاً ﴿[النمل: ١٤].

ويقول الحق بعد ذلك: ﴾ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ... ﴿

". (١) "

"

إذن: فالكائنات التي عُبِدتْ من دون الله تعالى تعلن رفضها لمسألة عبادتها، فإذا كان الطير ـ ممثلاً في الهدهد ـ قد أعلن من قبل اندهاشه من أن بعضاً من البشر قد عبد غير الله تعالى.

واستدل الهدهد ـ على قدرة الحق سبحانه ـ بما يخصُّه هو من الرزق، حيث يعلم أن الحق سبحانه قد عَلِمَ الخبء في السموات والأرض، إذا كان الهدهد قد عرف ذلك فالاستنكار أمر منطقي من غيره من المخلوقات، سواء أكانت من الملائكة، أو من عيسى عليه السلام، أو من الأصنام و الأشجار والكواكب.

ولذلك نجد الحق سبحانه يضرب المثال بسؤاله للملائكة:﴾ أَهَاؤُلاَءِ إِيَّاكُمْ كَانُواْ يَعْبُدُونَ ﴿[سبأ: ٤٠].

فيجيب الملائكةُ بقوله:﴾ سُبْحَانَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِمْ بَلْ كَانُواْ يَعْبُدُونَ الْجِنَّ ﴿[سبأ: ٤١].

والحق سبحانه وتعالى يعرض هذه المواقف في سُوَر القرآن الكريم عرضاً منثوراً مكرراً بما لا يدع للغفلة أن تصيب الإنسان، فمثلاً يقول الحق سبحانه:

﴾ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً يَامَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُمْ مِّنَ الإِنْسِ ﴿[الأنعام: ١٢٨].

ويقول على ألسنة من اتخذوا الشياطين أولياء:

---

(١) تفسير الشعراوي، ١ ص/٨٧٣

﴿ وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ الإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا الَّذِي أَجَّلْتَ لَنَا ﴾[الأنعام: ١٢٨].

وقولهم هذا يتضمن الحديث عن ذواتهم والحديث عن الجن.

ولسائل أن يسأل: وكيف يأخذ الجن كثيراً من الإنس؟

ونقول: إن الحق سبحانه قد خلق الجن على هيئة تختلف عن هيئة الإنس، فجعل للجن خواصّاً تختلف عن خواص الإنس، ومن هذه الخواص ما قال عنه الحق سبحانه:﴿ إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لاَ تَرَوْنَهُمْ ﴾[الأعراف: ٢٧].

وأعطى الحق سبحانه للجن قوة أكثر مما أعطى للإنس، وأعطاهم القدرة على النفاذ من السواتر الحديدية والجدران وغيرها، وهذا أمر منطقي مع أصل تكوين الجن، فالجن مخلوق من النار، والإنسان مخلوق من الطين. وهناك اختلاف بين طبيعة كل من النار والطين، فما يخرج من الطين قارٌّ، أي: لا يشع، وما يخرج من النار له إشعاع وحرارة.

بمعنى: أنك لو كنت تجلس في حجرة، وخلف ظهرك في الحجرة الأخرى نار موقدة؛ فالساتر ـ أيا كان ـ سوف يحمل لك بعضاً من حرارة النار، إلا لو كان عازلاً للحرارة.

أما لو كانت هناك تفاحة ـ وهي مخلوقة من الطين ـ موجودة في الحجرة الأخرى، فلن ينفذ طعمها أو رائحتها إليك.

إذن: فالنار لها قانونها، والطين له قانونه. وقانون المادة المخلوقة من الطين لا ينتقل إلا إذا نَقلْتَ الجِرْم إلى المكان الذي توجد فيه.

ونلمح هذه المسألة التقنينية في قصة سيدنا سليمان عليه السلام حين علم أن ملكة سبأ تسير في الطريق إليه لتعلن إسلامها، وأراد سيدنا سليمان عليه السلام أن يأتي لها بعرشها من مكانه قبل أن تصل.

فقال لمن هو في مجلسه:﴿ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴾[النمل: ٣٨]؟

وهذا يدل علىأنه كان في مجلسه أجناس مختلفة، ولكل جنس منهم قدرات مختلفة عن قدرات الجنس الآخر، ونقل العرش من اليمن إلى مكان سيدنا سليمان عليه السلام يحتاج إلى زمن وإلى قوة، فلو أنهم كانوا متساوين في قدرتهم ما قال:﴿ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي ﴾[النمل: ٣٨].

فكان أول من تقدم لتنفيذ ما أراده سليمان عفريت من الجن ـ لا جِنّاً عاديّاً، فمن الجن من هو خائب قليل الذكاء، ومنهم من هو ذكي، فهم وأن كانوا من جنس واحد فهم متفاوتون أيضاً، وكان عفريت الجن هو أول من تكلم، وقال:﴿ أَنَاْ آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ ﴾[النمل: ٣٩].

ولكن مقام سليمان قد يستمر ساعة أو بضع ساعات، والمتكلم هو عفريت من الجن الذي يعلم أن له صفات أقوى من صفات الإنس. أما الإنس العادي ـ ممن كان حاضراً مجلس سليمان ـ فلم يتكلم؛ لأن المطلوب ليس في قدرته، أما الذي تكلم من الإنس فهو مَنْ عنده علم من الكتاب، فقال:﴿ أَنَاْ آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ﴾[النمل: ٤٠].

ولم يأخذ الأمر شيئاً من الزمن؛ لذلك عبَّر القرآن التعبير السريع بعد ذلك، فقال:﴿ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرّاً عِندَهُ قَالَ هَـاذَا مِن فَضْلِ رَبِّي ﴾[النمل: ٤٠].

إذن: فللجن قوة على أشياء لا يقوى عليها الإنس، ولم يأخذ الجنّي خواصَّه في الخفة والقدرة ومهارة اختزال الزمن بذات تكوينه، ولكن بإرادة المكوِّن سبحانه؛ ولذلك شاء الحق أن يُذكِّر الجن أنهم قد أخذوا تلك الخصوصيات بمشيئته سبحانه، والحق هو القادر على أن يجعل الإنس وهو الأدنى قدرة، قادراً على تسخير الجن؛ ولذلك يحاول الإنس أن يأخذ من تسخير الجن قوة له فيقوى على نظيره من الإنس.

ولكن الحق سبحانه أصدر الحكم على مَنْ يحاول ذلك بأن تسخير الجن يزيد رَهَقاً.

واقرأوا قول الحق سبحانه:

﴿ وَاتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ الشَّيَاطِينُ عَلَىا مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَاكِنَّ الشَّيْاطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَآ أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىا يَقُولاَ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلاَ تَكْفُرْ ﴾[البقرة: ١٠٢].

إذن: فتعليم الجن السحر للإنس دليل على تفوق قدرات الجن وتميزها عن قدرات الإنس.

ولكن الملكين هاروت وماروت حينما عَلَّمَا الإنسان السحر حذَّراه اولاً من أن يأخذ من ذلك فرصة زائدة تطغيه على بني جنسه ويظلم بها، إنما الأمر كله اختبار، فإن تعلَّمته فذلك لتقيَ نفسك من الشر لا لتوقعه بغيرك، ثم إنك - أيها الإنسان - من الأغيار قد تضمن نفسك وقت التحمُّل، ولكن ماذا عن وقت الاداء؟

مثلما يأتي لك إنسان ليُودِعَ عندك ألفاً من الجنيهات كأمانة، ولكن أتظل على الأمانة، أم أنك قد تنكر المال أصلاً حين يطالبك به صاحبه، أو قد تمر بك أزمة مالية فتتصرف بهذا المال؟

ولذلك تجد الذكي هو مَنْ يقول لمودع هذا المال: " احفظْ عليك مالك، لأني من الأغيار ".

وتلك هي القضية الإيمانية الأصيلة في الكون كله؛ لأن الحق سبحانه هو القائل:

﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً ﴾[الأحزاب: ٧٢]

والأمانة هي ما يكون في ذمة المؤتمن، ولا حجة للمؤتمن عنده إلا ذمته، ولا شهود عليه، ولا يوجد إيصال بتلك الأمانة، بل هي وديعة لا توثيق فيها؛ إلا ذمة المؤتمن، قد يقرُّ بها، وقد يُنكرها.

وعلى ذلك فحقُّ المؤتمن عند المؤتَمن خاضعٌ لخيار المؤتَمن؛ ولذلك وجدنا السماء والأرض والجبال قالت: يا رب لا نريد أن نُدخِلَ أنفسنا في هذه التجربة، افعل بنا ما شئت واجعلنّا مقهورين ولا اختيار لنا، ولا نريد تحمُّل الأمانة.

أما الإنسان فقد ميَّزه الله بالعقل، وقدرة الاختيار بين البدائل؛ لذلك قَبلَ الإنسان حَمْل الامانة، وحين جاء وقت الأداء لم يجد نفسه أميناً على الأَشياء مثلما ظَنَّ في نفسه وقت التحمُّل.

وكذلك الذين يتعلمون السحر، يقول الواحد منهم لنفسه: سوف أتعلمه لأدفع الضُّرَّ عن نفسي، ونقول له: أنت لا تضمن نفسك؛ لأنك من الأغيار، فقد يغضبك أو يثير أعصابك إنسان؛ فتستخدم السحر فتصيب نفسك بالرَّهق.

إذن: فحين قال الله سبحانه:﴿ يَامَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُمْ مِّنَ الإِنْسِ ﴾[الأنعام: ١٢٨].

أي: أخذتم من الإنس كثيراً بأن اعطيتموهم سلاحاً يحقق لهم فرصة وقوة على غيرهم من البشر.

وقد ذكر الحق ـ سبحانه وتعالى ـ لنا أن بعض البشر الذين استجابوا للجن قالوا:﴿ اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ ﴾[الأنعام: ١٢٨].

واستمتاع الإنس بالجن مصدره أن الإنس يأخذ قوة فوق قوة غيره من البشر، واستمتاع الجن بالإنس مصدره أنه سوف يُعين هذا الإنسان على معصيته؛ تطبيقاً لِقَسَمِ إبليس اللعين:﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾[ص: ٨٢].

ولكن هذا الاستمتاع في النهاية لا يعطي أمراً زائداً عن المقدور لكل جنس؛ ولذلك تجد أن كل مَنْ يعمل بالسحر وتسخير الجن إنما يعاني؛ مصداقاً لقول الحق سبحانه:﴿ فَزَادُوهُمْ رَهَقاً ﴾[الجن: ٦].

وأنت تجد رزق الذي يقوم بالسحر أو تسخير الجن يأتي من يد مَنْ لا يعلم السحر، ولو كان في تعلُّم ذلك ميزة فوق البشر؛ لجعل رزقه من مصدر آخر غير من لا يعلمون السحر أو تسخير الجن.

وأنت حين ترى الواحد من هؤلاء، تجد على ملامحه غَبَرَةً، وفي ذريته آفة أو عيباً، فمنهم مَنْ هو أعور أو أكتع أو أعرج؛ لأنه أراد أن يأخذ فرصة في الحياة أكثر من غيره من البشر؛ بواسطة الجن، وهذه الفرصة تزيده رهقاً؛ ولذلك فليلزم كل إنسان أدبه وقدره الذي شاءه الله ـ سبحانه وتعالى ـ له؛ فلا يفكر في أخذ فرصة تزيد من رهقه.

ونحن نرى في البشر مَنْ يستخدم صاحب القوة الجسدية أو قدرة تصويب السلاح؛ ليُرهِب غيره، وقد ينجح في ذلك مرة أو أكثر، ثم ينقلب هذا (**الفتوَّة**) أو ذلك القاتل المأجور على مَنْ استأجره.

إذن: فلا بد أن يحترم كل إنسان قَدَر الله ـ سبحانه وتعالى ـ في نفسه، وألاّ يأخذ فرصة من جنس آخر؛ يظن أنها تزيده في دنياه شيئاً، لكنها في الواقع ستزيده تعباً وتزيده رهقاً.

ولذلك نجد الحق ـ سبحانه وتعالى ـ يقول عنهم:﴿ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا الَّذِي أَجَّلْتَ لَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ ﴾[الأنعام: ١٢٨].

وهكذا نرى أن مصير الاستمتاع بقوة الجن هو النار للإنس الذي استخدم الجن، وللجن الذي أغوى الإنس.

ثم يعرض لنا الحق ـ سبحانه وتعالى ـ قضية أخرى في هذه المسألة؛ فيقول سبحانه:﴿ الأَخِلاَّءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلاَّ الْمُتَّقِينَ ﴾[الزخرف: ٦٧].

والأخلاء: هم الجماعة التي يجمع أفرادها صحبة ومودَّة، ويتخلّل كل منهم حياة الآخر. وأنت تجد الناس صنفين: أناساً اتخذوا الخُلَّة في الله تعالى، فيذهبون إلى المساجد، ويستذكرون العلم، ولا يأكلون إلا من حلال، ويقرأون القرآن، وإن همَّ واحد منهم بمعصية وجد من صديقه ما يردّه عن المعصية، ويحجّون إلى بيت الله الحرام، ويعتمرون، وتدور حياتهم في إطار حديث المصطفى صلى الله عليه وسلم: " رجلان تحابّا في الله اجتمعا عليه وتفرَّقا عليه " وهذا لون من الخُلَّة.

واللون الآخر يضم أناساً يساعد بعضهم البعض على المعصية، ويشربون الخمر، ويلعبون الميسر، ويفعلون كل المعاصي، فإذا جاء يوم القيامة يقابلون حكم الله تعالى:﴿ لاَّ بَيْعٌ فِيهِ وَلاَ خُلَّةٌ ﴾[البقرة: ٢٥٤].

فلا خُلَّة إلا خُلَّة اللقاء في الله تعالى، فإذا التقى الأخلاء في الله تعالى فرحوا ببعضهم؛ لأن كلاً منهم حمى أخاه من معصية، أما من كانوا يجتمعون في الدنيا على المعصية، فكل منهم يلعن الآخر، ويصدق حكم الله سبحانه وتعالى:﴿ الأَخِلاَّءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلاَّ الْمُتَّقِينَ ﴾[الزخرف: ٦٧].

ولذلك نجد الحوار بين الذين استضعفوا والذين استكبروا، ونجد الحق سبحانه وتعالى يأتي لنا بهذا الحوار في القرآن:﴿ فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُواْ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُمْ مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِن شَيْءٍ ﴾[إبراهيم: ٢١].

فيرد الآخرون:﴿ لَوْ هَدَانَا اللَّهُ لَهَدَيْنَاكُمْ سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَجَزِعْنَآ أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ ﴾[إبراهيم: ٢١].

وبعد ذلك يأتي اعتراف الشيطان الذي يقول عنه الحق سبحانه:

﴿ وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِّن سُلْطَانٍ إِلاَّ أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلاَ تَلُومُونِي وَلُومُواْ أَنفُسَكُمْ مَّآ أَنَاْ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُمْ بِمُصْرِخِيَّ ﴾[إبراهيم: ٢٢].

وهذا الحوار هو الذي يكشف لنا ما سوف يحدث يوم القيامة، ونجد الحق سبحانه يقول:

﴿ كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلإِنسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ... ﴾[الحشر: ١٦].

هذه كلها لقطات من مشاهد يوم القيامة، جاءت في خواطرنا ونحن نتناول قول الحق سبحانه: ﴿ فَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيداً بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِن كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَافِلِينَ ﴾ [يونس: ٢٩].

هكذا يعلن كل مَنْ عُبد من الملائكة أو الرسل أو الأصنام، وبذلك تتم فضيحة الذين عبدوهم من دون الله سبحانه ويأخذون طريقهم إلى النار.

ولذلك نجد الحق سبحانه يقول:﴿ احْشُرُواْ الَّذِينَ ظَلَمُواْ وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُواْ يَعْبُدُونَ ﴾[الصافات: ٢٢].

ولنتنبه هنا إلى أن الأزواج متقدمون في الإغواء والتوجيه إلى الشر، قبل الأعداء؛ لأن الزوج أو الزوجة قد يكون هو الشيطان الملازم الذي يُهيِّيء الانحراف إلى ما يريد.

ونجد الحق سبحانه يقول بعد ذلك:﴿ وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَّسْئُولُونَ ﴾[الصافات: ٢٤].

ومثلها مثل قوله سبحانه: ﴿ مَكَانَكُمْ ﴾ نفهم من ذلك أنهم كانوا معاً في الدنيا وهي دار الاختبار، وهم الآن في دار جبرية الاقتدار؛ لذلك يقول الحق سبحانه:

﴿ وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَّسْئُولُونَ * مَا لَكُمْ لاَ تَنَاصَرُونَ * بَلْ هُمُ الْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ * وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ * قَالُواْ إِنَّكُمْ كُنتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ ﴾[الصافات: ٢٤-٢٨].

أي: كنتم تستعملون قوتكم؛ لتجعلونا نتبعكم، فلا يظنن ظانٌّ أنها قوة البطش فقط، أو قوة التذليل، بل المقصود بذلك أيّ قوة، حتى وإن كانت قوة الإغواء.

إذن: فالمواقف مفضوحة، وهذا لون ومقدمة من ألوان العذاب؛ ليبين الله ـ سبحانه وتعالى ـ صدقه في قوله:﴿ الأَخِلاَّءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلاَّ الْمُتَّقِينَ ﴾[الزخرف: ٦٧].

وشاء الحق سبحانه ذلك؛ ليبين لنا كيف يختار الإنسان خليله في الدنيا، فلا يختار الخليل الذي يزيّن الخطأ والمعصية، بل يختار الذي يعينه على الطاعة.

ويذكر الحق سبحانه موقفاً من مواقف يوم القيامة فيقول سبحانه:

﴿ وَقَال الَّذِينَ كَفَرُواْ رَبَّنَآ أَرِنَا الَّذَيْنِ أَضَلاَّنَا مِنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ الأَسْفَلِينَ ﴾[فصلت: ٢٩].

هكذا يكون حال الذين ضلُّوا يوم القيامة، يتبرأون ممن أوقفهم هذا الموقف بل يطلبون من أضلهم لإيقاع العذاب بهم بأنفسهم؛ لذلك يقول الحق سبحانه في الآية التي نحن بصدد خواطرنا عنها: ﴿ فَكَفَىا بِاللَّهِ شَهِيداً بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِن كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَافِلِينَ ﴾ [يونس: ٢٩].

هكذا يتبرأ الملائكة والرسول الذي عُبِدَ، وحتى الأصنام، من الذين عَبَدُوهم في الدنيا.

ويقول الحق سبحانه بعد ذلك: ﴿ هُنَالِكَ تَبْلُواْ كُلُّ نَفْسٍ مَّآ أَسْلَفَتْ ﴾

"(١).

"

والبلوغ هو الوصول إلى الغاية، وقوله تعالى:

﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ ﴾ [يوسف: ٢٢] أي: وصل إلى غايته في النُّضْج والاستواء؛ ومن كلمة " بلغ " أخذ مصطلح البلوغ؛ فتكليف الإنسان يبدأ فَوْرَ أن يبلغ أشده؛ ويصير في قدرة أن ينجب إنساناً مثله.

وحين يبلغ إنسانٌ مثل يوسف أشده، وهو قد عاش في بيت ممتليء بالخيرات؛ فهذا البلوغ إنْ لم يكُنْ محروساً بالحكمة والعلم؛ ستتولد فيه رعونة؛ ولهذا فقد حرسه الحق بالحكمة والعلم.

والحُكْم هو الفيصل بين قضيتين متعاندتين متعارضتين؛ حق وباطل؛ وما دام قد أعطاه الله الحُكْم، فهو قادر على أن يفصل بين الصواب والخطأ.

وقد أعطاه الله العلم الذي يستطيع أن ينقله إلى الغير، والذي سيكون منه تأويل الرؤى، وغير ذلك من العلم الذي سوف يظهر حين يولى على خزانة مصر.

إذن: فهنا بلغ يوسف أشده وحرسه الحق بالحكمة والعلم. ويُذيّل الحق سبحانه هذه الآية بقوله:

﴿ وَكَذالِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴾ [يوسف: ٢٢].

وكل إنسان يُحسِن الإقامة لِمَا هو فيه؛ يعطيه الله ثمرة هذا الحُسْن، والمثل: حين لا يتأبى فقير على قَدَرِ الله أن جعله فقيراً، ويحاول أن يُحسن ويُتقِن ما يعمل، فيوضح الله بحُسْن الجزاء: أنت قبلت قدري، وأحسنت عملك؛ فخُذْ الجزاء الطيب. وهذا حال عظماء الدنيا كلهم.

---

(١) تفسير الشعراوي، ا ص/١٣٨٠

وهكذا نجد قول الحق سبحانه:

﴿ وَكَذٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴾ [يوسف: ٢٢].

لا ينطبق على يوسف وحده؛ بل على كل مَنْ يحسن استقبال قَدَرِ الله؛ لأنه سبحانه ساعة يأتي بحُكْم من الأحكام؛ وبعد ذلك يعمِّم الحكم؛ فهذا يعني أن هذا الحكم ليس خاصاً بل هو عام.

وإذا كان الحق سبحانه يورد هذا في مناسبة بعينها، فإنه يقرر بعدها أن كل مُحْسِن يعطيه الله الحُكْم والعلم.

وقول الحق سبحانه:

﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ.. ﴾ [يوسف: ٢٢].

يوحي لنا أن يوسف عليه السلام كان قد بلغ مرحلة **الفتوة**، وهنا بدأت متاعبه في القَصْر، ففي طفولته نظرتْ إليه امرأة العزيز كطفل جميل؛ فلم يكُنْ يملك ملامح الرجولة التي تهيج أنوثتها.

أما بعد البلوغ فنجد حالها قد تغيَّر، فقد بدأت تدرك مفاتنه؛ وأخذ خيالها يسرح فيما هو أكثر من الإدراك، وهو التهاب الوجدان بالعاطفة المشبوبة، وما بعد الإدراك والوجدان يأتي النزوع.

ولو كانت محجوبة عنه؛ لما حدثت الغواية بالإدراك والوجدان.

وهذا يعطينا عِلَّة غَضِّ البصر عن المثيرات الجنسية؛ لأنك إنْ لم تغضّ البصر أدرَكتَ، وإن أدركتَ وجدتَ، وإن وجدتَ نزعتَ إلى الزواج أو التعفف بالكبْت في النفس، وتعيش اضطراب القلق والتوتر، وإن لم تتعفف عربدتَ في أعراض الناس.

وكذلك أمرنا الحق سبحانه ألا تُبدِي النساء زينتهن إلا لأناس حددهم الحق سبحانه في قوله تعالى:﴿ وَلاَ يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىا جُيُوبِهِنَّ وَلاَ يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَآئِهِنَّ أَوْ آبَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَآئِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُوْلِي الإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُواْ عَلَىا عَوْرَاتِ النِّسَآءِ.. ﴾[النور: ٣١].

أي: الذي بلغ من العمر والشيخوخة حداً لا يجعله يفكر في الرغبة في النساء.

وكانت نظرة امرأة العزيز إلى يوسف عليه السلام وهو في فتوته، بعد أن بلغ أَشُدَّه نظرةً مختلفة، يوضحها الله تعالى في قوله: ﴿ وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ... ﴾.

(١) ".

"

أي: اذكر جيداً يوم نُسيِّر الجبال وتنتهي هذه الدنيا، واعمل الباقيات الصالحات لأننا سنُسيّر الجبال التي تراها ثابتة راسخة تتوارث الأجيال حجمها وجِرْمها، وقوتها وصلابتها، وهي باقية على حالها.

(١) تفسير الشعراوي، ١ ص/١٦٠٥

ومعنى تسيير الجبال: إزالتها عن أماكنها، كما قال في آية أخرى:﴿ وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَاباً ﴾[النبأ: ٢٠]

وقال في آية أخرى﴿ وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ ﴾[التكوير: ٣]

وقال:﴿ وَإِذَا الْجِبَالُ نُسِفَتْ ﴾[المرسلات: ١٠] وقال:﴿ يَوْمَ تَكُونُ السَّمَآءُ كَالْمُهْلِ * وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ ﴾[المعارج: ٨-٩]

ونلحظ أن الحق سبحانه ذكر أقوى مظهر ثابت في الحياة الدنيا، وإلا ففي الأرض أشياء أخرى قوية وثابتة كالعمائر ناطحات السحاب، والشجر الكبير الضخم المعمّر وغيرها كثير. فإذا كان الحق سبحانه سينسف هذه الجبال ويُزيلها عن أماكنها، فغيرها مما على وجه الأرض زائل من باب أَوْلَى.

ثم يقول سبحانه: ﴿ وَتَرَى الأَرْضَ بَارِزَةً ﴾ [الكهف: ٤٧]

الأرض: كُلّ ما أقلَّك من هذه البسيطة التي نعيش عليها، وكل ما يعلوك ويُظِلُّك فهو سماء، ومعنى: ﴿ بَارِزَةً ﴾ البَرَازُ: هو الفضاء، أي: وترى الأرض فضاءً خالية مما كان عليها من أشكال الجبال والمباني والأشجار، حتى البحر الذي يغطي جزءاً كبيراً من الأرض.

كل هذه الأشكال ذهبتْ لا وجودَ لها، فكأن الأرض بَرزَتْ بعد أنْ كانت مختبئة: بعضها تحت الجبال، وبعضها تحت الأشجار، وبعضها تحت المباني، وبعضها تحت الماء، فأصبحتْ فضاء واسعاً، ليس فيه مَعْلَمٌ لشيء.

ومن ذلك ما نُسمِّيه نحن المبارزة، فنرى **الفتوة** يقول للآخر (اطلع لي بره) أي: في مكان خال حتى لا يجد شيئاً يحتمي به، أو حائطاً مثلاً يستند عليه، وبرز فلان لفلان وبارزه أي: صارعه.

﴿ وَحَشَرْنَاهُمْ ﴾ [الكهف: ٤٧] أي: جمعناهم ليوم الحساب؛ لأنهم فارقوا الدنيا على مراحل من لَدُن آدم عليه السلام، والموت يحصد الأرواح، وقد جاء اليوم الذي يُجمع فيه هؤلاء.

﴿ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَداً ﴾ [الكهف: ٤٧] أي: لم نترك منهم واحداً، الكلُّ معرض على الله، وكلمة ﴿ نُغَادِرْ ﴾ [الكهف: ٤٧] ومادة (غدر) تؤدي جميعها معنى الترْك، فالغدر مثلاً تَرْك الوفاء وخيانة الأمانة، حتى غدير وهو جدول الماء الصغير سُمِّي غديراً؛ لأن المطر حينما ينزل على الأرض يذهب ويترك شيئاً قليلاً في المواطئ.

ثم يقول الحق سبحانه: ﴿ وَعُرِضُواْ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفَّاً لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ... ﴾.

(١) ".

"

﴿ لِغُلاَمَيْنِ ﴾ أي: لم يبلغا سِنَّ الرشْد، وفوق ذلك هما يتيمان.

وكان تحت هذا الجدار المائل كَنْز لهذين الغلامين الغير قادرين على تدبير شأنهما، ولك أنْ تتصوّر ما يحدث لو تهدَّم الجدار، وانكشف هذا الكنز، ولمع ذهبه أمام عيون هؤلاء القوم الذين عرفت صفاتهم، وقد منعوهما الطعام بل ومجرد المأْوى،

---

(١) تفسير الشعراوي، ا ص/٢١٧١

إنَّ أقل ما يُوصفون به أنهم لِئَام لا يُؤتمنون على شيء. ولقد تعوَّدنا أن نعبر عن شدة الضياع بقولنا: ضياع الأيتام على موائد اللئام.

إذن: فلا شَكَّ أن ما قام به العبد الصالح من بناء الجدار وإقامته أو ترميمه يُعَدُ بمثابة صَفْعة لهؤلاء اللئام تناسب ما قابلوهم به من تنكُّر وسوء استقبال، وترد لهم الصَّاع صاعين حين حرمهم الخضر من هذا الكنز.

فعلَّة إصلاح الجدار ما كان تحته من مال يجب أنْ يحفظ لحين أنْ يكبُرَ هذان الغلامان ويتمكنا من حفظه وحمايته في قرية من اللئام. وكأن الحق سبحانه وتعالى أرسله لهذين الغلامين في هذا الوقت بالذات، حيث أخذ الجدار في التصدُّع، وظهرت عليه علامات الانهيار ليقوم بإصلاحه قبل أنْ يقع وينكشف أمر الكنز وصاحبيه في حال الضعف وعدم القدرة على حمايته.

ثم إن العبد الصالح أصلح الجدار وردَّه إلى ما كان عليه رَدَّ مَنْ علَّمه الله من لَدُنْه، فيقال: إنه بنَاهُ بناءً موقوتاً يتناسب وعُمْرَ الغلامين، وكأنه بناه على عمر افتراضي ينتهي ببلوغ الغلامين سِنَّ الرشْد والقدرة على حماية الكنز فينهار. وهذه في الواقع عملية دقيقة لا يقدر على حسابها إلا مَنْ أُوتِي علماً خاصاً من الله تعالى.

ويبدو من سياق الآية أنهما كانا في سِنٍّ واحدة توأمين لقوله تعالى: ﴿ فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا.. ﴾ [الكهف: ٨٢] أي: سوياً، ومعنى الأشُدّ: أي القوة، حيث تكتمل أجهزة الجسم وتستوي، وأجهزة الجسم تكتمل حينما يصبح المرء قادراً على إنجاب مثله.

وتلاحظ أن الحق ـ سبحانه وتعالى ـ قال هنا: ﴿ يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا.. ﴾ [الكهف: ٨٢] ولم يقُلْ رُشْدهما، لأنْ هناك فرْقاً بين الرُّشْد والأَشُدّ فالرُّشْد: حُسْن التصرُّف في الأمور، أما الأشُدَّ: فهو القوة، والغلامان هنا في حاجة إلى القوة التي تحمي كَنْزهما من هؤلاء اللئام فناسب هنا ﴿ أَشُدَّهُمَا.. ﴾ [الكهف: ٨٢]

ثم يقول تعالى: ﴿ وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ.. ﴾ [الكهف: ٨٢] أي: يستخرجاه بما لديهما من القوة والفُتوَّة. والرحمة: صفة تُعطَى للمرحوم لتمنعه من الداء، كما في قوله تعالى:﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ.. ﴾[الإسراء: ٨٢] فقوله: شفاء: أي: يشفي داءً موجوداً ويُبرئه. ورحمة: أي رحمة تمنع عودة الداء مرة أخرى.

وكذلك ما حدث لهذين الغلامين، كان رحمة من الله لحماية مالهما وحِفْظ حقِّهما، ثم لم يَفُتْ العبد الصالح أنْ يُرجِع الفضل لأهله، وينفي عن نفسه الغرور بالعلم والاستعلاء على صاحبه، فيقول: ﴿ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي.

. ﴾ [الكهف: ٨٢] أي: أن ما حدث كان بأمر الله، وما علَّمتك إياه كان من عند الله، فليس لي مَيْزة عليك، وهذا درس في أَدب التواضع ومعرفة الفضْل لأهله.

ثم يقول: ﴾ ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْراً ﴿ [الكهف: ٨٢] تأويل: أي إرجاع الأمر إلى حقيقته، وتفسير ما أشكل منه.

***

بعد ذلك تنتقل الآيات إلى سؤال آخر من الأسئلة الثلاثة التي سألها كفار مكة لرسول الله بإيعاز من اليهود، وهو السؤال عن الرجل الطَّواف الذي طاف البلاد: ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَن ذِي الْقَرْنَيْنِ.. ﴾.

." (١)

"

في حالة إذا لم ننكح الأيامى، ولم نُعِنهم على الزواج، ولم يقدروا هم على القيام بنفقاته يصف لهم الحق – سبحانه وتعالى – العلاج المناسب، وهو الاستعفاف، وقد طلب الله تعالى من المجتمع الإسلامي سواء – تمثَّل في أولياء الأمور أو في المجتمع العام – أن ينهض بمسألة الأيامى، وأنْ يعينهم على الزواج، فإنْ لم يقُمْ المجتمع بدروه، ولم يكُنْ لهؤلاء الأيامى قدرة ذاتية على الزواج، فليستعفف كل منهم حتى يغنيهم الله، مما يدل على أن التشريع يبني أحكامه، ويُراعي كل الأحوال، سواء أطاعوا جميعاً أو عَصَوْا جميعاً.

وقوله تعالى: ﴿ وَلْيَسْتَعْفِفِ.. ﴾ [النور: ٣٣] يعني: يحاول العفاف ويطلبه ويبحث عن أسبابه، يجاهد أن يكون عفيفاً، وأول أسباب العفاف أن يغضَّ بصره حين يرى، فلا يوجد له مُهيِّج ومثير، فإنْ وجد في نفسه فُتوة وقوة فعلية أن يُلجمها ويُضعِفها بالوسائل الشرعية كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: " ما معشر الشباب مَنِ استطاع منكم الباءة – يعني: نفقات الحياة الزوجية – فليتزوج، ومن لم يجد فعليه بالصوم فإنه له وجاء ".

والصوم يعمل على انكسار هذه الشهوة ويُهدِّيء من شراسة الغريزة؛ ذلك لأنه يأكل فقط ما يقيم أَوْدَه، ولا يبقى في بدنه ما يثير الشهوة، كما جاء في الحديث الشريف: " بحسب ابن آدم لقيمات يُقِمْنَ صُلْبه... ".

أو: أن يُفرّغ الشاب نفسه للعمل النافع المفيد الذي يشغله ويستنفد جَهْده وطاقته، التي إن لم تصرف في الخير صرفت في الشر، وبالعمل يثبت الشاب ذاته، ويثق بنفسه، ويكتسب الحلال الذي يُشجِّعه مع الأيام على الزواج وتحمُّل مسئولياته.

لذلك قال تعالى: ﴿ وَلْيَسْتَعْفِفِ.. ﴾ [النور: ٣٣] ولم يقُلْ: وليعف، فالمعنى ليسلك سبيل الإعفاف لنفسه وليسْعَ إليه، بأن يمنع المهيّج بالنظر ويُهدئ شراسة الغريزة بالصوم، أو بالعمل فيشغل وقته ويعود آخر النهار متعباً يريد أن ينام ليقوم في الصباح لعمله نشيطاً، وهكذا لا يجد فرصة لشيء مما يغضب الله.

ومعنى: ﴿ الَّذِينَ لاَ يَجِدُونَ نِكَاحاً.. ﴾ [النور: ٣٣] أي: بذواتهم قدرة أو بمجتمعهم معونة.

وقوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ.. ﴾ [النور: ٣٣] يدل على أن الاستعفاف وسيلة من وسائل الغنى؛ لأن الاستعفاف إنما نشأ من إرادة التقوى، وقد قال تعالى في قضية قرآنية:﴿ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجاً * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَحْتَسِبُ ﴾[الطلاق: ٢ – ٣] فمن هذا الباب يأتيه غِنَى الله.

ثم يقول الحق سبحانه وتعالى: ﴿ وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْراً وَآتُوهُمْ مِّن مَّالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ.. ﴾ [النور: ٣٣].

---

(١) تفسير الشعراوي، ١ ص/٢٢٠٦

الكتاب: معروف أنه اجتماع عدة أشياء مكتوبة في ورق، والمراد هنا المكاتبة، وهي أن تكتب عَقْداً بينك وبين العبد المملوك، تشترط فيه أن يعمل لك كذا وكذا بعدها يكون حراً، إنْ أدَّى ما ذكر في عَقْد المكاتبة.

﴿ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْراً.. ﴾ [النور: ٣٣] يعني: إنْ كانت حريتهم ستؤدي إلى خير كأنْ ترفع عنهم ذِلَّة العبودية، وتجعلهم ينشطون في الحياة نشاطاً يناسب مواهبهم.

لذلك جعل الحق - سبحانه وتعالى - هذه المكاتبة مَصْرفاً من مصارف الزكاة، فقال تعالى:﴿ وَفِي الرِّقَابِ.. ﴾[البقرة: ١٧٧] يعني: المماليك الذين نريد أنْ نفكَّ رقابهم من أَسْر العبودية وذُلِّها بالعتق، وإنْ كان مال الزكاة يُدفع للفقراء وللمساكين.. إلخ ففي الرقاب يدفع المال للسيد ليعتق عبده.

كما جعل الإسلام عِتْق الرقاب كفارةً لبعض الذنوب بين العبد وبين ربه؛ ذلك لأن الله تعالى يريد أن يُنهي هذه المسألة.

﴿ وَآتُوهُمْ مِّن مَّالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ.. ﴾ [النور: ٣٣].

الحق - تبارك وتعالى - هو الرازق، والمال في الحقيقة مال الله، لكن إنْ ملّكك وطلب منك أن تعطي أخاك الفقير يحترم ملكيتك، ولا يعود سبحانه في هِبَته لك؛ لذلك يأخذ منك الصدقة على أنها قَرْض لا يردُّه الفقير، إنما يتولى ربك عز وجل رَدَّه، فيقول:﴿ مَّن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً.. ﴾[البقرة: ٢٤٥] ولم يقُلْ سبحانه: يقرض فلاناً، وإنما يُقرِض الله لأنه تعالى هو الخالق، ومن حق عبده الذي استدعاه للوجود أنْ يرزقه ويتكفّل له بقُوته.

واحترام الملكية يجعل الإنسان مطمئناً على آثار حركة حياته وثمره جهده، وأنها ستعود عليه، وإلاّ فما الداعي للعمل ولبذل المجهود إنْ ضاعت ثمرته وحُرِم منها صاحبها؟ عندها ستتعطل مصالح كثيرة وسيعمل الفرد على قَدْر حاجته فحسب، فلا يفيض عنه شيء للصدقة.

ثم يقول سبحانه: ﴿ وَلاَ تُكْرِهُواْ فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَآءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّناً لِّتَبْتَغُواْ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَن يُكْرِههُنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِن بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [النور: ٣٣].

يُقَال للمملوك: فتى، وللمملوكة: فتاة، فقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم أن يقول الرجل: عبدي وأَمَتي إنما يقول: فتاي وفتاتي، فهذه التسمية أكرم لهؤلاء وأرفع، فالفتى من **الفُتوّة** والقوة كأنك تقول: هذا قوتي الذي يساعدني ويعينني على مسائل الحياة، فالنبي صلى الله عليه وسلم يريد أن يرفع من شأنهم.

ومن هؤلاء جماعة المماليك الذين حكموا مصر في يوم من الأيام، وكانوا من أبناء الملوك والسلاطين والأعيان.

والبغاء ظاهرة جاء الإسلام فوجدها منتشرة، فكان الرجل الذي يملك مجموعة من الإماء ينصب لهُنّ راية تدل عليهن، ويأتيهن الشباب ويقبض هو الثمن، ومن هؤلاء عبد الله بن أبيّ بن سلول رأس النفاق، وكان عنده (مسيكة، ومعاذه) وفيه نزلت هذه الآية.

وتأويل الآية: لا تُكرِهوا الإماء على البغاء، وقد كُنَّ يبكين، ويرفضْنَ هذا الفعل، وكُنَّ يؤذيْنَ ويتعرضْنَ للغمز واللمز، ويتجرأ عليهن الناس، وكان من هؤلاء الإماء بنات ذوات أصول طيبة شريفة، لكن ساقتهن الأقدار إلى السَّبْي في الحروب أو خلافه، في حين أن الحرة العفيفة تسير لا يتعرض لها أحد بسوء.

ومعنى: ﴿ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّناً.. ﴾ [النور: ٣٣] يتكلم القرآن هنا عن الواقع بحيث إنْ لم يُرِدْن تحصُّناً فلا تُكرهوهُنَّ ﴿ لِّتَبْتَغُواْ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا.. ﴾ [النور: ٣٣] طلباً للقليل من المال الزائل ﴿ وَمَن يُكْرِههُنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِن بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [النور: ٣٣] لأنهن في حالة الإكراه على البغاء يفقدن شرط الاختيار، فلا يتحملن ذنب هذه الجريمة، عملاً بالحديث النبوي الشريف: " رُفِع عن أمتي: الخطأ والنسيان وما استُكرِهوا عليه ".

لذلك يُطمئِن الحق – تبارك وتعالى – هؤلاء اللاتي يُرِدْنَ التحصُّن والعفاف، لكن يكرههن سيدهن على البغاء، ويُرغمهن بأيِّ وسيلة: اطمئنن فلا ذنبَ لَكُنَّ في هذه الحالة، وسوف يُغفر لَكُنَّ والله غفور رحيم.

ثم يقول الحق سبحانه: ﴿ وَلَقَدْ أَنْزَلْنَآ إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُّبَيِّنَاتٍ وَمَثَلاً مِّنَ الَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُمْ.. ﴾.

". (١)

"

المسرف: هو الذي يتجاوز الحدّ؛ وتجاوز الحدِّ له مراحل؛ لأن الله تعالى أحلَّ أشياء، وحرّم أشياء، وجعل لكل منهما حدوداً مرسومة، فالسَّرَف فيما شرع الله أن تتجاوز الحلال، فتُدخل فيه الحرام.

أو: يأتي الإسراف في الكَسْب فيدخل في كَسْبه الحرام. وقد يُلزم الإنسان نفسه بالحلال في الكسب، لكن يأتي الإسراف في الإنفاق فينفق فيما حرَّمه الله. إذن: يأتي الإسراف في صور ثلاثة: إما في الأصل، وإما في الكسب، وإما في الإنفاق.

ونلحظ أن الحق . تبارك وتعالى . حينما يكلمنا عن الحلال، يقول سبحانه:﴿ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلاَ تَعْتَدُوهَا ﴾[البقرة: ٢٢٩].

أما في المحرمات فيقول سبحانه:﴿ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلاَ تَقْرَبُوهَا ﴾[البقرة: ١٨٧] أي: ابتعد عنها؛ لأنك لا تأمن الوقوع فيها، ومَنْ حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه. فلم يقل الحق سبحانه مثلاً: لا تُصَلُّوا وأنتم سكارى. إنما قال:﴿ لاَ تَقْرَبُواْ الصَّلاَةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَىا ﴾[النساء: ٤٣].

والمعنى: خُذِ الحلال كله، لكن لا تتعداه إلى المحرَّم، أما المحرَّم فاحذر مجرد الاقتراب منه؛ لأن له دواعي ستجذبك إليه.

---

(١) تفسير الشعراوي، ١ ص/٢٧٩٦

ونقف عند قوله تعالى: ﴿ وَلاَ تُطِيعُواْ أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ ﴾ [الشعراء: ١٥١] حيث لم يقل: ولا تسرفوا، وكأن ربنا ـ عزّ وجلّ ـ يريد أن يُوقِظ غفلتنا ويُنبِّهنا ويُحذِّرنا من دعاة الباطل الذين يُزيّنون لنا الإسراف في أمور حياتنا، ويُهوّنون علينا الحرام يقولون: لا بأس في هذا، ولا مانع من هذا، وهذا ليس حرام. ربنا يعطينا المناعة اللازمة ضد هؤلاء حتى لا ننساق لضلالاتهم.

لذلك جاء في الحديث الشريف: " استفت قلبك، واستفتِ نفسك، وإنْ أفتوك، وإنْ أفتوك، وإنْ أفتوك ".

وفي هذا دليل على أنه سيأتي أناس يُفتون بغير علم، ويُزيّنون للناس الباطل، ويُقنعونهم به. والفتوى من الفُتوة القوة، ومنه قوله تعالى:﴿ قَالُواْ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ ﴾[الأنبياء: ٦٠].

وقوله تعالى:﴿ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُواْ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ﴾[الكهف: ١٣].

كذلك الفتوى تعني: القوة في أمر الدين والتمكُّن من مسائله وقضاياه، وإنْ كانت القوة المادية في أمر الدنيا لها حَدٌّ تنتهي عنده فإنْ القوة في أمر الدين لا تنتهي إلى حَدٍّ، لأن الدين أمدُه واسع، وبحره لا ساحلَ له. والقوة نعرفها في أي ناحية من النواحي، لكن قوة القوى هي القوة في أمر الدين.

نقول: فلان فتيٌّ يعني: قويٌّ بذاته، وأفتاه فلان أي: أعطاه القوة، كأنه كان ضعيفاً في حُكم من أحكام الشرع، فذهب إلى المفتي فأفتاه يعني: أعطاه فتوة في أمر الدين. مثل قولنا: غَنيَ فلان أي: بذاته، وأغناه أي: غيره، كما يقول سبحانه:﴿ وَمَا نَقَمُواْ إِلاَّ أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِن فَضْلِهِ ﴾[التوبة: ٧٤].

إذن: فمهمة المفتي أن يُقوِّي عقيدتي، لا أن يسرف لي في أمر من أمور الدين، أو يُهوِّن عليَّ ما حرّم الله فيُجرِّئني عليه، وعلى المفتي أن يتحرَّى الدقة في فتواه خاصة في المسائل الخلافية التي يقول البعض بحِلِّها، والبعض بحرمتها، يقف عند هذه المسائل وينظر فيها رأي الإسلام المتمثل في الحديث الشريف:

" الحلال بيِّن، والحرام بيِّن، وبينهما أمور مُشْتبهات، فمن ترك ما شُبِّه له ـ لا من فعل ما شُبِّه له يعني على الأقل نترك ما فيه شبهة ـ فقد استبرأ لدينه ـ إن كان متديناً ـ وعِرْضه ـ إن لم يكُنْ متديناً ".

إذن: مَنْ لم يقف هذا الموقف ويترك ما فيه شبهة لم يستبرىء لدينه ولا لعِرْضه. ومَنْ لم يُفْتِ على هذا الأساس من العلماء فإنما يُضعِف أمر الدين لا يُقوّيه، وبدل أن نقول: أفتاه. نقول: أضعفه.

(١) ".

"

سبق أن تكلمنا في معنى الفتوى، وأنها من الفُتوة أي: القوة، وهي مثل: غَنِيَ فلان أي: صار غنياً بذاته، وأغناه غيره أمدَّه بالغنى، كذلك أفتاه يعني: أعطاه قوة في الحكم والحجة.

---

(١) تفسير الشعراوي، ا ص/٣٠٣٣

وقالت: ﴿ فِي أَمْرِي ﴾ [النمل: ٣٢] مع أن الأمر خاصٌّ بالدولة كلها، لا بها وحدها؛ لأنها رمز للدولة وللملْك، وإنْ تعرض لها سليمان فسوف يُخدش مُلْكها أولاً، ويُنال من هيبتها قبل رعيتها.

﴿ مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْراً حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ ﴾ [النمل: ٣٢] يعني: لا أَبُتُّ في أمر إلا في حضوركم، وبعد استشارتكم. وهذا يدل على أنها كانت تأخذ بمبدأ الشورى رغم ما كان لها من الملْك والسيطرة والهيمنة.

فردّ عليها الملأ من قومها: ﴿ قَالُواْ نَحْنُ أُوْلُو قُوَّةٍ ﴾

(١) ".

"

فلم يتكلم عن قارون وجزائه في الآخرة، إنما يجعله مثَلاً وعِبرة واضحة في الدنيا لكل مَنْ لم يؤمن بيوم القيامة لعلَّه يرتدع.

والنبي صلى الله عليه وسلم اضطهده كفار قريش، ووقفوا في وجه دعوته، وآذوْا صحابته، حتى أصبحوا غير قادرين على حماية أنفسهم، ومع ذلك ينزل القرآن على رسول الله يقول:﴿ سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ ﴾[القمر: ٤٥].

فيتعجب عمر رضي الله عنه: أيُّ جمع هذا؟ فنحن غير قادرين على حماية أنفسنا، فلما وقعتْ بدر وانهزم الكفار وقُتِلوا. قال عمر: نعم صدق الله﴿ سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ ﴾[القمر: ٤٥].

لذلك يقولون: لا يموت ظالم في الدنيا حتى ينتقم الله منه، ولم يَرَ الناس فيه ما يدل على انتقام الله منه تعجّبوا وقال أحدهم: لا بُدَّ أن الله انتقم منه دون أن نشعر، فإنْ أفلتَ من عذاب الدنيا، فوراء هذه الدار أخرى يعاقب فيها المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته، وعَدْل الله – عز وجل – يقتضي هذه المحاسبة.

والحق – تبارك وتعالى – يجعل من قارون عبرةً لكل مَنْ لا يؤمن بالآخرة ليخاف من عذاب الله، ويحذر عقابه، والعبرة هنا بمَنْ؟ بقارون رأس من رؤوس القوم، وأغنى أغنيائهم، **والفتوة** فيهم، فحين يأخذه الله يكون في أَخْذه عبرة لمن دونه.

وحدَّثونا أن صديقاً لنا كان يعمل بجمرك الأسكندرية، فتجمّع عليه بعض زملائه من الفتوات الذين يريدون فَرْضَ سيطرتهم على الآخرين، فما كان منه إلا أنْ أخذ كبيرهم، فألقاه في الأرض، وعندها تفرَّق الآخرون وانصرفوا عنه.

ومن هذا المنطلق أخذ الله تعالى قارون، وهو **الفتوة**، ورمز الغِنى والجاه بين قومه، فقال تعالى: ﴿ إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ... ﴾ [القصص: ٧٦] إذن: حينما نتأمل حياة موسى عليه السلام نجده قد مُني بصناديد الكفر، فقد واجه فرعون الذي ادَّعى الألوهية، وواجه هامان، ثم موسى السامري الذي خانه في قومه في غيبته، فدعاهم إلى عبادة العجل.

(١) تفسير الشعراوي، ١ ص/٣١١٩

ومُني من قومه بقارون، ومعنى: من قومه، إما لأنه كان من رحمه من بني إسرائيل، أو من قومه يعني: الذين يعيشون معه. والقرآن لم يتعرض لهذه المسألة بأكثر من هذا، لكن المفسرين يقولون: إنه ابن عمه. فهو: قارون بن يصهر بن قاهث بن لاوي ابن يعقوب وموسى هو ابن عمران بن قاهث بن لاوي بن يعقوب.

وللمؤرخين كلام في العداوة بين موسى وقارون، قالوا: حينما سأل موسى عليه السلام ربه أنْ يشدَّ عضده بأخيه هارون، أجابه سبحانه﴿ قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يامُوسَا ﴾[طه: ٣٦] وليست هذه أول مرة بل﴿ وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىا ﴾[طه: ٣٧] وأرسل الله معه أخاه هارون؛ لأنه أفصح من موسى لساناً، وجعلهما شريكين في الرسالة، وخاطبهما معاً﴿ اذْهَبَآ... ﴾[طه: ٤٣] ليؤكد أنَّ الرسالة ليست من باطن موسى.

وإنْ رأيت الخطاب في القرآن لموسى بمفرده، فاعلم أن هارون مُلاحَظ فيه، ومن ذلك لما دعا موسى على قوم فرعون، فقال:﴿ رَبَّنَآ إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالاً فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّواْ عَن سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَا أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَا قُلُوبِهِمْ فَلاَ يُؤْمِنُواْ حَتَّىا يَرَوُاْ الْعَذَابَ الأَلِيمَ ﴾[يونس: ٨٨].

فالذي دعا موسى، ومع ذلك لما أجابه ربه قال:﴿ قَدْ أُجِيبَتْ دَّعْوَتُكُمَا... ﴾[يونس: ٨٩] وهذا دليل على أن هارون لم يكن رسولاً من باطن موسى، إنما من الحق سبحانه، وأيضاً دليل على أن المؤمِّن على الدعاء كالداعي، فكان موسى يدعو وهارون يقول: آمين.

ولما ذهب موسى لميقات ربه قال لأخيه﴿ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي... ﴾[الأعراف: ١٤٢] وفي غيبة موسى حدثتْ مسألة العجل، وغضب موسى من أخيه هارون، فلما هدأتْ بينهما الأمور حدث تخصيص في رسالة كل منهما، فأعطى هارون (الحبورة) والحَبْر: هو العالم الذي يُعَد مرجعاً، كما أُعطِي (القربان) أي: التقرب إلى الله.

وعندها غضب قارون؛ لأنه خرج من هذه المسألة صِفْر اليدين، وامتاز عنه أولاد عمومته بالرسالة والمنزلة، رغم ما كان عنده من أموال كثيرة.

ثم إن موسى – عليه السلام – طلب من قارون زكاة ماله، دينار في كل ألف دينار، ودرهم في كل ألف درهم، فرفض قارون وامتنع، بل وألَّبَ الناس ضد موسى – عليه السلام.

ثم دبَّر له فضيحة؛ ليصرف الناس عنه، حيث أغرى امرأة بغياً فأعطاها طِسْتاً بالذهب، على أن تدَّعي على موسى وتتهمه، فجاء موسى عليه السلام ليخطب في الناس، ويُبيِّن لهم الأحكام فقال: مَنْ يسرق نقطع يده، ومَنْ يزني نجلده إن كان غير محصن، ونرجمه إنْ كان محصناً، فقام له قارون وقال: فإن كنتَ أنت يا موسى؟ فقال: وإنْ كنتُ أنا.

وهنا قامت المرأة البغيُّ وقالت: هو راودني عن نفسي، فقال لها: والذي فلق البحر لَتقُولِنّ الصدق فارتعدتْ المرأة، واعترفت بما دبَّره قارون، فانفضح أمره وبدأت العداوة بينه وبين موسى عليه السلام.

وبدأ قارون في البَغْي والطغيان حتى أخذه الله، وقال في حقه هذه الآيات: ﴿ إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَا فَبَغَا عَلَيْهِمْ... ﴾ [القصص: ٧٦].

والبغي: تجاوز الحدّ في الظلم، خاصة وقد كان عنده من المال ما يُعينه على الظلم، وما يُسخِّر به الناس لخدمة أهدافه، وكأنه يمثل مركز قوة بين قومه، والبغي إما بالاستيلاء على حقوق الغير، أو باحتقارهم وازدرائهم، وإما بالبطر.

ثم يذكر حيثية هذا البغي: ﴾ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُوْلِي الْقُوَّةِ.. ﴿ [القصص: ٧٦].

كلمة (مفاتح) كما في قوله تعالى:﴿ وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ... ﴾[الأنعام: ٥٩].

ولو قلنا: مفاتح جمع، فما مفردها؟ لا تقُلْ مفتاح؛ لأن مفتاح جمعها مفاتيح، أما مفاتح، فمفردها (مَفْتح) وهي آلة الفتح كالمفتاح، وهي على وزن (مبرد) فالمعنى: أن مفاتيح خزائنه لو حملتْها عصبة تنوء بها، وهذه كناية عن كثرة أمواله، نقول: ناء به الحِمْل، أو ناء بالحمل، إذا ثقُل عليه، ونحن لا نميز الخفيف من الثقيل بالعين أو اللمس أو الشم إنما لا بُدَّ من حملة للإحساس بوزنه.

وقلنا: إن هذه الحاسة هي حاسة العَضَل، فالحملْ الثقيل يُجهد العضلة، فتشعر بالثقل، على خلاف على حملتَ شيئاً خفيفاً لا تكاد تشعر بوزنه لخفْته، ولو حاولتَ أنْ تجمع أوزاناً في حيز ضيق كحقيبة (هاندباج) فإن الثقل يفضحك؛ لأنك تنوء به.

والعُصْبة: هم القوم الذين يتعصَّبون لمبدأ من المبادئ بدون هَوىً بينهم، ومنه قول إخوة يوسف:﴿ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىا أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ... ﴾[يوسف: ٨].

إنها كلمة حق خرجت من أفواههم دون قصد منهم؛ لأنهم فعلاً كانوا قوةً متعصبين بعضهم لبعض في مواجهة يوسف وأخيه، وكانا صغيرين لا قوةَ لهما ولا شوكة، وكانوا جميعاً من أم واحدة، ويوسف وأخوه من أم أخرى، فطبيعي أن يميل قلب يعقوب عليه السلام مع الضعيف.

وقالوا: العصبة من الثلاثة إلى العشرة، وقد حددهم القرآن بقوله:﴿ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَباً.. ﴾[يوسف: ٤] وهم أخوته ومنهم بنيامين﴿ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ.. ﴾[يوسف: ٤] أي: أباه وأمه. فمن هاتين الآيتين نستطيع تحديد العصبة.

وبهذا التفكير الذي يقوم على ضم الآيات بعضها إلى بعض حَلَّ الإمام علي – رضي الله عنه – مسألة تُعدُّ معضلة عند البعض، حيث جاءه مَنْ يقول له: تزوجت امرأة وولدتْ بعد ستة أشهر، ومعلوم أن المرأة تلد لتسعة أشهر، فلا بُدَّ أنها حملت قبل أنْ تتزوج.

فقال الإمام علي: أقل الحمل ستة أشهر، فقال السائل: ومن أين تأخذها يا أبا الحسن؟ قال: نأخذها من قوله تعالى:﴿ وَفِصَالُهُ ثَلاَثُونَ شَهْراً.... ﴾[الأحقاف: ١٥] وفي آية أخرى قال سبحانه:﴿ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلاَدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ... ﴾[البقرة: ٢٣٣].

يعني: أربعة وعشرين شهراً، وبطرح الأربعة والعشرين شهراً من الثلاثين يكون الناتج ستة أشهر، هي أقل مدة للحمل. وهكذا تتكاتف آيات القرآن، ويكمل بعضها بعضاً، ومن الخطأ أن نأخذ كل آية على حدة، ونفصلها عن غيرها في ذات الموضوع.

ثم يقول سبحانه: ﴿ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لاَ تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ الْفَرِحِينَ... ﴾ [القصص: ٧٦] والنهي هنا عن الفرح المحظور، فالفرح: انبساط النفس لأمر يسرُّ الإنسان، وفَرْق بين أمر يسرُّك؛ لأنه يُمتعك، وأمر يسرُّك لأنه ينفعك، فالمتعة غير المنفعة.

فمثلاً، مريض السكر قد يأكل المواد السكرية لأنها تُحدِث له متعة، مع أنها مضرة بالنسبة له، إذن: فالفرح ينبغي أن يكون بالشيء النافع، لأن الله تعالى لم يجعل المتعة إلا في النافع.

فحينما يقولون له ﴿ لاَ تَفْرَحْ.. ﴾ [القصص: ٧٦] أي: فرح المتعة، وإنما الفرح بالشيء النافع، ولو لم تكن فيه متعة كالذي يتناول الدواء المر الذي يعود عليه بالشفاء، لذلك يقول تعالى:

﴿ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ... ﴾[يونس: ٥٨].

ويقول تعالى:﴿ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ * بِنَصْرِ اللَّهِ... ﴾[الروم: ٤-٥] فسماه الله فرحاً؛ لأنه فرح بشيء نافع؛ لأن انتصار الدعوة يعني أن مبدءك الذي آمنتَ به، وحاربت من أجله سيسيطر وسيعود عليك وعلى العالم بالنفع.

ومن فرح المتعة المحظور ما حكاه القرآن:﴿ فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلاَفَ رَسُولِ اللَّهِ... ﴾[التوبة: ٨١] هذا هو فرح المتعة؛ لأنهم كارهون لرسول الله، رافضون للخروج معه، ويسرُّهم قعودهم، وتركه يخرج للقتال وحده.

فقوله تعالى: ﴿ لاَ تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ الْفَرِحِينَ ﴾ [القصص: ٧٦] أي: فرح المتعة الذي لا ينظر إلى مَغبّة الأشياء وعواقبها، فشارب الخمر يشربها لما لها من متعة مؤقتة، لكن يتبعها ضرر بالغ، ونسمع الآن مَنْ يقول عن الرقص مثلاً؛ إنه فن جميل وفن رَاقٍ؛ لأنه يجد فيه متعة ما، لكن شرط الفن الجميل الراقي أن يظل جميلاً، لكن أنْ ينقلب بعد ذلك إلى قُبْح ويُورِث قبحاً، كما يحدث في الرقص، فلا يُعَدُّ جميلاً.

ثم يقول الحق سبحانه: ﴿ وَابْتَغِ فِيمَآ آتَاكَ... ﴾.

". (١)

"

مازالت الآيات تُحدِّثنا عن مواكب الرسالات، لكنها تتكلم عن المكذِّبين عاداً وثمود، وهنا ﴿ وَقَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ... ﴾ [العنكبوت: ٣٩] والدليل على قوله سبحانه في الآية السابقة﴿ وَكَانُواْ مُسْتَبْصِرِينَ ﴾[العنكبوت: ٣٨] قوله تعالى هنا ﴿ وَلَقَدْ جَآءَهُمْ مُّوسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ... ﴾ [العنكبوت: ٣٩] أي: بالأمور الواضحة التي لا تدع مجالاً للشك في صِدْق الحق سبحانه، وفي صِدْق الرسول في البلاغ عن الله.

---

(١) تفسير الشعراوي، ١ ص/٣٢٥٤

﴿ فَاسْتَكْبَرُواْ فِي الأَرْضِ... ﴾ [العنكبوت: ٣٩] استكبر: يعني افتعل الكِبْر، فلم يقُلْ تكبَّر، إنما استكبر كأنه في ذاته ما كان ينبغي له أنْ يستكبر؛ لأن الذي يتكبّر يتكبَّر بشيء ذاتي فيه، إنما بشيء موهوب؟ لأنه قد يسلب منه، فكيف يتكبَّر به؟

لذلك نقول للمتكبِّر أنه غفلت عينه عن مَرأى ربه في آثار خَلْقه، فلو كان ربه في باله لاستحى أنْ يتكبّر.

فالإنسان لو أنه يلحظ كبرياء ربه لَصَغُر في نفسه، ولاستحى أن يتكبَّر، كما أن المتكبر بقوته وعافيته غبي؛ لأنه لم ينظر في حال الضعيف الذي يتعالى عليه، فلربما يفوقه في شيء آخر، أو عنده عبقرية في أمر أهم من **الفتوة** والقوة، ثم ألم ينظر هذا **الفتوة** أنها مسألة عرضية، انتقلتْ إليه من غيره، وسوف تنتقل منه إلى غيره.

إذن: فقارون وفرعون وهامان لما جاءهم موسى بآيات الله الواضحات استكبروا في الأرض، وأنفوا أن يتبعوا لا بطبيعتهم وطبيعة وجود ذلك فيهم، إنما افتعالاً لغير حق ﴿ وَمَا كَانُواْ سَابِقِينَ ﴾ [العنكبوت: ٣٩] فنفى عنهم أن يكونوا سابقين، كما قال سبحانه:﴿ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴾[الواقعة: ٦٠].

والسبق لا يُمدح ولا يُذم في ذاته، لكن بنتيجته: إلى أيِّ شيء سبق؟ كما نسمع الآن يقولون: فلان رجعي، والرجعية لا تُذَم في ذاتها، وربما كان الإنسان مُسْرفاً على نفسه، ثم رجع إلى منهج ربه، فنِعمْ هذه الرجعية، فالسبق لا يُذَم لذاته، واقرأ إنْ شئت قوله تعالى:﴿ وَسَارِعُواْ إِلَىا مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ... ﴾[آل عمران: ١٣٣] أي: سابقوا.

والمعنى هنا ﴿ وَمَا كَانُواْ سَابِقِينَ ﴾ [العنكبوت: ٣٩] أن هناك مضمارَ سباق، فمن سبق قالوا: أحرز قَصَب السبق، فإنْ كان مضمار السباق هذا في الآخرة أيسبقنا أحد ليفلتَ من أَخْذنا له؟ إنهم لن يسبقونا، ولن يُفلِتوا من قبضتنا، ولن يُعجِزوا قدرتنا على إدراكهم.

ويقول الحق سبحانه: ﴿ فَكُلاًّ أَخَذْنَا بِذَنبِهِ فَمِنْهُم مَّن أَرْسَلْنَا... ﴾.

(١) ".

"

يريد سبحانه أن يُطمئن خَلْقه على أرزاقهم، فيقول ﴿ وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٍ... ﴾ [العنكبوت: ٦٠] كأيّ لها مَعَانٍ متعددة، مثل كم الخبرية حين تقول لمن ينكر جميلك: كم أحسنتُ إليك؟ يعني: كثيراً جداً، كذلك في ﴿ وَكَأَيِّن... ﴾ [العنكبوت: ٦٠] أي: كثير كما في﴿ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمْ... ﴾[آل عمران: ١٤٦].

والدابة: هي التي تدبّ على الأرض، والمراد كل حيٍّ ذي حركة، وقد تقول: فالنمل - مثلاً - لا نسمع له دبَّة على الأرض أيُعَدُّ من الدابة؟ نعم فله دبَّة على الأرض، لكنك لا تسمعها، فالذي خلقها يسمع دبيبها؛ لأن الذي يقبل الصغر يقبل الكبر، لكن ليس عندك أنت آلة السماع.

---

(١) تفسير الشعراوي، ١ ص/٣٣٠٥

بدليل أن الذي يعاني من ضعف السمع مثلاً ينصحه الطبيب بتركيب سماعة للأذن فيسمع، وكذلك في النظارة للبصر، إذن: فكل شيء له أثر مرئي أو مسموع، لكن المهم في الآلة التي تسمع أو ترى؛ لذلك يقولون إنْ أرادوا المبالغة؛ فلان يسمع دَبّة النملة.

ومعنى ﴿ وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٍ لاَّ تَحْمِلُ رِزْقَهَا... ﴾ [العنكبوت: ٦٠] ليست كلّ الدواب تحمل رزقها، فكثير منها لا تحمل رزقاً، ومع ذلك تأكل وتعيش، ويحتمل أن يكون المعنى: لأنها لا تقدر على حمله، أو تقدر على حمله ولكنها لا تفعل، فمثلاً القمل والبراغيث التي تكثر مع الإهمال في النظافة الشخصية أتحمل رزقاً؟ والناموسة التي تتغذى مع ضَعْفها على دم الإنسان الفتوة المتجبر، الميكروب الذي يفتك بالإنسان.. إلخ هذه أشياء لا تحمل رزقها.

أما الحمار مثلاً مع قدرته على الحمل لا يحمل رزقه؛ لذلك تراه إنْ شبع لا يدخر شيئاً، وربما يدوس الأكل الباقي، أو يبول عليه، وكذلك كل الحيوانات حتى أنهم يقولون: لا يعرف الادخار من المخلوقات إلا الإنسان والفأر والنمل.

وقد جعل الله الادخار في هؤلاء لحكمة ولبيان طلاقة قدرته تعالى، وأن الادخار عند هذه المخلوقات ليس قُصوراً من الخالق سبحانه في أن يجعل بعض الدوابّ لا تحمل رزقها، بل يخلق لها وسائل تعجز أنت عنها.

ولك أن تتأمل قرى النمل وما فيها من عجائب، فقد لاحظ الباحثون في هذا المجال أنك لو تركت بقايا طعام مثلاً تأتي نملة وتحوم حوله ثم تنصرف وترسل إليه عدداً من النمل يستطيع حمل هذه القطعة، ولو ضاعفت وزن هذه القطعة لتضاعف عدد النمل.

إذن: فهي مملكة في غاية التنظيم والدقة والتخصص، والأعجب من ذلك أنهم لاحظوا على النمل أنها تُخرِج فُتاتاً أبيض صغيراً أمام الأعشاش، فلما فحصوه وجدوه الزريعة التي تُسبِّب الإنبات في الحبة حتى لا تنبت، فتهدم عليهم العُشَّ، فسبحان الذي خلق فسوَّى والذي قدَّر فهدى.

وأعجب من ذلك، وجدوا النمل يفلق حبة الكسبرة إلى أربعة أقسام، لأن نصف حبة الكسبرة يمكنه أنْ يَنبت منفرداً، فقسموا النصف.

إذن: فكثير من الدواب لا تحمل رزقها ﴾ اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ... ﴿ [العنكبوت: ٦٠] فذكر الدواب أولاً في مجال الرزق ثم عطف عليها ﴾ وَإِيَّاكُمْ... ﴿ [العنكبوت: ٦٠] فنحن معطوفون في الرزق على الدواب، مع أن الإنسان هو الأصل، وهو المكرّم، والعالم كله خُلِق من أجله لخدمته، ومع ذلك لم يقُلْ سبحانه: نحن نرزقكم وإياهم، لماذا؟ قالوا: لأنك تظن أنها لا تستطيع أن تحمل أو تُدبِّر رزقها، ولا تتصرف فيه، فلفت نظرك إلى أننا سنرزقها قبلك.

وقد وقف المستشرقون الذين يأخذون القرآن بغير الملَكة العربية يعترضون على قوله تعالى:﴿ وَلاَ تَقْتُلُواْ أَوْلادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلاقٍ... ﴾[الإسراء: ٣١].

وقوله سبحانه:﴿ وَلاَ تَقْتُلُواْ أَوْلاَدَكُمْ مِّنْ إمْلاَقٍ... ﴾[الأنعام: ١٥١].

يقولون: أيّهما أبلغ من الأخرى، وإن كانت إحداهما بليغة، فالأخرى غير بليغة.

وهذا الاعتراض ناتج عن ظنهم أن الآيتين بمعنى واحد، وهما مختلفتان، فالأولى﴿ وَلاَ تَقْتُلُواْ أَوْلادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلاقٍ... ﴾[الإسراء: ٣١] فالفقر هنا غير موجود وهم يخافونه، أما في:﴿ وَلاَ تَقْتُلُواْ أَوْلاَدَكُمْ مِّنْ إمْلاَقٍ... ﴾[الأنعام: ١٥١] فالفقر موجود فعلاً. فهما مختلفتان في الصَّدْر، وكذلك مختلفتان في العَجُز.

ففي الأولى قال:﴿ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُم... ﴾[الإسراء: ٣١] لأن الفقر غير موجود، وأنت غير مشغول برزقك، فبدأ بالأولاد، أمّا في الثانية فقال:﴿ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ... ﴾[الأنعام: ١٥١] وقدم الآباء؛ لأن الفقر موجود، والإنسان مشغول أولاً برزق نفسه قبل رزق أولاده.

إذن: فلكل آية معنى وانسجام بين صَدْرها وعَجُزها، المهم أن تتدبر لغة القرآن، وتفهم عن الله مراده.

وقوله سبحانه: ﴿ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ [العنكبوت: ٦٠] واختار هنا السميع العليم؛ لأن الحق سبحانه له قيُّومية على خَلْقه، فلم يخلقهم ثم يتركهم للنواميس، إنما خلق الخَلْق وهو سبحانه قائم عليه بقيوميته تعالى؛ لذلك يقول في بيان عنايته بصنعته﴿ لاَ تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلاَ نَوْمٌ... ﴾[البقرة: ٢٥٥] يعني: يا عبادي ناموا مِلْءَ جفونكم؛ لأن ربكم لا ينام.

ومناسبة السميع هنا؛ أن الجوع إذا هَزَّ إنساناً ربما يصيح صيحة، أو يُحِدث شيئاً يدل على أنه جائع، فكأنه يقول: لم أجعلكم كذلك.

ثم يقول الحق سبحانه: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ... ﴾.

". (١)

"

الحق – تبارك وتعالى – بعد أنْ عرض علينا بعض الأدلة في الكون من حولنا يقول لنا: ولماذا نذهب بعيداً إذا لم تكْفِ الآيات في الكون من حولك، فانظر في آيات نفسك، كما قال سبحانه:﴿ وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلاَ تُبْصِرُونَ ﴾[الذاريات: ٢١] وجمع بين النوعين في قوله سبحانه:﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ... ﴾[فصلت: ٥٣].

فهنا يقول: تأمل في نفسك أنت: ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِّن ضَعْفٍ... ﴾ [الروم: ٥٤]، فإنْ قال الإنسان المكلف الآن: أنا لم أشاهد مرحلة الضعف التي خُلِقْتُ منها.

نقول: نعم لم تشاهدها في نفسك، فلم تكُنْ لك ساعتها مشاهدة، لكن شاهدتها في غيرك، شاهدتها في الماء المهين الذي يتكوَّن منه الجنين، وفي الأم الحامل، وفي المرأة حين تضع وليدها صغيراً ضعيفاً، ليس له قَدَم تسعى، ولا يَدٌ تبطش، ولا سِنٌّ تقطع، ومع ذلك رُبي بعناية الله حتى صار إلى مرحلة القوة التي أنت فيها الآن.

---

(١) تفسير الشعراوي، ا ص/٣٣٢٦

إذن: فدليل الضعف مشهود لكل إنسان، لا في ذاته، لكن في غيره، وفي مشاهداته كل يوم، وكل منا شاهد مئات الأطفال في مراحل النمو المختلفة، فالطفل يُولَد لا حولَ له ولا قوة، ثم يأخذ في النمو والكِبَر فيستطيع الجلوس، ثم الحَبْو، ثم المشي، إلى أنْ تكتمل أجهزته ويبلغ مرحلة الرشْد والفتوة.

وعندها يُكلِّفه الحق - سبحانه وتعالى - وينبغي أنْ نكلفه نحن أيضاً، وأنْ نستغل فترة الشباب هذه في العمل المثمر، فنحن نرى الثمرة الناضجة إذا لم يقطفها صاحبها تسقط هي بين يديه، وكأنها تريد أنْ تؤدي مهمتها التي خلقها الله من أجلها.

لذلك، فإن آفتنا نحن ومن أسباب تأخُّر مجتمعاتنا أننا نطيل عمر طفولة أبنائنا، فنعامل الشاب حتى سِنّ الخامسة والعشرين على أنه طفل، ينبغي علينا أن نلبي كل رغباته لا ينقصنا إلا أنْ نرضعه.

آفتنا أن لدينا حناناً (مرق) لا معنى له، أما في خارج بلادنا، فمبجرد أن يبلغ الشاب رُشْدَه لم يَعُدْ له حق على أبيه، بل ينتقل الحق لأبيه عليه، ويتحمل هو المسئولية.

والحق سبحانه يُعلِّمنا في تربية الأبناء أنْ نُعوّدهم تحمُّل المسئولية في هذه السِّنّ:﴿ وَإِذَا بَلَغَ الأَطْفَالُ مِنكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُواْ كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ... ﴾[النور: ٥٩].

فانظر أنت أيها الإنسان الذي جعلتَ كل الأجناس الأقوى منك في خدمتك، انظر في نفسك وما فيها من آيات وما بين جنبيك من مظاهر قدرة الله، فقد نشأتَ ضعيفاً لا تقدر على شيء يخدمك غيرك.

ومن حكمته تعالى في الطفل ألاَّ تظهر أسنانه طوال فترة الرضاعة حتى لا يؤذي أمه، ثم تخرج له أسنان مؤقتة يسمونها الأسنان اللبنية؛ لأنه ما يزال صغيراً لا يستطيع تنظيفها، فيجعلها الله مؤقتة إلى أن يكبر ويتمكَّن من تنظيفها، فتسقط ويخرج مكانها الأسنان الدائمة، ولو تأملتَ في نفسك لوجدتَ ما لا يُحصى من الآيات.

﴿ ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً... ﴾ [الروم: ٥٤] أي: قوة الشباب وفتوته: ﴿ ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفاً وَشَيْبَةً... ﴾ [الروم: ٥٤] أي: ضعف الشيخوخة، وهذا الضعف يسري في كل الأعضاء، حتى في العلم، وفي الذاكرة﴿ لِكَيْلاَ يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئاً... ﴾[الحج: ٥].

ويظل بك هذا الضعف حتى تصير إلى مثل الطفل في كل شيء تحتاج إلى مَنْ يحملك ويخدمك إذن: لا تأخذ هذه المسألة بطبع تكوينك، ولكن بإرادة مُكوِّنك سبحانه، فبعد أنْ كنتَ ضعيفاً يُقويك، وهو سبحانه القادر على أنْ يعيدك إلى الضعف، بحيث لا تستطيع عقاقير الدنيا أنْ تعيدك إلى القوة؛ لذلك يسخر أحد العقلاء ممن يتناولون (الفيتامينات) في سِنّ الشيخوخة، ويقول: يا ويل مَنْ لم تكُنْ (فيتاميناته) من ظهره.

لذلك تلحظ الدقة في الأداء في قول سيدنا زكريا:﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي... ﴾[مريم: ٤]؛ لأن العظم آخر مخزن لقُوت الإنسان، حيث يختزن فيه ما زاد عن حاجة الجسم من الطاقة، فإذا لم يتغذَّ الجسم بالطعام يمتصّ من هذا المخزون من الشحوم والدهون، ثم من العضل، ثم من نخاع العظم، وهو آخر مخزن للقوت في جسمك.

فمعنى قول سيدنا زكريا:﴿ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي... ﴾[مريم: ٤] يعني: وصلتُ إلى مرحلة الحرض التي لا أملَ معها في قوة، ويؤكد هذا المعنى بقوله﴿ وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْباً... ﴾[مريم: ٤].

وقلنا: إن بياض الشعر ليس لوناً، إنما البياض انعدام اللون؛ لذلك فاللون الأبيض ليس من ألوان الطيف، ومع الشيخوخة تضعف أجهزة الإنسان، وتضعف الغدد المسئولة عن لون الشعر عن إفراز اللون الأسود، فيظهر الشعر بلا لون.

ونلحظ أن أغلب ما يشيب الناس يشيبون مما يُعرف بـ " السوالف " من هنا ومن هنا، لماذا؟ قالوا: لأن الشعرة عبارة عن أنبوب دقيق، فإذا قُصَّتْ أثناء الحلق ينفتح هذا الأنبوب، وتدخله بعض المواد الكيمياوية مثل الصابون والكولونيا، فتؤثر على الحويصلات الملوّنة وتقضي عليها؛ لذلك نلاحظ هذه الظاهرة كثيراً في المترفين خاصة؛ لذلك تجد بعض الشباب يظهر عندهم الشيب في هذه المناطق من الرأس.

وقد رتب سيدنا زكريا مظاهر الضعف بحسب الأهمية، فقال أولاً﴿ وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي... ﴾[مريم: ٤] ثم﴿ وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْباً... ﴾[مريم: ٤] ومع كِبَر سيدنا زكريا وضعفه، ومع أن امرأته كانت عاقراً إلا أن الله تعالى استجاب له في طلبه للولد الذي يرث عنه النبوة، فبشَّره بولد وسمَّاه يحيى، وكأن الحق - تبارك وتعالى - يقول لنا: إياكم، ألا أستطيع أنْ أخلق مع الشيب والكبر والضعف؟ لذلك قال بعدها: ﴾ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ... ﴿ [الروم: ٥٤].

وقال في شأن زكريا عليه السلام:﴿ قَالَ كَذالِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئاً ﴾

[مريم: ٩].

وقوله تعالى: ﴾ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ ﴿ [الروم: ٥٤] أي: أن هذا الخَلْق ناشيء عن علم﴿ أَلاَ يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾[الملك: ١٤] لكن العلم وحده لا يكفي، فقد تكون عالماً لكنك غير قادر على تنفيذ ما تعلم، كمهندس الكهرباء، لديه علم واسع عنها، لكنه لا يستطيع تنفيذ شبكة أو معمل كهرباء، فيذهب إلى أحد الممولين ليعينه على التنفيذ؛ لذلك وصف الحق سبحانه نفسه بالعلم والقدرة.

إذن: هذا هو الدليل النفسي على الموجد الحق الفاعل المختار الذي يفعل الأشياء بعلم وقدرة، ولا يكلفه العمل شيئاً ولا يستغرق وقتاً؛ لأنه سبحانه يقول للشيء: كن فيكون، ولا تتعجب أن ربك يقول للشيء كُنْ فيكون؛ لأنك أيها المخلوق الضعيف تفعل هذا مع أعضائك وجوارحك.

وإلاَّ فقُلْ لي: ماذا تفعل إنْ أردتَ أنْ تقوم مثلاً أو تحمل شيئاً مجرد أن تريد الحركة تجد أعضاءك طوع إرادتك، ودون أنْ تدري بما يحدث بداخلك من انفعالات وحركات، وإنْ قُلت فأنا كبير وأستطيع أداء هذه الحركات كما أريد، فما بالك بالطفل الصغير؟

وسبق أن ضربنا مثلاً لتوضيح هذه المسألة بالبلدوزر، فلكل حركة منه ذراع خاص بها يُحرِّكه السائق، وأزرار يضرب عليها، وربما احتاج السائق لأكثر من أداة التحريك هذه الآلة حركة واحدة.

أما أنت فمجرد أن تريد تحريك العضو تجده يتحرك معك كما تريد دون أن تعرف العضلات والأعصاب التي شاركت في حركته، فإذا كنتَ أنت على هذه الصورة، أتعجب من أن الله تعالى يقول للشيء كن فيكون؟

ثم يقول الحق سبحانه: ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ... ﴾.

(١) ".

"

تصوِّر لنا هذه الآية مشهداً من مشاهد يوم القيامة، يوم يُساق المجرم ذليلاً إلى ما يستحق من العذاب، كأنْ ترى مجرماً مثلاً تسوقه الشرطة وهو مُكبّل بالقيود يذوق الإهانة والمذلّة، فتشفى نفسك حين تراه ينال جزءاه بعد أنْ أتعب الدنيا وأداخ الناس.

وفي هذا المشهد يخاطب الحق سبحانه نبيه صلى الله عليه وسلم، وهو أول مخاطب، ثم يصبح خطاباً لأمته: ﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُواْ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ.. ﴾ [السجدة: ١٢] أي: حالة وجودهم أنهم ناكسو رءوسهم. وتقدير جواب الشرط: لرأيتَ أمراً عجيباً يشفي صدرك مما فعلوه بك.

ونلحظ في هذا الأسلوب دقة الأداء في قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ تَرَىٰ.. ﴾ [السجدة: ١٢] فلم يقل مثلاً: ولو تعلم؛ لأن إخبار الله كأنه رؤيا العين، فحين يخبرك الله بأمر، فاعلم أنه أصدق من عينك حين ترى؛ لأن عينك قد تخدعك، أما إخبار الله لك فهو الحق.

ومعنى ﴿ نَاكِسُواْ رُءُوسِهِمْ.. ﴾ [السجدة: ١٢] النكس هو جَعْل الأعلى أسفل، والرأس دائماً في الإنسان أعلى شيء فيه.

وقد وردتْ هذه المادة في قوله تعالى في قصة إبراهيم عليه السلام حين حطم الأصنام، وعلَّق الفأس على كبيرهم:﴿ ثُمَّ نُكِسُواْ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَـٰؤُلاۤءِ يَنطِقُونَ ﴾[الأنبياء: ٦٥]

فبعد أنْ عادوا إلى رشدهم واتهموا أنفسهم بالظلم انتكسوا وعادوا إلى باطلهم، فقالوا:﴿ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَـٰؤُلاۤءِ يَنطِقُونَ ﴾[الأنبياء: ٦٥]

وورد هذا اللفظ أيضاً في قوله تعالى:﴿ وَمَن نُّعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ أَفَلاَ يَعْقِلُونَ ﴾[يس: ٦٨]

والمعنى: نرجعه من حال القوة **والفتوة** إلى حال الضعف والهرم وعدم القدرة، كما قال سبحانه:﴿ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْ لاَ يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئاً... ﴾[النحل: ٧٠]

فبعد القوة يتكئ على عصا، ثم لا يستطيع السير فيحبو، أو يُحمل كما يُحمل الطفل الصغير، هذا هو التنكيس في الخَلْق، وحين نتأمله نقول: الحمد لله لو عافانا من هذه الفترة وهذه التنكيسة، ونعلم أن الموت لُطْف من الله ورحمة بالعباد، ألاَ ترى أن مَنْ وصل إلى هذه المرحلة يضيق به أهله، وربما تمنَّوْا وفاته ليستريح وليستريحوا؟

وتنكيس رءوس المجرمين فيه إشارة إلى أن هذه هي العاقبة فاحذر المخالفة، فمَنْ تكبر وتغطرس في الدنيا نُكِّسَتْ رأسه في الآخرة، ومَنْ تواضع لله في الدنيا رُفِعت رأسه، وهذا معنى الحديث الشريف: " من تواضع لله رفعه ".

---

(١) تفسير الشعراوي، ١ ص/٣٣٨٨

وفي تنكيس رءوس المجرمين يوم القيامة معنى آخر؛ لأن الحق – سبحانه وتعالى – سيفعل في كل مخالف في الآخرة من جنس ما فعل في الدنيا، وهؤلاء الذين نكَّس الله رءوسهم في الاخرة فعلوا ذلك في الدنيا، واقرأ إن شئتَ قول ربك:﴿ أَلا إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُواْ مِنْهُ... ﴾[هود: ٥]

أي: يطأطئون رءوسهم؛ لكي لا يواجهوا رسول الله، فللحق صَوْلة وقوة لا يثبت الباطل أمامها؛ لذلك نسمع من أصحاب الحق: تعالَ واجهني، هات عيني في عينك، ولا بُدَّ أنْ يستخزي أهل الباطل، وأنْ يجبنوا عن المواجهة؛ لأنها ليست في صالحهم.

وهذا العجز عن المواجهة يدعو الإنسان إلى ارتكاب أفظع الجرائم، ويصل به إلى القتل، والقتل لا يدل على القوة، إنما يدل على عجز وضعف وجُبْن عن المواجهة، فالقاتل أقرَّ بأنه لا يستطيع أنْ يواجه حياة عدوه فقتله، ولو كان قوياً لواجه حياته.

ومن العذاب الذي يأتي من جنس ما فعل الإنسان في الدنيا قول الله تعالى في الذين يكنزون الذهب والفضة، ولا ينفقونها في سبيل الله:﴿ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلاَ يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ * يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَـٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُواْ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ﴾[التوبة: ٣٤-٣٥]

سبحان الله، كأنها صورة طبق الأصل مما فعلوه في الدنيا، فالواحد منهم يأتيه طالب العطاء فيعبس في وجهه، ثم يُعرض عنه، ويعطيه جنبه، ثم يعرض عنه ويعيطه ظهره، ويأتي العذاب بنفس هذا التفصيل. إذن: فعلى العاقل أن يحذر هذه المخالفات، فمن جنسها يكون العذاب في الآخرة.

وهؤلاء المجرمون حال تنكيسهم يقولون: ﴿ رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا.. ﴾ [السجدة: ١٢] هذا كلامهم، ومع ذلك لم يقل القرآن: قالوا أبصرنا وسمعنا، فحَذْف الفعل هنا يدل على أن القول ليس سهلاً عليهم؛ لأنه إقرار بخطئهم الأول وإعلان لذِّلة التوبة.

وقلنا: إن هذه هي الآية الوحيدة التي تقدَّم فيها البصر على السمع؛ لأن الساعة حين تأتي بأهوالها نرى الهول أولاً، ثم نسمع ما نراه.

لذلك يقول تعالى مُصوِّراً أثر هذا الهول:﴿ وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُم بِسُكَارَىٰ وَلَـٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ﴾[الحج: ٢]

وفي معرض حديثنا السابق عن الحواس: السمع والبصر والفؤاد فاتنا أنْ نذكر آية مهمة جاءت على غير هذا الترتيب، وهي قول الله تعالى:﴿ خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عظِيمٌ ﴾[البقرة: ٧]

فجاء الفؤاد هنا أولاً، وجمع الفؤاد مع السمع في الختم لأنهما اشتركا فيه، أما البصر فاختص بشيء آخر، وهو الغشاوة التي تُغطِّي أبصارهم؛ ذلك لأن الآية السابقة في السمع والبصر والفؤاد كانت عطاءً من الله، فبدأ بالسمع، ثم البصر، ثم ترقى في العطاء إلى الفؤاد، لكن هنا المقام مقام سلب لهذه النعم، فيسلب الأهم أولاً، فأتى بالفؤاد ثم السمع ثم الأبصار.

لكن أي شيء أبصروه؟ وأي شيء سمعوه في قولهم ﴿ رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا.. ﴾ [السجدة: ١٢]؟ أول شيء يبصره الكافر يوم القيامة﴿ وَوَجَدَ اللَّهَ عِندَهُ... ﴾[النور: ٣٩] وحده سبحانه ليس معه شريك من الشركاء الذين عبدوهم في الدنيا، وليس لهم من دونه سبحانه وليٌّ، ولا شفيع، ولا نصير.

ومعنى ﴿ وَسَمِعْنَا.. ﴾ [السجدة: ١٢] أي: ما أنزلته يا رب على رسولك، ونشهد أنه الحق وصدَّقنا الرسول في البلاغ عنك، وأنه ليس مُفْترياً، ولا هو شاعر، ولا هو ساحر، ولا هو كذاب.

لكن، ما فائدة هذا الاعتراف الآن؟ وبماذا ينفعهم وهو في دار الحساب؟ لا في دار العمل والتكليف؟! وما أشبه هذا الاعتراف باعتراف فرعون قبل أنْ يغرق:﴿ آمَنتُ أَنَّهُ لا إِلِٰهَ إِلاَّ الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنواْ إِسْرَائِيلَ... ﴾[يونس: ٩٠] لذلك ردَّ الله عليه:﴿ آلآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴾[يونس: ٩١]

فقولهم: ﴿ رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا.. ﴾ [السجدة: ١٢] إقرار منهم بأنهم كانوا على خطأ، وأنهم يرغبون في الرجوع إلى الصواب، كما قال سبحانه في موضع آخر:﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ * لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحاً فِيمَا تَرَكْتُ... ﴾[المؤمنون: ٩٩-١٠٠]، وردَّ الله عليه:﴿ كَلاَّ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا ﴾[المؤمنون: ١٠٠]

ثم كشف حقيقة أمرهم:﴿ وَلَوْ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾[الأنعام: ٢٨]

وهنا يقولون: ﴿ رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحاً إِنَّا مُوقِنُونَ ﴾ [السجدة: ١٢] وهل يكون اليقين في هذا الموقف؟ اليقين إنما يكون بالأمر الغيبي، وأنتم الآن في اليقين الحسيِّ المشَاهَد، فهو إذن يقين لا يُجدى.

ثم يقول الحق سبحانه: ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لآتَيْنَا... ﴾.

". (١)

"""""" صفحة رقم ٣٧ """"""

النرسي بفتح النون وسكون الراء وسين ما مهملة وعبد الله بن محمد النفيلي بضم النون وفتح الفاء مصغرا وأحمد بن عثمان النوفلي وعمر بن سعيد بن أبي حسين النوفلي وعبد الله بن عبد الرحمن بن أبي حسين النوفلي فهؤلاء بفتح النون وبالفاء وإبراهيم النخعي بفتح الخاء المعجمة حيث جاء وعبد الله بن الحارث النجراني وأبو عثمان النهدي بفتح النون وآخره دال وهو عبد الرحمن بن مل ذكرناه في حرف الباء مع شبهه وكذلك عبدة النهدي منسوبان إلى بني نهد وأيوب بن النجار آخره راء

حرف الصاد

الصاد مع الهمزة

(ص أ ص أ) قوله يخرج من صئصئ هذا بالصاد المهملة مهموز الوسط والآخر كذا قيده أبو ذر وبعض رواة البخاري

(١) تفسير الشعراوي، ١ ص/٣٤٤٠

ومسلم وقيده الأصيلي والقابسي وابن السكن وعامة شيوخنا عن مسلم بالضاد المعجمة وكلاهما صحيح بمعنى وبالمعجمة رواية أكثر مشائخ الموطأ وبالوجهين عند التميمي فيهما وقال أهل اللغة يقال بهما وبالسين أيضا ومعناه الأصل وقيل النسل الصاد مع الباء

(ص ب أ) قوله هذا الصابي وآويتم الصباة بضم الصاد جمع صاب مثل رام ورمات كأنه سهل الهمزة ثم حذفها ومن أظهر الهمزة قال الصباة بفتح الصاد مثل كافر وكفره وصابئون مثل كافرون ومعناه الخارجون من دين إلى آخر ومثله الصابون والصابئون وقرئ بهما جميعا وهم ملة تشبه النصرانية وتخالفها في وجوه تعلقوا فيها بشيء من اليهودية فكأنهم خرجوا من الدينين إلى ثالث ومنهم من يعبد الملائكة ومنهم من يعبد الدراري وقبلة صلاتهم من جهة مهب الجنوب ويزعمون أنهم على دين نوح عليه السلام وقوله أصبوت كذا الرواية أي أصبات وقريش كانت لا تهمز وتسهل الهمزة مما تقدم أي أخرجت عن دينك فأما صبا يصبوا غير مهموز فمن الصبا مقصور مهموز مكسور والمصدر صباء بالفتح والمد وصبوا مثل علاء وعلوا والاسم صبا وصبوة وهو أخلاق الشبيبة **والفتوة** وكذلك من الفتنة

(ص ب ب) قوله لترجعن بعدي أساود صبا بضم الصاد وتشديد الباء الأساود نوع من الحيات عظام فيها سواد وهو أخبثها وقد تعترض الرفقة وتتبع الصوت والصب منها قال الحربي التي تنهش ثم ترتفع ثم تنصب يعني بذلك تشبيههم بها يعني ما يتولونه من الفتن والقتل والأذى وقيل صبا هنا صفة للرجال جمع صاب مثل غاز وغزى وقال بعضهم إنما هو صبأ محدود جمع صابي أي تاركين ما كنتم عليه وخارجين عن هديي وسيرتي إلى الفتن والضلال وقوله ولم يبق منها إلا صبابة كصبابة الإناء بضم الصاد وتخفيف الباء الأولى وهو البقية اليسيرة من الشراب في الإناء وقوله صبيب السيف قال الحربي أظنه طرفه وسنذكره والخلاف فيه بعد وقوله أصب لهم ثمنك صبة واحدة أي أدفعه إليهم دفعة واحدة غير مقطع وأصل ذلك صبه من كفة الميزان

(ص ب ح) قوله من تصبح كل يوم سبع تمرات عجوة أي أكلها صبيحة يومه وقوله أنام فأتصبح أي أنام الصبحة وهي نومة الغداة وأول النهار تريد أنها مكفية المئونة مرفهة العيش وقوله كل أمري مصبح في أهله

يحتمل أن يريد ما ذكرناه آنفا أو يريد كونه صباحا فيهم أو يسقى صبوحه وهو شرب الغداة ومنه صبحناهم وصبحنا خيبر يقال صبحه أتاه وقت صلاة الصبح ومنه وصبحناهم سرا كله مشدد وصبحتهم الخيل مخفف وكذلك صبحته الشراب وفي صبحة الليل بالضم أي صباحه ورأيتني أسجد في." (١)

"""""" صفحة رقم ١٤٦ """"""

واصل الفتنة الاختبار والامتحان يقال فتنت الفضة على النار إذا خلصتها ثم استعمل فيما أخرجه الاختبار للمكروه ثم كثر استعماله في أبواب المكروه فجاء مرة بمعنى الكفر كقوله والفتنة أكبر من القتل أي ردكم الناس إلى الشرك أكبر من القتل وتجيء للإثم كقوله ألا في الفتنة سقطوا ومنه أصابتني في مالي فتنة وهموا أن يفتتنوا في صلاتهم أي يسهوا ويخلطوا وتكون على أصلها للاختبار كقوله إنما أموالكم وأولادكم فتنة وتكون بمعنى الإحراق بالنار كقوله إن الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات

---

(١) مشارق الأنوار على صحاح الآثار، ٢/ ٣٧

أي حرقوهم ومنه أعوذ بك من فتنة النار وقيل أنها هنا على أصلها من التصفية لأن المعذبين بالنار من المؤمنين المذنبين إنما عذبوا من أجل ذنوبهم فكأنهم صفوا منها وخلصوا فسأل النبي (صلى الله عليه وسلم) أن لا يكون من هؤلاء وكذلك سؤاله لأمته ذلك لكن بعفو الله ورحمته وتفريقه في الدعاء بين فتنة النار وعذاب النار حجة لهذا القائل أي ممن يعذب بالنار عذاب الكفار وهو حقيقة التعذيب والخلود وقد بسطنا هذا والفرق بين عذاب المذنبين والكفار في شرح مسلم وقوله في خروج النبي (صلى الله عليه وسلم) وهم يصلون فكدنا نفتتن أي نخلط في صلاتنا ونذهل عنها وقيل عن سعد بن وقاص فتنة الدنيا الدجال وتكون بمعنى الإزالة والصرف عن الشيء كقوله وإن كادوا ليفتنونك عن الذي أوحينا إليك

(ف ت ش) قوله لم يطالنا فراشا ولم يفتش لنا كنفا مذ أتيناه كناية عن القرب منها والكنف الستر وهو هنا الثوب كنى بيفتش عن الاطلاع على ما تحته وعن إعراضه عن الشغل بها

(ف ت ى) قوله وليقل فتاي وفتاتي قيل هو بمعنى عبدي وأمتي وإنما نهى عن ذكر لفظ العبودية المحضة إذ العبودية حقيقة لله ولفظ الفتوة مشترك للملك ولفتاء السن والفتى الشاب مقصور والفتاء ممدود الشباب قال الله تعالى) وقال لفتيانه اجعلوا بضاعتهم في رحالهم (أي لعبيده وقوله من كنا افتيناه فتيا وما هذه الفتيا وتكرر هذا الحرف فإذا كان آخره ياء كان بضم الفاء ويقال فيها الفتوى بفتح الفاء والواو وأصله السؤال ثم سمى الجواب به قال الله) يستفتونك قل الله يفتيكم (وقال) فاستفتهم ألربك البنات (أي سلهم وقوله أمثلي يفتات عليه مذكور في الفاء والياء لأنه معتل.

فصل الاختلاف والوهم

قوله إن شيطانا جعل يفتك علي البارحة كذا ذكره مسلم يقال بضم التاء وكسرها فسرنا الفتك لكنه هنا وهم وتصحيف والله أعلم وصوابه رواية البخاري تفلت علي أي توثب وتسرع لإرادة ضرى وقوله

(الحرب أول ما تكون فتية)

تصغير فتاة وضبطه الأصيلي فتية بفتح الفاء وهما بمعنى والأول أشهر في الرواية وأصوب لا سيما مع قوله في البيت الثاني

(ولت عجوزا

)

وقوله في كتاب الجنائز في حديث رؤياه (صلى الله عليه وسلم) في خبر الزناة فإذا فترت ارتفعوا كذا للقابسي وابن السكن وعبدوس وعند أبي ذر والأصيلي اقترب وعند النسفي وإذا وقدت ارتفعوا وهو الصحيح بدليل قوله بعد فإذا خمدت رجعوا فيها

وفي باب وجوب النفير لا هجرة بعد الفتح كذا لهم وعند الجرجاني بعد اليوم وكلاهما صحيح لأن في الحديث أنه قالها يوم الفتح

وفي آخر كتاب الرقاق أو نفتن عن ديننا كذا لكافتهم وفي كتاب عبدوس نفتر بالراء والأول أحسن وأولى وأشبه بالحديث وقوله ما فتحنا منه من خصم إلا انفجر علينا منه خصم كذا في كتاب مسلم وهو تغيير وتصحيف وصوابه." (١)

---

(١) مشارق الأنوار على صحاح الآثار، ١٤٦/٢

""""" صفحة رقم ٢٤٣ """""
ذلك سابق في علمه وقدره وإرادته مظهر بعد ذلك منه شيئا شيئا على ما سبق في علمه وقوله ثم شأنك بأعلاها أي أمرك فيه غير محرم عليك يريد في الاستمتاع بأعلاها وشأنك هنا منصوب على إضمار فعل أو على الإغراء أي استبح أعلاها أو اقض أمرك بأعلاها ويصح رفعه على المبتدأ والخبر محذوف أي مباح أو جائز ونحوه ومثله في اللقطة وشأنك بها قيل في الاستمتاع وقيل في الحفظ والرعاية والأول أظهر لمجيئه بعد التعريف سنة

(ش اه) قوله شاه شاه فسره في ا لحديث مالك الملوك وهو كلام فارسي وجاء في الرواية الأخرى شاهان شاه قال بعضهم صوابه شاه شاهان أي مالك الملوك وهذا لا يحتاج إليه إنما قاسه على كلام العرب وكلام العرب بخلافه وعلى عكسه من تقديم الجمع والنسبة وغير ذلك كأنه يقول الملوك هذا ملكهم وقد تقدم الكلام على معنى الحديث في حرف الخاء

(ش أ و) قوله ارفع فرسي شأوا وأسير شأوا بفتح الشين أي طلقا من الجري والسير وشأوت القوم سبقتهم

الشين مع الباء

(ش ب ب) قوله يشبب بأبيات له أي يتغزل وقوله ونحن شببة مثل كتبة جمع شاب وقوله وشب الغلام أي كبر وقوله في حديث كعب بن مالك كنت أشب القوم أي أصغرهم سنا وقوله في صفة أهل الجنة أن تشبوا فلا تهرموا أي تدوموا في حالة الشباب والفتوة وقوله وشب ضرامها أي عظم شؤمها وهو استعارة من وقود النار إذا اشتد اشتعالها وقوله فجعل سوادها يشب بياضه بضم الشين أي يحسنه ويتممه ومثله في الكحل للحادة أنه يشب الوجه

(ش ب ح) في حديث الدجال خذوه وأشبحوه فيأمر به فيشبح أي يمد للضرب قال الهروي والشبح مدك شيئا بين أوتاد وكذلك المضروب إذا مد للجلد وفي رواية السمرقندي والماهاني فشجوه ويشج بمعنى يجرح وهو وهم هنا

(ش ب ع) قوله المتشبع بما لم يعط كلابس ثوبي زور أي المتكثر بأكثر مما عنده وقد فسرناه في الثاء وفي الزاي ومثله قوله هل لي أن أتشبع من مال زوجي بما لم يعطني وأصله كله من إظهار الشبع وهو جيعان في حديث أبي هريرة وكان يلزمه لشبع بطنه يروى باللام وبالياء أي ليشبعه وهو مثل قوله في الحديث الآخر وكنت ألزمه لملء بطني ومثله في حديث موسى في أجر نفسه بشبع بطنه يقال بالسكون في بابه اسم ما يشبعك من طعام وبالفتح مصدر فعلك منه أو فعله وفي دعائه (صلى الله عليه وسلم) ونفس لا تشبع أي من أمور الدنيا استعاذة من الحرص والاستكثار منها وتعلق النفس بالآمال

(ش ب ه) قوله من أين يكون الشبه بفتح الشين والباء وبكسر الشين وسكون الباء يقال شبه وشبه وشبيه كمثل ومثل ومثيل وبدل وبدل وبديل ومثله رجل نكل ونكل قال أبو عبيد ولم يأت على فعل وفعل غير هذه الحروف الأربعة وقال غيره قد جاء منها غير هذا مثل صغر وصغر وحرج وحرج وعشق وعشق وغمر وغمر للحقد وقوله اتقوا المشتبهات وبينهما أمور مشتبهات وعند السمرقندي فيها مشبهات وعند الطبري متشبهات وكله بمعنى أي مشكلات قال صاحب العين المشبهات من الأمور المشكلات وذلك لما فيه من شبيه طرفين متخالفين فيشبه مرة هذا ومرة هذا ويشتبه يفتعل منه ويشبه غيرها بذلك ومنه أن البقر تشابه علينا أي اشتبه وقوله كتابا متشابها من هذا لكن معناه يشبه بعضه بعضا في الحكمة والصدق

ولا يتناقض ومنه في طعام أهل الجنة وأتوا به متشابها أي في الجودة وقيل في المنظر ويختلف في الطعم فصل الاختلاف والوهم." (١)

"الأدوات وأما سائر الصفات فما ورد شيء منها ولا يجوز أن يكون داخلا تحت قوله فاقرؤوا ما تيسر وكذا ما حكي عن الصوفية من أنها الزهد والقناعة مع اليقين والحرمة والخدمة مع الحياء والكرم والفتوة مع الفقر والمجاهدة والمراقبة مع الخوف والرجاء والتضرع والاستعانة مع الرضا والشكر والصبر مع المحاسبة والمحبة والشوق مع المشاهدة لأنها موجودة في القرآن مع زيادة تبلغ الفا كما حقق في منازل السائرين ومقدمات العارفين ولكن تنزيل هذه المذكورات على كونها مرادة من الحديث الموضوع للتيسير والتخفيف بالتخيير مما لا يظهر له وجه والحاصل أن كلا عرف بمذهبه وعرف من مشربه من غير ملاحظة للفظ باقي الحديث ولسبب وروده فتكلموا على معنى القرآن أنزل على سبعة أحرف والله أعلم متفق عليه

$الفصل الثاني." (٢)

"اليهود أن يزيد فيه أو ينقص وأخاف إن جاء كتاب من اليهود فيقرؤه يهودي فيزيد وينقص فيه قال أي زيد فما مربي أي مضى علي من الزمان نصف شهر حتى تعلمت في معناه مقدر أي ما مر بي نصف من الشهر في التعلم حتى كمل تعلمي قيل فيه دليل على جواز تعلم ما هو حرام في شرعنا للتوقي والحذر عن الوقوع في

الشر كذا ذكره الطيبي في ذيل كلام المظهر وهو غير ظاهر إذ لا يعرف في الشرع تحريم تعلم لغة من اللغات سريانية أو عبرانية أو هندية أو تركية أو فارسية وقد قال تعالى ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم الروم أي لغاتكم بل هو من جملة المباحات نعم يعد من اللغو ومما لا يعني وهو مذموم عند أرباب الكمال إلا إذا ترتب عليه فائدة فحيئذ يستحب كما يستفاد من الحديث فكان أي النبي إذا كتب إلى يهود أي أراد أي يكتب إليهم أو إذا أمر بالكتابة إليهم كتبت أي بلسانهم إليهم وإذا كتبوا إليه قرأت له أي لأجله وفي نسخة عليه أي عنده كتابهم أي مكتوبهم إليه رواه الترمذي وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي قال إذا انتهى أي إذا جاء ووصل أحدكم إلى مجلس فليسلم فإن بدا بالألف أي ظهر له أن يجلس فليجلس أمر استحباب ثم إذا قام أي بعد أن يجلس والظاهر أن المراد به أنه إذا أراد أن ينصرف ولو لم يجلس فليسلم أي ندبا فليست الأولى أي التسليمة الأولى بأحق أي بأولى وأليق من الآخرة بل كلتاهما حق وسنة مشعرة إلى حسن المعاشرة وكرم الأخلاق ولطف الفتوة ولطافة المروءة فإنه إذا رجع ولم يسلم ربما يتشوش أهل المجلس من مراجعته على طريق السكوت وبهذا يتبين أنه قد يقال بل الآخرة أولى من الأولى لأن تركها ربما يتسامح فيه بخلاف الثانية على ما هو المشاهد في المتعارف لا سيما إذا كان في المجلس ما لإيذاع ولا يشاع ولذا قيل كما أن التسليمة الأولى إخبار عن سلامتهم من شره عند الحضور فكذلك الثانية إخبار عن سلامتهم من شهر عند الغيبة وليست السلامة عند الحضور أولى من." (٣)

---

(١) مشارق الأنوار على صحاح الآثار، ١ ٢٤٣/٢

(٢) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ١ ٨٧/٧

(٣) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ١ ٤٤٢/١٣

"عن عبد الحميد بن جبير بن شيبة قال المؤلف حجبي روى عن عمته صفية وابن المسيب وعنه ابن جريج وابن عيينة قال جلست إلى سعيد بن المسيب بتشديد التحتية المفتوحة وقد تكسر وهو من أكابر التابعين وقد سبق ذكره فحدثني أن جده حزنا بفتح حاء وسكون زاي قدم على النبي فقال ما اسمك فقال اسمي حزن قال بل أنت سهل أي فإن الحزن ضد السهل وقد ورد أن الله تعالى يحب السهل الطليق على ما رواه البيهقي وغيره عن أبي هريرة ومنه قوله اللهم لا سهل إلا ما جعلته سهلا وأنت تجعل الحزن سهلا إذا شئت وفي القاموس الحزن ما غلظ من الأرض والسهل من الأرض ضد الحزن قال ما أنا بمغير اسما سمانيه أبي وفي رواية أبي داود لأن السهل يوطأ ويمتهن أي لا أغير اسمي لأن السهل يوطأ ويهان أي يداس بالأقدام وفيه نوع نزغة من نزغات إبليس وقياساته من التلبيس حيث لم يدر أن من تواضع لله رفعه الله وأن المرء عند الامتحان يكرم أو يهان والحاصل أنه كما قيل الأسماء تنزل من السماء يوفق اسمه حزنه الجبلية مطابقا للحزن الجبلي وما أفاده قول الحكيم الإلهي وأبعد الطيبي في قوله بل أنت سهل أي هذا الاسم غير مناسب لك لأنك حليم لين الجانب ينبغي أن تسمى سهلا فإنه لو كان حليما لين الجانب لراعى أدب جانب النبوة وعمل بمقتضى أخلاق الفتوة ولو بدل اسمه السهل بالحزن فكيف والأمر بالعكس وقد أباه حتى سرى هذا الطبع في ذريته قال ابن المسيب فما زالت فينا أي معشر أولاده الحزونة أي صعوبة الخلق على ما ذكره السيوطي بعد أي بعد إباء أبي اسم السهل من النبي رواه البخاري." (١)

"وكافل اليتيم أي الذي مات أبوه وهو صغير يستوي فيه المذكر والمؤنث أي مربيه له أي كائنا لذلك الكافل كولد ولده وإن سفل أو ابن أخيه ونحوه ولغيره الواو بمعنى أو أي أو كائنا لغيره فيكون أجنبيا منه في الجنة خبر أنا ومعطوفه هكذا إشارة إلى كمال القرب وأشار بالسبابة أي المسبحة والوسطى وفرج بالتشديد أي فرق بينهما شيئا أي قليلا لعدم تصور الكثير وكأنه أشار بذلك إلى علو مرتبة النبوة وإن تلوها رتبة الفتوة والمروة هذا وفي النهاية الكافل هو القائم بأمر اليتيم المربي له وهو من الكفيل بمعنى الضمين والضمير في له ولغيره راجع إلى الكافل أي أن اليتيم سواء كان للكافل من ذوي رحمة وأنسابه أو كان أجنبيا لغيره وتكفل به قال الطيبي قوله في الجنة خبر أنا وهكذا نصب على المصدر من متعلق الخبر وأشار بالسبابة والوسطى أي أشار بهما إلى ما في ضميره عليه السلام من معنى الانضمام وهو بيان هكذا اه والظاهر أنه ضم أصبعيه عند قوله هكذا فعبر الراوي عن فعله بقوله وأشار إذ الإشارة عما في ضميره عليه السلام غير متصور للراوي قيل اليتيم من الناس من مات أبوه ومن الدواب من مات أمه وكافل اليتيم من يقوم بأمره ويعوله ويربيه وينفق عليه ولو من مال اليتيم والله أعلم رواه البخاري وفي الجامع الصغير أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا رواه أحمد والبخاري وأبو داود والترمذي عن سهل بن سعد اه وظاهره أن قوله في المشكاة له ولغيره من كلام سهل أو من بعده أدرج في الحديث أو هو رواية أخرى وفيها زيادة مقبولة وأما قوله وأشار فهو من كلام سهل ولعله تركه صاحب الجامع اختصارا والله أعلم وعن النعمان بن بشير مر ذكرهما رضي الله عنهما قال قال رسول الله ترى المؤمنين أي الكاملين في تراحمهم أي في رحم بعضهم بعضا بأخوة الإيمان

---

(١) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ١٤١/٥٠

لا بسبب رحم ونحوه وتوادهم بتشديد الدال المكسورة أي تواصلهم الجالب للمحبة كالتزاور والتهادي وتعاطفهم أي بإعانة بعضهم بعضا كمثل الجسد أي جنسه." (١)

"" صفحة رقم ٣٢٥ "

٢ ( ) يابنى إسراءيل اذكروا نعمتي التى أنعمت عليكم وأوفوا بعهدى أوف بعهدكم وإياى فارهبون وءامنوا بمآ أنزلت مصدقا لما معكم ولا تكونوا أول كافر به ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا وإياى فاتقون ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وأنتم تعلمون وأقيموا الصلواة وآتوا الزكواة واركعوا مع الراكعين ( )) ٢

) خالدون يابنى إسراءيل اذكروا نعمتي التى أنعمت عليكم وأوفوا بعهدى أوف بعهدكم وإياى فارهبون وءامنوا بما أنزلت مصدقا لما معكم ولا تكونوا أول كافر به ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا وإياى فاتقون ولا).

البقرة : (٤٠) يا بني إسرائيل . . . . .

ابن : محذوف اللام ، وقيل : الياء خلاف ، وفي وزنه على كلا التقديرين خلاف ، فقيل : فعل ، وقيل : فعل . فمن زعم أن أصله ياء جعله مشتقا من البناء ، وهو وضع الشيء على الشيء . والابن فرع عن الأب ، فهو موضوع عليه ، وجعل قولهم : البنوة شاذ كالفتوة ، ومن زعم أن أصله واو ، وإليه ذهب الأخفش ، جعل البنوة دليلا على ذلك ، ولكون اللام المحذوفة واوا أكثر منها ياء . وجمع ابن جمع تكسير ، فقالوا : أبناء ، وجمع سلامة ، فقالوا : بنون ، وهو جمع شاذ ، إذ لم يسلم فيه بناء الواحد ، فلم يقولوا : ابنون ، ولذلك عاملت العرب هذا الجمع في بعض كلامها معاملة جمع التكسير ، فألحقت التاء في فعله ، كما ألحقت في فعل جمع التكسير ، قال النابغة : قالت بنو عامر خالو بني أسد

يا بؤس للجهل ضرارا لأقوام

وقد سمع الجمع بالواو والنون فيه مصغرا ، قال يسدد :

أبينوها الأصاغر خلتي

وهو شاذ أيضا .

إسرائيل : اسم عجمي ممنوع الصرف للعلمية والعجمة ، وقد ذكروا أنه مركب من إسرا : وهو العبد ، وإيل : اسم من أسماء الله تعالى ، فكأنه عبد الله ، وذلك باللسان العبراني ، فيكون مثل : جبرائيل ، وميكائيل ، وإسرافيل ، وعزرائيل ، قاله ابن عباس . وقيل : معنى إسرا : صفوة ، وايل : الله تعالى ، فمعناه : صفوة الله . روي ذلك عن ابن عباس وغيره ، وقال بعضهم : إسرا مشتق من الأسر ، وهو الشد ، فكأن إسرائيل معناه : الذي شده الله وأتقن خلقه . وقيل : أسري بالليل مهاجرا إلى الله تعالى فسمي بذلك . وقيل : أسر جنيا كان يطفيء سرج بيت المقدس ، وكان اسم الجني : إيل ، فسمي إسرائيل ، وكان يخدم بيت المقدس ، وكان أول من يدخل ، وآخر من يخرج ، قاله كعب . وقيل : أسرى بالليل هاربا من أخيه عيصو إلى خاله ، في حكاية طويلة ذكروها ، فأطلق ذلك عليه . وهذه أقاويل ضعاف ، وفيه تصرفات للعرب بقوله : إسرائيل بهمزة بعد الألف وياء بعدها ، وهي قراءة الجمهور . وإسراييل بياءين بعد الألف ، وهي قراءة أبي جعفر والأعشى

---

(١) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ١٤١/٢٣٤

وعيسى بن عمر . وإسرائل بهمزة بعد الألف ثم لام ، وهو مروي عن ورش . وإسراءل بهمزة مفتوحة بعد الراء ولام ، وإسرئل بهمزة مكسورة بعد الراء ، وإسرال بألف ممالة بعدها لام خفيفة ، واسرال بألف غير ممالة ، قال أمية : لا أرى من يعيشني في حياتي

غير نفسي إلا بني إسرالا." (١)

"" صفحة رقم ٥ "

هذا سيبويه لأن السابق ، إنما هو نفي كون البر هو تولية الوجه قبل المشرق والمغرب ، فالذي يستدرك إنما هو من جنس ما ينفي ، ونظير ذلك : ليس الكرم أن تبذل درهما ، ولكن الكرم بذل الآلاف ، فلا يناسب : ولكن الكريم من يبذل الآلاف إلا إن كان قبله : ليس الكريم بباذل درهم .

وقال المبرد : لو كنت ممن يقرأ القرآن ولكن البر بفتح الباء ، وإنما قال ذلك لأنه يكون اسم فاعل ، تقول : بررت أبر ، فأنا بر وبار ، قيل : فبني تارة على فعل ، نحو : كهل ، وصعب ، وتارة على فاعل ، والاولى ادعاء حذف الألف من البر ، ومثله : سر ، وقر ، ورب ، أي : سار ، وقار ، وبار ، وراب .

وقال الفراء : من آمن ، معناه الإيمان لما وقع من موقع المصدر جعل خبرا للأول ، كأنه قال : ولكن البر الإيمان بالله ، والعرب تجعل الاسم خبرا للفعل ، وأنشد الفراء : لعمرك ما الفتيان أن تنبت اللحى

ولكنما الفتيان كل فتى ندب

جعل نبات اللحية خبرا للفتى ، والمعنى : لعمرك ما الفتوة أن تنبت اللحى ، وقرأ نافع ، وابن عامر : ولكن بسكون النون خفيفة ، ورفع البر ، وقرأ الباقون بفتح النون مشددة ونصب البر ، والإعراب واضح ، وقد تقدم نظير القراءتين في) ولاكن الشياطين كفروا).

) واليوم الاخر والملئكة والكتاب والنبيين (ذكر في هذه الآية إن كان الإيمان مصرحا بها كما جاء في حديث جبريل حين سأله عن الإيمان فقال : (أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره) ولم يصرح في الآية بالإيمان بالقدر ، لأن الإيمان بالكتاب يتضمنه ، ومضمون الآية : ان البر لا يحصل باستقبال المشرق والمغرب بل بمجموع أمور .

أحدها : الإيمان بالله ، وأهل الكتاب أخلوا بذلك ، أما اليهود فللتجسيم ولقولهم :) عزيز عبد الله (وأما النصارى فلقولهم :) المسيح ابن الله).

الثاني : الإيمان بالله واليوم الآخر ، واليهود أخلوا به حيث قالوا :) لن تمسنا النار إلا أياما (والنصارى أنكروا المعاد الجسماني .

والثالث : الإيمان بالملائكة ، واليهود عادوا جبريل .

والرابع : الإيمان بكتب الله ، والنصارى واليهود أنكروا القرآن .

والخامس : الإيمان بالنبيين ، واليهود قتلوهم ، وكلا الفريقين من أهل الكتاب طعنا في نبوة محمد (صلى الله عليه وسلم)

---

(١) تفسير البحر المحيط ـ موافق للمطبوع (الكتب العلمية)، ١ /٣٢٥

.)

والسادس : بذل الأموال على وفق أمر الله ، واليهود ألقوا الشبه لأخذ الأموال .

والسابع : إقامة الصلاة والزكاة ، واليهود يمتنعون منها .

والثامن : الوفاء بالعهد ، واليهود نقضوه .

وهذا النفي السابق ، والاستدراك ، لا يحمل على ظاهرهما ، لأنه نفي أن يكون التوجه إلى القبلة برا ، ثم حكم بأن البر أمور .

أحدها : الصلاة ، ولا بد فيها من استقبال القبلة ، فيحمل النفي للبر على نفي مجموع البر ، لا على نفي أصله ، أي : ليس البر كله هو هذا ، ولكن البر هو ما ذكر ، ويحمل على نفي أصل البر ، لأن استقبالهم المشرق والمغرب بعد النسخ كان إثما وفجورا ، فلا يعد في البر ، أو لأن استقبال القبلة لا يكون برا إذا لم تقارنه معرفة الله تعالى ، وإنما يكون برا مع الإيمان .

وقدم الملائكة والكتب على الرسل ، وإن كان الإيمان بوجود الملائكة وصدق الكتب لا يحصل إلا بواسطة الرسل ، لأن ذلك اعتبر فيه الترتيب الوجودي ، لأن الملك يوجد أولا ثم يحصل بوساطة تبليغه نزول الكتب ، ثم يصل ذلك الكتاب إلى الرسول ، فروعي الترتيب الوجودي الخارجي ، لا الترتيب الذهني .

وقدم الإيمان بالله واليوم الآخر على الإيمان بالملائكة والكتب والرسل ، لأن المكلف له مبدأ ، ووسط ، ومنتهى ، ومعرفة المبدأ والمنتهى هو المقصود بالذات ، وهو المراد بالإيمان بالله واليوم الآخر ، وأما معرفة مصالح الوسط فلا تتم إلا بالرسالة ، وهي لا تتم إلا بأمور ثلاثة : الملائكة الآتين بالوحي ، والموحى به : وهو الكتاب ، والموحى إليه : وهو الرسول .

وقدم الإيمان على أفعال الجوارح ، وهو : إيتاء المال والصلاة والزكاة لأن أعمال القلوب أشرف من أعمال الجوارح ، ولأن أعمال الجوارح النافعة عند الله تعالى إنما تنشأ عن الإيمان .

وبهذه الخمسة التي هي متعلق الإيمان ، حصلت حقيقة الإيمان ، لأن الإيمان بالله يستدعي الإيمان بوجوده وقدمه وبقائه وعلمه بكل المعلومات ، وتعلق قدرته بكل الممكنات ، وإرادته وكونه سميعا وبصيرا متكلما ، وكونه منزها عن الحالية والمحلية والتحيز والعرضية ، والإيمان باليوم الآخر يحصل به العلم بما يلزم ، من." (١)

"ابن : محذوف اللام ، وقيل : الياء خلاف ، وفي وزنه على كلا التقديرين خلاف ، فقيل : فعل ، وقيل : فعل. فمن زعم أن أصله ياء جعله مشتقا من البناء ، وهو وضع الشيء على الشيء. والابن فرع عن الأب ، فهو موضوع عليه ، وجعل قولهم : البنوة شاذ كالفتوة ، ومن زعم أن أصله واو ، وإليه ذهب الأخفش ، جعل البنوة دليلا على ذلك ، ولكون اللام المحذوفة واوا أكثر منها ياء. وجمع ابن جمع تكسير ، فقالوا : أبناء ، وجمع سلامة ، فقالوا : بنون ، وهو جمع شاذ ، إذ لم يسلم فيه بناء الواحد ، فلم يقولوا : ابنون ، ولذلك عاملت العرب هذا الجمع في بعض كلامها معاملة جمع التكسير ، فألحقت التاء في فعله ، كما ألحقت في فعل جمع التكسير ، قال النابغة :

---

(١) تفسير البحر المحيط ـ موافق للمطبوع (الكتب العلمية)، ٥/٢ ١

قالت بنو عامر خالو بني أسديا بؤس للجهل ضرارا لأقوام
وقد سمع الجمع بالواو والنون فيه مصغرا ، قال يسدد :
أبينوها الأصاغر خلتي
وهو شاذ أيضا.
إسرائيل : اسم عجمي ممنوع الصرف للعلمية والعجمة ، وقد ذكروا أنه مركب من إسرا : وهو العبد ، وإيل : اسم من أسماء الله تعالى ، فكأنه عبد الله ، وذلك باللسان العبراني ، فيكون مثل : جبرائيل ، وميكائيل ، وإسرافيل ، وعزرائيل ، قاله ابن عباس. وقيل : معنى إسرا : صفوة ، وايل : الله تعالى ، فمعناه : صفوة الله. روي ذلك عن ابن عباس وغيره ، وقال بعضهم : إسرا مشتق من الأسر ، وهو الشد ، فكأن إسرائيل معناه : الذي شده الله وأتقن خلقه. وقيل : أسري بالليل مهاجرا إلى الله تعالى فسمي بذلك. وقيل : أسر جنيا كان يطفيء سرج بيت المقدس ، وكان اسم الجني : إيل ، فسمي إسرائيل ، وكان يخدم بيت المقدس ، وكان أول من يدخل ، وآخر من يخرج ، قاله كعب. وقيل : أسرى بالليل هاربا من أخيه عيصو إلى خاله ، في حكاية طويلة ذكروها ، فأطلق ذلك عليه. وهذه أقاويل ضعاف ، وفيه تصرفات للعرب بقوله : إسرائيل بهمزة بعد الألف وياء بعدها ، وهي قراءة الجمهور. وإسراييل بياءين بعد الألف ، وهي قراءة أبي جعفر والأعشى وعيسى بن عمر. وإسرائل بهمزة بعد الألف ثم لام ، وهو مروي عن ورش. وإسراءل بهمزة مفتوحة بعد الراء ولام ، وإسرئل بهمزة مكسورة بعد الراء ، وإسرال بألف ممالة بعدها لام خفيفة ، واسرال بألف غير ممالة ، قال أمية :
١٧١
لا أرى من يعيشني في حياتيغير نفسي إلا بني إسرالا
جزء : ١ رقم الصفحة : ١٧١
وهي رواية خارجة عن نافع ، وقرأ الحسن والزهري وابن أبي إسحاق وغيرهم : وإسرائن بنون بدل اللام ، قال الشاعر :
يقول أهل السوء لما جيناهذا ورب البيت إسرائينا
كما قالوا : سجيل ، وسجين ، ورفل ، ورفن ، وجبريل ، وجبرين ، أبدلت بالنون كما أبدلت النون بها في أصيلان قالوا : أصيلال ، وإذا جمعته جمع تكسير قلت : أساريل ، وحكي : أسارلة وأسارل. الذكر : بكسر الذال وضمها لغتان بمعنى واحد ، وقال الكسائي : يكون باللسان ، والذكر بالقلب فبالكسر ضده : الصمت ، وبالضم ضده : النسيان ، وهو بمعنى التيقظ والتنبه ، ويقال : اجعله منك على ذكر. النعمة : اسم للشيء المنعم به ، وكثيرا ما يجيء فعل بمعنى المفعول : كالذبح ، والنقص ، والرعي ، والطحن ، ومع ذلك لا ينقاس. أوفى ، ووفى ، ووفى : لغى ثلاث في معنى واحد ، وتأتي أوفى بمعنى : ارتفع ، قال :
ربما أوفيت في علمترفعن ثوبي شمالات
والميفات : مكان مرتفع ، وقال الفراء : أهل الحجاز يقولون : أوفيت ، وأهل نجد يقولون : وفيت بغير ألف ، وقال الزجاج : وفي بالعهد ، وأوفى به ، قال الشاعر :
أما ابن طوق فقد أوفى بذمتهكما وفى بقلاص النجم حاديها

وقال ابن قتيبة : يقال وفيت بالعهد ، وأوفيت به ، وأوفيت الكيل لا غير. وقال أبو الهيثم : وفي الشيء : تم ، ووفى الكيل وأوفيته : أتممته ، ووفى ريش الطائر : بلغ التمام ، ودرهم واف : أي تام كامل. الرهب ، والرهب ، والرهب ، والرهبة : الخوف ، مأخوذ من الرهابة ، وهو عظم الصدر يؤثر فيه الخوف. والرهب : النصل ، لأنه يرهب منه ، والرهبة والخشية والمخافة نظائر. التصديق : اعتقاد حقيقة الشيء ومطابقته للمخبر به ، والتكذيب يقابله.
" (١).

"جزء : ١ رقم الصفحة : ٤٩٦

﴿ولاكن البر من ءامن بالله﴾ البر : معنى من المعاني ، فلا يكون خبره الذوات إلا مجازا ، فاما أن يجعل : البر ، هو نفس من آمن ، على طريق المبالغة ، قاله أبو عبيدة ، والمعنى : ولكن البار. وإما أن يكون على حذف من الأول ، أي : ولكن ذا البر ، قاله الزجاج. أو من الثاني أي : بر من آمن ، قاله قطرب ، وعلى هذا خرجه سيبويه ، قال في كتابه : وقال جل وعز : ﴿ولاكن البر من ءامن﴾ وإنما هو : ولكن البر بر من آمن بالله. انتهى.
وإنما اختار هذا سيبويه لأن السابق ، إنما هو نفي كون البر هو تولية الوجه قبل المشرق والمغرب ، فالذي يستدرك إنما هو من جنس ما ينفى ، ونظير ذلك : ليس الكرم أن تبذل درهما ، ولكن الكرم بذل الآلاف ، فلا يناسب : ولكن الكريم من يبذل الآلاف إلا إن كان قبله : ليس الكريم بباذل درهم.
وقال المبرد : لو كنت ممن يقرأ القرآن ولكن البر بفتح الباء ، وإنما قال ذلك لأنه يكون اسم فاعل ، تقول : بررت أبر ، فأنا بر وبار ، قيل : فبني تارة على فعل ، نحو : كهل ، وصعب ، وتارة على فاعل ، والاولى ادعاء حذف الألف من البر ، ومثله : سر ، وقر ، ورب ، أي : سار ، وقار ، وبار ، وراب.
وقال الفراء : من آمن ، معناه الإيمان لما وقع من موقع المصدر جعل خبرا للأول ، كأنه قال : ولكن البر الإيمان بالله ، والعرب تجعل الاسم خبرا للفعل ، وأنشد الفراء :
لعمرك ما الفتيان أن تنبت اللحىولكنما الفتيان كل فتى ندب
جعل نبات اللحية خبرا للفتى ، والمعنى : لعمرك ما الفتوة أن تنبت اللحى ، وقرأ نافع ، وابن عامر : ولكن بسكون النون خفيفة ، ورفع البر ، وقرأ الباقون بفتح النون مشددة ونصب البر ، والإعراب واضح ، وقد تقدم نظير القراءتين في ﴿ولاكن الشياطين كفروا ﴾ .
﴿واليوم الاخر والملئاكة والكتاب والنبيان﴾ ذكر في هذه الآية إن كان الإيمان مصرحا بها كما جاء في حديث جبريل حين سأله عن الإيمان فقال : "أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره" ولم يصرح في الآية بالإيمان بالقدر ، لأن الإيمان بالكتاب يتضمنه ، ومضمون الآية : ان البر لا يحصل باستقبال المشرق والمغرب بل بمجموع أمور.
أحدها : الإيمان بالله ، وأهل الكتاب أخلوا بذلك ، أما
٣

(١) تفسير البحر المحيط ـ موافق للمطبوع (دار الفكر)، ١٤٤/١

اليهود فللتجسيم ولقولهم : ﴿عزيز﴾ وأما النصارى فلقولهم : ﴿المسيح ابن الله﴾ .
جزء : ١ رقم الصفحة : ٤٩٦
الثاني : الإيمان بالله واليوم الآخر ، واليهود أخلوا به حيث قالوا : ﴿لن تمسنا النار إلا أياما﴾ والنصارى أنكروا المعاد الجسماني.
والثالث : الإيمان بالملائكة ، واليهود عادوا جبريل.
والرابع : الإيمان بكتب الله ، والنصارى واليهود أنكروا القرآن.
والخامس : الإيمان بالنبيين ، واليهود قتلوهم ، وكلا الفريقين من أهل الكتاب طعنا في نبوة محمد صلى الله عليه وسلم.
والسادس : بذل الأموال على وفق أمر الله ، واليهود ألقوا الشبه لأخذ الأموال.
والسابع : إقامة الصلاة والزكاة ، واليهود يمتنعون منها.
والثامن : الوفاء بالعهد ، واليهود نقضوه.
وهذا النفي السابق ، والاستدراك ، لا يحمل على ظاهرهما ، لأنه نفي أن يكون التوجه إلى القبلة برا ، ثم حكم بأن البر أمور.
أحدها : الصلاة ، ولا بد فيها من استقبال القبلة ، فيحمل النفي للبر على نفي مجموع البر ، لا على نفي أصله ، أي : ليس البر كله هو هذا ، ولكن البر هو ما ذكر ، ويحمل على نفي أصل البر ، لأن استقبالهم المشرق والمغرب بعد النسخ كان إثما وفجورا ، فلا يعد في البر ، أو لأن استقبال القبلة لا يكون برا إذا لم تقارنه معرفة الله تعالى ، وإنما يكون برا مع الإيمان.
وقدم الملائكة والكتب على الرسل ، وإن كان الإيمان بوجود الملائكة وصدق الكتب لا يحصل إلا بواسطة الرسل ، لأن ذلك اعتبر فيه الترتيب الوجودي ، لأن الملك يوجد أولا ثم يحصل بوساطة تبليغه نزول الكتب ، ثم يصل ذلك الكتاب إلى الرسول ، فروعي الترتيب الوجودي الخارجي ، لا الترتيب الذهني.
وقدم الإيمان بالله واليوم الآخر على الإيمان بالملائكة والكتب والرسل ، لأن المكلف له مبدأ ، ووسط ، ومنتهى ، ومعرفة المبدأ والمنتهى هو المقصود بالذات ، وهو المراد بالإيمان بالله واليوم الآخر ، وأما معرفة مصالح الوسط فلا تتم إلا بالرسالة ، وهي لا تتم إلا بأمور ثلاثة : الملائكة الآتين بالوحي ، والموحى به : وهو الكتاب ، والموحى إليه : وهو الرسول.
وقدم الإيمان على أفعال الجوارح ، وهو : إيتاء المال والصلاة والزكاة لأن أعمال القلوب أشرف من أعمال الجوارح ، ولأن أعمال الجوارح النافعة عند الله تعالى إنما تنشأ عن الإيمان.
" (١).

"" صفحة رقم ٢٨٤ "
يوسف : (٢٨) فلما رأى قميصه . . . . .

(١) تفسير البحر المحيط ـ موافق للمطبوع (دار الفكر)، ١ /٤٣٦

) فلما رأى قميصه قد من دبر قال إنه (إن قولك) ما جزاء من أراد بأهلك سوءا (إن السوء أو إن هذا الأمر) من كيدكن (من حيلتكن والخطاب لها ولأمثالها أو لسائر النساء) إن كيدكن عظيم (فإن كيد السناء ألطف وأعلق بالقلب واشد تأثيرا في النفس ولأنهن يواجهن به الرحال والشيطان يوسوس به مارقة

يوسف : (٢٩) يوسف أعرض عن . . . . .

) يوسف (حذف منه حرف النداء لقربه وتفطنه للحديث) أعرض عن هذا (أكتمه ولا تذكره) واستغفري لذنبك (يا راعيل) إنك كنت من الخاطئين (من القوم المذنبين من خطى إذا أذنب متعمدا والتذكير للتغليب

يوسف : (٣٠) وقال نسوة في . . . . .

) وقال نسوة (هي اسم لجمع امرأة وتأنيثه بهذا الإعتبار غير حقيقي ولذلك جرد فعله وضم النون لغة فيها) في المدينة (ظرف لقال أي أشعن الحاكية فيمصر أو صفة نسوة وكن خمسا زوجة الحاجب والساقي والخباز والسجان وصاحب الدواب) امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه (تطلب مواقعة غلامها إياها و) العزيز (بلسان العرب الملك وأصل فتى فتي لقولهم فتيان والفتوة شاذة) قد شغفها حبا (شق شغاف قلبها وهو حجابه حتى وصل إلى فؤادها حبا ونصبه على التمييز لصرف الفعل عنه وقرىء / شعفها / من شعف البعير إذا هنأه بالقطران فأحرقه) إنا لنراها في ضلال مبين (في ضلال عن الرشد وبعد عن الصواب

يوسف : (٣١) فلما سمعت بمكرهن . . . . .

) فلما سمعت بمكرهن (باغتيابهن وإنما سماه مكرا لأنهن أخفينه كما يخفي الماكر مكره أو قلن ذلك لتريهن يوسف أو لأنها استكتمتهن سرها فأفشينه عليها) أرسلت إليهن (تدعوهن قيل دعت أربعين امرأة فيهن الخمس المذكورات) وأعتدت لهن متكأ (ما يتكن عليه من الوسائد) وآتت كل واحدة منهن سكينا (حتى يتكئن والسكاكين." (١)

"جزء : ١ رقم الصفحة : ٨١

﴿وأتوا به﴾ أي : جيئوا بذلك الرزق أو المرزوق في الدنيا والآخرة جميعا فالضمير إلى ما دل عليه فحوى الكلام مما رزقوا في الدارين ونظيره قوله تعالى : ﴿إن يكن غنيا أو فقيرا فالله أولى بهما﴾ (النساء : ١٣٥) أي : بجنس الغني والفقير ﴿متشابها﴾ في اللون والجودة فإذا أكلوا وجدوا طعمه غير ذلك أجود وألذ ، يعني : لا يكون فيها رديء.

وعن مسروق نخل الجنة نضيد من أصلها إلى فرعها أي : منضود بعضها على بعض ، أي : متراكب ومجتمع ليس كأشجار الدنيا متفرقة أغصانها وثمرتها أمثال القلال كلما نزعت ثمرة عادت مكانها أخرى والعنقود اثنا عشر ذراعا ولو اجتمع الخلائق

٨٣

على عنقود لأشبعهم وجاء رجل من أهل الكتاب إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا أبا القاسم تزعم أن أهل الجنة يأكلون ويشربون فقال : "نعم والذي نفس محمد بيده إن أحدهم ليعطي قوة مائة رجل في الأكل والشرب والجماع" قال : فإن الذي يأكل له حاجة والجنة طيبة ليس فيها أذى قال عليه السلام : "حاجة أحدهم عرق كريح المسك" ﴿ولهم فيهآ﴾

---

(١) تفسير البيضاوي . موافق للمطبوع، ٣/٢٨٤

أي : في الجنة ﴿أزواج﴾ أي : نساء وحور ﴿مطهرة﴾ مهذبة من الأحوال المستقذرة كالحيض والنفاس والبول والغائط والمني والمخاط والبلغم والورم والدرن والصداع وسائر الأوجاع والولادة ودنس الطبع وسوء الخلق وميل الطبع إلى غير الأزواج وغير ذلك.

ومطهرة أبلغ من طاهرة ومتطهرة للإشعار بأن مطهرا طهرهن وما هو إلا الله سبحانه وتعالى.

قال الحسن هن عجائزكم العمص العمش طهرن من قاذورات الدنيا وعن ابن عباس رضي الله عنهما خلق الحور العين من أصابع رجليها إلى ركبتيها من الزعفران ومن ركبتيها إلى ثدييها من المسك الأذفر ومن ثدييها إلى عنقها من العنبر الأشهب أي : الأبيض ومن عنقها إلى رأسها من الكافور إذا أقبلت يتلألأ نور وجهها كما يتلألأ نور الشمس لأهل الدنيا ﴿وهم فيها خالدون﴾ أي : دائمون أحياء لا يموتون ولا يخرجون منها.

قال عكرمة : أهل الجنة ولد ثلاث وثلاثين سنة رجالهم ونساؤهم وقامتهم ستون ذراعا على قامة أبيهم آدم شباب جرد مرد مكحلون عليهم سبعون حلة تتلون كل حلة في كل ساعة سبعين لونا لا يبزقون ولا يمتخطون وما كان فوق ذلك من الأذى فهو أبعد يزدادون كل يوم جمالا وحسنا كما يزداد أهل الدنيا هرما وضعفا لا يفنى شبابهم ولا تبلى ثيابهم.

جزء : ١ رقم الصفحة : ٨١

واعلم أن معظم اللذات الحسية لما كان مقصورا على المساكن والمطاعم والمناكح حسبما يقضي به الاستقراء وكان ملاك جميع ذلك الدوام والثبات إذ كل نعمة وإن جلت حيث كانت في شرف الزوال ومعرض الاضمحلال فإنها منغصة غير صافية من شوائب الألم بشر المؤمنين بها وبدوامها تكميلا للبهجة والسرور.

وفي "التأويلات النجمية" : ﴿وبشر الذين ءامنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات تجرى من تحتها الانهار﴾ أي : يحصل لهم جنات القربة معجلة من بذر الإيمان الحقيقي.

وأعمالهم القلبية الصالحة والروحية والسرية بالتوحيد والتجريد والتفريد من أشجار التوكل واليقين والزهد والورع والتقوى والصدق والإخلاص والهدى والقناعة والعفة والمروءة والفتوة والمجاهدة والمكابدة والشوق والذوق والرغبة والرهبة والخوف والخشية والرجاء والصفاء والوفاء والطلب والإرادة والمحبة والحياء والكرم والسخاوة والشجاعة والعلم والمعرفة والعزة والرفعة والقدرة والحلم والعفو والرحمة والهمة العالية وغيرها من المقامات والأخلاق تجري من تحتها مياه العناية والتوفيق والرأفة والعطفة والفضل.

﴿كلما رزقوا منها﴾ من هذه الأشجار.

﴿من ثمرة﴾ من ثمرات المشاهدات والمكاشفات والمعاينات.

﴿رزقا﴾ أي : عطفا وصحة وعطية.

﴿قالوا هاذا الذى رزقنا من قبل﴾ وذلك لأن أصحاب المشاهدات يشاهدون أحوالا شتى في صورة واحدة من ثمرات مجاهداتهم فيظن بعضهم من المتوسطين أن هذا المشاهد هو الذي يشاهده قبل هذا فتكون الصورة تلك الصورة ولكن المعنى هو حقيقة أخرى مثاله يشاهد السالك نورا في صورة نار كما شاهد موسى عليه السلام نور الهداية في صورة نار كما قال

: إني آنست نارا فتكون تارة تلك

٨٤." (١)

"والإشارة فإذا قضيتم مناسك : وصلتكم وبلغتم مبلغ الرجال البالغين من أهل الكمال فلا تأمنوا مكر الله ولا تهملوا وظائف ذكر الله فاذكروا الله كما تذكرون في حال طفوليتكم آباءكم للحاجة والافتقار بالعجز والانكسار وفي حال رجوليتكم للحجة والافتخار بالمحبة والاستظهار فاذكروا الله افتقارا وافتخارا أو أشد ذكرا وآكد في الافتخار لأنه يمكن للطفل الاستغناء عن الله بولي وكذلك البالغ يحتمل أن يفتخر بغير الله ولكن العباد ليس لهم من دون الله من ولي ولا واقق فمن الناس من أهل الطلب والسلوك من يقول بتسويل النفس وغرورها بحسبان الوصول والكمال عند النسيان وتغير الأحوال ربنا آتنا في الدنيا حسنة يعني : تميل نفسه إلى الدنيا وتنسى المقصد الأصلي ويظن الطالب الممكور أنه قد استغنى عن الاجتهاد فأهمل وظائف الذكر ورياضة النفس ومخاطرة القلب ومراقبة السر فاستولت عليه النفس وغلب عليه الهوى واستهوته الشياطين في الأرض حيران حتى أوقعته في أودية الهجران والفراق وماله في الآخرة من خلاق ومنهم أي : من أهل الوصول وأرباب الفتوة من يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة نعمة من النعم الظاهرة كالعافية والصحة والسعة والفراغة والطاعة واستطاعة البدن والوجاهة والإرشاد والأخلاق وفي الآخرة حسنة نعمة من النعم الباطنة هي الكشوف والمشاهدات وأنواع القربات والمواصلات وقنا عذاب النار أي : نار القطيعة وحرقة الفراق أولئك لهم نصيب أي : لهؤلاء البالغين الواصلين نصيب وافر مما كسبوا من المقامات والكرامات ومما سألوا من إيتاء الحسنات والله سريع الحساب لكلا الفريقين فيما سألوه أي : يعطيهم بحسب نياتهم على قدر هممهم وطوياتهم كذا في "التأويلات النجمية".

جزء : ١ رقم الصفحة : ٣١٩

﴿واذكروا الله﴾ أي : كبروه أعقاب الصلوات وعند ذبح القرابين ورمي الجمار وغيرها ﴿فى أيام معدودات﴾ في أيام التشريق هي ثلاثة أيام بعد يوم النحر أولها : يوم القر وهو الحادي عشر

٣٢٠

من ذي الحجة يستقر الناس فيه بمنى ، والثاني يوم النفر الأول لأن بعض الناس ينفرون في هذا اليوم من منى ، والثالث يوم النفر الثاني وهذه الأيام الثلاثة مع يوم النحر أيام رمي الجمار وأيام التكبير أدبار الصلوات وفي الحديث "كبر دبر كل صلاة من يوم عرفة إلى آخر أيام التشريق" وسميت معدودات لقلتهن كقوله تعالى : ﴿دراهم معدودة﴾ (يوسف : ٢٠) أي : قليلة ، والأيام المعلومات في قوله تعالى : ﴿ويذكروا اسم الله فى أيام معلومات﴾ (الحج : ٢٨) في سورة الحج عشر ذي الحجة آخرهن يوم النحر.

وفي "الكواشي" : معدودات جمع معدودة وأيام جمع يوم ولا ينعت المذكر بمؤنث فلا يقال يوم معدودة وقياسه في أيام معدودة لأن الجمع قد ينعت بالمؤنث كقوله تعالى : ﴿لن تمسنا النار إلا أياما معدودة﴾ (البقرة : ٨٠) قالوا ووجهه أنه أجرى معدودات على لفظ أيام وقابل الجمع بالجمع مجازا انتهى ﴿فمن تعجل﴾ أي : استعجل وطلب الخروج من منى

---

(١) تفسير روح البيان . موافق للمطبوع، ١ /٦٥١

﴿فى يومين﴾ في تمام يومين بعد يوم النحر واكتفى برمي الجمار في يومين من هذه الأيام الثلاثة فلم يمكث حتى يرمي في اليوم الثالث ﴿فلا إثم عليه﴾ بهذا التعجيل وهو مرخص له فعند أبي حنيفة رحمه الله ينفر قبل طلوع الفجر من اليوم الثالث ومحصله أن على الحاج أن يبيت بمنى الليلة الأولى والثانية من أيام التشريق ويرمي كل يوم بعد الزوال إحدى وعشرين حصاة عند كل جمرة سبع حصيات ورخص في ترك البيتوتة لرعاء الإبل وأهل سقاية الحاج ثم كل من رمى اليوم الثاني من أيام التشريق وأراد أن ينفر بعد البيتوتة في الليلة الأولى والثانية من أيام التشريق ورمى يوميهما فذلك له واسع لقوله تعالى :
جزء : ١ رقم الصفحة : ٣٢٠
" (١).

"والخواص يخرجهم من ظلمات الصفات النفسانية والجسمانية إلى نور الروحانية الربانية كقوله تعالى : ﴿الذين ءامنوا وتطماان قلوبهم بذكر الله﴾ (الرعد : ٢٨) واطمئنان القلب بالذكر لم يكن إلا بعد تصفيته عن الصفات النفسانية وتحليته بالصفات الروحانية.

وخواص الخواص يخرجهم من ظلمات حدوث الخلقة الروحانية بإفنائهم عن وجودهم إلى نور تجلي صفة القدم لهم ليبقيهم به كقوله تعالى : ﴿نحن نقص عليك نبأهم بالحقا إنهم﴾ (الكهف : ١٣) الآية نسبهم إلى **الفتوة** لما خاطروا بأرواحهم في طلب الحق وآمنوا بالله وكفروا بطاغوت دقيانوس فلما تقربوا إلى الله بقدم **الفتوة** تقرب إليهم بمزيد العناية فأخرجهم من ظلمات النفسانية إلى نور الروحانية فلما تنورت أنفسهم بأنوار أرواحهم اطمأنت إلى ذكر الله وآنست به واستوحشت عن محبة أهل الدنيا وما فيها فأحبوا الخلاء كما كان حال النبي عليه الصلاة والسلام في بدء الأمر قالت عائشة رضي الله عنها أول ما بدىء به عليه الصلاة والسلام كان حبب إليه الخلاء ولعمري هذا دأب كل طالب محق مريد صادق كذا في "التأويلات النجمية".

قال الفخر الرازي : بطريق الاعتراض إن جمعا من الصوفية يقولون الاشتغال بغير الله حجاب عن معرفة الله والأنبياء عليهم الصلاة والسلام لا يدعون الخلق إلا إلى الطاعات والتكاليف فهم يشغلون الخلق بغير الله ويمنعونهم عن الاشتغال بالله فوجب أن لا يكون ذلك حقا وصدقا انتهى كلامه.

يقول الفقير جامع هذه المجالس النفيسة هذا الاعتراض ليس بشيء فإن الطاعات والتكاليف ، وسائل إلى معرفة الله الملك اللطيف فالدعوة ليست إلا إلى معرفة الله حقيقة ألا يرى إلى تفسير ابن عباس رضي الله عنهما عند قوله تعالى : ﴿وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون﴾ (الذاريات : ٥٦) بقوله : ليعرفون وإنما عدل عنه إلى ليعبدون مع أنه خلاف مقتضى الظاهر حينئذ إشعارا بأن المعرفة المقبولة هي التي تحصل بطريق العبادة فالاشتغال بغير الله وبغير عبادته حجاب أي حجاب ولذلك
٤٠٩
كان بدء حال السلف الخلاء والانقطاع عن الناس اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم واهتماما في رفع الحجاب الحاصل

---
(١) تفسير روح البيان . موافق للمطبوع، ١ /٢٦٣

بالاختلاط ، وفي "المثنوي" :

جزء : ١ رقم الصفحة : ٤٠٨

آدمي راهست درهر كار دست

ليك ازو مقصود اين خدمت بدستما خلقت الجن والإنس أين بخوان

جز عبادت نيست مقصود ازجهان

تاجلا باشد مران آيينه را

كه صفا آيد زطاعت سينه راس

جزء : ١ رقم الصفحة : ٤٠٨

﴿ألم تر﴾ أي : ألم ينته علمك الذي يضاهي العيان في الإيقان وحقيقته اعلم بأخبارنا فإنه مفيد لليقين ﴿إلى الذى﴾ أي : إلى قصة الملك الذي ﴿حآج﴾ أي : جادل وخاصم وقابل بالحجة ﴿إبراهام﴾ في معارضة ربوبيته ﴿فى ربه﴾ وفي التعرض لعنوان الربوبية مع أن الإضافة إلى ضميره عليه الصلاة والسلام تشريف له وإيذان بتأييده في المحاجة والذي حاج هو نمرود بن كنعان بن سام بن نوح وهو أول من وضع التاج على رأسه وتجبر وادعى الربوبية ﴿أن ءاتاه الله الملك﴾ أي : لأن آتاه فهو مفعول له لقوله حاج.

وله معنيان : أحدهما أنه من باب العكس في الكلام بمعنى أنه وضع المحاجة موضع الشكر إذ كان من حقه أن يشكر في مقابلة إيتاء الملك ولكنه عكس ما هو الحق الواجب عليه كما تقول عاداني فلان لأني أحسنت إليه تريد أنه عكس ما كان يجب عليه من الموالاة لأجل الإحسان ، والثاني أن إيتاء الملك حمله على ذلك لأنه أورثه الكبر والبطر فنشأ عنهما المحاجة والمعنى أعطاه كثرة المال واتساع الحال وملك جميع الدنيا على الكمال.

قال مجاهد لم يملك الدنيا بأسرها إلا أربعة مسلمان وكافران فالمسلمان سليمان وذو القرنين والكافران نمرود وبخت نصر وهو شداد بن عاد الذي بنى إرم في بعض صحاري عدن.

ثم هو حجة على من منع إيتاء الله الملك للكافر وهم المعتزلة لأن مذهبهم وجوب رعاية الأصلح للعبد على الله وإيتاء الله الملك للكافر تسليط له على المؤمنين وذلك ليس بأصلح لحال المؤمن قلنا إنما ملكه امتحانا له ولعباده ﴿إذ قال إبراهام﴾ ظرف لحاج ﴿ربي الذى يحى ويميت﴾ روى أنه عليه السلام لما كسر الأصنام سجنه ثم أخرجه ليحرقه فقال : من ربك الذي تدعونا إليه قال :

جزء : ١ رقم الصفحة : ٤١٠." (١)

"قال الشيخ نجم الدين الكبرى في قوله تعالى : ﴿والذين عقدت أيمانكم﴾ يعني : الذين جرى بينكم وبينهم عقد الإخوة في الله بأن أخذتم بأيمانكم أيمانهم بالإرادة وصدق الالتجاء وتابوا على أيديكم ﴿فاءاتوهم﴾ بالنصح وحسن التربية والاهتمام بهم والقيام بمصالحهم على شرائط الشيخوخة والتسليك بهم ﴿نصيبهم﴾ الذي أودع الله تعالى لهم عندكم بعلمه

(١) تفسير روح البيان . موافق للمطبوع، ١ /٣٣٥

وحكمته ﴿إن الله كان على كل شيء﴾ من الودائع أينما أودعه ولمن أودعه ﴿شهيدا﴾ يشهد عليهم يوم القيامة إن يخونوا في إعطاء ودائعهم بالخيانة ويسألكم عنها ويشهد لكم بالأمانة ويجازيكم عليها خير الجزاء انتهى فالكاملون لا يخونون في الأمانات بل يسلمون الودائع إلى الأرباب بحسب الاستعدادات ولا يفشون السر إلى من ليس له أهلية في هذا الباب وإلا يلزم الخيانة في أسرار رب الأرباب ، قال مولانا جلال الدين الرومي قدس سره :

جزء : ٢ رقم الصفحة : ١٩٤

عارفا نكه جام حق نوشيده اند

رازها دانسته ووشيده اندهركرا اسرار كار آموختند

مهر كردندو دهانش دوختندبرلبش قفلست ودردل رازها

لب خموش ودل راز آوازها

كوش آن كس نوشد أسرار جلال

كووسوسن صدرزبان افتا دولال

تانكوئي سر سلطانرا بكس

تانر يزي قندرا يش مكس

درخور دريا نشد جز مرغ آب

فهم كن والله أعلم بالصواب

جزء : ٢ رقم الصفحة : ١٩٤

﴿الرجال قوامون على النسآء﴾ قائمون بالأمر بالمصالح والنهي عن الفضائح قيام الولاة على الرعية مسلطون على تأديبهم وعلل ذلك بأمرين وهبي وكسبي فقال : ﴿بما فضل الله بعضهم على بعض﴾ الضمير البارز لكلا الفريقين تغليبا أي بسبب تفضيله الرجال على النساء بالحزم

٢٠١

والعزم والقوة والفتوة والمير والرمي والحماسة والسماحة والتشمير لخطة الخطبة وكتبة الكتابة وغيرها من المخايل المخيلة في استدعاء الزيادة والشمائل الشاملة لجوامع السعادة ﴿وبمآ أنفقوا من أموالهم﴾ أي : وبسبب إنفاقهم من أموالهم في نكاحهم كالمهر والنفقة وهذا أدل على وجوب نفقات الزوجات على الأزواج.

. روي . أن سعد بن الربيع أحد نقباء الأنصار رضي الله عنهم نشزت عليه امرأته حبيبة بنت زيد بن أبي زهير فلطمها فانطلق بها أبوها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وشكا فقال عليه السلام : "لنقتصن منه" فنزلت فقال صلى الله عليه وسلم "أردنا أمرا وأراد الله أمرا والذي أراد الله خير" ورفع القصاص فلا قصاص في اللطمة ونحوها والحكم في النفس وما دونها مذكور في الفروع.

﴿فالصالحات﴾ منهن ﴿قانتات﴾ مطيعاتتعالى قائمات بحقوق الأزواج ﴿حافظات للغيب﴾ أي : لمواجب الغيب أي :

لما يجب عليهن حفظه في حال غيبة الأزواج من الفروج والأموال والبيوت.

وعن النبي صلى الله عليه وسلم "خير النساء امرأة إن نظرت إليها سرتك وإن أمرتها أطاعتك وإذا غبت عنها حفظتك في مالها ونفسها" وتلا الآية وإضافة المال إليها للإشعار بأن ماله في حق التصرف في حكم مالها ﴿بما حفظ الله﴾ ما مصدرية أي بحفظه تعالى إياهن بالأمر بحفظ الغيب والحث عليه بالوعد والوعيد والتوفيق له.

جزء : ٢ رقم الصفحة : ٢٠١

أو موصولة أي بالذي حفظ الله لهن عليهن من المهر والنفقة والقيام بحفظهن والذب عنهن ﴿الرجال قوامون على﴾ خطاب للأزواج وإرشاد لهم إلى طريق القيام عليهن والخوف حالة تحصل في القلب عند حدوث أمر مكروه أو عند الظن أو العلم بحدوثه وقد يراد به أحدهما أي تظنون عصيانهن وترفعهن عن مطاوعتكم ﴿فعظوهن﴾ فانصحوهن بالترغيب والترهيب.

قال الإمام أبو منصور : العظة كلام يلين القلوب القاسية ويرغب الطبائع النافرة وهي بتذكير العواقب ﴿واهجروهن﴾ بعد ذلك إن لم ينفع الوعظ والنصيحة والهجر الترك عن قلى ﴿فى المضاجع﴾ أي في المراقد فلا تدخلوهن تحت اللحف ولا تباشروهن جمع مضجع وهو موضع وضع الجنب للنوم ﴿واضربوهن﴾ إن لم ينجع ما فعلتم من العظة والهجران غير مبرح ولا شائن ولا كاسر ولا خادش فالأمور الثلاثة مترتبة ينبغي أن يدرج فيها ﴿فإن أطعنكم﴾ بذلك كما هو الظاهر لأنه منتهي ما يعد زاجرا ﴿فلا تبغوا عليهن سبيلا﴾ بالتوبيخ والأذية أي فأزيلوا عنهن التعرض واجعلوا ما كان منهن كأن لم يكن فإن التائب من الذنب كمن لا ذنب له ﴿إن الله كان عليا﴾ أي أعلى عليكم قدرة منكم عليهن ﴿كبيرا﴾ أي أعظم حكما عليكم منكم عليهن فاحذروا واعفوا عنهن إذا رجعن لأنكم تعصونه على علو شأنه وكبرياء سلطانه ثم تتوبون فيتوب عليكم فأنتم أحق بالعفو عمن جنى عليكم إذا رجع.

قال في "الشرعة" وشرحها : إذا وقف واطلع من زوجته على فجور أي : فسق أو كذب أو ميل إلى الباطن فإنه يطلقها إلا أن لا يصبر عنها فيمسكها.

." (١)

"وفي التأويلات النجمية لما أخرجوه من جب الطبيعة ذهبوا به إلى مصر الشريعة وقال الذي اشتريه من مصر وهو عزيز مصر الشريعة أي الدليل والمربي على جادة الطريقة ليوصله إلى عالم الحقيقة لامرأته وهي الدنيا اكرمي مثواه أخدمي له في منزل الجسد بقدر حاجته الماسة عسى أن ينفعنا حين يكون صاحب الشريعة وملكا من ملوك الدنيا يتصرف فينا باكسير النبوة فتصير الشريعة حقيقة والدنيا آخرة أو نتخذه ولدا نربيه بلبان ثديي الشريعة والطريقة والفطام عن الدنيا الدنية وكذلك مكنا ليوسف في الأرض يشير إلى أن تمكين يوسف القلب في أرض البشرية إنما هو ليعلم علم تأويل الرؤيا وهو علم النبوة ،كما قال : ولنعلمه من تأويل الأحاديث فكما أن الثمرة على الشجرة إنما تظهر إذا كان أصل الشجرة راسخا في الأرض فكذلك على شجرة القلب إنما تظهر ثمرات العلوم الدينية والمشاهدة الربانية إذا كان قدم القلب ثابتا في طينة الإنسانية والله غالب على أمره بمعنيين أحدهما.

---

(١) تفسير روح البيان ـ موافق للمطبوع، ٢ /١٦٠

أن يكون الله غالبا على أمر القلب أي يكون الغالب على أمره ومحبة الله وطلبه والثاني أن يكون الغالب على أمر القلب جذبات العناية لتقيمه على صراط مستقيم الفناء منه والبقاء بالله فيكون تصرفاته بالله ولله وفي الله لأنه باق بهويته فأني عن أنانية نفسه ولكن أكثر الناس لا يعلمون أنهم خلقوا مستعدين لقبول هذه الكمالية يصرفون استعدادهم فيما يورثهم النقصان والخسران انتهى ما في التأويلات.

ثم إن الله تعالى مدح العلم في هذه الآية وذم الجهل.

أما الأول فلأن الله تعالى ذكر العلم في مقام الامتنان حيث قال : ولنعلمه.

وأما الثاني فلأنه قال : ولكن أكثر الناس لا يعلمون وعلم منه أن أقلهم يعلمون.

والعلم علمان علم الشريعة وعلم الحقيقة ولكل منهما فضل في مقامه وفي الخبر قيل يا رسول الله أي الأعمال أفضل؟ فقال : العلم بالله قيل أي الأعمال يزيد مرتبة؟ قال : العلم بالله ، فقيل نسأل عن العمل تجيب عن العلم فقال : إن قليل العمل ينفع مع العلم وإن كثير العمل لا ينفع مع الجهل والعلم بالله لا يتيسر إلا بتصفية الباطن وتجلية مرآة القلب وكان مطمح نظر الأكابر في إصلاح القلوب والسرائر دون القوالب والظواهر ، لأن الظواهر مظهر نظر الخلق والبواطن مظهر نظر الحق وإصلاح ما يتعلق بالحق أولى من إصلاح ما يتعلق بالخلق :

جزء : ٤ رقم الصفحة : ٢٣٠

كعبه بنياد خليل آز رست

دل نظركاه جليل اكبرست

نسأل الله التوفيق.

ولما بلغ يوسف أشده قال في القاموس أي قوته وهو ما بين ثماني عشرة سنة إلى ثلاثين.

واحد جاء على بناء الجمع كأنك ولا نظير لهما أو جمع لا واحد له من لفظه.

وقال أهل التفسير : أي منتهى اشتداد جسمه وقوته واستحكام عقله وتمييزه وهو سن الوقوف ما بين الثلاثين إلى الأربعين.

والعقلاء ضبطوا مراتب أعمار الناس في أربع ، الأولى سن النشو والنماء ونهايته إلى ثلاثين سنة ، والثانية سن الوقوف وهو سن الشباب ونهايته إلى أن

٢٣٢

تتم أربعون سنة من عمره ، والثالثة سن الكهولة وهو سن الانحطاط اليسير الخفي وتمامه إلى ستين سنة ، والرابعة سن الشيخوخة وهو سن الانحطاط العظيم الظاهر وتمامه عند الأطباء إلى مائة وعشرين سنة ، والأشد غاية الوصول إلى الفطرة الأولى بالتجرد عن غواشي الخلقة التي يسميها الصوفية بمقام الفتوة.

قال في التعريفات الفتوة في اللغة السخاء والكرم وفي اصطلاح أهل الحقيقة هي أن تؤثر الخلق على نفسك بالدنيا والآخرة آتيناه حكما كمالا في العلم والعمل ، استعد به الحكم بين الناس بالحق ورياستهم.

قال القشيري من جملة الحكم الذي آتاه الله نفوذ حكمه على نفسه حتى غلب شهوته فامتنع عما راودته زليخا عن نفسه

، ومن لا حكم له على نفسه لم ينفذ حكمه على غيره.
قال الإمام نقلا عن الحسن : كان نبيا من الوقت الذي ألقي فيه في غيابة الجب لقوله تعالى : ولما بلغ أشده آتيناه ولذا لم يقل ههنا ولما بلغ أشده واستوى كما قال في قصة موسى لأن موسى أوحي إليه عند منتهى الأشد والاستواء وهو أربعون سنة وأوحي إلى يوسف عند أوله وهو ثمان عشرة سنة.
وعلما قالوا المراد من الحكم الحكمة العملية ومن العلم الحكمة النظرية وذلك لأن أصحاب الرياضات والمجاهدات يصلون أولا إلى الحكمة العملية ثم يترقون منها إلى الحكمة النظرية ، وأما أصحاب الأفكار والأنظار العقلية فإنهم يصلون أولا إلى الحكمة النظرية ثم ينزلون منها إلى الحكمة العملية ، وطريقة يوسف عليه السلام هي الأول لأنه صبر على المكاره والبلاء والمحن ففتح الله له أبواب المكاشفات ، قال الحافظ :
مكن زغصه شكايت كه در طريق طلب
برحتى نرسيد آنكه زحمتى نكشيد
وقال :
ه جورها كه كشيدند بلبلان ازدى
ببوى آنكه دكرنو بهار بازآمد
والحاصل : أن طريقة يوسف طريقة السالك المجذوب لا طريقة المجذوب السالك والأولى هي سنة الله الغالبة في أنبيائه وأوليائه ، ففي قوله : حكما وعلما إشارة إلى استكمال النفس في قوتها العملية والنظرية.
." (١)

"فما أغنى عنهم أي لم يدفع عنهم ما نزل بهم يقال ما يغنى عنك هذا أي ما يجدي عنك وما ينفعك ما كانوا يكسبون من بناء البيوت الوثيقة والأموال الوافرة والعدد المتكاثرة روى أن صالحا عليه السلام انتقل بعد هلاك قومه إلى الشام بمن أسلم معه فنزلوا رملة فلسطين ثم انتقل إلى مكة فتوفى بها وهو ابن ثمان وخمسين سنة وكان أقام في قومه عشرين سنة.
وعن جابر رضي الله عنه ، مررنا مع رسول الله على الحجر فقال لنا لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم إلا أن تكونوا باكين حذرا أن يصيبكم مثل ما أصاب هؤلاء ثم زجر رسول الله راحلته فأسرع حتى خلفها ، وكان هذا في غزوة تبوك خشي على أصحابه رضي الله عنهم أن يجتازوا على تلك الديار غير متعظين بما أصاب أهل تلك الديار فنبه عليه الصلاة والسلام على أن الإنسان لا ينبغي له السكنى في أماكن الظلمة ، مخافة أن يصيبهم بلاء فيصاب به أو تسرق طباعه من طباعهم ، ولو كانت خالية منهم ، لأن آثارهم مذكرة بأحوالهم وربما أورثت قسوة وجبروتا.
جزء : ٤ رقم الصفحة : ٤٨٣
يقول الفقير : إذا كان لا ينبغي للمؤمن السكنى في أماكن الظلمة لا ينبغي له أداء الصلاة فيها ولا الحركة إليها بلا ضرورة

(١) تفسير روح البيان ـ موافق للمطبوع، ٤/ ١٥٠

قوية فإن الله تعالى خلق الأماكن على التفاوت كما خلق الأزمان كذلك وشان التقوى العزيمة دون الرخصة ، والمرؤ إذا أطلق أعضاءه الظاهرة أطلق قواه الباطنة وفيه اختلال الحال وميل القلب إلى ما سوى الله المتعال ولن يكون عارفا إلا بالتوجه إلى الحضرة العلياء.

ذو النون المصري قدس سره (ميكويد روزي در أثناء سفر بدر شهري رسيدم خواستم كه دراندرون شهر روم ردر آن شهر كوشكى ديدم وجويي روان بنزديك جوى رفتم وطهارت كردم ون شم بربام كوشك افتاد كنيزكى ديدم ايستاده درغايت حسن وجمال ون نظر أو بمن افتاد كفت أي ون النون ون ترا ازدور ديدم نداشتم كه مجنوني وون طهارت كردى تصور كردم كه عالمي وون از طهارت فارغ شدى ويش آمدي نداشتم كه عارفي اكنون محقق شدم كه نه مجنوني ونه عالمي ونه عارفي فتم را كفت اكر ديونه بودي طهارت نكردي واكر عالم بودي نظر بخانه بيكانه ونا محرم نكردى واكر عارف بودي دل تو بما سوى الله مائل نبودي.

قال الخجندي :

سالك اك رو نخوانندش

آنكه از ما سوى منزه نيست

آستين كوتهى ه سودانرا

كه زدنياش دست كوته نيست

جزء : ٤ رقم الصفحة : ٤٨٣

﴿وما خلقنا السماوات والارض وما بينهمآ﴾ أي بين جنسي السموات والأرضين ولو أراد بين أجزاء المذكور لقال بينهن. وفيه إشارة إلى أن أصل السموات واحدة عند بعضهم ثم قسمت كذا في الكواشي إلا بالحق أي إلا خلقا ملتبسا بالحق والحكمة لا باطلا وعبثا أو للحق والباء توضع موضع اللام يعني لينظر عبادي إليهما فيعتبروا.

٤٨٤

دو شم ازى صنع بارى نكوست

زعيب برادر فرو كير ودوست

در معرفت ديده آدميست

كه بكشوده بر آسمان وزميست

وإن الساعة أي القيامة لتوقعها كل ساعة كما في المدارك.

وقال ابن ملك : هي اسم لوقت تقوم فيه القيامة سمى بها لأنها ساعة خفيفة يحدث فيها أمر عظيم.

وقال ابن الشيخ : سميت الساعة ساعة لسعيها إلى جانب الوقوع ومسافتها الأنفاس.

لآتية لكائنة لا محالة ، كما قيل : (كره قيامت دير آمد ولى مي آمد) أي فينتقم الله لك يا محمد فيها من أعدائك وهم المكذبون ويجازيك على حسناتك وإياهم على سيئاتهم فإنه ما خلق السموات والأرض وما بينهما إلا ليجزى كل محسن بإحسانه وكل مسيء بإساءته فاصفح الصفح الجميل يقال صفح عنه عفا ، وصفح أعرض وترك ، أي فاعرض عن المكذبين

إعراضا جميلا وتحميل أذيتهم ولا تعجل بالانتقام منهم وعاملهم معاملة الصفوح الحليم.

قال الكاشفي يعني : (عفوكن حق نفس خودرا ودر صدد مكافات مباش).

إن ربك الذي يبلغك إلى غاية الكمال هو الخلاق لك ولهم ولسائر الموجودات على الإطلاق.

قال الكاشفي : (اوست آفريننده خلائق وأفلاك نظم خالق أفلاك وأنجم ب علا مردم وديو ورى ومرغ را).

خالق دريا ودشت وكوه وتيه

ملكت او بي حد وأوبى شبيه

نقش اوكردست ونقاش من أوست

غير اكر دعوى كندا وظلم جوست

العليم (دانا بأهل وفاق ونفاق).

وفي الإرشاد : بأحوالك وأحوالهم بتفاصيلها فلا يخفى عليه شيء مما جرى بينك وبينهم فهو حقيق بأن تكل جميع الأمور إليه ليحكم بينهم.

وفي الآية أمر بالمخالفة بالخلق الحسن وكان أحسن الناس خلقا وأرجح الناس حلما وأعظم الناس عفوا وأسخى الناس كفا.

جزء : ٤ رقم الصفحة : ٤٨٤

قال الفضيل : الفتوة الصفح عن عثرات الأخوان.

وكان زين العابدين عظيم التجاوز والصفح والعفو حتى أنه سبه رجل فتغافل عنه فقال له إياك أعني فقال وعنك أعرض أشار إلى آية خذا العفو وائمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين.

". (١)

"﴿نحن نقص عليك﴾ أي : نخبرك ونبين لك وقد مر اشتقاقه في مطلع سورة يوسف ﴿نبأهم﴾ أي : خبر أصحاب الكهف والرقيم ﴿بالحق﴾ صفة لمصدر محذوف أي : نقص قصا ملتبسا بالحق والصدق.

وفيه إشارة إلى أن القصاص كثيرا يقصون بالباطل ويزيدون وينقصون ويغيرون القصة كل واحد يعمل برأيه موافقا لطبعه وهواه وما يقص بالحق إلا الله تعالى : ﴿إنهم فتية﴾ (شبان) ﴿بربهم وزدناهم﴾ .

قال في "التكملة" : سبب إيمانهم أن حواريا من حواريي عيسى عليه السلام أراد أن يدخل مدينتهم فقيل له : إن على بابها صنما لا يدخلها أحد إلا سجد له فامتنع من دخولها وأتى حماما كان قريبا من تلك المدينة فآجر نفسه فيه فكان يعمل فيه فتعلق به فتية من أهل المدينة فجعل يخبرهم خبر السماء وخبر الآخرة حتى آمنوا به وصدقوه ثم هرب الحواري بسبب ابن الملك أراد دخول الحمام بامرأة فنهاه الحواري فانتهره فلما دخل مع المرأة ماتا في الحمام فطلبه الملك لما قيل له إنه قتل ابنك فهرب ثم قال الملك : من كان يصحبه؟ فسموا الفتية فهربوا إلى الكهف.

يقول الفقير : الظاهر أن إيمانهم كان بالإلهام الملكوتي والانجذاب اللاهوتي من غير دليل يدلهم على ذلك كما يشير إليه

---

(١) تفسير روح البيان ـ موافق للمطبوع، ٤ /٣٢٢

كلام "التأويلات" وسيأتي.

واختلف فيهم متى كانوا فروى بعض الناس أنهم كانوا قبل عيسى ابن مريم وأن عيسى أخبر قومه خبرهم وأن بعثهم من نومهم كان بعد رفع عيسى في الفترة بينه وبين محمد عليهما السلام.

وروي بعضهم أن أمرهم كان بعد عيسى وأنهم كانوا على دين عيسى.

قال الطبري وعليه أكثر العلماء ﴿وزدناهم﴾ (وبيفزروديم ايشانرا) ﴿هدى﴾ بأن ثبتناهم على الدين الحق وأظهرنا لهم مكنونات محاسنه.

جزء : ٥ رقم الصفحة : ٢٢١

وفي "التأويلات النجمية" : سماهم باسم **الفتوة** لأنهم آمنوا

٢٢١

بالتحقيق لا بالتقليد وطلبوا الهداية من الله إلى الله بالله ولكنهم طلبوا الهداية في البداية بحسب نظرهم وقدر همتهم فالله تعالى على قضية ﴿وزدناهم هدى﴾ أي : زدنا على متمناهم في الهداية فإنهم كانوا يتمنون أن يهديهم الله إلى الإيمان بالله وبما جاء به الأنبياء وبالبعث والنشور وإيمانا بالغيب فزاد الله على متمناهم في الهداية حين بعثهم من رقدتهم بعد ثلاثمائة وتسع سنين وما تغيرت أحوالهم وما بليت ثيابهم فصار الإيمان إيقانا والغيب عينا وعيانا.

ميوه باشد آخر از هار تو

كعبه باشد آخر اسفار تو

﴿وربطنا على قلوبهم﴾ أي : قويناهم حتى اقتحموا مضايق الصبر على هجر الأهل والأوطان والنعيم والإخوان واجترأوا على الصدع بالحق من غير خوف وحذار والرد على دقيانوس الجبار وفي الحديث "أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر" وذلك لأن المجاهد متردد بين رجاء وخوف وأما صاحب السلطان فمتعرض للتلف فصار الخوف أغلب.

قال في "الأساس" : ربطت الدابة شددتها برباط والمربط الخيل ومن المجاز ربط الله على قلبه أي : صبره ولما كان الخوف والقلق يزعج القلوب عن مقارها كما قال الله تعالى : ﴿وبلغت القلوب الحناجر﴾ (الأحزاب : ١٠) قيل في مقابلته ربط قلبه إذا تمكن وثبت وهو تمثيل شبه تثبيت القلوب بالصبر بشد الدواب بالرباط ﴿إذ قاموا﴾ منصوب بربطنا والمراد بقيامهم انتصابهم لإظهار شعار الدين وقيل : المراد قيامهم بين يدي دقيانوس الجبار من غير مبالاة به حين عاتبهم على ترك عبادة الأصنام فحينئذ يكون ما سيأتي من قوله تعالى : ﴿هؤلاء﴾ منقطعا عما قبله صادرا عنهم بعد خروجهم من عنده.

وفي "التأويلات النجمية" : ﴿وربطنا على قلوبهم إذ قاموا﴾ يعني : لئلا يلتفتوا إلى الدنيا وزخارفها وينقطعوا إلى الله بالكلية ولذلك ما اختاروا بعد البعث الحياة في الدنيا ورغبوا في أن يرجعوا إلى جوار الحق تعالى : ﴿فقالوا ربنا رب السماوات والارض﴾ رب العالم ومالكه وخالقه والصنم جزؤ من العالم فهو مخلوق لا يصلح للعبادة ﴿لن ندعوا﴾ لن نعبد أبدا وبالفارسية (نخواهيم رستيد) ﴿من دونه إلاها﴾ معبودا آخر لا استقلالا ولا اشتراكا والعدول عن أن يقال ربا للتنصيص على رد المخالفين حيث كانوا يسمون أصنامهم آلهة ﴿لقد قلنآ إذا﴾ (آن هنكام كه ديكرى را رستيم) ﴿شططا﴾ قولا ذا

شطط أي : تجاوز عن الحد فهو نعت لمصدر محذوف بتقدير المضاف أو قولا هو عين الشطط على أنه وصف بالمصدر مبالغة.

قال في "القاموس" شط في سلعته شططا محركة جاوز القدر والحد وتباعد عن الحق انتهى وحيث كانت العبادة مستلزمة للقول لما أنها لا تعرى عن الاعتراف بألوهية المعبود والتضرع إليه قيل لقد قلنا وإذا جواب وجزاء أي : لو دعونا من دونه إلها والله لقد قلنا قولا خارجا عن حد العقول مفرطا في الظلم.

جزء : ٥ رقم الصفحة : ٢٢١." (١)

"قال بعضهم : بدأ فرعون بكلام السفلة ومن على نبي الله بما أطعمه والمنة النعمة الثقيلة.

ويقال ذلك على وجهين :

أحدهما : أن يكون ذلك بالفعل فيقال : من فلان على فلان إذا أثقله بالنعمة وعلى ذلك قوله تعالى : ﴿لقد من الله على المؤمنين﴾ (آل عمران : ١٦٤) وذلك في الحقيقة لا يكون إلا تعالى.

جزء : ٦ رقم الصفحة : ٢٦٦

والثاني : أن يكون ذلك بالقول وذلك مستقبح فيما بين الناس إلا عند كفران النعمة ولقبح ذلك قيل : المنة تهدم الصنيعة ولحسن ذكرها عند الكفران قيل : إذا كفرت النعمة حسنت المنة أي عد النعمة.

قال محمد بن علي الترمذي قدس سره : ليس من الفتوة تذكار الصنائع وتعدادها على من اصطنعت إليه ألا ترى إلى فرعون لما لم يكن له فتوة كيف ذكر صنيعه وامتن به على موسى :

از ناكسان دهر ثبوت طمع مدار

از طبع دير خاصيت آدمي مجوى

اعلم أن الله تعالى جعل موسى عليه السلام مظهر صفة لطفه بأن جعله نبيا مرسلا وله في هذا المعنى كمالية لا يبلغها إلا بالتربية ومقاساة شدائد الرسالة مع فرعون وجعل فرعون مظهر صفة قهره بأن جعله مكذبا لموسى ومعاندا له وكان لفرعون كمالية في التمرد والإباء والاستكبار لم يبلغها إبليس ، ليعلم أن للإنسان استعدادا في إظهار صفة اللطف لم يكن للملك ولذلك صار الإنسان مسجودا للملك والملك ساجده ، ولو لم يكن موسى عليه السلام داعيا لفرعون إلى الله تعالى وهو مكذبه لم يبلغ فرعون إلى كماليته في التمرد ليكون مظهر الصفة القهر بالتربية في التمرد كذا في "التأويلات النجمية" وقس عليهما كل موسى وكل فرعون في كل عصر إلى قيام الساعة فإن الأشياء تتبين بالأضداد وتبلغ إلى كمالها.

جزء : ٦ رقم الصفحة : ٢٦٦

﴿قال فرعون وما رب العالمين﴾ ما استفهامية معناها أي شيء والرب المربي والمتكفل لمصلحة الموجودات والعالم اسم لما سوى الله تعالى

٢٦٨

---

(١) تفسير روح البيان . موافق للمطبوع، ٥ /١٧١

من الجواهر والأعراض ، والمعنى أي شيء رب العالمين الذي ادعيت أنك رسوله وما حقيقته الخاصة ومن أي جنس هو منكرا لأن يكون للعالمين رب سواه.
قال الكاشفي : (ون فرعون شنيده بودكه موسى كفت أنا رسول رب العالمين أسلوب سخن كبر دانيد وازروي امتحان كفت يست رورد كار عالميان وه يزاست سؤال از ماهيت كرد) ولما لم يمكن تعريفه تعالى إلا بلوازمه الخارجية لاستحالة التركيب في ذاته من جنس وفصل ﴿قال﴾ موسى مجيبا له بما يصح في وصفه تعالى.
﴿رب السماوات والارض وما بينهمآ﴾ عين ما أراده بالعالمين لئلا يحمله اللعين على ما تحت مملكته ﴿إن كنتم موقنين﴾ بالأشياء المحققين لها بالنظر الصحيح الذي يؤدي إلى الإتيان وهو بالفارسية : (بي كمان شدن) علمتم أن العالم عبارة عن كل ما يعلم به الصانع من السموات والأرض وما بينهما وأن ربها هو الذي خلقها ورزق من فيها ودبر أمورها فهذا تعريفه وجواب سؤالكم لا غير والخطاب في كنتم لفرعون وأشراف قومه الحاضرين.
قال الكاشفي : (هي كس را از حقيقة حق آكاهي ممكن نيست هره در عقل وفهم ووهم وحواس وقياس كنجد ذات خدا وند تعالى ازان منزه ومقدس است هـ آن همه محدثا تند ومحدث جزا إدراك محدث نتوان كد).
آنكه او از حدث بر آرد دم
هـ شاسد كه يست سرقدم
علم راسوي حضر تش ره نيست
عقل نبزاز كمالش آكه نيست
فمعنى العلم بالله العلم به من حيث الارتباط بينه وبين الخلق وانتشار العالم منه بقدر الطاقة البشرية إذ منه ما لا توفيه الطاقة البشرية وهو ما وقع فيه الكمل في ورط الحيرة وأقروا بالعجز عن حق المعرفة.
جزء : ٦ رقم الصفحة : ٢٦٨
﴿قال﴾ فرعون عند سماع جوابه خوفا من تأثيره في قلوب قومه وانقيادهم له.
﴿لمن حوله﴾ من أشراف قومه وهم القبط (وايشان اسند تن بود زيورها بسته وبركر سيهاي زرين نشسته) وحول الشيء جانبه الذي يمكنه أن يحول إليه وينقلب.
﴿ألا تستمعون﴾ ما يقول فاستمعوه وتعجبوا منه في مقاله وفيه يريد ربوبية نفسه.
﴿قال﴾ موسى زيادة في البيان وحطا له عن مرتبة الربوبية إلى مرتبة المربوبية.
قال الكاشفي : (عدول كرد از ظهر آيات باقرب آيات بناظر وواضح آن بر متأمل) ﴿ربكم ورب ءابآئكم الاولين﴾ وقيل : إن فرعون كان يدعي الربوبية على أهل عصره وزمانه فلم يدع ذلك على من كان قبله فبين بهذه الآية أن المستحق للربوبية هو رب كل عصر وزمان.
﴿قال﴾ فرعون من سفاهته وصرفا لقومه عن قبول الحق.
﴿إن رسولكم الذى أرسل إليكم لمجنون﴾ لا يصدر ما قاله عن العقلاء وسماه رسولا على السخرية وإضافة إلى مخاطبيه ترفعا من أن يكون مرسلا إلى نفسه.

والجنون حائل بين النفس والعقل كما في "المفردات".
". (١)

"قال في "كشف الأسرار" : (ازروى حكمت كفته اندكه زيادت ونقصان ماه از آنست كه در ابتداى آفرينش نور او بر كمال بود بخود نظرى كرد عجبى دورى يدا شد رب العزة جبريل را فرمود تا رخويش برروى ماه زد وآن نور ازوى بستاد ابن عباس رضي الله عنهما كفت آن خطهاكه برروى ماه مى بينيد نشان ر جبرائيل است نور ازوى بست اما نقش برجاى بماند ونقش كلمه توحيداست بريشانى ماه نبشت "لا اله إلا الله محمد رسول الله" ياخود حروفى كه ازان اسم جميل حاصل ميشود ون نور ازماه بستدند اورا از خدمت دركاه منع كردند ماه ازفرشتكان مدد خواست تا از بهروى شفاعت كردند كفتند بارخدايا ماه درخدمت دركاه عزت خوى كرده هي روى آن دارد كه بيكباركى اورا مهجور كنى رب العزة شفاعت ايشان قبول كرد واورا دستورى داد تا هر ما هى بيكبار سجود كند درشب ارده اكنون هرشب كه برآيد وبوقت خدمت نزديكتر مى كردد نوروى مى افزايد تاشب هارده كه وقت سجود بود نورش بكمال رسد بازون از هارده در كذرد هرشب در نوروى نقصان مى آيد ازبساط خدمت دورتر مى كردد).

وقيل شبيه الشمس عبد يكون ابدا في ضياء معرفته وهو صاحب تمكين غير متلون أشرقت شمس معرفته من بروج سعادته دائما لا يأخذه كسوف ولا يستره حجاب.

وشبيه القمر عبد تكون أحواله في التنقل وهو صاحب تلوين له من البسط ما يرقيه

٣٩٩

إلى حد الوصال ثم يرد إلى الفترة ويقع في القبض مما كان به من صفاء الحال فيتناقص ويرجع إلى نقصان أمره إلى أن يرفع قلبه من وقته ثم يجود عليه الحق فيوفقه لرجوعه عن فترته وإفاقته من سكرته فلا يزال يصفو حاله إلى أن يقرب من الوصال ويرتقي إلى ذروة الكمال فعند ذلك يقول بلسان الحال :

جزء : ٧ رقم الصفحة : ٣٦٤

ما زلت أنزل من ودادك منزلا

تتحير الألباب عند نزوله

وفي "التأويلات النجمية" : وبقوله : ﴿والقمر قدرناه منازل﴾ يشير إلى قمر القلب فإن القلب كالقمر في استفادة النور من شمس الروح أولا ثم من شمس شهود الحق تعالى ثانيا وله ثمانية وعشرون منزلا على حسب حروف القرآن كما أن للقمر ثمانية وعشرون منزلا فالقلب ينزل في كل حين منها بمنزل وهذه أسماؤها الإلفة والبر والتوبة والثبات والجمعية والحلم والخلوص والديانة والذلة والرأفة والزلفة والسلامة والشوق والصدق والضرر والطلب والظمأ والعشق والغيرة **والفتوة** والقربة والكرم واللين والمروءة والنور والولاية والهداية واليقين فإذا صار إلى آخر منازله فقد تخلق بخلق القرآن واعتصم بحبل الله وله آن أن يعتصم بالله ولهذا قال الله تعالى لنبيه في قطع منازل العبودية ﴿واعبد ربك حتى يأتيك اليقين﴾ (الحجر : ٩٩) ويقال

---

(١) تفسير روح البيان ـ موافق للمطبوع، ١ ٦/١٩٥

للمؤمن في الجنة اقرأ وارق يعني اقرأ القرآن وارتق في مقامات القرب وبقوله ﴿حتى عاد كالعرجون القديم﴾ يشير إلى سير قمر القلب في منازله فإذا ألف الحق تعالى في أول منزله ثم بر بالإيمان والعمل الصالح ثم تاب وتوجه إلى الحضرة ثم ثبت على تلك التوبة جعل له الجمعية مع الله فيستنير قمر قلبه بنور ربه حتى يصير بدرا كاملا ثم يتناقص بدنوه من شمس شهود الحق تعالى قليلا كلما ازداد دنوه من الشمس ازداد في نفسه نقصانا إلى أن يتلاشى ويخفى ولا يرى له أثر وهذا مقام الفقر الحقيقي الذي افتخر به النبي صلى الله عليه وسلم في قوله : "الفقر فخري" لأنه عليه السلام كلما ازداد دنوه إلى الحضرة ليلة المعراج ازداد في فقره عن الوجود كما أخبر الله تعالى عنه بقوله : ﴿ثم دنا فتدلى * فكان قاب قوسين أو أدنى﴾ (النجم : ٩) كمل ههنا فقره عن الوجود فوجده الله تعالى عائلا فأغناه بجوده انتهى.

جزء : ٧ رقم الصفحة : ٣٦٤

واعلم أن القمر مرآة قابلة لأن تكتسب النور من قرص الشمس حسب المحاذاة بينهما ولما كان دور الشمس بطيئا كان ظهور أثرها دائرا على حصول الفصول الأربعة التي هي الربيع والصيف والخريف والشتاء ولما كان دور القمر سريعا كان ظهور أثره في الكون سريعا وإلى القمر ينظر القلب في سرعة الحركة ولهذا السر أسكن الله آدم في فلك القمر لمناسبة باطنه به في سرعة حركاته وتقلباته.

ثم إن القمر مرئي مدرك وأما الشمس في إشراقها وإضاءتها وتلألؤ شعاعها لا تدرك كيفيتها وكميتها على ما هي عليه من تمنعها وامتناعها واحتيج إلى طريق يتوصل به إلى أبصارها بقدر الوسع فأفادت الفكرة والخبرة أن يأخذ الإنسان إناء كثيفا ويملأه ماء صافيا نظيفا ويضعه في مقابلة الشمس لتنعكس صورة من الشمس في الماء فيلاحظ الإنسان الشمس بغير دفع تلألؤ الأضواء ويراها في أسفل قعر الإناء فإن اللطيف من شأنه القبول والكثيف من شأنه الإمساك فقبل الماء وأمسك الإناء وهذا تدبير من يريد إبصار الشمس الظاهرة بمقلته

٤٠٠

" (١).

"﴿إذ دخلوا عليه﴾ ظرف للحديث فالمعنى هل أتاك حديثهم الواقع في وقت دخولهم عليه ﴿فقالوا سلاما﴾ أي نسلم عليك سلاما والفاء هناك إشارة إلى أنهم لم يخلوا بأدب الدخول بل جعلوا السلام عقيب الدخول ﴿قال﴾ ابراهيم ﴿سلاما﴾ أي عليكم سلام يعني سلام برشماباد.

فهو مبتدأ خبره محذوف وترك العطف قصدا إلى الاستئناف فكأن قائلا قال : ماذا قال ابراهيم في جواب سلامهم فقيل : قال سلام أي حياهم بتحية أحسن من تحيتهم لأن تحيتهم كانت بالجملة الفعلية الدالة على الحدوث حيث نصبوا سلاما وتحيته بالإسمية الدالة على دوام السلام وثباته لهم حيث عدل به إلى الرفع بالابتداء ﴿قوم منكرون﴾ يقال نكرت الرجل بكسر الكاف نكرا وأنكرته واستنكرته إذا لم تعرفه فالكل بمعنى وأصله أن يرد على القلب ما لا يتصوره وذلك ضرب من الجهل قال تعالى فعرفهم وهم له منكرون كما في المفردات أي قال ابراهيم في نفسه من غير أن يشعرهم بذلك هؤلاء قوم لا

(١) تفسير روح البيان . موافق للمطبوع، ٧/ ٣١٢١

نعرفهم فهم منكرون عند كل أحد وقوله فنكرهم أي بنفسه فقط فأحدهما غير الآخر وكانوا على
١٦١
أوضاع وأشكال خلاف ما عليه الناس وقال أبو العالية : أنكر سلامهم في ذلك الزمان وفي تلك الأرض لأن السلام لم يكن تحيتهم لأنه كان بين أظهر قوم كافرين لا يحيي بعضهم بعضا بالسلام الذي هو تحية المسلمين.
وقال الكاشفي : يعني هركز ون شما قومى نديدم در صورت وقامت مرا بكوييد هـ كسانيد ايشان كفته اند مهما نانيم ﴿فراغ إلى أهله﴾ يقال راغ إلى كذا أي مالي إليه سرا فالاختفاء معتبر في مفهوم الروغ أي ذهب إليهم على خفية من ضيفه فإن من أدب المضيف أن يبادر بالقرى من غير أن يشعر به الضيف حذرا من أن يكفه الضيف ويعذبه أو يصير منتصرا.
. وحكي . أنه نزل ببعض المشايخ ضيف فأشار إلى مريد له بإحضار الطعام فاستبطأ فلما جاء سأله عن وجهه فقال المريد : وجدت على السفرة نملا فتوقفت إلى أن خرجت منها فقال الشيخ : أصبت الفتوة ولما اطلع على هذه الحال بعض من هو أعلى حالا من ذلك الشيخ قال : لم يصب الفتوة فإن الأدب تعجيل القرى وحق الضيف أحق من حق النمل فكان الواجب على المريد أن يلقيها على الأرض ويجييء بالسفرة مستعجلا ﴿فجآء بعجل سمين﴾ الفاء فصيحة مفصحة عن جمل محذوفة والباء للتعدية والعجل ولد البقرة لتصور عجلته التي تعدم منه إذا صار ثورا أو بقرة والسمن لكونه من جنس السمن وتولده عنه والمعنى فذبح عجلا سمينا لأنه كان عامة ماله البقر واختار السمين زيادة في إكرامهم فحنذه أي شواه فجاء به يعني س بياورد كوساله فربه بريان كرده ﴿فقربه إليهم﴾ بأن وضعه لديهم حسبما هو المعتاد ليأكلوا فلم يأكلوا ولما رأى منهم ترك الأكل ﴿قال ألا تأكلون﴾ منه إنكارا لعدم تعرضهم للأكل وحثا عليه.
جزء : ٩ رقم الصفحة : ١٤٥
. وروي . أنهم قالوا : نحن لا نأكل بغير ثمن قال ابراهيم : كلوا وأعطوا ثمنه قالوا : وما ثمنه قال : إذا أكلتم فقولوا بسم الله وإذا فرغتم فقولوا الحمدفتجب الملائكة من قوله فلما رآهم لا يأكلون ﴿فأوجس منهم﴾ الوجس الصوت الخفي كالإيجاس وذلك في النفس أي أضمر في نفسه ﴿خيفة﴾ أي خوفا فتوهم أنهم أعداء جاءوا بالشر فإن عادة من يجيء بالشر والضرر أن لا يتناول من طعام من يريد إضراره قال في عين المعاني : من لم يأكل طعامك لم يحفظ ذمامك.
يقول الفقير : يخالفه سلامهم فإن السلم لا بد وأن يكون من أهل السلم وقيل وقع في نفسه أنهم ملائكة أرسلوا لعذاب ﴿قالوا﴾ حين أحسوا بخوفه ﴿لا تخف﴾ إنا رسل الله وقيل مسح جبريل العجل بجناحه فقام يمشي حتى لحق بأمه فعرفهم وأمن منهم ﴿وبشروه﴾ وبشارت ومده دادند مراورا.
وفي سورة الصافات وبشرناه أي بواسطتهم ﴿بغلام﴾ هو إسحاق والغلام الطار الشارب والكهل ضده أو من حين يولد إلى أن يشب كما في القاموس ﴿عليم﴾ عند بلوغه واستوائه ولم تلد له سارة غيره ﴿فأقبلت امرأته﴾ سارة لما سمعت بشارتهم إلى بيتها وكانت في زاوية تنظر إليهم قال ابن الشيخ فأقبلت إلى أهلها وكانت مع زوجها في خدمتهم فلما تكلموا بولادتها استحيت وأعرضت عنهم فذكر الله ذلك بلفظ الإقبال على الأهل ولم يذكره بلفظ الإدبار عن الملائكة قال سعدي المفتي كذا في التفسير الكبير ولا يناسبه قوله كذلك قال ربك فإنه يقتضي كونها عندهم فالإقبال إليهم

١٦٢

". (١)

"وفي التأويلات النجمية : نكوى خرطوم استعداده بكى نار الحجاب والبعد حتى لا يشم النفحات الإلهية والنسمات الربانية ﴿إنا بلوناهم﴾ يقال : بلى الثوب ، بلى أي : خلق بلوته اختبرته كأني أخلقته من كثرة اختباري له والبلايا اختبارات والمعنى أنا ابتلينا أهل مكة بالقحط والجوع سبع سنين بدعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أكلوا الجيفو الجلود والعظام والدم لترمدهم وكفرانهم نعم الله تعالى ﴿كما بلونآ أصحاب الجنة﴾ أي : ابتلاء مثل ابتلاء أصحاب الجنة المعروف خبرها عندهم ، واللام للعهد والكاف في موضع النصب على أنها نعت المصدر محذوف وما مصدرية ولجنة البستان وبالفارسية با غ.

وأصحاب الجنة قوم من أهل صنعاء وفي كشف الأسرار سه برادر بودند.

كانت لأبيهم هذه الجنة دون صنعاء بفرخسين وقال السهيلي : هي جنة بضروان وضروان على فراسخ من صنعاء وفي فتح الرحمن الجنة بستان يقال له ضروان باليمن كان أصحاب هذه الجنة بعد رفع عيسى عليه السلام ، بيسير وكانوا بخلاء وكان أبوهم يأخذ منها قوت سنة ويتصدق بالباقي وكان ينادي الفقراء وقت الصرام ويترك لهم ما أخطأه النمجل وما في أسفل الأكداس وما أخطأه القطاف من العنب وما بقي على البساط الذي يبسط تحت النخلة إذا صرمت.

(قال الكاشفي) : وده ازيك حاصل نزي برايشان قسمت كردى.

فكان يجتمع لهم شيء كثير ويتزودون به أياما كثيرة فلما مات أبوهم قال بنوه إن فعلنا ما كان يفعل أبو ناضاق علينا الأمر ونحن أولوا عيال فحلفوا فيما بينهم وذلك قوله تعالى : ﴿إذا قضوا﴾ ظرف لبلونا والإقسام سوكند خوردن يعني سوكند خوردند وارثان با غ كه نهان ازفقرا ﴿ليصرمنها﴾ الصرام والصرم قطع ثمار النخيل وبالفارسية بار خرما بريدن.

من صرمه إذا قطعه أي ليقطعن ثمارها من الرطب والعنب ويجمعن محصولها من الحرث وغيره ﴿مصبحين﴾ أي داخلين في الصباح مبكرين وسواد الليل باقي قوله ليصر منها جواب للقسم وجاء على خلاف منطوقهم ولو جاء على منطوقهم لقيل النصر منها بنون المتكلم ومصبحين حال من فاعل ليصر منها ﴿ولا يستثنون﴾ أي لا يقولون إن شاء الله وتسميته استثناء مع إنه شرط من حيث إن مؤداه مؤدي الاستثناء فإن قولك لأخرجن إن شاء الله ولا أخرج إلا إن شاء الله بمعنى واحد والجملة مستأنفة أو حال بعد حال لعل إيراده بعد إيراد أقسامهم على فعل مضمر لمقصودهم مستنكر عند أرباب المروة وأصحاب الفتوة لتقبيح شأنهم بذكر السببين لحرمانهم وإن كان أحدهما كافيا فيه لكن ذكر الأقسام على ر مستنكر أولا وجعل ترك الاستثناء حالا منه يفيد أصالته وقوته في اقتضاء الحرمان والأظهر إن المعنى ولا يستثنون حصة المساكين أي لا يميزونها ولا يخرجونها كما كان يفعله

١١٤

أبوهم وقال أبو حيان : ولا ينثنون عما عزموا عليه من منع المساكين قال في تاج المصادر الاسثناء إن شاء الله كفتن واستثنا

---

(١) تفسير روح البيان ـ موافق للمطبوع، ١ ٩/١٣١

كردن.

جزء : ١٠ رقم الصفحة : ١٠٠

والباب يدل على تكرير الشيء مرتين أو جعله شيئين متوالين أو متباينين والاستثناء من قياس الباب وذلك إن ذكره يثنى مرة في الجملة ومرة في التفصيل لأنك إذا قلت خرج الناس ففي الناس زيد وعمروا فإذا قلت إلا زيدا فقد ذكرت زيدا مرة رى ذكرا ظاهرا انتهى.

قال الرغب الاستثناء إيراد لفظ يقضتي رفع بعض ما يوجبه عموم لفظ متقدم أو يقتضي رفع حكم اللفظ كما هو فمن الأول قوله تعالى : [الأنعام : ١٤٥-١٩]﴿قل لا أجد فى مآ أوحى إلى محرما على طاعم يطعمه إلا أن يكون ميتة﴾ ومن الثاني قوله لأفعلن كذا إن شاء الله وعبده عتيق وامرأته طالق إن شاء الله فطاف عليها﴾ أي على الجنة أي أحاط بها طائف بلاء طائف كقوله وأحيط بثمره وذلك ليلا إذ لا يكون الطائف إلا بالليل وأيضا دل عليه ما بعده من ذكر النوم وكان ذلك الطائف نارا نزلت من السماء فأحرقتها ﴿من ربك﴾ مبتدىء من جهته تعالى قال الراغب الطوف الدوران حول الشيء ومنه الطائف لمن يدور حول البيت حافظا ومنه استعير الطائف من الجن والخيال والخادم وغيرها قال تعالى : [القلم : ١٩-٩٧]﴿فطاف﴾ .

.

الخ.

تعريضا بما نالهم نم النائبة انتهى.

وهم نائمون﴾ غافلون عما جرت به المقادير أو غافلون عن طوافه بالنوم الذي هو أخو الموت وبالفارسية وايشان خفتكان بودند.

." (١)

"ولك في الآخرة ما لا يندرج تحت البيان وذلك إنهم زعموا حين مات ابنه عليه السلام القاسم وعبد الله بمكة إبراهيم بالمدينة إن محمدا صلى الله عليه وسلم ينقطع ذكره إذا انقطع عمره لفقدان سنله فنبه الله إن الذي ينطع ذكره هو الذي يشنأه فأما هو فكما وصفه الله تعالى ورفعنا لك ذكرك وذلك إنه أعطاه نسلا يبقون على مر الزمان فانظركم قتل من أهل البيت ثم العالم متلىء منهم وجعله أبا للمؤمنين فهم أعقابه وأولاده إلا يوم القيام وقيض له من يراعيه ويراعي دينه الحق وإلى هذا المعنى أشار أمير المؤمنين رضي الله عنه ، العلماء باقون ما بقى الدهر أعيانهم مفقودة وآثارهم في القلوب موجودة هذا في العلماء الذين هم أتباعه عليه السلام ، فكيف هو وقد رفع الله ذكره وجعله خاتم الأنبياء عليهم السلام.

وفي التأويلات النجمية : إن شانئك هو الأبتر وهو حمار النفس المبتور ذنب نسله وعقبه فإن أولاد الأعمال الصالحة والأحوال الصادقة والأخلاق الروحانية والأوصاف الربانية أولادك يا رسول القلب وأتباعك وأشياعك وأعوانك.

جزء : ١٠ رقم الصفحة : ٥٢٤

---

(١) تفسير روح البيان ـ موافق للمطبوع، ١٠/٨٧

يقول الفقير : أيده الله القدير وردت لعى سورة الكوثر وقت الضحى بعد القيلولة

٥٢٥

والإشرة فيها إنا بجميع أسمائنا اللطفية الجمالية الإكرامية أعطيناك يا محمد القلب وروسل الهدى المبعوث إلى جميع القوى بالخير والهدى الكوثر وهو العلم الكثير الفائض من منبع الاسم الرحمن فإنا رحمناك بهذه الرحمة العامة الشاملة لجميع الرحمات فلذا صرت مظهر الرحمة الكلية في جميع المواطن فلك علم الأحكام وعلم الحقائق فصل في مسجد الفناء والتسليم وهو المسجد الإبراهيمي لربك أي لشكر ربك ولا دامة شهوده وإبقاء حضوره معك في جميع الحالات وانحر دنة البدن في طريق الخدمة وبدنة الطبيعة في طريق العفة وبدنة النفس في طريق الفتوة إن شانئك أي مبغضك من القوى الشريرة الأنفسية والآفاقية هو الأبتر المقطوع أعقابه وآخره كما قال تعالى فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد رب العالمين الذي ربي لولياء فجعل لهم الوصل كما جعل لأعدائهم القطع ثم إن قوله هو الأبتر يوقف عليه ثم يقال الله أكبر ، ولا يوصل بالتكبير حذرا من الإيهام.

جزء : ١٠ رقم الصفحة : ٥٢٤

تفسير سورة الكافرون

ست آيات مكية أو مدنية

جزء : ١٠ رقم الصفحة : ٥٢٥

﴿قل يا أيها الكافرون﴾ قالوا في مناداتهم بهذا الوصف الذي يسترذلونه في بلدتهم ومحل عزهم وشوكتهم إيذان بأنه عليه السلام ، محروس منهم فيها علم من أعلام النبوة وفي التعبير بالجمع الصحيح دلالة على قلتهم أو حقارتهم وذلتهم وهم كفرة مخصوصة كالوليد بن المغيرة وأبي جهل والعاص بن وائل وأمية بن خلف والأسود بن عبد يغوث والحارث بن قي ونحوهم قد علم الله إنه لا يأتي ولا يتأتى منهم الإيمان أبدا على ما هو مضمون السورة فالخطاب للرسول عليه السلام ، بالنسبة إلى قوم مخصوصين لا يردان مقتى هذا الأمران يقول كل مسلم ذلك لكل جماعة من الكفار مع أن الشرع ليس حاكما به روى أن رهطا من عتاة قريش قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم هلم فاتبع ديننا ونتبع دينك بعبد آلهتنا سنة ونعبد ءهك سنة فقال معاذ الله إن رك بالله غيره فقالوا استلم بعض آلهنا نصدقك ونعبد إلهك فنزلت فغدا إلى المسجد الحرام وفيه الملأ من قريش فقام على رؤوسهم فقرأها عليهم فأيسوا منه عند ذلك وآذوه وأصحابه وفيه إشارة إلى الذين ستروا نورا استعدادهم الأصلي بظلمة صفات النفوس وآثار الطبيعة حجبوا عن الحق بالغير ﴿لا أعبد ما تعبدون﴾ أي فيما يستقبل لأن لا تدخل غالبا إلا على مضارع في معنى الاستقبال كما أن ما لا تدخل إلى على مضارع في معنى الحال ألا ترى إن لن تأكيد فيما ينفيه لا قال الخليل في لن أصله لا والمعنى لا أفعل في المستقبل ما تطلبونه مني من عبادة آلهتكم ﴿ولا أنتم عابدون مآ أعبد﴾ أي ولا أنتم فاعلون في المستقبل ما أطلب منكم من عبادة إلهي والمراد ولا أنتم عابدون عبادة يعتد بها إذ العبادة مع إشراك الأنداد لا تكون في حيز الاعتداد ﴿ولا أنا عابد ما عبدتم﴾ أي وما كنت عابدافيما سلف ما عبدتم فيه أي لم يعهد مني عبادة صنم في الجاهلية فكيف يرجى مني في الإسلام ﴿ولا أنتم عابدون مآ أعبد﴾ أي وما عبدتم في وقت من الأوقات

ما أنا على عبادته وهو الله تعالى فليس في

٥٢٦

جزء : ١٠ رقم الصفحة : ٥٢٦." (١)

"[اعلم] أنه لما أقام دلائل التوحيد ، والنبوة ، والمعاد أولاً ، ثم عقبها بذكر الإنعامات العّامة لكل البشر عقبها بذكر الإنعامات الخاصّة على أسلاف اليَهُودِ استمالةٌ لقلوبهم ، وتنبيهاً على ما يدلّ على نبوة " محمّد عليه الصَّلاة والسَّلام " من حيث كونها إخباراً عن الغيب ، موافقاً لما كان موجوداً في التَّوْراة والإنجيل من غير تعلّم ، ولا تتلمُذِ.

قوله : " يَابَنِي " منادى منصوب وعلامة نصبه الياء ؛ لأنه جمع مذكّر سالم ، وحذفت نونه للإضافة ، وهو شبيه بجمع التَّكسير لتغير مفرده ، ولذلك عاملته العرب ببعض معاملة جمع التكسير ، فألحقوا في فعله المسند إليه تاء التأنيث ، نحو : " قالت بنو فلان " ، وقال الشاعر : [البسيط] ٤٢٤ - قَالَتْ بَنُو عَامِرٍ خَالُوا بَنِي أَسَدٍ

يَابُؤْسَ لِلْجَهْلِ ضَرَّاراً لأَقْوَامِ

وأعربوه بالحركات أيضاً إلحاقاً له به ، قال الشاعر : [الوافر] ٤٢٥ - وَكَانَ لَنَا أَبُو حَسَنٍ عَليٌّ

أَباً بَرًّا وَنَحْنُ لَهُ بَنِينُ

[فقد روي بَنِينُ] برفع النون ، وهل لامه ياء ؛ لأنه مشتقّ من البناء ؛ لأن الابن من فرع الأب ، ومبنيٌّ عليه ، أو واو ؛ لقولهم : البُنُوَّة كالأُبُوَّة والأُخُوَّة ؛ قولان.

الصَّحيح الأول ، وأما البُنّوة فلا دلالة فيها ؛ لأنهم قد قالوا : الفُتُوَّة ولا خلاف أنها من ذوات " اليَاءِ ".

إلا أن " الأخفش " رجّح الثاني بأن حذف الواو أكثر.

واختلف في وزنه فقيل : " بَنَيٌ " بفتح العين ، وقيل : بَنْيٌ ــ بسكونها ، وقد تقدم أنه أحد الأسماء العَشْرة التي سكنت فاؤها وعوض من لامها همزة الوَصْل.

و " إسرائيل " خفض بالإضافة ، ولا ينصرف للعملية والعُجْمة ، وهو مركّب تركيب الإضافة مثل : " عبدالله " فإن " إسْرَا " هو العبد بلغتهم ، و " إيل " هو الله تعالى.

وقيل : " إسْرا " هو مشتقّ من الأسْر ، وهو القوّة ، فكان معناه الذي قَوَّاه الله.

وقيل " إسْرَا " هو صفوة الله ، و " إيل " هو الله.

وقال القَفّال : قيل : إن " إسرا " بالعبرانية في معنى إنسان ، فكأنه قيل : رجل الله ، فكأنه خطاب مع اليَهُودِ الذين كانوا بالمدينة.

وقيل : إنه أسرى بالليل مهاجراً إلى الله.

وقيل : لأنه أَسَرَ جِنّنًّا كان يطفىء سِرَاجَ بَيْتِ المَقْدِسِ.

قال بعضهم : فعلى هذا يكون بعض الاسم عربيّاً ، وبعضه أعجميّاً ، وقد تصرفت فيه العرب بلغات كثيرة أفصحها لغة

(١) تفسير روح البيان . موافق للمطبوع، ١٠/٤٠٦

القرآن ، وهي قراءة الجمهور.

وقرأ " أبو جعفر والأعمش " : " إسْرَايِل " بياء بعد الألف من غير همزة ، وروي عن " وَرْش " " إسْرَائِل " بهمزة بعد الألف دون ياء ، و " إسْرَأَل " بهمزة مفتوحة ، و " إسْرَئِل " بهمزة مكسورة بين الراء واللام ، و " إسْرَال " بألف محضة بين الراء واللام ؛ قال : [الخفيف] ٤٢٦ - لاَ أَرَى مَنْ يُعِينُنِي فِي حَيَاتِي

غَيْرَ نَفْسِي إلاَّ بَنِي إسْرَالِ

جزء : ١ رقم الصفحة : ٤٦٣

وروي قراءة غير نافع قرأ عن نافع.

و " إسْرائيل " هذه مهموزة مختلسة حكاها شنبوذ ، عن ورش ، و " إسْرَايل " من غير همز ولا مَدّ و " إسْرَائِين " أبدلوا من اللام نوناً ك " أُصَيْلاَن " في " أُصَيْلاَل " ؛ قال : [الرجز] ٤٢٧ - يَقُولُ أَهْلُ السُّوءِ لَمَّا جِينَا

هَذَا وَرَبِّ البَيْتِ إسْرائِينَا

وقال آخر : [الرجز] ٤٢٨ - قَالَتْ وَكُنْتُ رَجُلاً فَطِينَا

هَذَا لعَمْرُ الله إِسْرَائِينَا

." (١)

"أي : ذات إقبالٍ ، وذات إدبار.

وقال النَّابغة : [المتقارب] ٩١٣ - وَكَيْفَ نُوَاصِلُ مَنْ أَصْبَحَتْ

خِلاَلَتُهُ كَأَبِي مَرْحَبِ

١٩٥

أي : كخلالة أبي مرحب] ، وهذا اختيار الفرَّاء ، والزَّجَّاج ، وقطرب.

وقال أبو عليٍّ : ومثل هذه الآية الكريمة قوله : ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ﴾ [التوبة : ١٩] ، ثم قال : ﴿كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ﴾ [التوبة : ١٩] ؛ ليقع التمثيل بين مصدرين ، أو بين فاعلين ؛ إذ لا يقع التمثيل بين مصدرٍ ، وفاعلٍ.

الرابع : أن يطلق المصدر على الشَّخص مبالغةً ؛ نحو : رجل عدل.

ويحكى عن المبرّد : " لو كنت ممَّن يقرأ القرآن ، لقرأت " وَلَكِنَّ البَرَّ " بفتح الباء " وإنَّما قال ذلك ؛ لأن " البَرَّ " اسم فاعل ، نقول بَرَّ يَبَرُّ ، فهو بَارٌّ ، فتارة تأتي به على فاعل ، وتارة على فعل.

الخامس : أن امصدر وقع موقع اسم الفاعل ، نحو : رجل عدلٌ ، أي : عادل ، كما قد يقع اسم الفاعل موقعه ، نحو : أقائماً ، وقد قعد الناس ؛ في قولٍ ، هذا رأي الكوفيين ، والأولى فيه ادِّعاء أنه محذوفٌ من فاعلٍ ، وأن أصله : بارٌّ ، فجعل " برّاً " ، وأصله ك " سِرٍّ " ، و " رَبٌّ " أصله " رابٌّ " ، وقد تقدم.

وجعل الفراء " مَنْ آمَنَ " واقعاً موقع الإيمان ، فأوقع اسم الشخص على المعنى كعكسه ؛ كأنه قال : " وَلَكِنَّ البِرَّ الإيمانُ

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . موافق للمطبوع، ا ص/١٦٣

باللَّهِ " قال : والعَرَبُ تجعل الاسم خبراً للفعل ، وأنشد في ذلك : [الطويل] ٩١٤ - لَعَمْرُكَ مَا الفِتْيَانُ أَنْ تَنْبُتَ اللِّحَى
وَلَكِنَّمَا الفِتْيَانُ كُلُّ فَتًى نَدِي

جعل نبات اللحية خبراً للفتيان ، والمعنى : لعمرك ما **الفتوّة** أن تنبت اللِّحى.

وقرأ نافعٌ ، وابن عامر : " وَلَكِنِ البِرُّ " هنا وفيما بعد بتخفيف " لَكِنْ " وبرفع " البِرُّ " ، والباقون بالتَّشديد ، والنَّصب ، وهما واضحتان ممَّا في قوله : ﴿وَلَاكِنَّ الشَّيْاطِينَ كَفَرُواْ﴾ [البقرة : ١٠٢].

وقرئ : " وَلِكنَّ البَارَّ " بالألف ، وهي تقوّي أنَّ " البِرَّ " بالكسر المراد به اسم الفاعل ، لا المصدر.

قال أبو عُبَيْدَةَ : " البِرُّ " هاهنا بمعنى البَارِّ ، كقوله : ﴿وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى ﴾ [طه : ١٣٢] أي : للمتَّقين ، ومنه قوله تعالى : ﴿إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْراً﴾ [الملك : ٣٠] أي : غائراً ، وقالت الخنساء : [البسيط]

١٩٦

٩١٥ - وَإِنَّمَا هِيَ إِقْبَالٌ وَإِدْبَارُ

أي : مقبلة ومدبرة والعمل لكل خير هو بر ، وقيل : البر : كل عمل خير يفضي بصاحبه إلى الجنة ، قال تعالى : ﴿إِنَّ الأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ﴾ [الإنسان : ١٣].

ووحَّد الكتاب لفظاً ، والمراد به الجمع ؛ وحسَّن ذلك كونه مصدراً في الأصل ، أو أراد به الجنس ، أو أراد به القرآن ، فإنَّ من آمن به ، فقد آمن بكل الكتب ، فإنه شاهدٌ لها بالصِّحَّة.

فصل فيما اعتبر الله تعالى في تحقيق البرِّ اعلم أنَّ الله تعالى اعتبر في تحقيق البِرِّ أموراً : أحدها : الإيمانُ بخمسة أشياء : أولهاك الإيمان بالله ، ولا يحصل ذلك إلاَّ باعلم بذاته المخصوصة ، وبما يجب ، ويجوز ، ويستحيل عليه ، ولا يحصل العلم بهذه الأمور إلاَّ بالعلم بالدلائل الدالَّة عليها ، فيدخل فيه العلم بحدوث العالم ، والعلم بالأصول التي يتفرَّع عليها حدوث العالم ويدخل فيه العالم.

١٩٧

بوجوده ، وقدرته ، وبقائه ، وكونه عالماً بكلِّ المعلومات قادراً على كلِّ الممكنات.

١٩٨

وثانيها : الإيمان باليوم الآخر ، وهذا متفرّع على الأوَّل ؛ لأنَّا إن لم نعلم قدرته على جميع الممكنات ، لا يمكننا أن نعلم صحَّة الحشر والنَّشر.

١٩٩

وثالثها : الإيمان بالملائكة.

٢٠٠

ورابعها : الإيمان بالكتب.

٢٠١

وخامسها : الإيمان بالرسل.

٢٠٢

فإن قيل : لا طريق لنا غلى العلم بوجود الملائكة ، ولا إلى العلم بصدق الكتب ، إلاَّ بواسطة صدق الرُّسل ، فإذا كان قول الرسل كالأصل في معرفة الملائكة والكتب ، فلم قدَّم الملائكة والكتب في الذِّكر على الرُّسل ؟ فالجواب : أنَّ الأمر ، إن كان كذلك في عقولنا ، إلاَّ انَّ الترتيب على العطس ؛ لأنَّ الملك يوجد أوَّلاً ، ثم صحل بواسطة تبليغه نزول الكتب إلى الرسل ، فالمراعى في هذه

٢٠٣

". (١)

"قال الواحديُّ : " والقُسوسَة مصدرُ القِسِّ والقِسِّيس " ، قلت : كأنه جعل هذا المصدر

٤٧٧

مشتقًّا من هذا الاسْمِ ؛ كالأبُوَّة والأخُوَّة **والفُتُوَّة** من لفظ أبٍ وأخٍ وفَتًى ، وتقدم أن القَسَّ بالفتحِ في الأصْل هو المصدرُ ، وأنَّ العالِمَ سُمِّيَ به مبالغةً ، قال شهاب الدين : ولا أدري ما حملَ مَنْ قال : إنه معرَّب مع وجودِ معناه في لغة العربِ كما تقدم ؟ .

والرُّهْبَانُ : جمعُ رَاهِبٍ ؛ كَرَاكِبٍ ورُكْبَانٍ ، وفَارِسٍ وفُرْسانٍ ، وقال أبو الهيثم : " إنَّ رُهْبَاناً يكُونُ واحِداً ويكون جَمْعاً " ؛ وأنشد على كونه مفرداً قول الشاعر : [الرجز] ٢٠٣٨ - لَوْ عَايَنَتْ رُهْبَانَ دَيْرٍ في القُلَلْ

لأقْبَلَ الرُّهْبَانُ يَعْدُو ونَزَلْ

جزء : ٧ رقم الصفحة : ٤٧٣

ولو كان جمعاً ، لقال : " يَعْدُونَ " و " نَزَلُوا " بضمير الجمع ، وهذا لا حُجَّة فيه ؛ لأنه قد عاد ضميرُ المفْرَدِ على الجَمْعِ الصريحِ ؛ لتأوُّله بواحدٍ ؛ كقوله تعالى : ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُمْ مِّمَّا فِي بُطُونِهِ﴾ [النحل : ٦٦] ، فالهاء في " بُطُونِهِ " تعود على الأنعامِ ؛ وقال : [الرجز]

٢٠٣٩ - وطَابَ ألْبَانُ اللِّقَاحِ وبَرَدْ

في " بَرَدَ " ضميرٌ يعودُ على " ألْبَان " ، وقالوا : " هو أحْسَنُ الفِتْيَانِ وأجملُه " ؛ وقال الآخر : [الرجز] ٢٠٤٠ - لَوْ أنَّ قَوْمِي حِينَ أدْعُوهُمْ حَمَلْ

على الجِبَالِ الشُّمِّ لانْهَدَّ الجَبَلْ

إلى غير ذلك مِمَّا يطولُ ذكرُه ، ومن مجيئه جمعاً الآيةُ ، ولم يَرِدْ في القرآنِ الكريمِ إلا جَمْعاً ؛ وقال كثيرٌ : [الكامل] ٢٠٤١ - رُهْبَانُ مَدْيَنَ والَّذِينَ عَهِدتَهُمْ

يَبْكُونَ مِنْ حَذَرِ العِقَابِ قُعُودَا

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . موافق للمطبوع، ١ ص/٥١٦

لَوْ يَسْمَعُونَ كَمَا سَمِعْتُ كَلاَمَهَا

خَرُّوا لِعَزَّةَ رُكَّعاً وَسُجُودَا

قيل : ولا حُجَّة فيه ؛ لأنه قال : " والَّذِينَ " فيُحتمل أنَّ الضمير إنما جُمِعَ ؛ لأجلِ هذا الجمعِ ، لا لكونِ " رُهْبَانٍ " جمعاً ، وأصرحُ من هذا قولُ جريرٍ : [الكامل] ٢٠٤٢ - رُهْبَانُ مَدْيَنَ لَوْ رَأوْكِ تَنَزَّلُوا

والعُصْمُ مِنْ شَعَفِ العُقُولِ الفَادِرِ

قال أبو الهيثم : وإنْ جُمِعَ الرُّهْبَانُ الواحدُ " رَهابين ورَهَابنَة " ، جاز ، وإنْ قلت : رَهَبانِيُّونَ كان صواباً ؛ كأنك تَنْسُبُه إلى الرَّهْبَانِيَّة ، والرَّهْبَانيَّةُ من الرَّهْبَةِ ، وهي المخافةُ ،

٤٧٨

" (١).

"وقال الواحديُّ : تقديمُ الفعل يدعُو إلى إسقاطِ علامِ التأنيثِ ، على قياس إسقاط علامة التَّثنية ، والجمع.

والمشهورُ : كسر نونها ، ويجوز ضمُّها في لغةٍ ، ونقلها أبو البقاءِ عن قراءة ، قال القرطبي : وهي قراءة الأعمش ، والمفضل والسلمي.

وإذا ضُمَّتْ نونه ، كان اسم جمع بلا خلافٍ ، ويكسَّرُ في الكثرة على نسوانٍ ، والنساءُ : جمعٌ كثرةٍ أيضاً ، ولا واحداً لَهُ مِنْ لفظه ، كذا قالهُ أبو حيَّان.

ومقتضى ذلك ألاَّ يكون النساءُ جمعاً لنسوةٍ ؛ لقوله : لا واحِدَ له من لفظه.

و " فِي المَدِينَةِ " يجوزُ تعلُّقه بمحذوفٍ ، صفةٍ لـ " نِسْوَةٌ " ، وهو ظاهرٌ ، ويقال : ليس بظاهرٍ.

فصل في عدد النسوة في : إنَّهن خمسُ : امرأة حاجب الملك ، وامرأةُ صاحب دوابه ، وامرأةُ الخازن ، وامرأة السَّاقي ، وامرأة صاحب السِّجن ، قاله مقاتل.

وقال الكلبيُّ : أربعٌ ؛ فأسقط امرأة الحاجب.

والأشبه أنَّ تلك الواقعة شاعت في البلد ، واشتهرت ، وتحدث بها النساء ، والمراد بالمدينة : مِصْرُ ، وقيل : مدينة عَين شَمْسٍ.

قوله : " تُراودُ " خبرُ " امْرأةُ العَزِيزِ " ، وجيءَ بالمضارع ، تنبيهاً على أنَّ المراودة صارت سجيةً لها ، ودَيْدناً ، دون الماضي فلم يقلْ : رَاودتْ ، ولامُ الفتى ياءٌ ؛ لقولهم : الفتيان ، وفتي ، وعلى هذا ؛ فقولهم : **الفُتُوَّة** في المصدر شاذٌّ.

قال : " فَتَاهَا " ، وهو فتى زوجها ؛ لأن يوسف كان عندهم في حكم المماليك ، وكان ينفذُ أمرها فيه.

وروى مقاتلٌ ، عن أبي عثمان النهدي ، عن سلمان الفارسي . رضي الله عنه . قال : " إنَّ امرأة العزيز استوهبتْ يوسف من زوجها ، فوهبهُ لها ، وقال : ما تصنعين به ؟ قالت : اتخذه ولداً ، قال : هو لك ؛ فربَّتْهُ حتى [أيفع] ، وفي نفسها منه ما في نفسها ، فكانت تتكشَّلا له ، وتتزيَّن ، وتدعوه من وجه اللُّطفِ ؛ فعصمه الله ".

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . موافق للمطبوع، ١ ص/١٨٦٣

قوله : ﴿قَدْ شَغَفَهَا حُبّاً﴾ ، وهذه الجملة يجوز أن تكمون خبراً ثانياً ، وأن تكون مستأنفة ، وأن تكون حالاً ؛ إمَّا من فاعل " تُرَاوِدُ " ، ، وإمَّا من مفعوله ، و " حُبًّا " تمييزٌ ؛ وهو منقولٌ من الفاعليَّة ، وإذ الأصل : قد شغفها حبُّه.

٧٨

والعامةُ على " شَغَفَهَا " بالغين المعجمة المفتوحةِ ، بمعنى : خَرقَ شِغافَ قلبها ، وهو مأخوذٌ من الشِّغاف ، والشِّغاف : حجابُ القلب ، جليدةٌ رقيقةٌ ، وقيل : سويداءُ القلبِ.

فعلى الأول ، يقال : شَغفتُ فلاناً ، إذا أصبت شِغفافهُ ؛ كما تقولُ : كبدتهُ إذا أصبتَ كبدَه ، فمعنى : " شَغَفَهَا حُبّاً " أي : خرق الحبُّ الجلدَ ؛ حتَّى أصاب القلب ، أي : أنَّ حبَّه أحاط بقلبها ، مثل إحاطةِ الشِّغاف بالقلبِ ، ومعنى إحاطة ذلك الحبِّ بقلبها : هو أنَّ اشتغالها بحبه صار حجاباً بينها ، وبين كلِّ ما سوى هذه المحبَّة ، فلا يخطر ببالها سواه ، وإن قلنا : إنَّ الشِّغافُ سويداء القلبِ ، فالمعنى : أنَّ حبُّهُ وصل إلى سويداءِ قلبها.

وقيل : الشِّغافُ داء يصلُ إلى القلب مِنْ أجل الحبِّ ، وقيل : جليدةٌ رقيقةٌ يقال لها : لسانُ القلبِ ليست محيطةً به.

ومعنى : " شَغَفَ قلبَهُ " أي : خرق حجابهُ ، إذا أصابه ؛ فأحرقه بحرارةِ الحبِّ ، وهو من شغف البعير بالهِناءِ ، إذا طلاهُ بالقطرانِ ، فأحرقهُ.

[والمشغوف من وصل الحب لقلبه] قال الأعشى : [البسيط] ٣٠٧٩. يَعْصِي الوُشَاةَ وَكَانَ الحُبُّ آونَةً

مِمَّا يُزَيِّنُ للمَشْغُوفِ ما صَنَعَا

جزء : ١١ رقم الصفحة : ٧٧

وقال النابغةُ الذبيانيُّ : [الطويل] ٣٠٨٠. وقَدْ حَالَ هَمٌّ دُونَ ذلِكَ والِجٌ

مَكَانَ الشِّغافِ تَبْتغيهِ الأصَابعُ

وقرأ ثابت البناني : بكسر الغين ، وقيل : هي لغة تميم ، وقرأ أمير المؤمنين عليُّ بن أبي طالب ـ كرم الله وجهه ـ ، وعليُّ بن الحسين ، وابنه محمدٌ ، وابنه جعفر والشعبي ، وقتادة ـ رضي الله عنهم ـ بتفحِ العين المهملةِ.

وروي عن ثابت البناني ، وأبي رجاء : كسر العين المهملة أيضاً ، واختلف الناسُ في ذلك : فقيل : هو من شغف البعير ، إذا هنأهُ ، فأحرقه بالطقرانِ ، قاله الزمخشريُّ ؛ وأنشد : [الطويل] ٣٠٨١.......................

كَمَا شَعَفَ المَهْنُوءةَ الرَّجلُ الطَّالِي

٧٩

وهذا البيتُ لامرىء القيس : [الطويل] ٣٠٨٢. أتَقْتُلني وقدْ شَعَفْتُ فُؤادهَا

كَما شَعَفَ المَهْنُوءةَ الرَّجلُ الطَّالِي

". (١)

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل ـ موافق للمطبوع، ا ص/٢٩٦١

"قوله تعالى: " والذين كفروا " أي أشركوا، لقوله: (وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار " الصحبة: الاقتران بالشئ في حالة ما في زمان ما فان كانت الملازمة والخلطة فهو كمال الصحبة وهكذا هي صحبة أهل النار لها.

وبهذا القول ينفك الخلاف في تسمية الصحابة رضي الله عنهم إذ مراتبهم متباينة على ما نبينه في " براءة " (١) إن شاء الله.

وباقي ألفاظ الآية تقدم معناها والحمد لله.

قوله تعالى: يا بني إسراءيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأوفوا بعهدي أوف بعهدكم وإياى فارهبون (٤٠) قوله تعالى: (يا بني إسرائيل) نداء مضاف علامة النصب فيه الياء وحذفت منه النون للاضافة.

الواحد ابن والاصل فيه بنى وقيل: بنو فمن قال: المحذوف منه واو احتج بقولهم: البنوة.

وهذا لا حجة فيه لانهم قد قالوا: الفتوة وأصله الياء.

وقال الزجاج: المحذوف منه عندي ياء كأنه من بنيت.

الاخفش: اختار أن يكون المحذوف منه

الواو لان حذفها أكثر لثقلها.

ويقال: ابن بين البنوة والتصغير بنى.

قال الفراء: يقال: يا بنى ويا بني لغتان مثل يا أبت ويا أبت وقرئ بهما.

وهو مشتق من البناء وهو وضع الشئ على الشئ والابن فرع للاب وهو موضوع عليه.

وإسرائيل هو يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام.

قال أبو الفرج الجوزي: وليس في الانبياء من له اسمان غيره إلا نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فإن له أسماء كثيرة.

ذكره في كتاب " الآثار " له.

قلت: وقد قيل في المسيح أنه اسم علم لعيسى عليه السلام غير مشتق وقد سماه الله روحا وكلمة، وكانوا يسمونه أبيل الابيلين ذكره الجوهري في الصحاح.

وذكر البيهقي في " دلائل النبوة " عن الخليل بن أحمد: خمسة من الانبياء ذوو أسمين محمد وأحمد نبينا صلى الله عليه وسلم وعيسى والمسيح وإسرائيل ويعقوب ويونس وذو النون وإلياس وذو الكفل صلى الله عليهم وسلم

---

(١) راجع ج ٨ ص ١٤٨ (*)."[1]

"وإن كانت بقرا فبقرتين.

وقال أبو بكر الوراق: دلهم بهذه الاية على الفتوة (١).

أي لن تنالوا بري بكم إلا ببركم بإخوانكم والانفاق عليهم من أموالكم وجاهكم، فإذا فعلتم ذلك نالكم بري وعطفي.

---

(١) تفسير القرطبي، ١/ ٣٣٠

قال مجاهد: وهو مثل قوله: " ويطعمون الطعام على حبه مسكينا " [الانسان: ٨].

(٢) (وما تنفقوا من شئ فإن الله به عليم) أي وإذا علم جازى عليه.

قوله تعالى: كل الطعام كان حلا لبنى إسرآءيل إلا ما حرم إسرآءيل على نفسه من قبل أن تنزل التورئة قل فأتوا بالتورئة فاتلوها إن كنتم صدقين (٩٣) فمن افترى على الله الكذب من بعد ذلك فأولئك هم الظلمون (٩٤).

فيه أربع مسائل: الاولى - قوله تعالى: (حلا) " حلا " أي حلالا، ثم استثنى فقال: (إلا ما حرم إسرائيل على نفسه) وهو يعقوب عليه السلام.

في الترمذي عن ابن عباس أن اليهود قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم: أخبرنا، ما حرم إسرائيل عل نفسه ؟ قال: (كان يسكن البدو فاشتكى عرق (٣) النسا فلم يجد شيئا يلائمه إلا لحوم الابل وألبانها فلذلك حرمها).

قالوا: صدقت.

وذكر الحديث.

ويقال: [إنه] (٤) نذر إن برأ (٥) منه ليتركن أحب الطعام والشراب إليه، وكان أحب الطعام والشراب إليه لحوم الابل وألبانها.

وقال ابن عباس ومجاهد وقتادة والسدي: أقبل يعقوب عليه السلام من حران يريد بيت المقدس حين هرب من أخيه عيصو، وكان رجلا بطشا قويا، فلقيه ملك فظن يعقوب أنه لص فعالجه أن يصرعه، فغمز الملك فخذ يعقوب عليه السلام، ثم صعد الملك إلى السماء ويعقوب ينظر إليه فهاج عليه (٦) عرق النسا، ولقي من

---

(١) **الفتوة**: يعبر بها عن مكارم الاخلاق.

(٢) راجع ج ١٩ ص ١٢٥.

(٣) النسا (بالفتح مقصور): عرق يخرج من الورك فيستبطن الفخذ.

(٤) كذا في ب ود.

(٥) برأ من المرض (بالفتح) لغة أهل الحجاز.

وسائر العرب يقولون: برئت (بالكسر).

(٦) في ب ود: به.

(*)."[١]

"قوله تعالى: (لنعلم أي الحزبين أحصى) " لنعلم " عبارة عن خروج ذلك الشئ إلى الوجود ومشاهدته، وهذا على نحو كلام العرب، أي نعلم ذلك موجودا، إلا فقد كان الله تعالى علم أي الحزبين أحصى الامد.

وقرأ الزهري " ليعلم " بالياء.

---

(١) تفسير القرطبي، ٤/١٣٤

والحزبان الفريقان، والظاهر من الآية أن الحزب الواحد هم الفتية إذ ظنوا لبثهم قليلا.

والحزب الثاني أهل المدينة الذين بعث الفتية على عهدهم، حين كان عندهم التاريخ لامر الفتية.

وهذا قول الجمهور من المفسرين.

وقالت فرقة: هما حزبان من الكافرين، اختلفا في مدة أصحاب الكهف.

وقيل: هما حزبان من المؤمنين.

وقيل غير ذلك مما لا يرتبط بألفاظ الآية.

و " أحصى " فعل ماض.

و " أمدا " نصب على المفعول به، قاله أبو على.

وقال الفراء: نصب على التمييز.

وقال الزجاج: نصب على الظرف، أي أي الحزبين أحصى للبثهم في الامد، والامد الغاية.

وقال مجاهد: " أمدا " نصب معناه عددا، وهذا تفسير بالمعنى على جهة التقريب.

وقال الطبري: " أمدا " منصوب ب " لبثوا ".

ابن عطية: وهذا غير متجه، وأما من قال إنه نصب على التفسير فيلحقه من الاختلال أن أفعل لا يكون من فعل رباعى إلا في الشاذ، و " أحصى " فعل رباعى.

وقد يحتج له بأن يقال: إن أفعل في الرباعي قد كثر، كقولك: ما أعطاه للمال وآتاه للخير.

وقال في صفة حوضه صلى الله عليه وسلم: " ماؤه أبيض من اللبن ".

وقال عمر بن الخطاب: فهو لما سواها أضيع.

قوله تعالى: نحن نقص عليك نبأهم بالحق إنهم فتية ءامنوا بربهم وزدنهم هدى (١٣) قوله تعالى: (نحن نقص عليك نبأهم بالحق) لما اقتضى قوله تعالى " لنعلم أي الحزبين أحصى " اختلافا وقع في أمد الفتية، عقب بالخبر عن أنه عز وجل يعلم من أمرهم بالحق الذى وقع.

وقوله تعالى: (إنهم فتية) أي شباب وأحداث حكم لهم بالفتوة حين آمنوا بلا واسطة، كذلك قال أهل اللسان: رأس الفتوة الايمان.

وقال الجنيد: الفتوة بذل الندى وكف الاذى وترك الشكوى.

وقيل: الفتوة اجتناب المحارم واستعجال المكارم.

وقيل غير هذا.

وهذا القول حسن جدا، لانه يعم بالمعنى جميع ما قيل في الفتوة.." (١)

---

(١) تفسير القرطبي، ١٠/٣٦٤

"أفضل الأعمال ما كانت بركاته تتعدى صاحبه إلى غيره؛ ففضيلة الصدقة يتعدى نفعها إلى من تصل إليه ، **والفتوة** أن يكون سعيك لغيرك ، ففي الخبر : « شر الناس من أكل وحده » وكل أصناف الإحسان ينطبق عليها لفظ الصدقة . قال A في قصر الصلاة في السفر : « هذه صدقة تصدقها الله عليكم فاقبلوا صدقته » .

والصدقة على أقسام : صدقتك على نفسك ، وصدقتك على غيرك؛ فأما صدقتك (على نفسك فحملها على أداء حقوقه تعالى ، ومنعها عن مخالفة أمره ، وقصر يدها عن أذية الخلق وصون خواطرها وعقائدها عن السوء . وأما صدقتك) على الغير فصدقة بالمال وصدقة بالقلب وصدقة بالبدن .

فصدقة بالمال بإنفاق النعمة ، وصدقة بالبدن بالقيام بالخدمة ، وصدقة بالقلب بحسن النية وتوكيد الهمة .

والصدقة على الفقراء ظاهرة لا إشكال فيها ، أما الصدقة على الأغنياء فتكون بأن تجود عليهم بهم ، فتقطع رجاءك عنهم فلا تطمع فيهم .

وأما المعروف : فكل حسن في الشرع فهو معروف ، ومن ذلك إنجاد المسلمين وإسعادهم فيما لهم فيه قربة إلى الله ، وزلفى عنده ، وإعلاء النواصي بالطاعة .

ومن تصدق بنفسه على طاعة ربه ، وتصدق بقلبه على الرضا بحكمه ، ولم يخرج بالانتقام لنفسه ، وحث الناس على ما فيه نجاتهم بالهداية إلى ربه ، وأصلح بين الناس بصدقه في حاله – فإن لسان فعله أبلغ في الوعظ من لسان نطقه ، فهو الصديق في وقته . ومن لم يؤدب نفسه لم يتأدب به غيره ، وكذلك من لم يهذب حاله لم يتهذب به غيره .

﴿ ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضات الله ﴾ غير سائل به مالا أو حائز لنفسه به حالا فعن قريب يبلغ رتبة الإمامة في طريق الله ، وهذا هو الأجر الموعود في هذه الآية .." (١)

"بين أن اعتبار العدالة كان حتما في شرعهم ، ولما جنحوا إلى التضييع استوجبوا الملام . ﴿ فمن تصدق به فهو كفارة له ﴾ ، يعني فمن آثر ترك ماله باعتناق العفو لم يخسر علينا باستيجاب الشكر ، ومن أبي إلا تماديا في إجابة دواعي الهوى فهم الذين وضعوا الشيء في غير موضعه؛ أي استبدلوا بلزوم الحقائق متابعة الحظوظ ، وبإيثار **الفتوة** موافقة البشرية .." (٢)

"قوله جل ذكره : ﴿ قل أمر ربى بالقسط ﴾ .

القسط العدل ، ويقع ذلك في حق الله تعالى ، وفي حق الخلق ، وفي حق نفسك؛ فالعدل في حق الله الوقوف على حد الأمر من غير تقصير في المأمور به أو إقدام على المنهي عنه ، ثم ألا تدخر عنه شيئا مما خولك ، ثم لا تؤثر عليه شيئا فيما أحل لك . وأما العدل مع الخلق – فعلى لسان العلم – بذل الإنصاف ، وعلى موجب **الفتوة** ترك الانتصاف . وأما العدل في حق نفسك فإدخال العتق عليها ، وسد أبواب الراحة بكل وجه عليها ، والنهوض بخلافها على عموم الأحوال في كل نفس .

---

(١) تفسير القشيري، ١ /٣٦

(٢) تفسير القشيري، ١ /١٢٧

قوله جل ذكره : ﴿ وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد وادعوه مخلصين له الدين ﴾ .

الإشارة منه إلى استدامة شهوده في كل حالة ، وألا تنساه لحظة في كل ما تأتيه وتذره وتقدمه وتؤخره .

قوله جل ذكره : ﴿ كما بدأكم تعودون فريقا هدى وفريقا حق عليهم الضلالة إنهم اتخذوا الشياطين أولياء من دون الله ويحسبون أنهم مهتدون ﴾ .

من كانت قسمته – سبحانه – له بالسعادة كانت فطرته على السعادة ، وكانت حالته بنعت السعادة ، ومن كانت حالته بنعت السعادة كانت عاقبته إلى السعادة ، ومن كانت القسمة له بالعكس فالحالة بالضد ، قال رسول الله A : « من كان بحالة لقي الله بها » .

وجملة العلم بالقضاء والقدر أن يتحقق أنه علم ما يكون أنه كيف يكون ، وأراد أن يكون كما علم . وما علم ألا يكون – مما جاز أن يكون أراده ألا يكون – أخبر أنه لا يكون . وهو على وجه الذي أخبر ، وقضى على العبد وقدر أجرى عليه ما سبق به الحكم ، وعلى ما قضى عليه حصل العبد على ذلك الوصف .." (١)

"لما صحت صحبة يوشع مع موسى عليهما السلام استحق اسم **الفتوة** ، ولذا قال : ﴿ وإذ قال موسى لفتاه ﴾ وهو اسم كرامة لا اسم علامة .

جعل دخول السمك الماء علامة لوجود الخضر هنالك ، ثم أدخل النسيان عليهما ليكون أبلغ في الآية ، وأبعد من اختيار البشر .." (٢)

"قال عكرمة اهل الجمنة ولد ثلاث وثلاثين سنة رجالهم ونساؤهم وقامتهم ستون ذراعا على قامة ابيهم آدم شباب جرد مرد مكحلون عليهم سبعون حلة تتلون كل حلة فى كل ساعة سبعين لوا لا يترقون ولا يمتخطون وما كان فوق ذلك من الاذى فهو ابعد يزدادون كل يوم جمالا وحسنا كما يزداد اهل الدنيا هرما وضعفا لا يفنى شبابهم ولا تبلى ثيابهم .

واعلم ان معظم اللذات الحسية لما كان مقصورا على المساكن والمطاعم والمناكح حسبما يقضى به الاستقراء وكان ملاك جميع ذلك الدوام والثبات اذ كل نعمة وان جلت حيث كانت فى شرف الزوال ومعرض الاضمحلال فانها منغصة غير صافية من شوائب الالم بشر المؤمنون بها وبدوا مهما تكميلا للبهجة والسرور وفى التأويلات النجمية ﴿ وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات ان لهم جنات تجرى من تحتها الانهار ﴾ اى يحصل لهم جنات القربة معجلة من بذر الايمان الحقيقى واعمالهم القلبية الصالحة والروحية والسرية بالتوحيد والتجريد والتفريد من اشجار التوكل واليقين والزهد والورع والتقوى والصدق والاخلاص والهدى والقناعة والعفة والمروءة **والفتوة** والمجاهدة والمكابدة والشوق والذوق والرغبة والرهبة والخوف والخشية والرجاء والصفاء والوفاء والطلب والارادة والمحبة والحياء والكرم والسخاوة والشجاعة والعلم والمعرفة والعزة والرفعة والقدرة والحلم والعفو والرحمة والهمة العالية وغيرها من المقامات والاخلاق تجرى من تحتها مياه العناية والتوفيق والرأفة والعطفة والفضل ﴿ كلما رزقوا منها ﴾ من هذه الاشجار ﴿ من ثمرة ﴾ من ثمرات المشاهدات والمكاشفات والمعاينات ﴿ رزقا ﴾

---

(١) تفسير القشيري، ١ /٣٦٢/٢

(٢) تفسير القشيري، ١ /٣٧١/٤

اى عطفا وصحة وعطية ﴿ قالوا هذا الذى رزقنا من قبل ﴾ وذلك لان اصحاب المشاهدات يشاهدون احوالا شتى فى صورة واحدة من ثمرات مجاهداتهم فيظن بعضهم من المتوسطين ان هذا المشاهد هو الذى يشاهده قبل هذا فتكون الصورة تلك الصورة ولكن المعنى هو حقيقة اخرى مثاله يشاهد السالك نورا فى صورة نار كما شاهد موسى عليه السلام نور الهداية فى صورة نار كما قال انى آنتس نارا فتكون تارة تلك النار صفة غضب كما كان لموسى عليه السلام اذا اشتد غضبه اشتعلت قلنسوته نارا وتارة يشاهد النار وهى صفة الشيطنة وتارة تكون نار المحبة تقع فى محبوبات النفس فتحرقها وتارة تكون نار الله الموقدة التى تطلع على الافئدة فتحرق عليهم بيت وجودهم فالصورة لانارية المشاهدة متشابه بعضها ببعض كما قال تعالى ﴿ واتوا به متشابها ﴾ ولكن السالك الواصل يجد من كل نار منها ذوقا وصفة اخرى ﴿ ولهم فيها ازواج ﴾ اى لارباب الشهود فى جنات القربات ازواج من ابكار الغيب ﴿ مطهرة ﴾ من ملابسة الاغيار ﴿ وهم فيها ﴾ فى افتضاضها ﴿ خالدون ﴾ كما قال عليه السلام." (١)

"﴿ اولئك ﴾ اشارة الى الفريق الثانى وهم الداعون الحسنتين لانه تعالى ذكر حكم الفريق الاول بقوله وماله ﴿ فى الآخرة من خلاق ﴾ ﴿ لهم نصيب مما كسبوا ﴾ من للتبعيض اى لهم نصيب عظيم كائن من جنس ما كسبوا من الاعمال الحسنة وهو الثواب الذى هو المنافع الحسنة او من اجل ما كسبوا لانهم استحقوا ذلك الثواب الحسن بسبب اعمالهم الحسنة ومن اجلها فتكون من ابتدائية لان العلة مبدأ الحكم ثم اومأ الى قدرته محذرا من الموت وحاثا على اعمال الخير بقوله ﴿ والله سريع الحساب ﴾ والحساب يراد به نفس الجزاء على الاعمال فان الحساب سبب للاخذ والعطاء واطلاق اسم السبب على المسبب جائز شائع اى يحاسب العباد على كثرتهم وكثرة اعمالهم فى مقدار لمحة لعدم احتياجه الى عقد يد او وعى صدر او نظر وفكر فاحذروا من الاخلال بطاعة من هذا شأن قدرته او يوشك ان يقيم القيامة ويحاسب الناس وفى خطبة بعض المتقدمين ولت الدنيا حذاء ولم يبق الا صبابة كصبابة الاناء فليبادر المؤمن الى الطاعات واكتساب الحسنات والذكر فى كل الحالات

قال الحسن البصرى اذكرونى بما يذكر الصغير اباه فانه اول ما يتكلم يقول يا اب يا اب

فعلى كل مسلم ان يقول يا رب يا رب وعن النبى عليه السلام « اغبط اوليائى عندى مؤمن خفيف الحاذ ذو حظ من الصلاة احسن عبادة ربه واطاعه فى السر وكان غامضا فى الناس لا يشار اليه بالاصابع وكان رزقه كفافا فصبر على ذلك » ثم نقر بيده فقال « هكذا عجلت منيته قلت بواكيه قل ثراؤه » وكان رسول الله A يكثر ان يقول ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار

والاشارة فاذا قضيتم مناسك وصلتكم وبلغتم مبلغ الرجال البالغين من اهل الكمال فلا تأمنوا مكر الله ولا تهملوا وظائف ذكر الله فاذكروا الله كما تذكرون فى حال طفوليتكم آباءكم للحاجة والافتقار بالعجز والانكسار وفى حال رجوليتكم للحجة والافتخار بالمحبة والاستظهار فاذكروا الله افتقارا وافتخارا او اشد ذكرا واكد فى الافتخار لانه يمكن للطفل الاستغناء عن الله بولى وكذلك البالغ يحتمل ان يفتخر بغير الله ولكن العباد ليس لهم من دون الله من ولى ولا واق فمن الناس من اهل الطلب

---

(١) تفسير حقي، ١ /٩٦

والسلوك من يقول بتسويل النفس وغرورها بحسبان الوصول والكمال عند النسيان وتغير الاحوال ربنا آتنا فى الدنيا حسنة يعنى تميل نفسه الى الدنيا وتنسى المقصد الاصلى ويظن الطالب الممكور انه قد استغنى عن الاجتهاد فاهمل وظائف الذكر ورياضة النفس ومخاطرة القلب ومراقبة السر فاستولت عليه النفس وغلب عليه الهوى واستهوته الشياطين فى الارض حيران حتى اوقعته فى اودية الهجران والفراق وماله فى الآخرة من خلاق ومنهم اى من اهل الوصول وارباب الفتوة من يقول ربنا آتنا فى الدنيا حسنة نعمة من النعم الظاهرة كالعافية والصحة والسعة والفراغة والطاعة واستطاعة البدن والوجاهة والارشاد والاخلاق وفى الآخرة حسنة نعمة من النعم الباطنة هى الكشوف والمشاهدات وانواع القربات والمواصلات وقنا عذاب النار اى نار القطيعة وحرقة الفراق اولئك لهم نصيب اى لهؤلاء البالغين الواصلين نصيب وافر مما كسبوا من المقامات والكرامات ومما سألوا من ايتاء الحسنات والله سريع الحساب لكلا الفريقين فيما سألوه اى يعطيهم بحسب نياتهم على قد هممهم وطوياتهم كذا فى التأويلات النجمية." (١)

"﴿ والذين اهتدوا زادهم هدى ﴾ والخواص يخرجهم من ظلمات الصفات النفسانية والجسمانية الى نور الروحانية الربانية كقوله تعالى ﴿ الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكرالله ﴾ واطمئنان القلب بالذكر لم يكن الا بعد تصفيته عن الصفات النفسانية وتحليته بالصفات الروحانية وخواص الخواص يخرجهم من ظلمات حدوث الحلقة الروحانية بافنائهم عن وجودهم الى نور تجلى صفة القدم لهم ليبقيهم به كقوله تعالى ﴿ انهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى ﴾ الآية نسبهم الى الفتوة لما خاطروا بارواحهم فى طلب الحق وآمنوا بالله وكفروا بطاغوت دقيانوس فلما تقربوا الى الله بقدم الفتوة تقرب اليهم بمزيد العناية فاخرجهم من ظلمات النفسانية الى نور الروحانية فلما تنورت انفسهم بانوار ارواحهم اطمأنت الى ذكر الله وآنست به واستوحشت عن محبة اهل الدنيا وما فيها فاحبوا الخلاء كما كان حال النبى E فى بدء الامر قالت عائشة رضى الله عنها اول ما بدئ به E كان حبب اليه الخلاء ولعمرى هذا دأب كل طالب محق مريد صادق كذا فى التأويلات النجمية

قال الفخر الرازى بطريق الاعتراض ان جمعا من الصوفية يقولون الاشتغال بغير الله حجاب عن معرفة الله والانبياء عليهم الصلاة والسلام لا يدعون الخلق الا الى الطاعات والتكاليف فهم يشغلون الخلق بغير الله ويمنعونهم عن الاشتغال بالله فوجب ان لا يكون ذلك حقا وصدقا انتهى كلامه

يقول الفقير جامع هذه المجالس النفيسة هذا الاعتراض ليس بشيء فان الطاعات والتكاليف وسائل الى معرفة الله الملك اللطيف فالدعوة ليست الا الى معرفة الله حقيقة ألا يرى الى تفسير ابن عباس رضى الله عنهما عند قوله تعالى ﴿ وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ﴾ بقوله ليعرفون وانما عدل عنه الى ليعبدون مع انه خلاف مقتضى الظاهر حينئذ اشعارا بان المعرفة المقبولة هى التى تحصل بطريق العبادة فالاشتغال بغير الله وبغير عبادته حجاب أى حجاب ولذلك كان بدء حال السلف الخلاء والانقطاع عن الناس اقتداء برسول الله A واهتماما فى رفع الحجاب الحاصل بالاختلاط : وفى المثنوى

آدمى راهست درهر كار دست ... ليك ازو مقصود اين خدمت بدست

---

(١) تفسير حقي، ١/ ٤٤٠

ما خلقت الجن والانس اين بخوان ... جز عبادت نيست مقصود ازجهان
ناجلا باشد مران آبينه را ... كه صفا آيد زطاعت سينه را." (١)

"﴿ الرجال قوامون على النساء ﴾ قائمون بالامر بالمصالح والنهى عن الفضائح قيام الولاة على الرعية مسلطون على تأديبهن وعلل ذلك بامرين وهبي وكسبي فقال ﴿ بما فضل الله بعضهم على بعض ﴾ الضمير البارز لكلا الفريقين تغليبا اى بسبب تفضيله الرجال على النساء بالحزم والعزم والقوة **والفتوة** والمير والرمى والحماسة والسماحة والتشمير لخطة الخطبة وكتبة الكتابة وغيرها من المخايل المخيلة فى استدعاء الزيادة والشمائل الشاملة لجوامع السعادة ﴿ وبما انفقوا من اموالهم ﴾ اى وبسبب انفاقهم من اموالهم فى نكاحهن كالمهر والنفقة وهذا ادل على وجوب نفقات الزوجات على الازواج روى ان سعد بن الربيع احد نقباء الانصار رضى الله عنهم نشزت عليه امرأته حبيبة بنت زيد بن ابى زهير فلطمها فانطلق بها ابوها الى رسول الله A وشكا فقال عليه السلام « لنقتص منه » فنزلت فقال A « اردنا امرا واراد الله امرا والذى اراد الله خير » ورفع القصاص فلا قصاص فى اللطمة ونحوها والحكم فى النفس وما دونها مذكور فى الفروع ﴿ فالصالحات ﴾ منهن ﴿ قانتات ﴾ مطيعات لله تعالى قائمات بحقوق الازواج ﴿ حافظات للغيب ﴾ اى لمواجب الغيب اى لما يجب عليهن حفظه فى حال غيبة الازواج من الفروج والاموال والبيوت

وعن النبى A « خير النساء امرأة ان نظرت اليها سرتك وان امرتها اطاعتك واذا غبت عنها حفظتك فى مالها ونفسها » وتلا الآية واضافة المال اليها للاشعار بان ماله فى حق التصرف فى حكم مالها ﴿ بما حفظ الله ﴾ ما مصدرية اى بحفظه تعالى اياهن اى بالامر بحفظ الغيب والحث عليه بالوعد والوعيد والتوفيق له . او موصولة اى بالذى حفظ الله لهن عليهم من المهر والنفقة والقيام بحفظهن والذب عنهن ﴿ واللاتى تخافون نشوزهن ﴾ خطاب للازواج وارشاد لهم الى طريق القيام عليهن والخوف حالة تحصل فى القلب عند حدوث امر مكروه او عند الظن او العلم بحدوثه وقد يراد به احدهما اى تظنون عصيانهن وترفعهن عن مطاوعتكم ﴿ فعظوهن ﴾ فانصحوهن بالترغيب والترهيب

قال الامام ابو منصور العظة كلام يلي القلوب القاسية ويرغب الطبائع النافرة وهى بتذكير العواقب ﴿ واهجروهن ﴾ بعد ذلك ان لم ينفع الوعظ والنصيحة والهجر الترك عن قلى ﴿ فى المضاجع ﴾ اى فى المراقد فلا تدخلوهن تحت اللحف ولا تباشروهن جمع مضجع وهو موضع وضع الجنب للنوم ﴿ واضربوهن ﴾ ان لم ينجع ما فعلتم من العظة والهجران غير مبرح ولا شائن ولا كاسر ولا خادش فالامور الثلاثة مترتبة ينبغى ان يدرج فيها ﴿ فان اطعنكم ﴾ بذلك كما هو الظاهر لانه منتهى ما يعد زاجرا ﴿ فلا تبغوا عليهن سبيلا ﴾ بالتوبيخ والاذية اى فازيلوا عنهن التعرض واجعلوا ما كان منهن كأن لم يكن فان التائب من الذنب كمن لا ذنب له ﴿ ان الله كان عليا ﴾ اى اعلى عليكم قدرة منكم عليهن ﴿ كبيرا ﴾ اى اعظم حكما عليكم منكم عليهن فاحذروا واعفوا عنهن اذا رجعن لانكم تعصونه على علو شأنه وكبرياء سلطانه ثم تتوبون فيتوب عليكم فانتم احق بالعفو عمن جنى عليكم اذا رجع

---

(١) تفسير حقي، ٦١/٢

قال فى الشرعة وشرحها اذا وقف واطلع من زوجته على فجور اى فسق او كذب او ميل الى الباطل فانه يطلقها الا ان لا يصبر عنها فيمسكها روى انه جاء رجل الى رسول الله A فقال يا رسول الله لى امرأة لا ترد يد لامس قال." (١)

"﴿ ولما بلغ ﴾ يوسف ﴿ اشده ﴾ قال فى القاموس اى قوته وهو ما بين ثمانى عشرة سنة الى ثلاثين . واحد جاء على بناء الجمع كأنك ولا نزير لهما او جمع لا واحد له من لفظه

وقال اهل التفسير اى منتهى اشتداد جسمه وقوته واستحكام عقله وتمييزه وهو سن الوقوف ما بين الثلاثين الى الاربعين والعقلاء ضبطوا مراتب اعمار الناس فى اربع . الاولى سن النشور والنماء ونهايته الى ثلاثين سنة . والثانية سن الوقوف وهو سن الشباب ونهايته الى ان تتم اربعون سنة من عمره . والثالثة سن الكهولة وهو سن الانحطاط اليسير الخفى وتمامه الى ستين سنة . والرابعة سن الشيخوخة وهو سن الانحطاط العظيم الظاهر وتمامه عند الاطباء الى مائة وعشرين سنة . والاشد غاية الوصول الى الفطرة الاولى بالتجرد عن غواشى الخلقة التى يسميها الصوفية بمقام الفتوة

قال فى التعريفات الفتوة فى اللغة والسخاء والكرم وفى اصطلاح اهل الحقيقة هى ان تؤثر الخلق على نفسك بالدنيا والآخرة ﴿ آتيناه حكما ﴾ كمالا فى العلم والعمل استعد به الحكم بين الناس بالحق ورياستهم

قال القشيرى من جملة الحكم الذى آتاه الله نفوذ حكمه على نفسه حتى غلب شهوته فامتنع عما راودته زليخا عن نفسه ومن لا حكم له عل نفسه لم ينفذ حكمه على غيره

قال الامام نقلا عن الحسن كان نبيا من الوقت الذى القى فيه فى غيابة الجب لقوله تعالى ﴿ ولما بلغ اشده آتيناه ﴾ واذا لم يقل ههنا ولما بلغ اشده واستوى كما قال فى قصة موسى لان موسى اوحى اليه عند منتهى الاشد الاستواء وهو اربعون سن واوحى الى يوسف عند اوله وهو ثمان عشرة سنة ﴿ وعلما ﴾ قالوا المراد من الحكم الحمكة العملية ومن العلم الحكمة النظرية وذلك لان اصحاب الرياضات والمجاهدات يصلون اولا الى الحكمة العملية ثم يترقون منها الى الحكمة النظرية . واما اصحاب الافكار والانظار العقلية فانهم يصلون اولا الى الحكمة النظرية ثم ينزلون منها الى الحكمة النظرية ثم ينزلون منها الى الحكمة العملية وطريقة يوسف عليه السلام هى الاول لانه صبر على المكاره والبلاء والمحن ففتح الله له ابواب المكاشفات : قال الحافظ

مكن زغصه شكايت طكه در طريق طلب ... براحتى نرسيد آنكه زحمتى نكشيد

وقال

جه ورها كه كشيدند بلبلان ازدى ... ببوى آنكه دكر نوبهار باز آمد

والحاصل ان طريقة يوسف طريقة السالك المجذوب لا طريقة المجذوب السالك والاولى هى سنة الله الغالبة فى انبيائه واوليائه ففى قوله ﴿ حكما وعلما ﴾ اشارة الى استكمال النفس فى قوتها العملية والنظرية

وعن الحسن من احسن عبادة ربه فى شبيبته آتاه الله الحكمة فى اكتهاله وفيه اشارة الى ان المطيع تفتح له ينابيع الحكمة

---

(١) تفسير حقي، ٢/ ٤٥٨

وتنبيه على ان العطية الالهية تصل الى العبد وان طال العهد اذا جاء اوانها فلطالب الحق ان ينتظر احسان الله تعالى ولا ييأس منه وفى الحديث." (١)

"﴿ وما خلقنا السموات والارض وما بينهما ﴾ اى بين جنسى السموات والارضين ولو اراد بين اجزاء المذكور لقال بينهن

وفيه اشارة الى ان اصل السموات واحدة عند بعضهم قم قسمت كذا فى الكواشى ﴿ الا بالحق ﴾ اى الا خلقا ملتبسا بالحق والحكمة لا باطلا وعبثا او للحق والباء توضع موضع اللام يعنى لينظر عبادى اليهما فيعتبروا

دوجشم ازبى صنع بارى نكوست ... زعيب برادر فرو كير ودوست

در معرفت ديده آدميست ... كه بكشوده بر آسمان وزميست

﴿ وان الساعة ﴾ اى القيامة لتوقعها كل ساعة كما فى المدارك

وقال ابن ملك هى اسم لوقت تقوم فيه القيامة سمى بها لانها ساعة خفيفة يحدث فيها امر عظيم

وقال ابن الشيخ سميت الساعة ساعة لسعيها الى جانب الوقوع ومسافتها الانفاس ﴿ لآتية ﴾ لكائنة لا محالة كما قيل [كرجه قيامت دير آمد ولى مى آمد] اى فينتقم الله لك يا محمد فيها من اعدائك وهم المكذبون ويجازيك على حسناتك واياهم على سيآتهم فانه ما خلق السموات والارض وما بينهما الا ليجزى كل محسن باحسانه وكل مسئ باساءته ﴿ فاصفح الصفح الجميل ﴾ يقال صفح عنه عفا وصفح اعرض وترك اى فاعرض عن المكذبين اعراضا جميلا وتحمل اذيتهم ولا تعجل بالانتقام منهم وعاملهم معاملة الصفوح الحليم

قال الكاشفى يعنى [عفوكن حق نفس خودرا ورد صدد مكافات مباش]

﴿ ان ربك ﴾ الذى يبلغك الى غاية الكمال ﴿ هو الخلاق ﴾ لك ولهم ولسائر الموجودات على الاطلاق

قال الكاشفى [اوست آفريننده خلائق وافلاك نظم خالق افلاك وانجمبر علا مردم وديو وبرى وردغ را]

خالق دريا ودشت وكوه وتيه ... ملكت او بى حد واولى شبيه

نقش اوكرجست ونقاش من اوست ... غيرا كردعوى كندا وظلم جوست

﴿ العليم ﴾ [دانا باهل وفاق ونفاق]

وفى الارشاد باحوالك واحوالهم بتفاصيلها فلا يخفى عليه شئ مما جرى بينك وبينهم فهو حقيق بان تكل جميع المور ليحكم بينهم

وفى الآية امر بالمخالفة بالخلق الحسن وكان A احسن الناس خلقا وارجح الناس حلما واعظم الناس عفوا واسخى الناس كفا

قال الفضيل الفتوة الصفح عن عثرات الاخوان

وكان زين العابدين عظيم التجاوز والصفح والعفو حتى انه سبه رجل فتغافل عنه فقال له ابارك اعنى فقال وعنك اعرض اشار الى آية خذ العفو ائمر بالعرف واعرض عن الجاهلين

---

(١) تفسير حقي، ٦١/٧٠

ولما ضرب جعفر بم سليمان العباسي والى المدينة مالكا رضى الله عنه ونال منه وحمل مغشيا وافاق قال اشهدكم انى جعلت ضاربى فى حل ثم سئل فقال خفت ان اموت والقى النبى A واستحيي منه ان يدخل بعض آله النار بسببى

ولما قدم المنصور المدينة ناداه ليقتص له من جعفر فقال اعوذ بالله والله ما ارتفع منها سوط الا وقد جعلته فى حل لقرابته من رسول الله A." (١)

"﴿ نحن نقص عليك ﴾ اى نخبرك ونبين لك وقد مر اشتقاقه فى مطلع سورة يوسف ﴿ نبأهم ﴾ اى خبر اصحاب الكهف والرقيم ﴿ بالحق ﴾ صفة لمصدر محذوف اى نقص قصا ملتبسا بالحق والصدق .

وفيه اشارة الى ان القصاص كثير يقصون بالباطل ويزيدون وينقصون ويغيرون القصة كل واحد يعمل برأيه موفقا لطبعه وهواه وما يقص بالحق الا الله تعالى ﴿ انهم فتية ﴾ [شبان] ﴿ آمنوا بربهم ﴾ .

قال فى التكملة سبب ايمانهم ان حواريا من حواريي عيسى عليه السلام اراد ان يدخل مدنيتهم فقيل له ان على بابها صنما لا يدخلها احد الا سجد له فامتنع من دخولها واتى حماما كان قريبا من تلك المدينة فآجر نفسه فيه فكان يعمل فبه فتعلق به فتية من اهل المدينة فجعل يخبرهم خبر السماء وخبر الآخرة حتى آمنوا به وصدقوه ثم هرب الحورى بسبب ابن الملك اراد دخول الحمام بامرأة فنهاه الحوارى فانتهره فلما دخل مع المرأة ماتا فى الحمام فطلبه الملك لما قيل له انه قتل ابنك فهرب ثم قال الملك من كان يصحبه فسموا الفتية فهربوا الى الكهف .

يقول الفقير الظاهر ان ايمانهم كان بالالهام الملكوتى والانجذاب اللاهوتى من غير دليل يدلهم على ذلك كما يشير اليه كلام التأويلات وسيأتى . واختل فيهم متى كانوا فروى بعض الناس انهم كانوا قبل عيسى ابن مريم وان عيسى اخبر قومه خبرهم وان بعثهم من نومهم كان بعد رفع عيسى فى الفترة بينه وبين محمد عليهما السلام .

وروى بعضهم ان امرهم كان بعد عيسى وانهم كانوا على دين عيسى .

قال الطبرى وعليه اكثر العلماء ﴿ وزدناهم ﴾ [وبيفزوديم ايشانرا] ﴿ هدى ﴾ بان ثبتانهم على الدين الحق واظهرنا لهم مكنونات محاسنه .

وفى التأويلات النجمية سماهم باسم الفتوة لانهم آمنوا بالتحقيق لا بالتقليد وطلبوا الهداية من الله الى الله بالله ولكنه طلبوا الهداية فى البداية بحسب نظرهم وقدر همتهم فالله تعالى على قضية « من تقرب الى شبرا تقربت اليه رذاعا » زاد فى هداهم فضلا منه وكرما كما قال ﴿ وزدناهم هدى ﴾ اى زدنا على متمناهم فى الهداية فانهم كانوا يتمنون ان يهديهم الله الى الايمان بالله وبما جاء به الانبياء وبالبعث والنشور وايمانا بالغيب فزاد الله على متمناهم فى الهداية حين بعثهم من رقدتهم بعد ثلاثمائة وتسع سنين وما تغيرت احوالهم وما بليت ثيابهم فصار الايمان ياقانا والغيب عينا وعينا .

ميوه باشد آخر ازهار تو ... كعبه باشد آخر اسفار تو." (٢)

---

(١) تفسير حقي، ٦/١ ٤٥٧

(٢) تفسير حقي، ٧/١ ٣٢٧

"﴿ وتلك ﴾ اى التربية المدلول عليها بقوله ﴿ ألم نربك ﴾ ﴿ نعمة تمنها على ﴾ اى تمن بها على ظاهرا وهى فى الحقيقة ﴿ ان عبدت بنى اسرائيل ﴾ اى تعبيدك بنى اسرائيل وقصدك اياهم بذبح ابنائهم فان السبب فى وقوعى عندك وحصولى فى تربيتك يعنى لو لم يفعل فرعون ذلك اى قهر بنى اسرائيل وذبح ابنائهم لتكفلت ام موسى بتربيته ولما قذفته فى اليم حتى يصل الى فرعون ويربى بتربيته فكيف يمتن عليه بما كان بلاؤه سببا له ، قوله تلك مبتدأ ونعمة خبرها وتمنها على صفة وان عبدت خبر مبتدأ محذوف اى وهى فى الحقيقة تعبيد قمى . والتعبيد : بالفارسية [دام كردن وببندكى كرفتن] يقال عبدته اذا اخذته عبدا وقهرته وذللته ، رد موسى عليه السلام اولا ما وبخه فرعون قدحا فى نبوته ثم رجع الى ماعده عليه من النعمة ولم يصرح برده حيث كان صدقا غير قادح فى دعواه بل نبه على ان ذلك كان فى الحقيقة نعمة لكونه مسببا عنها ، قال بعضهم بدأ فرعون بكلام السفلة ومن على نبى الله بما اطعمه والمنة النعمة الثقيلة ، ويقال ذلك على وجهين ، احدهما ان يكون ذلك بالفعل فيقال من فلان على فلان اذا اثقله بالنعمة وعلى ذلك قوله تعالى ﴿ لقدمن الله على المؤمنين ﴾ وذلك فى الحقيقة لايكون الا لله تعالى ، والثانى ان يكون ذلك بالقول وذلك مستقبح فيما بين الناس الا عند كفران النعمة ولقبح ذلك قيل المنة تهدم الصنيعة ولحسن ذكرها عند الكفران قيل اذا كفرت النعمة حسنت المنة اى عد النعمة ، قال محمد بن على الترمذى قدس سره ليس من الفتوة تذكار الصنائع وتعدادها على من اصطنعت اليه ألا ترى الى فرعون لما لم يكن له فتوة كيف ذكر صنيعه وامتن به على موسى

از ناكسان دهر ثبوت طمع مدار ... ازطبع دير خاصيت آدمى مجوى

اعلم ان الله تعالى جعل موسى عليه السلام مظهر صفة لطفه بان جعله نبيا مرسلا وله فى هذا المعنى كمالية لا يبلغها الا بالتربية ومقاساة شدائد الرسالة مع فرعون وجعل فرعون مظهر صفة قهره بان جعله مكذبا لموسى ومعاندا له وكان لفرعون كمالية فى التمرد والآباء والاستكبار لم يبلغها ابليس ليعلم ان للانسان استعدادا فى اظهار صفة اللطف لم يكن للملك ولذلك صار الانسان مسجودا للملك والملك ساجده ولو لم يكن موسى عليه السلام داعيا لفرعون الى الله تعالى وهو مكذبه لم يبلغ فرعون الى كماليته فى التمرد ليكون مظهر الصفة القهر بالتربية فى التمرد كذا فى التأويلات النجمية وقس عليهما كل موسى وكل فرعون فى كل عصر الى قيام الساعة فان الاشياء تتبين بالاضداد وتبلغ الى كمالها .." (١)

"﴿ فراغ الى اهله ﴾ يقال راغ الى كذا اى مالى اليه سرا فالاختفاء معتبر فى مفهوم الروغ اى ذهب اليهم على خفية من ضيفه فان من أدب المضيف أن يبادر بالقرى من غير ان يشعر به الضيف حذرا من أن يكفه الضيف ويعذره او يصير منتظرا (وحكى) انه نزل ببعض المشايخ ضيف فأشار الى مريد له باحضار الطعام فاستبطأ فلما جاء سأله عن وجهه فقال المريد وجدت على السفرة نملا فتوقفت الى ان خرجت منها فقال الشيخ اصبت الفتوة ولما اطلع على هذه الحال بعض من هوا على حالا من ذلك الشيخ قال لم يصب الفتوة فان الأدب تعجيل القرى وحق الضيف احق من حق النمل فكان الواجب على المريد أن يلقيها على الارض ويجيىء بالسفرة مستعجلا ﴿ فجاء بعجل سمين ﴾ الفاء فصيحة مفصحة عن جمل محذوفة والباء للتعدية والعجل ولد البقرة لتصور عجلته التى تعدم منه اذا صار ثورا او بقرة والسمن لكونه من

---

(١) تفسير حقي، ٣١٧/٩

جنس السمن وتولده عنه والمعنى فذبح عجلا سمينا لانه كان عامة ماله البقر واختار السمين زيادة فى اكرامهم فحنذه اى شواه فجاء به يعنى بس بياورد كوساله فربه بريان كرده." (١)

"خيز يارا تابميخانه زمانى دم زنيم ... آتش اندر ملكت آل بنى آدم زنيم

هرجه اسبابست جمع آييم وبس جمع آوريم ... بس بحكم حال بيزارى همه برهم زنيم

﴿ ومن يوق شح نفسه ﴾ وهركه نكاه داشته شود ازبخل نفس او يعنى منع كند نفس را از حب مال وبغض اتفاق الوقاية حفظ الشيء مما يؤذيه ويضره والشح بالضم والكسر بخل مع حرص فيكون جامعا بين ذميمتين من صفات النفس وأضافته الى النفس لانه غريزة فيها مقتضية للحرص على المنع الذى هو البخل اى ومن يوق بتوفيق الله شحها حتى يخالفها فيما يغلب علها من حب المال وبغض الاتفاق ﴿ فاولئك هم المفلحون ﴾ الفائزون بكل مطلوب الناجون من كل مكروه والفلاح اسم لسعادة الدارين والجملة اعتراض وارد لمدح الانصار والثناء عليهم فان **الفتوة** هى الاوصاف المذكورة فى حقهم فلهم جلائل الصفات ودقائق الاحوال ولذا قال عليه السلام « آية الايمان حب الانصار » قال السهروردى فى العوارف السخاء صفة غريزية فى مقابلة الشح والشح من لوازم صقة النفس حكم الله بالفلاح لمن يوقى الشح اى لمن أنفق وبذلك والنبى عليه السلام نبه بقوله « ثلاث مهلكات وثلاث منجيات » فجعل احدى المهلكات شحا مطاعا ولم يقل مجرد الشح يكون مهلكا بل انما يكون مهلكا اذا كان مطاعا فاما كونه موجودا فى النفس غير مطاع لاينكر ذلك لانه من لوازم النفس مستمد من اصل جبلتها الترابى وفى التراب قبض وامساك وليس ذلك بالعجب من الآدمى وهو جبلى فيه وانما العجب وجود السخاء فى الغريزة وهو فى نفوس الصوفية الداعى لهم الى البذل والايثار والسخاء اتم واكمل من الجود وفى مقابلة الجود البخل وفى مقابلة السخاء الشح الجود والبخل يتطرق اليهما الاكتساب بطريق العادة بخلاف الشح والسخاء اذا كانا من ضرورة الغريزة وكل سخى جواد وليس كل جواد سخيا ولاحق تعالى لايوصف بالسخاء لان السخاء من نتيحة الغرآئز والله تعالى منزه عن الغريزة والجود يتطرق اليه الرياء ويأتى به الانسان متطلعا الى عوض من الخلق والثواب من الله تعالى والسخاء لا يتطرق اليه الرياء لانه ينبع من النفس الزكية المرتفعة عن الاعواض دنيا وآخرة لان طلب العوض مشعر بالبخل لكونه معلولا بالعوض فاتمحض سخاء فالسخاء لأهل الصفاء والايثار لاهل الانوار وقال الحسن c الشح هو العمل بالمعاصى كأنه يشح بالطاعة فدخل فيه ماقيل الشح أن تطمح عين الرجل الى ماليس له وقال عليه السلام." (٢)

"﴿ ولا يستثنون ﴾ اى لا يقولون ان شاء الله وتسميته استثناء مع انه شرط من حيث ان مؤداه مؤدى الاستثناء فان قولك لأخرجن ان شاء الله ولا اخرج الى ان شاء الله بمعنى واحد والجملة مستأنفة او حال بعد حال لعل ايراد اقسامهم عفى فعل مضمر لمقصودهم مستنكر عند ارباب المروة واصحاب **الفتوة** لتقبيح شأنهم بذكر السببين لحرمانهم وان كان احدهما كافيا فيه لكن ذكر الاقسام على ام رمستنكر اولا وجعل ترك الاستثناء حالا منه يفيد اصالته وقوته فى اقتضاء الحرمان والاظهر ان المعنى ولا يستثنون حصة المساكين اى لا يميزونها ولا يخرجونها كما كان يفعله أبوهم وقال أبو حيان ولا

---

(١) تفسير حقي، ١٤١/١٩٤

(٢) تفسير حقي، ١٥١/٢١٦

ينثنون عما عزموا عليه من منع المساكين قال فى تاج المصادر الاستثناء ان شاء الله كفتن واستثناء كردن . والباب يدل على تكرير الشئ مرتين او جعله شيئين متواليين او متباينين والاستثناء من قياس الباب وذلك ان ذكره يثنى مرة فى الجملة ومرة فى التفصيل لانك قلت خرج الناس ففى الناس زيد وعمرو فاذا قلت الا زيدا فقد ذكرت زيدا مرة اخرى ذكرا ظاهرا انتهى قال الراغب الاستثناء ايراد لفظ يقتضى رفع بعض ما يوجبه عموم لفظ متقدم او يقتضى رفع حكم اللفظ كام هو فمن الاول قوله تعالى قل لا اجد فيما اوحى الى محرما على طاعم يطعمه الا ان يكون ميتة ومن الثانى قوله لأفعلن كذا ان شاء الله وعبده عتيق وامرأته طالق ان شاء الله .." (١)

"﴿ ان شانئك ﴾ يقال شنأه كمنعه وسمعه شنأ ابغضه اى مبغضك ﴿ هو ﴾ للفصل ﴿ الأبتر ﴾ لبغضه لك لان نسبة امر الى المتق تفيد عليه المأخذ والبغض ضد الحب والبتر يستعمل فى قطع الذنب ثم اجرى قطع العقب مجراه فقيل فلان ابترا اذا لم يكن له عقب يخلفه والمعنى هو الذى لا عقل له حيث لا يبقى له نسل ولا حسن ذكر واما انت فتبقى ذريتك وحسن صيتك وآثار فضلك الى يوم القيامة

آثار افتدار توتا حشر متصل ... خصم سياه روى توبى حاصل وخجل

ولك فى الآخرة ما لا يندرج تحت البيان وذلك انهم زعموا حين مات ابنه عليه السلام القاسم وعبد الله بمكة ابراهيم بالمدينة ان محمدا A ينقطع ذكره اذا انقطع عمره لفقدان نسله فنبه الله ان الذى ينقطع ذكره هو الذى يشنأه فاما هو فكما وصفه الله تعالى ورفعنا لك ذكرك وذلك انه اعطاه نسلا يبقون على مر الزمان فانظركم قتل من أهل البيت ثم العالم ممتلئ منهم وجعله ابا للمؤمنين فهم اعقابه واولاده الا يوم القيامة وقيض له من يراعيه ويراعى دينه الحق والى هذا المعنى اشار امير المؤمنين رضى الله عنه العلماء باقون ما بقى الدهر اعيانهم مفقودة وآثارهم فى القلوب موجودة هذا فى العلماء الذين هم اتباعه عليه السلام فكيف هو وقد رفع الله ذكره وجعله خاتم الانبياء عليهم السلام وفى التاويلات النجمية ان شانئك هو الابتر وهو حمار النفس المبتور ذنب نسله وعقبه فان اولاد الاعمال الصالحة والاحوال الصادقة والاخلاق الروحانية والاوصاف الربانية اولادك يا رسول القلب واتباعك واشياعك واعوانك .

يقول الفقير يده الله القدير وردت على سورة الكوثر وقت الضحى بعد القيلولة والاشارة فيها انا بجميع اسماءنا اللطفية الجمالية الاكرامية اعطيناك يا محمد القلب ورسول الهدى المبعوث الى جميع القوى بالخير والهدى الكوثر وهو العلم الكثير الفائض من منبع الاسم الرحمن فانا رحمناك بهذه الرحمة العامة الشاملة لجميع الرحمات فلذا صرت مظهر الرحمة الكلية فى جميع المواطن فلك علم الاحكام وعلم الحقائق فصل فى مسجد الفناء والتسليم وهو المسجد الابراهيمى لربك اى لشكر ربك ولادامة شهوده وابقاء حضوره معك فى جميع الحالات وانحر بدنه البدنن فى طريق الخدمة وبدنه الطبيعة فى طريق العفة وبدنه النفس فى طريق **الفتوة** ان شانئك اى مبغضك من القوى الشريرة الانفسية والآفاقية هو الابتر المقطوع اعقابه وآخره

---

(١) تفسير حقي، ١٥/ ٤٩٨

كما قال تعالى فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين الذى ربى اولياءه فجعل لهم الوصل كما جعل لاعدآئهم القطع ثم ان قوله هو الابتر يوقف عليه ثم يقال الله اكبر ولا يوصل بالتكبير حذرا من الايهام .." (١)

" ٦٤٨ - (إذا رأيتم) خطاب مشافهة وقع للصحابة والمراد به غيرهم من أمته ممن سيكون في آخر الزمان بدليل جعله في خبر آخر من أشراط الساعة (الرايات السود) جمع راية وهي علم الجيش (قد جاءت من قبل خراسان) أي من جهتها . قال ابن كثير : ليست هي الرايات التي أقبل بها أبو مسلم الخراساني فأسلب بها دولة بني أمية بل رايات تأتي صحبة المهدي (فأتوها) للقتال معها والنصرة لأهلها وزاد في رواية ولو حبوا على الثلج (فإن فيها خليفة الله) محمد بن عبد الله (المهدي) الجائي قبل عيسى عليه الصلاة و السلام أو معه وقد ملئت الأرض ظلما وجورا فيملؤها قسطا وعدلا ويمكث في الخلافة خمسا أو سبعا أو تسعا ولا أصل كما قال المؤلف لقول القرطبي إن ظهوره يكون بالمغرب ولا حاجة للأصالة بإيراد ترجمته وأخباره لأن أعلام الأمة وحملة السنة المتقدمين اعتنوا بجمعها بما يتحصل منه في جملة مجلدات سيما ابن أبي شيبة وابن خزيمة وأبو داود وابن حبيب وابن دريد وجمع لا يحصون من علماء الرواية والدراسة وأفردت أخباره بتآليف عشرة أو تزيد وجاء ابن بريدة فجمع زبدها في مجلد حافل سماه العواصم عن الفتن القواصم فمن أكثر من أخباره في شرح هذا الحديث فما أراد إلا تكثير السواد لقلة الأمداد قال الحراني : والخليفة ذات قائم بما يقوم به المستخلف على حسب مرتبة ذلك الخليفة منه انتهى وكل من استخلفه الله في عمارة الأرض وسياسة الناس وتكميل نفوسهم وتنفيذ أمره فيهم فهو خليفة لكن لا لحاجة به تعالى إلى من ينوبه بل لقصور المستخلف عليه عن قبول فيضه وتنفيذ أمره (فإن قلت) ما حكمة إضافته إلى الله وهلا قال الخليفة ؟ قلت هو إشارة إلى أنه إنسان كامل قد تجلى عن الرذائل وتحلى بالفضائل ومحل الاجتهاد **والفتوة** بحيث لم يفته إلا مقام النبوة وفيه رد على الطيبي كمتبوعه في ذهابهم إلى امتناع أن يقال خليفة الله لغير آدم وداود عليهما السلام

(حم ك عن ثوبان) مولى المصطفى صلى الله عليه و سلم من حمير أو مذبح أو السراة اشتراه المصطفى صلى الله عليه و سلم وأعتقه ولم يزل يخدمه سفرا وحضرا وفيه علي بن زيد بن جذعان نقل في الميزان عن أحمد وغيره تضعيفه ثم قال الذهبي أراه حديثا منكرا وأورده ابن الجوزي في الموضوعات قال ابن حجر ولم يصب إذ ليس فيه متهم بالكذب انتهى وأما خبر ولا مهدي إلا عيسى بن مريم قال الذهبي واه والحاكم ورده متعجبا لا محتجا والنسائي منكر وبفرض صحته يحتمل أنه سقط منه لفظ زمن بعد إلا وهو مضمر [ص ٣٦٤] فيه أو معناه لا مهدي كاملا معصوما ." (٢)

" ٣٥١٠ - (ثلاثة من مكارم الأخلاق عند الله) أضافها إليه للتشريف (أن تعفو عمن ظلمك) فلا تنتقم منه عند القدرة (وتعطي من حرمك) عطاءه أو تسبب في حرمانك عطاء غيره (وتصل من قطعك) ولا تعامله بمثل فعله . (٣)قال العارف ابن عربي : الأخلاق ثلاثة أنواع خلق متعد وخلق غير متعد وخلق مشترك والمتعدي قسمان متعدي بمنفعة

---

(١) تفسير حقي، ١٧١/٤٤٩

(٢) فيض القدير، ١ ١/٣٦٣

(٣) فائدة

كالجود **والفتوة** ومتعد بدفع مضرة كالعفو والصفح وتحمل الأذى مع القدرة على الجزاء والتمكن منه وغير المتعدي كالورع والزهد والتوكل والمشترك كالصبر على أذى الخلق وبسط الوجه وكمال البشر

(خط عن أنس) بن مالك ورواه عنه أيضا الديلمي باللفظ المذكور ." (١)

" الكهف ١٥ – ١٠

أو اجعل أمرنا رشدا كله كقولك رأيت منك أسدا أو يسر لنا طريق رضاك فضربنا على آذانهم في الكهف أي ضربنا عليها حجابا من النوم يعني أنمناهم إنامة ثقيلة لا تنبههم فيها الأصوات فحذف المفعول الذي هو الحجاب سنين عددا ذوات عدد فهو صفة لسنين قال الزجاج أي تعد عددا لكثرتها لأن القليل يعلم مقداره من غير عدد فاذا كثر عد فأما دارهم معدودة فهي على القلة لأنهم كانوا يعدون القليل ويزنون الكثير ثم بعثناهم أيقظناهم من النوم لنعلم أي الحزبين المتخلفين منهم في مدة لبثهم لأنهم لما انتبهوا اختلفوا في ذلك وذلك قوله قال قائل منهم كم لبثتم قالوا لبثنا يوما او بعض يوم قالوا ربكم أعلم بما لبثتم وكان الذين قالوا ربكم أعلم بما لبثتم هم الذين علموا أن لبثهم قد تطاول أو أي الحزبين المختلفين من غيرهم أحصى لما لبثوا أمدا غاية وأحصى فعل ماض وأمدا ظرف لأحصى أو مفعول به والفعل الماضي خبر المبتدأ وهو أي والمبتدا مع خبره سد مسد مفعولي نعلم والمعنى أيهم ضبط أمدا لأوقات لبثهم وأحاط علما بأمد لبثهم ومن قال أحصى أفعل من الاحصاء وهو العد فقد زل لأن بناءه من غير الثلاثي المجرد ليس بقياس وإنما قال لنعلم مع أنه تعالى لم يزل عالما بذلك لأن المراد ما تعلق به العلم من ظهور الأمر لهم ليزدادوا إيمانا واعتبارا وليكون لطفا لمؤمني زمانهم وآية بينة لكفارة أو المراد لنعلم اختلافهما موجودا كما علمناه قبل وجوده نحن نقص عليكم نبأهم بالحق بالصدق انهم فتية جمع فتى **والفتوة** بذل الندى وكف الأذى وترك الشكوى واجتناب المحارم واستعمال المكارم وقيل الفتى من لا يدعي قبل الفعل ولا يزكي نفسه بعد الفعل آمنوا بربهم وزدناهم هدى يقينا وكانوا من خواص دقيانوس قد قذف الله في قلوبهم الإيمان وخاف بعضهم بعضا وقالوا ليخل اثنان اثنان منا فيظهر كلاهما ما يضمر لصاحبه ففعلوا فحصل اتفاقهم على الايمان وربطنا على قلوبهم وقويناها بالصبر على هجران الأوطان والفرار بالدين إلى بعض الغيران وجسرناهم على القيام بكلمة الحق والتظاهر بالاسلام إذ قاموا بين يدي الجبار وهو دقيانوس من غير مبالاة به حيث عاتبهم على ترك عبادة الأصنام فقالوا ربنا رب السموات والأرض مفتخرين أن ندعوا من دونه إلها ولئن سيماهم آلهة لقد قلنا إذا شططا قولا ذا شطط وهو الافراط في الظلم والابعاد فيه من شط يشط ويشط إذا بعد هؤلاء متبدأ قومنا عطف بيان اتخذوا من دونه آلهة خير وهو اخبار في معنى الإنكار ." (٢)

"ثم لا بد في جميع الأعمال والأقوال من ملاحظة جانب الحق حتى يكون معتدا بها ، فلهذا أمر بتقوى الله . ثم لما تمت وظائف العبودية ختم الكلام على وظيفة الربوبية وهو رجاء الفلاح منه ، فظهر أن هذه الآية مشتملة على كنوز الحكم والمعارف وجامعة لآداب الدين والدنيا . ثم إنها على اختصارها كالإعادة لما تقدم في هذه السورة من الأصول . وهي :

---

(١) فيض القدير، ٣٢١/٣١

(٢) تفسير النسفي، ٥/٣١

تقرير التوحيد والعدل والنبوة والمعاد . ومن الفروع كأحكام الحج والزكاة والجهاد . وعن الحسن ﴿ اصبروا ﴾ على دينكم فلا تتركوه بسبب الفقر والجوع ﴿ وصابروا ﴾ عدوكم فلا تفشلوا بسبب ما أصابكم يوم أحد . وقال الفراء : اصبروا مع نبيكم وصابروا عدوكم ، فلا ينبغي أن يكونوا أصبر منكم . وقال الأصم : لما كثرت تكاليف الله تعالى في هذه السورة أمرهم بالصبر عليها . ولما كثر ترغيب الله تعالى في الجهاد فيها أمرهم بالمصابرة مع الأعداء . أما المبرابطة ففيها قولان : أحدهما أن يربط هؤلاء خيولهم في الثغور ويربط أولئك أيضا خيولهم بحيث يكون كل واحد من الخصمين مستعدا لقتال الآخر قال تعالى : ﴿ ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم ﴾ [الأنفال : ٦٠] وعن النبي A : « من رابط يوما وليلة في سبيل الله كان كعدل صيام شهر وقيامه لا يفطر ولا ينفتل عن صلاته إلا لحاجة » وثانيهما أنها انتظار الصلاة بعد الصلاة لما روي عن أبي سلمة بن عبد الرحمن أنه قال : لم يكن في زمن رسول الله A غزو يرابط فيه ، ولكن انظار الصلاة خلق الصلاة . وفي حديث أبي هريرة ذكر انتظار الصلاة بعد الصلاة ثم قال : فذلك الرباط ثلاث مرات والله أعلم .

التأويل : إن في خلق سموات القلوب وأطوارها ، وخلق أرض النفوس وقرارها ، واختلاف ليل البشرية وصفاتها ، ونهار الروحانية وأنوارها ، لآيات لأولي الألباب . الذين عبروا بقدمي الذكر والفكر عن قشر الوجود الجسماني ، ووصلوا إلى لب الوجود الروحاني ، فشاهدوا بعيون البصائر ونواظر الضمائر أن لهم وللعالم إلها قادرا حيا عليما سميعا بصيرا متكلما مريدا باقيا . وإنما نالوا هذه المراتب لأنهم يذكرون الله في جميع الأحوال بالظاهر والباطن ، ويتفكرون في خلق المصنوعات من البسائط والمركبات ، ويقولون ما خلقت هذا باطلا أي خلقته إظهارا للحق على الخلق ، ووسيلة للخلق إلى الحق . سبحانك تنزيها للحق عن الشبه بالخلق ، ﴿ فقنا ﴾ باعد عنا عذاب نار قهرك والبعد عنك ، ففيها كل الخزى والندامة والغواية والضلالة . ثم أخبر عن شرط العبودية في استجلاب فضل الربوبية بقوله : ﴿ ربنا إننا سمعنا ﴾ من هاتف الحق في الغيب بالسمع الحقيقي مناديا ﴿ فاغفر لنا ذنوبنا ﴾ أي كما أسمعتنا النداء بالإرادة القديمة لا بسعي منا قبل أن تخلقينا . فاغفر لنا بفضلك ورحمتك . ﴿ لا أضيع عمل عامل منكم ﴾ بالظاهر والباطن ﴿ من ذكر أو أنثى ﴾ على قدر همتكم ورجوليتكم ﴿ فالذين هاجروا ﴾ عن الأوطان والأوطار والأعمال السيئة والأخلاق الذميمة ﴿ وأخرجوا من ديارهم ﴾ من معاملات الطبيعة وديارها إلى عالم الحقيقة بسطوات تجلي صفات الربوبية ﴿ وأوذا في ﴾ طلبي بأنواع البلاء ﴿ وقاتلوا ﴾ مع النفس ﴿ وقتلوا ﴾ بسيف الصدق ﴿ لأكفرن عنهم ﴾ سيئات وجودهم ﴿ ولأدخلنهم جنات ﴾ الوصول فيها أشجار التوكل واليقين والزهد والورع والتقوى والصدق والإخلاص والهدى والقناعة والعفة والمروءة والفتوة والمجاهدة والشوق والذوق والرغبة والرهبة والوفاء والطلب والمحبة والحياء والكرم والشجاعة والعلم والحلم والعزة والقدرة والهمة وغيرها من المقامات والأخلاق ﴿ تجري من تحتها الأنهار ﴾ أنهار العناية ﴿ ثوابا ﴾ من مقام العندية ﴿ والله عنده حسن الثواب ﴾ لايكون عند الجنة وغيرها ﴿ وإن من أهل الكتاب ﴾ من علماء الظاهر علماء متقين يكون إيمانه من نتيجة نور الله الذي دخل قلبه ، و ﴿ يؤمن بما أنزل إليكم ﴾ من الواردات والألهامات والكشوف ﴿ وما أنزل إليهم ﴾ من الخواطر الرحمانية ﴿ خاشعين لله ﴾ كما قال A :." (١)

(١) تفسير النيسابوري، ٢/ ٤٢٢

"وأيضا يخرج نخل الإيمان الحق من نوى الحروف الميتة في كلمة لا إله إلا الله ، ومخرج ميت النفاق من الكلمة الحية وهي لا إله إلا الله ﴿ فالق الإصباح ﴾ فالق ظلمة الجمادية بصباح العقل والحياة والرشاد ، وفالق ظلمة الجهالة بصباح الفهم والإدراك ، وفالق ظلمات العالم الجسماني بتخليص النفس القدسية إلى صحبة عالم الأفلاك ، وفالق ظلمات الاشتغال بعالم الممكنات بصباح نور الاستغراق في معرفة مدبر المحدثات والمبدعات . وبالجملة فالق أنوار الروح عن ظلمة ليل البشرية ، وجاعل ليل البشرية سترا عن ضياء شمس الروح ليسكن فيه النفس الحيوانية والأوصاف البشرية ﴿ والشمس والقمر حسبانا ﴾ يعني تجلي شمس الروحانية وطلوع قمر القلب بالحساب لئلا يفسد أمر القلب والقالب . وأيضا تجلى شمس الربوبية وطلوع قمر الروحانية لليل البشرية بالحساب لئلا يفسد أمر الدين والدنيا على العبد بالتفريط والإفراط ، فإن إفراط طلوع شموس المعارف والشهود آفة « أنا الحق وسبحاني » وفي تفريطه آفة أنا ربكم الأعلى وعبادة الهوى . ﴿ ذلك تقدير العزيز ﴾ الذي لا يهتدى إليه إلا به ﴿ العليم ﴾ بمن يستحق الاهتداء إليه ﴿ وهو الذي جعل لكم النجوم ﴾ نجوم أنوار الغيوب في سموات القلوب ﴿ لتهتدوا بها في ظلمات ﴾ بر البشرية وبحر الروحانية إلى عالم الربوبية . ﴿ وهو الذي أنشأ ﴾ أرواحكم من روح واحد هو روح محمد A « أول ما خلق الله روحي كما خلق أجسادكم من جسد واحد هو جسد آدم أبي البشر » فمن الأرواح ما تعلق بالأجساد واستقر وما هو بعد مستودع في عالم الأرواح . وأيضا من الأرواح ما هو مستقر فيه نور صفة الإيمان وما هو مستودع فيه جذبات الحق ، ومنها ما هو مستقر في أنانيته مع علو رتبته بالبقاء وما هو مستودع أنانيته بالفناء ، وما هو مستقر ببقاء الحق باق وما هو مستودع في بقاء البقاء عن الفناء ﴿ قد فصلنا ﴾ دلالات الوصول في الوصال ﴿ لقوم يفقهون ﴾ إشارات القلوب ﴿ وهو الذي أنزل ﴾ من سماء العناية ﴿ ماء ﴾ الهداية ﴿ فأخرجنا به نبات كل شيء ﴾ من أنواع المعارف ﴿ فأخرجنا منه خضرا ﴾ طريا من المعاني والأسرار ﴿ يخرج به ﴾ من الحقائق ما تركب بعضها بعضها فترتب بعضها على بعض ﴿ ومن النخل ﴾ يعني أصحاب الولايات من طلعها ﴾ من ثمرات ولايتهم ما هو متدان للطالبين أي منهم من يكون مريئا فينتفع بثمرات ولايته ، ومنهم من يختار العزلة والانقطاع عن المريدين . ﴿ وجنات ﴾ يريد أرباب الزهد والتقوى **والفتوة** الذين لم يبلغوا رتبة الولاية من أعناب الاجتهاد وزيتون الأصول ورمان الفروع ﴿ مشتبها ﴾ أي متفقا في الأصول والفروع ﴿ وغير متشابه ﴾ أي مختلفا فيما بين العلماء ﴿ انظروا ﴾ إلى ثمر الولايات كيف ينتفع به الخواص والعوام ﴿ وينعه ﴾ أي الكامل منها . ﴿ إن في ذلكم لآيات لقوم يؤمنون ﴾ بأحوالهم وينتفعون بأموالهم وأحوالهم . ﴿ وجعلوا لله ﴾ إشارة إلى أنه كما يخرج بماء اللطف من أرض القلوب لأربابها أنواع الكمالات كذلك يخرج بماء القهر من أرض النفوس لأصحابها أنواع الضلالات .." (١)

"﴿ والقائلين لإخوانهم هلم إلينا ﴾ [الأحزاب : ١٨] وقال الفراء : أصلها « هل أم » أرادوا بهل حرف الاستفهام ومعنى أم اقصد . وقيل : إن أصل استعماله أن قالوا هل لك في الطعام أم أي اقصد . ثم شاع في الكل . أمر الله تعالى نبيه باستدعاء إقامة الشهداء من الكافرين ليظهر أن لا شاهد لهم على تحريم ما حرموه . وإنما لم يقل شهداء يشهدون لأنه ليس الغرض أحضار أناس يشهدون بالتحريم وإنما المراد إحضار شهدائهم الموسومين بالشهادة لهم المعروفين بنصرة مذهبهم

---

(١) تفسير النيسابوري، ٣٢٥/٣١

ولهذا قال : ﴿ فإن شهدوا ﴾ أي فإن وقعت شهادتهم ﴿ فلا تشهد معهم ﴾ أي لا تسلم لهم ما شهدوا به ولا تصدقهم لأن شهادتهم محض الهوى والتعصب ولأجل ذلك قال أيضا : ﴿ ولا تتبع أهواء الذين كذبوا بآياتنا ﴾ فوضع الظاهر موضع المضمر تسجيلا عليهم بالتكذيب وليرتب عليه باقي الآية فيعلم أن المتصف بهذه الصفات لا تكون شهادتهم عند العقلاء مقبولة .

التأويل : ﴿ وهو الذي أنشأ جنات ﴾ في القلوب ﴿ معروشات ﴾ من شجرة الإسلام والإيمان والإحسان ﴿ وغير معروشات ﴾ هي الصفات الروحانية التي جبلت القلوب عليها كالسخاء والحياء والوفاء والمودة **والفتوة** والشفقة والعفة والعلم والحلم والعقل والشجاعة والقناعة ونخل الإيمان وزرع الأعمال الصالحة وزيتون الأخلاق الحميدة ورمان الإخلاص بالشواهد والأحوال ﴿ متشابها ﴾ أعمالها ﴿ وغير متشابه ﴾ أحوالها ﴿ كلوا من ثمره ﴾ انتفعوا من ثمار الإيمان والأعمال والإخلاص بالشواهد والأحوال لا بالدعاوى والقيل والقال . ﴿ وآتوا حقه ﴾ وحقه دعوة الخلق وتربيتهم بالحكمة والمواعظة الحسنة و ﴿ يوم حصاده ﴾ أوان بلوغ السالك مبلغ الرجال البالغين عند إدراك ثمرة الكمال للواصلين دون السالك الذي يتردد بعد بين المنازل والمراحل . ﴿ ولا تسرفوا ﴾ بالشروع في الكلام في غير وقته والحرص على الدعوة قبل أوانها . ﴿ ومن الأنعام ﴾ أي ومن الصفات الحيوانية التي هي مركوزة في الإنسان ما هو مستعد لحمل الأمانة وتكاليف الشرع ، ومنها ما هو مستعد للأكل والشرب لصلاح القالب وقيام البشرية . ﴿ كلوا مما رزقكم الله ﴾ فرزق القلب هو التحقيق من حيث البرهان ، ورزق الروح هو المحبة بصدق التحرز عن الأكوان ، ورزق السر هو شهود العرفان يلحظ العيان ، فانتفعوا من هذه الأرزاق بقدر ما ينبغي . ﴿ إنه لكم عدو مبين ﴾ يخرجكم بالتفريط والإفراط إلى ضد المقصود . ثم إن الصفات الحيوانية ثمان بعضها ذكور وبعضها إناث يتولد منها صفات أخر كلها محمودة إذ استعملت في محالها ، وبمقدار ما ينبغي ﴿ من الضأن اثنين ومن المعز اثنين ﴾ والضأن والمعز من جنس الفرشية كما أن الإبل والبقر من جنس الحمولية .." (١)

"ولم أسلم لكي أبقى ولكن ... سلمت من الحمام إلى الحمام

التأويل : ﴿ يس ﴾ إشارة إلى أنه بلغ في السيادة مبلغا لم يبلغه أحد من المرسلين ﴿ تنزيل العزيز الرحيم ﴾ فيه أنه لعزته لا يحتاج إلى تنزيل القرآن ولكن رحمته اقتضت ذلك ﴿ نحيي ﴾ القلوب ﴿ الموتى ونكتب ما قدموا ﴾ من الأنفاس المتصاعدة ندما وشوقا ، وآثار خطا أقدام صدقهم وآثار دموعهم على خدودهم ﴿ أصحاب القرية ﴾ القلوب ﴿ إذ أرسلنا إليهم اثنين ﴾ من الخواطر الرحمانية والإلهامات الربانية بالتجافي عن دار الغرور والإنابة إلى دار الخلود ﴿ فكذبوهما ﴾ النفس وصفاتها ﴿ فعززنا بثالث ﴾ من الجذبة ﴿ إنا تطيرنا بكم ﴾ لأن النفس وصفاتها لا يوافقهما ما يدعو الإلهام والجذبة إليه ﴿ طائركم معكم ﴾ لأن النفس خلقت من العدم على خاصيتها المشؤومة ﴿ رجل يسعى ﴾ هو الروح المشتاق إلى لقاء الحق ﴿ لا يسألكم أجرا ﴾ لأنه لا شرب له من مشاربكم . ﴿ قيل ادخل الجنة ﴾ وهي عالم الأرواح وهو كقوله ﴿ يا أيتها النفس المطمئنة ﴾ [الفجر : ٢٧] إلى قوله ﴿ ادخلي جنتي ﴾ [الفجر : ٣٠] ﴿ على قومه من بعده ﴾ أي بعد رجوع الروح إلى الحضرة ما أنزل إلى النفس وصفاتها ملائكة من السماء لأنهم لا يقدرون على النفس وصفاتها وإصلاح

---

(١) تفسير النيسابوري، ٣/٣٧٣

حالها ، فإن صلاحها في موتها والمميت هو الله . ﴿ صيحة واحدة ﴾ من وارد حق ﴿ فإذا هم ﴾ يعني النفس وصفاتها ﴿ خامدون ﴾ ميتون عن أنانيته بهويته ﴿ ألم يروا كم أهلكنا ﴾ فيه إشارة إلى أن هذه الأمة خير الأمم شكى معهم من كل أمة وما شكى إلى أحد من غيرهم شكايتهم ﴿ وآية لهم ﴾ القلوب ﴿ الميتة أحييناها ﴾ بالطاعة ونخيل الأذكار واعناب الأشواق وعيون الحكمة وثمر المكاشفات وعمل الخيرات والصدقات ﴿ خلق الأزواج ﴾ من الآباء العلوية والأمهات السفلية ﴿ مما تنبت ﴾ ارض البشرية بازدواج الكاف والنون . ﴿ ومن أنفسهم ﴾ بازدواج الروح والقلب ﴿ ومما لا يعلمون ﴾ من تأثير العناية في قلوب المخلصين مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ﴿ وآية لهم ﴾ ليل البشرية ﴿ نسلخ منه ﴾ نهار الروحيانة ﴿ فإذا هم مظلمون ﴾ بظلمة الخليقة فإن الله خلق الخلق في ظلمة ثم رش عليهم من نوره . وشمس نور الله ﴿ تجري لمستقر لها ﴾ وهو قلب استقر فيه رشاش نور الله وقمر القلب ﴿ قدرناه ﴾ ثمانية وعشرين منزلا على حسب حروف القرآن وأسماؤها : الألفة والبر والتوبة والثبات والجمعية والحلم والخلوص والديانة والذلة والرأفة والزلفة والسلامة والشوق والصدق والصبر والطلب والظمأ والعشق والعزة والقربة والكرم واللين والمروءة والنور والولاية والهداية واليقين . فإذا قطع كل المنازل فقد تخلق بخلق القرآن ولهذا قال لنبيه A ﴿ واعبد ربك حتى يأتيك اليقين ﴾ [الحجر : ٩٩] وهو آخر المنازل والمقامات ، فإن السالك يألف الحق أولا ثم يتوب فيثبت على ذلك حتى تحصل له الجمعية ، وعلى هذا يعبر المقامات حتى يصير كاملا كالبدر ، ثم يتناقص نوره بحسب دنوه من شمس شهود الحق إلى أن يتلاشى ويخفى وهو مقام الفقر الحقيقي الذي افتخر به نبينا A بقوله « الفقر فخري » ثم أشار بقوله ﴿ لا الشمس ينبغي لها ﴾ إلى أن الرب لا يصير عبدا ولا العبد ربا . ثم ذكر أن العلوم محمولون في سفينة الشريعة والخواص في بحر الحقيقة كلاهما بفلك العناية وملاحة ارباب الطريقة ، ومثل ما يركبون هو جناح همة المشايخ . ﴿ وإن نشأ ﴾ نغرق العوام في بحر الدنيا والرخص والخواص في بحر الشبهات والإباحة .." (١)

."

وقوله - تعالى - : ﴿ حتى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أوزعني أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ التي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وعلى وَالِدَيَّ . . ﴾ غاية لمحذوف يفهم من سياق الكلام .

والأشد : قوة الإنسان واشتعال حرارته ، من الشدة بمعنى القوة والارتفاع . يقال : شد النهار ، إذا ارتفع ، وهو مفرد جاء بصيغة الجمع ، ولا واحد له من لفظه .

والمراد ببلوغ أشده : أن يصل سنه على الراجح - إلى ثلاث وثلاثين سنة .

وقوله : ﴿ أوزعني ﴾ أى : رغبنى ووفقنى ، من قولك : أوزعت فلانا بكذا ، إذا أغريته وحببته فى فعله . أى : هذا الإنسان بعد أن بقى فى بطن أمه ما بقى ، وبعد أن وضعته وأرضعته وفطمته وتولته برعايتها ، واستمرت حياته " حتى إذا بلغ اشده " أى : حتى إذا بلغ زمن استكمال قوته ، وبلغ أربعين سنة وهى تمام اكتمال العقل والقوة والفتوة .

﴿ قَالَ ﴾ على سبيل الشكر لخالقه ﴿ رَبِّ أوزعني . . . ﴾ أى : يا رب وقفنى وألهمنى ﴿ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ التي أَنْعَمْتَ

(١) تفسير النيسابوري، ٦/٣٢٢

عَلَيَّ وعلى وَالِدَيَّ ﴾ بأن وفقتنى ووفقتهما إلى صراطك المستقيم ، وبأن رزقتها العطف علىَّ ، ورزقنى الشكر لها ، ووفقنى – أيضا – ﴿ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحاً تَرْضَاهُ ﴾ منى ، وتقبله عندك ﴿ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذريتي ﴾ أى : واجعل – يا إلهى – الصلاح راسخا فى ذريتى ، وساريها فيها ، لأن صلاح الذرية فيه السعادة الغامرة للآباء .

﴿ إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ ﴾ توبة صادقة نصوحا وإنى من المسلمين الذين أخلصوا نفسوهم لطاعتك ، وقلوبهم لمرضاتك .

فأنت ترى ان الآية الكريمة قد اشتملت على أسمى ألوان الدعوات ، التى عن طريق إجابتها تتحق السعادة الدنيوية والأخروية .

قال صاحب الكشاف : فإن قلت : ما معنى " فى " فى قوله : ﴿ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذريتي ﴾ ؟ قلت : معناه أن يجعل ذريته موقعا للصلاح ومظنته ، كأنه قال هب : لى الصلاح فى ذريتى ، وأوقعه فيهم .

وفى الآية الكريمة تنبيه للعقلاء ، إلى أن شأنهم – خصوصا عند بلوغ سن الأربعين . أن يكثروا من التضرع إلى الله بالدعاء ، وأن يتزودوا بالعمل الصالح ، فإنها السن التى بعث الله – تعالى – فيها معظم الأنبياء ، والتى فيها يكتمل العقل ، وتستجمع القوة ، ويرسخ فيها خلق الإنسان الذى تعوده وألفه ورحم الله القائل :

إذا المرء وافى الأربعين ولم يكن ... له دون ما يهوى حياء ولا ستر

فدعه ولا تنفس عليه الذى مضى ... وإن جر أسباب الحاية له العمر

ثم بين – سبحانه – حسن عاقبة من يسلك هذا الطريق القويم فقال : ﴿ أولئك الذين نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُواْ . . . ﴾ .

واسم الإشارة يعود إلى الإنسان باعتبار الجنس . أى : أولئك الموصوفون بما ذكر من الصفات الجميلة ، هم ﴿ الذين نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُواْ ﴾ من الأعمال الطيبة المتقبلة عندنا . . . ﴿ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّئَاتِهِمْ ﴾ فلا نعاقبهم عليها ، لكثرة توبتهم إلينا .." (١)

" وقد أخبرنا النبي صلى الله عليه و آله و سلم عن صاحب الشملة التي غلها من المغنم انها تشتعل نارا في قبره هذا وله فيها حق فكيف بمن ظلم غيره ما لا حق له فيه فعذاب القبر عن معاصي القلب و العين و الاذن و الفم و اللسان و البطن و الفرج و اليد و الرجل و البدن كله فالنمام و الكذاب و المغتاب و شاهد الزور و قاذف المحصن و الموضع في الفتنة و الداعي إلى البدعة و القائل على الله و رسوله مالا علم له به والمجازف في كلامه وآكل الربا آكل أموال اليتامى وآكل السحت من الرشوة و البرطيل و نحوهما وآكل مال أخيه المسلم بغير حق أو مال المعاهد و شارب المسكر وآكل لقمة الشجرة الملعونة والزاني واللوطي والسارق والخائن والغادر والمخادع والماكر وآخذ الربا ومعطيه وكاتبه وشاهداه والمحلل والمحلل له و المحتال على إسقاط فرائض الله وارتكاب محارمه ومؤذي المسلمين ومتتبع عوراتهم والحاكم بغير ما أنزل الله والمفتي بغير ما شرعه الله والمعين على الاثم و العدوان وقاتل النفس التي حرم الله والملحد في حرم الله والمعطل لحقائق أسماء الله وصفاته الملحد فيها والمقدم رأيه وذوقه وسياسته على سنة رسول والنائحة والمستمع إليها ونواحوا جهنم وهم المغنون الغناء

---

(١) الوسيط لسيد طنطاوي، ١ ص/٣٨٦٥

الذى حرمه الله ورسوله والمستمع إليهم والذين يبنون المساجد على القبور ويوقدون عليها القناديل والسرج والمطففون في استيفاء ما لهم إذا أخذوه وهضم ما عليهم إذا بذلوه والجبارون والمتكبرون والمراؤون والهمازون واللمازون والطاعنون على السلف والذين يأتون الكهنة والمنجمين والعرافين فيسألونهم ويصدقونهم وأعوان الظلمة الذين قد باعوا آخرتهم بدنيا غيرهم والذى إذا خوفته بالله وذكرته به لم يرعو ولم ينزجر فاذا خوفته بمخلوق مثله خاف وارعوى وكف عما هو فيه والذى يهدى بكلام الله ورسوله فلا يهتدى ولا يرفع به رأسا فاذا بلغه عمن يحسن به الظن ممن يصيب ويخطىء عض عليه بالنواجذ ولم يخالفه والذى يقرأ عليه القرآن فلا يؤثر فيه وربما استثقل به فاذا سمع قرآن الشيطان ورقية الزنا ومادة النفاق طاب سره وتواجد وهاج من قلبه دواعى الطرب وود أن المغنى لا يسكت والذى يحلف بالله ويكذب فاذا حلف بالبندق أو برئ من شيخه أو قريبه أو سراويل الفتوة أو حياة من يحبه ويعظمه من المخلوقين لم يكذب ولو هدد وعوقب والذى يفتخر بالمعصية ويتكثر بها بين اخوانه وأضرابه وهو المجاهر والذى لا تأمنه على مالك وحرمتك والفاحش اللسان البذىء الذى تركه الخلق اتقاء شره وفحشه والذى يؤخر الصلاة إلى آخر وقتها وينقرها ولا يذكر الله فيها إلا قليلا ولا يؤدى زكاة ماله طيبة بها نفسه ولا يحج مع قدرته على الحج ولا يؤدى ما عليه من الحقوق مع قدرته عليها ولا يتورع من لحظة ولا لفظة ولا أكلة ولا ." (١)

"الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية ، ج ١ ، ص : ٣٢٣

و بنى صنفكم ومن غاية شفقته ومرحمته لكم عزيز شاق شديد عليه صلى الله عليه وسلم عموم ما عنتم أى عنتكم وهلاككم والقاؤكم انفسكم بالتهلكة والتقاؤكم بالمكروه مطلقا واتصافكم به إذ هي من امارات الكفر وعلامات الشرك وعدم الإطاعة والانقياد بأوامر الله ونواهيه مع انه صلى الله عليه وسلم حريص عليكم أى على ايمانكم وإسلامكم وإصلاح حالكم إذ هو صلى الله عليه وسلم بالمؤمنين الموحدين المخلصين رؤف عطوف مشفق رحيم يرحمهم ويرضى عنهم بخروجهم عن ظلمة الكفر بنور الايمان وبالجملة كن أنت يا أكمل الرسل كما قد كنت عليه بمقتضى شفقة النبوة والمروءة والفتوة

فإن تولوا واعرضوا عنك وانصرفوا عن الايمان بك وبدينك فقل في نفسك ملتجأ إلى ربك مستظهرا منه سبحانه حسبي الله المراقب على الكافي لعموم مهامى يكفى بي ويكف مؤنة خصومتهم عنى إذ لا إله يرجع اليه في الوقائع ويلجأ نحوه في الخطوب إلا هو سبحانه عليه لا على غيره إذ لا غير معه في الوجود توكلت فلا أرجو ولا أخاف الا منه سبحانه وكيف لا أتوكل عليه ولا ارجع نحوه إذ هو سبحانه بذاته وبعموم أسمائه وصفاته رب العرش العظيم أى مربى عروش ذرائر الأكوان الكائنة في برزخ الإمكان وهو المستوي عليها بالاستقلال والاحاطة والاستيلاء التام إذ لا شي ء سواه. وكل شي ء هالك الا وجهه له الحكم واليه ترجعون

خاتمة سورة البراءة

عليك أيها الطالب المشمر لسلوك مسلك الفناء كي تصل إلى فضاء البقاء شكر الله سعيك وهديك إلى غاية مبتغاك ان تقتفى في تشمرك هذا اثر من نبهك عليها وهديك إليها الا وهو النبي الذي اختاره الله لرسالته واصطفاه من بين خليقته

---

(١) الروح، ١ ص/٧٨

لتكميل بريته وأظهره على صورته وخلقه بعموم أخلاقه لذلك اتخذه حبيبا وجعله على سائر الأنبياء اماما ونقيبا وتشبث بأذيال لطفه فعلا وقولا وشيما وخلقا صارفا عنان عزمك إلى سرائر ما جاء صلى الله عليه وسلم به من عند ربه لإرشاد عباده وكذا ما سمح وجاد صلى الله عليه وسلم به من تلقاء نفسه من الرموز والإشارات التي قد استنبطها صلى الله عليه وسلم من كلام الله وفاض عليه بوحي الله والهامه لصفاء استعداده الفطري الذي قد صار صلى الله عليه وسلم به مرآة لتجليات الحق وشئونه وتطوراته وخليفة لله في ارضه وسمائه وكذا ما التقط واستنبط من فحاوي كلماته وإشاراته صلى الله عليه وسلم الأولياء الوارثون منه مقتفون اثره قدس الله أسرارهم وأرواحهم وكذا ما ورد عليهم وخطر في خواطرهم النقاوة وجرى على قرائحهم الوقادة على تفاوت طبقاتهم في طريق التوحيد من المواجيد والملهمات الغيبية المنتشئة من النفحات الإلهية والنفسات الرحمانية الناشئة من التجليات الجمالية والجلالية المتفرعة على الشئون والتطورات الكمالية الذاتية وبالجملة لا بدلك ان تفرغ همك عما سوى الحق مطلقا ولا يتيسر لك هذا الا بمتابعة المحققين المتحققين بمقام الكشف والشهود الواصلين إلى مقام المراقبة والحضور مع الله وبالاستفادة منهم ومن ملتقطاتهم وواردا‌تهم حتى يمكن لك التمكن في مكمن الفناء والتقرر في مقر البقاء وحينئذ يصح لك ان تقول بلسان حالك ومقالك حسبي الله لا إله الا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم جعلنا الله من عباده المفوضين المتوكلين الذين يتخذون الله وقاية ووكيلا ويعتقدونه حسيبا وكفيلا." (١)

"الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية ، ج ١ ، ص : ٤٥١

و بعد ما نهى سبحانه عن التبذير صريحا والاعراض عمن صرف النعمة إلى المعصية نهى سبحانه عن مطلق البخل والتبذير المذمومين تأكيدا ومبالغة

فقال ولا تجعل يدك مغلولة معقودة إلى عنقك بحيث لا يسع لك إعطاء شي ء مما رزق الله لك على مستحقيه شحا وبخلا إذ هو افراط وتقتير وايضا لا تبسطها كل البسط بحيث لا ثبات ولا قرار عندك وفي يدك للأموال والأرزاق المسوقة نحوك لمصلحة الخيرات وبناء الخانات والرباطات وسائر مصالح العباد أصلا فهذا تفريط وتبذير وكلاهما مذمومان شرعا وعقلا فعليك بالاقتصاد الذي هو عبارة عن الكرم والجود والسماحة الممدوحة عند ارباب المروة والفتوة ألا وهو صراط الله الأعدل الأقوم فتقعد بعد اتصافك بالبخل والتقتير ملوما عند الله وعند الملائكة والناس أجمعين وان اتصفت بالإسراف والتبذير تقعد محسورا نادما متحسرا قلقا حائرا في نظم معاشك

إن ربك يبسط الرزق الصوري والمعنوي ويوسعه لمن يشاء من عباده بمقتضى علمه بحالهم وسعة استعدادهم وقابلية حوصلتهم ويقدر أي يقبض ويضيق على من يشاء منهم بمقتضى علمه بضيق صدورهم وقلة تمكنهم ووقارهم وحكمتهم واعتدالهم إذ الله العليم الحكيم المتقن في أفعاله لا يتجاوز عن مقتضى حكمته وكيف يتجاوز إنه سبحانه قد كان بعباده عليما خبيرا عن بواطنهم وضمائرهم وما يئول اليه أمورهم بصيرا بظواهر أحوالهم وتقلباتهم في شئونهم وتطوراتهم

و لا تقتلوا أيها البالغون لرتبة التكليف الإلهي أولادكم الحاصلة لكم من أصلابكم سواء كانوا بنين او بنات بلا رخصة

---

(١) الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية، ١ /٣٢٣

شرعية سيما خشية إملاق أى من خوف فقر وفاقة إذ نحن من سعة جودنا ووفور رحمتنا نرزقهم وإياكم إذ لا رازق لكم ولهم سوانا وبالجملة إن قتلهم ان صدر عنكم كان خطأ كبيرا وذنبا عظيما عند الله

و عليكم أيها المؤمنون المتدرجون في مسالك التحقيق ان لا تقربوا الزنى بترتيب مقدمات تترتب عليها تلك العفلة القبيحة فكيف الإتيان بها العياذ بالله إنه أى الزنا قد كان فاحشة مسقطة للعدالة مزيلة للمروءة مبطلة لحكمة التناسل التي هي المعرفة الإلهية إذ ولد الزنا لا يبلغ مرتبة الولاية ودرجة العرفان أصلا وساء سبيلا الزنا لقضاء الشهوة المعدة لسر الظهور والإظهار من لدن حكيم عليم

و عليكم أيضا أيها الموحدون القاصدون إلى معارج التوحيد ان لا تقتلوا النفس التي حرم الله قتلها إذ هي بيت الله وتخريب بيته من أعظم الكبائر إلا بالحق أى برخصة شرعية من قصاص وحد وردة إلى غير ذلك من الرخص التي قد عينها الشرع وبالجملة من قتل مظلوما بلا رخصة شرعية فقد جعلنا بمقتضى عدلنا لوليه أى لمن يلي امر المقتول بعده سلطانا سطوة وغلبة على القاتل الظالم مع معاونة الحكام له فلا يسرف أى الولي المنتقم في القتل لقصاص المقتول المظلوم بان يقتل غير القائل بدله او يقتله مع غيره وكيف لا يقتل القائل الظالم بدل المقتول المظلوم إنه قد كان أى المظلوم منصورا مرحوما عند الله وعند عموم الخلائق

و عليكم أيضا أيها المتوجهون نحو الحق بالعزيمة الصحيحة والقصد الخالص ان لا تقربوا مال اليتيم الذي لا متعهد له من الأبوين إلا بالتي أى بالطريقة التي هي أحسن الطرق بحالهم من ازدياد أموالهم وتنميتها وحفظها وتعميرها على وجه العدالة والمروة حتى يبلغ اليتيم أشده أى رشده وإذا بلغ إلى سن التمييز والتصرف فلكم أيها الأوصياء المتعهدون لأموال اليتامى ردها حينئذ إليهم بعد اختبارهم وامتحان." (١)

"الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية ، ج ١ ، ص : ٤٧٢

الأرض ليس الا زينة وزخرفة ستفنى وتفوت عن قريب بل هي زائلة حين ثقاتها فانية وقت وجودها وبقائها فاعلم يقينا إنا بشدة حولنا وقوتنا وكمال قدرتنا لجاعلون مصيرون مبدلون جميع ما عليها من الزخارف والذخائر صعيدا ترابا مرتفعة أملس جرزا خالية منقطعة عن النبات بحيث لا تنبت أصلا أعجبت واستبعدت عن كمال قوتنا وقدرتنا بجعل ما على الأرض صعيدا جرزا لذلك

أم حسبت وشككت أن أصحاب الكهف أى قصتهم وشانهم والكهف هو الغار الواسع في الجبل والرقيم هو اسم الجبل الذي فيه الغار او اسم الوادي الذي فيه الكهف او اسم قريتهم او كلبهم او لوح رصاصى او حجري قد رقم فيه أسماؤهم وجعل على باب الكهف او أصحاب الرقيم هم قوم آخرون على اختلاف الأقوال والروايات وبالجملة قد كانوا من آياتنا الدالة على كمال قوتنا وقدرتنا عجبا أى آية يتعجب منها الناس ويستبعدون وقوعها مع انه لا شك في وقوعها إذ قد بلغت من التواتر حدا لا يتوهم فيها الكذب قطعا إذ أمثال هذا في جنب قدرتنا الكاملة سهل يسير ولو رفعت أيها المعتبر المتأمل الالف والعادة عن البين وطرحت تكرر المشاهدة والمؤانسة عن العين لكان ظهور كل ذرة من ذرائر العالم في التعجب

---

(١) الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية، ١ /٤٥١

والاستبعاد وكمال الغرابة والبداعة مثل هذا بل اغرب واعجب من هذا فلك ان تراجع وجدانك وتتأمل أمرك وشانك حتى تجد في نفسك عجائب وغرائب يدهش منها عقلك وينحسر حسك وفهمك وتكل ادراكاتك وآلاتك وبالجملة قد تحيرت وصرت مستغرقا في بحر الحيرة والدهشة من نفسك فكيف من غيرك. أذقنا بلطفك حلاوة مطالعة مبدعاتك ومشاهدة مخترعاتك بنظر العبرة والحضور

اذكر يا أكمل الرسل قصة أصحاب الكهف وقت إذ أوى أى التجأ ورجع الفتية الخمسة او السبعة او الثمانية من اشراف الروم ورؤسائهم حين دعاهم ملكهم دقيانوس إلى الشرك وهم موحدون في أنفسهم فأبوا منه وهربوا إلى الكهف ملتجئين إلينا فقالوا مناجين مستغيثين من الله ربنا يا من ربانا بأنواع اللطف والكرم ووفقنا بشرف توحيدك وتقديسك آتنا بفضلك وجودك من لدنك لا بسبب أعمالنا ومقتضياتها رحمة تنجينا عن يد عدونا وعذابه وعن وبال ما دعانا اليه من الكفر والعصيان وهيئ لنا أسباب معاشنا حين كنا فارين من العدو ملتجئين إليك مستعيذين بكنفك وجوارك ووفق علينا من أمرنا الذي نعمل لمرضاتك ولوجهك الكريم رشدا وهداية توصلنا إلى زلال توحيدك آمنين فائزين بلا خوف وخطر فاستجبنا لهم وأجبنا مناجاتهم وأعطينا حاجاتهم وبعد ما دخلوا الكهف ملتجئين بنا متضرعين إلينا

فضربنا وختمنا على آذانهم حين كانوا راقدين في الكهف حجابا غليظا يمنعهم سماع الأصوات مطلقا وأنمناهم على هذا الوجه سنين عددا بلا طعام ولا شراب وبلا شي ء من أسباب المعاش وبالجملة هم احياء في صور الأموات منقطعين عن لوازم الحياة الصورية مطلقا سوى ان أنفاسهم تجئ وتذهب

ثم بعثناهم وأيقظناهم من منامهم بعث الموتى للحشر لنعلم أى نجرب ونميز أي الحزبين المختلفين بعد ما اختلفوا في مدة لبثهم أحصى أى اضبط واحفظ لما لبثوا من المدة أمدا يعنى أيهم احفظ ضبطا لمدة رقودهم في الكهف فكلا الفريقين أى اليهود والنصارى لا يعلمان مدة لبثهم حقا مطابقا للواقع

بل نحن نقص من مقام فضلنا وجودنا عليك يا أكمل الرسل نبأهم أى خبر مدة لبثهم ملتبسا بالحق الثابت الصحيح المطابق للواقع إنهم فتية أى شبان من ارباب **الفتوة** والمروة وفقوا من عند الله." (١)

"الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية ، ج ٢ ، ص : ٩٨

أحسن الذي كانوا يعملون يعنى احسن واولى وأوفر من الجزاء الذي يستحقون بأعمالهم بعد ايمانهم وأزيد منه بل بأضعافه وآلافه تفضلا منا إياهم وإحسانا عليهم وبعد ما قد حثهم سبحانه على الايمان والعمل الصالح اوصى لهم وأمرهم ببر الوالدين وبحسن المعاشرة معهما والتحنن نحوهما إذ هما من اقرب أسباب ظهورهم في نشأة الشهادة والبروز بمقتضى سنة الله سبحانه فقال

و وصينا الإنسان بعد ما كلفناهم بالإيمان والعمل الصالح من ان يأتى كل منهم ويعمل بوالديه حسنا أى معاملة ذات حسن يستحسنها العقل والشرع ويرتضيها الحق وتقتضيها **الفتوة** بحيث لا يحوم حولها شائبة من ولا أذى ولا استخفاف ولا استحقار بل يتذللون لهما ويتواضعون معهما على وجه الانكسار التام والتذلل المفرط وعليكم أيها المكلفون امتثال

---

(١) الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية، ا ٤٧٢/١

عموم أوامرهما ونواهيهما سوى الشرك بالله والطغيان على الله والعدوان معه سبحانه ومع أنبيائه ورسله وخلص عباده وإن جاهداك أيها المؤمن المأمور على بر الوالدين ابواك وبالغا في حقك مقدمين أشد اقدام والحا عليك ابلغ إلحاح وأتم إبرام لتشرك بي شيأ من مظاهري ومصنوعاتى سيما ما ليس لك به علم يعنى ليس علمك ويقينك متعلقا بألوهيته وربوبيته واستحقاقه للعبادة ولياقته للرجوع اليه في الخطوب والمهمات فلا تطعهما ولا تقبل منهما أمرهما المتعلق بالإضلال والإشراك ولا تمتثل بقولهما هذا بل اعرض عنهما وعن قولهما وأمرهما هذا ولا تمض على دينهما وملتهما إذ إلي مرجعكم ورجوعكم جميعا أصلا وفرعا مؤمنا وكافرا موحدا ومشركا وبعد رجوعكم الى فأنبئكم وأخبركم بما كنتم تعملون في دار الاختبار أحاسب عليكم أعمالكم واجازيكم على مقتضاها ان خيرا فخير وان شرا فشر

و الذين آمنوا منكم في دار الاختبار مخلصين وعملوا الصالحات تكميلا لإيمانهم وتتميما له بما هو من لوازمه ومتمماته لندخلنهم حين رجوعهم إلينا في السعداء الصالحين المقبولين الآمنين المستبشرين الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون والذين كفروا منكم في النشأة الأولى وأصروا على الكفر والشرك والجحود والإنكار العياذ بالله ولم يرجعوا عنه سيما مع بعثة الرسل ونزول الكتب وورود الزواجر والروادع الكثيرة فيها لنعذبنهم البتة عذابا شديدا ولندخلنهم يوم يعرضون عليها في زمرة الأشقياء المردودين المغضوبين الذين لا نجاة لهم من النار ولا يرجى خلاصهم منها ابدا

و من الناس المجبولين على التزلزل والتذبذب من يقول خوفا من عذاب الله آمنا بالله بلا تمكن له واطمئنان في قلبه فإذا أوذي في سبيل الله من اعداء قد انقلب على كفره وحيث جعل فتنة الناس وإذا هم في شدة كعذاب الله القادر المقتدر بالقدرة الكاملة والقوة الشاملة على انواع المحن والابتلاءات وبالجملة هم يسوون بين خوف الله وخوف الناس فكما يؤمنون بالله من خوف عذابه يكفرون به من خوف عذاب الناس وتقريعهم وتشنيعهم بلا تفاوت بين الخوفين والعذابين بل يرجحون خوف الناس على خوف الله لذلك يختارون الكفر على الايمان من ضعف يقينهم وعدم رسوخهم وتمكنهم على الايمان وذلك من عدم ترقيهم من حضيض الجهل والتقليد إلى ذروة المعرفة والتوحيد ومن غاية تزلزلهم وتلونهم لئن جاء نصر وعون للمؤمنين الباذلين مهجهم في سبيل الله من ربك يا أكمل الرسل وصاروا غالبين على اعداء الله بنصر الله إياهم وفازوا بالفتح والغنائم وانواع الكرامات ليقولن أولئك المذبذبون المتزلزلون مبالغين في دعوى الموافقة والمواخاة إنا كنا معكم ومن عدادكم موافقين ظاهرا وباطنا وفي دين الإسلام متمكنين مطمئنين سرا وجهرا." (١)

"الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية ، ج ٢ ، ص : ١٥٨

عنه صلى الله عليه وسلم العار سيما في أمثال هذه الأفعال الكائنة في قضاء الله المقضية في حضرة علمه المحيط

ما كان أى ما لحق وما عرض على النبي المؤيد من عند الله بأنواع التأييدات المنتظر على الوحى والإلهام في ما عنده سبحانه في عموم أحواله واعماله من حرج ضيق واثم وسآمة ووخامة عاقبة فيما فرض الله له صلى الله عليه وسلم وما قدر لأجله وما كتب واثبت في لوح قضائه وحضرة علمه المحيط من مطلق الحوادث الكائنة الجارية عليه على تعاقب الأزمان والأوقات أصلا ومن جملتها هذا النكاح وبالجملة ليس أمثال هذا ببدع من الله مخصوص بهذا النبي بل سنة الله الحكيم العليم المتقن

---

(١) الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية، ٢ /٩٨

في أفعاله المستمرة القديمة التي قد سنها سبحانه في الذين خلوا ومضوا من قبل من الأنبياء والرسل بان لا حرج ولا جريمة لهم أصلا فيما صدر عنهم من أمثاله وكان أمر الله المثبت في لوح قضائه وحكمه المبرم المحكوم به في حضرة علمه المحيط قدرا مقدورا حتما مقضيا مبرما محكوما به البتة وكيف لا يقضى ولا يحكم بالسنن المقدرة للأنبياء والرسل وهم

الذين يبلغون رسالات الله المحمولة عليهم من قبل الله بوحي الله والهامه إلى من أرسلوا إليهم من الأمم بلا تبديل ولا تغيير ويخشونه وهم يخافون عنه سبحانه في عموم أحوالهم ولا يخشون أحدا إلا الله يعنى من ديدنة الأنبياء العظام والرسل الكرام ومن خصلتهم الحميدة ان لا يخافوا من الناس ولا يستحيوا منهم لا من لوم لائم ولا من تعييره وتهديده بالقتل والضرب وغير ذلك بل ما يخافون ولا يخشون الا الله المنتقم الغيور المقتدر على انواع العذاب والعقاب وكفى بالله حسيبا ظهيرا ومعينا لهم يكفى مؤنة أعدائهم ويدفع عنهم شرورهم ويكف عنهم جميع ما قصدوا عليهم من المقت والمكر وانواع الأذى والضرر. ثم لما عير الناس رسول الله صلى الله عليه وسلم بانه قد تزوج زوجة ابنه ودعيه وهو زيد رد الله عليهم تعييرهم هذا وتشنيعهم هكذا فقال

ما كان محمد أبا أحد من رجالكم أيها الأجانب من المؤمنين على الحقيقة سواء كان زيدا او غيره حتى تسرى حكم الحرمة في تزوج زوجته بعد ما قضى الوطر عنها ولكن كان صلى الله عليه وسلم رسول الله الهادي لعباده قد أرسله سبحانه إليكم ليهديكم إلى طريق الرشد بمقتضى سنته المستمرة في الأمم السالفة ولكن من شأنه انه قد صار صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين وختم المرسلين إذ ببعثته صلى الله عليه وسلم قد كملت دائرة النبوة وتمت جريدة الرسالة والفتوة كما قال صلى الله عليه وسلم بعثت لأتمم مكارم الأخلاق وقال تعالى في شأنه صلى الله عليه وسلم اليوم أكملت لكم دينكم يعنى ببعثته صلى الله عليه وسلم والسرفيه والله اعلم انه صلى الله عليه وسلم قد بعث على محض التوحيد الذاتي وسائر الأنبياء انما بعثوا على التوحيد الوصفي او الفعلى وبعد ما بعث صلى الله عليه وسلم على توحيد الذات فقد ختم به امر البعثة والرسالة وكمل قصر الدين القويم إذ ليس وراء توحيد الذات مرمى ومنتهى لذلك قد صار صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين وختم المرسلين وكان الله المطلع على جميع ما ظهر وما بطن بكل شي ء وامر قد جرى في ملكه وملكوته وسيجرى عليما يعلم بعلمه المحيط الحضوري عموم ما قد لمع عليه نور وجوده حسب لطفه وجوده حكيما في بعثة الرسل لتنبيه من وفقه وجبله في سابق قضائه على فطرة التوحيد والايمان مختارا في ختم البعثة وتكميل الدين بعد ما قد وصل غاية كماله وظهوره

يا أيها الذين آمنوا بالله وعرفوه حق معرفته وتوحيده وعرفوا أيصا كمالات أسمائه وصفاته مقتضى ايمانكم وعرفانكم المداومة على ذكره سبحانه اذكروا الله الواحد الأحد الفرد." (١)

"" صفحة رقم ١١١ "

عمر فأعجبته فقال : إن الله عز وجل يقول :) لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون (فأعتقها .

وروى حمزة بن عبد الله بن عمر عن عبد الله بن عمر قال : خطرت على قلبي هذه الآية :) لن تنالوا البر . . . (فتذكرت ما أعطاني الله ، فما كان شيء أعجب إلي من فلانة فقلت : هي حرة لوجه الله ، ولولا أنني لا أعود في شيء جعلته لله

(١) الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية، ١٥٨/٢

عز وجل لنكحتها .
ويقال : ضاف أبا ذر الغفاري ضيف فقال للضيف : إني مشغول فاخرج إلى أبواء فإن لي بها إبلا فأتني بخيرها ، فذهب وجاء بناقة مهزولة فقال له أبو ذر : جئتني بشرها ، فقال : وجدت خير الإبل فحلها فتذكرت يوم حاجتكم إليه ، فقال أبو ذر : إن يوم حاجتي إليه ليوم أوضع في حفرتي مع أن الله عز وجل يقول :) لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون (.
وعن رجل من بني سليم يقال له عبد الله بن سيدان عن أبي ذر قال : في المال ثلاث شركاء : القدر لا يستأمرك أن تذهب بخيرها أو شرها من هلاك أو موت أو فعل ، والوارث ينتظرك أن تضع رأسك ثم يستاقها وأنت ذميم ، والثالث أنت فإن استطعت أن لا يكون أعجب إليك مالا فإن الله عز وجل يقول :) لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون (، وإن هذا الجمل كان مما أحب من مالي فأحببت أن أقدمه لنفسي .
وروي عن ربيع بن خيثم أنه وقف سائل على بابه ، فقال : أطعموه سكرا فقيل : ما يصنع هذا بالسكر فنطعمه خبزا فهو أنفع له ، فقال : ويحكم أطعموه سكرا ؛ فإن الربيع يحب السكر .
وروي عن الربيع بن خيثم أيضا أنه جاءه سائل في ليلة باردة ، فخرج إليه فرآه كأنه مقرور قال :) لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون (فنزع برتشا له وأعطاه إياه وذكر أنه كساه عروة .
وبلغنا أن زبيدة أم جعفر اتخذت مصحفا في تسعين قطعة كتب بالذهب على الرق وجعلت ظهورها من الذهب مرصعة بالجواهر ، فبينما هي تقرأ القرآن ذات يوم فقرأت هذه الآية ، فلم يكن شيء أحب إليها من المصحف ، فقالت : علي بالصاغة ، فأمرت بالذهب والجواهر حتى بيعت وأمرت حتى حفرت الآبار وأشرف الحياض بالبادية .
وقال أبو بكر الوراق : دلهم بهذه الآية على الفتوة ، وقال : لن تنالوا بري بكم إلا ببركم أخوانكم والإنفاق عليهم من أموالكم وجاهكم وما تحبون ، فإذا فعلتم ذلك نالكم بري وعطفي .
) وما تنفقوا من خير فإن الله به عليم (: أي فإن الله يجازي عليه لأنه إذا علمه جازى عليه ، وتأويل (ما) تأويل الشرط والجزاء وموضعها نصب لينفقوا ، المعنى : وأي شيء ينفقون فإن الله به عليم .
٢ ( )كل الطعام كان حلا لبنإسراءيل إلا ما حرم إسراءيل على نفسه من قبل أن تنزل التوراة قل فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين فمن افترى على الله الكذب من بعد ذلك." (١)
"" صفحة رقم ١٥٨ "
الرعية ، إذا منعهم عن العبث والفساد ، وضرب السيد على يدي عبده المأذون في التجارة ، إذا منعه عن التصرف فيها .
قال الأسود بن يعفر ، وكان ضريرا :
ومن الحوادث لا أبا لك أنني
ضربت علي الأرض بالأسداد
) سنين عددا (أي معدودة ، وهو نعت للسنين ، فالعد المصدر ، والعدد الاسم المعدود ، كالنقص والنقض والخبط والحبط

---

(١) الكشف والبيان ـ موافق للمطبوع، ٣/ ١١١

. وقال أبو عبيدة : هو نصب على المصدر .

الكهف : (١٢) ثم بعثناهم لنعلم . . . . . .

) ثم بعثناهم (، يعني من نومهم ؛) لنعلم أي الحزبين أحصى لما لبثوا أمدا (، وذلك حين تنازع المسلمون الأولون أصحاب الملك ، والمسلمون الآخرون الذين أسلموا حين أوى أصحاب الكهف في قدر مدة لبثهم في الكهف ، فقال المسلمون الأولون : مكثوا في كهفهم ثلاثمئة سنة وتسع سنين ، وقال المسلمون الآخرون : بل مكثوا كذا وكذا . فقال الأولون : الله أعلم بما لبثوا ، فذلك قوله :) ثم بعثناهم (، لتعلموا) أي الحزبين (: الفريقين) أحصى (: أصوب وأحفظ) لما لبثوا (في كهفهم نياما ،) أمدا (: غاية .

وقال مجاهد : عددا . وفي نصبه وجهان : أحدهما على التفسير والثاني لوقوع) لما لبثوا (عليه .

الكهف : (١٣) نحن نقص عليك . . . . . .

) نحن نقص (، أي نقرأ وننزل) عليك نبأهم (، أي خبر أصحاب الكهف) بالحق إنهم فتية (: شبان وأحداث) آمنوا بربهم (، حكم الله لهم **بالفتوة** حين آمنوا بلا واسطة لذلك . وقال أهل اللسان : رأس **الفتوة** الإيمان . وقال الجنيد : **الفتوة** كف الأذى وبذل الندى ، وترك الشكوى . وقيل : **الفتوة** شيئان : اجتناب المحارم ، واستعمال المكارم . وقيل : الفتى من لا يدعي قبل الفعل ، ولا يزكي نفسه بعد الفعل . وقيل : ليس الفتى من يصبر على السياط ، إنما الفتى من جاز على الصراط . وقيل : ليس الفتى من يصبر على السكين ، إنما الفتى من يطعم المسكين .

) وزدناهم هدى (إيمانا وبصيرة وإيقانا .

الكهف : (١٤) وربطنا على قلوبهم . . . . . .

) وربطنا (: وشددنا) على قلوبهم (بالصبر ، وألهمناهم ذلك ، وقويناهم بنور الإيمان حتى صبروا على هجران دار قومهم وفراق ما كانوا فيه من خفض العيش ، وفروا بدينهم إلى الكهف ،) إذ قاموا (بين يدي دقيانوس) فقالوا (حين عاتبهم على تركهم عبادة الصنم :) ربنا رب السماوات والأرض لن ندعو (: لن نعبد) من دونه إلها لقد قلنا إذا شططا (، يعني إن دعونا غير الله ، لقد قلنا إذن شططا . قال ابن عباس ومقاتل : جورا . قال قتادة : كذبا . وأصل الشطط والإشطاط : مجاوزة القدر ، والإفراط .

الكهف : (١٥) هؤلاء قومنا اتخذوا . . . . . .

) هؤلاء قومنا (، يعني أهل بلدهم) اتخذوا من دونه (، أي من دون الله) آلهة (، يعني." (١)

""" صفحة رقم ٤ " "

الصحيح الأول ، وأما البنوة فلا دلالة فيها ؛ لأنهم قد قالوا : **الفتوة** ولا خلاف أنها من ذوات " الياء " . إلا أن " الأخفش " رجح الثاني بأن حذف الواو أكثر . واختلف في وزنه فقيل : " بني " بفتح العين ، وقيل : بني ــ بسكونها ، وقد تقدم أنه أحد الأسماء العشرة التي سكنت فاؤها وعوض من لامها همزة الوصل . و " إسرائيل " خفض بالإضافة ، ولا ينصرف

---

(١) الكشف والبيان ـ موافق للمطبوع، ٦/ ١٥٨

للعملية والعجمة ، وهو مركب تركيب الإضافة مثل : " عبدالله " فإن " إسرا " هو العبد بلغتهم ، و " إيل " هو الله تعالى . وقيل : " إسرا " هو مشتق من الأسر ، وهو القوة ، فكان معناه الذي قواه الله . وقيل " إسرا " هو صفوة الله ، و " إيل " هو الله . وقال القفال : قيل : إن " إسرا " بالعبرانية في معنى إنسان ، فكأنه قيل : رجل الله ، فكأنه خطاب مع اليهود الذين كانوا بالمدينة . وقيل : إنه أسرى بالليل مهاجرا إلى الله . وقيل : لأنه أسر جننا كان يطفىء سراج بيت المقدس .

قال بعضهم : فعلى هذا يكون بعض الاسم عربيا ، وبعضه أعجميا ، وقد تصرفت فيه العرب بلغات كثيرة أفصحها لغة القرآن ، وهي قراءة الجمهور . وقرأ " أبو جعفر والأعمش " : " إسرايل " بياء بعد الألف من غير همزة ، وروي عن " ورش " " إسرائل " بهمزة بعد الألف دون ياء ، و " إسرأل " بهمزة مفتوحة ، و " إسرئل " بهمزة مكسورة بين الراء واللام ، و " إسرال " بألف محضة بين الراء واللام ؛ قال : [الخفيف] ٤٢٦ - لا أرى من يعينني في حياتي

غير نفسي إلا بني إسرال

وروي قراءة غير نافع قرأ عن نافع . و " إسرائيل " هذه مهموزة مختلسة حكاها شنبوذ ، عن ورش ، و " إسرايل " من غير همز ولا مد و " إسرائين " أبدلوا من اللام نونا ك " أصيلان " في " أصيلال " ؛ قال : [الرجز]." (١)

"" صفحة رقم ١٩٦ " "

أي : كخلالة أبي مرحب] ، وهذا اختيار الفراء ، والزجاج ، وقطرب .

وقال أبو علي : ومثل هذه الآية الكريمة قوله : (أجعلتم سقاية الحاج ([التوبة : ١٩] ، ثم قال : (كمن آمن ب الله ([التوبة : ١٩] ؛ ليقع التمثيل بين مصدرين ، أو بين فاعلين ؛ إذ لا يقع التمثيل بين مصدر ، وفاعل .

الرابع : أن يطلق المصدر على الشخص مبالغة ؛ نحو : رجل عدل .

ويحكى عن المبرد : " لو كنت ممن يقرأ القرآن ، لقرأت " ولكن البر " بفتح الباء " وإنما قال ذلك ؛ لأن " البر " اسم فاعل ، نقول بر يبر ، فهو بار ، فتارة تأتي به على فاعل ، وتارة على فعل .

الخامس : أن امصدر وقع موقع اسم الفاعل ، نحو : رجل عدل ، أي : عادل ، كما قد يقع اسم الفاعل موقعه ، نحو : أقائما ، وقد قعد الناس ؛ في قول ، هذا رأي الكوفيين ، والأولى فيه ادعاء أنه محذوف من فاعل ، وأن أصله : بار ، فجعل " برا " ، وأصله ك " سر " ، و " رب " أصله " راب " ، وقد تقدم .

وجعل الفراء " من آمن " واقعا موقع الإيمان ، فأوقع اسم الشخص على المعنى كعكسه ؛ كأنه قال : " ولكن البر الإيمان بالله " قال : والعرب تجعل الاسم خبرا للفعل ، وأنشد في ذلك : [الطويل]

٩١٤ - لعمرك ما الفتيان أن تنبت اللحى

ولكنما الفتيان كل فتى ندي

جعل نبات اللحية خبرا للفتيان ، والمعنى : لعمرك ما الفتوة أن تنبت اللحى .

وقرأ نافع ، وابن عامر : " ولكن البر " هنا وفيما بعد بتخفيف " لكن " وبرفع " البر " ، والباقون بالتشديد ، والنصب ،

---

(١) اللباب في علوم الكتاب، ٢/ ٤

وهما واضحتان مما في قوله : (ول اكن الشياطين كفروا ([البقرة : ١٠٢] .
وقرئ : " ولكن البار " بالألف ، وهي تقوي أن " البر " بالكسر المراد به اسم الفاعل ، لا المصدر .
قال أبو عبيدة : " البر " هاهنا بمعنى البار ، كقوله : (والعاقبة للتقوى ([طه : ١٣٢] أي : للمتقين ، ومنه قوله تعالى : (إن أصبح مآؤكم غورا ([الملك : ٣٠] أي : غائرا ، وقالت الخنساء : [البسيط]." [١]
"" " صفحة رقم ٤٧٨ " "
مشتقا من هذا الاسم ؛ كالأبوة والأخوة **والفتوة** من لفظ أب وأخ وفتى ، وتقدم أن القس بالفتح في الأصل هو المصدر ، وأن العالم سمي به مبالغة ، قال شهاب الدين : ولا أدري ما حمل من قال : إنه معرب مع وجود معناه في لغة العرب كما تقدم ؟ .
والرهبان : جمع راهب ؛ كراكب وركبان ، وفارس وفرسان ، وقال أبو الهيثم : " إن رهبانا يكون واحدا ويكون جمعا " ؛ وأنشد على كونه مفردا قول الشاعر : [الرجز]
٢٠٣٨ - لو عاينت رهبان دير في القلل
لأقبل الرهبان يعدو ونزل
ولو كان جمعا ، لقال : " يعدون " و " نزلوا " بضمير الجمع ، وهذا لا حجة فيه ؛ لأنه قد عاد ضمير المفرد على الجمع الصريح ؛ لتأوله بواحد ؛ كقوله تعالى : (وإن لكم فى لأنعام لعبرة نسقيكم مما في بطونه ([النحل : ٦٦] ، فالهاء في " بطونه " تعود على الأنعام ؛ وقال : [الرجز]
٢٠٣٩ - وطاب ألبان اللقاح وبرد
في " برد " ضمير يعود على " ألبان " ، وقالوا : " هو أحسن الفتيان وأجمله " ؛ وقال الآخر : [الرجز]
٢٠٤٠ - لو أن قومي حين أدعوهم حمل
على الجبال الشم لانهد الجبل
إلى غير ذلك مما يطول ذكره ، ومن مجيئه جمعا الآية ، ولم يرد في القرآن الكريم إلا جمعا ؛ وقال كثير : [الكامل]
٢٠٤١ - رهبان مدين والذين عهدتهم
يبكون من حذر العقاب قعودا
لو يسمعون كما سمعت كلامها
خروا لعزة ركعا وسجودا
قيل : ولا حجة فيه ؛ لأنه قال : " والذين " فيحتمل أن الضمير إنما جمع ؛ لأجل هذا الجمع ، لا لكون " رهبان " جمعا ، وأصرح من هذا قول جرير : [الكامل]
٢٠٤٢ - رهبان مدين لو رأوك تنزلوا

---

(١) اللباب في علوم الكتاب، ١٩٦/٣١

والعصم من شعف العقول الفادر

قال أبو الهيثم : وإن جمع الرهبان الواحد " رهابين ورهابنة " ، جاز ، وإن قلت : رهبانيون كان صوابا ؛ كأنك تنسبه إلى الرهبانية ، والرهبانية من الرهبة ، وهي المخافة ، ." [١]

"" " صفحة رقم ٧٨ " "

وقال الواحدي : تقديم الفعل يدعو إلى إسقاط علام التأنيث ، على قياس إسقاط علامة التثنية ، والجمع .

والمشهور : كسر نونها ، ويجوز ضمها في لغة ، ونقلها أبو البقاء عن قراءة ، قال القرطبي : وهي قراءة الأعمش ، والمفضل والسلمي .

وإذا ضمت نونه ، كان اسم جمع بلا خلاف ، ويكسر في الكثرة على نسوان ، والنساء : جمع كثرة أيضا ، ولا واحدا له من لفظه ، كذا قاله أبو حيان .

ومقتضى ذلك ألا يكون النساء جمعا لنسوة ؛ لقوله : لا واحد له من لفظه .

و " في المدينة " يجوز تعلقه بمحذوف ، صفة ل " نسوة " ، وهو ظاهر ، ويقال : ليس بظاهر .

فصل في عدد النسوة

في : إنهن خمس : امرأة حاجب الملك ، وامرأة صاحب دوابه ، وامرأة الخازن ، وامرأة الساقي ، وامرأة صاحب السجن ، قاله مقاتل .

وقال الكلبي : أربع ؛ فأسقط امرأة الحاجب . والأشبه أن تلك الواقعة شاعت في البلد ، واشتهرت ، وتحدث بها النساء ، والمراد بالمدينة : مصر ، وقيل : مدينة عين شمس .

قوله : " تراود " خبر " امرأة العزيز " ، وجيء بالمضارع ، تنبيها على أن المراودة صارت سجية لها ، وديدنا ، دون الماضي فلم يقل : راودت ، ولام الفتى ياء ؛ لقولهم : الفتيان ، وفتى ، وعلى هذا ؛ فقولهم : الفتوة في المصدر شاذ .

قال : " فتاها " ، وهو فتى زوجها ؛ لأن يوسف كان عندهم في حكم المماليك ، وكان ينفذ أمرها فيه .

وروى مقاتل ، عن أبي عثمان النهدي ، عن سلمان الفارسي رضي الله عنه قال : " إن امرأة العزيز استوهبت يوسف من زوجها ، فوهبه لها ، وقال : ما تصنعين به ؟ قالت : اتخذه ولدا ، قال : هو لك ؛ فربته حتى [أيفع] ، وفي نفسها منه ما في نفسها ، فكانت تتكشإ له ، وتتزين ، وتدعوه من وجه اللطف ؛ فعصمه الله " .

قوله : (قد شغفها حبا (، وهذه الجملة يجوز أن تكمون خبرا ثانيا ، وأن تكون مستأنفة ، وأن تكون حالا ؛ إما من فاعل " تراود " ، ، وإما من مفعوله ، و " حبا " تمييز ؛ وهو منقول من الفاعلية ، وإذ الأصل : قد شغفها حبه .." [٢]

"ويحتمل أن يكون معنى قوله " من بعد ما رأوا الآيات " أي من بعد ما ظهر لهم من وجوه الأمر وقرائنه أن يوسف بريء فلم يرد تعيين آية بل قرائن جميع القصة .

---

(١) اللباب في علوم الكتاب، ١ ٤٧٨/٧

(٢) اللباب في علوم الكتاب، ١ ٧٨/١١

والحين في كلام العرب وفي هذه الآية الوقت من الزمن غير محدود يقع للقليل والكثير وذلك بين موارده في القرآن وقال عكرمة الحين هنا يراد به سبعة أعوام وقيل بل يراد بذلك سنة .

قال القاضي أبو محمد وهذا بحسب ما كشف الغيب في سجن يوسف .

وسمع عمر بن الخطاب رضي الله عنه رجلا يقرأ عتى حين بالعين وهي لغة هذيل فقال له من أقرأك قال ابن مسعود فكتب عمر إلى ابن مسعود إن الله أنزل القرآن عربيا بلغة قريش فبها أقرئ الناس ولا تقرئهم بلغة هذيل وروي عن ابن عباس أنه قال عثر يوسف عليه السلام ثلاث عثرات " هم " فسجن وقال " اذكرني عند ربك " " فأنساه الشيطان ذكر ربه " فطول سجنه وقال " إنكم لسارقون " فروجع " إن يسرق فقد سرق أخ له من قبل "

وقوله تعالى " ودخل معه السجن " الآية المعنى فسجنوه فدخل معه السجن غلامان سجنا أيضا وهذه مع تحتمل أن تكون باقتران وقت الدخول وأن لا تكون بل دخلوا أفذاذا وروي أنهما كانا للملك الأعظم الوليد بن الريان أحدهما خبازه والآخر ساقيه .

والفتى الشاب وقد تقع اللفظة على المملوك وعلى الخادم الحر ويحتمل أن يتصف هذان بجميع ذلك واللفظة من ذوات الياء وقولهم الفتوة شاذ .

وروي أن الملك اتهمهما بأن الخابز منهما أراد سمه ووافقه على ذلك الساقي فسجنهما قاله السدي فلما دخل يوسف السجن استمال الناس فيه بحسن حديثه وفضله ونبله وكان يسلي حزينهم ويعود مريضهم ويسأل لفقيرهم ويندبهم إلى الخير فأحبه الفتيان ولزماه وأحبه صاحب السجن والقيم عليه وقال له كن في أي البيوت شئت فقال له يوسف لا تحبني يرحمك الله فلقد

أدخلت علي المحبة مضرات أحبتني عمتي فامتحنت لمحبتها وأحبني أبي فامتحنت لمحبته لي وأحبتني امرأة العزيز فامتحنت لمحبتها بما ترى وكان يوسف عليه السلام قد قال لأهل السجن إني أعبر الرؤيا وأجيد فروي عن ابن مسعود أن الفتيين استعملا هاتين المنامتين ليجرباه وروى عم مجاهد أنهما رأيا ذلك حقيقة فأرادا سؤاله فقال أحدهما واسمه بنو فيما روي إني رأيت حبلة من كرم لها ثلاثة أغصان حسان فيها عناقيد عنب حسان فكنت أعصرها وأسقي الملك وقال الآخر واسمه مجلث كنت أرى أني أخرج من مطبخة الملك وعلى رأسي ثلاث سلال فيها خبز والطير تأكل من أعلاه .

وقوله " أعصر خمرا " قيل أنه سمي العنب خمرا بالمآل وقيل هي لغة أزد عمان يسمون العنب خمرا وقال الأصمعي حدثني المعتمر قال لقيت أعرابيا يحمل عنبا في وعاء فقلت ما تحمل قال خمرا أراد العنب .

٢٤٤

". (١)

"أنت جنيت على نفسك ولو قلت العافية أحب إلي لعوفيت ، ولهذا قال محمد صلى الله عليه وسلم لما سمع رجلا يقول اللهم إني أسألك

(١) المحرر الوجيز ـ موافق للمطبوع، ٣/ ٢٥٣

(٢٠٨/٣)

بيان المعاني ، ج ٣ ، ص : ٢٠٩

الصبر فقال سألت البلاء فاسأل الله العافية ، ثم التجأ إلى ربه فقال «وإلا تصرف عني كيدهن» ومكرهن واحتيالهن أخاف يا رب «أصب» أميل ميلا قلبيا لا اختيار لي فيه بحسب الطبيعة البشرية قد تحدث النفس نفسيا ركوني «إليهن» ولو تخطرا بالقلب أو هاجا في النفس ، وأخاف يا مولاي ان يؤثر (ومعاذ الله يا مولاي) في لأني بشر ، وحاشاك يا مولاي أن تريد ذلك مني أو تتغلب على نفسي بشيء من ذلك ، وهذا فزع منه عليه السلام إلى ألطاف ربه جريا على سنن الأنبياء وطرق العارفين الكاملين في قصر نيل الخيرات والنجاة من الشرور على جناب الله تعالى ، وسلب القوى والتصور عن أنفسهم مبالغة في استدعاء عطفه تعالى عليه في صرف كيدهن عنه بإظهار عدم طاقته بالمدافعة إلا بحوله وقوته عز شأنه كقول المستغيث أدركن يا رب وإلا أهلك ، وقد لا يهلك ، لأنه عليه السلام يطلب الالتجاء إلى ربه ليعصم وفي نفسه داعية سوء إن لم يعصمه ، كلا وحاشاه من ذلك ، وفي هذه الآية جواب استدلال للأشاعرة بأن العبد لا ينصرف عن المعصية إلا إذا صرفه الله تعالى (وأصل إلا) أن الشرطية ولا النافية فأدغمت النون باللام (وأصب) مضارع صبا إذا مال ومنه ريح الصبا لأن النفوس تميل إليها لطيب نسيمها وروحها والصبابة إفراط الشوق ، وفي القاموس صبى بمعنى مال ، وصبى بمعنى حن ، والصبوة جهلة الفتوة ، ثم قال منددا من خوف ما سيكون من إحساسات قلبية خشية مغبته باثا سوء نتيجته إلى ربه «وأكن من الجاهلين ٣٣» الذين لا يعلمون ما يعملون ، وفي هذه الجملة إشارة إلى أن من يرتكب الذنب فإنما يرتكبه عن جهالة وهو ليس من أهلها ، لذلك دعا ربه إنقاذه مما يراد فيه «فاستجاب له ربه» كما هو." (١)

"قال تعالى «وتلك القرى أهلكناهم لما ظلموا» أعاد الضمير لأهلها ، والمراد بهم هنا الذين يعلمونهم أكثر أهل مكة وهم قوم نوح فما بعده ، لأن القرى لا تهلك إلا بهلاك أهلها ، وإلا فما داموا فيها فهي عامرة بهم ، وكان سبب إهلاكهم الظلم «وجعلنا لمهلكهم موعدا» ٥٩ أجلا فاجأناهم به ، والمراد به هلاك الاستئصال عقابا لهم على ظلمهم لأن غيره يحصل لكل الأمم ، أي وكذلك قومك يا محمد إن لم يؤمنوا فيحل بهم ما حل بهم.

(١٨٩/٤)

بيان المعاني ، ج ٤ ، ص : ١٩٠

مطلب قصة موسى عليه السلام مع الخضر رضي الله عنه :

قال تعالى «و» اذكر لقومك هذه القصة العظيمة أيضا «إذ قال موسى لفتاه» يوشع بن نون بن افرائيم بن يوسف عليه السلام ، وهو ابن أخت موسى كما ذكروا وأكبر أصحابه ، وخليفته في شريعته بعد هرون عليهم السلام ، وهو من عظماء بني إسرائيل وسمي فتى ، وهو هنا بمعنى خادم وعبد لقيامه في خدمته ودوام متابعته له وكثرة تعلمه منه ، وإلا فمعنى الفتى

---

(١) بيان المعاني، ا ٢٩٢/١

الشاب الطري السجي الكريم ، والفتوة لقب شرف ويأتي بمعنى الحديث في السن ، ولهذا يقال لليل والنهار الفتيان ، والتلميذ عبد حكمي لأستاذه مهما كان شريفا أو حقيرا.

قال شعبة : من كتبت عنه أربعة أحاديث فأنا عبده ، ومن علمني حرفا كنت له عبدا.." (١)

"بيان المعاني ، ج ٣ ، ص : ٢٠٩

الصبر فقال سألت البلاء فاسأل الله العافية ، ثم التجأ إلى ربه فقال «وإلا تصرف عني كيدهن» ومكرهن واحتيالهن أخاف يا رب «أصب» أميل ميلا قلبيا لا اختيار لي فيه بحسب الطبيعة البشرية قد تحدث النفس نفسيا ركوني «إليهن» ولو تخطرا بالقلب أو هاجا في النفس ، وأخاف يا مولاي ان يؤثر (ومعاذ الله يا مولاي) في لأني بشر ، وحاشاك يا مولاي أن تريد ذلك مني أو تتغلب على نفسي بشيء من ذلك ، وهذا فزع منه عليه السلام إلى ألطاف ربه جريا على سنن الأنبياء وطرق العارفين الكاملين في قصر نيل الخيرات والنجاة من الشرور على جناب الله تعالى ، وسلب القوى والتصور عن أنفسهم مبالغة في استدعاء عطفه تعالى عليه في صرف كيدهن عنه بإظهار عدم طاقته بالمدافعة إلا بحوله وقوته عز شأنه كقول المستغيث أدركن يا رب وإلا أهلك ، وقد لا يهلك ، لأنه عليه السلام يطلب الالتجاء إلى ربه ليعصم وفي نفسه داعية سوء إن لم يعصمه ، كلا وحاشاه من ذلك ، وفي هذه الآية جواب استدلال للأشاعرة بأن العبد لا ينصرف عن المعصية إلا إذا صرفه الله تعالى (وأصل إلا) أن الشرطية ولا النافية فأدغمت النون باللام (وأصب) مضارع صبا إذا مال ومنه ريح الصبا لأن النفوس تميل إليها لطيب نسيمها وروحها والصبابة إفراط الشوق ، وفي القاموس صبى بمعنى مال ، وصبى بمعنى حن ، والصبوة جهلة الفتوة ، ثم قال مندد من خوف ما سيكون من إحساسات قلبية خشية مغبته باثا سوء نتيجته إلى ربه «وأكن من الجاهلين ٣٣» الذين لا يعلمون ما يعملون ، وفي هذه الجملة إشارة إلى أن من يرتكب الذنب فإنما يرتكبه عن جهالة وهو ليس من أهلها ، لذلك دعا ربه إنقاذه مما يراد فيه «فاستجاب له ربه» كما هو

عادته جل جلاله في أنبيائه وأوليائه وأحبابه في إجابة أدعيتهم عند الضيق كما سيأتي في الآية ١١٠ من هذه السورة «فصرف عنه كيدهن» وثبته بعصمته وأبقاه على عفته وحال بينه وبين المعصية ودواعيها «إنه هو السميع» لدعاء عباده المتضرعين إليه «العليم» بأحوال الداعي ونيته وما يصلح له.

وتدل هذه الآية على أن الإنسان لو أتى بكل مكر وحيلة لإزالة ما وقر في صدره من حب وعداوة لعجز ، لأن حصولها ليس باختياره ولو كان لتمكن من." (٢)

"بيان المعاني ، ج ٤ ، ص : ١٩٠

مطلب قصة موسى عليه السلام مع الخضر رضي الله عنه :

قال تعالى «و» اذكر لقومك هذه القصة العظيمة أيضا «إذ قال موسى لفتاه» يوشع بن نون بن افرائيم بن يوسف عليه السلام ، وهو ابن أخت موسى كما ذكروا وأكبر أصحابه ، وخليفته في شريعته بعد هرون عليهم السلام ، وهو من عظماء

---

(١) بيان المعاني، ا ٣٦٧/١

(٢) بيان المعاني، ا ٢٠٩/٣

بني إسرائيل وسمي فتى ، وهو هنا بمعنى خادم وعبد لقيامه في خدمته ودوام متابعته له وكثرة تعلمه منه ، وإلا فمعنى الفتى الشاب الطري السجي الكريم ، **والفتوة** لقب شرف ويأتي بمعنى الحديث في السن ، ولهذا يقال لليل والنهار الفتيان ، والتلميذ عبد حكمي لأستاذه مهما كان شريفا أو حقيرا.

قال شعبة : من كتبت عنه أربعة أحاديث فأنا عبده ، ومن علمني حرفا كنت له عبدا.

ومقول القول «لا أبرح» لا أزال أسير «حتى أبلغ مجمع البحرين» قالوا بحر فارس والروم وملتقاهما مما يلي المشرق ولعل المراد بما يقرب من مجمعهما لأنهما لا يجتمعان إلا في البحر المتوسط وهما شعبتان فيه «أو أمضي حقبا» ٦٠ أداوم على السير زمنا طويلا ، والحقب ثمانون سنة ، وذلك أن الله تعالى وعد موسى أن يلقى الخضر هناك ، وموسى هذا هو ابن عمران ، وما قيل إنه ابن ميشا من أولاد يوسف لا صحة له ولا ثقة بالمنقول عنه وهو كعب الأحبار ، لأن الله تعالى لم يذكر في كتابه مسمى بهذا الاسم غير صاحب التوراة ، ولو أراد غيره لذكره وعرفه ليتميز عنه ، روى البخاري ومسلم عن سعيد بن جبير قال : قلت لابن عباس إن نوفل البكالي يزعم أن موسى صاحب الخضر ليس هو بني بني إسرائيل ، فقال ابن عباس كذب عدو الله ، حدثنا أبي بن كعب أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إن موسى عليه السلام قام خطيبا في بني إسرائيل فسئل أي الناس أعلم ؟ فقال أنا فعتب الله عليه ، إذ لم يرد العلم إليه (أي لم يقل الله أعلم) فأوحى الله سبحانه وتعالى إليه أن لي عبدا بمجمع البحرين هو أعلم منك ، قال يا رب فكيف لي به ؟

قال فخذ معك حوتا فاجعله في مكتل ، فحيثما فقدت الحوت فهو ثم ، فأخذ حوتا فجعله في مكتل ثم انطلق ، وانطلق معه فتاه يوشع بن نون ، حتى أتيا الصخرة (بوجد بقرب ملتقى نهر الكلب والبحر الأبيض المتوسط في بيروت صخرة عظيمة." (١)

"أي ليتحقق ذلك الذي في علم الله تعالى عيانا ، حيث يصير هذا العلم واقعا معاينا ، فيتبين أي الحزبين أحصى أمدهم أي مدة لبثهم في الكهف حيث صارت تلك المدة موضع خلاف بين العلماء ، أو المراد بالحزبين أهل الكهف حيث زعم بعضهم أنهم لم يلبثوا إلا يوما أو بعض يوم وبعضهم ظن أن المدة طالت فتوقف وفوض علم المدة إلى الله كما سيأتي بيانه في الحوار الذي دار بينهم عندما انتبهوا من نومهم فتساءلوا بينهم قال تعالى(وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ ﴿١٩﴾(

الفتية في رحاب الإيمان

(نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ ﴿١٣﴾ (تفصيل بعد إجمال وتقرير بعد بيان ، فالقرآن الكريم كتاب الحق نزل بالحق على قلب رسول الله – صلى الله عليه وسلم – الذي لا ينطق إلا بالحق وقصصه الحق وكل ما فيه من حكم وأحكام وعبر وعظات ووعد ووعيد هو الحق من عند الله .

والذي يقص نبأهم هو العليم بحالهم ، المدبر لشئونهم ، وفي هذا تشويق للقارئ ؛ حين يسمعها من المولى عز وجل . وفي التعبير بالنبأ إشارة إلى أن قصتهم لها شأن عظيم وخطب جليل .

---

(١) بيان المعاني، ١٩٠/٤

(إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ (

وفي التعبير **بالفتوة** بيان لحداثة سنهم وقوة إرادتهم وحماسهم للحق .

واختلفوا في سبب إيمانهم قيل إنهم آمنوا عن طريق حواري المسيح – عليه السلام – ونقل المفسرون رواية مردها إلى الإسرائيليات (١) .

وقيل إنما استجابوا لنداء الفطرة فاهتدوا بفطرتهم السليمة وعقولهم الغضة .

فائدة :

فى قوله تعالى ﴿ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾ ﴾

---

(١) – راجع لباب التأويل للخازن ٤ / ١٩٤ وروح البيان للبروسوي ٥ / ٢٢١." (١)

"لأنه أشق وأصعب فإن أعمال البر يفعلها البر والفاجر ولا يصبر عن المخالفات إلا الصديقون قالوا ولأن الصبر عن المحرمات صبر على مخالفة هوى النفس وهو أشق شيء وأفضله قالوا ولأن ترك المحبوب الذى تحبه النفوس دليل على أن من ترك لأجله أحب اليه من نفسه وهواه بخلاف فعل ما يحبه المحبوب فإنه لا يستلزم ذلك قالوا وأيضا فالمروءة **والفتوة** كلها في هذا الصبر

قال الإمام أحمد **الفتوة** ترك ما تهوى لما تخشى فمروءة العبد وفتوته بحسب هذا الصبر قالوا وليس العجب ممن يصبر على الأوامر فإن أكثرها محبوبات للنفوس السليمة لما فيها من العدل والإحسان والإخلاص والبر وهذه محاب للنفوس الفاضلة الزكية بل العجب ممن يصبر عن المناهي التي أكثرها محاب للنفوس فيترك المحبوب العاجل في هذه الدار للمحبوب الآجل في دار أخرى والنفس موكلة بحب العاجل فصبرها عنه مخالف لطبعها

قالوا ولأن المناهى لها أربعة دواع تدعو اليها نفس الإنسان وشيطانه وهواه ودنياه فلا يتركها حتى يجاهد هذه الأربعة وذلك أشق شيء على النفوس وأمره قالوا فالمناهى من باب حمية النفوس عن مشتهياتها ولذاتها والحمية مع قيام داعى التناول وقوته من أصعب شيء وأشقه قالو أو لذلك كان باب قربان النهى مسدودا كله وباب الامر انما يفعل منه المستطاع كما قال النبي اذا أمرتكم بأمر فاءتوا منه ما استطعتم وما نهيتكم عنه فاجتنبوه فدل على ان باب المنهيات أضيق من باب المأمورات وانه لم يرخص في ارتكاب شيء منه كما رخص في ترك بعض المأمورات للعجز والعذر قالوا ولهذا كانت عامة العقوبات من الحدود وغيرها على ارتكاب المنهيات بخلاف ترك المأمور فإن الله سبحانه لم يرتب عليه حدا معينا فأعظم المأمورات الصلاة وقد اختلف العلماء هل على تاركها حد أم لا فصل." (٢)

" يوسف الآية ٢٩ ٣٠ إرادة السوء ممن هي إلى البحث عن شعبة من شعبه وجعل للسوء أو للأمر المعبر به عن طمعها في يوسف عليه السلام يأباه الخبر فإن الكيد يستدعي أن يعتبر مع ذلك هنات أخر من قبلها كما أشرنا إليه

---

(١) تأملات في قصة أصحاب الكهف، ١ ص/١٨

(٢) التفسير القيم لابن القيم، ١ /٢٠٧

إن كيدكن عظيم فإنه أطلف وأعلق بالقلب وأشد تأثيرا في النفس وعن بعض العلماء إني أخاف من النساء ما لا أخاف من الشيطان فإنه تعالى يقول إن كيد الشيطان كان ضعيفا وقال للنساء إن كيدكن عظيم ولأن الشيطان يوسوس مسارقة وهن يواجهن به الرجال

يوسف حذف منه حرف النداء لقربه وكمال تفطنه للحديث وفيه تقريب له وتلطيف لمحله

أعرض عن هذا أي عن هذا الأمر وعن التحدث به واكتمه فقد ظهر صدقك ونزاهتك

واستغفري أنت يا هذه

لذنبك الذي صدر عنك وثبت عليك

إنك كنت بسبب ذلك

من الخاطئين من جملة القوم المعتمدين للذنب أو من جنسهم يقال خطىء إذا أذنب عمدا وهو تعليل للأمر بالإستغفار والتذكير لتغليب الذكور على الإناث وكان العزيز رجلا حليما فاكتفى بهذا القدر من مؤاخذتها وقيل كان قليل الغيرة

وقال نسوة أي جماعة من النساء وكن خمسا امرأة الساقي وامرأة الخباز وامرأة صاحب الدواب وامرأة صاحب السجن وامرأة الحاجب والنسوة اسم مفرد لجمع المرأة وتأنيثه غير حقيقي كتأنيث اللمة وهي اسم لجماعة النساء والثبة وهي اسم لجماعة الرجال ولذلك لم يلحق فعله تاء التأنيث

في المدينة ظرف لقال أي أشعن الأمر في مصر أو صفة النسوة

امرأة العزيز أي الملك يردن قطفير وإضافتهن لها إليه بذلك العنوان دون أن يصرحن باسمها أو اسمه ليست لقصد المبالغة في إشاعة الخبر بحكم أن النفوس إلى سماع أخبار ذوي الأخطار أميل كما قيل إذ ليس مرادهن تفضيح العزيز بل هي لقصد الإشباع في لومها بقولهن

تراود فتاها أي تطالبه بمواقعته لها وتتمحل في ذلك وتخادعه

عن نفسه وقيل تطلب منه الفاحشة وإيثارهن لصيغة المضارع للدلالة على دوام المراودة والفتى من الناس الشاب وأصله فتى لقولهم فتيان والفتوة شاذة وجمعه فتية وفتيان ويستعار للمملوك وهوالمراد ههنا وفي الحديث لا يقل أحدكم عبدي وأمتي وليقل فتاي وفتاتي وتعبيرهن عن يوسف عليه السلام بذلك مضافا إليها لا إلى العزيز الذي لا تستلزم الإضافة إليه الهوان بل ربما يشعر بنوع عزة لإبانة ما بينهما من التباين البين الناشيء عن المالكية والمملوكية وكل ذلك لتربية ما مر من المبالغة والإشباع في اللوم فإن من لا زوج لها من النساء أو لها زوج دنيء قد تعذر في مراودة الأخدان لا سيما إذا كان فيهم علو الجناب وأما التي لها زوج وأي زوج عزيز مصر فمراودتها لغيره لا سيما لعبدها الذي لا كفاءة بينها وبينه أصلا وتماديها في ذلك غاية الغي ونهاية الضلال

قد شغفها حبا أي شق حبه شغاف قلبها وهو حجابه أو جلدة رقيقة يقال لها لسان القلب حتى وصل إلى فؤادها وقرىء شعفها بالعين من ." (١)

" الكهف ١٠ ١١ إلى سائر الايات التي من جملتها ما ذكر من تعاجيب خلق الله تعالى بل هي عندها كالنزر الحقير والكهف الغار الواسع في الجبل والرقيم كلبهم قال امية بن أبي الصلت ... وليس بها الا الرقيم مجاورا ... وصيدهم والقوم في الكهف همد ...

وقيل هو لوح رصاصي أو حجري رقمت فيه أسماؤهم وجعل على باب الكهف وقيل هو الوادي الذي فيه الكهف فهو من رقمة الوادي أي جانبه وقيل الجبل وقيل قريتهم وقيل مكانهم بين غضبان وأيلة دون فلسطين وقيل أصحاب الرقيم آخرون وكانوا ثلاثة انطبق عليهم الغار فنجوا بذكر كل منهم أحسن عمله على ما فصل في الصحيحين إذ أوى ظرف لعجبا لا لحسبت أو مفعول لا ذكر أي حين التجأ الفتية أي اصحاب الكهف أوثر الاظهار على الإضمار لتحقيق ما كانوا عليه في أنفسهم من حال الفتوة فإنهم كانوا فتية من أشراف الروم ارادهم دقيانوس على الشرك فهربوا منه بدينهم ولأن صاحبيه الكهف من فروع التجائهم إلى الكهف فلا يناسب اعتبارها معهم قبل بيانه إلى الكهف بجبلهم للجلوس واتخذوه مأوى فقالوا ربنا آتنا من لدنك من خزائن رحمتك الخاصة المكنونة عن عيون أهل العادات فمن ابتدائية متعلقة بآيتنا أو بمحذوف وقع حالا من مفعوله الثاني قدمت عليه لكونه نكرة ولو تأخرت لكانت صفة له أي آتنا كائنة من لدنك رحمة خاصة تستوجب المغفرة والرزق والأمن من الأعداء وهيىء لنا من أمرنا الذي نحن عليه من مهاجرة الكفار والمثابرة على طاعتك وأصل التهيئة إحداث هيئة الشي أي اصلح ورتب وأتمم لنا من أمرنا رشدا إصابة للطريق الموصل إلى المطلوب واهتداء إليه وكلا الجارين متعلق بهيء لاختلافهما في المعنى وتقديم المجرورين على المفعول الصريح لاظهار الاعتناء بهما وإبراز الرغبة في المؤخر بتقديم أحواله فإن تأخير ما حقه التقديم عما هو من أحواله المرغبة فيه كما يورث شوق السامع إلى وروده ينبيء عن كمال رغبة المتكلم فيه وأعتنائه بحصوله لا محالة وكذا الكلام في تقديم قوله تعالى من لدنك على تقدير تعلقه بآتنا وتقديم لنا على من أمرنا للإيذان من أول الأمر يكون المسئول مرغوبا فيه لديهم أو اجعل أمرنا رشدا كله على أن من تجريدية مثلها في قولك رأيت منك أسدا فضربنا على آذانهم أي أنمناهم على طريقة التمثيل المبنى على تشبيه الانامة الثقيلة المانعة عن وصول الأصوات إلى الآذان بضرب الحجاب عليها وتخصيص الآذان بالذكر مع اشتراك سائر المشاعر لها في الحجب عن الشعور عند النوم لما أنها المحتاج إلى الحجب عادة إذ هي الطريقة للتيقظ غالبا لا سيما عند انفراد النائم واعتزاله عن الخلق وقيل الضرب على الآذان كناية عن الانامة الثقيلة وحمله على تعطيلها كما في قولهم ضرب الأمير على يد الرعية أي منعهم من التصرف مع عدم ملاءمته لما سيأتي من البعث لا يدل على النوم مع أنه المراد قطعا والفاء في فضربنا كما في قوله عز و جل فاستجبنا له بعد قوله تعالى اذ نادى فإن الضرب المذكور وما ترتب عليه من التقليب ذات اليمين وذات الشمال والبعث وغير ذلك ." (٢)

---

(١) تفسير أبي السعود، ١ ٤/٢٧٠

(٢) تفسير أبي السعود، ١ ٥/٢٠٦

"١(فإذا طلبتُ لديهمُ ما لمْ أنلْ ** أدْرَكْتُ مِنْ جَدْواهُ ما لا أَطْلُبُ)(ضَمَّ الفتاءَ إلى الفُتُوَّةِ بُرْدُهُ ** وَسَقَاهُ وَسْمِيُّ الشَّبَابِ الصَّيبُ)(وَصَفَا كما يَصْفُو الشهَابُ ، وإنَّهُ ** في ذاكَ من صِبغِ الحياءِ لُمشربُ)٤ (تَلْقَى السُّعُودَ بِوَجْهِهِ وتُحِبُّهُ ** وعليكَ مسحةُ بِغْضَةٍ ، فَتُحبَّبُ)٥ (إنَّ الإخَاءَ وِلادَةٌ وأنا امْرُؤٌ ** مِمَّنْ أُوَاخِي حَيْثُ مِلْتُ ، فَأُنْجِبُ)٦ (وإذا الرّجالُ تساجلوا في مشهدٍ ** فَمُريحُ رأيٍ منهمُ أوْ مُعزبُ)٧ (أَحرَزْتَ خَصْلَيْهِ إلَيْكَ وأَقْبَلَتْ ** آراءُ قوْمٍ خَلْفَ رَأْيِكَ تُجْنَبُ)٨ (وإِذَا رأَيْتُكَ والكلامُ لآلئٌ ** تُؤْمٌ فبِكْرٌ في النظَامِ وثَيبُ)٩ (فَكَأَنَّ قُسّاً في عُكاظٍ يَخْطُبُ ** وكأَنَّ لَيْلَى الأَخْيَلِيَّةَ تَنْدُبُ)٠ (وكثيرَ عَزَّةَ يومَ بَيْنٍ يَنْسُبُ ** وابْنَ المُقَفَّعِ في اليَتيمةِ يُسْهِبُ)

---

(١) ".

"١(قوم رئيسهم الرسول المصطفى المبعوث ** بالآيات والأنباء)(عين البرية أصل كل حقيقة ** سر الوجود خلاصة الأشياء)(كشاف دهم المعضلات ودافع البلوى ** وترياق الشفا للداء)٤ (وإشارة الرحموت في الملكوت والملك ** العظيم ونقطة الإبداء)٥ (ورقيقة المقصود من خلق الوجود ** وعينه في عالم الأسماء)٦ (والهيكل المحفوظ في طي العمى ** من قبل صبغة طينها والماء)٧ (علامة السر الخفي وصاحب القدر ** العلي وسيد الشفعاء)٨ (طه سراج المرسلين وقبضة النور ** القديم وأكرم الكرماء)٩ (سيف الإله وفارس القدس الذي ** ذلت لديه فوارس الهيجاء)٠ (شمس النبوة والفتوة والهدى ** والكوكب اللماع في الظلماء)

---

(٢) ".

"٦(يا من تخلق بالتواضع رحمة ** وببابه قد تقبل الأعذار) ٦(لك همة قدسية نبوية ** لجأت لها الغياب والحضار) ٦(روحي الفدا لتراب قبرك إنه **كنز الندا والطلسم المضمار) ٦٤ (يا قلب يمم ضمن فكرك رحبة السامي ** إذا ما نابت الاضرار) ٦٥ (حيث المراحم والمغانم والهدى ** حيث القبول وحيث تحمى الدار) ٦٦ (حيث النبوة والفتوة والندى الطامي ** وحيث على الدخيل يغار) ٦٧ (حيث الفتوة والمرؤة كلها ** بل حيث يؤخذ للضعيف الثار) ٦٨ (رحب توسده الحبيب المجتبي ** غيث الوصول الهاطل المدرار) ٦٩ (علم العناية من أقيم بهديه ** في العالم التبشير والإنذار) ٧٠ (ورقى مقاما جل معنى قدرهب ** عن أن يشق بما لديه غبار)

---

(٣) ".

---

(١) ديوان أبي تمام، ١ ص/٥٧

(٢) ديوان أبي الهدى الصيادي، ١ ص/٤٩

(٣) ديوان أبي الهدى الصيادي، ١ ص/١٨٨

"ولما مضى ذلك على هذا الوجه الجليل عرف أنه كله في الحرائر لأنه الوجه الأحكم في النكاح ، وأتبعه تعليم الحكمة في نكاح الإماء ؛ فقال عاطفا على ما تقديره : هذا حكم من استطاع نكاح حرة : ﴿ومن لم يستطع منكم﴾ أي أيها المؤمنون ﴿طولا﴾ أي سعة وزيادة عبر فيما قبله بالمال تهوينا لبذله بأنه ميال ، لا ثبات له ، وهنا بالطول الذي معناه : التي قل من يجدها ﴿أن﴾ أي لأن ﴿ينكح المحصنات﴾ أي الحرائر ، فإن الحرة مظنة العفة الجاعلة لها فيما هو كالحصن على مريد الفساد ، لأن العرب كانوا يصونوهن وهن أنفسهن عن أن يكن كالإماء ﴿المؤمنات﴾ بسبب كثرة المؤنة وغلاء المهر ﴿فمن﴾ أي فلينكح إن أراد من ﴿ما ملكت أيمانكم﴾ أي مما ملك غيركم من المؤمنين ﴿من فتياتكم﴾ أي إمائكم ، وأطلقت **الفتوة** – وهي الشباب – على الرقيق لأنه يفعل ما يفعل الشاب لتكليف السيد له إلى الخدمة وعدم توقيره وإن كان شيخا ، ثم وضح المراد بالإضافة فقال : ﴿المؤمنات﴾ أي لا من الحرائر الكافرات ولا مما ملكتم من الإماء الكافرات ولا مما ملك الكفار حذرا من مخالطة كافرة خوفا من الفتنة – كما مضى في البقرة ، ولئلا يكون الولد المسلم بحكم تبعية أمه في الرق ملكا لكافر ، هذا ما تفهمه العبارة ولكنهم قالوا : إن تقييد المحصنات بالمؤمنات لا مفهوم له ، وإلا لصار نكاح الحرة الكتابية المباح بآية المائدة مشروطا بعقد مسلمة ، حرة كانت أو أمة ، ولم يشترط ذلك ؛ ومذهب الشافعي أنه لا يجوز نكاح الأمة مع القدرة على حرة كتابية ،

٢٣٥

(١) ".

"وعبر بـ ﴿تركت﴾ موضع " تجنبت " مثلا مع كونه لم يلابس تلك الملة قط ، تأنيسا لهما واستدراجا إلى تركهما ؛ ثم اتبع ذلك بما يدل على شرف اصله وقدم فضله بأنه من بيت النبوة ومعدن **الفتوة** ، ليكون ذلك أدعى إلى قبول كلامه وإصابة سهامه وإفضاء مرامه ، فقال : ﴿واتبعت﴾ أي بغاية جهدي ورغبتي ﴿ملة آباءي إبراهيم﴾ خليل الله ، وهو جد أبيه ﴿وإسحاق﴾ ابنه نبي الله وهو جده ﴿ويعقوب﴾ أبيه إسرائيل : الله.

وهو أبوه حقيقة ، وتلك هي الحنفية السمحة التي هي الميل مع الدليل من غير جمود مع هوى بوجه من الوجوه ؛ روى البخاري في التفسير وغيره عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : " سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم أي الناس أكرم ؟ قال : " سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم : أي الناس أكرم ؟ قال : "أكرمهم عند الله أتقاهم ، " قالوا : ليس عن هذا نسالك.

قال : "فأكرم الناس يوسف نبي الله ابن نبي الله ابن نبي الله : ابن خليل الله ، " قالوا : ليس عن هذا نسألك ، قال : "نعن معادن العرب تسألوني ؟" قالوا : نعم ، قال : "فخياركم في الجاهلية خياركم في الإسلام إذا فقهوا ".

---

(١) نظم الدرر . موافق للمطبوع، ٢/ ٣٦٩

(١) ".

"ولما كان الذي له قوة أن يصلب إنما هو الملك ، بنى للمفعول قوله : ﴿فيصلب﴾ ويعطب ﴿فتأكل﴾ أي فيتسبب عن صلبه أنه تأكل ﴿الطير من رأسه﴾ والآية من الاحتباك : ذكر ملزوم السلامة والقرب أولا دليلا على العطب ثانيا أولا ، وسيأتي شرح تعبيره من التوراة ، فكأنه قيل : انظر جيدا ما الذي دليلا على السلامة أولا ، وسيأتي شرح تعبيره من التوراة ، فكأنه قيل : انظر جيدا ما الذي تقول! وروى أنهما قالا : ما رأينا شيئا ، إنما كنا نلعب ، فقال مشيرا بصيغة البناء للمفعول إلى عظمة الله وسهولة الأمور عليه : ﴿قضي الأمر﴾ وبينه بقوله : ﴿الذي فيه﴾ أي لا في غيره ﴿تستفتيان﴾ أي تطلبان الإفتاء فيه عملا **بالفتوة** ، فسألتما عن تأويله ، وهو تعبير رؤياكما كذبتما أو صدقتما ، لم أقله عن جهل ولا غلط.

وما أحسن إيلاء هذا العلم الثابت لختم الآية السالفة بنفي العلم عن الأكثر ، والأحد : المختص من المضاف إليه بمبهم له مثل صفة المضاف ، ولا كذلك " البعض " فلا يصدق : رأيت أحد الرجلين - ألا برجل منهما ، بخلاف " بعض " والفتيا : الجواب بحكم المعنى ، وهو غير الجواب بعلته - ذكره الرماني.

ولعل رؤيتهما تشيران إلى ما تشير إليه رؤيا الملك ، فالعصير يشير إلى السنابل الخضر والبقر السمان ، لأنه لا يكون إلا عن فضل ، والخبز - الذي طارت به الأطيار ، وسارت بروح صاحبه الأقدار -يشير إلى اليابسة والعجاف - والله أعلم.

جزء : ٤ رقم الصفحة : ٤٣

ولما كان كل علم بالنسبة إلى علم الله عدما ، عبر عن علمه بالظن ، ويمكن أن يكون الظن على بابه لكونه قال ما مضى اجتهادا بقرائن فيؤخذ منه أنه يسوغ الجزم بما

٤٣

(٢) ".

"الانقياد : ما فتأ يفعل كذا - مثلثة العين : ما زال كما أفتا ، أي إنه ما زال فاعلا في ذلك فعل الشاب الجلد الماضي العزم ، وما فتىء أن فعل ، ما برح أي أنه بادر إلى ذلك بسهولة انقياد وشدة عزيمة ، وحقيقته : ما فتىء عن فعل كذا ، أي ما تجاوزه إلى غيره وما نسيه بل قصر فتاءه وهمته وجلده عليه ، وعن ابن مالك في جمع اللغات المشكلة وعزاه للفراء - وصححه في القاموسك فتأ - كمنع : كسر وأطفأ ، وهو واضح في القوة ، وفتىء عنه - كسمع : نسيه وانقذع عنه ، أي انكف أو خاص بالجحد ، أي بأن يكون قبله حرف نفي ، ومعناه أن قوته تجاوزته فلم تخالطه ؛ ومن يائيه : الفتاء - كسماء : الشاب ، وكأنه أصل المادة ، والفتى - بالقصر ؛ السخي والكريم ، أي الجواد الشريف النفس ، والفتى

---

(١) نظم الدرر . موافق للمطبوع، ١ ٤/٦٣

(٢) نظم الدرر . موافق للمطبوع، ١ ٤/٦٨

: السيد الشجاع – لأن ذلك يلزم الشباب ، والفتى : المملوك وإن كان بخيلا أو شيخا – لأنه غالبا لا يشتري إلا الشباب ، والفتى : التلميذ ، والتابع كذلك ، والفتى – كغنى : الشاب أيضا ، **والفتوة** : الكرم ، وقد تفتى وتفاتى ، وفتوتهم : غلبتهم فيها ، وأفتاه في الأمر : أبانه له ، والفتيا – بالضم والفتوى – ويفتح : ما أفتى به الفقيه ، وهو يرجع إلى الجود وحسن الخلق ، والفتيان : الليل والنهار ، ولذلك يسميان الجديدين ، وفتيت البنت تفتية : منعت اللعب مع الصبيان ، فهو من سلب الشباب ، أي فعله ومن مقلوبه مهموزا : افتأت على الباطل : اختلقه ، وبرأيه : استبد ، وكلاهما يدل على جرأة وطيش ، وهو بالشاب الذي لم يحنكه الدهر أجدر ، وافتئت – على البناء للمفعول : مات فجأة – كأن ذلك أشد الموت ؛ ومن واوية : فات الشيء فوتا وفواتا : ذهب فسبق فلم يدرك ، وفاته وافتاته : ذهب عنه فسبقه ، وذلك يدل على قوة السابق ، وبينهما فوت ، أي بون – كأن كلا منهما سابق للآخر ، وتفاوت الشيئان وتفوتا : تباعد ما بينهما ، ويلزم ذلك الاختلاف والاضطراب ، ويلزمه العيب ﴿فما ترى في خلق الرحمن من تفوت﴾ : من عيب ، يقول الناظر : لو كان كذا كان أحسن ، وموت الفوات : الفجأة ، وهو فوت رمحه." (١)

"ولما أمر سبحانه بالجود في أمر الرقيق تارة بالنفس ، وتارة بالمال ، نهاهم عما ينافيه فقال : ﴿ولا تكرهوا فتياتكم﴾ أي إماءكم ، ولعله عبر بلفظ **الفتوة** هزا لهم إلى معالي الأخلاق ، وتخجيلا من طلب **الفتوة** من امة ﴿على البغاء﴾ أي الزنى لتأخذوا منهن مما يأخذنه من ذلك.

ولما كان الإكراه على الزنى لا يصح إلا عند العفة ، وكان ذلك نادرا من أمة ، قال : ﴿إن﴾ بأداة الشك ﴿أردن تحصنا﴾ وفي ذلك زيادة تقبيح للإكراه على هذا الفعل حيث كانت النساء مطلقا يتعففن مع أنهن مجبولات على حبه ، فكيف غذا لم يمنعهن مانع خوف أو حياء كالإماء ، فكيف إذا أذن لهن فيه.

جزء : ٥ رقم الصفحة : ٢٦٠

فكيف إذا ألجئن إليهن وأشار بصيغة التفعل وذكر الإرادة إلى أن ذلك لا يكون إلا عن عفة بالغة ، زاد في تصوير التقبيح بذكر علة التزام هذا العار في قوله : ﴿اتبتغوا﴾ أى تطلبوا طلبا حثيثا فيه رغبة قوية بإكراههن على الفعل الفاحش ﴿عرض الحياة الدنيا﴾ فإن العرض متحقق فيه الزوال ، والدنيا مشتقة من الدناءة.

٢٦٢

ولما نهى سبحانه عن الإكراه ، رغب الموالي في التوبة عند المخالفة فيه فقال : ﴿ومن يكرههن﴾ دون أن يقول : وإن أكرهن ، وعبر بالمضارع إعلاما بأن يقبل التوبة ممن خالف بعد نزول الآية ، وعبر بالاسم العلم في قوله : ﴿فإن الله﴾ إعلاما بأن الجلال غير مؤيس من الرجمة ، ولعله عبر بلفظ " بعد " إشارة إلى العفو عن الميل إلى ذلك الفعل عند مواقعته إن رجعت إلى الكراهة بعده ، فإن النفس لا تملك بضعه حينئذ ، فقال : ﴿من بعد إكراههن غفور﴾ أي لهن وللموالي ، يستر ذلك

---

(١) نظم الدرر . موافق للمطبوع، ١٤٣/٤

الذنب إن تابوا ﴿رحيم*﴾ بالتوفيق للصنفين إلى ما يرضيه.

جزء : ٥ رقم الصفحة : ٢٦٠
". (١)

"وتمام قدرته على الأفعال الهائلة وبديع حكمته اللازم منه إثبات وحدانيته تفصيلا لبعض إجمال ﴿أو ليس الذي خلق السموات والأرض﴾ فكان ما دونها من الأفعال أولى ، سبب عن ذلك لإثبات الحشر الذي أخبر به هذا القرآن الذي حرسه عن تلبيس الجان بزينة الكواكب التي أنشأ منها الشهب الثواقب قوله تهكما بهم : ﴿فاستفهم﴾ أي سلهم أن يتفتوا بأن يبينوا لك ما تسألهم عنه من إنكارهم البعث ، وأصله من **الفتوة** وهي الكرم : ﴿أهم أشد﴾ أي أقوى وأشق وأصعب ﴿خلقا﴾ أي من جهة إحكام الصنعة وقوتها وعظمها ﴿أم من﴾ ولما كان المراد الإعلام بأنه لا شيء من الموجودات إلا وهو خلقه سبحانه ، عبر بما يدل على ذلك دون ذكرنا ، وليكون أعم ، وحذف المفعول لأنه مفهوم ، ولئلا يلبس إذا ذكر ضمير المستفتين ، فقال : ﴿خلقنا﴾ أي من هذه الأشياء التي عددناها من الحي وغيره من الجن الذين أعطيناهم قدرة التوصل إلى الفلك وغيرهم ، وعبر بـ " من " تغليبا للعاقل من الملائكة وغيرهم مما بين السماوات والأرض.

جزء : ٦ رقم الصفحة : ٢٩٣
ولما كان الجواب قطعا أن هذه المخلوقات أشد خلقا منهم وأنهم هم من أضعف الخلائق خلقا ، قال دالا على إرادة التهكم بهم في السؤال ، مؤكدا إشارة إلى أن إنكارهم البعث لاستبعادهم تمييز التراب من التراب يلزم منه إنكار ابتداء الخلق على هذا الوجه : ﴿إنا خلقناهم﴾ أي على عظمتنا ﴿من طين﴾ أي تراب رخو مهين ﴿لازب*﴾ أي شديد اختلاط بعضه ببعض فالتصق وضمر وتضايق وتلازم بعضه لبعض ، وقل واشتد ودخل بعض التراب المنتشر من بعض ، قال ابن الجوزي : قال ابن عباس رضي الله عنهما : هو الطين الحر الجيد اللزق.

". (٢)

" صفحة رقم ٢٣٥
ولما ذكر في هذه الآيات أنواعا من التكاليف هي في غاية الحكمة ، والتعبير عنها في الذروة العليا من العظمة ، وختمها بإسقاط الجناح عند الرضى وكان الرضى أمرا باطنا لا يطلع عليه حقيقة إلا الله تعالى ، حث على الورع في شأنه بنوط الحكم بغلبة الظن فقال مرغبا في امتثال أوامره ونواهيه : (إن الله) أي الذي له الإحاطة التامة علما وقدرة) كان عليما) أي بمن يقدم محتريا لرضى صاحبه أو غير متحر لذلك) حكيما) أي يضع الأشياء في أمكن مواضعها من الجزاء على الذنوب وغيره .

---

(١) نظم الدرر ـ موافق للمطبوع، ا ٤٦٢/٥

(٢) نظم الدرر ـ موافق للمطبوع، ا ٤٢٩/٦

النساء : (٢٥) ومن لم يستطع. .. . .

) ومن لم يستطع منكم طولا أن ينكح المحصنات المؤمنات فمن ما ملكت أيمانكم من فتياتكم المؤمنات والله أعلم بإيمانكم بعضكم من بعض فانكحوهن بإذن أهلهن وآتوهن أجورهن بالمعروف محصنات غير مسافحات ولا متخذات أخدان فإذا أحصن فإن أتين بفاحشة فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب ذلك لمن خشي العنت منكم وأن تصبروا خير لكم والله غفور رحيم (( )

ولما مضى ذلك على هذا الوجه الجليل عرف أنه كله في الحرائر لأنه الوجه الأحكم في النكاح ، وأتبعه تعليم الحكمة في نكاح الإماء ؛ فقال عاطفا على ما تقديره : هذا حكم من استطاع نكاح حرة : (ومن لم يستطع منكم) أي أيها المؤمنون) طولا) أي سعة وزيادة عبر فيما قبله بالمال تهوينا لبذله بأنه ميال ، لا ثبات له ، وهنا بالطول الذي معناه : التي قل من يجدها) أن) أي لأن) ينكح المحصنات) أي الحرائر ، فإن الحرة مظنة العفة الجاعلة لها فيما هو كالحصن على مريد الفساد ، لأن العرب كانوا يصونونهن وهن أنفسهن عن أن يكن كالإماء) المؤمنات (بسبب كثرة المؤنة وغلاء المهر) فمن) أي فلينكح إن أراد من) ما ملكت أيمانكم) أي مما ملك غيركم من المؤمنين) من فتياتكم) أي إمائكم ، وأطلقت الفتوة - وهي الشباب - على الرقيق لأنه يفعل ما يفعل الشاب لتكليف السيد له إلى الخدمة وعدم توقيره وإن كان شيخا ، ثم وضح المراد بالإضافة فقال : (المؤمنات) أي لا من الحرائر الكافرات ولا مما ملكتم من الإماء الكافرات ولا مما ملك الكفار حذرا من مخالطة كافرة خوفا من الفتنة - كما مضى في البقرة ، ولئلا يكون الولد المسلم بحكم تبعية أمه في الرق ملكا لكافر ، هذا ما تفهمه العبارة ولكنهم قالوا : إن تقييد المحصنات بالمؤمنات لا مفهوم له ، وإلا لصار نكاح الحرة الكتابية المباح بآية المائدة مشروطا بعقد مسلمة ، حرة كانت أو أمة ، ولم يشترط ذلك ؛ ومذهب الشافعي أنه لا يجوز نكاح الأمة مع القدرة على حرة كتابية ، ." [١]

" صفحة رقم ٤٠

الإنسان - قاله الرماني .

وفي القاموس إن المليلة : الحر الكامن في العظم .

وعبر ب) تركت (موضع (تجنبت) مثلا مع كونه لم يلابس تلك الملة قط ، تأنيسا لهما واستدراجا إلى تركهما ؛ ثم اتبع ذلك بما يدل على شرف اصله وقدم فضله بأنه من بيت النبوة ومعدن الفتوة ، ليكون ذلك أدعى إلى قبول كلامه وإصابة سهامه وإفضاء مرامه ، فقال : (واتبعت) أي بغاية جهدي ورغبتي) ملة آباءي إبراهيم (خليل الله ، وهو جد أبيه) وإسحاق (ابنه نبي الله وهو جده) ويعقوب (أبيه إسرائيل : الله .

وهو أبوه حقيقة ، وتلك هي الحنفية السمحة التي هي الميل مع الدليل من غير جمود مع هوى بوجه من الوجوه ؛ روى البخاري في التفسير وغيره عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : (سئل رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أي الناس أكرم ؟ قال : (سئل رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : أي الناس أكرم ؟ قال : (أكرمهم عند الله أتقاهم ،) قالوا : ليس عن

---

(١) نظم الدرر . (موافق للمطبوع - ت: عبدالرزاق غالب)، ٢/ ٢٣٥

هذا نسالك .
قال : (فأكرم الناس يوسف نبي الله ابن نبي الله ابن نبي الله : ابن خليل الله ،) قالوا : ليس عن هذا نسألك ، قال : (نعن معادن العرب تسألوني ؟) قالوا : نعم ، قال : (فخياركم في الجاهلية خياركم في الإسلام إذا فقهوا) .
(فكأنه قيل : ما تلك الملة ؟ فقال : (ما كان لنا) أي ما صح وما استقام بوجه من الوجوه ، لما عندنا من نور العلم الذي لم يدع عندنا لبسا بوجه أصلا) أن نشرك) أي نجدد في وقت ما شيئا من إشراك) بالله) أي الذي له الأمر كله ، وأعرق في النفي فقال : (من شيء) أي بما شرعه لنا من الدين القويم كانت ملتنا التوحيد ، ومن التأكيد العموم في سياق النفي ، ليعم ذلك كل شيء من عاقل ملك أو إنسي أو جنى أو غيره ؛ ثم علل ذلك بما يعرف بع أنه كما وجب عليهم ذلك وجب على كل أحد فقال : (ذلك) أي كان هذا الانتفاء أو ذلك التشريع – للملة الحنيفية وتسهيلها وجعل الفطر الأولى منقادة لها مقبلة عليها – العلي الشأن العظيم المقدار) من (أجل) فضل الله) أي المحيط بالجلال والإكرام) علينا (خاصة) وعلى الناس (الذين هم إخواننا في النسب عامة ، فنحن وبعض الناس شكرنا الله ، فقلبنا ما تفضل به علينا ، فلم نشرك به شيئا ؛ والفضل : النفع الزائد على مقدار الواجب ، فكل عطاء الله فضل ، فإنه لا واجب عليه ، فكان لذلك واجبا على كل أحد إخلاص التوحيد له شكرا على فضله لما تظافر عليه دليلا العقل والنقل من أن شكر المنعم واجب) ولكن أكثر الناس) أي لما لهم من الاضطراب مع الهوى عموا عن هذا الواجب ، فهم) لا يشكرون (فضله بإخلاص العمل له ويشركون به إكراها لفطرهم." (١)

" صفحة رقم ٤٣

يوسف : (٤١ – ٤٢) يا صاحبي السجن. .. . .

) يصاحبي السجن أمآ أحدكما فيسقي ربه خمرا وأما الآخر فيصلب فتأكل الطير من رأسه قضي الأمر الذي فيه تستفتيان وقال للذي ظن أنه ناج منهما اذكرني عند ربك فأنساه الشيطان ذكر ربه فلبث في السجن بضع سنين (( )
ولما تم نصحه وعلا قدحه بإلقائه إليهما ما كان أهم لهما لو علما لمآله إلى الحياة الأبدية والرفعة السرمدية .
أقبل على حاجتهما تمكينا لما ذكره وتأكيدا للذي قرره ، فناداهما بالأداة الدالة على أن ما بعدها كلام له موقع عظيم لتجتمع أنفسهما لسماع ما يلقى إليهما من التعبير ، فقال : (ياصاحبي السجن) أي الذي تزول فيه الحظوظ ويحصل الانكسار للنفس والرقة في القلب فتتخلص فيه المودة .
ولما كان في الجواب ما يسوء الخباز ، أبهم ليجوز كل واحد أنه الفائز ، فإن ألجأه إلى التعيين كان ذلك عذرا له في الخروج عن الأليق فقال : (أما أحدكما (وهو الساقي فيلخص ويقرب) فيسقي ربه) أي سيده الذي في خدمته) خمرا (كما كان) وأما الآخر (وهو الخباز .
ولما كان الذي له قوة أن يصلب إنما هو الملك ، بنى للمفعول قوله : (فيصلب (ويعطب) فتأكل) أي فيتسبب عن صلبه أنه تأكل) الطير من رأسه (والآية من الاحتباك : ذكر ملزوم السلامة والقرب أولا دليلا على العطب ثانيا أولا ،

---

(١) نظم الدرر . (موافق للمطبوع – ت: عبدالرزاق غالب)، ٤٠/٤١

وسيأتي شرح تعبيره من التوراة ، فكأنه قيل : انظر جيدا ما الذي دليلا على السلامة أولا ، وسيأتي شرح تعبيره من التوراة ، فكأنه قيل : انظر جيدا ما الذي تقول وروى أنهما قالا : ما رأينا شيئا ، إنما كنا نلعب ، فقال مشيرا بصيغة البناء للمفعول إلى عظمة الله وسهولة الأمور عليه : (قضي الأمر (وبينه بقوله : (الذي فيه) أي لا في غيره) تستفتيان) أي تطلبان الإفتاء فيه عملا **بالفتوة** ، فسألتما عن تأويله ، وهو تعبير رؤياكما كذبتما أو صدقتما ، لم أقله عن جهل ولا غلط .

وما أحسن إيلاء هذا العلم الثابت لختم الآية السالفة بنفي العلم عن الأكثر ، والأحد : المختص من المضاف إليه إليه بمبهم له مثل صفة المضاف ، ولا كذلك (البعض) فلا يصدق : رأيت أحد الرجلين – ألا برجل منهما ، بخلاف (بعض) والفتيا : الجواب بحكم المعنى ، وهو غير الجواب بعلته – ذكره الرماني .

ولعل رؤيتهما تشيران إلى ما تشير إليه رؤيا الملك ، فالعصير يشير إلى السنابل الخضر والبقر السمان ، لأنه لا يكون إلا عن فضل ، والخبز – الذي طارت به الأطيار ، وسارت بروح صاحبه الأقدار – يشير إلى اليابسة والعجاف – والله أعلم .

ولما كان كل علم بالنسبة إلى علم الله عدما ، عبر عن علمه بالظن ، ويمكن أن يكون الظن على بابه لكونه قال ما مضى اجتهادا بقرائن فيؤخذ منه أنه يسوغ الجزم بها." (١)

" صفحة رقم ٩١

الانقياد : ما فتأ يفعل كذا – مثلثة العين : ما زال كما أفتا ، أي إنه ما زال فاعلا في ذلك فعل الشاب الجلد الماضي العزم ، وما فتيء أن فعل ، ما برح أي أنه بادر إلى ذلك بسهولة انقياد وشدة عزيمة ، وحقيقته : ما فتيء عن فعل كذا ، أي ما تجاوزه إلى غيره وما نسيه بل قصر فتاءه وهمته وجلده عليه ، وعن ابن مالك في جمع اللغات المشكلة وعزاه للفراء – وصححه في القاموسك فتأ – كمنع : كسر وأطفأ ، وهو واضح في القوة ، وفتيء عنه – كسمع : نسيه وانقذع عنه ، أي انكف أو خاص بالجحد ، أي بأن يكون قبله حرف نفي ، ومعناه أن قوته تجاوزته فلم تخالطه ؛ ومن يائيه : الفتاء – كسماء : الشاب ، وكأنه أصل المادة ، والفتى – بالقصر ؛ السخي والكريم ، أي الجواد الشريف النفس ، والفتى : السيد الشجاع – لأن ذلك يلزم الشباب ، والفتى : المملوك وإن كان بخيلا أو شيخا – لأنه غالبا لا يشتري إلا الشباب ، والفتى : التلميذ ، والتابع كذلك ، والفتي – كغني : الشاب أيضا ، **والفتوة** : الكرم ، وقد تفتى وتفاتى ، وفتوتهم : غلبتهم فيها ، وأفتاه في الأمر : أبانه له ، والفتيا – بالضم والفتوى – ويفتح : ما أفتى به الفقيه ، وهو يرجع إلى الجود وحسن الخلق ، والفتيان : الليل والنهار ، ولذلك يسميان الجديدين ، وفتيت البنت تفتية : منعت اللعب مع الصبيان ، فهو من سلب الشباب ، أي فعله ومن مقلوبه مهموزا : افتأت على الباطل : اختلقه ، وبرأيه : استبد ، وكلاهما يدل على جرأة وطيش ، وهو بالشاب الذي لم يحنكه الدهر أجدر ، وافتئت – على البناء للمفعول : مات فجأة – كأن ذلك أشد الموت ؛ ومن واوية : فات الشيء فوتا وفواتا : ذهب فسبق فلم يدرك ، وفاته وافتاته : ذهب عنه فسبقه ، وذلك يدل على قوة السابق ،

---

(١) نظم الدرر . (موافق للمطبوع – ت: عبدالرزاق غالب)، ٤ /٤٣

وبينهما فوت ، أي بون – كأن كلا منهما سابق للآخر ، وتفاوت الشيئان وتفوتا : تباعد ما بينهما ، ويلزم ذلك الاختلاف والاضطراب ، ويلزمه العيب) فما ترى في خلق الرحمن من تفوت (: من عيب ، يقول الناظر : لو كان كذا كان أحسن ، وموت الفوات : الفجأة ، وهو فوت رمحه ويده ، أي حيث يراه ولا يصل إليه ، والفوت : الفرجة بين إصبعين ، وافتأت عليه برأيه : سبقه به ، وفاته به وعليه : غلبه ، ولا يفتات عليه أي لا يعمل دون أمره ، أي لا أحد أشد منه فيسبقه ، وافتات الكلام : ابتدعه – كما تقدم في المهموز ، وافتات عليه : حكم – لقوته ، والفويت – كزبير : المنفر برأيه – للمذكر والمؤنث ، وذلك لعدة نفسه شديدا ، وتفوت عليه في ماله : فاته به ؛ ومن مقلوبه مهموزا : تفيء كفرح : احتد وغضب – وذلك لشدته ، وتفيئة الشيء : حينه وزمانه ، وذلك أحسن أحواله ، ودخل على تفيئته أي أثره أي لم يسبقه بكثير ، وذلك أشد له ؛ ومن واوية : التفة كقفة : عناق الأرض وهي تصيد ، وفيها خلاف يبين إن شاء الله تعالى في قوله : (جزاء موفورا (من سورة سبحان ؛ ومن مقلوبه." (١)

" صفحة رقم ٢٦٢

بعدم وجدان المهر وما يطلب منه تقديمه ، أو بعدم رضى العبد وغيره يكون ولده رقيقا أو غير ذلك ، أتبعه قوله حاثا على قمع النفس الأمارة عند العجز : (وليستعفف (اي يبالغ في طلب العفة وإيجادها عن الحرام) الذين لا يجدون نكاحا) أي قدرة عليه وباعثا إليه) حتى يغنيهم الله) أي الذي له الإحاجة بجميع صفات الكمال) من فضله (في ذلك الذي تعذر عليهم النكاح بسببه .

ولما كان من جملة الموانع كما تقدم خوف الرق على الولد لمن له من الرقيق همة علية ، ونفس أبية ، أتبعه قوله : (والذين يبتغون) أي يطلبون طلبا عازما) الكتاب) أي المكاتبة) مما ملكت أيمانكم (ذكرا كان أو أنثى ؛ وعبر ب (ما) إشارة إلى ما في الرقيق من نقص) فكاتبوهم) أي ندبا لأنه معاوضة تتضمن الإرفاق على ما يؤدونه إليكم منجما ، فإذا أدوه عتقوا) إن علمتم فيهم خيرا) أي تصرفا صالحا في دينهم ودنياهم لئلا يفسد حالهم بعد الاستقلال بأنفسهم ؛ قال ابن كثير : وروى أبو داود في كتاب المراسيل عن يحيى ابن كثير قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : (إن علمتم فيهم حرفة ولا ترسلوهم كلا على الناس) انتهى .

ولعله عبر بالعلم في موضع الظن لذلك) وءاتوهم (وجوبا إذا أدوا إليكم) من مال الله) أي لاذي عم كل شيء بنعمته ، لأنه الملك العظم) الذي آتاكم (ولو بحط شيء من مال الكتابة .

ولما أمر سبحانه بالجود في أمر الرقيق تارة بالنفس ، وتارة بالمال ، نهاهم عما ينافيه فقال : (ولا تكرهوا فتياتكم) أي إماءكم ، ولعله عبر بلفظ الفتوة هزا لهم إلى معالي الأخلاق ، وتخجيلا من طلب الفتوة من امة) على البغاء) أي الزنى لتأخذوا منهن مما يأخذنه من ذلك .

ولما كان الإكراه على الزنى لا يصح إلا عند العفة ، وكان ذلك نادرا من أمة ، قال : (إن (بأداة الشك) أردن تحصنا (وفي ذلك زيادة تقبيح للإكراه على هذا الفعل حيث كانت النساء مطلقا يتعففن مع أنهن مجبولات على حبه ، فكيف غدا

---

(١) نظم الدرر . (موافق للمطبوع – ت: عبدالرزاق غالب)، ١٤/ ٩١

لم يمنعهن مانع خوف أو حياء كالإماء ، فكيف إذا أذن لهن فيه .
فكيف إذا ألجئن إليهن وأشار بصيغة التفعل وذكر الإرادة إلى أن ذلك لا يكون إلا عن عفة بالغة ، زاد في تصوير التقبيح بذكر علة التزام هذا العار في قوله : (اتبتغوا (اي تطلبوا طلبا حثيثا فيه رغبة قوية بإكراههن على الفعل الفاحش) عرض الحياة الدنيا (فإن العرض متحقق فيه الزوال ، والدنيا مشتقة من الدناءة .." (١)
" صفحة رقم ٢٩٥
وتمام قدرته على الأفعال الهائلة وبديع حكمته اللازم منه إثبات وحدانيته تفصيلا لبعض إجمال) أو ليس الذي خلق السموات والأرض (فكان ما دونها من الأفعال أولى ، سبب عن ذلك لإثبات الحشر الذي أخبر به هذا القرآن الذي حرسه عن تلبيس الجان بزينة الكواكب التي أنشأ منها الشهب الثواقب قوله تهكما بهم : (فاستفهم) أي سلهم أن يتفتوا بأن يبينوا لك ما تسألهم عنه من إنكارهم البعث ، وأصله من الفتوة وهي الكرم : (أهم أشد) أي أقوى وأشق وأصعب) خلقا) أي من جهة إحكام الصنعة وقوتها وعظمها) أم من (ولما كان المراد الإعلام بأنه لا شيء من الموجودات إلا وهو خلقه سبحانه ، عبر بما يدل على ذلك دون ذكرنا ، وليكون أعم ، وحذف المفعول لأنه مفهوم ، ولئلا يلبس إذا ذكر ضمير المستفتين ، فقال : (خلقنا) أي من هذه الأشياء التي عددناها من الحي وغيره من الجن الذين أعطيناهم قدرة التوصل إلى الفلك وغيرهم ، وعبر ب (من) تغليبا للعاقل من الملائكة وغيرهم مما بين السماوات والأرض .
ولما كان الجواب قطعا أن هذه المخلوقات أشد خلقا منهم وأنهم هم من أضعف الخلائق خلقا ، قال دالا على إرادة التهكم بهم في السؤال ، مؤكدا إشارة إلى أن إنكارهم البعث لاستبعادهم تمييز التراب من التراب يلزم منه إنكار ابتداء الخلق على هذا الوجه : (إنا خلقناهم) أي على عظمتنا) من طين) أي تراب رخو مهين) لازب) أي شديد اختلاط بعضه ببعض فالتصق وضمر وتضايق وتلازم بعضه لبعض ، وقل واشتد ودخل بعض التراب المنتثر من بعض ، قال ابن الجوزي : قال ابن عباس رضي الله عنهما : هو الطين الحر الجيد اللزق .
وإنما كانوا من طين لأن أباهم آدم كان منه من غير أب ولا أم ، فصاروا بهذا التقدير بعض الطين الذي هو بعض خلقه الذي عدده قبل ذلك سبحانه الذاتية التي لا يمتنع عليها مقدور ، ولا يعجزها مأمور ، فدل ابتداء خلقهم وخلق ما هو أشد منهم وأعظم على القدرة على إعادتهم قطعا بل بطريق الأولى من غير وجه ، وحسن هذا الاستفتاء كل الحسن ختم الكلام قبله بمن بلغوا السماء تكبرا وعلوا ، وهموا بما لم ينالوا تجبرا وعلوا ، وسلط عليهم ما يردهم مقهورين مبعدين مدحورين ، واستثنى منهم من) خطف (ليعلم أنه غير محال ما تعلقت به منهم الآمال ، هذا مع ذكره في خلقهم من الطين اللازب الذي من شأنه الرسوب لثقله والسفول كما أن من شأن من ختم بهم ما قبله العلو لخفتهم والصعود .
ولما كان من المعلوم قطعا أن المراد بهذا الأمر بالاستفتاء إنما هو التبكيت لأن." (٢)

---

(١) نظم الدرر . (موافق للمطبوع – ت: عبدالرزاق غالب)، ٥/٢٦٢

(٢) نظم الدرر . (موافق للمطبوع – ت: عبدالرزاق غالب)، ٦/٢٩٥

"والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل) [التوبة: ٦٠] على أنه لا تحل الصدقة لذميم (هماز مشآء بنميم) [القلم: ١١] وطباعهم كما تعلم منكرة مستقذرة (كأنهم حمر مستنفرة فرت من قسورة) [المدثر: ٥٠ ٥١] وقد قال (وفائي) خاطب عزيزك هذه المرة وإن لم يعمل فيك فكرا (وما يدريك لعله يزكى أو يذكر فتنفعه الذكرى) [عبس: ٣ ٤] فقال (لساني) إن الود هو الرسول المأمون (فأرسله معي ردءا يصدقني إني أخاف أن يكذبون) [القصص: ٣٤] فقلت سيروا مع المحبة ذات الفتوة (ولا." [١]

"ريح معطرة النسيم

مقبولة هبت قبولا،

فهي تعبق في الشميم

أفضيض مسك أم بلنسية

لرياها نميم

بلد، حبيب أفقه،

لفتى يحل به كريم

أيها أبا عبد الإله،

دعاء مغلوب العريم

إن عيل صبري من فراقك

فالعذاب به أليم

أو أتبعتك حنينها

نفسي، فأنت لها قسيم

ذكرى لعهدك كالسهاد

سرى ، فبرح بالسليم

مهما ذممت، فما زماني

في ذمامك بالذميم

زمن، كمألوف الرضاع،

يشوق ذكراه الفطيم

أيامض أعقد ناظري

بذلك المرأى الوسيم

فأرى الفتوة غضة

---

(١) جواهر الأدب، ١ /١٦٨

في ثوب أواه حليم
الله يعلم أن حبـ
ـك من فؤادي بالصميم
ولئن تحمل عنك لي
جسم، فعن قلب مقيم
قل لي: بأي خلال سروك،
قبل، أفتن أو أهيم؟
أبمجدك العمم، الذي
نسق الحديث مع القديم؟
أم ظرفك الحلو الجنى ؛
أم عرضك الصافي الأديم؟
أم برك العذب الجمام،
وبشرك الغض الجميم؟
أم بالبدائع كاللآلئ،
من نثير أو نظيم؟
وبلاغة ، إن عد أهلوها،
فأنت لهم زعيم
فقر تسوغ بها المدام،
إذا تكررها النديم
إن أشمست تلك الطلاقة ،
فالندى منها مقيم
إن الذي قسم الحظوظ،
حباك بالخلق العظيم
لا أستزيد الله نعمى
فيك، لا بل أستديم
فلقد أقر العين أنك
غرة الزمن البهيم
حسبي الثناء لحسن بر
ك ما بدا برق فشيم

ثم الدعاء بأن تهنأ،

طول عيشك، في نعيم

ثم السلام تبلغنه،

فغيب مهديه سليم

العصر الأندلسي >> ابن زيدون >> أما علمت أن الشفيع شباب،

أما علمت أن الشفيع شباب،

رقم القصيدة : ١٣٦٤٦

أما علمت أن الشفيع شباب،." (١)

"لمكاسر الحسن بن وهب أطيب

وأمر في حنك الحسود وأعذب

وله إذا خلق التخلق أو نبا

خلق كروض الحزن أو هو أخصب

ضربت به أفق الثناء ضرائب

كالمسك يفتق بالندى ويطيب

يستنبط الروح اللطيف نسيمها

أرجا وتؤكل بالضمير وتشرب

ذهبت بمذهبه السماحة ، فالتوت

فيه الظنون: أمذهب أم مذهب

ورأيت غرته صبيحة نكبة

جلل فقلت: أبارق أم كوكب

متعت كما متع الضحى في حادث

داج كأن الصبح فيه مغرب

يفديه قوم أحضرت أعراضهم

سوء المعايب، والنوال مغيب

من كل مهراق الحياء كأنما

غطى غديري وجنتيه الطحلب

---

(١) جميع دواوين الشعر العربي على مر العصور، ٤٨٥/٧١

متدسم الثوبين ينظر زاده

نظر يحدقه وخد صلب

فإذا طلبت لديهم ما لم أنل

أدركت من جدواه ما لا أطلب

ضم الفتاء إلى الفتوة برده

وسقاه وسمي الشباب الصيب

وصفا كما يصفو الشهاب، وإنه

في ذاك من صبغ الحياء لمشرب

تلقى السعود بوجهه وتحبه

وعليك مسحة بغضة ، فتحبب

إن الإخاء ولادة وأنا امرؤ

ممن أواخي حيث ملت، فأنجب

وإذا الرجال تساجلوا في مشهد

فمريح رأي منهم أو معزب

أحرزت خصليه إليك وأقبلت

آراء قوم خلف رأيك تجنب

وإذا رأيتك والكلام لآلئ

تؤم فبكر في النظام وثيب

فكأن قسا في عكاظ يخطب

وكأن ليلى الأخيلية تندب

وكثير عزة يوم بين ينسب

وابن المقفع في اليتيمة يسهب

تكسو الوقار وتستخف موقرا

طورا وتبكي سامعين وتطرب

قد جاءنا الرشأ الذي أهديته." (١)

"وقد اتكلت على نداك وسيبه

كالبحتري على ندى المتوكل

---

(١) جميع دواوين الشعر العربي على مر العصور، ١١/٢٤٣

فأصخ لقصد قصيدة ما مثلها

لجرير في الزمن القديم وجرول

لو أنشدت بحمى كليب خالها

في الجاهلية من لسان مهلهل

العصر العباسي >> عرقلة الكلبي >> زد علوا في المجد يا ابن علي

زد علوا في المجد يا ابن علي

رقم القصيدة : ١٦٧٨٢

زد علوا في المجد يا ابن علي

هكذا من أراد أن يتعالى

قد حوى الدين ، يا مؤيده

منك هزبرا وديمة وهلالا

وغدت جلق تناديك عجبا

هكذا ، هكذا ، وإلا فلالا

جئتها في الظلام خيلا ورجلا

وحميت النفوس والأموالا

ما تبالي من بعدها بعدو

إنما كان ذاك قطعا وزالا

قد بلغت المراد من كل ضد

وكفى الله المؤمنين القتالا

العصر العباسي >> عرقلة الكلبي >> تناءوا بعد قربهم ملالا

تناءوا بعد قربهم ملالا

رقم القصيدة : ١٦٧٨٣

تناءوا بعد قربهم ملالا

وسرنا يمنة وسروا شمالا

فلست ترى غداة البين إلا

عناة أو حداة أو جمالا

ومعتدلا حكى الخطي لونا

ولينا واهتزازا واعتدالا

ظننت ، ولم يطف بي منه طيف

ولو زار الخيال رأى خيالا

وكيف يكون لي صبر وفيه

خلال صيرت جسمي خلالا

تصيدني الغزال بمقلتيه

وقدما كنت أصطاد الغزالا

وقائلة إلى كم ذا التواني

إذا ما المال عن كفيك مالا

فقلت :إلى صلاح الدين قصدي

فتى حاز الفتوة والجمالا

تيمم وجهه تظفر برشد

وكيف يضل من قصد الهلالا

لقد فاق الأنام أبا وعما

كما فاق الأنام أخا وخالا

يحب المجد والعلياء طبعا

كما يهوى المحبون الوصالا

كأن المال في كفيه ماء

إذا ما السائل استسقاه سالا

صلاح الدين قد أصلحت حالي

فلا عاثت لك الأيام حالا

بك استغنيت عن زيد وعمرو

ومن طلب الهدى ترك الضلالا

محلك في النجوم إذا تدانى

وضدك في التخوم إذا تعالى." (١)

"وقل لمعذبي هل من نجاز

لوعدي سالفيك السالفين

---

(١) جميع دواوين الشعر العربي على مر العصور، ٤١٤/١٣١

سميك كان مقتولا بظلم،
وأنت ظلمتني، وجلبت حيني
وهبتك في الهوى روحي بوعد،
وبعتك عامدا نقدا بدين
وجئت وفي يدي كفني وسيفي،
فكيف جعلتها خفي حنين؟
ولم صيرت بعدك قيد قلبي،
وكان جمال وجهك قيد عيني؟
فصرنا نشبهث النسرين بعدا،
وكنا ألفة كالفرقدين
علمت بأن وعدك صار مينا،
لزجري مقلتيك بصارمين
وقلت، وقد رأيتك: خاب سعيي
لكون البدر بين العقربين
فلم دليتني بحبال زور،
ولم أطعمتني بسراب مين
وهلا قلت لي قولا صريحا،
فكان المنع إحدى الراحتين
عرفتك دون كل الناس لما
نقدتك في الملاحة نقد عين
وكم قد شاهدتك الناس قبلي،
فما نظروك كلهم بعيني
وطاوعت الفتوة فيك حتى
جعلتك في العلاء برتبتين
فلما أن خلا المغنى وبتنا
عراة بالعفاف مؤزرين
قضينا الحج ضما واستلاما،
ولم نشعر بما في المشعرين

أتهجرني وتحفظ عهد غيري،
وهل للموت عذر بعد دين
وقلت: الوعد عند الحر دين،
فكيف مطلتني وجحدت ديني
أأجعل لي سواك عليك عينا،
وكنت على جمعي الناس عيني
إذا ما جاء محبوبي بذنب
يسابقه الجمال بشافعين
وقلت: جعلت كل الناس خصمي
لقد شاهدت إحدى الحالتين
فكان الناس قبل هواك صحبي،
فهل أبقيت لي من صاحبين
بعادي أطمع الأعداء حتى
رأوك اليوم خزر الناظرين
وهلا طالعوك بعين سوء،
وأمري نافذ في الدولتين
وما خفقت جناح الجيش إلا
رأوني ملء قلب العسكرين
لئن سكنت إلى الزوراء نفسي،
أواني الراح من ورق وعين
هوى يقتادني لديار بكر،
وآخر نحو أرض الجامعين
سأسرع نحو رأس العين خطوي،
وأقصدها على رأسي وعيني
وأسرح في حمى جيرون طرفي،." (١)
"ت إليه الخيار في الحليتين
قال لي السود للأسود وذي ال

(١) جميع دواوين الشعر العربي على مر العصور، ٣٠٨/١٩١

ـبيض لمن يبتغي بياض اللجين
فصففنا الجيشين تركا وزنجا،
واعتبرنا تقابل العسكرين
فابتداني بدفعه بيدق الفر
زان من حرصه على نقلتين
وأدار الفرزان في بيت صدر الـ
ـشاه نقلا يظنه غير شين
فعقدت الفرزان مع بيدق الصد
ر وسقت الفيلين في الطرفين
فتدانى بالرخ بيتا، وأجرى
خيله بين ملتقى الصفين
فرددت الفرزان ثم نقلت الفيـ
ـل في بيته على عقدتين
ثم شاغلته، وأرسلت فيلي
منجنيقا يرمي على القطعتين
فأخذت الفرزان حكما، وولى
رخه ناكصا على العقبين
ثم حصنت منه نفسي عن الشا
هـ بعقد الفرزان بالبيدقين
ثم برطلته ببيدق فيلي،
ودفعت الثاني على الفرسين
فأخذت اليمنى ، وأجفلت اليسـ
ـرى شرودا تجول في الحومتين
وتقدمت من خيولي بمهر
أدهم اللون مصمت الصفحتين
ثم سلطته على الشاه والر
خ فعجلت أخذه بعد ذين
ثم لقطت من بيادقه الشـ
ـرد خمسا، عاجلتهن بحين

فانثنى يطلب الفرار وجيـ

ـشي راجعا نحوه من الجانبين

ثم ضايقته، فلم يبق للشا

ه على رغمه سوى بيتين

فملكت الأطراف منه وسلط

ت عليه تطابق الرخين

ثم صحت اعتزل فشاهك قد ما

ت، بلا مرية ، وقد حل ديني

فكسا وجهه الحياء وأمسى

نادما سادما يعض اليدين

وانثنى باكيا يقبل كف

ي ويهوي طورا على القدمين

قائلا: إن عفوت قيل كما قيـ

ـل وما شاع عنك في الخافقين

إن في رتبة **الفتوة** أصلا

لك يعزى إلى أبي الحسنين

صاحب النص والأدلة والإجما

ع في المشرقين والمغربين

ومجلي الكروب عن سيد الرسـ

ـل ببدر وخيبر وحنين

قلت بشراك قد أقلتك إكرا." (١)

"ياه الرضاب الأشنب

العصر الأندلسي >> ابن الزقاق البلنسي >> غداة النوى زمت لبين ركائب

غداة النوى زمت لبين ركائب

رقم القصيدة : ٢٣٠٣٧

غداة النوى زمت لبين ركائب

---

(١) جميع دواوين الشعر العربي على مر العصور، ١٩١/٣٦٠

عليها قباب حشوهن كواعب

طلعن شموسا والديار مشارق

لهن وأحداج القلاص مغارب

تطاول ليلي بعد إمعان سيرهم

وآلى الدجى ان لا تغور الكواكب

فلا صبح إلا من محيا خريدة

ولا ليل إلا فوق صبح ذوائب

تأوبني منهن سهد وعبرة

فلا أدمعي ترقا ولا النوم آيب

عذاب الثنايا عذبت قلب مغرم

براه عذاب من جوى الحب واصب

العصر الأندلسي >> ابن الزقاق البلنسي >> وافت به غفلة الرقيب

وافت به غفلة الرقيب

رقم القصيدة : ٢٣٠٣٨

وافت به غفلة الرقيب

والنجم قد مال للغروب

سكران قد هزت الحميا

منه قضيبا على كثيب

يعثر في ذيله فيحكي

عثرة عينيه بالقلوب

تالله لو حازت الحميا

ما حاز من بهجة وطيب

دنا اليها الهلال حتى

قبل في كفها الخضيب

العصر الأندلسي >> ابن الزقاق البلنسي >> عذيري من هضيم الكشح أحوى

عذيري من هضيم الكشح أحوى

رقم القصيدة : ٢٣٠٣٩

عذيري من هضيم الكشح أحوى

رخيم الدل قد لبس الشبابا

أعد الهجر هاجرة لقلبي

وصير وعده فيها سرابا

العصر العباسي >> البحتري >> رقة النور واهتزاز القضيب

رقة النور واهتزاز القضيب

رقم القصيدة : ٢٣٠٤

رقة النور، واهتزاز القضيب،

خبرا منك عن أغر نجيب

في رداء من **الفتوة** فضفا

ض، وعهد من التصابي قريب

أنست ذا وذاك إحدى وعشرو

ن بغضن من الشباب رطيب

وكأن الربيع دبج أخلا

قك، والروض، يا أبا يعقوب

ما ثنائي بمدرك بعض نعما." (١)

"خروج الليث من سدف الغياض

تقلب أيديا متسابقات

إلى الغايات كالنبل المواضى

مددت زمامها والصبح باد

فما كفكفتها والليل غاضي

فما بلغت مغيب الشمس حتى

أضافت آتيا منه بماضي

أحال السيرجرتها رمادا

فراحت وهي خاوية الوفاض

وما كانت لتسأم ، غير أني

---

(١) جميع دواوين الشعر العربي على مر العصور، ١٦٧/٢٥١

رميت بها اعتزامي واعتراضي

هتكت بها ستور الليل حتى

خرجت من السواد إلى البياض

شعراء مصر والسودان >> محمود سامي البارودي >> رب **الفتوة** ، لا تسبق إلى عذل

رب **الفتوة** ، لا تسبق إلى عذل

رقم القصيدة : ٢٤٠٠٤

رب **الفتوة** ، لا تسبق إلى عذل

يبيت من مسه قلبي على مضض

فإن تكن هفوة أو زلة عرضت

فالسهم يصدف أحيانا عن الغرض

شعراء مصر والسودان >> محمود سامي البارودي >> إذا أنت أبغضت امرا فاحش ضره

إذا أنت أبغضت امرا فاحش ضره

رقم القصيدة : ٢٤٠٠٥

إذا أنت أبغضت امرا فاحش ضره

فأنت لديه، مثل ذاك بغيض

فإن قلوب الناس تمتاز فطرة

فمنها لبعض آلف ونقيض

وعاشر من الخلان من كان سالما

فليس سواء سالم ومريض

فقد لا يفيد القول نصحا وحكمة

إذا حال من دون القريض جريض

شعراء مصر والسودان >> محمود سامي البارودي >> تحبب إلى الإخوان بالحلم تغتنم

تحبب إلى الإخوان بالحلم تغتنم

رقم القصيدة : ٢٤٠٠٦

-----------------------------------." (١)

---

(١) جميع دواوين الشعر العربي على مر العصور، ١١٧/٢٧١

"أشكوه في جد وفي لعب

فلسان من عرفت بلاغته

أمضى . إذا ما قال . من عضب

العصر العباسي >> البحتري >> يا أبا صالح صديق الصلاح

يا أبا صالح صديق الصلاح

رقم القصيدة : ٢٤٤٠

يا أبا صالح، صديق الصلاح،

وشقيق الندى، وترب السماح

لا أظن الصباح يوفي بإشرا

ق خلال في ساحتيك صباح

أي شيء يفي بعرفك، إلا

أرج المسك في نسيم الرياح

غير أن **الفتوة** انجذبت منـ

ـك بمعدي إلى الصبا ومراح

حيث ذل الحجى وعز التصابي،

وأقام الهوى، وسار اللاحي

منعظ الطرف لا يزال يوالي

لحظات يحبلن قبل النكاح

ومغير على الأصابع باللمـ

ـس لها في أسافل الأقداح

أو تبيت التراس من غير حرب،

يتصدعن عن صدور الرماح

نحن في قطعة وشغلك عنا

بوصال الأستاه والأحراح

ولعمري لرب يوم شفعنا

منك سقيا الندى بسقيا الراح

العصر العباسي >> الشريف المرتضى >> من ذل لى عينا على غمضها

من ذل لى عينا على غمضها

رقم القصيدة : ٢٤٤٠٠

من ذل لى عينا على غمضها

ليلة ضاع الغمض من كفي

أسهرنى فى حبه راقدا

واستلب الرقدة من طرفى

من يعشق الظلم فما عنده

لعاشق شىء من النصف

ويمقت الوعد فإن أمه

نغصه بالمطل والخلف

العصر العباسي >> الشريف المرتضى >> بلغنا ليلة "الشعب"

بلغنا ليلة "الشعب"

رقم القصيدة : ٢٤٤٠١

بلغنا ليلة "الشعب"

عجالا منية الحب

تلاقينا كما شئنا

بلا علم من الركب

وطيف طاف في ظميا

ء والإصباح في الحجب

جفت عيني وجاءت في

دجى الليل إلى قلبي

وزالت عب ما زارت

وما قلت لها: حسبي." (١)

"ليست بأول حملان شريت به

حمدي ولا هي يا ذا الجود آخره

---

(١) جميع دواوين الشعر العربي على مر العصور، ٤٥٢/٢٧١

كم قد تقدمها من سابح بيدي

عنانه وعلى الجوزا حوافره

العصر العباسي >> الواواء الدمشقي >> شربنا على النهر لما بدا

شربنا على النهر لما بدا

رقم القصيدة : ٢٧٢٤٨

شربنا على النهر لما بدا

بموج يزيد وضلا ينقص

كأن تكاثف أمواجه

معاطف جارية ترقص

العصر العباسي >> الواواء الدمشقي >> أستودع الله في بغداد لي قمرا

أستودع الله في بغداد لي قمرا

رقم القصيدة : ٢٧٢٤٩

أستودع الله في بغداد لي قمرا

بالكرخ من فلك الأزرار مطلعه

ودعته وبودي أن تودعني

روح الحياة وأني لا أودعه

وكم تشبث بي يوم الرحيل ضحى

وأدمعي مستهلات وأدمعه

وكم تشفع في أن لا أفارقه

وللضرورة حال لا تشفعه

العصر العباسي >> البحتري >> بوركت من قبل ظريف كيس

بوركت من قبل ظريف كيس

رقم القصيدة : ٢٧٢٥

بوركت من قبل ظريف، كيس،

عف اللسان، عن الفواحش أخرس

حر، تصب به القلوب، ويفتدى،

من رقة وحلاوة، بالأنفس

فلنعم ريحان الندامى أنت إن

عزموا الصبوح، ونعم حشو المجلس

بالشعر تنشده الجليس، فينتشي

طربا، وبالخبر الخطير المنفس

ما لي أرى الأدباء أحرز جلهم

خصل الثراء، وأنت عين المفلس

قد كان حقك أن تغلس في الغنى

بمغلس بن حذيفة بن مغلس

بصديقك الصدق الذي جمعتكما

قدم **الفتوة**، وارتضاع الأكؤس

العصر العباسي >> الواواء الدمشقي >> ما ترى النيل عليه." (١)

"علام ولا سدت علي مذاهبي

ولا عاقني ترغيب أمر وترهيب

إذا أقعدتني الحادثات أقامني

لنيل العلى عزم وحزم وتجريب

وإن أنا جبت البيد في طلب العلى

فكم جابها قبلي كرام وما عيبوا

تجاذبني الأيام فضل مقادتي

ومن دونه فرع السماكين . مجذوب

وما عذر من يرجو من الدهر سلمه

وقد أمكنته المرهفات القراضيب

لقد آن أن يصفو من العز موردي

فينجح مأمول ويرتاح مكروب

أنفت لمثلي أن يرى وهو واله

وما أنا ممن تزدهيه الأطاريب

أبيت فلا يغشى جنابي طارق

---

(١) جميع دواوين الشعر العربي على مر العصور، ٤٦٧/٣٣١

كأني ضنين من نوالي محجوب

أبى لي مجدي **والفتوة** والنهى

وهمة نفس أنتجتها المناجيب

وقد علمت قومي وما بي غباوة

بأني لنيل المكرمات لمخطوب

وهذا أبي لا الظن فيه مخيب

ولا المجد متعوس ولا الرأي مكذوب

له من صميم المجد أرفع رتبة

ومن هاشم نهج إلى الفخر ملحوب

وهل هو إلا دوحة قد تفرعت

فكنت لها غصنا نمته الأنابيب

وما ذات نشر قد تضاحك نورها

وهل بها من مدمع المزن شؤ بوب

تغان لها ريح الصبا إن تنفست

وللشمس تفضيض عليها وتذهيب

ينافس رياها من المسك صائك

ومن نفحات المندل الرطب مشبوب

بأعبق نشرا من لطيمة خلقه

إذا فض عنها من مكارمه طيب

همام إذا ما هم أمضى على العدى

من العضب حدا وهو أبيض مذروب

تريك زؤام الموت لحظة بأسه

وماء الحيا من جود كفيه أسكوب

هو الأبلج الوضاح فوق جبينه

ضياء من النور الالهي مكتوب

حفي باكرام النزيل إذا أوى

إلى سوحه آواه أهل وترحيب

فتى ثقلت أيدي نداه على الطلى

فأطت كما أطت لاعبائها النيب

أقام عماد الملك بعد ازوراره

فأمسى له نص اديه وتطنيب

أترب المعالي والعوالي وربها

ومن ضاق في علياه وصف وتلقيب." (١)

"وأنت المجد مقسوم مشاع

وهبت لنا العناية، بعدما قد

نراها عند أقوام تباع

ولم تحظر علينا الجاه، حتى

جرت عنه المذانب والتلاع

ففعلك، إن سئلت، لنا مطيع،

وقولك، إن سألت، لنا مطاع

مكارم منك، إن دلفت إلينا

صروف الدهر، فهي لنا قلاع

خلائق، لا يزال يلوح فيها

عيان للمدبر، أو سماع

أمنا أن تصرع عن سماح،

وللآمال في يدك اصطراع

خلال النيل، في أهل المعالي،

مفرقة، وأنت لها جماع

دنوت تواضعا، وبعدت قدرا،

فشأناك انحدار، وارتفاع

كذاك الشمس تبعد إن تسامى،

ويدنو الضوء منها، والشعاع

وقد فرشت لك الدنيا، مرارا،

مراتب، كلها نجد يفاع

فما رفع التصفح منك طرفا،

---

(١) جميع دواوين الشعر العربي على مر العصور، ٣١٠/٣٥١

ولا مالت بأخدعك الضياع

العصر الأندلسي >> ابن معصوم المدني >> أناس عفيف الدين أم أنت ذاكر

أناس عفيف الدين أم أنت ذاكر

رقم القصيدة : ٢٧٦٢٠

أناس عفيف الدين أم أنت ذاكر

عهودا سقتهن العهاد البواكر

ومثلك من لم ينس عهدا وإنما

هو الدهر لا يلفى على الدهر ناصر

وما أنت ممن يبخس الود عنده

ولكن قضاء أوجبته المقادر

أروم لك العذر الجميل مصححا

وفاك وقد كادت تضيق المعاذر

أعيذك أن أمسي لودك عامرا

ويصبح ودي وهو عندك داثر

أبى لك أصل في المروءة طاهر

وفرع بأنواع الفتوة ظاهر

وإن تنسك الأيام عهدي فإنني

وحقك للعهد القديم لذاكر

إليك أخا الهيجاء نفثة موجع

رآك لها أهلا فهل أنت شاكر

ودم وابق واسلم ما تألق بارق

وهب نسيم واستهلت مواطر

العصر الأندلسي >> ابن معصوم المدني >> وافى خيالك بعد طول نفار

وافى خيالك بعد طول نفار." (١)

"ولا رعى لي عهودا نقضها يصم

قد كنت أحسبه بالغيب يحفظني

---

(١) جميع دواوين الشعر العربي على مر العصور، ٣٥٩/٣٥١

ولو زواني عنه الموت والعدم

حتى إذا غبت عنه قام منتهبا

داري وراح لما خلفت يغتنم

تالله ما فعل الأعداء فعلته

كلا ولا اهتضموا ما ظل يهتضم

هلا نهاه نهاه أو حفيظته

عن سلب ما حلي النسوان والحرم

وافى بهن وما أوفى بذمته

سلبا عواطل لا سور ولا خدم

أين **الفتوة** إن لم ينهه ورع

ولم يخف غب ما قد راح يجترم

هبه أضاع إخائي غير محتشم

أليس عن دون هذا المرء يحتشم

كأنه كان مطويا على إحن

فعندما غبت عنه راح ينتقم

ما كان هذا جزائي إذ رعيت له

حق الاخاء ولكن للورى شيم

فقل سلام على الأرحام ضائعة

فقد لعمري أضاعت حقها الأمم

العصر الأندلسي >> ابن معصوم المدني >> يا قائلا إن القشر البن قد حرما

يا قائلا إن القشر البن قد حرما

رقم القصيدة : ٢٧٧١٥

يا قائلا إن القشر البن قد حرما

لكونه مفسدا عقل الذي طعما

إفساده العقل ممنوع كما شهدت

به التجارب فاسأل من به علما

وإن بتحريمه أفتى مكابرة

أبو كثير فدعه والذي زعما

فليس تحريمه يوما بضائرنا

إذ كان إفساده للعقل قد عدما

وما يحلل شيئا أو يحرمه

إلا الذي خلق الأشياء لا العلما

العصر الأندلسي >> ابن معصوم المدني >> ليقعد الدهر بي ما شاء وليقم

ليقعد الدهر بي ما شاء وليقم

رقم القصيدة : ٢٧٧١٦

ليقعد الدهر بي ما شاء وليقم

ليس التضاؤل للأهوال من شيمي

ما جرد الدهر عضبا من فوادحه

إلا وجردت عضبا من شبا همي

كم عاذر عاذل في الدهر قلت له

أقصر فليتك لم تعذر ولم تلم

غيري لتهدي الليالي ولتضل به

فلست منها على حال بمتهم

أنضو الليالي وتنضوني منادمة

وما قرعت بها سنا من الندم

فقل لمن سامني صبرا على مضض

من القطيعة عمدا غير محتشم

لا تحسبني وإن ألفيتني سلما." (١)

"أيام روض العيش يشرق نوره

وتميس من طرب به أغصانه

يا أيها الشهم الذي أثنى على

فتكاته يوم الطعان سنانه

أهديت من غرر المعاني معجزا

---

(١) جميع دواوين الشعر العربي على مر العصور، ٤٤٥/٣٥١

بهر العقول بديعه وبيانه

لله درك ناطقا يقضي على

حر الكلام بما يشاء لسانه

ومحبرا وشي القريض إذا امتطى

متن البراعة للبيان بنانه

ومبرزا إن رام سبقا أقصرت

عن أن تحاول شأوه أقرانه

قسما بأيمان **الفتوة** والوفا

وقديم عهد أسست أركانه

إن الوداد كما عهدت وإنما

هذا الزمان تلونت ألوانه

والعذر في تركي دعاءك مسرعا

عذر وحقك واضح برهانه

لكن عسى قد آن إبان اللقا

والشيء يقبل إن أتى إبانه

فيلين من دهري بذلك ما قسا

ويعود بعد إساءة إحسانه

العصر العباسي >> البحتري >> بين الشقيقة فاللوى فالأجرع

بين الشقيقة فاللوى فالأجرع

رقم القصيدة : ٢٧٧٤

بين الشقيقة ، فاللوى، فالأجرع،

دمن حبسن على الرياح الأربع

فكأنما ضمنت معالمها الذي

ضمنته أحشاء المحب الموجع

لو أن أنواء السحاب تطيعني

لشفى الربيع غليل تلك الأربع

ما أحسن الأيام، إلا أنها

يا صاحبي، إذا مضت لم ترجع

كانوا جميعا، ثم فرق بينهم

بين كتقويض الجهام المقلع

من واقف في الهجر ليس بواقف،

ومودع بالبين غير مودع

ووراءهم صعداء أنفاس، إذا

ذكر الفراق أقمن عوج الأضلع

أما الثغور، فقد غدون عواصما

لثغور رأي، كالجبال الشرع

مدت ولاية يوسف بن محمد

سورا على ذاك الفضاء البلقع

لا يرهب الطرف البعيد تطرفا،

عاد المضيع، وهو غير مضيع

وهي الوديعة لا يؤمل حفظها،

حتى تصح حفيظة المستودع." (١)

"وإن ولاء المعتقين من الردى،

يفوق ولاء المعتقين من الرق

بقيت أمير المؤمنين لأمة،

سلكت بها نهج السبيل إلى الحق

بوجهك تستعدي على الدهر، كلما

أساء، كما كانت بجدك تستسقي

العصر العباسي >> البحتري >> يابن المدبر يا أبا إسحاق

يابن المدبر يا أبا إسحاق

رقم القصيدة : ٢٨٦٣

يابن المدبر، يا أبا إسحاق،

غيث الضريك وطارد الأملاق

---

(١) جميع دواوين الشعر العربي على مر العصور، ٤٦٠/٣٥١

عش للمروءة، **والفتوة**، والعلا،

ومحاسن الآداب، والأخلاق

أما مسامعنا الظماء، فإنها

تروى بماء كلامك الرقراق

وإذا النوائب أظلمت أحداثها،

لبست بوجهك أحسن الإشراق

وإذا غيومك أبرقت لم تكترث

للخطب ذي الإرعاد، والإبراق

حفظ القريض، فما يضيع حقه

أبدا، وأنت له من العشاق

ها إنه وعطاءك الجم اللهى

أخوان، ذا فان، وهذا باق

أثني عليك، بما بسطت به يدي،

وحللت من أسر الزمان وثاقي

هي همة، لو قيست الدنيا بها

فضلت جوانبها عن الآفاق

كنت الغريب، فمذ عرفتك عاد لي

أنسي، وأصبحت العراق عراقي

العصر العباسي >> البحتري >> في حضور الفراق عند لقائيك

في حضور الفراق عند لقائيك

رقم القصيدة : ٢٨٦٤

في حضور الفراق عند لقائيك

احتراق يفوق كل احتراق

وإذا ما نأيت هون ما ألقاه

من نأيكم رجاء التلاقي

ليتني قد رأيت وجهك عن قرب

،فأني إليك بالأشواق

العصر العباسي >> البحتري >> كم صديق عرفته بصديق

كم صديق عرفته بصديق

رقم القصيدة : ٢٨٦٥

كم صديق عرفته بصديق." (١)

"-----------------------------------

سرب محاسنه حرمت ذواتها

داني الصفات بعيد موصوفاتها

أوفى فكنت إذا رميت بمقلتي

بشرا رأيت أرق من عبراتها

يستاق عيسهم أنيني خلفها

تتوهم الزفرات زجر حداتها

وكأنها شجر بدت لكنها

شجر جنيت الموت من ثمراتها

لا سرت من إبل لواني فوقها

لمحت حرارة مدمعي سماتها

وحملت ما حملت من هذي المها

وحملت ما حملت من حسراتها

إني على شغفي بما في خمرها

لأعف عما في سرابيلاتها

وترى المروة والفتوة والأبو

ة في كل مليحة ضراتها

هن الثلاث المانعاتي لذتي

في خلوتي لا الخوف من تبعاتها

ومطالب فيها الهلاك أتيتها

ثبت الجنان كأنني لم آتها

ومقانب بمقانب غادرتها

---

(١) جميع دواوين الشعر العربي على مر العصور، ١٢١/٣٧١

أقوات وحش كن من أقواتها

أقبلتها غرر الجياد كأنما

أيدي بني عمران في جبهاتها

ألثابتين فروسة كجلودها

في ظهرها والطعن في لباتها

ألعارفين بها كما عرفتهم

والراكبين جدودهم أماتها

فكأنما نتجت قياما تحتهم

وكأنهم ولدوا على صهواتها

إن الكرام بلا كرام منهم

مثل القلوب بلا سويداواتها

تلك النفوس الغالبات على العلى

والمجد يغلبها على شهواتها

سقيت منابتها التي سقت الورى

بندى أبي أيوب خير نباتها

ليس التعجب من مواهب ماله

بل من سلامتها إلى أوقاتها

عجبا له حفظ العنان بأنمل

ما حفظها الأشياء من عاداتها

لو مر يركض في سطور كتابة

أحصى بحافر مهره ميماتها

يضع السنان بحيث شاء مجاولا

حتى من الآذان في أخراتها." (١)

"_________________________________

أنت معنى الفتوة

تهجئة العيش حتى القرار : الثمالة

راعي تقاليدنا

---

(١) جميع دواوين الشعر العربي على مر العصور، ١٧/٤٦١

في التسكع ، والعرق المر

أو قول : لا !

أنت من راوغ السيف

واستنفد الخوف

واعتبر الحرف حتى غلا ...

كيف خلفتني في المفازة ؟

كيف انتهيت إلى أن تغادرني أولا ؟

شعراء العراق والشام >> سعدي يوسف >> دم فاسد

دم فاسد

رقم القصيدة : ٥٨٢١

دم فاسد

Mauvais sang

قال رامبووووووووووو ؛

إذا ، كيف جئت ، تحاسبني ، في الصباح المبكر ؟

لم تحترم قهوتي المرة ،

الطير في "كستناء الحصان " ...

و لا غفلتي ،

- أنت تعرف أني أسهو -

ولم تبتدرني ، كما يفعل الناس ، ما قلت حتى : " صباحك خير ... "

وجئت تحاسبني ...

لأقل أولا : من تكون ؟

ولأقل ثانيا : هل لك الحق في أن تكون جليسي على قهوة الصبح ؟

لا بأس

فلنحترم ، مثل كل العباد ، الحقيقة :

نحن ، هنا ، جالسان معا ...

OK ؟

OK...

هل ستتركني قبل أن تكمل الجملة المتعثرة ؟

اصبر قليلا

وأتمم ...

فما نفع أن تتزود من قهوتي المرة ؟

الصبح ليس زمان الهروب

المسدس ليس سلاح دفاع ...

أقم

وارتشف ، رائقا ، قهوتي مرة ؛

أرهف السمع للطير في الوكنات الرفيعة من "كستناء الحصان " ؛

دمي فاسد

أنت تعرف هذا ...

وتعرف أن الفساد مقيم به ، أحمر ، كالكريات حمراء

لا تفزعن !

اطمئن ...

فليس الذي بي مثل الذي بك ...

والثورة المستحيلة أبعد من أن تراك !

شعراء العراق والشام >> سعدي يوسف >> القطار الإيرلندي

القطار الإيرلندي

رقم القصيدة : ٥٨٢٢

في دبلن

كان قطار الليل ، الحانة

حانة فيتزجيرالد

وأنت تغمغم في إحدى عربات المطعم :." (١)

"راعنا أن يزول عنا ، وإنا

لم نطق أن نطيل حبل حياته

قد أردنا حمل البشائر للعلم

فكنا لأهله من نعاته

---

(١) جميع دواوين الشعر العربي على مر العصور، ٦٨/٤٩١

إن في ((مصر)) و((الشآم)) دويا

ما سمعنا قبل يوم وفاته

وأحس ((العراق)) حين أتاه

النعي طعم الردى بماء ((فراته))

و((بلبنان)) رجفة تتمشى

في ينابيعه وفي نسماته

فتح الموت حين أغمض عينيه

عيون الورى على حسناته

فهو ماض له جلاله آت

من فتوحاته ومن غزواته

والفتى العبقري يولد إذ يولد

في مهده، ويوم مماته

شعراء العراق والشام >> إيليا أبو ماضي >> ليس السر في السنوات

ليس السر في السنوات

رقم القصيدة : ٦٧٦١٢

قل للذي أحصى السنين مفاخرا

يا صاح ليس السر في السنوات

لكنه في المرء كيف يعيشها

في يقظة ، أم في عميق سبات

قم عد آلاف السنين على الحصى

أتعد شبة فضيلة لحصاة؟

خير من الفلوات ، لا حد لها ،

روض أغن يقاس بالخطوات

كن زهرة ، أو نغمة في زهرة،

فالمجد للأزهار والنغمات

تمشي الشهور على الورود ضحوكة

وتنام في الأشواك مكتئبات

وتموت ذي للعقم قبل مماتها

وتعيش تلك الدهر في ساعات

تحصى على أهل الحياة دقائق

والدهر لا يحصى على الأموات

ألعمر ، إلا بالمآثر، فارغ

كالبيت مهجورا وكالمومات

جعل السنين مجيدة وجميلة

ما في مطاويها من الحسنات

شعراء العراق والشام >> إيليا أبو ماضي >> فقيد الوطنية

فقيد الوطنية

رقم القصيدة : ٦٧٦١٣

رثى بها فقيد المنابر الطيب الذكر المغفور له مصطفى باشا كامل.

....

بكيت ولكن بالدموع السخينة

وما نفذت حتى بكيت بمهجتي

على كامل الأخلاق والندب مصطفى

فقد كان زين العقل زين الفتوة

نعاه لنا الناعي فكادت بنا الدنى

تميد لهول الخطب خطب المروءة

وذابت قلوب العالمين تلهفا

وسالت دموع الحزن من كل مقلة

أجل قد قضى في مصر أعظم كاتب

فخلف في الأكباد أعظم حسرة

ولو كان يفدى بالنفوس من الردى

جعلنا فداه كل نفس أبية." (١)

"فرجعت أخيب ما يكون مؤمل

راج وأخسر ما يكون الخاسي

(١) جميع دواوين الشعر العربي على مر العصور، ٥٥/٣٣٦

نرجو الخلاص بغاشم من غاشم
لا ينقذ النخاس من نخاس
ونقيس ما بين الثريا والثرى
وأمورنا تجري بغير قياس
نغشى بلاد الناس في طلب العلى
وبلادنا متروكة للناس
نكاد نفترش الثرى وبأرضنا
للأجنبي موائد وكراسي
وتلوح هاجرها على نسيانه
واللائم الناسين أول ناسي
ونبيت نفخر بالصورام والقنا
ورقابنا ممدودة للفاس
كم صيحة للدهر في آذاننا
مرت كما مرت على أرماس
تفنيك أوجههم وحسن خلاقهم
عن كل ورد في الروض وآس
أنا بينهم أسد وجدت عرينتي
أنا بينهم ظبي وجدت كناسي
وطني أحب إلي من كل الدنى
وأعز ناس في البرية ناسي
فلتحي سوريا التي نحيا لها
وليحي لبنان الأشم الراس
شعراء العراق والشام >> إيليا أبو ماضي >> الخمر والدنيا
الخمر والدنيا
رقم القصيدة : ٦٧٨٦٤

يشرب بنت الكرم بعض الناس
لكربة في النفس أو وسواس
وبعضهم لأنه قد ظفرا

وبعضهم لأنه قد خسرا

وبعضهم لأنهفي فرح

وبعضهم لأنه في ترح

وبعضهم كي يترد الأمسا

وبعضهم يجرعها كي ينسى

وبعضهم ليستفيد قوة

وبعضهم لسورة الفتوة

وبعضهم كيما يحل مشكله

وبعضهم لأنه لا شغل له

وبعضهم عن رغبة وعن هوى

وبعضهم لعله يرضي السوى

وبعضهم من حبه للبائع

وبعضهم نكاية للمانع

وبعضهم يشربها أحيانا

وبعضهم في أي وقت كانا

وبعضهم مع صحبة في الدار

وبعضهم في حانة الخمار

وبعضهم مع زمرة الندمان

وبعضهم في وحدة الرهبان

وبعضهم في الصيف ذي الرمضاء

وبعضهم في زمن الشتاء

وبعضهم عند انجياب الظلمه

وبعضهم عند طلوع النجمه

وبعضهم يذمها استهجانا

وبعضهم يمدحها استحسانا

لكنهم كلهم يحسوها

ألمادحوها والمقبحوها

فما وجدت في زماني رجلا

وقلت: هل تحبها ؟ فقال: لا

وسر هذا أنها كالدنيا

تؤذي ولكت مع أذاها تهوى

شعراء العراق والشام >> إيليا أبو ماضي >> ضيف ثقيل

ضيف ثقيل

رقم القصيدة : ٦٧٨٦٥." (١)

"ك نفسا أحبها وارتضاها

أو تجلى لها الحقائق كشفا

فترى عنه عامضات عماها

قصرت عنك بالثناء وبالحم

د لساني وعزني أملاها

نسبتي للمديح فيك كما بني

وبين النجوم وسط سماها

قد تبركت بالثناء على وجه

ك ابغي به مع الله جاها

فاجزني بدعوة تجمع الخي

رات لي في الدنيا وفي عقباها

ظهرت منك في الوجود كراما

ت رجوت الامداد من جدواها

هل اتى النحلة الاباضية الغراء

ان افلحت بدرك مناها

اذ اتاح التوفيق والقدر السا

بق ارغام كل من ناواها

بتمام التفسير طبعا على هم

ة املاكها واسد شراها

فدعتني هواتف الحق للتا

ريخ والبشر شامل اياها

---

(١) جميع دواوين الشعر العربي على مر العصور، ٧/٥٧١

قلت ارخ دوام "جد وبشر"

ان هميان الزاد طبعا تناهى

قيل فامدح زابا وزد قلت زاب

علم الجهل ظلمة فجلاها

شعراء الجزيرة العربية >> أبو مسلم البهلاني العماني >> يا أخا عبس

يا أخا عبس

رقم القصيدة : ٦٦٨٤٥

يا أخا عبس الحماة الأنوف

والكريم الموصوف بالمعروف

هزك الفضل **والفتوة** والسؤ

دد والمجد كاهتزاز السيوف

أنت فينا مرزء تحمل الك

ل وتنفي رزئية الملهوف

ان قصدت العلى فليس عجيبا

ليس قصد الشريف غير الشريف

أنت منا كدرة التاج في التا

ج ومثل الربيع حذو الخريف

أنت دون التوصيف فخر لعبس

لم تزد في علاك بالتوصيف

رقم المجد للسراة حروفا

وبيمناك رقم تلك الحروف

قد ملأت الزمان مجدا وفضلا

قف قليلا قد ضاق وسع الظروف

كل شأو من دون شأوك والمق

دار من أي تالد وطريف

ليس من يدعي الفخار يساوي

ك ولا كل ما بنوا بمنيف

لم أصارفك بالرجال وقد أيقن

ت منهم ببهرج وزيوف

ما ظننت الزمان يجحد فضلي

غير أن الزمان جم الصروف

طالما شمر الأعادي لهضمي

فدهاهم مجدي برغم الأنوف

هذه سيرتي وسيرة دهري

حسدوني وأنكروا معروفي

إن نسيت الأشياء لم أنس يوما

كنت لي فيهم غرار السيوف

حاولوا ما رقمته من كمالي

حنقا بالتحريف والتصحيف

بخسوني وطففوا الكيل زورا

ولهم منك سورة التطفيف

هكذا يا أخا المناقب رأي الدهر." (١)

"-----------------------------------

يأيها الجيل الجديد سلام

ألقت إليك بثقلها الأعوام

ورمت بكلكلها عليك فوادح

مما تجنى " السادرون " ، جسام

ألقت إليك وأنت أشرف ناهض

ثقليهما الآمال والآلام

فرمى لك الماضي الأليم بوزره

ورنا لك المستقبل البسام

والحاضر المرتج بينهما شجا

وتطلعا تهفو به الأحلام

ألقى إليك" الخائنون" نتاج ما

---

(١) جميع دواوين الشعر العربي على مر العصور، ٥٩١/٤٢٠

سدروا وشطوا وارتعوا وأساموا

والمخلصون ، رجاؤهم أن تنجلي

كرب وأن يلد الصباح ظلام

يأيها الجيل الجديد وطالما

لصقت بغير ذواتها الأعلام

ولطالما اشتط الطغاة وأرجفوا

للمصلحين وأقعدوا وأقاموا

سموك " هداما " لأنك تحتوي

ما البغي سن وما جنى الإجرام

ولانك استمت العدالة خطة

من في يديه النقض والإبرام

وغضبت أن تجد الرعايا مغنما

بيد الرعاة كأنهم أنعام

وشجبت أن الحكم في قاموسهم

سوط يشد وشهوة وعرام

هون عليك فكل ذلك فرية

تفنى . ويبقى السعي والإقدام

وكذاك كل " مخرب " لرذيلة

بان ، وكل " معمر " هدام

شعراء العراق والشام >> محمد مهدي الجواهري >> إلى الوفد الرياضي الإيراني ..

إلى الوفد الرياضي الإيراني ..

رقم القصيدة : ٦٦٨٧٠

أهلا بكم رمز الشباب ومرحبا

المطلعين من " الفتوة " كوكبا

الحاملين من " النضال " لواءه

والناهجين به الطريق الألحبا

والناشرين من الأخوة مذهبا

هو خير ما ارتضت الشرائع مذهبا

يا من أعين " قديمنا " بقديمهم

و " حديثنا " بحديثهم فتأشبا

وتسلسل التاريخ فيما بيننا

متقاسمين " أمره " و " الأعذبا "

إنا وانتم – والتوجع واحد –

ليزيدنا المستعمرون تقربا

ليزيدنا الألم الدفين تماسكا

ليزيدنا صهر الخطوب تصلبا

شعراء العراق والشام >> محمد مهدي الجواهري >> أرج الشباب...

أرج الشباب...." (١)

"رقم القصيدة : ٦٦٨٧١

أرج الشباب وخمره المسكوب

ليفوح من أردانكم ويطيب

ومن الربيع نضارة بوجوهكم

تندى . ومن شهد الحياة ضريب

ومن الفتوة سلسل متحدر

مما يفيض يكاد يترع كوب

ولأنتم إن غاب نجم يقتدى

أو حم خطب حالك غربيب

وتأزمت كرب ، وضاقت خطة

واستوحشت طرق لنا ودروب

سرج تنير الخابطين ، وأنجم

نغدو على أضوائها ونؤوب

تتجهم الدنيا ، ويعبس باسم

منها ، ويعتور الحياة قطوب

---

(١) جميع دواوين الشعر العربي على مر العصور، ٤٦٥/٥٩١

حتى إذا ابتسم " الشباب " تذوبت
كالغيم في الصحو الجميل يذوب
يا عاكفين على " الدروس " كأنهم
غلب الصقور من الظماء تلوب
والعازفين عن اللذائذ همهم
" جرس " يدق ومنبر وخطيب
تركوا مواعيد الحسان وعندهم
بين المقاعد موعد مضروب
أشهى من الوجه الجميل إليهم
وجه " الكتاب " ووده المخطوب
إن العراق بلا نصير منكم
وبلا مجير ، مقفر وجديب
عاشت سواعدكم فهن ضوامن
أن يسترد من الحقوق سليب
وزكت عواطفكم فأية ثروة
منها نكافيء مخلصا ونثيب
ولأنتم أنتم – وليس سواكم –
أمل البلاد وذخرها المطلوب
ولأنتم إذ لا ضمائر ترتجى
للرافدين ، ضمائر وقلوب
ولأنتم إن شوشت صفحاتنا
مما أجد نقائص وذنوب
الطاهرون كأنهم ماء السما
لم يلتصق درن بهم وعيوب
إنا وقد جزنا المدى وتقاربت
آجالنا . وأمضنا التجريب
وتحالفت أطوارنا وتمازجت
ونبا بنا التقريع والتأنيب
وتخاذلت خطواتنا من فرط ما

جد السرى ، والشد ، والتقريب

لنراكم المثل العلي لأمة

ترمي إلى أهدافها وتصيب

هي أمة لم تحتضن آمالها

وغدا إلى أحضانكم ستؤوب

وغدا يكفر والد عما جنى

ظلما على يد إبنه ويتوب

فتماسكوا فغد قريب فجره." (١)

"ذكر الفريق المنجدين عميدا

رحلوا عشية فارقوهبعقله

و قضوا عليه بأن يموت شهيدا

يسقى الغرام بعبرة مسفوحة

جعلت محاجر خده أخدودا

لو حملت هوج المطي غرامة

ما جاوزت وادي الأراك وجودا

يا صائد الظبيات باعك قاصر

كم رام غيرك أن يصيد فصيدا

تمسي سمير النجم وحدك ساهرا

والركب دونك في الرحال هجودا

و تظل تنشدهم فؤادا لم يكن

مع غير غزلان الحمى منشودا

فتعال نسمعك السجوع برامة

سحرا ونذكرك النقا وزرودا

و اسنح نقص عليك من أنبائها

ما كان منها قائما وحصيدا

يا ليت شعري هل لعيش بالحمى

زمن تألف شمله فيعودا

---

(١) جميع دواوين الشعر العربي على مر العصور، ٥٩١/٤٦٦

وطن عهدت به حبيبازائرا

و هوى يطيب ومعهدامعهودا

و زمان أنسبالوصال وجيرة

كانوا فبانوا منزلاو صدودا

نزلوازبيد فليت كل غمامة

تسقى منازل نازلين زبيدا

أرضغدا روض المروءة ناضرا

فيها وطلع المكرمات نضيدا

و بلاد اشتملت جوانبهاعلى

أمل العناة صوادرا وورودا

قمر الفتوة عصمة العرب الذي

لولاه لم يكنالجداموجودا

إن ابن إسماعيل أحمدلم يزل

في سلك أرباب الوفامعدودا

زرهتجده العالمين وداره ال

دنياو سائر من لقيت وفودا

متفيئين ظلال كل كرامة

في ريف رأفة من سمافيسودا

أعلى الورى شرفاو أطولهم يدا

و أمدهم ظلاو أصلب عودا

ما زال في شرف الولاية جوهرا

يسموبه شرف الوجودوجودا

يا ظامىء الآمال في طلب الغنى

قف حيث تلقى الطالع المسعودا

وانزلعلى الكرم العريضفربما

أغنتك دجلة عن ثماد ثمودا

بموطإ الأكناف تمطر كفه

للسائلين ملابساو نقودا

خلق أرقمن النسيم ونفحة

تغنى العديم وتنجد المجهودا

و سريرة مرضية و عزيمة

علوية سمت السماء صعودا

الله أكبر ذاالذي من أمه

لنداه ولي الفقرعنه شريدا

ذا البحرعلماذا النجوم طلائعا

ذا الصخر حلماذا الغمامة جودا." (١)

"نجوم سمائها الحبب

تجيش بما أفاء الطر

ف والمجنوبة النجب

و ترطن مثل ما جعلت

نساء الزنج تصطخب

و أحدقنا بأزهر خا

فقات فوقه العذب

يواصل في اسمه فضل ال

مقرب ثم يجتنب

فما ينفك من سبج

يعود كأنه ذهب

و إخوان الصفاء إلي

ك مشتاق ومكتئب

و ذكرك بينهم أزكى

من الريحان إن شربوا

و قد وافاك موكبهم

فكن حرا كما يجب

العصر العباسي >> السري الرفاء >> تصابى فأضحى بعد سلوته صبا

---

(١) جميع دواوين الشعر العربي على مر العصور، ٧٧١/٤٩٠

تصابى فأضحى بعد سلوته صبا

رقم القصيدة : ٥٩٥٣٧

تصابى فأضحى بعد سلوته صبا

و عاود عمرو طوقه بعد ما شبا

و مر به رطب البنانكأنه

يميل من أعطافه غصنا رطبا

نشرت له صدر العتابفقال لي

ظفرت بنا فاطو العتابلك العتبى

و لا وصل إلا أن تبيت أكفنا

ركائب تزجي من مدامتنا ركبا

فجدد بها عهد التواصل بيننا

و داو بها شوقا ونفس بها كربا

و كنيا بن فهدفي **الفتوة** عاذري

فما زلت خدنا للفتوة أو تربا

و لا تجعل الذنب العظيم خيانة

فليس مليح الذنب مقترفا ذنبا

العصر العباسي >> السري الرفاء >> يا حسن لينوفر شغفت به

يا حسن لينوفر شغفت به

رقم القصيدة : ٥٩٥٣٨

يا حسن لينوفر شغفت به

يمنحه الماء صفو مشروبه

كأنه عاشق به ظمأ

توهم الماء ريق محبوبه

العصر العباسي >> السري الرفاء >> هل للوزير أدام الله دولته

هل للوزير أدام الله دولته

رقم القصيدة : ٥٩٥٣٩

هل للوزير أدام الله دولته

في صاحب يتحرى نصح من صحبا." (١)

"في فيك خمر وفي عطف الصبا ميد

فما تثنيك إلا من ثناياك

وما بكيت لكوني فيك ذا تلف

إلا لكون سعير القلب مأواك

بالرغم ان لم أقل يا أصل حرقته

ليهنك اليوم إن القلب مرعاك

يا أدمعا لي قد أنفقتها سرفا

ما كان عن ذا الوفا والبر أغناك

ويا مديرة صدغيها لقبلتها

لقد غدت أوجه العشاق ترضاك

مهما سلونا فلا نسلو ليالينا

وما نسينا فلا والله ننساك

نكاد نلقتاك بالذكرى إذا خطرت

كأنما اسمك يا سعدي مسماك

وتشتكي الطير نعابا بفرقتنا

وما طيور النوى إلا مطاياك

لقد عرفناك أياما وداومنا

شجو فيا ليت أنا ما عرفناك

نرعى عهودك في حل ومرتحل

رعي ابن أيوب حال اللائذ الشاكي

العالم الملك السيار سؤدده

في الأرض سير الدراري بين أفلاك

ذاك الذي قالت العليا لأنعمه

لا أصغر الله في الأحوال ممساك

---

(١) جميع دواوين الشعر العربي على مر العصور، ١ ١١٩/٧٩

له أحاديث تغني كل مجدية

عن الحياء وتجلي كل أحلاك

ما بين خيط الدجى والفجر واضحة

كأنها درر من بين أسلاك

كافاك يا دولة الملك المؤيد عن

بر البرية من للفضل أعطاك

لك **الفتوة** والفتوى محررة

لله ماذا على الحالين أفتاك

أحييت مامات من علم ومن كرم

فزادك الله من فضل وحياك

من ذا يجمع ما جمعت من شرف

في الخافقين ومن يسعى كمسعاك

أنسى المؤيد أخبار الأولى سلفوا

في الملك ما بين وهاب وفتاك

ذي الرأي يشكي السلاح الجم حدته

لذاك يسمى السلاح الجم بالشاكي

والمكرمات التي افترت مباسمها

والغيث بالرعد يبدي شهقة الباكي

قل للبدور استجني في الغمام فقد

محا سنا ابن علي حسن مرآك

إن ادعيت من البشر المصيف به

غيظا فقد ثبتت في الوجه دعواك

يا أيها الملك المدلول قاصده

وضده نحو ستار وهتاك

لو أدركتك بنوا العباس لانتصرت

بمقدم في ظلامك الخطب ضحاك

مظفر الجد من حظ ومن نسب

مبصر بخفي الرشد مدراك

وحدته في الورى بالقصد وارتفعت

وسائلي فيه عن زيغ وإشراك

ما عارضت يد امداحي مواهبه

إلا رجعت بصفو المغنم الزاكي

إن الكرام اذا حاولت صيدهم." (١)

"في ثروة أتمناها ولا جذل

قطعت باليأس آمالي لديك فقد

تركتني أصحب الدنيا بلا أمل

أهلا بسائرة الصبا من نحوكم

وبما عهدنا من تعاهد طولها

أملت على الزهر المقطب ذكركم

حتى تبسم ضاحكا من قولها

غاب الوزير وكان العطف شيمته

وجئت نعم أمير بالرجاء ملي

فشيبة الحمد عندي والولاء معا

حقان بين أبي بكر وبين علي

بقلت وجنة المليح وقد ول

ى زمان الضنا الذي كنت أملك

يا عذار المليح دعني فاني

لست في ذا الزمان من خل بقلك

يا ابن النبوة **والفتوة** والتقى

عذرا لمعلوم الولا لا يجهل

كم بيت مدح قلت فيك لنظمه

يا بيت عاتكة الذي أتغزل

دامت صلاة الحمى الزيني واصلة

كأن احسانها نصبا على الحال

ولا برحنا وان شط المزار بنا

---

(١) جميع دواوين الشعر العربي على مر العصور، ١ ٨٣/٦٦

من هالة البدر معنى في ابن منهال

يا فتى العليا وصاحبها

ما ترى في واثق الأمل

تاليا إنسان مقلته

خلق الانسان من عجل

رأينا تواقيع تاج العلوم

على قصص ذات وصف جلي

بنسك وجود وخط أجاد

فقلت الثلاثة خط الولي

يا صاحبي لك من سقم ومن كبر

عنق متين وفي الخدين تسهيل

وطلعة شمل الخيلان وجنتها

فعمها خالها قوداء شمليل

سار الأمير علي في كفالته

لمأمن الدهر سير الانزع البطل

فنحن في الفضل ماضيه وحاضره

نروي الثنا عن أمير المؤمنين علي

وضعت سلاح الصبر عنه فما له

يقاتل بالالحاظ من لا يقاتله

وسال عذار حول خديه جائر

على مهجتي فليتق الله سائله

أحمد الله كم أجود في الخل

ق مقالا وما يفيد المقال

كلمي في الأنام سحر ولكن

أنا والسحر باطل بطال

أهلا بمقدمك السعيد وحبذا

عيش على رغم الأعادي مقبل

طلع الهلال ويمن وجهك للورى

يتفاضلان وأنت أنت الأفضل

عش يا إمام العلى والعلم ذا نعم

لقاصر السعي مثلي طامح الأمل

أقسمت ما عثرت بالفقر لي قدم

الا وصاح رجائي فيك يا لعلي

وسمي برك يا ولي الوقت قد

أربت بوادره على الأمل الملي

لا يعدم الشام اقتتال وزارة

يسعى بها الوسمي من حول الولي

أما حمى قاضي القضاة فانني." (١)

"-----------------------------------

أرسلت بعدكم بجهد نحوكم

جبنا فيا خجلي ويا جهلي

وبخلت عن مفروض حقكم

فجمعت بين الجبن والخل

العصر الأندلسي >> ابن نباتة المصري >> يا متقنا علم الشريعة والندى

يا متقنا علم الشريعة والندى

رقم القصيدة : ٥٨٦٦٦

يا متقنا علم الشريعة والندى

أنت الأحق بما يقول الأول

تجب الزكاة على الذين وعدتهم

وعدا فانهم بذاك تمولوا

العصر الأندلسي >> ابن نباتة المصري >> يا دهر رفقا فما أبقيت لي أملا

يا دهر رفقا فما أبقيت لي أملا

رقم القصيدة : ٥٨٦٦٧

يا دهر رفقا فما أبقيت لي أملا

---

(١) جميع دواوين الشعر العربي على مر العصور، ١٢٦/٨٣١

في ثروة أتمناها ولا جذل

قطعت باليأس آمالي لديك فقد

تركتني أصحب الدنيا بلا أمل

العصر الأندلسي >> ابن نباتة المصري >> أهلا بسائرة الصبا من نحوكم

أهلا بسائرة الصبا من نحوكم

رقم القصيدة : ٥٨٦٦٨

أهلا بسائرة الصبا من نحوكم

وبما عهدنا من تعاهد طولها

أملت على الزهر المقطب ذكركم

حتى تبسم ضاحكا من قولها

العصر الأندلسي >> ابن نباتة المصري >> غاب الوزير وكان العطف شيمته

غاب الوزير وكان العطف شيمته

رقم القصيدة : ٥٨٦٦٩

غاب الوزير وكان العطف شيمته

وجئت نعم أمير بالرجاء ملي

فشيبة الحمد عندي والولاء معا

حقان بين أبي بكر وبين علي

العصر الأندلسي >> ابن نباتة المصري >> بقلت وجنة المليح وقد ول

بقلت وجنة المليح وقد ول

رقم القصيدة : ٥٨٦٧٠

بقلت وجنة المليح وقد ول

ى زمان الضنا الذي كنت أملك

يا عذار المليح دعني فاني

لست في ذا الزمان من خل بقلك

العصر الأندلسي >> ابن نباتة المصري >> يا ابن النبوة **والفتوة** والتقى

يا ابن النبوة والفتوة والتقى

رقم القصيدة : ٥٨٦٧١

-----------------------------------." (١)

"يا ابن النبوة والفتوة والتقى

عذرا لمعلوم الولا لا يجهل

كم بيت مدح قلت فيك لنظمه

يا بيت عاتكة الذي أتغزل

العصر الأندلسي >> ابن نباتة المصري >> دامت صلاة الحمى الزيني واصلة

دامت صلاة الحمى الزيني واصلة

رقم القصيدة : ٥٨٦٧٢

دامت صلاة الحمى الزيني واصلة

كأن احسانها نصبا على الحال

ولا برحنا وان شط المزار بنا

من هالة البدر معنى في ابن منهال

العصر الأندلسي >> ابن نباتة المصري >> يا فتى العليا وصاحبها

يا فتى العليا وصاحبها

رقم القصيدة : ٥٨٦٧٣

يا فتى العليا وصاحبها

ما ترى في واثق الأمل

تاليا إنسان مقلته

خلق الانسان من عجل

العصر الأندلسي >> ابن نباتة المصري >> رأينا تواقيع تاج العلوم

رأينا تواقيع تاج العلوم

رقم القصيدة : ٥٨٦٧٤

----

(١) جميع دواوين الشعر العربي على مر العصور، ١٣١/٨٣

رأينا تواقيع تاج العلوم

على قصص ذات وصف جلي

بنسك وجود وخط أجاد

فقلت الثلاثة خط الولي

العصر الأندلسي >> ابن نباتة المصري >> يا صاحبي لك من سقم ومن كبر

يا صاحبي لك من سقم ومن كبر

رقم القصيدة : ٥٨٦٧٥

يا صاحبي لك من سقم ومن كبر

عنق متين وفي الخدين تسهيل

وطلعة شمل الخيلان وجنتها

فعمها خالها قوداء شمليل

العصر الأندلسي >> ابن نباتة المصري >> سار الأمير علي في كفالته

سار الأمير علي في كفالته

رقم القصيدة : ٥٨٦٧٦

سار الأمير علي في كفالته

لمأمن الدهر سير الانزع البطل

فنحن في الفضل ماضيه وحاضره

نروي الثنا عن أمير المؤمنين علي

العصر الأندلسي >> ابن نباتة المصري >> وضعت سلاح الصبر عنه فما له

وضعت سلاح الصبر عنه فما له

رقم القصيدة : ٥٨٦٧٧

وضعت سلاح الصبر عنه فما له

يقاتل بالالحاظ من لا يقاتله

وسال عذار حول خديه جائر." (١)

---

(١) جميع دواوين الشعر العربي على مر العصور، ١٣٢/٨٣١

"زمان غوايات الصبابة والصبا

أغر بنعماها وألهو لنعمها

و ليل شباب أيقظ الشيب مقلتي

لديه وكانت في غيابة حلمها

و طاوعت نصاحي ويارب مأثم

قضيت على رغم النهى قبل رغمها

و ما الشيب الا كالحسام مجردا

لتعجيل أدواء الضلال لجسمها

تبارك من أردى ضلالا برحمة

وزين آفاق المعالي بنجمها

إمام اذا عاينت سنة وجهه

حكمت على تلك الفخار بعلمها

تهلل اذ طارحته بمدائحي

تهلل وسمي البروق بوسمها

حفي بطلاب الفضائل والندى

فلله ما حي عيها بعد عدمها

وفاصل أحكام القضاء بفطنة

كأن سرار الشهب من فتح فهمها

اذا اختصم الأقوام ضاء بفكرة

يقول ضياء الصبح لست بخصمها

و لا عيب فيه غير إسراف أنعم

ترى عزمها في الجود غاية غنمها

يجانس بالفتوى الفتوة جائدا

ويعرب عن فصل الأمور بحزمها

اذا زعماء القوم همت بشاؤه

فقد طلبت شأو النجوم بزعمها

فديناه ندبا زاد في شأو بيته

اذا نقصت ذات البيوت بجرمها

و قاضي القضاة تعرب الخلق مدحه
فتعجز حتى عربها مثل عجمها
فيمدحه حتى النسيم بعرفه
وتصغى له حتى الجبال بصمها
له همة ان شئت غالية الثنا
فشمها وإن شئت الفخار فشمها
على حين مسود المفارق حالك
فكيف اذا ضاء المشيب بفحمها
و أقلام رشد يتبع الرشد خطها
ويعمل أنواع الثناء برسمها
يقيم على العادين حدا بحدها
ويهدي الى العافين عزا بعزمها
و تكتب في حالي نداها وسطوها
بدرياقها طورا وطورا بسمها
مسددة المرمى مقسمة الحيا
فلا زال للاسلام وافر سهمها
بكف كريم يملأ العلم والقرى
لديه قلوب الطالبين بشحمها
فتى الدين والدنيا ينير ظلامها
بكوكبها العالي ويلوي بظلها
سليل عماد الدين انك بعده
مصاعد ما هم الزمان بثلمها
تطوف بمغناه وفود مقاصد
محملة جدوى يديه لهمها
لتمكين رجواها وتأمين روعها
وتأثيل نعماها وتفريج غمها
فما الشهد أحلى من صنائع فضله
ولا المسك أذكى من تضوع كتمها
و ما روضة بالحزن مخضلة الربى

مكاثرة زهر النجوم بنجمها

يجر لديها عاطر الريح ذيله." (١)

"اذا ما ذكرنا ناسلا وإذا ما

بدا مثل ما يبدو الصباح فخاره

فزيل من ظلم الزمان ظلاما

وعال باذن الله أبناء آدم

وحام بأفاق الفخار وساما

بليغ الندى والنطق تلقاه فيهما

فريدا وتلقى المكرمات نواما

له قلم ان ماس كان لمعتف

حياة وإلا للعدو حماما

يمج شهادا تارة لوليه

ووقتا لشانيه يمج سماما

قرين الفتاوى **والفتوة** لم يذق

بليل مداد بين ذاك مناما

تسهد في حفظ الممالك جفنة

وفي كل جفن قد أنام حساما

بكف كريم الراحتين مؤمل

فيا لك برقا في الندى وغماما

ويا لك في النطق البليغ قدامة

وفي طيران الذكر عنه قداما

شكوت له ظلم الزمان وانما

الى سيد بر شكوت غلاما

فرد الزمان الجهم عني خاضعا

فتى ليس غيم الظن فيه جهاما

وجدد من جدواه مالا نسيته

ولم يبق من عند الزمان مراما

---

(١) جميع دواوين الشعر العربي على مر العصور، ١٥٤/٨٣١

وألبسني بيضاء رد ضياؤها

لدى حاسد حتى استحال ضراما

أمد يدي في كل يوم لذيلها

فآخذ من جور الشتاء ذماما

ومذ علقت منها بناني بعروة

شددت لطرف القول فيه حزاما

فلا زال ممدوحا اذا ما وصفته

زحمت المعاني المائلات زحاما

أولد مع فقد الصبا جوهر الثنا

يتيما وأولاد الشيوخ يتامى

العصر الأندلسي >> ابن نباتة المصري >> قدوم كما حيي قدوم غمام

قدوم كما حيي قدوم غمام

رقم القصيدة : ٥٨٧٣٢

قدوم كما حيي قدوم غمام

وعود الى الأوطان عود حسام

فهذا على الرواد أكرم حاتم

وهذا على الاسلام خير محامي

لك الله من سار الى أرب سرى

هلال الى أن غار بدر تمام

دعاك إلى أرض الحطيم تذكر

وغيرك مشغول الهوى بحطام

فلله وفر من حلال بذلته

على بلد زاكي المحل حرام

وما هي إلا همة تغلبية

تروم من العلياء كل مرام

حوت أمد الدنيا من المجد وانبرت

تشق الى الأخرى صنوف زحام

وما ضر ركبا كنت نجعة أهله

تعذر زاد أو صروف غمام

فوالله ما برق البشاشة خلب

لديك ولا غيم الندى بجهام

يطوف بك الحجاج في كل منزل

اذا ذعرتهم سحبه بفطام." (١)

"خبيث سعى بيننا بالنميم

وقطع خلتنا بالجلم

العصر الأندلسي >> ابن شهيد >> اقل كل قليل جد ذي أدب

اقل كل قليل جد ذي أدب

رقم القصيدة : ٥٧٣٥٧

اقل كل قليل جد ذي أدب

بين الورى وأقل الناس إخوان

وما وجدت اخا في الدهر يذكرني

إذا سما وعلا يوما به الشان

إن الكريم إذا نابته مخمصة

أبدى إلى الناس شبعا وهو طيان

يحني الضلوع على مثل اللظى حرقا

والوجه غمر بماء البشر ملآن

العصر الأندلسي >> ابن شهيد >> وما ألان قناتي غمز حادثة

وما ألان قناتي غمز حادثة

رقم القصيدة : ٥٧٣٥٨

وما ألان قناتي غمز حادثة

ولا استخف بحلمي قط إنسان

أمضي على الهول قدما لا ينهنهني

وانثني لسفيهي وهو حردان

---

(١) جميع دواوين الشعر العربي على مر العصور، ١٦١/٨٣١

ولا اقارض جهالا بجهلهم

والأمر أمري والأيام أعوان

أهيب بالصبر والشحناء ثائرة

وأكظم الغيظ والأحقاد نيران

وما لساني عند القوم ذو ملق

ولا مقالي إذا ما قلت إدهان

ولا أفوه بغير الحق خوف أخي

وأن تأخر عني وهو غضبان

ولا أميل على خلي فآكله

إذا غرثت وبعض الناس ذؤبان

إن **الفتوة** فاعلم حد مطلبها

عرض نقي ونطق فيه تبيان

بالعلم يفخر يوم الحفل حامله

وبالعفاف غداة الجمع يزدان

ود الفتى منهم لو مت من يده

وإنه منك ضخم الجوف ملآن

العصر الأندلسي >> ابن شهيد >> أحق للبرق من تلقاء أرضهم

أحق للبرق من تلقاء أرضهم

رقم القصيدة : ٥٧٣٥٩

أحق للبرق من تلقاء أرضهم

ولي فؤاد إلى الألاف حنان

محلة النفس فيهم أينما قطنوا

ومنزل الروح فيهم حيثما كانوا

العصر الأندلسي >> ابن شهيد >> ولما رأيت الليل عسكر قره

ولما رأيت الليل عسكر قره

رقم القصيدة : ٥٧٣٦٠

ولما رأيت الليل عسكر قره

وهبت له ريحان تلتطمان

وعمم صلع الهضب من قطر ثلجه

يدان من الصنبر تبتدران

رفعت لساري الليل نارين فارتأى

شعاعين تحت النجم يلتقيان

فأقبل مقرور الحشا لم تكن له." (١)

"دعائم دورها الدر النضيد

يطوف رياضها في عبقري

مجللة لهيكلها البرود

تسامره هنالك أم هند

وفاطمة المطهرة الخرود

وكل شريفة تنمى إلى من

هم في مركز الفخر العمود

إلى آل الرسول عليه أزكى

صلاة الله ما حن الرعود

العصر الأندلسي >> ابن شهاب >> علي لها أن تنبذ المقلة الكرى

علي لها أن تنبذ المقلة الكرى

رقم القصيدة : ٥٥٤٤٥

علي لها أن تنبذ المقلة الكرى

وتذري دمعا كاليواقيت أحمرا

وان ليس يسلوها الفؤاد ولو مدى

فواق ويبقى والها متحيرا

وان لا تصيخ الأذن سمعا لعاذل

يزخرف تزويرا من القول منكرا

---

(١) جميع دواوين الشعر العربي على مر العصور، ٤٢٤/٨٣١

وان ليس إلا في نعوت جمالها

ينوس لساني بالبديع محبرا

وان ليس تجري في ضميري مطامع

من الوصل تأباها الفتوة مصدرا

نعم غرضي والشاهد الله وقفة

أنازعها فيها الحديث وأنظرا

ويا حبذا إن روقت كأس قرقف

يعود به غرس الأماني مثمرا

ومن لي بآمالي ودوني من النوى

ومن نكبات الدهر قاصمة العرى

لحا الله سوء الحظ من صاحب أما

لها لحظة عنى بمن جار واجترى

كأن خلال المجد مهما تجمعت

لدى المرء مغناطيس كل حبو كرى

إذا رمت أمرا منصبي فوق نيله

أبى الدهر إلا أن يرى غير ما أرى

ويا طالما كانت صها المجد مفرشي

لنيل العلا والمجد يعدو إلى الورى

ولو غض عني الطرف في حب فاطم

لأبرأته عن كل حق تأخرا

إذا فزت من ذاك المحيا بنظرة

علمت يقينا أن برق الرضى شرى

محجبة يصبو بها كل ماجد

إذا ما زناد الحب في قلبه ورى

شموع إذا ما الريح مر بحيها

تضوعت الدنيا عبيرا وعنبرا

وما شم أذكى من شذاها سوى ثرى

بنعل أبي سهل الأمير تعطرا

هو الفضل رب الفضل قطب دوائر

الولاية ركن الملة الشامخ الذرى

أغر المحيا في أسارير وجهه

سرى السر من نور الرسول وأسفرا

ومعلي منار الدين بالدعوة التي

بها عاد ليل المدلهمات مقمرا

له طأطأت أعناقهم كمل الورى

ولم ير منهم من أبى وتكبرا

بطلعته يهمى الغمام وينجلى." (١)

"وخير الملوك القادرين أولوا الصفح

حياة الندى والجود نيطت بكفه

وسبب عنها موته البخل والشح

حنانيك رب التاج والطلعة التي

كأن سناها في الدجا فلق الصبح

حللنا بك البيت الرفيع بناؤه

لأنك فينا مفخر العرب الفصح

حدائق نظم الشعر فيك بديعة

عليها طيور البشر دائمة الصدح

العصر الأندلسي >> ابن شهاب >> أمن الفتوة أن تباح

أمن الفتوة أن تباح

رقم القصيدة : ٥٥٤٨٠

أمن الفتوة أن تباح

طرف الظريفات الملاح

قالوا نعم إن لم تكن

فحشا فليس بها جناح

كم في الدفاتر عن أولات

---

(١) جميع دواوين الشعر العربي على مر العصور، ١ ٢٧٨/٨٧

الحسن يحكى والقباح
وإليك ما صدعت به
بالأمس رائدة الصلاح
نفثات صدر كريمة
وضاحة النسب الصراح
من نسوة شم الأعنة
يعربيات فصاح
ما دنست أعراضهن
بريبة أو شرب راح
قالت وقد مزجت حديث
الجد منها بالمزاح
واها لما يلقى البنات
من امتهان واقتراح
يتحكم الرجل المشوه
في الصبيات الصباح
ويسلط الفظ الغليظ
على المهفهفة الرداح
سيان قدرا عنده
رسن البهيمة والوشاح
فكأنها ملك اليمين
يسوقها سوق اللقاح
ويسومها شططا ويرغمها
على طلب السماح
فتجيب عربدة السفيه
بالاعتذار والامتداح
والخوف يخنقها ويمنعها
التبرم والصياح
ترجو السلامة حيث لم
تنبس بآه أو بآح

كم حرة جادت بما

ملكته في طلب السراح

حتى م يصبرن النساء

على الهوان والاطراح

وعلام هن بما يميط

قذى بصائرهم شحاح

أولسن زينة هذه الدنيا

وأطيب ما يراح

هن الرياض بها شميم

الورد يسطع والأقاح

يشفى السقيم بقربهن

إذا الشذى منهن فاح

أبغيرهن العيش يصفو

والهموم بمن تزاح

يمرحن كالأرام زهوا

في المعاهد والضواح

أف لشخص حقهن

لديه مهضوم مطاح

ما للرجال وظنهم

عجز النساء عن الكفاح

إن كان عندهم الصوافن

والصوارم والرماح

فلنا من الكيد العظيم

لقهرهم أمضى سلاح

ونصال سحر لا تشاهد

أو تركب في قداح

نحن اللواتي سعينا

بالمكر كلل بالنجاح

نسبي العقول بما نزخرفه

ونسكر كل صاح

سكرا يلذ لهم ولا." (١)

"يحل بطلسم الردف المقوز

زهى غزلي بها وبديع نظمي

بمدح محمد للسبق أحرز

زعيم العرب توفيق المعالي

أبي الهمة الملك المعزز

زكي النفس للعافين غوث

إذا اشتد الزمان بهم وأعوز

زيالة والفرات ونيل مصر

ودجلة عن ندى كفيه أعجز

زحام الوافدين عليه أقوى

دليل أن نائله منجز

زفاف عرائس العلياء يوما

فيوما نحو حضرته يجهز

زواج مهره بالسيف ضرب

وطعن لا بأبجد أو بهوز

زناد حسامه يورى سعيرا

تكاد على العدى غيظا تميز

زفير ضرامها في الحرب يعلو

ويبتلع المصدر والمعجز

زواحف خيله تختال عجبا

إذا حمي الوطيس وقدره أز

زميلي سر بنا أنحاء مصر

فإن بها لواء العدل يركز

زمان مليكها زمن سعيد

وعنها عاديات الدهر تحجز

---

(١) جميع دواوين الشعر العربي على مر العصور، ٣٠٣/٨٧١

زواياها به ملئت أمانا

وقيل بسوحها للمجرم امتز

زكت بك أيها الملك المفدى

مثاني النظم إذ بسواك تنبز

زففت إليك بكرا من قريض

بمعنى فائق واللفظ موجز

العصر الأندلسي >> ابن شهاب >> صحت في صحبي بمجلسهم

صحت في صحبي بمجلسهم

رقم القصيدة : ٥٥٥١٣

صحت في صحبي بمجلسهم

بين مثريهم ومفلسهم

جئت بالحق الصريح لهم

واضحا يتلا بمدرسهم

جئت من آي الكتاب ومن

خبر الهادي بمخرسهم

فأبوا إلا مكابرة

وتمادوا في تغطرسهم

عظموا أعداء خالقهم

وتناسوا خبث مغرسهم

أولوا نص الدليل بما

جاء في فتيا مدلسهم

هل كتاب الله تنسخه

نفثات من موسوسهم

أو حديث المصطفى تبع

لهواهم في تهوسهم

آفة التقليد مهلكة

تخنق الأسرى بمحبسهم

بيد إن الأكثرين وقد

عرفوا تلويث ملبسهم

سكتوا جبنا وبعضهم

حسدا من عند أنفسهم

العصر الأندلسي >> ابن شهاب >> سلي تعرفي أن **الفتوة** ملبسي

سلي تعرفي أن **الفتوة** ملبسي

رقم القصيدة : ٥٥٥١٤

سلي تعرفي أن **الفتوة** ملبسي

وإني بجلباب المروءة مكتسي

سمت بي إلى العلياء نفسي وهمتي

وفي ربوة المجد المؤثل مغرسي

سرت في بسيط الأرض نجب غزائمي

وبت وأوج المكرمات معرسي." (١)

"وملاذ العواجز الضعفاء

منتهى القصد صادق الوعد والعهد

عياذ الجحاجح الأصفياء

سيد الخلق مظهر الحق كنز الصدق

والرفق والصفا والوفاء

عين معنى عوالم الملإ الأعلى

وسر الإشارة البيضاء

يا حبيب الرحمن يا علة الأكوان

يا عمدتي ويا مولائي

إنني عبدك الضعيف حليف الوزر

والذنب أحقر الفقراء

فتدارك ضعفي بعزك وانظر

بالرضا ذلتي ولاحظ حمائي

وعليك الصلاة والآل والصحب

---

(١) جميع دواوين الشعر العربي على مر العصور، ٣٢٨/٨٧١

عج بالركائب ساحة الجرعاء

رقم القصيدة : ٥٥٦٠٩

عج بالركائب ساحة الجرعاء

وأنزل بتلك البقعة الفيحاء

وأنخ بعيسك حولها فلأهلها

فضل على الخدام والأمراء

قوم كرام لا يضام نزيلهم

وحماهم حام من الأعداء

سبقوا الورى شرفا بكل مزية

وعلوا على الأبناء والآباء

وتوشحوا البيض الصقال فطأطأت

لقوى علاهم هامة العلياء

فتحوا المشارق والمغارب مثل ما

سدوا طريق البغي والفحشاء

قد أغرقوا الدنيا برأفتهم وقد

داسوا ببأس جبهة الجوزاء

خضعت لهم زهر الغطارفة العظام

وقد أعزوا عصبة الضعفاء

وجلوا غبار الظلم عن وجه الورى

والعدل قد بسطوه في الغبراء

وبجودهم عموا الوجود ومجدهم

كشف الدجا بمحجة بيضاء

قوم رئيسهم الرسول المصطفى المبعوث

بالآيات والأنباء

عين البرية أصل كل حقيقة

سر الوجود خلاصة الأشياء

كشاف دهم المعضلات ودافع البلوى

وترياق الشفا للداء

وإشارة الرحموت في الملكوت والملك

العظيم ونقطة الإبداء

ورقيقة المقصود من خلق الوجود

وعينه في عالم الأسماء

والهيكل المحفوظ في طي العمى

من قبل صبغة طينها والماء

علامة السر الخفي وصاحب القدر

العلي وسيد الشفعاء

طه سراج المرسلين وقبضة النور

القديم وأكرم الكرماء

سيف الإله وفارس القدس الذي

ذلت لديه فوارس الهيجاء

شمس النبوة والفتوة والهدى

والكوكب اللماع في الظلماء

وطريق كل طريقة وإمام كل." (١)

"وبنو النضير تحزبوا فأبادهم

حتى تحير فيهم النظار

خفقت له في فتح مكة راية

في الخافقين سرت لها أخبار

والرعب يسري للجوانب قبله

فتراع قبل وروده الاقطار

وجيوشه فيها ملائكة السما

جهرا يراها العسكر الجرار

ذلت ملوك الارض طرا لاسمه

---

(١) جميع دواوين الشعر العربي على مر العصور، ٤١١/٨٧١

فالكل منهم خائف فرار

وعلت به الفقرا وعز ذليلهم

وحمي به مضنى الحما والجار

وأبان للعدل القويم حدوده

فبه استوى كبر الورى وصغار

كل أمين من غوائل غيره

بالشرع يمضي اينما يختار

ولقد تساوى بالحقوق بشرعه العالي

رعاة البهم والكبار

ألقى بهم أدب الديانة والتقى

ولكل شخص منهم مقدار

أحياهمو نظر النبي وحبذا النظر

الذي تمحى به الاوزار

ما الكيميا قلب الحجارة فضة

بل أن تزيل الظلمة الأنوار

لله من ركن عظيم شامخ

يعزى له الإيراد والإصدار

وافى لنا بكتاب هدي بين

تفدي لحكمة نصه الأعمار

وأتى ببرهان جلي كلما

حسدا طووه اقامه الإظهار

عجبا وإن عميت قلوب حواسد

هل تعمى عن شمس الضحى الأبصار

مدد وإيمان ونور لامع

إنكار جاحده له إقرار

يا خير خلق الله يا من جوده

بحر وفي أعتابه الإيسار

يا من تخلق بالتواضع رحمة

وببابه قد تقبل الأعذار

لك همة قدسية نبوية

لجأت لها الغياب والحضار

روحي الفدا لتراب قبرك إنه

كنز الندا والطلسم المضمار

يا قلب يمم ضمن فكرك رحبة السامي

إذا ما نابت الاضرار

حيث المراحم والمغانم والهدى

حيث القبول وحيث تحمى الدار

حيث النبوة والفتوة والندى الطامي

وحيث على الدخيل يغار

حيث الفتوة والمرؤة كلها

بل حيث يؤخذ للضعيف الثار

رحب توسده الحبيب المجتبي

غيث الوصول الهاطل المدرار

علم العناية من أقيم بهديه

في العالم التبشير والإنذار

ورقى مقاما جل معنى قدرهب

عن أن يشق بما لديه غبار

مالي سواه لكل ما أملته

وبه يفارق رحبي الإعسار

وأرى به نور السعادة ينجلى

وتحفني من فضله الاستار

وتمد لي منه اليمين لعزتي

فهو اليمين وما لديه يسار

وأكون محفوظ الجناب بفضله

أبدا ولا تغتالني الأشرار." (١)

---

(١) جميع دواوين الشعر العربي على مر العصور، ٤٥٠/٨٧١

"لأحب ما تهوى النفوس وتفتدي

يدعون مصر ومصر من طغيانهم

في مأتم جلل وعيش أنكد

رفعوا الطغام على الكرام وقوضوا

صرح النظام بجرأة لم تعهد

كانت رواية هازلين فيا لهم

من جاهلين ويا له من مشهد

عضوا أصابعهم وراح كبيرهم

يطفو ويرسب في المقيم المقعد

غضبوا على معبودهم وتجنبوا

محسودهم فكأنه لم يحسد

وتفرقوا جزعين مما نابهم

إلا بقايا كالأصابع في اليد

وخلا البساط من السكارى فانطوى

وصحا من الندمان كل معربد

العدل دمر ما بنوا من دولة

للزرق في الزمن الأحم الأسود

لو لم يكونوا آثمين لأنكروا

آثام جند للفساد مجند

جند من البغي المذمم والأذى

جعلوه للقوم الهداة بمرصد

كرهوا الرشاد فما تموج زحوفه

إلا بساحة ناصح أو مرشد

وترى حماة الأمن من أنصاره

يخشون شر الظالم المتوعد

شعراء مصر والسودان >> أحمد محرم >> خلق العروبة أن تجد وتدأبا

خلق العروبة أن تجد وتدأبا

رقم القصيدة : ٥٥١٠٣

خلق العروبة أن تجد وتدأبا

وسجية الإسلام أن يتغلبا

لا تلك تخفض من جناحيها ولا

هذا يريد سوى التفوق مطلبا

رفع النفوس عن الصغار وصانها

عن أن تخاف عدوه أو ترهبا

دين الفتوة والمروءة ما طغت

لجج المنايا حوله فتهيبا

المؤمنون على الحوادث أخوة

لا يعرفون سوى الكتاب لهم أبا

سلهم على شرف الأبوة هل رعوا

ما سن من أدب الحياة وأوجبا

بيت تفرق في البلاد وأسرة

صدع الزمان كيانها فتشعبا

وهن البناء فعاث في فجواته

عادي الفساد مدمرا ومخربا

لبيك يا وطن الجهاد ومرحبا

لبيك من داع أهاب وثوبا

لبيك إذ بلغ البلاء وإذ أبى

جد الزمان وصرفه أن نلعبا

من ذا يرى دمه أعز مكانة

من أن يخضب من فلسطين الربى

كبرت حين عفا الوفاء وما عفا

في أرضها أثر البراق ولا خبا

إني أرى المعراج عند جلاله

وأرى النبي وصحبه والموكبا

وطن يعذب في الجحيم وأمة

أعزز علينا أن تصاب وتنكبا

بقلوبنا الحري وفي أحشائنا

ما شب من أشجانها وتلهبا

وبنا من الألم المبرح ما بها." (١)

"بكر إذا ما الماء خالطها

منها تولد لؤلؤ نثر

عذراء ما لبني الخلاعة عن

خلع العذار بحبها عذر

نفس من الياقوت سائلة

روح ولكن جسمها تبر

تبدو برافعها فتحسبها

بردا تلظى تحته جمر

نور يكاد فؤاد شاربها

للعين منهاينجلي السر

لطفت فخلنا ذات جوهرها

فنيث وقام بنفسها السر

تذر الزجاج بلونها ذهبا

وكأن سر المومياء لها

فيها لكسر قلوبنا جبر

وكأنما راووقهادنف

أجرى عقيق دموعه الهجر

ومهفهف كالشمس طلعته

بالجيد منه كواكب زهر

شغفت بقامته القنا فلذا

ألوانها لشحوبها سمر

ورأى البهار شقيق وجنتها

بوشاحه معنى عبارته

رقت ودقق شرحها الخضر

---

(١) جميع دواوين الشعر العربي على مر العصور، ٨٩/٤٢٢

وبلحظه وفؤاد وإمقه

سكر له بكليهما كسر

باتت تضاحكني براحته

راح كأن حبابها ثغر

فأرضته بعد الجماح بها

حتى تسهل خلقه الوعر

نظم الهوى عقد العناق لنا

ومن العفاف تضمنا أزر

رفع الشباب حجاب أوجهنا

ومن **الفتوة** بيننا ستر

ولكم عرجت إلى محل علا

فوق السماك وتحته الغفر

بمطهم مثل الظليم إذا

ما شد قلت بأنه صقر

تدري المها أن لا نجاة لها

منه ويعلم ذلك العفر

فإذا له آجالها عرضت

عرضت لها آجالها الحمر

مثل الرياح رواح أربعة

شهر وسير غدوها شهر

كملت صفات الصافنات به

فبذاته لجميعها حصر

يجري ويجري الفكر يتبعه

فيفوت ثم ويحسر الفكر

ويكاد أن يرد السماء إذا

ظن المجرة أنها نهر

أطلعت منه سهم حادثة

يرمي به عن قوسه الدهر

حتى بلغت أبا الحسين به

فبلغت حيث يرفرف النسر

حيث العلا ضربت سرداقه

فيه وحل المجد والفخر." (١)

"من الخمر لا يلقاك إلا نديمها

كررنا أحاديث الزمان الذي مضى

فلذ لنا محمودها وذميمها

فوالله ما أدري أقضى لبانة

من الصحو أم ولى بنفس يلومها

وإني لفياض اليدين على الغنى

وفي الفقر عف النفس عما يذيمها

وإني لمخشي العرام وربما

صفحت عن العوراء باد شكيمها

إذا ما ولي العهد قضى لبانتي

وقف بأخرى عنده أستديمها

فدى لك ما ألقت إليك مطيتي

إذا فتنة قامت وقام زعيمها

تقلبت في بيت النبوءة يافعا

وخرقا ومعقودا عليك تميمها

العصر العباسي >> بشار بن برد >> ووطئت أردية **الفتوة** كلها

ووطئت أردية **الفتوة** كلها

رقم القصيدة : ٨٩٠٤

ووطئت أردية **الفتوة** كلها

وفضضت خاتم طينها المختوما

وصحوت إلا من لقاء محدث

حسن الحديث يزيدني تعليما

---

(١) جميع دواوين الشعر العربي على مر العصور، ١ ٣٨٧/٩١

إن الوقار وما ترى بمفارقي

صرف الغواية فانصرفت كريما

وحلمت بعد جهالة فهجرتني

غضبا علي بأن رجعت حليما

العصر العباسي >> بشار بن برد >> يا أبا الفضل لا تنم

يا أبا الفضل لا تنم

رقم القصيدة : ٨٩٠٥

يا أبا الفضل لا تنم

وقع الذئب في الغنم

إن حماد عجرد

إن رأى غفلة هجم

بين فخذيه حربة

في غلاف من الأدم

إن خلا البيت ساعة

مجمج الميم بالقلم

العصر العباسي >> بشار بن برد >> وصاحب نافع لي طول صحبته

وصاحب نافع لي طول صحبته

رقم القصيدة : ٨٩٠٦

وصاحب نافع لي طول صحبته

لا ينفع الدهر إلا وهو محموم

تأتيك في نافض الحمى مكارمه

وإن أفاق بدا في وجهه اللوم

العصر العباسي >> بشار بن برد >> وعي الفعال كعي المقال

وعي الفعال كعي المقال

رقم القصيدة : ٨٩٠٧." (١)

---

(١) جميع دواوين الشعر العربي على مر العصور، ٣٧٥/٩٣١

" ومنهم ذو المنار وقيل له ذو المنار لأنه أول من ضرب المنار على طرقه فى غزواته ليهتدى بها فى مرجعه

ومنهم ذو رعين يضرب به المثل فى النعمة كما قال العلوى الحمانى

(ويوم قد ظللت قرير عين ... به فى مثل نعمة ذى رعين)

(تفكهنى أحاديث الندامى ... وتطربنى مثقفة اليدين)

(فلولا خوف ما تجنى الليالى ... قبضت على الفتوة باليدين)

ومنهم ذو مرحب سمى بذلك لأنه كان يرحب به كل من رآه وكان رحب الصدر والباع هشا بشا

ومنهم ذو يزن وابنه سيف الذى انتزع الملك من الحبشة وقد تمثل به من قال لعبد الله بن طاهر

(اشرب هنيئا عليك التاج مرتفقا ... بشاء مهر ودع غمدان لليمن)

(وأنت أولى بتاج الملك تلبسه ... من هوذة بن على وابن ذى يزن)

٤٢٦ - (ذو الأوتاد) هو من ذكره الله تعالى فى كتابه العزيز وكان يأمر بمن يغضب عليه فيوتد فى الأرض بأربعة أوتاد وهو أول من سن ذلك

٤٢٧ - (ذو القرنين) قال الجاحظ فى كتاب التدوير والتربيع ولقد سألت عن ذى القرنين أهو الإسكندر ومن أبوه ومن قيرى ومن عيرى فقال القاضى أبو الحسن على بن عبد العزيز الجرجانى فى الجواب عن ذلك وشرحه قال أكثر من بحث عن سالف الأمور وتصفح ما حدث ." (١)

" وقال الصاحب

(تزيد على أبراد آل تزيد ...)

٩٩٦ - (رداء العز) قد أحسن البحترى فى قوله وأجراه مجرى المثل السائر

(أصاب الدهر دولة آل وهب ... ونال الليل منها والنهار)

(أعارهم رداء العز حتى ... تقاضاهم فردوا ما استعاروا)

وللشعراء استعارات فى الرداء فى نهاية الحسن كقولهم رداء الشمس ورداء الشباب ورداء الفتوة ورداء النور ورداء الجمال ورداء اللهو وغيرها قال طرفة

(ووجه كأن الشمس ألقت رداءها ... عليه نقى اللون لم يتخدد)

ولما أنشد النمرى الرشيد قصيدته التى أولها

(ما تنقضى حسرة منى ولا جزع ... إذا ذكرت شبابا ليس يرتجع)

(ما كنت أوفى شبابى كنه عزته ... حتى انقضى فإذا الدنيا له تبع)

فبكى الرشيد وقال ما خير دنيا لا يحظى فيها برداء الشباب وقال البحترى

(خلياه وحدة اللهو مادام ... رداء الشباب غضا جديدا)

---

(١) ثمار القلوب، ١ ص/٢٨٠

(إن أيامه من البيض بيض ... ما رأين المفارق السود سودا)

وقال أيضا

(رقة النور واهتزاز القضيب ... خبرا منك عن أغر نجيب)

(فى رداء من **الفتوة** فضفاض ... وعهد من التصابى قريب)

وقال ابن المعتز

(خليلى اتركا قول النصيح ... وقوما فامزجا راحا بريح) ." [1]

" (قال فصفني في خدي والعارض ... فيها جمع الشتات)

(وعليها دار الطراز تنبيت ... رقم ما أحلاه نبات)

(قال ما هو إلا شرب والحمره ... دم من تقتلو)

(فيه خلات خيوط زرق لاحت ... من جفون تغزلو)

(قلت كف العتاب في ذي الصفة ... ما أنا في ذا القياس)

(وانظر في دايره تمنطقها ... بدر من غير قياس)

(واكسني ثوب وقار ولبسني ... **بالفتوة** لباس)

(وإن جا تخليصي غرض من يديك ... بالوصال طولوا)

(وإن قصر باعي عن صفحات مدحك ... بالوفا ذيلو)

(جاز في بستان مشهر القمصان ... من بكر صابحو)

(مثل كف المنثور في مكنونه ... حين وقف صافحو)

(وقميص الشقيق من اكمامو ... بالخجل فاتحو)

(وقضيب الخلاف وقف عراه ... فرق حين فصلو)

(وأوثق أزراره الورد في كمو ... وعليه فضلو)

(دي الكلام يتخلع ويتفرد ... ويفصل مليح)

(ويفرج ويندرج أصلو ... ويفتح صحيح)

(ويبطن من بعد تضريبو ... بالسجاف يستريح)

(ويعرى من حبكه التخريم ... ويزر رولو)

(أنو يطوى والنشر فيه موزون ... آخرو في أولو)

ومنه يعرض بذكر أضداده بدمشق

(ذا الزجل قاسيون على الأعدا ... جد ما فيه سخف)

---

(١) ثمار القلوب، ١ ص/٥٩٩

(وعلى أرباب المعرفة من ريش ... النعامات أخف)

(للصغير والكبير فقل عني ... واحذر احذر تخف)

(كم زيادة على على وإن كان ... يشتهوا يعملوا)

(هذا الأبلق والشقرا والميدان ... اركبوا وادخلوا) ." [١]

" (وفيها تلاف الجسم بالسقم صحة ... له وتلاف النفس عين الفتوة)

(ولما تلاقينا عشاء وضمنا ... سواء سبيلي ذي طوى والثنية)

(وضنت وما منت علي بوقفة ... تعادل عندي بالمعرف وقفتي)

(عتبت فلم تعتب كأن لم يكن لقا ... وما كان إلا أن أشرت وأومت)

(وبانت فأما حسن صبري فخانني ... وأما جفوني بالبكاء فوفت)

(أغار عليها أن أهيم بحبها ... وأعرف مقداري فأنكر غيرتي)

وكنت بها صبا فلما تركت ما ... أريد أرادتني لها وأحبت)

(بها قيس لبنى هام بل كل عاشق ... كمجنون ليلى أو كثير عزة)

(بدت فرأيت الحزم في نقض توبتي ... وقام بها عند النهى عذر محنتي)

(فموتي بها وجدا حياة هنيئة ... وإن لم أمت في الحب عشت بغصتي)

(تجمعت الأهواء فيها فلا ترى ... بها غير صب لا يرى غير صبوتي)

(وعندي عيدي كل يوم أرى به ... جمال محياها بعين قريرة)

(وكل الليالي ليلة القدر إن دنت ... كما كل أيام اللقا يوم جمعة)

(وأي بلاد الله حلت بها فما ... أراها وفي عيني حلت غير مكة)

(وما سكنته فهو بيت مقدس ... بقرة عيني فيه أحشاي قرت)

(ومسجد الأقصى مساحب بردها ... وطيبي ثرى أرض عليها تمشت)

(مواطن أفراحي ومربى مآربي ... وأطوار أوطاري ومأمن خيفتي)

(مغان بها لم يدخل الدهر بيننا ... ولا كادنا صرف الزمان بفرقة)

(ولا صحبتنا النائبات بنبوة ... ولا حدثتنا الحادثات بنكبة)

(ولا اختص وقت دون وقت بطيبة ... بها كل أوقاتي مواسم لذتي)

(فإن رضيت عني فعمري كله ... زمان الصبا طيبا وعصر الشبيبة)

(وإن قربت داري فعامي كله ... ربيع اعتدال في رياض أريضة) ." [٢]

---

(١) خزانة الأدب، ١ /٣١٥

(٢) خزانة الأدب، ١ /٤٤٧

"ومصر مربع الفضلاء، ومرتع النبلاء، ومطلع البدور، وموضع الصدور، وأهلها أذكياء أزكياء، يبعد من أقوالهم وأعمالهم العي والعياء، لاسيما في هذا الزمان المذهب، والوقت المهذب، بدولة مولانا الملك الناصر، جامع كلمة الإيمان، قامع عبدة الصلبان، صلاح الدنيا والدين، سلطان الإسلام والمسلمين، أبي المظفر يوسف بن أيوب محيي دولة أمير المؤمنين، ففي أيامه الزاهرة، ودولته القاهرة، أشرقت الأرض بنور ربها، وهبت الأرياح من مهبها، ورفعت معالم العدل والعلم، وخضعت دعائم الجهل والظلم، وأثبتت أمالي الآمال في دفاتر النجاح، وكتب أمان الأماني بمهارق الفلاح، واستدر جود الجود، واستقر طود الوجود، وزف هدي الهدى على خاطبي النصر، وحف ندي الندى بطالبي الوفر، واتضح الحق، واتضع الباطل، وعز العالم وذل الجاهل، وأفاض الأفاضل في الشكر، وراض الأماثل قرح القرائح في النظم والنثر، وعاد الرجاء مفتوح الرتاج، ممنوح النتاج، حالي التاج بيواقيت الفوز، علي السراج في مواقيت العز، أرج الآفاق بذائع البدائع، رائج الأسواق بضاع البضائع، بوجود المولى الفاضل، وجده المولى إلى الأفاضل، وكفى مصر فخرا سمو سناء فضله في ذراها، ودنو جنى أفضاله لذراها، فإنه ذو السؤدد الظاهر، والمحتد الطاهر، والسلف الكريم، والشرف الصميم، والعرف الزكي، والعرف الذكي، والفتوة الراجحة، والمروة الناجحة، والظن المخمر بالدين، واليقين المؤزر بالصدق المبين، والحق المتين، والبلاغة التي لم يبلغ إلى شأنها قس والرأي الذي لم يهتد إلى سننه قيس، والبراعة التي نسخت شريعتها بالإعجاز شرائع الفصحاء، وبذخت صنعتها بالإحراز لبدائع البلغاء.

وهو الذي راش نبل نبلي، وأعاش شخص فضلي، وأقام جاه أملي بعد الخمول، وأنام عين وجلي عند الذهول، وثبت عرش حفظي، ونبت غرس حظي، ونشرني وقد كاد يطوى اسمي، وأنشرني وقد كرب يبلى رسمي، ورغبني في قصد مصر عند توجه مولانا الملك الناصر من دمشق إليها عائدا وحقق عندي أنه يكون لي مساعفا مساعدا، فسرت في أول شهر ربيع الأول من دمشق في الخدمة الناصرية، ووصلت آخر الشهر إلى القاهرة الصلاحية، فقابل وفادتي بوافر رفادته، وموافاتي بوافي إفادته، ونوه بذكرى، ونبه على قدري، ونظم أمري، واغتنم شكري، وخفف ثقلي، ورادف نهلي وعلي. وحين ملكت مادة بره، سلكت جادة شكره، وصار حمدي الحر له مسترقا، ونفسي المستعبدة لآمالها بنجح آماله قد صادفت عتقا.

ومما نظمته في طريق مصر قصيدة ذكرت فيها المنازل على ترتيبها، والشوق إلى دمشق وطيبها، ووصلتها بمدح الملك الناصر، وتلوى المولى الفاضل نعش جدها العاثر، وترويج حظها الكاسد، وسعرها القاصر، أولها

هجرتكم لا عن ملال ولا غدر ... ولكن لمقدور أتيح من الأمر

وما كنت أدري أن يتاح فراقكم ... ومن يعلم الأمر المقدر أو يدري

وأعلم أني مخطىء في فراقكم ... وعذري في ذنبي وذنبي في عذري

أرى نوبا للدهر تحصى وما أرى ... أشد من الهجران في نوب الدهر

بعيني إلى لقيا سواكم غشاوة ... وسمعي إلى نجوى سواكم لذو وقر

وقلبي وصدري فارقاني لبعدكم ... فلا صدر في قلبي ولا قلب في صدري

وإني على العهد الذي تعهدونه ... وسرى لكم سرى، وجهري لكم جهري

تجرعت صرف الهم من كأس شوقكم ... فها أنا في صحوي نزيف من السكر

وإن زمانا ليس يعمر موطني ... بسكناكم فيه فليس من العمر

وأقسم لو لم يقسم البين بيننا ... جوى الهم ما أمسيت منقسم الفكر

أسير إلى مصر وقلبي أسيركم ... ومن عجب أسري وقلبي في أسر

أخلاي قد شط المزار فأرسلوا ... الخيال وزوروا في الكرى واربحوا أجري

تذكرت أحبابي بجلق بعد ما ... ترحلت والمشتاق يأنس بالذكر." (١)

"وأنا الآن موف حق هذا القسم الرابع، بذكر ما أثبته من البدائع، ومورد كل ما يهتز له عطف السامع، ويتنزه فيه طرف الراتع، فانظم من در ماشيت ولا تلم ببحره إن خشيت؛ فإن در البحر يجلبه من يلازم الغوص، ودر الفكر يجلبه من يداوم الفحص.

شعراء مصر

وقبل شروعي في ذكر أعيان مصر وأحاسنها، ومزايا فضائلها ومزاينها، أقدم ذكر من جميع أفاضل الدهر، وأماثل العصر، كالقطرة في تيار بحره، بل كالذرة في أنوار فجره، وهو:

المولى الأجل القاضي الفاضل الأسعد أبو علي عبد الرحيم بن القاضي الأشرف أبي المجد علي بن الحسن بن أحمد

ابن البياني

صاحب القران، القديم الأقران، وواحد الزمان، العظيم الشان، رب القلم والبيان، واللسن واللسان، والقريحة الوقادة، والبصيرة النقادة، والبديهة المعجزة، والبديعة المطرزة، والفضل الذي ما سمع في الأوائل بمن لو عاش في زمانه لتعلق بغباره، أو جرى في مضماره. فهو كالشريعة المحمدية التي نسخت الشرائع ورسخت بها الصنائع، يخترع الأفكار، ويفترع الأبكار، ويطلع الأنوار، ويبدع الأزهار. وهو ضابط الملك بآرائه، ورابط السلك بآلائه، إن شاء أنشأ في يوم واحد بل في ساعة واحدة ما لو دون لكان لأهل الصناعة خير بضاعة. أين قس عند فصاحته وأين قيس في مقام حصافته، ومن حاتم وعمرو في سماحته وحماسته. فضله بالإفضال حال، ونجم قبوله في أفق الإقبال عال، لا من في فعله، ولا مين في قوله، ولا خلف في وعده ولا بطء في رفده. الصادق الشيم، السابق بالكرم، ذو الوفاء والمروة، والصفاء والفتوة، والتقى والصلاح والندى والسماح. منشر رفات العلم وناشر راياته، وجالي غيابات الفضل وتالي آياته. وهو من أولياء الله الذين خصوا بكرامته، وأخلصوا لولايته، قد وفقه الله للخير كله. وفضل هذا العصر على الأعصار السالفة بفضله ونبله؛ فهو مع ما يتولاه من أشغال المملكة الشاغلة، ومهامه المستغرقة في العاجلة، لا يغفل عن الآجلة، ولا يفتر عن المواظبة على نوافل صلاته، وحفظ أوراده ووظائفه، وبث أصفاده وعوارفه، ويختم كل يوم ختمة من القرآن المجيد، ويضيف إليه ما شاء من المزيد. وأنا أوثر أن أفرد بنظمه ونثره كتابا فإنني أغار من ذكره مع الذين هم كالسها في فلك شمسه وذكائه، وكالثرى عند ثريا علمه وذكائه؛ فإنما

(١) خريدة القصر وجريدة العصر، ٢٠٣/٢١

تبدو النجوم إذا لم تبد الشمس حاجبها، ولا حجب نور الغزالة عند إشراقها كواكبها؛ ولأنه لا يؤثر أيضا إثبات ذلك، فأنا متمثل لأمره المطاع ملتزم له قانون الاتباع؛ واضع أذني لإذنه قابض يميني على يمنه، راكن بأملي إلى ركنه، قاطن برجائي في ظل منه، أقترض رضاه، ولا أحكم على ما يحكم به ويراه، ولا أقوم إلا حيث يقيمني، ولا أسوم إلا ما يسومني، ولا أعرف يدا ملكتني غير يده، ولا أتصدى إلا ما جعلني بصدده، وأسأل الله التوفيق للثبات على هذا السنن وانتهاج جدده.

وهو أحق ممدوحي بمدحي، وأقضاهم لحقه، وأسماهم في أفقه، وأولاهم بصدقه، وأهداهم إلى طرقه، ولي فيه مدائح منظومة ومنثورة، ومقاصد معاهدها بفضله معمورة، وقصائد قلائدها على مجده موفورة. فمن ذلك من قصيدة كتبت بها إليه عند وصوله إلى الشام في الخدمة الملكية الناصرية سنة سبعين واتصالي به:

قد أهدي الإثراء في الإيفاض لي ... مذ فاض لي بالرحب بحر الفاضل

قد عاض لي ملقاه من فقري غنى ... ما زال صرف الدهر منه عاضلي

كم من منى ضلت وعاودت الهدى ... بلقائه حتى غلبت مناضلي

عاينت طود سكينة ورأيت شمس ... فضيلة ووردت بحر فواضل

ولقيت سحبان البلاغة ساحبا ... ببيانه ثوب الفخار لوائل

أبصرت قسا في الفصاحة معجزا ... فعرفت أني في فهاهة باقل

حلف الفصاحة والحصافة والسما ... حة والحماسة والتقى والنائل

بحر من الفضل الغزير خضمه ... طامي العباب وما له من ساحل

ومنها:

في كفه قلم يعجل جزيه ... ما كان من أجل ورزق آجل

يجري ولا جري الحسام إذا مضى ... حداه بل جري القضاء النازل." (١)

"(السادسة) فيه نهي السيد أن يقول لمملوكه عبدي ، وأمتي وإرشاده إلى أن يقول غلامي وجاريتي وفتاي وفتاتي ؛ وذلك لأن حقيقة العبودية إنما يستحقها الله تعالى ولأن فيها تعظيما لا يليق بالمخلوق واستعماله لنفسه ، وقد بين النبي صلى الله عليه وسلم العلة في ذلك فقال ﴿ كلكم عبيد الله ﴾ فنهى عن التطاول في اللفظ كما نهى عن التطاول في الفعل ، وفي إسبال الإزار ونحوه .

وأما لفظ غلامي وجاريتي وفتاي وفتاتي فليس دالا على الملك كدلالة عبدي مع أنه يطلق على الحر والمملوك وإضافته دالة على الاختصاص قال الله تعالى ﴿ وإذ قال موسى لفتاه ﴾ ﴿ وقال لفتيانه ﴾ ﴿ قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له إبراهيم ﴾ واستعمال الجارية في الحرة الصغيرة معروف في استعمال العرب وهو مشهور في الجاهلية والإسلام ، وأصل الفتوة الشباب ، وقد يستعمل الفتى فيمن كملت فضائله ومكارمه كما جاء ﴿ لا فتى إلا علي ﴾ ومن هذا أخذ الصوفية الفتوة المتعارفة

(١) خريدة القصر وجريدة العصر، ١ ٢١٣/٢

بينهم ، وأصل مدلوله الغلام الصغير إلى أن يبلغ ، وقد يطلق على الرجل المستحكم القوة وهو على هذا إما مأخوذ من الغلمة وهي شهوة النكاح وكذلك الجارية في الإناث كالغلام في الذكور .." [1]

"@ا"تفسيرسورة الأنبياء تساء لوفيمابينهمباحثينمتعر فينحتى " قالو ١١

قائوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له إبراهيم .

أى تقاولوا الأمر فيما بينهم حتى قال قائلون منهم (سمعنا فتى يذكرفم يقال له إبرا@م @ ، وعبر عن إبراهيم بقوله (فتى@ ؟ لأنه كان أقرب إلى الشباب **والفتوة** ، و(يذكرهم @ معناه يذكرهم بالاستنكار بعبادتها ، وإنكار أن تكون الهة ، وأن الله هو وحده الرب الذى يعبد فى السموات والأرض ؟ لأنه الذى خلقهم ، وهو وحده المعبود ، وفهم ذلك من " يذكر " ، فإنه فى هذا المقام الذى تجرى فيه شبهة إتهامه بتكسيرها ، وتحطيمها لابد أن يكون الذكر بغير ما يوافقهم فى عبادتها ؟ ولذلك اتجهلاتهام إليه ، وأرادوا الإثبات.

(قالوا فاتوا به علىء أعين الناس لعلهم يشهدون .

كانت غيرتهم على المهتهم شديدة أصابتهم فعلة إبراهيم بحسرة ، ثم بلوعة ،

ثم بحب النقمة والتحفز بها ، فاشتدت عزيمتهم على إنزال الأذى ، فاجتمعت جموعهم وقالوا : (فاتوا به علىء أعين الناس @ ، اعرضوه على الاعين ، لترکب صورته على عقولهم ، وفوق أعينهم ، وفى ذلك مجاز بتشبيه رؤيتهم المدققة المرددة كرتين بالشيء الذى ركب عليها لكيلا تنساه وتنزل فى قلوبهم الحانقة الغاضبة (لعلهم يشهدون @ أى يحضرون ويشاهدوا جريمته فى زعمهم ، وينزلوا به من العذاب جزاء المعتدى على فعله الأثيم فى زعمهم ، وهو عين الحق عند الله ، جىء به ، وشاهدوه ، وقالوا له :

(قالوا أ أنت فعلت هذا بالهتنا يا إبراهيئم .

سألوا إبراهيم عن نسبة الفعل إليه ، ولم يسألوه عن الفعل ومبرراته ، بل سألوه عن شخصه الفاعل ؟ لأن الفعل رأوه ، فلا حاجة إلى السؤال عن وقوعه ، لأنهم عاينوه ورأوه ، ولا عن مبرراته ؟ لأنهم لا يعلمون مبررا يسوغ تحطيمها ، وهى المقدسة العبودة فى زعمهم ، إنما كان السؤال عن الفاعل ، ولذا تقدم ضمير الخطاب ، لأن الاستفهام منصب عليه انصبابا ، (أ أنت فعلت هذا بالهتنا يا إبرا@م @ ، والسؤال." [2]

"حكم لمس الخاطب لمخطوبته والخروج معها

Q شخص قرأ الفاتحة على امرأة -أي: خطوبة- وخرج معها وهو متوضئ، ولمس يدها، هل يجوز أن يخرج معها؟! وما حكم مصافحة النساء؟

---

(١) طرح التثريب، ١ /٧/ ٣٩

(٢) زهرة التفاسير، ١ ص/٤٨٨٦

A قراءة الفاتحة هذه التي فعلها لا تحل له أي شيء، فلا يجوز له أن يمس يدها؛ لأن النبي قال: (لئن يطعن أحدكم بمخيط من حديد في رأسه، خير له من أن يمس امرأة لا تحل له).

أما هل هذا المس ينقض الوضوء أو لا ينقض الوضوء؟! فقولان لأهل العلم، والأصح منهما -كما يظهر والله أعلم- اختيار عبد الله بن عباس أن المس الذي هو دون الجماع لا يوجب وضوءا؛ لأن عائشة مست رجل الرسول وهو ساجد، ولم يخرج الرسول عليه الصلاة والسلام من صلاته، وحمل قوله تعالى: ﴿ أو لامستم النساء ﴾ [النساء:٤٣] على أن المراد هو الجماع، أما إذا شعر بأنه أمذى وخاصة إذا كان في مثل هذه الحالة من **الفتوة** -وهي كذلك- فإذا تأكد أنه أمذى وجب عليه الوضوء.." (١)

"حفظ الفروج من الحرام

قال تعالى: ﴿ والذين هم لفروجهم حافظون ﴾ [المعارج:٢٩] أي: حافظون للفروج من كل ما منع الله منه، حافظون للفروج من الزنا، فإن الله قال: ﴿ ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق أثاما ﴾ [الفرقان:٦٨].

والنبي صلى الله عليه وسلم ذكر أن الزناة تحرق فروجهم ويوضعون عراة في مثل التنور، كما رأى ذلك عليه الصلاة والسلام في الرؤيا، فهم حافظون للفروج من الزنا، وحافظون للفروج من الاستمناء، وبهذه الآية الكريمة استدل الإمام الشافعي على تحريم الاستمناء؛ لأن الله قال: ﴿ والذين هم لفروجهم حافظون * إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين * فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون ﴾ [المعارج:٢٩-٣١] قال: والاستمناء من ما وراء ذلك.

وأيضا: حافظون لفروجهم من أن يراها أحد، قال النبي عليه الصلاة والسلام: (لا ينظر الرجل إلى عورة الرجل، ولا تنظر المرأة إلى عورة المرأة).

قال تعالى: ﴿ إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين ﴾ [المعارج:٣٠] قوله: (فإنهم غير ملومين) يفيد أنه ليس عليهم لوم إذا أتوا نساءهم أو أتوا إماءهم، لكن نفي اللوم يفيد أكثر من ذلك، وهو أن إتيان النساء مستحب؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (وفي بضع أحدكم صدقة) وفي الحديث المعروف: (يأتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر يا رسول الله؟ قال: نعم، أرأيت لو وضعها في حرام أكان عليه وزر؟ قال: نعم، قال: كذلك لو وضعها في الحلال كان له أجر).

فأحيانا الحكم لا يؤخذ من آية واحدة فقط، أو من حديث واحد فقط، فمثلا: الله سبحانه وتعالى قال في كتابه الكريم: ﴿ إن الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما ﴾ [البقرة:١٥٨] فلو أخذت حكم الطواف بين الصفا والمروة من الآية فقط، لكان حاصل ما في الآية: أنه لا إثم عليك إذا طفت، لكن من النصوص الأخرى استفدت وجوب السعي بين الصفا والمروة، بل من العلماء من قال بفرضية السعي بين الصفا والمروة.

فالحكم لا يؤخذ من آية واحدة فقط، كذلك في قصر الصلاة: ﴿ فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة إن خفتم أن يفتنكم الذين كفروا ﴾ [النساء:١٠١] إن أخذت الحكم من الآية فغاية ما أفادته الآية أنه لا إثم عليك إذا

---

(١) سلسلة التفسير لمصطفى العدوي، ٧٠/١٨

قصرت، ومنهم من قال بوجوب القصر، والجمهور على الاستحباب، لحديث: (فرضت الصلاة مثنى مثنى، فزيد في صلاة الحضر وأقرت في صلاة السفر) .

فالأحكام لا تؤخذ من آية واحدة ولا من حديث واحد فقط.

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون ﴾ [المعارج:٣١] فعلى ذلك ينصح الشاب الذي تعتريه الشهوة **والفتوة** بما نصح به الرسول صلى الله عليه وسلم حين قال: (يا معشر الشباب! من استطاع منكم الباءة فليتزوج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء) هذه نصيحة رسول الله.

وقال الله سبحانه: ﴿ وليستعفف الذين لا يجدون نكاحا حتى يغنيهم الله من فضله ﴾ [النور:٣٣].

وقال النبي عليه الصلاة والسلام: (ومن يستعف يعفه الله)، وفي الرواية الأخرى: (ومن يستعفف يعفه الله).

فهذه إرشادات للشباب، ألا يتبعوا النفس وهواها ولا يسيروا وراءها، ولا أن يكون كل ما احتاجت النفس إلى شيء فعله، بل كن كما علمك الرسول عليه الصلاة والسلام، عليك بالصيام وعليك بالاستعفاف، وعليك بغض البصر، وعليك باتخاذ التدابير الواردة في شرعنا للوقاية من الجنس.." (١)

"ج٢ص١٤٤

وسلم فأخطأ فتأمل ووجود الجنة مضرح به في الآية وعلوها مأخوذ من الهبوط والمعتزلة خالفوا في وجودها ، وقبول التوبة تفضل منه وقد وعد به من لا يخلف الميعاد لا وجوبا كما زعمه المعتزلة وقوله وأن غيره لا يخلد الخ بناء على حمل الخلود على التأبيد بالقرائن وافادة مثل هو قائلها الحصر ، ولك أن تقول إنه ليس بناء على هذا بل إنه لما ذكر الفريقين وخص الخلود بأحدهما دل على أنه ليس صفة لغيرهم وهو الظاهر من قوله مفهوم فافهم. قوله : (لما ذكر دلائل التوحيد والنبوة الخ) هذا إشارة إلى ارتباط الآية بما قبلها ويزيدها ربطا ذكر بني إسرائيل بعد المكذبين ودلائل التوحيد من قوله : ﴿ يا أيها الناس اعبدوا ربكم ﴾ [سورة البقرة ، الآية : ٢١] الخ ودلائل النبوة ﴿ إن كنتم في ريب ﴾ الخ والمعاد من

.

توله : ﴿ فاتقوا النار ﴾ الخ وقوله وعقبها تعداد النعم إن قرئ بالتخفيف فتعداد فاعله وان شدد فتعداد منصوب بنزع الخافض أو بتضمينه التصيير ونحوه فمن قال : الصواب بتعداد النعم استسمن ذا ورم وكلامه بين في الارتباط وخاطب الخ جواب لم واقتفاء الحجج أي اتباع الدلائل لأنهم أعلم بها من غيرهم فكان ينبغي أن يكونوا أول من آمن به عليه الصلاة والسلام. قوله :) أي أولاد يعقوب الخ) يعني أن الابن وان كان مختصا بالولد الذكر لكنه إذا أضيف وقيل : بنو فلان يعم الذكور والإناث وهو معنى عرفي فيكون في معنى الأولاد مطلقا ، واسرائيل اسم يعقوب عليه الصلاة والسلام ، وبني جمع ابن شبيه بجمع التكسير لتغير مفرده ولذا ألحق في فعله تاء التأنيث نحو قالت بنو فلان وقد أعرب بالحروف وهل لامه ياء لأنه مشتق من البناء لأن الابن فرع الأب ومبني عليه أو واو لقولهم البنوة كالأبوة والأخوة قولان الصحيح الأول ولذا اقتصر المصنف عليه وأما البنوة فلا دلالة فيها لأنهم قالوا **الفتوة** ولا خلاف أنها من ذوات الياء إلا أن الأخفش رجح الثاني لأن

---

(١) سلسلة التفسير لمصطفى العدوي، ٨/٧٤١

حذف الواو أكثر ، واختلف في وزنه فقيل : بنى بفتح العين وقيل : بني بسكونها وهو أحد الأسماء العشرة التي سكنت فاؤها وعوض من لامها همزة الوصل وقوله مبني ا بيه تجوز أي متولد وكل ما يحصل من فعل أحد يتسبب فهو ولده فيقال أبو الحرب للمحراب وللقصيدة ونحوها بنت الفكر وهو من النسبة إلى الآلة مجازا والانتساب في الحقيقة إلى المفكر فلذلك عطف على ما هو مثال للمنسوب إلى الصانع وجعلى إسرائيل لقبا لإشعاره بالمدح لأنه بمعنى صفوة الله أو عبد الذ وايل في لغتهم بمعنى الله. قوله : (أي بالتفكر فيها الخ) الذكر بكسر الذال وضمها بمعنى واحد ويكونان باللسان والجنان ، وقال الكسائي : هو بالكسر للسان وبالضم للقلب وضد الأول الصمت وضد الثاني النسيان وعلى العموم فإما أن يكون مثتركا بينهما أو موضوعا لمعنى عام شامل لهما والظاهر الأول فأشار المصنف إلى أن المم اد التصؤر التفكر في النعمة وأن اله غصود من الأمر بذلك الشكر والقيام بحقوقها كما تقول : أتذكر إحساني لك فإن المراد هلا وفيت حقه فلذلك عطف عليه القيام بشكرها عطفا تفسيريا فلا يرد عليه ما قيل : الذكر هنا قلبي ، والمطلوب به هو القيام بشكرها إيماء إلى أنها من النعم الجسام التي لا مانع للعاقل

عن القيام بشكرها إلا الغفلة عنها والذهاب هذه الدقيقة على المصنف رحمه الله عطف القيام بشكرها على التفكر فيها كأنه أدرجه في معنى الذكر ، وفيه من التكلف ما لا يخفى وهو بعينه مراد المصنف رحمه الله. قوله : (والتقييد بهم) وفي نسخة وتقييد النعم بهم يعني بالوصف بقوله التي الخ والظاهر أن المراد بالنعمة وهي المنعم بها مطلق النعم الإلهية العامة لكل مخلوق كبعث الرسل عليهم الصلاة والسلام وخلق ا اتحوي والرزق ولكن قيدت في النظم بهم ولم تطلق أو تعمم بأن يقال : أنعمت بها على عبادي أو تخص! بغيرهم بأن يقال : على أمة محمد صلى الله عليه وسلم ليكون أدعى لشكرهم لأنها لو لم تخص بهم لربما حملهم الحسد والغيرة على كفرانها وما قيل : إنه حمل النعمة ههنا على النعمة التي أنعم بها على آبائهم حمل لكلامه من غير دليل على ما لم يرده. قوله : (وقيل أراد بها ما أندم الخ) هذا هو الذي ارتضاه الزمخشري والمصنف رحمه الله تعالى ضعفه لأن السياق ينافيه فإن قوله : ﴿ وآمنوا بما أنزلت ﴾ [سورة البقرة ، الآية : ٤١ ، لا يتصور في حق آبائهم مع أنه قيل : عليه أن فيه جمعا." (١)

"ج٥ص١٧٢

والإسكندرية لكنه فيل عليه إن مارزكزه صتنافي ما مر من أن قطفير كان على خزائن " !صز ، ومككها الريان وفنى يائي بدليل تث!نيته !لأنها ترد الأشياء لأصولها **فالفتوة** على هذا شاذة ، وقيل إنه يائي وواوي ككنوت وكنيت ، وله نظائر كثيرة. قوله : (شق شغاف قلبها الخ) الشغاف بوزن سحاب حجاب القلب ، وقيل سويداؤه ، والفؤاد القلب ، وقوله لصرف الفعل عنه أي محول عن الفاعل ، والأصل شغفها حبه ، وهنأه بالهمزة بمعنى طلاه بالقطران ، ومعنى إحراقه أنه أثر في جلده ، وهذا أصله ، والشغف والشعف تاثير الحب وهما متقاربان ، وقد فرق بينهما. قوله : (باغتيابهق وإنما سماه مكرا الخ) يعني أن المكر استعير للغيبة لشبهها له في الإخفاء كما أشار إليه ، وعلى الوجه الثاني هو حقيقة ، وكذا على الأخير لأنهت مكرن بها في إظهار كتمان السر حتى أطلعن على أمرها ، وقوله لتريهن أي زليخا ، وفي نسخة ليرين أي النسوة من

---

(١) حاشية الشهاب الخفاجي على البيضاوى، ٢/ ١٤٤

الثلاثي. قوله : (تدعوهن) أي للضيافة مكرا بهن لما سيأتي ، ويبهتن مجهول أي يتحيرن ، وأما بهته فبمعنى افترى عليه ، ويقطعنها أي الأيدي من قطع الثلاثي ، وكونه من الأفعال بمعنى يجعلنها قاطعة لها ركيك ويجوز أن يكون من التفعيل ، ويبكتن من التبكيت ، وهو الغلبة أي يغلبن بالحجة التي لها مما له من الجمال الذي لا يمكن صبر النساء معه ويهاب عطف على يبهتن أي يخاف يوسف عليه الصلاة والسلام فينقاد لها وهو مناف للمقام ، ولذا لم يجعله في الكشاف وجها ، وجمع بين المكرين. قوله : (متكأ طعاما) هو على الثاني اسم مكان أو ا-لة بمعنى الوسادة ، وهو مستعمل في حقيقته ، وقوله فإنهم كانوا يتكؤون الخ بيان لوجه إطلاقه عليهما ، وعلى الأول هو اسم للطعام ، وهو اسم مفعول أو مصدر جعل كناية أو مجازا عنه ، والظاهر الثاني أي اتكاء أو متكأ له ، واستشهد بالبيت للأول ، وأنه لو فعل لأنه المحتاج للإثبات ، وأما الثاني فهو اسم مكان لا حاجة لإثباته ، والترف كالترفه

التنعم ، وقوله ولذلك ، أي لكونه فعل المترفين المتكبرين نهى عنه في الحديث الذي رواه ابن أبي شيبة عن جابر رض!ي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم : " نهى أن يثل الرجل بشماله وأن يثل متكئا) (١١ لكن الواقع ! في الحديين النهي عن اكل ، والنهي عن الهشرب ثبت بدلالة القياس ، ولذا صرحوا به قال العلافمه في قوله ، وآتت كك ، وإحدة-تف!يره " اعتدف لهرهہ متكأ فجئن و!دن وآتت كل واحدة الخ ، ولا يبعد أن تسمى هذه الواو فصيحة فاحفظه. قوله : (قال جميل) هو من شعراء العرب الإسلامية ، وهو مشهور ، والبيت من قصيدة له من يحر الخفيف ، وعروضها مختلف ، وأولها :

رسا. !اروقفت في طلمله كخدت أقضي الصيا؟ غ مثن جلله

موحشا ما ترى به أحدا تنسج الترب ريح معتدله

ومنها :

فظللنابنعمة واتكأفا وشربنا الحلال من قلله

قال ابن قتيبة معنى اتكأنا أكلنا ، وطعمنا والقلل جمع قلة ، وهي الجرة ، والحلال أراد به النبيذ. قوله : (وقيل المتكأ طحم. يحزحزا) بألحاء المهملة أي يقطع ، وكونه بالجيم جوزه بعضهم لأن معنا. قريب منه والأول أولى لأنه المعروف ، وأما الجز فأستعماله في قطع / الصوف ، ونحو. ، وهذا مخالف للأول لأنه مطلق الظ!ط بخ! ، وهذا مخصوص باللخم. ، . ونن!ه. قوله : (وقرئ متكا بحذف الهمزة) أي وضم الميم ، وتشديد التاء مفتعا من أوكيت القربة إذا شددت فاها بالوكاء ، والمعنى اعتدت شيئا يستندن عليه بالاتكاء أو بالقطع ، وقرئ بالمد على أنه إشباع كما قالوا في منتزح ، وهو البعيد ، منتق اح ، وقرئ متكا بضم ! الميم ، وسكون التاء

والتنوين ، وروي فيه الضم ، والفتح ، وهو الأترج بضم الهمزة ، والراء المهملة ، وبينهما تاء ساكنة وفي آخره جيم مشددة ، ويقال اترنج وترنج ، وهو ثمر معروف ، وقيل ما يقطع من المأكولات من متكه ، وهو وبتكه بمعنى قطعه ، والباء والميم تتعاقب كثيرا كلازم ولازب ، وقيل إنه طعام يقالط له زما ورد وقرئ متكأ بفتح فسكون ، وفي آخره همزة من تكىء بمعنى اتكأ ، ومعناه كمعنى متكأ. قوله : (عظمته الخ) فأكبر. بمعنى كبره أي عظمه ، وقيل أكبرن بمعنى حضن ، والإكبار يكون

بمعنى الحيض ، وأنشدوا عليه بيتا قيل إنه مصنوع ، وسمي الحيض إكبارا لكون البلوغ يعرف به كأنه يدخلهم سن الكبر فيكون." (١)

"ج٦ص١١٤

على أنهم لا ملجأ ولا منجا لهم فإن من يكون ملجؤه العذاب كيف يرى وجه الخلاص والنجاة ، وقوله : منجا لم يقلى وملجأ لأنهما بمعنى والفرق إنما هو في التعدية بإلى وعدمه ، وقيل إنه عائد على الموعد والمبالغة المذكورة باقية أيضا. قوله : (يعني قرى عاد وثمود وأضرابهم) أي أشباههم في الهلاك والإشارة لتنزيلهم لعلمه بهم منزلة المحسوس ، وقوله : خبره أهلكناهم أو القرى ، والجملة حالية كما في البحر والقرى صفة والوصف بالجامد في باب الإشارة مشهور ، والوصف جار على الإعرابين ، وفوله : مفعول مضمر بالإضافة أي مقدر ، وقوله : في أحدهما أي قبل تلك أو القرى ولا ركاكة في الثاني كما قيل : لأن تلك يشار بها للمؤنث من العقلاء وغيرهم ويجوز أن تكون القرى عبارة عن أهلها مجازا ، وقوله : كقريش ذكر أنهم نظيرهم في الظلم إشارة إلى أن ما ذكر إنذار وتهديد لهم والمراء الجدال وذكره لسبقه. قوله : الإهلاكهم وقتا معلوما الما جاز في كل من المهلك على القرا آت والموعد هنا أن يكون زمانا ومصدرا لكن إذا كان أحدهما زمانا لا بد من جعل الآخر مصدرا لئلا يكون للزمان زمان أشار إلى أن الأول مصدر ، والثاني اسم زمان ولم يعكسه لركاكته ، وقال : وقتا معلوما لأن الموعد لا يكون إلا كذلك والا فاسم الزمان مبهم ، وقوله : ولا يستقدمون لم يذكره في الكشاف وذكره أولى وتفسيره الأول على ضم الميم وفتح اللام ، وقوله : حملا على ما شذ الظاهر أن يقول : لأنه ورد شاذا إذ الشاذ لا يحمل عليه والقراءة ليست بالقياس ، إذ هي منقولة عن النبي صلى الله عليه وسلم ولو شذوذا والشاذ هو مجيء المصدر الميمي مكسورا فيما عين مضارعه مكسورة وفي دعوى الشذوذ نظرا لما في القاموس من أن هلك جاء من باب ضرب ومنع وعلم والمحيض بالضاد المعجمة مصحدر بمعنى الحيض وذكره إشارة إلى أن الشذوذ لا يختص بالصحيح. قوله ة) ﴿ وإذ قال موسى ﴾) هو موسى بن عمران عليه الصلاة والسلام على الصحيح وقال : أهل الكتاب وتبعهم بعض المحدثين والمؤرخين أنه هنا موسى بن ميشا بالمعجمة بن يوسف بن يعقوب وهو موسى الأول وإنما أنكره أهل الكتاب لإنكارهم ئعلم النبي من غيره ، وقال : الكرماني لا غضاضة في تعلم نبي من نبي آخر واذ على تقدير اذكر مفعول لا ظرف لأن ذكره للوقت لا في الوقت ومعناه قل لا تذكر ، وقوله فإنه كان يخدمه ويتبعه قدمه لأنه الأصح ولذا أضافه إليه والعرب تسمى الخادم فتى لأن الغالب استخدام من هو في سن الفتوة. قوله : (وقيل لعبده) فالإضافة للملك وأطلق عليه فنى لما ورد في الحديث الصحيح ليقل أحدكم فتاي وفتاتي ولا يقل عبدي وأمتي وهو من آداب الشريعة وليس إطلاق زلك بمكروه لكنه خلاف الأولى ولم يرتض هذا القول المصنف رحمه الله كما في الكشاف لأنه مخالف للمشهور. قوله : الا أزال) فهي ناقصة من أخوات كان وحذف الخبر فيها قليل كما ذكره الرضي خلافا لأبي حيان وغيره ممن زعم أنه ضرورة والخبر المحذوف هنا ثقديره أسير ونحوه لدلالة الحال والغاية عليه إذ لا بد لها من مغيي ، والمناسب له هنا السير والسفر ومما ول ل على هذا المقدر قوله : فلما بلغا مجمع بينهما فلا وجه لما قيل إنه لا دلالة في النظم مليه ، وقوله : من حيث للتعليل إن قيد الحيثية قد يذكر للتعليل وقد يذكر

---

(١) حاشية الشهاب الخفاجى على البيضاوى، ١٧٢/٥

للتقييد وقد يذكر للاطلاق كما مر ، وفي نسخة من حيث إنها والضمير لحتى من حيث إنها كلمة أو غاية وهو مان لوجه الدلالة وضميران لذلك القول ، وقوله : وعليه متعلق بدلالة والضمير راجع إلى الخبر " ن الوصول إلى المكان لا يكون إلا بعد السير. قوله : (ويجور أن يكون أصله لا يبرح

مسيري (فحتى مع مجرورها خبر والخبر في الحقيقة ، متعلقه فحذف منه المضاف إليه وهو مسير بمعنى السير فانقلب الضمير من البروز والجر إلى الرفع والاستتار وانقلب الفعل من الغيبة إلى التكلم وكذا الفعل الواقع في الخبر وهو أبلغ كان أصله يبلغ ليحصل الربط ، واعترض عليه بأنه حينئذ يخلو الخبر من الرابط إلا أن يقدر حتى أبلغ به أو يقال : إن الضمير المستتر في كائن يكفي للربط أو أن وجود الربط بعد التغيير صورة يكفي فيه وإن كان المقدر في قوة المذكور. قوله : (وأن يكون لا أبرج بمعنى لا أرول) فهي تامة لا تحتاج إلى خبر لكن لا بد من تقدير متعلق له ليتم المعنى كما أشار إليه بقوله : عما أنا عليه الخ ومضارع." (١)

"ج٦ص٣٧٤

وقف عليها بالألف في المواضع الثلاثة خلافا للرسم أبو عمرو والكسائي ويعقوب ووقف عليها الباقون بالحذف اتباعا للرسم. إلا أن ابن عامر ضم الهاء اتباعا للياء فيها. قوله : (لما نهى عما عسى يفضي إلى السفاح) أي يؤدي إليه بتحريك عرق الشهوة وهو النظر وابداء الزينة وضرب الأرجل ، والسفاح أصله صب الماء ثم جعل بمعنى الزنا والمخل صفته والمقتضى صفة النسب والمؤذية قيل إنه راجع إلى الثلاثة من الألفة وحسن التربية ومزيد الشفقة وعسى مقحمة هنا وقد وقع مثله في عبارة الكشاف كقوله : فإن عسى- كان ذاك وخطأه أبو حيان فيه. وقال : إنه تركيب أعجمي وخرجها الفاضل اليمني في الإعراف على وجهين أحدهما هذا ونقل في همع الهوامع عن الفراء جواز اقحامها فإن أردت تفصيله فارجع إليه والزجر عنه. في قوله : الزانية الخ. وقوله : الحافظ له أي للنسب أو للنوع وبعد الزجر متعلق بنهي والمبالغة من النهي عن النظر والزينة وهوءتعليل للنهي. وتزويج المولية راجع للأولياء والمملوك واجع للسادة والمولية بصيغة المفعول من ينفذ فيها تصرف الولي وتثبت عليها الولاية. قوله : (وفيه دليل على وجوب تزويج المولية) اعترض! عليه بأنه كيف يكون دليلا والأمر عندنا للندب. لكنه يقول إنه عندنا خلاف الأصل والظاهر وكأن الطاهر أن يقول عند طلبهما كما وقع في بعض النسخ إلا أنه قيل : إنه أرجعه إلى المولية إشارة إلى أنه لا عبر بطلب المملوك ولا وجه له لأنه بغير طلب غير واجب عند المصنف وقد تكلف له بما تركه أولى من ذكره. قوله : (واشعار بأن المرأة الخ) إن أراد بالمرأة ما يعم المرأة العاقلة البالغة فلا ولاية لأحد عليها عندنا ودخولها تحت الأمر لشمول الأيامى لها مقيد بإذنها. كما أن الرجل من الأيامى كذلك بالاتفاق والأمرو لكون المعتاد فيه !المعاونة والتوسط لإصلاح حالهما. قوله : (وأيامى مقلوب أيايم) ذهب المصنف تبعا للزمخشري ومن تابعه إلى أنه مقلوب لأن فعيلا وفيعلا لا يجمعان على فعالى فأصله يتائم وأيايم فقدمت الميم. وفتحت للتخفيف فقلبت الياء ألفا لتحركها وانفتاح ما قبلها ويتيم أيضا جرى مجرى الأسماء الجلصدة!لأن فعيلا الوصفي يجمع على فعال ككريم وكرام لا على فعائل. وقد مر في سورة النساء أنه لما جر! مجرى الأسماء الجامدة كفارس وصاحب جمع على يتائم ثم قلب فقيل يتامى أو

---

(١) حاشية الشهاب الخفاجي على البيضاوى، ا ٦/ ١١٤

جمع على

يتمي كأسري لأنه من باب الآفات ثم جمع يتمى على يتامى وذهب ابن مالك ومن تبعه إلى أنه شاذ لا قلب فيه وهو ظاهر كلام سيبو-له وذهب ابن الحاجب إلى أنهم حملوا يتامى وأيامى على وجاعي وحياطي لقرب اللفظ والمعنى. قوله : (وهو العزب الخ) عن محمد هي الثيب واختار الكرخي ما ذكره المصنف ويشهد له ما روي أنه صلى الله عليه وسلم قال : الأيم أحق بنفسها من وليها والبكر تستأذن في نفسها واذيها صماتها ألا ترى كيف قابلها بالبكر وفي رواية الثيب أحق كذا في المغرب وفيما استدل به نظر وقال التبريزي في شرح ديوان أبي تمام قد كثر استجمال هذه الكلمة في الرجل إذا ماتت امرأته وفي المرأة إذا مات زوجها وفي الشعر القديم ما يدل على أن ذلك بالموت وبترك الزواج من غير موت قال الشماخ : يقر بعيني أن أحدث إنها وإن لم أنلها أيم لم تتزوج...

انتهى وقد ورد بهذا المعنى في قوله الحماسي :

كل حي تايم منه اه حرس أومنهايتيم...

قوله : (فإن تنكحي أنكح وإن تتأيمي وإن كنت أفتى منكم أتأيم (وان كنت أفتى جملة معترضة وأفتى أفعل تفضيل من الفتوة وهي الشباب وأتأيم جواب الشرط مجزوم وحرك بالكسر لأجل الشعر ومنكم خطاب بصيغة الجمع للواحدة كقوله : ولو شئت حرمت النساء سواكم

قوله : (وتخصيص الصالحين الخ) أي ليحصن دينهم ويحفظ عليهم صلاحهم لأنهم ينزلون منزلة الأولاد فكانوا مظنة الاهتمام وعلى الوجه الثاني المراد بالصلاح معناه اللغوي فالأمر للندب كما لا يخفى. قوله : (رد لما عسى الخ) مر نظيره والغنية ما يستغنى به وغاد ورائح بمعنى آت وذاهب وهو من كلامهم قديما ومعناه لا يستقر على حال فيكون أمرا بغنى القلب والإتكال وخصوا به لما ذكره فلا يرد عليه شيء. وقوله : اطلبوا الغنى في هذه الآية أي بالتزوج كما صرح به فيما تابعه من الأحاديث. وقوله : لكن مشروط بالمشيئة دفع لما يتوهم من أنه لا يخلف الميعاد." [١]

" لكنهم كثيرا ما أنحرفت أفكارهم وأختلطت أنظارهم فوقعوا في علماء الأمة وأكابر الأئمة وبالغوا في التعنيف والتشنيع وتجاوزوا في التسخيف والتفظيع ولولا الخروج عن الصدد لوفيتهم الكيل صاعا بصاع ولتقدمت إليهم بما قدموا باعا بباع ولعلمتهم كيف يكون الهجاء بحروف الهجاء ولعرفتهم إلإم ينتهي المراء بلا مراء

في فرس للحم بالحلم ملجم ولي فرس للجهل بالجهل مسرج فمن رام تقويمي فإني مقوم ومن رام تعويجي فإني معوج على أن العفو أقرب للتقوى والأغضاء مبني الفتوة وعليه الفتوى والسادة الذين تكلم فيهم هؤلاء إذا مروا باللغو مروا كراما وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما وحيث تحرر الكلام في الكلام على مذهب أهل السنة وأندفع عنه بفضل الله تعالى كل محنة ومهة فلا بأس بأن نحكي بعض الأقوال كما حكى الله تعالى كثيرا من أقوال ذوي الضلال وبعد أن رسخ الحق في قلبك وتغلغل في سويدائه كلام ربك لا أخشى عليك من سماع باطل لا يزيدك إلا حقا وكاذب لا يورثك إلا صدقا فنقول أما المعتزلة فأتفقوا كافة على أن معنى كونه تعالى متكلما أنه خالق الكلام على وجه لا يعود إليه منه صفة حقيقية كما لا يعود

---

(١) حاشية الشهاب الخفاجي على البيضاوى، ٦/ ٣٧٤

إليه من خلق الأجسام وغيرها صفة حقيقية وأتفقوا أيضا على أن كلام الرب تعالى مركب من الحروف والأصوات وأنه محدث مخلوق ثم أختلفوا فذهب الجبائي وإبنه أبو هاشم إلى أنه حادث في محل ثم زعم الجبائي أن الله تعالى يحدث عند قراءة كل قاريء كلاما لنفسه في محل القراءة وخالفه الباقون وذهب أبو الهذيل بن العلاف وأصحابه إلى أن بعضه في محل وهو قوله كن وبعضه لا في محل كالأمر والنهي والخبر والإستخبار وذهب الحسن بن محمد النجار إلى أن كلام الباري إذا قريء فهو عرض وإذا كتب فهو جسم وذهبت الإمامية والخوارج والحشوية إلى ان كلام الرب تعالى مركب من الحروف والأصوات ثم اختلف هؤلاء فذهب الحشوية إلى أنه قديم أن لي قائم بذات الرب تعالى لكن منهم من زعم أنه من جنس كلام البشر وبعضهم قال لا بل الحرف حرفان والصوت صوتان قديم وحادث والقديم منهما ليس من جنس الحادث وأما الكرامية فقالوا إن الكلام قد يطلق على القدرة على التكلم وقد يطلق على الأقوال والعبارات وعلى كلا التقديرين فهو قائم بذات الله تعالى لكن إن كان بالإعتبار الأول فهو قديم متحد لا كثرة فيه وإن كان بالإعتبار الثاني فهو حادث متكثر وأما الواقفية فقد أجمعوا على أن كلام الرب تعالى كائن بعد أن لم يكن لكن منهم من توقف في إطلاق أسم القديم والمخلوق عليه ومنهم من توقف في إطلاق أسم المخلوق وأطلق أسم الحادث ومن القائلين بالحدوث من قال ليس جوهرا ولا عرضا وذهب بعض المعترفين بالصانع إلى أنه لا يوصف بكونه متكلما لا بكلام ولا بغير كلام والذي اوقع الناس في حيص بيص أنهم رأوا قياسين متعارضي النتيجة وهما كلام الله تعالى صفة له وكل ما هو صفة له فهو قديم فكلام الله تعالى قديم وكلام الله تعالى مركب من حروف مرتبة متعاقبة في الوجود وكل ما هو كذلك فهو حادث فكلام الله تعالى حادث فقوم ذهبوا إلى أن كلامه تعالى حروف وأصوات وهي قديمة ومنعوا أن كل ما هو مؤلف من حروف وأصوات فهو حادث ونسب إليهم أشياء هم برآء منها وآخرون قالوا بحدوث كلامه تعالى وأنه مؤلف من أصوات وحروف وهو قائم بغيره ومعنى كونه متكلما عندهم أنه موجد لتلك الحروف والأصوات في جسم كاللوح أو ملك كجبريل أو غير ذلك فهم منعوا أن المؤلف من الحروف والأصوات صفة الله تعالى وأناس لما رأوا مخالفة الأولين للضرورة الظاهرة ." (١)

" بها وأشار ب أولئك إلى الموصول بإعتبار إتصافه بما في حيز الصلة للأشعار بتميز أولئك بذلك الوصف تميزا مصححا للأشارة الحسية مع الإيذان ببعد منزلتهم فيه وهو مبتدأ خبره أصحاب وهو جمع صاحب وجمع فاعل على أفعال شاذ كما في البحر ومعنى الصحبة الإقتران بالشيء والغالب في العرف أن تطلق على الملازمة وذه الجملة خبر عن الذين ويحتمل أن يكون أسم الإشارة بدلا منه أو عطف بيان والأصحاب خبره والجملة الأسمية بعد في حيز النصب على الحالية لورود التصريح في قوله تعالى : أولئك اصحاب النار خالدين فيها وجوز كونها حالا من النار لإشتمالها على ضميرها والعامل معنى الإضافة أو اللام المقدرة أو في حيز الرفع على أنها خبر آخر لأولئك على رأي من يرى ذلك قال أبو حيان : ويحتمل أن تكون مفسرة لما أبهم في أصحاب النار مبينة أن هذه الصحبة لايراد منها مطلق الإقتران بل الخلود فلا يكون لها إذ ذاك محل من الإعراب والخلود هنا الدوام على ما أنعقد عليه الإجماع ومن البديع ماذكره بعضهم أن في الآيتين نوعا منه يقال له الإحتباك ويا حبذاه لولا الكناية المغنية عما هناك

---

(١) روح المعاني، ١ /١٩

يا بني إسرائيل أذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم خطاب لطائفة خاصة من الكفرة المعاصرين للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم بعد الخطاب العام وسقامة دلائل التوحيد والنبوة والمعاد والتذكير بصنوف الأنعام وجعله سبحانه بعد قصة آدم لأن هؤلاء بعد ما أتوا من البيان الواضح والدليل اللائح وأمروا ونهوا وحرضوا على إتباع النبي الأمي الذي يجدونه مكتوبا عنده مظهر منهم ضد ذلك فخرجوا عن جنة الإيمان الرفيعة وهبطوا إلى أرض الطبيعة وتعرضت لهم الكلمات إلا أنهم لم يتلقوها بالقبول ففات منهم ما فات وأقبل عليهم بالنداء ليحركهم لسماع ما يرد من الأوامر والنواهي وبني جمع إبن شيبة بجمع التكسير لتغير مفرده ولذا أحلق في فعله تاء التأنيث ك قالت بنو عامر وهو مختص بالأولاد الذكور وإذا أضيف عم في العرف الذكور والإناث فيكون بمعنى الأولاد وهو المراد هنا وذكر الساليكوتي أنه حقيقة في الأبناء الصلبية كما بين في الأصول وإستعماله في العام مجاز وهو محذوف اللام وفي كونها ياء أو واو اخلاف فذهب إلى الأول إبن درستويه وجعله من البناء لأن الإبن فرع الأب ومبنى عليه ولهذا ينسب المصنوع إلى صانعه فيقال للقصيدة مثلا : بنت الفكر وقد اطلق في شريعة من قبلنا على بعض المخلوقين أبناء الله تعالى بهذا المعنى لكن لما تصور من هذا الجهلة الأغبياء معنى الولادة حظر ذلك حتى صار التفوه به كفرا وذهب إلى الثاني الأخفش وأيده بأنهم قالوا : البنوة وبأن حذفا لواو أكثر وقد حذفت في أبو أخوبه قال الجوهري : ولعل الأول أصح لا دلالة في البنوة لأنهم قالوا ايضا : **الفتوة** ولا خلاف في أنها من ذوات الياء وأمر الأكثرية سهل وعلى التقديرين في وزن إبن هل هو فعل أو فعل خلاف و إسرائيل أسم أعجمي وقد ذكروا أنه مركب من إي لأسم من أسمائه تعالى و إسرا وهو العبد أو الصفوة أو الإنسان أو المهاجر وهو لقب سيدنا يعقوب عليه السلام وللعرب فيه تصرفات فقد قالوا : إسرائيل بهمزة بعد الألف وياء بعدها وبه قرأ الجمهور وإسراييل بياءين بعد الألف وبه قرأ أبو جعفر وغيره وإسرائل ولام وهو مروى عن ورش وإسرأل بهمزة مفتوحة ومكسورة بعد الراء ولام وإسرأل بألف ممالةبعدها لام خفيفة وبها ولا إمالة وهي رواية عن نافع وقراءة الحسن وغيره وإسرائين ." (١)

" يسئلونك عن الأهلة أخرج إبن عساكر بسند ضعيفأن معاذ بن جبل وثعلبة بن غنم قالا : يارسول الله ما بال الهلال يبدو ويطلع دقيقا مثل الخيط ثم يزيد حتى يعظم ويستوي ويستدير ثم لا يزال ينقص ويدق حتى يعود كما كان لا يكون على حال واحد فنزلت وفي رواية أن معاذا قال : يارسول الله إن اليهود يكثرون مسألتنا عن الأهلة فأنزل الله تعالى هذه الآية فيراد بالجمع على الرواية الأولى ما فوق الواحد أو ينزل الحاضرون المترقبون للجواب منزلة السائل وظاهره المتبادر على الرواية الثانية بناءا على أن سؤال اليهود من بعض أصحابه بمنزلة السؤال منه إذ هو طريق علمهم ومستمد فيضهم و الأهلة جمع هلال وإشتقاقه من أستهل الصبي إذا بكى وصاح حين يولد ومنه أهل القوم بالحج إذا رفعوا أصواتهم بالتلبية وسمى به القمر في ليلتين من أول الشهر أو في ثلاث أو حتى يحجر وتحجيره أن يستدير بخط دقيقوإليه ذهب الأصمعيأو حتى يبهر ضوءه سواد الليل وغيا ذلك بعضهم بسبع ليالوسمى بذلك لأنه حين يرى يهل الناس بذكرهأو بالتكبير ولهذا يقال أهل الهلاك وأستهل ولا يقال هل والسؤال يحتمل أن يكون عن الغاية والحكمة وأن يكون عن السبب والعلة ولا نص في الآية والخبر على أحدهما أما الملفوظ من الآية فظاهر وأما المحذوف فيحتمل أن يقدر ما سبب إختلافها وأن يقدر ما

(١) روح المعاني، ١ /٢٤١/١

حكمته وهي وإن كانت في الظاهر سؤالا عن التعدد إلا أنها في الحقيقة متضمنة للسؤال عن إختلاف التشكلات النورية لأن التعدد يتبع إختلافها إذ لو كان الهلال على شكل واحد لا يحصل التعدد كما لا يخفى وأما الخبر فلأن ما فيه يسأل بها عن الجنس وحقيقته فالمسئول حينئذ حقيقة أمر الهلاك وشأنه حال إختلاف تشكلاته النورية ثم عوده إلى ما كان عليه وذلك الأمر المسئول عن حقيقته يحتمل ذينك الأمرين بلا ريب فعلى الأول يكون الجواب بقوله تعالى : قل هي مواقيت للناس والحج مطابقا مبينا للحكمة الظاهرة اللائقة بشأن التبليغ العام المذكرة لنعمة الله تعالى ومزيد رأفته سبحانهوهي أن يكون معالم للناس يوقتون بها أمورهم الدنيوية ويعلمون أوقات زروعهم ومتاجرهم ومعالم للعبادات الموقتة يعرف بها أوقاتها كالصيام والإفطار وخصوصا الحج فإن الوقت مراعي فيه أداءا وقضاءا ولو كان الهلال مدورا كالشمس أو ملازما حالة واحدة لم يكد يتيسر التوقيت به ولم يذكر صلى الله تعالى عليه وسلم الحكمة الباطنة لذلك مثل كون إختلاف تشكلاته سببا عاديا أو جعليا لإختلاف أحوال المواليد العنصرية كما بين في محله لأنه مما لم يطلع عليه كل أحد وعلى الثاني يكون من الأسلوب الحكيم ويسمى القول بالموجب وهو تلقي السائل بغير ما يتطلب بتنزيل سؤاله منزلة غيره تنبيها على أنه الأولى بحاله واختاره السكاكي وجماعةفيكون في هذا الجواب إشارة إلى أن الأولى على تقدير وقوع السؤال أن يسألوا عن الحكمة لا عن السبب لأنه لا يتعلق به صلاح معاشهم ومعادهم والنبي إنما بعث لبيان ذلك لا لأن الصحابة رضي الله تعالى عنهم ليسوا ممن يطلع على دقائق علم الهيئة الموقوفة على الأرصاد والأدلة الفلسفية كما وهم لأن ذلك على فرض تسليمه في حق أولئك المشائين في ركاب النبوة والمرتاضين في رواق **الفتوة** والفائزين بإشراق الأنوار والمطلعين بأرصاد قلوبهم على دقائق الأسرار وإن لم يكن نقصا من قدرهم إلا أنه يدل على أن سبب الإختلاف ما بين في علم الهيئة من بعد القمر عن الشمس وقربه إليها وهو باطل عند أهل الشريعة فسنه مبني على أمور لم يثبت جزما شيء منها غاية الأمر أن الفلاسفة الأول تخيلوها موافقة لما أبدعه الحكيم المطلق كما يشير إليه كلام مولانا الشيخ الأكبر قدس سره في فتوحاته ومما ينادي على أن ماذهبوا إليه مجرد تخيل ." (١)

" بعصيانهم وأعتدائهم والتعبير بصيغة الماضي والمضارع لما مر ثم إن جملة منهم المؤمنون وكذا جملة لن يضروكم وما عطف عليها واردتان على سبيل الإستطراد ولذا لم يعطفا على الجملة الشرطية قبلهما وإنما لم يعطف الإستطراد الثاني على الأول لتباعدهما وكون كل منهما نوعا من الكلام وقال بعض المحققين : إن هاتين الجملتين مع ما بعدهما مرتبط بقوله تعالى : ولو آمن مبين له فقوله سبحانه : منهم المؤمنون وأكثرهم الفاسقون مبين لذلك بإعتبار أن المفروض إيمان الجميع وإلا فبعضهم مؤمنون رفعا لسوء الظن بالبعض وقوله عز شأنه : لن يضروكم بيان لما هو خير لهم وهو أنهم لعدم إيمانهم مبتلون بمشقة التدبير لإضراركم وبالحزن على الخيبة وتدبير الغلبة عليكم بالمقابلة والغلبة لكم وفي طلب الرياسة بمخالفتكم وضرب الله تعالى عليهم الذلة لتلك المخالفة وفي طلب المال بأخذ الرشوة بتحريف كتابهم وضرب الله عليهم المسكنة ولو آمنوا لنجوا من جميع ذلك إنتهى ولا يخفى أن هذا على تقدير قبوله وتحمل بعده لا يأبى القول بالإستطراد لأنه أن يذكر في أثناء الكلام ما يناسبه وليس السياق له وإنما يأبى الإعتراض ولا نقول به فتأمل

---

(١) روح المعاني، ١ /٢ ٧١

هذا ومن باب الإشارة لن تنالوا البر الذي هو القرب من الله حتى تنفقوا مما تحبون أي بعضه والإشارة به إلى النفس فإنها إذا أنفقت في سبيل الله زال الحجاب الأعظم وهان إنفاق كل بعدها وما تنفقوا من شيء فإن الله به عليم فينبغي تحري ما يرضيه ويحكي عن بعضهم أنه قال المنفقون على أقسام : فمنهم من ينفق على ملاحظة الجزاء والعوض ومنهم من ينافي على مراقبة رفع البلاء والمحن ومنهم من ينفق إكتفاءا بعلمه ولله تعالى در من قال : ويهتز للمعروف في طلب العلا لتذكر يوما عند سلمى شمائله كل الطعام كان حلا لبني إسرائيل إلا ما حرم إسرائيل على نفسه قيل : فائدة الإخبار بذلك تعليم أهل المحبة أن يتركوا ما حبب إليهم من الأطعمة الشهية واللذائذ الدنيوية رغبة فيما عند الله تعالى إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة وهو الكعبة التي هي من أعظم المظاهر له تعالى حتى قالوا : إنها للمحمديين كالشجرة لموسى عليه السلام مباركا بما كساه من أنوار ذاته وهدى بما كساه من أنوار صفاته للعالمين على حسب إستعدادهم فيه آيات بينات مقام إبراهيم المشتمل على الرضا والتسليم والإنبساط واليقين والمكاشفة والمشاهدة والخلة والفتوة أو المعرفة والتوحيد والفناء والبقاء والسكر والصحو أو جميع ذلك ومن دخله كان آمنا من غوائل نفسه لأنه مقام التمكين وتطبيق ذلك على ما في الأنفس أن البيت إشارة إلى القلب الحقيقي ويحمل ما ورد أن البيت أول ما ظهر على وجه الماء عند خلق السماء والأرض وخلق قبل الأرض بألفي عام وكان زيدة بيضاء على وجه الماء فدحيت الأرض تحته على ذلك وظهوره على الماء حينئذ تعلقه بالنطفة عند خلق سماء الروح الحيوان وأرض البدن وخلقه قبل الأرض إشارة إلى قدمه وحدوث البدن وتقييد ذلك بألفي عام إشارة إلى تقدمه على البدن بطورين طور النفس وطور القلب تقدما بالرتبة إذ الألف رتبة تامة وكونه زيدة بيضاء إشارة إلى صفاء جوهره ودحو الأرض تحته إشارة إلى تكون البدن من تأثيره وكون أشكاله وصور أعضائه تابعة لهيئاته ولا يخفى أن محل تعلق الروح بالبدن وإتصال القلب الحقيقي به أولا هو القلب الصنوبري وهو أول ما يتكون من الأعضاء وأول عضو يتحرك وآخر عضو يسكن فيكون ." (١)

" إقتضاها إستعداده الذاتي لماهيته العدمية فهو مركب من الوجود والعدم وحقيقته مغايرة لوجوده تعقلا لتمايزهما ذهنا ولا ينافي ذلك قول الأشعري : وجود كل شيء عين حقيقته لما بين في محله وحقيقة الحق تعالى لا تغاير وجوده ووجوده سبحانه هو الوجود المطلق بالإطلاق الحقيقي حسبما حققه محققو الصوفية فالمغايرة الذاتية بين المكلف والمكلف في غاية الظهور لأن المكلف هو المعدوم اللابس لحصة من الوجود المتعين بمقتضى حقيقته والمكلف سبحانه هو الحق عز و جل الذي هو عين الوجود المطلق الغير المقترن بماهية عدمية وبعبارة أخرى : إن حقيقة الممكن أمر معدوم وحقيقة الواجب سبحانه الوجود المطلق حتى عن قيد الإطلاق وقد وقع في البين تجلي الهوية في العبد وذلك التجلي هو الجامع للقدرة وغيرها من الكمالات التي يتوقف عليها التكليف بمقتضى الحكمة ومحقق المغايرة

وحاصل ذلك أن حقيقة المزج بين تجلي الهوية والصورة الخلفية المتعينة بمقتضى الحقيقة العدمية هي التي أحدثت ما به يصح التكليف وما يترتب عليه وكون الحق سبحانه قيوما للوجود المقيد غير قادح في ذلك بل القيومية هي المصححة له لما تبين من النصوص أنه لا تكليف إلا بالوسع ولا وسع للممكن إلا بقيوميته تعالى بنص ما شاء الله لا قوة إلا بالله وما

---

(١) روح المعاني، ١/٤ ٣٠

هو بالله فهو لله تعالى والبحث في ذلك طويل وبعض كلماتهم يتراءى منها عدم المغايرة بين المكلف والمكلف من ذلك ما قيل : لقد كنت دهرا قبل أن يكشف الغطا إخالك أني ذاكر لك شاكر فلما أضاء الليل أصبحت شاهدا بأنك مذكور وذكر وذاكر لكن ينبغي أن لا يبادر سامعها بالإنكار ويرجع في المراد منها إلى العارفين بدقائق الأسرار هذا وقد تقدم الكلام في ناقة صالح عليه السلام وفيما قص الله تعالى ههنا عن إبراهيم عليه السلام إشارة إلى بعض آداب **الفتوة** فقد قالوا : إن من آدابها إذا نزل الضيف أن يبدأ بالكرامة في الإنزال ثم يثني بالكرامة بالطعام وإنما أوجس عليه السلام في نفسه خيفة لأنه ظن الغضب والخليل يخشى غضب خليله ومناه رضاه ولله در من قال : لعلك غضبان ولست بعالم سلام على الدارين إن كنت راضيا وفي هذه القصة دليل على أنه قد ينسد باب الفراسة على الكاملين لحكم يريدها الله تعالى ومن ذلك لم يعرف إبراهيم وكذا لوط عليهما السلام الملائكة عليهم السلام في أول الأمر وكانت مجادلته عليه السلام من آثار مقام الأدلال على ما قيل وقوله تعالى عن لوط عليه السلام : لو أن لي بكم قوة أو آوي إلى ركن شديد قيل : يشير بالقوة إلى الهمة وهي عندهم القوة المؤثرة في النفوس لأن القوة منها جسمانية ومنها روحانية وهذه المسماة بالهمة وهي أقوى تأثيرا لأنها قد تؤثر في أكثر العالم أو كله بخلاف الجسمانية وقصد عليه السلام بالركن الشديد القبيلة لأنه يعلم أن أفعال الله تعالى لا تظهر في الخارج إلا على أيدي المظاهر فتوجه إلى الله سبحانه وطلب منه أن يجعل له أنصارا ينصرونه على أعداء الله تعالى وردد الأمر بين ذلك وأن يجعل له همة مؤثرة من نفسه ليقاوم بها الأعداء وقد علمت ما روي عن النبي صلى الله عليه و سلم من قوله : يرحم الله تعالى أخي لوط الخبر

وذكر الشيخ الأكبر قدس سره أنه عليه الصلاة و السلام نبه بذلك الخبر أن لوطا كان مع الله تعالى من أنه سبحانه (١) ".

" ويطلق على الملك ولعلهم كانوا يطلقونه إذ ذاك فيما بينهم على كل من ولاه الملك على بعض مخصوص من الولايات التي لها شأن فكأن من خواصه ذوي القدر الرفيع والمحل المنيع وهو بهذا المعنى مراد هنا لأنه أريد به قطفير وهو في المشهور كما علمت إنما كان على على خزائن الملك وكان الملك الريان بن الوليد وقيل : المراد به الملك وكان قطفير ملك مصر واسكندرية وإضافتهن لها إليه بهذا العنوان دون أن يصرحن بإسمها أو إسمه ليظهر كونها من ذوات الأخطار فيكون عونا على إشاعة الخبر بحكم أن النفوس إلى سماع أخبار ذوي الأخطار أميل وقيل وهو الأولى إن ذاك لقصد المبالغة في لومها بقولهن تراود فتاها عن نفسه أي تطلب مواقعته إياها وتتمحل في ذلك وإيثارهن صيغة المضارع للدلالة على دوام المراودة كأنها صارت سجية لها والفتى من الناس الطري من الشبان وأصله فتى بالياء لقولهم في التثنية وهي ترد الأشاء إلى أصولها فتيان **وفالفتوة** على هذا شاذ وجمعه فتية وفتيان وقيل : إنه يأئي وواوي ككنوت وكنيت وله نظائر كثيرة ويطلق على المملوك والخادم لما أن جل الخدمة شبان

وفي الحديث لا يقل أحدكم عبدي وأمتي وليقل فتاي وفتاتي وأطلق على يوسف عليه السلام هنا لأنه كان يخدمها وقيل : لأن زوجها وهبه لها فهو مملوكها بزعم النسوة وتعبيرهن عنه عليه السلام بذلك مضافا إليها لا إلى العزيز لإبانة ما

---

(١) روح المعاني، ١٢١/١٣١

بينهما من التباين البين الناشيء عن الخادمية والمخدومية أو المالكية والمملوكية وكل ذلك لتربية ما مر من المبالغة في اللوم فإن من لا زوج لها من النساء أو لها زوج دنيء قد تعذر في مراودة الأخدان لا سيما إذا كان فيهم علو الجناب وأما التي لها زوج وأي زوج فمراودتها لغيره لاسيما لمن لم يكن بينها وبينه كفاءة لها وتماديها في ذلك غاية الغي ونهاية الضلال قد شغفها حبا أي شق حبه شغاف قلبها وهو حجابه

وقيل : هو جلدة رقيقة يقال لها : لسان القلب حتى وصل إلى فؤادها وبهذا يحصل المبالغة في وصفها بالحب له وقيل : الشغاف سويداء القلب فالمبالغة حينئذ ظاهرة وإلى هذا يرجع ما روي عن الحسن من أن الشغاف باطن القلب وما حكي عن أبي علي من أنه وسطه والفعل مفتوح الغين المعجمة عند الجمهور

وقرأ ثابت للبناني بكسرها وهي لغة تميم وقرأ علي كرم الله تعالى وجهه وعلي بن الحسين وابنه محمد وابنه جعفر رضي الله تعالى عنهما والشعبي وعوف الأعرابي شعفها بفتح العين المهملة وهي رواية عن قتادة وابن هرمز ومجاهد وحميد والزهري وروي عن ثابت البناني أنه قرأ كذلك أيضا إلا أنه كسر العين وهو من شعف البعير إذ هنأه فأحرقه بالقطران فالمعنى وصل حبه إلى قلبها فكاد يحترق ومن هذا قول الأعشى : يعصي الوشاة وكان الحب آونة مما يزين للمشعوف ما صنعا وذكر الراغب أنه من شعفة القلب وهي رأسه عند معلق النياط ويقال : لأعلى الجبل شعفة أيضا وأخرج ابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن ابن عباس أن الشغف الحب القاتل والشعف حب دون ذلك وأخرجا عن الشعبي أن الشغف الحب والشعف الجنون وأخرجا أيضا عن ابن زيد أن الشغف في الحب والشغف في البغض وهذا المعنى ممتنع الإرادة هنا على هذه القراءة وفي كتاب أسرار البلاغة في فصل ترتيب الحب ." (١)

" ومكانا لهم والفتية جمع قلة لفتى وهو كما قال الراغب وغيره الطري من الشبان ويجمع أيضا على فتيان وقال ابن السراج : إنه اسم جمع وقال غير واحد إنه جمع فتى كصبي وصبية ورجح بكثرة مثله والمراد بهم أصحاب الكهف وإيثار الإظهار على الإضمار لتحقيق ما كانوا عليه في أنفسهم من حال الفتوة فقد روي أنهم كانوا شبانا من أبناء أشراف الروم وعظمائهم مطوقين مسورين بالذهب ذوي ذوائب وقيل لأن صاحبية الكهف من فروع التجائهم إلى الكهف فلا يناسب اعتبارهم معهم قبل بيانه والظاهر مع الضمير اعتبارها وليس الأمر كذلك مع هذا الظاهر وإن كانت أل فيه للعهد فقالوا ربنا آتنا من لدنك أي من عندك رحمة عظيمة أو نوعا من الرحمة فالتنوين للتعظيم أو للنوع و من للابتداء متعلق بآتنا ويجوز أن يتعلق بمحذوف وقع حالا من رحمة قدم عليها لكونها نكرة ولو تأخر لكان صفة لها وفسرت الرحمة بالمغفرة والرزق والأمن والأولى تفسيرها بما يتضمن ذلك وغيره وفي ذكر من لدنك إيماء إلى أن ذلك من باب التفضل لا الوجوب فكأنهم قالوا ربنا تفضل علينا برحمة وهييء لنا من أمرنا الذي نحن عليه من مهاجرة الكفار المثابرة على طاعتك وقرأ أبو جعفر وشيبة والزهري وهيي بياءين من غير همز يعني أنهم أبدلوا الهمزة الساكنة ياء وفي كتاب ابن خالويه قرأ الأعشى عن أبي بكر عن عاصم وهيي بلا همز انتهى

---

(١) روح المعاني، ١٢١/٢٢٦

وهو يحتمل أن يكون قد أبدل الهمزة ياء وأن يكون حذفها والأول إبدال قياسي والثاني مختلف فيه أينقاس حذف الحرف المبدل من الهمزة في الأمر والمضارع المجزومين أم لا وأصل التهيئة إحداث الهيئة وهي الحالة التي يكون عليها الشيء محسوسة أو معقولة ثم استعمل في إحضار الشيء وتيسيره أي يسر لنا من أمرنا رشدا ١٠ إصابة للطريق الموصل إلى المطلوب واهتداء إليه وقرأ أبو رجاء رشدا بضم الراء وإسكان الشين والمعنى واحد إلا أن الأوفق بفواصل الآيات قراءة الجمهور وإلى اتحاد المعنى ذهب الراغب قال : الرشد بفتحتين خلاف الغي ويستعمل استعمال الهداية وكذا الرشد بضم فسكون

وقال بعضهم : الرشد أي بفتحتين كما في بعض النسخ المضبوطة أخص من الرشد لأن الرشد بالضم يقال في الأمور الدنيوية والأخروية والرشد يقال في الأمور الأخروية لا غير ا هـ وفيه مخالفة لما ذكره ابن عطية فإنه قال : إن هذا الدعاء منهم كان في أمر دنياهم وألفاظه تقتضي ذلك وقد كانوا على ثقة من رشد الآخرة ورحمتها وينبغي لكل مؤمن أن يجعل دعاءه في أمر دنياه لهذه الآية فإنها كافية

ويحتمل أن يراد بالرحمة رحمة الآخرة ا هـ نعم فيما قاله نظر والأولى جعل الدعاء عاما في أمر الدنيا والآخرة وإن كان تعقيبه بما بعد كونه ظاهرا في كونه خاصا في أمر الأولى واللام ومن متعلقان بهيىء فإن اختلف معناهما بأن كانت الأولى للأجل والثانية ابتدائية فلا كلام وإن كانتا للأجل احتاجت صحة التعلق إلى الجواب المشهور

وتقديم المجرورين على المفعول الصريح لإظهار الاعتناء بهما وإبراز الرغبة في المؤخر وكذا الكلام في تقديم من لدنك على رحمة على تقدير تعلقه بآتنا وتقديم المجرور الأول على الثاني للايذان من أول الأمر بكون المسئول مرغوبا فيه لديهم وقيل الكلام على التجريد وهو أن ينتزع من أمر ذي صفة آخر مثله مبالغة كأنه بلغ إلى مرتبة من الكمال بحيث يمكن أن يؤخذ منه آخر كرأيت منك أسدا أي اجعل أمرنا كله رشدا

فضربنا على ءاذانهم أي ضربنا عليها حجابا يمنع السماع فالمفعول محذوف كما في قولهم : بنى على امرأته ." (١)

" بالقول بتعلم نبيهم عليه السلام ممن ليس مثله في الفضل أمر لا يساعده العقل وليس هو الا كالحمية الجاهلية إذ لا يبعد عقلا تعلم الافضل الا علم شيئا ليس عنده ممن هو دونه في الفضل والعلم ومن الامثال المشهورة قد يوجد في الاسقاط ما لا يوجد في الاسفاط وقالوا قد يوجد في المفضول مالا يوجد في الفاضل وقال بعضهم لا مانع من أن يكون قد أخفى الله سبحانه وتعالى علم المسائل التي تضمنتها القصة عن موسى عليه السلام على مزيد علمه وفضله لحكمة ولا يقدح ذلك في كونه أفضل وأعلم من الخضر عليه السلام وليس بشيء كما لا يخفى وبأنه سيأتي إن شاء الله تعالى قريبا القول بأن القصة كانت بعد أن ظهر موسى عليه السلام على مصر مع بني اسرائيل واستقر بعد هلاك القبط فلا اجماع على أنها لم تكن بمصر نعم اليهود لا يقولون باستقرارهم في مصر بعد هلاك القبط وعليه كثير منا وحينئذ يقال إن عدم خروج موسى عليه السلام من التيه غير مسلم وكذلك اقتضاء ذلك الغيبة أياما لجواز أن يكون على وجه خارق للعادة كالتيه الذي وقعوا فيه وكنتق الجبل عليهم وغير ذلك من الخوارق التي وقعت فيهم وقد يقال يجوز أن يكون عليه السلام خرج وغاب أياما لكن لم يعلموا أنه عليه السلام ذهب لهذا الأمر وظنوا أنه ذهب يناجي ويتعبد ولم يوقفهم على حقيقة

---

(١) روح المعاني، ١٥/٢١١

غيبته بعد أن رجع لعلمه بقصور فهمهم فخاف من حط قدره عندهم فهم القائلون اجعل لنا إلها كما لهم آلهة وأرنا الله جهرة وأوصى فتاه بكتم ذلك عنهم أيضا ويجوز أن يكون غاب عليه السلام وعلموا حقيقة غيبته لكن لم يتناقلوها جيلا بعد جيل لتوهم أن فيها شيئا مما يحط من قدره الشريف عليه السلام فلا زالت نقلتها تقل حتى هلكوا في وقت بختنصر كما هلك أكثر حملة التوراة ويجوز أن يكون قد بقي منهم أقل قليل إلى زمن نبينا صلى الله عليه و سلم فتواصوا على كتمها وإنكارها ليوقعوا الشك في قلوب ضعفاء المسلمين ثم هلك ذلك القليل ولم تنقل عنه ولا يخفى أن باب الاحتمال واسع وبالجملة لا يبالي بإنكارهم بعد جواز الوقوع عقلا واخبار الله تعالى به ورسوله صلى الله عليه و سلم فإن الآية ظاهرة في ذلك وبقرب من هذا الإنكار انكار النصارى تكلم عيسى عليه السلام في المهد وقد قدمنا أنه لا يلتفت إليه بعد اخبار الله تعالى به فعليك بكتاب الله تعالى ودع عنك الوساوس

و إذ نصب على المفعولية باذكر محذوفا والمراد قل قال موسى لفتيه يوشع بن نون بن افراثيم بن يوسف عليه السلام فانه كان يخدمه ويتعلم منه ولذا أضيف إليه والعرب تسمي الخادم فتى لأن الخدم أكثر ما يكونون في سن الفتوة وكان فيما يقال ابن أخت موسى عليه السلام وقيل هو أخو يوشع عليه السلام وأنكر اليهود أن يكون له أخ وقيل لعبده فالاضافة للملك وأطلق على العبد فتى لما في الحديث الصحيح ليقل أحدكم فتاي وفتاتي ولا يقل عبدي وأمتي وهو من آداب الشريعة وليس اطلاق ذلك بمكروه خلافا لبعض بل خلاف الاولى وهذا القول مخالف للمشهور وحكم النووي بانه قول باطل وفي حل تملك النفس في بني إسرائيل كلام ومثله في البطلان القول الثاني لمنافاة كل الاخبار الصحيحة لا أبرح من برح الناقص كزال يزال أي لا أزال أسير فحذف الخبر اعتمادا على قرينة الحال إذ كان ذلك عند التوجه إلى السفر واتكالا على ما يعقبه من قوله حتى أبلغ إذ الغاية لا بد لها من مغيا والمناسب لها هنا المسير وفيما بعد أيضا ما يدل على ذلك وحذف الخبر فيها قليلا كما ذكره الرضي ومنه قول الفرزدق ... . فما برحوا حتى تهادت نساؤهم ... ببطحاء ذي قار عياب اللطائم ." (١)

" النحاة كالكسائي وسيبويه والمبرد والفراء على معنى التقريب ومن الناس من حملها على معنى التحقيق وقال أبو عبيدة مجازها قد أتى على الإنسان وليس باستفهام وكأنه أراد ليس باستفهام حقيقة وإنما هي للأستفهام التقريري ويرجع بالآخرة إلى قد أتى ولعل مراد منفسرها بذلك كابن عباس وغيره ما ذكر إلا أنها بمعنى قد حقيقة وفي المغنى ما تفيدك مراجعته بصيرة فراجعه والمراد بالأنسان الجنس على ما أخرجه ابن المنذر عن ابن عباس والحين طائفة محدودة من الزمان شاملة للكثير والقليل والدهر الزمان الممتد الغير المحدود ويقع على مدةالعالم جميعها وعلى كل زمان طويل غير معين والزمان عام للكل والدهر وعاء الزمان كلام فلسفي ونوقف الأمام أبو حنيفة في معنى الدهر منكر أي في المراد به عرفا في الأيمان حتى يقال بماذا يحنث إذا قال والله لا أكلمه دهراوالمعرف عنده مدة حياة الحالف عند عدم النية وكذا عند صاحبيه والمنكر عندهما كالحين وهو معرفا ومنكرا كالزمان ستة أشهر إنلم تكن نية أيضا وبها ما نوي على الصحيح وما اشتهر من حكاية اختلاف فتاوي الخلفاء الأربعة في ذلك على عهده عليه الصلاة و السلام مستدلا كل بدليل وقوله صلى الله تعالى عليه

---

(١) روح المعاني، ١٥/٣١١

وسلم بعد الرفع إليه أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم إلا أنه اختار فتوى الأمير كرم الله تعالى وجهه بأن الحين يوم وليلة لما فيه من التيسير كما لا يخفى على الناقد البصير ولو صح لم يعدل عن فتوى الأمير معدن البسالة والفتوة بعد أن اختارها مدينة العلم ومفخر الرسالة والنبوة والمعنى هنا قد أتى أو هل أتى على جنس الإنسان قبل زمان قريب طائفة محدودة مقدرة كائنة من الزمان الممتد لم يكن شيئا مذكورا بل كان شيئا غير مذكور بالإنسانية أصلا أي غير معروف بها على أن النفي راجع إلى القيد والمراد أنه معلوم لم يوجد بنفسه بل كان الموجود أصله مما لا يسمى إنسانا ولا يعرف بعنوان الإنسانية وهو مادته البعيدة أعني العناصر أو المتوسطة وهي الأغذية القريبة وهي النطفة المتولدة من الأغذية المخلوقة من العناصر وجملة لميكن الخ حال من الأنسان أيغير مذكور وجوز أن تكون صفة لحين بحذف العائد عليه أي لم يكن فيه شيئا مذكورا كما في قوله تعالى واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا وإطلاق الإنسان على مادته مجاز بجعل ما هو بالقوة منزلا منزلة ما هو بالفعل أو هو من مجاز الأول وقيل المراد بالأنسان آدم عليه السلام وأيد بقوله تعالى إنا خلقنا الإنسان من نطفة فإن الإنسان فيه معرفة مادة فلا يفترقان كيف وفي إقامة الظاهر مقام المضمر فضل التقرير والتمكين في النفس فإذا اختلفا عموما وخصوصا فأتت الملايمة ولا شك أن الحمل على آدم عليه السلام في هذا لا وجه له ولا نقض به على إرادة الجنس بناء على أنه لا عموم فيه ولا خصوص نعم دل قوله سبحانه من نطفة على أن المراد غيره أو هو تغليب وقيل يجعل ما للأكثر للكل مجازا في الإسناد أو الطرف ورويت إرادته عن قتادة والثوري وعكرمة والشعبي وابن عباس أيضا وقال في رواية أبي صالح عنه مرت به أربعون سنة قبل أن ينفخ فيه الروح وهو ملقى بين مكة والطائف وفي رواية الضحاك عنه أنه خلق من طين فأقام أربعين سنة ثم من حمأ مسنون فأقام أربعين سنة ثم من صلصال فأقام أربعين سنة فتم خلقه بعد مائة وعشرين سنة ثم نفخ فيه الروح وحكي الماوردي عنه أن الحين المذكور ههنا هو الزمن الطويل الممتد الذي لا يعرف مقداره وروي نحوه عن عكرمة فقد أخرج عبد بن حميد وابن المنذر أنه قال إن من الحين حين الا يدرك وتلا الآية فقال والله ما يدري كم أتى عليه حتى خلقه الله تعالى ورأيت لبعض المتصوفة أن هل للأستفهام الإنكاري فهو في معنى النفي أي ما أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا وظاهره القول بقدم الإنسان في الزمان على معنى أنه لم يكن زمان إلا وفيه إنسان وهو القدم النوعي كما قال به من قال من الفلاسفة وهو كفر بالأجماع ووجه بأنهم عنوا شيئية الثبوت لقدم الإنسان عندهم بذلك الأعتبار دون شيئية الوجود ضرورة أنه بالنسبة إليها حادث زمانا ويرشد إلى هذا قول الشيخ محيي الدين في الباب ٣٥٨ من الفتوحات المكية لو لم يكن في العالم من هو على صورة الحق ما حصل المقصود من العلم بالحق أعني العلم الحادث في قوله سبحانه كنت كنزا لم أعرف فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق وتعرفت إليهم فعرفوني فجعل نفسه كنزا لا يكون إلا مكتنزا في شيئ فلم يكن كنز الحق نفسه لا في صورة الإنسان الكامل في شيئية ثبوته هناك كأن الحق مكنوزا فلما ألبس الحق الإنسان ثوب الوجود ظهر الكنز بظهوره فعرفه الإنسان الكامل بوجود وعلم أنه كان مكنوزا فيه في شيئية ثبوته وهو لا يشعر به انتهى ولا يخفى أن الأشياء كلها في شيئية الثبوت قديمة لا الإنسان وحده ولعلهم يقولون الإنسان هو كل شيء لأنه الإمام المبين وقد قال سبحانه وكل شيء أحصيناه في إمام مبين والكلام في هذا المقام طويل ولا يسعنا أن نطيل بيد أنا نقول كون هل هنا للأنكار منكر وإن دعوى صحة ذلك لأحدى الكبر والذي فهمه أجلة من الصحابة رضي الله

تعالى عنهم من الآية الإخبار الأيجابي أخرج عبد بن حميد وغيره عن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه أنه سمع رجلا يقرأ هل أتى على الإنسان شيء من الدهر لم يكن شيئا مذكورا فقال ليتها تمت وعن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه أنه سمع رجلا يتلو ذلك فقال يا ليتها تمت فعوقب في قوله هذا فأخذ عمودا من الأرض فقال يا ليتني كنت مثل هذا أمشاج جمع مشج بفتحتين كسبب وأسباب أو مشج بفتح فكسر ككتف وأكتاف أو مشيج كشهيد وأشهاد ونصير وأنصار أي أخلاط جمع خلط بمعنى مختلط ممتزج يقال مشجت الشيء إذا خلطته ومزجته فهو مشيج وممشوج وهو صفة لنطفة ووصف بالجمع وهي مفردة لأن بها مجموع ماء الرجل والمرأة والجمع قد يقال على ما فوق الواحد أو باعتبار الأجزاء المختلفة فيهما رقة وغلظا وصفرة وبياضا وطبيعة وقوة وضعفا حتى أختص بعضها ببعض الأعضاء على ما أراده الله تعالى بحكمته فخلقه بقدرته وفي بعض الآثار إنما كان من عصب وعظم وقوة فمن ماء الرجل وما كان من لحم ودم فمن ماء المرأة والحاصل أنه نزل الموصوف منزلة الجمع ووصف بصفة أجزائه وقيل هو مفرد جاء على أفعال كأعشار وأكياش في قولهم أعشار أي متكسرة وبرد أكيش أي مغزول غزله مرتين واختاره الزمخشري والمشهور عن نص سيبويه وجمهور النحاة أن أفعالا لا يكون جمعا وحكى عنه أنه ذهب إلى ذلك في العام ومضى نطفة مختلطة عند الأكثرين نطفة اختلط وامتزج فيها الماءان وقيل اختلط فيها الدم والبلغم والصفراء والسوداء وقيل الأمشاج نفس الأخلاط التي هي عبارة عن هذه الأربعة فكأنه قيل من نطفة هي عبارة عن أخلاط أربعة وأخرج ابن المنذر عن مجاهد أنه قال أمشاج أي ألوان أي ذات ألوان فإن ماء الرجل أبيض وماء المرأة أصفر فإذا اختلطا ومكثا في قعر الرحم اخضرا كما يخضر الماء بالمكث وروي عن الكلبي وأخرج عن زيد بن أسلم أنه قال الأمشاج العروق التي في النطفة وروي ذلك عن ابن مسعود أي ذات عروق وروي عكرمة وكذاابن عباس أنه قال أمشاج أطوار أي ذات أطوار فإنه النطفة تصير علقة ثم مضغة وهكذا إلى تمام الخلقة ونفخ الروح وقوله تعالى نبتليه حال من فاعل خلقنا والمراد مريدين ابتلاءه واختباره بالتكليف فيما بعد على أن الحال مقدرة أو ناقلين له من حال إلى حال ومن طور إلى طور على طريقة الإستعارة لأن المنقول يظهر في كل طور ظهورا آخر كظهور نتيجة الأبتلاء والأمتحان بعده وروي نحوه عن ابن عباس وعلى الوجهين ينحل ما قيل أن الإبتلاء بالتكليف وهو يكون بعد جعله سميعا لأقبل فكيف يترتب عليه قوله سبحانه فجعلناه سميعا بصيرا وقيل الكلام على التقديم والتأخير والجملة استئناف تعليلي أي فجعلناه سميعا بصيرا ." (١)

"هذا طريق آخر في حديث ابن عباس أخرجه عن علي بن عبد الله المعروف بابن المديني عن يزيد بن زريع أبي معاوية البصري عن خالد بن مهران الحذاء البصري عن عكرمة مولى ابن عباس إلى آخره فإن قلت ما وجه المطابقة بين الترجمة والحديث قلت في قوله بعد ما أمسيت أي بعد ما دخلت في المساء والمراد به ما بعد الزوال لأنه لغة العرب يسمون ما بعده مساء وعشاء ورواحا وروى مالك عن ربيعة عن القاسم بن محمد أنه قال ما أدركت الناس إلا وهم يصلون الظهر بعشي وإنما يريد تأخيرها عن الوقت الذي في شدة الحر إلى وقت الإبراد الذي أمر به الشارع وقد مر الكلام فيه مستقصى
٣١ -(باب الفتيا على الدابة عند الجمرة)

---

(١) روح المعاني، ١٥١/٢٩

أي هذا باب في بيان الفتيا على الدابة عند جمرة العقبة يقال استفتيت الفقيه في مسألة فأفتاني قال الجوهري والإسم الفتيا والفتوة وقد ذكر البخاري بابين في كتاب العلم أحدهما باب الفتيا وهو واقف على ظهر الدابة أو غيرها وأورد فيه حديث عبد الله بن عمرو بن العاص والآخر باب السؤال والفتيا عند رمي الجمار وأورد فيه أيضا حديث عبد الله بن عمرو بن العاص وأورد ههنا أيضا حديث عبد الله بن عمرو المذكور في البابين وهذا منه نادر غريب

٦٣٧١ - حدثنا (عبد الله بن يوسف) قال أخبرنا (مالك) عن (ابن شهاب) عن (عيسى بن طلحة) عن (عبد الله بن عمرو) أن رسول الله وقف في حجة الوداع فجعلوا يسألونه فقال رجل لم أشعر فحلقت قبل أن أذبح ولا حرج فجاء آخر فقال لم أشعر فنحرت قبل أن أرمي قال ارم ولا حرج فما سئل يومئذ عن شيء قدم ولا أخر إلا قال افعل ولا حرج." (١)

"البحر : كامل تام (خلق العروبة أن تجد وتدأبا ** وسجية الإسلام أن يتغلبا) (لا تلك تخفض من جناحيها ولا ** هذا يريد سوى التفوق مطلبا) (رفع النفوس عن الصغار وصانها ** عن أن تخاف عدوه أو ترهبا) ٤ (دين الفتوة والمروءة ما طغت ** لجج المنايا حوله فتهيبا) ٥ (المؤمنون على الحوادث أخوة ** لا يعرفون سوى الكتاب لهم أبا) ٦ (سلهم على شرف الأبوة هل رعوا ** ما سن من أدب الحياة وأوجبا) ٧ (بيت تفرق في البلاد وأسرة ** صدع الزمان كيانها فتشعبا) ٨ (وهن البناء فعاث في فجواته ** عادي الفساد مدمرا ومخربا) ٩ (لبيك يا وطن الجهاد ومرحبا ** لبيك من داع أهاب وثوبا)٠ (لبيك إذ بلغ البلاء وإذ أبى ** جد الزمان وصرفه أن نلعبا)

". (٢)

"الخامس : أن المصدر وقع موقع اسم الفاعل ، نحو : رجل عدل ، أي : عادل ، كما قد يقع اسم الفاعل موقعه ، نحو : أقائما ، وقد قعد الناس ؛ في قول ، هذا رأي الكوفيين ، والأولى فيه ادعاء أنه محذوف من فاعل ، وأن أصله : بار ، فجعل " برا " ، وأصله ك " سر " ، و" رب " أصله " راب " ، وقد تقدم.

وجعل الفراء " من آمن " واقعا موقع الإيمان ، فأوقع اسم الشخص على المعنى كعكسه ؛ كأنه قال : " ولكن البر الإيمان بالله " قال : والعرب تجعل الاسم خبرا للفعل ، وأنشد في ذلك : [الطويل]لعمرك ما الفتيان أن تنبت اللحى... ولكنما الفتيان كل فتى ندي

جعل نبات اللحية خبرا للفتيان ، والمعنى : لعمرك ما الفتوة أن تنبت اللحى.

وقرأ نافع ، وابن عامر : " ولكن البر " هنا وفيما بعد بتخفيف " لكن " وبرفع " البر " ، والباقون بالتشديد ، والنصب ، وهما واضحتان مما في قوله : ﴿ولكن الشياطين كفروا﴾ [البقرة : ١٠٢].

وقرئ : " ولكن البار " بالألف ، وهي تقوي أن " البر " بالكسر المراد به اسم الفاعل ، لا المصدر.

---

(١) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، ١٥/ ٢٩٨

(٢) ديوان أحمد محرم، ١ ص/٩٥٣

قال أبو عبيدة : " البر " هاهنا بمعنى البار ، كقوله : ﴿والعاقبة للتقوى﴾ [طه : ١٣٢] أي : للمتقين ، ومنه قوله تعالى : ﴿إن أصبح مآؤكم غورا﴾ [الملك : ٣٠] أي : غائرا ، وقالت الخنساء : [البسيط]

وإنما هي إقبال وإدبار... أي : مقبلة ومدبرة والعمل لكل خير هو بر ، وقيل : البر : كل عمل خير يفضي بصاحبه إلى الجنة ، قال تعالى : ﴿إن الأبرار لفي نعيم﴾ [الإنسان : ١٣]. أ هـ ﴿تفسير ابن عادل حـ ٣ صـ ١٩٥ ـ ١٩٧﴾

وقال الآلوسى :." [1]

"فقد كان أكبر أمنيتي منذ أمد بعيد تفسير الكتاب المجيد، الجامع لمصالح الدنيا والدين، ومُوْثِقِ شديد العرى من الحق المتين، والحاوي لكليات العلوم ومعاقد استنباطها، والآخذِ قوس البلاغة من محل نياطها؛ طمعاً في بيان نُكَتٍ من العلم وكلياتٍ من التشريع، وتفاصيلَ من مكارم الأخلاق، كان يلوح أنموذج من جميعها في خلال تدبره، أو مطالعة كلام مفسِّرِه(١).

ولكني كنت على كلفي بذلك أَتَّجَّهم التقَحُّم على هذا المجال، وأحجم عن الزجّ بِسِيَةِ قوسي في هذا النضال؛ اتقاءَ ما عسى أن يعرِّض له المرءُ نفسه من متاعب تنوء بالقوة، أو فلتاتِ سهامِ الفهم وإن بلغ ساعدُ الذهن كمالَ الفُتُوَّة؛ فبقِيتُ أسوِّف النفس مرة وأسومها زَجراً، فإن رأيتُ منها تصميماً أَحَلْتُها على فرصة أخرى، وأنا آمل أن يُمْنَح من التيسير ما يشجّع على قصد هذا الغرض العسير.

وفيما أنا بين إقدام وإحجام، أتخيل هذا الحَقل مَرَةً القتاد وأخرى الثُّمام(٢)

---

(١) ـ أشير بهذا إلى أن المهم من كلام المفسرين يرشد إلى الزيادة على ما ذكروه، والذي دون ذلك من كلامهم ينبه إلى تقويم ما ذكروه، والمفسر هنا مراد به الجنس.

(٢) ـ قوله: =القتاد+: يشير به إلى الصعوبة؛ لأن القتاد هو الشوك؛ ولهذا يقال لما عَزَّ وصعب وعسر: دونه خرط القتاد.

وقوله: =الثُّمام+: هو نبت قريب سهل التناول؛ لأنه لا يطول؛ فصار يضرب به المثل لما قرب وسهل تناوله.(م)." [2]

"لكنهم كثيرا ما أنحرفت أفكارهم وأختلطت أنظارهم فوقعوا في علماء الأمة وأكابر الأئمة وبالغوا في التعنيف والتشنيع وتجاوزوا في التسخيف والتفظيع ولولا الخروج عن الصدد لوفيتهم الكيل صاعا بصاع ولتقدمت إليهم بما قدموا باعا بباع ولعلمتهم كيف يكون الهجاء بحروف الهجاء ولعرفتهم الإلام ينتهي المراء بلا مراء في فرس للحم بالحلم ملجم ولي فرس للجهل بالجهل مسرج فمن رام تقويمي فإني مقوم ومن رام تعويجي فإني معوج على أن العفو أقرب للتقوى والأغضاء مبني الفتوة وعليه الفتوى والسادة الذين تكلم فيهم هؤلاء إذا مروا باللغو مروا كراما وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما وحيث تحرر الكلام في الكلام على مذهب أهل السنة وأندفع عنه بفضل الله تعالى كل محنة ومهة فلا بأس بأن نحكي بعض الأقوال

---

(١) جامع لطائف التفسير، ١/٣٢٩

(٢) مدخل لتفسير التحرير والتنوير لابن عاشور، ١ ص/٥٢

كما حكى الله تعالى كثيرا من أقوال ذوي الضلال وبعد أن رسخ الحق في قلبك وتغلغل في سويدائه كلام ربك لا أخشى عليك من سماع باطل لا يزيدك إلا حقا وكاذب لا يورثك إلا صدقا (فنقول (أما المعتزلة فأتفقوا كافة على أن معنى كونه تعالى متكلما أنه خالق الكلام على وجه لا يعود إليه منه صفة حقيقية كما لا يعود إليه من خلق الأجسام وغيرها صفة حقيقية وأتفقوا أيضا على أن كلام الرب تعالى مركب من الحروف والأصوات وأنه محدث مخلوق ثم أختلفوا فذهب الجبائي وإبنه أبو هاشم إلى أنه حادث في محل ثم زعم الجبائي أن الله تعالى يحدث عند قراءة كل قاريء كلاما لنفسه في محل القراءة وخالفه الباقون وذهب أبو الهذيل بن العلاف وأصحابه إلى أن بعضه في محل وهو قوله كن وبعضه لا في محل كالأمر والنهي والخبر والإستخبار وذهب الحسن بن محمد النجار إلى أن كلام الباري إذا قريء فهو عرض وإذا كتب فهو جسم وذهبت الإمامية والخوارج والحشوية إلى ان كلام الرب تعالى مركب من الحروف والأصوات ثم اختلف هؤلاء فذهب الحشوية إلى أنه قديم أن لي قائم بذات الرب تعالى لكن منهم من زعم أنه من جنس كلام البشر." (١)

"المفردات في غريب القرآن ، ص : ٧١٩

كفى

الكِفَايَةُ : ما فيه سدّ الخلّة وبلوغ المراد في الأمر. قال تعالى : وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتالَ

[الأحزاب / ٢٥] ، إِنَّا كَفَيْناكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ

[الحجر / ٩٥]. وقوله : وَكَفى بِاللَّهِ شَهِيداً

[النساء / ٧٩] قيل : معناه : كفى الله شهيدا ، والباء زائدة. وقيل : معناه : اكْتَفِ بالله شهيدا «١» ، والكُفْيَةُ من القوت : ما فيه كِفَايَةٌ ، والجمع : كُفًى ، ويقال : كَافِيكَ فلان من رجل ، كقولك : حسبك من رجل.

كل

لفظ كُلِّ هو لضمّ أجزاء الشيء ، وذلك ضربان :

أحدهما : الضّامّ لذات الشيء وأحواله المختصّة به ، ويفيد معنى التمام. نحو قوله تعالى : وَلا تَبْسُطْها كُلَّ الْبَسْطِ

[الإسراء / ٢٩]. أي : بسطا تامّا ، قال الشاعر :

- ٣٩٢

ليس الفتى كلّ الفتى إلّا الفتى في أدبه

«٢» أي : التامّ الفتوّة.

والثاني : الضّامّ للذّوات ، وذلك يضاف ، تارة إلى جمع معرّف بالألف واللام. نحو قولك :

كُلُّ القوم ، وتارة إلى ضمير ذلك. نحو :

فَسَجَدَ الْمَلائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ

[الحجر / ٣٠]. وقوله : لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ [التوبة / ٣٣]. أو إلى نكرة مفردة نحو : وَكُلَّ إِنسانٍ أَلْزَمْناهُ

(١) مقدمات التفاسير، ١٠١/٣٦

[الإسراء / ١٣] ، وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ [البقرة / ٢٩] إلى غيرها من الآيات ، وربما عري عن الإضافة ، ويقدّر ذلك فيه نحو :

وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ

[يس / ٤٠] ، وَكُلٌّ أَتَوْهُ داخِرِينَ [النمل / ٨٧] ، وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيامَةِ فَرْداً [مريم / ٩٥] ، وَكُلًّا جَعَلْنا صالِحِينَ [الأنبياء / ٧٢] ، وكُلٌّ مِنَ الصَّابِرِينَ [الأنبياء / ٨٥] ، وَكُلًّا ضَرَبْنا لَهُ الْأَمْثالَ [الفرقان / ٣٩] إلى غير ذلك في القرآن ممّا يكثر تعداده. ولم يرد في شيء من القرآن ولا في شيء من كلام الفصحاء الكُلُّ بالألف واللام ، وإنما ذلك شيء يجري في كلام المتكلّمين والفقهاء ومن نحا نحوهم «٣».

والكلالَةُ : اسم لما عدا الولد والوالد من الورثة ، وقال ابن عباس : هو اسم لمن عدا الولد «٤» ، وروي أنّ النبيّ صلّى الله عليه وسلم سئل عن الكَلَالَةِ فقال : «من

---

(١) انظر : معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٢ / ٥٧ ، ومغني اللبيب ص ١٤٤.

(٢) البيت نسبه السمين في عمدة الحفاظ : كل ، إلى لبيد ، وليس في ديوانه وهو لليزيدي في الموشّى ص ١٧.

(٣) قال ابن منظور : وكلّ وبعض معرفتان ، ولم يجئ عن العرب بالألف واللام ، وهو جائز ، لأنّ فيهما معنى الإضافة ، أضفت أو لم تضف. اللسان (كلل).

(٤) انظر : الدر المنثور ٢ / ٧٥٧.." [1]

"(البيت نسبه السمين في عمدة الحفاظ: كل، إلى لبيد، وليس في ديوانه وهو لليزيدي في الموشى ص ١٧)

أي: التام الفتوة.

". [2]

"" صفحة رقم ٣٣٧ "

فذلك الرباط ثلاث مرات والله أعلم .

التأويل : إن في خلق سموات القلوب وأطوارها ، وخلق أرض النفوس وقرارها ، واختلاف ليل البشرية وصفاتها ، ونهار الروحانية وأنوارها ، لآيات لأولي الألباب. الذين عبروا بقدمي الذكر والفكر عن قشر الوجود الجسماني ، ووصلوا إلى لب الوجود الروحاني ، فشاهدوا بعيون البصائر ونواظر الضمائر أن لهم وللعالم إلها قادرا حيا عليما سميعا بصيرا متكلما مريدا باقيا .

وإنما نالوا هذه المراتب لأنهم يذكرون الله في جميع الأحوال بالظاهر والباطن ، ويتفكرون في خلق المصنوعات من البسائط والمركبات ، ويقولون ما خلقت هذا باطلا أي خلقته إظهارا للحق على الخلق ، ووسيلة للخلق إلى الحق .

---

(١) مفردات القرآن . للراغب . نسخة محققة، ١ ص/٧١٩

(٢) مفردات ألفاظ القرآن . نسخة محققة، ١ /٣١١/٢

سبحانك تنزيها للحق عن الشبه بالخلق ،) فقنا (باعد عنا عذاب نار قهرك والبعد عنك ، ففيها كل الخزى والندامة والغواية والضلالة .

ثم أخبر عن شرط العبودية في استجلاب فضل الربوبية بقوله : (ربنا إننا سمعنا) من هاتف الحق في الغيب بالسمع الحقيقي مناديا) فاغفر لنا ذنوبنا (أي كما أسمعتنا النداء بالإرادة القديمة لا بسعي منا قبل أن تخلقينا .

فاغفر لنا بفضلك ورحمتك .

) لا أضيع عمل عامل منكم (بالظاهر والباطن) من ذكر أو أنثى (على قدر همتكم ورجوليتكم) فالذين هاجروا (عن الأوطان والأوطار والأعمال السيئة والأخلاق الذميمة) وأخرجوا من ديارهم (من معاملات الطبيعة وديارها إلى عالم الحقيقة بسطوات تجلي صفات الربوبية) وأوذا في (طلبي بأنواع البلاء) وقاتلوا (مع النفس) وقتلوا (بسيف الصدق لأكفرن عنهم (سيئات وجودهم) ولأدخلنهم جنات (الوصول فيها أشجار التوكل واليقين والزهد والورع والتقوى والصدق والإخلاص والهدى والقناعة والعفة والمروءة **والفتوة** والمجاهدة والشوق والذوق والرغبة والرهبة والوفاء والطلب والمحبة والحياء والكرم والشجاعة والعلم والحلم والعزة والقدرة والهمة وغيرها من المقامات والأخلاق) تجري من تحتها الأنهار (أنهار العناية) ثوابا (من مقام العندية) والله عنده حسن الثواب (لايكون عند الجنة وغيرها) وإن من أهل الكتاب (من علماء الظاهر علماء متقين يكون إيمانه من نتيجة نور الله الذي دخل قلبه ، و) يؤمن بما أنزل إليكم (من الواردات والألهامات والكشروف) وما أنزل إليهم (من الخواطر الرحمانية) خاشعين لله (كما قال (صلى الله عليه وسلم) : (إذا تجلى الله لشيء خضع له)) لا يشترون (بما أوتوا من العلم والحكمة عرض الدنيا) إن الله سريع الحساب (يوصلهم إلى مقام العندية قبل وفاتهم) اصبروا (على جهاد النفس بالرياضات) وصابروا (في مراقبة القلب عند الابتلاآت) ورابطوا (الأرواح للوصل بالله) واتقوا الله (في الالتفات إلى ما سواه) لعلكم تفلحون (فتفوزوا بالبقاء بالله وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين .." (١)

"" صفحة رقم ١٣٤ "

مستودع في عالم الأرواح .

وأيضا من الأرواح ما هو مستقر فيه نور صفة الإيمان وما هو مستودع فيه جذبات الحق ، ومنها ما هو مستقر في أنانيته مع علو رتبته بالبقاء وما هو مستودع أنانيته بالفناء ، وما هو مستقر ببقاء الحق باق وما هو مستودع في بقاء البقاء عن الفناء) قد فصلنا (دلالات الوصول في الوصال) لقوم يفقهون (إشارات القلوب) وهو الذي أنزل (من سماء العناية) ماء (الهداية) فأخرجنا به نبات كل شيء (من أنواع المعارف) فأخرجنا منه خضرا (طريا من المعاني والأسرار) يخرج به (من الحقائق ما تركب بعضها بعضها فترتب بعضها على بعض) ومن النخل (يعني أصحاب الولايات من طلعها (من ثمرات ولايتهم ما هو متدان للطالبين أي منهم من يكون مريئا فينتفع بثمرات ولايته ، ومنهم من يختار العزلة والانقطاع عن المريدين .

---

(١) غرائب القرآن ورغائب الفرقان، ا ٣٣٧/٢

) وجنات (يريد أرباب الزهد والتقوى والفتوة الذين لم يبلغوا رتبة الولاية من أعناب الاجتهاد وزيتون الأصول ورمان الفروع) مشتبها (أي متفقا في الأصول والفروع) وغير متشابه (أي مختلفا فيما بين العلماء) انظروا (إلى ثمر الولايات كيف ينتفع به الخواص والعوام) وينعه (أي الكامل منها .

) إن في ذلكم لآيات لقوم يؤمنون (بأحوالهم وينتفعون بأموالهم وأحوالهم .

) وجعلوا لله (إشارة إلى أنه كما يخرج بماء اللطف من أرض القلوب لأربابها أنواع الكمالات كذلك يخرج بماء القهر من أرض النفوس لأصحابها أنواع الضلالات .

(الأنعام : (١٠١ - ١١٠) بديع السماوات والأرض . . . .

" بديع السماوات والأرض أنى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة وخلق كل شيء وهو بكل شيء عليم ذلكم الله ربكم لا إله إلا هو خالق كل شيء فاعبدوه وهو على كل شيء وكيل لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير قد جاءكم بصائر من ربكم فمن أبصر فلنفسه ومن عمي فعليها وما أنا عليكم بحفيظ وكذلك نصرف الآيات وليقولوا درست ولنبينه لقوم يعلمون اتبع ما أوحي إليك من ربك لا إله إلا هو وأعرض عن المشركين ولو شاء الله ما أشركوا وما جعلناك عليهم حفيظا وما أنت عليهم بوكيل ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم كذلك زينا لكل أمة عملهم ثم إلى ربهم مرجعهم فينبئهم بما كانوا يعملون وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها قل إنما الآيات عند الله وما يشعركم أنها إذا جاءت لا يؤمنون ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة ونذرهم في طغيانهم يعمهون "

(القرآآت)

ولم يكن (بياء الغيبة : قتيبة) درست (بتاء التأنيث : ابن عامر وسهل ويعقوب) دارست (بتاء الخطاب من المدارسة : ابن كثير وابو عمرو .

والباقون بتاء الخطاب) درست (من الدرس .

) عدوا (."[1]

"" صفحة رقم ١٨٤ "

لهم على قولهم شهود فقال : (قل هلم (ومعناه إذا كان لازما أقبل وإذا كان متعديا أحضر .

قال الخليل : أصله (هالم) من قولهم لم الله شعثه أي جمعه كأنه قال : لم نفسك إلينا أي أقرب والهاء للتنبيه واستعطاف المأمور ، ثم حذفت ألفها لكثرة الاستعمال وجعلا اسما واحدا يستوي فيه الواحد والجمع والتذكير والتأنيث في لغة أهل الحجاز ، وأهل نجد) والقائلين لإخوانهم هلم إلينا) [الأحزاب : ١٨] وقال الفراء : أصلها (هل أم) أرادوا بهل حرف الاستفهام ومعنى أم اقصد .

وقيل : إن أصل استعماله أن قالوا هل لك في الطعام أم أي اقصد .

---

(١) غرائب القرآن ورغائب الفرقان، ١٣٤/٣

ثم شاع في الكل .

أمر الله تعالى نبيه باستدعاء إقامة الشهداء من الكافرين ليظهر أن لا شاهد لهم على تحريم ما حرموه .

وإنما لم يقل شهداء يشهدون لأنه ليس الغرض أحضار أناس يشهدون بالتحريم وإنما المراد إحضار شهدائهم الموسومين بالشهادة لهم المعروفين بنصرة مذهبم ولهذا قال : (فإن شهدوا (أي فإن وقعت شهادتهم) فلاتشهد معهم (أي لا تسلم لهم ما شهدوا بهولا تصدقهم لأن شهادتهم محض الهوى والتعصب ولأجل ذلك قال أيضا : (ولا تتبع أهواء الذين كذبوا بآياتنا (فوضع الظاهر موضع المضمر تسجيلا عليهم بالتكذيب وليرتب عليه باقي الآية فيعلم أن المتصف بهذه الصفات لا تكون شهادتهم عند العقلاء مقبولة .

التأويل : (وهو الذي أنشأ جنات (في القلوب) معروشات (من شجرة الإسلام والإيمان والإحسان) وغير معروشات (هي الصفات الروحانية التي جبلت القلوب عليها كالسخاء والحياء والوفاء والمودة والفتوة والشفقة العفة والعلم والحلم والعقل والشجاعة والقناعة ونخل الإيمان وزرع الأعمال الصالحة وزيتون الأخلاق الحميدة ورمان الإخلاص بالشواهد والأحوال) متشابها (أعمالها) وغير متشابه (أحوالها) كلوا من ثمره (انتفعوا من ثمار الإيمان والأعمال والأخلاص بالشواهد والأحوال لا بالدعاوى والقيل والقال .

) وآتوا حقه (دعوة الخلق وتربيتهم بالحكمة والمواعظة الحسنة و) يوم حصاده (أوان بلوغ السالك مبلغ الرجال البالغين عند إدراك ثمرة الكمال للواصلين دون السالك الذي يتردد بعد بين المنازل والمراحل .

) ولا تسرفوا (بالشروع في الكلام في غير وقته والحرص على الدعوة قبل أوانها .

) ومن الأنعام (أي ومن الصفات الحيوانية التي هي مركوزة في الإنسان ما هو مستعد لحمل الأمانة وتكاليف الشرع ، ومنها ما هو مستعد للأكل والشرب البرهان ، ورزق الروح هو المحبة بصدق التحرز عن الأكوان ، ورزق السر هو شهود العرفان." (١)

"" صفحة رقم ٥٣٥ "

الخلود) فكذبوهما (النفس وصفاتها) فعززنا بثالث (من الجذبة) إنا تطيرنا بكم (لأن النفس وصفاتها لا يوافقهما ما يدعو الإلهام والجذبة إليه) طائركم معكم (لأن النفس خلقت من العدم على خاصيتها المشؤومة) رجل يسعى (هو الروح المشتاق إلى لقاء الحق) لا يسألكم أجرا (لأنه لا شرب له من مشاربكم.) قيل ادخل الجنة (وهي عالم الأرواح وهو كقوله) يا أيتها النفس المطمئنة (إلى قوله) ادخلي جنتي) [الفجر : ٣٠] (على قومه من بعده (أي بعد رجوع الروح إلى الحضرة ما أنزل إلى النفس وصفاتها ملائكة من السماء لأنهم لا يقدرون على النفس وصفاتها وإصلاح حالها ، فإن صلاحها في موتها والمميت هو الله.) صيحة واحدة (من وارد حق) فإذا هم (يعني النفس وصفاتها) خامدون (ميتون عن أنانيته بهويته) ألم يرواكم أهلكنا (فيه غشارة إلى أن هذه الأمة خير الأمم شكى معهم من كل أمة وما شكى إلى أحد من غيرهم شكايتهم) وآية لهم (القلوب) الميتة أحييناها (بالطاعة ونخيل الأذكار واعناب الأشواق وعيون الحكمة

---

(١) غرائب القرآن ورغائب الفرقان، ١٨٤/٣

وثمر المكاشفات وعمل الخيرات والصدقات) خلق الأزواج (من الآباء العلوية والأمهات السفلية) مما تنبت (ارض البشرية بازدواج الكاف والنون.) ومن أنفسهم (بازدواج الروح والقلب) ومما لا يعلمون (من تأثير العناية في قلوب المخلصين مما لا عين رأت ولا أذن سمعت وآية لهمر ليل البشرية) نسلخ منه (نهار الروحيانة) فإذا هم مظلمون (بظلمة الخليفة فإن الله خلق الخلق في ظلمة ثم رش عليهم من نوره. وشمس نور الله) تجري لمستقر لها (وهو قلب استقر فيه رشاش نور الله وقمر القلب) قدرناه (ثمانية وعشرين منزلا علىحسب حروف القرآن وأسماؤها : الألفة والبر والتوبة والثبات والجمعية والحلم والخلوص والديانة والذلة والرأفة والزلفة والسلامة والشوق والصدق والصبر والطلب والظمأ والعشق والعزة **والفتوة** والقربة والكرم واللين والمروءة والنور والولاية والهداية واليقين. فإذا قطع كل المنازل فقد تخلق بخلق القرآن ولهذا قال لنبيه (صلى الله عليه وسلم)) واعبد ربك حتى يأتيك اليقين) [الحجر : ٩٠] وهو آخر المنازل والمقامات ، فإن السالك يألف الحق أولا ثم يتوب فيثبت على ذلك حتى تحصل له الجمعية ، وعلى هذا يعبر المقامات حتى يصير كاملا كالبدر ، ثم يتناقص نوره بحسب دنوه من شمس شهود الحق إلى أن يتلاشى ويخفى وهو مقام الفقر الحقيقي الذي افتخر به نبينا (صلى الله عليه وسلم) بقوله (الفقر فخري). ثم أشار بقوله) لا الشمس ينبغي لها (إلى أن الرب لا يصير عبدا ولا العبد ربا. ثم ذكر أن العلوم محمولون في سفينة الشريعة والخواص في بحر الحقيقة كلاهما بفلك العناية وملاحة ارباب الطريقة ، ومثل ما يركبون هو جناح همة المشايخ.) وإن نشأ (نغرق العوام في بحر الدنيا والرخص والخواص في بحر الشبهات والإباحة .." [(١)]

"لطائف الإشارات ، ج ١ ، ص : ١٢

القشيري موصول بالغزالي لا بطريق المصنفات التي خلفها وحسب بل بطريق السند الذي يمثله الجويني.

وفى مجال الحياة العملية نجد القشيري يضطلع بأعمال تتفق واستعداده وثقافته ، فقد اشتغل بالتدريس فى مسجد المطرز وهو فى الثلاثين من عمره ويتضح ذلك من هذا النص :

«كنت فى ابتداء وصلتي بالاستاذ أبي على – رضى الله عنه – عقد لى المجلس فى مسجد المطرز ، فاستأذنته وقتا للخروج إلى «نسا» ، فكنت أمشى معه يوما فى طريق مجلسه ، فخطر ببالي : ليته ينوب عنى فى مجالسى أيام غيبتى .... إلخ» الرسالة ص ١١٦.

و إلى جوار ذلك كان القشيري يعكف على التأليف دون انقطاع فانتهى من التفسير الكبير المعروف (بالتيسير في التفسير) قبل عام ٤١٠ ه ، ومن اللطائف عام ٤٣٤ ، ومن الرسالة عام ٤٣٧ واستمر يمارس هذا النشاط فى دأب لا يعرف الكلال حتى وصلت كتبه إلى خمسة وعشرين كتابا أو نحوها ، ومن أهمها إلى جوار ما سبق : ترتيب السلوك ، والتحبير فى التذكير ، والأربعون حديثا ، وشكاية أهل السنة بحكاية ما نالهم من المحنة ، واستفادات المرادات ، والقصيدة الصوفية ، والتوحيد النبوي ، واللمع ، والفصول ، **والفتوة** ، ونحو القلوب الصغير ، والكبير ، والمقامات الثلاثة ، وفتوى ، والمعراج.

ولم يطبع من هذه الكتب إلا النذر اليسير ، وفى النية أن نقوم – بعون من الله – بإخراج ما وقع لنا منها خلال رحلات طويلة عديدة ، حتى يزداد الناس علما به وتقديرا له.

---

(١) غرائب القرآن ورغائب الفرقان، ٥/ ٥٣٥

ولم يسلم القشيري خلال حياته من المحن والآلام ، وربما كانت أشدها جميعا ما حدث له إبان حكم السلطان طغرل ووزيره اللعين الكندري.

كان السلطان طغرل سنيا حنفيا ، ووزيره أبو نصر الكندري معتزليا رافضيا ، خبيث العقيدة ، ذا آراء مسرفة فى التشبيه وخلق الأفعال ، والقدر ، وكان متعصبا فى ذلك أشد التعصب.

وفى هذا الوقت كان بنيسابور شخصية فذة لها فى أوساط العامة والخاصة نفوذ كبير ، ومحبة فائقة ، ذلكم هو الأستاذ أبو سهل بن الموفق أحد رجال الطبقة الرابعة الشافعية ،." [1]

"لطائف الإشارات ، ج ١ ، ص : ١٢٠

و كل أحد يقول يومئذ نفسى نفسى ونبينا صلى الله عليه وسلم يقول : أمتى أمتى «١».

قوله جل ذكره :

[سورة البقرة (٢) : آية ١٢٤]

وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فأتمهن قال إني جاعلك للناس إماما قال و من ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين (١٢٤)

البلاء تحقيق الولاء ، فأصدقهم ولاء أشدهم بلاء.

ولقد ابتلى الحق - سبحانه - خليله عليه السلام بما فرض عليه وشرع له ، فقام بشرط وجوبها ، ووفى بحكم مقتضاها ، فأثنى عليه سبحانه بقوله : «وإبراهيم الذي وفى» - من التوفية - أي لم يقصر بوجه البتة.

يقال حمله أعباء النبوة ، وطالبه بأحكام الخلة ، وأشد بلاء له كان قيامه بشرائط الخلة ، والانفراد له بالتجافي عن كل واحد وكل شى ء ، فقام بتصحيح ذلك مختليا عن جميع ما سواه ، سرا وعلنا. «٢»

كذلك لم يلاحظ جبريل عليه السلام حين تعرض له وهو يقذف فى لجة الهلاك ، فقال :

هل من حاجة؟ فقال : أما إليك .... فلا.

ومن كمال بلائه تعرض جبريل عليه السلام فى تلك الحالة ، وأي بقية كانت بقيت له منه حتى يكون لمخلوق فيه مساغ كائنا من كان؟!

---

(١) أخطأ الناسخ حين نقلها «كل عهد يقول ... والصواب» كل أحد ... وقد سمع القشيري هذه العبارة من أستاذه الدقاق - كما يقول فى رسالته فى باب **الفتوة**.

(٢) هذا هو رأى القشيري فى «الخلة» ، ونرى لزاما علينا أن ننبه إلى بعض الآراء الأخرى فيها.

فالمعتزلة - الذين يتعدون عن كل ما يحمل على التشبيه - يبذلون جهدهم فى الاستعانة باللغة للحصول على تأويلات للنص القرآني تخدم هذه الغاية ، فلما لم يرضهم حمل لفظة الخليل على ظاهرها فى الآية «واتخذ الله إبراهيم خليلا» (النساء : ١٢٥) استشهدوا ببيت من الشعر القديم لزهير وهو :

---

(١) لطائف الإشارات موافقا للمطبوع، ١ /١٢

و إن أتاه خليل يوم مسألة يقول لا غائب مالى ولا حرم

(ديوان زهير نشر دار الكتب ص ١٥٣) وفيه خليل بمعنى محتاج ، وقد أورد القشيري هذا الرأى ضمن تفسيره للآية ١٢٤ النساء ، أي أنه لا يعارض أن تحتمل اللفظة هذا المعنى.

ويفسر دكتور عبد الرحمن بدوي قول أبى طالب المكي (إن رابعة قد ارتفعت إلى وصف معنى الخلة) بما يلى : (على أن مقام الخلة هذا يمكن أن يفسر على أساس أنه شعور بتجاوز الخير والشر ، ذلك أن القيم الأخلاقية لا اعتبار لها إلا بالنسبة إلى بنى الإنسان والدنيا. أما - رابعة ورباح - فقد تجاوزا نطاق البشرية وصارا يلوذان بجوار الألوهية واطرحا الناسوت وشاع فيهما اللاهوت».

شهيد العشق الإلهي ص ٦٣ ، ٦٤." [١]

"لطائف الإشارات ، ج ١ ، ص : ٣١٣

قوله جل ذكره :

[سورة النساء (٤) : آية ٢]

وآتوا اليتامى أموالهم و لا تتبدلوا الخبيث بالطيب و لا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم إنه كان حوبا كبيرا (٢)

من أقيم بمحل الرعاية فجاء على رعيته فخصمه ربه فإنه - سبحانه - ينتقم لعباده ما لا ينتقم لنفسه. فولى اليتيم إن أنصف وأحسن فحقه على الله ، وإن أساء وتعدى فخصمه الله.

قوله جل ذكره :

[سورة النساء (٤) : آية ٣]

وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى و ثلاث و رباع فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم ذلك أدنى ألا تعولوا (٣)

أباح الله للرجال الأحرار التزوج بأربع فى حالة واحدة ، وأوجب العدل بينهن ، فيجب على العبد أن يراعى الواجب فإن علم أنه يقوم بحق هذا الواجب آثر هذا المباح ، وإن علم أنه يقصر فى الواجب فلا يتعرض لهذا المباح ، فإن الواجب مسئول عنه.

قوله جل ذكره :

[سورة النساء (٤) : آية ٤]

وآتوا النساء صدقاتهن نحلة فإن طبن لكم عن شيء منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا (٤)

دل هذا على أن طعام الفتيان «١» والأسخياء مرىء لأنهم لا يطعمون إلا عن طيب نفس ، وطعام البخلاء ردىء «٢» لأنهم يرون أنفسهم ، وإنما يطعمون عن تكلف لا عن طيب نفس.

قال صلى الله عليه وسلم : «طعام السخى دواء وطعام البخيل داء».

---

(١) لطائف الإشارات موافقا للمطبوع، ١ /١٢٠

(١) الفتيان جمع فتى. **والفتوة** أصل من أصول الصوفية عماده الإيثار والبذل والصفح والعفو ، والأنفة عما فى الكونين إلى غير ذلك من محاسن السلوك التي ينبغى للنفس أن ترتاضها ، وأن تتحلى بها حتى يتهيأ العبد لما هو أجل وأعظم ، وأن يكون إيثاره لله وبذله لله وروحه لله ، لأن من يؤمر بالتزام ذلك بالنسبة للمخلوق لا يضن بأضعافه بالنسبة إلى الحق.
(٢) مشتبهة ولكنها أقرب ما تكون إلى (ردى ء) وقد وضعناها مع التحفظ ، والمعنى بتقبلها. [.....]."[١]
"لطائف الإشارات ، ج ١ ، ص : ٣٦٣

أفضل الأعمال ما كانت بركاته تتعدى صاحبه إلى غيره ففضيلة الصدقة يتعدى نفعها إلى من تصل إليه ، **والفتوة** أن يكون سعيك لغيرك ، ففى الخبر : «شر الناس من أكل وحده» وكل أصناف الإحسان ينطبق عليها لفظ الصدقة.

قال صلى الله عليه وسلم فى قصر الصلاة فى السفر : «هذه صدقة تصدقها الله عليكم فاقبلوا صدقته» «١» والصدقة على أقسام : صدقتك على نفسك ، وصدقتك على غيرك فأما صدقتك (على نفسك فحملها على أداء حقوقه تعالى ، ومنعها عن مخالفة أمره ، وقصر يدها عن أذية الخلق ، وصون خواطرها وعقائدها عن السوء. وأما صدقتك) «٢» على الغير فصدقة بالمال وصدقة بالقلب وصدقة بالبدن.

فصدقة بالمال بإنفاق النعمة ، وصدقة بالبدن بالقيام بالخدمة ، وصدقة بالقلب بحسن النية وتوكيد الهمة.

والصدقة على الفقراء ظاهرة لا إشكال فيها ، أما الصدقة على الأغنياء فتكون بأن تجود عليهم بهم ، فتقطع رجاءك عنهم فلا تطمع فيهم.

وأما المعروف : فكل حسن فى الشرع فهو معروف ، ومن ذلك إنجاد المسلمين وإسعادهم فيما لهم فيه قربة إلى الله ، وزلفى عنده ، وإعلاء النواصي بالطاعة.

(١) هكذا رواه مسلم وأهل السنن من حديث ابن جريج عن عبد الرحمن بن عبد الله بن أبى عمار.
وقال الترمذي هذا حديث حسن صحيح. وقال على بن المديني هذا حديث حسن صحيح من حديث عمر بن الخطاب ، ولا يحفظ الا من هذا الوجه ورجاله معروفون.
(٢) ما بين القوسين استدراك فى الهامش وضعناه فى موضعه من النص حسب العلامة المميزة.." [٢]
"لطائف الإشارات ، ج ١ ، ص : ٤٢٦

قوله جل ذكره : و لا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا و من لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون.

لا تأخذوا على جحد «١» أوليائى والركون إلى ما فيه رضاء أعدائى عوضا يسيرا فتبقوا بذلك عنى ، ولا يبارك لكم فيما تأخذون من العوض.

(١) لطائف الإشارات موافقا للمطبوع، ١ /٣١٣
(٢) لطائف الإشارات موافقا للمطبوع، ١ /٣٦٣

«ومن لم يحكم بما أنزل الله ...» فمن اتخذ بغيره حكما ، ولم يجد - تحت جريان حكمه - رضى واستسلاما»
ففى شرك خامر قلبه ، وكفر قارن سره. وهيهات أن يكون على سواء! قوله جل ذكره :
[سورة المائدة (٥) : آية ٤٥]
وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس و العين بالعين و الأنف بالأنف و الأذن بالأذن و السن بالسن و الجروح قصاص فمن تصدق به فهو كفارة له و من لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون (٤٥)
بين أن اعتبار العدالة كان حتما فى شرعهم ، ولما جنحوا إلى التضييع استوجبوا الملام.
«فمن تصدق به فهو كفارة له»
،
يعنى فمن آثر ترك ماله باعتناق العفو لم يخسر علينا باستيجاب الشكر ، ومن أبى إلا تماديا فى إجابة دواعى الهوى فهم الذين وضعوا الشيء فى غير موضعه أي استبدلوا بلزوم الحقائق متابعة الحظوظ ، وبإيثار **الفتوة** موافقة البشرية «٣».
قوله جل ذكره :
[سورة المائدة (٥) : آية ٤٦]
وقفينا على آثارهم بعيسى ابن مريم مصدقا لما بين يديه من التوراة و آتيناه الإنجيل فيه هدى و نور و مصدقا لما بين يديه من التوراة و هدى و موعظة للمتقين (٤٦)

---

(١) وردت (جهد) بالهاء والملائم أن تكون (جحد) فهكذا تشير الآية الكريمة ، وكذلك السياق إن رضاء الأعداء يقابله جحد الأولياء.
(٢) وردت (و استلاما) والصواب (استسلاما) أي أي انقيادا وطاعة.
(٣) لأن من عناصر **الفتوة** - عند الصوفية - البذل والإيثار والتضحية.." [١]
"لطائف الإشارات ، ج ١ ، ص : ٥٢٩
استروحوا فى التعلل إلى سلوكهم نهج أسلافهم ، فاستمسكوا بحبل واه فزلت بهم أقدام الغرور ، وقعوا فى وهدة المحنة.
قوله جل ذكره :
[سورة الأعراف (٧) : الآيات ٢٩ الى ٣٠]
قل أمر ربي بالقسط و أقيموا وجوهكم عند كل مسجد و ادعوه مخلصين له الدين كما بدأكم تعودون (٢٩) فريقا هدى و فريقا حق عليهم الضلالة إنهم اتخذوا الشياطين أولياء من دون الله و يحسبون أنهم مهتدون (٣٠)
القسط العدل ، ويقع ذلك فى حق الله تعالى ، وفى حق الخلق ، وفى حق نفسك فالعدل فى حق الله الوقوف على حد الأمر من غير تقصير فى المأمور به أو إقدام على المنهى عنه ، ثم ألا تدخر عنه شيئا مما خولك ، ثم لا تؤثر عليه شيئا فيما

---

(١) لطائف الإشارات موافقا للمطبوع، ا ٤٢٦/١

أحل لك. وأما العدل مع الخلق – فعلى لسان العلم – بذل الإنصاف ، وعلى موجب الفتوة ترك الانتصاف. وأما العدل فى حق نفسك فإدخال العتق عليها ، وسد أبواب الراحة بكل وجه عليها ، والنهوض بخلافها على عموم الأحوال فى كل نفس.

قوله جل ذكره : و أقيموا وجوهكم عند كل مسجد و ادعوه مخلصين له الدين.

الإشارة منه إلى استدامة (شهوده فى كل حالة ، وألا تنساه لحظة فى كل ما تأتيه وتذره وتقدمه) «١» وتؤخره.

قوله جل ذكره : كما بدأكم تعودون فريقا هدى و فريقا حق عليهم الضلالة إنهم اتخذوا الشياطين أولياء من دون الله و يحسبون أنهم مهتدون.

من كانت قسمته – سبحانه – له بالسعادة كانت فطرته على السعادة ، وكانت حالته بنعت السعادة ، ومن كانت حالته بنعت السعادة كانت عاقبته إلى السعادة ، ومن كانت القسمة له بالعكس فالحالة بالضد ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «من كان بحالة لقى الله بها».

---

(١) ما بين القوسين موجود فى الهامش أثبتناه فى موضعه من النص.." (١)

"لطائف الإشارات ، ج ٢ ، ص : ٦٧

قوله جل ذكره : الحامدون هم الشاكرون له على وجود أفضاله ، المثنون عليه عند شهود جلاله وجماله.

ويقال الحامدون بلا اعتراض على ما يحصل بقدرته ، وبلا انقباض عما يجب من طاعته.

ويقال الحامدون له على منعه وبلائه كما يحمدونه على نفعه وعطائه.

ويقال الحامدون إذا اشتكى من لا فتوة «١» له المادحون إذا بكى من لا مروءة له.

ويقال الشاكرون له إن أدناهم ، الحامدون له إن أقصاهم.

قوله جل ذكره : السائحون الصائمون ولكن عن شهود غير الله ، الممتنعون عن خدمة غير الله ، المكتفون من الله بالله.

و يقال السائحون الذين يسيحون فى الأرض على جهة الاعتبار طلبا للاستبصار ، ويسيحون بقلوبهم فى مشارق الأرض ومغاربها بالتفكر فى جوانبها ومناكبها ، والاستدلال بتغيرها على منشئها ، والتحقق بحكمة خالقها بما يرون من الآيات فيها ، ويسيحون بأسرارهم فى الملكوت فيجدون روح الوصال ، ويعيشون بنسيم الانس بالتحقق بشهود الحق.

قوله جل ذكره : الراكعون الخاضعون لله فى جميع الأحوال بخمودهم تحت سلطان التجلى ، وفى الخبر. «إن الله ما تجلى لشىء إلا خشع له».

وكما يكون – فى الظاهر – راكعا يكون فى الباطن خاشعا ، ففى الظاهر بإحسان الحق إليه يحسن توليه ، وفى الباطن كالعيان للعيان للحق بأنوار تجليه.

قوله جل ذكره الساجدون فى الظاهر بنفوسهم على بساط العبودية ، وفى الباطن بقلوبهم عند شهود الربوبية.

---

(١) لطائف الإشارات موافقا للمطبوع، ا ٥٢٩/١

(١) سأل شقيق البلخي جعفر بن محمد عن **الفتوة** فقال : ما تقول أنت؟ فقال شقيق : إن أعطينا شكرنا وإن منعنا صبرنا ، فقال جعفر : الكلاب عندنا بالمدينة كذلك تفعل! فقال شقيق : وما **الفتوة** عندكم؟ فقال : إن أعطينا آثرنا ، وإن منعفا شكرنا (الرسالة ص ١١٥)..'' (١)

''لطائف الإشارات ، ج ٢ ، ص : ٣٨٠

قوله جل ذكره :

[سورة الكهف (١٨) : آية ١٢]

ثم بعثناهم لنعلم أي الحزبين أحصى لما لبثوا أمدا (١٢)

أي رددناهم إلى حال صحوهم وأوصاف تمييزهم ، وأقمناهم بشواهد التفرقة بعد ما محوناهم عن شواهدهم بما أقمناهم بوصف الجمع.

قوله جل ذكره :

[سورة الكهف (١٨) : الآيات ١٣ الى ١٤]

نحن نقص عليك نبأهم بالحق إنهم فتية آمنوا بربهم و زدناهم هدى (١٣) و ربطنا على قلوبهم إذ قاموا فقالوا ربنا رب السماوات و الأرض لن ندعوا من دونه إلها لقد قلنا إذا شططا (١٤)

لما كانوا مأخوذين عنهم تولى الحق - سبحانه - أن قص عنهم ، وفرق بين من كان عن نفسه وأوصافه قاصا لبقائه فى شاهده وكونه غير منتف بجملته .. وبين من كان موصوفا بواسطة غيره لفنائه عنه وامتحائه منه وقيام غيره عنه.

ويقال لا تسمع قصة الأحباب أعلى وأجل مما تسمع من الأحباب ، قال عز من قائل :

«نحن نقص عليك» ، وأنشدوا :

و حدثتني يا سعد عنها فزدتنى حنينا فزدنى من حديثك يا سعد

قوله : «إنهم فتية آمنوا بربهم» : يقال إنهم فتية لأنهم آمنوا - على الوهلة - بربهم ، آمنوا من غير مهلة ، لما أتتهم دواعى الوصلة «١».

ويقال فتية لأنهم قاموا لله ، وما استقروا حتى وصلوا إلى الله.

قوله جل ذكره : و زدناهم هدى و ربطنا على قلوبهم لاطفهم بإحضارهم ، ثم كاشفهم فى أسرارهم ، بما زاد من أنوارهم ، فلقاهم أولا التبيين ، ثم رقاهم عن ذلك باليقين.

---

(١) لاحظ أهمية ذلك فى فهم معنى (**الفتوة**) عند الصوفية..'' (٢)

---

(١) لطائف الإشارات موافقا للمطبوع، ٢/ ٦٧

(٢) لطائف الإشارات موافقا للمطبوع، ٢/ ٣٨٠

"لطائف الإشارات ، ج ٢ ، ص : ٤٠٦

قوله جل ذكره :

[سورة الكهف (١٨) : الآيات ٦٠ الى ٦١]

وإذ قال موسى لفتاه لا أبرح حتى أبلغ مجمع البحرين أو أمضي حقبا (٦٠) فلما بلغا مجمع بينهما نسيا حوتهما فاتخذ سبيله في البحر سربا (٦١)

لما صحت صحبة يوشع مع موسى عليهما السلام استحق اسم الفتوة ، ولذا قال :

«وإذ قال موسى لفتاه» وهو اسم كرامة لا اسم علامة.

جعل دخول السمك الماء علامة لوجود الخضر هنالك «١» ، ثم أدخل النسيان عليهما ليكون أبلغ فى الآية ، وأبعد من اختيار البشر.

قوله جل ذكره :

[سورة الكهف (١٨) : آية ٦٢]

فلما جاوزا قال لفتاه آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا (٦٢)

كان موسى فى هذا السفر متحملا ، فقد كان سفر تأديب واحتمال مشقة ، لأنه ذهب لاستكثار العلم. وحال طلب العلم حال تأديب ووقت تحمل المشقة ، ولهذا لحقه الجوع ، فقال : «لقينا من سفرنا هذا نصبا».

وحين صام فى مدة انتظار سماع الكلام من الله صبر ثلاثين يوما ، ولم يلحقه الجوع ولا المشقة ، لأن ذهابه فى هذا السفر كان إلى الله ، فكان محمولا.

قوله جل ذكره :

[سورة الكهف (١٨) : الآيات ٦٣ الى ٦٤]

قال أ رأيت إذ أوينا إلى الصخرة فإني نسيت الحوت و ما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره و اتخذ سبيله في البحر عجبا (٦٣) قال ذلك ما كنا نبغ فارتدا على آثارهما قصصا (٦٤)

---

(١) كان الحوت سمكة مملوحة ، فنزلا ليلة على شاطىء عين الحياة ونام موسى ، فلما أصاب السكة الماء عاشت ووقعت فى الماء (النسفي).." (١)

"لطائف الإشارات ، ج ٣ ، ص : ١٦٢

«والصابرين و الصابرات ..»

على الخصال الحميدة ، وعن الصفات الذميمة ، وعند جريان مفاجآت القضية.

«والخاشعين و الخاشعات ..».

---

(١) لطائف الإشارات موافقا للمطبوع، ٢/٤٠٦

الخشوع إطراق السريرة عند بواده الحقيقة.

«والمتصدقين و المتصدقات ..»

بأموالهم وأنفسهم حتى لا يكون لهم مع أحد خصومة فيما نالوا منهم ، أو قالوا فيهم «١» «والصائمين و الصائمات ..»

المسكين عما لا يجوز في الشريعة والطريقة.

«والحافظين فروجهم و الحافظات ..»

فى الظاهر عن الحرام ، وفي الإشارة عن جميع الآثام.

«والذاكرين الله كثيرا و الذاكرات ..»

بألسنتهم وقلوبهم وفي عموم أحوالهم لا يفترون ، ولا يتداخلهم نسيان.

«أعد الله لهم مغفرة و أجرا عظيما».

فهؤلاء لهم جميل الحسنى ، وجزيل العقبى.

قوله جل ذكره :

[سورة الأحزاب (٣٣) : آية ٣٦]

وما كان لمؤمن و لا مؤمنة إذا قضى الله و رسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم و من يعص الله و رسوله فقد ضل ضلالا مبينا (٣٦)

الافتيات عليه في أمره والاعتراض عليه في حكمه وترك الانقياد لإشارته .. قرع لباب الشرك فمن لم يمسك عنه سريعا وقع في وهدته.

قوله جل ذكره :

[سورة الأحزاب (٣٣) : آية ٣٧]

وإذ تقول للذي أنعم الله عليه و أنعمت عليه أمسك عليك زوجك و اتق الله و تخفي في نفسك ما الله مبديه و تخشى الناس و الله أحق أن تخشاه فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها لكي لا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم إذا قضوا منهن وطرا و كان أمر الله مفعولا (٣٧)

---

(١) وهذا من أمارات الفتوة (أنظر الرسالة ص ١١٣)." [١]

"لطائف الإشارات ، ج ٣ ، ص : ٣٣١

«من غفور رحيم» : وفي ذلك مساغ لآمال المذنبين لأنهم هم الذين يحتاجون إلى المغفرة ، ولو لا رحمته لما وصلوا إلى مغفرته.

قوله جل ذكره :

[سورة فصلت (٤١) : آية ٣٣]

---

(١) لطائف الإشارات موافقا للمطبوع، ١٦٢/٣

ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله و عمل صالحا و قال إنني من المسلمين (٣٣)

أي لا أحد أحسن قولا منه ، ويكون المراد منه النبي صلى الله عليه وسلم. ويحتمل أن يكون جميع الأنبياء عليهم السلام.

ويقال هم المؤمنون. ويقال هم الأئمة الذين يدعون الناس إلى الله.

وقيل هم المؤذنون. ويقال الداعي إلى الله هو الذي يدعو الناس إلى الاكتفاء بالله وترك طلب العوض من الله ، ويكل أمره إلى الله ، ويرضى من الله بقسمة الله.

«وعمل صالحا» : أي كما يدعو الخلق إلى الله يأتى بما يدعوهم إليه.

ويقال هم الذين عرفوا طريق الله ، ثم سلكوا طريق الله ، ثم دعوا الناس إلى الله.

و يقال بل سلكوا طريق الله فبسلوكهم وبمنازلاتهم عرفوا الطريق إلى الله ، ثم دعوا الخلق إليه بعد ما عرفوا الطريق إليه.

«وقال إنني من المسلمين» : المسلمون لحكمه هم الراضون بقضائه وتقديره.

قوله جل ذكره :

[سورة فصلت (٤١) : آية ٣٤]

ولا تستوي الحسنة و لا السيئة ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك و بينه عداوة كأنه ولي حميم (٣٤)

ادفع بالخصلة التي هي أحسن السيئة يعنى بالعفو عن المكافأة ، وبالتجاوز والصفح عن الزلة ، وترك الانتصاف «١»

.

«فإذا الذي بينك و بينه عداوة كأنه ولي حميم» يشبه الولي الحميم - ولم يصر وليا مخلصا .. وهذا من جملة حسن الأدب في الخدمة في حق صحبتك مع الله تحلم مع عباده لأجله.

---

(١) هذه الأوصاف التي ذكرها القشيري من أمارات الفتوة - كما ورد في الفصل الذي عقده لها فى «رسالته».." [(١)]

"لطائف الإشارات ، ج ٣ ، ص : ٥٤٤

فالاختيال من علامات بقاء النفس ورؤيتها «١» ، والفخر (ناتج) «٢» عن رؤية ما به يفتخر.

قوله جل ذكره :

[سورة الحديد (٥٧) : آية ٢٤]

الذين يبخلون و يأمرون الناس بالبخل و من يتول فإن الله هو الغني الحميد (٢٤)

بخلوا بكتمان صفة نبينا صلى الله عليه وسلم وأمروا أتباعهم بذلك ، وذلك لما خافوا من كساد سوقهم وبطلان رياستهم.

«و من يتول .. عن الإيمان ، أو إعطاء الصدقة «فإن الله هو الغني الحميد».

والبخل - على لسان العلم - منع الواجب «٣» ، فأما على بيان هذه الطائفة «٤» فقد قالوا :

البخل رؤية قدر للأشياء ، والبخيل الذي يعطى عند السؤال «٥» ، وقيل : من كتب على خاتمه اسمه فهو بخيل «٦».

---

(١) لطائف الإشارات موافقا للمطبوع، ٣٣١/٣

قوله جل ذكره :

[سورة الحديد (٥٧) : آية ٢٥]

لقد أرسلنا رسلنا بالبينات و أنزلنا معهم الكتاب و الميزان ليقوم الناس بالقسط و أنزلنا الحديد فيه بأس شديد و منافع للناس و ليعلم الله من ينصره و رسله بالغيب إن الله قوي عزيز (٢٥)

أي أرسلناهم مؤيدين بالحجج اللائحة والبراهين الواضحة ، وأزحنا العلة لمن أراد سلوك الحجة المثلى ، ويسرنا السبيل على من آثر اتباع الهدى. وأنزلنا معهم الكتب المنزلة ، و«الميزان» : أي الحكم بالقرآن ، واعتبار العدل والتسوية بين الناس.

«ليقوم الناس بالقسط» : فلا يظلم أحد أحدا.

---

(١) هكذا في ص وهي أصوب من (زينتها) التي في م ، فرؤية النفس آفة يحذر منها أرباب الطريق - خاصة أهل الملامة.

(٢) إضافة من عندنا حتى يتضح السياق.

(٣) يقصد منع الزكاة المفروضة حسب علوم الشريعة. [.....]

(٤) يقصد طائفة الصوفية.

(٥) أي لا ينظر حتى يسأله سائل ، وإنما هو يعطى دائما دون انتظار لدعوة داع أو سؤال سائل.

(٦) لأنه ينبغي أن يكون مستعدا لاعضائه لغيره عند أي ظرف من الظروف ، والمقصود أن يكون في العبد إيثار الفتيان (راجع فصل **الفتوة** في رسالة القشيري).." [١]

"لطائف الإشارات ، ج ٣ ، ص : ٥٦١

قوله جل ذكره :

[سورة الحشر (٥٩) : آية ٩]

والذين تبوؤا الدار و الإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم و لا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا و يؤثرون على أنفسهم و لو كان بهم خصاصة و من يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون (٩)

نزلت هذه الآية في الأنصار. «تبوؤا الدار» أي سكنوا المدينة قبل المهاجرين ..

«يحبون من هاجر إليهم» من أهل مكة.

«ولا يجدون في صدورهم حاجة» مما خصص به المهاجرون من الفي ء ، ولا يحسدونهم على ذلك ، ولا يعترضون بقلوبهم على حكم الله بتخصيص المهاجرين ، حتى لو كانت بهم حاجة أو اختلال أحوال.

«ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون».

قيل نزلت الآية «١» فى رجل منهم أهديت له رأس شاة فطاف على سبعة أبيات حتى انتهى إلى الأول.

و قيل نزلت في رجل منهم نزل به ضيف فقرب منه الطعام وأطفأ السراج ليوهم ضيفه أنه يأكل ، حتى يؤثر به الضيف على

---

(١) لطائف الإشارات موافقا للمطبوع، ٣/٥٤٤

نفسه وعلى عياله ، فأنزل الله الآية في شأنه «٢».

ويقال : الكريم من بنى الدار لضيفانه وإخوانه (و اللئيم من بناها لنفسه) «٣».

وقيل : لم يقل الله : ومن يتق شح نفسه بل قال : ومن يوق شح نفسه «٤».

ويقال : صاحب الإيثار يؤثر الشبعان على نفسه - وهو جائع.

---

(١) حديث القشيري عنه وفيما بعد عن الإيثار يصلح أن يكون متمما للفصل الذي عقده في رسالته عن الفتوة ص ١١٣.

(٢) هكذا في رواية أبي هريرة (البخاري ح ٣ ص ١١٣).

(٣) ما بين القوسين موجود في ص وغير موجود في م.

(٤) فتقاه من الله لا من نفسه.." [1]

"لطائف الإشارات ، ج ٣ ، ص : ٧٣٦

و آخر في تصحيح تقواه ، وآخر في تصفية ذكراه ، وآخر في القيام بحسن رضاه ، وآخر في طلب مولاه.

ومنكم : من يجمع بين سعى النفس بالطاعة ، وسعى القلب بالإخلاص ، وسعى البدن بالقرب ، وسعى اللسان بذكر الله ، والقول الحسن للناس ، ودعاء الخلق إلى الله والنصيحة لهم.

ومنهم من سعيه في هلاك نفسه وما فيه هلاك دنياه ... ومنهم .. ومنهم.

قوله جل ذكره : «فأما من أعطى و اتقى و صدق بالحسنى فسنيسره لليسرى » «فأما من أعطى » من ماله ، «واتقى » مخالفة ربه ...

ويقال : «أعطى » الإنصاف من نفسه ، «واتقى » طلب الإنصاف لنفسه «١» ...

ويقال : «اتقى » مساخط الله. «وصدق بالحسنى » : بالجنة ، أو بالكرة الآخرة ، وبالمغفرة لأهل الكبائر ، وبالشفاعة من جهة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وبالخلف «٢» من قبل الله ... فسنيسره لليسرى : أي نسهل عليه الطاعات ، ونكره إليه المخالفات ، ونشهى إليه القرب ، ونحبب إليه الإيمان ، ونزين في قلبه الإحسان.

ويقال : الإقامة على طاعته والعود إلى ما عمله من عبادته.

«و أما من بخل و استغنى و كذب بالحسنى فسنيسره للعسرى » أما من منع الواجب ، واستغنى في اعتقاده ، وكذب بالحسنى : أي بما ذكرنا ، فسنيسره للعسرى فيقع في المعصية ولم يدبرها ، ونوقف «٣» له أسباب المخالفة.

ويقال «أعطى » أعرض عن الدارين ، «واتقى » أن يجعل لهما في نفسه مقدارا. «٤»

---

(١) من الفتوة أن تتحلى بالإنصاف وأن تتخلى عن الانتصاف .. هكذا قال الشيوخ.

---

[1] لطائف الإشارات موافقا للمطبوع، ٣/٥٦١

(٢) (الخلف) بالمعنى العام : إن الله يرث الأرض ومن عليها ، وبالمعنى الصوفي : «فالذين يهبهم – فى حال لفناء والحق – فهو عنهم خلف (انظر بسملة الأحقاف من هذا المجلد).

(٣) هكذا في ص وهي في م (و نوفق) وهي مقبولة أيضا (فالتوفيق) العسرى هو التيسير لها كما في الآية ..

بل لعلها أقرب إلى السياق مما في ص.

(٤) حتى يبتعد عن الأعواض والأغراض ، وينقى قلبه لله وحده.." [١]

"القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين ﴾ [١٢٦] .

﴿ وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين ﴾ أي : الزموا سيرة العدالة ، لا تجاوزوها . فإنها أقل درجات كمالكم . فإن كان لكم قدم في **الفتوة** ، وعرق راسخ في الفضل والكرم والمروءة ؛ فاتركوا الانتصار والانتقام ممن جنى عليكم ، وعارضوه بالعفو مع القدرة ، واصبروا على الجناية ، فإنه : ﴿ لهو خير للصابرين ﴾ ألا تراه كيف أكده بالقسم واللام في جوابه ، وترك المضمر إلى المظهر حيث ما قال : (لهو خير لكم) بل قال : ﴿ لهو خير للصابرين ﴾ للتسجيل عليهم بالمدح والتعظيم بصفة الصبر . فإن الصابر ترقى عن مقام النفس وقابل فعل نفس صاحبه بصفة القلب . فلم يتكدر بظهور صفة النفس . وعارض ظلمة نفس صاحبه بنور قلبه . فكثيرا ما يندم ويتجاوز عن مقام النفس . وتنكسر سورة غضبه فيصلح . وإن لم يكن لكم هذا المقام الشريف ، فلا تعاقبوا المسيء بسورة الغضب بأكثر مما جنى عليكم فتظلموا ، أو تتورطوا بأقبح الرذائل وأفحشها ، فيفسد حالكم ويزيد وبالكم على وبال الجاني . أفاده القاشاني .

تنبيهات :

الأول : في " الإكليل " : قال ابن العربي : في الآية جواز المماثلة في القصاص خلافا لمن قال : لا قود إلا بالسيف . ويستدل بها لمسألة الظفر ، كما أخرج ابن أبي حاتم عن ابن سيرين والنخعي ؛ أنهما استدلا بها عليها . ولفظ النخعي : سئل عن الرجل يخون الرجل ثم يقع له في يده الدراهم ؟ قال : إن شاء ذهب من دراهمه بمثل ما خانه . ثم قرأ هذه الآية . ولفظ ابن سيرين : إن أخذ منكم رجل شيئا ، فخذوا مثله .

قال ابن كثير : وكذا قال مجاهد وإبراهيم والحسن البصري وغيرهم ، واختاره ابن جرير . فعمومها يشمل العدل في القصاص والمماثلة في استيفاء الحق .

الثاني : قال محمد بن إسحاق عن بعض أصحابه ، عن عطاء بن يسار قال : نزلت سورة النحل كلها بمكة . وهي مكية إلا ثلاث آيات من آخرها نزلت بالمدينة بعد أحد ، حين قتل حمزة رضي الله عنه ومثل به . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : [٢]. فلما سمع المسلمون ذلك قالوا : والله ! لئن أظهرنا الله عليهم لنمثلن بهم مثلة لم يمثلها أحد من العرب بأحد قط . فأنزل الله الآية هذه ، إلى آخر السورة .

---

(١) لطائف الإشارات موافقا للمطبوع، ٣/٣٣٦ا

(٢) لئن أظهرني الله عليهم لأمثلن بثلاثين رجلا منهم

قال الحافظ ابن كثير : هذا مرسل وفيه مبهم لم يسم . ورواه الحافظ البزار من وجه آخر موصولا عن أبي هريرة رضي الله عنه ؛ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقف على حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه ، حين استشهد ، فنظر إلى منظر لم ينظر أوجع للقلب منه ، وقد مثل به . فقال : [(١)]. فنزلت هذه الآية . فكفر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يعني عن يمينه ، وأمسك عن ذلك .

قال ابن كثير : وهذا إسناد فيه ضعف ؛ لأن صالحا (أحد رواته) هو ابن بشير المري ، ضعيف عند الأئمة . وقال البخاري : هو منكر الحديث . وروى عبد الله ابن الإمام أحمد في مسند أبيه عن أبي بن كعب ، قال : لما كان يوم أحد قتل من الأنصار ستون رجلا ومن المهاجرين ستة ، فقال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم : لئن كان لنا يوم مثل هذا من المشركين لنمثلن بهم . فلما كان يوم الفتح قال رجل : لا تعرف قريش بعد اليوم . فنادى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أمن الأسود والأبيض إلا فلانا وفلانا – ناسا سماهم – فنزلت الآية . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : [(٢)].

أقول : بمعرفة ما قدمنا من معنى سبب النزول – في مقدمة التفسير – يعلم أن لا حاجة إلى الذهاب إلى أنها مدنية ألحقت بالسورة ؛ ولا إلى ما روي من هذه الآثار ؛ إذ به يتضح عدم التنافي ، والتقاء الآثار مع الآية فتذكره .

الثالث : قال ابن كثير : هذه الآية الكريمة لها أمثال في القرآن ، فإنها مشتملة على مشروعية العدل والندب إلى الفضل ، كما في قوله تعالى : ﴿ وجزاء سيئة سيئة مثلها ﴾ [الشورى : ٤٠] . ثم قال : ﴿ فمن عفا وأصلح فأجره على الله ﴾ [الشورى : ٤٠] الآية . وقال : ﴿ والجروح قصاص ﴾ [المائدة : ٤٥] ثم قال : ﴿ فمن تصدق به فهو كفارة له ﴾ [المائدة : ٤٥] انتهى .

ثم أكد تعالى الأمر بالصبر ، ليقوي الثبات والاحتمال ، لكل ما يلاقيه في سبيل الحق ، بقوله :." [(٣)]

"القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ وإذ قال موسى لفتاه لا أبرح حتى أبلغ مجمع البحرين أو أمضي حقبا ﴾ [٦٠] .

﴿ وإذ قال موسى لفتاه لا أبرح حتى أبلغ مجمع البحرين أو أمضي حقبا ﴾ أي : اذكر وقت قول موسى لفتاه ، لا أبرح ، أي : لا أزال أسير حتى أبلغ مجمع البحرين . أي : المكان الذي فيه ملتقى البحرين . فأجد فيه الخضر . أو أسير زمانا طويلا إن لم أجده ثمة ، فأتيقن فوات المطلب .

قال المهايمي : أي : اذكر للذين إن تدعهم إلى الهدى فلن يهتدوا إذا أبدا ، لتكبرهم عليك ، إنكم لستم بأعلم من موسى ولا أرشد منه . ولست أقل من الخضر في الهداية بل أعظم . لأنها هداية في الظاهر والباطن . وهداية الخضر إنما هي في الباطن . ولا تحتاجون في تحصيله إلى تحمل المشاق ، واحتاج إليه موسى . والفتى الشاب . قال الشهاب : العرب تسمي الخادم فتى ، لأن الغالب استخدام من هو في سن الفتوة ، وكان يوشع خادم موسى عليه السلام ومحبا له ، وذا غيرة على

---

(١) رحمة الله عليك . إن كنت لما علمت ، لوصولا للرحم ، فعولا للخيرات . والله لولا حزن من بعدك عليك ، لسرني أن أتركك حتى يحشرك الله من بطون السباع . (أو كلمة نحوها) . أما والله ! على ذلك لأمثلن بسبعين كمثلتك

(٢) نصبر ولا نعاقب

(٣) محاسن التأويل (تفسير القاسمي)، ١ /

كرامته . ولذلك اختصه موسى رفيقا له وخادما . وصار خليفة من بعده على بني إسرائيل . وفتح عليه تعالى بيت المقدس ونصره على الجبارين . وقوله تعالى :." (١)

"القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة وجاهدوا في سبيله لعلكم تفلحون ﴾ [٣٥]

﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا ﴾ -أي اطلبوا - : ﴿ إليه الوسيلة ﴾ أي : القربة -كذا فسره ابن عباس ومجاهد وأبو وائل والحسن وزيد وعطاء والثوري وغير واحد . وقال قتادة : أي : تقربوا إليه بطاعته والعمل بما يرضيه . وقرأ ابن زيد : ﴿ أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة ﴾ . قال ابن كثير : وهذا الذي قاله هؤلاء الأئمة ، لا خلاف بين المفسرين فيه . وفي " القاموس وشرحه " : الوسيلة والواسلة ، المنزلة عند الملك والدرجة والقربة والوصلة . وقال الجوهري : الوسيلة ، ما يتقرب به إلى الغير . والتوسيل والتوسل الواحد . يقال : وسل إلى الله تعالى توسيلا ، عمل عملا تقرب به إليه ، كتوسل . و (إلى) يجوز أن يتعلق بـ (ابتغوا) وأن يتعلق بـ (الوسيلة) .

قدم عليها للاهتمام به : ﴿ وجاهدوا في سبيله لعلكم تفلحون ﴾ أي : بسبب المجاهدة في سبيله . وقد بين كثير من الآيات أن المجاهدة بالأموال والأنفس .

تنبيه :

ما ذكرناه في تفسير " الوسيلة " هو المعول عليه . وقد أوضح إيضاحا لا مزيد عليه ، تقي الدين بن تيمية عليه الرحمة في " كتاب الوسيلة " فرأينا نقل شذرة منه ، إذ لا غنى للمحقق في علم التفسير عنه .

قال رحمه الله بعد مقدمات :

إن لفظ الوسيلة والتوسل ، فيه إجمال واشتباه ، يجب أن تعرف معانيه ويعطى كل ذي حق حقه . فيعرف ما ورد به الكتاب والسنة من ذلك ومعناه . وما كان يتكلم به الصحابة ويفعلونه ومعنى ذلك . ويعرف ما أحدثه المحدثون في هذا اللفظ ومعناه . فإن كثيرا من اضطراب الناس في هذا الباب هو بسبب ما وقع من الإجمال والاشتراك في الألفاظ ومعانيها ، حتى تجد أكثرهم لا يعرف في هذا الباب فصل الخطاب . فلفظ الوسيلة مذكور في القرآن في قوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة ﴾ وفي قوله تعالى : ﴿ قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا * أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه إن عذاب ربك كان محذورا ﴾ [الإسراء : ٥٦ - ٥٧] . فالوسيلة التي أمر الله أن تبتغي إليه ، وأخبر عن ملائكته وأنبيائه أنهم يبتغونها إليه ، هي ما يتقرب به إليه من الواجبات والمستحبات ، فهذه الوسيلة التي أمر الله المؤمنين بابتغائها تتناول كل واجب ومستحب ، وما ليس بواجب ولا مسحب لا يدخل في ذلك ، سواء كان محرما أو مكروها أو مباحا ، فالواجب والمستحب هو ما شرعه الرسول فأمر به أمر إيجاب واستحباب . وأصل ذلك الإيمان بما جاء به الرسول . فجماع الوسيلة التي أمر الله الخلق بابتغائها ، هو التوسل إليه باتباع ما جاء به الرسول ، لا وسيلة لأحد إلى الله إلا ذلك .

---

(١) محاسن التأويل (تفسير القاسمي)، ١ /

و الثاني – لفظ الوسيلة في الأحاديث الصحيحة كقوله صلى الله عليه وسلم : [(١)]. وقوله : [(٢)]. فهذه الوسيلة للنبي صلى الله عليه وسلم خاصة . قد أمرنا أن نسأل الله له هذه الوسيلة . وأخبرنا أنها لا تكون إلا لعبد من عباد الله . وهو يرجو أن يكون ذلك العبد ، وهذه الوسيلة أمرنا أن نسألها لرسول الله صلى الله عليه وسلم . وأخبرنا أن من سأل له الوسيلة فقد حلت عليه الشفاعة يوم القيامة . لأن الجزاء من جنس العمل . فلما دعوا للنبي صلى الله عليه وسلم استحقوا أن يدعو هو لهم . فإن الشفاعة نوع من الدعاء . كما قال : إنه من صلى عليه مرة صلى الله عليه بها عشرا . وأما التوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم والتوجه به في كلام الصحابة ، فيريدون به التوسل بدعائه وشفاعته . والتوسل به في عرف كثير من المتأخرين يراد به الإقسام به والسؤال به . كما يقسمون بغيره من الأنبياء والصالحين . ومن يعتقدون فيه الصلاح . وحينئذ ، فلفظ التوسل به يراد به معنيان صحيحان باتفاق المسلمين . ويراد به معنى ثالث لم ترد به السنة . فأما المعنيان الأولان الصحيحان باتفاق العلماء ، فأحدهما هو أصل الإيمان والإسلام ، وهو التوسل بالإيمان به وبطاعته . والثاني دعاؤه وشفاعته كما تقدم . فهذان جائزان بإجماع المسلمين . ومن هذا قول عمر بن الخطاب : اللهم إنا كنا أجدبنا توسلنا إليك بنبينا فتسقينا ، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا . أي : بدعائه وشفاعته . وقوله تعالى : ﴿ وابتغوا إليه الوسيلة ﴾ أي : القربة إليه بطاعته . وطاعة رسوله طاعته ؛ قال تعالى : ﴿ من يطع الرسول فقد أطاع الله ﴾ [النساء : ٨٠] ، فهذا التوسل الأول هو أصل الدين ، وهذا لا ينكره أحد من المسلمين . وأما التوسل بدعائه وشفاعته – كما قال عمر – فإنه توسل بدعائه لا بذاته ، ولهذا عدلوا عن التوسل به إلى التوسل بعمه العباس ؛ ولو كان التوسل هو بذاته لكان هذا أولى من التوسل بالعباس . فلما عدلوا عن التوسل به إلى التوسل بالعباس ، علم أن ما يفعل في حياته قد تعذر بموته . بخلاف التوسل الذي هو الإيمان به والطاعة له ، فإنه مشروع دائما .

فلفظ التوسل يراد به ثلاث معان :

أحدها : التوسل بطاعته . فهذا فرض لا يتم الإيمان إلا به .

و الثاني : التوسل بدعائه وشفاعته وهذا كان في حياته ، ويكون يوم القيامة يتوسلون بشفاعته .

و الثالث : التوسل به . بمعنى الإقسام على الله بذاته والسؤال بذاته . فهذا هو الذي لم تكن الصحابة يفعلونه في الاستسقاء ونحوه ، لا في حياته ولا في مماته ، لا عند قبره ولا غير قبره ، ولا يعرف هذا في شيء من الأدعية المشهورة بينهم . وإنما ينقل شيء من ذلك في أحاديث ضعيفة مرفوعة وموقوفة . أو عن من ليس قوله حجة ، وهذا هو الذي قال أبو حنيفة وأصحابه ، إنه لا يجوز . ونهوا عنه حيث قالوا : لا يسأل بمخلوق ، ولا يقول أحد : أسألك بحق أنبيائك . قال أبو الحسين القدوري في كتابه الكبير في الفقه المسمى بـ " شرح الكرخي " في باب الكراهة : وقد ذكر هذا غير واحد من أصحاب أبي حنيفة . قال بشر بن الوليد : حدثنا أبو يوسف قال : قال أبو حنيفة : لا ينبغي لأحد أن يدعوا إلا به . وأكره أن يقول

---

(١) سلوا الله لي الوسيلة فإنها درجة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله . وأرجو أن أكون أنا ذلك العبد . فمن سأل الله لي الوسيلة حلت عليه شفاعتي يوم القيامة

(٢) من قال حين يسمع النداء : اللهم ! رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة ! آت محمدا الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاما محمودا الذي وعدته ، حلت له شفاعتي يوم القيامة

: بمعاقد العز من عرشك ، أو بحق خلقك . وهو قول أبي يوسف . قال أبو يوسف : بمعقد العز من عرشه هو الله . فلا أكره هذا . وأكره أن يقول : بحق فلان ، أو بحق أنبيائك ورسلك ، وبحق البيت الحرام والمشعر الحرام . قال القدوري : المسألة بخلقه لا تجوز . لأنه لاحق للخلق على الخالق . فلا تجوز وفاقا .

وهذا الذي قاله أبو حنيفة وأصحابه – من أن الله لا يسأل بمخلوق – له معنيان : أحدهما هو موافق السائر الأئمة الذين يمنعون أن يقسم أحد بالمخلوق ، فإنه إذا منع أن يقسم على مخلوق بمخلوق ، فلأن يمنع أن يقسم على الخالق بمخلوق ، أولى وأحرى . وهذا بخلاف إقسامه سبحانه بمخلوقاته : ﴿ والليل إذا يغشى والنهار إذا تجلى ﴾ [الليل : ١] ، ﴿ والشمس وضحاها ﴾ [الشمس : ١] ﴿ والنازعات غرقا ﴾ [النازعات : ١] ، ﴿ والصافات صفا ﴾ [الصافات : ١] – فإن إقسامه بمخلوقاته يتضمن من ذكر آياته الدالة على قدرته وحكمته ووحدانيته ، ما يحسن معه إقسامه . بخلاف المخلوق ، فإن إقسامه بالمخلوقات شرك بخالقها . كما في " السنن " عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : [(١)]. وقد صححه الترمذي وغيره . وفي لفظ : [(٢)]. وقد صححه الحاكم . وقد ثبت عنه في " الصحيحين " أنه قال : [(٣)]. وفي " الصحيحين " عنه أنه قال : [(٤)]. وقد اتفق المسلمون على أنه من حلف بالمخلوقات المحترمة ، أو بما يعتقد هو حرمته – كالعرش والكرسي والكعبة والمسجد الحرام والمسجد الأقصى ومسجد النبي صلى الله عليه وسلم والملائكة والصالحين والملوك وسيوف المجاهدين وترب الأنبياء والصالحين وسراويل الفتوة وغير ذلك . . . – لا ينعقد يمينه ، ولا كفارة في الحنث بذلك . والحلف بالمخلوقات حرام عند الجمهور ، وهو مذهب أبي حنيفة ، وأحد القولين في مذهب الشافعي وأحمد . وقد حكى إجماع الصحابة على ذلك . انتهى .." [(٥)]

"القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ والذين تبوؤوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون ﴾ [٩]

﴿ والذين تبوؤوا الدار والإيمان ﴾ أي : دار الهجرة ، أي : توطنوها ﴿ والإيمان من قبلهم ﴾ أي : من قبل مجيء المهاجرين إليهم . وعطف ﴿ الإيمان ﴾ قيل : بتقدير عامل . أي : وأخلصوا الإيمان . وقيل : استعمل التبوء في لازم معناه ، وهو اللزوم والتمكن . والمعنى : لزموا الدار والإيمان . وجوز أيضا تنزيل الإيمان منزلة المكان الذي يتمكن فيه ، على أنه استعارة بالكناية ، ويثبت له التبوء على طريق التخييل .

﴿ يحبون من هاجر إليهم ﴾ أي : لوجود الجنسية في الصفاء ، والموافقة في الدين والإخاء . قال الشهاب : المراد بمحبتهم المهاجرين هنا ، مواساتهم ، وعدم الاستثقال والتبرم منهم ، إذا احتاجوا إليهم ، فالمحبة كناية عما ذكر ، كما قيل :

---

(١) من حلف بغير الله فقد أشرك

(٢) فقد كفر

(٣) من كان حالفا فليحلف بالله . وقال : لا تحلفوا بآبائكم . فإن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم

(٤) من حلف باللات والعزى فليقل : لا إله إلا الله

(٥) محاسن التأويل (تفسير القاسمي)، ١ /

يأخي واللبيب إن خان دهر يستبين العدو ممن يحب

﴿ ولا يجدون في صدورهم ﴾ أي : في أنفسهم ﴿ حاجة ﴾ أي : طلبا أو حسدا ﴿ مما أوتوا ﴾ أي : مما أوتي المهاجرون من الفيء وغيره ، لسلامة قلوبهم ، وطهارتها عن دواعي الحرض .

﴿ ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ﴾ أي : حاجة وفاقة .

قال القاشاني : لتجردهم وتوجههم إلى جناب القدس ، وترفعهم عن مواد الرجس ، وكون الفضيلة لهم أمرا ذاتيا ، باقتضاء الفطرة ، وفرط محبة الإخوان بالحقيقة ، والأعوان في الطريقة . فتقديمهم أصحابهم على أنفسهم ، لمكان **الفتوة** ، وكمال المروة ، ولقوة التوحيد ، والاحتراز عن حظ النفس .

تنبيه :

في " الإكليل" : في الآية مدح الإيثار في حظوظ النفس والدنيا . انتهى .

وقال ابن كثير : هذا المقام أعلى من حال الذين وصف الله بقوله تعالى :

﴿ ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا ﴾ [الإنسان : ٨] ، وقوله :

﴿ وآتى المال على حبه ﴾ [البقرة : ١٧٧] ، فإن هؤلاء تصدقوا ، وهم يحبون ما تصدقوا به ، وقد لا يكون لهم حاجة إليه ، ولا ضرورة به ، وهؤلاء آثروا على أنفسهم مع خصاصتهم وحاجتهم إلى ما أنفقوه ، ومن هذا المقام تصدق الصديق رضي الله عنه بجميع ماله ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : [(١)]؟ فقال رضي الله عنه : أبقيت لهم الله ورسوله ! وهكذا الماء الذي عرض على عكرمة وأصحابه يوم اليرموك ، فكل منهم يأمر بدفعه إلى صاحبه ، وهو جريح مثقل ، أحوج ما يكون إلى الماء ، فرده الآخر إلى الثالث ، فما وصل إلى الثالث حتى ماتوا عن آخرهم ، ولم يشربه أحد منهم ، رضي الله عنهم وأرضاهم .

﴿ ومن يوق شح نفسه ﴾ أي : فيخالفها فيما يغلب عليها من حب المال ، وبغض الإنفاق ﴿ فأولئك هم المفلحون ﴾ أي : الفائزون بالسعادتين . وفي إضافة الشح إلى النفس إشارة لما قاله القاشاني من أن النفس مأوى كل شر ووصف رديء ، وموطن كل رجس وخلق دنيء . والشح من غرائزها المعجونة في طينتها ، لملازمتها الجهة السفلية ، ومحبتها الحظوظ الجزئية ، فلا ينتفي منها إلا عند انتفائها . ولكن المعصوم من تلك الآفات والشرور من عصمه الله .

قال ابن جرير : الشح في كلام العرب البخل ، ومنع الفضل من المال . والعلماء يرون أن الشح في هذا الموضوع إنما هو أكل أموال الناس بغير حق ، ثم روى أن رجلا أتى ابن مسعود فقال : يا أبا عبد الرحمن ! إني أخشى أن تكون أصابتني هذه الآية القرآن : ﴿ ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون ﴾ ، وأنا رجل شحيح ، لا يكاد يخرج من يدي شيء ! قال : ليس ذاك بالشح الذي ذكر الله في القرآن ، إنما الشح أن تأكل مال أخيك ظلما ، ذلك البخل ، وبئس الشيء البخل . انتهى .

والظاهر أنه عنى بالعلماء بذلك الأثر ؛ لأنه لم يفسر إلا بالمأثور . ولعل ابن مسعود فسر الآية بذلك ، لدلالة سياقها عليه

---

(١) ما أبقيت لأهلك

، إذ القصد تزهيد الأنصار في أن تطمح أنفسهم لما جعل للمهاجرين دونهم . أو هو يرى الفرق بين الشح والبخل بما ذكره . وعلى كل فلا يتعين تأويل الآية بما ذكره بل هي مما تحتمله . وعن ابن زيد في الآية قال : من وقي شح نفسه فلم يأخذ من الحرام شيئا ولم يقربه ، ولم يدعه الشح أن يحبس من الحلال شيئا ، فهو من المفلحين .

وروى ابن جرير عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : [(١)].

وروى الإمام أحمد عن عبد الله بن عمرو قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : [(٢)].

وعن أبي هريرة أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : [(٣)].."[(٤)]

"الرقية: حكمها وأقسامها

قال الشارح: [وعن ابن مسعود رضي الله عنه: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (إن الرقى والتمائم والتولة شرك) رواه أحمد وأبو داود، وفيه قصة، ولفظ أبي داود: عن زينب امرأة عبد الله بن مسعود قالت: إن عبد الله رأى في عنقي خيطا فقال: ما هذا؟ قلت: خيط رقي لي فيه، قالت: فأخذه ثم قطعه، ثم قال: أنتم آل عبد الله لأغنياء عن الشرك، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (إن الرقى والتمائم والتولة شرك) فقلت: لقد كانت عيني تقذف، وكنت أختلف إلى فلان اليهودي، فإذا رقى سكنت، فقال عبد الله: إنما ذاك عمل الشيطان كان ينخسها بيده، فإذا رقي كف عنها، إنما كان يكفيك أن تقولي كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (أذهب البأس رب الناس، واشف أنت الشافي، لا شفاء إلا شفاؤك، شفاء لا يغادر سقما) ورواه ابن ماجة وابن حبان والحاكم وقال: صحيح، وأقره الذهبي].

وهذا يدل على أمرين: الأمر الأول: جواز الرقية، فهي جائزة كما كان الرسول صلى الله عليه وسلم يقول: (أذهب البأس، رب الناس، واشف أنت الشافي) وهذه رقية، وسبق أنه صلوات الله وسلامه عليه جاء عنه في الحديث أنه قال: (لا رقية إلا من عين أو حمة) وسبق أن معنى هذا الحديث أن الرقية من هذين الأمرين –من العين والحمة– تنفع أكثر من غيرهما، وأن هذا مثل قول الإنسان: لا فتى إلا فلان، ولا كريم إلا فلان، وليس المعنى أنه ينفي الكرم عن جميع الناس أو الفتوة عن جميع الفتيان، وإنما يريد أن يخبر أن هذا هو الكامل في فتوته، وهو الكامل في الكرم، ولا ينفي أن يكون غيره كريما أو فتى، فهذا مثله، والمعنى أن الرقية الناجحة الشافية الكاملة من شيئين: الأول: العين وهي إصابة العائن للآخر بعينه، وأن الرقية من ذلك تنفع وتجدي، وهذا أمر مجرب ومعلوم.

والثاني: الحمة، والحمة: هي ذوات السموم كالعقرب والحية وما أشبه ذلك، فإن الرقية منها من أنجح ما يكون، ولا سيما إذا صدرت من مؤمن مخلص موقن بما يقول، وقد جاء في الصحيح عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه ذهب مع طائفة من الصحابة في سرية، أرسلهم الرسول صلى الله عليه وسلم لغرض من الأغراض في سبيل الله، وأنهم استضافوا حيا

---

(١) برىء من الشح من أدى الزكاة ، وقرى الضيف ، وأعطى في النائبة

(٢) اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة ، واتقوا الفحش فإن الله لا يحب الفحش ولا التفحش ، وإياكم والشح فإنه أهلك من قبلكم : أمرهم بالظلم فظلموا ، وأمرهم بالفجور ففجروا ، وأمرهم بالقطيعة فقطعوا

(٣) لا يجتمع غبار في سبيل الله ودخان جهنم في جوف عبد أبدا ، ولا يجتمع الشح والإيمان في قلب عبد أبدا

(٤) محاسن التأويل (تفسير القاسمي)، ١ /

من العرب، فأبوا أن يضيفوهم، فلدغ سيد ذلك الحي، فسعوا له بكل ممكن، فلم يجدوا له شفاء، ثم قال بعضهم: لو أتيتم هؤلاء الرهط -يقصدون أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم- لعل أن يكون عندهم رقية، فجاءوا إليهم يطلبون ذلك، فقال لهم أبو سعيد: نعم أنا أرقي، ولكن أنتم لم تضيفونا، فلن أرقيه إلا بجعل تجعلونه لنا، قالوا: نعم، واتفقوا على أن يجعلوا له قطيعا من الضأن، فأقبل يقرأ الفاتحة ويتفل عليه، فقام كأنما كانت يده مربوطة بحبل فانحل الحبل، وصار يمشي لا بأس به، شفي تماما! ثم لما قدموا على النبي صلى الله عليه وسلم أخبروه، فأخبره أنه رقاه بفاتحة الكتاب، فقال: (وما يدريك أنها رقية؟) يعني: الفاتحة رقية ناجحة، فهذا يدل على أن ما قاله صلوات الله وسلامه عليه يشفى به الإنسان عاجلا، وهذا أمر مجرب.

ولكن ليس كل راق يحصل منه هذا الأمر، وإنما يحصل من المؤمن الموقن الصادق، فإذا رقى من كانت هذه صفته، لا يمكن أن يتخلف الشفاء المرغوب فيه، وإن كان المرقى عليه كافرا، ولا يلزم أن يكون مؤمنا كما في هذه القصة.." (١)

"حديث أبي هريرة: (لتأخذن أمتي بأخذ الأمم والقرون قبلها)

قال: [وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لتأخذن أمتي بأخذ الأمم والقرون قبلها، شبرا بشبر وذراعا بذراع، قيل: يا رسول الله! كما فعلت فارس والروم؟ قال النبي عليه الصلاة والسلام: ومن الناس إلا أولئك؟)].

شيخ الإسلام ابن تيمية عليه رحمة الله يعلق على هذا الحديث فيقول: هذا خبر، أي: هذا خبر عن أمر مستقبل سيقع في الأمة، فلو أنك أتيت مثلا وقلت لابنك: يا بني! أنت الآن ذاهب لتصلي الجمعة، فليس هناك داع لأن تلبس البدلة والكرفتة والبنطلون، وإنما يستحب لك في مثل هذا اليوم أن تلبس الثوب الأبيض، يقول: أنا أستحي من زملائي، وأستحي من المجتمع، وهذا الذي تعودت عليه، ويبدأ يناقشك واحدة واحدة، حتى يعتقد في المستقبل أن ما يلبسه أفضل مما يلبسه غيره.

وهذا كلام خطير؛ لأنه يؤدي إلى ما هو أخطر منه؛ لكن ربما تهون هذه القضية أمام تخلقه بأخلاق غير المسلمين في الباطن، والشكل له تأثير في الجوهر، فالجندي الذي يلبس بدلة الجندية يشعر **بالفتوة** والشهامة والقوة، وكذلك الذي يتشبه بأخلاق النبي عليه الصلاة والسلام في ظاهره يحجبه هذا الظاهر عن كثير من المعاصي.

فإذا أراد أحد أن ينطلق بلا لوم في المعاصي حلق لحيته وغير من منظره ومن زيه؛ لأنه يعلم أن الناس لا يدعونه بهذا الشكل، ولو تشكل بأشكال أخرى غير الشكل المطلوب لما لامه الناس، تصوروا لو أني في مثل حالتي هذه دخلت السينما، من الذي يأمرني وينهاني؟ الذي داخل السينما كلهم سينظرون إلي نظرا مزريا، فيأتي إلي شخص ويقول لي: حرام عليك، اتق الله، ويذكرني بالله وهو معي في نفس المجلس؛ لأن منظري وشكلي لا يتناسب مع هذا، في الوقت الذي استجاز هو لنفسه أن يبقى في هذا المكان، وربما اصطحب معه عشيقته، لكن مجرد دخولي أنا السينما أمر منكر، أما بقاؤه هو في السينما أو في النادي أو غير ذلك ومعه عشيقته -والله أعلم بالمفاسد التي تتم بعد ذلك من شرب الخمر والسكر أمر لا ينكر على

---

(١) شرح فتح المجيد للغنيمان، عبد الله بن محمد الغنيمان ٦/٣٧

عامة الناس؛ لأنهم لم يعلنوا راية الالتزام، فكأنه أبيح لهم ما حرم على غيرهم، وهذا وضع طبيعي في الناس.
ولذلك فإن الشكل له تأثير في القلب، قال النبي عليه الصلاة والسلام: (لتسون صفوفكم أو ليخالفن الله بين قلوبكم)، مع أن تسوية الصفوف أمر ظاهري، فما علاقة هذا الظاهر بالقلب؟ وجرب هذا بنفسك، لو أنك تعودت وفعلت ذلك تدينا وعبادة، ووضعت قدما جوار قدم من يقف بجوارك، فكلما وضعت قدمك بقدمه ضم إليه قدمه، هل سيتغير قلبك عليه؟ نعم يتغير؛ لأنه لم يعنك على طاعة من الطاعات، ولم يلتزم سنة من سنن النبي عليه الصلاة والسلام، فلابد أن تخرج من الصلاة وأنت لا ترغب أن تنظر إلى وجهه، وهذا يدل على أن الإسلام كل لا يتجزأ، وإن كان هو على شكل درجات ومراتب، ولكن في نهاية الأمر كل هذه الدرجات والمراتب داخلة في حد الإسلام، وفي حد الإيمان.
قال: قال ابن تيمية: هذا خبر تصديقا لقول الله تعالى: ﴿فاستمتعتم بخلاقكم كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم وخضتم كالذي خاضوا﴾ [التوبة:٦٩]، ولهذا شواهد في الصحاح والحسان، وهذا أمر قد يسري في المنتسبين إلى الدين من الخاصة، كما قال غير واحد من السلف منهم ابن عيينة، فإن كثيرا من أحوال اليهود قد ابتلي به بعض المنتسبين إلى العلم، وكثيرا من أحوال النصارى قد ابتلي به بعض المنتسبين إلى الدين، كما يبصر ذلك من فهم دين الإسلام الذي بعث الله به محمدا صلى الله عليه وسلم، ثم أنزله على أحوال الناس، يعني: تكون أنت عالما بالدين الذي أنت عليه، فإذا علمت دين الإسلام وما هو المراد منه، وما هو المطلوب منك تجاه هذا الدين، ثم أسقطت ما عندك من علم على واقع الناس؛ لوجدت أن الناس في واد وأن الدين في واد آخر، هكذا أراد شيخ الإسلام أن يقول.
قال: وإذا كان الأمر كذلك، فمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه، وكان ميتا فأحياه الله وجعل له نورا يمشي به في الناس؛ لا بد أن يلاحظ أحوال الجاهلية، وطرفي الأمتين: المغضوب عليهم والضالين من اليهود والنصارى، فيرى أنه قد ابتلي ببعض ذلك، والصادق مع نفسه يتوقف مع نفسه في كل قول وفعل ونية وغير ذلك، ويفهم الإسلام أولا، ثم لابد هو مع هذا العلم سيجد أنه قد تخلق أو تشبه ببعض أخلاق اليهود والنصارى، وهذا أمر يجعل كل واحد منا يكون حريصا على نفسه، يراقبها ويعاتبها ويلومها ويوبخها على كل مخالفة انحرف بها عن سلوك الشرع القويم.
وانظروا إلى قوله: (لتتبعن سنن بني إسرائيل شبرا بشبر، وذراعا بذراع)، فهذا تشبيه المراد منه ملازمة التشبه بهم؛ لقوله: (شبرا بشبر) يعني: يمشي خلف اليهود خطوة بخطوة، أو يمشي المسلم خلف اليهودي حتى في طريقة المشي، إذا رفع رجله رفع رجله مثله ووضعها في أثر قدم اليهودي.
قال: (وذراعا بذراع حتى إذا دخلوا ج." (١)

"حديث أبي هريرة (الحياء شعبة من الإيمان)

قال: [وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (الحياء شعبة من الإيمان)]، كلام جميل.
والحياء نوعان: حياء مشروع، وحياء غير مشروع، فلو قيل لامرأة متبرجة: البسي خمارا استري نفسك قليلا، تقول لك: أنا أستحي من الناس، ماذا أقول للناس؟ لو رآني الناس مرتدية النقاب أو الخمار فماذا أقول لهم؟ أين أذهب منهم؟ أنا ممكن

---

(١) شرح كتاب الإبانة من أصول الديانة، حسن أبو الأشبال الزهيري ٦/٢٠

في الحي أن أخرج باللباس العادي وأضع الخمار معي في الشنطة، فإذا خرجت من الحي لبسته! فهل هذا حياء؟ لا، هذا جبن وضعف وخور، فضلا عن كونه معصية لله عز وجل ولرسوله.

كذلك الرجل الذي يستحي أن يتزيا بزي الإسلام في وجهه أو في بدنه، يستحي أن يلبس عمامة، أو يلبس طربوشا، أو يلبس ثوبا، مع أن اللباس هو دلالة على منهجية معينة، هذه المنهجية أولى من منهجية من تجلس معه، إذا: فلم الحياء؟
إذا كان الشرع قد أذن لنا بأوصاف في الزي دون تحديد زي بعينه، يعني: لو نظرت إلى هذا النقاب تجده غير نقاب الحجاز، تجده غير النقاب في سوريا، تجده غير النقاب في بلاد المغرب، إذا: لكل امرأة من هذه البلاد نقاب يخصها، فلو أنك رأيت امرأة مصرية في المغرب تلبس النقاب عرفت أن هذه مصرية في بلاد المغرب؛ لأنها ملتزمة بزيها الذي اقتنعت بأنه الزي الشرعي، فهل تأثم إحدى هؤلاء النساء؟

A لا تأثم ما دامت قد حققت شروطا معينة اتفق عليها أهل العلم في زيها، ولا يلزم المرأة أن تلبس النقاب المصري، بل إذا لبست النقاب الحجازي أو المغربي أو الشامي تكون متبعة، والمهم تحقق الشروط التي اشترطها الشرع في لباس الرجل والمرأة، فإذا كان ذلك فهذا زي مشروع، وقلت هذه المقدمة لأن بعض الناس يستحي -بزعمه- أن يلبس الزي الأزهري، مع أن الزي الأزهري مشروع ولا بأس به؛ خاصة وأنه صار علامة ودلالة على أهل العلم، فالناس أول ما ينظرون إلى شخص يلبس عمامة حمراء أو طربوشا أحمر، ويلبس جلابية -حتى وإن كان أجهل الجاهلين، حتى ولو لم يكن أزهريا- يسرعون إليه يستفتونه في كل شيء؛ لأنه قد عرف عند الناس أن هذا الزي علامة ودليل على أهل العلم.

إذا: هذا الزي أخذ وقتا معينا، إذا قلنا إن المسبحة مشروعة، وقد جاءت أدلة كثيرة على مشروعيتها، ومن قال: بأنها غير مشروعة رجع عن قوله هذا إلى مشروعيتها، لكن بقيت الكراهة التنزيهية في استعمال المسبحة مع مشروعيتها؛ لأنها صارت علامة على أهل البدعة، يعني: صارت علامة على التصوف والدروشة والابتداع، فهي وإن كانت في أصلها مشروعة، لكن لما صارت علامة على أهل البدع كره العلماء استعمال هذه المسبحة.

ولذلك نهينا أن نتشبه باليهود والنصارى، فأمرنا بإعفاء اللحى، مع أنهم الآن يطلقون لحاهم، فهل نقول: مخالفة لليهود والنصارى سنحلق لحانا؟! لا؛ لأن المخالفة فيما اختصوا به دوننا، كذلك اليهودي عنده طاقية سوداء يضعها على زاوية من رأسه جهة اليمين أو الشمال، فأنا أقول: أصل الطاقية مشروع، بل مسنون، ومن الذي يمنعني أن ألبس هذه الطاقية؟! افرض أن طاقية وقعت من يهودي وهو ماش أو راكب على الباص، فقمت أنا ولبستها وجعلتها في زاوية من رأسي، الذي يراني ماذا يقول عني إنني يهودي، صح أو لا؟ لأن لبس هذه الطاقية بعينها على نحو معين أو بهيئة أو كيفية معينة دليل على معتقد اللابس، والصلة بين المظهر والجوهر وثيقة، يعني: العلاقة بين الظاهر والباطن وثيقة جدا، فتجد مثلا الذي يلبس زي النبي عليه الصلاة والسلام، أو يتمثل الزي الشرعي يتفاخر بذلك، أو يتعالى ويرتفع بإيمانه على هذا الواقع المر الباطل الذي يراه من حوله، ويشعر بقوة الإيمان، كما أن الجندي في المعركة وهو يلبس زي الجندية والعسكرية يشعر بالقوة **والفتوة**، كما إذا أتيت الآن بواحد وهو لابس للجلابية مثل حالتي هذه وتعطيه بندقية وتقول له: ادخل الصف وحارب، فسوف يقع مرة بالكل ثم يقع على وجهه، ومرة على ظهره، ومرة على جنبه، والعساكر الذين يلبسون زيا عسكريا لا بد

أنهم سيسبقونه، نفس الروح التي يشعر بها الجندي لا يشعر بها من لم يتجند، أو لم يشارك في حروب المجاهدين، وهكذا العلاقة القوية بين الظاهر والباطن.." (١)

"حكم الإقسام على الله بخلقه

قال رحمه الله تعالى: [أحدها: التوسل بطاعته فهذا فرض لا يتم الإيمان إلا به.

والثاني: التوسل بدعائه وشفاعته، وهذا كان في حياته، ويكون يوم القيامة يتوسلون بشفاعته.

والثالث: التوسل به بمعنى الإقسام على الله بذاته والسؤال بذاته، فهذا هو الذي لم تكن الصحابة يفعلونه في الاستسقاء ونحوه، لا في حياته ولا بعد مماته، لا عند قبره ولا غير قبره، ولا يعرف هذا في شيء من الأدعية المشهورة بينهم، وإنما ينقل شيء من ذلك في أحاديث ضعيفة مرفوعة وموقوفة، أو عمن ليس قوله حجة، كما سنذكر ذلك إن شاء الله تعالى.

وهذا هو الذي قال أبو حنيفة وأصحابه: إنه لا يجوز، ونهوا عنه حيث قالوا: لا يسأل بمخلوق، ولا يقول أحد: أسألك بحق أنبيائك.

قال أبو الحسين القدوري في كتابه الكبير في الفقه المسمى بشرح الكرخي في باب الكراهة: وقد ذكر هذا غير واحد من أصحاب أبي حنيفة.

قال بشر بن الوليد حدثنا أبو يوسف قال: قال أبو حنيفة: لا ينبغي لأحد أن يدعو الله إلا به، وأكره أن يقول: بمعاقد العز من عرشك، أو بحق خلقك، وهو قول أبي يوسف، قال أبو يوسف: بمعقد العز من عرشك، هو الله فلا أكره هذا، وأكره أن يقول: بحق فلان، أو بحق أنبيائك ورسلك، وبحق البيت الحرام والمشعر الحرام].

يكثر السؤال عن معقد العز، فيظهر لي أنه ليس هناك تفسير يتفق عليه في معقد العز، لكن يظهر من خلال تفسير أبي يوسف هنا، أنه فسر معقد العز من العرش الله عز وجل الذي هو مقام الله سبحانه وتعالى الذي لا يعلم له كفيفة، ولا نعرف منه إلا أنه عز وجل على العرش استوى.

فربما سمي مقام الله وجلاله معقد العز؛ لأن العرش عرش الله، ومع ذلك فهذه العبارة تبقى غامضة مجملة ليس لها مفهوم، ولا أظنها صدرت عن أهل علم وفقه، إنما صارت أسلوبا لدعاء بعض العباد أو بعض الصالحين الذين قصدوا بها معنى لا يزال غامضا، إلا إذا وجد لها تفسير، أما أنا فما وجدت لها تفسيرا، فإذا وجد لها تفسير عن أئمة الدين أوضح من هذا فلا بأس.

قال المؤلف رحمه الله تعالى: [قال القدوري: المسألة بخلقه لا تجوز؛ لأنه لا حق للخلق على الخالق فلا تجوز وفاقا.

وهذا الذي قاله أبو حنيفة وأصحابه من أن الله لا يسأل بمخلوق له معنيان: أحدهما: هو موافق لسائر الأئمة الذين يمنعون أن يقسم أحد بالمخلوق، فإنه إذا منع أن يقسم على مخلوق بمخلوق، فلأن يمنع أن يقسم على الخالق بمخلوق أولى وأحرى.

وهذا بخلاف إقسامه سبحانه بمخلوقاته: كالليل إذا يغشى والنهار إذا تجلى، والشمس وضحاها، والنازعات غرقا والصافات صفا.

---

(١) شرح كتاب الإبانة من أصول الديانة، حسن أبو الأشبال الزهيري ٦/٢٩

فإن إقسامه بمخلوقاته يتضمن من ذكر آياته الدالة على قدرته وحكمته ووحدانيته ما يحسن معه إقسامه، بخلاف المخلوق، فإن إقسامه بالمخلوقات شرك بخالقها كما في السنن عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (من حلف بغير الله فقد أشرك) وقد صححه الترمذي وغيره، وفي لفظ: (فقد كفر) وقد صححه الحاكم.

وقد ثبت عنه في الصحيحين أنه قال: (من كان حالفا فليحلف بالله أو ليصمت) وقال: (لا تحلفوا بآبائكم فإن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم)، وفي الصحيحين عنه أنه قال: (من حلف باللات والعزى فليقل: لا إله إلا الله).

وقد اتفق المسلمون على أنه من حلف بالمخلوقات المحترمة أو بما يعتقد هو حرمته كالعرش والكرسي والكعبة والمسجد الحرام والمسجد الأقصى ومسجد النبي صلى الله عليه وسلم والملائكة والصالحين والملوك وسيوف المجاهدين وترب الأنبياء والصالحين وأيمان البندق وسراويل **الفتوة** وغير ذلك لا ينعقد يمينه، ولا كفارة في الحلف بذلك.

والحلف بالمخلوقات حرام عند الجمهور، وهو مذهب أبي حنيفة، وأحد القولين في مذهب الشافعي وأحمد، وقد حكي إجماع الصحابة على ذلك، وقيل: هي مكروهة كراهة تنزيه.

والأول أصح، حتى قال عبد الله بن مسعود وعبد الله بن عباس وعبد الله بن عمر رضي الله عنهم: لأن أحلف بالله كاذبا أحب إلي من أن أحلف بغير الله صادقا؛ وذلك لأن الحلف بغير الله شرك، والشرك أعظم من الكذب، وإنما يعرف النزاع في الحلف بالأنبياء، فعن أحمد في الحلف بالنبي صلى الله عليه وسلم روايتان: إحداهما: لا ينعقد اليمين به كقول الجمهور؛ مالك وأبي حنيفة والشافعي.

والثانية: ينعقد اليمين به، واختار ذلك طائفة من أصحابه ك القاضي وأتباعه، وابن المنذر وافق هؤلاء، وقصر أكثر هؤلاء النزاع في ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم خاصة، وعدى ابن عقيل هذا الحكم إلى سائر الأنبياء، وإيجا." (١)

"معنى أيمان البندق

Q ما معنى أيمان البندق في كلام شيخ الإسلام؟

A أيمان البندق يظهر لي والله أعلم، أنا راجعت حقيقة كتب اللغة ووجدت أنها أحيانا تطلق، طبعا البندق يطلق على أمرين: الأول البندق الذي هو الشجر ذا الثمرة الطيبة التي تؤكل ضمن المكسرات والبقول، والثاني: كل ما يرمى به، فيبدو لي أنه يقصد ما يرمى به في أمور الحرب والسلاح؛ لأنه ذكر بعدها ما يناسب هذا وهو **الفتوة**، فكأنه يقصد اصطلاحا في وقته يتعلق بنوع من أنواع القوة والرماية.

والله أعلم.." (٢)

"زيادة الإيمان ونقصانه عند الصحابة

أما قانون الصحابة في شعب وخصال الإيمان وإثبات أن الإيمان يزيد وينقص، فقد جاء عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: [هلموا نزدد إيمانا، فيذكرون الله عز وجل]، يعني: يا معشر الصحابة! هلموا نجتمع فنذكر الله تعالى حتى نزداد

---

(١) شرح كتاب قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة، ناصر العقل ٨/١٣

(٢) شرح كتاب قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة، ناصر العقل ١٠/١٣

بهذا الذكر إيمانا بالله، إذا: الذكر سبب لزيادة الإيمان، لكن يكون الذكر على الطريقة السلفية، ليس على الطريقة الصوفية.
قال: [وفي حديث علي: إن الإيمان يبدأ لمظة في القلب]، يعني: نكتة مثل النقطة، فاللمظة في اللغة هي النكتة.
قال: [كلما ازداد الإيمان ازدادت اللمظة]، يعني: القلب تنكت فيه نكتة إيمان، ثم مع العمل تزداد هذه النكتة أو هذه اللمظة إيمانا، حتى يمتلئ القلب كله إيمانا، يعني: الإيمان بسبب ترك الأعمال يظل في نقصان، حتى لا يبقى منه في القلب شيء، ومع العمل واستمراره يزيد الإيمان حتى يطفح عن القلب ويسيل، فيكون في اللحم والدم والعظم والأحشاء وغيرها، فيمتلئ المرء كله إيمانا؛ ولذلك النبي عليه الصلاة والسلام رأى رؤيا في المنام، أن الناس يلبسون أثوابا فمنهم من بلغ ثوبه إلى ثديه، ومنهم من بلغ إلى سرته، ومنهم من بلغ إلى حقوه، ورأى عمر يجر ثوبه، يعني: رأى عمر مسبلا ثوبه، فهذه رؤيا في المنام لا تفيد جواز الإسبال؛ ولذلك قال الصحابة: (فما أولتها يا رسول الله! قال: بالدين) وهذه رواية البخاري، والدين هو عبارة عن الإيمان والإحسان والإسلام، كما في حديث جبريل عليه السلام.
ف عمر رضي الله عنه قد بلغ في الديانة والإيمان والإسلام مبلغا عظيما حتى فاض عنه، فالإيمان في القلب يكون مثل ما لو أتيت بقدر مثلا أو إناء من الأواني، فامتلأ بالماء حتى تسرب من الإناء.
قال: [وعن علي قال: الطهور نصف الإيمان]، وهو الوضوء، وفي الحديث: (لا يحافظ على الوضوء إلا مؤمن) وهذا يدل على أن الوضوء شعبة من شعب الإيمان، فمع كل وضوء تزداد إيمانا، ويا حبذا لو أتيت بعد كل وضوء بركعتين.
قال: [وعن عبد الله بن عكيم قال: سمعت ابن مسعود في دعائه يقول: اللهم زدنا إيمانا ويقينا وفقها]، وهذا يدل على أن الإيمان يزيد، اللهم زدنا إيمانا ويقينا وفقها.
قال: [وعنه قال: ينتهي الإيمان إلى الورع]، يعني: أعظم درجات الإيمان في الورع، والورع أنواع، وأعظم الورع ترك المباح، لكن من كان صدرا في الناس يشار إليه بالبنان أنت لو رأيت واحدا من عامة الناس يجري وراء الحافلة ويستمر يجري على أمل أن يدرك الحافلة ستقول: ما شاء الله، هذا الرجل عنده عزيمة وإصرار، الحافلة ذهبت ومع هذا هو مصر على أنه يدركها، فأنت تنظر إلى هذا الفعل من عامة الناس على أنه عمل جيد، ودليل على الفتوة وعلى قوة العزيمة والإصرار على إدراك المصلحة.
لكن لو وجدت شيخا قد ألقى محاضرة ثم هو يجري وراء الحافلة، فهذا العمل لا يليق بالرجل هذا، ستقول: كيف تجري وراء الحافلة وأنت شيخ وعالم؟ لماذا لا تركب تكسيا بجنيه؟ أما غير العالم فبالنسبة له هذا عمل مباح.
مثل بعض الناس الذين يسبون الدين، فهم يقولون: الشيخ لا يسب الدين، فإن دين الشيخ غير ديننا، فهذا عيب على الشيخ، لا يصح منه ذلك.
كذلك مثلا عندما يدخل السينما، فإن أول شخص سينكر عليه هو الذي يقطع التذكرة، وصاحب السينما نفسه ممكن يعترض ويقول: أنت شيخ لا تدخل، وهذا عيب لا يصح، أما أنا فهذه تجارتي، وهذا عملي، إنما منك فهذا عيب لا يصح، هذا لا يستقيم مع أخلاقك ولا دينك، ومعنى هذا أن الناس تعرف منهجك، وتعرف الحلال والحرام، إنما الأمر من باب وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين.

فهنا ينبغي للشيخ أو لطلاب العلم أن يتورعوا عن بعض أو كثير من المباح، وهذا أعلى درجات الورع.
قال: [ومن خير الدين -أي: ومن أعظم الدين- ألا تزال تاليا باكيا]، يعني: لا يزال لسانك رطبا من ذكر الله عز وجل وأنت باك، وهذا من أعظم شعب الإيمان.
قال: [من ذكر الله ومن رضي بما أنزل الله من السماء أدخله الله الجنة إن شاء، ومن أراد الجنة لا شك فيها فلا يخاف في الله لومة لائم]، من أراد الجنة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فلا يخشى في الله لومة لائم؛ لأن أعظم ما يمكن أن يحققه من لوم اللائمين القتل.
بمعنى: لو أراد أحد أن ينكر عليك وأنت تدعو إلى الله عز وجل، فإن أعظم ما يمكن أن ينزله بك هو القتل، وقبل ذلك السباب والشتم والتعذيب والضرب وغير ذلك، فأعظم درجة يوقعها أعداء الملة بك وأنت تدعو إلى الله هي القتل، فإن قتلت وأنت تدعو إلى الله عز وجل فهذا عين الشرف.
أذكر منذ حوالي سبع أو ثمان سنوات ونحن في الحرم، مات رجل عالم من علماء الحرم بعد صلاة العصر وهو يلقي الدرس، فالفضائل التي اجتمعت على هذا الرجل، أنه رجل من أهل العلم والإيمان -نحسبه كذلك- وأتاه الموت وهو يلقي الدرس بعد صلاة العصر، وفي بيت الله الحرام، وهو صائم، وكان اليوم يوم جمعة، فهذه الم." (١)
"المبحث الثاني: ادعاء النبوة
قوله: ((وإنه سيكون من أمتي كذابون ثلاثون)) (١)، حصرهم النبي صلى الله عليه وسلم بعدد، وكلهم يزعم أنه نبي أوحي إليه، وهم كذابون، لأن النبي صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين ولا نبي بعده، فمن زعم أنه نبي بعد الرسول صلى الله عليه وسلم، فهو كاذب كافر حلال الدم والمال، ومن صدقه في ذلك، فهو كافر حلال الدم والمال، وليس من المسلمين ولا من أمة محمد صلى الله عليه وسلم، ومن زعم أنه أفضل من محمد، وأنه يتلقى من الله مباشرة ومحمد صلى الله عليه وسلم يتلقى منه بواسطة الملك، فهو كاذب كافر حلال الدم والمال. القول المفيد على كتاب التوحيد لمحمد بن صالح بن عثيمين - ١/ ٥٨٥
قال السفاريني (٢):
ولا تنال رتبة النبوة ... بالكسب والتهذيب والفتوة
لكنها فضل من المولى الأجل ... لما يشاء من خلقه إلى الأجل
- وإذا كان الأمر كذلك، فإن ادعاء النبوة - كذبا وزورا - من أشنع الكذب وأقبحه، كما يقول ابن أبي العز الحنفي رحمه الله: إن النبوة إنما يدعيها أصدق الصادقين، أو أكذب الكاذبين، ولا يلتبس هذا بهذا إلا على أجهل الجاهلين، بل قرائن أحوالهما تعرب عنهما، وتعرف بهما، والتمييز بين الصادق والكاذب له طرق كثيرة فيما دون دعوى النبوة، فكيف بدعوى النبوة؟ (٣).
ويتحدث ابن تيمية عن هذه المسألة قائلا: معلوم أن مدعي الرسالة إما أن يكون من أفضل الخلق وأكملهم، وإما أن يكون

---

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي - حسن أبو الأشبال، حسن أبو الأشبال الزهيري ٩/٤٨

من أنقص الخلق وأرذلهم، ولهذا قال أحد أكابر ثقيف للنبي صلى الله عليه وسلم لما بلغهم الرسالة ودعاهم إلى الإسلام: والله لا أقول لك كلمة، إن كنت صادقا فأنت أجل في عيني من أن أرد عليك، وإن كنت كاذبا فأنت أحقر من أن أرد عليك (٤). فكيف يشتبه أفضل الخلق وأكملهم بأنقص الخلق وأرذلهم، وما أحسن قول حسان (٥):

لو لم تكن فيه آيات مبينة ... كانت بديهته تأتيك بالخبر

وما من أحد ادعى النبوة من الكذابين، إلا وقد ظهر عليه من الجهل والكذب والفجور، واستحواذ الشياطين عليه ما ظهر لمن له أدنى تمييز، وما من أحد ادعى النبوة من الصادقين إلا وقد ظهر عليه من العلم والصدق والبر وأنواع الخيرات ما ظهر لمن له أدنى تمييز (٦).

---

(١) رواه أبو داود (٤٢٥٢)، والترمذي (٢٢١٩)، وابن ماجه (٣٩٥٢)، وأحمد (٥/ ٢٧٨) (٢٢٤٤٨)، والحاكم (٤/ ٤٩٦). من حديث ثوبان رضي الله عنه. والحديث سكت عنه أبو داود. وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح. وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي. وصحح إسناده عبد الحق الإشبيلي في ((الأحكام الصغرى)) (٩٠٦) - كما أشار لذلك في مقدمته -. وحسنه ابن حجر في ((هداية الرواة)) (٣/ ٤٠٦) - كما أشار لذلك في مقدمته -. وقال الألباني في ((صحيح سنن أبي داود)): صحيح.

(٢) ((لوامع الأنوار البهية)) (٢/ ٢٦٧).

(٣) ((شرح العقيدة الطحاوية)) (١/ ١٤٠).

(٤) انظر: ((تفسير البغوي)) (٧/ ٢٦٥)، و ((الجامع لأحكام القرآن)) للقرطبي (١٦/ ٢١٠).

(٥) ونسبه ابن تيمية في ((الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح)) لعبدالله بن رواحة (٤/ ٣١٦)، انظر: تعليق محقق ((الطحاوية)) (١/ ١٤١).

(٦) ((شرح العقيدة الأصفهانية)) (ص٨٩)، وانظر: ((الجواب الصحيح)) (١/ ٢٩، ٣٠).." [1]

"النجوى السر بين الاثنين أو الجماعة، تقول ناجيت فلانا ونجا، وهم يتناجون، ونجوت فلانا أنجوه نجوى أي أناجيه، فنجوت مشتقة من نجوت الشيء أنجوه: أي أخلصته وأفردته، والنجوة من الأرض المرتفع لانفراده بارتفاعه عما حوله. فالنجوى المسارة (١).

وقال جماعة من المفسرين: إن النجوى كلام الجماعة المنفردة أو الاثنين سواء كان ذلك سرا أو جهرا (٢).

وقيل النجوى: الإسرار في التدبير (٣).

معنى الآية: لا خير فيما يتناجى فيه الناس ويخوضون فيه من الحديث إلا فيما كان من أعمال الخير (٤).

وقال القشيري: أفضل الأعمال ما كانت بركاته تتعدى صاحبه إلى غيره، ففضيلة الصدقة يتعدى نفعها إلى من تصل إليه، **والفتوة** أن يكون سعيك لغيرك، وأما المعروف فكل حسن في الشرع معروف، ومن ذلك إنجاد المسلمين وإسعادهم فيما

---

(١) الموسوعة العقدية - الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ٦/٤٤٠

لهم فيه قربة إلى الله وزلفى عنده، وإعلاء التواصي بالطاعة، ومن تصدق بنفسه على طاعة ربه وتصدق بقلبه على الرضى بحكمه ولم يخرج بالانتقام لنفسه، وحث الناس على ما فيه نجاتهم بالهداية إلى ربهم وأصلح بين الناس بصدقه في حاله، فإن لسان فعله أبلغ في الوعظ من لسان نطقه (٥).

فالله سبحانه وتعالى بين أنه لا خير فيما يتناجى فيه الناس إلا ما كان فيه الحث على الصدقة وفعل المعروف والإصلاح بين الناس.

٣ - قوله تعالى: والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله إن الله عزيز حكيم [التوبة: ٧١].

قال أبو السعود في قوله تعالى: والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض: بيان لحسن حال المؤمنين والمؤمنات حالا ومالا إثر بيان قبح حال أضدادهم عاجلا وآجلا (٦).

وقيل: قلوبهم متحدة في التواد والتحاب والتعاطف (٧).

وأما قوله: يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر [التوبة: ٧١] أي يأمرون بعبادة الله تعالى وتوحيده وكل ما أتبع ذلك، وينهون عن عبادة الأوثان وكل ما أتبع ذلك (٨).

فالآية تفيد أن المؤمنين جميعا من رجال ونساء ينطلقون من قاعدة واحدة، وهي أنهم يأمرون بالأمور الحسنة والأعمال الصالحة والأخلاق الفاضلة وينهون عن كل ما خالف الشرع من العقائد الفاسدة والأعمال السيئة والأخلاق الرديئة، ومن هذا شأنه أولئك سيرحمهم الله [التوبة: ٧١] يدخلهم الله في رحمته ويشملهم بإحسانه (٩).

وقال الزمخشري في تفسيره: السين مفيدة وجوب الرحمة لا محالة، فهي تؤكد الوعد والوعيد (١٠).

إذا فمن هذه صفته يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر فإن الله سبحانه وتعالى يدخله في رحمته، وذلك فضل منه وتكرم وإحسان وليس من باب الوجوب فالله - سبحانه وتعالى- لا يجب عليه شيء ولو عامل عباده بعدله لم ينج منهم أحد.

---

(١) انظر: ((الصحاح)) الجوهري (٦/ ٢٥٠١، ٢٥٠٣).

(٢) ((فتح القدير)) الشوكاني (٢/ ٥١٤، ٥١٥)

(٣) ((تفسير البغوي)) (١/ ٤٧٩).

(٤) ((روح المعاني)) الألوسي (٥/ ٤٠٣).

(٥) ((لطائف الإشارات)) القشيري (١/ ٣٦٣، ٣٦٤).

(٦) ((تفسير أبي السعود)) (٤/ ٨٢).

(٧) ((الجامع لأحكام القرآن)) القرطبي م٣، ٤ (٤/ ٢٠٣).

(٨) ((الجامع لأحكام القرآن)) القرطبي م٣، ٤ (٤/ ٢٠٣).

(٩) ((تيسير الكريم الرحمن)) عبد الرحمن السعدي (٣/ ٢٦٤)

(١٠) ((تفسير الكشاف)) م١، ٢ (٢/ ٢٠٣).." [1]

"يشاركهم في شيء مما استشرفت إليه نفوسهم».

١٠ - ومن حق الأخ على الأخ: أن يخدمه إذا مرض.

فقد ذكر العلماء: «أن **الفتوة** في خدمة الإخوان».

١١ - ومن حق الأخ على الأخ: أن يحترمه ويوقره، ولا سيما إذا استحق ذلك، كأن كان من العلماء (١)، أو من حملة القرآن الكريم (٢)، أو من عترة (٣) رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

١٢ - ومن حق الأخ على الأخ: أن يثني عليه في غيبته وفي حضوره بطريق الشرع، فإن ذلك مما يزيد في صفاء المودة.

---

(١) قال الله تعالى: (قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ) (الزمر:٩)

(٢) لقول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم: «خيركم من تعلم القرآن وعلمه». أخرجه البخاري في صحيحه من حديث عثمان بن عفان - رضي الله عنه -، كتاب فضائل القرآن.

(٣) عترة الرجل: نسله ورهطه الأدنون. قال الله تعالى: (قُلْ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى) (الشورى:٢٣)." [2]

"تفسير قوله تعالى: (الله الذي خلقكم من ضعف)

ذكر الله مننه على خلقه ونعمه عليهم، وبين مدى حاجتهم إليه فقال: ﴿الله الذي خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة يخلق ما يشاء وهو العليم القدير﴾ [الروم:٥٤].

قوله: ((الله الذي خلقكم)) يدل لفظ الجلالة والفعل الذي يليه على توحيد الألوهية وتوحيد الربوبية، ويؤكد أن الله الإله المستحق للعبادة وحده لا شريك له، وأنه هو وحده، إذ الخلق مقتضى أنه رب سبحانه وتعالى، ولكونه ربا فهو وحده الذي يخلق، وهو وحده الذي يرزق، وهو وحده الذي ينفع ويضر، ويعطي ويمنع سبحانه وتعالى.

وفي الآية إشارة إلى توحيد الرب سبحانه في العبادة، إذ إنه ما دام أن الخالق واحد لا شريك له، فهو وحده الذي يستحق أن يعبد.

كما أن قوله سبحانه: ﴿الله الذي خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة﴾ [الروم:٥٤] يبين المنحنى الذي يعيش فيه الإنسان، فهو في هذا المنحنى بدأ من الصفر، ثم أخذ يكبر شيئا فشيئا إلى أن يصل إلى أوج القوة والكمال، ثم بعد ذلك ينحني إلى الأسفل إلى أن يصل إلى الصفر مرة أخرى ويموت الإنسان! فالله

---

(١) الموسوعة العقدية - الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ١٣٨/٨

(٢) الأخلاق الزكية في آداب الطالب المرضية، أحمد بن يوسف الأهدل ص/٢٣٣

خلق الإنسان من ضعف، ثم أوصله إلى القوة، ثم عاد به إلى الضعف مرة أخرى، ولذلك لا ينبغي أن يغتر الإنسان بما أعطاه سبحانه وتعالى في هذه الدنيا، بل لابد أن يستعين بما أعطاه الله سبحانه على طاعته، وما ينفعه في الدنيا وفي الآخرة.

أما الإنسان الذي يغتر بما أعطاه الله من قوة، فهو جاهل مغرور لم ينظر إلى غيره، كيف كان في يوم من الأيام صغيرا، ثم صار شابا، ثم صار شيخا، وتتابعت مراحل عمر الإنسان لتؤذن برحيله؛ لذا لابد أن يدرك أن الذي فعل بغيره ما فعل الذي يفعل بك ما يفعل بالغير، وقد قالوا: السعيد من وعظ بغيره.

وفي قوله تعالى: ﴿الله الذي خلقكم﴾ [الروم:٥٤] قراءتان فقراءة الدوري عن أبي عمرو وخلف بالإدغام: (الله الذي خلقكم).

وقوله: ﴿من ضعف﴾ [الروم:٥٤] الضعف الأول هي المرحلة التي كان عليها الإنسان في بطن أمه من نطفة، ثم علقة، ثم مضغة، ثم صار حملا، وتتبعها مرحلة الطفولة التي تبدأ من نزول الإنسان من بطن أمه صبيا صغيرا إلى أن يكبر ويشب.

قوله سبحانه: ﴿ثم جعل من بعد ضعف قوة﴾ [الروم:٥٤] أي: بعد مرحلتي الجنين والطفولة تأتي مرحلة الشباب **والفتوة** والاكتمال.

ثم قال سبحانه: ﴿ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة﴾ [الروم:٥٤] والضعف الأخير بسبب الشيخوخة والهرم كما بينت الآية.

وتنقل الإنسان بين هذه المراحل بدون اختياره يدل أن هناك قدرة مدبرة ذات مشيئة وإرادة، قال تعالى: ﴿يخلق ما يشاء﴾ [الروم:٥٤] سبحانه وتعالى، كما أن ضعف الإنسان ملازم له لا ينفك عنه، فإن كان ضعيفا فالذي يرزقه هو الله سبحانه وتعالى، وإن كان قويا فالذي يرزقه هو الله سبحانه وتعالى، ولذا ينبغي على الإنسان أن يكون دائما وأبدا متوكلا على ربه سبحانه، وليثق بالرب الذي أطعمه وهو في بطن أمه، وأطعمه وهو صبي صغير، فهو الذي يعطيه حتى يتوفاه سبحانه وتعالى.

وقرئت الآية على هذا النحو: (الله الذي خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة يخلق ما يشاء وهو العليم القدير) وهذه قراءة عاصم، وقراءة عاصم في هذا الموطن بخلاف قراءة حفص، وإن كانت القراءة بالضم هي اختيار حفص عن عاصم، وذكر عن حفص أنه ما خالف عاصما في شيء إلا في هذه الكلمة لحديث عنده عن النبي صلى الله عليه وسلم فيها، فكان الأشهر من قراءة حفص عن عاصم: (الله الذي خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة يخلق ما يشاء وهو العليم القدير)، كما أنها أيضا قراءة حمزة، وسبب اختيار حفص لهذه القراءة ما رواه الإمام أحمد وأبو داود والترمذي عن عطية العوفي قال: قرأت على عبد الله بن عمر: ﴿الله الذي خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة يخلق ما يشاء﴾، فقال ابن عمر رضي الله عنهما: (الله الذي خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة) ثم قال له: قرأتها على رسول الله صلى الله عليه وسلم كما قرأتها علي فأخذ علي كما أخذت عليه.

ف عبد الله بن عمر قرأ على النبي صلى الله عليه وسلم: (الله الذي خلقكم من ضعف) فأقرأه النبي صلى الله عليه وسلم:

(من ضعف) وإن كانت هذه قراءة صحيحة وهذه قراءة صحيحة، فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ بعض أصحابه بقراءة والبعض الآخر بقراءة، والكل كلام رب العالمين سبحانه، وقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (أنزل القرآن على سبعة أحرف)، فكلا القراءتين جائز، ولكن الغرض بيان: سبب اختيار حفص لهذه القراءة على القراءة الأخرى؟ فعلمنا أن اختيارها كان بسبب الحديث المتقدم، والحديث حسنه الترمذي وأيضا حسنه الألباني.

قال العلماء: الضعف يكون بالضم: الضعف، ويكون بالفتح: الضعف، على الخلاف الذي بين القراءتين، فالضعف بالفتح يكون في الرأي، وبالضم يكون في الجسد، وهذا صحيح، وإن كان كل منهما يعطي المعنى الآخر، فالمعنى على القراءة بالفتح: كنتم في ضعف، أي: في العقول وفي الآراء، إذ المعلوم أن الصبي الصغير لا عقل عنده، وإن كان فيه عقل يميز ولكنه لا يكلف بهذا العقل قطعا؛ لأنه غير سوي وغير مكتمل، وهو ما نعني بالضعف، وعلى ذلك ستخص القوة في قوله تعالى: ﴿ثم جعل من بعد ضعف قوة﴾ [الروم:٥٤] بالقوة في الرأي، والمعنى: صار بالغا عاقلا مكلفا يفهم الأشياء، ذا خبرة في الحياة.

ثم بعد ذلك يرد إلى أرذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئا، أي: يصل إلى مرحلة الهرم والشيخوخة ويبدأ عقل الإنسان بالضعف، فما كان يحفظه ينساه، والأشياء التي كان يتذكرها إذا به ينسى الكثير منها، وكان واسعا في مداركه وتفكيره فإذا به ضيق الأفق، وهو معنى الضعف الثاني على القراءة بالفتح ضعف.

وعندما يتأمل المرء في هذه المراحل العجيبة يدرك أنه ينبغي عليه أن يحاول قدر المستطاع أن يستفيد من قوته وشبابه، عملا بوصية ابن عمر حيث يقول: خذ من قوتك لضعفك، وخذ من صحتك لسقمك، وخذ من حياتك لموتك، ولذا ينبغي على الإنسان أن يستغل فرصة قوته وصحته في عبادة الله سبحانه وتعالى، فإذا كنت في صحة بحيث تقدر على الصلاة قائما، فأكثر من الصلاة قبل أن يأتي عليك الضعف والمرض فتصلي وأنت قاعد.

ومن الفروق بين مرحلتي الضعفين اللذين ذكرهما الله سبحانه، أن الإنسان إذا كان في الضعف الأول وهو صغير يحبه أبوه وتحبه أمه، أما في الضعف الثاني الذي يأتي وهو كبير يضيق به من حوله، لذلك ينبغي على الإنسان أن يكون ودودا إلفا مألوفا، فإذا وصل إلى هذه المرحلة؛ إذا بالناس كلهم يحبونه، ففرق بين إنسان في شبابه مغرور، فهو يغتر على الناس، ويتقوى عليهم بقوته، ويستعرض عليهم بعضلاته، فإذا كبر وشاخ ضاق به الناس وتمنوا موته، وآخر كان ودودا للناس، خيرا مع الناس، إلفا مألوفا؛ فإنه إذا كبر في السن لقي كل من حوله يحبه، والكل يحاولون أن يخدموه، وكذلك الآباء مع أبنائهم فالأب الذي مع أولاده يخدمهم، ويعطف عليهم، ويرحمهم، ومليئ بالحنان والشفقة، ويؤدبهم ويعلمهم دين الله سبحانه؛ يطيعه أبناءه في الشيخوخة أتم الطاعة، ويبذلون قصارى جهدهم في خدمته.

أما الأب القاسي على أولاده، الذي لا يحبهم، ولا ينفق عليهم، ويؤذيهم ويؤذي أمهم، فإنه إذا وصل إلى الشيخوخة تجدهم كلهم تاركين له، لا أحد يسمع له، وقد يتمنون موته، فالذي قدمه في يوم من الأيام جناه بعد سنين من عمره، أو بعد ما

وصل إلى أرذل العمر؛ لذلك قدم لنفسك، ولا تنظر إلى اليوم وانظر إلى الغد ما الذي يكون فيه؟ فالله سبحانه يخلق ما يشاء وهو العليم بخلقه سبحانه، القدير على تغيير أحوالهم ﴿وهو العليم القدير﴾ [الروم:٥٤].." (١)

"أحوال اليهود وأذنابهم في حرب الإسلام والمسلمين

من غير المعقول أن آتي إلى الإخوة الفلسطينيين وأقول لهم: لابد من التسامح وحسن الجوار، مع أناس فعلوا بالمسلمين الأفاعيل، فاليهود المحاربون لله ولرسوله وللمؤمنين، يفتعلون الحرب، ومع ذلك هي حرب ليس فيها أدنى قدر من التكافؤ، حرب بين مدنيين عزل وبين جيش مزود بالطيارات والدبابات والقذائف.

فهؤلاء اليهود الجبناء الأنذال يفعلون ذلك مع أناس لا يملكون إلا الحجارة، ومع ذلك يفعلون بهم ما يفعلون، ولذلك تجد ما يسمونه بالمجتمع الدولي وعلى رأسهم الفتوة العالمي أمريكا الظالمة الباغية، يتلاعبون بالألفاظ، فبدلا من أن يقولوا: نريد وقف إطلاق النار من قبل اليهود، فإنهم يقولون: نريد وقف إطلاق النار! فهلا استحوا على أنفسهم؟ فإنه أمر مخجل عندما يقولون: وقف إطلاق النار، أي نار يعنون؟! فليس هناك إلا شباب وأطفال مساكين لا يملكون إلا الحجارة، فهم لما أحسوا أن كلمة وقف إطلاق النار لا تركب، وأن النار لا تطلق إلا من طرف واحد فقط، أتوا بكلمة جديدة، وهي من ألاعيب السياسة، فقالوا: وقف أعمال العنف! فينبغي أن ننتبه لمثل هذه المصطلحات، فيقولون لك: وقف أعمال العنف.

والحقيقة هي أن الموضوع أخطر مما نتصور، فاليهود يتدرجون في سبيل هدم المسجد الأقصى، وبناء الهيكل على أنقاضه، فهذه هي القضية، وقد أعطت السلطات اليهودية تصريحا لجماعة بناء الهيكل بوضع حجر الأساس لهيكل سليمان بجوار قبة الصخرة، لكن فيما يبدو أن المظاهرات التي حصلت في نفس اليوم صوروها لنا على أنها إما مؤيدة أو معارضة لشرم الشيخ، وهي ليست من أجل موضوع شرم الشيخ في الحقيقة، بل كانت من أجل موضوع الهيكل، لكن لو أنهم أذاعوا هذا الكلام فإن العالم الإسلامي سيثور من جديد، فأرادوا تهدئته، فسحبوا الترخيص بوضع حجر الأساس للهيكل إلى حين؛ لأن هذا هو المعهود من مكر اليهود وخداعهم أنهم يؤجلوا القضية شيئا فشيئا.

وسوف يجتمع المحامون عن قضية فلسطين في قمة، فنرجو منهم ألا يخيبوا أملنا، فقد كشفت لنا الحقائق وكشف لنا التاريخ فيما مضى أن هؤلاء الحكام هم أفشل محامين في أعدل قضية على الإطلاق، فنرجو ألا يخيبوا أمل المسلمين، وأن يعلنوا توبتهم ورجوعهم إلى تطبيق شرع الله، وإلى معاهدة سلام مع الإسلام، ونقول لهم: ساوونا باليهود على الأقل، واعملوا معاهدة سلام مع الإسلام، وكفوا عما فعلتموه من الصد عن سبيل الله، وتشويه الدين، وقولكم إن هذا الدين هو دين تطرف، إلى آخر هذا الكلام، ونقول: كفوا عن حرب الإسلام، وسووا بين المستقيمين وبين الفنانين والفسقة والرياضيين، فكل الناس قد تركت لهم الحرية، فسوونا بهم فقط، وارفعوا عنا الظلم الذي نعانيه ليل نهار، والمحاولات الدءوبة لإطفاء نور الله عز وجل، وإطفاء نور الإسلام في بلاد المسلمين.

والحديث في هذا الأمر ذو شجون، لكن إن لم يعودوا إلى موالاة المؤمنين، ومعاداة الكافرين وبقوا في أحضان الكفار، واستمروا في حربهم للإسلام؛ تكن فتنة في الأرض وفساد كبير.

---

(١) تفسير أحمد حطيبة، أحمد حطيبة ٤/٢٢٠

وأما بالنسبة لهؤلاء الأشاوس فإن آخر شيء كنت قرأته: أن مجموعة من المثقفين يسمونهم: (مثقفين يهود) تكلموا في الإذاعة الإسرائيلية فيما يبدو عن الاستغراب الشديد الذي عمهم حينما حصل رد الفعل الغريب من هذه الأمة الإسلامية، فقد ظنوا أنها قد خمدت أنفاسها إلى الأبد، فقال بعضهم -وهو الشاعر اليهودي باراك - يفتخر بأنه يحفظ أشعارا له كثيرة، فقال: أنا آسف، ليس في كل من حكموا إسرائيل من يفهم العرب أكثر من بنيامين نتنياهو، فقالوا له: لماذا؟ قال: لأنه هو الوحيد الذي أصر على أن العرب لا يصلح معهم سلام على الإطلاق، فقالوا: لماذا؟ قال: قال نتنياهو: إن السلام الذي نصنعه هو مع الحكومات وليس مع الشعوب، لأن هؤلاء الحكام يحكمون شعوبهم بالحديد والنار، فمتى ما تخلصوا من هؤلاء الحكام ستعود إلينا العداوة من جديد، وتنكشف الحقيقة، فالسلام ليس مع الشعوب! وهذا الكلام موافق للواقع إلى حد كبير؛ فانظر إلى هذا اليهودي الخبيث كيف تفطن للأمر! ولذلك قال بعضهم في نفس البرنامج وهو يعبر عن الصدمة والذهول: حتى المغرب التي كنا نظن أنها في جيبنا تخرج فيها مسيرة مليونية! أي: مظاهرة من مليون شخص تنادي بمحاربة اليهود لعنهم الله، فهم كانوا يؤملون أملا كبيرا أن المغرب قد هدأت، لأن أقوى موضع في العالم الإسلامي لليهود هو في المغرب، فلهم هناك وضع متميز جدا، فوزير السياحة هناك يهودي، ومع ذلك ذهل اليهود من رد الفعل في المسلمين.
فالحاصل أن المجتمعين في القمة هداهم الله وأجرى على أيديهم كل خير، على الأقل ينبغي أن يصطلحوا فيما بينهم ويكفوا عن محاربة الدعوة الإسلامية، فإن بعض البلاد تحارب الإسلام حربا لا يقدر اليهود أنفسهم على القيام بها، فلعلهم يتوبون ويرجعون إلى الله سبحانه وتعالى، ويثوبون إلى رشدهم، ويكفوا عن حرب الإسلام.
وهذا هو المفتاح الصحيح؛ لأن القضية قضية عقيدة شئنا أم أبينا، وهذه الحرب دينية بين الإسلام وبين الكفر، ولن تتغير طبيعتها، ولن يقوى أحد على الإطلاق أن يغير طبيعتها مهما فعل، فإن أردنا الطريق الصحيح فهو أن نعود إلى ديننا.." (١)

"تفسير قوله تعالى: (ثم رددناه أسفل سافلين) إلى آخر السورة

يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ثم رددناه أسفل سافلين﴾ [التين:٥]، أي: جعلناه أسفل من سفل، وهم أصحاب النار؛ لعدم جريانه على موجب ما خلقناه عليه من الصفات التي لو عمل بمقتضاها لكان في أعلى عليين.
وأسفل سافل للمتعثر المتفاوت؛ لأن دركات النار كلما كانت أسفل تكون أسوأ، فقوله: ﴿أسفل سافلين﴾ [التين:٥] يعني: أحط منزلة، و (ثم) للتراخي الزماني، أو هو رتبي، أو (أسفل سافلين) أي: إلى مكان أشد سفولا وهو النار بمعنى: جهنم.
وقوله: (أسفل سافلين) قيل: نزلهم منزلة العقلاء، كذا قالوا، ولو قيل: هم أهل النار والدركات؛ لأنهم أسفل السفل لكان أولى.
قوله: (ثم رددناه) يعني: أننا نفعل هذا بكثير من الناس، وليس بكل إنسان، والعرب تقول لمن ينفق: أنفق ماله على فلان. مع أنه لم ينفق كل المال، وإنما بعض المال، ويقول تعالى: ﴿الذي يؤتي ماله يتزكى﴾ [الليل:١٨] هل يقصد كل ماله؟ لا، بل بعض ماله.

---

(١) تفسير القرآن الكريم - المقدم، محمد إسماعيل المقدم ٥/١٦٨

وبعض المفسرين ذهبوا إلى أن معنى قوله تعالى: ﴿لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم﴾ [التين:٤]، أي: القوة والشباب **والفتوة**، ﴿ثم رددناه أسفل سافلين﴾ [التين:٥]، أي: بأن يرد إلى أرذل العمر.." [(١)]

"تفسير مفردات قوله تعالى: (وإذ قال موسى لفتاه)

((وإذ قال موسى لفتاه لا أبرح حتى أبلغ مجمع البحرين﴾ لا أزال أسير وأمشي إلى أن أبلغ المكان الذي وعدني الله، ((أو أمضي حقبا)) يعني: إما أن أذهب إلى ملتقى البحرين فأجد فيه الخضر، أو أظل أسير زمانا طويلا إن لم أجده ثمة، فأتيقن فوات المطلوب.

قال المهايمي: ((وإذا قال موسى)) أي: اذكر للذين ((إن تدعهم للهدى فلن يهتدوا إذا أبدا)) لتكبرهم عليك: أنكم لستم بأعلم من موسى ولا أرشد منه، ولست أقل من الخضر في الهداية بل أعظم؛ لأنها هداية في الظاهر والباطن، وهداية الخضر إنما هي في الباطن، ولا تحتاجون في تحصيله إلى تحمل المشاق كما احتاج إليه موسى.

(وإذ قال موسى لفتاه) والفتى: الشاب، كما في قوله: ﴿قالوا سمعنا فتى يذكرهم﴾ [الأنبياء:٦٠] شابا، وقوله: ﴿إنهم فتية آمنوا بربهم﴾ [الكهف:١٣] يعني: شبابا.

قال الشهاب: العرب تسمي الخادم فتى؛ لأن الغالب هو استخدام من هو في سن **الفتوة**، وكان يوشع خادم موسى عليه السلام، ومحبا له، وذا غيرة على كرامته، ولذلك اختصه موسى رفيقا له وخادما، وصار خليفة من بعده على بني إسرائيل، وفتح الله تعالى بيت المقدس عليه ونصره على الجبارين.

((فلما بلغا مجمع بينهما))، أي: مجمع البحرين، ((نسيا حوتهما))، أي: خبر حوتهما وتفقد أمره، وكانا تزوداه وأخذا الحوت في المكتل، ولما بلغا مجمع البحرين لم يطمئنا على أن الحوت معهما ونسيا هذا الحوت، ((فاتخذ سبيله)) أي: طريقه في البحر، ((سربا)) أي: مثل السرب في الأرض، وهو المسلك، معجزة جعلت علامة للمطلوب.

((فلما جاوزا قال لفتاه آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا)).

((فلما جاوزا)) يعني: مجمع بينهما، أي: جاوزا مجمع البحرين، وهو المكان الذي نسيا فيه الحوت، ((قال لفتاه آتنا غدائنا)) أي: ما نتغدى به، ((لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا)) تعبا ومشقة، وبينت السنة أن هذا النصب لم يلقه موسى وفتاه حتى جاوزا مجمع البحرين، ((قال أرأيت إذ أوينا إلى الصخرة فإني نسيت الحوت))، أي: فإني نسيت خبر الحوت.

وإسناد النسيان إليهما: إما بمعنى نسيان طلبه والذهول عن تفقده لعدم الحاجة إليه، وإما للتغليب بناء على أن الناسي إنما كان يوشع وحده، (نسيا حوتهما)، يعني: نسيا خبر حوتهما وتفقد أمره، وعلى قول آخر: أن النسيان هنا هو من يوشع بن نون؛ لأنه قال: (فإني نسيت الحوت)، نسب النسيان إلى نفسه، فإذا: (نسيا) بالمثنى تغليبا -كما سنبين إن شاء الله تعالى- بناء على أن الناسي إنما كان يوشع وحده؛ فإنه نسي أن يخبر موسى بشأنه العجيب، فيكون كقوله تعالى: ﴿يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان﴾ [الرحمن:٢٢]، وإنما يخرج اللؤلؤ والمرجان من البحر المالح، ومع ذلك يمكن إطلاق أن اللؤلؤ والمرجان يخرجان من مجموع البحرين المالح والعذب تغليبا، وإن كان يخرج من أحدهما فيصدق عليه أنه يخرج منهما، كقوله تعالى:

---

(١) تفسير القرآن الكريم - المقدم، محمد إسماعيل المقدم ١٩٨/١٠

﴿يا معشر الجن والإنس ألم يأتكم رسل منكم﴾ [الأنعام:١٣٠]، فالرسل من مجموع الإنس والجن وإن كانت الرسل لا تكون إلا من الإنس.

((وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره)) يعني: أن أذكره لك، وتعرب (أن أذكره) على أنها بدل من الهاء، يعني: وما أنساني ذكره إلا الشيطان، وقرأ حفص بضم الهاء من غير صلة وصلا، والباقون بكسرها، ((واتخذ سبيله في البحر عجبا)) أي: أمرا عجيبا إذ صار الماء عليه سربا.

((قال ذلك ما كنا نبغ))، قال موسى: ((ذلك)) أي المكان الذي اتخذ فيه سبيله سربا ((ما كنا نبغ)) أي: نطلب فيه الخبر؛ لأنه أمارة المطلوب، وقرئ في السبع بإثبات الياء بعد الغين وصلا لا وقفا؛ وبإثباتها في الحالين، وبحذفها كذلك.

((فارتدا على آثارهما))، أي: رجعا ماشيين على آثار أقدامها يتبعانها، ((قصصا)) أي: اتباعا لئلا يفوتهما الموضع ثانيا.." (١)

"[الكهف:٧٩]، ولم يقل: " فأراد ربك أن أعيبها "، وقال في الغلامين: ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا﴾ [الكهف: ٨٢] ".

وكذلك قول مؤمني الجن: ﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾ [الجن: ١٠]، ولم يقولوا: " أراده ربهم "، ثم قالوا ﴿أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾.

وألطف من هذا قول موسى عليه السلام: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ [القصص: ٢٤]، ولم يقل: " أطعمني ".

وقول آدم عليه السلام: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣] ولم يقل " رب قدرْتَ عليّ وقضيتَ عليَّ ".

وقول أيوب عليه السلام: ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٣] ولم يقل: " فعافني، واشفني ".

وقول يوسف لأبيه وإخوته: ﴿هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ﴾ [يوسف: ١٠٠] ولم يقل: " أخرجنى من الجب " حفظًا للأدب مع إخوته، وتَفَتيا عليهم: أن لا يخجلهم بما جرى في الجب، وقال: ﴿وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ﴾ ولم يقل: " رفع عنكم جهد الجوع والحاجة "، أدبًا معهم، وأضاف ما جرى إلى السبب، ولم يضفه إلى المباشر الذي هو أقرب إليه منه، فقال: ﴿مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي﴾، فأعطى الفتوة والكرم والأدب حقه، ولهذا لم يكن كمال هذا الخلق إلا للرسل والأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم.." (٢)

"الشافعي به لما رآه في مجلس الرشيد عند الاتهام، ولأن العلم رحم بين أهله؛ قال الشافعى مخاطبًا الرشيد: " إن لي حظًا من العلم، وإن القاضي محمد بن الحسن يعرف ذلك "، فسأل الرشيد محمدًا، فقال: " له من العلم حظ كبير، وليس الذي وقع عليه من شأنه "، وكانت تلك الشهادة من الإمام محمد بن الحسن رحمه الله سببًا في نجاة الشافعي، وتبرئته من

---

(١) تفسير القرآن الكريم - المقدم، محمد إسماعيل المقدم ٤/٩١

(٢) الإعلام بحرمة أهل العلم والإسلام، محمد إسماعيل المقدم ص/١٥٦

الاتهام الكاذب (١).

(ولما وقعت المناظرة لشيخ الإسلام ابن تيمية مع الشافعية، وبحث مع الصفي الهندي، ثم ابن الزملكاني، بالقصر الأبلح، شرع الإمام أبو الحجاج المزي رحمه الله يقرأ كتاب " خلق أفعال العباد " للبخاري، وفيه فصل في الرد على الجهمية، فغضب بعض الفقهاء، وقالوا: " نحن المقصودون بهذا "، فبلغ ذلك القاضي الشافعي يومئذ، فأمر بسجنه، فتوجَّه ابن تيمية وأخرجه من السجن، فغضب النائب، فاعيد، ثم أفرِج عنه) (٢).

وتكلم الامام المحقق ابن قيم الجوزية حول درجة " **الفتوة** " ثم قال رحمه الله: (ومن أراد فهم هذه الدرجة كما ينبغي؛ فلينظر إلى سيرة النبي – صلى الله عليه وسلم – مع الناس يجدها هذه بعينها، ولم يكن كمال هذه الدرجة لأحد سواه، ثم للورثة منها بحسب سهامهم من التركة، وما رأيت أحدًا قط أجمع لهذه الخصال من شيخ الإسلام ابن تيمية قدَّس الله رُوحه، وكان بعض أصحابه الأكابر يقول: " وددت أني لأصحابي مثلُه لأعدائه وخصومه "، وما رأيته يدعو على أحد منهم قط، وكان يدعو لهم.

وجئت يومًا مبشرًا له بموت أكبر أعدائه، وأشدهم عداوة وأذىً له، فنهرني، وتنكر لي، واسترجع، ثم قام من فوره إلى بيت أهله فعزَّاهم، وقال:

---

(١) " تاريخ المذاهب الإسلامية " (١/ ٢٣٤).

(٢) " الدرر الكامنة " (٥/ ٢٣٤)، ت (٥١٢٢).." [1]

"الفراغ الذي لم يبادر صاحبه إلى ملئه بالعمل الصالح.

قال – صلى الله عليه وسلم –: " نعمتان مغبونٌ فيهما كثير من الناس: الصحة، والفراغ " (١).

وقال الحسن البصري: " نفسك إن لم تشغلها بالحق؛ شغلتك بالباطل ".

فالطاعن في أهل الحق فارغ، وأهل الحق مشغولون بحقهم، ويقول المثل العربي: " ويل للشجي من الخلي، وويل للعالم من الجاهل "، والشجي هو المشغول، والخلي هو الفارغ.

(وكم موسوعة كان يمكن أن يؤلفها فضول القول الذي قيل أثناء الفتن والمجادلات والخلافات، وكم ساعة عمل ضائعة هدرها الوقت المستهلك في استنباط الظنون؟!) (٢).

السبب الثاني عشر: الجحود وعدم الإنصاف:

ومن مظاهره: تنكر الطالب لشيخه الذي طالما أفاده، وعلَّمه، وأحسن إليه لأجل زلة زلَّها، أو غضبة غضبها، فيجحد كل ما مضى من إحسانه إليه، ويقول كما تقول كافرات العشير: " ما رأيت منك خيرًا قط "، ويطلق لسانه في ذم شيخه والتشنيع عليه، ويقول الشاعر في مثل هذا:

---

(١) الإعلام بحرمة أهل العلم والإسلام، محمد إسماعيل المقدم ص/١٩٢

فيا عجبًا لمن رَبيْتُ طفلاً ... أُلَقِّمُه بأطرافِ البنانِ

أعلِّمُه الرمايةَ كلَّ يومٍ ... فلما استد ساعدُه رماني

أعلمه **الفتوةَ** كل حينٍ ... فلما طرَّ شاربه جفاني

أعلمه الرواية كل وقتٍ ... فلما صار شاعِرَها هجاني

---

(١) رواه الإمام أحمد (١/ ٣٤٤)، والبخاري (١١/ ٢٢٩)، والترمذي رقم (٢٣٠٤).

(٢) انظر: " فضائح الفتن " ص (٨).." [1]

"فريد الدين العطار النيسابوري وكتابه منطق الطير. - بغداد: مكتبة المثنى، - ١٣٨٨ هـ، ٩٩٢ ص.

- الوفيات/أبو مسعود عبد الرحيم بن أبي الوفاء الحاجي الأصبهاني المعدل (تحقيق وتعليق بالاشتراك مع بشار عواد معروف). - بغداد: مطبعة الحكومة، ١٣٨٦ هـ، ٨٢ ص.

- **الفتوة**/لابن المعمار البغدادي (تحقيق بالمشاركة). - بغداد، ١٣٨٠ هـ.

- التمام في تفسير أشعار هذيل/لابن جني (تحقيق بالمشاركة). - بغداد، ١٣٨٢ هـ.

- البخلاء/للخطيب البغدادي (تحقيق بالمشاركة). - بغداد، ١٣٨٤ هـ.

- دقائق التصريف/لابن المؤدب (تحقيق بالاشتراك مع حاتم الضامن وحسين تورال). - بغداد: المجمع." [2]

"- الإسلام دين الإنسانية.

ْ - ألوان من الفن الشعبي. - القاهرة: المؤسسة المصرية العامة للكتاب، ١٣٨٤ هـ، ٩٦ ص. - (المكتبة الثقافية؛ ١١١).

- الجاحظ الضحوك.

- أبو زيد الهلالي. - القاهرة: دار المعارف، ١٣٦٦ هـ، ١٢٨ ص. - (اقرأ؛ ٤٧).

- الأفغاني وأثره في الوحدة الإسلامية.

- سقط المتاع. - القاهرة: دار المعارف، ١٤٠٥ هـ، ٢١١ ص. - (اقرأ؛ ٤٩٦) (وقد صدر عقب رحيله).

- **الفتوة** الإسلامية.

- فلاسفة وصعاليك.

- ألوان من الأدب الشعبي.

- أخطاء شائعة في اللغة العربية.

محمد كاظم بن محمد نجيب الداغستاني

---

(١) الإعلام بحرمة أهل العلم والإسلام، محمد إسماعيل المقدم ص/٣٦١

(٢) تكملة معجم المؤلفين، محمد خير رمضان يوسف ص/٧٥

(١٣١٩ - ١٤٠٥ هـ) (١٩٠١ - ١٩٨٥ م)

إداري، محام، صحفي.." (١)

"الخامس: أن يقيل من يستقيله فإنه لا يستقيل إلا متندم مستضر بالبيع، ولا ينبغي أن يرضى لنفسه أن يكون سبب استضرار أخيه، وفي الخبر من أقال نادما صفقته أقال الله عثرته يوم القيامة (١).

السادس: أن يقصد في معاملته جماعة من الفقراء بالنسيئة وهو في الحال عازم على أن لا يطالبهم إن لم يظهر لهم ميسرة، وكان من السلف من يقول لفقير: خذ ما تريد فإن يسر لك فاقض وإلا فأنت في حل منه وسعة) (٢).

٦ - الإحسان إلى المسيء:

(ومن أجل أنواع الإحسان: الإحسان إلى من أساء إليك بقول أو فعل. قال تعالى: ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم [فصلت: ٣٤، ٣٥]

ومن كانت طريقته الإحسان أحسن الله جزاءه: هل جزاء الإحسان إلا الإحسان [الرحمن: ٦٠]) (٣).

قال ابن القيم: (ومن أعظم أنواع الإحسان والبر أن يحسن إلى من أساء ويعفو عمن ظلم ويغفر لمن أذنب ويتوب على من تاب إليه) (٤).

وذكر الهروي أن من منازل إياك نعبد وإياك نستعين (**الفتوة**) وقال: (هي على ثلاث درجات، الدرجة الأولى ترك الخصومة، والتغافل عن الزلة، ونسيان الأذية. والدرجة الثانية أن تقرب من يقصيك، وتكرم من يؤذيك، وتعتذر إلى من يجني عليك، سماحة لا كظما، ومودة لا مصابرة) (٥).

قال ابن القيم في ذلك: (هذه الدرجة أعلى مما قبلها وأصعب فإن الأولى: تتضمن ترك المقابلة والتغافل وهذه تتضمن الإحسان إلى من أساء إليك ومعاملته بضد ما عاملك به فيكون الإحسان والإساءة بينك وبينه خطتين فخطتك: الإحسان. وخطته: الإساءة.

وفي مثلها قال القائل:

إذا مرضنا أتيناكم نعودكم ... وتذنبون فنأتيكم ونعتذر

ومن أراد فهم هذه الدرجة كما ينبغي فلينظر إلى سيرة النبي صلى الله عليه وسلم مع الناس يجدها بعينها) (٦).

٧ - الإحسان في الكلام:

قال تعالى: وقل لعبادي يقولوا التي هي أحسن [الإسراء: ٥٣]

قال ابن كثير: (يأمر تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم أن يأمر عباد الله المؤمنين، أن يقولوا في مخاطباتهم ومحاوراتهم الكلام الأحسن والكلمة الطيبة؛ فإنهم إذا لم يفعلوا ذلك، نزغ الشيطان بينهم، وأخرج الكلام إلى الفعال، ووقع الشر والمخاصمة والمقاتلة، فإن الشيطان عدو لآدم وذريته من حين امتنع من السجود لآدم، فعداوته ظاهرة بينة؛ ولهذا نهى أن يشير الرجل إلى أخيه المسلم بحديدة، فإن الشيطان ينزغ في يده، أي: فربما أصابه بها) (٧).

---

(١) تكملة معجم المؤلفين، محمد خير رمضان يوسف ص/٧٢٩

٨ - الإحسان في الجدال:

يقول الله تبارك وتعالى: وجادلهم بالتي هي أحسن [النحل: ١٢٥]

قال الشوكاني: (أي: بالطريق التي هي أحسن طرق المجادلة. وإنما أمر سبحانه بالمجادلة الحسنة لكون الداعي محقا وغرضه صحيحا، وكان خصمه مبطلا وغرضه فاسدا) (٨).

٩ - الإحسان إلى الحيوان:

---

(١) رواه ابن حبان (١١/ ٤٠٤) (٥٠٢٩)، والبزار (١٥/ ٣٧٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. وضعفه الدارقطني في ((لسان الميزان)) في (٦/ ١٠٠). وقال ابن حجر في ((لسان الميزان)) (٣/ ١٥٩): [فيه] الحسين بن حميد الخزاز قال ابن عدي: هو متهم فيها. وقال الشوكاني في ((السيل الجرار)) (٣/ ١٣٩): صححه جماعة من الحفاظ.

(٢) ((موعظة المؤمنين)) لجمال الدين القاسمي (ص ١١٦).

(٣) ((بهجة قلوب الأبرار)) للسعدي (ص٢٠٦).

(٤) ((مفتاح دار السعادة)) لابن القيم (٢/ ٢٥٩).

(٥) ((مدارج السالكين)) لابن القيم (٣/ ١٣٩).

(٦) ((مدارج السالكين)) لابن القيم (٣/ ١٣٩).

(٧) ((تفسير القرآن العظيم)) لابن كثير (٥/ ٨٧).

(٨) ((فتح القدير)) للشوكاني (٣/ ٢٨٧).." [(١)]

"صور العفة

١ - العفة عما في أيدي الناس:

وهي أن يعف عما في أيدي الناس وعدم سؤالهم المسألة فعن ثوبان رضي الله عنه قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ((من تكفل لي أن لا يسأل الناس شيئا وأتكفل له بالجنة)). فقال ثوبان أنا. فكان لا يسأل أحدا شيئا. (١).

٢ - العفة عما حرم الله:

وهي أن يعف عن المحرمات والفواحش ونذكر هنا عفة نبي الله يوسف عليه السلام حيث وجدت دواعي الفتنة ولم يستسلم أمام التهديدات والإغراءات وقد (ذكر الله عن نبيه يوسف عليه السلام من العفاف أعظم ما يكون، فإن الداعي الذي اجتمع في حقه لم يجتمع في حق غيره، فكان شاب في ريعان الشباب، مكتمل الرجولة، رائع **الفتوة**، تدعوه إلى نفسها امرأة ذات منصب وجمال، والأبواب مغلقة، والسبل ميسرة كما حكى القرآن الكريم: وراودته التي هو في بيتها عن نفسه وغلقت الأبواب وقالت هيت لك [يوسف: ٢٣].

فماذا كان موقفه أمام هذا الإغراء وتلك الفتنة التي تخطف الأبصار هل لانت نفسه فاستسلم وخان عرضا اؤتمن عليه؟ كلا

---

(١) موسوعة الأخلاق الإسلامية - الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ١/ ٦٩

إنما قال: معاذ الله إنه ربي أحسن مثواي إنه لا يفلح الظالمون [يوسف: ٢٣].
ولقد حاولت امرأة العزيز بكيدها ومكرها وبكل ما لديها من ألوان الإغراء والتهديد أن تذيب من صلابته وتضعضع من شموخه، وأعلنت ذلك للنسوة في ضيق وغيظ: ولقد راودته عن نفسه فاستعصم ولئن لم يفعل ما آمره ليسجنن وليكونا من الصاغرين [يوسف: ٣٢].
كانت فتنة بين ضمير المؤمن وخشيته الربانية ومغريات الإثم ففشلت المغريات وانتصر الإيمان) (٢).
- نموذج آخر في العفة عما حرم الله، وهو جريج العابد؛ تتعرض له بغي من بغايا بني إسرائيل، فيعف نفسه ولم يلتفت إليها فتحاول أن تنتقم منه لامتناعه:
فقد روى مسلم في (صحيحه) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه وفيه ((... تذاكر بنو إسرائيل جريجا وعبادته وكانت امرأة بغي يتمثل بحسنها فقالت إن شئتم لأفتننه لكم - قال - فتعرضت له فلم يلتفت إليها فأتت راعيا كان يأوي إلى صومعته فأمكنته من نفسها فوقع عليها فحملت فلما ولدت قالت هو من جريج. فأتوه فاستنزلوه وهدموا صومعته وجعلوا يضربونه فقال ما شأنكم قالوا زنيت بهذه البغي فولدت منك. فقال أين الصبي فجاءوا به فقال دعوني حتى أصلي فصلى فلما انصرف أتى الصبي فطعن في بطنه وقال يا غلام من أبوك قال فلان الراعي - قال - فأقبلوا على جريج يقبلونه ويتمسحون به وقالوا نبني لك صومعتك من ذهب. قال لا أعيدوها من طين كما كانت (٣).
٣ - كف اللسان عن الأعراض:
يجب على المسلم كف لسانه عن أعراض الناس، وأن لا يقول إلا طيبا فعن عبد الله بن عمرو، رضي الله عنهما، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه)) (٤).
وعن سفيان بن عبد الله رضي الله عنه قال: قلت يا رسول الله حدثني بأمر أعتصم به قال: قل ربي الله ثم استقم قلت: يا رسول الله ما أخوف ما تخاف علي؟ فأخذ بلسان نفسه ثم قال: هذا. (٥)

---

(١) رواه أبو داود (١٦٤٣)، وأحمد (٥/ ٢٧٦) (٢٢٤٢٨)، والحاكم (١/ ٥٧١). وصحح إسناده المنذري في ((الترغيب والترهيب)) (٢/ ٣٩)، وصحح إسناده النووي في ((رياض الصالحين)) (٢٣٧)، وصححه الألباني في ((صحيح أبي داود)) (١٦٤٣).
(٢) ((مسؤولية التربية الجنسية)) عبد الله علوان (ص٨٥ - ٨٦).
(٣) رواه مسلم (٢٥٥٠).
(٤) رواه البخاري (١٠).
(٥) رواه الترمذي (٢٤١٠)، وابن ماجه (٣٩٧٢)، وأحمد (٣/ ٤١٣) (١٥٤٥٧). قال الترمذي: حسن صحيح. وصحح إسناده الزيلعي في ((تخريج الكشاف)) (٣/ ٢٣٠)، وصححه الألباني في ((صحيح الترمذي)) (٢٤١٠).." [1]

---

(١) موسوعة الأخلاق الإسلامية - الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ٤١١/١

"أقوال السلف والعلماء في العفو والصفح

- عن جرير بن عبد الله- رضي الله عنه- (أنه قام يوم مات المغيرة بن شعبة- رضي الله عنه- فحمد الله وأثنى عليه وقال: عليكم باتقاء الله وحده لا شريك له، والوقار والسكينة، حتى يأتيكم أمير، فإنما يأتيكم الآن، ثم قال: استعفوا لأميركم، فإنه كان يحب العفو. ثم قال: أما بعد، فإني أتيت النبي صلى الله عليه وسلم، قلت: أبايعك على الإسلام، فشرط علي (والنصح لكل مسلم). فبايعته على هذا، ورب هذا المسجد إني لناصح لكم، ثم استغفر ونزل) (١).

- (وجلس ابن مسعود في السوق يبتاع طعاما فابتاع، ثم طلب الدراهم وكانت في عمامته فوجدها قد حلت، فقال: لقد جلست وإنها لمعي، فجعلوا يدعون على من أخذها ويقولون: اللهم اقطع يد السارق الذي أخذها، اللهم افعل به كذا، فقال عبد الله: اللهم إن كان حمله على أخذها حاجة فبارك له فيها، وإن كان حملته جراءة على الذنب فاجعله آخر ذنوبه) (٢).

- وقيل لأبي الدرداء: من أعز الناس؟ فقال: (الذين يعفون إذا قدروا؛ فاعفوا يعزكم الله تعالى) (٣).

- وقال الحسن بن علي رضي الله تعالى عنهما: (لو أن رجلا شتمني في أذني هذه، واعتذر في أذني الأخرى، لقبلت عذره) (٤).

- وقال معاوية- رضي الله عنه-: (عليكم بالحلم والاحتمال حتى تمكنكم الفرصة، فإذا أمكنتكم فعليكم بالصفح والإفضال) (٥).

- وعن وهب بن كيسان قال سمعت عبد الله بن الزبير يقول على المنبر: (خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين قال والله ما أمر بها أن تؤخذ إلا من أخلاق الناس والله لآخذنها منهم ما صحبتهم) (٦).

- وأتي عبد الملك بن مروان بأسارى ابن الأشعث، فقال لرجاء بن حيوة: (ماذا ترى؟). قال: (إن الله- تعالى- قد أعطاك ما تحب من الظفر فأعط الله ما يحب من العفو، فعفا عنهم) (٧).

- وقال مالك بن دينار: (أتينا منزل الحكم بن أيوب ليلا وهو على البصرة أمير، وجاء الحسن، وهو خائف فدخلنا معه عليه، فما كنا مع الحسن إلا بمنزلة الفراريج، فذكر الحسن قصة يوسف- عليه السلام- وما صنع به إخوته، فقال: باعوا أخاهم وأحزنوا أباهم، وذكر ما لقي من كيد النساء ومن الحبس، ثم قال: أيها الأمير، ماذا صنع الله به؟

أداله منهم، ورفع ذكره، وأعلى كلمته، وجعله على خزائن الأرض، فماذا صنع يوسف حين أكمل الله له أمره وجمع له أهله؟ قال: لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين [يوسف: ٩٢]، يعرض للحكم بالعفو عن أصحابه، قال الحكم: فأنا أقول لا تثريب عليكم اليوم ولو لم أجد إلا ثوبي هذا لواريتكم تحته) (٨).

- وعن عمر بن عبد العزيز قال: أحب الأمور إلى الله ثلاثة العفو في القدرة والقصد في الجدة والرفق في العبادة وما رفق أحد بأحد في الدنيا إلا رفق الله به يوم القيامة) (٩).

- وعن سعيد بن المسيب- رحمه الله- قال: (ما من شيء إلا والله يحب أن يعفى عنه ما لم يكن حدا عن عباده) (١٠).

- وعن الحسن، قال: (أفضل أخلاق المؤمن العفو) (١١).

- وقال الفضيل بن عياض رحمه الله: (إذا أتاك رجل يشكو إليك رجلا فقل: يا أخي، اعف عنه؛ فإن العفو أقرب للتقوى،

فإن قال: لا يحتمل قلبي العفو، ولكن أنتصر كما أمرني الله عز وجل فقل له: إن كنت تحسن أن تنتصر، وإلا فارجع إلى باب العفو؛ فإنه باب واسع، فإنه من عفا وأصلح فأجره على الله، وصاحب العفو ينام على فراشه بالليل، وصاحب الانتصار يقلب الأمور؛ لأن **الفتوة** هي العفو عن الإخوان) (١٢).

- وقال إبراهيم النخعي: (كان المؤمنون يكرهون أن يستذلوا، وكانوا إذا قدروا عفوا) (١٣).
- وعن أيوب قال: (لا ينبل الرجل حتى يكون فيه خصلتان العفة عما في أيدي الناس والتجاوز عنهم) (١٤).

---

(١) رواه البخاري (٥٨).

(٢) ((إحياء علوم الدين)) (٣/ ١٨٤).

(٣) ((نهاية الأرب في فنون الأدب)) (٦/ ٥٨).

(٤) ((الآداب الشرعية)) لابن مفلح (١/ ٣٠٢).

(٥) ((إحياء علوم الدين)) (٣/ ١٨٤).

(٦) رواه البخاري في ((الأدب المفرد)) (٢٤٤)، وهناد في ((الزهد)) (٢/ ٥٩٦). وصححه الألباني في ((صحيح الأدب المفرد)) (٢٤٤).

(٧) ((أدب الدنيا والدين)) للماوردي (٢٦٠).

(٨) ((إحياء علوم الدين)) (٣/ ١٨٤).

(٩) ((روضة العقلاء)) لابن حبان البستي (ص ١٦٧).

(١٠) رواه مالك (٢/ ٨٤٣) (٤).

(١١) ذكره ابن مفلح في ((الآداب الشرعية)) (١/ ٧١) وعزاه للخلال.

(١٢) رواه ابن أبي حاتم في ((تفسيره)) (١٠/ ٣٢٨٠)، وأبو نعيم في ((الحلية)) (٨/ ١١٢).

(١٣) ((تفسير القرآن العظيم)) لابن كثير (٧/ ٢١٠).

(١٤) ((روضة العقلاء)) لابن حبان البستي (ص ١٦٧).." [1]

"حقيقة المروءة

يتكلم ابن القيم رحمه الله عن حقيقة المروءة فيقول: حقيقتها: (اتصاف النفس بصفات الإنسان التي فارق بها الحيوان البهيم والشيطان الرجيم فإن في النفس ثلاثة دواع متجاذبة:

١. داع يدعوها إلى الاتصاف بأخلاق الشيطان من الكبر والحسد والعلو والبغي والشر والأذى والفساد والغش.
٢. وداع يدعوها إلى أخلاق الحيوان وهو داعي الشهوة.
٣. وداع يدعوها إلى أخلاق الملك: من الإحسان والنصح والبر والعلم والطاعة

---

(١) موسوعة الأخلاق الإسلامية – الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ٤٢٨/١

فحقيقة المروءة: بغض ذينك الداعيين وإجابة الداعي الثالث وقلة المروءة وعدمها: هو الاسترسال مع ذينك الداعيين والتوجه لدعوتهما أين كانت فالإنسانية والمروءة والفتوة: كلها في عصيان الداعيين وإجابة الداعي الثالث) (١).

---

(١) ((مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين)) (٢/ ٣٥١).." [(١)]

"الفرق بين المروءة وبعض الصفات

الفرق بين المروءة والفتوة:

قد يظن ظان أن المروءة والفتوة شيء واحد لا يختلفان في معناهما، وليس ذلك بصحيح، بل بينهما فرق واضح وهو أن المروءة أعم من الفتوة فالمروءة هي ما يتخلق به الإنسان مما يختص به في ذاته أو يتعدى إلى غيره، بينما الفتوة ما يتخلق به الإنسان ويكون متعديا إلى غيره.

قال ابن القيم رحمه الله: والفرق بينها وبين المروءة: (أن المروءة أعم منها فالفتوة نوع من أنواع المروءة فإن المروءة استعمال ما يجمل ويزين مما هو مختص بالعبد أو متعد إلى غيره وترك ما يدنس ويشين مما هو مختص أيضا به أو متعلق بغيره والفتوة إنما هي استعمال الأخلاق الكريمة مع الخلق) (١).

الفرق بين المروءة والعقل:

سئل بعض الحكماء عن الفرق بين العقل والمروءة فقال: (العقل يأمرك بالأنفع، والمروءة تأمرك بالأجمل) (٢).

---

(١) ((مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين)) (٢/ ٣٤٠).

(٢) ((أدب الدنيا والدين)) (ص٣٢٥).." [(٢)]

"أقوال السلف والعلماء في المروءة

- قال معاوية رضي الله عنه: (المروءة ترك الشهوات وعصيان الهوى) (١).

- وحكي أن معاوية سأل عمرا - رضي الله عنهما- عن المروءة؟ فقال: (تقوى الله تعالى وصلة الرحم. وسأل المغيرة؟ فقال: هي العفة عما حرم الله تعالى، والحرفة فيما أحل الله تعالى. وسأل يزيد؟ فقال: هي الصبر على البلوى، والشكر على النعمى، والعفو عند المقدرة فقال معاوية: أنت مني حقا) (٢).

- وروى أيضا عن ابن عمر - رضي الله عنهما - قال: (من مروءة الرجل نقاء ثوبه) (٣).

- وسأل الحسين أخاه الحسن عن المروءة فقال: (الدين وحسن اليقين) (٤).

- وسئل محمد بن علي عن المروءة فقال: (أن لا تعمل في السر عملا تستحي منه في العلانية) (٥).

- وقال علي بن الحسين: (من تمام المروءة خدمة الرجل ضيفه كما خدمهم أبونا إبراهيم الخليل بنفسه وأهله). (٦).

---

(١) موسوعة الأخلاق الإسلامية - الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ٢/ ٣٧

(٢) موسوعة الأخلاق الإسلامية - الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ٢/ ٣٨

- وقال عمر بن عبد العزيز: (ليس من المروءة أن تستخدم الضيف) (٧).

- وقال الأحنف بن قيس: (الكذوب لا حيلة له؛ والحسود لا راحة له؛ والبخيل لا مروءة له؛ والملول لا وفاء له؛ ولا يسود سيء الأخلاق؛ ومن المروءة إذا كان الرجل بخيلا أن يكتم ويتجمل) (٨).

- وسئل أيضا عن المروءة فقال: (صدق اللسان، ومواساة الإخوان، وذكر الله تعالى في كل مكان) (٩).

- وقال مرة: (العفة والحرفة) (١٠).

- وقال الماوردي: (اعلم أن من شواهد الفضل ودلائل الكرم المروءة التي هي حلية النفوس، وزينة الهمم) (١١).

- وقيل للبوشنجي شيخ خراسان: ما المروءة؟ قال: (إظهار الزي؛ قيل: فما **الفتوة؟** قال: طهارة السر) (١٢).

- وسئل بشر بن الحارث عن القناعة فقال: (لو لم يكن فيها إلا التمتع بعز الغنى لكان ذلك يجزي، ثم أنشأ يقول:

أفادتنا القناعة أي عز ... ولا عز أعز من القناعه

فخذ منها لنفسك رأس مال ... وصير بعدها التقوى بضاعه

تحز حالين تغنى عن بخيل ... وتسعد في الجنان بصبر ساعه

ثم قال: مروءة القناعة أشرف من مروءة البذل والعطاء) (١٣).

- وقال سفيان بن حسين: (قلت لإياس بن معاوية: ما المروءة؟ قال: أما في بلدك فالتقوى، وأما حيث لا تعرف فاللباس) (١٤).

- وقال الإمام أحمد - رضي الله عنه -: (يأكل بالسرور مع الإخوان، وبالإيثار مع الفقراء، وبالمروءة مع أبناء الدنيا) (١٥).

---

(١) ((غذاء الألباب)) للسفاريني (٢/ ٤٥٧).

(٢) ((المروءة)) للمرزبان (ص١٢٧)، و ((أدب الدنيا والدين)) للماوردي (٣٢١).

(٣) ((غذاء الألباب)) للسفاريني (٢/ ٢٥٩).

(٤) ((البصائر والذخائر)) لأبي حيان التوحيدي (١/ ٢٣١).

(٥) ((أدب الدنيا والدين)) (ص٣٣٤).

(٦) ((غذاء الألباب في شرح منظومة الآداب)) (٢/ ١٥١).

(٧) ((الإمتاع والمؤانسة)) (١/ ٣٤٢).

(٨) ((أمالي القالي)) (١/ ١١٠).

(٩) ((أدب الدنيا والدين)) (ص٣٤٣).

(١٠) ((تهذيب اللغة)) (١٥/ ٢٠٥).

(١١) ((أدب الدنيا والدين)) (ص٣٢٥).

(١٢) ((البصائر والذخائر)) (١/ ١٠٠ - ١٠١).

(١٣) ((غذاء الألباب في شرح منظومة الآداب)) (٢/ ٥٣٧)

(١٤) ((غذاء الألباب في شرح منظومة الآداب)) (٢/ ١٦٤).

(١٥) ((غذاء الألباب في شرح منظومة الآداب)) (٢/ ١٤٦).." [١]

"منذ ثلاثين سنة. قال: فكانوا يظنون أنه عيَّر رجلا بفقر. (١)، قال أبو سليمان الداراني (٢): وبلغه هذا فقال: قلَّت ذنوب القوم فعرفوا من أين أُتوا، وكثرت ذنوبنا فلم ندر من أين نؤتى (٣). وقال محمد بن سعد (٤): سألت الأنصاري عن سبب الدَّين الذي ركب محمد بن سيرين حتى حبس، قال: اشترى طعامًا بأربعين ألف، فأخبر عن أصل الطعام بشيء فكرهه أو تصدق به فحبس على المال، حبسته امرأة، وكان الذي حبسه مالك بن المنذر (٥).

* * *

---

(١) المرجع السابق، ص٦١٣.

(٢) عبد الرحمن بن أحمد أبو سليمان الداراني: الإمام زاهد العصر، ولد في حدود الأربعين ومئة، قال: لكل شيء علم وعلم الخذلان ترك البكاء، ولكل شيء صدأ وصدأ القلب الشبع، قال أحمد بن أبي الحواري: وسمعته يقول: لولا الليل لما أحببت البقاء في الدنيا، ولربما رأيت القلب يضحك ضحكًا. وعنه: **الفتوة** أن لا يراك الله حيث نهاك ولا يفقدك حيث أمرك. مات سنة خمس ومئتين. [السير للذهبي ١٠/ ١٨٢ - ١٨٦].

(٣) المرجع السابق، ص٦١٦.

(٤) محمد بن سعد بن منيع البغدادي: الحافظ العلامة الحجة، كاتب الواقدي ومصنف (الطبقات الكبرى) في بضعة عشر مجلدًا، ولد بعد الستين والمئة، وطلب العلم في صباه، ولحق الكبار، وكان من أوعية العلم، ومن نظر في (الطبقات) خضع لعلمه، توفي سنة ثلاثين ومئتين، قال: وكان كثير العلم كثير الحديث والرواية كثير الكتب؛ كتب الحديث والفقه والغريب. [السير للذهبي ١٠/ ٦٦٤ - ٦٦٧].

(٥) المرجع السابق.." [٢]

"أَيْنَ شُرْطَةُ الجَوَازَاتِ لِيُرَحِّلُواْ مَنِ انْتَهَتْ إِقَامَتُهُ في الْبِلاَد، وَيَسْتَعْرِضُ عَلَى ابْنِ الْبَلَدِ **الْفُتُوَّة**، وَتَمْتَدُّ يَدُهُ عَلَى رَجُلٍ كَبِيرٍ لاَ حَوْلَ لَهُ وَلاَ قُوَّة ..؟!

وَتَعْقِيباً مِنيِّ عَلَى تِلْكَ الحَادِثَةِ المُؤَثِّرَة؛ كَتَبْتُ هَذِهِ الْقَصِيدَةَ المُعَبِّرَة:." [٣]

---

(١) موسوعة الأخلاق الإسلامية - الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ٤٢/٢

(٢) من عجائب الدعاء - الجزء الثاني، الربعي، خالد ص/٨٠

(٣) موسوعة الرقائق والأدب - ياسر الحمداني، ياسر الحمداني ص/٢٧٠

"بِالتَّحَرُّشِ يَتَسَبَّبُونَ لَهُ فِي بَعْضِ الْمُضَايَقَة، إِلَى أَن وَصَلَ الأَمْرُ بِهَؤُلاَءِ الذِّئَاب؛ إِلَى التَّطَاوُلِ عَلَى الأُسْتَاذ مُحَمَّد عَبْد الْوَهَاب، أَيْنَ أَجْهِزَةُ الرَّقَابَةِ وَشُرْطَةُ الآدَاب، أَيْنَ هُمْ مِن أُوْلَئِكَ الأَوْغَاد، الَّذِينَ يَعِيثُونَ فِي الأَرْضِ الْفَسَاد، أَيْنَ شُرْطَةُ الجَوَازَاتِ لِيُرَحِّلُواْ مَنِ انْتَهَتْ إِقَامَتُهُ فِي الْبِلاَد، وَيَسْتَعْرِضُ عَلَى ابْنِ الْبَلَدِ **الْفُتُوَّة**، وَتَمْتَدُّ يَدُهُ عَلَى رَجُلٍ كَبِيرٍ لاَ حَوْلَ لَهُ وَلاَ قُوَّة ..؟!." (١)

"أو كثرة القصص والأخبار الدنيوية قليلة الفائدة والتي زاحم حفظها حفظ القرآن والسنة، فتجد أحدهم يحفظ مئات القصص والأخبار والاشعار التي لن تنفعه في الآخرة يوم عرض الأعمال، فتمنى الواحد زيادة حسنة أو نقص سيئة، ولكن هيهات، بل إنه ربما لا يحفظ جزءا من القرآن أو بعض الأحاديث أو شيئا من سيرة الرسول – صلى الله عليه وسلم – والصالحين في كل زمان ومكان.

٢ – بذل الشهادة لكل من طلبها دون تأكد أو تثبت، وربما كانت بمقابل مالي أو معنوي في غير حق وبر، بل ربما شهادة زور أو قول زور يختم به حياته بما يغضب الله، ويلحق بهذا المحذور: الأيمان الكاذبة (الغموس) على أمر من أمور الدنيا كبير أو صغير.

٣ – التصابي والتجمل المبالغ فيه، لدرجة الوقوع في محظورات شرعية كحلق اللحية أو التخفيف الشديد منها، أو الصبغ بالسواد وغيرها من الأمور التي لا تحسن بالشاب المسلم فكيف بالشيخ الكبير، ولينظر بأي حال يريد أن يلقى الله وهو عليه في هيئته ومنظره ومخبره، فإنه (يُبعث كل عبدٍ على ما ماتَ عليه) رواه مسلم.

قال هشام بن الحكم الثقفي: كان يقال: خمسة أشياء تقبح بالرجل: **الفتوة** في الشيوخ، والحرص في القراء، وقلة الحياء في ذوي الأحساب، والبخل في ذوي الأموال، والحدة في السلطان (١).

---

(١) شعب الإيمان (٦/ ٤٠).." (٢)

"آداب الأخوة

فتعالوا بنا نستعرض بعض آداب الأخوة التي ذكرها بعض أهل العلم، فمن آداب الأخوة: أولا: حسن الخلق، وقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن خير ما يعطى الإنسان خلق حسن، كما جاء في الحديث الصحيح الذي رواه أحمد وأبو داود وغيرهما، وأمر النبي صلى الله عليه وسلم بمخالطة الناس بالخلق الحسن، فقال صلى الله عليه وسلم: (وخالق الناس بخلق حسن) وهو اقتداء بالرسول صلى الله عليه وسلم.

ولا شك أن حسن الخلق يولد الأخوة ويؤلف الطباع.

ومن آداب الصحبة أيضا أن تعطي كل أحد من الذين تصاحبهم حقه على اختلاف طبقاتهم ومنازلهم، قال بعض أهل العلم: للمعاشرة أوجه، فللمشايخ والأكابر بالاحترام والخدمة والقيام بأشغالهم، وللأقران والأوصاف بالنصيحة وبذل الموجود،

---

(١) موسوعة الرقائق والأدب – ياسر الحمداني، ياسر الحمداني ص/٥٨٢٠

(٢) يا صاحب الستين، علي بن دعجم ص/٤٦

وللتلاميذ بالإرشاد والتأديب، والحمل على ما يوجبه العلم وآداب السنة.
ومن آداب الأخوة كذلك: الإغضاء عن العثرات، فعثرات الإخوان لا بد من حصولها، والصفح عنها من قيم الصاحب المؤمن، قال الفضيل بن عياض رحمه الله: "**الفتوة**: الصفح عن عثرات الإخوان" وكما يحب الإنسان أن يعامل إذا أخطأ بالصفح والتغافر فينبغي كذلك أن يعامل إخوانه، قال ابن الأعرابي: "تناس مساوئ الإخوان يدم لك ودهم ".
ولا شك أن الذين لا يتناسون عثرات إخوانهم يقعون في مأزق عندما يفقدونهم الواحد تلو الآخر، والله سبحانه وتعالى قال لنبيه صلى الله عليه وسلم: ﴿فاصفح الصفح الجميل﴾ [الحجر:٨٥] ما هو الصفح الجميل؟ الذي ليس فيه تقريع ولا تأنيب وإنما هو معاتبة للرفيق، والمؤمن يألف ويؤلف، ومن الأشياء التي تجعل الإنسان يؤلف أن يتغاضى عن عثرات إخوانه.
وكذلك من الآداب: ستر عيوب الإخوان وتحسين عيوبهم، فبعض الناس قد يجد في أخيه عيبا؛ فالموقف أن يحاول إصلاح عيبه، وأن يرشده إلى الطريقة التي به يقوم عيبه، ويستر عيوبهم؛ بمعنى أنه لا يشيعها ولا يتطلبها، ولذلك قال بعض السلف: المؤمن يطلب معاذير إخوانه، والمنافق يطلب عثرات إخوانه، وينبغي على الإنسان إذا أخطأ أخاه أن يلتمس له الأعذار الكثيرة، وإذا لم يقبل عذره فليتهم نفسه، كيف تطلب كل هذه الأعذار ثم لا تقبلها؟ ومن آداب الأخوة: أن يعاشر من يوثق بدينه وأمانته في الظاهر والباطن؛ لأن الله قال: ﴿لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله﴾ [المجادلة:٢٢] ولذلك لا خير في مصاحبة أهل الدنيا؛ لأن أهل الدنيا يدلون على طلبها وجمعها ومنعها، ولا شك أن هذا يبعد الإنسان عن سبيل النجاة، وإنما يعاشر أهل الخير ومن يدله على طلب الآخرة، ولذلك أوصى بعضهم صاحبا له يريد مفارقته بقوله: "عليك بصحبة من تسلم منه بظاهر أمرك، وتبعثك على الخير صحبته، ويذكرك الله رؤيته أي: رؤيته تذكرك بالله، هذا الذي تحرص على صحبته.
وكذلك من آداب الصحبة: ألا يحسد إخوانه على ما يراه من النعم عندهم، لأن الله سبحانه وتعالى قد فاوت بين العباد في الأرزاق والعطيات، والمواهب والأموال، ونحو ذلك، فينبغي على الأخ إذا آخى أخا له ألا يحسده على نعمة عنده، وأن يحمد الله سبحانه وتعالى أن وهبها الله لأخيه، والله عز وجل قال: ﴿أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله﴾ [النساء:٥٤] وقال النبي صلى الله عليه وسلم: (لا تحاسدوا).
وكذلك من آداب الصحبة: ألا يواجه أخا من إخوانه بما يكرهه، فإذا كان يكره أمرا معينا فلا يواجهه به، ما لم يكن في ذات تلك المواجهة مصلحة له أو نصيحة في الدين.
ومن آداب الصحبة: ملازمة الحياء مع الأخ، فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: (الحياء من الإيمان) وقال عليه الصلاة والسلام: (استحي من الله كما تستحي رجلا صالحا من قومك) بل استحي من الله أعظم مما تستحي من رجل صالح من قومك، لكن ضربه مثلا للتقريب.
وكذلك من آداب الأخوة: بشاشة الوجه، ولطف اللسان، وسعة القلب، وإسقاط الكبر.
ومن آداب الأخوة: ألا يصحب إلا عاقلا وعالما، وحليما تقيا فإن صاحب العقل مهم، بالإضافة إلى كونه صاحب دين.
وكذلك من آداب الأخوة: سلامة الصدر للإخوان والأصحاب، والنصيحة لهم، وقبول النصيحة منهم، وأن يكون كما قال

الله: ﴿إلا من أتى الله بقلب سليم﴾ [الشعراء:٨٩] وأن يكون صاحب صدر سليم؛ خال من الأحقاد والضغائن على إخوانه.

وكذلك من آداب الأخوة: ألا يخلف الإنسان وعده، إذا وعد أخاه لا يخلفه؛ لأن إخلاف الوعد من علامات النفاق كما قال صلى الله عليه وسلم: (آية المنافق ثلاث وذكر منها إذا وعد أخلف) وقال الثوري رحمه الله: "لا تعد أخاك موعدا فتخلفه فتستبدل المودة بغضه " يحل محل المودة البغض، وقال نصر المروزي رحمه الله:

يا واعد الوعد الذي أخلفا ما الخلف من سيرة أهل الوفا

ما كان ما أظهرت من ودنا إلا سراجا لاح ثم انطفا

ومن آداب الأخوة: أن يصحب من يستحي منه ويحتشمه وقال بعضهم: أحب الطاعات بمجالسة من يستحيا منه، وقالوا كذلك: ما أوقعني في بلية إلا صحبة من لا أحتشم، وما المقصود بصحبة من لا تحتشم أي: الذي لا تستحي أن تفعل أمامه من المنكرات ما شئت، هذا لا تصحبه، لأنك مهما فعلت من الأخطاء والمنكرات فإنك لا تشعر بالحشمة.

لا تحتشم أي: لا تقيم له وزنا، احرص على مصاحبة الشخص الذي تستحي من فعل أو قول المنكر أمامه، احرص على مصاحبة الشخص الذي تحتشم وتحرص على ألا يظهر منك عيب ولا خلل أمامه، لأن كثرة مصاحبة هؤلاء توجب للإنسان الابتعاد عن هذه السيئات، أما إذا صاحب أشخاصا من السفلة الذين لا يستحي أن يسمع أمامهم منكرا أو يقول أمامهم منكرا؛ فلا شك أن هذا سيجرؤه على المنكرات، بل ربما أعانوه عليها.

وكذلك من آداب الأخوة: أن يحفظ إخوانه فيما يصلحهم لا ما يريدونه، فإن الصاحب قد يريد منكرا أو يريد شرا فأنت لا تحرص على تلبية رغبته لأنه يريد منكرا، والمؤمن يعاشرك بالمعروف، ويدلك على صلاح دينك ودنياك، والمنافق يعاشرك بالممادحة ويدلك على ما تشتهيه، فهذا الفرق بين مصاحبة المؤمن ومصاحبة المنافق.

وكذلك من آداب الصحبة: ترك ما يؤذيه عموما بالمواجهة أو بغيرها، لأن الله سبحانه وتعالى يقول: ﴿والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتانا وإثما مبينا﴾ [الأحزاب:٥٨] ومن آداب الصحبة: أن تحب له ما تحب لنفسك، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: (لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه).

ومن آداب الصحبة: أن تحرص على ما يجلب المودة بينك وبينه كما قال عمر رضي الله عنه: [ثلاث يصفين لك ود أخيك: أن تسلم عليه إذا لقيته، وتوسع له في المجلس، وتدعوه بأحب الأسماء إليه].

ولا شك أن السلام من أسباب المحبة وإذا وسعت له في المجلس إذا دخل دل ذلك على قيمته عندك، وعلى حرصك على راحته، وعلى إكرامك له، والنفوس ترتاح لمن يكرمها، وإذا دعوته بأحب الأسماء إليه فإن ذلك أيضا من أسباب محبته لك، فإن النفوس لا ترد من يناديها باسم فيه عيب أو فيه نوع من السخرية.

وكذلك من آداب الأخوة: أن تحمل كلامه على أحسن الوجوه: فإذا وجدت لكلامه وجها حسنا فاحمله عليه، وضع أمر أخيك على أحسنه.

ومن آداب الأخوة: السؤال عن اسمه واسم أبيه وعن منزله، لئلا تقصر في حقه، فإنك إذا عرفت أسماء أقاربه كان ذلك

سببا في مودته، لأنك إذا عرفتهم في مناسبة أو مكان فأكرمتهم من أجله؛ فإن هذا من الأسباب التي تقوي العلاقة بينك وبينه، فإذا عرفت أن أباه فلان وأخاه فلان وابن عمه فلان وغير ذلك، وأن صديقه فلان، كان برك لهم من برك له.

وكذلك من آداب الأخوة: أن تلازم الأخوة ولا تقطعها ولا تمل منها، فإن بعض الناس يصاحبون الأشخاص لفترات قصيرة ثم يتركونهم، ويكون همه هو التعارف والمداخلة ثم الخروج وهكذا، والأخوة الحقيقة هي التي تدوم ويحرص الإنسان على الالتزام بها، لا تركها ومفارقتها، ولا شك أن أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قل، وقد قال بعضهم: ليس لملول صديق، والملول: الذي يمل من كل أحد فيعاشر معاشرة بسيطة ثم يترك ويستبدل بالإخوان آخرين، وهكذا، ثم يستغني عنهم، ويمل من مصاحبتهم، فلا شك أن الملول لا يدوم له أخ.

وكذلك من آداب الأخوة: ألا تقطع صديقا بعد إذ صادقته، ولا ترده بعد أن قبلته، قال الخليل بن أحمد: لا تواصلن صديقا إلا بعد تجربة، يعني: لا تصادق وتواصل إلا بعد تجربة، فإذا خبرته وسألت عنه وعرفت حاله فصاحبه وآخه، وإذا صادقته فلا تقاطعه، فمؤمن بلا صديق خير من مؤمن كثير الأعداء.

ولا شك أن الإخوان إذا قاطعهم الإنسان ربما انقلب بعضهم عدوا، ولذلك لا تصاحب صديقا إلا بعد تجربة، وإذا صاحبته فلا تقطعه؛ لأن من آداب الأخوة أن المؤمن إذا ظفر بأخ أو صديق لا يضيعه؛ لأن الأخوة والصداقة عزيزة، أي: أن الإخوان الذين عندهم الوفاء والصدق والبر قلة، فإذا ظفرت به فلا تتخل عنه ولا تقطعه، وكتب بعض الحكماء لصاحب له: استوحش ممن لا إخوان له، وأشد الناس تفريطا من وجد أخا ثم ضيعه بعد أن وجده، وإن وجدان الكبريت الأحمر أيسر من وجدان أخ، والكبريت الأحمر نوع خالص منه معروف يضرب به المثل لندرة وجوده، وإني لفي طلب الإخوان منذ خمسين سنة واعلم أن الناس ثلاث: معارف وأصدقاء وإخوان، فالمعارف بين الناس كثير، أي: من جهة المعارف قد يتعرف الإنسان على أشخاص كثيرين ويعرف أشخاصا كثيرين، لكن الأصدقاء من المعارف أقل، والصديق عزيز، والأخ قلما يوجد، فقد تتعرف على شخص، وقد تصادق أشخاصا في مكان العمل أو في فصل دراسي، والإخوان من هؤلاء الذين تصطفيهم بصفاتهم التي يؤمن جانبهم، وتأمن على نفسك إذا صادقتهم ندرة قلة." (١)

"((ثلاثة من العواقر: إمام إن أحسنت لم يشكر، وإن أسأت لم يغفر، وجار سوء إن رأى خيرا دفنه، وإن رأى شرا أذاعه، وامرأة إن حضرت آذتك، وإن غبت عنها خانتك)) (١).

ومن هنا ترتسم في مخيلة المسلم التقي الواعي صورة جار السوء البشعة، كما وصفها رسول الله – صلى الله عليه وسلم –، فإذا هو منها بعيد جد بعيد.

المسلم الحق يحذر من الوقوع في خطيئة مع جاره:

ويحذر المسلم الحق من الوقوع في إثم أو خطيئة مع جاره على وجه الخصوص؛ ذلك أن الإثم مع الجار أشد وقعا، وأفدح جريمة مع سواه، وذلك مصداق قول الرسول – صلى الله عليه وسلم – إذ سأل أصحابه عن الزنا، فقالوا: حرام، حرمه الله

---

(١) سلسلة الآداب – المنجد، محمد صالح المنجد ٣/٧

ورسوله، فقال:

((لأن يزني الرجل بعشر نسوة أيسر عليه من أن يزني بامرأة جاره)). وسألهم عن السرقة، فقالوا: حرام، حرمها الله عز وجل ورسوله، فقال: ((لأن يسرق من عشرة أهل أبيات أيسر عليه من أن يسرق من بيت جاره)) (٢).

إن للجار في الإسلام لحرمة مصونة، لم تعرفها قوانين الأخلاق، ولا شرائع البشر، بل إن تلك القوانين والشرائع الوضعية لتستمرئ العبث بحرمة الجار وعرضه، إذ غالبا ما يكون العبث بعرض الجار أسهل تناولا، وأقل كلفة، وأسنح فرصة من العبث بأعراض غيره. وما شاعت فينا تلك الأغاني المائعة التي تصف جار الشباك وغيره إلا حينما زايلتنا أخلاق الفتوة والإيمان، وغشيتنا غواش من ليل التقليد وموجات الغزو الفكري والحضاري، فبات الفتى الأرعن الرخيص فينا يتغنى بجارته ويتغزل بها، في

---

(١) رواه الطبراني، ورجاله ثقات.

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، ورجاله ثقات.." [1]

"أظهر أنه لم يرها؛ لئلا يعرض صاحبها للوحشة، ويريحه من تحمل العذر أمامه، ومن أحوج عدوه إلى الشفاعة، ولم يخجل من قيامه بين يديه معتذرا، لم يكن له في الفتوة نصيب.

والتغافل عن الزلات: أكمل وأرفع من الكتمان مع الرؤية، وينسى أذية من ناله بأذى ليصفو قلبه له، ولا يستوحش منه من آذاه.

ومن مكارم الأخلاق نسيان إحسانك إلى من أحسنت إليه، حتى كأنه لم يصدر منك، وهذا النسيان أكمل من الأول.

الثانية: أن تكرم من يؤذيك، وتقرب من يقصيك، وتعتذر إلى من يجني عليك، وتعطي من حرمك سماحة لا كظما، ومودة لا مصابرة، فتحسن إلى من أساء إليك، وتعامله بضد ما عاملك به، فتنقلب عداوته لك صداقة، وبغضه محبة، وأذاه إحسانا كما قال سبحانه: ﴿ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم (٣٤) وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم (٣٥)﴾ [فصلت: ٣٥،٣٤].

ومن أراد فهم هذه الدرجة فلينظر إلى سيرة النبي - صلى الله عليه وسلم - مع الناس، يجدها هذه بعينها، ولم يكن كمال هذه الدرجة لأحد سواه، ثم للناس منها بحسب إيمانهم ومجاهدتهم.

ومن مكارم الأخلاق أن ينزل العبد نفسه مع الناس منزلة الجاني لا المجني عليه، والجاني خليق بالعذر، والله سلطه عليك بذنبك.

وإذا علمت أنك بدأت بالجناية، فانتقم الله منك على يده كنت في الحقيقة أولى بالاعتذار، وتفعل هذا كله عن سماحة نفس، وانشراح صدر، لا عن كظم وضيق ومصابرة، فإن هذا دليل على أن هذا ليس في خلقك، وإنما هو تكلف يوشك أن يزول إذا فقد سببه.

---

(١) شخصية المسلم كما يصوغها الإسلام في الكتاب والسنة، محمد علي الهاشمي ص/١٢٨

الدرجة الثالثة: أن يسير العبد إلى الله على قدم اليقين، وطريق البصيرة والمشاهدة، ولا يتعلق في سيره بدليل، فهو لا يفتقر إلى دليل على وجود." (١)

"سبحان الله مقلب القلوب «١» . ففطن زيد، فقال: يا رسول الله، ائذن لي في طلاقها فإن فيها كبرا، تعظم علي وتؤذيني بلسانها، فقال النبي- صلى الله عليه وسلم-:

أمسك عليك زوجك واتق الله، ثم إن زيدا طلقها بعد ذلك، فأنزل الله- عز وجل- وإذ تقول

يا محمد للذي أنعم الله عليه بالإسلام وأنعمت عليه بالعتق وكان زيد أعرابيا في الجاهلية مولى في الإسلام فسبي فأصابه النبي- صلى الله عليه وسلم- فأعتقه أمسك عليك زوجك واتق الله وتخفي في نفسك

---

(١) جاء فى كتاب حياة محمد للدكتور محمد حسين هيكل، الفصل السابع عشر تحت عنوان «أزواج النبي» : ٣١٨، ٣١٩. «إن المبشرين والمستشرقين أطلقوا لخيالهم العنان فى تصوير الهوى الذي لعب بقلب رسول الله- صلى الله عليه وسلم- حين رأى زينب ممددة على فراشها فى ثياب نومها فعصف منظرها بقلبه. وأمثال هذه الصورة التي أبدعها الخيال الكثير. تراه فى موير وفى دو منجم وفى واشنطن أرفنج وفى لا منس وغيرهم من المستشرقين والمبشرين.

ومما يدعو إلى أشد الأسف أن هؤلاء جميعا اعتمدوا فى روايتهم على ما ورد فى بعض كتب السيرة والكثير من الحديث، ثم أقاموا على ما صوروا قصورا من الخيال فى شأن محمد وصلته بالمرأة......

والنبي لم يكن كما صور هؤلاء وأولئك، رجلا يأخذ بعقله الهوى وهو لم يتزوج من تزوج من نسائه بدافع من شهوة أو غرام، وإذا كان بعض الكتاب المسلمين فى بعض العصور قد أباحوا لأنفسهم أن يقولوا هذا القول، وأن يقدموا خصوم الإسلام عن حسن نية هذه الحجة فذلك لأنهم انحدر بهم التقليد إلى المادية فأرادوا أن يصوروا محمدا عظيما فى كل شيء، عظيما حتى فى شهوات الدنيا، وهذا تصوير خاطئ ينكره تاريخ محمد أشد إنكار. وتأبى حياته كلها أن تقره.

فالنبي قد تزوج خديجة وهو فى الثالثة والعشرين من عمره وهو فى شرخ الصبا وريعان الفتوة ومع ذلك ظلت خديجة وحدها زوجة ثمانيا وعشرين سنة حتى تخطى الخمسين.

فمن غير الطبيعي أن تراه وقد تخطى الخمسين ينقلب فجأة هذا الانقلاب الذي يجعله ما يكاد يرى زينب بنت جحش، وعنده نساء خمس غيرها، حتى يفتن بها وحتى تستغرق تفكيره ليله ونهاره ...

إنها صورة لا تلبق فى ضعتها برجل مادي، عظيم استطاعت رسالته أن تنقل العالم وأن تغير مجرى التاريخ، وما تزال على استعداد لأن تنقل العالم مرة أخرى وتفسير مجرى التاريخ طورا جديد» [.....]

.." (٢)

---

(١) موسوعة فقه القلوب، التويجري، محمد بن إبراهيم ٢٦٥٠/٣

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان مقاتل ٤٩٤/٣

"فخرج أبو محمد وقد أبرمه بتثقيله، وحرمه رواحه ومقيله، فلقي ابن خيرون منتظرا له، وقد أعد لحضوره منزله، فصار إلى مجلس قد ابتسمت ثغور نواره، وخجلت خدود ورده من زواره، وأبدت صدور أباريقه أسرارها، وضمت عليه المحاسن أزرارها، ولما حضر له وقت الأنس وحينه، وأرجت له رياحينه، وجه من يرقب المتوكل حتى يقوم جليسه، ويزول موحشه لا أنيسه، فأقام رسوله وهو بمكانه لا يريمه، وقد لازمه كأنه غريمه، فما انفصل، حتى ظن أن عارض الليل قد نصل، فلما عام أبو محمد بانفصاله بعث إلى المتوكل بقطيع خمر وطبق ورد وكتب معهما: رجز

إليكها فاجتلها منيرة ... وقد خبا حتى الشهاب الثاقب

وافقة بالباب لم يؤذن لها ... إلا وقد كاد ينام الحاجب

فبعضها من المخاف جامد ... وبعضها من الحياء ذائب

فقبلها رحمه الله وكتب إليه: رجز

قد وصلت تلك التي زففتها ... بكرا وقد شاب لها ذوائب

فهب حتى نسترد ذاهبا ... من أنسنا أن استرد ذاهب

فركب إليه، ونقل معه ما كان بالمجلس بين يديه، وباتا ليلتهما لا يريمان السهر، ولا يشيمان برقا إلا الكاس والزهر، وأخبرني ابن زرقون أنه حضر مجلس راح، ومكنس ضباء وأفراح، وفيه جماعة منهم الوزير أبو بكر بن القبطرنة شيخ الفتوة، ومعرض فتياتها المجلوة، ومعهم سعد ابن المتوكل وهو غلام ما نضا عنه الشباب بردة، ولا اذوي ياسمينة ولا وردة، وكان الوزير أبو بكر وأخواه أبو محمد وأبو الحسن مختصين بالفضل أخيه اختصاص الأنوار بالكمائم، واللبات بالتمائم، فتذاكروا فقه، وكيف شفى عليه الزمان حقه، ووصفوا صرعته، وأوقدوا لوعته، والمدام قد روقت دمعه، وشوقت لأحاديثه سمعه، فهاج شجوه، وبان طربه ولهوه، وأرسل مدامعه سجالا، وقال ارتجالا: كامل

يا سعد ساعدني ولست بخيلا ... وامنن بها خمرا تفيض همولا

وأحبس علي دموع عينك ساعة ... وأبرد بها مما ألم غليلا

أن يصبح الفضل القتيل فإنني ... أصبحت من وجدي به مقتولا

كم قد وفيتم والحمام بمهجتي ... وحملت شول علائكم معقولا." (١)

"أيام أعقد ناظري ... بذلك المرأى الوسيم

فارى الفتوة غضة ... في ثوب أواه حليم

الله يعلم أن حب ... بك من فؤادي في الصميم

ولئن تحمل عنك في ... جسم فعن قلب مقيم

---

(١) قلائد العقيان الفتح بن خاقان، أبو محمد ص/٤٤

ثم السلام تبلغن ... نه بقلب مهديه السليم

وفي أيام مقامه ببلنسية وتشوقه إلى ولادة قال: طويل

غريب بأرض الشرق يشكر للصبا ... تحملها منه السلام إلى الغرب

وما ضر أنفاس الصبا في احتمالها ... سلام فتى يهديه جسم إلى قلب

وفي نكبته وقعود أبي الحزم عن إقالته من كبوته، يقول يعاتبه من قصيدة وقد بلغه أنه سعى به إليه فقال: طويل

أبا الحزم إني في عتابك مائل ... إلى جانب تلوي إليه العلى سهل

حمائم شكوى صبحتك هوادلا ... تناديك من أفنان آدابي الهدل

جواد إذا استن الجياد إلى مدى ... تمطر فاستولى على أمد الخصل

ثوى صافنا في مربط الهون يشتكي ... بتصهاله ما ناله من أذى الشكل

وإني لتنهاني نهاي عن التي ... أشار بها الواشي ويعقلني عقلي

أأنفض فيك المدح من بعد قوة ... فلا اقتدي بي إلا بناقضة الغزل

هي النعل زلت بي فهل أنت مكذب ... لقيل الأعادي إنها زلة الحسل

ألا إن ظني بين فعليك واقف ... وقوف الهوى بين القطيعة والوصل

وألا جنيت الأنس من وحشة النوى ... وهول السرى بين المطية والرحل

وأين جواب منك ترضى به العلى ... إذا سألتني عنك السنة الحفل

وله عند ثقافة، وفقد الوفاء من الآفة، يخاطب أبا حفص بن برد وقد حار ولم يجد هاديا، وصار رهينا لا يرجو فاديا، وعلم أن الناس متقلبون، وعلى من انقلب الدهر منقلبون، لا يدنيهم في الشدة إخاء، ولا يثنيهم عن ذي الحظوة زهو ولا انتخاء، رمل مجزوء

ما على ظني باس ... يجرح الدهر وياسو

ربما أشرف بالمر ... على الأمال ياس

ولقد ينجيك إغفا ... ل ويؤذيك احتراس

ولكم أجدى قعود ... ولكم أكدى التماس." (١)

"دع عنك ما خلدت يونان من حكم ... وسار في حكماء الفرس من مثل

وانظر إليها تجدها أحرزت سبقا ... في الجهد منها وحاز السبق في مهل

وله يتعزل: طويل

---

(١) قلائد العقيان الفتح بن خاقان، أبو محمد ص/٧٥

وهيفاء يحكيها القضيب تاودا ... إذا ما انثنت في الريط أو حبراتها

يضيق الأزار الرحب عن ردفها كما ... تضيق بها الأحشاء عن زفراتها

وما ظبية غذ ما تالف وجرة ... ترود ظلال الغيل أو أثلاتها

بأحسن منها يوم أومت بلحظها ... إلينا ولم تنطق حذار وشاتها

الوزير الكاتب أبو بكر بن قزمان رحمة الله تعالى

مبرز في البيان ومحرز الخصل عند تسابق الأعيان، اشتمل عليه المتوكل اشتمالا أرقاه إلى مجالس، وكساه ملابس، فاقتطع أسمى الرتب وتبواها، ونال أسنى الحظوظ وما تملاها، فإن دهره كر عليه بخطوبه، وسفر له عن قطوبه، فكدر عيشه بعدما صفا، وقلص برده الذي كان صفا، وتجرع آخر عمره من كوس الذل أبشعها ذوقا، ولبس من ملابس الهوان أشواهها طوقا، في قصة أساء بها ابن حمدين وما أجمل وجاء بها شوهاء لا تتأمل، وأخلاقه هي التي فلت من غربه، وكانت سبب لطول كربه، فإنها كانت تحتدم في جوانحه احتدام القيظ، تكاد تتميز من الغيظ، وكان رحمه الله ظاهر الصواب، متى نبس، طاهر الأثواب، من كل دنس، معجزا ببيانه، موجزا في كل أحيانه، وقد أثبت له ما تعلم به حقيقة قدره، وتعزف كيف أساء الزمان إليه بغدره، فمن ذلك قوله: كامل

ركبوا السيول من الخيول وركبوا ... فوق العوالي السمر زرق نطاف

وتجللوا الغدران من ماذيهم ... مرتجة إلا على الأكتاف

الوزير الكاتب أبو بكر بن الملح

حل كنفي العلم والعليا، وأخذ بطرفي الدين والدنيا، فهصر أفنان **الفتوة**، واقتصر برهة على أجتلاء غرر الأماني المجلوة، لم يتأنس بها إلا بنشوة، ولم يتنفس فيها إلا عن صبوة، ولا طاف مدتها بركن استتار، ولا عاف مورد استهتار، والدين يلحظه بطرف كلف، وقلب عليه مؤتلف، إلى أن أقصر باطله، وأستبصر مسوفه ومماطله، فعري من ذلك اللبوس، وبرئ من تلك الكؤس، وأصبح ثاني الأكابر، وراقي أعواد المنابر، وقد أثبت له ما يستجاد، ويرتاد له تهائم ونجاد،." (١)

"القاضي، والسم الذعاف. وإن كنا طلائع فكلنا يقوم مقام أمير الجيش. نقاتل بالليل كما نقاتل بالنهار، ونقاتل في الماء كما نقاتل على الأرض، ونقاتل في القرية كما نقاتل في المحلة.

ونحن أفتك وأخشب، ونحن أقطع للطريق وأذكر في الثغور، مع حسن القدود وجودة الخرط ومقادير اللحى، وحسن العمة، والنفس المرة. وأصحاب الباطل **والفتوة**، ثم الخط والكتابة، والفقه والرواية.

ولنا بغداد بأسرها، تسكن ما سكنا، وتتحرك ما تحركنا. والدنيا كلها معلقة بها، وصائرة إلى معناها. فإذا كان هذا أمرها

---

(١) قلائد العقيان الفتح بن خاقان، أبو محمد ص/١٨٦

وقدرها فجميع الدنيا تبع لها. وكذلك أهلها لأهلها، وفتاكها لفتاكها، وخلاعها لخلاعها، ورؤساؤها لرؤسائها، وصلحاؤها لصلحائها.

ونحن بعد تربية الخلفاء، وجيران الوزراء، ولدنا في أفنية ملوكنا، ونحن أجنحة خلفائنا، فأخذنا بآثارهم، واحتذينا على مثالهم، فلسنا نعرف سواهم، ولا نعرف بغيرهم، ولا يطمع فينا أحد قط من خطاب ملكهم، وممن يترشح للاعتراض عليهم. فمن أحق بالأثرة، وأولى بالقرب في المنزلة ممن هذه الخصال فيه، وهذه الخلال له.." (١)

"ووجدنا لكل دهر دولة للمغنين يحملون الغناء عنهم، ويطارحون به فتيان زمانهم، وجواري عصرهم. وكان يكون في كل وقت من الأوقات قوم يتنادمون، ويستحسنون الغناء، ويميزون رديه من جيده، وصوابه من خطائه، ويجمعون إلى ذلك محاسن كثيرة في آدابهم وأخلاقهم، وروائهم وهيئاتهم، فلم نجد هذه الطبقة ذكروا. ووجدنا ذكر الغناء وأهله باقيا.

وخصصنا في أيامنا وزماننا بفتية أشراف، وخلان نظاف، انتظم لهم من آلات **الفتوة** وأسباب المروءة ما كان محجوبا عن غيرهم، معدوما من سواهم، فحملني الكلف والمودة لهم والسرور بتخليد فخرهم وتشييد ذكرهم والحرص على تقويم أود ذي الأود منهم حتى يلحق بأهل الكمال في صناعته، والفضل في معرفته، على تمييز طبقة طبقة منهم، وتسمية أهل كل طبقة بأوصافهم، وآلاتهم وأدواتهم، والمذاهب التي نسبوا إليها أنفسهم، واحتملهم إخوانهم عليها. وخلطنا جدا بهزل، ومزجنا تقريعا بتعريض، ولم نرد بأحد مما سمينا سوءا، ولا تعمدنا نقدا ولا تجاوزنا حدا.

ولو استعملنا غير الصدق لفضلنا قوما وحابينا آخرين. ولم نفعل." (٢)

"ذلك؛ تجنبا للحيف، وقصدا للإنصاف. وقد نعلم أن كثيرا منهم سيبالغ في الذم، ويحتفل في الشتم، ويذهب في ذلك غير مذهبنا.

وما أيسر ذلك فيما يجب من حقوق الفتيان وتفكيههم، والله حسيب من ظلم، عليه نتوكل وبه نستعين، وهو رب العرش العظيم.

ولم نقصد في وصف من وصفنا من الطبقات التي صنفنا منهم، إلا لمن أدركنا من أهل زماننا ممن حصل بمدينة السلام، إذ من خرج عنها ونزع إلى **الفتوة** بعد التوبة، وإلى أخلاق الحداثة بعد الحنكة، وذلك في سنة خمس عشرة ومائتين. فرحم الله أمرا أحسن في ذلك أمرنا، وحذا فيه حذونا، ولم يعجل إلى ذمنا، ودعا بالمغفرة والرحمة لنا.

وقد تركنا في كل باب من الأبواب التي صنفنا في كتابنا، فرجا لزيادة إن زادت، ولاحقة إن لحقت، أو نابتة إن نبتت. ومن عسى أن ينتقل به الحذق من مرتبته إلى ما هو أعلى منها، أو يعجز به القصور عما هو عليه منها إلى ما هو دونها، إلى مكانه الذي إليه نقله ارتفاع درجة أو انحطاطها، ومن لعلنا نصير إلى ذكره ممن." (٣)

---

(١) الرسائل للجاحظ الجاحظ ٢٨/١

(٢) الرسائل للجاحظ الجاحظ ١٣٣/٣

(٣) الرسائل للجاحظ الجاحظ ١٣٤/٣

"ونحن أفتك وأخشب. ونحن أقطع للطريق، وأذكر في الثغور، مع حسن القدود، وجودة الخرط، ومقادير اللحى، وحسن العمة، والنفس المرة، وأصحاب الباطل **والفتوة**، ثم الخط والكتابة، والفقه والرواية.

ولنا بغداد بأسرها، تسكن ما سكنا، وتتحرك ما تحركنا. والدنيا كلها معلقة بها، وصائرة إلى مغناها، فإذا كان هذا أمرها وقدرها فجميع الدنيا تبع لها، وكذلك أهلها لأهلها، وفتاكها لفتاكها، وخلاعها لخلاعها، ورؤساؤها لرؤسائها، وصلحاؤها لصلحائها.

ونحن تربية الخلفاء، وجيران الوزراء، ولدنا في أفنية ملوكنا، ونحن أجنحة خلفائنا، فأخذنا بآدابهم، واحتذينا على مثالهم، فلسنا نعرف سواهم، ولا نتهم بغيرهم، ولم يطمع فينا أحد قط من خطاب ملكهم، وممن يترشح للاعتراض عليهم. فمن أحق بالأثرة، وأولى بالقرب في المنزلة ممن هذه الخصال فيه، وهذه الخلال له.

إن ذهبنا – حفظك الله – بعقب هذه الاحتجاجات، وعند منقطع." (١)

"عند أبواب النقب. ولنا المواجأة في الأزقة، والصبر على قتال السجون.

فسل عن ذلك الخليدية، والكتفية، والبلالية، والخريبية. ونحن أصحاب المكابدات وأرباب البيات، وقتل الناس جهارا في الأسواق والطرقات.

ونحن نجمع بين السلة والمزاحفة. ونحن أصحاب القنا الطوال ما كنا رجالة، والمطارد القصار ما كنا فرسانا. فإن صرنا كمنا فالحتف القاضي، والسم الذعاف. وإن كنا طلائع فكلنا يقوم مقام أمير الجيش. نقاتل بالليل كما نقاتل بالنهار، ونقاتل في الماء كما نقاتل على الأرض، ونقاتل في القرية كما نقاتل في المحلة.

ونحن أفتك وأخشب، ونحن أقطع للطريق وأذكر في الثغور، مع حسن القدود وجودة الخطر ومقادير اللحى، وحسن العمة، والنفس المرة.

وأصحاب الباطل **والفتوة**، ثم الخط والكتابة، والفقه والرواية.

ولنا بغداد باسرها، تسكن ما سكنا، وتتحرك ما تحركنا. والدنيا كلها معلقة بها، وصائرة الى معناها. فإذا كان هذا أمرها وقدرها فجميع الدنيا تبع لها] . وكذلك أهلها لأهلها، وفتاكها لفتاكها، وخلاعها لخلاعها، ورؤساؤها لرؤسائها، وصلحاؤها لصلحائها.

ونحن بعد تربية الخلفاء، وجيران الوزراء، ولدنا في أفنية ملوكنا، ونحن أجنحة خلفائنا؛ فأخذنا بآثارهم واحتذينا على مثالهم، فلسنا نعرف سواهم، ولا نعرف بغيرهم، ولا يطمع فينا أحد قط من خطاب ملكهم، وممن يترشح للاعتراض عليهم. فمن أحق بالأثرة، وأولى بالقرب في المنزلة ممن هذه الخصال فيه، وهذه الخلال له.

[١١- الغاية من وضع الكتاب]

إن ذهبنا حفظك الله بعقب هذه الاحتجاجات، وعند مقطع هذه." (٢)

---

(١) الرسائل للجاحظ الجاحظ ١٨٨/٣

(٢) الرسائل السياسية الجاحظ ص/٤٨٦

"صدرا «١» ، أظهر الفتور والتشاغل والتنقر كالشبعان الممتلىء «٢» . وهو في ذلك غير رافع يده ولا قاطع أكله. إنما هو النتف بعد النتف، وتعليق اليد في خلل ذلك. فلا بد من أن ينقبض بعضهم ويرفع يده، ربما شمل ذلك جماعتهم. فإذا علم أنه قد أحرزهم واحتال لهم، حتى يقلعهم من مواضعهم من حول الخوان، «٣» ويعيدهم الى مواضعهم من مجالسهم، ابتدأ الأكل، فأكل أكل الجائع المقرور «٤» وقال: «إنما الأكل تارات والشرب تارات» .

وكان كثيرا ما يقول لأصحابه إذا بكروا عليه: لم لا نشرب أقداحا على الريق؟ فإنها تقتل الديدان، وتخفش «٥» لأنفسنا قليلا، فإنها تأتي على جميع الفضول، وتشهي الطعام بعد ساعة. وسكره أطيب من سكر «٦» الكظة «٧» . والشارب على الملأة بلاء «٨» ، وهو بعد ذلك دليل على أنك نبيذي خالص. ومن لم يشرب على الريق فهو نكس «٩» في الفتوة ودعي «١٠» في أصحاب النبيذ. وإنما يخاف على كبده من سورة الشراب على الريق، من بعد عهده باللحم. وهذه الصبحة «١١» تغسل عنكم الأوضار «١٢» ، وتنفي التخم، وليس دواء الخمار إلا الشرب بالكبار.." (١)

"فنودي عليها، فبلغت مائة ألف دينار، فبعث حسان أثمانها، وقال: «يا أمير المؤمنين، قد طابت الآن، هذه مائة ألف دينار تحمل إلى بيت المال، فأقبل هديتي» ؛ فقبلها، ونادى على مناديه حسان، سيد موالي أمير المؤمنين: «قد طابت الآن هذه» .

واستملح المأمون من أبي سلمة ذكر هدية لطيفة، قال: أهدي إلى أمير المؤمنين خوانا من جزع، ميلا في ميل، فقال المأمون: «أو قبضت الهدية» ؟ قال: «نعم» . قال: «أفهي في داري أم داري فيها» ؟ قال: «بل هي في منديل» . فدعا بهديته، فإذا خوان من جزع عليه ميل من ذهب، وقد صنع من مائة مثقال بطول الخوان وعرضه، فاستملحه وقبله.

وأهدت أسماء بنت داود إلى أسماء بنت المنصور مائة مركن من فضة، فيها أنواع اللخالخ والريحان المطيب، ومائة جفنة مطيبة، وأنواع من الأطعمة والأشربة، وعشرا من الوصائف في قد واحد، فقومت هديتها، فبلغت خمسين ألف دينار.

وبعث الحسن بن وهب إلى المتوكل بجام من ذهب، فيه ألف مثقال من العنبر، وكتب إليه:

يا إمام الهدى، سعدت من ال ... دهر بركن من الإله، عزيز

وبظل من النعيم مديد، ... ويحرز من الليالي، حريز

لا تزل ألف حجة مهرجان ... أنت تفضي به إلى النيروز

ونعيم ألذ من نظر المعشو ... ق، من بعد نبوة ونشوز

قال خالد المهلبي: «أهديت إلى المتوكل في يوم نيروز ثوب وشي منسوج بالذهب، ومشمة عنبر، عليها فصوص جوهر مشبك بالذهب، ودرعا مضاعفة، وخشبة بخور نحو القامة، وثوبا بغداديا يقطع ثوبا. فأعجبه حسنه، ثم دعا به، فلبسه،

---

(١) البخلاء للجاحظ الجاحظ ص/١٣٥

وقال: «يا مهلبي، إنما لبسته لأسرك به» ، فقلت: «يا أمير المؤمنين، لو كنت سوقة لوجب على الفتيان تعلم الفتوة منك، فكيف وأنت سيد الناس، وأحسن من جميع ما تقدم ذكره، قول عبد." (١)

"إلا كل مبرز في الفطنة ومتمهل في العزيمة، طويل التجارب، فاضل العقل على قوى الشهوات. وبئس الشيء القرين السوء. وقالوا: صاحب السوء قطعة من النار.

وباب من هذا الشكل، فبكم أعظم حاجة إلى أن تعرفوه وتقفوا عنده، وهو ما يصنع الخبر السابق إلى السمع، ولا سيما إذا صادف من السامع قلة تجربة، فإن قرن بين قلة التجربة وقلة التحفظ، دخل ذلك الخبر السابق إلى مستقره دخولا سهلا، وصادف موضعا وطيئا، وطبيعة قابلة، ونفسا ساكنة؛ ومتى صادف القلب كذلك، رسخ رسوخا لا حيلة في إزالته. ومتى ألقي إلى الفتيان شيء من أمور الفتيات، في وقت الغرارة، وعند غلبة الطبيعة، وشباب الشهوة، وقلة التشاغل؛ وكذلك متى ألقي إلى الفتيان شيء من أمورهن وأمور الغلمان، وهناك سكر الشباب، فكذلك تكون حالهم. وإن الشطار ليخلو أحدهم بالغلام الغرير فيقول له: لا يكون الغلام فتى أبدا حتى يصادق فتى وإلا فهو تكش، والتكش عندهم الذي لم يؤدبه فتى ولم يخرجه، فما الماء العذب البارد، بأسرع في طباع العطشان، من كلمته، إذا كان للغلام أدنى هوى في الفتوة، وأدنى داعية إلى المنالة. وكذلك إذا خلت العجوز المدربة بالجارية الحدثة كيف تخلبها. وأنشدنا: [من الخفيف]

فأتتها طبة عالمة ... تخلط الجد بأصناف اللعب

ترفع الصوت إذا لانت لها ... وتناهى عند سورات الغضب

وقال الشاعر فيما يشبه وقوع الخبر السابق إلى القلب: [من الكامل]

نقل فؤادك حيث شئت من الهوى ... ما الحب إلا للحبيب الأول «١»

كم منزل في الأرض يألفه الفتى ... وحنينه أبدا لأول منزل

وقال مجنون بني عامر: [من الطويل]

أتاني هواها قبل أن أعرف الهوى ... فصادف قلبا خاليا فتمكنا «٢»

١٣٥-[ما يدعو إلى الفساد]

وباب آخر مما يدعو إلى الفساد، وهو طول وقوع البصر على الإنسان الذي في طبعه أدنى قابل، وأدنى حركة عند مثله. وطول التداني، وكثرة الرؤية هما أصل." (٢)

"وصنع كثير من أهل زمانه أغاني كثيرة بهاجس طبعهم والاتباع لمن سبقهم، فبعض أصاب وجه صوابه، وبعض أخطأ، وبعض قصر في بعض وأحسن في بعض.

[٤- طبقات المغنين في عصر الجاحظ]

ووجدنا لكل دهر دولة للمغنين يحملون الغناء عنهم، ويطارحون به فتيان زمانهم، وجواري عصرهم. وكان يكون في كل

---

(١) المحاسن والأضداد الجاحظ ص/٣٢٢

(٢) الحيوان الجاحظ ١١١/١

وقت من الأوقات قوم يتنادمون، ويستحسنون الغناء، ويميزون رديه من جيده، وصوابه من خطائه، ويجمعون إلى ذلك محاسن كثيرة في آدابهم وأخلاقهم، وروائهم وهيئاتهم، فلم نجد هذه الطبقة ذكروا. ووجدنا ذكر الغناء وأهله باقيا.

وخصصنا في أيامنا وزماننا بفتية أشراف، وخلان نظاف، انتظم لهم من آلات **الفتوة** وأسباب المروءة ما كان محجوبا عن غيرهم، معدوما من سواهم، فحملني الكلف والمودة لهم والسرور بتخليد فخرهم وتشييد ذكرهم والحرص على تقويم أود ذي الأود منهم حتى يلحق بأهل الكمال في صناعته، والفضل في معرفته، على تمييز طبقة [على] طبقة منهم، وتسمية أهل كل طبقة بأوصافهم، وآلاتهم وأدواتهم، والمذاهب التي نسبوا إليها أنفسهم، واحتملهم إخوانهم عليها. وخلطنا جدا بهزل، ومزجنا تقريعا بتعريض، ولم نرد بأحد ممن سمينا سوءا، ولا تعمدنا نقدا ولا تجاوزنا حدا.

ولو استعملنا غير الصدق لفضلنا قوما وحابينا آخرين. ولم نفعل ذلك؛ تجنبا للحيف، وقصدا للإنصاف. وقد نعلم أن كثيرا منهم سيبالغ في الذم، ويحتفل في الشتم، ويذهب في ذلك غير مذهبنا.

وما أيسر ذلك فيما يجب من حقوق الفتيان وتفكيههم، والله حسيب من ظلم، عليه نتوكل وبه نستعين، وهو رب العرش العظيم.." (١)

"ولم نقصد في وصف من وصفنا من الطبقات التي صنفنا منهم، إلا لمن أدركنا من أهل زماننا ممن حصل بمدينة السلام، إذ من خرج عنها ونزع إلى **الفتوة** بعد التوبة، وإلى أخلاق الحداثة بعد الحنكة، وذلك في سنة خمس عشرة ومائتين. فرحم الله امرأ أحسن في ذلك أمرنا، وحذا فيه حذونا، ولم يعجل إلى ذمنا، ودعا بالمغفرة والرحمة لنا.

[٥- طريقة تأليف الكتاب]

وقد تركنا في كل باب من الأبواب التي صنفنا في كتابنا، فرجا لزيادة إن زادت، ولاحقة إن لحقت، أو نابتة إن نبتت. ومن عسى أن ينتقل به الحذق من مرتبته إلى ما هو أعلى منها، أو يعجز به القصور عما هو عليه منها إلى ما هو دونها، إلى مكانه الذي إليه نقله ارتفاع درجة أو انحطاطها، ومن لعلنا نصير إلى ذكره ممن عزب عنا ذكره، وأنسينا اسمه، ولم يحط علمنا به، فنصيره في موضعه، ونلحقه بأصحابه.

وليس لأحد أن يثبت شيئا من هذه الأصناف إلا بعلمنا، ولا يستبد بأمر فيه دوننا. ويورد ذلك علينا فنمتحنه، ونعرفه بما عنده، ويصير إلى ترتيبه في المرتبة التي يستحقها، والطبقة التي يحتملها.

[٦- الاحتياط من العيب]

فلما استتب لنا الفراغ مما أردنا من ذلك خطر ببالنا كثرة العيابين من الجهال برب العالمين، فلم نأمن أن يسرعوا بسفه رأيهم وخفة أحلامهم إلى نقض كتابنا وتبديله، وتحريفه عن مواضعه، وإزالته عن أماكنه التي عليها رسمنا، وأن يقول كل امرىء منهم في ذلك على حاله، وبقدر هواه ورأيه،." (٢)

---

(١) الرسائل الأدبية الجاحظ ص/٢١٩

(٢) الرسائل الأدبية الجاحظ ص/٢٢٠

"قال الفراء: وقولهم " العصي " و " الحقي " بالياء؛ لأنهم يجتمعون ما بين الثلاثة منه إلى العشر بالياء، فيقال " ثلاث أدل " و " عشرة أحق " و " عشر أعص " فبنوا الكثير على ذلك.

قال: وقولهم " الفتوة " بالواو وأصلها الياء، وهي مصدر من مصادر الياء شاذ حمل على مصادر الواو، وهو قولك " أب بين الأبوة " و " أخ بين الأخوة " و " رخو بين الرخوة "، فلما حملت افتوة على مصادر الواو جعلت بالواو، كما حملت " الشروى " – وهو المثل – على الواو؛ إذ أشبهت مصادر الواو مثل دعوى ونجوى، قال: ثم جمعوا الفتى " فتوا " على ذلك بالواو، وكان القياس " فتى ".

قال: ولم نجد ياء بعدها واو غير مهموزة في الأسماء إلا في " يوم " قال: ولا يقال من يوم فعلت ولا يفعل.." (١)

"يغشون حتى ما تهر كلابهم ... لا يسألون عن السواد المقبل

وابن مارية هو الحارث الأعرج بن أبي شمر الغسانى. وكان أثيرا عندهم، ولذلك يقول:

قد أرانى هناك حق مكين ... عند ذى الناج مقعدى ومكانى

٥٢٦* ولما سار جبلة بن الأيهم إلى بلاد الروم ورد على ملك الروم رسول معاوية، فسأله جبلة عن حسان، فقال له: شيخ كبير قد عمى، فدفع إليه ألف دينار، وقال: ادفعها إلى حسان. قال: فلما قدمت المدينة ودخلت مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم رأيت فيه حسان بن ثابت، فقلت له: صديقك جبلة يقرأ عليك السلام، قال: فهات ما معك، فقلت: يا أبا الوليد كيف علمت؟

قال: ما جاءتنى منه رسالة قط إلا ومعها شيء. هذا فى بعض الروايات.

٥٢٧* قال: وحدثنى ابن أخى الأصمعى عن الأصمعى عن أهل المدينة قال: بعث الغسانى إلى حسان بخمس مائة دينار وكسى، وقال للرسول: إن وجدته قد مات فابسط هذه الثياب على قبره واشتر بهذه الدنانير إبلا فانحرها على قبره، فجاء فوجده حيا فأخبره، فقال: لوددت أنك وجدتنى ميتا!! ٥٢٨* قال بعض أهل المدينة: ما ذكرت بيت حسان إلا عدت فى الفتوة، (وهو قوله) :

أهوى حديث الندمان فى فلق الص ... بح وصوت المغرد الغرد [١]

٥٢٩* وولد لحسان عبد الرحمن، من أخت مارية أم إبرهيم ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكانت تسمى سيرين. وكان عبد الرحمن بن حسان شاعرا. وكان له ابن يقال له سعيد بن عبد الرحمن.

٥٣٠* وكانت لحسان بنت شاعرة، وأرق حسان ذات ليلة فعن له الشعر

---

[١] الندمان: النديم.." (٢)

---

(١) أدب الكاتب = أدب الكتاب لابن قتيبة الدِّينَوري، ابن قتيبة ص/٦٠٦

(٢) الشعر والشعراء الدِّينَوري، ابن قتيبة ٢٩٧/١

"خليلان الأموي يغني لأمير البصرة

وحدثني عبد الصمد بن المعذل، قال: كان خليلان١ الأموي يتغنى، ويرى ذاك زائدا في **الفتوة**. وكان خليلان شريفا وذا نعمة واسعة، فحضر يوما منزل عقبة بن سلم الهنائي وهو أمر البصرة، وكان عاتيا جبارا، فلما طعما وخلوا نظر خليلان إلى عود موضوعس في جانب البيت، فعلم أنه عرض له به، فأخذه فتغنى:

---

١ خليلان، كان يعرف به خليل بن عمرو، مولى بنى عامر بن لؤى، كان يؤدب الصبيان ويعلم الجوارى الغناء في موضع واحد. "رغبة الآمل".." (١)

"الآن تخشى عثرات الندى ... وعدوة البخل على الجود

وأشجع هو القائل في ابن صبيح:

له نظر ما يغمض الأمر دونه ... تكاد ستور الغيب عنه تمزق

ويختار له مرثيته في أخيه:

خليلي لا تستبعدا ما انتظرتما ... فغير بعيد كل ما كان آتيا

ألا تريان الليل يطوي نهاره ... وضوء النهار كيف يطوي اللياليا

هما الفتيان المرديان إذا انقضت ... شبيبة يوم عاد آخر ناشيا

ويمنعني من لذة العيش أنني ... أراه إذا فارقت لهوا برانيا

كأن يمني يزم فارقت أحمدا ... أخي وشقيقي فارقتها شماليا

وأشجع هو الذي يقول:

داء قديم في بني آدم ... صبوة إنسان بإنسان

أخبار العباس بن الأحنف

حدثني إبراهيم بن معلى البصري قال: حدثني محمد بن عامر الحنفي قال: كان العباس بن الأحنف من بني حنيفة، وكان شاعرا ظريفا ومفوها منطقيا مطبوعا، وكان يتعاطي **الفتوة** على ستر وعفة، وله مع ذلك كرم ومحاسن أخلاق وفضل من نفسه، وكان جوادا لا يليق درهما ولا يحبس ما يملك، ويكنى أبا الفضل. حدثنا جابر بن عمرو الباهلي قال: حدثني ابن أبي العلاء قال:." (٢)

"أخبار المعلى الطائي

حدثني ابن أبي فنن قال: كان المعلى الطائي يصلي في اليوم والليلة ألف ركعة، وكان من أقنع الناس. وقال يوما: يكفيني في

---

(١) الكامل في اللغة والأدب محمد بن يزيد المبرد ٢/١٩٠

(٢) طبقات الشعراء لابن المعتز ابن المعتز ص/٢٥٣

كل سنة خمسون درهما فضة، فتعجب من ذلك بنوه. وكان لا يغتاب أحدا ولا يتكلم فيه، وكان أعف الناس فرجا وأصدقهم لسانا، وكان من قبل هذه الحال يتعاطى **الفتوة** والشطارة، ويطلب ويعبث ويفسد ويقطع ويشرب الخمر، ثم تاب وصار بالصفة التي وصفناها. ومما رويناه له قبل التوبة ولكن كان كف عن الفساد الفاحش قوله في مدح المطلب بن عبد الله الخزاعي:

يا شاهر السيف إلى فتنه ... يؤوب مسعاها إلى فوت

اخطب إلى مطلب ضربة ... إن كنت مشتاقا إلى الموت

ترى فتى يروي القنا من دم ... يكسوك منها خلعة الفوت

إذا انتضى أسيافه سخطة ... عجلن عن سوف وعن ليت

وله أيضا:

لقد سعدت عيني بوجه كريمة ... وإن كان في غب السرور بها حتفي

فإن مت من شوق إلى عود نظرة ... فحسبي من دنياي ما ناله طرفي

إذا سمعت أذناي منطق عودها ... وأفصحت الأوتار عنها بما تخفي." (١)

"ان من مروءة الرجل جلوسة ببابة.

. قيل لابن هبيرة: ما المروءة؟

قال: اصلاح المال، والرزانة في المجلس، والغذاء والعشاء بالفناء.

. قال ان المروءة هي عماد الادباء، وعتاد العقلاء، يراس بها صاحبها، ويشرف بها كاسبها. ولاشئ ازين بالمرء من المروءة، فهي راس الظرف **والفتوة**.

وقد قال بع الحكماء: الادب يحتاج معة الي المروءة، والمروءة لا يحتاج معها الي الادب.

وربما رايت ذا المروءة الخامل، وذا السخاء الجاهل قد غطت مروءتة علي عيوبة ن وسترة سخاؤة من عيبة. واهل المروءات محسودة افعالهم، متبعة احوالهم، وقل ما رايت حاسدا علي ادب، وراغبا في ارب.

من ذلك ما حكي عن محمد بن حرب انة قال: كنت علي شرطة جدعفر بالمدينة، فاتيت باعرابي من بني اسد يستعدي علية، فرايت رجلا لة بيان يحتمل الصنيعة، فرغبت في اتخاذها عندة، فتخلتة، ثم لم يلبث ان رد الي فقلت: حماس؟ فقال لي:." (٢)

"والأخفش: يختار أن يكون المحذوف من ابن الواو قال: لأن أكثر ما تحذف الواو بثقلها. والياء تحذف أيضا للثقل.

قال أبو إسحاق: والدليل على ذلك أن يدا قد أجمعوا على أن

المحذوف منه الياء ولهم دليل قاطع على الإجماع قال: يديت إليه يدا، ودم

---

(١) طبقات الشعراء لابن المعتز ابن المعتز ص/٣٣٣

(٢) المروءة ابن المرزبان المحولي ص/١٠٣

محذوف منه الياء، يقال دم ودميان.

قال الشاعر:

فلو أنا على حجر ذبحنا. . . جرى الدميان بالخبر اليقين

والبنوة ليست بشاهد قاطع في الواو، لأنهم يقولون **الفتوة** والفتيان في التثنية – قال عز وجل: (ودخل معه السجن فتيان).

فابن يجوز أن يكون المحذوف منه الواو أو الياء. وهما عندي متساويان.

وقوله عز وجل: (وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم).." (١)

"فقوله: " الصبا "، حسنة الموقع.

وكذلك قوله:

(وكأس شربت على لذة ... وأخرى تداويت منها بها)

(لكي يعلم الناس أني امرؤ ... أتيت **الفتوة** من بابها)

وكقول أبي كبير الهذلي:

(ولقد ربأت إذا الصحاب تواكلوا ... جمر الظهيرة في اليفاع الأطول)." (٢)

"فقال له: لله أبوك أحسنت، خذ بيدها فهي لك! وأمر له بألف درهم.

واعلم أن كل ما رسمناه في هذه الأبواب، وذكرناه، وشرطناه على الأدباء، ووجدناه داخلا في باب حدود الأدب، على ما أصبناه، غير خارج منه، ولا منفصل عنه، وأن يكون الأديب عاقلا واللبيب كاملا، حتى تكون له مودة قد قرنها بأدبه، وثابر عليها في طلبه، فإذا جمع ذلك رهب منه الأعداء، ورغب فيه الأولياء. وسنذكر من أنشأته المروة، فيكون فيه بلاغ وهداية، إن شاء الله تعالى.

شرائع المروة وصفتها

اعلم أن المروة هي عماد الأدباء، وعتاد العقلاء، يرئس بها صاحبها، ويشرف بها كاسبها، ولا شيء أزين بالمرء من المروة، فهي رأس الظرف **والفتوة**. وقد قال بعض الحكماء: الأدب يحتاج معه إلى المروة والمروة لا يحتاج معها إلى الأدب. وربما رأيت ذا المروة الخامل، وذا السخاء الجاهل، قد غطت مروته على عيوبه، وستره سخاؤه من معيبه. وأهل المروءات محسودة أفعالهم، متبعة أحوالهم. وقل ما رأيت حاسدا على أدب، وراغبا في أرب. من ذلك ما حكي عن محمد بن حرب أنه قال:

---

(١) معاني القرآن وإعرابه للزجاج الزجاج ١٣١/١

(٢) عيار الشعر ابن طباطبا العلوي ص/١٧٩

كنت على شرطة جعفر بالمدينة، فأتيت بأعرابي من بني أسد يستعدى عليه، فرأيت رجلا له بيان يحتمل الصنيعة، فرغبت في اتخاذها عنده فتخلصته ثم لم يلبث أن رد." (١)

"ما جاء في السواك

وما قيل في عود الأراك

اعلم أن من زي الظرفاء، وأهل المروة والأدباء، وأرباب الديانة والترفل، استعمال السواك والتسوك، فهو أنبل النظافة، وأحسن الطهارة، وأكمل المروة، ويرغب فيه أهل الظرف والفتوة، وله خصال مستحسنة، وهو أيضا من السنة.

وقد روي في الخبر المأثور عن النبي، صلى الله عليه وسلم، أنه قال: " طهروا أفواهك فإنها مسالك التسبيح ".

وعن أبي بكر الصديق، رضي الله عنه، أنه قال: " السواك مطهرة للفم مرضاة للرب ".

وحدثنا أبي قال: حدثنا ابن شيبة عن عبد الله بن إدريس عن محمد بن إسحاق عن عبد الله بن أبي بكر عن عمر عن عائشة قالت: " قال رسول الله، صلى الله عليه وسلم، السواك مطهرة للفم مرضاة للرب ".

وعن علي بن أبي طالب، عليه السلام: أن النبي، صلى الله عليه وسلم،كان إذا قام من الليل تسوك.

وعن أبي المليح عن واثلة بن الأسقع قال: قال رسول الله، صلى الله عليه وسلم: " لقد أمرت بالسواك، حتى حسبت أن يكون يكتب علي ".

وعن ابن أبي مليكة قال: عائشة تقول: " مات رسول الله، صلى الله عليه وسلم، في بيتي، وليلتي، ويومي، وبين سحري ونحري، وخلطت ريقه بريقي. فقلت: يا أم المؤمنين، وكيف خلطت ريقه بريقك؟ قالت: دخل عبد الرحمن." (٢)

"له ظفر، ولا يكثر له شعر، ولا يفوح لإبطه دفر، ولا لبدنه غمر، ولا يسيل له أنف، ولا يسود له كف، ولا يظهر له شقاق، ولا يرشش له بصاق، ولا يقف في مأقه رمد، ولا صواره زبد.

ومن زيهم في مصاحبة الأوداء، ومعاشرة الأخلاء، حفظ العهود، وإنجاز الوعود، والدوام على الوفاء، وقلة الرغبة في الجفاء؛ وحسن المؤاتاة لأودائهم، والمساعدة لأخلائهم، والبشر بمن لقوا، والتفقد لمن فقدوا، والمساعفة بأبدانهم، والمعونة بأموالهم، وتخفيف المؤن على إخوانهم، وكف الأذى عن جيرانهم، والصفح عن المسيء لهم عند إساءته، ومقابلة المحسن بإحسانه، والترحيب بالصغير، والتبجيل بالكبير.

وقد حدثني محمد بن يونس القيسي قال: حدثنا يزيد بن بيان قال: حدثنا أبو الرجال عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله، صلى الله عليه وسلم: " ما من شاب أكرم شيخا عند سنه إلا قيض الله له من يكرمه عند سنه ".

وقد يجب أيضا على أهل المروة مثل الذي يجب على أهل الظرف، والفتوة والأدب، لأنهما ليسا باللذاذة والقصف، ولا بالمفاخرة والحسب، وإنما هما بكمال المروة والأدب، ولن يعرف الفتى جميل مواهب الفتوة، إلا بسلوك طرائق المروة، وقد ذكرت الفتوة عند بعض العلماء فقال: إن الفتوة ليست بالفسق والفجور، ولكنها طعام موضوع، وأذى مرفوع، ونائل

(١) الموشى = الظرف والظرفاء الوشاء ص/٣٧

(٢) الموشى = الظرف والظرفاء الوشاء ص/١٨٤

مبذول، وبشر مقبول، وغفاف معروف، واجتناب للقبيح، وأدب ظاهر، وخلق طاهر، وترك مجالسة أهل الشرور، والسمو إلى معالي الأمور، والإحسان إلى من أساء، ومكافأة من أحسن، وقضاء حوائج الناس." (١)

"حنيك السن «١» بصير بالأمور، فإذا ظفرت به فلا تباعده، فإن العاقل ليس بمانعك نصيحته وإن جفت.

وكان يقال: غريزة قعل لا يضيع معها عمل.

وكان يقال: أجل الأشياء أصلا وأحلاها ثمرة: صالح الأعمال، وحسن الأدب، وعقل مستعمل.

وكان يقال: التجارب ليس لها غاية والعاقل منها في الزيادة. ومما يؤكد هذا قول الشاعر:

ألم تر أن العقل زين لأهله ... وأن كمال العقل طول التجارب

ومكتوب في الحكمة: إن العاقل لا يغتر بمودة الكذوب ولا يثق بنصيحته.

ويقال: من فاته العقل والفتوة فرأس ماله الجهل.

ويقال: من عير الناس الشيء، ورضيه لنفسه فذاك الأحمق نفسه.

وكان يقال: العاقل دائم المودة، والأحمق سريع القطيعة.

وكان يقال: صديق كل امريء عقله، وعدوه جهله.

وكان يقال: المعجب لحوح والعاقل منه في مؤونة. وأما العجب فإنه الجهل والكبر.

وقيل: أولى الناس بالعفو أقدرهم على العقوبة، وأنقص الناس عقلا من ظلم من هو دونه.

ويقال: ما شيء بأحسن من عقل زانه حلم، وحلم زانه علم، وعلم زانه صدق، وصدق زانه عمل، وعمل زانه رفق.

وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: ليس العاقل من عرف الخير من." (٢)

"حدثني إبراهيم بن عاصم قال سمعت صدقة يقول سمعت الشمردل يقول نكح العجز التواني فولد الندامة

قال أبو حاتم رضي الله عنه سبب النجاح ترك التواني ودواعي الحرمان الكسل لأن الكسل عدو المروءة وعذاب على الفتوة ومن التواني والعجز أنتجت الهلكة وكما أن الأناة بعد الفرصة أعظم الخطأ كذلك العجلة قبل الإمكان نفس الخطأ والرشيد من رشد عن العجلة والخائب من خاب عن الأناة والعجل مخطيء أبدا كما أن المتثبت مصيب أبدا

حدثني محمد بن عثمان العقبي حدثنا محمد بن الحسن المصري حدثني نعيم ابن حماد حدثنا ابن المبارك حدثنا معمر قال كتب عمرو إلى معاوية يعاتبه في التأني أما بعد فإن التفهم في الخير زيادة ورشد وإنه من لا ينفعه الرفق يضره الخرق ومن لا تنفعه التجارب لا يدرك المعاني أو قال المعالي ولا يبلغ الرجل مبلغ الرأي حتى يغلب حلمه جهله وتصبره شهوته ولا يدرك ذلك إلا بقوة الحلم

وأنشدني محمد بن حبيب الواسطي ... بني إذا ما ساقك الضر فاتئد ... فللرفق أولى بالأريب وأحرز

فلا تحمين عند الأمور تعززا ... فقد يورث الذل الطويل التعزز ...

---

(١) الموشى = الظرف والظرفاء الوشاء ص/١٩٦

(٢) العقد الفريد ابن عبد ربه الأندلسي ١٠٩/٢

أخبرني محمد بن المنذر حدثنا إسماعيل بن إسحاق حدثنا سليمان بن حرب حدثنا حماد عن أيوب قال قال أكثم بن صيفي ما يسرني أني نزلت بدار معجزة فأسمنت وألبنت قيل له لم قال لأني أخاف أن أتخذ العجز عادة

وأنشدني المنتصر بن بلال ... وعليك في بعض الأمور صعوبة ... والرفق للمستصعبات مدان

وبحسن عقل المرء يثبت حاله ... وعلى المغارس تثمر العيدان ...." (١)

"وهيهات من ذا صحب السلطان فلم يفتتن ومن اتبع الهوى فلم يعطب إن الشجرة الحسنة ربما كان سبب هلاكها طيب ثمرها وربما كان ذنب الطاووس الذي في جماله سبب حتفه لأنه يثقله حتى يمنعه من الهرب ومن صحب السلطان لم يأمن التغيير على نفسه لأن الأنهار إنما تكون عذبة ما لم تنصب الى البحور فإذا وقعت في البحور ملحت على أن قعود العلماء عن أبواب الملوك زيادة في نور علمهم وكثرة غشيانهم إياهم غشاوة على قلوبهم ومن صحب الملوك لم يأمن تغيرهم ومن زايلهم لم يأمن تفقدهم وإن قطع الأمور دونهم لم يأمن فيها مخالفتهم وإن عزم على شيء لم يجد بدا من مؤامرتهم وأسمج شيء بالملوك الحدة

ولقد حدثنا أحمد بن الحسن بن عبد الجبار الصوفي حدثنا يحي بن معين حدثنا المبارك بن سعيد الثوري قال كان يقال خمس خلال هن أقبح شيء بمن كن فيه الحدة في السلطان والكبر في ذي الحسب والبخل في الغنى والحرص في العالم والفتوة في الشيخ

قال أبو حاتم رضي الله عنه رؤساء القوم أعظمهم هموما وأدومهم غموما وأشغلهم قلوبا وأشهرهم عيوبا وأكثرهم عدوا وأشدهم أحزانا وأنكاهم أشجانا وأكثرهم في القيامة حسابا وأشدهم إن لم يعف الله عنهم عذابا

ومن أحسن ما يستعين به السلطان على أسبابه اتخاذ وزير عفيف ناصح على ما تقدم ذكرنا له فإن الوزير إذا غفل الأمير ذكره وإن ذكر أعانه وإن سولت له نفسه سيئة صده وإن أراد طاعة نشطه فهو المحبب له الى الناس والمستجلب له دعائهم

ولقد أنشدني علي بن محمد البسامي ... إذا نسى الأمير قضاء حق ... فإن الذنب فيه للوزير

لأن على الوزير إذا تولى ... أمور الناس تذكير الأمير ...

قال أبو حاتم رضي الله عنه الواجب على كل من يغشى السلطان وامتحن." (٢)

"ويروى " لم نزر شعفا " أي: كيف نطوى الرسوم والدمن التي هي مواقف أهل الفتوة، يريد الكرام، ولم نزر حزنا لها ولا سهلا، لأنه أراد بالعشف ما ارتفع من الأرض وعلا، وأراد بالصعيد ما اطمأن من الأرض وسفل، والصعيد إنما هو وجه الأرض الذي فيه التراب، وأكثر ما يكون فيما اطمأن من الأرض، لا فيما علا، فكانوا يرون الوقوف على الديار من الفتوة والمروءة، وأن طيها عند الاجتياز بها من النذالة وقبيح الرعاية وسوء العهد.

وما أحسن ما قال أبو نواس:

---

(١) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء ابن حبان ص/٢١٨

(٢) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء ابن حبان ص/٢٧٥

وإذا مررت على الديار مسلما ... فلغير دار أميمة الهجران

على طريقة القوم المعتادة.

وقال البحتري يخاطب نفسه أو صاحبا معه:

قف العيس قد أدنى خطاها كلالها ... وسل دار سعدى إن شفاك سؤالها

فمن زعم أن البحتري بهذا القول كان قاصدا للدار وغير مجتاز احتاج إلى دليل من لفظ البيت يدل عليه، ولا سبيل له إلى ذلك.

فإن قيل: ولم لا يكون للمطية حق على من بلغته منازل الأحباب يوجب أن يكرمها ويريحها كما قال أبو نواس:." [1]

"وعلى هذا المعنى حذا البحتري قوله:

عرجوا فالدموع إن أبك في الربـ ... ـع دموعي والاكتئاب اكتئابي (١)

وكمثل الأحباب لو يعلم العا ... ذل عندي منازل الأحباب

وكانوا يرون الوقوف على الديار من **الفتوة** والمروءة وكرم العهد، ولذلك قال أبو تمام:

أمواقف الفتيان تطوى لم تزر ... شرفا، ولم تندب لهن صعيدا (٢)

أذكرتنا الملك المضلل في الهوى ... والأعشيين وطرفة ولبيدا (٣)

حلوا بها عقد النسيب ونمنموا ... من وشيها رجزا بها وقصيدا (٤)

قوله: «لم تزر شرفا» يريد ارتفاعا، «ولم تندب لهن صعيدا» أراد انخفاضا وهبوطا فلم يستقم له ذاك فقال: «صعيدا» لأن الصعيد التراب.

وهو يكون في أغواط الأرض، وما اطمأن منها أكثر منه فيما علا وارتفع.

تم الجزء الأول ويليه الجزء الثاني وأوله:

«ذكر الفراق والوداع والترحل عن الديار والبكاء على الظاعنين»." [2]

"وقال في أبي سعيد:

واستمطروا في المحل منك خلائقا ... أصفى وأعذب من زلال الماء

وقال البحتري في أبي نهشل بن حميد:

إلى أبي نهشل ظلت ركائبنا ... يخدن من بلد ناء إلى بلد

إلى فتى مشرق الأخلاق لوسبكت ... أخلاقه من شعاع الشمس لم تزد

وقال أبو تمام في الحسن بن وهب:

ضم الفتاء إلى **الفتوة** برده ... وسقاه وسمي الشباب الصيب

---

(١) الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري الآمدي، أبو القاسم ٤٣٧/١

(٢) الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري الآمدي، أبو القاسم ٥٦٦/١

وصفا كما اعتدل الشباب وإنه ... في ذاك من صبغ الحياء لمشرب

تلقى السعود بوجهه وتحبه ... وعليك مسحة بغضة فتحبب

وقال البحتري في محمد بن يحيى:

كل يوم تسن مجدا جديدا ... بفعال في المكرمات بديع

أدب لم تصبه ظلمة جهل ... فهو كالشمس عند وقت الطلوع." (١)

"أروض صعاب قوافي القري ... ض حتى تذل فأختارها

قواف يوردها صاحبي ... إلي وأكفيه إصدارها

قال صعودا: فوالله لقد جهدنا به كل الجهد أن يعرفنا من قائل هذا الشعر فلم يفعل، فلما حضرته الوفاة كتب وصيته. فقلت له: ما لتلك القصيدة في قلبي حلاوة حتى أعرف قائلها، فإن رأيت أن تعرفني من قالها. فضحك لي وقال: قد كنت أتوهمك موضعا للوصية، وأما الآن فما أرى لك عقلا، انبذ إلي بكتاب الوصية. أتراني كنت في حال من الأحوال أسوأ أخلاقا مني وأنا أستبين الموت في حركاتي، والله لا عرفت قائلها مني أبدا. هات الوصية وقم، فأخذها مني وانصرفت ومات في آخر يومه.

وقال سويد بن كراع:

خليلي قوما في عطالة فانظرا ... أنارا ترى من نحو يبرين أم برقا

فإن يك برقا فهو في مشمخرة ... يغادر ماء لا قليلا ولا طرقا

يهب بريعان السحاب كأنما ... يقود أفراسا مجنبة بلقا

وإن تك نارا فهي نار بملتقى ... من الريح تزهاها وتعفقها عفقا

لأم علي أوقدتها طماعة ... لأوبة ركبان تكون لها وفقا

متى ترفعا العين البصيرة تعلما ... بأن المنايا قد قطعن بنا خرقا

يحاذرن روعات السياط كأنما ... يحاذرن نشابا رمين به رشقا

وكائن قطعنا بعدكم من تنوفة ... من الأرض لم تقطع أضالعها عزقا

تقوم بها الوجناء وهي رذية ... كلالا وينسى ذو المخالجة العشقا

المخالجة: المجاذبة إلى شيء آخر، ومنه سمي الخليج خليجا لأنه جذبه عن دجلة.

إذا غير الليل النار وأظلمت ... رمينا بها حتى تراءى لها فتقا

خفاف بن ندبة السلمي:

إذا أنا وافاني حمامي ومضجعي ... وسوي علي جندل وكثيب

فكل وفاء عند ذلك ميت ... وكل رجاء عند ذاك يخيب

---

(١) الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري الآمدي، أبو القاسم ٦٤/٣

وكل سنان في الأنام ولهذم ... ومسرورة وجدا علي تذوب

عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير:

غدا ناعيك حين غدا بخطب ... يبث الشيب في رأس الوليد

ويقعد قائما يشجي حشاه ... ويطلق للقيام حبى القعود

وأمست خشعا منه براز ... مركبة الرواجب في الخدود

عقيل بن علقمة المري:

أحقا عباد الله أن لست لاقيا ... عمارة طول الدهر إلا توهما

فأقسم ما جشمته من عظيمة ... تؤود كرام الناس إلا تجشما

ولا قلت مهلا وهو غضبان قد غلا ... من الغيظ وسط القوم إلا تبسما

وله:

خليلي زورا قبر عمرو فسلما ... عليه وجودا بالدموع الجوامد

ولا تعجلا بي أن ألم بأعظم ... ورمس بشرقي الهباءة هامد

وفي القبر نفسي أو كنفسي رهينة ... أتى دونه مر المنايا الرواصد

فبوركت من قبر وبوركت بقعة ... بها مكثت للحد أيدي اللواحد

سقى الله أكفانا هناك وأعظما ... غيوث السواري والغوادي الرواعد

أأبكي على عمرو فكفاي هالتا ... عليه الترب من نثيل ولابد

كأني لعمرو كنت أبدي عداوة ... بحثوي عليه الترب فوق الجلامد

بشر بن أبي خازم الأسدي:

أسائلة عميرة عن أبيها ... خلال الجيش تعترض الركابا

تؤمل أن يؤوب لها بنهب ... ولم تعلم بأن السهم صابا

فإن أباك قد لاقى غلاما ... كميش القلب يلتهب التهابا

فرجي الخير وانتظري إيابي ... إذا ما القارظ العنزي آبا

فمن يك سائلا عن بيت بشر ... فإن له بجنب الهضب بابا

ثوى في ملحد لا بد منه ... كفى بالموت نأيا واغترابا

رهين بلى وكل فتى سيبلى ... فسحي الدمع وانتحبي انتحابا

مضى قصد السبيل وكل حي ... إذا حانت منيته أجابا

فإن أهلك عمير فرب زحف ... يشبه نقعه رهوا ضبابا

سموت له لألبسه بزحف ... كما لفت شآمية سحابا

على ربذ قوائمه إذا ما ... شأته الخيل ينسكب انسكابا

شديد الأسر يحمل أريحيا ... أخا ثقة إذا الحدثان نابا

صبورا عند مختلف العوالي ... إذا ما الحرب أبرزت الكعابا

الحارث بن هلال التميمي وكان هرب في بعض الوقائع فعيرته امرأته بفراره فقال:

أعاذل إني لم ألم في قتالهم ... وقد عض سيفي كبشهم ثم صمما

أعاذل كم من يوم حرب شهدته ... أكر إذا ما فارس القوم أحجما

أعاذل ما وليت حتى تبددت ... رجالي وحتى لم أجد متقدما

وحتى رأيت الورد يدمى لبانه ... وقد كعت الأبطال فانتعل الدما

أعاذل أفناني السلاح ومن يطل ... مقارعة الأبطال يرجع مكلما

الضحاك بن قيس الحارثي:

سقى الله أجداثا ورائي تركتها ... بحاضر قنسرين من سبل القطر

ثووا لا يريدون الرواح وغالهم ... من الموت أسباب تجيء على قدر

لعمري لقد وارت وضمت قبورهم ... أكفا شداد القبض بالأسل السمر

يذكرنيهم كل خير رأيته ... وشر فما أنفك منهم على ذكر

البيت الأخير مثل قول الآخر:

يذكرنيك الخير والشر والذي ... وأرجو والذي أتوقع

ومن هذا المعنى قول مسلم:

يذكرنيك الفضل والجود والحجى ... وقيل الخنا والحلم والعلم والجهل

فألقاك عن مذمومها متنزها ... وألقاك في محمودها ولك الفضل

وأحمد من أخلاقك البخل إنه ... بعرضك لا بالمال حاشا لك البخل

وما نعرف في هذا المعنى أحسن من هذه الأبيات، فكل من رامها قصر عنها ولم يبلغ مداها. ولله در عبد الصمد بن المعذل فقد طرف هذا المعنى وجوده بقوله:

بالله أحلف إني لست أذكره ... وكيف يذكره من ليس ينساه

شبيه بقول الآخر:

لم يذكرنيك شوق حادث ... إنما يذكر من كان سها

ومن المعنى الأول قول الآخر:

ما ذر قرن الشمس إلا ذكرتها ... وتذكرنيها ما دنت لغروب

وأذكرها ما بين ذاك وبين ذا ... وبالليل أحلامي وعند هبوبي

وبليتها شوقا وبلاني الهوى ... وأعيا الذي بي طب كل طبيب

وأعجب أني لا أموت صبابة ... وما تلف من عاشق بعجيب

وكم لام فيها من مؤد نصيحة ... فقلت له أقصر فغير مصيب

أتأمن إنسانا يفارق قلبه ... أتصلح أجساد بغير قلوب

وكل محب قد سلا غير أنني ... غريب الهوى يا ويح كل غريب

المعنى الذي نحن في ذكره البيتان الأولان وإنما ذكرنا غيرهما من هذه الأبيات لأنها من نسيب الأعراب وهو غرضنا وما شاكله من أشعارهم في هذا الكتاب. وأما قول الخنساء فهو نوع من هذا المعنى إلا أنها أرادت بهذا البيت نفسه أنها تذكره عند طلوع الشمس لأنه وقت الغارة ووقت غروبها وهو وقت مجيء الأضياف.

أعرابي:

عدو تلاد المال فيما ينوبه ... منوع إذا ما منعه كان أحزما

مذلل نفس قد أبت غير أن ترى ... مكاره ما تأتي من الحق مغنما

أبو دهبل الجمحي ويقال إنها للخارجي:

أقول والركب قد مالت عمائمهم ... وقد سقاهم بكأس النشوة السهر

يا ليت أني وأثوابي وراحلتي ... عبد لأهلك طول الدهر مؤتجر

إن كان ذا قدرا يعطيك نافلة ... منا ويحرمنا ما أنصف القدر

جنية أولها حن يعلمها ... رمي القلوب بقوس ما لها وتر

أخبرنا ابن دريد عن عبد الرحمن عن الأصمعي قال: سألت ذفافة بن مقدام العبسي، وكان فصيحا، فقلت: هل كانت أوائل العرب تعرف الفتوة؟ قال: إيه الله لقد انتظم ذاك أخو بني مازن بقول:

إن الفتوة والمرو ... ءة لا تكون بغير زاد

ولها عتاد يقتفي ... ه المرء من خير العتاد

نفس تعف عن الخنا ... ويد تهلل بالتلاد

ومهند قضابة ... ومقلص سلس القياد

ومفاضة سرد كأ ... ن قتيرها حدق الجراد

ومسيع بين الضلو ... ع عتاد ممتنع الفؤاد

طلاب أوتار العشي ... رة فوق أوتار الأعادي

أما قوله: " ومفاضة سرد " البيت، فقد أتى به جماعة من الشعراء ونظن الأصل فيه هذا البيت أو قول عمرو بن معدي كرب:

وكل مفاضة كالنهي زغف ... كأن قتيرها حدق الجراد

من القديم الجيد في هذا المعنى قول النمر بن تولب:

وكأنما انطمرت جنادب حرة ... في سردها فرمتك عن أبصارها

أخذه الأخطل فقال:

زغف كأن قتيرها ... ترميك من حدق الجنادب

وممن جود هذا التشبيه وزاد فيه زيادة بينة ابن سلام المكاري في قصيدته التي يرثي فيها يحي بن عمر العلوي عليه السلام:

تضايق منها السرد حتى كأنها ... تخازر فيها بالعيون الجنادب

هذا البيت أجود ما نعرف في هذا المعنى، فأما قول ابن الرومي:

تغلغل الرمح في الدرع التي رتقت ... رتقا فلو صب فيها الماء رشحا

فهو عندنا خطأ لأن هذه الصفة بالسور الحديد أولى منها بصفة الدرع، وهذا من المبالغة التي تحيل المعنى.

حدثنا الصولي عن أبي العيناء قال: حدثنا الزبير بن بكار قال: حدثني محمد بن إبراهيم الليثي قال: حدثنا محمد بن معن الغفاري قال: أقحمت السنة ناسا من الأعراب فحلوا المذار فأبرقوا فإذا غلام منهم قد عاد جلدا وعظما وهو رافع عقيرته يتغنى بأبيات قالها عند نظره إلى البرق وهي:

ألا يا سنا برق على قلل الحمى ... ليهنك من برق علي كريم

لمعن اقتذاء الطير والقوم هجع ... فهيجت أحزانا وأنت سليم

لمعت بحد المرفقين أشيمه ... كأني لبرق بالستار حميم

فهل من معير طرف عين خلية ... فإنسان عين العامري كليم

رمى قلبه البرق اليماني رمية ... بذكر الحمى وهنا فكاد يهيم

فقلت: يا غلام! في دون ما بك ما يفحم عن الشعر، فقال: أجل ولكن البرق أنطقني، قال: فما مكث يومه ذلك حتى مات.." (١)

"والثالث: عالم بأمر الله وليس بعالم بالله، فأما العالم بالله، وبأمر الله، فالذي يخشى الله، ويعلم الحدود، والفرائض، وأما العالم بالله، وليس بعالم بأمر الله، فالذي يخشى الله ولا يعلم الحدود والفرائض، وأما العالم بأمر الله، وليس بعالم بالله، فالذي يعلم الحدود والفرائض ولا يخشى الله.

قال الفقيه رضي الله تعالى عنه سمعت أبي رحمه الله ، قال: سمعت محمد بن جناح ، قال: قال أبو حفص: «يزاد للعالم عشرة أشياء الحسبة، والخشية، والنصيحة، والشفقة، والاحتمال، والصبر، والحلم، والتواضع، والعفة في أموال الناس، والدوام على النظر في الكتب، وقلة الحجاب، وأن يكون بابه مفتوحا للوضيع والشريف، فإنه بلغنا أن داود النبي صلى الله عليه وسلم إنما ابتلي من شدة الحجاب»

قال أبو حفص: عشرة أشياء قبيحة في عشرة أصناف من الناس: الحدة في السلطان، والبخل في الأغنياء، والطمع في العلماء، والحرص في الفقراء، وقلة الحياء في ذوي الأحساب، **والفتوة** في الشيوخ، وتشبه الرجال بالنساء، والنساء بالرجال وإتيان الزهاد أبواب أهل الدنيا والجهل في العبادة قال فضيل بن عياض رحمه الله: إذا كان العالم راغبا في الدنيا حريصا

---

(١) حماسة الخالديين = الأشباه والنظائر من أشعار المتقدمين والجاهليين والمخضرمين الخالديان ٨٥/١

عليها، فإن مجالسته تزيد الجاهل جهلا والفاجر فجورا، وتقسي قلب المؤمن.

وقال بعض الحكماء: كلام الحكماء لهو السفهاء، وكلام السفهاء عبرة الحكماء.

قال الفقيه رضي الله تعالى عنه: يعني أن السفهاء إذا سمعوا كلام الحكماء يستظرفون كلامهم، فيكون بمنزلة اللهو لهم، وأما الحكماء إذا سمعوا كلام السفهاء، فيرون قبح ذلك الكلام، فيعتبرون به.

ويحترزون عن مثل ذلك.

ويقال: همة السفهاء الاستماع، وهمة العلماء الرواية، وهمة الزهاد الرعاية يعني يتعاهدون بما فيه ويعملون به، وبالله التوفيق.." (١)

"لأستحي من رواية هذه المكارم وارتمض في زمان يتباهى فيه باللؤم ويتبجح فيه بالسخف. مكرمة عدي بن حاتم الطائي خطب ابنته عمر فقال أزوجكها على حكمي فخاف عمر أن يميل في الحكم فأمسك وشاور فقيل تزوج على حكمه فحمد الله تعالى وأثنى عليه وقال زوجتك على السنة على أربعمائة درهم فبعث اليه بكرامة ابنته أربعين ألفا وغلمانا وثيابا فقسمها بين جلسائه وجهز ابنته من عنده.

(الباب الثالث في حكايات أهل **الفتوة**)

(حكاية) كانت امرأة بنيسابور حملت زوجها إلى القاضي تدعي عليه خمسمائة دينار فأنكر الرجل، فاستدعى القاضي منها إحضار الشهود فأحضرتهم فقالوا حتى نكشف عن وجهها ثم نشهد فهمت أن تسفر عن وجهها فصاح الرجل وأدركته الغيرة وقال أنتم تريدون أن تنظروا إلى وجه زوجتي أيها القاضي أشهد أن لها علي حقا واجبا ستمائة دينار فتعجب القاضي والحاضرون من حميته وغيرته فقالت المرأة أيها القاضي أشهدك أنه بريء من حقي وإني قد أحللته من ذلك فتعجبوا غاية العجب ثم قال القاضي اكتبوه وضعوه في باب **الفتوة** (حكاية) رجل همداني ضيع كيسا به دنانير بمكة فدهش وتعلق بجعفر بن محمد الصادق وقال أنت أخذت." (٢)

"دنانيري وكان لم يعرفه فقال جعفر كم كان فيها قال مائة دينار فحمله إلى بيته وأعطاه من ماله وقال انتفع بها ليقضي الله أمرا كان مفعولا فاتفق أنه وجد ضالته وعرف منزلة جعفر بين الناس فجاء إليه بالدنانير معتذرا فقال جعفر كلا ليس من المروءة أن يرجع الرجل في شيء قد وهبه ولم يأخذه (حكاية) كان رجل نيسابوري يدعي **الفتوة** فاجتاز يوما بمفرق الطرق فرأى شابا مريضا يتأوه ويستغيث فتقدم إليه وقال ما تشتهي قال أشتهي رؤية أمي والرجوع إلى وطني قال أين منزلك؟ قال ببلخ، فأخذ الرجل بمجامع لحيته ولطم نفسه وكان اسمه أبا الحسن فقال يا أبا الحسن كنت أظن أنه يشتهي فقاعا أو قصعة هريسة ادعيت **الفتوة** فهات المعنى فرجع إلى بيته وباع داره واكترى راوية وحمولة وأتى وحمل الرجل وأوصله إلى منزله فرأى عجوزا تبكي وتستغيث وتقول متى ألقاك قرة عيني. فلما رأته غشي عليها من الفرح، فلما أفاقت قالت رضي الله عنك وأدخلك الجنة فرأى الشاب في المنام أن هاتفا يهتف به ابشر فقد رضي الله عنك وكتب اسمك في جريدة السعداء

---

(١) تنبيه الغافلين بأحاديث سيد الأنبياء والمرسلين للسمرقندي أبو الليث السمرقندي ص/٤٣٧

(٢) مفيد العلوم ومبيد الهموم الخُوَارِزْمي، أبو بكر ص/٣٥٨

(حكاية) كان أبو حسان الزيادي ببغداد يسعى في مصالح المسلمين فجاءه ذات يوم رجل صالح، فقال إن بيته قد تهدم وأطفاله جلوس في السوق ولا شيء بيدي أنفق عليهم فأدركني، فرق أبو حسان." (١)

"السعادة: صدق الحديث وصدق الناس واعطاء السائل والمكافأة بالصنائع وحفظ الأمانة وصلة الرحم والتذلل للصاحب واقراء الضيف ورأسهن الحياء. وكان فيه صلى الله عليه وسلم حلم ابراهيم وزهد عيسى وغلظة موسى وشدة نوح وصبر أيوب وسعة سليمان فجمع من مكارم الأخلاق ما كان متفرقا في الأنبياء صلوات الله عليهم فسماه الله تعالى عظيما. قال تعالى وإنك لعلى خلق عظيم

ثم دعا عباده إلى الإقتداء به والتخلق بأخلاقه، فقال تعالى لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة.

(الباب العاشر في الفرق بين الفتوة والمروءة)

إعلم أن أمر الدين موضوع على شيئين ديانة تصحبها ومروءة تحفظها وذلك قوله تعالى وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة فمن قصد أن يوطن نفسه على صلة من قطعه وإعطاء من حرمه والعفو عمن ظلمه فلا يستمر على ذلك إلا بالصبر، والدين أساس كل خير ومن لا دين له لا مروءة له، ومن لا دين له لا فتوة له، ومن لا دين له لا صبر له ومن لا دين له لا عقل له، ومن لا دين له لا عفة له، ومن كان له دين وعقل ومروءة وصبر ولم يكن له خلق حسن فلا شيء معه. قال معاوية: المروءة في أربع: العفاف في الإسلام." (٢)

"واستصلاح المال وحفظ الأخوان وعون الجار فالفتى صاحب المروءة إذا حدث يحسن، ويحسن الإستماع إذا حدث، ويحسن بشره إذا لقى وييسر المؤنة إذا خولف ويترك ممازحة من لا يثق بعقله وقال: العافية الشباب والصحة والمروءة والصبر على الرجال (سؤال) ما الفرق بين المروءة والفتوة؟ فأقول الفتوة تخالف المروءة في أمر واحد، وهو أن المروءة اصلاح الظاهر من آفات دنيء الأخلاق وسفاسفها ليرتفع بها عند الناس ويحظى عندهم والفتوة اصلاح الباطن من آفات دنيء الأخلاق ليرتفع بها عند الله ويحظى لديه. قال اتخذ لأمير المؤمنين رضي الله عنه حيس فحضره مسكين فأعطاه إياه فقيل يا أمير المؤمنين ما تدري ما هذا المسكين، فقال: رب المسكين يدري، وغلا بالمدينة السعر فجعل عمر يأكل خبز الشعير فجعل جوفه يصوت فيضرب بطنه ويقول والله مالك إلا هذا حتى يوسع الله على المسلمين. واشتهى يوما شربة من عسل فأتى به فجعل يديره ويقول أشر بها فتذهب حلاوتها ويبقى نقمها فدفعها إلى فقير وقال من جاع واحتاج فكتمه الناس وأفضى إلى الله بحاجته كان حقا على الله أن يعين له رزق سنة من حلال؛ وليس من الفتوة الفسق والفجور ولكن بشر مقبول ونائل مبذول وعفاف معروف وأذى مكفوف.

قال هرون الرشيد: المروءة ثلاثة أثلاث فثلثها الفطنة وثلثاها." (٣)

---

(١) مفيد العلوم ومبيد الهموم الخَوَارِزْمي، أبو بكر ص/٣٥٩

(٢) مفيد العلوم ومبيد الهموم الخَوَارِزْمي، أبو بكر ص/٣٦١

(٣) مفيد العلوم ومبيد الهموم الخَوَارِزْمي، أبو بكر ص/٣٦٢

"الباب الأول في فضيلة السخاء والجود ... ٣٣٣
الباب الثاني في اصطناع المعروف ... ٣٣٦
الباب الثالث في مذمة البخل والبخيل ... ٣٣٨
الباب الرابع في حكايات البخلاء ... ٣٤٠
الباب الخامس في أجواد العرب في الجاهلية ... ٣٤٢
الباب السادس في أجواد الاسلام ... ٣٤٤
الباب السابع في مكارم الكرام ... ٣٤٨
الباب الثامن في حكايات أهل الفتوة ... ٣٥٨
الباب التاسع في مكارم الأخلاق ... ٣٦٠
الباب العاشر في الفرق بين الفتوة والمروءة ... ٣٦١
الباب الحادي عشر في حديث نعمان ... ٣٦٣
كتاب غرور الانسان وعاقبة الزمان وفيه ثلاثة عشر بابا مقدمة الكتاب ... ٣٦٤
الباب الأول في غرور العلماء ويتبعه علاجه ... ٣٦٥
الباب الثاني في غرور الفقهاء والقضاة ويتبعه علاجه ... ٣٦٦
الباب الثالث في غرور الزهاد وأهل الصوامع ويتبعه علاجه ... ٣٦٧
الباب الرابع في غرور الوعاظ ويتبعه علاجه ... ٣٦٨
الباب الخامس في غرور السلطان والأمراء ويتبعه." (١)

"فإن دماءنا مرتهنة به، وحدثه الحديث.

فرفع ذيله، وإذا سفط الجوهر تحته، فسلمه إليه، وقال: قد وهبته لك.

فاستعظم ذلك، وجاء بالسفط إلى الأمير، فسأله عن القصة، فأخبره بها.

فقال: علي بعباس، فجاءوا به.

فأمر بالإفراج عنه، وإزالة قيوده، وإدخاله الحمام، وخلع عليه، وأجلسه في مجلسه مكرما، واستدعى الطعام، فواكله، وبيته عنده.

فلما كان في الغد، خلا به، وقال: أنا أعلم أنك لو ضربت مائة ألف سوط، ما أقررت كيف كانت صورة أخذ الجوهر، وقد عاملتك بالجميل، ليجب حقي عليك، من طريق الفتوة، وأريد أن تصدقني حديث هذا الجوهر.

قال: على أنني ومن عاونني عليه آمنون، وأنك لا تطالبنا بالذين أخذوه.

قال: نعم. فاستحلفه، فحلف.

---

(١) مفيد العلوم ومبيد الهموم الخُوَارِزْمي، أبو بكر ص/٦١٤

فقال له: إن جماعة اللصوص، جاءوني إلى الحبس، وذكروا حال هذا الجوهر، وأن دار هذا التاجر لا يجوز أن يتطرق عليها نقب ولا تسلق، وعليها باب حديد، والرجل متيقظ، وقد راعوه سنة، فما أمكنهم، وسألوني مساعدتهم.

فدفعت إلى السجان مائة دينار، وحلفت له بالشطارة، والأيمان الغليظة، أنه إن أطلقني عدت إليه في غد، وأنه إن لم يفعل ذلك، اغتلته، فقتلته في الحبس.

فأطلقني، فنزعت الحديد، وتركت الحبس، وخرجت وقت المغرب فوصلنا إلى الأبلة، وقت العتمة، وخرجنا إلى دار الرجل، فإذا هو في المسجد وبابه مغلق.

فقلت لأحدهم: تصدق من الباب، فتصدق.." (١)

"وانتبه الرجل يريد الخروج، فقال للجارية، افتحي الأقفال من الباب، ودعيه متربسا «١» ، ففعلت، وقربت من الحمار، فرفس، فصاحت.

فخرجت أنا، ففتحت المترس «٢» ، وخرجت أعدو، حتى جئت إلى المشرعة، فنزلت في الخيطية.

ووقعت الصيحة في دار الرجل.

فطالبني أصحابي أن أعطيهم شيئا منها، فقلت: لا، هذه قصة عظيمة وأخاف أن يتنبه عليها، ولكن دعوها عندي، فإن مضى على الحدث ثلاثة أشهر، وانكتم، فصيروا إلي، أعطيكم النصف، وإن ظهر، خفت عليكم وعلى نفسي، وجعلته حقنا لدمائكم، فرضوا بذلك.

فأرسل الله هذا البواب، بلية، فخدمني، فاستحييت منه، وخفت أن يقتل، هو وأصحابه، وقد كنت وضعت في نفسي الصبر على كل عذاب، فدخلتم علي من طريق أخرى، لم أستحسن في الفتوة، معها، إلا الصدق.

فقال له الأمير: جزاء هذا الفعل، أن أطلقك، ولكن تتوب.

فتاب، وجعله الأمير من بعض أصحابه، وأسنى له الرزق، فاستقامت طريقته.

الأذكياء ١٩٣." (٢)

"أردت مالك باللصوصية، فعلت، ولكنك رئيس بلدك، ولا أريد أذيتك، فإن ذلك يخرج عن الفتوة «١» ، ولكن خذها، وإن احتجت إلى شيء بعد هذا، أخذت منك.

فقلت: إن عودك يفزعني، ولكن، إذا أردت شيئا، فتعال إلي نهارا، أو رسولك.

فقال: أفعل.

فأخذت الدنانير منه، وانصرف، وكان رسوله يجيئني بعلامة، بعد ذلك، فيأخذ ما يريده.

---

(١) نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة التنوخي، المحسن بن علي ٩٨/٧

(٢) نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة التنوخي، المحسن بن علي ١٠٠/٧

فما انكسر «٢» لي عنده شيء، إلى أن قبض عليه.

الأذكياء ١٩٦." (١)

"شعب حاله، وأقدره الله على غرائب المأكولات، وأظفره ببدائع الطيبات، آخذا من كل ذلك بنصيب الشريك المناصف، وضاربا فيه بسهم الخليط المفاوض، ومستعملا للمدخل اللطيف عليه، والمتولج العجيب إليه، والأسباب التي ستشرح في مواضعها من هذا الكتاب، وتستوفى الدلالة على ما فيها من رشاد وصواب، وبالله التوفيق، وعليه التعويل، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

أمره بتقوى الله التي هي الجانب العزيز، والحرز الحريز، والركن المنيع، والطود الرفيع، والعصمة الكالئة، والجنة الواقية، والزاد النافع، يوم المعاد، حين لا ينفع إلا مثله من الأزواد، وأن يستشعر خيفته، في سره وجهره، ومراقبته في قوله وفعله، ويجعل رضاه مطلبه، وثوابه ملبسه، والقرب منه أربه، والزلفى لديه غرضه، ولا يخالفه في مسعاة قدم، ولا يتعرض عنده لعاقبة ندم.

وأمره بأن يتأمل اسم التطفيل ومعناه، ويعرف مغزاه ومنحاه، ويتصفحه تصفح الباحث عن حظه بمجهوده، غير القائل فيه بتسليمه وتقليده، فإن.

كثيرا من الناس قد استقبحه ممن فعله، وكرهه لمن استعمله، ونسبه فيه إلى الشره والنهم، فمنهم من غلط في استدلاله، فأساء في مقاله، ومنهم من شح على ماله، فدافع عنه باحتياله، وكلا الفريقين مذموم، لا يتعريان من لباس فاضح، ومنهم الطائفة التي لا ترى شركة العنان، فهي تبذله إذا كان لها، وتتدلى عليه إذا كان لغيرها، وترى أن المنة من المطعم، للهاجم الآكل، وفي المشرب، للوارد الواغل، وهي أحق بالحرية، وأخلق بالخيرية، وأحرى بالمروءة، وأولى **بالفتوة**.

وقد عرفت بالتطفيل، ولا عار فيه، عند ذوي التحصيل، لأنه مشتق من الطفل، وهو وقت المساء، وأوان العشاء، وإن كثر استعماله في صدر." (٢)

"(ش)

١٠٧/٦٢/الشرجي

٢٧٤/١٥٥/الشرجي

١٢٠/٧٢/شرق بالدمع

١١٠/٦٤/شرق لونه

١٨٩/١١٢/الشرى

٨٦/٥٣/الشط

١١٠/٦٤/الشفق

١١٢/٦٦/شقائق النعمان

---

(١) نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة التنوخي، المحسن بن علي ١٠٢/٧

(٢) نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة التنوخي، المحسن بن علي ١٥٦/٧

(ق)

١٢٥/٢١٥/القيار

١١٤/١٩٢/قرف

٨٥/١٤٤/القروانة." [(١)]

"الزهد يدعو إلى إخراج الشيء، والبخل يدعو إلى إمساكه، فنفس السخاء زهد، فلذلك ذم البخل لأنه رغبة في الدنيا، ثم إن الحرص علامة البخل لأنه دليل الرغبة، والقناعة علامة السخاء لأنها باب الزهد، فلذلك قيل: سخاء النفس عما في أيدي النفس أفضل من سخاء البذل، ثم يفترقان في الحكم بعد اجتماعهما في الإسم، فمن جاد بملكه لله تعالى كان زاهدا فيه لله تعالى ووقع أجره على الله، ومن جاد بما له لأجل الناس كان أيضا زاهدا في ذلك موصوفا بالسخاء، ولكن ذلك لنفسه ولأجل هواه ولا أجر له عند الله تعالى إذ لم يكن من عمال الله تعالى فبطل أجره لأنه عمل لنفسه وحصل شكره وذكره في الدنيا لأنه عمل لأجل الناس.

كما قال ابن المبارك رحمه الله: ما رأيت بين الفتوة والقراءة فرقا إلا في شيء واحد ماحظرت القراءة شيئا إلا قبحته الفتوة وإنما يفترقان في أن القراءة يراد بها وجه الله تعالى، والفتوة يراد بها وجوه الناس ومدحهم وقد كان أستاذه سفيان الثوري رحمه الله يقول: من لم يحسن يتفتى لم يحسن يقترى أي من لم يعرف أحكام التفتي فيقوم بها حتى يستحق وصف فتى لم يحكم أوصاف التقري حتى يوصف بأنه قارئ، ثم إن العبد قد يجاهد نفسه على الزهد كما يجاهدها على مخالفة الهوى وكما يجاهدها بالصبر على الحق بأن يهرج المرغوب وينفق المحبوب على كراهة من النفس وجمل بالزهدعليها فيكون له مقام في الزهد ينال البر ويستوجب مدحا من البر، والمتزهد غير الزاهد، وهو الذي يتصنع للزهد ويعمل في أسبابه من التقلل ورثاثة الحال في كل شيء، فمثله مثل المتصبرين من الصابر الذي يجهل على نفسه بالصبر ويصابرها على العلم، فيكون له مقام من الصبر، وصفوة الزهد انتظارالموت وقصر الأمل لأن فيهما ترك الادخار وتحسين الأعمال.

وقال ابن عيينة: حد الزهد أن يكون شاكرا عند الرخاء صابرا عند البلاء.

وقال بشر بن الحارث رحمه الله: الزهد في الدنيا هو الزهد في الناس، من زهد فيهم فقد زهد في الدنيا، وكذلك قال بعض الحكماء: إذا طلب الزاهد الناس فاهرب منه، وإذا هرب من الناس فاطلبه، وقيل ليحيى بن معاذ رحمه الله: متى يكون الرجل زاهدا؟ فقال: إذا بلغ حرصه في ترك الدنيا حرص الطالب لها كان زاهدا، وقال قاسم الجوعي: الزهد في الدنيا هو الزهد في الجوف بقدر ما تملك من بطنك، كذلك تملك من الزهد فكانت الدنيا عنده الشبع وأكل الشهوات، وقال فضيل بن عياض رحمه الله: الزهد هو القناعة فكانت الدنيا عنده هو الحرص والشره، وقال الثوري: الزهد هو قصر الأمل فكانت الدنيا عنده طول الأمل، وكان أبو سليمان الداراني رحمه الله تعالى يقول: الدنيا كل ما يشغلك عن الله تعالى." [(٢)]

---

(١) نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة التنوخي، المحسن بن علي ٣٢٦/٧

(٢) قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد أبو طالب المكي ٤١٩/١

"أخبرنا أبو سليمان قال: أخبرني أحمد بن عبدوس قال: حدثنا محمد بن عبد الأحد قال: حدثنا أبو هشام الرفاعي، عن ابن يمان، عن سفيان قال: ﷺ«من لم يتفت لم يحسن يتقرى» قال أبو سليمان إن من عادة الفتيان ومن أخذ بأخذهم بشاشة الوجه وسجاحة الخلق ولين العريكة ومن شيمة الأكثرين من القراء الكزازة وسوء الخلق فمن انتقل من **الفتوة** إلى القراءة كان جديرا أن يتباقى معه تلك الذوقة والهشاشة ومن تقرأ في صباه لم يخل من جفوة أو غلظة. وقد يتوجه قول سفيان إلى وجه آخر وهو أنه إذا انتقل من **الفتوة** إلى القراءة كان معه الأسف على ما مضى والندم على ما فرط منه فكان أقرب له إلى أن لا يعجب بعمل صالح يكون منه وإذا كان عارفا بالشر كان أشد لحذره وأبعد من الوقوع فيه." (١)

"فذلك جيد لأن الأسفار وركوب الإبل والعزيمة على الصبر إلى المسافات الطوال ربما أورد من الفوائد ما يزيل الهموم.

وقال المتنبي:

أعرض للرماح الصم نحري ... وأنصب حر وجهي للهجير

صدر البيت من قول القتالي:

نعرض للطعان إذا ألتقينا ... وجوها لا تعرض للسباب

فجاء بالمعنى وزاد في كلامه ما هو من تمامه وجمع بين **الفتوة** والمروءة وعجز البيت من قول المثقب:

فقلت لبعضهن وشد رحلي ... لها جرة نصبت لها جبيني

ولكن أبا الطيب قد جمع الطويل في الموجز القليل وللقتالي زيادة عليه.

وقال المتنبي:

عدوي كل شيء فيك حتى ... لخلت الأكم موغرة الصدور

فسره بعض أهل العربية فقال معناه أن الأكم تنبو به فلا يطمئن فيها وكل ذلك لعداوته وذكر أن فيه معنى آخر أنها موغرة الصدور لحرارتها وهذا تفسير مظلم لا يحصل له معنى يفهم والذي أرى أن مقصد أبي الطيب أنه رأى في عدوه كل شيء من البشر قد أجمع حتى أوهمه ذلك أن الأكم موغرة الصدور من شرها واحتراقها بنار الحسد والحقد وما شاكل ذلك مما يجر الصدور فضلا عن الناس.

وقال المتنبي:." (٢)

"وقال المتنبي:

وترى المروة **والفتوة** والأب ... وة في كل مليحة ضراتها

هن الثلاث المانعاتي لذتي ... في خلوتي إلا الخوف من تبعاتها

هذا شعر يدل على قلة ورع وأحسن تخلصا منه قول القائل:

رموني وإياها بشنعاتهم بها ... أحق أذال الله منهم وعجلا

---

(١) العزلة للخطابي الخطابي ص/٨٩

(٢) المنصف للسارق والمسروق منه ابن وكيع التنيسي ص/٦٩٢

يا من تركناه ورب محمد ... عيانا فأما عفة وتجملا

وقسم الترك على العفة والجميل الذي معناه مروءة ولم يستخف بالتبعات وأحسن تخلصا منه ابن الرومي حيث يقول:

ينهاه عن مأثم تقي ورع ... فيه، وعن مدنس تقي أنف

فجعل تركه للمأثم ورعا وللمدنس أنفا وهذا كلام نبيل وتقسيم جليل وقد وافقه إبراهيم بن المهدي بقوله:

استحييا إلا تعفا واعلما ... أن ليس ما أخفيتماه بخاف

يا رب مجتنب لما فارقتما ... متنزه عنه بغير عفاف

وقول إبراهيم أقل قبحا لأنه قد يجوز أن يدفع المرء المأثم تنزها لا العفاف ويكون مع عدم العفاف خائفا من تبعاتها وأبو الطيب قد استعمل شكا منه خوف التبعات ونسأل الله أن يقينا فيه القول والعمل.

وقال المتنبي:

ومقانب بمقانب غادرتها ... أقوات وحش كن من أقواتها

المألوف أن يقتات الناس من الوحش الظباء والحمير والبقر والأرانب والثعالب وهذه الأجناس كلها لا تأكل القتلى وإنما تأكلهم السباع والنمور والذئاب وليس هذه من الأقوات فإن أكل منها شيء فجوع مفرط قد فسد معناه على هذا.." (١)

"يطلق لسان العيسى ويفتق حيلة البليد ويبعث على السخاء بما تسمح به نفس الكريم وينحردون بذله اللئيم ويدعو إلى استعمال **الفتوة** واظهار المروءة في تنظيف اللباس وتحسين الرياش ويجدد حب المساعدة والائتلاف وكراهة التباين والاختلاف إلى غير ذلك من محمود الحال وممدوح الخصال وإذا رزقت منه نصيبا جزلا فوفه حقه واسلك به طرقه وتأمل ما أهديت إليك فيه فإنه يعينك عليه ويحسن أسبابه لك ويكبت لائمك فيه ويكون جلاء لناظرك وشحدذا لخاطرك إن شاء الله سبحانه وتعالى.

(هذا كتاب المبالغة)

(في التشبب وأوصاف الحسان وما يجري مع ذلك وهو)

(الباب الرابع من كتاب ديوان المعاني)

قالوا أرق بيت قالته العرب قول امرئ القيس:

(وما ذرفت عيناك إلا لتضربي ... بسهميك في أعشار قلب مقتل)

يقول ما بكيت إلا لتجرحي قلبا معشرا أي مكسرا، يقال برمة اعشار إذا كانت مشعوبة، يريد أن قلبه عليل وأنت تزيدينه علة بسهميك يعني عينيها والمقتل المذلل. مثله قول الشاعر:

(رمتك ابنة البكري عن فرع ضالة ... وهن بنا خوص يخلن نعائما)

ولم نسمع للأعشار بواحد.

وأخبرنا أبو أحمد قال حكى لي عن ابن سلام أنه قال أنسب بيت قالته العرب:

---

(١) المنصف للسارق والمسروق منه ابن وكيع التنيسي ص/٧٠٩

(ولما التقى الحيان ألقيت العصا ... ومات الهوى لما أصيبت مقاتله)

وقالوا أنسب بيت قالته العرب قول الآخر:

(إذا قلت إني مشتف بلقائها ... فحم التلاقي بيننا زادنا سقما)." (١)

"كم خاس «١» ميعادك يا مخلف ... كم تخلف الوعد تحلف

قد صرت لا أدعو على كاذب ... ولا ظلوم الفعل لا ينصف

فما شك أحد ممن حضر ان الغلام كان قد وعده فأخلفه، وان الشعر له.

وأخبرنا أبو أحمد قال: كنا فى مجلس ابن دريد وكان يتضجر ممن يخطىء فى قراءته، فحضر غلام وضيء، فجعل يقرأ ويكثر الخطأ، وابن دريد صابر عليه، فتعجب أهل المجلس، فقال رجل: يا أهل المجلس! لا تعجبوا فان فى وجهه غفران ذنوبه، فسمعها ابن دريد، فلما أراد ان يقرأ قال: هات يا من ليس فى وجهه غفران ذنوبه، فعجبوا من صحة سمعه، مع علو سنه.

وأخبرنا أبو القاسم بن شيراز- رحمه الله- قال: أخبرنا أبو بكر الجوهرى قال: حدثنا بعض أصحابنا قال: كان سعيد بن حميد الكاتب قد هوى غلاما من أبناء الاتراك- بسر من رأى «٢» - بارع الجمال، فبذل له خمسين دينارا ليحضره فقال: على أنى اذا أذن العشاء الآخرة انصرفت، فلما وافى أمر بوضع فما فرغوا حتى كان وقت صلاة العشاء الآخرة، فقال سعيد: يا غلام! الدواة والقرطاس، فكتب الى المؤذن:

قل لراعى الظلام أخر قليلا ... قد قضينا حق الصلاة طويلا

ليس فى ساعة تؤخرها وز ... ر تكافا بها وتأتى جميلا

وتراعى حق الفتوة فينا ... وتعافى من أن تكون ثقيلا

أول ما ظهر اللواط حين كثر الغزو فى صدر الاسلام

وطالت غيبة الناس عن أهليهم، وذلك حين افتتح خراسان، وجمع البعوث فى ثغورها، وسبوا ذرارى المشركين فيها، واتخذوهم وصفاء،." (٢)

"غالب: أي بنيك أحب إليك؟ قال: الذي لا يرد بسطة يده بخل، ولا يلوي لسانه عي، ولا يغير طبعه سفه، وهو أحد ولدك بارك الله لنا ولك فيه - يعني كعب بن لؤي. ولؤي تصغير لأي، وهو بقر الوحش.

شاعر: الطويل

إذا أمل يوما غزاني حبوته ... كتائب يأس كرها وطرادها

سوى أمل يدني إليك فإنه ... يبلغ أسباب المنى من أرادها

قيل لسقراطيس الفيلسوف - وكان من خطبائهم -: ما صناعة الخطيب؟ قال: أن يعظم شأن الأشياء الحقيرة، ويصغر شأن الأشياء العظيمة.

---

(١) ديوان المعاني العسكري، أبو هلال ١/٢٢٢

(٢) الأوائل للعسكري العسكري، أبو هلال ص/٣٨٣

يقال: فلان قد جمع طهارة المروءة وأريحية **الفتوة**.

قيل للبوشنجي شيخ خراسان: ما المروءة؟ قال: إظهار." (١)

"الزي؛ قيل: فما **الفتوة؟** قال: طهارة السر.

وقال بعض السلف: العلوم أربعة: الفقه للأديان، والطب للأبدان، والنجوم للأزمان، والنحو للسان.

لأبي زبيد الطائي: الوافر

إذا نلت الإمارة فاسم فيها ... إلى العلياء والحسب الوثيق

فكل إمارة إلا قليلا ... مغيرة الصديق على الصديق

فلا تك عندها حلول فتحسى ... ولا مرا فتنشب في الحلوق

أعاتب كل ذي حسب ودين ... ولا أرضى معاتبة الرفيق

وأغمض للصديق عن المساوي ... مخافة أن أعيش بلا صديق

قال الماهاني: سار رجل أبخر رجلا أصم، فلشدة ما صدم خياشيم الأصم قال للأبخر: قد فهمت ما قلت؛ فلما ولى قيل للأصم: ما الذي قال لك؟ قال: والله ما أدري ولكنه فسا في أذني.

شاعر: الطويل." (٢)

"وأما التجار فكسب الدوانيق سد بينهم وبين كل مروءة، وحاجز لهم عن كل ما يتعلق **بالفتوة**.

وأما أصحاب الدين والورع فعلى قلتهم فربما خلصت لهم الصداقة لبنائهم إياها على التقوى، وتأسيسها على أحكام الحرج، وطلب سلامة العقبى.

وأما الكتاب وأهل العلم فإنهم إذا خلوا من التنافس، والتحاسد، والتماري، والتماحك فربما صحت لهم الصداقة، وظهر منهم الوفاء، وذلك قليل، وهذا القليل من الأصل القليل.

وأما أصحاب المذاب والتطفيف فإنهم رجرجة بين الناس، لا محاسن لهم فتذكر، ولا مخازي فتنشر، ولذلك قيل لهم همج، ورعاع، وأوباش، وأوناش، ولفيف، وزعانف، وداصة، وسقاط، وأنذال، وغوغاء، لأنهم من دقة الهمم، وخساسة النفوس، ولؤم الطبائع على حال لا يجوز معها أن يكونوا في حومة المذكورين، وعصابة المشهورين، فلهذه الأمور الحائلة عن مقارها، الزائغة إلى غير جهاتها علل وأسباب لو نفس الزمان قليلا لكنا ننشط لشرحها، وذكر ما قد أتى النسيان عليه، وعفى أثره الإهمال، وشغل عنه طلب القوت، ومن أين يظفر بالغداء، وإن كان عاجزا عن الحاجة، وبالعشاء وإن كان قاصرا عن الكفاية، وكيف يحتال في حصول طمرين للستر لا للتجمل، وكيف يهرب من الشر المقبل، وكيف يهرول وراء الخير المدبر،

---

(١) البصائر والذخائر أبو حيّان التوحيدي ١/١٠٠

(٢) البصائر والذخائر أبو حيّان التوحيدي ١/١٠١

وكيف يستعان بمن لا يعين، ويشتكى إلى غير رحيم، ولكن حال الجريض دون القريض، ومن العجب والبديع أنا كتبنا هذه الحروف على ما في النفس من الحرق، والأسف،." (١)

"قال معاوية: المودة بين السلف ميراث بين الخلف.

قال أبو العتاهية: قلت لعلي بن الهيثم: ما يجب للصديق؟ قال: ثلاث خلال: كتمان حديث الخلوة، والمواساة عند الشدة، وإقالة العثرة.

قال عبد الملك بن صالح: مشاهدة الإخوان أحسن من إقبال الزمان، وألذ من نيل الأمان، وأحلى من رضا السلطان.

وقال بزرجمهر: الإخوان كالسلاح، فمنهم من يجب ان يكون كالرمح يطعن به من بعيد، ومنهم كالسهم يرمى به ولا يعود إليك، ومنهم كالسيف الذي لا ينبغي أن يفارقك.

شاعر:

وأبثثت عمرا بعض ما في جوانحي ... وجرعته من مر ما أتجرع

ولابد من شكوى إلى ذي حفيظة ... إذا جعلت أسرار نفس تطلع

وسمعت أبا عثمان أحد الخالديين يحكي أن عيارا سمع رجلا يقول: إذا عز أخحوك فهن، فقال للقائل: أخطأت، إذا عز أخوك فأهن شأنه وأنا أقول: لو كان هذا الحكم من رجل نبيه له في الحكمة قدم، وفي الفضل قدم، لتأوله متأول على وجه بعيد أو قريب، ولكنه روى عن عيار، وهذا الرهط ليس لأحد فيهم أسوة، ولا هم لأحد قدوة، لغلبة الباطل عليهم، وبعد الحق عنهم، ولأن الدين لا يلتاط بهم، **والفتوة** التي يدعونها بالاسم لا يحلون بها في الحقيقة، وكيف تصح **الفتوة** إذا خالفها الدين، وكيف يستقر الدين إذا فارقته **الفتوة**، الدين تكاليف من الله تعالى، **والفتوة**." (٢)

"وصلتكم جهدي وزدت على جهدي ... فلم أر فيكم من يدوم على العهد

تأنيتكم جهد الصديق لتقصدوا ... وتأبون إلا أن تحيدوا عن القصد

فإن أمس فيكم زاهدا بعد رغبة ... فبعد اختبار كان في وصلكم زهدي

إذا خنتم بالغيب عهدي فما لكم ... تدلون إدلال المقيم على العهد

صلوا وافعلوا فعل المدل بوصله ... وإلا فصدوا وافعلوا فعل ذي الضد

فكم من نذير كان لي قبل فيكم ... وها أنا ذا فيكم نذيرا لمن بعدي

تعزوا بيأس عن هواي فإنني ... إذا انصرفت نفسي فهيهات من رد

أرى الغدر ضدا للوفاء وإنني ... لأعلم أن الضد ينبو عن الضد

قال لقمان: من يصحب صاحب الصلاح يسلم، ومن يصحب صاحب السوء لا يسلم.

وقال أيضا: جالس العلماء، وزاحمهم بركبتيك فإن الله يحيي القلوب بنور الحكمة كما يحيي الأرض الميتة بوابل السماء.

---

(١) الصداقة والصديق أبو حيّان التوحيدي ص/٣٣

(٢) الصداقة والصديق أبو حيّان التوحيدي ص/٦٤

قال الفضيل بن عياض: قال لي ابن المبارك: ما أعياني شيء كما أعياني أني لا أجد أخا في الله قال: فقلت له: لا يهيدنك هذا فقد خبثت السرائر، وتنكرت الظواهر، وفني ميراث النبوة، وفقد ما كان عليه أهل **الفتوة**.

قال بكر بن عبد الله المزني: إذا انقطع شسع نعل صاحبك فلم تقف." (١)

"قال يحيي بن معاذ: واشوقاه إلى حبيب إذا غضب عفا، وإذا رضي كفى.

قلت لأبي سليمان: هل يلاث ما بين الصديقين، وهل يفضيان إلى هجر، وهل يفزعان إلى عتب؟ فقال: أما ما دامت الصداقة قاصرة عن درجتها القاصية، فقد يعرض هذا كله بينهما، لكنهما يرجعان فيه إلى أس المودة، وإلى شرائط المروءة، وإلى مالا يهتك سجف **الفتوة**، وأما الهجر فإن حدث حدث جميلا، ولا مستمر لحوافز الشوق إلى المعهود، ومحركات النفس إلى التلاقي، وأما العتب فربما أصلح ورد الفائت، وشعب الصدع، ولم الشعث، والإكثار منه ربما عرض بالحقد، وأحدث نوعا من النبو، وقد قيل: وما صافيت من لا تعاتبه، وربما كان العود إلى الصفاء بعد هذا الكدر فوق ما عهداه في الأول. وقال الأول:

أناس أمناهم فنموا حديثنا ... فلما كتمنا السر عنهم تقولوا." (٢)

"ويقتل؟ أم من التدين ب " التوحيد " أن يركب الفاحش ويأتي القاذورات؟ ويخلو بالأبن والسوءات؟ ويتسنم الكبائر المبيرات؟ ثم يبني دارا يسميها دار التوبة استهزاء وسخرية وسخنة عين؟ أم من المعروف أن يتعاطى كل منكر قولا وفعلا؟ إني لأظن أن من ينصر هذا الرجل لأعمى أصم قد أسلمه الله من يده، وألجأه إلى الشيطان قرينه.

أم من العقل والمروة والكرم **والفتوة** أن يقول: أين مائدتنا من مائدة مطرف؟ يعني أبا نصر مطرف بن أحمد وزير مرداويج الجبلي، وكان أكرم الناس؛ ومن مائدة المهلبي؟ ومن مائدة ابن العميد؟." (٣)

"وأنت بالليل ذئب لا حريم له ... وبالنهار على سمت ابن سيرين

وإذا تكلم أحدهم خفض صوته، وقطع حروفه، وسبح في خلال ذلك، وقال: عافاك الله اسمع! ويا هذا أصلحك الله! ويا عبد الله الصالح! قل خيرا، ولا قليل من الله، ويا فلان! اتق ربك الذي إليه معادك، أما عليك حفظة من قبل الله؟ أما للإسلام عندك حرمة؟ أما تؤمن بالله؟ أما تؤمن بيوم الحساب؟ قال: وأما الرعونة فما عليه الشطار من هؤلاء الشباب الجلد الذين يرفعون الحجر، ويدعون **الفتوة**، ويكثرون ذكرها ويحلفون بها، ويسمونها " الجوامردية "، ترى أحدهم يضيق الأكمام ويحل الأزرار، ويفتل السبال، ويمشي متحاملا، ويتكلم متصاولا.

قال: وأما الجنون فما تجد عليه هؤلاء الذين يتنازعون بينهم قولهم: أبو بكر خير من علي، وعلي خير من أبي بكر؛ وإذا حلفوا قالوا:." (٤)

---

(١) الصداقة والصديق أبو حيّان التوحيدي ص/٦٧

(٢) الصداقة والصديق أبو حيّان التوحيدي ص/١٠٠

(٣) أخلاق الوزيرين = مثالب الوزيرين أبو حيّان التوحيدي ص/١٦٩

(٤) أخلاق الوزيرين = مثالب الوزيرين أبو حيّان التوحيدي ص/٢٩٣

"جانب، فإن صناعتهم يفتقر فيها أشياء يؤاخذ بها غيرهم، ولست منهم، فلا تتشبه بهم، ولا تجر على مثالهم، ولا تنسج على منوالهم، ولا تدخل في غمارهم، ولا تكثر ببياضك سوادهم، ولا تقابل بفهاهتك براعتهم، ولا تجذب بيدك رشاءهم، ولا تحاول بباعك مطاولتهم، واعرف قدرك تسلم، والزم حدك تأمن، فليس الكودن «١» من العتيق في شيء، ولا الفقير من الغني على شيء، أما سمعت قول الناس: ليس الشامي للعراقي بصاحب، ولا الكردي من الجندي بساخر، فإن طال «٢» فلا تبل، وإن تشعب فلا تكترث، فإن الإشباع في الرواية أشفى للغليل، والشرح للحال أبلغ إلى الغاية، وأظفر بالمراد، وأجرى على العادة.

فكتبت: (بسم الله الرحمن الرحيم) ، أقول أيها الشيخ- عطف الله قلبك علي، وألهمك الإحسان إلي- في جواب جميع ما قلته واجدا علي وعاتبا، وقابضا، وباسطا، ومرشدا، وناصحا، ما يعرف الحق فيه، ويستبين الصواب منه، غير خائن لك، ولا جانح إلى مخالفتك، ولا مريغ «٣» للباطل معك، ولا جاحد لأياديك القديمة والحديثة، ولا منكر لنعمتك الكافية الشافية، ولا غاط على فواضلك المجتمعة والمتفرقة، ولا تارك لشيء هو علي من أجل شيء هو لي، ولا معرض عن شيء هو لي بسبب شيء هو علي، بل أجهز دقة وجله إليك حتى تراه بسده وغباره، وأجلوه عليك حتى تلحظه بردائه وإزاره.

كأني لم أسمع قول الأول «٤» :

والكفر مخبثة لنفس المنعم ... والشكر مبعثة لنفس المفضل

أأنا أدعك واجدا علي، وأرقد وأنت ماقت لي، وأجد حس نعمة أنت وهبتها إلي، وألذ عيشا أنت أذقتني حلاوته. أأنسى أياديك وهي طوق رقبتي، وتجاه عيني، وحشو نفسي، وراحة حلمي، وزاد حياتي، ومادة روحي؟ هيهات، هذا بعيد من القياس، وغير معهود بين أحرار الناس، الذين لهم اهتمام بصون أعراضهم، وحرص على إكرام أنفسهم، قد عبقوا بفوائح الفتوة، وعلقوا بحبائل المروءة، وشدوا «٥» من الحكمة أشرف الأبواب، واعتزوا من الأدب إلى أعز حرم، وحازوا شرفا بعد شرف، وانحازوا عن نطف بعد نطف «٦» ونظروا إلى الدنيا بعين بصيرة، وعزفوا أنفسهم عن زهرتها بتجربة صادقة.." (١)

"فلما وصل إليه ذلك الرسم- وهو مائة دينار- وحاجته ماسة إلى رغيف، وحوله وقوته قد عجزا عن أجرة مسكنه، وعن وجه غدائه وعشائه عاش.

ومما زاد في حديث الرسم أنه وصل إليه مع العذر الجميل، والوعد العريض الطويل، ولو رأيته وهو يترفل ويتحنك لعجبت.

فقال: سررتني لسروره بما كان مني، وإن عشت كففت الزمان عن ضيمه، وفللت عنه حد نابه، ولولا الضمانة «١» مانعة عن نفسه، ومتمنع معها بنفسه، لغشي هذا المجلس فيكم فاستأنس وآنس، ولكنه على حال لا محتمل له عليها، ولا صبر عليه معها، أتحفظ ما قال البديهي فيه؟ قلت: نعم، قال: أنشدنيه، فرويت:

أبو سليمان عالم فطن ... ما هو في علمه بمنتقص

لكن تطيرت عند رؤيته ... من عور موحش ومن برص

وبابنه مثل ما بوالده ... وهذه قصة من القصص

---

(١) الإمتاع والمؤانسة أبو حيّان التوحيدي ص/٣٨

فقال: قاتله الله، فلقد أوجع وبالغ، ولم يحفظ ذمام العلم، ولم يقض حق **الفتوة**. حدثني عن درجته في العلم والحكمة، وعرفني محله فيهما من محل أصحابنا ابن زرعة وابن الخمار وابن السمح والقومسي ومسكويه ونظيف ويحيى بن عدي وعيسى بن علي.

فقلت: وصف هؤلاء أمر متعذر، وباب من الكلفة شاق، وليس مثلي من جسر عليه، وبلغ الصواب منه، وإنما يصفهم من نال درجة كل واحد منهم، وأشرف بعد ذلك عليهم، فعرف حاصلهم وغائبهم، وموجودهم ومفقودهم.

فقال: هذا تحايل لا أرضاه لك، ولا أسلمه في يدك، ولا أحتمله منك، ولم أطلب إليك أن تعرفهم بما هو معلوم الله منهم، وموهبه لهم، ومسوقه إليهم، ومخلوعه عليهم، على الحد الذي لا مزيد فيه ولا نقص، إنما أردت أن تذكر من كل واحد ما لاح منه لعينيك، وتجلى لبصيرتك، وصار له به صورة في نفسك، فأكثر وصف الواصفين للأشياء على هذا يجري، وإلى هذا القدر ينتهي.

فقلت: إذا قنع مني بهذا، فإني أخدم بما عندي، وأبلغ فيه أقصى جهدي. أما شيخنا أبو سليمان فإنه أدقهم نظرا، وأقعرهم غوصا، وأصفاهم فكرا، وأظفرهم بالدرر، وأوقفهم على الغرر، مع تقطع في العبارة، ولكنة ناشئة من العجمة وقلة نظر في الكتب، وفرط استبداد بالخاطر، وحسن استنباط للعويص، وجرأة على تفسير الرمز، وبخل بما عنده من هذا الكنز.." (١)

"المكان، والشاعر يهزل ويجد، ويقرب ويبعد، ويصيب ويخطئ، ولا يؤاخذ بما يؤاخذ به الرجل الديان، والعالم ذو البيان.

ولا طرب ابن المهدي على جارية بنت خاقان المشهورة بعلوة إذا غنت:

أروع حين يأتيني الرسول ... وأكمد حين لا يأتي الرسول

أؤ ملكم وقد أيقنت أني ... إلى تكذيب آمالي أؤول

ولا طرب أبي طاهر بن المقنعي المعدل على علوان غلام ابن عرس فإنه إذا حضر وألقى إزاره، وقال لأهل المجلس: اقترحوا واستفتحوا فإني ولدكم بل عبدكم لأخدمكم بغنائي، وأتقرب إليكم بولائي، وأساعدكم على رخصي وغلائي، من أرادني مرة أردته مرات، ومن أحبني رياء أحببته إخلاصا، ومن بلغ بي بلغت به، لم أبخل عليكم بحسني وظرفي، ولم أنفس بهما عليكم، وإنما خلقت لكم، ولم أغاضبكم وأنا آملكم غدا إذا بقل وجهي، وتدلى سبالي، وولى جمالي، وتكسر خدي، وتعوج قدي، ما أصنع؟ حاجتي والله إليكم غدا أشد من حاجتكم إلي اليوم، لعن الله سوء الخلق، وعسر الطباع، وقلة الرعاية، واستحسان الغدر. فيمر في هذا وما أشبهه كلام كثير، فلا يبقى من الجماعة أحد إلا وينبض عرقه، ويهش فؤاده، ويذكر طمعه ويفكه قلبه، ويتحرك ساكنه، ويتدغدغ روحه، ويومئ إليه بقبلته، ويغمزه بطرفه، ويخصه بتحية، ويعده بعطية، ويقابله بمدحة، ويضمن له منحة، ويعوذه بلسانه، ويفضله على أقرانه، ويراه واحد أهل زمانه، فيرى ابن المقنعي وقد طار في الجو، وحلق في السكاك، ولقط بأنامله النجوم، وأقبل على الجماعة بفرح الهشاشة، ومرح البشاشة، فيقول: كيف ترون اختياري وأين فراستي من فراسة غيري، أبى الله لي إلا ما يزينني، ولا يشينني، ويزيد في جمالي، ولا ينقص من حالي، ويقر عيني ولبي،

---

(١) الإمتاع والمؤانسة أبو حيّان التوحيدي ص/٤٩

ويقصم ظهر عدوي، هات يا غلام ذلك الثوب الدبيقي وذلك البرد الشطوي، وذلك الفروج الرومي، وتلك السكة المطيبة، والبخور المدخر في الحقة، وهات الدينار الذي فيه مائة مثقال أهداه لنا أمس أبو العلاء الصيرفي فإنه يكفيه لنفقة أسبوع، ما أحسن سكته، وأحلى نقشه! ما رأيت في حسن استدارته شبها، وعجل لنا يا غلام ما أدرك عند الطباخ، من الدجاج والفراخ، والبوارد والجوزيات وتزايين المائدة، وصل ذلك بشراء أقراط وجبن وزيتون من عند كبل البقال في الكرخ، وقطائف حبش، وفالوذج عمر، وفقاع زريق، ومخلط خراسان من عند أبي زنبور، ولو كنا نشرب لقلنا: وشراب صريفين من عند ابن سورين، ولكن إن أحببتم أن أحضر بسببكم ومن أجلكم فليس في الفتوة أن أمنعكم من أربكم بسبب ثقل روحي وقلة مساعدتي، لعن الله الشهادة، فقد حجبتني عن كل شهوة وإرادة، وما أعرف في العدالة، إلا فوت الطلبة والعلالة.." (١)

"وقال الحسن في الرجل يدخل بيت أخيه فيرى السلة فيها الفاكهة: لا بأس أن يأكل من غير أن يستأذنه.

وقال ابن عمر: أهديت لرجل من أصحاب النبي- صلى الله عليه وسلم- شاة فقال: أخي فلان أحوج إليها، وبعث بها إليه، فلم يزل يبعث بها واحد بعد واحد حتى تداولها تسعة أبيات، ورجعت إلى الأول، فنزلت الآية: ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة

[الحشر: ٩] .

قال أبو سعيد الخدري: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من كان له ظهر فليعد على من لا ظهر له، ومن كان له زاد فليعد على من لا زاد له، حتى رأينا أنه لا حق لأحد منا في الفضل» .

وسئل ابن عمر: ما حق المسلم على المسلم؟ قال: ألا يشبع ويجوع، وألا يلبس ويعرى، وأن يواسيه ببيضائه وصفرائه.

وكان ابن أبي بكرة ينفق على جيرانه أربعين دارا سوى سائر نفقاته، وكان يبعث إليهم بالأضاحي والكسوة في الأعياد، وكان يعتق في كل يوم عيد مائة مملوك.

وكان حماد بن أبي سليمان يفطر كل ليلة من شهر رمضان خمسين إنسانا، وإذا كان يوم الفطر كساهم ثوبا ثوبا وأعطاهم مائة مائة.

وقال الشاعر:

أراك تؤمل حسن الثناء ... ولم يرزق الله ذاك البخيلا

وكيف يسود أخو بطنة ... يمن كثيرا ويعطي قليلا

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: «تجافوا عن ذنب السخي، فإن الله يأخذه بيده كلما عثر» .

وقال عليه السلام: «من أدى الزكاة، وقرى الضيف، وآوى في النائبة، فقد وقي شح نفسه» .

وقالت أم البنين أخت عمر بن عبد العزيز: أف للبخل، لو كان طريقا ما سلكته، ولو كان ثوبا ما لبسته، ولو كان سراجا ما استضأت به.

وقال الأصمعي: قال بعض العرب: ليست الفتوة الفسق ولا الفجور، ولا شرب الخمور، وإنما الفتوة طعام موضوع، وصنيع

---

(١) الإمتاع والمؤانسة أبو حيّان التوحيدي ص/٢٧٨

مصنوع، ومكان مرفوع، ولسان معسول، ونائل مبذول، وعفاف معروف، وأذى مكفوف.

وقال أبو حازم المدني: أسعد الناس بالخلق الحسن صاحبه، نفسه منه في راحة، ثم زوجته، ثم ولده، حتى إن فرسه ليصهل إذا سمع صوته، وكلبه يشرشر بذنبه إذا رآه، وقطه يدخل تحت مائدته، وإن السيئ الخلق لأشقى." (١)

"إذا كانت هذه النيابة على حد الكمال ولم تكن تليقينا من عامة الناس.

ثم قال: وليس معنى قولنا وحد فلان أنه قال هو واحد، هذا مفهوم العامة لا معقول الخاصة؛ بل معنى قولنا وحد أي عرفه واحدا، وعلمه واحدا، وأثبته واحدا، ووجده واحدا، لا لأنه نفى عنه الثاني والثالث فصاعد، وكيف ذلك، ولا ثاني له فينفي، ولكن لأنه واحد وحده، بل هو وحده واحد لا على سبيل تنسيق العبارة على عادة أصحاب اللفظ، لا على تعقيب يقتضيه إلف أكثر الخلق، بل على لحظ ذات لا شوب فيها وتجريد أنية لا نعت لها وإشارة إلى هوية لا عبارة عنها.

ثم قال: وهذا موضع يزيغ عنه العقل الإنسي، ويوسوس منه الإنسان العنصري، وذلك لأن العقل يجد العلة الأولى وجدانا على أتم صورة وأشرف نعت، وأبلغ قول، فيهش إليه ويتهالك عليه، قابلا لفيضه، ومقتبسا من ذاته، وسابحا في جوده، ومتشبها بحقيقته، ومناسبا بنعته، يتحلى به من كان به عاقلا ومن كان به كاملا على ما دونه وعزوفا عما سواه، فلذلك يظن الإنسان إذا سما عقله إلى هذه الآفاق العلية ودنا نحو هذه الغايات البعيدة أنه خولط وجن وأنه وسوس، وهذا عار يحل على بؤبؤة العين وناظر الحدقة في حيث هذه الحدائق المؤنقة، والظلال الريحة، والثمرات الحلوة والنعمة الدائمة، والسعادة الحاصلة، والأمنية الشاملة.

قيل: ينزل قليلا عن هذه الربوة فإنها قد أخذتنا عن درجاتنا ومقاماتنا إلى ما هيئنا لمعرفة هذه الدقائق والتوغل في هذه الأعماق ما **الفتوة؟**

قال: طهارة الحدة والطراوة في كل حال مباشرة، لأنها متى فقدت جاءت الخلوقة والرثاثة، ومن ذلك سمي الفتى فتى، والفتى فتيا لأن الكرم والمجد والجود والعفة والنجدة وكبر النفس وعلو الهمة وسائر خصال الفضل والخير غضة في كل زمان طرية في كل مكان، كان الطاهر بها والمطهر لها والمؤثر لأحكامها والمجدد لرسومها فتى وصاحب فتوة.." (٢)

"قيل له: فما المرؤة، فإنها تتبع **الفتوة؟** فقال: هي القيام بخواص ما الإنسان يكون عليه محمودا وبه ممدوحا، وهي أعني المرؤة أشد لصوقا بباطن الإنسان، وأما **الفتوة** فهي أشد ظهورا من الإنسان، فكأن الأولى أخص، والثانية أعم، أني لا فتوة لمن لا مرؤة له، وقد يكون ذو مرؤة ولا فتوة له، فإما إذااجتمعا فقد أخذ الحبل بطرفيه، وملك الأمر بجنوبه.

قيل له: إن الحسن بن وهب قال: غزل الصداقة أرق من غزل العلاقة. فما وجه هذا القول؟ قال: صدق، هذه نفثة فاضل قد أحس كمال الصداقة، لأنها مؤثرة بالعقل ومجراة على أحكامه ومحمولة على رسومه، فأما العلاقة فهي من قبيل الحس، والطبيعة عليها أغلب وآثارها فيها أبين. وفي الجملة ينبغي أن يعلم أن ذا الطبيعة مشاكل لذى الطبيعة، وكذلك ذو النفس مشاكل لذي النفس، وكذلك ذو العقل مشاكل لذي العقل، وهذه التفرقة لم تقع من جهة الطبيعة الأولى لأنها واحدة

---

(١) الإمتاع والمؤانسة أبو حيّان التوحيدي ص/٢٩٤

(٢) المقابسات أبو حيّان التوحيدي ص/٣٦٦

سارية في الجميع، ولكنها وقعت من جهة المواد والقوابل بالزائد والناقص، وهكذا الحال في النفس والعقل، لأن شأنهما أعلى ومحلهما أسنى وأسمى، وذلك أن الطبيعة إنما تنهي الشيء اليسير مما تجده وتحصله من ناحية النفس والعقل، والطبيعة نفس في الأصل، والنفس عقل في الأول، والعقل هو المبدأ، وكل هذا واحد إذا لحظت القوة القائمة والجود المنبجس، والواحد كل إذا لحظ الجود المحض ومتى." (١)

"١٣٤٤ – عبد الله بن محمد بن يعقوب البخاري أبو محمد الفقيه الكلاباذي المعروف بعبد الله الأستاذ

١٣٤٥ – عبد الله بن أحمد بن محمد بن الحسين الماسرخسي أبو محمد النيسابوري

١٣٤٦ – عبد الله بن إسحاق بن يعقوب الكرماني وغيره

١٣٤٧ – عبد الله بن محمد بن الحسين بن الشرقي أبو محمد النيسابوري أخو أبي حامد وكان أسن منه وأسند منه

١٣٤٨ – عبد الله بن فارس بن محمد بن علي البلخي أبو ظهير العمري

١٣٤٩ – عبد الله بن أبي صالح المذكر أبو عبد الرحمن الزاهد المتكلم وكان من المجتهدين في العبادة ولكن إنه رأى القدر

١٣٥٠ – عبيد الله إبراهيم (١) بن بابويه النيسابوري أبو القاسم مزكى عصره ومن أعيان المشايخ ومسجده المعروف في سكة معقل

١٣٥١ – عبيد الله بن محمد النيسابوري المعروف بعيد الوراق

١٣٥٢ – عبيد الله بن يعقوب بن يوسف الرازي أبو القاسم الواعظ وتوفي بنيسابور ودفن في مقبرة باب معمر

١٣٥٣ – عبد الرحمن بن محمد بن الحسين بن علي بن أحمد النيسابوري أبو القاسم المذكر الواعظ الأديب الأوحد في عصره في صنعته بلا مدافعة وله كرامات مشهورة رضي الله عنه

١٣٥٤ – عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن السرخسي المذكر أبو بكر سكن بنيسابور إلى أن توفي بها

١٣٥٥ – عبد الرحمن بن محمد بن سليمان النيسابوري أبو محمد من قرية بغوحك

١٣٥٦ – عبد الرحمن بن محمد بن علويه الأبهري أبو بكر القاضي ولى قضاء طوس وأبيورد

١٣٥٧ – عبد الواحد بن سعيد النيسابوري أبو أحمد الأرغياني

١٣٥٨ – عبد العزيز بن الحسن أبو بكر البردعي العابد

١٣٥٩ – عبد العزيز بن محمد الخشاب أبو عمر النيسابوري وكان من الزهاد يسكن سكة تنكش

١٣٦٠ – عبد الملك بن محمد بن عدي الجرجاني أبو نعيم الفقيه الإستراباذي

١٣٦١ – عبد الواحد بن محمد بن أحمد بن بالويه النيسابوري أبو الحسن البالوي الحيري

١٣٦٢ – عبد الواحد بن محمد النيسابوري

١٣٦٣ – عبد الواحد بن محمد النيسابوري

---

(١) المقابسات أبو حيّان التوحيدي ص/٣٦٧

١٣٦٤ – عبد الواحد بن محمد بن هاني أبو حاتم شيخ آل هاني واشتغل **بالفتوة** فصار أوحد أهل بلدنا فيها

١٣٦٥ – عمر بن علي بن عبد الرحمن الجوهري أبو حفص المروزي المعروف بابن علل

١٣٦٦ – عقيل بن إسحاق أبو حاتم النيسابوري المعروف بعقيل القنارزي

---

(١) كذا بالأصل ولعله: بن إبراهيم." (١)

"وهو من جلة المشايخ وقدمائهم والمذكورين بالورع **والفتوة** كان أستاذ سري السقطي صحب داود الطائي وقبره ببغداد ظاهر يستشفى به ويتبرك بزيارته

سمعت أبا الحسن بن مقسم المقرئ ببغداد يقول سمعت أبا علي الصفار يقول سمعت إبراهيم بن الجزري يقول قبر معروف الترياق المجرب." (٢)

"١٣ – ومنهم أحمد بن خضرويه البلخي كنيته أبو حامد

وهومن كبار مشايخ خراسان صحب أبا تراب النخشبي وحاتما الأصم ورحل إلى أبي يزيد البسطامي وهو من مذكوري مشايخ خراسان **بالفتوة** ودخل نيسابور في زيارة أبي حفص النيسابوري

قيل لأبي حفص من أجل من رأيت من هذه الطبقة قال ما رأيت أحدا أكبر همة ولا أصدق حالا من أحمد بن خضرويه توفي سنة أربعين ومائتين

كذلك سمعت عبد الله بن علي قال سمعت محمد بن الفضل البلخي يذكر ذلك

سمعت منصور بن عبد الله يقول سمعت محمد بن الفضل يقول سمعت أحمد بن خضرويه يقول ولي الله لا يسم نفسه بسيماء ولا يكون له اسم يتسمى به." (٣)

"قال وقال محمد بن بحر الشجيني أخو زكريا كنت أخاف الفقر مع ما كنت أملك من المال فقال لي يوما أبو حفص إن قضى الله عليك الفقر لا يقدر أحد أن يغنيك فذهب خوف الفقر من قلبي رأسا

قال قال أبو حفص الفقير الصادق الذي يكون في كل وقت بحكمه فإذا ورد عليه وارد يشغله عن حكم وقته يستوحش منه وينفيه

قال وقال أبو حفص ما أعز الفقر إلى الله وأذل الفقر إلى الاشكال وما أحسن الاستغناء بالله وأقبح الاستغناء باللئام

سمعت جدي رحمه الله يقول كان أبو حفص إذا غضب تكلم في حسن الخلق حتى يسكن غضبه ثم يرجع إلى حديثه

سمعت عبد الرحمن بن الحسين الصوفي يقول بلغني أن مشايخ بغداد اجتمعوا عند أبي حفص وسألوه عن **الفتوة** فقال تكلموا أنتم فإن لكم العبارة واللسان فقال الجنيد **الفتوة** إسقاط الرؤية وترك النسبة

---

(١) تاريخ نيسابور الحاكم، أبو عبد الله ص/٦٨

(٢) طبقات الصوفية للسلمي ويليه ذكر النسوة المتعبدات الصوفيات أبو عبد الرحمن السلمي ص/٨١

(٣) طبقات الصوفية للسلمي ويليه ذكر النسوة المتعبدات الصوفيات أبو عبد الرحمن السلمي ص/٩٥

فقال أبو حفص ما أحسن ما قلت ولكن الفتوة عندي أداء الإنصاف وترك مطالبة الإنصاف فقال الجنيد قوموا يا أصحابنا فقد زاد أبو حفص على آدم وذريته

وسمعت عبد الرحمن يقول بلغني أنه لما أراد أبو حفص الخروج من بغداد شيعه من بها من المشايخ والفتيان فلما أرادوا أن يرجعوا قال له بعضهم دلنا على الفتوة ما هي فقال الفتوة تؤخذ استعمالا ومعاملة لا نطقا فتعجبوا من كلامه

قال وسئل أبو حفص هل للفتى من علامة قال نعم من يرى الفتيان ولا يستحى منهم في شمائله وأفعاله فهو فتى." (١)

"قال وقال عبد الله إخلاص العمل أشد من العمل والعمل يعجز عنه الرجال

قال وقال عبد الله طول الاستماع إلى الباطل يطفي حلاوة الطاعة من القلب

٢٠ - ومنهم أبو تراب النخشبي واسمه عسكر بن حصين ويقال عسكر بن محمد بن حصين

صحب أبا حاتم العطار البصري وحاتما الأصم البلخي وهو من جلة مشايخ خراسان والمذكورين بالعلم والفتوة والتوكل والزهد والورع

سمعت أبا الحسن القزويني يقول سمعت علي بن عبدك يقول سمعت ابا عمران الطبرستاني يقول سمعت ابن الفرجي يقول رأيت حول أبي." (٢)

"قال وقيل له هل ينفع الولد صلاح الوالدين فقال من لم يكن بنفسه لا يكون بغيره بل من لم يكن بربه لا يكون بنفسه وأنشد لابن الرومي

(إذا العود لم يثمر وإن كان شعبة ... من المثمرات اعتده الناس في الحطب)

قال وسئل رويم عن الشاطر فقال من شطرت نفسه عن الباطل

قال وسئل رويم عن حقيقة الفقر فقال أخذ الشيء من جهته واختيار القليل على الكثير عند الحاجة

قال وقال رويم قعودك مع كل طبقة من الناس أسلم من قعودك مع الصوفية فإن كل الخلق قعدوا على الرسوم وقعدت هذه الطائفة على الحقائق وطالب الخلق كلهم أنفسهم بظواهر الشرع وطالبوا هم أنفسهم بحقيقة الورع ومداومة الصدق فمن قعد معهم وخالفهم في شيء مما يتحققون فيه نزع الله نور الإيمان من قلبه

قال وقال رويم لما عظمت فيهم البلية استحكمت عليهم الفتنة واستصغروا عند ذلك كل مقام وعزب عنهم التدبير والنظام

سمعت الحسين بن يحيي الشافعي يقول سمعت جعفر بن محمد الخواص يقول سمعت رويما يقول الإخلاص ارتفاع رؤيتك من الفعل

قال وسئل رويم عن الفتوة فقال أن تعذر إخوانك في زلاتهم ولا تعاملهم بما تحتاج أن تعتذر منه

---

(١) طبقات الصوفية للسلمي ويليه ذكر النسوة المتعبدات الصوفيات أبو عبد الرحمن السلمي ص/١٠٥

(٢) طبقات الصوفية للسلمي ويليه ذكر النسوة المتعبدات الصوفيات أبو عبد الرحمن السلمي ص/١٢٤

سمعت عبد الواحد بن بكر يقول سمعت محمد بن خفيف يقول سألت رويم بن أحمد فقلت له أوصني فقال أقل ما في هذا الأمر بذل الروح." (١)

"رأيت بخط جدي أبي عمرو إسماعيل بن نجيد قال شاه بن شجاع الكرماني شغل العارف بثلاثة أشياء بالنظر إلى معبوده مستأنسا به والملاحظة لمننه وفوائده شاكرا له والتذكر لذنبه معترفا به ومنيبا تائبا إليه

قال وقال شاه من صحبك ووافقك على ما يحب وخالفك فيما تكره فإنما يصحب هواه ومن صحب هواه فهو طالب راحة الدنيا

قال وقال شاه اعملوا الطاعات أنزه ما يكون وانظروا إليها أقذر ما يكون

سمعت أبا الحسين الفارسي يقول سمعت أبا علي الأنصاري باصطخر يقول سمعت شاه بن شجاع الكرماني يقول لأهل الفضل فضل ما لم يروه فإذا رأوه فلا فضل لهم ولأهل الولاية ولاية ما لم يروها فإذا رأوها فلا ولاية لهم

قال وقال شاه الفتوة من طباع الأحرار واللوم من شيم الأنذال وما تعبد متعبد بأكثر من التحبب إلى أولياء الله بما يحبون

قال وقال شاه محبة أولياء الله تعالى دليل على محبة الله عز وجل

قال وقال شاه الإعراض عن الحق هو السخط

قال وقال شاه علامة الركون إلى الباطل التقرب من المبطلين." (٢)

"وبه قال محمد الموافقة أصل المحبة وأصل الوصال ترك القرار وأصل الفقر معرفة التقصير وأصل الثبات على الحق دوام الفقر إلى الله تعالى

وبه قال محمد من استوى عنده ما دون الله نال المعرفة بالله

سمعت أبا الفرج عبد الواحد بن بكر يقول سمعت أبا علي الخمي يقول سمعت محمد بن الفضل يقول وسئل ما الفتوة فقال حفظ السر مع الله على الموافقة وحفظ الظاهر مع الخلق بحسن العشرة واستعمال الخلق

وسمعته يقول سمعت أبا علي يقول سئل محمد عن الزهد فقال النظر إلى الدنيا بعين النقص والإعراض عنها تعززا وتظرفا فمن استحسن من الدنيا شيئا فقد نبه عن قدرها

٣٢ - ومنهم محمد بن علي الترمذي وهو محمد بن علي بن الحسن وكنيته أبو عبد الله

لقي أبا تراب النخشبي وصحب يحيى الجلاء وأحمد بن خضرويه وهو من كبار مشايخ خراسان وله التصانيف المشهورة كتب الحديث الكثير ورواه

حدثنا القاضي أبو محمد يحيى بن منصور قال حدثنا أبو عبد الله محمد ابن علي الترمذي حدثنا محمد بن رزام الأبلي حدثنا محمد بن عطاء." (٣)

---

(١) طبقات الصوفية للسلمي ويليه ذكر النسوة المتعبدات الصوفيات أبو عبد الرحمن السلمي ص/١٤٩

(٢) طبقات الصوفية للسلمي ويليه ذكر النسوة المتعبدات الصوفيات أبو عبد الرحمن السلمي ص/١٥٧

(٣) طبقات الصوفية للسلمي ويليه ذكر النسوة المتعبدات الصوفيات أبو عبد الرحمن السلمي ص/١٧٥

"وسمعت جدي يقول سمعت أبا عبد الله يقول علامة الأولياء ثلاثة تواضع عن رفعة وزهد عن قدرة وإنصاف عن قوة

قال وسمعت أبا عبد الله يقول كل واعظ لا يقوم الغنى من مجلسه فقيرا والفقير من مجلسه غنيا فليس بواعظ

قال وسمعت أبا عبد الله يقول بئس العبد عبد عصى الله بقلبه وجوارحه واعتذر إليه بلسانه من غير رجوع عما سلف

قال وسمعت أبا عبد الله يقول أنفع شيء للمريدين صحبة الصالحين والاقتداء بهم في أفعالهم وأخلاقهم وشمائلهم وزيارة قبور الأولياء والقيام بخدمة الأصحاب والرفقاء

قال وسمعت أبا عبد الله يقول لا تعير أحدا بذنب حتى تتيقن أن ذنوبك مغفورة

قال وسمعت أبا عبد الله وقيل له لم لا تلبس المرقعة فقال من النفاق أن تلبس لباس الفتيان ولا تدخل في حمل أثقال الفتوة إنما يلبس لباس الفتيان من يصبر على حمل أثقال الفتوة فقيل له ما الفتوة فقال رؤية أعذار الخلق وتقصيرك وتمامهم ونقصانك والشفقة على الخلق كلهم برهم وفاجرهم وكمال الفتوة هو ألا يشغلك الخلق عن الله عز وجل." (١)

"أكباد العارفين وأسهرت ليل العابدين وأظمأت نهار الزاهدين وأكثرت بكاء التائبين ونغصت حياة الخائفين

قال وسمعته يقول التوكل استواء الحال عند العدم والوجود وسكون النفس عند مجاري المقدور

قال وسمعته يقول علامة محبة الله تعالى متابعة حبيبه صلى الله عليه وسلم

قال وسمعته يقول أصل الفتوة خمس خصال أولها الحفاظ والثاني الوفاء والثالث الشكر والرابع الصبر والخامس الرضا

قال وسمعته يقول في رؤية النفس نسيان منن الله تعالى عليك

قال وسمعته يقول أنفع العلم العلم بأمر الله ونهيه ووعده ووعيده وثوابه وعقابه وأعلى العلوم العلم بالله وصفاته وأسمائه

قال وسمعته يقول الأنس بالخلق وحشة والطمأنينة إليهم حمق والسكون إليهم عجز والاعتماد عليهم وهن والثقة بهم ضياع وإذا أراد الله بعبد خيرا جعل أنسه به وبذكره وتوكله عليه وصان سره عن النظر إليهم وظاهره عن الاعتماد عليهم

قال وسمعته يقول من غض بصره عن محرم أورثه الله تعالى بذلك حكمة على لسانه ينتفع بها سامعوه ومن غض بصره عن شبهة نور الله قلبه بنور يهتدي به إلى طرق مرضاته

قال وقال أبو الحسين من أسكن نفسه محبة شيء من الدنيا فقد قتلها بسيف الطمع ومن طمع في شيء ذل وبذله هلك وقديما قيل

(أتطمع في ليلى وتعلم أنما ... يقطع أعناق الرجال المطامع)

قال وقال أبو الحسين لا يصل العبد إلى شيء من التقوى وعليه بقية." (٢)

"عظيم المرمى في هذه العلوم أحد فتيان الجبال كبير الحال ظاهر الفتوة

ذكر أبو زرعة أنه مات سنة تسع وتسعين ومائتين إن كان حفظه

---

(١) طبقات الصوفية للسلمي ويليه ذكر النسوة المتعبدات الصوفيات أبو عبد الرحمن السلمي ص/٢٠٢

(٢) طبقات الصوفية للسلمي ويليه ذكر النسوة المتعبدات الصوفيات أبو عبد الرحمن السلمي ص/٢٣١

سمعت ابا بكر الرازي يقول سمعت ممشاذ يقول طريق الحق بعيد والصبر مع الحق شديد

وبهذا الإسناد قال ممشاذ جماع المعرفة صدق الافتقار إلى الله تعالى

وبهذا الإسناد قال ممشاذ لو جمعت حكمة الأولين والآخرين وادعيت أحوال السادة من الأولياء فلن تصل إلى درجات العارفين حتى يسكن سرك إلى الله تعالى وتثق به فيما ضمن لك

سمعت أبا بكر الرازي يقول سمعت فارس الدينوري يقول خرج ممشاذ من باب الدار فنبح عليه كلب فقال ممشاذ لا إله إلا الله فمات الكلب مكانه

وبهذا الإسناد قال ممشاذ ما أقبح الغفلة عن طاعة من لا يغفل عن برك وما أقبح الغفلة عن ذكر من لا يغفل عن ذكرك

وبهذا الإسناد قال ممشاذ فراغ القلب في التخلي مما تمسك به أهل الدنيا من فضول دنياهم

سمعت ابا بكر الرازي يقول سمعت ممشاذ يقول للعارف مرآة إذا نظر فيها تجلى له مولاه

وبهذا الإسناد قال ممشاذ ما كتب صحيح إلى صحيح وما لقي صحيح صحيحا وما افترقا في الحقيقة

وبهذا الإسناد قال ممشاذ من يكن الله تعالى همته لم تستقطعه الأقدار ولم تملكه الأخطار." (١)

"سري السقطي والجنيد وأسند الحديث ورواه

أخبرنا يوسف بن عمر بن مسرور الزاهد ببغداد قال حدثنا جعفر بن محمد بن نصير الخلدي إملاء قال حدثنا الحارث بن أبي أسامة قال حدثنا يزيد بن هارون قال أخبرنا أزهر بن سنان القرشي قال حدثنا محمد بن واسع قال قدمت مكة فلقيت بها سالم بن عبد الله بن عمر فحدثني عن أبيه عن جده عمر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (من دخل السوق فقال لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير كتب الله له ألف ألف حسنة ومحا عنه ألف ألف سيئة ورفع له ألف ألف درجة أو قال بنى له بيتا في الجنة) شك يزيد قال فقدمت خراسان فلقيت قتيبة بن مسلم فقلت أتيتك بهدية فحدثته بالحديث فكان قتيبة يركب في موكبه فيأتي السوق فيقولها ثم ينصرف

سمعت أبا الفتح القواس الزاهد ببغداد يقول سمعت جعفر بن محمد الخلدي يقول لا يجد العبد لذة المعاملة مع لذة النفس لأن أهل الحقائق قطعوا العلائق التي تقطعهم عن الحق قبل أن تقطعهم العلائق

قال وقال جعفر الفرق بين الرياء والإخلاص أن المرائي يعمل ليرى والمخلص يعمل ليصل

قال قال جعفر الفتوة احتقار النفس وتعظيم حرمة المسلمين

سمعت أبا القاسم العباس بن محمد بن العباس الخلال بمرو يقول سمعت." (٢)

"٨٨ - ومنهم أبو الحسن البوشنجي واسمه علي بن أحمد بن سهل

كان أوحد فتيان خراسان لقي أبا عثمان وصحب بالعراق ابن عطاء والجريري وبالشام طاهرا وأبا عمرو الدمشقي وتكلم

---

(١) طبقات الصوفية للسلمي ويليه ذكر النسوة المتعبدات الصوفيات أبو عبد الرحمن السلمي ص/٢٤٣

(٢) طبقات الصوفية للسلمي ويليه ذكر النسوة المتعبدات الصوفيات أبو عبد الرحمن السلمي ص/٣٢٧

مع الشبلي في مسائل

وهو من أعلم مشايخ وقته بعلوم التوحيد وعلوم المعاملات وأحسنهم طريقة في الفتوة والتجريد وكان ذا خلق متدينا متعهدا للفقراء مات سنة ثمان وأربعين وثلاثمائة وأسند الحديث

أخبرنا محمد بن عبد الله بن محمد الحافظ قال حدثنا أبو الحسن علي بن أحمد بن سهل البوشنجي الصوفي قال حدثنا محمد بن عبد الرحمن الشامي قال حدثنا إسماعيل بن أبي أويس قال حدثنا إسماعيل بن إبراهيم بن أبي حبيبة عن داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمنا من الأوجاع كلها أن نقول (بسم الله الكبير أعوذ بالله العظيم من شر عرق نعار ومن شر حر النار)

سمعت أبا العباس محمد بن الحسن الخشاب يقول سمعت أبا الحسن البوشنجي وسألته عن السنة فقال البيعة تحت الشجرة وما وافق ذلك من الأفعال والأقوال." (١)

"قال وسألته عن التصوف فقال اسم ولا حقيقة وقد كان قبل حقيقة ولا اسم

قال وسألته عن المروءة فقال ترك استعمال ما هو محرم عليك مع الكرام الكاتبين

سمعت أبا بكر الرازي يقول سمعت أبا الحسن البوشنجي يقول الناس على ثلاث منازل الأولياء وهم الذين باطنهم أفضل من ظاهرهم والعلماء وهم الذين سرهم وعلانيتهم سواء والجهال وهم الذين علانيتهم تخالف أسرارهم لا ينصفون من أنفسهم ويطلبون الإنصاف من غيرهم

قال وسئل أبو الحسن عن التصوف فقال هو الحرية والفتوة وترك التكلف في السخاء والتظرف في الأخلاق

سمعت أبا عثمان سعيد بن أبي سعيد يقول سئل أبو الحسن البوشنجي من الظريق فقال الخفيف في ذاته وأخلاقه وأفعاله وشمائله من غير تكلف

قال وقال أبو الحسن ليس في الدنيا أسمج من محب لسبب أو عوض

قال وسئل أبو الحسن البوشنجي ما المروءة فقال فقال حسن السر والبشر

قال وقال أبو الحسن السراج يوما للبوشنجي ادع الله لي فقال." (٢)

"أعاذك الله من فتنتك وبلائك لأن الفتنة والبلاء ليسا إلا من نفسه

قال وسئل عن المحبة فقال بذلك مجهودك مع معرفة محبوبك لأن محبوبك مع بذل مجهودك يفعل ما يشاء

قال وقال البوشنجي التوحيد حقيقة معرفته كما عرف نفسه إلى عباده ثم الاستغناء به عن كل ما سواه

قال وقال أبو الحسن البوشنجي أول الإيمان منوط بآخره ألا ترى أن عقد الإيمان لا إله إلا الله والإسلام منوط بأداء الشريعة بالإخلاص قال الله تعالى ﴿وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين﴾ البنية ٥

سمعت أبا عبد الله محمد بن عبد الله قال سمعت أبا الحسن البوشنجي وسئل عن الفتوة يقول حسن المراعاة ودوام المراقبة

---

(١) طبقات الصوفية للسلمي ويليه ذكر النسوة المتعبدات الصوفيات أبو عبد الرحمن السلمي ص/٣٤٢

(٢) طبقات الصوفية للسلمي ويليه ذكر النسوة المتعبدات الصوفيات أبو عبد الرحمن السلمي ص/٣٤٣

وألا ترى من نفسك ظاهرا يخالفه باطنك

قال وسمعته يقول الخير منا زلة لأن الشر لنا صفة

قال وقال أبو الحسن البوشنجي من ذل في نفسه رفع الله قدره ومن عز في نفسه أذله الله في أعين عباده." (١)

"سمعت أبا الحسن الخباز يقول سمعت محمدا الشبهي يقول ودخل عليه بعض أصحابه فقال أنا إذا مشيت في السوق يقول الناس انظروا إلى خشوع هذا المنافق فقال اتق الله وخف على نفسك فإن النبي صلى الله عليه وسلم قال للمسلمين (أنتم شهداء الله في الأرض)

وسمعت أبا الحسن يقول سمعت أبا بكر الشبهي يقول **الفتوة** حسن الخلق وبذل المعروف

قال وسمعته يقول العارفون يقوون بمعروفهم وسائر الناس يقوون بالأكل والشرب

١٠٠ – وأما محمد بن أحمد بن حمدون الفراء أبو بكر

فهو من كبار مشايخ نيسابور صحب أبا علي الثقفي وعبد الله بن منازل وصحب أيضا أبا بكر الشبلي وأبا بكر بن طاهر وغيرهم من المشايخ وكان أوحد المشايخ في طريقته مات سنة سبعين وثلاثمائة وأسند الحديث

حدثنا محمد بن أحمد بن حمدون الفراء قال حدثنا محمد بن علي العطار يقرأ قال حدثنا عباس الدوري قال حدثنا محمد بن يوسف الأشيب قال حدثنا عاصم قال حدثنا عبد السلام بن حرب عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى رجلا يغتسل في صحن الدار فقال (إذا اغتسل أحدكم فليستتر ولو بجدار)." (٢)

"عالي الحال شريف الهمة لم نلق أحدا من المشايخ في سمته ووقاره

صحب أبا العباس بن عطاء وأبا محمد الجريري وأبا بكر بن أبي سعدان وأبا بكر بن ممشاذ وأبا علي الروذباري مات بنيسابور سنة ثمان وسبعين وثلاثمائة وأسند الحديث

أخبرنا أبو القاسم جعفر بن أحمد بن محمد المقرئ الرازي قال أخبرنا عبد الرحمن بن أبي حاتم قال حدثنا عمار بن خالد الواسطي ومحمد بن سعيد بن غالب قالا حدثنا إسحاق الأزرق عن عبيد الله بن عمر عن سعيد المقبري عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (لولا أن اشق على أمتي لأمرتهم بالسواك مع الوضوء)

سمعت أبا منصور الصابوني يقول سمعت ابا عبد الله المقرئ الرازي يقول الفقير الصادق الذي يملك كل شيء ولا يملكه شيء

وسمعته يقول سمعت أبا عبد الله يقول **الفتوة** حسن الخلق مع من تبغضه وبذل المال لمن تكرهه وحسن الصحبة مع من ينفر قلبك منه

سمعت الشيخ أبا القاسم المقرئ الرازي يقول **الفتوة** رؤية فضل الناس بنقصانك

وسمعته يقول الحرية موافقة الإخوان فيما هم فيه ما لم تكن خلافا للعلم

---

(١) طبقات الصوفية للسلمي ويليه ذكر النسوة المتعبدات الصوفيات أبو عبد الرحمن السلمي ص/٣٤٤

(٢) طبقات الصوفية للسلمي ويليه ذكر النسوة المتعبدات الصوفيات أبو عبد الرحمن السلمي ص/٣٧٦

وسمعته يقول التصوف استقامة الأحوال مع الحق

سمعت أبا الفرج الورثاني يقول سمعت أبا عبد الله المقرئ يقول ما قبل مني أحد شيئا إلا رأيت له منة علي لا يمكنني القيام بواجبها أبدا." (١)

"النبي صلى الله عليه وسلم بالعلم لعلو حاله وعظيم محله

وسمعتها تقول من لم يكن له أوائل تفنيه لم تكن له أواخر تبقيه

٨١ – أم الحسين الوراقة

من العراق حسنة الكلام مجتهدة ورعة

سمعتها تقول ليس للأعمى من رؤية الجوهر إلا مسه

سمعتها تقول قال الشبلي إن فاتكم الله فلا يفوتنكم أمره

٨٢ – آمنة المرجية

متعهدة الفقراء كانت صائنة مستورة رفيعة الهمة

سمعتها تقول الأولياء لا تشبعهم الأقوات ولكن تشبعهم الكفايات وقالت خدمة الفقراء فيه نور القلب وصلاح السر

٨٣ – فاطمة الخانقهية

من فتيان وقتها كانت متعهدة للفقراء محترمة لهم

حكي عنها أنها قالت الفتوة هي القيام إلى الخدمة من غير تمييز

وحكي عنها أنها قالت سرور قلوب العارفين برؤية الفتيان وغمها بمفارقتهم

٨٤ – عائشة بنت أحمد الطويل المروزية زوجة عبد الواحد السياري

كانت من الأفاضل والمجتهدين لم يكن في وقتها أحسن حالا منها ولا ألطف طريقة في التصوف

أنفقت على الفقراء أكثر من خمسة آلاف درهم بلغني أن بعض المدعين قال لها افعلى كذا وكذا ليقع لك كشف فقالت الستر أولى للنساء من الكشف لأنهن عورات

وسمعتها تقول من لم يستلذ طعم الفقر لا يكشف له عن فضائل الفقر." (٢)

"فيها النيران، والفرقدان لا حلول فيه، وهذا يجري مجرى قولهم: هو مني مناط الثريا في أن المراد به التبعيد، ويجوز أن يريد بعدت منه بعد الفرقدين، ثم بين أن الفرقدين من النجوم، فيكون من النجوم تبيينا كقوله تعالى " فاجتنبوا الرجس من الأوثان ". ويجوز أن يريد بالنجوم نبات الأرض، لأن كل ما طلع فقد نجم، ويكون المعنى بعد الفرقدين من الأرض ومنابتها، ويكون في هذا المعنى شبه إلغاز فيضعف.

ذكرت تعلة الفتيان يوما ... وإلحاق الملامة بالمليم

---

(١) طبقات الصوفية للسلمي ويليه ذكر النسوة المتعبدات الصوفيات أبو عبد الرحمن السلمي ص/٣٧٨

(٢) طبقات الصوفية للسلمي ويليه ذكر النسوة المتعبدات الصوفيات أبو عبد الرحمن السلمي ص/٤٢٤

بين بهذا الكلام أنه اتقى بما فعل توجه الذم إليه من الناس، فيقول: أخطرت ببالي ما يتعلل به الفتيان في محافلهم ومجالسهم، وتقبيحهم من أخبار الناس ما يستحق بفعله أو بتركه عندهم ذم، فيلحقون به اللوم، ويهجنونه في أحكام الفتوة. ومصدر قوله ذكرت الذكر بضم الذال لأن هذا كان بالقلب، والذكر بكسر الذال باللسان. والمليم: الذي يأتي بما يلام عليه. قوله تعلة مصدر عللته، فهي كالتقدمة والتكرمة. ويجوز أن يكون تسميتهم المعلل، وهو يوم من أيام العجوز، من هذا، كأنه يعلل الناس بشيء من تخفيف البرد.

وقال الشداخ بن يعمر الكناني

قاتلي القوم يا خزاع ولا يد ... خلكم من قتالهم فشل

يروى قالتوا وقاتلي على اللفظ مرة وعلى المعنى أخرى، وجعل النهي في اللفظ للفشل، والمراد لا تفشلوا. وهذا بعث وتحضيض، فيقول: حاربي أعداءك يا خزاعة، ولا يتداخلكم الجبن والضعف منهم. وخزاعة، قال الخليل: هو من خزع عن أصحابه إذا تخلف، لأنهم تخلفوا عن قومهم بمكة أيام سيل العرم.

القوم أمثالكم لهم شعر ... في الرأس لا ينشرون إن قتلوا." (١)

"يقال صبا قلبي يصبو صبوا وصبوا. والصبوة: جهل الفتوة. يقول: أسهرني خيالك، وانعدل قلبي عن وجهه وطيته، ذهابا فيك، وميلا إليك. ثم أخذ يصف الخيال فقال: هي تأتيني من ناحية اليمن، فتزور زيارة خفيفة لا لبث معها ولا تمكث فأتمتع بها، وتبدي لي في إلمامها ما دق من محاسنها كالعين والأنف والأسنان والفم، وتستر ما جل منها كالمعصم والساعد والساق والفخذ، فاسهر. كأنه رآها في المنام على ما كان يراها في اليقظة خرادة وحياء. ويقال معصم غيل، وساعد غيل، أي ممتلئ من اللحم غليظ. والمحاسن قيل لا واحد لها، ومثله في ذلك المساوي والمذاكير. وقال الخليل: واحدها محسن، وهي المواضع الحسنة. يقال: امرأة كثيرة المحاسن.

ذريني ما أمن بنات نعش ... من الطيف الذي ينتاب ليلا

يستعفي من خيالها لاشتغال قلبه بالغزو. والاستعفاء في الحقيقة من الحب الذي يصورها في فكره حتى يحلم بها. وقوله ما أمن الضمير للخيل ولم يجر لها ذكر، ولكن المراد مفهوم. وموضع ما أمن نصب على الظرف، أي مدة أمها، لأن ما مع الفعل في تقدير مصدر حذف اسم الزمان معه. وبنات نعش من الكواكب الشامية، وكان غزوه نحو الروم. والمعنى: أعفيني من الصبا واللهو، وشغل القلب بالحب والعشق، ما دمت في هذا الوجه، وقاصدا نحو الغزو. وليلا، انتصب على الظرف، كأنه كان يسير النهار، فإذا نزل ليلا ونام أرقه الخيال. وروى بعضهم: " يأناب ليلا " وهو يفتعل من الأوب؛ وينتاب أوجه في النقد وأحسن.

ولكن إن أردت فهيجينا ... إذا رمقت بأعينها سهيلا

يقول: إن أردت تشويقنا إليك، وتذكيرنا بك، فليكن عند منصرفنا من الغزو، وقفولنا من هذا الصقع، وحين تنظر خيلنا

(١) شرح ديوان الحماسة المرزوقي ص/١٤٤

إلى سهيل. وإنما قال ذلك لأن سهيلا من الكواكب اليمانية. لذلك قال عمر بن أبي ربيعة:

أيا المنكح الثريا سهيلا ... عمرك الله كيف يلتقيان

هي شامية إذا ما استقلت ... وسهيل إذا استقل يمان." (١)

"مفعول مسبل محذوف. وصفه بأنه في الحي – والحال سلامة – يسبل إزاره خيلاء وكبرا، ويتبختر ذاهبا في الترفة إلى أرفع الدرجة، وأنه اذا غزا فهو كالسمع، وهو الولد بين الذئب الضبع، وهو أخبث السباع وأعداها. والزلل: خفة العجز، وذلك خلقته.

وقوله وله طعمان أري وشري يريد به أنه للموالين كالأري – ويراد به العسل وإن كان في الأصل عمل النحل – وللمعادين كالشري، وهو الحنظل. ثم قال: وكلا الطعمين قد ذاق كل، أي كل واحد من الطعمين قد ذاقه كل واحد من قبيلي الأعداء والأولياء. ومفعول ذاق محذوف إذا جعلت كلا مبتدأ، كأنه قال: قد ذاقه كل. والأجود أن تجعل كلا مفعول ذاق ولا تجعله مبتدأ. ومثله: زيدا ضربت ألا ترى أنه يختار على: زيد ضربت. وكلا اسم موحد يؤكد به المثنى، كما أن كلا اسم موحد يؤكد به الجمع. وهو مقصور كمعى، وألفه منقلبة عن واو، وهذا مذهب أصحابنا البصريين، والكوفيين عندهم أنه اسم مثنى.

يركب الهول وحيدا ولا يص ... حبه إلا اليماني الأفل

هذا كقول الآخر:

يظل بموماة ويمسي بغيرها ... جحيشا ويعروري ظهور المهالك

والمعنى: أنه لا يتكثر بالأصحاب إذا هم باقتحام أمر عظيم، وهول شديد، بل يتفرد فيه مستصحبا سيفه الافل، وهو الذي قد كثر فلوله بكثرة الاستعمال. وانتصب وحيدا على الحال. وقوله ولا يصحبه انعطف عليه، وهو صفة للوحيد وتأكيد للوحدة.

وفتو هجروا ثم أسروا ... ليلهم حتى إذا انجاب حلوا

كل ماض قد تردى بماض ... كسنا البرق إذا ما يسل

فتو: جمع فتى، ولام فتى ياء بدلالة قولهم فتيان، لكنه بناه على مصدره وهو **الفتوة**، وهذا المصدر إنما جاء على هذا عوضا من حمل بنات الواو على الياء كثير،." (٢)

"وعنهم. وقوله إلا أن سيدكم إلا بمعنى غير، فهو منقطع مما قبله. وهذا الاستثناء من المعنى، كأنه قال: سلمتم إلا أن سيدكم أسلمتم.

وقولها أنعى فتى لم تذر الشمس طالعة انتصب طالعة على الحال المؤكد لما قبله. والكوفيون يقولون في مثله: انتصب على القطع. وكما أن الحال يجيء مؤكدا لما قبله تجيء الصفة أيضا مؤكدة لما قبلها. ومثال الحال: رأيته في الحمام عريانا، فعريان

---

(١) شرح ديوان الحماسة المرزوقي ص/٤٥٧

(٢) شرح ديوان الحماسة المرزوقي ص/٥٩٠

حال مؤكدة. ومثال الصفة أن تقول: فعلت كذا أمس الدابر. وذرور الشمس: انتشارها في الجو. والمعنى: أذكر موت فتى لم تطلع الشمس يوما من أيام الدهر عليه إلا وهو ضار لأعدائه ناك فيهم، أو نافع لأوليائه مسد إليهم. وفي هذا ذهب إلى مثل ما قاله عدي:

إذا أنت لم تنفع بودك أهله ... ولم تنك بالبوس عدوك فابعد

وقالت امرأة من بني أسد

خليلي عوجا إنها حاجة لنا ... على قبر أهبان سقته الرواعد

تخاطب صاحبين لها تسألهما التعرج على قبر أهبان زائرين له، ومجدين العهد به. وقوله سقته الرواعد دعاء للقبر بالسقيا. والرواعد: السحاب التي فيها الرعد. وقولها إنا حاجة لنا حشو واعتراض، وقد وقع موقعا حسنا، وفيه استعطاف للمخاطبين واستلطاف فيما تكلفهما. ويقال: ما عند فلان تعويج عليهم، أي تعريج. وعجنا بالمكان أشد العياج والعوج، أي عطفنا.

فثم الفتى كل الفتى كان بينه ... وبين المزجى نفنف متباعد

قولها كل الفتى مفيد للتأكيد، وجامع أسباب **الفتوة** كلها للموصوف، فكأنها قالت: ثم الفتى التام **الفتوة** حتى لم يغادر شيئا من علائقها وأسبابها. وقولها كان بينه وبين المزجى، والمزجى: الضعيف، كأنه يزجى الوقت في الاعتداد به بين الفتيان. ويجوز أن يكون سمى الضعيف مزجى لتأخره وحاجتهم إلى تزجيته واستحثاثه فيما يعن. وهذا كما قيل المركب في الضعيف الفروسية. والنفنف: المهواة بين الجبلين، والأرض بين الأرضين. وهذا كما يقال: بين هذا وبين كذا بون بعيد.." (١)

"وقال آخر:

نعى الناعي الزبير فقلت تنعى ... فتى أهل احجاز أهل نجد

خفيف الحاذ نسال الفيافي ... وعبدا للصحابة غير عبد

يقول: خير الناعي بموت الزبير، فقلت معظما لشأنه، ومفخما للتأثير بمكانه: إنك تذكر موت قريع أهل الحجاز وأهل نحد ومختارهم، ومن لا تحق **الفتوة** بالاتفاق إلا له. وقوله خفيف الحاذ وصفه بخفة العجز وقلة اللحم على الفخذ، وذلك مستحب من الفرسان. قال الخليل: الحاذان: أدبار الفخذين، والآحاذ الجميع. وقيل هو الظهر. والحاذ في غير هذا المكان: الحال والمؤونة. وقوله نسال الفيافي أراد نسال في القيافي، فأجراه مجرى قطاع الفيافي. والنسان: مشية الذئب إذا أعنق وأسرع. ويقال: نسل الماشي، إذا أسرع. وفي القرآن: " فإذا هم من الأجداث إلى ربهم ينسلون " أي يسرعون.

وقوله عبدا للصحابة غير عبد يصفه بكرم الصحاب، وحسن التوفر على الرفاق. والصحابة مصدر في الأصل، يقال أحسن الله صحابتك، ثم استعمل صفة، وقوى في الوصفية حتى جرى مجرى الأسماء، وتفرد عن الموصوف به. وكذلك قولهم صاحب اسم الفاعل من صحب، تفرده بنفسه، قوى حتى كأنه ليس بمشتق من صحب، لا يكاد يقال هو صاحب زيدا كما يقال هو ضارب زيدا. ومعنى غير عبد نفي لذل العبودية، لأن قوله عبدا للصحابة أراد كرم الخلق وسهولة الجانب، وتحمل الأعباء

---

(١) شرح ديوان الحماسة المرزوقي ص/٦٨٩

عن رفقائه. وقد ألم في هذا بقول الآخر:

طباخ ساعات الكرى زاد الكسل

وقال رقيبة الجرمي، من طيئ

أقول وفي الأكفان أبيض ماجد ... كغصن الأراك وجهه حين وسما

أحقا عباد الله أن لست رائيا ... رفاعة طول الدهر إلا توهما." (١)

"وقوله أن لست رائيا أن مخففة من الثقيلة. والمعنى أفي الحق لست رائيا هذا الفتى إلا متوهما أبد الدهر. وقوله توهما مصدر في موضع الحال.

وفائدة قوله عباد الله أنه رجع فيما كان لا يؤمن به ولا يسكن إليه شناعة وقباحة، إلى الناس كافة يستثبتهم ويستفتيهم.

فأقسم ما جشمته من مهمة ... تؤود كرام القوم إلا تجشما

ولا قلت مهلا وهو غضبان قد غلا ... من الغيظ وسط القوم إلا تبسما

يصف رضاه وحسن طاعته له، وقوة نهضته بكل ما يحمله من الأثقال المتعبة، والآراب المثقلة، ودوام صبره على جميع ما يكلفه من المهمات الشاقة على كرام الناس الباهظة، إلى ما كان يوجب له ويعظم قدر كلامه، فقال: ولم أقل له رفقا إذا احتمى غيظا إلا سكن وحسنت فيئته، وكرمت عطفته، حتى بدا لي مضحكه، وتهللت في لقياي غرته. هذا ومجلسه مشهود، والأقوام حوله قعود، فلا يتداخله نخوة، ولا تأخذه بالإباء والتشدد عزة. وهذا كله تنبيه على تعالى لوعته، وتغالي حرقته وفجعته.

وقال آخر:

ألا لا فتى بعد ابن ناشرة الفتى ... ولا عرف إلا قد تولى فأدبرا

فتى حنظلي ما تزال ركابه ... تجود بمعروف وتنكر منكرا

لحى الله قوما أسلموك وجردوا ... عناجيج أعطتها يمينك ضمرا

حذف الخبر من قوله لا فتى ولا عرف جميعا، كأنه قال: لا فتى في الدنيا بعد ذهابه، ولا عرف موجود بعد تولي عرفه. وفي وصفه المرثي بالفتى كأنه جمع له الفضائل كلها، كما أن نفيه العرف كأنه نفى به المحامد كلها؛ لأن مهن شرط الفتوة أن يدخل تحتها خصال الخير، كما أن العرف والمعروف يدخل تحته كل ما عرف في الإحسان والصلاح. ولك أن تنون لا فتى وإن كان الأول أشرف في المعنى وأبلغ، فيكون في موضع الرفع بالابتداء، وكذلك لا عرف ترفعه وتنونه، لأنك تلقى حركة الهمزة من إلا وهي كسرة على التنوين. والفصل بين الرفع والنصب أن النصب يفيد الاستغراق، كأنه نفي قليل الجنس وكثيره، إذا كان جواب هل من فتى، ومن عرف؟." (٢)

---

(١) شرح ديوان الحماسة المرزوقي ص/٦٩٣

(٢) شرح ديوان الحماسة المرزوقي ص/٦٩٥

"وقوله (ألا هلك المكسر) كرره لتفظيع الأمر. ومعنى (استراحت حوافي الخيل) وصفه بأنه يبعد الغزو فلا يبقى على الخيل وان حفيت، فلما مضى نالت الراحة وتودعت. وقال (حوافي الخيل) على أن يصفها بما كان آل أمرها اليه بعد الغزو. وكذلك قوله (الحي الحري) هو المنفرد والمتباعد عن غيره. كأنه لايسلم عليه وان حذر وتباعد. ويقال: كوكب حريد، اذا طلع في أفق السماء متنحيا عن الكواكب. ورجل حريد المحل، اذا لم يخالط الناس ولم ينزل معهم. وقال:

أما بكل كوكب حريد

وقال آخر:

حريد المحل غويا غيورا

وقال ابن أهبان الفقعسي

يرثي أخاه:

على مثل همام تشق جيوبها ... وتعلن بالنوح النساء الفواقد

فتى الحي أن تلقاه في الحي أة يرى ... سوى الحي أو ضم الرجال المشاهد

يقول: عظم الرزءبموت همام فلا مخبأ للجزع ولا مصطبر، ولا اسرارللالتياع ولامدخر. وأنى يكون للسامع به معدل الى التجمل والتجلد، وقد فقد به من يستباح في ندبته كل محظور، ويستجاز في الرثاء له كل مذكور، فلا منع من شق الجيوب، وصدع الأكباد والقلوب، واعلان النياحة، وامتداد المآتم في الاعوال الى كل غاية. وقوله (على مثل همام) يذكر المثل والمقصود نفسه لاغير صيانة له ونزاهة. على ذلك قول القائل: مثلك لايحسن به كذا معناه: أنت لايحسن به ذلك؛ ولكن الغرض ما ذكرته، وقوله (بالنوح) يراد به مصدر ناح. وقد يراد به في غير هذا المكان النساء النائحات.

وقوله (فتى الحي أن تلقاه) جعل له الفتوة والرياسة مسلمة له في كل حال، وعلى كل وجه. ألا ترى أنه قال: هو الفتى بين رجال الحي وعند لقائك اياه فيهم.." (١)

"وقال آخر:

يأيها المتمني أن يكون فتى ... مثل ابن زيد لقد خلى لك السبلا

أعدد نظائر أخلاق عددن له ... هل سب من أحد أو سب أو بخى

يقول: يا من يود ويشتهي أن يكون فتوته مثل فتوة عروة بن ويد الخيل، لقد خلى لك الطرق في اكتساب مناقب الفتوة وادخار أسبابها وموجباتها، فاسع واطلب، لأن مباغيك إن قدرت معرضة لك، وغير ممتنعة عليك، وسبلها غير منسدة ولا محجوبة عن ذهابك واختراقك، ثم قال: هات خصالك واعدد نظائر أخلاقه المعدودة له، وانظر هل أنت في اشتمال الكرم والتحاف العز بحيث لا تسب أحدا تعليا وارتفاع منزلة، وفي نقاء الجيب وطهارة الأصل والفرع بحيث لا يسبك أحد توقيا وتعففا، وهل تقف موقفا تبعد فيه وتتنزه عن أن يقال: ما بخل بما في يده، ولا منع أحدا على رجائه به، فإنه حينئذ يبين

(١) شرح ديوان الحماسة المرزوقي ص/٧٤٥

لك تفاوت ما بينك وبينه.

وقال آخر:

لم أر معشرا كبني صريم ... تلفهم التهائم والنجود

أجل جلالة وأعز فقدا ... وأقضى للحقوق وهم قعود

وأكثر ناشئا مخراق حرب ... يعين على السيادة أو يسود

قوله تلفهم التهائم أي تجمعهم، وانتصب جلالة على التمييز، وكذلك قوله فقدا، ولا يجوز أن يكون مصدرا، أعني قوله جلالة، لأن أفعل هذا لا يؤكد بالمصدر، فهو من باب شعر وموت مائت، لأن أصله مأخوذ من جلال جليل. وانتصب أجل بفعل مضمر، كأنه قال: لم أر أجل جلالة منهم، لكنه اختصر وحذف. وقوله تلفهم التهائم موضعه نصب لأنه صفة لقوله معشرا، والتقدير: لم أر معشرا تلفهم الأغوار والأنجاد كبني صريم، وام أر أجل جلالة منهم أيضا. وتهامة من الغور، بل هو أعمقها. ثم بين ما فضلهم فيه بعد أن أبهم، وفصل ما أجمل،." (١)

"وقوله: وإني لعبد الضيف ما دام ثاويا، يروى: نازلا. ويقال: ثوى بالمكان وأثوى بمعنى. يريد أني أتكلف من خدمة الضيف ما يتكلفه العبيد، لا أستنكف ولا آنف، وليس لي من أخلاق العبيد وطبائعهم إلا تلك، يريد إلا تلك الخدمة، أو تلك الخليقة. وموضع ما دام نصب على الظرف أي مدة دوام ثوائه عندي. وموضع من شيم العبد رفع على أن يكون اسم ما، وخبره في وإلا تلك استثناء مقدم، وفائدة من التبيين فهو كمن الذي في قوله: " فاجتنبوا الرجس من الأوثان "، لأن الأوثان كلها رجس، وليس يريد التبعيض بذكر من، لكن المراد اجتنبوا الرجس من الضرب، إذ كان الأهم فيما يجب اجتنابه.

وقال آخر:

ليس في الفتيان من كل همه ... صبوح وإن أمسى ففضل غبوق

ولكن فتى الفتيان من راح أو غدا ... لضر عدو أو لنفع صديق

يقول: ليس المختار من الفتيان والكامل **الفتوة** فيهم من إذا أصبح كان معظم همه ما يشربه صباحا، وإذا امسى كان معظم همه ما يشربه مساء. والصبوح: ما يصطبح به، اسما له. والغبوق: ما يغتبق به. يريد أن **الفتوة** ليس في إعداد الأطعمة والأشربة، وإعطاء النفس مناها منهما، لكن **الفتوة** هو السعي غدوا ورواحا في جر ضرر على منابذ مداج، أو جلب نفع إلى ناصح مواخ.

وقال حزاز بن عمرو، من بني عبد مناف

لنا إبل لن تهن ربها ... كرامتها والفتى ذاهب

هجان تكافأ فيها الصديق ... ويدرك فيها المنى الراغب

ونطعن عنها نحور العدى ... ويشرب منا بها الشارب

---

(١) شرح ديوان الحماسة المرزوقي ص/١١٢٠

قوله لنا إبل لم تهن ربها كرامتها، يريد: أنا نوئر إكراما للنفوس وصيانتها على إكرام المال وصيانته، لأن الأموال إذا لم تجعل واقية للنفس جلبت العار وكسبت." (١)

"لما قبض ابن عيينة صلة الخليفة قال: يا أصحاب الحديث؛ قد وجدتم مقالا فقولوا. متى رأيت أبا عيال أفلح؟ وقال: كانت لنا هرة ليس لها جراء فكانت لا تكشف القدور، ولا تعيث في الدور، فصار لها جراء فكشفت عن القدور، وأفسدت في الدور. قال بعضهم: إذا أنا فعلت ما أمرت به وكان خطأ لم أذمم عليه، وإذا فعلت ما لم أومر به وكان صوابا لم أحمد عليه. قال آخر ما استنبط الصواب بمثل المشورة، ولا حصنت النعم بمثل المواساة، ولا اكتسبت البغضة بمثل الكبر. قيل لروح بن زنباع: ما معنى الصديق؟ قال: هو لفظ بلا معنى. يعني لعوزه. وقال آخر: السفر ميزان الأخلاق. قال علي بن عبيدة: العقل ملك والخصال رعيته، فإذا ضعف عن القيام عليها وصل الخلل إليها. قالوا: الكذاب يخيف نفسه وهو آمن. قال بعضهم: لو لم أدع الكذب تأثما لتركته تكرما. وقال آخر: لو لم أدع الكذب تعففا لتركته تظرفا. وقال آخر: لو لم أدع الكذب تحوبا لتركته تأدبا. وقال آخر: لو لم أدع الكذب تورعا لتركته تصنعا. كان الثوري يقول: الناس عدول إلا العدول. كان بعضهم يقول: اللهم احفظني من أصدقائي. فسئل عن ذلك فقال: إني أحفظ نفسي من أعدائي. قيل لبعضهم: ما المروءة؟ قال: إظهار الزي. قيل: فما الفتوة؟ قال: طهارة السر. يحكى ذلك عن البوشنجي شيخ خراسان. سئل بعضهم: أي الرسل أحرى بالنجح؟ قال: الذي له جمال وعقل.." (٢)

"قال: قد فعلت. قال السكران: أمه زانية، إن درعها إلا داري. قيل لشيخ: أتشرب النبيذ؟ قال: مقدار ما أتقوى به على ترك الصلاة. قال أبو بكر بن عياش: كنت وسفيان الثوري وشريك ابن عبد الله نمشي بين الحيرة والكوفة، فرأينا شيخا أبيض الرأس واللحية، حسن السمعة، له رواء فقلنا: هذا شيخ جليل، قد سمع الحديث، ورأى الناس، وكان سفيان أطلبنا للحديث، وأشدنا بحثا وأعلمنا به، وأحفظنا له، فتقدم إلى الشيخ وسلم، ثم قال: أعندك رحمك الله شيء من الحديث؟ قال: أما الحديث فلا، ولكن عندي عتيق سنتين. فنظرنا، فإذا هو خمار. با ع بعضهم ضيعته فقال له المشتري: بالعشي أشهد عليك. قال: لو كنت ممن يفرغ بالعشي، ما بعت ضيعتي. خرج ثمامة من منزل ضيق له، مع المغرب، وهو سكران، فإذا هو بالمأمون قد ركب في نفر، فلما رآه ثمامة عدل عن طريقه وبصر به المأمون، فضرب كفل دابته وحاذاه، فوقف ثمامة، فقال له المأمون: ثمامة! ، قال: إي والله، قال: من أنا؟ قال: لا أدري والله. فضحك المأمون حتى انثنى على دابته. وقال: عليك لعائن الله. فقال ثمامة: تترى إن شاء الله. وأمر له بخمسين ألف درهم. قدم شراعه بن زيد على الوليد بن يزيد، وكان كتب في إقدامه عليه، فلما دخل ما سأله عن سفرة، ولا عن نفسه، حتى قال: يا شراعة، إني والله ما أرسلت إليك لأسألك عن كتاب الله، ولا أستفتيك عن سنة رسول الله عليه الصلاة والسلام. قال: لو سألتني عنهما لوجدتني حمارا. قال: إنما أرسلت إليك لأسألك عن الفتوة، قال: يا أمير المؤمنين فاسأل عنها طبيبها الرفيق، ودهقانها العالم. قال: أخبرني عن

---

(١) شرح ديوان الحماسة المرزوقي ص/١١٧٠

(٢) نثر الدر في المحاضرات الآبي ٤/١٢٠

الأشربة. قال: سلني: قال ما تقول في الماء؟ قال: لا بد لي منه، والحمار شريكي فيه. قال ما تقول في اللبن؟ قال: ما رأيته منذ فطمت، إلا استحيلت أمي لطول مصي ثديها. قال: فما تقول في." (١)

"كان بعضهم إذا فرغ من صلاته وضع خده على الأرض وقال: المستغيث بعمرو عند كربته ... كالمستغيث من الرمضاء بالنار وهو يقدر أنه يستجير بالله من النار. قال بعضهم: دخلت الشام فرأيت جماعة يتنقصون أمير المؤمنين عليا – عليه السلام – ومنهم من يشتمه، فأنكرت ذلك، وجزعت له، ولجأت إلى مسجد كان مني بالقرب، فشكوت ذلك إلى المؤذن، فقال: ما أنكرت؟ قد كان ها هنا منذ أيام رجل يتنقص أبا محمد الحجاج بن يوسف! . وقال: رأيت بالشام حانوتا تحت مسجد، يباع فيه الخمر. كان سعيد بن حميد يهوى غلاما؛ فزاره يوما وأقام عنده، فلما كان وقت المغرب أراد أن ينصرف، فقال له: حين سررنا بك أردت أن تكدره؟ لا أقل من أن تقيم إلى العشاء؟ فحلف الغلام أنه إذا سمع أذان العتمة لم يقعد. فقال سعيد: رضيت، ثم عمد إلى الدواة فكتب إلى مؤذن المحلة: قل لداعي الفراق: أخر قليلا ... قد قضينا حق الصلاة طويلا ليس في ساعة تؤخرها وز ... ر تجازى به، وتأتي جميلا وتراعى حق **الفتوة** فينا ... وتعافى من أن تكون ثقيلا فلما قرأ الرقعة لم يؤذن تلك الليلة، ومر القوم في سرورهم، والفتى يترقب الأذان إلى أن سمع صوت الحارس، فقال له: إذا شئت؟ قال أخاف نكير الحارس. قال: يا غلام، افرش له، فبات عنده. قال المتوكل لعبادة: رفع إلي أنك ضربت إمام مسجد، وإن لم تأت بعذر أدبتك. قال: يا أمير المؤمنين، كنت قد خرجت في بعض الأيام لحاجة لي." (٢)

"دعا محمد بن عبد الله بن طاهر رجل من أصحابه دعوة تقدم بها واحتفل فيها، فلما حضر محمد طالبه بالطعام فمطله، ليتلاحق ويتكامل، على ما أحبه من الكثرة والاحتفال، حتى تصرم أكثر النهار ومس محمدا الجوع، وتنغص عليه يومه، فشرب عنده أقداحا، وانصرف وأراد بعد ذلك محمد سفرا فشيعه هذا الرجل، فلما دنا منه ليودعه قال: أيأمر الأمير بشيء، قال: نعم، اجعل طريقك في عودتك على محمد بن الحارث بن بسخنر فسله أن يعلمك **الفتوة**. فمضى حتى دخل على محمد بغتة وقال: بعثني الأمير إليك لتعلمني **الفتوة**، فضحك وقال: يا غلام هات ما حضر، فجيء بطبق كبير عليه ثلاثة أرغفة من أنظف الخبز، وثلاث سكرجات من خل وملح من أجود ما يتخذ من هذه الأصناف، فأبتدأ يأكل فجاءته فضلة باردة من مطبخه، وتداركها الطباخ بطباهجة، ثم وافاه من منزل حرمه فضلة أخرى، وأهدى إليه بعض غلمانه جام حلوى فانتظم له أمر خفيف ظريف في زمان يسير بغير إحشام ولا انتظار، إلى أن أدرك الطعام وأخذ في الشراب، فقال له: إذا دعوت أحدا من إخوانك، فليكن هكذا عملك، ولا تنتظر استكمال الطعام.

وأفطر الواثق في يوم شك فأفطروا فكتب الحسن بن رجاء إلى الحسين بن الضحاك:

هززتك للصبوح وقد نهانا ... أمير المؤمنين عن الصيام

وعندي من قيان القصر عشر ... يطيب بهن إعمال المدام

فكن أنت الجواب فليس عندي ... أحب إلي من حذف الكلام

---

(١) نثر الدر في المحاضرات الآبي ٣٣٦/٦

(٢) نثر الدر في المحاضرات الآبي ١٦٦/٧

قال، فوافق رسوله حسينا وقد وردت عليه رقعة محمد بن الحارث بن بسخنر النديم وقد أنفذها مع غلام له وضيء الوجه كان يتخطاه ومعه غلمة له أقران وقد جعل الرقعة كالمنشور الذي يكتبه السلطان، وختمها في أسفلها، وكتب فيها:

سر على اسم الله يا أكمل من غصن لجين

في بدور من بني الروم إلى باب الحسين

فاحمل الكل إلى مولاك يا قرة عيني

أره العنف وطالبه إن استعفى بدين

واحذر الرجعة من وجهك في خفي حنين

قال: فوثب مع غلام محمد بن الحارث وكتب إلى الحسن بن رجاء

دعوت إلى مدافعة الصيام ... بإعمال الملاهي والمدام

ولو سبق الرسول لكان سبقي ... إليك ينوب عن كل الكلام

وما شوقي إليك بدون شوقي ... إلى عهد التصابي والغرام

ولكن سار في نفر إلينا ... على عجل حبيب المستهام

فأزعجني بألفاظ عذاب ... وقد أعطيته طرفي زمامي

ولو خالفته لوردت حتفي ... وعممني بمصقول حسام

ودخل آدم يوما على يعقوب بن الربيع وعنده قوم يشربون فرفعوا ما كان بين أيديهم، فلما دخل رأى في وجوههم أثر النبيذ وشم رائحته، فقال: إني لأجد ريح يوسف لولا أن تفندون، فضحكوا، وأخرجوا شرابهم وشرب معهم.

أخبار الشعراء والمجان." (١)

"لا نبالي من لحا في شربها ... أبدا حتى يوافي مصرعه

قال: فيئس أبوه من صلاحه وفلاحه فأعرض عن ذكره.

وشرب رجل في بيت خمار فأصبح ميتا، فقيل للخمار: أنت قتلته، قال لا والله، ما قتلته إلا شربه على غير طعام.

وكان والبة بن الحباب من كبار المدمنين، لو قلت إنه سن الفتوة وشرع المنادمة لقلت حقا، وهو الذي يقول:

وندمان يزيد الكأس طيبا ... حليم عند طيش ذوي الحلوم

دعوت (لليلة) وثنيت أخرى ... بتغذية الخؤلة والعموم

فقلت ألا اصطبح، أصبحت إلا بقايا غابر الليل البهيم

معتقة كأن المسك فيها ... محرمة على الرجل اللئيم

وحسبك بي، بها خبرا وعلما ... ملأت يديك من رجل كريم

وكان لوالبة إخوان مثله في الفتوة والظرف وإدمان القصف واللهو قد خلعوا العذار وأنفقوا الطارف والتليد، منهم، عباد بن

---

(١) قطب السرور في أوصاف الأنبذة والخمور الرقيق القيرواني ص/٢٠

عباد الذي يقول فيه:

عبادنا أطيب الخلائق لا الغادر يوما إذا هم غدروا

أصبحت؛ ماذا بالسكر تنتظر ... دونكها قد تبلج السحر

دونكها يا عباد صافية ... كأنها في الزجاجة الشرر

ومنهم مسعود بن عمرو وعمرو، اللذان يقول فيهما:

لما رأيت الصبح قد لاحا وأقبل الفجر وقد لاحا

نبهت مسعودا وعمرا لها ... فقلت قوما فاشربا الراحا

كرخية كالمسك معشوقة ... يحسبها الشارب تفاحا

ومنهم أبو الغرثان حفص بن غيلان الذي يقول فيه:

قلت لما برق الفجر وأبصرت الصباحا

ورأيت الديك قد أكثر في الصبح الصياحا

أسق حفصا يا أبا الغرثان من كفيك راحا

قهوة أذكى من المسك ... إذا ما المسك فاحا

مرة تأبى إذا ما ... مزجت إلا جماحا

ومنهم عبد الله بن عمرو، الذي يقول فيه: ونديم حلو الشمائل كالدينار محض النجار سهل مصفى قلت عبد الإله قم بأبي أنت، فلبى، فقلت لبيك ألفا هاكها، قال: هاتها، قلت: خذها [قال لا أستطيعها] ثم أغفى.

ولو لم يكن من ظرف والبة إلا أنه أستاذ أبي نواس لكفاه.

وناهيك بالحسين بن الضحاك وأبي نواس في صنعة الخمر ونعتها وفي الإدمان لشربها، والحض على المثابرة عليها، ووصف المجالس وما فيها، والسقاة وبراعة جمالها و [آنيتها] واختلاف نعوتها والحانات ومن يلم بها والخمارين ومسامحة بعضهم في بيعها، ومغالاة بعضهم فيها، قال الحسين:

وندمان صدق لا ترى بين جهره ... وبين الذي تخفي سريرته فرقا

تنبه للناقوس أول نقرة ... ولم تبق لذات الكرام له علقا

أتانا بها زيتية ذهبية ... كأن حبابا درها، حدقا زرقا

وهو القائل:

ومهفهف نازعت فضل وشاحه ... وكسوته من ساعدي وشاحا

ما زال يضحك [بي] ويضحكني به ... لا يستفيق دعابة ومزاحا

وعواتق باكرت بين حدائق ... ففضضتهن وقد عيين صحاحا

أتبعت وخزة تيك وخزة هذه ... حتى أنتزفت دماءهن جراحا

ولرب ملتبس الجفون بسكرة شردت عنه منامه فأنزاحا

فكأن ري الكأس حين ندبته ... للشرب أنهض في حشاه جناحا

وقال إسحق بن إبراهيم: كان الأخطل نازلا على عكرمة الفياض فإنه خرج من عنده يوما فمر بفتيان يشربون، وعندهم قينة يقال لها شقراء، فأقام عندهم أياما، فلما أتى عكرمة، سأله أين كان فأخبره بخبره فبعث [إلى الفتيان] بألف درهم وأعطاه خمسة آلاف، فمضى بها إليهم وقال: أستعينوا بهذه على أمركم ولم يزل ينادمهم حتى رحل وقال:

لعمرك ما لاقيت يوم معيشة ... من الدهر إلا يوم شقراء أقصر

حوارية لا يدخل الذم بيتها ... مطهرة يأوي إليها مطهر." (١)

"ومنهم حماد عجرد وكان خليعا ماجنا متهما في دينه، وفيه يقول الشاعر:

نعم الفتى، لو كلن يعرف ربه ... ويقيم وقت صلاته حماد

هدلت مشافره الدنان وأنفه ... مثل القدوم يسنها الحداد

وابيض من شرب المدامة وجهه ... فبياضه يوم الحساب سواد

وكان يهاجي بشارا، وكان حماد يؤدب ولد الربيع الحاجب، فقال بشار:

يا أبا الفضل لا تنم ... وقع الذئب في الغنم

إن حماد عجرد ... شيخ سوء كما اعتلم

بين فخذيه حربة ... في غلاف من الأدم

فهو إن راء غفلة ... مجمج الميم بالقلم

فلما بلغت البيات الربيع صرف حمادا عن تأديب ولده.

ومنهم والبة بن الحباب الأسدي وهو الذي ربى أبا نواس وأدبه وعلمه **الفتوة** وقول الشعر، وكان والبة ظريفا، شاعرا ماجنا، يقال إنه كشف يوما عن فقحة أبي نواس فأعجبه حسنها، فضرط عليه أبو نواس، فقال له والبة: ما هذا؟ فقال: أما سمعت المثل: جزاء من قبل الاست ضرطة، فزاد عجبا، وعلكم أنه سيخرج ماجنا، ووالبة القائل:

مزجت له مشعشعة شمولا ... معتقة كرقراق الشراب

فخلت على ترائبها نجوما ... مطوفة على ذهب مذاب

ومنهم فضل القراشي، وكان شاعرا ماجنا خليعا يهاجي أبا نواس، وهو القائل:

ألا لا تعذلاني قد وهبت للذتي نسبي

إذا ما الماء أمكنني ... وصفو سلافة العنب

صببت الفضة البيضاء فوق قراضة الذهب

فأسبك منهما طربا ... فزربي تلف ذا طرب

ومنهم سلم الخاسر، وكان شاعرا ماجنا، وسمي الخاسر لأنه با ع مصحفا ورثه عن أبيه واشترى بثمنه طنبورا، وهو القائل:

---

(١) قطب السرور في أوصاف الأنبذة والخمور الرقيق القيرواني ص/٣٠

أمزج الراح براح ... واسقني قبل الصباح

ليس من شأني فدعني ... شرب ذا الماء القراح

ونظر رجل إلى أبي نواس وهو بقطربل وفي يده كأس وبين يديه عنب وزبيب، فقال له: ما هذا يا أبا علي، قال: الأب والابن والروح القدس، وهو القائل: إن تكونا كرهتما لذة العيش م حذار العقاب يوم العقاب

فدعاني وما ألذ وأهوى ... وادفعاني في نحر يوم الحساب

وروى أحمد بن صالح قال: رأيت أنا نواس يوما وقد كنس مسجدا ورشه ونفض ترابه فقلت له: ما هذا، قال: يرتفع إلى السماء خبر ظريف! وروى الحرمازي قال: قدم البصرة أعرابيان يقال لأحدهما جيدان وللآخر سيدان من تهامة، فقصدا الوالي وقد امتدحاه، فبينما هما في بعض الطرقات إذا هما ببرذون عابر فاتقاه جيدان فطرده عن نفسه فعاج على رجل سيدان فقطع اصبعا من أصابعه، فتعلقا بالبرذون ولحقه صاحبه فقدماه إلى الوالي فأخذ لهما منه أرش الإصبع خمسمائة درهم فقال جيدان لسيدان: ما تبغي من الوالي وهذه الدراهم معنا، مل بنا إلى دار الخمار فإذا أنفدنا ما معنا رجعنا إليه فمالا إلى بيت خمار، فلما سكر جيدان أنشأ يقول:

فلا عطش ما دام في الدن قطرة ... وما بقيت في رجل سيدان إصبع

قال أبو جعفر الحنفي: دعاني يوما بعض إخواني فوجدت عنده العباس بن الأحنف وأبا نواس فما زالا لا يتذكران ويتناشدان إلى ان قام العباس، فقلت لأبي نواس: كيف رأيك في العباس؟ قال: هو أرق من الوهم وأحس من الفهم، ثم عاد وقام أبو نواس فسألت العباس عن رأيه فيه، فقال: أبو نواس أقر للعيون من إنجاز وعد بعد يأس، فلما أخذ الشراب منا مأخذه قال أبو نواس:

إذا آخيت ذا مجد ... فلا تعدل بعباس

فنعم المرء إن نازعت يوما ذروة الكاس

فقال العباس:

إذا نازعت صفو الكاس يوما ... أخا ثقة فمثل أبي نواس

فتى يرضى الخليل ويصطفيه ... إذا ما خلة نزلت بناس

ثم تناول أبو نواس قدحه فقال:

أيا عباس خذ كأسك إني آخذ كاسي

فأخذه وقال:

نعم يا واحد الناس على العينين واراس

فقال أبو نواس:

فقد طاب لنا المجلس بالنسرين والآس

فقال العباس:

وأقوام بها ليل ... كرام غير أنكاس

فكنا في أطيب يوم بهما، قد شغلانا عن السماع بما يدور بينهما.." (١)

"وقال حاجب بن زرارة لبنيه يوصيهم: إياكم والخمر فإنها مفسدة العقول، ذهابة بالطارف والتليد. وقال بعض الكتب، إن إبليس لقي يحيى بن زكريا عليه السلام فقال له: ألا أعلمك أربع خصال تتعظ بهن؟ قال: بلى. قال: إياك والحسد فبه سخط الله علي وأخرجت من الملائكة، وإياك والطمع فبه سخط الله على أبيك آدم وأخرج من الجنة، وإياك والنساء فإنهت مصايدي، وما خلا رجل بإمرأة إلا كنت ثالثهما، وإياك والخمر فإنها حبلي، ومن جعلت حبلي في عنقه قدته حيث شئت.

وقيل لأعرابي: اشرب النبيذ، قال: لا أشرب ما يفني تالدي ويشغل عن معادي ويذهب عقلي ويكثر خبلي.

وقال مقيس بن صبابة حين حرمها في الجاهلية:

رأيت الخمر طيبة وفيها ... خصال كلها دنس ذميم

فلا والله أشربها حياتي ... طوال الدهر ما طلع النجوم

وكان عبد الله بن جدعان قد سكر فجعل يساور القمر فلما أصبح وأخبر بذلك حرمها وقال:

شربت الخمر حتى قال قومي ... ألست عن السفاه بمستفيق

وحتى ما أوسد في منام ... أنام به سوى الترب السحيق

وحتى أغلق الحانوت رهني ... وأنكرت العدو من الصديق

وأنشد أبو بكر الأنباري:

تركت النبيذ لأهل النبيذ ... وأقبلت أشرب ماء نقاخا

رأيت النبيذ يذل العزيز ... ويكسو النقي النقي اتساخا

فهبي عذرت الصبي جاهلا ... فما العذر فيه إذا المرء شاخا

قال الهيثم بن عدي: كنا نقول بالكوفة: إنه من لم يرو هذه الأبيات فلا مروءة له، وهي لأيمن بن خريم:

وحمراء جرجانية لم يطف بها ... حنيف ولم تنغر بها ساعة قدر

أتاني بها يحيى وقد نمت نومة ... وقد مالت الجوزاء أو جنح النسر

فقلت اغتبقها أو لغيري فاسقها ... فمالي بعد الشيب، ويبك والخمر

تعففت عنها في العصور التي خلت ... فكيف التصابي بعدما كلأ العمر

إذا المرء وفى الأربعين ولم يكن ... له دون ما يأتي حياء ولا ستر

فدعه ولا تنفس عليه الذي ارتأى ... وإن جر أسباب الحياة له الدهر

؟؟؟ ذكر ما جاء في الخمار

---

(١) قطب السرور في أوصاف الأنبذة والخمور الرقيق القيرواني ص/٤٥

رأيت أكثر الناس اختدعوا بالمثل الذي يضرب وهو: الخمر دواءقللخمار، فأتبعوا السكر فعرضت لهم أمراض صعبة، فإن فعل ذلك قوم وسلموا من الأمراض لقوة أبدانهم وصحة أعصابهم، فإن ذلك غير مخرجهم من الخطأ في فعلهم.

قال بعضهم:

داو الخمار بخمرة الكأس المشعشعة العقار

لو خامرت عقل العزيز لزل عن ظهر الحمار

وشرب رجل عند خمار نصراني أياما فأصبح ميتا فاجتمع عليه الناس وقالوا: قتلته، قال: لا والله، ما قتله إلا قوله: وداو بالخمر الخمارا، واستعماله قول الشاعر:

وكأس شربت على لذة ... وأخرى تداويت منها بها

لكي يعلم الناس أني امرؤ ... أتيت الفتوة من بابها

وقال الفرس: بالخمر تدفع الخمر، وشبهت المكثر منها بدود الخل لا يحيا إلا فيه ولا ينتفع إلا به. قال أبو نواس:

اشرب الخمر العقارا ... وانف بالخمر الخمارا

واسقنيها من سلاف ... تدع الليل نهارا

قال الرازي: أعظم علاج الخمار النوم والحمام، فمن أصابه عليه غثيان وتقلب، شرب اسكنجبين بالماء الفاتر، واستعمل القيء مرارا، فإن اصابه صداع صب على رأسه ماء ورد بكافور وشرب الجلاب وأكل الرمان الحامض. ومن أصابه على الخمار بهتة وبلادة استعمل التعب ثم دخل الخمام ليعرق، ومن أصابه طيش وهذيان شرب شرابا كثير المزاج وغرق رأسه بدهن البنفسج وغسل أطرافه بالماء الفاتر وطلب النوم. ودواء الخمار العسر البطيء الطويل شرب اليسير من الشراب الكثير المزاج.

وبالجملة إن الشراب صرفا في الشتاء أنفع من الممزوج، وكذلك الممزوج في الصيف أنفع من الصرف، غير أنه لا ينبغي أن يتعرض له من به صداع أو ضعف في الدماغ والعصب والعين أو حدة في الكبد، ومن تسرع إليه الحميات؛ قال أبو نواس:." (١)

"تركت الخمور لأربابها ... وأقبلت أرشب ماء قراحا

ودكنت حينا بها معجبا ... كحب الغلام الفتاة الرداحا

وما كان تركي لها أنني ... يخاف نديمي علي افتضاحا

ولكن قولي له مرحبا ... وأهلا مع السهل وانعم صباحا

وكان رجل من الأزد يكنى أبا شملة قد تتابع في الخمر وغلبت عليه، فأتي به رسول الله (ص) وهو سكران فخلى سبيله، ثم أتي به وهو سكران، فأخذ رسول الله (ص) قبضة من تراب فضربه بها، وقال: اضربوا الخبيث فضربه الناس بأيديهم وبالنعال وأطراف النخل، فلما ولي أبو بكر، أتي بسكران فسأل: كم ضرب رسول الله (ص) أبا شملة، قالوا: ما ندري، قال: كم

---

(١) قطب السرور في أوصاف الأنبذة والخمور الرقيق القيرواني ص/٩٩

كنتم؟ قالوا: عشرين رجلا، قال: فكم ضربه كل واحد منكم؟ قالوا: الضربة والضربتين، فضربه أربعين، فلما ولي عمر كتب إليه أبو عبيدة بن الجراح من الشام، إن الناس قد تتابعوا في شرب الخمرة، وقد ضربت فيها الأربعين فلم تغن شيئا، فجمع عمر رجالا من أصحاب رسول الله (ص) فشاورهم، فقال علي: إني لا أرى أحدا أشبه بحد الفرية منه لأن الرجل إذا سكر هذىوإذا هدى افترى، فقال عمر للرسول: قد سمعت ما قال، فمر رأبا عبيدة أن يضربها فإنا ضاربوها، فضرب أبو عبيدة ثمانين، وضربها عمر بالمدينة.

وقال الضحاك بن مزاحم لبعض أصحابه: مالك ولشرب النبيذ؟ قال: يهضم طعامي، قال: والله لما يهضم من عقلك ودينك أكثر. وسئل شريك بن عبد الله عن النبيذ قال: إشرب منه ما لا يشرب عقلك. ويروى أن عثمان بن عفان (رض) خطب الناس يوما فقال: أيها الناس، اجتنبوا الخمر فإنها أم الخبائث، ومفتاح كل شر، وإني سمعت رسول الله (ص) يقول: من شرب الخمر في الدنيا حرمها الله عليه في الآخرة، أيها الناس اتقوا الخمر فإنها من أجل الذنوب وأكبر الكبائر، ومن شرب الخمر وقع على أمه وأخته وهو لا يعلم، فمن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يشرب الخمر ولا يقعد على مائدة يشرب عليها الخمر فإن اللعنة تنزل عليهم ما داموا في مجلسهم ذلك.

ومن عيوب الشراب أن صاحبه يتكرهه عند شربه ويكلح عند شمه ويغتم أن يفضل منه شيء في قدحه، ويكثر عتاب ساقيه ويمزجه ليغير طعمه ويتجرعه ولا يكاد يسيغه ويستعين بالنقل من بعده ليغير طعمه ويلقى من الدوار والخمارما لا قوام له، مما يكدر كل لذة وينغص كل طيبة، كما قال بعض الحكماء: اولا أن المخمور يعلم علته لأوصى وصيته، وقد رأيت كثيرا من الناس خدعوا أنفسهم بقول الأعشى:

وكأس شربت على لذة ... وأخرى تداويت منها بها

وقولهم الخمر علاج الخمار، فأتبعوا السكر سكرا فعرضت لهم أمراض صعبة منها الفالج والسكتة. وإن فعل ذلك قوم وسلموا من الأمراض لصحة أبدانهم وقوة أعضائهم فإن ذلك ليس بمخرجهم من الخطأ في فعلهم ولا يحتج بهم على غيرهم.

وذكروا أن رجلا شرب عند خمار نصراني أياما فأصبح ميتا فاجتمع الناس عليه وقالوا: قتلته، فقال: لا والله ما قتله إلا استعماله ما كان يغني فيه من هذا الشعر:

داو الخمار بخمرة الكأس المعتقة العقار

لو خامرت عقل العزيز لزل عن ظهر الحمار

وقوله:

وكأس شربت على لذة ... وأخرى تداويت منها بها

وإكثاره منها على قلة الطعام فصار إلى ما ترون.

وقال عبد الملك بن مروان وذكر الخمر: إن أولها لمر، وآخرها لسكر وإنها لتذهب العقل وتكسب الجهل وتسقط المروءة وتفسد **الفتوة**، وتدعو إلى عشرة الوضيع وتحط درجة الرفيع، ولهي أسرع في عرض الرجل وماله من النار في يبس العرفج.

قال الزبير بن بكار، ذكر أبو الزناد، أن رجلا من ثقيف جلد في الشراب في خلافة عثمان بن عفان (رض) وكان لذلك

الرجل مكان من عثمان ومجلس في خلوته فلما جلد أراد ذلك المجلس فمنعه عثمان إياه وقال له: لا تعود إلى مجلسك أبدا إلا ومعنا ثالث. وعمل محمد بن عبد الملك الزيات أبياتا، وكتبها في كتاب وعنونه إلى إبراهيم بن رياح وختمه ودس رجلا فدفعه إليه وهو متولي ديوان الضياع، فلما فضه إبراهيم تغير لونه وأمر فطلب الرجل فلم يوجد، وإذا في الكتاب أبيات منها:

يا أبا إسحق إن الراح ضد للفلاح

؟ خدمة الواثق والطاسات في أيدي الملاح." (١)

"عمر فأعجبته فقال: إن الله عز وجل يقول: لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون فأعتقها.

وروى حمزة بن عبد الله بن عمر عن عبد الله بن عمر قال: خطرت على قلبي هذه الآية:

لن تنالوا البر ... فتذكرت ما أعطاني الله، فما كان شيء أعجب إلي من فلانة فقلت: هي حرة لوجه الله، ولولا أنني لا أعود في شيء جعلته لله عز وجل لنكحتها.

ويقال: ضاف أبا ذر الغفاري ضيف فقال للضيف: إني مشغول فاخرج إلى أبواء فإن لي بها إبلا فأتني بخيرها، فذهب وجاء بناقة مهزولة فقال له أبو ذر: جئتني بشرها، فقال: وجدت خير الإبل فحلها فتذكرت يوم حاجتكم إليه، فقال أبو ذر: إن يوم حاجتي إليه ليوم أوضع في حفرتي مع أن الله عز وجل يقول: لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون.

وعن رجل من بني سليم يقال له عبد الله بن سيدان عن أبي ذر قال: في المال ثلاث شركاء: القدر لا يستأمرك أن تذهب بخيرها أو شرها من هلاك أو موت أو فعل، والوارث ينتظرك أن تضع رأسك ثم يستاقها وأنت ذميم، والثالث أنت فإن استطعت أن لا يكون أعجب إليك مالا فإن الله عز وجل يقول: لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون، وإن هذا الجمل كان مما أحب من مالي فأحببت أن أقدمه لنفسي.

وروي عن ربيع بن خيثم أنه وقف سائل على بابه، فقال: أطعموه سكرا فقيل: ما يصنع هذا بالسكر فنطعمه خبزا فهو أنفع له، فقال: ويحكم أطعموه سكرا فإن الربيع يحب السكر.

وروي عن الربيع بن خيثم أيضا أنه جاءه سائل في ليلة باردة، فخرج إليه فرآه كأنه مقرور قال: لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون فنزع برتشا له وأعطاه إياه وذكر أنه كساه عروة.

وبلغنا أن زبيدة أم جعفر اتخذت مصحفا في تسعين قطعة كتب بالذهب على الرق وجعلت ظهورها من الذهب مرصعة بالجواهر، فبينما هي تقرأ القرآن ذات يوم فقرأت هذه الآية، فلم يكن شيء أحب إليها من المصحف، فقالت: علي بالصاغة، فأمرت بالذهب والجواهر حتى بيعت وأمرت حتى حفرت الآبار وأشرف الحياض بالبادية.

وقال أبو بكر الوراق: دلهم بهذه الآية على **الفتوة**، وقال: لن تنالوا بري بكم إلا ببركم إخوانكم والإنفاق عليهم من أموالكم وجاهكم وما تحبون، فإذا فعلتم ذلك نالكم بري وعطفي.

---

(١) قطب السرور في أوصاف الأنبذة والخمور الرقيق القيرواني ص/١١٥

وما تنفقوا من خير فإن الله به عليم: أي فإن الله يجازي عليه لأنه إذا علمه جازى عليه، وتأويل (ما) تأويل الشرط والجزاء وموضعها نصب لينفقوا، المعنى: وأي شيء ينفقون فإن الله به عليم.." (١)

"الرعية، إذا منعهم عن العبث والفساد، وضرب السيد على يدي عبده المأذون في التجارة، إذا منعه عن التصرف فيها. قال الأسود بن يعفر، وكان ضريرا:

ومن الحوادث لا أبا لك أنني ... ضربت علي الأرض بالأسداد «١»

سنين عددا أي معدودة، وهو نعت للسنين، فالعد المصدر، والعدد الاسم المعدود، كالنقص والنقض والخبط والحبط. وقال أبو عبيدة: هو نصب على المصدر.

ثم بعثناهم، يعني من نومهم لنعلم أي الحزبين أحصى لما لبثوا أمدا، وذلك حين تنازع المسلمون الأولون أصحاب الملك، والمسلمون الآخرون الذين أسلموا حين أوى أصحاب الكهف في قدر مدة لبثهم في الكهف، فقال المسلمون الأولون: مكثوا في كهفهم ثلاثمائة سنة وتسع سنين، وقال المسلمون الآخرون: بل مكثوا كذا وكذا. فقال الأولون: الله أعلم بما لبثوا، فذلك قوله: ثم بعثناهم، لتعلموا أي الحزبين: الفريقين أحصى:

أصوب وأحفظ لما لبثوا في كهفهم نياما، أمدا: غاية.

وقال مجاهد: عددا. وفي نصبه وجهان: أحدهما على التفسير والثاني لوقوع لما لبثوا عليه.

نحن نقص، أي نقرأ وننزل عليك نبأهم، أي خبر أصحاب الكهف بالحق إنهم فتية: شبان وأحداث آمنوا بربهم، حكم الله لهم **بالفتوة** حين آمنوا بلا واسطة لذلك. وقال أهل اللسان: رأس **الفتوة** الإيمان. وقال الجنيد: **الفتوة** كف الأذى وبذل الندى، وترك الشكوى. وقيل: **الفتوة** شيئان: اجتناب المحارم، واستعمال المكارم. وقيل: الفتى من لا يدعي قبل الفعل، ولا يزكي نفسه بعد الفعل. وقيل: ليس الفتى من يصبر على السياط، إنما الفتى من جاز على الصراط. وقيل: ليس الفتى من يصبر على السكين، إنما الفتى من يطعم المسكين.

وزدناهم هدى إيمانا وبصيرة وإيقانا.

وربطنا: وشددنا على قلوبهم بالصبر، وألهمناهم ذلك، وقويناهم بنور الإيمان حتى صبروا على هجران دار قومهم وفراق ما كانوا فيه من خفض العيش، وفروا بدينهم إلى الكهف، إذ قاموا بين يدي دقيانوس فقالوا حين عاتبهم على تركهم عبادة الصنم: ربنا رب السماوات والأرض لن ندعوا: لن نعبد من دونه إلها لقد قلنا إذا شططا، يعني إن دعونا غير الله، لقد قلنا إذا شططا. قال ابن عباس ومقاتل: جورا. قال قتادة: كذبا. وأصل الشطط والإشطاط: مجاوزة القدر، والإفراط.

هؤلاء قومنا، يعني أهل بلدهم اتخذوا من دونه، أي من دون الله آلهة، يعني

---

(١) تفسير القرطبي: ١٥/ ١٠.." (٢)

---

(١) تفسير الثعلبي = الكشف والبيان عن تفسير القرآن الثعلبي ١١١/٣

(٢) تفسير الثعلبي = الكشف والبيان عن تفسير القرآن الثعلبي ١٥٨/٦

"٦٤٩ – محمد بن عمر بن العلاء بن عمر بن الحباب بن مروان بن زيد بن الحكم بن عبد الله بن عامر بن صعصعة بن تميم بن قيس عيلان١ كان من رؤساء أهل جرجان وله أخ يقال له العلاء بن عمر مات أبو عبد الله محمد بن عمر بن العلاء الصيرفي يوم الثلثاء ليومي بقيا من شهر ربيع الأول سنة ثلاث وتسعين ومائتين.

حكى لنا بعض مشايخنا من أهل جرجان عن أبي عمر ومحمد بن الطيب الجرجاني قال كان خالي محمد بن عمر بن العلاء فصيحا جوادا مقداما وكان المحارب عن أهل جرجان حين ورد عليهم أحمد بن عبد الله الخجستاني فهزمه الخجستاني وقبضوا عليه وحملوه إلى بين يديه وقد بح حلقه من كثرة الصياح فقال له الخجستاني لم بح حلقك ولم يبح حلقي وكنت صاحب جيش مثلي فقال محمد بن عمر لأن أصحابك كانوا مطيعين مفوضين مرتاضين فكفوك الصياح وكان أصحابي رعاعا غاغة لم يكن لهم أدب الخدمة ولا هداية المناصحة ولا معرفة باللقاء والمكافحة فأبحوني لكثرة المصايحة فتبسم الخجستاني وقال صدقت ثم التفت إلى أصحابه فقال ما ترون عنه فقال بعضهم نحب أن تجعله عبرة لغيره لتكفي مؤونة أمثاله ممن يتجرأ عليك ويوجه بالغاغة إليك فقال محمد بن عمر إن صاحبك هذا لا يعرف شروط المروءة قال ولم قال لأنه ليس من الفتوة أن يساء المحضر لمثلي من دون الخطاء عند مثلك من الأمراء والعظماء قال صدقت فأمر بتخليته وذلك في شهر رمضان سنة خمس وستين ومائتين وكان مسجده في صف النجارين على رأس سكة عبيد.

روى محمد بن عمر عن هدبة بن خالد وأبي الزهراني ١٥٣/ب روى عنه أبو بكر الإسماعيلي وابن عدي.

---

١ كذا وقع هذا النسب.." (١)

"كناية عن المؤاجرة، والغراب عند الشعراء كناية عن المأبون، لأنه يواري سوءة أخيه. والاقتصار عند البخلاء كناية عن البخل. والزوار عند الكرام كناية عن السؤال. وما أفاء الله عند الصوفية كناية عن الصدقة. والفتوة عند الشطار كناية عن التلصص. ومزح اليدين عند المعاشرين كناية عن الصفع. والانحياز عند الجند كناية عن الهزيمة، ورائحة الشباب عند النساء كناية عن الصنان. والممنع عند الكتاب كناية عن الأعور. والسليم عند العرب كناية عن اللديغ. وأبو البيضاء عندهم كناية عن الزنجي. والطويلة عند المخنثين كناية عن اللحية. والعمار كناية عن الجن. وذكر ابن العميد في رسالة له إلى رجل حلف بالطلاق، فقال: حلف أيمانا مغلظة سمى فيها حرائره. ولما برص بلعاء بن قيس الكناني قيل له: ما هذا؟ قال: سيف الله جلاه. ومن أحسن كنايات الصاحب، وأبي إسحاق الصابي، وغيرهما من البلغاء عن ذكر موت الملوك والأجلة والرؤساء قولهم: انقضت أيامه، استأثر الله به. خانه عمره. لم تسمح النوائب بالتجافي عن مهجته. أجاب." (٢)

"ومنهم ذو المنار وقيل له ذو المنار لأنه أول من ضرب المنار على طرقه فى غزواته ليهتدى بها فى مرجعه ومنهم ذو رعين يضرب به المثل فى النعمة كما قال العلوى الحمانى

(ويوم قد ظللت قرير عين ... به فى مثل نعمة ذى رعين)

---

(١) تاريخ جرجان حمزة السهمي ص/٣٩٠

(٢) تحسين القبيح وتقبيح الحسن الثعالبي، أبو منصور ص/٢٢

(تفكهنى أحاديث الندامى ... وتطربنى مثقفة اليدين)

(فلولا خوف ما تجنى الليالى ... قبضت على الفتوة باليدين)

ومنهم ذو مرحب سمى بذلك لأنه كان يرحب به كل من رآه وكان رحب الصدر والباع هشا بشا

ومنهم ذو يزن وابنه سيف الذى انتزع الملك من الحبشة وقد تمثل به من قال لعبد الله بن طاهر

(اشرب هنيئا عليك التاج مرتفقا ... بشاء مهر ودع غمدان لليمن)

(وأنت أولى بتاج الملك تلبسه ... من هوذة بن على وابن ذى يزن)

٤٢٦ - (ذو الأوتاد) هو من ذكره الله تعالى فى كتابه العزيز وكان يأمر بمن يغضب عليه فيوتد فى الأرض بأربعة أوتاد وهو أول من سن ذلك

٤٢٧ - (ذو القرنين) قال الجاحظ فى كتاب التدوير والتربيع ولقد سألت عن ذى القرنين أهو الإسكندر ومن أبوه ومن قيرى ومن عيرى فقال القاضى أبو الحسن على بن عبد العزيز الجرجانى فى الجواب عن ذلك وشرحه قال أكثر من بحث عن سالف الأمور وتصفح ما حدث." [(١)]

"وقال الصاحب

(تزيد على أبراد آل تزيد ...)

٩٩٦ - (رداء العز) قد أحسن البحترى فى قوله وأجراه مجرى المثل السائر

(أصاب الدهر دولة آل وهب ... ونال الليل منها والنهار)

(أعارهم رداء العز حتى ... تقاضاهم فردوا ما استعاروا)

وللشعراء استعارات فى الرداء فى نهاية الحسن كقولهم رداء الشمس ورداء الشباب ورداء الفتوة ورداء النور ورداء الجمال ورداء اللهو وغيرها قال طرفة

(ووجه كأن الشمس ألقت رداءها ... عليه نقى اللون لم يتخدد)

ولما أنشد النمرى الرشيد قصيدته التى أولها

(ما تنقضى حسرة منى ولا جزع ... إذا ذكرت شبابا ليس يرتجع)

(ما كنت أوفى شبابى كنه عزته ... حتى انقضى فإذا الدنيا له تبع)

فبكى الرشيد وقال ما خير دنيا لا يحظى فيها برداء الشباب وقال البحترى

(خلياه وجدة اللهو مادام ... رداء الشباب غضا جديدا)

(إن أيامه من البيض بيض ... ما رأين المفارق السود سودا)

وقال أيضا

(رقة النور واهتزاز القضيب ... خبرا منك عن أغر نجيب)

---

(١) ثمار القلوب في المضاف والمنسوب الثعالبي، أبو منصور ص/٢٨٠

(فى رداء من الفتوة فضفاض ... وعهد من التصابى قريب)

وقال ابن المعتز

(خليلى اتركا قول النصيح ... وقوما فامزجا راحا بريح)." [١]

"ذمام كاتبها في سترها بك عني ففضضتها فإذا فيها بأحسن خط وأملحه وأقرئه وأوضحه

بسم الله الرحمن الرحيم

لم أزل فيما تؤديه هذه المخاطبة يا مولاي بين حزم يحث على الانقباض عنك وحسن ظن يحض على التسامح بنفيس الحظ منك إلى أن استنزلتني الرغبة فيك على حكم الثقة بك من غير خبرة ورفعت بيني وبينك سجف الحشمة فأطعت بالانبساط أوامر الأنسة وانتهزت في التوصل إلى مودتك فائت الفرصة والمستماح منك جعلني الله فداك زورة أرتجع بها اغتصبتنيه الأيام من المسرة مهنأة بالانفراد إلا من غلامك الذي هو مادة مسرتك

وما ذاك عن خلق يضيق بطارق ولكن لأخذي بالاحتياط على حالي فإن صادف ما خطبته منك أيدك الله قبولا ولديك نفاقا فمنية غفل الدهر عنها أو فارق مذهبه فيما أهداه إلي منها وإن جرى على رسمه في المضايقة فيما أوثره وأهواه وأترقبه من قربك وأتمناه فذمام المروءة يلزمك رد هذه الوقعة وسترها وتناسيها واطراح ذكرها

وإذا بأبيات تتلو الخطاب وهي

(يا عامر العمر بالفتوة والقصف ... وحث الكؤوس والطرب)

(هل لك في صاحب تناسب في ... الغربة أخلاقه وبالأدب)

(أوحشه الدهر فاستراح إلى ... قربك مستنصرا على النوب)

(فإن تقبلت ما أتاك به ... لم تشن الظن فيه بالكذب)

(وإن أتى الزهد دون رغبتنا ... فكن كمن لم يقل ولم يجب) // من المنسرح //." [٢]

"(أو كالحسام إذا تبسم متنه ... عبس الردى في حده فتجهما)

(كلف بدر الحمد يبرم سلكه ... حتى ترى عقدا عليه منظما)

(ويلم من شعث العلا بشمائل ... أحلى من اللعس الممنع واللمى) // الكامل //

ومن اخرى من الكامل

(خلق سهول المكرمات سهوله ... وتوعر الايام من اوعاره)

(إن لاح فهو الصبح في انواره ... او فاح فهو الروض في نواره) // الكامل //

ومن اخرى من الوافر

(لقد شرفت بسؤددك القوافي ... وفاز بمجدك الشرف التليد)

---

(١) ثمار القلوب في المضاف والمنسوب الثعالبي، أبو منصور ص/٥٩٩

(٢) يتيمة الدهر الثعالبي، أبو منصور ١/٢٩٥

(فيوم الحرب تطربك المذاكي ... ويوم السلم يطربك النشيد) // الوافر //

ومن اخرى من المتقارب

(ومقتبل السن سن الندى ... فأعطى **الفتوة** حق الفتاء)

(بكف ترقرق ماء الحياة ... ووجه يرقرق ماء الحياء) // المتقارب //

ومن اخرى من الكامل

(أما السماح فقد تبسم نوره ... بعد الذبول وعاد نور ذباله)

(أطلقت من اغلاله وشفيت من ... أعلاله وفتحت من أقفاله) // الكامل //

ومن اخرى من الكامل

(نسب اضاء عموده في رفعة ... كالصبح فيه ترفع وضياء)." (١)

"رقعة استزارة

هذا اليوم يا سيدي طاروني يعجبني نوؤه الفاختي وإذ قد غابت شمس السماء عنا

فلا بد أن تدنو شمس الأرض منا فإن نشطت للحضور شاركتنا في السرور وإلا فلا إكراه ولا إجبار ولك متى شئت الإختيار

وفي مثلها

غدا يا سيدي ينحسر الصيام وتطيب المدام

فلا بد من أن نقيم أسواق الأنس نافقة وننشر أعلام السرور خافقة **فبالفتوة** فإنها قسم للظراف يفرض حسن الإسعاف لما بادرتها ولو على جناح الريح إن شاء الله تعالى

أخرى نحن يا سيدي في مجلس غني إلا عنك شاكر إلا منك

قد تفتحت فيه عيون النرجس وتوردت فيه خدود البنفسج وفاحت مجامر الأترج وفتقت فارات النارنج وأنطقت ألسنة العيدان وقام خطباء الأوتار وهبت رياح الأقداح ونفقت سوق الأنس وقام منادي الطرب وطلعت كواكب الندماء وامتدت سماء الند فبحياتي لما حضرت لنحصل بك في جنة الخلد وتتصل الواسطة بالعقد

في مثلها نحن وحياتك في مجلس راحه ياقوت ونوره در ونارنجه." (٢)

"لك ورقة قولي في عتابك ولو رأيته لأنسيت أحواض مأرب ومشارب أم غالب وقد قابلتني شقائق كالزنوج تجارحت فسالت دماؤها وضعفت فبقي ذماؤها وسامتني أشجار كأن الحور أعارتها أثوابها وكستها أبرادها وحضرتني نارنجات ككرات من سفن ذهبت أو ثدي أبكار خلقت وقد تبرم بي الحاضرون لطول الكتاب فوقفت وكففت وصدفت عن كثير مما له تشوفت

---

(١) يتيمة الدهر الثعالبي، أبو منصور ٢/١٩١

(٢) يتيمة الدهر الثعالبي، أبو منصور ٣/٢٨٦

ومن رقعة مضيت وشاهدت أحسن منظر فالأرض زمردة والأشجار وشيء والماء سيوف والطير قيان

رقعة في الإعتذار من هفوة الكأس

سيدي أعرف بأحكام المروءة من أن يهدى إليها وأحرص على عمارة سبل **الفتوة** من أن يحض عليها وقديما حملت أوزار السكر على ظهور الخمر وطوي بساط الشراب على ما فيه من خطأ وصواب وكنت البارحة بعقب شكاة أضعفتني ونقلتني عن عادتي واستعفيت السقاة غير دفعة فابوا إلا إلحاحا علي وإتراعا إلي وكرهت الإمتناع خشية أن أوقع الكساد في سوق الأنس وتفاديا من أن يقعد على خنصر الثقيل فلما بلغت الحد الذي يوجب الحد بدر مني ما يبدر ممن لا يصحبه لبه ولا يساعده عقله وقلبه

ولا غرو فموالاة الأرطال تدع الشيوخ كالأطفال

فإن رأى أن يقبل عذري فيما جناه سكري ويهب جرمي." (١)

"المشقاع الأرعن الذي يكتري الثياب البيض ويلبسها واللغر هم السفل من الناس

(يلذ الشورز الوجدان ... بالخب وبالمكر)

الشورز الأمرد ويلذ يدور به العرب من المكدين فيؤدبه ويقول هذه **الفتوة** ولا يجوز أن تكون وحدك فإما أن تصير غلاما لأحدنا وإما أن تخرج من دار الفتيان فإذا صار مع أحدهم طبخ له قدر الدسكرة ويقال للقدر بما فيها الخشبوب

(إلى أن يأكل الخشبوب ... كرسا أكل مضطر)

(وما في البيت غير البت ... أو بارية القفر)

(وما للشوزر السوء ... سوى الغيلة والغدر)

(وأن يصميه حتى ... تراه طافح السكر)

يصميه يسقيه الصمى وهو الخمر

(فتجري فيه كيذات ... البهاليل ولا يدري)

الكيذات الأيور البهاليل رؤساء المكدين

(ومنا سعفة الريح ... لضرب الكلب والهر)

وسعفة الريح قوم يرعدون رعدة شديدة تهتز لها مفاصلهم وتصطك أسنانهم ويقول أحدهم إنه قتل سنورا أو كلبا فلطمته الجن

(وذو القصعة والمسراد ... والمكناس والعشر)

---

(١) يتيمة الدهر الثعالبي، أبو منصور ٣/٢٨٨

وذو القصعة والمسراد هؤلاء قوم ينخلون التراب في الطرق ويعلقون على أنفسهم القصاع ويغسلون الأسواق بالماء ويخرجون إلى البيادر فليقطون القصى وهو ما بقي في السنبل من الحب بعد أن يداس." (١)

"لغدك إذا استعدت إلى الباب وطولبت برفع الحساب واستعرضت جريدة أفعالك واستقريت صحيفة أعمالك هنالك يتبين لك ما جنى عليك سوء صنيعك وما الذي جاش إليك فرط تضييعك فتصحو تارة عن سكرة جفائك وتسكر أخرى عن سورة أحبائك وكم تقرع من ندم أسنانك وتعض من سدم بنانك

هيهات لا ينفع إذ ذاك إلى القلب السليم والعهد الكريم والعمل القويم والسنن المستقيم ومن لك بها وقد سودت وجوه آثارك وتلقيت أمانة العهد بسوء جوارك وقبح إخفارك ولولا التأميل لفيأتك وارعوائك وانتهائك عن تماديك في غلوائك لأتاك من أشخاص الإنكار ما يقفك على صلاحك ويكفك عن فرط جماحك فاجل أعزك الله الغشاء عن عين رعايتك واطرح القذى عن شرب مخالصتك وارع ما استحفظته من أمانة الفؤاد واعلم بأنك مسئول عن عهدة الوداد واكتب في الجواب بما نراعيه منك وتعذر إن كان فيما أقدمت عليه لك إن شاء الله تعالى

رقعة استزارة

هذا يوم رقت غلائل صحوه وخنثت شمائل جوه وضحكت ثغور رياضه واطرد زرد الحسن فوق حياضه

وفاحت مجامر الأزهار وانتثرت قلائد الأغصان عن فرائد الأنوار

وقام خطباء الأطيار

فوق منابر الأشجار ودارت أفلاك الأيدي بشموس الراح في بروج الأقداح وقد سبينا العقل في مرج المجون وخلعنا العذار بأيدي الجنون

فمن طالعنا بين هذه البساتين وأنواع الرياحين طالع فتيانا كالشياطين ونصارى يوم الشعانين فبحق الفتوة التي زان الله بها طبعك والمروة التي قصر عليها أصلك وفرعك إلا تفضلت بالحضور ونظمت لنا بك عقد السرور." (٢)

"" اخرى في حل قول القائل "

قل للأمير وما بالحق من باس ... دع عنك ضربك أخماسا لأسداس

من اثنتين فلا تبخل بواحدة ... أما النوال وأما راحة اليأس

حقيق علي أيد الله الامير ان لا أقول غير الحق. ولا يجري بناني بغير الصدق. وما منهما الأمر عاقبته حلوه. وثقيل ثمرته خفه وعندي نكتة من عريضه. وقصيرة من طويلة. وهي ان ضرب الأخماس للأسداس. ليس من فعل كرام الناس. فاما ثمرة النجاح واما روح الياس. واقول ما قال الله المنان فامساك بمعروف أو تسريح باحسان " اخرى في حل قول الشاعر في يحيى بن خالد البرمكي

---

(١) يتيمة الدهر الثعالبي، أبو منصور ٣/٤٣٠

(٢) يتيمة الدهر الثعالبي، أبو منصور ٤/٤٦١

رأيت يحيى أدام الله دولته ... يأتي من العرف مالم ياته احد

ينسى الذي كان من معروفه أبدا ... إلى العفاة ولا ينسى الذي يعد

سيدنا أطال الله بقاه فرد الأنام واوحد الكرام. فأيامه ربيع مريع. وجوده غريب بديع. فهو يطوى ما تقدم من الإحسان في أثناء الغفلة والنسيان. ويذكر ما يسبق من وعده حتى ينقشه في فص صدره. ويصرف إلى إنجازه جميع فكره. فكأنه قد نظر في سير مولانا الملك خوارزم شاه أدام الله ملكه وأحاط بجلائل نعمه. ودقائق كرمه. فتخلق بخلقه. وجري في طرقه. ولعمري ان من تدبر أخباره. وتبصر آثاره. وعلم ان الكرم مأمولي. لا برمكي. والجود خوارزم شاهي. لا حاتمي. وعرف انه لولا عجائب صنع الله. وبدائع لطف الله. لما نبتت تلك المكارم في لحم. ولا امتزجت تلك الفضائل بدم. ولا اجتمعت تلك المحاسن في شخص. ولا انتظمت تلك المفاخر في نفس. فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون. وسبحان خالق مأمون بن مأمون " اخرى في حل قول الشاعر "

تدعو الضرورات في الأمور ... إلى إستعمال ما لا يليق بالأدب

وحيرة المرء في تقلبه ... تدعو إلى ان يلج في الطلب

سيدنا أطال الله بقاه يعلم ان الضرورة. تبيح المحظورة. وتنقض المروة. وترفض الفتوة. وتدعو المرء إلى ما لا يحسن به. ولا يليق بحسبه وادبه. كما يعلم ان فرط التحير. يمنع من واجب التخير ويحمل الحيي على الوقاحة. حتى لا يبالي بالقباحة. أعاذ الله سيدنا من كل ما يجري على خلاف إيثاره. ويحول بينه وبين اختياره وقد اجتمع علي أدام الله تأييد سيدنا من الضرورة العنيفة والحيرة الشديدة. ما رخص لي في الإلحاح الذي ليس من خلائقي. وبعثني على الالحاف وما كان من طرائقي. وسيدنا أدام الله أيامه. أعلا عينا فيما يراه من مداواة حالي بطب كرمه. وامساك رمقي بقطرة من ديمه " أخرى في حل قول الآخر "

اطال لك الله السلامة والبقا ... وزادك في الدنيا علوا ومرتقى

بعثت رسولي وهو حامل رقعتي ... فرأيك فيما قلت امس موفقا

يلقى الشيخ اطال الله بقاه. وادام في المعالي ارتقاه. برقعتي من هو رسولي. في تحصيل سولي. فرأيه في اعادة ظني مصدقا. وصرفه بالنجاح موفقا. ان شاء الله تعالى " اخرى في قول الشاعر لعبد الله بن طاهر "

ماذا أقول إذا سئلت وقيل لي ... ماذا اصبت من الجواد المفضل

ان قلت اعطاني كذبت وان اقل ... ضن الامير بماله لم يجمل

فاختر لنفسك ما أقول فانني ... لابد اخبرهم وان لم اسأل

أنا أطال الله الامير ناهض النيه. راحل العزيمة. مسافر الهم والعقيده ولم يبق الا المسير. ومن الله التيسير. ولست ادري ما الذي اقول إذا عاودت اوطاني وسلطاني. وشاهدت خلاني واخواني. وسألوني عن حالي بحضرته. وحظي من ثمار خدمته. فان قلت حصلت في الجنان الخصيبة من نعمته ودرت علي سحابة صلته. كذب لسان حالي لسان مقالي ولم تثن عليه حقائبي واحمالي. وان قلت ان الامير ادام الله تأييده قد ضن. ولم يحقق الظن. كنت وصفت البدر بأن لا يلوح. والمسك بأن

لا يفوح. والبحر بأن يغيض. ولا يفيض فانا واقف حيث يقف بي اختياره. من الشكر أو الشكايه. ويرتضيه لي ايثاره. منالثناء أو الاستزاده. فان رأى أعلى الله رأيه ان يطلق لساني باجمل القولين فيه. ولا يكلني الا إلى احسن الظنين به. فعل ان شاء الله تعالى " حل الجواب عنها "

عاجلتنا فاتاك عاجل برنا ... قلا ولو أمهلتنا لم يقلل

فخذ القليل وكن كأنك لم تقل ... ونكون نحن كأننا لم نفعل." (١)

"خاطبتنا أيدك الله مخاطبة من تجهز وتحمل وبرز وهو سائر لايني ومتوجه لاينثني. وكنا نؤثر ان تقيم ولا تريم. لنبلغ من قضاء حقك ما يتأتى في المهل لا على السرعة والعجل. واذ قد جددت في السفر عزمك. وجردت للوطن همك. فجعل الله الخيرة مصاحبة لك. في مقامك وظعنك. وسفرك وحضرك. وسائر متصرفك. ومتوجهاتك. وقد امرنا لك بعجالة قليلة من البر يكثرها ما في التقصير مع المعاجلة من العذر. فخذها وهب انك لم توصل. لنعلم نحن على اننا لم نبذل. والأمر كفاف لدينا. ولا لنا ولا علينا. و؟ بيننا قائمه لا يلزم أحدنا لائمه. والسلام " اخرى في حل قول منصور الفقيه "

ان إمام الحجاز يقضي ... عليك في الوعد بالضمان

ولي عدات لديك تترى ... معلومة الوقت والمكان

فاوف بالوعد أو فصرح ... بالخلف واسلم على الزمان

ولا تعذب بسوف قلبا ... اقرحه المطل والتواني

الشيخ أطال الله بقاه حجازي الفقه. شافعي الدين. ومن مذهبه. ان من وعد وعدا. فقد ضمن ضمانا وعهد عهدا. وفي دين المروة. وحقوق الفتوة. ان من أعطى من لسانه الوثيقة. لزمته شرائطها على الحقيقة. ولي في ذمة كرمه مواعيد معلومة الأوقات والأزمنة. معروفة المواطن والأمكنة. فان وفى بالعهد. واوفى بالعقد. كان قد جبر كسري. وفك اسري. واستغرق شكري. وان رأى غير ذلك فالتصريح. مما يريح. ولا بأس ببرد اليأس. وما اولاه بأن لا يزيد في عذاب قلب مكدود بالوعد. مجرود على شوك المطل. مجروح بأنياب الدهر. والله يعينه على الخيرات. ويوفقه للحسنات. ويوفر حظه من الباقيات الصالحات " اخرى في حل قول ابن الرومي "

جعلت فداك لم اسال ... ك ذاك الثوب للكفن

سألتكه لألبسه ... وروحي بعد في بدني

وقد طال المطال به ... وخفت حوادث الزمن

فلا تجعله غزلا فر ... حائكه إلى عدن

الا فامنن به ان ال ... سيادة عاجل المنن

الا واجعله ممتثلا ... محاسن وجهك الحسن

نقيا مثل عرضك إنه ... ما شيب بالدرن

---

(١) رسائل الثعالبي الثعالبي، أبو منصور ص/١١

صفيقا مثل رأيك ... انه والحزم في قرن

رقيقا مثل فطنتك التي ... دقت عن الفطن

ولا تعجبك قيمته ... كفى بالجمد من ثمن

وحسبك ان بخلت به ... بفقد الحمد من غبن

جعلني الله فداك. يا مولاي واطال بقاك. إلى متى هذا المطل الشديد. بالثوب الجديد. ولم صار الوعد فيه كالموعيد. أما علمت اني سالتكه لألبسته في حياتي. لا لأن أكفن به عند مماتي. وقد طال به التسويف العنيف. حتى خفت عوائق الحدثان. ولم آمن نوائب الزمان. فلا ينبغي ان يكون فرحائكه إلى اليمن والقى عصاه بصنعاء أو عدن. وليس الزعيم الا فضلك بكفابة شغل طلبه. والجري على حكم سوددك في المن علي به. وإجابة دعائي بكرمك. ان تنفذه ممتثلا محاسنك. محاكيا شمائلك. وتجعله نقيا كعرضك الذي ما شيب بما يلطخه. وما شين بما يوسخه. وتختاره صفيقا كرأيك الذي لا يتخلله خلل. رقيقا كفطنتك التي لا يتعرضها زلل. ولا تتعاظمك قيمته فالحمد لله أعلى واغلى. وبالاستحلاب اولى وان بخلت به وحاشاك. فحسبك فوت الشكر عيبا وكفاك

باب

المطل وخلف الوعد

" رسالة في حل قول ابن الرومي "

لو كان مطلك ذا روح وذا جسد ... في طوله ما شككنا انه عوج

كما نوالك مع ما فيه من قصر ... لو مر بالناس قالوا مر ياجوج

" وقول الآخر "

قد بلوناك بحمد الله ... ان أغنى البلاء

فاذا كل مواعي ... دك والريح سواء

" وقول الآخر "

اطلت انتظار غد بعد غد ... ولم ازمنك يدا فوق يد

فسم غدا أنتظر وقته ... فكل غد بعده الف غد." (١)

"إذا تراكبت لديك الهموم. وتراكمت عليك غيوم الغموم وضاقت خطة الخطب. واشتدت ثائرة الكرب. فاتخذ المنى مراوح تروح بها عن قلبك. وتبرد حر صدرك. وترى في حركتها سكون جاشك. وفي الانس بها زوال استيحاشك. فربما اقترن ارجاف القلوب بما يقر العيون. ونطق لسان الفال بما يحقق الظنون

باب

ذم الزمان وانحطاط الكرام وارتفاع اللئام

---

(١) رسائل الثعالبي الثعالبي، أبو منصور ص/١٢

" فصل في حل قول الشاعر "

كفى حزنا ان المروآت عطلت ... وان ذوي الآداب في الناس ضيع

وان الملوك ليس يحظى لديهم ... من الناس الا من يغنى ويصفع

طنابيرهم معمورة باداتها ... ومسجدهم خال من الناس بلقع

فيا ليتني أصبحت فيهم مغنيا ... ولم أك أشقى بالذي كنت أجمع

كفى حزنا أن قد ضيعت المروة. وعطلت الفتوة. وضاع ذوو الآداب. لقلة الطلاب. واكثر الملوك ساهون لاهون. وبالمغنين وبالصفاعة مباهون. فمجالس انسهم معمورة وبالملاهي مغموره ومساجدهم مهجورة. فياليتني كنت مغنيا لهم فانال المنى. وادرك بالغناء الغني. ولم أك اشقى بجمع العلوم واتقان المعلوم. ولبس ثوب المحروم " اخرى في حل قول الاستاذ ابي بكر الخوارزمي "

تولى العيش وانقطع النظام ... وعاش اللؤم اذ عاش اللئام

وخلفني الزمان على اناس ... إذا حكوا الكلاب فهم كرام

يكاد الدهر يشتمني صراحا ... لو ان الدهر كان له كلام

فلولا ان انازع حكم ربي ... لقلت فديت موتي والسلام

قد تولت بهجة العيش وانقطع نظام الحرية. ودرس رسم الإنسانية. ووقف فلك المروءة وانقضت ايام الكرام. وعاش اللؤم بعيش اللئام. وخلفني الزمان على اقوام. إذا حكوا الكلاب فهم اكرم الكرام. ولو كان الدهر يتكلم لرشقني بسهام الشتيمة. كما قصدني بافعاله الذميمة. فلولا ان انازع قضاء الله الذي لا احتجاب دونه ولا دفاع. ولا احتراز منه ولا امتناع. لشتمت هذه الدنيا الدنيه. وتمنيت المنيه. واختصرت الكلام. وقلت فديت موتي والسلام " اخرى في حل قوله ايضا "

خبت نار العلى بعد اشتعال ... وصاح الخير حي على الزوال

عدمنا الجود الا في الاماني ... والا في الصحائف والامالي

فياليت الدفاتر كن قوما ... فأثرى الخلق من كرم الفعال

ولو اني جعلت امير جيش ... لما حاربت الا بالسؤال

لان الناس ينهزمون منه ... وقد ثبتوا لاطراف العوالي

لم تر إلى العلى كيف خبا قبسها. وكبا فرسها. والى الخير اكيف آذن بالزوال. وشدت رحاله للارتحال. والى الجود كيف قد أعجز. وعز واعوز. اللهم الا في الدفاتر. وكتب الاخبار والمآثر. فياليت الكتب كانت قوما فكانت اوجههم للصباحة. وألسنتهم للفصاحة. وايديهم للسماحة. ولو كنت امير جيش يملأ الارض. ويشحن الطول منها والعرض. وسنح لي النهوض إلى عدو ابرز صفحة المكاشفة. وامتطى ظهر المخالفة. فحشد وحشر. وضم ونشر. وجمع اطرافه. والف الفافه. لما حاربته الا بالسؤال. الذي ينهزم منه ابطال الرجال. وطالما ثبتوا للبيض الحداد والسمر الطوال.

" رقعة في حل قول ابن لنكك "

زمان عز فيه الجود حتى ... لصار الجود في أعلى البروج

مضى الاحرار فانقرضوا بادوا ... وخلفني الزمان على علوج

وقالوا قد لزمت البيت جدا ... فقلت لفقد فائدة الخروج

عاتبتني يا سيدي فديتك على لزوم البيت. وقلت ان الحي إذا لم يخرج منه كالميت. كانك لا تعلم ان الخروج إذا كان غير مفيد. كانت العزلة خير قعيد. ولا سيما في هذا الزمان الذي عز فيه جود ذوي الثراء. حتى صار في أعلى بروج السماء. ومضى الاحرار فلم يبق منهم نافخ نار. ولا رافع منار. وبقيت في اعلاج. اعيت خبيئتهم على كل علاج. فهم يصونون فلوسهم. ويبتذلون نفوسهم. افتلومني على بغضهم. والاستمرار على نقصهم ورفضهم. وما اشك انك ان عرفتهم عذرتني. كما عذلتني. ان شاء الله " فصل في حل قول ابن الرومي "

رأيت الدهر يرفع كل وغد ... ويخفض كل ذي شيم شريفه

كمثل البحر يرسب فيه در ... ولا ينفك تطفو فيه جيفه

" وقول جحظه "." (١)

"مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

وهو حسبي

أما بعد حمد الله عز اسمه على آلائه، والصلاة على رسوله المصطفى وآله، قد ألفت هذا الكتاب للشيخ العميد أبي سهل الحمدوني. وإن كان هو شخص الكمال وفرد الزمان وغرة الشرق وأمين النطق، فلا بد لأهل الأدب وأصحاب الكتب، وإن كانوا مخفضي الدرجات، من التقرب ببضاعتهم المزجاة، إلى خزانة كتبه، عمرها الله بدوام عمره، ولا سيما إذا كانوا من عبيده وخدمه ومتحلي نعمه. فلولا أني منهم لما تجاسرت على حمل كوز ماء أجاج، إلى بحر فرات عجاج، لكن قدم عبوديتي بحضرته حرسها الله وآنسها تنشطني لخدمته بمؤلفاتي، وإن كانت هيبته تقتضي عن أكثر مرادي، وقد قضيت عن كتاب البراعة، في التكلم من الصناعة، بهذا الكتاب الخفيف الحجم، الثقيل الوزن، الصغير الغنم، في لطائف الظرفاء من طبقات الفضلاء قولا وفعلا، وجدا وهزلا، وأودعته ظرف الظرف وروح الروح وعقود الدر وعقد النحر نثرا ونظما. فالألفاظ بين البلاغة والإيجاز، وخفة الأرواح مع الإعجاز، والمعاني بين الكرم والظرف والمروة **والفتوة**، مع المداعبة والمطايبة، والنوادر غير الفاترة. وأخرجت فيه ثلاثة أدعية ذكرتها ثلاثة من أفراد البلغاء أنها أوجز الأدعية وأحسنها وأجمعها، منهم الجاحظ إذ قال أوجزها وأبدعها: أدام الله لك السرور. ومنهم الصاحب إذ قال: بل قولهم: عش ما شئت كيف شئت. وكان أبو إسحاق الصابي يقول: مارست الكتابة ستين سنة، فلم يحضرني في الدعاء أحسن وأوجز وأجمع من قولي: جعل الله أيامك مطاياك إلى آمالك. وهذا ثبت أبواب الكتاب: الباب الأول: في لطائف الصحابة والتابعين رضي الله عنهم أجمعين.

الباب الثاني: في لطائف الملوك المتقدمين.

---

(١) رسائل الثعالبي الثعالبي، أبو منصور ص/٢٥

الباب الثالث: في لطائف ملوك الإسلام.

الباب الرابع: في لطائف الوزراء والأمراء.

الباب الخامس: في لطائف البلغاء والأدباء.

الباب السادس: في لطائف الفقهاء والقضاة والعلماء.

الباب السابع: في لطائف الفلاسفة والأطباء.

الباب الثامن: في لطائف الجواري والنساء الحسان.

الباب التاسع: في لطائف المغنين والمطربين.

الباب العاشر: في لطائف الظرفاء من كل طبقة وفن.

الباب الحادي عشر: في لطائف الشعراء نثرا.

الباب الثاني عشر: في لطائف الشعراء نظما.

وأرجو أنها تهز عطفه، وتقر عينه، وتشرح صدره، وتجري مجرى التذكرة لي بحضرته، والنائب عني في خدمة مجلسه، قرب الله السعود بعونه ومشيئته.

الباب الأول

لطائف الصحابة والتابعين

رأى أبو بكر رضي الله عنه رجلا بيده ثوب فقال: هو للبيع؟ فقال: لا أصلحك الله!. فقال رضي الله عنه: هلا قلت: لا وأصلحك، لئلا يشتبه الدعاء لي بالدعاء علي؟ وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: لو كنت تاجرا لما اخترت عن العطر شيئا، إن فاتني ربحه لم يفتني ريحه.

وكان عثمان رضي الله عنه يقول: ما مسست فرجي بيميني مذ بايعت النبي صلى الله عليه وسلم.

قال المؤلف رحمه الله تعالى: ومما يقرب من هذا المعنى من إجلال السادة والكبراء ما سمعت نصر الشرابي يقول: ما أكلت بيدي دسما قط طول الأيام التي كنت فيها صاحب شراب الأمير الحميد نوح بن نصر، وإنما كنت أتناوله بالملاعق.

ويروى عن الإمام علي كرم الله وجهه أنه نظر إلى رجل يجر ذيله على الأرض لطول ثيابه فقال: يا هذا قصر من هذا فإنه أبقى وأنقى وأتقى!.

وقالت امرأة له: يا أمير المؤمنين، إني زوجت بنية لي وهي أربعة أشبار وزوجها يطالبني بزفافها إليه. فقال: زفيها إليه فأربعة أشبار تستقبل بشبر واحد!.

وكان الحسن بن علي رضي الله عنهما يقول: إذا خلوتم بالنساء فداعبوهن ولاعبوهن، ولا تكونوا كالفحل يأتي البهيمة بغتة.

وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول لجلسائه: أحمضوا رحمكم الله، أي خذوا في المفاكهات. والإحماض مشتق من الحمض وهو فاكهة الإبل.

وكان ابن مسعود رضي الله عنه يقول: الدنيا غموم فمن كان فيها في سرور فهو..

وكان ابن عباس رضي الله عنهما يقول: الرخصة من الله صدقة فلا تردوا صدقته.

وكان كثيرا ما يقول: يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم: الهدايا مشتركة. وأهدي إليه من مصر ثياب فأمر بتسليمها إلى خازنه، فقال له جلساؤه: ألم ترو لنا أن الهدية مشتركة؟ فقال: تلك ما يؤكل ويشرب، وأما في ثياب مصر فلا!.." (١)

"المروءة ألا تعمل عملا في السر تستحيي منه في العلانية. غيره: المروءة اسم جامع للمحاسن كلها. المروءة التامة مباينة العامة. ظاهر المروءة باطن الفتوة. المروءة الخلق السجيح، والكف عن القبيح. نعم العون على المروءة المال.

وما المروءة إلا كثرة المال

وإن المروءة لا تستطاع ... إذا لم يكن مالها فاضلا

المعروف والصنيعة

المعروف حصن النعم من صروف الزمن. المعروف رق، والمكافأة عنه عتق. المعروف كنز لا تأكله النار. صنائع المعروف تقي مصارع الحتوف. زكاة النعم اتخاذ الصنائع. الصنائع ودائع. الأيادي قروض.." (٢)

"من حملت: مفعول فاعرفن وفاعله النوى والهون بالفتح: الرفق، وبالضم: الهوان.

يقول للركائب: اعرفن الذي حملته عليكن النوى: وهو البعد. واعرفن حقه وامشين له مشيا لينا، لئلا تتعبنه. وذلك يدل على عظم حال من عليهن.

قد كان يمنعني الحياء من البكا ... فاليوم يمنعه البكا أن يمنعا

البكا: يمد ويقصر.

يقول: قد كان في أول أمري يمنعني الحياء من البكاء لفقد الأحباء، فالآن تزايد الحب وغلب البكاء الحياء ومنعه من منعي عن البكاء، فصار الحياء ممنوعا بعد أن كان مانعا. ومثله قول بعض الأعراب:

قد كنت أعلو الحب حينا فلم يزل ... بي النفض والإبرام حتى علانيا

حتى كأن لكل عظم رنة ... في جلده ولكل عرق مدمعا

حول الكلام عن الإخبار عن النفس إلى الغيبة.

فقال: وقد بلغ البكاء إلى حد حتى صار يبكي جميع جسد العاشق، فصار كل عرق منه يجري الجمع، وكل عظم أو عضو يرن رنينا من ألم الفراق! وشدة الاشتياق! ويجوز أن يكون الهاء راجعا إلى كل عضو.

وكفى بمن فضح الجداية فاضحا ... لمحبه وبمصرعي ذا مصرعا

الجداية: الغزالة. ومن: في موضع الرفع، لأنه فاعل كفى ويجوز أن يكون فاضحا تمييزا أو حالا، وذا في موضع الجر؛ لأنه بدل من مصرعي ومصرعا نصب على التمييز. والمصرع: يجوز أن يكون اسما، ومصدرا. وكلاهما محتمل في البيت.

يقول: كفى بمن فضح الغزالة بحسن جيده وعينه أن يكون فاضحا لمحبه، وكفى بمصرعي هذا مصرعا.

---

(١) اللطف واللطائف الثعالبي، أبو منصور ص/١

(٢) التمثيل والمحاضرة الثعالبي، أبو منصور ص/٤٢٢

المعنى: أنه إذا فضح الغزالة، فليس بعجب أن يفضحني في حبه، وكفاني مصرعي يوم فراق من هذه حاله.

سفرت وبرقعها الفراق بصفرة ... سترت محاجرها ولم تك برقعا

روى: الحياء والفراق.

يقول: هذه المرأة سفرت وجهها ومحاجرها، وقامت لها مقام البرقع، ولم تكن هذه صفرة برقعها.

فكأنها والدمع يقطر فوقها ... ذهب بسمطي لؤلؤ قد رصعا

الهاء، في كأنها للصفرة وفي فوقها للمحاجر. ويجوز أن يكون في فوقها للصفرة أيضا. والسمط: اسم لكل جانب من جوانب القلادة.

يقول: كأن صفرة وجهها والدمع فوقها، قلادة من ذهب رصع بلؤلؤ. وشبه الصفرة بالذهب والدمع باللؤلؤ لصفائه ورقته

كشفت ثلاث ذوائب من شعرها ... في ليلة فأرت ليالي أربعا

وروى: نشرت يقول: كشفت ثلاث ظلم، فصارت الليالي أربعا. شبه كل ذؤابة منها بليلة لسوادها، ولم يجعلها قطعة من الليل؛ دلالة على كثرة الشعر ووفور السواد.

واستقبلت قمر السماء بوجهها ... فأرتني القمرين في وقت معا

يقول: استقبلت القمر بوجهها، وهو قمر أيضا، فأرتني قمرين معا، أحدهما قمر السماء، والثاني وجهها. ومعا: نصب على الحال، أي مصطحبين. وقيل: أراد بالقمرين الشمس والقمر. فكأنه يقول: أرتني الشمس والقمر معا في وجه واحد وجعل وجهها شمسا للمبالغة.

ردي الوصال سقى طلولك عارض ... لو كان وصلك مثله ما أقشعا

روى: ما أقشع وما أقلع فاعله ضمير وصلك والهاء في مثله للعارض وهو السحاب.

يقول: ارجعي إلى الوصال الذي كان بيننا، ثم دعا لها أن يسقى طلولها سحاب دائم لا انقطاع له، ولو كان وصلك مثله أي مثل هذا السحاب في الإدامة ما أقشع ذلك الوصل.

زجل يريك الجو نارا، والملا ... كالبحر والتلعات روضا ممرعا

زجل: صفة السحاب أي ذي صوت وهو الرعد. والملا: المكان الواسع، وأراد الأرض. والتلعات: جمع تلعة وهي المكان المرتفع. والممرع: الخصيب.

يقول: سقى طلولك سحاب ذو رعد، يريك الجو نارا؛ من كثرة بروقه، ويريك الأرض الواسعة كالبحر؛ من كثرة مائه، ويريك التلعات معشبة ممرعة كأنها روضة مريضة مخصبة.

كبنان عبد الواحد الغدق الذي ... أروى، وآمن من يشاء، وأفزعا

الغدق: الكثير، وهو صفة البنان. وروى وأفزعا وأجزعا شبه بنان الممدوح بسحاب هذه صفته، ثم أخذ في وصف البنان بأنه غدق يروى كل أحد ويؤمن من يشاء ويخيف. وصفه بغاية السخاء وغاية الفتوة والعلا، وهذا تحقيق. التشبيه بالسحاب لأنه يروي البلاد والعباد ويأتي بالغيث الذي هو رحمة، وبالصاعقة التي هي نقمة.

ألف المروءة مذ نشا فكأنه ... سقي اللبان بها صبيا مرضعا

اللبان: اللبن وقيل: هو جمع اللبن، ونصب صبيا على الحال.." (١)

"وجاز أن يكون سرب مبتدأ، وإن كان نكرة؛ لأنه لما وصفه قربه من المعرفة، والهاء في ذواتها لمحاسنه وفي محاسنه لسرب وذوات محاسن السرب هي: السرب بعينه. والهاء في موصوفاتها للصفات.

يقول: هذا سرب حرمت ذوات محاسنه. الحسان منه. وهذا السرب صفاته دانية قريبة هي مني؛ لأنها ألفاظ أنا قادر عليها، فمتى شئت وصفتها. فأما الموصوف بالحسن، فبعيد عني، وهن: النساء المعبر عنهن بالسرب.

وإضافة ذوات إلى المضمر في قوله: ذواتها غير جائزة عند البصريين. وأبو العباس المبرد: يجيز ذلك.

أوفى فكنت إذا رميت بمقلتي ... بشرا رأيت أرق من عبراتها

أوفى: أي أشرف، يعني السرب. والبشر: جمع بشرة، وهي ظاهر الجلد. والهاء في عبراتها للمقلة.

يقول: إن هذا السرب لما أشرف علي وهي كناية عن علوهن في هوادجهن للمسير، رميت ببصري بشرات هذا السرب، فرأيت بشراته أرق وأصفى من عبرات عيني عند الارتحال. وإنما قال ذلك، لأن الدمع يضرب به المثل في الصفاء والرقة.

يستاق عيسهم أنيني خلفها ... تتوهم الزفرات زجر حداتها

يقول: كان أنيني على إثر الإبل التي كانت عليها الهوادج سابقا، فكانت الإبل تظن زفراتي وراءها أنها زجر حداتها، فكانت تجد في السير. وروى: تشتاق عيسهم أنيني خلفها فلشدة شوقها إذا سمعت أنيني جدت في السير لزيادة أنيني.

وكأنها شجر بدت لكنها ... شجر جنيت الموت من ثمراتها

روى: الموت والمر.

يقول: كأن هذه العيس، وعليها الهوادج شجر، لعلوها وارتفاعها. إلا أني جنيت من هذه الشجر، الثمر الذي ليس بمعتاد! وهو الموت، أو المر، من الثمر.

لا سرت من إبل لواني فوقها ... لمحت حرارة مدمعي سماتها

السمة: العلامة التي تكون على الإبل بالنار، والمدمع: مجرى الدمع، وأراد به الدمع هاهنا، ووصفه بالحرارة؛ لأن ماء العين إذا كان من الحزن يكون حارا، وإذا كان من السرور فهو بارد.

يدعو على الإبل فيقول لها: لا سرت أبدا، ولا قدرت على السير! ولو كنت فوق هذه الإبل راكبا. كانت دموعي تسيل عليها وتمحوا بحرارتها أثر سماتها، وتذهب شعرها كما تمحوه النار.

وحملت ما حملت من هذي المها ... وحملت ما حملت من حسراتها

المها: بقر الوحش.

يقول دعاء لنفسه، وعلى الإبل: ليتني حملت ما عليك من النساء، وحملت أنت ما حملت من حسرات فراقهن.

وقيل أراد: لو كنت فوقك لحملت ما عليك من هذه النساء وحملت أنت حسراتي التي أتحملها؛ لأني إذا حملتهن فرقت

---

(١) معجز أحمد أبو العلاء المعري ص/١٠١

بينك وبينهن حسراتي لتبعدهن عنك.

إني على شغفي بما في خمرها ... لأعف عما في سراويلاتها

الشغف: شدة الحب.

يقول: إني على شدة كلفي بما في خمر هذه النساء، وهي الوجوه. أكف نفسي عن مواقعتهن. ومثله: قول العباس بن الأحنف:

عف الضمير ولكن فاسق النظر

وترى المروة والفتوة والأبو ... ة في كل مليحة ضراتها

كل مليحة: فاعل ترى والمروة وما يتبعها: مفعوله. وضراتها: المفعول الثاني. والهاء: للمليحة.

يقول: ترى التقاء الملاح. مروتي وفتوتي وأبوتي. مانعة لي عنهن، فكأن هذه الثلاثة ضرات للملاح؛ لما فيهن من المنع عنها.

هن الثلاث المانعاتي لذتي ... في خلوتي لا الخوف من تبعاتها

يقول: هذه الثلاثة منعتني عن لذتي بالنساء في حال الخلوة؛ لأني لا أخاف تبعات ذلك: أي الخوف من الوشاة، أو عشائرهن أو غير ذلك؛ لأني كنت لا أخاف أحدا. وقيل: أراد خوف الألم والعقاب، لكن الأول أولى.

ومطالب فيها الهلاك أتيتها ... ثبت الجنان كأنني لم آتها

المطالب: جمع المطلب.

يقول: كم من مطالب عظيمة الخطر، فيها الهلاك إذا أتيتها، فآتيتها وأوقعت نفسي فيها وقضيت منها حاجتي، وأنا ثابت القلب حتى كنت لثبات قلبي كأنني غير ملابس لها.

ومقانب بمقانب غادرتها ... أقوات وحش كن من أقواتها

المقانب: جمع المقنب، وهو ما بين الثلاثين إلى الأربعين من الخيل. وكن. للوحش.

يقول: رب جيش تركته بجيش آخر أقواتا للوحوش، أي قتلته فأكلته الوحوش، بعد ما كانت الوحوش قوتا له. يعني: أنهم صعاليك لا قوت لهم إلا ما يصيدون من الوحوش والسباع.

أقبلتها غرر الجياد كأنما ... أيدي بني عمران في جبهاتها." (١)

"بوخطه، وخبطه السن بابنه وسبطه، قد تضاعفت عقود عمره، وأخذت الأيام من جسمه. وجد مس الكبر، ولحقه ضعف الشيخوخة، وأساء إليه أثر السن، واعتراض الوهن. هو من ذوى الأسنان العالية، والصحبة للأيام الخالية. هو هم هرم، فد أخذ الزمان من عقله. كما أخذ من عمره. ثلمه الدهر ثلم الإناء «١» ، وتركه كذى الغارب المنكوب، والسنام المجبوب. رماه من قوسه «٢» الكبر. أريق ماء شبابه، واستشن أديمه كسر الزمان جناحه، ونقض مرته. طوى الدهر منه ما نشر، وقيده الكبر، يرسف رسفان المقيد، هو شيخ مجتث «٣» الجثة، واهى المنة، مغلول القوة ومفلول الفتوة «٤» ، ثقلت عليه الحركة، واختلفت إليه رسل المنية. ما هو إلا شمس العصر، على القصر. أركانه قد وهت، ومدته قد تناهت.

---

(١) معجز أحمد أبو العلاء المعري ص/١٥٩

هل بعد الغاية منزلة، أو بعد الشيب سوى الموت مرحلة؟ ما الذى يرجى ممن كان مثله فى تعاجز الخطا، وتخاذل القوى، وتدانى المدى، والتوجه إلى الدار الأخرى، أبعد دقة العظم، ورقة الجلد، وضعف الحس، وتخاذل الأعضاء، وتفاوت الاعتدال، والقرب من الزوال. والذى بقى منه ذماء «٥» يرقبه المنون بمرصد، وحشاشة هى هامة اليوم أوغد. قد خلق عمره، وانطوى عيشه، وبلغ ساحل الحياة، ووقف على ثنية الوداع، وأشرف على دار المقام، فلم يبق إلا أنفاس معدودة، وحركات محصورة. نضب غدير شبابه.

فقر لغير واحد فى المشيب

قيس بن عاصم: الشيب خطام المنية. أكثم بن صيفى: المشيب عنوان الموت. الحجاج بن يوسف: الشيب نذير الآخرة. غيره: الشيب نوم الموت.." (١)

"ابن إبراهيم الطليطلي، عن القاضي بمصر بكر بن العلاء، في قول الله عز وجل:) وأما بنعمة ربك فحدث ((الضحى: ١١) أن لبعض المتقدمين فيه قولا، وهو أن المسلم يكون مخبرا عن نفسه بما أنعم الله تعالى به عليه من طاعة ربه التي هي من أعظم النعم، ولاسيما في المفترض على المسلمين اجتنابه واتباعه.

وكان السبب فيما ذكرته أني كنت وقت تأجج نار الصبا وشرة الحداثة وتمكن غرارة الفتوة مقصورا محظرا علي بين رقباء ورقائب؛ فلما ملكت نفسي وعقلت صحبت أبا علي الحسين بن علي الفاسي في مجلس أبي القاسم عبد الرحمن بن أبي يزيد الأزدي شيخنا وأستاذي رضي الله عنه، وكان أبو علي المذكور عاقلا عاملا، ممن تقدم في الصلاح والنسك الصحيح وفي الزهد في الدنيا والاجتهاد للآخرة، وأحسبه كان حصورا لأنه لم تكن له امرأة قط، وما رأيت مثله جملة علما وعملا ودينا وورعا، فنفعني الله به كثيرا وعلمت موقع الإساءة وقبح المعاصي.

ومات أبو علي رحمه الله في طريق الحج.

ولقد ضمني المبيت ليلة في بعض الأزمان عند امرأة من بعض معارفي مشهورة بالصلاح والخير والحزم، ومعها جارية من بعض قراباتها من اللاتي قد ضمتها معي النشأة في الصبا، ثم غبت عنها أعواما كثيرة، وكنت تركتها حين أعصرت ووجدتها قد جرى على وجهها ماء الشباب ففاض وانساب، وتفجرت عليها ينابيع الملاحة فترددت وتحيرت، وطلعت في سماء وجهها نجوم الحسن فأشرقت." (٢)

"وليس لك أن تقول: إنه خف الهمزة تخفيفا قياسيا، لأن الهمزة إذا خففت تخفيفا قياسيا، لم توصل به، لأنه في نية الهمزة. فمن حيث لا يوصل بالهمزة مخففة، لا يوصل بها مخففة تخفيفا قياسيا، فتفهمه فإنه لطيف.

) إذا فل عزمي عن مدى خوف بعده ... فأبعده شيء ممكن لم يجد عزما (

أي أن الممكن من المطالب، إذا لم يعزم عليه طالبه، كان بمنزلة الممتنع. والفرق بين الممكن الذي لا يجد عزما وبين الممتنع، أن الممكن إذا عزم عليه نيل، والممتنع لا ينال البتة ولو عزم. وقوله:) فأبعد شيء ممكن (: يريد فأبعد الممكنات ممكن لا

---

(١) زهر الآداب وثمر الألباب الحُصري القيرواني ٤/٩٧٠

(٢) طوق الحمامة لابن حزم ابن حزم ص/٢٧٣

يعزم عليه. ويجوز أن يكون شيء هاهنا يجمع الممكن والممتنع، لأن العقل لا يشك في أن الممتنع أبعد الأشياء.

وتخليصه: إذا فل عزمي بعد مطلبي فأبعد منه مطلب ممكن، لم يجد لدى عزما.

وله ايضا:

) سرب محاسنه حرمت ذواتها ... دانى الصفات بعيد موصوفاتها (

السرب: القطيع من الظباء والشاء والبقر. وعنى) بالسرب (هنا النساء، تشبيها لهن بالظباء. والمحاسن: واحدها حسن على غير قياس. وذواتها: صواحبها. أي هواى سرب حرمت ذوات محاسنه، وذوات المحاسن هن ذلك السرب. فكأنه قال: حرمته، بأن حيل بيني وبينه. وقد يجوز أن يكون سرب مبتدأ، ومحاسنه مبتدأ آخر، أو بدلا من سرب. وحرمت ذواتها: خبر عن المحاسن، والمبتدأ الثاني وخبره؛ خبر عن سرب. فلا يحتج على هذا القول إلى إضمار) هواى (. وأن يكون سرب خبر مبتدأ مضمر: أولى كما قدمنا، لقبح الابتداء بالنكرة. ثم قال:) دانى الصفات بعيد موصوفاتها (: إنما دنت صفاته عليه، لأنه يقدر على وصفهن بما أوتيه من السن، والمنطق الحسن. وبعدت موصوفات السرب، لانهن مقصورات محجوبات، أو ممنعات، والضمير في) موصوفاتها (: راجع إلى السرب وإن كان مذكرا. لكن جاز ذلك، لأنه في معنى الجماعة. ولا يجوز أن يكون راجعا إلى الصفات، لأنه نوع من إضافة الشيء إلى نفسه.

) وكأنها شجر بدا لكنها ... شجر جنيت المر من ثمراتها (

أي كأن العيس شجر من علوهن. والعرب تشبه الحمول كثيرا بالنخل، وذلك لما يضعون على الهوادج من الرقم والعهون الملونة، فيشبهون ذلك بالزهور والبسر الملون. ولم يشبه المتنبي الهوادج وما عليها بذكر النخل، وإنما عنى علو الإبل، فشبهها بالشجر عامة، ثم قال:) لكنها شجر جنيت المر من ثمراتها (، يعنى بذلك: إبعاد الإبل حبائبه عنه، وقد بين ذلك بقوله:

) لا سرت من إبل لو انى فوقها ... لمحت حرارة مدمعي سماتها (

دعا عليهن ألا يسرن، إشفاقا من بعد حبائبه عنه إذا سارت

) وترى المروة والفتوة والابو ... ة في كل مليحة ضراتها (

يعنى أن الملائح يعشقنه، وهو يوثر عليهن المروة والأبوة والفتوة، وذلك أن هذه الثلاثة ينهينه عن عشق النساء ويأمرن بحبهن أنفسهن. فعلم الملائح أن هذه الخصال الثلاث يضررن بهن عنده، كما تضر المرأة عند بعلها ضراتها، إذ لولاهن لواصلهن.

) ومقانب بمقانب غادرتها ... أقوات وحش كن من أقواتها (

المقنب: القطعة من الخيل. أي صرفت مقنب غيري بمقنبي. فهذا معنى قوله:) ومقانب بمقانب غادرتها (وقوله:) أقوات وحش كن من أقواتها (أي صرعت هذه لمقانب، فتركتها أقواتا للوحوش، التي كانت من أقوى هذه لمقانب، فعاد الأمر بالعكس، وجعل الوحش الآكله لهم مما كانوا يقتاتون به، لأن العرب تأكل الذئب، والضبع والهلياع والفهد ونحو ذلك من آكلة الإنسان. وقد شبه بعضهم هذا البيت بقول البحتري:

كلانا بها ذئب يحدث نفسه ... بصاحبه والجد يتبعه الجد

وليس مثله، لأن البحتري لم يأمل أكل الذئب كما أمل الذئب أكله وإنما قال: كلانا قاتل لصاحبه، الذئب يري أكلى، وأنا أريد قتله.

) أقبلتها غرر الجياد كأنما ... أيدى بني عمران في جبهاتها (

الكريم يوصف ببياض اليد، وهي الخيل التي أقبلتها هذه الوجوه. هن غر، فكان غروها أيدي هؤلاء موضوعة في جبهاتها. يعني أقبلتها خيلا سابقة، يقبلون جباهها كما تقبل أيدي بني عمران. فهذا معنى التشبيه.." (١)

"رمح أظمى: أسمر؛ وقيل: ظمآن إلى الدم؛ والاول أولى؛ إذ لو كان من الظمأ لكان حريا أن يسمع مهموزا، ولم أسمعه كذلك. إلا أن مثل هذا الإبدال قد يجوز في الضرورة كقوله:) لا هناك المرتع (ولا حاجة بنا إلى توجيه ذلك هنا، اذ المشهور في كتب اللغة أن الأظمى: الأسمر. يقول: إذذا تداعى العلجان لتناذر أو تشاور أو تناحر، حال بينهما رمح أظمى يدخل بين الضلعين؛ فيفرج بينهما حتى يتفرقا. و) منه (: أي من أجله. وحسن ذلك المفارقة هنا لقوله:) حال بينهما (. وكان من حسن الصنعة لو اتزن له – أن يقول: إذا دعا العلج صاحبه ليوازي به قوله:) أختها الضلع (؛ لأن الأخوة والصحبة من باب المضاف ولكنه ذلك اراد؛ كأنه قال: إذا دعا العلج صاحبه أو أخاه.

) كم من حشاشة بطريق تضمنها ... للباترات أمين ماله ورع (

الحشاشة: النفس. وقيل، بقيتها. والباترات: السيوف القاطعة. والأمين هنا: القيد ونفى الورع عنه إغرابا بأمين لا ورع له. وانما سماه أمينا لحفظه على السيف ما استودعته إياه من الأسارى؛ حتى يردهم إليه عند القتل فهو أمين لذلك. وليس له ورع. لأن الورع إنما يكون عن قصد، والقصد إنما يكون لذى العقل. وكذلك أمانته غير حقيقة. ولو كان أمينا عاقلا لكان ورعا إذا لا أمانة إلا بورع.

) يقاتل الخطو عنه حين يطلبه ... ويطرد النوم عنه حين يضطجع (

أي تقصر خطا هذا الأسير بضيق القيد، إذا اراد أن يخطو. ويطرد النوم عنه ترنم حلقه كقول أبى نواس:

إذا قام غنته على الساق حلقة ... لها خطوه عند القيام فصير

والمقاتلة والطراد في هذا البيت مستعاران.

) قل للدمستق إن المسلمين لكم ... خانو الأمير فجازاهم بما صنعوا (

خيانهم اياه: خلافهم له؛ بسعيهم إلى النهب وأسلاب العدو المفزوعين. وإسلامه إياهم له: تركه الطلب بثأرهم؛ أو رضاه لهم ماحل بهم.

) وجدتموهم نياما في دمائكك ... كأن قتلاكم إياهم فجعوا (

اي خافوكم؛ فألقوا نفوسهم في دماء قتلاكم: لتحسبوهم منهم، فتتجافوا عنهم؛ وكأنهم هم المجوعون بقتلاكم، يلقون أنفسهم عليها كإلقاء المفجوع نفسه على القتيل تأسفا. وقيل: كان المسلمون يأتون قتلى الروم يتخللونهم؛ فينظرون من به رمق فيقتلونه، فبينما أكب عليهم المشركون فقتلوهم.

---

(١) شرح المشكل من شعر المتنبي ابن سيده ص/٣٠

) تشقكم بفتاها كل سلهبة ... والضرب يأخذ منكم فوق ما يدع (

) بفتاها (: اي بفارسها. ذهب في لفظ الفتى إلى الرفع من شأن الفارس؛ كقولهم:) أنت الفتى كل الفتى (لا يذهب به إلى فتاء السن: لكنه كقولك: انت الرجل. تمدحه بالصبر والثبات والنجدة، لا تعني به الرجولة التي هي الذكورية) والضرب يأخذ منكم فوق ما يدع (. ذهب قوم إلى انه عنى أن القتلى أكثر من الناجين. وهو لعمري قويل والذي عندي انه لم يعين بذلك الكم؛ وانام؛ وانما عنى أن الضرب يأخذ النفوس، ويدع الأبدان؛ والنفس فوق الجسم في لطف الجوهر، وشرف العنصر. فهذا معنى قوله: ما يدع. لا الكميه التي ذهب اليها أولا.

وله ايضا:

) يرد يدا عن ثوبها وهو قارد ... ويعصي الهوى في طيفها وهو راقد (

) يرد يدا عن ثوبها (: كناية عن العفاف. والثوب هنا: يجوز أن يعني اللباس؛ وان يعني بعض طوائف جسمها؛ كقول الآخر:

خرقوا جيب فتاتهم ... لم يبلوا حرمة الرجله

قيل: يعني بالجيب القبل. وقوله) وهو قادر (: اي متمكن بها، لا يتقي رقيبا لانه ذلك في النوم وأثبت لنفسه قدرة في نومه لانه قد تتهيأ للنائم أفعال اليقظ وإن كانت غير مقصودة، وقد قيل: إن قوله) يريد يدا عن ثوبها وهو قادر (: أن هذا إنما هو في اليقظة. وانما اراد وهو يقظان فلم يتزن له، فكنى بالقدرة عن اليقظة لأن اليقظان أملك لذاته من النائم مع أن قادرا مقلوب لفظ راقد. فأناب المقلوب في المقابلة مناب الضد الذي هو يقظان.) ويعصي الهوى وهو راقد (: اي انه يملك نفسه عن شهوته في حال النوم. وتلك حال لا يغلب فيه عقل شهوة، لأن التحصيل حينئذ عازب؛ فهو يقرب بتمالكه عن محبوبه في الحال الرقاد.

وجملة معنى البيت: انه اعتاد العفاف في يقظته؛ كقوله هو:

وترى المروة والفتوة والأبو ... ة في كل مليحة ضراتها." (١)

"يعزى عن الدنيا ويقول إن تمام هذه الفضائل فيها إنما هو بتيقن الفناء. اي لولا خوف الموت، شجع كل الناس وجادوا وصبروا فلم يك أحد مخصوصا بهذه الفضائل دون صاحبه ولو كان كذلك لم يك لهذه الفضائل فضل لأن الأشياء إنما تتبين بأضدادها. فلو عدم الضد خفي ضده. وإن شئت قلت: لو أمن الموت لما كان للشجاع فضل، لانه قد أمن الموت. وكذلك السخي والصبور لأن اعتقاد الخلود، وتنقل العسر والشدة إلى الرخاء مما يسكن النفوس ويسهل البوس. هذا قول أبي الفتح، وهو حسن. وقوله:) لولا لقاء شعوب (اراد لولا تيقن لقائها. و) الفتى (هنا لا يعني به فتاء السن إنما يراد به المدخ. كقولك: أنت الرجل اي الجلد الصابر وكقول الهذلي:

فتى ما ابن الأغر إذا شتونا ... وحب الزاد في شهرى قماح

كنى بالفتوة عن الكرم، كأنه قال: ابن الأغر كريم متفت، ولولا ذلك لم يعمل) فتى (في) إذا (لأن الظروف لا تعمل فيها الا الأفعال أو ما هو في طريقها، واذا قلت زيد فتى تعني به السن، فليس فيه معنى فعل.

---

(١) شرح المشكل من شعر المتنبي ابن سيده ص/٤٩

) فعوض سيف الدولة الأجر إنه ... أجل ميب (
إن شئت عنيت بالمثاب سيف الدولة، وإن شئت عنيت به الأجر الذي أثيبه.
) إذا استقبلت نفس الكريم مصابها ... بخبث فاستدبرته بطيب (
المصاب هنا الإصابة لأن المصدر قد يخرج على شكل المفعول به لانه في المعنى مفعول، فمن ذلك الميسور والمعسور والمعقول والمجلود فأما فيما جاوز الثلاثة فمطرد كالموفى في معنى التوفية، والمقاتل في معنى القتال أنشد سيبويه:
أقاتل حتى لا أرى لي مقاتلا ... وأنجو إذا لم ينج إلا المكيس
والخبث في هذا البيت: كناية عن الجذع، وجيشان النفس عند الفزع. والطيب: كناية عن الصبر والتوطين. اي إذا جزع الفهم في أول نزول المصاب به راجع أمره بعد ذلك، فعاد إلى الصبر. وإن شئت قلت: من لم يوطن نفسه للقاء المصائب قبل نزولها صعبت عليه عند حلولها فليستشعر اللبيب التوطن على لقاء المكروه لانه إذا لم يفعل ذلك، ونزل به ما يكره، عظم عليه وجزع منه ثم يحول بعد ذلك إلى الصبر، لا جدوى له الجزع. فالحكم أن يبتدئ أولا بما يعود إليه آخرا كقول الشاعر:
رأى كل شيء إلى غاية ... فصير آحره أولا
وقد فسر المتنبي معنى هذا المتقدم بقوله بعد هذا:
) وللواجد المحزون من زفراته ... سكون غزاء أو سكون لغوب (
اي لابد للمحزون أن يسكن حزنه: إما تعزيا وهو الحميد، وإما إعياه وهو اللغوب. وإن شئت قلت: إن لم يصبر تعزيا واحتسابا، وإلا صبر لغوبا حين لا أجر له ولا فضل.
وله ايضا:
) فلم لا تلوم الذي لامها ... وما قص خاتمه يذبل (
كأن لائما لام هذه الخيمة على عجزها عن الاستقرار على سيف الدولة والاعتلال له حين تقوضت. فيقول: لا ينبغي أن تلام ذلك ليس في وسعها، ولا استطاعتها، وليس على تارك ما يطيق لوم. فإن كان الإنصاف أن تلام هذه الخيمة على ما ليس في طوقها، فلم لا تلوم لائمها على أن لم يطق أن يجعل فص خاتمه يذبل؟ لأنهما قد استويا في العجز وإنما كان ينبغي أن يلومها من أطاق التختم بهذا الجبل. فإذن لا أحد يقدر على ذلك فلا تلومن الخيمة على تقوضها، وضعفها عن حمل سيف الدولة، لأن العجز عن الممتنع قد وضح فيه العذر، و) لم (:لغة في) لم (فاشية معروفة.
) فام اعتمد الله تقويضها ... ولكن أشار بما تفعل (
اي لم يقوضها ليحزنك، ولكن اشار عليك بالرحيل نحوما اختاره لك من الجهاد، وسلوك شبل الرشاد. والإشارة من الله عز وجل عليه: إنما هي إلهامه إياه، وليست على حد الاشارة الانسانية، لأن إنما هي الجوارح. وربنا تعالى يجل عن ذلك.
) رأت لون نورك في لونها ... كلون الغزالة لايغسل (
وهذا عذر الخيمة في سقوطها، اي أنها رأت لون نورك في لونها كنور الشمس فراعها في ذلك، لانها ظنتك الشمس؛ التي هي ملك الكواكب، فلذلك سقطت لأنها استعظمت حملها لك، وقوله:) لايعسل (اي اصل نورك بها، حتى صار فيها

كالشامة التي لا تحمى بالغسل.

) وقد عرفتك فما بالها ... تراك تراها ولا تنزل (."(١)

"١٠١ – أخبرنا أبو سعد الزاهد في كتاب الفتوة، حدثنا عبد الله بن أحمد بن جعفر الشيباني، حدثنا أبو نعيم عبد الملك بن محمد بن عدي، حدثنا محمد بن مهاجر، حدثنا حماد بن خالد الخياط، حدثنا محمد بن أبي حميد، عن إسماعيل بن محمد بن سعد، عن أبيه، عن سعد، قال: " ﷺأتى النبي صلى الله عليه وسلم رجل –[٨٧]– فقال: يا رسول الله أوصني وأوجز، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «عليك بالإياس مما في أيدي الناس، وإياك والطمع فإنه فقر حاضر، وإذا صليت فصل صلاة مودع، وإياك وما يعتذر منه» ، كذلك رواه ابن وهب عن محمد بن أبي حميد." (٢)

"٢٩٢ – أخبرنا أبو طاهر بن سلمة الهمذاني بها قال: سمعت الشريف أبا الحسن محمد بن علي الواعظ يقول: " ﷺسألت أبا عبد الله بن رشدين على غفلة: ما الفتوة؟ " قال: «أن لا تبالي من أخذ الدنيا»." (٣)

"أخبرنا علي بن أبي علي عن أبيه قال: حدثني أبو علي الحسن بن سهل بن عبد الله الأيذجي القاضي قال: لما توفي أبو هاشم الجبائي ببغداد اجتمعنا فئة لندفنه، فحملناه إلى مقابر الخيزران في يوم مطير، ولم يعلم بموته أكثر الناس فكنا جميعة في الجنازة، فبينا نحن ندفنه إذ حملت جنازة أخرى ومعها جميعة عرفتهم بالأدب، فقلت لهم: جنازة من هذه؟ فقالوا: جنازة أبي بكر بن دريد، فذكرت حديث الرشيد لما دفن محمد بن الحسن والكسائي بالري في يوم واحد، قال: وكان هذا في سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة، فأخبرت أصحابنا بالخبر، وبكينا على الكلام والعربية طويلا ثم افترقنا.

قلت: الصحيح أن أبا هشام مات في سنة إحدى وعشرين، وفيها مات ابن دريد بغير شك.

وذكر لي هلال بن المحسن أن أبا هاشم مات في ليلة السبت الثالث والعشرين من رجب سنة إحدى وعشرين، قال وكان عمره ستا وأربعين سنة وثمانية أشهر وواحدا وعشرين يوما.

٥٧٣٦– عبد السلام بن محمد بن أبي موسى، أبو القاسم المخرمي الصوفي [١] :

سافر الكثير ولقي الشيوخ من أهل الحديث والصوفية، وسكن مكة وحدث بها عن أبي بكر بن أبي داود، وأبي عروبة الحراني، وزيد بن عبد العزيز الموصلي، وأبي الحسن بن جوصا الدمشقي، وأحمد بن عبد الوارث الموصلي، وأحمد بن محمد بن أبي شيخ الرافقي، وأقرانهم. ولقي من شيوخ الصوفية: محمد بن علي الكتاني، وأبا علي الروبهاري، ونحوهما حدثنا عنه أبو نعيم الأصبهاني وكان ثقة.

أخبرنا أبو نعيم، حدثنا عبد السلام بن محمد البغدادي الصوفي نزيل مكة– بها– حدثنا أحمد بن عمير، حدثنا إبراهيم بن سعيد الجوهري، حدثنا أبو أسامة، حدثنا مسعر ابن كدام عن منصور عن إبراهيم عن علقمة عن عبد الله بن مسعود قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «إذا شك أحدكم في صلاته فليتحر الصواب، ثم ليسجد سجدتي السهو» [٢] .

---

(١) شرح المشكل من شعر المتنبي ابن سيده ص/٥٦

(٢) الزهد الكبير للبيهقي البيهقي، أبو بكر ص/٨٦

(٣) الزهد الكبير للبيهقي البيهقي، أبو بكر ص/١٤٤

بلغني عن أبي العباس أحمد بن محمد بن زكريا النسوي قال: عبد السلام بن محمد أبو القاسم البغدادي شيخ الحرم في وقته، جمع بين علم الشريعة وعلم الحقيقة، والفتوة وحسن الخلق، وأقام بمكة سنين، وبها مات سنة أربع وستين وثلاثمائة.

---

[١] ٥٧٣٦- انظر: المنتظم، لابن الجوزي ١٤/٢٤٠.

[٢] انظر الحديث في: صحيح البخاري ١/١١١. وصحيح مسلم، كتاب المساجد ٨٩، ٩٠.

وفتح الباري ١/٥٠٤.." (١)

"وطيبا جديدا، وذكر أشياء من الثياب وغيره، فلما أراد أن يمر كسوته وكسوت جميع أصحابه، فلما أراد أن يفارقني قال: لو جئت إلى نيسابور علمناك الفتوة والسخاء، قال ثم قال: هذا الذي عملت كان فيه تكلف، إذا جاءك الفقراء فكن معهم بلا تكلف، حتى إن جعت جاعوا، وإن شبعت شبعوا، حتى يكون مقامهم وخروجهم من عندك شيئا واحدا.

أخبرنا أبو خازم عمر بن أحمد بن إبراهيم العبدوي- بنيسابور- قال: سمعت عبد الملك بن إبراهيم القشيري يقول: سمعت أحمد بن محمد بن مقسم المقرئ يقول:

سمعت أبا محمد المرتعش يقول: سمعت أبا حفص النيسابوري يقول: ما استحق اسم السخاء من ذكر العطاء، ولا من لامحه في قلبه، وإنما يستحقه من نسيه حتى كأنه لم يعط.

أخبرنا ابن التوزي، أخبرنا أبو عبد الرحمن السلمي قال: سمعت عبد الرحمن بن الحسين الصوفي يقول: بلغني أنه لما أراد أبو حفص النيسابوري الخروج من بغداد شيعه من بها من المشايخ والفتيان، فلما أرادوا أن يرجعوا قال له بعضهم: دلنا على الفتوة ما هي؟ فقال: الفتوة تؤخذ استعمالا معاملة لا نطقا، فعجبوا من كلامه.

قال أبو عبد الرحمن: توفي أبو حفص سنة سبعين ومائتين، ويقال سنة سبع وستين، ويقال أربع وستين.

أخبرني محمد بن علي المقرئ، أخبرنا محمد بن عبد الله النيسابوري الحافظ قال:

سمعت أبا سعيد بن أبي بكر بن أبي عثمان يذكر عن آبائه أن أبا حفص توفي سنة خمس وستين ومائتين.

٦٦٧٢- عمرو بن أحمد بن طشويه، أبو عثمان التاجر. نزل مصر:

حدثنا الصوري، أخبرنا محمد بن عبد الرحمن الأزدي، حدثنا عبد الواحد بن محمد بن مسرور، حدثنا أبو سعيد بن يونس قال: عمرو بن أحمد بن طشويه يكنى أبا عثمان بغدادي قدم مصر، وكتب عنه، وكان له بمصر مكان عند الناس، وكان تاجرا، توفي بمصر يوم الجمعة لست بقين من جمادى الآخرة سنة سبعين ومائتين.." (٢)

"أخبرنا رضوان بن محمد الدينوري قال سمعت عبد الواحد بن الحارث الفقيه يقول سمعت علي بن نصر يقول سمعت الهيكل الهاشمي الصوفي يقول سمعت رويما يقول: الفقر له حرمة، وحرمته ستره وإخفاؤه، والغيرة عليه، والضن به، فمن كشفه وأظهره وبذله، فليس هو من أهله ولا كرامة.

---

(١) تاريخ بغداد وذيوله ط العلمية الخطيب البغدادي ١١/٥٧

(٢) تاريخ بغداد وذيوله ط العلمية الخطيب البغدادي ١٢/٢١٧

حدثنا عبد العزيز بن علي الوراق قال سمعت علي بن عبد الله الهمذاني يقول سمعت محمد بن إبراهيم يقول سمعت رويم بن أحمد يقول: منذ عشرين سنة لا يخطر بقلبي ذكر الطعام حتى يحضر.

أخبرنا أحمد بن علي بن الحسن أخبرنا محمد بن الحسين النيسابوري قال سمعت أبا الحسين القاضي الفارسي يقول سمعت إبراهيم بن فاتك يقول قال رويم: التوكل إسقاط رؤية الوسائط، والتعلق بأعلى العلائق. وسئل رويم عن المحبة فقال: الموافقة في جميع الأحوال وأنشد:

ولو قلت لي مت مت سمعا وطاعة ... وقلت لداعي الموت أهلا ومرحبا

وقال: الأنس أن تستوحش مما سوى محبوبك.

أخبرنا أبو نعيم الحافظ أخبرنا جعفر الخلدي- في كتابه- قال سمعت رويم بن أحمد يقول: الإخلاص ارتفاع رؤيتك عن فعلك. **والفتوة** أن تعذر إخوانك في زللهم، ولا تعاملهم بما يحوجك إلى الاعتذار إليهم. وقال سمعت رويما يقول: الصبر ترك الشكوى، والرضى استلذاذ البلوى، واليقين المشاهدة، والتوكل إسقاط رؤية الوسائط، والتعلق بأعلى الوثائق.

أخبرنا إسماعيل بن أحمد الحيري أخبرنا محمد بن الحسين السلمي قال سمعت أحمد بن إبراهيم يحكي عن أبي عمرو الزجاجي. قال: نهاني الجنيد أن أدخل على رويم. فدخلت عليه يوما- وكان قد دخل في شيء من أمور السلطان- فدخل عليه الجنيد فرآني عنده. فلما أن خرجنا. قال الجنيد: كيف رأيته يا خراساني؟ قلت:

لا أدري، قال: إن الناس يتوهمون أن هذا نقصان في حاله ووقته، وما كان رويم أعمر وقتا منه في هذه الأيام، ولقد كنت أصحبه الشونيزيه في حال الإرادة، وكنت معه في خرقتين، وهو الساعة أشد فقرا منه في تلك الحالة، وفي تلك الأيام.." (١)

"إذا كان في بخله محكما ... وحل من المجد أعلى الدرج

وجاءك يخطب زنجية ... مشوهة الخلق فيها هوج

فلا تحفلن به خاطبا ... ولا تفرحن ولا تبتهج

وإن كان سمحا جميل الفعال ... كريما جوادا فإن الحرج

وإن القطيعة في صرفه ... ولو جاء يخطب إحدى المهج

بغير صداق لإعساره ... وما عسر منتظر للفرج

قال حماد عجرد، وتروى للعتابي:

إن الكريم ليخفي عنك عسرته ... حتى تراه غنيا وهو مجهود

وللبخيل على امواله علل ... رزق العيون عليها أوجه سود

إذا تكرهت أن تعطى القليل ولم ... تقدر على سعة لم يظهر الجود

أورق بخير ترجى للنوال فما ... ترجى الثمار إذا لم يورق العود

بث النوال ولا تمنعك قلته ... فكل ما سد فقرا فهو محمود

---

(١) تاريخ بغداد وذيوله ط العلمية الخطيب البغدادي ٨/٤٣٠

وقال منصور الفقيه:

ما بالبخيل انتفاع ... ولكلب ينفع اهله

فنزه الكلب عن أن ... ترى أخا الكلب مثله

أخبرنا عبد الوارث،قال:حدثنا أبو عيسى،قال:انشدني ابن المعلم لعلى بن الجهم:

وإذا الكريم أتيته بخديعة ... ألفيته فيما تروم يسارع

ليس الكريم كما ظننت بجاهل ... إن الكريم لفضله يتخادع

قال آخر:

لا تطلبن إلى لئيم حاجة ... واقعد فإنك قائما كالقاعد

يا خادع البخلاء عن أموالهم ... هيهات تضرب في حديدبارد

قال آخر:

طعامه النجم لمن رامه ... وخبره أبعد من أمسه

كأنه في جوف مرآته ... يرى ولا يطمع في لمسه

قال آخر:

إن كنت تطمع في كلامه ... فارفع يمينك عن طعامه

سيان كسر رغيفه ... أو كسر عظم من عظامه

وقال دعبل بن على الخزاعي:

لئن كنت لا تولى يدا دون إمرة ... فلست بمول نائلا آخر الدهر

وأى جواد لم يجد في ملمة ... وأي بخيل لم ينل ساعة الوفر

وقال منصور الفقيه:

راجى البخيل وضيع ... كما البخيل وضيع

وما يقول سوى ذا ... في ذين إلا رقيع

للعرزمي ويروى لأبي الأسود الدؤلي:

وإذا طلبت إلى كريم حاجة ... فلقاؤه يكفيك والتسليم

وإذا طلبت إلى لئيم حاجة ... فألح في رفق وأنت مديم

وقال آخر:

إذا سست قوما فاجعل الود بينهم ... وبينك تأمن كل ما تتخوف

فإن خفت من أهواء قوم تشتتا ... فالباالجود فا جمع بينهم يتألفوا

فإن كشفت عنك الملمات عورة ... كفاك غطاء الجود ما يتكشف

قال ابن شهاب:الكريم لا تبخله التجارب.

ويروى عنه أنه قال:إن الكريم لا تحكمه التجارب.

وسئل الحسن بن علي رضى الله عنهما عن البخل،فقال:هو أن يرى الرجل ما ينفقه تلفا،وما أمسكه شرفا.

قال طاووس:البخل أن يبخل الإنسان بما في يديه،والشح أن يشح بما في أيدي الناس،ويحب أن يكون له ما في أيديهم بالحل والحرام ولا يقنع.

وقال أبو العتاهية:

وإن امرءا لم يربح الناس نفعه ... ولم يأمنوا منه الأذى للئيم

وإن امرءا لم يجعل البر كنزه ... وإن كانت الدنيا له لعديم

باب المروءة والفتوة

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " حسب المؤمن دينه، وكرمه تقواه، ومروءته عقله ". ويروى نحو هذا من كلام عمر أيضا.

وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم، أنه قال لرجل من ثقيف: " ما المروءة قال الصلاح في الدين، وإصلاح المعيشة، وسخاء النفس، وصلة الرحم. فقال عليه السلام: " هكذا هي عندنا في حكمة آل داود ".

تذاكروا المروءة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأكثروا فيها، فقال: " أما مروءتنا فأن نعفو عمن ظلمنا، ونعطى من حرمنا، ونصل من قطعنا ".

قال منصورالفقيه:

أعلن وهب كرمه ... في وصله من صرمه." (١)

"فإن المروءة لا تستطاع ... إذا لم يكن مالها فاضلا

وقال آخر:

رزفت لبا ولم أرزق مروءته ... وما المروءة إلا كثرة المال

إذا أردت مساماة تقعدني ... عما ينوه باسمى رقة الحال

وقال منصور الفقيه:

كل من فارق المروءة عاشا ... ونما وفره وزاد رياشا

وأخو الفضل والمروءة والدي ... ن مقل أموره تتلاشى

وقال سفيان الثورى: من لم يحسن يتقرا.

ذكرت الفتوة عند سفيان رحمه الله، فقال: ليست بالفسق ولا الفجور،ولكن الفتوة كما قال جعفر بن محمد: طعام موضوع، وحجاب مرفوع، ونائل مبذول، وبشر مقبول، وعفاف معروف، وأذى مكفوف.

قال محمد بن داود: من كان ظريفا فليكن عفيفا، وأنشد لا بن هرمة:

---

(١) بهجة المجالس وأنس المجالس ابن عبد البر ص/١٣٨

ولرب ليلة لذة قد نلتها ... وحرامها بحلالها مدفوع
وقال صريع الغواني:
وما ذمى الأيام أن ليست حامدا ... لعهد ليللي التي سلفت قبل
ألا رب يوم صادق العيش نلته ... بها وندامای العفافة والبذل
وقال منصور الفقيه:
فضل التقى أفضل من ... فضل اللسان والحسب
إذا هما لم يجمعا ... إلى العفاف والأدب
وقال آخر:
وليس فتى من راح واغتدى ... لشرب صبوح أو لشرب غبوق
ولكن فتى الفتيان من راح واغتدى ... لضر عدو أو لنفع صديق
وقال جحظة:
ألا يأهل بغداد جميعا ... عصيتم في المروءة من براكم
تذمون الزمان بغير جرم ... وما بزمانكم عيب سواكم
باب امتحان أخلاق الرجال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " الأرواح أجناد مجنده، فما تعارف منها ائتلف: وما تناكر منها اختلف ".
أخذه بعض الشعراء فقال:
إن القلوب لأجناد مجندة ... لله في الأرض بالأهواء تعترف
فما تعارف منها فهو مؤتلف ... وما تناكر منها فهو مختلف
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " الناس كإبل مائة لا تكاد تجد فيها راحلة ".
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إن الأمير إذا تجسس على الناس أفسدهم ".
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " وجدت الناس اخبر تقله ". وقد روى هذا مرفوعا عن أبي الدراء.
وفي خبر آخر: " إن الناس سواسية كأسنان المشط ".
كان يقال: لا يزال الناس بخير ما تباينوا، فإذا تساووا هلكوا قال الشاعر:
سواء كأسنان الحمار فلا ترى ... لذي شيبة منهم على ناشئ فضلا
قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه:الناس بأزمانهم أشبه منهم بآبائهم قال على بن أبي طالب رضي الله عنه: خالط المؤمن بقلبك، وخالط الفاجر بخلقك.
كان يقال: يمتحن الرجل في ثلاثة أشياء: عند هواه إذا هوى، وعند غضبه إذا غضب، وعند طمعه إذا طمع.
قال أبو عمرو بن العلاء: إذا أردت أن تعرف مالك عند صديقك فاعرف ما كان لصديقه قبلك عنده.
قال سفيان الثورى: إذا أردت أن تعرف مالك عند صديقك فأغضبه، فإن أنصفك في غضبه وإلا فاجتنبه.

قال الفضل بن عباس بن عتبه بن أبي لهب

إذا أردت وداد امرئ ... فسل كيف كان لإخوانه

فإما رضيت فأحببته ... وإما ترغبت عن ثيانه

قال الأحنف بن قيس: ما كشفت أحدا قط إلا وجدته دون ما كنت أظن قال تأبط شرا:

لتقرعن على السن من ندم ... إذا تذكرت يوما بعض أخلاق

وقال آخر:

إن المودة بالتجارب ... قضت من الناس المآرب

لم تترك لي صاحبا ... أصبو إليه ولا أعاتب

متفردا بتوحدي ... دون الأباعد والأقارب

ارغب إلى الله الذي ... يعطى الجزيل من المذاهب

بالله تتسع الفجا ... ج إذا تضايقت المذاهب

كان سفيان الثوري يتمثل بهذه الأبيات:

ابل الرجال إذا أردت إخاءهم ... وتوسمن أمورهم وتفقد

وإذا ظفرت بذى الأمانة والتقى ... فبه اليدين قرير عين فاشدد." (١)

"قال المأمون: الناس في تصرفهم ومعايشهم بين أربعة أمور، من لم يكن منها كان عيالا عليها وكلا: الإمارة، والتجارة، والزراعة، والصناعة.

أربعة لا يستحيا من الختم عليها: المال لنفي التهمة، والجوهر لأمن البدل، والدواء للاحتياط، والطبب للصيانة.

قال العتبي: اجتمعت الحكماء على أربع كلمات، وهي: لا تحملن على قلبك مالا تطيق، ولا تعمل عملا ليس لك فيه منفعة، ولا تثقن بامرأة، ولا تغتر بالمال وإن كثر.

باب خمسة

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " بنى الإسلام على خمس ... " الحديث.

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن عمر: " يا عبد الله! اغتنم خمسا قبل خمس: شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك ".

قال بعض الحكماء: خمسة أشياء من أعطيها فقد كمل عيشه: صحة البدن، وهو الجزء الأكبر، والسعة في الرزق، وهو الثاني، والأمن وهو الثالث، والأنيس الموافق وهو الرابع، والدعة، فمن حرمها فقد حرم العيش.

واجتمع الحكماء أنه لا ينبغي للمرء أن ينزل بلدة ليس فيها خمسة أشياء: سلطان قاهر، وقاض عادل، وسوق قائمة، وطبيب عالم، ونهر جار.

---

(١) بهجة المجالس وأنس المجالس ابن عبد البر ص/١٤٠

روى الأصمعي، قال: حدثنا الفضل بن عبد الملك بن أبي شهبة، قال: قال الأحنف: لا ينبغي أن تنزل بلدا حتى يكون فيه خمس خصال، فذكرها سواء.

ذكر الشافعي عن مالك، عن الزهري، قال: الذل في خمسة أشياء: حضور المجلس بلا نسخة، وعبور المعبر بلا قطعة، ودخول الحمام بلا خادم، وتذلل الشريف للدنئ لينال منه، والتذلل للمرأة لينال من مالها.

خمسة لا يستحيا من خدمتهم: السلطان، والوالد، والعالم، والضيف، والدابة.

خمسة أشياء تقبح في خمسة أصناف: الحدة في السلطان، وقلة الحياء في ذوي الأحساب، والبخل في ذوي الأموال، والفتوة في الشيوخ، والحرض في العلماء والقراء.

قال وبرة بن خداش: أوصاني عبد الله بن عباس بخمس كلمات هي أحب إلى من الدهم الموقوفة في السبيل، قال لي: إياك والكلام فيما لا يعنيك أو في غير موضعه، فرب متكلم فيما لا يعنيه أو في غير موضعه قد عنت، ولا تمار سفيها ولا فقيها، فإن الفقيه يغلبك والسفيه يؤذيك، واذكر أخاك إذا غاب عنك أن يذكرك به، ودع ما تحب أن يدعه منك، واعمل بما تحب عمل رجل يعلم أنه يجازي بالإحسان ويكافى بالإجرام.

قال عمر بن الخطاب: من لم يكن فيه خمس فلا ترجوه لشيء من الدنيا والآخرة: من لم يعرف بالوثيقة في أرومته، والكرم في طبيعته، وبالدماثة في خلقه، وبالنبل في نفسه، وبالمخافة لربه.

خمس من طبيعة الجهال: الغضب في غير شيء، والإعطاء في غير حق، وإتعاب البدن في الباطل، وقلة معرفة الرجل لصديقه من عدوه، وتضييعه لسره.

خمسة أشياء أضيع شيء في الدنيا: سراج يوقد في الشمس، ومطر وابل في أرض سبخة، وامرأة حسناء تزف إلى عنين، وطعام يستجاد ثم يقدم إلى سكران أو شبعان، ومعروف تصنعه عند من لا يشكرك.

خمس لا يشبعن من خمس: أذن من خبر، وعين من نظر، وأنثى من ذكر، وأرض من مطر، وعالم من أثر.

خمس يزدن في النسيان: إلقاء القملة، وأكل التفاح، والحجامة في النقرة، والبول في الماء الراكد، وأكل سؤر الفأرة.

ومما يدخل في هذا الباب قول الأحنف: لا راحة لحسود، ولا مروءة لبخيل، ولا إخاء لكذوب، ولا وفاء لملول، ولا سؤدد لسيء الخلق.

قال الأوزاعي: خمسة كان عليها أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم والتابعون بإحسان: لزوم الجماعة، واتباع السنة، وعمارة المسجد، وتلاوة القرآن، والجهاد في سبيل الله.

باب نوادر من الرؤيا مختصرة

قال رسول الله صلى الله وسلم: " إذا اقترب الزمان لم تكد رؤيا المؤمن تكذب، وأصدقهم رؤيا أصدقهم حديثا، رؤيا المسلم جزء من ستة وأربعين جزءا من النبوة ".

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: اللبن فطرة، والقيد ثبات في الدين، والغرق نار؛ لقوله تعالى: " أغرقوا فأدخلوا نارا "، ومن رآني فقد رآني، فإن الشيطان لا يتشبه بي.

قال أبو بكر: يا رسول الله! ما أزال أرى كأني أطأ في عذرات الناس، قال: لتلين أمور الناس قال: ورأيت في صدري كالرقمتين. قال: سنتين. قال: ورأيت كأن على حلة حبرة، قال: ولد تحبر به، وفي رواية أخرى: قال له: يا رسول الله! ورأيت كأن في صدري كبتين، قال النبي عليه السلام: " على أمر الناس سنتين ".." (١)

"ومستعملا للمدخل اللطيف عليه، والمتولج العجيب إليه؛ والأسباب التي ستشرح في مواضعها من هذا الكتاب، وتستوفى الدلالة على ما فيها من رشاد صواب. وبالله التوفيق، وعليه التعويل، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

آمره بتقوى الله التي هي الجانب العزيز، والحرز الحريز؛ والركن المنيع، والطود الرفيع؛ والعصمة الكالئة، والجنة الواقية؛ والزاد النافع يوم المعاد، حين لا ينفع إلا مثله من الأزواد؛ وأن يستشعر خيفته في سره وجهره، ومراقبته في قوله وفعله؛ ويجعل رضاه مطلبه، وثوابه ملبسه؛ والقرب منه أربه، والزلفى لديه غرضه؛ ولا يخالفه في مسعاه قدم، ولا يتعرض عنده لعاقبة وندم.

وآمره أن يتأمل اسم التطفيل ومعناه، ويعرف مغزاه ومنحاه؛ ويتصفحه تصفح الباحث عن حظه بمجهوده، غير القائل فيه بتسليمه وتقليده؛ فإن كثيرا من الناس قد استقبحه ممن فعله، وكرهه لمن استعمله، ونسبه فيه إلى الشره والنهم؛ فمنهم من غلط في استلالاله، فأساء في مقاله؛ ومنهم من شح على ماله، فدافع عنه باحتياله؛ وكلا الفريقين مذموم لا يتعريان من لباس فاضح؛ ومنهم الطائفة التي لا ترى شركة العنان فهي تبذله إذا كان لها، وتتدلى عليه إذا كان لغيرها؛ وترى أن المنة في المطعم للهاجم الآكل، وفي المشرب للوارد والواغل؛ وهي أحق بالحرية، وأخلق بالخيرية؛ وأحرى بالمروة، وأولى بالفتوة؛ وقد عرفت بالتطفيل، ولا عار فيه عند ذوي التحصيل؛ لأنه مشتق من الطفل؛ وهو وقت المساء، وأوان العشاء، فلما كثر." (٢)

"وذكر النساء والخمر في بيت، فالتبس الأمر بين يدي سيف الدولة، وسلموا له ما قال، فقال رجل ممن حضر: ولا كرامة لهذا الرأي، والله أصدق منك حيث يقول:

" إن لا ألا تجوع فيها ولا تعرى، وأنك لا تظمأ فيها ولا تضحى " فأتى بالجوع مع العري ولم يأت به مع الظمأ، فسر سيف الدولة، وأجازه بصلة حسنة.

قال صاحب الكتاب: قول امرئ القيس أصوب، ومعناه أعر وأغرب؛ لأن اللذة التي ذكرها إنما هي الصيد، هكذا قال العلماء، ثم حكى عن شبابه وغشيانه النساء: فجمع في البيت معنيين، ولو نظمه على ما قال المعترض لنقص فائدة عظيمة، وفضيلة شريفة تدل على السلطان، وكذلك البيت الثاني: لو نظمه على ما قال لكان ذكر اللذة حشوا لا فائدة فيه؛ لأن الزق لا يسبأ إلا للذة، فإن جعل الفتوة كما جعلناها فيما تقدم الصيد قلنا: في ذكر الزق الروي كفاية ولكن امرأ القيس وصف نفسه بالفتوة والشجاعة بعد أن وصفها بالتملك والرفاهة.

وأما احتجاج الآخر بقول الله عز وجل فليس من هذا في شيء؛ لأنه أجرى الخطاب على مستعمل العادة، وفيه مع ذلك تناسب؛ لأن العادة أن يقال: جائع عريان، ولم يستعمل في هذا الموضع عطشان ولا ظمآن، وقوله تعالى: " تظمأ " و " تضحى " متناسب؛ لأن الضاحي هو الذي لا يستره شيء عن الشمس، والظمأ من شأن من كانت هذه حاله.

---

(١) بهجة المجالس وأنس المجالس ابن عبد البر ص/٢٠١

(٢) التطفيل وحكايات الطفيليين الخطيب البغدادي ص/١٦٨

وقال الجاحظ: في القرآن معان لا تكاد تفترق، من مثل: الصلاة والزكاة، والخوف والجوع، والجنة والنار، والرغبة والرهبة، والمهاجرين والأنصار، والجن والإنس، والسمع والبصر.

ومن الشعراء من يضع كل لفظة موضعها لا يعدوه؛ فيكون كلامه ظاهرا." (١)

"وشباب حسن أوجههم ... من إياد بن نزار بن معد

فأطردت ثلاثة أسماء لا كلفة فيها.

وقال أبو تمام في قالب بيت الأعشى، وإن نقص عنه اسما واحدا:

بنصر بن منصور بن بسام انفرى ... لما شظف الأيام عن عيشة رغد

فأما من أتى بأكثر من هذا ومن الأول فقد قال بعضهم:

من يكن رام حاجة بعدت عن ... ه وأعيت عليه كل العياء

فلها أحمد المرجى بن يحيي ب ... ن معاذ بن مسلم بن رجاء

فجاء كلامه نسقا واحدا، إلا أنه قد شغل البيت وفصل بين الكلام بقوله " المرجى " غير أن مجانسة رجاء هونت خطيئته وغفرت ذنبه.

وقال الطائي:

عمرو بن كلثوم بن مالك بن عت ... اب بن سهم سهمكم لا يسهم

فخاطب بذلك بني عمرو بن غنم التغلبيين، وهم بنو عم مالك بن طوق، فانتظم له ما أراد من الأسماء، إلا أنه ظاهر التكلف، وقال فأتى بستة:

مناسب تحسب من ضوئها ... منازل للقمر الطالع

كالدلو والحوت وأشراطه ... والبطن والنجم إلى البالع

نوح بن عمرو بن حوى بن عم ... رو بن حوى بن الفتى مانع

فأحكم التصنيع وقابل ستة بستة؛ لأن الأشراط منزلة، وإن جمعها، إلا أن " الفتى " ههنا غضة مع برد لفظ وركاكة، ما أحسن أبا هؤلاء كلهم يقال له الفتى وإن كنا نعلم أنه لم يرد فتاء السن، ولكن **الفتوة**.

وجاء أبو الطيب فجاءك بالتعسف في قوله لسيف الدولة:

فأنت أبو الهيجا ابن حمدان يا ابنه ... تشابه مولود كريم ووالد

وحمدان حمدون وحمدون حارث ... وحارث لقمان ولقمان راشد." (٢)

"ومنهم أبو حامد أحمد بن خضرويه البلخي من كبار مشايخ خراسان صحب أبا تراب النخشبي قدم نيسابور وزرا أبا حفص وخرج إلى بسطام في زيارة أبي يزيد البسطامي وكان كبيرا في **الفتوة**، وقال أبو حفص: ما رأيت أحدا أكبر همة

---

(١) العمدة في محاسن الشعر وآدابه ابن رشيق القيرواني ٢٥٩/١

(٢) العمدة في محاسن الشعر وآدابه ابن رشيق القيرواني ٨٣/٢

ولا أصدق حالا من أحمد بن خضرويه، وكان أبو يزيد يقول أستاذنا أحمد.

سمعت محمد بن الحسين رحمه الله يقول: سمعت منصور بن عبد الله يقول: سمعت محمد بن حامد يقول: كنت جالسا عند أحمد بن خضرويه هو في النزع وكان قد أتى عليه خمس وتسعون سنة فسأله بعض أصحابه عن مسألة فدمعت عيناه وقال: يا بنى باب كنت أدقه منذ خمس وتسعين سنة وهو ذا يفتح لي الساعة لا أدرى بالسعادة يفتح أم بالشقاوة، أنى لي أوان الجواب؟ قال: وكان عليه سبع مائة دينار وغرماؤه عنده فنظر إليهم وقال: اللهم إنك جعلت الرهون وثيقة لأرباب الأموال وأنت تأخذ عنهم وثيقتهم فأد عنى قال: فدق داق الباب وقال: أين غرماء أحمد فقضي عنه ثم خرجت روحه ومات رحمه الله سنة أربعين ومائتين.

وقال أحمد بن خضرويه: لا نوم أثقل من الغفلة ولا رق أملك من الشهوة ولولا ثقل الغفلة عليك لما ظفرت بك الشهوة.." (١)

"ومنهم أبو حفص عمر بن مسلمة الحداد من قرية يقال لها كورداباذ على باب مدينة نيسابور على طريق بخارى كان أحد الأئمة والسادة، مات سنة نيف وستين ومائتين.

قال أبو حفص: المعاصي بريد الكفر كما أن الحمي بريد الموت، وقال أبو حفص: إذا رأيت المريد يحسب السماع فأعلم أن فيه بقية من البطالة.

وقال: حسن أدب الظاهر عنوان حسن أدب الباطن.

وقال: الفتوة أداء الإنصاف وترك مطالبة الإنصاف.

سمعت محمد بن الحسين يقول: سمعت أبا الحسن محمد بن موسى يقول: سمعت أبا علي الثقفي يقول: كان أبو حفص يقول: من لم يزن أفعاله وأحواله في كل وقت بالكتاب والسنة ولم يتهم خواطره فلا نعده في ديوان الرجال.." (٢)

"ومن ذلك الفناء والبقاء أشار القوم بالفناء إلى سقوط الأوصاف المذمومة وأشاروا بالبقاء إلى قيام الأوصاف المحمودة به، وإذا كان العبد لا يخلوا عن أحد هذين القسمين فمن المعلوم أنه إذا لم يكن أحد القسمين كان القسم الآخر لا محالة فمن فني عن أوصافه المذمومة ظهرت عليه الصفات المحمودة، ومن غلبت عليه الخصال المذمومة استترت عنه الصفات المحمودة.

واعلم أن الذي يتصف به العبد أفعال وأخلاق وأحوال، فالأفعال: تصرفاته باختياره والأخلاق جبلة فيه ولكن تتغير بمعالجته على مستمر العادة، والأحوال: ترد على العبد على وجه الابتداء لكن صفاؤها بعد زكاء الأعمال فيه كالأخلاق من هذا الوجه، لأن العبد إذا نازل الأخلاق بقلبه فينفي بجهده سفاسفها من الله عليه بتحسين أخلاقه، فكذلك إذا واظب على تزكية أعماله ببذل وسعه من الله عليه بتصفية أحواله بل بتوفية أحواله فمن ترك مذموم أفعاله بلسان الشرعية يقال إنه فني

---

(١) الرسالة القشيرية القشيري، عبد الكريم ٦٧/١

(٢) الرسالة القشيرية القشيري، عبد الكريم ٦٩/١

عن شهواته فإذا فني عن شهواته بقي بصدق إنابته، ومن عالج أخلاقه فنفى عن قلبه الحسد والحقد والبخل والشح والغضب والكبر وأمثال هذا من رعونات النفس يقال فني عن سوء الخلق، فإذا فني عن سوء الخلق بقي بالفتوة والصدق،." (١)

"باب الفتوة

قال الله تعالى: ﴿إنهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى﴾ [الكهف: ١٣] قال الأستاذ: أصل الفتوة أن يكون العبد أبدا في أمر غيره قال صلى الله عليه وسلم: لا يزال الله تعالى في حاجة العبد ما دام العبد في حاجة أخيه المسلم

أخبرنا به علي بن أحمد بن عبدان قال: أخبرنا أحمد بن عبيد قال: حدثنا إسماعيل بن الفضل قال: حدثنا يعقوب بن حميد بن كاسب قال: حدثنا ابن أبي حازم عن عبد الله بن عامر الأسلمي عن عبد الرحمن بن هرمز الأعرج عن أبي هريرة عن زيد بن ثابت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: لا يزال الله تعالى في حاجة العبد ما دام العبد في حاجة أخيه المسلم

سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق يقول هذا الخلق لا يكون كماله إلا لرسول الله صلى الله عليه وسلم فإن كل أحد في القيامة يقول: نفسي نفسي وهو صلى الله عليه وسلم يقول: أمتي أمتي.

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي رحمه الله يقول: سمعت محمد بن الحسين يقول: سمعت أبا جعفر الفرغاني يقول: سمعت الجنيد يقول: الفتوة بالشأم واللسان بالعراق والصدق بخراسان.

وسمعته يقول: سمعت عبد الله بن محمد الرازي يقول: سمعت محمد بن نصير بن منصور الصائغ يقول: سمعت ابن مردويه الصائغ يقول: سمعت الفضل يقول: الفتوة الصفح عن عثرات الإخوان.

وقيل: الفتوة أن لا ترى لنفسك فضلا على غيرك وقال أبو بكر الوراق الفتى من لا يكون خصما لأحد.

وقال محمد بن علي الترمذي: الفتوة أن تكون خصما لربك على نفسك ويقال: الفتى من لا خصم له." (٢)

"سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق يقول: سمعت النصرأباذي يقول سمي أصحاب الكهف فتية، لأنهم آمنوا بالله تعالى بلا واسطة وقيل: الفتى من كسر الصنم قال الله تعالى: ﴿سمعنا فتى يذكرهم يقال له إبراهيم﴾ [الأنبياء: ٦٠] وقال تعالى: ﴿فجعلهم جذاذا﴾ [الأنبياء: ٥٨] وصنم كل إنسان نفسه فمن خالف هواه فهو فتى على الحقيقة.

وقال الحرث المحاسبي: الفتوة أن تنصف ولا تنتصف وقال عمرو بن عثمان المكي: الفتوة حسن الخلق.

وسئل الجنيد عن الفتوة فقال: أن لا تنافر فقيرا ولا تعارض غنيا وقال النصرأباذي: المروءة شعبة من الفتوة وهو الإعراض عن الكونين والأنفة منهما وقال محمد بن علي الترمذي: الفتوة أن يستوي عندك المقيم والطارئ.

سمعت محمد بن الحسين يقول: سمعت علي بن عمر الحافظ يقول: سمعت أبا سهل بن زياد يقول: سمعت عبد الله بن أحمد بن حنبل يقول سئل أبي ما الفتوة؟ فقال: ترك ما تهوى لما تخشى وقيل لبعضهم: ما الفتوة فقال: أن لا يميز بين أن يأكل عنده ولي أو كافر.

سمعت بعض العلماء يقول: استضاف مجوسي إبراهيم الخليل عليه السلام فقال: بشرط أن تسلم فمر المجوسي فأوحى الله

---

(١) الرسالة القشيرية القشيري، عبد الكريم ١٧٠/١

(٢) الرسالة القشيرية القشيري، عبد الكريم ٣٨٠/٢

تعالى إليه: منذ خمسين سنة نطعمه على كفره فلو ناولته لقمة من غير أن تطالبه بتغيير دينه فمضى إبراهيم عليه السلام على أثره حتى أدركه واعتذر إليه فسأله عن السبب فذكر ذلك له فأسلم المجوسي.

وقال الجنيد: الفتوة كف الأذى وبذل الندى وقال سهل بن عبد الله: الفتوة اتباع السنة وقيل: الفتوة الوفاء والحفاظ وقيل: الفتوة فضيلة تأتيها ولا ترى نفسك فيها وقيل: الفتوة أن لا تهرب إذا أقبل السائل." (١)

"وقيل: أن لا تحتجب من القاصدين وقيل: أن لا تدخر ولا تعتذر وقيل: إظهار النعمة وإسرار المحنة.

وقيل أن تدعو عشرة أنفس فلا تتغير إن جاء تسعة أو أحد عشر وقيل: الفتوة ترك التمييز.

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي يقول: قال أحمد بن خضرويه لأمرأته أم على أريد أن أتخذ دعوة أدعو عيارا شاطرا كان في بلدهم رأس الفتيان قالت امرأته: إنك لا تهتدي إلى دعوة الفتيان فقال: لابد فقالت: إن فعلت فاذبح الأغنام والبقر والحمر وألقها من باب دار الرجل إلى باب دارك فقال: أما الأغنام والبقر فأعلم فما بال الحمر فقالت تدعو فتى إلى دارك فلا أقل من أن يكون لكلاب المحلة خير.

وقيل: اتخذ بعضهم دعوة وفيهم شيخ شيرازي فلما أكلوا وقع عليهم النوم في حال السماع فقال الشيخ الشيرازي لصاحب الدعوة: إيش السبب في نومنا فقال: لا أدري اجتهدت في جميع ما أطعمتكم إلا الباذنجان فلم أسأل عنه فلما اصبحوا سألوا بياع الباذنجان فقال: لم يكن لي شيء فسرقت الباذنجان من الموضع الفلاني وبعته فحملوه إلى صاحب الأرض ليجعله في حل فقال الرجل: تسألون مني ألف باذنجانة قد وهبته تلك الأرض ووهبته ثورين وحمارا وآلة الحرث لئلا يعود إلى مثل ما فعل.

وقيل: تزوج رجل بامرأة فقبل الدخول ظهر بالمرأة الجدري فقال: الرجل اشتكت عيني ثم قال: عميت فزفت إليه المرأة ثم ماتت بعد عشرين سنة ففتح الرجل عينيه فقيل له في ذلك فقال: لم أعم ولكن تعاميت حذرا أن تحزن فقيل له سبقت الفتيان.

وقال ذو النون المصري من أراد الظرف فعليه بسقاة الماء ببغداد." (٢)

"فقيل له كيف هو فقال: لما حملت إلى الخليفة فيما نسب إلى من الزندقة رأيت سقاء عليه عمامة وهو مترد بمنديل مصري وبيده كيزان خزف رقاق فقلت: هذا ساقى السلطان فقالوا: لا هذا ساقي العامة فأخذت الكوز وشربت وقلت لمن معى أعطه دينار فلم يأخذ وقال: أنت أسير وليس من الفتوة أن نأخذ منك شيئا وقيل: ليس من الفتوة أن تربح على صديقك قاله بعض أصدقائنا رحمه الله تعالى وكان فتى يسمى أحمد بن سهل التاجر وقد اشتريت منه خرقة بياض فأخذ الثمن رأس ماله فقلت: ألا تأخذ ربحا فقال: أما الثمن فآخذه ولا أحملك منه لأنه ليس له من الخطر ما أتخلق به معك ولكن لا آخذ الربح إذ ليس من الفتوة أن تربح على صديقك.

وقيل: خرج إنسان يدعى الفتوة من نيسابور إلى نسا فاستضافه رجل ومعه جماعة من الفتيان، فلما فرغوا من الطعام

---

(١) الرسالة القشيرية القشيري، عبد الكريم ٢/٣٨١

(٢) الرسالة القشيرية القشيري، عبد الكريم ٢/٣٨٢

خرجت جارية تصب الماء على أيديهم فانقبض النيسابوري عن غسل اليد وقال: ليس من **الفتوة** أن تصب النسوان الماء على أيدي الرجال.

فقال واحد منهم: أنا منذ سنين أدخل هذه الدار لم أعلم أن امرأة تصب الماء على أيدينا أم رجلا.

سمعت منصورا المغربي يقول: أراد واحد أن يمتحن نوحا العيار النيسابوري فباع منه جارية في زي غلام وشرط أنه غلام وكانت وضيئة الوجه فاشتراها نوح على أنها غلام ولبثت عنده شهورا كثيرة، فقيل للجارية هل علم أنك جارية؟ فقالت: لا إنه ما مسني ويتوهم أني غلام وقيل: إن بعض الشطار طلب منه تسليم غلام كان يخدمه إلى السلطان فأبي فضرب ألف سوط فلم يسلم فاتفق أنه احتلم تلك الليلة وكان بردا شديدا فلما أصبح اغتسل بالماء البارد فقيل له خاطرت بروحك فقال: استحييت من الله تعالى أن أصبر على ضرب ألف سوط لأجل مخلوق ولا أصبر على مقاساة برد الاغتسال لأجله.." (١)

"وقيل: قدم جماعة من الفتيان لزيارة وحد يدعى **الفتوة** فقال الرجل: يا غلام قدم السفرة فلم يقدم فقال الرجل: ثانيا وثالثا فنظر بعضهم إلى بعض وقالوا: ليس من **الفتوة** أن يستخدم الرجل من يتعاصى عليه في تقديم السفرة كل هذا فقال الرجل: لم أبطأت بالسفرة فقال الغلام: كان عليها نمل فلم يكن من الأدب تقديم السفرة إلى الفتيان مع النمل ولم يكن من **الفتوة** إلقاء النمل من السفرة فلبثت حتى دب النمل فقالوا: دققت يا غلام مثلك من يخدم الفتيان.

وقيل: إن رجلا نام بالمدينة من الحاج فتوهم أن هميانه سرق فخرج فرأى جعفرا الصادق فتعلق به وقال: أخذت همياني فقال: إيش كان فيه؟ فقال: ألف دينار فأدخله داره ووزن له ألف دينار فرجع الرجل إلى منزله ودخل بيته فرأى هميانه في بيته وقد كان توهم أنه سرق فخرج إلى جعفر معتذر ورد عليه الدنانير فأبي أن يقبلها وقال شيء أخرجته من يدي لا أسترده فقال الرجل: من هذا؟ فقيل جعفر الصادق.

وقيل: سأل شقيق البلخي جعفر بن محمد عن **الفتوة** فقال: ما تقول أنت؟ فقال شقيق: إن أعطينا شكرنا وإن منعنا صبرنا قال جعفر الكلاب عندنا بالمدينة كذلك نفعل فقال شقيق: يا ابن بنت رسول الله ما **الفتوة** عندكم؟ فقال: إن أعطينا آثرنا وإن منعنا شكرنا.

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي يقول: سمعت أبا بكر الرازي يقول: سمعت الجريري يقول دعانا أبو العباس بن مسروق ليلة إلى بيته فاستقبلنا صديق لنا فقلنا ارجع معنا فنحن في ضيافة الشيخ فقال: إنه لم يدعني فقلنا نحن نستثني كما استثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم لعائشة رضي الله عنها." (٢)

"فرددناه فلما بلغ باب الشيخ أخبرناه بما قال وقلنا فقال: جعلت موضعي من قلبك أن تجئ إلى منزلي من غير دعوة على كذا وكذا إن مشيت إلى الموضع الذي تقعد فيه إلا على خدي وألح عليه ووضع خده على الأرض وحمل الرجل ، فوضع قدمه على خده من غير أن يوجعه وسحب الشيخ وجهه على الأرض إلى أن بلغ موضع جلوسه.

---

(١) الرسالة القشيرية القشيري، عبد الكريم ٣٨٣/٢

(٢) الرسالة القشيرية القشيري، عبد الكريم ٣٨٤/٢

قال الأستاذ: واعلم أن من الفتوة الستر على عيوب الأصدقاء لا سيما إذا كان لهم فيه شماتة الأعداء.
سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي يقول: كان يقال للنصرأباذي كثيرا: إن عليا القوال يشرب بالليل ويحضر مجلسك بالنهار وكان لا يسمع فيه ما يقال فاتفق أنه كان يمشي يوما ومعه واحد ممن يذكر عليا بذلك فوجد عليا مطروحا في موضع وقد ظهر عليه أثر السكر وصار بحيث يغسل فمه فقال: الرجل إلى كم نقول للشيخ ولا يسمع؟ هذا على الوصف الذي نقول فنظر إليه النصر أباذي وقال للعذول: احمله على رقبتك وانقله إلى منزله فلم يجد بدا من طاعته فيه، وسمعته يقول: سمعت أبا علي الفارسي يقول: سمعت المرتعش يقول: دخلنا مع أبي حفص على مريض نعوده ونحن جماعة فقال للمريض: أتحب أن تبرأ فقال: نعم فقال: لأصحابه تحملوا عنه فقام العليل وخرج معنا وأصبحنا كلنا أصحاب فراش نعاد.." (١)

"باب الصحبة قال الله عز وجل: ﴿ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا﴾ [التوبة: ٤٠]
قال الأستاذ الإمام أبو القاسم رضي الله عنه: لما أثبت سبحانه للصديق رضي الله عنه الصحبة بين أنه أظهر عليه الشفقة فقال تعالى: ﴿إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا﴾ [التوبة: ٤٠] فالحر شفيق على من يصحبه.
أخبرنا علي بن أحمد الأهوازي قال: حدثنا أحمد بن عبيد البصري قال: حدثنا يحيي بن محمد الجياني قال: حدثنا عثمان بن عبد الله القرشي عن نعيم بن سالم عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: متى ألقى أحبابي؟ فقال أصحابه: بأبينا أنت وأمنا أولسنا أحبابك؟ فقال: أنتم أصحابي، أحبابي قوم لم يروني وآمنوا بي وأنا إليهم بالأشواق لأكثر.
والصحبة على ثلاثة أقسام: صحبة مع من فوقك وهي في الحقيقة خدمة وصحبة مع من دونك وهي تقضي على المتبوع بالشفقة والرحمة وعلى التابع بالوفاق والحرمة وصحبة الأكفاء والنظراء وهي مبنية على الإيثار والفتوة فمن صحب شيخا فوقه في الرتبة فأدبه ترك الاعتراض وحمل ما يبدو منه على وجه جميل وتلقى أحواله بالإيمان به
سمعت منصور بن خلف المغربي وسأله بعض أصحابنا كم سنة صحبت أبا عثمان المغربي فنظر إليه شزرا وقال: إني لم أصحبه بل خدمته مدة وأما إذا صحبك من هو دونك فالخيانة منك في حق صحبته أن لا تنبهه على ما فيه من نقصان في حالته.
كتب أبو الخير التبناتي إلى جعفر بن محمد بن نصير: وزر جهل الفقراء عليكم لأنكم اشتغلتم." (٢)

"القشيري موصول بالغزالي لا بطريق المصنفات التي خلفها وحسب بل بطريق السند الذي يمثله الجويني.
وفى مجال الحياة العملية نجد القشيري يضطلع بأعمال تتفق واستعداده وثقافته، فقد اشتغل بالتدريس فى مسجد المطرز وهو فى الثلاثين من عمره ويتضح ذلك من هذا النص:
«كنت فى ابتداء وصلتي بالاستاذ أبى على- رضى الله عنه- عقد لى المجلس فى مسجد المطرز، فاستأذنته وقتا للخروج إلى «نسا» ، فكنت أمشى معه يوما فى طريق مجلسه، فخطر ببالي: ليته ينوب عنى فى مجالسى أيام غيبتى.... إلخ» الرسالة ص ١١٦.

---

(١) الرسالة القشيرية القشيري، عبد الكريم ٣٨٥/٢

(٢) الرسالة القشيرية القشيري، عبد الكريم ٤٥٧/٢

وإلى جوار ذلك كان القشيري يعكف على التأليف دون انقطاع فانتهى من التفسير الكبير المعروف (بالتيسير في التفسير) قبل عام ٤١٠ هـ، ومن اللطائف عام ٤٣٤، ومن الرسالة عام ٤٣٧ واستمر يمارس هذا النشاط فى دأب لا يعرف الكلال حتى وصلت كتبه إلى خمسة وعشرين كتابا أو نحوها، ومن أهمها إلى جوار ما سبق: ترتيب السلوك، والتحبير فى التذكير، والأربعون حديثا، وشكاية أهل السنة بحكاية ما نالهم من المحنة، واستفادات المرادات، والقصيدة الصوفية، والتوحيد النبوي، واللمع، والفصول، والفتوة، ونحو القلوب الصغير، والكبير، والمقامات الثلاثة، وفتوى، والمعراج.

ولم يطبع من هذه الكتب إلا النذر اليسير، وفى النية أن نقوم- بعون من الله- بإخراج ما وقع لنا منها خلال رحلات طويلة عديدة، حتى يزداد الناس علما به وتقديرا له.

ولم يسلم القشيري خلال حياته من المحن والآلام، وربما كانت أشدها جميعا ما حدث له إبان حكم السلطان طغرل ووزيره اللعين الكندري.

كان السلطان طغرل سنيا حنفيا، ووزيره أبو نصر الكندري معتزليا رافضيا، خبيث العقيدة، ذا آراء مسرفة فى التشبيه وخلق الأفعال، والقدر، وكان متعصبا فى ذلك أشد التعصب.

وفى هذا الوقت كان بنيسابور شخصية فذة لها فى أوساط العامة والخاصة نفوذ كبير، ومحبة فائقة، ذلكم هو الأستاذ أبو سهل بن الموفق أحد رجال الطبقة الرابعة الشافعية." (١)

"وكل أحد يقول يومئذ نفسى نفسى ونبينا صلى الله عليه وسلم يقول: أمتى أمتى «١» .

قوله جل ذكره:

[سورة البقرة (٢) : آية ١٢٤]

وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فأتمهن قال إني جاعلك للناس إماما قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين (١٢٤)

البلاء تحقيق الولاء، فأصدقهم ولاء أشدهم بلاء.

ولقد ابتلى الحق- سبحانه- خليله عليه السلام بما فرض عليه وشرع له، فقام بشرط وجوبها، ووفى بحكم مقتضاها، فأثنى عليه سبحانه بقوله: «وإبراهيم الذي وفى» - من التوفية- أي لم يقصر بوجه البتة.

يقال حمله أعباء النبوة، وطالبه بأحكام الخلة، وأشد بلاء له كان قيامه بشرائط الخلة، والانفراد له بالتجافي عن كل واحد وكل شيء، فقام بتصحيح ذلك مختليا عن جميع ما سواه، سرا وعلنا. «٢»

كذلك لم يلاحظ جبريل عليه السلام حين تعرض له وهو يقذف فى لجة الهلاك، فقال:

هل من حاجة؟ فقال: أما إليك.... فلا.

ومن كمال بلائه تعرض جبريل عليه السلام فى تلك الحالة، وأي بقية كانت بقيت له منه حتى يكون لمخلوق فيه مساغ كائنا من كان؟!

---

(١) لطائف الإشارات = تفسير القشيري القشيري، عبد الكريم ١٢/١

(١) أخطأ الناسخ حين نقلها «كل عهد يقول ... والصواب» كل أحد ... وقد سمع القشيري هذه العبارة من أستاذه الدقاق- كما يقول فى رسالته فى باب **الفتوة**.

(٢) هذا هو رأى القشيري فى «الخلة» ، ونرى لزاما علينا أن ننبه إلى بعض الآراء الأخرى فيها.

فالمعتزلة- الذين يتعدون عن كل ما يحمل على التشبيه- يبذلون جهدهم فى الاستعانة باللغة للحصول على تأويلات للنص القرآنى تخدم هذه الغاية، فلما لم يرضهم حمل لفظة الخليل على ظاهرها فى الآية «واتخذ الله إبراهيم خليلا» (النساء: ١٢٥) استشهدوا ببيت من الشعر القديم لزهير وهو:

وإن أتاه خليل يوم مسألة ... يقول لا غائب مالى ولا حرم

(ديوان زهير نشر دار الكتب ص ١٥٣) وفيه خليل بمعنى محتاج، وقد أورد القشيري هذا الرأى ضمن تفسيره للآية ١٢٤ النساء، أي أنه لا يعارض أن تحتمل اللفظة هذا المعنى.

ويفسر دكتور عبد الرحمن بدوي قول أبى طالب المكي (إن رابعة قد ارتفعت إلى وصف معنى الخلة) بما يلى: (على أن مقام الخلة هذا يمكن أن يفسر على أساس أنه شعور بتجاوز الخير والشر، ذلك أن القيم الأخلاقية لا اعتبار لها إلا بالنسبة إلى بنى الإنسان والدنيا. أما- رابعة ورباح- فقد تجاوزا نطاق البشرية وصارا يلوذان بجوار الألوهية واطرحا الناسوت وشاع فيهما اللاهوت» .

شهيد العشق الإلهي ص ٦٣، ٦٤." [١]

"قوله جل ذكره:

[سورة النساء (٤) : آية ٢]

وآتوا اليتامى أموالهم ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم إنه كان حوبا كبيرا (٢)

من أقيم بمحل الرعاية فجاء على رعيته فخصمه ربه فإنه- سبحانه- ينتقم لعباده ما لا ينتقم لنفسه. فولى اليتيم إن أنصف وأحسن فحقه على الله، وإن أساء وتعدى فخصمه الله.

قوله جل ذكره:

[سورة النساء (٤) : آية ٣]

وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم ذلك أدنى ألا تعولوا (٣)

أباح الله للرجال الأحرار التزوج بأربع فى حالة واحدة، وأوجب العدل بينهن، فيجب على العبد أن يراعى الواجب فإن علم

(١) لطائف الإشارات = تفسير القشيري القشيري، عبد الكريم ١٢٠/١

أنه يقوم بحق هذا الواجب آثر هذا المباح، وإن علم أنه يقصر فى الواجب فلا يتعرض لهذا المباح، فإن الواجب مسئول عنه.

قوله جل ذكره:

[سورة النساء (٤) : آية ٤]

وآتوا النساء صدقاتهن نحلة فإن طبن لكم عن شيء منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا (٤)

دل هذا على أن طعام الفتيان «١» والأسخياء مرىء لأنهم لا يطعمون إلا عن طيب نفس، وطعام البخلاء ردىء «٢» لأنهم يرون أنفسهم، وإنما يطعمون عن تكلف لا عن طيب نفس.

قال صلى الله عليه وسلم: «طعام السخى دواء وطعام البخيل داء» .

---

(١) الفتيان جمع فتى. **والفتوة** أصل من أصول الصوفية عماده الإيثار والبذل والصفح والعفو، والأنفة عما فى الكونين إلى غير ذلك من محاسن السلوك التي ينبغى للنفس أن ترتاضها، وأن تتحلى بها حتى يتهيأ العبد لما هو أجل وأعظم، وأن يكون إيثاره لله وبذله لله وروحه لله، لأن من يؤمر بالتزام ذلك بالنسية للمخلوق لا يضن بأضعافه بالنسبة إلى الحق.

(٢) مشتبهة ولكنها أقرب ما تكون إلى (ردىء) وقد وضعناها مع التحفظ، والمعنى بتقبلها. [.....]."(١)

"أفضل الأعمال ما كانت بركاته تتعدى صاحبه إلى غيره ففضيلة الصدقة يتعدى نفعها إلى من تصل إليه، **والفتوة** أن يكون سعيك لغيرك، ففى الخبر: «شر الناس من أكل وحده» وكل أصناف الإحسان ينطبق عليها لفظ الصدقة.

قال صلى الله عليه وسلم فى قصر الصلاة فى السفر: «هذه صدقة تصدقها الله عليكم فاقبلوا صدقته» «١» والصدقة على أقسام: صدقتك على نفسك، وصدقتك على غيرك فأما صدقتك (على نفسك فحملها على أداء حقوقه تعالى، ومنعها عن مخالفة أمره، وقصر يدها عن أذية الخلق، وصون خواطرها وعقائدها عن السوء. وأما صدقتك) «٢» على الغير فصدقة بالمال وصدقة بالقلب وصدقة بالبدن.

فصدقة بالمال بإنفاق النعمة، وصدقة بالبدن بالقيام بالخدمة، وصدقة بالقلب بحسن النية وتوكيد الهمة.

والصدقة على الفقراء ظاهرة لا إشكال فيها، أما الصدقة على الأغنياء فتكون بأن تجود عليهم بهم، فتقطع رجاءك عنهم فلا تطمع فيهم.

وأما المعروف: فكل حسن فى الشرع فهو معروف، ومن ذلك إنجاد المسلمين وإسعادهم فيما لهم فيه قربة إلى الله، وزلفى عنده، وإعلاء النواصي بالطاعة.

---

(١) هكذا رواه مسلم وأهل السنن من حديث ابن جريج عن عبد الرحمن بن عبد الله بن أبي عمار.

وقال الترمذي هذا حديث حسن صحيح. وقال على بن المديني هذا حديث حسن صحيح من حديث عمر بن الخطاب،

---

(١) لطائف الإشارات = تفسير القشيري القشيري، عبد الكريم ٣١٣/١

ولا يحفظ الا من هذا الوجه ورجاله معروفون.

(٢) ما بين القوسين استدراك فى الهامش وضعناه فى موضعه من النص حسب العلامة المميزة.." [1]

"قوله جل ذكره: ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون.

لا تأخذوا على جحد «١» أوليائى والركون إلى ما فيه رضاء أعدائى عوضا يسيرا فتبقوا بذلك عنى، ولا يبارك لكم فيما تأخذون من العوض.

«ومن لم يحكم بما أنزل الله ... » فمن اتخذ بغيره حكما، ولم يجد- تحت جريان حكمه- رضى واستسلاما»

ففى شرك خامر قلبه، وكفر قارن سره. وهيهات أن يكون على سواء! قوله جل ذكره:

[سورة المائدة (٥) : آية ٤٥]

وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس والعين بالعين والأنف بالأنف والأذن بالأذن والسن بالسن والجروح قصاص فمن تصدق به فهو كفارة له ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون (٤٥)

بين أن اعتبار العدالة كان حتما فى شرعهم، ولما جنحوا إلى التضييع استوجبوا الملام.

«فمن تصدق به فهو كفارة له» ، يعنى فمن آثر ترك ماله باعتناق العفو لم يخسر علينا باستيجاب الشكر، ومن أبى إلا تماديا فى إجابة دواعى الهوى فهم الذين وضعوا الشيء فى غير موضعه أي استبدلوا بلزوم الحقائق متابعة الحظوظ، وبإيثار الفتوة موافقة البشرية «٣» .

قوله جل ذكره:

[سورة المائدة (٥) : آية ٤٦]

وقفينا على آثارهم بعيسى ابن مريم مصدقا لما بين يديه من التوراة وآتيناه الإنجيل فيه هدى ونور ومصدقا لما بين يديه من التوراة وهدى وموعظة للمتقين (٤٦)

---

(١) وردت (جهد) بالهاء والملائم أن تكون (جحد) فهكذا تشير الآية الكريمة، وكذلك السياق إن رضاء الأعداء يقابله جحد الأولياء.

(٢) وردت (واستلاما) والصواب (استسلاما) أي أي انقيادا وطاعة.

(٣) لأن من عناصر الفتوة- عند الصوفية- البذل والإيثار والتضحية.." [2]

"استروحوا فى التعلل إلى سلوكهم نهج أسلافهم، فاستمسكوا بحبل واه فزلت بهم أقدام الغرور، وقعوا فى وهدة المحنة.

قوله جل ذكره:

---

(١) لطائف الإشارات = تفسير القشيري القشيري، عبد الكريم ٣٦٣/١

(٢) لطائف الإشارات = تفسير القشيري القشيري، عبد الكريم ٤٢٦/١

[سورة الأعراف (٧) : الآيات ٢٩ الى ٣٠]
قل أمر ربي بالقسط وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد وادعوه مخلصين له الدين كما بدأكم تعودون (٢٩) فريقا هدى وفريقا حق عليهم الضلالة إنهم اتخذوا الشياطين أولياء من دون الله ويحسبون أنهم مهتدون (٣٠)

القسط العدل، ويقع ذلك فى حق الله تعالى، وفى حق الخلق، وفى حق نفسك فالعدل فى حق الله الوقوف على حد الأمر من غير تقصير فى المأمور به أو إقدام على المنهى عنه، ثم ألا تدخر عنه شيئا مما خولك، ثم لا تؤثر عليه شيئا فيما أحل لك. وأما العدل مع الخلق- فعلى لسان العلم- بذل الإنصاف، وعلى موجب **الفتوة** ترك الانتصاف. وأما العدل فى حق نفسك فإدخال العتق عليها، وسد أبواب الراحة بكل وجه عليها، والنهوض بخلافها على عموم الأحوال فى كل نفس.

قوله جل ذكره: وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد وادعوه مخلصين له الدين.

الإشارة منه إلى استدامة (شهوده فى كل حالة، وألا تنساه لحظة فى كل ما تأتيه وتذره وتقدمه) «١» وتؤخره.

قوله جل ذكره: كما بدأكم تعودون فريقا هدى وفريقا حق عليهم الضلالة إنهم اتخذوا الشياطين أولياء من دون الله ويحسبون أنهم مهتدون.

من كانت قسمته- سبحانه- له بالسعادة كانت فطرته على السعادة، وكانت حالته بنعت السعادة، ومن كانت حالته بنعت السعادة كانت عاقبته إلى السعادة، ومن كانت القسمة له بالعكس فالحالة بالضد، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من كان بحالة لقى الله بها» .

---

(١) ما بين القوسين موجود فى الهامش أثبتناه فى موضعه من النص.." (١)

"قوله جل ذكره: الحامدون هم الشاكرون له على وجود أفضاله، المثنون عليه عند شهود جلاله وجماله.

ويقال الحامدون بلا اعتراض على ما يحصل بقدرته، وبلا انقباض عما يجب من طاعته.

ويقال الحامدون له على منعه وبلائه كما يحمدونه على نفعه وعطائه.

ويقال الحامدون إذا اشتكى من لا فتوة «١» له المادحون إذا بكى من لا مروءة له.

ويقال الشاكرون له إن أدناهم، الحامدون له إن أقصاهم.

قوله جل ذكره: السائحون الصائمون ولكن عن شهود غير الله، الممتنعون عن خدمة غير الله، المكتفون من الله بالله.

ويقال السائحون الذين يسيحون فى الأرض على جهة الاعتبار طلبا للاستبصار، ويسيحون بقلوبهم فى مشارق الأرض ومغاربها بالتفكر فى جوانبها ومناكبها، والاستدلال بتغيرها على منشئها، والتحقق بحكمة خالقها بما يرون من الآيات فيها، ويسيحون بأسرارهم فى الملكوت فيجدون روح الوصال، ويعيشون بنسيم الانس بالتحقق بشهود الحق.

قوله جل ذكره: الراكعون الخاضعون لله فى جميع الأحوال بخمودهم تحت سلطان التجلى، وفى الخبر. «إن الله ما تجلى لشىء

---

(١) لطائف الإشارات = تفسير القشيري القشيري، عبد الكريم ٥٢٩/١

إلا خشع له» .
وكما يكون- فى الظاهر- راكعا يكون فى الباطن خاشعا، ففى الظاهر بإحسان الحق إليه يحسن توليه، وفى الباطن كالعيان للعيان للحق بأنوار تجليه.
قوله جل ذكره الساجدون فى الظاهر بنفوسهم على بساط العبودية، وفى الباطن بقلوبهم عند شهود الربوبية.

---

(١) سأل شقيق البلخي جعفر بن محمد عن **الفتوة** فقال: ما تقول أنت؟ فقال شقيق: إن أعطينا شكرنا وإن منعنا صبرنا، فقال جعفر: الكلاب عندنا بالمدينة كذلك تفعل! فقال شقيق: وما **الفتوة** عندكم؟ فقال: إن أعطينا آثرنا، وإن منعفا شكرنا (الرسالة ص ١١٥) .." (١)
"قوله جل ذكره:

[سورة الكهف (١٨) : آية ١٢]
ثم بعثناهم لنعلم أي الحزبين أحصى لما لبثوا أمدا (١٢)
أي رددناهم إلى حال صحوهم وأوصاف تمييزهم، وأقمناهم بشواهد التفرقة بعد ما محوناهم عن شواهدهم بما أقمناهم بوصف الجمع.
قوله جل ذكره:

[سورة الكهف (١٨) : الآيات ١٣ الى ١٤]
نحن نقص عليك نبأهم بالحق إنهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى (١٣) وربطنا على قلوبهم إذ قاموا فقالوا ربنا رب السماوات والأرض لن ندعوا من دونه إلها لقد قلنا إذا شططا (١٤)
لما كانوا مأخوذين عنهم تولى الحق- سبحانه- أن قص عنهم، وفرق بين من كان عن نفسه وأوصافه قاصا لبقائه فى شاهده وكونه غير منتف بجملته.. وبين من كان موصوفا بواسطة غيره لفنائه عنه وامتحائه منه وقيام غيره عنه.
ويقال لا تسمع قصة الأحباب أعلى وأجل مما تسمع من الأحباب، قال عز من قائل:
«نحن نقص عليك» ، وأنشدوا:
وحدثتني يا سعد عنها فزدتني ... حنينا فزدني من حديثك يا سعد
قوله: «إنهم فتية آمنوا بربهم» : يقال إنهم فتية لأنهم آمنوا- على الوهلة- بربهم، آمنوا من غير مهلة، لما أتتهم دواعى الوصلة «١» .
ويقال فتية لأنهم قاموا لله، وما استقروا حتى وصلوا إلى الله.

---

(١) لطائف الإشارات = تفسير القشيري القشيري، عبد الكريم ٦٧/٢

قوله جل ذكره: وزدناهم هدى وربطنا على قلوبهم لاطفهم بإحضارهم، ثم كاشفهم فى أسرارهم، بما زاد من أنوارهم، فلقاهم أولا التبيين، ثم رقاهم عن ذلك باليقين.

---

(١) لاحظ أهمية ذلك فى فهم معنى (الفتوة) عند الصوفية.." [١]

"قوله جل ذكره:

[سورة الكهف (١٨) : الآيات ٦٠ الى ٦١]

وإذ قال موسى لفتاه لا أبرح حتى أبلغ مجمع البحرين أو أمضي حقبا (٦٠) فلما بلغا مجمع بينهما نسيا حوتهما فاتخذ سبيله في البحر سربا (٦١)

لما صحت صحبة يوشع مع موسى عليهما السلام استحق اسم الفتوة، ولذا قال:

«وإذ قال موسى لفتاه» وهو اسم كرامة لا اسم علامة.

جعل دخول السمك الماء علامة لوجود الخضر هنالك «١» ، ثم أدخل النسيان عليهما ليكون أبلغ فى الآية، وأبعد من اختيار البشر.

قوله جل ذكره:

[سورة الكهف (١٨) : آية ٦٢]

فلما جاوزا قال لفتاه آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا (٦٢)

كان موسى فى هذا السفر متحملا، فقد كان سفر تأديب واحتمال مشقة، لأنه ذهب لاستكثار العلم. وحال طلب العلم حال تأديب ووقت تحمل المشقة، ولهذا لحقه الجوع، فقال: «لقينا من سفرنا هذا نصبا» .

وحين صام فى مدة انتظار سماع الكلام من الله صبر ثلاثين يوما، ولم يلحقه الجوع ولا المشقة، لأن ذهابه فى هذا السفر كان إلى الله، فكان محمولا.

قوله جل ذكره:

[سورة الكهف (١٨) : الآيات ٦٣ الى ٦٤]

قال أرأيت إذ أوينا إلى الصخرة فإني نسيت الحوت وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره واتخذ سبيله في البحر عجبا (٦٣) قال ذلك ما كنا نبغ فارتدا على آثارهما قصصا (٦٤)

---

(١) لطائف الإشارات = تفسير القشيري القشيري، عبد الكريم ٣٨٠/٢

(١) كان الحوت سمكة مملوحة، فنزلا ليلة على شاطىء عين الحياة ونام موسى، فلما أصاب السكة الماء عاشت ووقعت فى الماء (النسفي) .." (١)

"«والصابرين والصابرات..»

على الخصال الحميدة، وعن الصفات الذميمة، وعند جريان مفاجآت القضية.

«والخاشعين والخاشعات..» .

الخشوع إطراق السريرة عند بواده الحقيقة.

«والمتصدقين والمتصدقات..»

بأموالهم وأنفسهم حتى لا يكون لهم مع أحد خصومة فيما نالوا منهم، أو قالوا فيهم «١» «والصائمين والصائمات..» المسكين عما لا يجوز في الشريعة والطريقة.

«والحافظين فروجهم والحافظات..»

فى الظاهر عن الحرام، وفي الإشارة عن جميع الآثام.

«والذاكرين الله كثيرا والذاكرات..»

بألسنتهم وقلوبهم وفي عموم أحوالهم لا يفترون، ولا يتداخلهم نسيان.

«أعد الله لهم مغفرة وأجرا عظيما» .

فهؤلاء لهم جميل الحسنى، وجزيل العقبى.

قوله جل ذكره:

[سورة الأحزاب (٣٣) : آية ٣٦]

وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا (٣٦)

الافتيات عليه في أمره والاعتراض عليه في حكمه وترك الانقياد لإشارته.. قرع لباب الشرك فمن لم يمسك عنه سريعا وقع في وهدته.

قوله جل ذكره:

[سورة الأحزاب (٣٣) : آية ٣٧]

وإذ تقول للذي أنعم الله عليه وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك واتق الله وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها لكي لا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم إذا قضوا

---

(١) لطائف الإشارات = تفسير القشيري القشيري، عبد الكريم ٤٠٦/٢

منهن وطرا وكان أمر الله مفعولا (٣٧)

---

(١) وهذا من أمارات **الفتوة** (أنظر الرسالة ص ١١٣)." [١]

"«من غفور رحيم» : وفي ذلك مساغ لآمال المذنبين لأنهم هم الذين يحتاجون إلى المغفرة، ولولا رحمته لما وصلوا إلى مغفرته.

قوله جل ذكره:

[سورة فصلت (٤١) : آية ٣٣]

ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل صالحا وقال إنني من المسلمين (٣٣)

أي لا أحد أحسن قولا منه، ويكون المراد منه النبي صلى الله عليه وسلم. ويحتمل أن يكون جميع الأنبياء عليهم السلام.

ويقال هم المؤمنون. ويقال هم الأئمة الذين يدعون الناس إلى الله.

وقيل هم المؤذنون. ويقال الداعي إلى الله هو الذي يدعو الناس إلى الاكتفاء بالله وترك طلب العوض من الله، ويكل أمره إلى الله، ويرضى من الله بقسمة الله.

«وعمل صالحا» : أي كما يدعو الخلق إلى الله يأتى بما يدعوهم إليه.

ويقال هم الذين عرفوا طريق الله، ثم سلكوا طريق الله، ثم دعوا الناس إلى الله.

ويقال بل سلكوا طريق الله فبسلوكهم وبمنازلاتهم عرفوا الطريق إلى الله، ثم دعوا الخلق إليه بعد ما عرفوا الطريق إليه.

«وقال إنني من المسلمين» : المسلمون لحكمه هم الراضون بقضائه وتقديره.

قوله جل ذكره:

[سورة فصلت (٤١) : آية ٣٤]

ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم (٣٤)

ادفع بالخصلة التي هي أحسن السيئة يعنى بالعفو عن المكافأة، وبالتجاوز والصفح عن الزلة، وترك الانتصاف «١» .

«فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم» يشبه الولي الحميم- ولم يصر وليا مخلصا.. وهذا من جملة حسن الأدب في الخدمة في حق صحبتك مع الله تحلم مع عباده لأجله.

---

(١) هذه الأوصاف التي ذكرها القشيري من أمارات **الفتوة**- كما ورد في الفصل الذي عقده لها فى «رسالته» .." [٢]

---

(١) لطائف الإشارات = تفسير القشيري القشيري، عبد الكريم ١٦٢/٣

(٢) لطائف الإشارات = تفسير القشيري القشيري، عبد الكريم ٣٣١/٣

"فالاختيال من علامات بقاء النفس ورؤيتها «١» ، والفخر (ناتج) «٢» عن رؤية ما به يفتخر.

قوله جل ذكره:

[سورة الحديد (٥٧) : آية ٢٤]

الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل ومن يتول فإن الله هو الغني الحميد (٢٤)

بخلوا بكتمان صفة نبينا صلى الله عليه وسلم وأمروا أتباعهم بذلك، وذلك لما خافوا من كساد سوقهم وبطلان رياستهم.

«ومن يتول.. عن الإيمان، أو إعطاء الصدقة «فإن الله هو الغني الحميد» .

والبخل- على لسان العلم- منع الواجب «٣» ، فأما على بيان هذه الطائفة «٤» فقد قالوا:

البخل رؤية قدر للأشياء، والبخيل الذي يعطى عند السؤال «٥» ، وقيل: من كتب على خاتمه اسمه فهو بخيل «٦» .

قوله جل ذكره:

[سورة الحديد (٥٧) : آية ٢٥]

لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب إن الله قوي عزيز (٢٥)

أي أرسلناهم مؤيدين بالحجج اللائحة والبراهين الواضحة، وأزحنا العلة لمن أراد سلوك الحجة المثلى، ويسرنا السبيل على من آثر اتباع الهدى. وأنزلنا معهم الكتب المنزلة، و «الميزان» : أي الحكم بالقرآن، واعتبار العدل والتسوية بين الناس.

«ليقوم الناس بالقسط» : فلا يظلم أحد أحدا.

---

(١) هكذا في ص وهي أصوب من (زينتها) التي في م، فرؤية النفس آفة يحذر منها أرباب الطريق- خاصة أهل الملامة.

(٢) إضافة من عندنا حتى يتضح السياق.

(٣) يقصد منع الزكاة المفروضة حسب علوم الشريعة. [.....]

(٤) يقصد طائفة الصوفية.

(٥) أي لا ينظر حتى يسأله سائل، وإنما هو يعطى دائما دون انتظار لدعوة داع أو سؤال سائل.

(٦) لأنه ينبغى أن يكون مستعدا لاعضائه لغيره عند أي ظرف من الظروف، والمقصود أن يكون في العبد إيثار الفتيان (راجع فصل الفتوة في رسالة القشيري) .." (١)

"قوله جل ذكره:

[سورة الحشر (٥٩) : آية ٩]

---

(١) لطائف الإشارات = تفسير القشيري القشيري، عبد الكريم ٥٤٤/٣

والذين تبوؤا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون (٩)

نزلت هذه الآية في الأنصار. «تبوؤا الدار» أي سكنوا المدينة قبل المهاجرين..

«يحبون من هاجر إليهم» من أهل مكة.

«ولا يجدون في صدورهم حاجة» مما خصص به المهاجرون من الفيء، ولا يحسدونهم على ذلك، ولا يعترضون بقلوبهم على حكم الله بتخصيص المهاجرين، حتى لو كانت بهم حاجة أو اختلال أحوال.

«ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون» .

قيل نزلت الآية «١» فى رجل منهم أهديت له رأس شاة فطاف على سبعة أبيات حتى انتهى إلى الأول.

وقيل نزلت في رجل منهم نزل به ضيف فقرب منه الطعام وأطفأ السراج ليوهم ضيفه أنه يأكل، حتى يؤثر به الضيف على نفسه وعلى عياله، فأنزل الله الآية في شأنه «٢» .

ويقال: الكريم من بنى الدار لضيفانه وإخوانه (واللئيم من بناها لنفسه) «٣» .

وقيل: لم يقل الله: ومن يتق شح نفسه بل قال: ومن يوق شح نفسه «٤» .

ويقال: صاحب الإيثار يؤثر الشبعان على نفسه- وهو جائع.

---

(١) حديث القشيري عنه وفيما بعد عن الإيثار يصلح أن يكون متمما للفصل الذي عقده في رسالته عن الفتوة ص ١١٣.

(٢) هكذا في رواية أبى هريرة (البخاري ح ٣ ص ١١٣) .

(٣) ما بين القوسين موجود في ص وغير موجود في م.

(٤) فتقاه من الله لا من نفسه.." [1]

"وآخر في تصحيح تقواه، وآخر في تصفية ذكراه، وآخر في القيام بحسن رضاه، وآخر في طلب مولاه.

ومنكم: من يجمع بين سعى النفس بالطاعة، وسعى القلب بالإخلاص، وسعى البدن بالقرب، وسعى اللسان بذكر الله، والقول الحسن للناس، ودعاء الخلق إلى الله والنصيحة لهم.

ومنهم من سعيه في هلاك نفسه وما فيه هلاك دنياه ... ومنهم.. ومنهم.

قوله جل ذكره: «فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى» «فأما من أعطى» من ماله، «واتقى» مخالفة ربه ...

ويقال: «أعطى» الإنصاف من نفسه، «واتقى» طلب الإنصاف لنفسه «١» ...

ويقال: «اتقى» مساخط الله. «وصدق بالحسنى» : بالجنة، أو بالكرة الآخرة، وبالمغفرة لأهل الكبائر، وبالشفاعة من جهة

---

(١) لطائف الإشارات = تفسير القشيري القشيري، عبد الكريم ٥٦١/٣

الرسول صلى الله عليه وسلم، وبالخلف «٢» من قبل الله ... فسنيسره لليسرى: أي نسهل عليه الطاعات، ونكره إليه المخالفات، ونشهى إليه القرب، ونحبب إليه الإيمان، ونزين في قلبه الإحسان.

ويقال: الإقامة على طاعته والعود إلى ما عمله من عبادته.

«وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى» أما من منع الواجب، واستغنى في اعتقاده، وكذب بالحسنى: أي بما ذكرنا، فسنيسره للعسرى فيقع في المعصية ولم يدبرها، ونوقف «٣» له أسباب المخالفة.

ويقال «أعطى» أعرض عن الدارين، «واتقى» أن يجعل لهما في نفسه مقدارا. «٤»

---

(١) من الفتوة أن تتحلى بالإنصاف وأن تتخلى عن الانتصاف.. هكذا قال الشيوخ.

(٢) (الخلف) بالمعنى العام: إن الله يرث الأرض ومن عليها، وبالمعنى الصوفي: «فالذين يهبهم- فى حال لفناء والحق- فهو عنهم خلف (انظر بسملة الأحقاف من هذا المجلد) .

(٣) هكذا في ص وهي في م (ونوفق) وهي مقبولة أيضا (فالتوفيق) العسرى هو التيسير لها كما في الآية.. بل لعلها أقرب إلى السياق مما في ص.

(٤) حتى يبتعد عن الأعواض والأغراض، وينقى قلبه لله وحده.." (١)

"أم هل يفيدك [١] أن تعاتب مولعا ... بتتبع العثرات [٢] غير مراقب

جعل اعتراضك للسفاهة ديدنا ... والذئب ديدنه اعتراض الراكب

[ومنها] [٣] :

إن الفتوة [٤] علمتني شيمة ... تهدي الضياء [٥] إلى الشهاب الثاقب

ما زال [٦] يسلب كل من حمل الظبى ... قلمي، وأحداق الظباء سوالبي [٧]

فهوى التصرف والتصرف في الهوى ... دفنا شبابي في عذاري الشائب

فتظلمي من ناظر أو ناظر ... وتألمي من حاجب أو حاجب

[ومنها] [٣] :

وقبلت عذر بني الزمان لأنهم ... سلكوا طريق بني الزمان الذاهب

جبلوا على رفض الوفاء كغيرهم ... وتمسكوا بالغدر ضربة لازب «١»

وله من قصيدة [رحمه الله] [٨] [أيضا] [٩] :

---

[١]- في ل ٢: مفيدك.

[٢]- في ف ١ ول ٢: العبرات.

---

(١) لطائف الإشارات = تفسير القشيري القشيري، عبد الكريم ٧٣٦/٣

[٣]- اضافة في ب ٢ وب ١ ول كلها.
[٤]- في ب ١ وب ٢ ول ٢: المروءة.
[٥]- في ل ٢: الضباب.
[٦]- في با وب ٢ وب ١ وف ٢ وف ٣ ول ٢: لازال.
[٧]- في ل ٢: سوالب.
[٨]- اضافة في ب ٣ وف ١.
[٩]- اضافة في ب ١ وف ١ وف ٣ ول ٢.." (١)

"قال ابن جنى لا يعجبني قوله سواك لأنه لا يليق بشرف الفاظه ولو قال انشأك أو نحوه كان اليق قال أبو الفضل العروضي فيما املاه علي سبحان الله أتليق هذه اللفظة بشرف القرآن ولا تليق بلفظ المتنبي يقول الله تعالى الذي خلق فسوى وقال بشرا سويا ثم قال فسواك فعدلك وقال ثم سواك رجلا وقال ابن فورجة نهاية ما يقدر عليه الفصيح أن يأتي بألفاظ القرآن والفاظ الرسول أن ألفاظ الصحابة بعده ثم عد الأيات التي ذكرناها قال وعند أبي الفتح أنه يقدر على تبديل الفاظ هذا الشعر بما هو خير منه وقرأت على أبي العلاء المعري ومنزلته في الشعر ما قد علمه من كان ذا أدب فقلت له يوما في كلمة ما ضر أبا الطيب لو قال مكان هذه الكلمة كلمة أخرى أوردتها فأبان لي عوار الكلمة التي ظننتها ثم قال لي لا تظنن أنك تقدر على إبدال كلمة واحدة من شعره بما هو خير منها فجرب إن كنت مرتابا وها أنا أجرب ذلك منذ العهد فلم أعثر بكلمة لو ابدلتها بأخرى كان اليق بمكانها وليجرب من لم يصدق يجد الأمر على ما أقول.
وقال يمدح أبا أيوب أحمد بن عمران

سرب محاسنه حرمت ذواتها ... داني الصفات بعيد موصوفاتها
يريد بالسرب جماعة النساء يقول هو أي سرب حرمت ذوات محاسنه وذوات محاسن السرب هن السرب وكأنه قال هو أي سرب حرمته أي حيل بيني وبينه وهو داني الصفات لأن الوصف قول وهو قادر عليه متى أراده إلا أن الموصوف بهذه الصفة وهو السرب بعيد فكأنه يقول هذا السرب بعيد مني وذكره حاضر واضاف ذوات إلى المضمر ولا يجوز ذلك عند سيبويه البتة وأصحابه لا يجيزون أن تقول هذا رجل ضربت ذاه أي صاحبه وأجاز ذلك أبو العباس المبرد.

أوفى فكنت إذا رميت بمقلتي ... بشرا رأيت ارق من عبراتها
أي اشرف السرب على مكان عال لما سرن ويجوز أن يريد علون في هوادجهن للمسير والبشر جمع البشرة وهي ظاهر الجلد أي إذا وقع بصري على بشرتها رأيت ارق والطف من عبرات المقلة ويجوز أن يكون الضمير للبشر وأراد بالعبرات عرقهن الذي يسيل منها ويكون فيها اشارة إلى انهن قد عرقن من الإعياء وروى الخوارزمي نشزا وهو ما ارتفع من الأرض يقول إذا

(١) دمية القصر وعصرة أهل العصر الباخرزي ١٢٢/١

نظرت إلى النشر الذي أوفى عليه السرب رأيته لطول البعد في صورة السراب والسراب أرق من العبرات والضمير للمقلة.

يستاق عيسهم أنيني خلفهم ... تتوهم الزفرات زجر حداتها
يقال ساقه واستقاه والمعنى أن الإبل تظن زفراتي لشدتها أصوات الحداة فسائها أنيني وزفرتي.

وكأنها شجر بدا لكنها ... شجر جنيت الموت من ثمراتها
العرب تشبه الأبل المرحولة عليها هوادجها بالنخل والشجر والسفن كل ذلك قد جاء في اشعارهم وروى ابن جنى بلوت المر من ثمراتها قال وهو من قول أبي نواس، لا أذود الطير عن شجر، قد بلوت من ثمره، واراد أنها سارت بالأحبة وكانت سبب فراقن وهو المر الذي جناه منها.

لا سرت من إبل لو أني فوقها ... لمحت حرارة مدمعي سماتها
يريد حرارة عينيه في البكاء وجمع الحزن يكون سخينا حارا ولهذا يقال في الدعاء على الإنسان اسخن الله عينيه أي أبكاه وجدا وحزنا حتى تسخن عينه وقال ابن جنى أراد حرارة ذي مدمعي يعني الدمع فحذف المضاف لأن المدمع مجرى الدمع من العين دعا على تلك الإبل بأن لا تسير ثم ذكر أنه لو كان فوقها لمحت سماتها حرارة دموعه ومعنى لمحت محت اللام الذي فيه لمكان لو

وحملت ما حملت من هذي المها ... وحملت ما حملت من حسراتها
هذا دعاء يقول كنت حامل ما حملته من هؤلاء النسوة وكنت حاملة ما حملته من حسرات فراقهن.

إني على شغفي بما في خمرها ... لأعف عما في سراويلاتها
قال ابن عباد كانت الشعراء تصف المآزر تنزيها لالفاظها عما يستشنع ذكره حتى تخطا هذا الشاعر المطبوع إلى التصريح وكثير من العهر احسن من هذا العفاف وسمعت أبا الفضل العروضي يقول سمعت أبا بكر الشعراني يقول هذا ما غير عليه الصاحب وكان المتنبي قد قال لأعف عما في سرابيلاتها جمع سربال وهو القميص وكذا رواه الخوارزمي يقول أنا مع حبي لوجوههن أعف عن أبدانهن.

وترى المروة **والفتوة** والأب ... وة في كل مليحة ضراتها." [١]
"(فعل) و (فعل) وأصلهما (فعل) وإبدال الواو فيهما لاما، وهذا عمل اختص به المؤنث، لأنه لم يوجد إلا في هذين وفي كلتا (١)، ويدل أيضا على إقامتهم (البنت) (٢) مقام ما فيه (٣) العلامة الصريحة، وتعاقبهما على الكلمة الواحدة،

---

(١) شرح ديوان المتنبي للواحدي الواحدي ص/١٤٠

وذلك نحو: ابنة وبنت، فالصيغة في (بنت) قامت مقام (الهاء) في ابنة، فكما أن (الهاء) علم تأنيث لا محالة، وكذلك صيغة (بنت) علم تأنيث لا محالة، وليس (ابن) من (بنت)، كصعب من صعبة (٤)، إنما نظير صعبة من صعب ابنة من ابن. ويدل على أن (ابن) (٥) و (أخ) (فعل) مفتوحة، جمعهم إياهما على أفعال نحو أبناء وآخاء، حكى سيبويه (٦) (آخاء) عن يونس.

قال أبو إسحاق: والأخفش يختار أن يكون المحذوف من ابن (الواو). قال (٧): والبنوة (٨) ليس بشاهد قاطع للواو، لأنهم يقولون: الفتوة،

---

(١) قوله: (لأنه لم يوجد في هذين وفي كلتا) ليس من كلام أبي الفتح في "سر صناعة الأعراب" ١/ ١٥٠.

(٢) في "سر صناعة الإعراب" (إقامتهم إياه مقام ..) ١/ ١٥٠.

(٣) في (ب): (ما في).

(٤) في "سر صناعة الإعراب": (وليس بنت من ابن كصعبة من صعب ..) "سر صناعة الإعراب" ١/ ١٥٠.

(٥) كذا في جميع النسخ، وفي "سر صناعة الإعراب" (أن أخا وابنا) وفي الحاشية: (في ش: أن أخ وابن) ١/ ١٥٠.

(٦) "الكتاب" ٣/ ٣٦٣، "سر صناعة الإعراب" ١/ ١٥٠.

(٧) أي أبو إسحاق.

(٨) في (أ) ، (ج): (البنو) وأثبت ما في (ب) لأنه موافق لما في "معاني القرآن" للزجاج ١/ ١٠٢.." [١]

"ألا (ترى) (١) أن ظهور "أن" في آخر الكلام يدل على أنها معطوفة على أخرى مثلها في أول الكلام، وقد حذفها (٢).

وقال أبو علي: من قرأ: ﴿فك رقبة أو أطعم﴾ فإنه يجوز أن يكون ما ذكر من الفعل تفسيرا لاقتحام العقبة، وقد جاء: ﴿إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم﴾ [آل عمران: ٥٩]، ثم فسر المثل بقوله: ﴿خلقه من تراب﴾ [آل عمران: ٥٩]، فكذلك قول من قال: "فك رقبة * أو أطعم".

قال: ومن احتج لهذه القراءة بقوله: "ثم كان" فقال: [كأنه لما] (٣) كان فعلا يجب أن يكون المعطوف عليه مثله، كان هذا وجها حسنا.

= حذفها ونصب الفعل بعد حذفها خلاف بين الكوفيين، والبصريين، فالكوفيون يجيزون النصب قياسا حينئذ، واستدلوا بهذا البيت، بدليل العطف: "أن أشهد" عليه، فدل على أنها تنصب مع الحذف.

"شرح أبيات معاني القرآن للفراء" ص ١١٥ رقم ٢٤٠.

---

(١) التفسير البسيط الواحدي ٢/٥٠٣

ومعنى البيت: هل أنت مبقي، يا من يلومني في حضور الحرب، لئلا أقتل، وفي أن أنفق مالي في الفتوة، ولا أخلفه لغيري.
المرجع السابق، وانظر: "المقتضب" ٢/ ٨٥.
(١) ساقط من: أ.
(٢) "معاني القرآن" ٣/ ٢٦٥ بتصرف، ولتفصيل هذه المسألة النحوية راجع فيها المراجع السابقة الذكر مثل: كتاب سيبويه: ٣/ ٩٩، "المقتضب" ٢/ ٨٥، "شرح ابن عقيل" ٤/ ٢٤، وغيرها.
وخلاصة القول فيها: ذهب الكوفيون إلى أن "أن" الخفيفة تعمل في الفعل المضارع النصب مع الحذف من غير بدل، وذهب البصريون إلى أنها لا تعمل مع الحذف من غير بدل، وقد عرض كل واحد منهم بأدلته.
راجع ذلك في "الإنصاف" ٢/ ٥٥٩، ٥٧٠.
(٣) في النسختين: (لما كان كان)، وأثبت ما جاء في "الحجة" لانتظامه.." [١]
"وعند الشافعي (١) (٢) واجب يلزمه العود لها.
﴿إن الذين يكتمون﴾ لما ذكرنا كتمان اليهود أمر القبلة وغيره من الحق وهددهم على ذلك أتي بتصريح عقوبتهم لاتعاظ (٣) السعداء.
و ﴿البينات﴾ جمع بينة، وهي المتضحة وهي صفة للآية و (لعنة اللاعنين) دعاؤهم باللعن والسحق، والمراد بهم: الملائكة عن قتادة (٤) والربيع (٥)، والبهائم عند احتباس المطر عن مجاهد (٦) وعكرمة (٧)، وما سوى الثقلين حين يصيح الكافر في قبره عن السدي (٨)، والمتلاعنون (٩) إذا

= وهو قول مالك في العتبية. كما في القرطبي (٢/ ١٨٣) في حين أن الجرجاني معروف أنه شافعي المذهب كما في السير (١٨/ ٤٣٢)، والعبر (٣/ ٢٧٧) للذهبي، والصفدي في "الوافي" (١٩/ ٤٩)، وترجم له السبكي في طبقاته (٢/ ٤٩١).
(١) هو محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع، الإمام، عالم عصره، ناصر الحديث، فقيه الملة، وهو القرشي المطلبي المكي نزيل مصر، قال أحمد: إن الله تعالى يقيض للناس في رأس كل مائة سنة من يعلمهم السنن وينفي عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الكذب، فنظرنا فإذا رأس المائة عمر بن عبد العزيز، ورأس المائتين الشافعي، من تصانيفه "الأم" و"الرسالة" ومن أقواله: "الفتوة حلي الأحرار"، و"من تزين بباطل هتك ستره"، و"أرفع الناس قدرا من لا يرى قدره، وأكثرهم فضلا من لا يرى فضله". ولد سنة مائة وخمسين هجرية. قال الربيع بن سليمان: كان الشافعي يفتي وله خمس عشرة سنة، وكان يحيي الليل إلى أن مات، مآثره عظيمة، وحكمه جسيمة، وهو سيد الفقهاء. مات في آخر رجب سنة أربع ومائتين.
[سير أعلام النبلاء (١٠/ ٥)؛ طبقات الحفاظ (١/ ١٥٧)؛ تهذيب التهذيب (٩/ ٢٣)؛ تهذيب الأسماء واللغات (١/ ٦٧)].

---

(١) التفسير البسيط الواحدي ٣١/٢٤

(٢) ذهب الشافعي وأحمد إلى ركنيته وهو المشهور من مذهب مالك. انظر: القرطبي (١٨٣/ ٢).
(٣) في "أ" "ي": (لإيقاظ).
(٤) عزاه القرطبي لقتادة (٢/ ١٨٦)، وابن الجوزي في "زاد المسير" (١/ ١٦٥).
(٥) عزاه القرطبي للربيع (٢/ ١٨٦).
(٦) عن مجاهد عزاه السيوطي في "الدر المنثور" (١/ ١٦٢) لعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير وسعيد بن منصور.
(٧) عن عكرمة عزاه السيوطي في الدر (١/ ١٦٢) لعبد بن حميد وابن جرير.
(٨) ابن جرير في تفسيره (٢/ ٥٦) عن السدي عن البراء بن عازب.
(٩) في "أ": (الملاعنون).." [1]

"وأما الجوتي بضم الجيم وبعد الواو تاء مكسورة معجمة باثنتين من فوقها فهو إسحاق بن إبراهيم بن الجوتي، يروي عن عبد الملك بن عبد الرحمن الذماري، حدث عنه أبو زيد محمد بن أحمد بن إبراهيم بن الخباز وقال فيه: الجوتي، بالألف واللام، وغيره يقول: جوتي، بغير ألف ولام١.

= ابن ررام بن سخبر [الجوبي] وكان من أشراف جوب.
وفي استدراك ابن نقطة "وأما "الجوبي" بضم الجيم وبعد الواو الساكنة باء معجمة بواحدة فهو أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن سعيد الجوبي قال الحافظ السلفي أنشدني بدمشق للخبزرزي. وأبو عمران موسى بن محمد بن سعيد الجوبي قال سمعت أبا الحسن الخرائطي يقول كتب عنه السلفي في تعليقه حكاية وذكر أنه سمع منه بدمشق" ولخص ذلك في المشتبه وتبعه في التبصير، واعترض ذلك صاحب التوضيح بأن أبا محمد عبد الرحمن وأبا عمران موسى رجل واحد ذكره السلفي في معجم السفر وساق من عبارة السلفي قوله "كتب معنا على أبي الطاهر الحنائي وابن الموازيني وكتب عني فوائد وله اسمان وكنيتان ... " وذكر حكاية الخرائطي "قال الشيخ محمد بن الحسن البشنوي تعلمت أحسن الخلق من أخس الخلق، تعلمت **الفتوة** من الديك والوفاء من الكلب والاحتمال من الحمار ... " وذكر أن هذه النسبة إلى "جوب" جد لقوم من الكرد يقال لهم "الجوبيون" وكذا قال صاحب اللباب وقال: "وهم قبيل ... فيه فضلاء وزهاد منهم أبو عبد الله محمد بن علي بن مهران الجوبي الفقيه الزاهد أخذ الفقيه عن إلكيا الهراسي..".
١ أما اسم الجد فجوتي ولكن لا مانع أن ينسب إليها حفيده فيقال: "إسحاق بن إبراهيم الجوتي" وقد تقدم ذكر إسحاق في "باب جوتي وجوين إلخ" ويأتي في "باب حوي وجوتي" ويذكر معه هناك ابنه محمد بن إسحاق.
وأما "الجوثي" مثله لكن بمثلثة ففي التوضيح "وبمثلثة الفخر أحمد بن الحسن =." [2]

---

(١) درج الدرر في تفسير الآي والسور ط الحكمة الجرجاني، عبد القاهر ٣٢٦/١
(٢) الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى والأنساب ابن ماكولا ٢٢٧/٢

"فلا تأمني غزو أفراسه ... بني وائل وازهبيه جديلا

وكيف اتقاء امرئ لا يئو ... ب بالقوم في الغزو حتى يطيلا

بشعث معطلة كالقسي ... غزون مخاضا وأدين حولا

نواشز أطباق أعناقها ... وضمرها قافلات قفولا

وإذا أدلجوا لحوال الغوا ... ر لم تلف في القوم نكسا ضئيلا

ولكن جلدا جميع السلا ... ح ليلة ذلك عضا بسيلا

فلما تبلج ما فوقه ... أناخ فشن عليه الشليلا

وضاعف من فوقها نثرة ... يرد القواضب عنها فلولا

مضاعفة كأضاة المسي ... ل تغشى على قدميه فضولا

فنهنهها ساعة ثم قا ... ل للوازعين خلوا السبيلا

فأتبعهم فيلقا كالسراب ... جأواء تتبع شخبا ثعولا

عناجيج في كل رهو ترى ... رعالا سراعا تبارى رعيلا

جوانح يخلجن الظبا ... ء يركضن ميلا وينزعن ميلا

فظل قصيرا على صحبه ... وظل على القوم يوما طويلا

@طرفة بن العبد

ترجمته والمختار من شعره

طرفة الشاعر الشاب ٥٤٠ - ٥٦٥ م

ترجمة الشاعر

تمهيد

طرفة شاعر صاحب شخصية واضحة في شعره، وصاحب مذهب واضح في حياته، وداعية من دعاة اللهو واللذة والعبث، وشاب جمع إلى فتوة الشاب وطيشه حكمة الشيوخ وتفكيرهم، ويعجب النقاد والمستشرقون به وبشخصيته وشعره إعجابا شديدا؛ وشعره صورة واضحة لحياته كل الوضوح، بما كان فيها من مطامح وآمال وآلام وأحداث.

أسرة الشاعر وبيئته

١ - وطرفة شاعر فحل من أعلام الشعر الجاهلي، وهو من ربيعة من بكر بن وائل إحدى قبيلتيها العظيمتين المشهورتين - وهما بكر وتغلب - فهو بكري ربعي.

وربيعة أخت مضر في الشرف والسيادة وضخامة الحسب والقوة والعدد. وبكر أخت تغلب في المجد والجاه والعزة والأنفة، وهما جميعا من ربيعة. ومن شعراء بكر: الحارث بن حلزة الشاعر الجاهلي المشهور والمعدود من أصحاب المعلقات، وتوفي أواخر القرن السادس الميلادي، ومنهم المرقش الأكبر والمرقش الأصغر.

ذلك هو نسب الشاعر بين العرب وحسبه، أما أسرته القريبة فهي سعد بن مالك من بني قيس. إذ هو طرفة بن العبد بن سفيان بن سعد بن مالك بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة من بكر بن وائل من ربيعة بن نزار من عدنان الجد الأعلى للعرب الحجازيين العدنانيين كما علمت.. واسم طرفة عمرو، وكنيته أبو عمرو.

٢ – كان قومه في عزة ومنعة بعددهم وحسبهم وشرفهم ومكانتهم بين العرب وكان جده سفيان موصوفا بالشرف والرئاسة، وكان أبو شابا قويا ظاهر **الفتوة** والجرأة والإقدام، مات وطرفة طفل صغير. وترك غير طرفة ابنا آخر اسمه معبد ورد ذكره في معلقة طرفة:

إذا مت فانعيني بما أنا أهله ... وشقي علي الجيب يا ابنة معبد

وأم طرفة اسمها وردة، وورد ذكرها في شعره، قال:

ما تنظرون بحق وردة فيكمو ... صغر البنون ورهط وردة غيب

ولا نعلم من أمر وردة هذه شيئا آخر غير هذا البيت، ولكننا نعرف أن المتلمس الشاعر خال طرفة، فهو غالبا أخو وردة لأمه وأبيه، وتكون هي بنت عبد المسيح من بني ضبيعة من بكر من ربيعة من عدنان، فصلة القرابة واضحة بين أسرتي والدته وأبيه.

٣ – كان طرفة وقومه يعيشون في البحرين، وهي واقعة في شرق الجزيرة العربية وتمتد من عمان إلى حدود العراق، ومن أشهر مدنها هجر التي ضرب المثل بكثرة تمرها، فقالوا: "كناقل التمر إلى هجر"، ومن مدنها كذلك "قطر" كان يسكن البحرين قبائل كثيرة من العرب، وجوها جميل معتدل نوعا لقربها من البحر، وهي قريبة من الحيرة وكانت تخضع لنفوذها.. والقبائل التي تعيش فيها والشعراء الذين نشأوا في أرضها لهم صلات واضحة بملوك الحيرة الذين يخضعون لنفوذ أكاسرة الفرس وسلطانهم.

وهذه البقعة من أرض الجزيرة العربية قريبة من العراق وإيران، يمر بها الكثير من المسافرين بين هذه البلاد، وهي خاضعة للحيرة، والحيرة ملتقى الأفكار والديانات والمذاهب المختلفة، وتعيش في ظلال قسط من الحضارة، والنصرانية منتشرة فيها، فلابد أن يكون لكل هذه العوامل الظاهرة أثرها في عقلية أبنائها وتفكيرهم في الحياة، وفي عقلية وتفكير شاعرنا طرفة بوجه خاص.." (١)

"إن امرأ سرف الفؤاد يرى ... عسلا بماء سحابة شتمي

وأنا امرؤ ألوي من القص ... ر البادي وأغشى الدهم بالدهم

وأصيب شاكله الرمية إن ... صدت بصفحتها عن السهم

إلى أن قال:

أبلغ قتادة غير سائله ... من الثواب وعاجل الشكم

إني حمدتك للعشيرة إذ ... جاءت إليك مرقتة العظم

---

(١) أشعار الشعراء الستة الجاهليين الأعلم الشنتمري ص/٥٧

ففتحت بابك للمكارم حين ... تواصت الأبواب بالأزم

فسقى بلادك غير مفسدها ... صوب الربيع وديمه تهمي

وتعيره حبيبته لسيره في البلاد وتنقله فيها بعيدا عن أهله وبلاده فيقول:

تعير سيري في البلاد ورحلتي ... ألا رب دار لي سوى حر دارك

وليس امرؤ أفنى الشباب مجاورا ... سوى حبه إلا كآخر هالك

ألا رب يوم لو سقمت لعادني ... نساء كرام من حي ومالك

وطال تنقله في البلاد فذهب إلى اليمن، ثم رحل منها إلى النجاشي في الحبشة، وقال في اطراده إلى النجاشي قصيدته: لخولة بالأجزاع من إضم طلل.

ولم فزعته الغربة وحرق قلبه الحنين إلى أهله وبلده، عاد إلى الموطن الذي هجره، فأمده أخوه "معبد" بمال من ماله، ولكنه أتلفه في لذاته ولهوه وعبثه.

٤ - ثم قصد أملا في إصلاح حاله ملك الحيرة عمرو بن المنذر الثالث الذي يلقب باسم أمه حتى اشتهر بعمرو بن هند، وتولى ملك الحيرة عام ٥٥٤ م كما يقول البعض، أو عام ٥٦٢، أو ٥٦٣ كما يرجح آخرون. وكان الشعراء يرحلون إليه وينشدونه قصائدهم في مدحه فيجزل لهم العطاء. فوفد عليه طرفة مع خاله المتلمس فأحسن وفادتهما وجعلهما في حاشية أخيه قابوس بن المنذر وكان مرشحا للملك بعده، وكان شابا يميل إلى اللهو والترف، ويخرج إلى الصيد، فكان يخرج معه طرفة إذا خرج وينادمه على الشراب، وهكذا اطمأن به الحال، واستقرت حياته بعض الاستقرار. ولكن طرفة الشاعر لم يرضه أن يكون تابعا لأحد، أو أن يشعر بأنه أقل شرفا ومجدا من إنسان.

٥ - طرفة وابن عمه عبد عمرو: كان عبد عمرو بن بشر بن مرثد بن سعد بن مالك زوجا للخرنق أخت طرفة، وكان عبد عمرو سيدا كريما شجاعا مطاعا في قومه، ظاهر الثراء والقوة والفتوة، وكان من أجمل العرب، كما كان أثيرا رفيع المنزلة عند عمرو بن هند يداعيه وينادمه، وسيد أهل زمانه كما يقولون.

فجاءت أخت طرفة تشكو إليه شيئا من أمر زوجها، فغضب الشاعر وهجاه بعد ذلك بقصيدته:

أيا عجبا من عبد عمرو وبغيه ... لقد رام ظلمي عبد عمرو فأنعما

ولا خير فيه غير أن له غنى ... وأن له كشحا إذا قام أهضما

يظل نساء الحي يعكفن حوله ... يقلن: عسيب من سرارة ملهما

وبدأت الخصمة والشحناء بين الشاعر وابن عمه، وفيه أيضا يقول من قصيدة له:

ألا أبلغ عبد الضلال رسالة ... وقد يبلغ الأنباء عنك رسول

دببت بسري بعد ما قد علمته ... وأنت بأسرار الكرام نسول

وكيف تضل القصد والحق واضح ... وللحق بين الصالحين سبيل

ومنها:

وأعلم علما ليس بالظن أنه ... إذا ذل مولى المرء فهو ذليل

وإن لسان المرء ما لم تكن له ... حصاة على عوارته لدليل

قتل طرفة: ١ – كان ملك الحيرة عمرو بن هند جبارا عنيدا متكبرا، لا يرى في الناس من يدانيه شرفا ومجدا، وكان له يوم بؤس ويوم نعيم كل سنة، يركب يوم بؤسه فيقتل أول من يلقاه، وفي يوم نعيمه يقف الناس ببابه فإن اشتهى حديث رجل أذن له فأصاب مجدا ومالا وملك ثلاثا وخمسين سنة، وكان العرب تهابه هيبة شديدة، وكان أخوه قابوس ولي عهده جبارا متكبرا مستبدا كذلك. ولم يرض طرفة الشاعر عن طغيانهما واستبدادهما وكبريائهما، فنظم قصيدة يهجوهما بها، وهي طويلة.. ومنها:

فليت لنا مكان الملك عمرو ... رغوثا حول قبتنا تخور

لعمرك إن قابوس بن هند ... ليخلط ملكه نوك كثير

ومنها:

ولما أن أنخت إلى مليك ... مساكنه الخورنق والسدير

لينجزني مواعد كاذبات ... بطي صحيفة فيها غرور

فأوعدني فأخلف ثم ظني ... وبئس خليقة الملك الفجور

وتمادى طرفة في هجاء عمرو بن هند وأسرته. ومما هجاه به قوله:

ولا خير فيه غير أن له غنى ... وأن له كشحا إذا قام أهضمها." (١)

"فقلت لها يا نعم حلى محلنا ... فإن الهوى يا نعم والعيش جامع

فقالت وعيناها تفيضان عبرة ... بأهلي بين لي متى أنت راجع

فقلت لها تالله يدري مسافر ... إذا أضمرته الأرض ما الله صانع

فشدت على فيها اللثام وأعرضت ... وأمعن بالكحل السحيق المدامع

وإني لعهد الود راع وإنني ... بوصلك مالم يطوني الموت طامع

فنصيب هذا العصر من النسيب كما رأيت أوفر وأجود مما توهم الأدباء، وهو أصل ينتمي إليه بارع النسيب الإسلامي من قريب.

لبيد بن ربيعة

حياته وشعره

لبيد بن ربيعة من بني عامر بن صعصعة، وهي قبيلة مضرية، وأمه من بني عبس. كان في الجاهلية شريفا جوادا شجاعا شاعرا وقد أدرك الإسلام وأسلم، وعمر طويلا حتى مات في خلافة معاوية عام ٤١هـ. وأكثر شعره قاله قبل الإسلام، فلما

---

(١) أشعار الشعراء الستة الجاهليين الأعلم الشنتمري ص/٥٩

أسلم لم يقل إلا قليلا.

وهو شاعر بدوي يصف في شعره حياة بدوية صحراوية ولاسيما في معلقته التي مطلعها:

عفت الديار محلها فمقامها ... بمن تأبد غولها فرجامها

ويظهر أنه قالها في شبابه وهي تمثل الشعر البدوي في متانته وقوته.

وفي شعره بعد ذلك – وهو الذي عمله في الكهولة والشيخوخة على مايظهر – أثر الحكمة وقوة الشعور الديني كزهير، مثل قوله:

وما المرء إلا كالشهاب وضوئه ... يحور رمادا بعدما هو ساطع

وما المال والأهلون إلا ودائع ... ولابد يوما أن ترد الودائع

وما الناس إلا عاملان: فعامل ... يتبر ما يبنى، وآخر رافع

وقصيدته التي مطلعها:

ألا كل شيء ما خلا الله باطل ... وكل نفيم لا محالة زائل

وكل أناس سوف تدخل بينهم ... دويهية تصفر منها الأنامل

وقصيدته:

إن تقوى ربنا خير نفل ... وبإذن الله ريثي والعجل

أحمد الله ولا ند له ... بيديه الخير ماشاء فعل

من هداه سبل الخير اهتدى ... ناعم البال ومن شاء أضل

وكان لبيد أحدث أصحاب المعلقات عصرا وآخرهم موتا.

وشعر لبيد مثال للفخامة والقوة والمتانة والبداوة فتراه فخم العبارة قوي اللفظ قليل الحشو مزدانا بالحكمة العالية والموعظة الحسنة.

ولبيد من أحسن الجاهليين تصرفا في الرثاء وفخره قوي ينم عن شرفه وعزته ومجده وحسبه العريق. وقال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم: أصدق كلمة قالها شاعر كلمة لبيد "ألا كل شيء ما خلا الله باطل".

وقد نظم لبيد الشعر في جاهليته وجرى به على سنن الأشراف والفرسان كعنترة وعمرو بن كلثوم فلم يتكسب بشعره ولذلك ترى فيه ولاسيما معلقته قوة الفخر والتحدث **بالفتوة** والنجدة والكرم وإيواء الجار وعزة القبيلة، ولم ينظم شعرا بعد أن أسلم.

هذا ويقدم لبيد بعض النقاد محتجين بأنه أفضلهم في الجاهلية والإسلام وأقلهم لغوا في شعره، وقالت عائشة رضي الله عنها: رحم الله لبيدا ما أشعره في قوله:

ذهب الذين يعاش في أكنافهم ... وبقيت في خلف كجلد الأجرب

لا ينفعون ولا يرجى خيرهم ... ويعاب قائلهم وإن لم يشغب

وكان لبيد جوادا شريفا في الجاهلية والإسلام وقصص جودة كثيرة.

ديوان لبيد

شرحه السكري والشيباني والأصمعي وابن السكيت والطوسي. ولم يصل إلينا من ذلك كله إلا نصف شرح الطوسي في مخطوطة طبعها في فيينا يوسف ضياء الدين الخالدي المقدسي سنة ١٨٨٠ وفيها عشرون قصيدة هي الجزء الثاني من الديوان وقد صدرت بمقدمة عن الديوان والشاعر.

وكذلك عنى بالديوان المستشرق هوبر الذي طبعه في ليدن سنة ١٩٨١ ووضع مقدمة له في حياة لبيد، وأخرجه بإشراف بروكلمان.

ولمعلقة لبيد شروح، وقد نشرها دي ساسي وقد ترجمها إلى الفرنسية أيضا.

مصادر حياة لبيد

ترجم له صاحب الأغاني في الجزء الرابع عشر، وابن قتيبة في الشعر والشعراء وذكره ابن سلام في طلبقات الشعراء والمرزباني في الموشح.

وترجم له صاحب كتاب "تاريخ الأدب العربي في العصر الجاهلي"، والزيات في كتابه تاريخ الأدب العربي، وأصحاب الوسيط والمفصل وسواهم. وترجم له أيضا في سلسلة الروائع.

معلقة لبيد." (١)

"عفت الديار محلها فمقامها ... بمن تأبد غولها فرجامها

ويظهر أنه قالها في شبابه وهي تمثل الشعر البدوي في متانته وقوته.

وفي شعره بعد ذلك - وهو الذي عمله في الكهولة والشيخوخة على ما يظهر - أثر الحكمة وقوة الشعور الديني كزهير، مثل قوله:

وما المرء إلا كالشهاب وضوئه ... يحور رمادا بعدما هو ساطع

وما المال والأهلون إلا ودائع ... ولابد يوما أن ترد الودائع

وما الناس إلا عاملان: فعامل ... يتبر ما يبنى، وآخر رافع

وقصيدته التي مطلعها:

ألا كل شيء ما خلا الله باطل ... وكل نفيم لا محالة زائل

وكل أناس سوف تدخل بينهم ... دويهية تصفر منها الأنامل

وقصيدته:

إن تقوى ربنا خير نفل ... وبإذن الله ريثي والعجل

---

(١) أشعار الشعراء الستة الجاهليين الأعلم الشنتمري ص/١٠٧

أحمد الله ولا ند له ... بيديه الخير ما شاء فعل

من هداه سبل الخير اهتدى ... ناعم البال ومن شاء أضل

وكان لبيد أحدث أصحاب المعلقات عصرا وآخرهم موتا.

وشعر لبيد مثال للفخامة والقوة والمتانة والبداوة فتراه فخم العبارة قوي اللفظ قليل الحشو مزدانا بالحكمة العالية والموعظة الحسنة.

ولبيد من أحسن الجاهليين تصرفا في الرثاء وفخره قوي ينم عن شرفه وعزته ومجده وحسبه العريق. وقال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم: أصدق كلمة قالها شاعر كلمة لبيد "ألا كل شيء ما خلا الله باطل".

وقد نظم لبيد الشعر في جاهليته وجرى به على سنن الأشراف والفرسان كعنترة وعمرو بن كلثوم فلم يتكسب بشعره ولذلك ترى فيه ولاسيما معلقته قوة الفخر والتحدث **بالفتوة** والنجدة والكرم وإيواء الجار وعزة القبيلة، ولم ينظم شعرا بعد أن أسلم. هذا ويقدم لبيد بعض النقاد محتجين بأنه أفضلهم في الجاهلية والإسلام وأقلهم لغوا في شعره، وقالت عائشة رضي الله عنها: رحم الله لبيدا ما أشعره في قوله:

ذهب الذين يعاش في أكنافهم ... وبقيت في خلف كجلد الأجرب

لا ينفعون ولا يرجى خيرهم ... ويعاب قائلهم وإن لم يشغب

وكان لبيد جوادا شريفا في الجاهلية والإسلام وقصص جودة كثيرة.

ديوان لبيد

شرحه السكري والشيباني والأصمعي وابن السكيت والطوسي. ولم يصل إلينا من ذلك كله إلا نصف شرح الطوسي في مخطوطة طبعها في فيينا يوسف ضياء الدين الخالدي المقدسي سنة ١٨٨٠ وفيها عشرون قصيدة هي الجزء الثاني من الديوان وقد صدرت بمقدمة عن الديوان والشاعر.

وكذلك عنى بالديوان المستشرق هوبر الذي طبعه في ليدن سنة ١٩٨١ ووضع مقدمة له في حياة لبيد، وأخرجه بإشراف بروكلمان.

ولمعلقة لبيد شروح، وقد نشرها دي ساسي وقد ترجمها إلى الفرنسية أيضا.

مصادر حياة لبيد

ترجم له صاحب الأغاني في الجزء الرابع عشر، وابن قتيبة في الشعر والشعراء وذكره ابن سلام في طبقات الشعراء والمرزباني في الموشح.

وترجم له صاحب كتاب "تاريخ الأدب العربي في العصر الجاهلي"، والزيات في كتابه تاريخ الأدب العربي، وأصحاب الوسيط والمفصل وسواهم. وترجم له أيضا في سلسلة الروائع.

معلقة لبيد

لبيد بن ربيعة العامري من سادة العامريين القيسيين وأشرافهم وكان يقال لأبيه ربيعة المعترين وعمه ملاعب الأسنة عامر بن مالك أخذ أربعين مرباعا في الجاهلية.

كان لبيد من شعراء الجاهلية وفرسانهم وقال الشعر في الجاهلية في كل غرض، وأجرك الإسلام وأسلم وهجر الشعر وأقام بالكوفة إلى أن مات عام ٤١هـ مائة وسبع وخمسين سنة.

وسئل لبيد من أشعر الناس؟ فقال: الملك الضليل، ثم الشاب القتيل، ثم الشيخ أبو عقيل يعني نفسه. وهو من أصحاب المعلقات، وكان نظم لبيد الجاهلية فجم العبارة منضد اللفظ قليل الحشو مزدانا، فالحكمة العالية ثعات، وهو أحسن الجاهليين تصرفا في الرثاء، وأكثرهم قدرة على تصوير عواطف المفجوع الحزين بلفظ رائق وألوب مؤثر، وقدمه بعض النقاد "لأنه أفضل الشعراء في الجاهلية والإسلام، وأقلهم لغوا في شعره".

ومعلقته لبيد تمتاز بقوة اللفظ ومتانة الأسلوب، وبما فيها من تصوير للبادية والحياة والأخلاق فيها.

أ – بدأها لبيد بذكر الديار وخلوها من أصحابها وتعرضها للرياح والأمطار تعبث بها ويمحو معالمها. قال:

عفت الديار محلها فمقامها ... بمعنى تأبد غولها فرجامها." (١)

"قسم الأخلاق

وأما قسم الأخلاق فهو عشرة أبواب وهي الصبر والرضى والشكر والحياء والصدق والإيثار والخلق والتواضع والفتوة والانبساط

باب الصبر

قال الله عز وجل واصبر وما صبرك إلا بالله ٢

الصبر حبس النفس على جزع كامن عن الشكوى وهو أيضا من أصعب المنازل على العامة وأوحشها في طريق المحبة وأنكرها في طريق التوحيد وهو على ثلاث درجات." (٢)

"وأن لا ترد على عدوك حقا وتقبل من المعتذر معاذيره

والدرجة الثالثة أن تتضع للحق فتنزل عن رأيك في الخدمة ورؤية حقك في الصحبة وعن رسمك في المشاهدة

باب الفتوة

قال الله عز وجل إنهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى ١

نكتة الفتوة أن لا تشهد لك فضلا ولا ترى لك حقا وهي على ثلاث درجات

---

(١) أشعار الشعراء الستة الجاهليين الأعلم الشنتمري ص/١٢١

(٢) منازل السائرين الهروي، أبو إسماعيل ص/٤٩

الدرجة الأولى ترك الخصومة والتغافل عن الزلة ونسيان الأذية

والدرجة الثانية أن تقرب من يقصيك وتكرم من يؤذيك وتعتذر إلى من يجنى عليك." (١)

"سماحا لا كظما وبراحا لا مصابرة

والدرجة الثالثة أن لا تتعلق في المسير بدليل ولا تشوب إجابتك بعوض ولا تقف في شهودك على رسم

واعلم أن من أحوج عدوه إلى شفاعة ولم يخجل من المعذرة إليه لم يشم رائحة **الفتوة** ثم في علم الخصوص من طلب نور الحقيقة على قدم الاستدلال لم يحل له دعوى **الفتوة** أبدا

باب الانبساط

قال الله عز وجل حاكيا عن كليمة عليه السلام أتهلكنا بما فعل السفهاء منا إن هي إلا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدي من تشاء ١

الانبساط إرسال السجية والتحاشي من وحشة الحشمة." (٢)

"فالغس: اللئيم، والمغمر: الذي لا تجارب له ولا سن.

ع: قوله أيام الردة: هكذا رويت بالكسر، وقال أبو جعفر ابن النحاس سمعت الأخفس يقول: أختار (١) الفتح في ذلك لأن العرب لم يكن ارتدادها إلا مرة، فالفتح أجود.

وقوله: فامتدح هاهنا بالسن: للعرب في ذلك مذهبان: فإذا أرادوا الحزامة وحسن التدبير في الحروب وثبات الأقدام والوطأة إذا اشتدت الخطوب، فإنما يذكرون أهل السن والتجربة، لأنهم أهل الحفائظ والاستبصار وهم أجدر بالحياء من الأغرار (٢) ولذلك قال علي بن أبي طالب؟ رضي الله عنه؟ رأي الشيخ خير من مشهد الغلام.

وقال أبو الطيب (٣) :

سأطلب حقي بالقنا ومشايخ ... كأنهم من طول ما التثموا مرد وإذا أرادوا شدة المسارعة وحدة المضاربة والإعراض عن ذكر العواقب واطراح ذلك بجابن، ذكروا أهل الشباب **والفتوة** (٤) ، كما قال عامر بن الطفيل للنبي صلى الله عليه وسلم: والله لأملأنها عليك خيلا جردا ورجالا مردا. فأما قول قطري (٥) :

ولقد أراني للرماح درية ... من عن يميني مرة وأمامي

حتى خضبت بما تحدر من دمي ... (٦) أكناف سرجي أو عنان لجامي

---

(١) ط: اختاروا.

(٢) س ط: الفرار.

---

(١) منازل السائرين الهروي، أبو إسماعيل ص/٦١

(٢) منازل السائرين الهروي، أبو إسماعيل ص/٦٢

(٣) ديوان المتنبي ٢: ١٠٨.

(٤) س: والقوة.

(٥) راجع أبيات قطري القالي ١: ١٩٠ والسمط: ٨٠٦ والتبريزي ١: ٦٨، وشرح النهج ٢: ٢٦٦، ١: ٣١٣ والخزانة ٤: ٢٥٩ والحصري ٤: ١٦٣.

(٦) أكناف السرج: جوانبه، وعنان اللجام: سيره الذي تمسك به الدابة؛ وفي س: أحناء سرجي.." [١]

"عسى هامتي في القبر تسمع بعضه ... بترجيع سار أو بتطريب طارق

فلى في ادكارى بعد موتى راحة ... فلا تمنعونيها علالة زاهق

وإني لأرجو الله فيما تقدمت ... ذنوبي به مما درى من حقائق

فأجابه أبو محمد:

أبا عامر ناديت خلا مصافيا ... يفديك من دهم الخطوب الطوارق

وألمت قلبا مخلصا لك ممحضا ... بودك موصول العرى والعلائق

شدائد يجلوها الإله بلطفه ... فلا تأس إن الدهر جم المضايق

فمعقب سوء الحال حسنى وفرحة ... وتالى رخاء العيش " إحدى البوائق

سفينة نوح لم تضق بحلوها ... وضاق بهم رحب الملا والسمالق

ورب أسير في يد الهول مطلق ... ومنطلق والدهر أسوق سائق

فإن تنج قلت الحمد لله مخلصا ... فمن أعظم النعمى بقاء المصادق

وإن تكن الأخرى فأقرب بلاحق ... تأخر منا من تقدم سابق

فقربك لي أنس وبعدك موحشى ... ولقياك مسلاتي وفقدك شائقي

ومن أبيات أبي عامر المختارة قوله:

وما ألان قناتى غمز حادثة ... ولا استخف بحلمى قط إنسان

أمضى على الهول قدما لا ينهنهنى ... وأنثنى لسفيهى وهو حردان

ولا أقارض جهالا بجهلهم ... والأمر أمرى والأيام أعوان

أهيب بالصبر والشحناء ثائرة ... وأكظم الغيظ والأحقاد نيران

وقوله:

إن الفتوة فاعلم حد مطلبها ... عرض نقي ونطق فيه تبيان

بالعلم يفخر يوم الحفل حامله ... وبالعفاف غداة الجمع يزدان

---

(١) فصل المقال في شرح كتاب الأمثال أبو عبيد البكري ص/١٥٥

وما لساني عند القوم ذو ملق ... ولا مقالي إذ ما قلت إدهان

ولا أفوه بغير الحق خوف أخي ... وإن تأخر عني وهو غضبان." (١)

"فإن قيل: ما حقيقة قول الله تعالى: (إن أكرمكم عند الله أتقاكم)

قيل: لما كان الكرم اسما للأفعال المحمودة التي تقدم ذكرها، وهذه الأفعال إنما تكون فاضلة إذا كان فعلها عن علم، وقصد بها أشرف الوجوه، أي وجه الله تعالى، وذلك هو التقوى، فليس التقوى إلا العلم وتحري الأفعال المحمودة، فإذا كل من كان أتقى كان أكرم.

والعزيز: الذي يأبى تحمل المذلة، واشتقاقه من العزاز بالفتح الأرض الصلبة،

كالمتظلف في الامتناع من تناول الشهوات المذلة، وأصله من الظلف أي الأرض الصلبة.

وقد فرق بعض الحكماء بين الكريم والعزيز فقال: الكريم يأبى أن يعصى له، والعزيز يأبى أن يعصى عليه.

والظرف: اسم لحالة تجمع عامة الفضائل النفسية والبدنية والخارجية تشبيها بالظرف الذي هو الوعاء، ولذلك قال أعرابي: فلان حاضن الشرف ومقر الفضل، ولكونه واقعا على ذلك قيل لمن حصل له علم وشجاعة ظريف، ولمن حسن لباسه وأثاثه ورياشه ظريف، فالظرف أعم من الحرية والكرم.

وأما الفتوة: فكالمروءة، فإنها اسم لما يختص به الفتى من الفضائل الإنسانية، لكن هي بالرجولية أشبه، وقد استعارت الصوفية لفظ الفتوة للتصوف، لكونها مشاركة له في جميع أفعالها إلا في الغرض، فإن غرض الفتيان استجلاب محمدة الأقران، وغرض المتصوفة استجلاب محمدة الرحمن، بل مجرد مرضاته تعالى.

وأما الحسب: فقد يقال فيما يختص الإنسان به، فيعده من مآثره، وقد يقال فيما يؤثر عن آبائه، والشرف نحوه لكن أكثر ما يقال فيما يؤثر عن الآباء.

في الفضائل التوفيقية:

التوفيق: موافقة إرادة الإنسان وفعله قضاء الله سبحانه وقدره، وهو وإن كان في الأصل موضوعا على وجه يصح استعماله في السعادة والشقاوة فقد صار متعارفا في السعادة فقط.." (٢)

"(تفتيت بها إذكره ... الشكة أمثالي)

(كجيب الدفنس الورها ... عريعت بعد إجفال)

وقال ربيعة بن مقروم تقدمت ترجمته

٣ - (أخوك أخوك من تدنو وترجو ... مودته وإن دعي استجابا)

٤ - (إذا حاربت حارب من تعادي ... وزاد سلاحه منك اقترابا)

---

(١) جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس الحَمِيدي، ابن أبي نصر ص/١٣٤

(٢) الذريعة الى مكارم الشريعة الراغب الأصفهاني ص/١١٨

٥ – (وكنت إذا قريني جاذبته ... حبالي مات أو تبع الجذابا)

٦ – (فإن أهلك فذي حنق لظاه ... علي تكاد تلتهب التهابا)

———

١ – تفتيت أي تخلقت بأخلاق الفتيان والشكة ما يلبس من السلاح والمعني أنه وجد الفتوة في نفسه مع كبره وضعفه عن حمل السلاح كالشيوخ أمثاله لضعفهم عنه وكراهتهم له يريد بهذا البيت أنه طعن رجلين كانا على فرس في حرب البسوس فانتظما في رمحه من قوة الطعنة

٢ – الدفنس الحمقاء والورهاء قليلة العقل وريعت أي أخيفت والأجفال الإسراع في المشي والمعنى أن هذه الطعنة لقوتها اتسع محلها كاتساع جيب المرأة الحمقاء التي تسرع في المشي وهي خائفة وربما مزقت جيبها في هذه الحالة

٣ – أخوك الثاني توكيد للأول ومعناه أن أخاك الصادق الإخاء من تدنو منه بالقرب ونرجو مودته بالصدق وإذا دعوته لأمر اعتراك أجابك

٤ – إذا حاربت الخ معناه إذا حاربت عدوك قرب منك هذا المؤاخي لك ومعه سلاحه ليعينك

٥ – وكنت الخ معناه أن حبالي متينة محكمة القوى فإذا جاذبت خصمي بها مات قبل وصوله إلى أو صار منقادا لي ذليلا بجذبي له

٦ – فذي حنق أي رب ذي حنق والحنق." (١)

"(فإن تك أفنته الليالي وأوشكت ... فإن له ذكرا سيفني اللياليا)

وقالت امرأة من كندة

(لا تخبروا الناس إلا أن سيدكم ... أسلمتموه ولو قاتلتم امتنعا)

٣ – (أنعى فتى لم تذر الشمس طالعة ... يوما من الدهر إلا ضر أو نفعا)

وقالت امرأة من بني أسد

٤ – (خليلي عوجا إنها حاجة لنا ... على قبر أهبان سقته الرواعد)

٥ – (فثم الفتى كل الفتى كان بينه ... وبين المزجى نفنف متباعد)

———

١ – أوشكت أي أسرعت والمعنى لئن أسرعت الليالي في هلاكه فإن ذكره باق لا يفنى

٢ – لا تخبروا الخ هذا تهكم وسخرية يشوبه تعيير وتوبيخ تريد أنكم قد ارتكبتم أمرا عظيما بتسليمكم سيدكم فاستروا أمركم

---

(١) شرح ديوان الحماسة للتبريزي التبريزي، أبو زكريا ٢١٠/١

ولا تنبئوا الناس به المعنى لا تخبروا الناس بخذلانكم لسيدكم لأن ذلك عار عليكم إذ لو لم تسلموه لأعدائه وقاتلتم دونه لاشتدت وطأته عليهم ولم يصلوا إليه

٣ – ذرور الشمس انتشارها في الجو والمعنى أنا أخبركم بموت رجل شريف لم تطلع عليه شمس يوم إلا نفع أصدقاءه أو ضر أعداءه

٤ – عاج بالمكان أقام به والرواعد السحب التي لها رعد والمعنى يا خليلي قفا على قبر أهبان سقته السحب الماطرة فإن في الوقوف حاجة لنا لا بد من قضائها

٥ – المزجي الضعيف والنفنف المهواة بين الجبلين والمعنى إنما أمرتكم بالوقوف على هذا القبر لأن به فتى كامل **الفتوة** بينه وبين الضعيف مهواة بعيدة حتى لا التقاء بينهما ولا تدان." (١)

"وقال رقيبة الجرمي

(أقول وفي الأكفان أبيض ماجد ... كغصن الأراك وجهه حين وسما)

٣ – (أحقا عباد الله أن لست رائيا ... رفاعة بعد اليوم إلا توهما)

(فأقسم ما جشمته من ملمة ... تؤدكرام القوم إلا تجشما)

٣ – (ولا قلت مهلا وهو غضبان قد غلا ... من الغيظ وسط القوم إلا تبسما)

وقال آخر

٥ – (ألا لا فتى بعد ابن ناشرة الفتى ... ولا عرف إلا قد تولى فأدبرا)

٦ – (فتى حنظلي ما تزال ركابه ... تجود بمعروف وتنكر منكرا)

مجرى الأسماء وقوله غير عبد أي هو عبد لأصحابه في خدمته لهم وكفايته أمورهم وغير عبد في الرق والملك والمعنى كان غير كسلان ولا متوان بل كان ذا سرعة وخبرة وكان عبد ود لأصحابه لا عبد رق

١ – الأبيض الماجد الكريم الشريف ووسم خرج قليلا

٢ – أحقا انتصب على الظرفية ومعنى البيتين أقول في حال مالف في الأكفاق شريف كريم معتدل القامة كغصن البان وجهه وسيم حين نبت عذاره أفي الحق يا عباد الله أني لا أرى رفاعة بعد هذا اليوم طول الدهر إلا متوهما

٣ – تجشم تكلف والمعنى ما كلفته بأمر يصعب حمله على الكرام إلا تحمله

٤ – المعنى أني ما قلت له مهلا حال غضبه الشديد بين القوم إلا تهلل وجهه بالتبسم

---

(١) شرح ديوان الحماسة للتبريزي التبريزي، أبو زكريا ١/٤٠٤

٥ – لا فتى مبتدأ محذوف الخبر ولا عرف مثله والمعنى ذهبت الفتوة والمروءة من الناس وأدبر المعروف بعد ابن ناشرة

٦ – فتى خبر مبتدأ محذوف والمعنى هو." (١)

"(ألا هلك المكسر يالبكر ... فأودى الباع والحسب التليد)

(ألا هلك المكسر فاستراحت ... حوافي الخيل والحي الحريد)

وقال ابن أهبان الفقعسي يرثي أخاه

٣ – (على مثل همام تشق جيوبها ... وتعلن بالنوح النساء الفواقد)

٤ – (فتى الحي إن تلقاه في الحي أو يرى ... سوى الحي أو ضم الرجال المشاهد)

٥ – (إذا نازع القوم الأحاديث لم يكن ... عييا ولا ربا على من يقاعد)

---

١ – المكسر اسم رجل وأودى هلك والباع الكرم مجازا والحسب الشرف والتليد القديم يتلهف ويتحسر قائلا لقد هلك المكسر فمات بموته الجود والشرف القديم

٢ – الحفاء رقة القدم والحريد المنفرد يصفه بأنه كان يبعد الغزو فلا يبقى على الخيل وإن حفيت لقوته وشجاعته فلما مات استراحت الخيل وذهب ما بها من الحفاء واطمأن الحي المنفرد الذي كان يروعه ويفزعه وقت الإغارة

٣ – من عادتهم أنهم يذكرون المثل ويريدون الممدوح صيانة له ونزاهة وليكون المدح بطريق أثبت وسبيل أقوم وهو طريق الكناية والفواقد جمع فاقدة وهي التي مات زوجها والمعنى أن هماما حقيق بأن تشق النساء الفاقدات جيوبهن ويرفعن أصواتهن بالنوح تحسرا وجزعا عليه

٤ – المعنى أن هذا الفقيد إن تلقه في الحي أو في مكان غيره أو عند حصول وفود الرجال في مجامع الملوك تلق الفتوة والرئاسة له في كل حال مسلمة إليه

٥ – التنازع التناول والمعنى أن هذا الفتى إذا جالس القوم وتناول معهم أطراف الأحاديث لم يكن عييا ولا متكبرا على من يجالسه." (٢)

"(أخا طارقا أو جار بيت فإنني ... أخاف مذمات الأحاديث من بعدي)

(وإني لعبد الضيف ما دام ثاويا ... وما في إلا تلك من شيمة العبد)

وقال آخر

٣ – (وليس فتى الفتيان من جل همه ... صبوح وإن أمسى ففضل غبوق)

---

(١) شرح ديوان الحماسة للتبريزي التبريزي، أبو زكريا ٤٠٨/١

(٢) شرح ديوان الحماسة للتبريزي التبريزي، أبو زكريا ٤٤١/١

٤ - (ولكن فتى الفتيان من راح أو غدا ... لضر عدو أو لنفع صديق)

وقال حزاز بن عمرو من بني عبد مناف

بمؤاكلته والمعنى أن حاتما الطائي يقول لزوجته إذا فرغت من اتخاذ الزاد وإعداده فاطلبي من أجله من يؤاكلني فإني لم أعود نفسي الأكل وحدي

١ - أخا طارقا بدل من أكيلا في البيت الذي قبله والطارق الذي يأتي ليلا فإنني الخ معناه أنه لا يسرني أن يذمني الناس بعد حياتي ويصفوني بالبخل إذا تكلموا في شأن الجود والكرم

٢ - ثاويا أي مقيما معناه أني أقوم بخدمة الضيف مدة إقامته عندي وما في من شيء يقال له خدمة إلا خدمتي للضيف والمراد من ذلك أنه من أهل الجود والسيادة

٣ - الصبوح الشرب في أول النهار والغبوق الشرب في آخره

٤ - راح من الرواح وهو من زوال الشمس إلى الليل وغدا من الغدو وهو من أول النهار إلى الزوال ومعناه مع البيت الذي قبله ليس الفتى الكامل **الفتوة**." (١)

"(فإن بني لأم بن عمر وأرومة ... سمت فوق صعب لا تنال مراقبه)

(أضاءت لهم أحسابهم ووجوههم ... دجى الليل حتى نظم الجزع ثاقبه)

٣ - وقال آخر

٤ - (يا أيها المتمني أن يكون فتى ... مثل ابن ليلى لقد خلى لك السبلا)

٥ - (أعدد نظائر أخلاق عددن له ... هل سب أحد أو سب أو بخلا)

الشديد قيل له بنو لأم

١ - الأرومة الأصل والمراقب واحدها مرقبة وهي المكان المشرف العالي يقف عليه الحارس يقول إن بني لأم بن عمرو سادة أعزاء سموا فوق صعب من المجد يشق الارتقاء إليه يريدان بني لأم حازوا من المجد والشرف مالا يرام

٢ - نظم الجزع أي حمل ناظمه على نظمه والجزع خرز فيه بياض وسواد تشبه به العيون والضمير من ثاقبه يعود إلى الجزع معناه أن أحسابهم ووجوههم أضاءت لهم ظلام الليل حتى حملت في ضمن ذلك ناظم الجزع على نظمه يشير بهذا البيت إلى أنهم من ذوي الجاه والحسب

٣ - هو محمد بن بشير الخارجي من بني خارجة بن عدوان وقد تقدمت ترجمته هذا الشعر يرثي به سليمان بن الحصين

---

(١) شرح ديوان الحماسة للتبريزي التبريزي، أبو زكريا ٢٤٥/٢

وكان خليلا مصافيا له وصديقا مخلصا فلما مات سليمان جزع عليه وحزن حزنا شديدا فرثاه بهذه الأبيات

٤ - مثل ابن ليلى هو سليمان بن الحصين وقوله لقد خلى لك السبلا أي لقد ترك لك الطرق في اكتساب مناقب **الفتوة** معناه يا من تمنى أن يكون مثل ابن ليلى في فتوته لقد خلي لك الطرق في اكتساب مناقب **الفتوة**

٥ - أو سب أي هل سبه أحد معناه أنه صاحب." (١)

"(إذا ما صنعت الزاد فالتمسي له ... أكيلا فإني لست آكله وحدي)

(أخا طارقا أو جار بيت فإنني ... أخاف مذمات الأحاديث من بعدي)

٣ - (وإني لعبد الضيف ما دام ثاويا ... وما في إلا تلك من شيمة العبد)

وقال آخر

٤ - (وليس فتى الفتيان من جل همه ... صبوح وإن أمسى ففضل غبوق)

٥ - (ولكن فتى الفتيان من راح أو غدا ... لضر عدو أو لنفع صديق)

---

١ - إذا ما صنعت الزاد أي إذا فرغت من إعداد الزاد والأكيل من يؤاكلك والمعنى أن حاتما الطائي يقول لزوجته إذا فرغت من اتخاذ الزاد وإعداده فاطلبي من أجله من يؤاكلني فإني لم أعود نفسي الأكل وحدي

٢ - أخا طارقا بدل من أكيلا في البيت الذي قبله والطارق الذي يأتي ليلا فإنني الخ معناه أنه لا يسرني أن يذمني الناس بعد حياتي ويصفوني بالبخل إذا تكلموا في شأن الجود والكرم

٣ - ثاويا أي مقيما معناه أني أقوم بخدمة الضيف مدة إقامته عندي وما في خصلة من خصال العبد إلا خدمتي للضيف والمراد من ذلك أنه من أهل الجود والسيادة

٤ - من جل همه أي أكبر همه وقصده والصبوح الشرب في أول النهار والغبوق الشرب في آخره

٥ - راح من الرواح وهو من زوال الشمس إلى الليل وغدا من الغدو وهو من أول النهار إلى الزوال ومعناه مع البيت الذي قبله ليس الفتى الكامل **الفتوة** من يمضي أيامه في الأكل والشرب بل الفتى الكامل هو الذي يذل أعداءه ويعز أصدقاءه في كل أوقاته." (٢)

"الثالث: ذم الحلم ومدح العقاب.

الرابع: العداوات.

الخامس: الحسد.

السادس: التواضع والتكبر.

---

(١) شرح ديوان الحماسة للتبريزي التبريزي، أبو زكريا ٢/٢٧٢

(٢) شرح ديوان الحماسة للتبريزي التبريزي، أبو زكريا ٢/٣١٠

الحد الرابع: في النصرة والأخلاق، والمزح والحياء، والأمانة والخيانة، والرفعة والنذالة الأول: الجوار والنصرة.

الثاني: الأخلاق الحسنة والقبيحة.

الثالث: المزح والضحك حمدا وذما.

الرابع: الحياء «١» والوقاحة.

الخامس: الأمانة والخيانة السادس: المسابقة إلى المعالي، والرفعة والمجد.

السابع: النذالة والتأخر عن المكارم والمثالب «٢» ، وصيانة النفس **والفتوة** والمروءة.

الحد الخامس: في ذكر الأبوة والبنوة ومدحهما وذمهما والأقارب الأول: البنون والبنات.

الثاني: ممادح «٣» الأبوة ومذامها ووصف القبائل.

الثالث: الدعوة.

الرابع: الأقارب.

الحد السادس: في الشكر والمدح والذم والاغتياب والأدعية والتهنئة والهدية الأول: في الشكر.

الثاني: المدح ومستحقوه، والهجو وذووه.." (١)

"الحث على الرحمة ومدح ذويها

قال النبي صلى الله عليه وسلم: إرحم من في الأرض يرحمك من في السماء وقال صلى الله عليه وسلم: من لا يرحم الناس لا يرحمه الله، وقال عليه الصلاة والسلام: لا تنزع الرحمة إلا من قلب شقي.

وقال: من كرم أصله لان قلبه وقيل: من أمارات الكرم الرحمة ومن أمارات اللؤم القسوة.

الحث على العفو مطلقا

قال الله تعالى: وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم

«١» وقال تعالى: وأن تعفوا أقرب للتقوى

«

وقال تعالى: فاعفوا واصفحوا حتى يأتي الله بأمره

«٣» وأدب نبيه صلى الله عليه وسلم فقال: خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين

«٤» . فلما علم أن قد قبل أدبه.

قال: وإنك لعلى خلق عظيم. وقال الأحنف: إياكم وحمية الأوغاد. قيل وما حميتهم؟

قال: يرون العفو مغرما والبخل مغنما، وقيل لبعضهم: هل لك في الإنصاف أو ما هو خير من الإنصاف؟ قال: وأي شيء خير من الإنصاف؟ قال: العفو فالانصاف ثقيل، وسئل الجنيد رحمه الله عن **الفتوة** فقال: العفو بدلالة قوله تعالى: وليعفوا وليصفحوا

---

(١) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء الراغب الأصفهاني ١٧/١

«٥» ، وقيل: العفو عن المذنب زكاة النفس. قيل: من كرم الأخلاق أن تغفر الذنب من شكر الموهوب العفو عن الذنوب الاحتمال قبر العيوب. قال البحتري:

إذا أنت لم تضرب عن الحقد لم تفز ... بشكر ولم تسعد بتقريظ مادح «٦»

استطابة العفو ولذته

قيل: لذة العفو أطيب من لذة التشفي «٧» لأن لذة العفو يتبعها حمد العاقبة، ولذة التشفي يتبعها غم الندامة، وقيل للإسكندر: أي شيء أنت به أسر مما ملكت؟ قال: مكافأة من أحسن إلي بأكثر من إحسانه وعفوي عمن أساء بعد قدرتي عليه.

ما يستحسن في الكبار من الحلم وما يستقبح

قال معاوية رضي الله عنه وقد أغلظ له رجل: إني لا أحول بين الناس وبين ألسنتهم ما لم يحولوا بيننا وبين السلطان، وقال المأمون الحلم يحسن بالملوك إلا في ثلاثة: قادح في ملك ومتعرض لحرمة ومذيع لسر. وقال السفاح: الحلم يحسن إلا ما أوضع الدين وأوهن السلطان.

الحث على درء الحد

قال النبي صلى الله عليه وسلم: ادرؤا الحدود بالشبهات، وقال عمر رضي الله عنه: لأن يخطىء الإمام." [1]

"واختار من سعد لعين بني أبي ... سرح لوحي الله غير خيار «١»

الحث على نقض عهد الغادر

قال بعض العلماء: حق على من جعل لغادر عهدا أن ينقضه، لأن الله تعالى يقول:

لا ينال عهدي الظالمين

«٢» وقال الأعمش: نقض العهد مع من لا عهد له وفاء بالعهد.

الحث على الغدر والتبجح به

قال شاعر:

خرق على الناس وخرق لهم ... فإنما الدنيا مخاريق»

وقال مسعود الأسدي:

قالوا غدرت فقلت جير فربما ... نال العلى وشفى الغليل الغادر «٤»

وقال العباس بن الأحنف:

ملني واثقا بحسن وفائي ... ما أضر الوفاء بالإنسان

(٦) ومما جاء في المسابقة إلى المعالي والرفعة والمجد وصيانة النفس والمروءة **والفتوة** وتعظيم الأماثل

المدوح بأن مجاريه إلى العلاء تأخر عنه

---

(١) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء الراغب الأصفهاني ٢٨١/١

مدح كاتب رجلا قال: فلان طالت إلى المساعي خطاه وبذ «٥» بشأوه «٦» من ساعاه وجاراه.

وخطب عمر رضي الله عنه أبا بكر وفضله، فقال: وإنه كان كما قال الشاعر:

من يسع كي يدرك مسعاته ... يجتهد الشد بأرض فضاء

والله لا يدرك أيامه ... ذو مئزر ضاف ولا ذو رداء." (١)

"مدح إهانة النفس حيث تحمد

مدح أعرابي رجلا فقال: كان يهين نفسا كريمة لقومه ولا يبقي لغد ما وجد في يومه.

قالت الخنساء «١» :

نهين النفوس وهون النفو ... س يوم الكريهة أوفى لها

ويروى عن الشافعي رضي الله عنه:

أهين لهم نفسي لأكرمها بهم ... ولن تكرم النفس التي لا تهينها

ما جاء في الفتوة

قيل: الفتوة طعام موضوع ونائل مبذول وبشر مقبول وعفاف معروف وأذى مكفوف، وجاء جماعة إلى حسان فقالوا من الفتى؟ فقال:

إن الفتى لفتى الهواجر والثرى ... وفتى الطعان ومدره الحدثان «٢»

ذاك الفتى إن كان كهلا أو فتى ... ليس الفتى بمنعم الشبان

المروءة

قال معاوية لقرشي: ما المروءة؟ قال إطعام الطعام وضرب الهام. وقال ذلك لثقفي فقال: هي تقوى الله وإصلاح المعيشة. فقال لعمرو اقض بينهما. فقال: أما ما قال القرشي فهو المروءة وقد أجاد الثقفي ولم يصب ولكن من بدأ بكلام حسن زين بذلك سائر كلامه.

وإن المروءة أن تعطى من حرمك وتعفو عمن ظلمك.

وقال عبد الله بن عباس المروءة أن تحقق التوحيد وتركب المنهج السديد وتستدعى من الله المزيد، وقيل جماع المروءة في قول الله تعالى: إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون «٣» .

وقيل لعمرو بن العاص ما المروءة؟ فقال: العفة عما حرم. وقيل للأحنف ذلك فقال: أن لا تعمل في السر ما يستحيا منه في العلانية.

---

(١) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء الراغب الأصفهاني ١/٣٥٨

وقيل له مرة أخرى فقال: اجتناب الريب «٤» فإنه لا ينبل مريب، وإصلاح المال فلا مروءة لمحتاج، والقيام بحوائج الأهل فلا مروءة لمن يحتاج قومه إلى غيره، وقيل: لآخر." (١)

"وقال رجل من بني قريع:

وكائن رأينا من غني مذمم ... وصعلوك قوم مات وهو حميد

وقال أبو تمام:

لا يحسب الإقلال عدما بل يرى ... أن المقل من المروءة معدم «١»

طيب عيش مؤثر الفقر وعزته وفضله

كان سقراط فقيرا، فقال له بعض الملوك: ما أفقرك؟ فقال: لو عرفت راحة الفقر لشغلك التوجع لنفسك عن التوجع لي، فالفقر ملك ليس عليه محاسبة. وقيل له: لم لا يرى أثر الحزن عليك؟ فقال: لأني لم أتخذ ما إن فقدته أحزنني. وقال بعض الحكماء: من أحب أن تقل مصائبه فليقل قنيته للخارجات من يده، لأن أسباب الهم فوت المطلوب وفقد المحبوب، ولا يسلم منهما إنسان، لأن الثبات والدوام معدومان في عالم الكون والفساد.

وبهذا ألم ابن الرومي، فقال:

ومن سره أن لا يرى ما يسوؤه ... فلا يتخذ شيئا يخاف له فقدا

حكي أنه لما غرقت البصرة أخذ الناس يستغيثون، فخرج الحسن رضي الله عنه ومعه قصعة وعصا، فقال: نجا المخفون.

وقال بعض الزهاد، وقد قيل له أترضى من الدنيا بهذا؟

فقال: ألا أدلك على من رضي بدون هذا؟ قال: نعم، قال: من رضي بالدنيا بدلا من الآخرة.

وقيل لمحمد بن واسع رحمه الله: أترضى بالدون، فقال: إنما رضي بالدون من رضي بالدنيا وترك الآخرة.

طيب عيش من قنع بما رزق

سئل الفرغاني عن الفتوة، فقال: هو أن يكون في كل وقت بشرطه. وقيل لبزرجمهر أي الناس أقل هما، فقال: ليس في الدنيا إلا مهموم، ولكن أقلهم هما أفضلهم رضا وأقنعهم بما قسم.

وقيل لبعضهم: من أنعم الناس عيشا؟ فقال: من رضي بحاله ما كانت. وقيل: من رضي بما قسم له كان دهره مسرورا. وقيل لابن عوف ما تتمنى؟ فقال: أستحي أن أتمنى على الله ما ضمنه لي، قال بعض النقاد:

دنيا تخادعني كأني ... لست أعرف حالها

حظر الإله حرامها ... وأنا احتميت حلالها «٢»." (٢)

"فأقمت إلى العتمة، وعصيت الرسول، حيث قال: الداعي مستغيث فأغيثوه، فأخجلني.

قال كشاجم:

---

(١) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء الراغب الأصفهاني ٣٦٩/١

(٢) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء الراغب الأصفهاني ٦٠٠/١

تأخرت حتى كددت الرسول ... وحتى سئمت من الانتظار

وأوحشت إخوانك المسعدين ... وفجعتهم بشباب النهار

وأضرمت بالجوع أحشاءهم ... بنار تزيد على كل نار

فإن كنت تأمل أن لا تذم ... فأنت وحقك عين الحمار

وكتب الصاحب إلى أبي الحسن العلوي في أبيات، وكان قد عاد إلى داره لشغل ووعد أن يعود إليه، فلم يعد:

لم ملت في العود إلى التقصير ... كما يقال حوصلي وطيري «١»

الحث على ترك من تباطأ أو تأخر

قال ابن المعتز:

إذا ما تأخر من قد دعوت ... فدعه وما اختار من أمره

ولا تشربن بتذكاره ... ولكن تثاءب على ذكره

وقال آخر:

إن الفتوة كلها ... في أكل ما يتلهوج؟

فإذا تعجل خمسة ... من ستة قد أزعجوا

فدع انتظارك واحدا ... لجماعة قد زوجوا

إن البطيء عن الدعا ... ءإلى الإجاعة أحوج

المعتذر لتأخره عن من دعاه

كتب المهلبي إلى صديق دعاه فلم يمكنه الحضور:

لولا شغيل عاقني ... بالقرب حاول عن مزارك

لأتيت نحوك مسرعا ... ولصرت من غلمان دارك

فبحق طرفك وافتنا ... نك والمهذب من نجارك «٢»

إلا مننت وقلت لي ... إني وهبتك لاعتذارك

وقال ابن طباطبا:

أبسطوا العذر في التأخر عنكم ... شغل الحلي أهله أن يعارا." (١)

"فنبيل المنظر سخيف المخبر، وأما الخمر فمزاج الروح وصفية النفس.

وقيل لآخر: ما تقول في الماء؟ فقال: هو الحياة ويشركني فيه الحمار، فقيل فاللبن؟

قال: ما رأيته إلا ذكرت أمي واستحييت، قيل فالخمر؟ قال: تلك السارة البارة شراب أهل الجنة.

ودعا الوليد بن يزيد شراعة من الكوفة وهو من فتيانها، فلما قدم عليها، قال: إني والله لم أدعك لأسألك عن قرآن ولا

---

(١) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء الراغب الأصفهاني ٧٤٢/١

أستفتيك في سنة، فقال: لو سألتني عنهما لأصبتني فيهما ثورا، فلم دعوتني؟ قال: لأسألك عن **الفتوة**، فقال: أنا دهقانها الخبير وعالمها الطبيب فسل، فقال: ما تقول في نبيذ التمر قال: أشربه حتى تحر. قال فنبيذ الدن. قال: أشربه حتى تجن، قال فالدادي، قال: أحلى من الماذي، قال فنبيذ الزبيب، فستر وجهه وقال: العظمة لله، قال فالخمر، قال: لا أرى شربها، قال ولم، قال: لأني لا أؤدي شكرها.

قال أبو العيناء: النبيذ «١» - الخمر.

قال أبو نواس:

ولا تأخذ عن الإخوان لهوا ... ولا عيشا فعيشهم جديب

دع الألبان يشربها رجال ... رقيق العيش بينهم غريب

بأرض نبتها عشب وطلح ... وأكثر صيدها ضبع وذيب

إذا راب الحليب فبل عليه ... ولا تحرج فما في ذاك حوب «٢»

فأطيب منه صافية شمول ... يطوف بكاسها ساق أديب

يمد لك القنان إذا حساها ... ويفسخ عقد تكته الدبيب «٣»

فذاك العيش لا خيم البوادي ... وذاك العيش لا اللبن الحليب

وقال آخر:

الأشربات سوى ما كان من عنب ... داء وأي لبيب يشرب الداء

وصف الشراب بإزالة الغم

قيل لأعرابي أتحب الخمر؟ فقال: أي والله، فإنها تسرح في بدني بنورها وفي قلبي بسرورها. وقيل: لذة الدنيا في الغناء والطلاء والنساء والبناء، وجماع ذلك العافية والشباب والبقاء، ونحوه لأبي نواس:

إنما العيش سماع ... ومدام وغلام." (١)

"المتبجح منهم بالصبر على الضرب

قال أبو معن الزنجي: وكان النظام يقول لو ادعى النبوة وأن معجزته الصبر على الضرب بالسياط لأدخل عليهم به شبهة عظيمة.

وقال عثمان الخياط: ضربته يوما بشمراخ «١» رطب فالتوى إلتواء الحية وكاد يواثبني.

فقلت: أهذا صبرك؟ فقال: إنك لم تتعمد أحسبت أن صبري على السياط طبيعة إنما هو الكظم والصبر على قدر النظارة ألا ترى أنه قيل: أصبر الناس من ضرب في السجن خمسين سوطا لأنه إذا لم يكن من يمدحه تألم وإذا كان بين الناس بحيث يرونه فهو العزم والمروءة والقيام **بالفتوة**.

وقال بعضهم ضربت بالمدينة ثلاثين حدا على ثلاثين سكرا فما قلت: حس، وإن أحدكم ليتألم من دون حد.

---

(١) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء الراغب الأصفهاني ٧٨٤/١

قيل لبعضهم: من أصبر من رأيت؟ قال: عرفت صبر الهند على النيران وصبر الأعراب على مد الأعناق لسيوف السلطان وصبر السند على قطع الآذان وجدع الأنوف ولم أر أصبر من الفتيان تحت الضرب والثاني ربما يزهق في ألف درهم وعنده عشرة آلاف فيضرب سوطا أو سوطين فيخرج عن أهله وعشيرته.

فعل الطرارين

«٢» أتى بعضهم بزازا «٣» في غدوة وهو فارس مع غلام فقال: إئتني بجراب بلخي وجراب مروي وعجل وخذ الثمن فأخرج ذلك وساومه وأطمع التاجر. وقال: ائتني بآخر فلما دخل الحانوت قال: ما أضيع متاعكم وأنتم تسخرون بالناس لو أن إنسانا أخذ متاعك هذا وقفل الباب هكذا ما كنت تفعل. فحرك التاجر الباب يظن أنه يلعب فإذا هو قد مر إلى الساعة.

ودخل آخر على قوم فقال أحدهم: ما في الدنيا أعجب من فلان ترمي بخاتمك في الهواء فإن شئت أتاك به وإن شئت بغيره. فقال أنا أريكم ما هو أعجب من هذا. هاتوا خواتيمكم فأخذها كلها فجعلها في أصابعه وجعل يمشي القهقرى ويصفر، وينظر إلى عين الشمس حتى غاب عن أعينهم فطلبوه فلم يجدوه. فقالوا: هذا والله أعجب.

وصلى بعضهم مع قوم فلما سجدوا تناول نعلا كأنه يريد أن يقتل عقربا فضرب بها ثم الآخر بيساره كأنه يريد أن يتناولها فيرمي بها ويعود إلى الصلاة فمر بالنعل.

واكترت امرأة دارا ثم أظهرت أنها تريد تجصيصها لأنها تريد أن تزوج فيها ابنها، فأكترت أجراء وأخذت من الجيران آلات وجمعت متاع الاجراء والآلات في بيت ثم ذهبت.." (١)

"وقدر أنه عاجز عن قهر نفسه في تلك الخصلة الواحدة كما أنك عاجز عما أنت مبتلى به ولا تستثقله بخصلة واحدة مذمومة فأي الرجال المهذب وكل ما لا تصادفه من نفسك في حق الله فلا تنتظره من أخيك في حق نفسك فليس حقك عليه بأكثر من حق الله عليك

والأمر الثاني أنك تعلم أنك لو طلبت منزها عن كل عيب اعتزلت عن الخلق كافة ولن تجد من تصاحبه أصلا فما من أحد من الناس إلا وله محاسن ومساو فإذا غلبت المحاسن المساوي فهو الغاية والمنتهى فالمؤمن الكريم أبدا يحضر في نفسه محاسن أخيه لينبعث من قلبه التوقير والود والاحترام وأما المنافق اللئيم فإنه أبدا يلاحظ المساوي والعيوب

قال ابن المبارك المؤمن يطلب المعاذير والمنافق يطلب العثرات

وقال الفضيل الفتوة العفو عن زلات الإخوان ولذلك قال عليه السلام استعيذوا بالله من جار السوء الذي إن رأى خيرا ستره وإن رأى شرا أظهره (١)

وما من شخص إلا ويمكن تحسين حاله بخصال فيه ويمكن تقبيحه أيضا

روي أن رجلا أثنى على رجل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما كان من الغد ذمه فقال عليه السلام أنت بالأمس تثني عليه واليوم تذمه فقال والله لقد صدقت عليه بالأمس وما كذبت عليه اليوم إنه أرضاني بالأمس فقلت أحسن ما

---

(١) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء الراغب الأصفهاني ٢/٢١١

علمت فيه وأغضبني اليوم فقلت أقبح ما علمت فيه فقال عليه السلام إن من البيان لسحرا (٢)
وكأنه كره ذلك فشبهه بالسحر ولذلك قال في خبر آخر البذاء والبيان شعبتان من النفاق (٣)
وفي الحديث الآخر إن الله يكره لكم البيان كل البيان وكذلك قال الشافعي رحمه الله ما أحد من المسلمين يطيع الله ولا يعصيه ولا أحد يعصي الله ولا يطيعه
فمن كانت طاعته أغلب من معاصيه فهو عدل وإذا جعل مثل هذا عدلا في حق الله فبأن تراه عدلا في حق نفسك ومقتضى أخوتك أولى
وكما يجب عليك السكوت بلسانك عن مساويه يجب عليك السكوت بقلبك وذلك بترك إساءة الظن فسوء الظن غيبة بالقلب وهو منهي عنه أيضا وحده أن لا تحمل فعله على وجه فاسد ما أمكن أن تحمله على وجه حسن
فأما ما انكشف بيقين ومشاهدة فلا يمكنك أن لا تعلمه وعليك أن تحمل ما تشاهد على سهو ونسيان إن أمكن وهذا الظن ينقسم إلى ما يسمى تفرسا وهو الذي يستند إلى علامة فإن ذلك يحرك الظن تحريكا ضروريا لا يقدر على دفعه والى ما منشؤه سوء اعتقادك فيه حتى يصدر منه فعل له وجهان فيحملك سوء الاعتقاد فيه على أن تنزله على الوجه الأدرإ من غير علامة تخصه به وذلك جناية عليه بالباطن وذلك حرام في حق كل مؤمن
إذ قال صلى الله عليه وسلم إن الله قد حرم على المؤمن من المؤمن دمه وماله وعرضه وأن يظن به ظن السوء (٤)
وقال صلى الله عليه وسلم إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث (٥)
وسوء الظن

---

(١) حديث استعيذوا بالله من جار السوء الذي إن رأى خيرا ستره وإن رأى شرا أظهره أخرجه البخاري في التاريخ من حديث أبي هريرة بسند ضعيف وللنسائي من حديث أبي هريرة وأبي سعيد بسند صحيح تعوذوا بالله من جار السوء في دار المقام

(٢) حديث أن رجلا أثنى على رجل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما كان من الغد ذمه الحديث ﴿وفيه﴾ فقال صلى الله عليه وسلم إن من البيان لسحرا أخرجه الطبراني في الأوسط والحاكم في المستدرك من حديث أبي بكرة إلا انه ذكر المدح والذم في مجلس واحد لا يومين ورواه الحاكم من حديث ابن عباس أطول منه بسند ضعيف أيضا

(٣) حديث البذاء والبيان شعبتان من النفاق أخرجه الترمذي وقال حسن غريب والحاكم وقال صحيح على شرط الشيخين من حديث أبي أمامة بسند ضعيف

(٤) حديث إن الله حرم من المؤمن دمه وماله وعرضه وأن يظن به ظن السوء أخرجه الحاكم في التاريخ من حديث ابن عباس دون قوله وعرضه ورجاله ثقات إلا أن أبا على النيسابوري قال ليس هذا عندي من كلام النبي صلى الله عليه وسلم إنما هو عندي من كلام ابن عباس ولابن ماجه نحوه من حديث ابن عمر ولمسلم من حديث أبي هريرة كل المسلم على

المسلم حرام دمه وماله وعرضه

(٥) حديث إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة." [١]

"أما الفوائد فهي تنقسم إلى دنيوية ودينية أما الدنيوية فلا حاجة إلى ذكرها فإن معرفتها مشهورة مشتركة بين أصناف الخلق ولولا ذلك لم يتهالكوا على طلبها

وأما الدينية فتنحصر جميعها في ثلاثة أنواع

النوع الأول أن ينفقه على نفسه إما في عبادة أو في الاستعانة على عبادة أما في العبادة فهو كالاستعانة به على الحج والجهاد فإنه لا يتوصل إليهما إلا بالمال وهما من أمهات القربات والفقير محروم من فضلهما وأما فيما يقويه على العبادة فذلك هو المطعم والملبس والمسكن والمنكح وضرورات المعيشة فإن هذه الحاجات إذا لم تتيسر كان القلب مصروفا إلى تدبيرها فلا يتفرغ للدين وما لا يتوصل إلى العبادة إلا به فهو عبادة فأخذ الكفاية من الدنيا لأجل الاستعانة على الدين من الفوائد الدينية ولا يدخل في هذا التنعم والزيادة على الحاجة فإن ذلك من حظوظ الدنيا فقط

النوع الثاني ما يصرفه إلى الناس وهو أربعة أقسام الصدقة والمروءة ووقاية العرض وأجرة الاستخدام

أما الصدقة فلا يخفى ثوابها وإنها لتطفيء غضب الرب تعالى وقد ذكرنا فضلها فيما تقدم

وأما المروءة فنعني بها صرف المال إلى الأغنياء والأشراف في ضيافة وهدية وإعانة وما يجري مجراها فإن هذه لا تسمى صدقة بل الصدقة ما يسلم إلى المحتاج إلا أن هذا من الفوائد الدينية إذ به يكتسب العبد الإخوان والأصدقاء وبه يكتسب صفة السخاء ويلتحق بزمرة الأسخياء فلا يوصف بالجود إلا من يصطنع المعروف ويسلك سبيل المروءة **والفتوة** وهذا أيضا مما يعظم الثواب فيه فقد وردت أخبار كثيرة في الهدايا والضيافات وإطعام الطعام من غير اشتراط الفقر والفاقة في مصارفها

وأما وقاية العرض فنعني به بذل المال لدفع هجو الشعراء وثلب السفهاء وقطع ألسنتهم ودفع شرهم وهو أيضا مع تنجز فائدته بالعاجلة من الحظوظ الدينية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما وقى به المرء عرضه كتب له به صدقة (١)

وكيف لا وفيه منع المغتاب عن معصية الغيبة واحتراز عما يثور من كلامه من العداوة التي تحمل في المكافئة والانتقام على مجاوزة حدود الشريعة

وأما الاستخدام فهو أن الأعمال التي يحتاج إليها الإنسان لتهيئة أسبابه كثيرة ولو تولاها بنفسه ضاعت أوقاته وتعذر عليه سلوك سبيل الآخرة بالفكر والذكر الذي هو أعلى مقامات السالكين ومن لا مال له فيفتقر إلى أن يتولى بنفسه خدمة نفسه من شراء الطعام وطحنه وكنس البيت حتى نسخ الكتاب الذي يحتاج إليه وكل ما يتصور أن يقوم به غيرك ويحصل به غرضك فأنت متعوب إذا اشتغلت به إذ عليك من العلم والعمل والذكر والفكر ما لا يتصور أن يقوم به غيرك فتضييع الوقت في غيره خسران

النوع الثالث ما لا يصرفه إلى إنسان معين ولكن يحصل به خير عام كبناء المساجد والقناطر والرباطات ودور المرضى ونصب الجباب في الطريق وغير ذلك من الأوقاف المرصدة للخيرات وهي من الخيرات المؤبدة الدارة بعد الموت المستجلبة بركة أدعية

---

(١) إحياء علوم الدين أبو حامد الغزالي ١٧٧/٢

الصالحين إلى أوقات متمادية وناهيك بها خيرا فهذه جملة فوائد المال في الدين سوى ما يتعلق بالحظوظ العاجلة من الخلاص من ذل السؤال وحقارة الفقر والوصول إلى العز والمجد بين الخلق وكثرة الإخوان والأعوان والأصدقاء والوقار والكرامة في القلوب فكل ذلك مما يقتضيه المال من الحظوظ الدنيوية

---

(١) حديث ما وقى به المرء عرضه به فهو صدقة رواه أبو يعلى من حديث جابر وقد تقدم." (١)

"لا نفتي في مسألة إلا رد علينا يعني أبا حنيفة فقال ابن شبرمة لا أدري أهو ابن الحائك أم ما هو لكن اعلم أن الدنيا غدت إليه فهرب منها وهربت منا فطلبناها وكذلك قال جميع المسلمين على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم إنا نحب ربنا ولو علمنا في أي شيء محبته لفعلناه حتى نزل قوله تعالى ولو أنا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا من دياركم ما فعلوه إلا قليل منهم (١)

قال ابن مسعود رحمه الله قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم أنت منهم يعني من القليل قال وما عرفت أن فينا من يحب الدنيا حتى نزل قوله تعالى منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة واعلم أنه ليس من الزهد ترك المال وبذله على سبيل السخاء والفتوة وعلى سبيل استمالة القلوب وعلى سبيل الطمع فذلك كله من محاسن العادات ولكن لا مدخل لشيء منه في العبادات وإنما الزهد أن تترك الدنيا لعلمك بحقارتها بالإضافة إلى نفاسة الآخرة فأما كل نوع من الترك فإنه يتصور ممن لا يؤمن بالآخرة فذلك قد يكون مروءة وفتوة وسخاء وحسن خلق ولكن لا يكون زهدا إذ حسن الذكر وميل القلوب من حظوظ العاجلة وهي ألذ وأهنأ من المال وكما أن ترك المال على سبيل السلم طمعا في العوض ليس من الزهد فكذلك تركه طمعا في الذكر والثناء والاشتهار بالفتوة والسخاء واستثقالا له لما في حفظ المال من المشقة والعناء

والحاجة إلى التذلل للسلاطين والأغنياء ليس من الزهد أصلا بل هو استعجال حظ آخر للنفس بل الزاهد من أتته الدنيا راغمة صفوا عفوا وهو قادر على التنعم بها من غير نقصان جاه وقبح اسم ولا فوات حظ للنفس فتركها خوفا من أن يأنس بها فيكون آنسا بغير الله ومحبا لما سوى الله ويكون مشركا في حب الله تعالى غيره

أو تركها طمعا في ثواب الله في الآخرة فترك التمتع بأشربة الدنيا طمعا في أشربة الجنة وترك التمتع بالسراري والنسوان طمعا في الحور العين وترك التفرج في البساتين طمعا في بساتين الجنة وأشجارها وترك التزين والتجمل بزينة الدنيا طمعا في زينة الجنة وترك المطاعم اللذيذة طمعا في فواكه الجنة وخوفا من أن يقال له أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا فآثر في جميع ذلك ما وعد به في الجنة على ما تيسر له في الدنيا عفوا وصفوا لعلمه بأن ما في الآخرة خير وأبقى وأن ما سوى هذا فمعاملات دنيوية لا جدوى لها في الآخرة أصلا

بيان فضيلة الزهد

قال الله تعالى فخرج على قومه في زينته إلى قوله

تعالى وقال الذين أوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن آمن فنسب الزهد إلى العلماء ووصف أهله بالعلم وهو غاية الثناء

---

(١) إحياء علوم الدين أبو حامد الغزالي ٣/٢٣٦

وقال تعالى أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا وجاء في التفسير على الزهد في الدنيا وقال عز وجل إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملا قيل معناه أيهم أزهد فيها فوصف الزهد بأنه من أحسن الأعمال وقال تعالى من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وما له في الآخرة من نصيب وقال تعالى ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى وقال تعالى الذين يستحبون الحياة الدنيا على الآخرة فوصف الكفار بذلك فمفهومه أن المؤمن هو الذي يتصف بنقيضه وهو أن يستحب الآخرة على الحياة الدنيا

(١) حديث قال المسلمون إنا نحب ربنا ولو علمنا في أي شيء محبته لفعلناه حتى نزل قوله تعالى ولو أنا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم الآية لم أقف له على أصل." (١)

"٣٤١٠- لما استد ساعده رماني

يضرب لمن يسيء إليك وقد أحسنت إليه قال الشاعر:

فيا عجبا لمن ربيت طفلا ... ألقمه بأطراف البنان

أعلمه الرماية كل يوم ... فلما استد ساعده رماني

وكم علمته نظم القوافي ... فلما قال قافية هجاني

أعلمه الفتوة كل وقت ... فلما طر شاربه جفاني." (٢)

"ذكر رويم بن أحمد بن يزيد بن رويم رحمه الله تعالى

بغدادي من جلة مشايخهم، وجده يزيد بن رويم، حدث عن الليث بن سعد ، وغيره، وكان رويم بن أحمد مقرئا، قرأ على إدريس بن عبد الكريم الحداد، وكان فقيها على مذهب داود الأصبهاني.

سئل رويم عن آداب المسافر قال: لا يجاوز همه قدمه، وحيث ما وقف قلبه يكون منزله.

وقال لا يزال الصوفية بخير ما تنافروا فإذا اصطلحوا هلكوا.

وسئل رويم عن الفتوة فقال أن تعذر إخوانك في زلاتهم ، ولا تعاملهم بما تحتاج أن تعتذر منه.." (٣)

"وقال: من لم يستغنم السكوت فإذا نطق نطق بلغو وقال: قيل لبعض العارفين: ما الذي حبب إليك الخلوة ونفى عنك الغفلة؟ قال: وثبة الأكياس من فخ الدنيا.

وقال عبد الله: من أراد أن يعرف متابعته للحق فلينظر إلى من يخالفه، في مراد له، كيف يجد نفسه عند ذلك، فإن لم يتغير فليعلم أن نفسه متابع للحق.

(١) إحياء علوم الدين أبو حامد الغزالي ٤/٢١٩

(٢) مجمع الأمثال الميداني، أبو الفضل ٢/٢٠٠

(٣) سير السلف الصالحين لإسماعيل بن محمد الأصبهاني إسماعيل الأصبهاني ص/١١١٣

وقال: الدنيا هي التي تحجبهم عن مولاهم.

ذكر علي بن أحمد البوسنجي رحمه الله، كنيته أبو الحسن

كان عارفا بعلوم المعاملات، حسن الطريقة في **الفتوة** والتجريد، سئل عن السنة فقال: البيعة تحت الشجرة، وما وافق ذلك من الأقوال والأفعال.

وقال: ليس شيء في الدنيا أسمج من محب بسبب وعوض.." (١)

"قال ابن الجلاء: لقيت ست مائة شيخ ما لقيت فيهم مثل أربعة، أولهم أبو تراب النخشبي، توفي بالبادية، قيل: نهشته السباع.

وقال أبو تراب: أيها الناس، أنتم تحبون ثلاثة، وليس هي لكم: تحبون النفس وهي لله، وتحبون الروح والروح لله، وتحبون المال والمال للورثة، وتطلبون اثنتين ولا تجدونهما: الفرح، والراحة وهما في الجنة.

قال أهل التاريخ: كان أبو تراب من جلة مشايخ خراسان، والمذكورين بالعلم، **والفتوة**، والتوكل، والزهد، والورع.

وقال أبو تراب: ليس من العبادات شيء أنفع من إصلاح خواطر القلوب.

وقال: أشرف القلوب قلب حي بنور الفهم عن الله عز وجل.

وقال رجل لأبي تراب: ألك حاجة؟ قال: يوم يكون لي إليك وإلى أمثالك حاجة لا يكون لي إلى الله حاجة.

وقال: الفقير قوته ما وجد، ولباسه ما ستر، ومسكنه حيث نزل.

وقال: حقيقة الغنى أن تستغني عمن هو مثلك.." (٢)

"٤٥- أوحى الله إلى بعض أنبيائه: إذا عصاني من يعرفني سلطت عليه من لا يعرفني.

٤٦- سئل فضيل «١» عن **الفتوة** «٢» فقال: الصفح عن عثرات الأخوان.

٤٧- إبراهيم بن أدهم: أطلب لأخيك المعاذر من سبعين بابا، فإن لم تجد له عذرا فاعذره أنت.

٤٨- أحمد بن عاصم الأنطاكي العابد «٣» : هذه غنيمة باردة «٤» :

أصلح ما بقي يغفر لك ما مضى.

٤٩- اعتذر رجل إلى أبي عبيد الله «٥» كاتب المهدي فأكثر، فقال له: ما رأيت عذرا أشبه باستئناف ذنب من هذا العذر.

٥٠- كتب الموصلي «٦» إلى الفضل بن الربيع «٧» وقد وجد عليه «٨» :

إن لكل ذنب عفوا وعقوبة، فذنوب الخاصة عندك مغفورة، وأما مثلي من العامة فذنبه لا يغفر، فعاقبني باعراض لا يؤدي

(١) سير السلف الصالحين لإسماعيل بن محمد الأصبهاني إسماعيل الأصبهاني ص/١١٤٤

(٢) سير السلف الصالحين لإسماعيل بن محمد الأصبهاني إسماعيل الأصبهاني ص/١٢١٠

إلى مقت، والسلام.

٥١- كتب أبو دلامة «٩» إلى أبي جعفر «١٠» من السجن:." (١)

"لمنادمة مثله، فاستحضره، فقال له: يا شراعة، إني والله ما أرسلت إليك لأسألك عن كتاب الله ولا سنة رسوله، فقال: لو سألتني عنها لوجدتني فيها حمارا. قال: ولكن لأسألك عن الفتوة، قال: فأنا دهقانها الخبير، وطبيبها الرفيق. فقال له: ما تقول في الشراب؟ فقال: عن أيه تسألني؟

قال: عن الماء، قال: هو قوام البدن ويشاركني فيه الحمار. قال:

فاللبن؟ قال: ما نظرت إليه إلا استحييت من أمي لطول إرضاعها لي.

قال: فالخمر؟ قال: إنه صديق روحي. قال الوليد: وأنت أيضا صديقي. ثم سأله عن أصلح مكان للشرب، فقال: عجبت لمن لا تحرقه الشمس ولا يغرقه المطر لا يشرب مصحرا، فوالله ما شرب الناس على وجه أحسن من وجه الماء، وصفو الهواء، وخضرة الكلأ، وسعة الفضاء، وقمر الشتاء.

١٠٥- قيل لرجل: ما تقول في نبيذ السعن «١» ؟ قال: نبيذ الرعن»

. قال: ففي نبيذ الجر «٣» ؟ قال: اشرب حتى تجر. قال: فنبيذ الدن؟ قال: اشرب حتى تجن. قال فالداذي «٤» ؟ قال: أحلى من العسل الماذي «٥» . قال: فنبيذ العسل والزبيب؟ فستر وجهه وقال: العظمة لله! قال: فالخمر؟ قال: لا تشربوها. قال: ولم؟ قال: أخاف أن لا تؤدوا شكرها فتنتزع منكم.." (٢)

"أو ترك، ثم نفى أن يقبل منها شفاعة شفيع فعلم أنها لا تقبل للعصاة. فإن قلت: الضمير في (ولا يقبل منها) إلى أى النفسين يرجع؟ قلت: إلى الثانية العاصية غير المجزى عنها، وهي التي لا يؤخذ منها عدل. ومعنى لا يقبل منها شفاعة: إن جاءت بشفاعة شفيع لم يقبل منها.

ويجوز أن يرجع إلى النفس الأولى، على أنها لو شفعت لها لم تقبل شفاعتها، كما لا تجزى عنها شيئا، ولو أعطت عدلا عنها لم يؤخذ منها ولا هم ينصرون يعنى ما دلت عليه النفس المنكرة من النفوس الكثيرة والتذكير بمعنى العباد والأناسى، كما تقول: ثلاثة أنفس.

[سورة البقرة (٢) : آية ٤٩]

وإذ نجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب يذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم (٤٩)

أصل آل أهل، ولذلك يصغر بأهيل، فأبدلت هاؤه ألفا. وخص استعماله بأولى الخطر والشأن كالملوك وأشباههم، فلا يقال آل الإسكاف والحجام. وفرعون علم لمن ملك العمالقة، كقيصر: لملك الروم، وكسرى: لملك الفرس. ولعتو الفراعنة اشتقوا:

---

(١) ربيع الأبرار ونصوص الأخيار الزمخشري ١٠١/٢

(٢) ربيع الأبرار ونصوص الأخيار الزمخشري ٢٧/٥

تفرعن فلان، إذا عتا وتجبر. وفي ملح بعضهم:

قد جاءه الموسى الكلوم فزاد فى ... أقصى تفرعنه وفرط عرامه «١»

وقرئ: أنجيناكم، ونجيتكم يسومونكم من سامه خسفا إذا أولاه ظلما. قال عمرو بن كلثوم:

إذا ما الملك سام الناس خسفا ... أبينا أن يقر الخسف فينا «٢»

---

(١) . الضمير للصبي. وقيل لذكره. والموسى: آلة الحلق والختان، من أوسى رأسه حلقه. وقال الفراء وغيره هي فعلى ويؤنث. يقال. رجل ماس مثل مال، أى خفيف طياش. وقيل: هو مفعل. وذلك كناية عن ختانه به، لأنه يورث النمو **والفتوة**. وقيل: عن حلق العانة، لأنه زمن بلوغ الأشد. واختار السعد الأول لأنه أنسب بالمقام. والكلوم: كثير الكلم- أى الجرح- والتفرعن: العتو والتجبر، مأخوذ من فرعون لشهرته بالطغيان والظلم والتكبر. والعرام كغراب: الشدة والحدة والخبث. ويمكن أنه من الفرع، لارتفاعه وعلوه على غيره.

(٢) . لعمرو بن كلثوم من معلقته. «وما» زائدة. «والملك» بالسكون: لغة فيه. ويقال: سامه ذلا، إذا أولاه إياه وألحقه به. وقيل: إذا كلفه ما فيه ذل وأكرهه عليه. والخسف- بفتح الخاء وضمها-: الذل. يقول إذا ألحق بالناس الذل منعناه إقرار الذل فينا، ولم ننقد له كسائر الناس، لشجاعتنا على جميع من سوانا.." (١)

"أى بالفداء وتكفرون ببعض أى بالقتال والإجلاء. وذلك أن قريظة كانوا حلفاء الأوس، والنضير كانوا خلفاء الخزرج، فكان كل فريق يقاتل مع حلفائه، وإذا غلبوا خربوا ديارهم وأخرجوهم، وإذا أسر رجل من الفريقين جمعوا له حتى يفدوه. فعيرتهم العرب وقالت كيف تقاتلونهم ثم تفدونهم، فيقولون: أمرنا أن نفديهم وحرم علينا قتالهم، ولكنا نستحيي أن نذل حلفاءنا. والخزي: قتل بنى قريظة وأسرهم وإجلاء بنى النضير. وقيل الجزية.

وإنما رد من فعل منهم ذلك إلى أشد العذاب، لأن عصيانه أشد. وقرئ: يردون، ويعملون- بالياء والتاء- فلا يخفف عنهم عذاب الدنيا بنقصان الجزية، ولا ينصرهم أحد بالدفع عنهم. وكذلك عذاب الآخرة.

[سورة البقرة (٢) : الآيات ٨٧ الى ٨٩]

ولقد آتينا موسى الكتاب وقفينا من بعده بالرسل وآتينا عيسى ابن مريم البينات وأيدناه بروح القدس أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون (٨٧) وقالوا قلوبنا غلف بل لعنهم الله بكفرهم فقليلا ما يؤمنون (٨٨) ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين (٨٩)

الكتاب التوراة، آتاه إياها جملة واحدة. ويقال: قفاه إذا أتبعه من القفا. نحو ذنبه، من الذنب. وقفاه به: أتبعه إياه، يعنى: وأرسلنا على أثره الكثير من الرسل، كقوله تعالى: (ثم أرسلنا رسلنا تترا) وهم يوشع وأشمويل وشمعون وداود وسليمان وشعيا

---

(١) تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل الزمخشري ١/١٣٧

وأرميا وعزير وحزقيل وإلياس واليسع ويونس وزكريا ويحيي وغيرهم. وقيل (عيسى) بالسريانية أيشوع. و (مريم) بمعنى الخادم. وقيل: المريم بالعربية من النساء، كالزير من الرجال «١» . وبه فسر قول رؤبة:

قلت لزير لم تصله مريمه «٢»

---

(١) . قوله «كالزير من الرجال» في الصحاح: هو الذي يحب محادثة النساء ومجالستهن. (ع)

(٢) .

قلت لزير لم تصله مريمه ... ضليل أهواء الصبا تندمه

لرؤبة بن العجاج يعاتب أبا جعفر الدوانيقي على البطالة ومغازلة النساء. سمى بذلك لأنه زاد في الخراج دوانق أيام خلافته، كذا في الكشف. والزير من يكثر مودة النساء وزيارتهن. والمريم: من تكثر مودة الرجال وزيارتهم.

قال أبو عمرو: من رام بريم، ومعناه بقي أو ذهب. وريمت السحابة تريما: دامت، لدوامها على المودة، أو لخروجها من بيتها. والضليل كثير الضلال. والصبا: الميل إلى الجهل **والفتوة**. وتندمه: بمعنى ندمه، فهر مصدر مرفوع فاعل ضليل. ولعل معناه أن ندمه ضال ضائع في أهواء الصبا. ويروى «مندمه» بصيغة اسم الفاعل. وضليل:

مرفوع على الابتداء، ومندمه خبره. ولعل معناه أن الرجل كثير الضلال يعنى نفسه هو الذي يندمه ويجعله نادما، أى يأمره بالندم. وقال عبد الحكيم على البيضاوي نقلا عن الكشف: أى قلت له من كثر ضلاله يكون مندم نفسه وموقعها في الندامة. واللام في قوله لزير للتعليل أى قلت ذلك القول لأجله، هذا توجيه ما قيل فيه. ولو جعلت ضليل صفة زير كالوجه الأول، وتندمه فعل أمر مقول القول، حرك بالضم لالتقائه ساكنا مع هاء السكت ولمناسبة القافية لجاز: أى قلت له تندم وتب، لكن فيه تكلف شاذ.." (١)

"بضم الواو تشبيها لها بواو الجمع في قوله فتمنوا الموت. يهلكون أنفسهم إما أن يكون بدلا من سيحلفون، أو حالا بمعنى مهلكين. والمعنى: أنهم يوقعونها في الهلاك بحلفهم الكاذب وما يحلفون عليه من التخلف. ويحتمل أن يكون حالا من قوله لخرجنا أى لخرجنا معكم، وإن أهلكنا أنفسنا وألقيناها في التهلكة بما نحملها من المسير في تلك الشقة. وجاء به على لفظ الغائب، لأنه مخبر عنهم. ألا ترى أنه لو قيل: سيحلفون بالله لو استطاعوا لخرجوا، لكان سديدا. يقال: حلف بالله ليفعلن ولأفعلن، فالغيبة على حكم الإخبار، والتكلم على الحكاية.

[سورة التوبة (٩) : آية ٤٣]

عفا الله عنك لم أذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين (٤٣)

عفا الله عنك كناية عن الجناية، لأن العفو رادف لها «١» . ومعناه: أخطأت وبئس ما فعلت «٢» . ولم أذنت لهم بيان لما كنى عنه بالعفو. ومعناه: مالك أذنت لهم في القعود عن الغزو حين استأذنوك واعتلوا لك بعللهم وهلا استأنيت بالإذن

---

(١) تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل الزمخشري ١٦١/١

حتى يتبين لك من صدق في عذره ممن كذب فيه. وقيل شيئان فعلهما رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يؤمر بهما: إذنه للمنافقين وأخذه من الأسارى فعاتبه الله تعالى.

[سورة التوبة (٩) : آية ٤٤]

لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم والله عليم بالمتقين (٤٤)

لا يستأذنك ليس من عادة المؤمنين «٣» أن يستأذنوك في أن يجاهدوا، وكان الخلص

---

(١) . قال محمود: «هذا كناية عن الجناية، لأن العفو رادف لها ... الخ» قال أحمد رحمه الله: ليس له أن يفسر هذه الآية بهذا التفسير، وهو بين أحد أمرين: إما أن لا يكون هو المراد. وإما أن يكون هو المراد، ولكن قد أجل الله نبيه الكريم عن مخاطبته بصريح العتب، وخصوصا في حق المصطفى عليه الصلاة والسلام، فالزمخشرى على كلا التقديرين ذاهل عما يجب من حقه عليه الصلاة والسلام. ولقد أحسن من قال في هذه الآية:

إن من لطف الله تعالى بنبيه أن بدأه بالعفو قبل العتب، ولو قال له ابتداء: لم أذنت لهم؟ لتفطر قلبه عليه الصلاة والسلام، فمثل هذا الأدب يجب احتذاؤه في حق سيد البشر عليه أفضل الصلاة والسلام.

(٢) . قوله «ومعناه أخطأت وبئس ما فعلت» خاطب الله رسوله خطاب الرقة والرأفة، وفسره المصنف بخطاب الغلظة والقسوة، وشتان ما بينهما. (ع)

(٣) . عاد كلامه. قال: وقوله لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله- إلى قوله- إنما يستأذنك الذين لا يؤمنون بالله ... الآية قال: معناه ليس من عادة المؤمنين أن يستأذنوك في أن يجاهدوا ... الخ» قال أحمد: وهذا الأدب يجب أن يقتفى مطلقا، فلا يليق بالمرء أن يستأذن أخاه في أن يسدى إليه معروفا، ولا بالمضيف أن يستأذن ضيفه في أن يقدم إليه طعاما، فإن الاستئذان في أمثال هذه المواطن أمارة التكلف والتكره، وصلوات الله على خليله وسلامه لقد بلغ من كرمه وأدبه مع ضيوفه، أنه كان لا يتعاطى شيأ من أسباب التهيؤ للضيافة بمرأى منهم، فلذلك مدحه الله تعالى على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم بهذه الخلة الجميلة والآداب الجليلة، فقال تعالى فراغ إلى أهله فجاء بعجل سمين أى ذهب على خفاء منهم كيلا يشعروا به، والمهتم بأمر ضيفه بمرأى منه ربما يعد كالمستأذن له في الضيافة، فهذا من الآداب التي ينبغي أن يتمسك بها ذوو المروءة وأولو الفتوة، وأشد من الاستئذان في الخروج للجهاد ونصرة الدين التثاقل عن المبادرة إليه بعد الحض عليه والمناداة، وأسوأ أحوال المتثاقل- وقد دعى الناس إلى الغزاة- أن يكون متمسكا بشعبة من النفاق نعوذ بالله من التعرض لسخطه.." (١)

"هذه الجرائر «١» أن يذكروا بالفسق. وفي قوله بعد الإيمان ثلاثة أوجه: أحدها استقباح الجمع بين الايمان وبين الفسق الذي يأباه الإيمان ويحظره، كما تقول: بئس الشأن بعد الكبرة الصبوة «٢» . والثاني: أنه كان في شتائمهم لمن أسلم

---

(١) تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل الزمخشري ٢/٢٧٤

من اليهود: يا يهودى يا فاسق، فنهوا عنه، وقيل لهم: بئس الذكر أن تذكروا الرجل بالفسق واليهودية بعد إيمانه، والجملة على هذا التفسير متعلقة بالنهى عن التنابز. والثالث: أن يجعل من فسق غير مؤمن، كما تقول للمتحول عن التجارة إلى الفلاحة: بئست الحرفة الفلاحة بعد التجارة.

[سورة الحجرات (٤٩) : آية ١٢]

يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه واتقوا الله إن الله تواب رحيم (١٢)

يقال: جنبه الشر إذا أبعده عنه، وحقيقته: جعله منه في جانب، فيعدى إلى مفعولين.

قال الله عز وجل واجنبني وبني أن نعبد الأصنام ثم يقال في مطاوعه: اجتنب الشر فتقص المطاوعة مفعولا، والمأمور باجتنابه هو بعض الظن، وذلك البعض موصوف بالكثرة: ألا ترى إلى قوله إن بعض الظن إثم؟ فإن قلت: بين الفصل بين كثيرا، حيث جاء نكرة وبينه لو جاء معرفة. قلت: مجيئه نكرة يفيد معنى البعضية، وإن في الظنون ما يجب أن يجتنب من غير تبيين لذلك ولا تعيين، لئلا يجترئ أحد على ظن إلا بعد نظر وتأمل، وتمييز بين حقه وباطله بأمارة بينة، مع استشعار للتقوى والحذر، ولو عرف لكان الأمر باجتناب الظن منوطا بما يكثر منه دون ما يقل، ووجب أن يكون كل ظن متصف بالكثرة مجتنبا، وما اتصف منه بالقلة مرخصا في تظننه. والذي يميز الظنون التي يجب اجتنابها عما سواها: أن كل ما لم تعرف له أمارة صحيحة وسبب ظاهر: كان حراما واجب الاجتناب، وذلك إذا كان المظنون

---

(١) . قوله «هذه الجرائر» جمع جريرة، وهي الجناية. أفاده الصحاح. (ع)

(٢) . قوله «بعد الكبرة الصبوة» الكبرة- بالفتح-: اسم للكبر في السن. والصبوة: الميل إلى الجهل والفتوة. أفاده الصحاح. (ع)." (١)

"جمعها وتصغيرها وما صرف منها، كقولهم: رجل استه، وستهم، بمعنى استه، وامرأة ستهاء، والميم فى ستهم زائدة (١)، كما زيدت فى زرقم.

ولما حذفوا لامها صارت إلى ست، بوزن فع، فأسكنوا فاءها، واجتلبوا لها همزة الوصل تعويضا من محذوفها.

وأما «ابن» فأصله: بنو، فعل، مفتوح العين، بدلالة جمعه على أفعال، كأجبال، فلا يجوز أن يقال: إن أصله بنو، بكسر أوله وسكون ثانيه، بدلالة كسر بائه في بنت، فيكون كقنو (٢)، وجمع على أبناء، كأقناء، لأن هذا يبطل بفتح الباء فى بنين وبنات وبنوي.

/وأكثر النحويين حكموا بأن المحذوف منه واو، واستدلوا بظهور الواو فى البنوة.

وقال آخرون: ليس ظهور الواو فى البنوة بدليل على أن لامه واو؛ لقولهم فى مصدر الفتى: الفتوة، ولامه ياء، بدلالة ظهور

---

(١) تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل الزمخشري ٤/٣٧١

الياء فى فتيان وفتيان وفتيات، قالوا:

وإذا لم يكن فى البنوة دلالة على الواو، فأصله بنى، فعل من بنيت، لأن الابن مبنى على الأب، وهذا قول، وإن كان معظم النحويين على القول الأول (٣).

وأشكل ما فى هذا الاسم قولهم فى جمع مصغره: أبينون، قال سلمى بن ربيعة السيدى:

زعمت تماضر أننى إما أمت ... يسدد أبينوها الأصاغر خلتى (٤)

---

(١) الستهم: العظيم الاست، والزرقم: الأزرق الشديد الزرقة، وانظر المنصف ١/ ٦١، وسر صناعة الإعراب ص ١٧٠،٤٣١،٦٠٤.

(٢) القنو: عذق النخل، وهو الكباسة، كالعنقود من العنب. ومثل الجوهرى لهذا البناء بجذع، راجع الصحاح (بنا). وانظر الخصائص ١/ ٢٠١، وشرح الشافية ٢/ ٢٥٥.

(٣) راجع سر صناعة الإعراب ص ١٥٠، وشرح الملوكى ص ٤٠١، وشرح الشافية ٢/ ٢٥٧، ٢٥٨، واللسان (بنا).

(٤) فرغت منه فى المجلس السابع.." [١]

"كسرت لجبر الدين أوعية الخمر ... فأحرزت خصل السبق في الكسر والجبر

عمدت إلى الشر الذي جمعوا له ... ففرقت منه فاسترحنا من الشر في أبيات غير هذه استبردت جملتها. وإنما ذهب إلى عكس قول من تقدم من عباث الشعراء من ذم صب الشراب، ومن أشهره قول بكر ابن خارجة الكوفي، وقد رأى من سلطان وقته مثل ذلك فقال:

يا لقومي مما جنى السلطان ... لا يكن للذي أهان الهوان

سكبوا في التراب من حلب الكر ... م عقارا كأنها الزعفران

صبها في مكان سوء لقد صا ... دف سعد السعود ذاك المكان

من كميت يبدي المزاج لها لؤ ... لؤ نظم والفصل فيها جمان

فإذا ما اصطبحتها صغرت في القد ... ر عندي من أمه الخيزران

كيف صبري عن بعض نفسي موهل يص - ... بر عن بعض نفسه الإنسان - وبلغني أن الجاحظ أنشد هذه الأبيات، فقال للمنشد: " من حق الفتوة أن أكتبها قائما، وما أقدر إلا أن تعمدني " لنقرس كان به. قال المحدث: فعمدته وقام فكتبها.

وكان بكر بن خارجة هذا مولى بني أسد، طيب الشعر، خليعا ماجنا، وكان يألف هدهدا في موضع يأتيه كل يوم بقنينة شراب، فلا يزال." [٢]

---

(١) أمالي ابن الشجري ابن الشجري ٢/٢٨٤

(٢) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة الشنتريني ١/٣٩٠

"النساك، ولباس المنقطعين للتعبد، وعمدة الطراز الأول من السلف. فإن قلت: وهاهو في جزيرتك زي رهبان البيع وأرباب الخانات، وهم أضعف الناس أحلاما وأدناهم طينة، والقائلون بأن الله ثلاثة – تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا. فجملة القول في هذا المعنى أنه لم يحجب الله تعالى وجوه المعاش، التي يصحبها جميل النظر، ويلوح عليها سيما البركة عن جنس من خلفه دون جنس، ولا أبداها إلى صنف وحجبها عن صنف، بل ألهم الكل إلى رشده، وعرفه نهج معرفته، الأشكال والمراتب، واختلفت النحل والمذاهب. كما جعلها لقدرته في سائر الحيوان من الطائر والداخر بين الآنس والشارد في صحصح القفر، كل ختلف مسعاه لنفسه، ووجه تدبيره لشأنه، على ما يسر ما تعود وألهم إليه. والمعلمون نظروا إلى ضعف سبب اكتسابهم، وفكروا في تيسر ما تعود عليهم صناعتهم، فأخذوا بالأقوى والأرفق، واعتمدوا على الأرخص والأوفق، ثم علموا أنهم إن تحاملوا على أنفسهم، وافترشوا ما يزينهم لم يلبث أحدهم أن يقوم عن مجلسه لبعض الأمر أو لقضاء الفرض، فتقوم حرب لعب الصبيان على ساق، وتبلغ بتمزيق ذلك الذي افترشه وغالى فيه بالأيدي والأقدام، والترامي والأزدحام، ما لا تبلغ أنياب كلاب القنص في إهاب العقيرة، فيعود ما يسخن العين، ويوجب الرين. وهذا النوع الذي أنسوا إلى خيره، وآثروه على غيره، لو أقامه الصبيان مقام الطبل، وجعلوه هدفا للنبل، لم يكن أثرهم فيه إلا أثر الندى في صم الصفا.

وفي اختلاف ألوانه تذكرة للناظر إليه، وعظة لمجيل بصره فيه، فما كان منه أسود ذكر بسواد الشباب، وقميص الفتوة، وطيب زمن الحداثة، فأبكى لفراقه، وقلة المتعة به؛ وما كان أبيض ذكر ببياض المشيب، ونذير الرحلة ورائد الأجل، فجر إلى العبادة وبعث على صالح العمل.

هذه – أبقاك الله – خصال لو قسمت على كل مستعمل لهذا الشأن من رخيص وغال، ودون وعال، لأربت على الكفالة، وجازت مدى الغاية، فعها من ممليها، ودع القوس لباريها، وأسلم أعنة الجياد إلى مجريها. لم آت في معناها بظلمة تحتاج إلى صباحك، ولا جئت بلفظ ذي تهمة يضطر إلى إيضاحك. فإن كنت قد لبست شكة المعارضة، وأوترت قسي المناقضة، ورشت سهام المناقلة، فإلى غيري فاكشف صفحتك." (١)

"ومنهم الوزير الفقيه أبو بكر بن الملح

قال ابن بسام: وأبو بكر، فرد من أفراد العصر، وهو من بيت أصالة، وبحبوحة جلالة، وفارس ميداني الزهد والبطالة، وشاعر ناد، وخطيب أعواد، غبر صدرا من زمانه لا يحفل بعاذل، ولا يصغي في الفتوة إلى قول قائل، وكان في ذلك أحسن من التوريد في الخد، وبمكان الحلمة من النهد، والدين في أثناء [٨٧ب] تلك الوهلة، وبين خصاصات تلك الغفلة، يستطيل غيبته، وينتظر أوبته، فلما أقصر باطله، وأسمعه عذاله وعواذله، تلقاه باليمين، واشتراه بالثمن الثمين، فأصبح سجير عنزة ومنبر، وأمسى سمير مصحف ودفتر؛ وفي ذلك يقول من أبيات:

وكنت فتى الكاس عهد الشباب ... فصيرني الشيب شيخ الدعاء ومد لأبي بكر هذا العمر وعاش إلى وقت تحريري هذا

---

(١) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة الشنتريني ٥٣٤/١

المجموع سنة خمسمائة، وتوفي رحمه الله في شهر رمضان منها؛ وقد أثبت من شعره ما يملأ الأسماع بيانا، ويبهر الطباع حسنا وإحسانا.." [1]

"و " الهلوك " الفاجرة لأنها تتهالك في مشيتها أي تتمايل وتتهادى.

و" لذم " بالمكان والذم، مثل لزم وألزم.

و" الخرمل " المرأة الفاجرة، وقيل الحمقاء، قال مزرد (١) :

إلى خرمل شر النساء الخرامل

و" الهرط " النعجة المسنة و [اللحم المهزول] في غير هذا. والهرد: الشق و " دعكنة " أصله السمن **والفتوة**، وهو ما لا يسأل عنه، لأن كل ما زيدت فيه النون في هذا الموضع يدل لفظه على اشتقاقه كما تدل سمعنة ونظرنة على السمع والنظر، ودعكنة من الجلادة، كأنه من الدعاك (٢) .

و" الخيس " الغابة، وفي غير هذا الموضع اللحية.

و" الغانظ " فاعل من الغنظ وهو الكرب؛ قال عمر بن عبد العزيز: في الموت غنظ ليس كالغنظ وكظ ليس كالكظ، وهما الكرب.

و" الخرفع " (٣) القليل من كل شيء.

و" المذيل " المكمل.

و" الطوائف " الأيدي والأرجل.

و" السدوك " لا أومن به لأنه يقال / [١٣٧] سدك سدكا وسدكا، فإن جاء فيه سدوكا فهو شاذ قليل، وهو اللزوم.

قال ابن المغربي: هذا ما حضرنا من القول، ولولا أننا لا نود أن ننهى عن

---

(١) روايته في ديوان مرزد: ٤٨

إلى صبية مثل المغالي وخرمل ... رواء ومن شر النساء الخرامل (٢) ص: الدعاء.

(٣) الخرفع: القطن وقيل ثمر العشر.." [2]

"استدلال ما، والعادة أنه لا يعبر بآية إلا فيما ظهوره في غاية الوضوح، وقد تقع الآيات أيضا على المبينات كانت في أي حد اتفق من الوضوح.

ويحتمل أن يكون معنى قوله: من بعد ما رأوا الآيات أي من بعد ما ظهر لهم من وجوه الأمر وقرائنه أن يوسف بريء، فلم يرد تعيين آية بل قرائن جميع القصة.

و «الحين» في كلام العرب وفي هذه الآية الوقت من الزمن غير محدود يقع للقليل والكثير، وذلك بين موارده في القرآن وقال

---

(١) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة الشنتريني ٤٥٢/٣

(٢) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة الشنتريني ٤٨٧/٨

عكرمة «الحين» – هنا– يراد به سبعة أعوام، وقيل: بل يراد بذلك سنة.
قال القاضي أبو محمد: وهذا بحسب ما كشف الغيب في سجن يوسف.
وسمع عمر بن الخطاب رضي الله عنه رجلا يقرأ «عتى حين» بالعين– وهي لغة هذيل– فقال له: من أقرأك؟ قال: ابن مسعود، فكتب عمر إلى ابن مسعود: إن الله أنزل القرآن عربيا بلغة قريش، فبها أقرئ الناس، ولا تقرئهم بلغة هذيل، وروي عن ابن عباس أنه قال: عثر يوسف عليه السلام ثلاث عثرات:
هم [يوسف: ٢٤] فسجن، وقال: اذكرني عند ربك [يوسف: ٤٢] فأنساه الشيطان ذكر ربه [يوسف: ٤٢] فطول سجنه، وقال: إنكم لسارقون [يوسف: ٧٠] فروجع: إن يسرق فقد سرق أخ له من قبل [يوسف: ٧٧] .
وقوله تعالى: ودخل معه السجن الآية، المعنى: فسجنوه فدخل معه السجن غلامان سجنا أيضا، وهذه «مع» تحتمل أن تكون باقتران وقت الدخول، وأن لا تكون بل دخلوا أفذاذا، وروي أنهما كانا للملك الأعظم– الوليد بن الريان– أحدهما: خبازه، والآخر: ساقيه.
و «الفتى» الشاب، وقد تقع اللفظة على المملوك وعلى الخادم الحر، ويحتمل أن يتصف هذان بجميع ذلك، واللفظة من ذوات الياء، وقولهم: **الفتوة** شاذ. وروي أن الملك اتهمهما بأن الخابز منهما أراد سمه، ووافقه على ذلك الساقي، فسجنهما، قاله السدي، فلما دخل يوسف السجن استمال الناس فيه بحسن حديثه وفضله ونبله، وكان يسلي حزينهم ويعود مريضهم ويسأل لفقيرهم ويندبهم إلى الخير، فأحبه الفتيان ولزماه، وأحبه صاحب السجن والقيم عليه، وقال له: كن في أي البيوت شئت فقال له يوسف: لا تحبني يرحمك الله، فلقد أدخلت علي المحبة مضرات: أحبتني عمتي فامتحنت لمحبتها، وأحبني أبي فامتحنت لمحبته لي، وأحبتني امرأة العزيز فامتحنت لمحبتها بما ترى، وكان يوسف عليه السلام قد قال لأهل السجن: إني أعبر الرؤيا وأجيد، فروي عن ابن مسعود أن الفتيين استعملا هاتين المنامتين ليجرباه وروى عم مجاهد أنهما رأيا ذلك حقيقة، فأرادا سؤاله، فقال أحدهما واسمه بنو، فيما روي، إني رأيت حبلة من كرم لها ثلاثة أغصان حسان، فيها عناقيد عنب حسان، فكنت أعصرها وأسقي الملك وقال الآخر، واسمه مجلث، كنت أرى أني أخرج من مطبخة الملك وعلى رأسي ثلاث سلال فيها خبز، والطير تأكل من أعلاه.
وقوله أعصر خمرا قيل: إنه سمى العنب خمرا بالمئال، وقيل: هي لغة أزد عمان، يسمون العنب خمرا، وقال الأصمعي: حدثني المعتمر، قال: لقيت أعرابيا يحمل عنبا في وعاء، فقلت: ما تحمل؟ قال: خمرا، أراد العنب.." (١)
"............................. (خدوا الذي لكم) (١). فمن الناس من قال إنه منسوخ بأخبار من جملتها لا يحل مال امرىء مسلم إلا عن طيب نفس (٢) منه. ومن الناس من قال إنها واجبة في القرى، حيث لا طعام ولا ماء بخلاف الحواضر، فإن كل من دخلها يجد فيها أين يأوي وما يشتري، والحديث الأول لا حجة فيه لأن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: (فليكرم ضيفه)، والكرامة ليست بواجبة والذي يتنخل عند التحقيق حسب ما بيناه في شرح الحديث أنها فرض على الكفاية كسائر فروض الكفايات (٣) وإبراهيم عليه السلام أول من رأى الشيب فقال: ما هذا يا رب فقال

(١) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ابن عطية ٢٤٣/٣

وقار فقيل الخبر (٤) هو الكلام كله، فإن من كان قبل إبراهيم عليه السلام يراه ولا يسأل عنه فلما غم على إبراهيم عليه السلام وأنكره سأل ربه عنه فأعلمه بصفته الحسنى وسكت له عن عيبه وإنما جعله وقارا لأنه ينبيء عن ضعف القوى ويذهب بشرة الفتوة والصبى، فتسكن الحركات لضعف الشهوات، وقد قال كبار الصحابة رضي الله عنهم: إن الله سبحانه ما شان نبيه بالشيب، ولو كان محمودا ما خضب، فإنه لا يستر إلا ما يكره، وقد يحتمل أن يكون الشعر، كان لا يتغير لمن سبق حتى وجده إبراهيم عليه السلام والأول أقل عناء، وإذا قلنا إن الشيب يغير بالخضاب، فلا تبالي على أي لون كان التغيير: بخطر أو بفاغية أسود أو أحمر، وإنما غيره أصحاب النبي – صلى الله عليه وسلم – بالحمرة، لأنه هو الذي عرفوه، وأمكنهم في مواضعهم وقد روي أن النبي – صلى الله عليه وسلم –

= واحدة ومنهم من شددها وللترمذي فلا هم يضيفوننا ولا يؤدون ما لنا عليهم من الحق. فتح الباري ٥/ ١٠٨.

(١) الحديث متفق عليه أخرجه البخاري في كتاب الأدب باب إكرام الضيف ٨/ ٣٩، ومسلم في كتاب اللقطة باب الضيافة ونحوها حديث (١٧٢٧) من حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه أنه قال: قلنا: يا رسول الله إنك تبعثنا فننزل بقوم فلا يقروننا فما ترى؟ فقال لنا رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: (إن نزلتم بقوم فأمروا لكم بما ينبغي للضيف فاقبلوا فإن لم يفعلوا فخذوا منهم حق الضيف الذي ينبغي لهم) لفظ البخاري.

(٢) رواه الدارقطني ٣/ ٢٦ من حديث أنس ورواه الديلمي في مسند الفردوس (٧٦٣٥) قال الحافظ عن رواية الدارقطني فيها الحارث بن محمد الفهري راويه عن يحي بن سعيد الأنصاري مجهول وله طريق أخرى عنده عن حميد عن أنس والراوي عنه داود بن الزبرقان متروك الحديث. تلخيص الحبير ٣/ ٤٦.

(٣) قال الحافظ ظاهر الحديث أن قري الضيف واجب وأن المنزول عليه لو امتنع من الضيافة أخذت منه قهرا وقال به الليث مطلقا وخصه أحمد بأهل البوادي دون القرى وقال الجمهور الضيافة سنة مؤكدة وأجابوا عن حديث الباب. بأجولة أحدها: حمله على المضطرين ثانيها أن ذلك كان في أول الإسلام وكانت المواساة واجبة فلما فتحت الفتوح نسخ ذلك. ثالثها أنه مخصوص بالعمال المبعوثين لقبض الصدقات عنه من جهة الإمام.

رابعها أنه خاص بأهل الذمة وأقوى الأجولة الأول. فتح الباري ٥/ ١٠٨، وانظر تفسير القرطبي ٩/ ٦٤.

(٤) في ج وم الخير.." [(١)]

"هو قد علم أن معناه الوقار، ولم يحتج أن يدعو الله تعالى أن يزيده وقارا حين علم معناه.

المسألة الخامسة (١):

قوله: "وقار، قال: يا رب زدني وقارا".

قال الإمام: وإنما جعله وقارا لأنه ينبيء عن ضعف القوى، ويذهب بشرة الفتوة والصبا، فتسكن الحركات لضعف الشهوات، فيكون بشيبه السكون والوقار، وقد قال كبار الصحابة: إن الله ما شان رسوله بالشيب، ولو كان محمودا ما خضب فإنه

---

(١) القبس في شرح موطأ مالك بن أنس ابن العربي ص/١١٠٩

لا يستر إلا ما يكره.

قلنا: إنما كان ذلك لأجل الغزو والغلظة على العدو.

وإذا قلنا: إن الشيب يغير بالخضاب، فلا نبالي على أي لون كان التغيير بخطر (٢) أو بفاغية (٣) سوداء أو حمراء، إنما غيره أصحاب النبي -عليه السلام- بالحمرة؛ لأنه هو الذي عرفوه وأمكنهم في مواضعهم، وقد روي أن النبي -عليه السلام- خضب بالحناء (٤)، ولم يصح، وسيأتي بيانه في باب خضاب الشعر إن شاء الله.

سؤال (٥) في قوله تعالى: ﴿الله الذي خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة﴾ (٦).

الجواب: قلنا: يحتمل أن يخاطب به هذه الأمة، أو من شاب من زمان إبراهيم -عليه السلام- إلى يوم القيامة.

ويحتمل أنه خوطب به جميع الخلق من شاب ومن لم يشب، إلا أنه جمع مع

---

(١) انظرها في القبس: ٣/ ١١٠٩ - ١١١٠.

(٢) الخطر: نبات يختضب به. انظر لسان العرب.

(٣) هو نور كل نبت ذي رائحة طيبة، وهو هنا نور الحناء خاصة. انظر لسان العرب.

(٤) أخرجه ابن قانع في معجم الصحابة: ٣/ ١٦٢ من حديث ناجية بن عمرو.

(٥) هذا السؤال وجوابه مقتبس من المنتقي: ٧/ ٢٣٣.

(٦) الروم: ٥٤.." [١]

". . . . .

أبى هريرة: " ولا يقل العبد لسيده: مولاى " زاد أبو معاوية: " فإن مولاكم الله "، ولم يذكر جرير عن الأعمش [هذه اللفظة فى الكتاب، وإنما نهى عن قوله: " ربى " وذكر فيه من حديث معمر عن همام عن أبى هريرة مثله، وبينه وزاد خلاف رواية وكيع وصاحبه، وقال: " فليقل سيدى ومولاى "، وهذا - والله أعلم - أصح للاختلاف فيه عن الأعمش] (١) كما تقدم، وكما نهى العبد عن قول هذا، كذا نهى السيد فى الحديث أن يقول: عبدى وأمتى، وبين العلة فى ذلك بقوله: "كلكم عبيد الله، وكل نسائكم إماء الله ". فنهى عن التطاول، فى اللفظ كما نهى عنه فى الفعل وأمر بالتواضع، إذ هو عبد مثله حقيقة فليجتنب هذه اللفظة تواضعا واعترافا بملك الجميع لله، فإن حقيقة ملك الحر والعبد لله، وإنما ملك بنو آدم من بنى آدم بحكم علة الكفر المسلطة على المالك منافعهم وحركاتهم وتصرفاتهم لا أشخاصهم؛ ولهذا قال أصحابنا: إذا قال الرجل لعبده: وهبتك خدمتك أو خراجك أو عملك فهى حرية له.

قوله: " وأمره - عليه السلام - بأن يقول: غلامى وفتاى وجاريتى وفتاتى " إذ هذه ألفاظ تنطلق على الحر والعبد، وليس

---

(١) المسالك في شرح موطأ مالك ابن العربي ٣٣٢/٧

فيها من معنى الملك ما فى عبدى، وإنما هى بمعنى الاختصاص، قال الله تعالى: ﴿تراود فتاها عن نفسه﴾ (٢) أى عبدها، ﴿وقال لفتيته﴾ وقرئ ﴿لفتيانه﴾ ﴿اجعلوا بضاعتهم في رحالهم﴾ (٣) ﴿وإذ قال موسى لفتاه﴾ (٤) ولم يكن هذا عبدا هو يوشع بن نون صاحبه. وأصل **الفتوة** الشباب، وهو الفتاء، بالد. والرجل الشاب فتى، بالقصد، وفتى أيضا، وهى بعد الغلومية. وأصل الغلومية فى بنى آدم فى الصغر، ينطلق عليه اسم غلام، من حين يولد إلى أن يبلغ، فينقطع عنه اسمها.

---

(١) سقط من ز.

(٢) يوسف:٣٠.

(٣) يوسف: ٦٢.

(٤) الكهف: ٦٠.." (١)

"بأحكام المروة من أن يهدى إليها، وأحرص على عمارة سبل **الفتوة** من أن يحض عليها، وقديما حملت أوزار السكر على ظهور الخمر، وطوي بساط الشراب على ما فيه من خطإ وصواب، واستعفيت السقاة غير دفعة فأبوا إلا إلحاحا [١] علي، وإتراعا إلي، وكرهت الامتناع خشية أن أوقع الكساد في سوق الأنس، وتفاديا من أن يعقد علي خنصر الثقل. فلما بلغت الحد الذي يوجب الحد، بدر مني ما يبدر ممن لا يصحبه لبه، ولا يساعده عقله وقلبه، ولا غرو فموالاة الأرطال، تدع الشيوخ كالأطفال. فإن رأى قبول عذري، في ما جناه سكري، وأن يهب لي جرمي لمعرفته بنيتي في صحوي، وإن أبى إلا معاقبتي جعلها قسمين بين المدام وبيني، فعل، إن شاء الله.

٣٣٩- واعتذر كاتب من مكاتبة بعض إخوانه في ظهر فقال:

[من البسيط]

العذر في الظهر عند الحر منبسط ... إذ رأى سطوات الدهر بالنعم

وما أضن بخدي لو جرى قلمي ... عليه طرسا ولو أن المداد دمي

[المأمون والاعتذار]

«٣٤٠» - عتب المأمون على إسحاق بن إبراهيم الموصلي في شيء فكتب إليه رقعة وأوصلها إليه من يده، ففتحها المأمون فإذا فيها: [من البسيط]

لا شيء أعظم من جرمي سوى أملي ... بحسن عفوك عن جرمي وعن زللي

فإن يكن ذا وذا في القدر قد عظما ... فأنت أعظم من جرمي ومن أملي

فضحك وقال: يا إسحاق، عذرك أعلى قدرا من جرمك، وما جال

---

(١) إكمال المعلم بفوائد مسلم القاضي عياض ٧/١٩٠

[١] م: لجاجا.." (١)

"فهو معطر للنكهة، محرك للصبابة، ممازج للطبيعة، دقيق المسلك، سريع الذهاب في الجسد، واصل لحبل **الفتوة**، عاقد للإخاء، باعث على الوفاء، فاسخ للرجاء، ناف للفكرة، ممسك لرماق المهجة، مذك للقريحة، ملائم للغريزة، سام بالهمة، مستل للسخيمة، صاقل للعزيمة، مذهب للترة، مسهل للحمالة، كاسب للثراء من غير ثروة، جامع للشمل، مقرب للسبيل، مهون للجليل، داع إلى الجميل، منساب في المفاصل بغير دليل، كاس للأنفس سرورا، وللأجفان فتورا، وللخدود اشتعالا ونورا، يطيب عند الازدياد، ويلذ عند الأعواد، ويتغلغل في القلب إلى حيث لا يبلغه الفكر.

٩٦٦- وقال بهرام جور: هموم الدنيا داء دواؤه الراح.

«٩٦٧» - وقال آخر: للنبيذ حدان: فحد لا هم فيه، وحد لا عقل فيه، فعليك بالأول واتق الثاني.

«٩٦٨» - قال عبد الملك بن مروان للأخطل: ما تصنع بالخمر؟ فإن أولها لمر، وإن آخرها لسكر، قال: أما لئن قلت ذاك، فإن فيما بين ذاك الحالين لمنزلة ما ملكك فيها إلا كلعقة من ماء الفرات بالأصبع.

«٩٦٩» - وكان أبو الهندي يشرب مع قيس بن أبي الوليد الكناني، وكان أبو الوليد ناسكا، فاستعدى عليه وعلى ابنه فهربا منه، وقال أبو الهندي: [من البسيط]

قل للسري أبي قيس أتوعدنا ... ودارنا أصبحت من داركم صددا

أبا الوليد أما والله لو عملت ... فيك الشمول لما حرمتها أبدا

ولا نسيت حمياها ولذتها ... ولا عدلت بها مالا ولا ولدا

«٩٧٠» - قال مطيع بن إياس: إن في النبيذ لمعنى من الجنة كما حكى الله عن." (٢)

"كف عروس لاح خاتمها ... وعقد در في الجو ينتثر

في روضة راضها الربيع وما ... قصر في وشي بردها المطر

وقد نأى النأي بالعقول وما ... قصر في نيل وتره الوتر

«١٠٢٧» - أتي الوليد بن يزيد بشراعة بن الزندبوذ من الكوفة، فحين رآه لم يسأله عن نفسه ولا عن سفره حتى قال له: يا شراعة، والله إني ما أرسلت إليك لأسألك عن كتاب الله، ولا عن سنة رسوله صلى الله عليه وسلم. قال: والله لو سألتني عنهما لألفيتني فيهما حمارا. قال: ولكني أرسلت إليك لأسألك عن **الفتوة**. قال:

دهقانها الخبير، وطبيبها الرفيق، سل. قال: أخبرني عن الماء؟ قال: لا بد منه، والحمار شريكي فيه. قال: فما تقول في اللبن؟ قال: ما رأيته قط إلا استحييت من أمي من طول ما أرضعتنيه. قال: فالسويق؟ قال: شراب الحزين والمستعجل والمريض. قال: فما تقول في نبيذ التمر؟ قال: سريع الملء سريع الانفشاش، ضراط كله. قال: فما تقول في نبيذ الزبيب؟ قال: حومة

(١) التذكرة الحمدونية ابن حمدون ١١٦/٤

(٢) التذكرة الحمدونية ابن حمدون ٣٥٠/٨

حاموا بها حول الشراب. قال: فما تقول في الخمر؟ قال: تلك صديقة روحي. قال:

وأنت صديقي، أقعد. أي الطعام أحب إليك؟ قال: يا أمير المؤمنين، ليس لصاحب النبيذ على الطعام حكم، إلا أن أشهاه إليه أمرؤه، وأنفعه أدسمه.

قال: فأي المجالس أحب إليك؟ قال: البراز ما لم تحرقه الشمس ويغرقه المطر؛ والله يا أمير المؤمنين ما شرب الناس على وجه أحسن من وجه السماء.

١٠٢٨- قال أحمد بن أبي خالد: دخلت على المأمون وهو قاعد يصفي نبيذا بيده، فبادرت لأتولى ذلك فقال: مه! أما أحد يكفيني هذا؟! ولكن مجراه على كبدي فأحببت أن أتولاه بيدي.." (١)

"يتوج بالكأس كف النديم ... إذا نظم الماء تيجانها

وطورا يوشح ياقوتها ... وطورا يرصع عقيانها

رميت بأفراسها حلبة ... من اللهو ترهج ميدانها

ودير شغفت بغزلانه ... فكدت أقبل صلبانها

سكرت بقطربل ليلة ... لهوت فغازلت غزلانها

وأي ليالي الهوى أحسنت ... إلي فأنكرت إحسانها

١٠٨٢- أبو طاهر بن جلنك: [من الخفيف]

مرحبا بالتي بها قتل الهم ... م وعاشت مكارم الأخلاق

وهي في رقة الصبابة والوج ... د وفي قسوة النوى والفراق

لست أدري أمن خدود العذارى ... سفكوها أم أدمع العشاق

«١٠٨٣» - حزم بعض الأمراء بالكوفة وتشدد على الخمارين وركب فكسر نبيذهم، فجاء بكر بن خارجة ليشرب عندهم على عادته، فرأى الخمر مصبوبة في الرحاب والطرق فبكى ثم قال، وتروى لذؤيب بن حبيب الخزاعي: [من الخفيف]

يا لقومي لما جنى السلطان ... لا يكونن لما أهان الهوان

صبها في التراب من حلب الكر ... م عقارا كأنها الزعفران

صبها في مكان سوء لقد صا ... دف سعد السعود ذاك المكان

من كميت يبدي المزاج لها لؤ ... لؤ نظم والفصل منها جمان

كيف صبري عن بعض نفسي وهل يص ... بر عن بعض نفسه الإنسان

١٠٨٤- قال الكرماني: أنشدتها الجاحظ فقال: إن من حق الفتوة أن." (٢)

---

(١) التذكرة الحمدونية ابن حمدون ٣٧٥/٨

(٢) التذكرة الحمدونية ابن حمدون ٣٩٠/٨

"قد رفعت يدها إلى الله سبحانه وتعالى وهي تقول: اللهم ما أنا أمتك الغريبة، وسائلتك الفقيرة بحيث يرى مكاني، ولا يخفي عليك سوء حالي، وقد هتكت الحاجة حجابي، وكشفت الفاقة نقابي، وقد بذلت لهما وجها كريما عن المسألة، ضعيفا البذلة، طال ستره الحياء وصانه الغناء، وقد حمت عني أكف المخلوقين، وضاقت دوني أنفس المرزوقين، فمن حرمني لم أمله، ومن وصلني وكلته إلى رحمتك يا أرحم الراحمين، فمررت بها وقلت يا جارين من أين أنت؟ فأنشأت تقول:

بعض النساء أبرزها ... الدهر إلى ما ترى وأحوجها

أخرجها م حجاب نعمتها ... وابتزها ملكها، وأزعجها

وطال ما كانت العيون إذا ... ما برزت تستشيف هودجها

ألعزمها مقبل بصفحته ... متهم قد أقام منهجها

إن كان قد ساءها وأحوجها ... فطال ما سرها وأبهجها

الحمد لله رب داهية ... قد ضمن الله أن يفرجها

قيلا لما ملك أردشير بابك البلاد، وحصل في قبضته السبعة أقاليم استدعى صاحبي إيوان شهر، وقال له: أخبرني بما كان لصاحبك من العجائب، فقال كان له ستة أشياء: أحدها بركة عظيمة كبيرة، كان يجلس عليها للشرب، وكان ندماؤه تحضره كل واحد منهم شرابه من داره، فيطرحه في تلك البركة، فتختلط الشربة على تغير ألوانها وطعومها، وأجناسها، فإذا غرفوا، خرج في قدح كل واحد منهم شرابه إلى جهته غير مختلط بشراب سواه.

الثاني: كان له طائر من النحاس على قبته في داره، فكان إذا دخل المدينة غريب صفر ذلك الطائر صفيرا يسمع كل من في المدينة، فيعلمون بدخول الغريب فيؤخذ، ويحضر بين يدي الملك، فيسخره لأي شيء ورد فعلم ذلك.

الثالث: كان له طبل إذا غاب رجل، وأبطأ، خبره ضرب ذلك الطبل، فإذا كان حيا جاء للطبل صوت.

والرابع: كان له مرآة إذا أراد الإنسان يعلم على أي حبال غائبة فيرى فيها خيرا أو شرا، نظر فيرى الغائب على الحالة التي هو عليها.

الخامس: كان له سروة يقف تحتها الفارس، والاثنين إلى الألف فتظلهم، فإذا زاد عن الألف واحد زال الظل عن الكل وصاروا في الشمس.

السادس كانا كبشين عظيمين من حديد على لوح من حديد، بينهما غدير ماء، فإذا اختصم اثنان، أتيا إلى الكبشين فيحمل أحدهما على الظالم، فينطحه فيرمي به إلى الماء فكتب ابن مسرة إلى أبي الفضائل هذه الأبيات: [الكامل]

أسفي عليك، وقد أرقت صبابة ... من ماء وجهك في سؤال بخيل

ووجدت طعم سؤاله من لومه ... مرا كطعم الحنظل المبلول

ولقيت دون طعامه وشرابه ... ردا كحد الصارم المسلول

أقبلت تنشده، وأطرق معرضا ... إطراق دم بذحول

حتى ظننتك قائلا وظننته ... من فرط نخوته ولى قتيل

وكفلت لي عنه بكل كريمة ... ثم انثنيت وأنت شر كفيل

وأتت عليك خلائق حورية ... تأتي إذا ما فاتها بجميل

هلا سألت عن الصناعة أهلها ... فيخبروك بصنعة التطفيل

القوم لا يعشون إلا منزلا ... يغشى العيون دخانه من ميل

قيل لطفيلي: ما بال لونك أصفر؟ فقال: من **الفتوة** بين العضارتين أخاف أن يكون قد فني الطعام، فيذهب دمي فأصفر.

قال الأصمعي: رأيت شيخا من الأعراب متعلقا بأستار الكعبة، وهو يقول: [الطويل]

أما تستحي يا رزاق الخلق كلهم ... أناجيك عريانا وأنت كريم

أترزق أولاد المجوس وقد عتوا ... وتترك شيخا من سراة تميم

فألقيت القميص والأزر، والمناديل من كل جانب، فجعل يأخذها، ويقول شكرا لمن أخاطبه لا لكم.

قال نصر الجهني: كان لي جار طفيلي، وكان إذا دعيت إلى مدعاة، أو حضرت ملاكا، كرب معي، وجلس حيث أجلس، فيأكل وينصرف، وكان نظيفا عطرا، حسن اللباس، والمركب، وكنت لا أعرف إلا ظاهره، فاتفق لجعفر بن القاسم الهاشمي حق دعاه إليه أشراف أهل البصرة وكبارها.

وكان الأمير، فقلت: إن تبعني هذا الرجل لأخزينه، فلما حضرت تبعني ودخل لدخولي وارتفع إلى حيث أجلست، فلما حضر الطعام، قلت: حدثنا درست عن ابن زياد عن أبان بن طارق عن نافع عن ابن عمر قال: قال رسول الله "من دخل دار قوم بغير إذنهم، فكأنما دخل سارقا، وخرج معيرا، وكمن دعي، فلم يجب، فقد عصى الله ورسوله".." (١)

"والحكايات في مدة لا يحفظون بها عشر ذلك من النحو واللغة والفقه والحساب وغير ذلك.

فائدة أخرى: إن الإنسان يستفيد في مدة قصيرة من أخبار وحكايات الماضين، وأحوال وعمران العالم والملوك والممالك، استفادة لا تتيسر له عن طريق المشاهدة إلا بالأعمار الطويلة، حتى ليكاد- وهو يتأمل التواريخ والقصص- أن يرى عيانا تلك الوقائع والحوادث، وتستنشق روحه عبير رياحين تلك القصص والأخبار، فيفرق بين التزوير والبهتان، والغش والأسطورة، فتدفع عنه كدورة الوحشة من منابع الوحدة، وتزيل ظلمة انقسام الخاطر عن ساحات الراحات:

يزيل الاكتئاب وقد يؤدي ... إلى كل امرئ ما غاب عنه

وقد رووا أن عامر الشعبي- وهو من علماء التابعين رحمة الله [١١] عليهم أجمعين- كان جالسا في مسجد مكة يحدث بأخبار مغازي المصطفى عليه السلام، وقد ازدحم الخلق على الحلقة التي يحدث فيها، ممتعين الأسماع بحسن الاستماع، تجللهم آثار الخضوع والخشوع، وكان من بينهم جماعة من بقايا صحابة رسول الله صلوات الله عليه ورضي عنهم، من الذين قسموا أوقاتهم بين العبادات الجسدية والروحية، وشرفوا ب رضي الله عنهم ورضوا عنه

---

(١) سفط الملح وزوح الترح ابن الدجاجي ص/٧٣

«١» ، والذين كانوا أنامل ساعد صاحب الشريعة، ووابل سحائب صدر النبوة، وأنجم أفلاك الديانة، وسهام كنانة الفتوة والمروءة، قالوا: لقد شاهدنا القوم، والشعبي أعلم بتلك المغازي منا «٢» ، أي:

إننا قد نلنا سعادة حضور ومشاهدة تلك الغزوات، ورأيناها رأي العين، لكن أفكارنا لم تصل إلى وصف هذه الأحوال، وعيوننا لم تدرك دقائق نور سهيل هذا الفلك،." (١)

"قولها: "لم يطأ لنا فراشا ولم يفتش لنا كنفا" (١) كناية عن القرب منها، والكنف: الستر، وهو هاهنا الثوب، كنت بفتشه عن الاطلاع على ما تحته، وعن إعراضه عن الشغل بها.

قوله: "وليقل: فتاي وفتاتي" (٢) قيل: هو بمعنى: عبدي وأمتي، وإنما نهى عن لفظ العبودية المحضة إذ هي حقيقة لله تعالى، والفتوة: لفظة مشتركة للملك ولفتاء السن، والفتى مقصور: الشاب، والفتاء: الشباب، (وقال لفتيته) (٣) أي: لعبيده. والفتوى والفتيا: السؤال، ثم سمي به الجواب، والاستفتاء: طلب الفتوى. ﴿فاستفتهم﴾ [الصافات: ١١]، أي: سلهم. "أمثلي يفتات عليه" (٤) مذكور في الفاء والتاء.

الاختلاف

" إن شيطانا جعل يفتك علي البارحة" (٥) بضم التاء وكسرها، ذكره مسلم. وقد فسرنا الفتك، لكنه هنا تصحيف من: "تفلت" (٦) كما في البخاري أي: توثب وتسرع لإضراري.

قوله: "الحرب أول ما تكون فتية" تصغير: فتاة، وضبط الأصيلي:

---

(١) البخاري (٥٠٥٢) من حديث عبد الله بن عمرو.

(٢) البخاري (٢٥٥٢)، ومسلم (٢٢٤٩) من حديث أبي هريرة.

(٣) هي قراءة ابن كثير ونافع وأبي عمرو وابن عامر. انظر "الحجة للقراء السبعة" لأبي علي الفارسي ٤/ ٤٣٠.

(٤) "الموطأ" ٢/ ٥٥٥ من حديث عائشة بلفظ: "ومثلي يفتات عليه".

(٥) مسلم (٥٤١) من حديث أبي هريرة بلفظ: "إن عفريتا من الجن جعل يفتك علي البارحة".

(٦) البخاري (٤٦١، ٣٤٢٣، ٤٨٠٨).." (٢)

"السراج الطوسي من جملة مشايخ طوس وفتيانهم وزهادهم مات بنيسابور وهو ساجد وله بطوس عقب باق ابنه المعروف بأبي نصر السراج وهو المنظور إليه في ناحيته في الفتوة ولسان القوم وفهم أحكامهم وعلومهم مع الاستظهار بعلم الشريعة والكتاب والسنة وهو من بقية مشايخهم مات أبو نصر في رجب سنة ثمان وسبعين وثلاثمائة

٣٤١٨ - عبد الله بن عمران ويقال ابن (١) محمد بن عمران بن موسى أبو (٢) محمد البغدادي المعروف بالنجار الفقيه

---

(١) تاريخ بيهق/تعريب البيهقي، ظهير الدين ص/١٠٠

(٢) مطالع الأنوار على صحاح الآثار ابن قُرْقُول ١٩١/٥

الحافظ (٣) آخر الستين بعد الثلاثمئة (٤) قدم دمشق سنة تسع وتسعين ومائتين وحدث بها عن عبد الأعلى بن حماد وعباس بن الحسين قاضي الري وأبي (٥) بكر وعثمان ابني أبي (٦) شيبة وإبراهيم بن سعيد الجوهري وصالح بن علي الحلبي (٧) ومحمد بن داود البغدادي روى عنه أبو عمر بن فضالة وابو بكر وأبو زرعة ابنا أبي دجانة وسليمان (٨) بن أحمد الطبراني وابو بكر بن الجعابي وأبو عمر محمد بن العباس بن كوذك (٩) أخبرنا أبو محمد عبد الكريم بن حمزة نا عبد العزيز بن أحمد أنا تمام بن محمد أنا محمد بن موسى بن إبراهيم القرشي نا عبد الله بن عمران بن موسى البغدادي نا عباس بن الحسين قاضي الري نا محمد بن الفضل عن زيد العمي عن جعفر العبدي عن أبي سعيد الخدري عن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال سد ما بين أعين الجن وبين عورات بني آدم إذا وضع الرجل ثوبه أن يقول بسم الله

---

(١) بالاصل: " أبي " والمثبت عن المختصر

(٢) بالاصل " بن " والمثبت عن المختصر ١٣ / ١٥١

(٣) أخباره في تاريخ بغداد ١٠ / ٣٨

(٤) كانت العبارة مكتوبة بالاصل قبل قوله: " المعروف بالنجار الفقيه الحافظ " أخرناها إلى هنا

(٥) بالاصل: أبو

(٦) عن تاريخ بغداد وبالاصل: الكلبي

(٧) بالاصل: " دجانة بن سليمان " خطأ

(٨) بالاصل: كورط والمثبت عن المطبوعة

(٩) كذا بالاصل وفي المختصر ١٣ / ١٥١: ستر." [1]

"الشريعة وعلم الحقيقة والفتوة وحسن الخلق وأقام بمكة سنين وبها مات سنة أربع وستين وثلاثمائة

٤٠٥٨ - عبد السلام بن محمد بن محمد بن يوسف أبو يوسف القزويني المتكلم على مذهب المعتزلة (١) مصنف مشهور سكن أطرابلس مدة ثم عاد إلى بغداد وسكنها إلى أن توفي بها حدث عن أبي عمر بن مهدي والقاضي عبد الجبار بن أحمد الهمذاني (٢) وأبي محمد عبيد الله بن محمد النيسابوري روى عنه أبو طاهر إبراهيم بن محمد بن عبد الرزاق الحنفي وحدثنا عنه أبو غالب بن البنا وأبو محمد بن طاوس وأبو محمد محمود بن محمد بن مالك المزاحمي الرحبي (٣) أخبرنا أبو محمد محمود بن محمد بن مالك بن محمد بن عبد الرحمن بن بسطام الرحبي المزاحمي بقراءتي عليه برحبة مالك بن طوق في الجامع أنا القاضي أبو يوسف عبد السلام بن محمد نا (٤) ابن مهدي نا القاضي أبو عبد الله الحسين بن إسماعيل المحاملي نا يعقوب وهو ابن إبراهيم الدورقي نا ابن علية نا أيوب عن حميد بن هلال عن هشام بن عامر قال شكونا إلى النبي (صلى الله عليه وسلم) الفرح (٥) يوم أحد فقلنا كيف تأمرنا بقتلانا قال (احفروا

---

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر ابن عساكر، أبو القاسم ٧٥/٣١

(١) أخباره في الكامل في التاريخ لابن الاثير - بتحقيقنا (راجع الفهارس) والبداية والنهاية بتحقيقنا (الجزء الثاني عشر:: الفهارس) وتذكرة الحفاظ ٤ / ١٢٠٨ والعبر ٣ / ٣٢١ ولسان الميزان ٤ / ١١ والتدوين في تاريخ قزوين ٣ / ١٧٨ شذرات الذهب ٣ / ٣٨٥ الوافي بالوفيات ١٨ / ٤٣٣ سير أعلام النبلاء ١٨ / ٦١٦
(٢) بالاصل: الهمداني بالدال المهملة تصحيف والصواب بالذال المعجمة ترجمته في سير أعلام النبلاء ١٧ / ٢٤٤
(٣) قارن مع مشيخة ابن عساكر ٢٣٨ / ب
(٤) سقطت من الاصل وزيادتها لازمة لايضاح راجع ترجمة أبي عمر عبد الواحد بن محمد
بن مهدي في سير أعلام النبلاء ١٧ / ٢٢١ وفيها أنه سمع كثيرا من القاضي المحاملي وحدث عنه: أبو يوسف عبد السلام بن محمد القزويني المفسر
وانظر ترجمته الحسين بن إسماعيل المحاملي في سير أعلام النبلاء ١٥ / ٢٦٠
(٥) القرح: عض السلام والجرح." [١]

"كان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يعلمنا من الأوجاع كلها أن نقول بسم الله الكبير أعوذ بالله العظيم من شر عرق نعار (١) ومن شر حر النار

[٨٢٣٨] قرأت على أبي القاسم زاهر بن طاهر عن أبي بكر البيهقي أنبأ أبو عبد الله الحافظ قال علي بن أحمد بن إبراهيم البوشنجي أبو الحسن الصوفي الزاهد الورع العالم السخي المجود سمع أبا جعفر محمد بن عبد الرحمن البزاز وأبا علي الحسين بن إدريس الأنصاري ورد نيسابور أول ما وردها سنة سبع وتسعين ومائتين والمشايخ متوافرون والأسانيد باقية فلم يشتغل إلا بأصحاب المعاملات فصحب أبا عثمان سعيد بن إسماعيل الزاهد مدة ثم خرج فلقي شيوخ التصوف بالعراقين والشام وانصرف وكان له خرجات وآخرهن استوطن بنيسابور سنة أربعين وثلاثمائة فبنى له دار التصوف ولزم المسجد وتخلف عن الخروج واعتزل إلى أن توفي بنيسابور سنة سبع وأربعين وثلاثمائة ودفن بقرب أبي علي محمد بن عبد الوهاب الثقفي أنبأنا أبو الفرج غيث بن علي أنبأ محمد بن أبي نصر الطالقاني قال قال أبو عبد الرحمن السلمي أبو الحسن البوشنجي اسمه علي بن أحمد بن سهل كان من أوحد فتيان خراسان لقي أبا عثمان وصحب بالعراق ابن عطاء الجريري وبالشام طاهرا وأبا عمر الدمشقي وتكلم مع الشبلي في مسائل وهو من أعلم مشايخ وقته بعلوم التوحيد وعلوم المعاملات وأحسنهم طريقة في الفتوة والتجريد وكان خلفا دينا متعهدا للفقراء مات سنة ثمان وأربعين وثلاثمائة وأسند الحديث زاد غيره عن أبي عبد الرحمن أنه لقي أبا بكر الشبلي (٢) والمرتعش (٣) ومن في طبقتهم وبمصر أبا علي الروذباري ومن في طبقته وكان أسخى (٤) المشايخ وأحسنهم خلقا

---

(١) نعر العرق: فار منه الدم أو صوت لخروج الدم (القاموس المحيط: نعر) (٢) هو دلف بن جحدر الشبلي أبو بكر توفي

---

[١] تاريخ دمشق لابن عساكر ابن عساكر، أبو القاسم ٢١٨/٣٦

سنة ٣٣٤، انظر اخباره في الرسالة القشيرية ص ٤١٩ (وانظر الفهارس)
وحلية الاولياء ١٠ / ٣٦٦
(٣) هو أبو محمد عبد الله بن محمد المرتعش توفي سنة ٣٢٩ انظر اخباره في الرسالة القشيرية ص ٤٣١ (وانظر الفهارس)
وحلية الاولياء ١٠ ١٠ / ٣٥٥
(٤) الاصل: سخي والمثبت عن م." (١)

"وأظرفهم وكان يدل أصحابه على العبادة ولا يتركهم هملا أنبأنا أبو الحسن عبد الغافر بن إسماعيل أنبأ أبو بكر محمد بن يحيى بن إبراهيم المزكي أنا أبو عبد الرحمن السلمي في كتاب تاريخ الصوفية قال علي بن أحمد بن سهل أبو الحسن البوشنجي أحد فتيان خراسان بل واحدها والمشهورين **بالفتوة** لقي أبا عثمان وصحب مشايخ العراق والشام أكرمه جميع المشايخ وله شأن عظيم في الخلق **والفتوة** يرجع إلى فنون العلم كان متكلما عالما بعلوم القوم وأسند الحديث وكان إسناد أكثر الخراسانيين في وقته توفي بنيسابور سنة ثمان وأربعين وثلاثمائة تولى غسله أبو الحسن محمد بن أبي إسماعيل العلوي وصلى عليه هو ودفن بجنب أبي علي الثقفي وانقطعت طريقة **الفتوة** والأخلاق عن نيسابور بموته رحمه الله أخبرنا أبو المظفر بن القشيري أنا أبي أبو القاسم رحمه الله قال (١) ومنهم أبو الحسن علي بن أحمد بن سهل البوشنجي أحد فتيان خراسان لقي أبا عثمان وابن عطاء والجريري وأبا عمر الدمشقي مات سنة ثمان وأربعين وثلاثمائة سئل البوشنجي عن المروءة فقال ترك استعمال ما هو محرم عليك مع الكرام الكاتبين وقال له إنسان ادع الله لي فقال أعاذك الله من فتنتك وقال البوشنجي أول الإيمان منوط بآخره قرأت (٢) على أبي القاسم الشحامي عن أبي بكر البيهقي أنا أبو عبد الله الحافظ قال سمعت أبا سعيد بن ابي بكر بن أبي عثمان يقول ورد أبو الحسن البوشنجي على أبي عثمان (٣) في مجلسه فقرأ فبكى أبو عثمان حتى غشي عليه وحمل إلى منزله فكان يقال قبله (٤) صوب البوشنجي فحملنا (٣) في تلك الأيام قيل له أبو الحسن البوشنجي فقال لا السرب (٥) ما ضمنت له في قلبي شئ من عرار (٦) من الدنيا ثم أتى عثمان رحمه الله توفي في تلك الليلة وخرج البوشنجي إلى العراق

---

(١) الرسالة القشيرية ص ٣٩٩
(٢) الخبر التالي سقط من الاصل واستدرك بين معكوفتين عن م
(٣) بياض في م
(٤) كذا في م
(٥) كذا رسمها في م وفوقها ضبة
(٦) كذا في م." (٢)

---

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر ابن عساكر، أبو القاسم ٢١٢/٤١
(٢) تاريخ دمشق لابن عساكر ابن عساكر، أبو القاسم ٢١٣/٤١

"وجل " للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم " (١) وخلو اليدين لقول الله تبارك وتعالى " الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية " (٢) وقلة المبالاة في قوله عز وجل " ولا يخافون لومة لائم " (٣) أخبرنا أبو القاسم الشحامي أنا أبو بكر البيهقي أنا أبو عبد الله الحافظ أخبرني أبو الحسن علي بن أحمد البوشنجي أنه سئل عن الفتوة فقال الفتوة عندك في آية من كتاب الله وخبر عن النبي (صلى الله عليه وسلم) فأما قول الله تعالى " يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة " (٤) وخبر النبي (صلى الله عليه وسلم) لا يؤمن العبد حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه يعني من خير ويكره لأخيه ما يكره لنفسه فمن اجتمع فيه هاتان الحالتان فله الفتوة

[٨٢٣٩] قال وأنا أبو بكر البيهقي أنا أبو عبد الله الحافظ قال سمعت أبا الحسن علي بن أحمد بن إبراهيم البوشنجي وسئل عن الفتوة فقال حسن البشر (٥) وسئل عن المروءة فقال ترك ما يكره كرام الكاتبين وسئل عن التوكل فقال أن تأكل مما يليك وتضع لقمتك على سكون القلب وتعلم أن ما لك فلا يفوتك أخبرنا أبو المعالي عبد الله بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن عبد الله (٦) أنبأ أبو بكر بن خلف قال سمعت الشيخ أبا محمد عبد الله بن يوسف الأصفهاني يقول سمعت أبا الحسن علي بن أحمد بن سهل البوشنجي الصوفي يقول وسئل عن وصف الإنسان فقال الخير منازلة والشر لنا صفة وإذا عزلنا عن الكذب لم يبق لنا شئ أخبرنا أبو المظفر بن القشيري أنبأ أبي قال سمعت بعض أصحاب أبي الحسن البوشنجي يقول (٧) كان أبو الحسن البوشنجي في الخلاء فدعا تلميذا له فقال انزع عني هذا القميص وادفعه إلى فلان فقيل له هلا صبرت فقال لم آمن على نفسي أن تتغير عما وقع لي من الخلف (٨) معه بذلك القميص

---

(١) سورة الحشر الاية: ٨ (٢) سورة البقرة الاية: ٢٧٤

(٣) سورة المائدة الاية: ٥٤

(٤) سورة الحشر الاية: ٩

(٥) في م: " حسن السير " والمثبت يوافق ما جاء في المختصر

(٦) " بن عبد الله " لم تكرر في م قارن مع مشيخة ابن عساكر ٨٩ / ب

(٧) الخبر في الرسالة القشيرية ط بيروت ص ٢٤٩

(٨) في الرسالة القشيرية: ان يتغير علي ما وقع لي من التخلف منه بذلك القميص." (١)

"ح وأخبرنا أبو القاسم زاهر بن طاهر أنبأنا أبو بكر البيهقي أنبأنا عبد الخالق بن علي أنبأنا أبو الحسن علي بن أحمد (١) قال سمعت أحمد بن صالح سمعت زكريا الطويل يقول سمعت محمد بن الربيع يقول سمعت الفضيل بن عياض يقول لو أني أعلم أن أحدهم يطلب هذا العلم لله تعالى ذكره لكان الواجب علي أن آتيه في منزله حتى أحدثه أخبرنا أبو عبد الله

---

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر ابن عساكر، أبو القاسم ٢١٦/٤١

الحسين بن عبد الملك أنبأنا أبو طاهر بن محمود أنبأنا أبو بكر ابن المقرئ حدثنا أبو يعلى الموصلي حدثنا سعيد بن عبد الجبار أبو عثمان قال سمعت الفضيل بن عياض ولقيه جماعة من أصحاب الحديث فقال ما (٢) لكم لو أعلم أنه خير لكم لم أحدثكم ولو أعلم أنه خير لي أن لا أحدثكم ما حدثتكم وما شئ أحب إلي من أن لا أراكم ولا تروني أخبرنا أبو القاسم المستملي أنبأنا أحمد بن الحسين قال سمعت أبا نصر أحمد بن محمد القيسي يقول سمعت أبا جعفر المروزي يقول سمعت عبد الرحمن بن الحكم المروذي يقول سمعت أبا روح حاتم بن يوسف يقول أتيت باب الفضيل بن عياض فسلمت عليه فقلت يا أبا علي معي خمسة أحاديث إن رأيت أن تأذن لي فأقرأ عليك فقرأت فإذا هو ستة فقال لي أف قم يا بني تعلم الصدق ثم اكتب الحديث أخبرنا أبو سعيد محمد بن إبراهيم بن أحمد بن إبراهيم أنبأنا أبو بكر محمد بن إسماعيل بن السري بن بنون (٣) التفليسي أنبأنا أبو (٤) عبد الرحمن السلمي قال سمعت عبد الله بن محمد الرازي يقول سمعت أبا جعفر الصايغ يقول سمعت مردوية الصايغ يقول سمعت الفضيل بن عياض يقول الفتوة الصفح عن عثرات الاخوان

---

(١) اللفظة غير واضحة

(٢) كلمة مطموسة بالاصل

(٣) غير واضحة بالاصل وإعجامها فيه ناقص والصواب ما أثبت ترجمته في سير أعلام النبلاء ١٩ / ١١ وفيها: محمد بن إسماعيل بن محمد بن السري بن بنون

(٤) بالاصل: أبا تصحيف." (١)

"والحسن بن إسحاق بحفظونه عن الناس وكان هذا الحسن أعني ابن بندوية رئيس القصابين وله صحبة للصوفية يرجع إلى دين وفضل وكان معروفا بالقوة فكان يمنع الناس عن التعلق بكفنه أو بمس السرير فدخل تحت السرير من القصابين والخياطين على التقريب خمسين وستين ستين (١) يدخل تحته قوم ويخرج قوم كل شاطر قوي يدعى الفتوة والقوة كلما تعب قوم خرجوا ودخل قوم آخرون وشدوا (٢) أيديهم بعضهم إلى بعض وحوالي هؤلاء فرسان الديلم والأتراك والخدم والحاشية بالعصي والدبابيس يمنعون الناس عنه وعن السرير وحدثني بعض أصحابنا ممن كان يدعي القوة قال أردت أن أدخل بين هؤلاء لأحمل معهم السرير فلما أن حصلت كاد عظامي تتفتت (٣) فخرجت ولم اقدر أن أصل إلى السرير وحمل إلى المصلى وصلى عليه أبو بكر العلاف ثم أبو علي الحلبي ثم صلى عليه نقيب نقباء العلوية أبو إسحاق (٤) ثم أبو علي الخطيب ثم صلى عليه غيرهم حتى صلى عليه نحو من مائة مرة واجتمع في جنازته اليهود والنصارى والمجوس وصلي عليه ودفن في التربة في أقل من ساعتين زمانيتين فتعجب الناس منه وما شككنا انه لا يدفن ساعات النهار كلها وسمعت جماعة الموثوقة بقولهم يقولون (٥) جميع ما ذكرت من خبر وفاته وذكروا كلهم أنه مات ليلة الثلاثاء الثالث والعشرين من شهر رمضان سنة إحدى وسبعين وثلاثمائة رحمه الله عليه وعلى روحه الطاهره الزكية وسمعت الشيخ يقول وقد سأله بعض الناس كم يعد الشيخ من سنة فقال خمس وتسعون وعاش بعدما سمعت منه هذا نحو العشر سنين (٦) هذا فيما سمعت منه

---

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر ابن عساكر، أبو القاسم ٤٨/٤٣٠

وحدثني أميرويه قال سمعت أبا (٧) القاسم عبد القهار بن محمد المعروف بالصفار لما توفي الشيخ يقول كان للشيخ مائة وأربع سنين فقيل له ومن أين لك قال دخلت يوما داره ورايت مكتوبا على عتبة باب بيت في داره بخط الشيخ تاريخ مولده فحسبت (٨) وإذا هو مائة وأربع سنين (٩)

---

(١) في " ز ": خمسين وخمسين وستين وستين

(٢) في " ز ": وشددوا

(٣) في " ز ": وكان عظامي فتتت

(٤) من قوله: العلاف

إلى هنا سقط من " ز "

(٥) سقطت من الاصل ود واستدركت عن " ز "

(٦) كذا بالاصل ود وفي " ز ": العشرين سنة

(٧) في د و " ز ": فإذا

(٨) سقطت من الاصل واستدركت عن د و " ز "

(٩) عقب الذهبي في سير أعلام النبلاء على تاريخ خليفة وفاته قال: والاصح أنه عاش خمسا وتسعين سنة." [١]

"ذنبا قبل أنا يغفر للجاهل ذنبا واحدا ألا وإن العالم يجئ يوم القيامة وإن نوره آضا شئ مشى فيه بين المشرق والمغرب

٧٠٦٩ - محمد بن أبي نصر أبو بكر المروذي الصوفي سكن دمشق وحدث بها عن أبي نصر (١) بن الجبان وأبي القاسم عبد الرحمن بن عبد العزيز بن الطبيز وأبي الحسن علي بن طاهر القرشي المقدسي وأبي الحسن محمد بن علي بن صخر بمكة وعبد الرحمن بن أبي القاسم بن أبي سعيد بن حماد الخالدي الهروي حدثنا عنه أبو محمد بن الأكفاني وأظنه محمد بن نصر بن عبد الله بن حنجور أخبرنا أبو محمد بن الأكفاني قراءة عليه وأنا أسمع أبو بكر محمد بن أبي نصر المروذي بقراءتي عليه بدمشق في الجامع سنة إحدى وستين وأربعمائة أنا أبو نصر عبد الوهاب بن عبد الله بن عمر بن أيوب المري (٢) أنا أبو العباس البردعي قال سمعت جعفر الخلدي يقول سمعت الجنيد يقول وسئل الخليل بن أحمد عن التزهد (٣) فقال لا يطلب المفقود حتى تتفقد الموجود قال وأنا عبد الوهاب أنا علي بن الحسن الصوفي قال سمعت أبا الحسين المالكي يقول سمعت أبا القاسم جنيد بن محمد يقول الجلوس مع الأضداد حمى الروح قال وأنا عبد الوهاب أنا علي بن الحسن الصوفي يقول سمعت أبا علي الأزهري واسمه الحسين بن عبد الله يقول سمعت أبا القاسم جنيد وسئل عن الفتوة فقال استعمال كل خلق سني والتبري من كل خلق دني ولا ترى أنك عملت

٧٠٧٠ - محمد بن نصير بن جعفر (٤) يعرف بابن أبي حمزة أبو بكر التميمي إمام مسجد باب الجابية قرأ القرآن على هارون بن موسى بن شريك الأخفش وانتهت إليه رياسة الإقراء بعد الأخفش وكان أكبر أصحاب الأخفش وأشهرهم

---

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر ابن عساكر، أبو القاسم ٤٢٠/٥٢

بالقرآن وقد قرأ الناس في أيام الأخفش وبعد وفاته

---

(١) سقطت من الاصل واستدركتن عن د

(٢) تحرفت في د إلى: المزني

(٣) بالاصل: " الزاهر " وفي د: الزهري والمثبت عن المختصر

(٤) الزيادة استدركت عن هامش الاصل." (١)

"أنبأنا أبو علي الحسن بن أحمد أنا أبو نعيم (١) نا عبد الله بن محمد إملاء نا أحمد بن الحسين نا أحمد بن إبراهيم الدورقي نا أحمد بن نصر بن مالك أبو عبد الله المروزي نا سلمة أبو صالح حدثني كنانة بن جبلة الهروي قال قال يزيد الرقاشي خذوا الكلمة الطيبة (٢) ممن قالها وإن لم يعمل بها فإن الله يقول " يستمعون القول فيتبعون أحسنه (٣) " ألا تحمد من تعطيه فانيا فيعطيك باقيا درهما يعني بعشرة تبقى إلى سبع مائة ضعف أما لله عندك مكافأة مطعمك ومسقيك وكافيك حفظك في ليلك ونهارك وأجابك في ضرائك كأنك نسيت ليلة وجع الأذن وليلة وجع العين أو خوفا في بر أو خوفا في بحر دعوته فاستجاب لك إنما أنت لص من لصوص الذنوب كلما عرض لك عارض (٤) عانقته إن سرك أن تنظر إلى الدنيا بما فيها من ذهبها وفضتها وزخارفها فهلم أخبرك تشيع جنازة فهي الدنيا بما فيها من ذهبها وفضتها وزخارفها ثم احتمل القبر بما فيه أما إني لست آمرك أن تحمل تربته ولكني آمرك أن تحتمل فكرته أخبرنا أبو محمد بن طاوس نا أبو مسعود سليمان بن إبراهيم بن محمد إملاء نا أبو علي الحسن بن أحمد بن إبراهيم بن شاذان نا أبو بكر محمد بن جعفر الآدمي القارئ نا أحمد بن عبيد بن ناصح النحوي (٥) نا الأصمعي قال قال يزيد الرقاشي خمس يقبحن (٦) من خمس الحرص من القراء والعجلة من الأمراء والفحش من ذوي الشرف والبخل من ذوي الأموال والفتوة من ذوي الأسنان أخبرنا أبو القاسم بن السمرقندي أنا أبو بكر بن الطبري أنا أبو الحسين بن بشران أنا أبو علي بن صفوان نا ابن أبي الدنيا حدثني محمد بن الحسين (٧) نا زيد (٨) بن الحباب نا حوشب بن عقيل قال سمعت يزيد الرقاشي يقول لما حضره الموت "كل نفس ذائقة الموت وإنما توفون أجوركم يوم القيامة (٩) " ألا إن الأعمال محضرة والأجور

---

(١) رواه أبو نعيم الحافظ في حلية الاولياء ٣ / ٥١ وتهذيب الكمال ٢٠ / ٢٨٠ من طريقه كنانة بن جبلة

(٢) سقطت من الاصل واستدركت عن " ز " وم والحلية وتهذيب الكمال

(٣) سورة الزمر الاية: ١٨

(٤) زيادة عن حلية الاولياء

(٥) من طريقه رواه المزي في تهذيب الكمال ٢٠ / ٢٨٠

(٦) كذا بالاصل و " ز " والمختصر وفي تهذيب الكمال: " يفتحن " وبدون إعجام في م

---

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر ابن عساكر، أبو القاسم ١١٩/٥٦

(٧) بالاصل: الحسن تصحيف والمثبت عن " ز " وم

(٨) كذا بالاصل وم وفي " ز ": يزيد

(٩) سورة آل عمران الاية: ١٨٥." (١)

"وقيل إنه أسلم في خلافة أبي بكر، وكان ثقة فيما يروي من الحديث.

وحدث جبير بن نفير قال «١» :

أدركت الجاهلية وأتانا رسول [رسول] «٢» الله صلى الله عليه وسلم باليمن فأسلمنا. في حديث طويل.

وحدث جبير بن نفير قال:

قد استقبلت الإسلام من أوله، فلم أزل أرى في الناس صالحا وطالحا «٣» .

حدث جبير بن نفير «٤» :

أن يزيد بن معاوية كتب إلى معاوية فذكر أن جبير بن نفير قد نشر في أهل مصري حديثا، فقد تركوا القرآن، قال: فبعث إلى جبير، فقرأ عليه كتاب يزيد، فعرف بعضه، وأنكر بعضه، فقال معاوية: لأضربنك ضربا أدعك لمن بعدك نكالا، قال جبير: يا معاوية لا تطغ في، يا معاوية، إن الدنيا قد انكسرت عمادها، وانخسفت أوتادها، وأحبها أصحابها، قال:

فجاء أبو الدرداء فأخذ بيد جبير فقال: والذي نفس أبي الدرداء بيده لئن كان تكلم [به] «٥» جبير لقد تكلم به أبو الدرداء، ولو شاء جبير أن يخبر أنه إنما سمعه من أبي الدرداء لفعل، ولو ضربتموه يا معاوية، لضربكم الله بقارعة تحل بدياركم فتتركها منكم بلاقع «٦» .

وعن جبير بن نفير قال:

خمس خصال قبيحة في أصناف من الناس: الحدة في السلطان، والحرص في القراء، والفتوة في الشيوخ، والشح في الأغنياء، وقلة الحياء في ذوي الأحساب.

توفي جبير بن نفير سنة خمس وسبعين. وقيل سنة ثمانين «٧» .." (٢)

"الأصحاب وكان هو المقصود من بينهم حسدا حتى اضطرته الحال إلى مفارقة الأوطان وامتد في أثناء ذلك إلى بغداد وورد على أمير المؤمنين القائم بأمر الله ولقي فيها قبولا وعقد له المجلس في منازله المختصة به وكان ذلك بمحضر ومرأى منه ووقع كلامه من مجلسه الموقع وخرج الأمر بإعزازه وإكرامه وعاد إلى نيسابور وكان يختلف منها إلى طوس بأهله وبعض أولاده حتى طلع صبح النوبة المباركة دولة السلطان ألب أرسلان في سنة خمس وخمسين وأربعماية فبقي عشر سنين في آخر عمره مرفها محترما مطاعا معظما وأكثر صفوه في آخر أيامه التي شاهدناه فيها أخيرا إلى أن يقرأ عليه كتبه والأحاديث المسموعة له وما يؤول إلى نصرة المذهب بلغ المنتمون إلية آلافا ملؤا بذكره وتصانيفه أطرافا ومن نثره الكرم أطال الله بقاء الشيخ يهدي المتوسم إلى صاحبه ويقضي للمؤمل بنجح مطالبه وإني أجلت صواعد قصدي في كل قطر أشيم برق الحرية

---

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر ابن عساكر، أبو القاسم ٦٥/٩١

(٢) تاريخ دمشق لابن عساكر ابن عساكر، أبو القاسم ٧٢/٥٠

وأعملت قواصد فكري في كل نحو استنشق نسيم **الفتوة** فما فاح إلا من بابه نشره ومالاح إلا من جنابه بشره فتعرفت إليه بأني ممن هداه إلى وده بقاء عهده وحداه على قصده ضياء مجده وأرجو أنه إذا عجم عود ولائي أستصلبه وإذا قيد قلبي بإحسانه ما سيبه والله عزوجل يديم تمكينه ويحرس عن الغير نعمته دينه بمنه إن وجد الشيخ في مجلس العميد فراغا وللمنطق مساغا طالعه بأن فلانا إلى الباب متردد وبإقامة رسم الزيارة مستعد وليس يشكو تحمله خجلة الحجاب ولكنه يشكو تجمله بحضور الباب والسلام توفي صبيحة يوم الأحد قبل طلوع." (١)

"١٢٥٣ – أنشدني أبو عمران موسى بن محمد بن خطاب الكندي السبتي بديار مصر أنشدنا أبو بحر يوسف بن عبد الصمد الخولاني الأندلسي بسبتة لنفسه من قصيدة طويلة طائلة

(لئن مطلتني الليالي بوعد ... فكم أمسك الغيث ثم انهمل)

(وإن نلت من بعد لأي مرادا ... فما أحسن الحلي بعد العطل)

(وقد يمكن الوصل بعد الصدود ... وقد يدرك الأمن بعد الوجل)

(وتمرض ثم تصح الجسوم ... وتصعب ثم تزول العلل)

(ولا بد للريح من أن تهب ... ولا بد للروض من أن يطل) // المتقارب //

١٢٥٤ – أبو عمران قد كان من أعيان العدوة بالمغرب وقد زوجه مروان بن سمحون اللواتي الطنجي ابنته وسمع الحديث عليه وعلى أبي إسحاق الفاسي وأنشدنا مقطعات كثيرة من شعر المغاربة الذين رآهم كأبي الحسن علي بن بياع السبتي والمرادي المتكلم وأبي بحر الخولاني الأندلسي سمع علي كثيرا طول إقامته بالثغر وكان شيخا موقرا حسن الأدب آثار الرياسة بينة عليه ورجع إلى المغرب وهناك توفي رحمه الله

١٢٥٥ – سمعت أبا عمران موسى بن محمد بن سعيد الجوبي بدمشق يقول سمعت أبا الحسن الخرائطي بالجزيرة يقول قال الشيخ أبو بكر محمد بن الحسن البشنوي تعلمت أحسن الخلق من أخس الخلق تعلمت **الفتوة** من الديك والوفاء من الكلب والاحتمال من الحمار ألا ترى أن الديك إذا قدمت إليه علفا صاح بالديكة ولا يأكل خفية والكلب إن أطعمته لقمة عرف لك ذلك ما حييت والحمار إن ضربته أو لم تطعمه أو ركبته صبر على أذاك من غير صياح ولا صراخ

١٢٥٦ – الجوبيون قبيلة من الأكراد ويقال لهم الشوبية أيضا بالشين بطن من." (٢)

"الاسكندرية، وهى «أبو الفوارس» والكنية الأولى أشهر، ولم أجد ما يؤيد الأخريين. ويلقب «مؤيد الدولة مجد الدين» .

ونشأ أسامة فى كنف أبويه وعمه وجدته، وفى وسط أسرة من أعظم الأسر العربية، أكثر رجالها فرسان محاربون من الطبقة الأولى، وبعد ولادته بنحو سنتين بدأت الحروب الصليبية فى بلاد الشام سنة ٤٩٠، ورباه أبوه على الشجاعة **والفتوة** والرجولة، ومرنه على الفروسية والقتال، وكان يخرجه معه إلى الصيد، ويدفع به بين لهوات الأسود. فأخرج منه فارسا كاملا،

---

(١) تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الأشعري ابن عساكر، أبو القاسم ص/٢٧٥

(٢) معجم السفر أبو طاهر السِّلَفي ص/٣٧٢

وسياسيا ماهرا، ورجلا ثابتا كالرواسى، لا تزعزعه الأعاصير، ولا تهوله النكبات والرزايا. فهو يقول عن نفسه بعد أن جاوز التسعين، إذ يحكي بعض ما لقي من الأهوال:

«فهذه نكبات تزعزع الجبال، وتفني الأموال، والله سبحانه يعوض برحمته، ويختم بلطفه ومغفرته. وتلك وقعات كبار شاهدتها، مضافة إلى نكبات نكبتها، سلمت فيها النفس لتوقيت الآجال، وأجحفت بهلاك المال» (الاعتبار ص ٣٥) .

ويقول أيضا: «فلا يظن ظان أن الموت يقدمه ركوب الخطر، ولا يؤخره شدة الحذر، ففى بقائي أوضح معتبر، فكم لقيت من الأهوال، وتقحمت المخاوف والأخطار، ولاقيت الفرسان، وقتلت الأسود، وضربت بالسيوف، وطعنت بالرماح، وجرحت بالسهام والجروخ «١» - وأنا من الأجل فى حصن حصين- إلى أن بلغت تمام التسعين ... فأنا كما قلت:

مع الثمانين عاث الدهر فى جلدي ... وساءنى ضعف رجلى واضطراب يدي

اذا كتبت فخطي جد مضطرب ... كخط مرتعش الكفين مرتعد

فاعجب لضعف يدي عن حملها قلما ... من بعد حطم القنا فى لبة الأسد." [1]

"قال المتنبي:

وترى الفتوة والمروءة والأبوة ... في كل مليحة ضراتها

هن الثلاث المانعات لذتي ... في خلوتي لا الخوف من تبعاتها

قال الحكيم: إذا لم تتصرف النفس في شهواتها ومرادها فحياتها موت ووجودها عدم.

قال المتنبي:

ذل من يغبط الذليل بعيش ... رب عيش اخف منه الحمام

قال الحكيم: الفرق بين الحلم والعجز أن الحلم لا يكون إلا عن قدرة، والعجز لا يكون إلا عن ضعف؛ وليس للعاجز أن يسمى بالحليم وهو عاجز.

قال المتنبي:

كل حلم أتى بغير اقتدار ... حجة لاجئ إليها اللئام

قال الحكيم: النفس الذليلة لا تجد الهوان والنفس العزيزة يؤثر فيها يسير الكلام.

قال المتنبي:

من يهن يسهل الهوان عليه ... ما لجرح بميت إيلام

قال الحكيم: موت النفس حياتها، وعدمها وجودها؛ لأنها تلحق بعالمها.

قال المتنبي:

كأنك بالفقر تبغي الغنى ... وبالموت في الحرب تبغي الخلودا." [2]

---

(١) لباب الآداب لأسامة بن منقذ أسامة بن منقذ ص/٢٠

(٢) البديع في نقد الشعر أسامة بن منقذ ص/٢٧٢

"ومصر مربع الفضلاء، ومرتع النبلاء، ومطلع البدور، وموضع الصدور، وأهلها أذكياء أزكياء، يبعد من أقوالهم وأعمالهم العي والعياء، لاسيما في هذا الزمان المذهب، والوقت المهذب، بدولة مولانا الملك الناصر، جامع كلمة الإيمان، قامع عبدة الصلبان، صلاح الدنيا والدين، سلطان الإسلام والمسلمين، أبي المظفر يوسف بن أيوب محيي دولة أمير المؤمنين، ففي أيامه الزاهرة، ودولته القاهرة، أشرقت الأرض بنور ربها، وهبت الأرياح من مهبها، ورفعت معالم العدل والعلم، وخضعت دعائم الجهل والظلم، وأثبتت أمالي الآمال في دفاتر النجاح، وكتب أمان الأماني بمهارق الفلاح، واستدر جود الجود، واستقر طود الوجود، وزف هدي الهدى على خاطبي النصر، وحف ندي الندى بطالبي الوفر، واتضح الحق، واتضع الباطل، وعز العالم وذل الجاهل، وأفاض الأفاضل في الشكر، وراض الأماثل قرح القرائح في النظم والنثر، وعاد الرجاء مفتوح الرتاج، ممنوح النتاج، حالي التاج بيواقيت الفوز، علي السراج في مواقيت العز، أرج الآفاق بذائع البدائع، رائج الأسواق بضاع البضائع، بوجود المولى الفاضل، وجده المولى إلى الأفاضل، وكفى مصر فخرا سمو سناء فضله في ذراها، ودنو جنى أفضاله لذراها، فإنه ذو السؤدد الظاهر، والمحتد الطاهر، والسلف الكريم، والشرف الصميم، والعرف الزكي، والعرف الذكي، **والفتوة** الراجحة، والمروة الناجحة، والظن المخمر بالدين، واليقين المؤزر بالصدق المبين، والحق المتين، والبلاغة التي لم يبلغ إلى شأنها قس والرأي الذي لم يهتد إلى سننه قيس، والبراعة التي نسخت شريعتها بالإعجاز شرائع الفصحاء، وبذخت صنعتها بالإحراز لبدائع البلغاء.

وهو الذي راش نبل نبلي، وأعاش شخص فضلي، وأقام جاه أملي بعد الخمول، وأنام عين وجلي عند الذهول، وثبت عرش حفظي، ونبت غرس حظي، ونشرني وقد كاد يطوى اسمي، وأنشرني وقد كرب يبلى رسمي، ورغبني في قصد مصر عند توجه مولانا الملك الناصر من دمشق إليها عائدا وحقق عندي أنه يكون لي مساعفا مساعدا، فسرت في أول شهر ربيع الأول من دمشق في الخدمة الناصرية، ووصلت آخر الشهر إلى القاهرة الصلاحية، فقابل وفادتي بوافر رفادته، وموافاتي بوافي إفادته، ونوه بذكرى، ونبه على قدري، ونظم أمري، واغتنم شكري، وخفف ثقلي، ورادف نهلي وعلي. وحين ملكت مادة بره، سلكت جادة شكره، وصار حمدي الحر له مسترقا، ونفسي المستعبدة لآمالها بنجح آماله قد صادفت عتقا.

ومما نظمته في طريق مصر قصيدة ذكرت فيها المنازل على ترتيبها، والشوق إلى دمشق وطيبها، ووصلتها بمدح الملك الناصر، وتلوى المولى الفاضل نعش جدها العاثر، وترويج حظها الكاسد، وسعرها القاصر، أولها

هجرتكم لا عن ملال ولا غدر ... ولكن لمقدور أتيح من الأمر

وما كنت أدري أن يتاح فراقكم ... ومن يعلم الأمر المقدر أو يدري

وأعلم أني مخطىء في فراقكم ... وعذري في ذنبي وذنبي في عذري

أرى نوبا للدهر تحصى وما أرى ... أشد من الهجران في نوب الدهر

بعيني إلى لقيا سواكم غشاوة ... وسمعي إلى نجوى سواكم لذو وقر

وقلبي وصدري فارقاني لبعدكم ... فلا صدر في قلبي ولا قلب في صدري

وإني على العهد الذي تعهدونه ... وسرى لكم سرى، وجهري لكم جهري

تجرعت صرف الهم من كأس شوقكم ... فها أنا في صحوي نزيف من السكر

وإن زمانا ليس يعمر موطني ... بسكناكم فيه فليس من العمر

وأقسم لو لم يقسم البين بيننا ... جوى الهم ما أمسيت منقسم الفكر

أسير إلى مصر وقلبي أسيركم ... ومن عجب أسري وقلبي في أسر

أخلاي قد شط المزار فأرسلوا ... الخيال وزوروا في الكرى واربحوا أجري

تذكرت أحبابي بجلق بعد ما ... ترحلت والمشتاق يأنس بالذكر." (١)

"وأنا الآن موف حق هذا القسم الرابع، بذكر ما أثبته من البدائع، ومورد كل ما يهتز له عطف السامع، ويتنزه فيه طرف الراتع، فانظم من در ماشيت ولا تلم ببحره إن خشيت؛ فإن در البحر يجلبه من يلازم الغوص، ودر الفكر يحلبه من يداوم الفحص.

شعراء مصر

وقبل شروعي في ذكر أعيان مصر وأحاسنها، ومزايا فضائلها ومزاينها، أقدم ذكر من جميع أفاضل الدهر، وأماثل العصر، كالقطرة في تيار بحره، بل كالذرة في أنوار فجره، وهو:

المولى الأجل القاضي الفاضل الأسعد أبو علي عبد الرحيم بن القاضي الأشرف أبي المجد علي بن الحسن بن الحسن بن أحمد

ابن البياني

صاحب القران، القديم الأقران، وواحد الزمان، العظيم الشان، رب القلم والبيان، واللسن واللسان، والقريحة الوقادة، والبصيرة النقادة، والبديهة المعجزة، والبديعة المطرزة، والفضل الذي ما سمع في الأوائل بمن لو عاش في زمانه لتعلق بغباره، أو جرى في مضماره. فهو كالشريعة المحمدية التي نسخت الشرائع ورسخت بها الصنائع، يخترع الأفكار، ويفترع الأبكار، ويطلع الأنوار، ويبدع الأزهار. وهو ضابط الملك بآرائه، ورابط السلك بآلائه، إن شاء أنشأ في يوم واحد بل في ساعة واحدة ما لو دون لكان لأهل الصناعة خير بضاعة. أين قس عند فصاحته وأين قيس في مقام حصافته، ومن حاتم وعمرو في سماحته وحماسته. فضله بالإفضال حال، ونجم قبوله في أفق الإقبال عال، لا من في فعله، ولا مين في قوله، ولا خلف في وعده ولا بطء في رفده. الصادق الشيم، السابق بالكرم، ذو الوفاء والمروة، والصفاء **والفتوة**، والتقى والصلاح والندى والسماح. منشر رفات العلم وناشر راياته، وجالي غيابات الفضل وتالي آياته. وهو من أولياء الله الذين خصوا بكرامته، وأخلصوا لولايته، قد وفقه الله للخير كله. وفضل هذا العصر على الأعصار السالفة بفضله ونبله؛ فهو مع ما يتولاه من أشغال المملكة الشاغلة، ومهامه المستغرقة في العاجلة، لا يغفل عن الآجلة، ولا يفتر عن المواظبة على نوافل صلاته، وحفظ أوراده

(١) خريدة القصر وجريدة العصر – أقسام أخرى العماد الأصبهاني ٢/٦١٥

ووظائفه، وبث أصفاده وعوارفه، ويختم كل يوم ختمة من القرآن المجيد، ويضيف إليه ما شاء من المزيد. وأنا أوثر أن أفرد بنظمه ونثره كتابا فإنني أغار من ذكره مع الذين هم كالسها في فلك شمسه وذكائه، وكالثرى عند ثريا علمه وذكائه؛ فإنما تبدو النجوم إذا لم تبد الشمس حاجبها، ولا حجب نور الغزالة عند إشراقها كواكبها؛ ولأنه لا يؤثر أيضا إثبات ذلك، فأنا متمثل لأمره المطاع ملتزم له قانون الاتباع؛ واضع أذني لإذنه قابض يميني على يمنه، راكن بأملي إلى ركنه، قاطن برجائي في ظل منه، أقترض رضاه، ولا أحكم على ما يحكم به ويراه، ولا أقوم إلا حيث يقيمني، ولا أسوم إلا ما يسومني، ولا أعرف يدا ملكتني غير يده، ولا أتصدى إلا ما جعلني بصدده، وأسأل الله التوفيق للثبات على هذا السنن وانتهاج جدده.

وهو أحق ممدوحي بمدحي، وأقضاهم لحقه، وأسماهم في أفقه، وأولاهم بصدقه، وأهداهم إلى طرقه، ولي فيه مدائح منظومة ومنثورة، ومقاصد معاهدها بفضله معمورة، وقصائد قلائدها على مجده موفورة. فمن ذلك من قصيدة كتبت بها إليه عند وصوله إلى الشام في الخدمة الملكية الناصرية سنة سبعين واتصالي به:

قد أهدي الإثراء في الإيفاض لي ... مذ فاض لي بالرحب بحر الفاضل

قد عاض لي ملقاه من فقري غنى ... ما زال صرف الدهر منه عاضلي

كم من منى ضلت وعاودت الهدى ... بلقائه حتى غلبت مناضلي

عاينت طود سكينة ورأيت شمس ... فضيلة ووردت بحر فواضل

ولقيت سحبان البلاغة ساحبا ... ببيانه ثوب الفخار لوائل

أبصرت قسا في الفصاحة معجزا ... فعرفت أني في فهاهة باقل

حلف الفصاحة والحصافة والسما ... حة والحماسة والتقى والنائل

بحر من الفضل الغزير خضمه ... طامي العباب وما له من ساحل

ومنها:

في كفه قلم يعجل جزيه ... ما كان من أجل ورزق آجل

يجري ولا جري الحسام إذا مضى ... حداه بل جري القضاء النازل." (١)

"وعن محمد بن ابراهيم قال سمعت رويم بن احمد يقول منذ عشرين سنة لا يخطر بقلبي ذكر الطعام حتى يحضر.

وقال عبد الله بن محمد الدينوري سمعت رويم بن احمد يقول مكثت عشرين سنة لا يعرض في سري ذكر الاكل حتى يحضر.

وعن جعفر الخلدي في كتابه قال سمعت رويم بن احمد يقول الاخلاص ارتفاع رؤيتك عن فعلك **والفتوة** ان تعذر اخوانك في زللهم ولا تعاملهم بما يحوجك الى الاعتذار اليهم.

وسمعته يقول الصبر ترك الشكوى والرضا استلذاذ البلوى والتوكل اسقاط رؤية الوسائط.

وقال احمد بن فارس قال رويم ليس الا بذل الروح والا فلا تشتغل بترهات الصوفية.

وعن الحسين بن هارون قال سمعت رويما الصوفي يقول اذا وهب الله لك مقالا وفعالا فاخذ منك المقال وترك عليك الفعال

---

(١) خريدة القصر وجريدة العصر - أقسام أخرى العماد الأصبهاني ٢/٦٢٥

قال تبال فانها نعمة وان اخذ منك الفعال وترك عليك المقال فنح على نفسك فانها مصيبية وان اخذ منك المقال والفعال فاعلم انها نقمة.

أسند رويم عن يزيد بن سنان البصري.

وتوفي ببغداد في سنة ثلاث وثلاثمائة رحمه الله.." (١)

"عبد الله: سبعة عشر من أصحاب رسول الله رفعوا، ثم قرأ: ﴿فليحذر الذين يخالفون عن أمره﴾ ثم قال: الرفع زين الصلاة. قال: فرجعت إلى بشر فأخبرته، فقال: ومن أنا من أبي عبد الله، ومن أنا من أبي عبد الله، ذلك أعلم مني، ذلك أعلم مني.

أخبرنا محمد بن أبي منصور، قال: أخبرنا أبو الحسين بن عبد الجبار، قال: أخبرنا محمد بن عبد الواحد الحريري، قال: أخبرنا أبو عمر بن حيويه، أن أبا مزاحم الخاقاني أخبرهم قال: حدثني أحمد بن إبراهيم البزاز، قال: حدثني محمد بن جعفر، قال: حدثني إبراهيم ابن أخي الجهم العكبري، عن عمه جهم- وكان جهم هذا يغشى أبا عبد الله وبشر بن الحارث- قال: أتيت يوما أحمد بن حنبل فدخلت عليه وهو متشح، فوقع أحد عطفي إزاره عن منكبه، فنظرت إلى موضع الضرب- أحسبه قال-: فدمعت عيني، ففطن فرد الثوب إلى منكبه. قال: ثم صرت إلى بشر بن الحارث فحدثته الحديث. قال: فقال لي: ويحك! إن أحمد بن حنبل طار بحظها وغنائها في الإسلام. قال محمد بن جعفر: فحدثت به أبا بكر المروذي فاستحسنه وكتبه عني.

أخبرنا عمر بن ظفر، قال: أخبرنا جعفر بن أحمد السراج، قال: أخبرنا عبد العزيزب ن علي الأزجي، قال: أخبرنا أبو الحسن بن جهم، قال: حدثنا أبو بكر النقاش، قال: سمعت إبراهيم بن إسحاق الحربي، يقول: سمعت بشر ابن الحارث، يقول: سمعت المعافى بن عمران يقول: سئل سفيان الثوري عن **الفتوة**، فقال: **الفتوة** العقل والحياء، ورأسها الحفاظ، وزينتها الحلم." (٢)

"والأدب، وشرفها العلم والورع، وحليتها المحافظة على الصلوات، وبر الوالدين، وصلة الرحم، وبذل المعروف، وحفظ الجار، وترك التكبر، ولزوم الجماعة والوقار، وغض الطرف عن المحارم، ولين الكلام، وبذل السلام، وبر الفتيان العقلاء الذين عقلوا عن الله تعالى أمره ونهيه، وصدق الحديث، واجتناب الحلف والأيمان، وإظهار المودة، وإطلاق الوجه، وإكرام الجليس، والإنصات للحديث، وكتمان السر، وستر العيوب، وأداء الأمانة، وترك الخيانة، والوفاء بالعهد، والصمت في المجالس من غير عي، والتواضع من غير حاجة، وإجلال الكبير، والرفق بالصغير، والرأفة والرحمة للمسلمين، والصبر عند البلاء، والشكر عند الرخاء، وكمال **الفتوة**؛ الخشية لله عز وجل، فينبغي للفتى أن تكون فيه هذه الخصال، فإذا كان كذلك كان فتى بحقه.

قال بشر بن الحارث: وكذلك كان أحمد بن حنبل فتى، لأنه قد جمع هذه الخصال كلها، وكان يلبس إزارا مفتولا.

الحارث المحاسبي

---

(١) صفة الصفوة ابن الجوزي ٥٣٢/١

(٢) مناقب الإمام أحمد ابن الجوزي ص/١٦٠

أخبرنا إسماعيل بن أحمد، ومحمد بن عبد الباقي، قالا: أخبرنا حمد بن أحمد، قال: حدثنا أبو نعيم الحافظ، قال: حدثنا سليمان بن أحمد، قال: حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل، قال: كتب إلي الفتح بن شخرف بخط يده، قال: ذكر أبو عبد الله أحمد بن حنبل عند الحارث بن أسد، قال الفتح: فقلت للحارث: سمعت عبد الرزاق يقول: سمعت سفيان بن عيينة يقول: علماء الأزمنة ثلاثة: ابن عباس في زمانه، والشعبي في زمانه؛ والثوري في زمانه. قال الفتح: فقلت أنا للحارث: وأحمد بن حنبل في زمانه، فقال لي الحارث: أحمد بن حنبل نزل به ما لم ينزل بسفيان الثوري والأوزاعي.." (١)

"أخبرنا أبو بكر بن حبيب، قال: أخبرنا أبو سعد بن أبي صادق قال: أخبرنا أبو عبد الله بن باكويه، قال: حدثنا أبو العباس محمد بن الحسن الخشاب، قال: حدثنا أبو القاسم بن موسى، قال: حدثنا يعقوب بن إسحاق، قال: سمعت أحمد بن حنبل– وسئل عن التوكل – فقال: هو قطع الاستشراف باليأس من الخلق. قيل له: فما الحجة فيه؟ قال: قصة الخليل لما وضع في المنجنيق مع جبريل حين قال له: أما إليك فلا. فقال له: فسل من لك إليه الحاجة. قال: أحب الأمرين إلي أحبهما إليه.

أخبرنا عبد الملك الكروخي، قال: أخبرنا بعد الله بن محمد الأنصاري، قال: أخبرنا محمد بن أحمد بن محمد المروزي، قال: أخبرنا محمد بن الحسين قال: سمعت على بن عمر الدارقطني، قال: سمعت أبا سهل بن زياد، قال: سمعت عبد الله بن أحمد بن حنبل يقول: سئل أحمد عن **الفتوة** فقال: ترك ما تهوى لما تخشى.

أخبرنا محمد بن ناصر، قال: أنبأنا أبو علي الحسن بن أحمد، قال: أخبرنا هلال بن محمد، قال: أخبرنا أحمد بن مالك القطيعي، قال: حدثنا العباس ابن يوسف الشكلي، قال: حدثني محمد بن نصر قال: سمعت أحمد بن حنبل." (٢)

"البارد وكونه في مرقعة لا يمكنه الحركة فيها كما يريد ولعله قد بقي من مغابنه ما لم يصل إليه الماء لكثافة هذه المرقعة وبقاءها عليه مبتلة شهرا وذلك يمنعه لذة النوم وكل هذا الفعل خطأ وأثم وربما كان ذلك سببا لمرضه أو قتله.

أخبرنا المحمدان بن ناصر وابن عبد الباقي قال أخبرنا حمد بن أحمد بن عبد الله الأصبهاني قال كانت أم علي زوجة أحمد بن حضرويه قد أحلت زوجها أحمد من صداقها على أن يزور بها أبا يزيد البسطامي فحملها إليه فدخلت عليه وقعدت بين يديه مسفرة عن وجهها فلما قال لها أحمد رأيت منك عجبا أسفرت عن وجهك بين يدي أبي يزيد قالت لأني لما نظرت إليه فقدت حظوظ نفسي وكلما نظرت إليك رجعت إلى حظوظ نفسي فلما أراد أحمد الخروج من عند أبي يزيد قال له أوصني قال تعلم **الفتوة** من زوجتك أخبرنا أبو بكر بن حبيب نا أبو سعد بن أبي صادق نا بن باكويه سمعت أبا بكر الفازي وفاز قرية بطرسوس سمعت أبا بكر السباك سمعت يوسف بن الحسين يقول كان بين أحمد بن أبي الحواري وبين أبي سليمان عقد أن لا يخالفه في شيء يؤمره به فجاءه يوما وهو يتكلم في المجلس فقال إن التنور قد سجرناه فما تأمرنا فما أجابه فأعاد مرة أو مرتين فقال له الثالثة أذهب واقعد فيه ففعل ذلك فقال أبو سليمان ألحقوه فإن بيني وبينه عقدا أن لا يخالفني في شيء آمره به فقام وقاموا معه فجاؤا إلى التنور فوجدوه قاعدا في وسطه فأخذ بيده وأقامه فما أصابه خدش.

---

(١) مناقب الإمام أحمد ابن الجوزي ص/١٦١

(٢) مناقب الإمام أحمد ابن الجوزي ص/٢٧٢

قال المصنف رحمه الله: هذه الحكاية بعيدة الصحة ولو صحت كان دخوله النار معصية وفي الصحيحين من حديث علي رضي الله عنه قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سرية واستعمل عليها رجلا من الأنصار فلما خرجوا وجد عليهم في شيء فقال لهم أليس قد أمركم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تطيعوني قالوا بلى قال فاجمعوا حطبا فجمعوا ثم دعا بنار فأضرمها ثم قال عزمت عليكم لتدخلنها قال فهم القوم أن يدخلوها فقال لهم شاب إنما فررتم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من النار فلا تعجلوا حتى تلقوا النبي صلى الله عليه وسلم فإن أمركم أن تدخلوها فادخلوا فرجعوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبروه فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لو دخلتموها ما خرجتم منها أبدا إنما الطاعة في المعروف" أخبرنا عبد الرحمن بن محمد القزاز نا أحمد بن علي بن ثابت نا أبو نعيم الحافظ أخبرني الحسن بن جعفر بن علي أخبرني عبد الله بن إبراهيم الجزري قال قال أبو الخير الديلمي كنت جالسا عند خير النساج فأتته امرأة وقالت له أعطيني المنديل الذي دفعته إليك قال نعم فدفعه إليها قالت كم الأجرة قال." (١)

"الحسين أو يقول أنا قريب النسب من فلان العالم أو من فلان الزاهد وهؤلاء يبنون أمرهم على أمرين أحدهما أن يقولون من أحب إنسانا أحب أولاده وأهله والثاني أن هؤلاء لهم شفاعة وأحق من شفعوا فيه أهلهم وأولادهم وكلا الأمرين غلط أما المحبة فليس محبة الله عز وجل كمحبة الآدمين وإنما يحب من أطاعه فإن أهل الكتاب من أولاد يعقوب ولم ينتفعوا بآبائهم ولو كانت محبة الأب يسرى لسرى إلى البعض أيضا وأما الشفاعة فقد قال الله تعالى: ﴿ولا يشفعون إلا لمن ارتضى﴾ ولما أراد نوح حمل ابنه في السفينة قيل له إنه ليس من أهلك ولم يشفع إبراهيم في أبيه ولا نبينا في أمه وقد قال صلى الله عليه وسلم لفاطمة رضي الله عنها: "لا أغني عنك من الله شيئا" ومن ظن أنه ينجو بنجاة أبيه كمن ظن أنه يشبع بأكل أبيه.

فصل: ومن تلبيسه عليهم أن يعتمد أحدهم على خلة خير ولا يبالي بما فعل بعدها

فمنهم من يقول أنا من أهل السنة وأهل السنة على خير ثم لا يتحاشى عن المعاصي وكشف هذا التلبيس أن يقال له إن الاعتقاد فرض والكف عن المعاصي فرض آخر فلا يكفي أحدهما عن صاحبه وكذلك تقول الروافض نحن يدفع عنا موالاة أهل البيت وكذبوا فإنه إنما يدفع التقوى ومنهم من يقول أنا ألازم الجماعة وأفعل الخير وهذا يدفع عني وجوابه كجواب الأل.

فصل: ومن هذا الفن تلبيسه على العيارين في أخذ أموال الناس فإنهم يسمون بالفتيان ويقولون الفتى لا يزني ولا يكذب ويحفظ الحرم ولا يهتك ستر امرأة ومع هذا لا يتحاشون من أخذ أموال الناس وينسون تقلى الأكباد على الأموال ويسمون طريقتهم **الفتوة** وربما حلف أحدهم بحق **الفتوة** فلم يأكل ولم يشرب ويجعلون إلباس السراويل للداخل في مذهبهم كإلباس الصوفية للمريد المرقعة وربما يسمع أحد هؤلاء عن أبنته أو أخته كلمة وزر لا تصح ولا بما كانت من محرض فقتلها ويدعون أن هذه فتوة وربما أفتخر أحدهم بالصبر على الضرب وبإسناد عن عبد الله بن أحمد بن حنبل أنه كان يقول كنت كثيرا أسمع والدي أحمد بن حبنل يقول رحم الله أبا الهيثم فقلت من أبو الهيثم فقال أبو الهيثم الحداد لما مددت يدي إلى العقاب

---

(١) تلبيس إبليس ابن الجوزي ص/٣١٠

وأخرجت للسياط إذا أنا بانسان يجذب ثوبي من ورائي ويقول لي تعرفني قلت لا قال أنا أبو الهيثم العيار اللص الطرار مكتوب في ديوان أمير المؤمنين إني ضربت ثمانية عشرة ألف سوط بالتفاريق وصبرت في ذلك على طاعة الشيطان لأجل الدنيا فأصبر أنت في طاعة الرحمن لأجل الدين قلت أبو الهيثم هذا يقال له خالد الحداد وكان يضرب المثل بصبره وقال له المتوكل ما بلغ من جلدك قال املأ لي جرابي عقارب ثم أدخل يدي فيه وأنه ليؤلمني ما يؤلمك وأجد لآخر سوط من الألم ما." (١)

"مستيقظا جلدا فجاء إلى البصرة يتظلم وأعانه خلق من التجار وقال للأمير أنت دست على جوهري وما خصمي سواك فورد عليه أمر عظيم وخلا بالبوابين وتوعدهم فاستنظروه فأنظرهم وطلبوا واجتهدوا فما عرفوا فاعل ذلك فعنفهم الرجل فاستجابوا مدة أخرى فجاء أحد البوابين إلى الحبس فتخادم لابن الخياطة ولزمه نحو شهر وتذلل له في الحبس فقال له قد وجب حقك علي فما حاجتك قال جوهر فلان المأخوذ بالأبلة لا بد أن يكون عندك منه خبر فإن دماءنا مرتهنة به وحدثه الحديث فرفع ذيله وإذا سفط الجوهر تحته فسلمه إليه وقال قد وهبته لك فاستعظم ذلك وجاء بالسفط إلى الأمير فسأله عن القصة فأخبره بها فقال علي بعباس فجاؤا به فأمر بالإفراج عنه وإزالة قيوده وإدخاله الحمام وخلع عليه وأجلسه في مجلسه مكرما واستدعى الطعام فواكله وبيته عنده فلما كان من الغد خلا به وقال أنا أعلم أنك لو ضربت مائة ألف سوط ما أقررت كيف كانت صورة أخذ الجوهر وقد عاملتك بالجميل ليجب حقي عليك من طريق الفتوة وأريد أن تصدقني حديث هذا الجوهر قال على أنني ومن عاونني عليه آمنون وإنك لا تطالبنا بالذين أخذوه قال نعم فاستحلفه فقال له إن جماعة اللصوص جاؤوني الحبس وذكروا حال هذا الجوهر وإن دار هذا التاجر لا يجوز أن يتطرق عليها نقب ولا تسليق وعليها باب حديد والرجل متيقظ وقد راعوه سنة فما أمكنهم وسألوني فساعدتهم فدفعت إلى السجان مائة دينار وحلفت له بالشطارة والأيمان الغليظة أنه إن أطلقني عدت إليه من غد وأنه إن لم يفعل ذلك اغتلته فقتلته في الحبس فأطلقني فنزعنا الحديد وتركته وخرجت المغرب فوصلنا إلى الأبلة العتمة وخرجنا إلى دار الرجل فإذا هو في المسجد وبابه مغلق فقلت لأحدهم تصدق من الباب فتصدق فلما جاؤوا ليفتحوا قلت له أختفي ففعل ذلك مرات والجارية تخرج فإذا لم تر أحدا عادت إلى أن خرجت من الباب ومشت." (٢)

"خطوات تطلب السائل فتشاغلت بدفع الصدقة إليه فدخلت أنا إلى الدار فإذا في الدهليز بيت فيه حمار فدخلته ووقفت تحت الحمار وطرحت الجل علي وعليه وجاء الرجل فغلق الأبواب وفتش ونام على سرير عال والجوهر تحته فلما انتصف الليل قمت إلى شاة في الدار فعركت أذنها فصاحت فقال ويلك أقول لك افتقديها قالت قد فعلت قال كذبت وقام بنفسه ليطرح لها علفا فجلست مكانه على السرير وفتحت الخزانة وأخذت السفط وعدت إلى موضعي وعاد الرجل فنام فاجتهدت أن أجد حيلة أن أنقب إلى دار بعض الجيران فأخرج فما قدرت لأن جميع الدار مؤزرة بالساج ورمت صعود السطح فما قدرت لأن الممارق مقفلة بثلاثة أقفال فعملت على ذبح الرجل ثم استقبحت ذلك وقلت هذا بين يدي إن لم

---

(١) تلبيس إبليس ابن الجوزي ص/٣٤٧

(٢) الأذكياء ابن الجوزي ص/١٩٤

أجد حيلة غيره فلما كان السحر عدت إلى موضعي تحت الحمار وانتبه الرجل يريد الخروج فقال للجارية افتحي الأقفال من الباب ودعيه متربسا ففعلت وقربت من الحمار فرفس فصاحت فخرجت أنا ففتحت المترس وخرجت أعدو حتى جئت إلى المشرعة فنزلت في الخيطية ووقعت الصيحة في دار الرجل فطالبني أصحابي أن أعطيهم شيئا منه فقلت لا هذه قصة عظيمة وأخاف أن يتنبه عليها ولكن دعوه عندي فإن مضى على الحديث ثلاثة أشهر وافتكم فصيروا إلي أعطيكم النصف وإن ظهر خفت عليكم وعلى نفسي وجعلته حقنا لدمائكم فرضوا بذلك فأرسل الله هذا البواب بليه يخدمني فاستحييت منه وخفت أن يقتل هو وأصحابه وقد كنت وضعت في نفسي الصبر على كل عذاب فدخلتم علي من طريق أخرى لم أستحسن في الفتوة معها إلا الصدق فقال له الأمير جزاء هذا الفعل إن أطلقك ولكن تتوب فتاب وجعله الأمير من بعض أصحابه وأسنى له الرزق فاستقامت طريقته

قال أبو الحسين وحدثني أبي عن طالوت بن عباد الصيرفي قال." (١)

"كنت ليلة نائما بالبصرة في فراشي وأحراسي يحرسوني وأبوابي مقفلة فإذا أنا بابن الخياطة ينبهني من فراشي فانتبهت فزعا فقلت من أنت فقال ابن الخياطة فتلفت فقال لا تجزع قد قمرت الساعة خمسمائة دينار أقرضني إياها لأردها عليك فأخرجت خمسمائة دينار فدفعتها إليه فقال نم ولا تتبعني لأخرج من حيث جئت وإلا قتلتك قال وأنا والله أسمع صوت حراسي ولا أدري من حيث دخل ولا من أين خرج وكتمت الحديث خوفا منه وزدت في الحرس ومضت ليال فإذا أنا به قد أنبهني على تلك الصورة فقلت مرحبا ما تريد قال جئت بتلك الدنانير تأخذها مني فقلت أنت في حل منها فإن أردت شيئا آخر فخذ فقال لا أريد من نصح التجار شاركهم في أموالهم ولو كنت أردت أخذ مالك باللصوصية فعلت ولكنك رئيس بلدك ولا أريد أذيتك فإن ذلك يخرج عن الفتوة ولكن خذها فإن احتجت إلى شيء بعد هذا أخذت منك فقلت أن عودك لا يفزعني ولكن إذا أردت شيئا فتعال إلي نهارا أو رسولك فقال افعل فأخذت الدنانير منه وانصرف وكان رسوله يجيئني بعلامة بعد ذلك فيأخذ ما يريده بعد مدة فما انكسر لي عنده شيء إلى أن قبض عليه

حكى أبو محمد عبد الله بن علي بن الخشاب النحوي أن رجلا اشترى من مخاطى قطعة صابون ومضى إلى النهر لغسل ثيابه فلما وصل أخرجها فإذا هي قطعة آجر فصعب الأمر عليه وقال هذا يبيع الناس آجرا وصابونا فمضى إليه ليردها فلما وصل قال ويحك أتبيع الناس آجرا وصابونا قال كيف أبيع أجرا فأخرجها من كمه فإذا هي قطعة صابون فاستحى ورجع إلى النهر فأخرجها فإذا هي آجر فعاد إليه ووبخه وأخرجها فإذا هي قطعة صابون مرة أخرى كذلك حتى ضجر فقال له المخاطر لا يضيق صدرك فإن لنا ولدا قد أخرجناه نعلمه أن يبط ويحتال وإنك كلما مضيت فعل هذا فإذا رآك قد عدت لردها." (٢)

"ولست حقا بناسي عرفه أبدا ... حتى يغيبني لحد وأكفان

أنبأنا عبد الوهاب الحافظ قال أنبأنا جعفر بن احمد قال حدثنا عبد العزيز بن الحسن بن إسماعيل قال حدثنا أحمد بن مروان

---

(١) الأذكياء ابن الجوزي ص/١٩٥

(٢) الأذكياء ابن الجوزي ص/١٩٦

قال حدثنا أحمد بن محرز قال سمعت يحيى بن يحيى يقول قال بعض العباد أشرف العلماء من هرب بدينه من الدنيا واستصعب قياده على الهوى

أخبرنا ابن ظفر قال أنبأنا ابن السراج قال أنبأنا عبد العزيز بن علي قال أنبأنا ابن جهضم قال سمعت أبا علي المغازلي يقول سمعت الحسن بن محمد الجريري يقول أسرع المطايا إلى الجنة الزهد في الدنيا وأسرع المطايا إلى النار حب الشهوات فمن استوى على متن شهوة من الشهوات أسرع به القود إلى ما يكره

قال ابن جهضم وسمعت محمد بن علي يقول قال ابن عطاء من غلب هواه عقله وجزعه صبره افتضح

أخبرنا أبو بكر الصوفي قال أنبأنا أبو سعد الحيري قال أنبأنا ابن باكويه قال سمعت ابن دادويه قال سمعت عبد الله بن سهل يقول سمعت يحيى بن معاذ يقول من أرضى الجوارح في اللذات فقد غرس لنفسه شجر الندامات

أخبرنا عبد الرحمن بن محمد قال أنبأنا أبو بكر الخطيب قال أنبأنا عبد الجبار ابن علي الطبري قال قال الحسن بن علي الطوعي صنم كل إنسان هواه فإذ كسره بالمخالفة استحق اسم الفتوة

أخبرنا المبارك بن علي قال أنبأنا علي بن محمد بن العلاف قال أنبأنا عبد الملك بن بشران قال أنبأنا أحمد بن إبراهيم الكندي قال حدثنا محمد ابن جعفر قال حدثنا إبراهيم بن الجنيد قال حدثنا زكريا بن يزيد قال." (١)

"أخبرنا ابن ناصر قال أنبأنا أبو بكر بن خلف قال أنبأنا أبو عبد الرحمن السلمي قال أنبأنا أحمد بن عبد الله بن يوسف القرميسيني أن أباه حدثه قال حدثنا علي بن عبد الحميد الغضائري قال سمعت السري يقول أقوى الفتوة غلبتك نفسك ومن عجر عن أدب نفسه كان عن أدب غيره أعجز ومن علامة الاستدراج العمى عن عيوب النفس

قال السلمي وسمعت نصر بن أبي نصر العطار يقول سمعت أحمد بن سليمان يقول وجدت في كتابي عن حاتم الأصم قال الموت الأحمر مخالفة النفس

قال السلمي وأخبرنا محمد بن أحمد الرازي قال حدثنا العباس بن حمزة قال سمعت أحمد بن أبي الحواري يقول من لم يعرف نفسه فهو من دينه في غرور

قال السلمي وسمعت منصور بن عبد الله يقول سمعت محمد بن حامد يقول قال رجل لأحمد بن خضرويه أوصني فقال أمت نفسك تحييها

قال وسمعت أبا الحسين الفارسي يقول سمعت الحسن بن علويه يقول قال يحيى بن معاذ لا تربح على نفسك بشيء أجل من أن تشغلها في كل وقت بما هو أولى بها

قال وسمعت محمد بن أحمد الشبهي يقول سمعت أحمد بن حمدون يقول سمعت أبي يقول من استطاع منكم أن لا يعمى عن نقصان نفسه فليفعل

---

(١) ذم الهوى ابن الجوزي ص/٢٧

قال وسمعت أبا الحسن الفارسي قال سمعت الحسن بن علويه يقول قال محمد ابن الفضل أنزل نفسك منزلة من لا حاجة له فيها ولا بد له منها فإن من ملك نفسه عز ومن ملكته نفسه ذل." (١)

"باب تابع لما قبله

وبالرجال أعظم حاجة إلى أن يعرفوه ويقفوا عليه، وهو الاحتراس من أن يلقى الخبر السابق إلى السمع لأنه إذا ألقي دخل ذلك الخبر السابق إلى مقره دخولا سهلا وصادف موضعا وطيئا، وطبيعة قابلة. ومتى صادف القلب كذلك رسخ رسوخا لا حيلة في إزالته. ومتى ألقي إلى الفتيات شيء من أمور الفتيان في وقت الغرارة وعند غلبة الطبيعة وشباب الشهوة، وعند قلة الشواغل، قوي استحكامه، وصعبت إزالته. وكذلك متى ألقي إلى الفتيان شيء من أمورهن وهناك سكر الشباب. فكذلك يكون حالهم، وإن الشياطين ليخلو أحدهم بالغلام الغرير فيقول له لا يكن الغلام فتى أبدا حتى يصادف فتى. فما الماء البارد العذب بأسرع في طباع العطشان من كلمته إذا كان الغلام أدنى هوى في **الفتوة**. وكذلك إذا خلت العجوز بالجارية الحديثة.

وقيل لابنة الحسن: لم زنيت بعبدك ولم تزن بحر، وما أغراك به؟ قالت: طول السواد، وقرب الوساد. ولو أن قبح الناس وجها، وأخبثهم نفرا، وأسقطهم همة، قال: لامرأة قد تمكن كلامها وأعطته سمعها: والله يا سيدتي ويا مولاتي، لقد أتعبت قلبي، وأرقت عيني، وشغلتني عن مهم أمري، فما أعقل أهلا ولا مالا ولا ولدا. لنقض." (٢)

"قال إسحاق بن إبراهيم الموصلي: كان ابن زهير المدايني مخنثا، وكان يؤلف بين الرجال والنساء، وكانت له قبة خضراء وكان فتيان قريش يقولون من يدخل قبة ابن زهير لم يصنع في **الفتوة** شيئا.

قال: فواعد رجل صديقة له إلى قبة ابن زهير فجاءت بعد العتمة، وجاء الرجل، فتعشيا، فقالت المرأة: أشتهي نبيذا. فقال صاحبها لابن زهير: أطلب لنا نبيذا. قال: من أين لنا في هذه الساعة؟! قال: لا بد منه. فلما ألح عليه عمد إلى حضض فضربه بماء وصيره في قنينة ثم جاءه به فقال: والله ما وجدنا غير هذا فصب الرجل منه في قدح فذاقه فوجده مرا فكره أن يعيبه فيكرهه إليها فشرب ثم صب فسقاها. فلما صار في بطنه تحرك. فقال لابن زهير: أين المخرج، فصعد إلى أن حركها بطنها فصعدت إلى أن تحرك بطنه فصعد، فلم يزالا كذلك ليلتهما. فقال ابن زهير: امرأته طالق إن كانا التقيا إلا على الدرجة حتى أصبحا مما يختلفان، وجاء الصبح ولم يقضيا حاجة لأنهما يطلبان النبيذ في منزل ابن زهير القواد بعد العتمة.

وكان جميل أيضا لما اشتهر في بثينة توعده أهلها، فكان يأتيها سرا فجمعوا له جميعا يرصدونه، فقالت بثينة: يا جميل، احذر القوم. فاستخفى وقال في ذلك:

ولو أن ألفا دون بثينة كلهم ... غيارى وكل حارب مزمع قتلي؟

لحاولتها، إما نهارا مجاهرا ... وإما سرى ليل وإن قطعوا رجلي.

---

(١) ذم الهوى ابن الجوزي ص/٥٠

(٢) أخبار النساء لابن الجوزي ابن الجوزي ص/٩٥

فالتقى جميل وكثير فشكا كل واحد منهما إلى صاحبه أنه محصور لا يقدر أن يزور. فقال جميل لكثير: أنا رسولك إلى عزة. قال: فأتهم فأنشدهم ثلاث نوق سود مررن بالقاع، ثم احفظ ما يقال." (١)

"شهيد، وله من التصرف في وجوه البلاغة وشعابها مقدار ينطق فيه بلسان مركب من لسان عمرو وسهل ومن أبياته المختارة قوله:

وما ألان قناتي غمز حادثة ... ولا استخف بحلمي قط إنسان

أمضى على الهول قدما لا ينهنهني ... وانثنى لسفيهي وهو حردان

ولا أقارض جهالا بجهلهم ... والأمر أمري والأعوان أعواني

أهيب بالصبر والشحناء ثارة ... وأكظم الغيظ والأحقاد نيران

وما لساني عند القوم ذو ملق ... ولا مقالي إذا ما قلت أدهان

ولا أفوه بغير الحق خوف أخي ... وإن تأخر عني وهو غضبان

ولا أميل على خلي فآكله ... إذا غرثت بوعض الناس ذؤبان

إن الفتوة فاعلم حدا مطلبها ... عرض نقي ونط فيه تبيان

بالعلم يفخر يوم الحفل حامله ... وبالعفاف غداة الجمع يزدان

ود الفتى مهم لو مت من يده ... وأنه منك ضخم الجوف ملآن

وقوله:

ألمت بالحب حتى لو دنا أجلى ... لما وجدت لطعم الموت من ألم

وزادني كرمي عما وليت به ... ويلي من الحب أو ويلي من الكرم

وقوله:

إن الكريم إذا نالته مخمصة ... [أبدى] إلى الناس شبعا وهو طيان." (٢)

"وما ذاك عن خلق بضيق بطارق ... ولكن لأخذي باحتياط على حالي

فإن صادف ما خطبته منك أيدك الله قبولا ولديك نفاقا فمنية غفل الدهر عنها، إذ فارق مذهبه فيما أهداه إلى منها، وإن جرى على رسمه في المضايقة فيما أوثره وأهواه، وأترقبه من قربك وأتمناه، فذمام المروءة يلزمك رد هذه الرقعة وسترها وتناسيها، واطراح ذكرها إن شاء الله تعالى. وإذا بأبيات تتلو الخطاب وهي:

ياعامر العمر بالفتوة وال ... قصف وحث الكئوس والطرب

هل لك في صاحب تناسب في ال ... غربة أخلاقه وفي الأدب

أوحشه الدهر فاستراح إلى ... قربك مستنصرا على النوب

---

(١) أخبار النساء لابن الجوزي ابن الجوزي ص/٢١٥

(٢) بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس ابن عميرة ص/١٩٢

فإن تقبلت ما أتاك به ... لم تشب الظن فيك بالكذب

وإن أبي الدهر دون رغبته ... فكن كمن لم يقل ولم يجب

قال أبو الفرج: فورد على ما حيرني، واسترد ما أخذه الشراب من تمييزي، وحصل لي في الجملة أن أغلب الأوصاف على صاحبها في الكتابة خطا وترسلا ونظما، وشاهدته بالفراسة من ألفاظه، وحمدت أخلاقه قبل الاختبار من رقعته، فقلت للراهب: ويحك! من هذا؟ وكيف السبيل إلى لقائه؟ فقال: أما ذكر حاله فإليه إذا اجتمعنا، وأما السبيل إلى لقائه فسهل إن شئت، قلت: دلني، قال: تظهر فتورا، وتنصب عذرا تفارق به أصحابك منصرفا؛ فإذا صرت بباب الدير عدلت بك إلى باب صغير تدخل منه. فرددت الرقعة عليه وقلت: أدفعها إليه ليتمكن أنسه بي وسكونه إلي، ثم عرفته أن التوفر على إعمال الحيلة المبادرة إلى حضرته على ما آثره من التفرد أولى من التشاغل بإصدار جواب وقطع وقت بكتابته.

ومضى الراهب وعدت إلى أصحابي بغير النشاط الذي ذهبت به؛ فأنكروا ذلك مني، فاعتذرت إليهم بشيء عرض لي، واستدعيت ما أركبه، وتقدمت إلى من كان معي من الخدم بالتوفر على خدمتهم؛ وقد كنا عولنا على المبيت، فأجمعوا على تعجيل السكر والانصراف، وخرجت من باب الدير ومعي صبي صغير كنت آنس به وبخدمته، وتقدمت إلى الشاكري برد الدابة وستر خبري ومباكرتي. وتلقاني الراهب، فعدل بي إلى طريق في مضيق، وأدخلني الدير من طريق غامض، وصار بي إلى باب قلاية يتميز عما يجاوره من الأبواب نظافة وحسنا، فقرعه بحركات مختلفة كالعلامة بينهما، فابتدرنا منه غلام كأن البدر ركب على أزراره: مهفهف." (١)

"طول المدة وحصول الأمن لكانت عظيمة، فكيف بالبديهة في هذه الساعة التي يحول فيها الجريض دون القريض، وحسبك بحال لم يقدر عبيد بن الأبرص فيها على الروية. وكذلك على بن الجهم قال ارتجالا وقد صلب:

لم يغصبوا بالشاذياخ عشيةال ... إثنين مسبوقا ولا مجهولا

نصبوا بحمد الله ملء عيونهم ... حسنا وملء قلوبهم تبجيلا

ما ضره أن بز عنه ثيابه ... فالسيف أهول ما يرى مسلولا

وهذا من أحسن شعره وأبدعه.

وروى عن خالد الكاتب أنه

قال: دخلت الدير يوما فإذا أنا بشاب مغلول مربوط إلى سارية، فملت إليه وسلمت عليه، فقال: من تكون؟ قلت: خالد الكاتب، قال: صاحب المقطعات؟ قلت: نعم، قال: أنشدني، فأنشدته:

ترشفت من شفتيه عقارا ... وقبلت من خده جلنارا

وعانت منه قضيبا رطيبا ... وردفا مهيلا وبدرا أنارا

وعاينت من حسنه في الظلام ... إذا ما تبدى نهارا جهارا

---

(١) بدائع البدائه ابن ظافر الأزدي ص/٧٣

فأطرق ثم أنشد:

رب ليل أمد من نفس العا ... شق طولا قطعته بانتخاب

ونعيم ألذ من وصل معشو ... ق تبدلته بيوم عتاب

قال خالد: فوالله إني منذ ثلاثين سنة لا أحسن إجازتهما.

وروى أبو الفرج

أن شحنة بغداد كسر نبيذا كثيرا حتى ملأ الطريق، فمر به بكر بن خارجة، فلما رآه جلس يبكي فمر عليه بعض أصحابه، فسأله عن سبب بكائه، فقال بديها:

يا لقومي لما جنى السلطان ... لم يكن للذي أهان هوان

صبها في الطريق من حلب الكر ... م عقارا كأنها زعفران

صبها في مكان سوء لقد أد ... رك سعد السعود ذاك المكان

قال الكرماني: أنشدتها الجاحظ فقال: إن من حق الفتوة والمروءة ألا أكتبها إلا قائما، فعمدته لأنه كان مفلوجا حتى كتبها.

وذكر ابن العباس بن إبراهيم الصولي

كان قد ولى بعض النواحي للمتوكل، فأخرج إليه أحمد بن المدبر جملة كبيرة، وجلسا للمناظرة بين يدي المتوكل، ولم يكن إبراهيم من رجال أحمد في كتابة الخراج، ولا واحد من رجاله في البلاغة والشعر؛ فكاد يفتضح، فوقعت." (١)

"- الإعراب من روى الفتوة وما بعدها بالرفع جعل الفعل للفتوة وما بعدها وكل مليحة مفعول ترى ومن روى بنصب الفتوة وما بعدها ورفع كل مليحة جعل الفعل لكل مليحة يريد أن كل مليحة ترى فى هذه الخصال التى تمنعنى الخلوة بهن ضراتها وتكون ضراتها فى موضع الحال الغريب الفتى الكريم يقال هو فتى بين الفتوة وقد تفتى وتفاتى والجمع فتية وفتيان وفتو على فعول وفتى مثل عصى والأبوة الآباء كالعمومة والخئولة قال أبو ذويب

(لو كان مدحة حى أنشرت أحدا ... أحيا أبوتك الشم الأماديح)

والمروءة الإنسانية ومن العرب من يشددها قال أبو زيد مرؤ الرجل صار ذا مروءة فهو مرئ على فعيل وتمرأ تكلف المروءة وقال ابن السكيت فلان يتمرأ بنا أى يطلب المروءة بنقصنا وعيبنا المعنى يقول يمنعنى من الخلوة بهن الفتوة والأبوة والمروءة وقد فسر البيت بما بعده

٩ - المعنى يريد أن الفتوة وما ذكر هن الثلاث التى تمنعه لا الخوف من تبعاتها قال الخطيب هذا سرف نعوذ بالله منه وهذا نقله أبو الطيب من كلام الحكيم حيث يقول النفوس المتجوهرة تركت الشهوات البهيمية طبعا لا خوفا فنقله نقلا." (٢)

(١) بدائع البدائه ابن ظافر الأزدي ص/١٩٠

(٢) شرح ديوان المتنبي للعكبري العكبري، أبو البقاء ١/٢٢٧

"- ١ - الإعراب ما بين العذيب مفعول تذكرت ومجرى بدل منه بدل اشتمال ويجوز أن يكون ظرفا للتذكر الغريب (العذيب وبارق ...)

موضعان بظاهر الكوفة وبين العذيب وبين الكوفة مسيرة يوم وهو بطريق مكة بالقرب من القادسية المعنى أنهم كانوا يجرون الرماح عند مطاردة الفرسان ويجرون الخيل السابقة ومجرى بضم الميم وفتحها مصدرا ومكانا وقرأ أهل الكوفة إلا أبا بكر مجريها بفتح الميم والإمالة والمعنى أنه تذكر أرضه ومنشأه ومطاردة الفرسان وإجراء الخيل

٢ - الإعراب وصحبة عطف على مفعول تذكرت أى وتذكرت صحبة الغريب القنيص الصيد والمفارق جمع مفرق وهو فوق الرأس المعنى يقول تذكرت صحبة قوم كانت حالهم فى الفتوة ومنزلهم فى الشجاعة أنهم كانوا لا يكسرون سيوفهم إلا فى جماجم الأبطال والمعنى أنهم يذبحون ما يصيدون بفضول ما بقى من سيوفهم التى كسرت فى رءوس الأعداء وهذا إشارة إلى جودة ضربهم وشدة سواعدهم

٣ - الغريب الثوية موضع بقرب الكوفة على ثلاثة أميال منها والمرافق جمع مرفقة وهى الوسادة المعنى يقول تذكرت ليلا اتخذنا هذا المكان وسائد لنا لما نمنا عليه فكان ترابه الذى أصاب مرافقنا حين اتكأنا عليها عنبرا لطيبه وقال أبو الفتح إنما أراد الوسائد وقال الخطيب لم يرد الوسائد وإنما أراد مرافق الأيدى لأن الصعلوك المقاتل لا وسادة له وقول أبى الفتح هو // الصحيح // والمعنى اتخذنا هذا المكان وسادة بأن وضعنا رءوسنا على أرضه فكأن ترابه عنبر ذكى فى المواضع التى وضعنا رءوسنا عليها وليس يريد مرافق اليد لأنه قال فى أول البيت توسدنا الثوية فلو حملنا الكلام على ما قاله الخطيب الذى رد به على أبى الفتح لكان عجز البيت ناقضا للصدر وقال العروضى ألا ينظر أبو الفتح إلى قوله

(توسدنا الثوية ...)

وإنما يصف تصعلكه وتصعلك قومه وصبرهم على شدائد السفر وأن الفضلات المكسرة من السيوف مداهم والأرض وسائدهم لأنه وضع رأسه على المرفق من يده وإنما سميت الوسادة مرفقه لأن المرفق يوضع عليها ولا يفتخر الصعلوك بوضع الرأس على الوسادة والبيت من قول البحترى

(فى رأس مشرفة حصاها لؤلؤ ... وترابها مسك يشاب بعنبر)." (١)

"أباه- وكان أبو زيد يميل إليها ويحبها لأجل مولده بها ونزعه إليها حب المولد ومسقط الرأس والحنين إلى الوطن الأول، ولذلك لما حسنت حاله ودعته نفسه إلى اعتقاد الضياع والأسباب، والنظر للأولاد والأعقاب، اختارها من قرى بلخ، فاعتقد بها ضيعته، ووكل بها همته، وصرف إلى اتخاذ العقد بها عنايته. وقد كانت تلك الضياع بعد باقية إلى قريب من هذا الزمان في أيدي أحفاده وأقاربه بها وبالقصبة، ثم إنهم- كما أقدر- قد فنوا وانقرضوا في اختلاف هذه الحوادث ببلخ وغيرها من سائر البلدان، فلا أحسب أنه بقي منهم نافخ ضرم ولا عين تطرف هل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزا (مريم: ٩٨) سمعت أن الأمير أحمد بن سهل بن هاشم كان ببلخ، وعنده أبو القاسم عبد الله بن أحمد بن محمود الكعبي وأبو زيد ليلة من الليالي وفي [يد] الأمير عقد لآلىء نفيسة ثمينة تتلألأ كاسمها ويتوهج نورها، وكان حمل إليه من بعض بلاد

---

(١) شرح ديوان المتنبي للعكبري العكبري، أبو البقاء ٣١٧/٢

الهند حين افتتحت، فأفرد الأمير منها عشرة أعداد وناولها أبا القاسم، وعشرة أعداد أخر وناولها أبا زيد، وقال: هذه اللآلىء في غاية النفاسة، فأجببت أن أشرككما فيها ولا أستبد بها دونكما، فشكرا له ذلك. ثم إن أبا القاسم وضع لآلئه بين يدي أبي زيد وقال: إن أبا زيد من هو مهتم بشأنهن فأردت أن أصرف ما برني به الأمير إليه لينتظم في عقدهن، فقال الأمير: نعما فعلت ورمى بالعشرة الباقية إلى أبي زيد وقال: خذها فلست في **الفتوة** بأقل حظا ولا أوكس سهما من أبي القاسم، ولا تغبنن عنها فانها ابتيعت للخزانة من الفيء بثلاثين ألف درهم، فاجتمعت الثلاثون عند أبي زيد برمتها، وباعها بمال جليل، وصرف ثمنها إلى الضيعة التي اشتراها بشامستيان.

قال: وكان أبو زيد كما ذكر أبو محمد الحسن الوزيري- وكان رآه واختلف إليه- ربعة نحيفا مصفارا أسمر اللون جاحظ العينين فيهما تأخر وقبل، بوجهه آثار جدري، صموتا سكيتا ذا وقار وهيبة. وقد وصفه أبو علي أحمد المنيري الزيادي في رسالته التي كتبها إليه وأراد أن يهدم بنيانه، ويضع شانه، ويوهي أركانه، فرد عليه أبو زيد في جوابها ما ألبسه الشنار والصغار، ونبه العالم أن حظه من العلوم حظ منكود، وأنه فيما أجرى له من كلامه غير سديد، قرأت على أبي محمد الوزيري كلتا الرسالتين فزعم أنه قرأهما عليهما- أعني أبا زيد والمنيري كليهما- فذكر المنيري في رسالته في جملة." (١)

"وشتمي، وينسبني إلى الإغارة على كتبه، ويبالغ في هتك أستار الكرم وحجبه. أهذا يليق بالفضل والمروة؟ أو يجمل بالكرم **والفتوة** أن يفتري على أخيه المسلم، بمثل هذا الكذب المقلق والبهتان المؤلم؟ والله إذا نفخ في الصور يوم النشور، وبعثت هذه الرمم البالية، من الأجداث متدرعة ملابس الحياة الثانية، وجمعت عباد الله في مواقف العرصات، وتطايرت صحائف الأعمال إلى أربابها، وسئلت كل نفس عما كسبت، فمن مسيء يسحب على وجهه إلى النار، ومن محسن يحمل على أعطاف الملائكة إلى الجنة، لم يتعلق في ذلك المقام الهائل أحد بذيلي طالبا مني ملكا غصبته، ولا مالا نهبته، أو دما سفكته، أو سترا هتكته، أو شخصا قتلته، أو حقا أبطلته. وها أنا ذا قد آتاني الله من الوجه الحلال قريبا من ألف مجلد من الكتب النفيسة، والدفاتر الفائقة والنسخ الشريفة، وقد وقفت الكل [١] على خزائن الكتب المبنية في بلاد الاسلام- عمرها الله- لينتفع المسلمون بها، ومن كانت عقيدته هكذا كيف يستجيز من نفسه أن يغير على كتب إمام من شيوخ العلم، أنفق جميع عمره حتى حصل أوراقا [٢] يسيرة لو بيعت في الأسواق لما أحضر بثمنها مائدة لئيم؟! الله الله لا يفترين سيدنا- أدام الله فضله- فافتراء الكذب على مثلي ذنب [٣] يتعثر في أذياله يوم القيامة، وليخافن الله [٤] الذي لا إله إلا هو، وليتذكرن يوما يثاب الصادق فيه على صدقه، ويعاقب الكاذب على كذبه، والسلام.

فورد على الرشيد جواب عن هذه الرسالة يكون في نحو كراستين يغلظ له في القول، ويصرح فيه بالسب والتهمة، فكتب إليه الرشيد [٥] : بسم الله الرحمن الرحيم، ورد كتاب سيدنا- أطال الله بقاءه في دولة مفترة المباسم، ونعمة متجددة المراسم- مشتملا من الإيذاء والإيحاش، والإبذاء والإفحاش [٦] ، على كلمات، بل

---

[١] الرسائل: وأنا وقفت الكل؛ م: ووقفت كلها.

---

(١) معجم الأدباء = إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب الحموي، ياقوت ٢٧٦/١

[٢] الرسائل: أو يراقا.

[٣] الرسائل: والله لا إله إلا هو ليقترفن ... بافتراء الكذب ... ذنبا.

[٤] ر: وليخش من الله.

[٥] الرسائل ٢: ١٩.

[٦] الرسائل: مشتملا من الإيذاء والافحاش.." (١)

"البخل كيسا وفطنة، ونسب السخاء خرقا وهجنة، وفديت الدراهم بالمحارم، والمائدة بالوالدة، والفلس بالعرس، سبيلا [١] لأخفيت القدم، وأعفيت القلم، ولكنت مليا بمحامده في كعبة فضائله حاجا إلى بابه، عاجلا بالاستئذان على حجابه، فسقى الله [....] وكان الشريف البصري، وكان يجمع شملنا، ويصل حبلنا، ويضم أشتاتنا، ويعم بالاجتماع أوقاتنا، فنرتبع من مجلس الشيخ الفقيه في روض أريض، ونشفي بلقائه داء كل قلب مريض، ونتجارى في حلبات الفضل، فنتجاذب أطراف الجد من الحديث والهزل. وبعدا لهذه الأيام التي منعتنا مشاهدته، وحرمتنا مجاورته ومحاورته، وحجبته عنا، وأخذت له بانقطاعنا عنه فوق حقه منا.

وعلم الله أنني وصلت غرة ذي الحجة إلى مدينة الري التي أقفر من المروءة جنابها، وصفرت من الفتوة وطابها، وترأس أذنابها، وتذأب كلابها، ونسخ شرع الافضال في ربوعها، ومسخ كل من عرفناه من تابع أهلها ومتبوعها، وكان أول ما بدأت به السؤال عن أخباره، أجراها الله على إيثاره، والشيخ الإمام الحافظ بذلك شاهد، وليس في إقامة هذه الشهادة بواحد، فعرفني من سلامته ما سكنت إليه نفسي، وشكرت الله عليه، ثم عدت إليها بعد الرحيل، ونزلت منها بربع محيل، فبلغني ما ساءني وأقلقني، وأزعجني وأرقني، وجدد سوء ظني بالزمان الجاهل، وأكد قبيح رأيي في الدهر الخامل، إلا بما يسوء الأحرار، ويسر الأغمار، وما استبدعته من ذميم عادته، ولئيم جبلته، وقديم خرقه، وعظيم هوجه:

دفن ابن سلمان كان أولى ... لو وفق الدهر للصواب

ودفن من يصطفيه أيضا ... من المخانيث والقحاب

لكن هذا الزمان كلب ... يفترس الأسد بالكلاب

وما تلك الحلية إلا من جملة الناس، ورب عار أحسن من كاس، وإذا تبلجت الأرض فالروض يعود، وما دامت السماء فالشهب تطلع على الرسم المعهود. وسلب الحجل خير من قطع الرجل، وما هو إلا نصل جرد من غمده، وجيد عطل من عقده، وغصن عري من ورقه، ووروده على غير جريمة، ولا إتيان عظيمة ولا غشيان كريمة:

---

[١] اقرأ: لو وجدت الى لقاء الشيخ الفقيه سبيلا (وما بينهما جمل معترضة) .." (٢)

---

(١) معجم الأدباء = إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب الحموي، ياقوت ٣/٩٦٣

(٢) معجم الأدباء = إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب الحموي، ياقوت ٣/١٣٩٣

"ووافقه غيره، وكنيته أبو المثنى، وقيل: أبو الأخضر، وقيل: أبو خالد، روى عنه [١] يعلى بن الأشدق. وشهد حنينا مع الكفار ثم أسلم. قدم على النبي صلى الله عليه وسلم فأسلم وأنشده: [٢]

أضحى فؤادي من سليمي مقصدا ... إن خطأ منها وإن تعمدا

وفي آخره:

حتى أرانا ربنا محمدا ... يتلو من الله كتابا مرشدا

فلم نكذب وخررنا سجدا ... نعطى الزكاة ونقيم المسجدا

وقال محمد بن فضال المجاشعي النحوي: تقدم عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى الشعراء أن لا يشبب أحد بأمرأة إلا جلده، فقال حميد بن ثور:

أبى الله إلا أن سرحه مالك ... على كل أفنان العضاه تروق [٣]

فقد ذهبت عرضا وما فوق طولها ... من السرح إلا عشة وسحوق [٤]

فلا الظل من برد الضحى تستطيعه ... ولا الفيء من بعد العشى تذوق [٥]

فهل أنا إن عللت نفسي بسرحة ... من السرح موجود [٦] علي طريق

وقد ذكر حميد بن ثور فيمن روى عن النبي صلى الله عليه وسلم من الشعراء، وذكر الزبير بن بكار أنه قدم على النبي صلى الله عليه وسلم مسلما وأنشده:

فلا يبعد الله الشباب وقولنا ... إذا ما صبونا صبوة: سنتوب [٧]

ليالي أبصار الغواني وسمعها ... إلي وإذ ريحي لهن جنوب [٨]

وإذ ما يقول الناس شيء مهون ... علينا وإذ غصن الشباب رطيب

أخرجه الثلاثة.

١٢٦٥- حميد بن عبد الرحمن بن عوف

حميد بن عبد الرحمن بن عوف بن خالد بن عفيف بن بجيد بن رواس بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة العامري الرواسي. وفد هو وأخوه جنيد وعمرو بن مالك على النبي صلى الله عليه وسلم، قاله هشام ابن الكلبي.

---

[١] في الأصل والمطبوعة: عن.

[٢] ديوانه: ٧٧، ويروى فيه: أصبح قلبي، ومقصدا من أقصدته إذا طعنته أو رميته بسهم، فلم تخطئ مقاتله.

[٣] ديوانه: ٤١، وسرحة مالك: امرأته، والأفنان: الأنواع واحدها فن، والعضاة: شجر عظيم له شوك، وتروق: تفوق.

[٤] ديوانه: ٣٩، ويروى: فما ذهبت عرضا ولا، والعشة: القليلة الأغصان والورق، والسحوق: الطويلة المفرطة.

[٥] رواية الديوان ٤٠:

فلا الظل منها بالضحى تستطيعه ... ولا الفيء منها بالعشي تذوق.

[٦] في الديوان ٤٠: مسدود على طريق.

[٧] ديوانه: ٥٢، والصبوة: جهلة الفتوة واللهو من الغزل.
[٨] الجنوب: ريح تخالف للشمال، ويقولون: إذا جاءت الجنوب جاء معها خير وتلقيح، وإذا جاءت الشمال نشفت.." (١)

"«دوزى») وقد استعملت باللغة العربية بالمعنى الثاني اي المرتبات التي تدفع لاي فئة من الناس من الطباخ الى الجندي والفقيه والخطيب، بل وسماها ابن الشعار واردات المدارس من اوقافها (انظر «مرآة الزمان» ٣١٢/٨ و ٣٦٦ و ٧٣٩، «اتابكية» ص ١٤٠ و ١٤٨، «تاريخ ابن الشعار» ج ٧ ورقة ٣١ «الفوات» ٥٦٤/١ «اخبار الدولة السلجوقية» ص ١٥١، «السلوك» للمقريزي ٥٣/١- حاشية ٢) .
ح- بالاصل «سعيد» (راجع ترجمته ورقة ١٧٦) .
خ- يبدو انه يقصد طريق «الملامتية» وقد سماها بالفعل بهذا الاسم في موضع آخر من هذه الترجمة وقد ذكر الهروى في «الاشارات» الى ان هذه الطريقة ظهرت في نيسابور. وقد رأيت «رسالة الملامتية» لمحمد بن الحسين السلمي (٣٣٠-٤١٢ هـ) وقد حققها ابو العلا عفيفي ونشرها بمجلة كلية الآداب بجامعة القاهرة (فؤاد الأول سابقا) في عدد مايو ١٩٤٢، وذكر في المقدمة ص ٤٧) ان الملامتية او الملامية فرقة من الصوفية ظهرت في القرن الثالث الهجري بنيسابور، واشار الى بحث نشره ريجارد فون هارتمان في مجلة der islam في العدد الثامن (ابريل ١٩١٨ ص ١٥٧- ٢٠٣) ، وللسيد عفيفي نفسه مقال عن «الملامتية والصوفية واهل الفتوة» نشره في مجلة كلية الآداب المذكورة آنفا في عدد مايو ١٩٤٣. وجاء في كتاب «التعريفات» ص ٢٠٦ و ٢٣٥ ان الملامتية «هم الذين لم يظهر على ظواهرهم مما في بواطنهم أثر البتة، وهم اعلى الطائفة، وتلامذتهم يتقلبون في اطوار الرجولية» .
د- لم اجد في المعاجم التي راجعتها صيغة «مباحي» ، وقد ذكر دوزى «اباحي» وهو الذي يعتقد بان كل شيء مباح.
ذ- كذا بالاصل ولعل المراد «بالف دينار» .." (٢)

"ابا حامد محمد بن ابي بكر بن محمد الطاووسي القزويني الفقيه، وقد حدث «بصحيح البخارى» عن المؤيد الطوسي. الا انه لم يذكر اية معلومات اخرى تفيد التحقيق. وترجم ابن الصابوني (تكملة ص ٢٨٦) لابي الفتح محمد بن محمد بن ابي بكر الصوفي الابيوردي المولود سنة ٦٠٠ والمتوفى سنة ٦٦٧ (له ذكر في «الشذرات» ٣٢٥/٥ ايضا) فلعله ولد صاحب الترجمة. كما ان المنذري (تكملة- مخ كمبرج ورقة ١١٧) ترجم للشيخ الصالح ابي سعد محمد بن محمد بن ابي بكر الشهرستاني الصوفي الذي حدث عن عبد الله بن عمر الصفار وغيره، وللمنذري منه اجازة كتبها له من دمشق سنة ٦٢٦ (وكان عمره آنذاك بين الستين والسبعين) وهو معروف بالصلاح والزهد وتربية الاصحاب. توفي في دمشق في مستهل ذي الحجة سنة ٦٣١ هـ. وترجم اللكنوي (الفوائد ص ١٦١) لمحمد بن ابي بكر المعروف بامام زاده الجوغي، وقد سماه «المفتي الصوفي» وله كتاب اسمه «شرعة الاسلام» وقد كتب عنه السمعاني ببخارى. توفي سنة ٥٧٣ فهل يكون هذا

(١) أسد الغابة ط الفكر ابن الأثير، أبو الحسن ٥٣٧/١
(٢) تاريخ اربل ابن المستوفي الإربلي ٦١٨/١

هو المقصود؟ ... أما «الفتوة» فقد ذكر عنها سعيد الديوه جي في كتابه «الفتوة في الاسلام» ص ٢٦ بان فكرتها دخلت تعاليم الصوفية منذ القرن الثاني للهجرة. واصبحت مثلهم الاعلى في الحياة، وهم يريدون بها مكارم الاخلاق، فافردوا لها بابا بين ابواب الاخلاق مماثلا لابواب الشجاعة والكرم وغيرهما. وذكر انه يوجد في مكتبة «ايا صوفيا» كتاب بعنوان «كتاب الفتوة» لاخي احمد المحب بن الشيخ محمد بن ميخائيل الاربلي. وقد نقل للبستي عن كتاب «خاص الخاص» للثعالبي (ص ٧٤) قوله:

تنازع الناس في الصوفي واختلفوا ... فيه وظنوه مشتقا من الصوف

ولست امنح هذا الاسم غير فتى ... صافى فصوفي حتى لقب الصوفي." (١)

"١٧٣– كتاب الانتصار (الجزءان الرابع والخامس في خطط مصر) – بولاق، ١٣٠٩ هـ.

الدمشقي– ابو المحاسن محمد بن علي الحسيني، المتوفى سنة ٧٦٥ هـ.

١٧٤– ذيل تذكرة الحفاظ للذهبي– تحقيق محمد زاهد الكوثري– بيروت (بدون تاريخ) .

الدميري– محمد بن موسى الشافعي، المتوفى سنة ٨٠٨ هـ.

١٧٥– حياة الحيوان الكبرى– طبعة بولاق، ١٢٨٤ هـ.

الدينوري– ابو حنيفة احمد بن داود، المتوفى سنة ٢٨٢ هـ.

١٧٦– الاخبار الطوال– تحقيق عبد المنعم عامر وجمال الشيال– القاهرة، ١٩٦٠ م.

الديوه جي– سعيد الديوه جي.

١٧٧– الفتوة في الاسلام– الموصل، ١٩٤٠ م.

الذهبي– محمد بن احمد، المتوفى سنة ٧٤٨ هـ.

١٧٨– تلخيص المستدرك على الصحيحين– الرياض (بدون تاريخ) .

١٧٩– سير اعلام النبلاء– تحقيق صلاح الدين المنجد– القاهرة، ١٩٥٦– ١٩٥٧ م.

١٨٠– العبر في خبر من غبر– تحقيق صلاح الدين المنجد وفؤاد سيد– الكويت، ١٩٦١ م.

١٨١– المختصر المحتاج اليه من تاريخ ابن الدبيثي– تحقيق الدكتور مصطفى." (٢)

"ابن عساكر– علي بن الحسن الدمشقي، المتوفى سنة ٥٧١ هـ.

٣٠٨– تاريخ دمشق– تحقيق صلاح الدين المنجد– دمشق، ١٩٥١– ١٩٥٤ م، وذيله لابي يعلى حمزة بن القلانسي– بيروت، ١٩٠٨ م، و «تهذيب تاريخ دمشق» لابن بدران، المطبوع بدمشق سنة ١٣٣١ هـ.

ابو العلا عفيفي.

٣٠٩– مقال «الملامتية والصوفية واهل الفتوة» في مجلة كلية الآداب بجامعة القاهرة– عدد مايو ١٩٤٣ م.

---

(١) تاريخ اربل ابن المستوفي الإربلي ٢/٦٤٥

(٢) تاريخ اربل ابن المستوفي الإربلي ٢/٧٣٣

العماد الاصفهاني- محمد بن محمد بن حامد، المتوفى سنة ٥٩٧ هـ.

٣١٠- خريدة القصر (قسم العراق- تحقيق محمد بهجة الاثري- بغداد، ١٩٦٤.

٣١١- خريدة القصر (قسم الشام) - تحقيق شكري فيصل- دمشق، ١٩٥٥- ١٩٥٩ م.

٣١٢- خريدة القصر (قسم مصر) - تحقيق احمد امين وآخرين- القاهرة، ١٩٥٢ م.

٣١٣- خريدة القصر (قسم المغرب) - تحقيق محمد المرزوقي- تونس، ١٩٦٦ م، واخرى بتحقيق عمر الدسوقي- القاهرة، ١٩٦٩ م.

٣١٤- تاريخ دولة سلجوق- مصر، ١٩٠٠ م.

٣١٥- الفتح القسي في الفتح القدسي- مصر، ١٣٢١ هـ، وتحقيق -CARLO De LANOBERG لايدن. ١٨٨٨ م.

ابن العماد- عبد الحي بن العماد الحنبلي، المتوفى سنة ١٠٨٩ هـ.

٣١٦- شذرات الذهب- مصر، ١٣٥٠ هـ.

العمري (ابن فضل الله) - احمد بن يحيى، المتوفى سنة ٧٤٩ هـ.

٣١٧- مسالك الابصار في ممالك الامصار- تحقيق احمد زكي باشا- القاهرة، ١٩٢٤ م.." (١)

"منه دفعا عن الكريم ودبا. والله يمتع بمكانك، ويبقيك واسطة في جيد زمانك، بمنه وفضله، والسلام مني ورحمة الله وبركاته.

وشعره رحمه الله، وكتبه ومكانه من العلم بحيث لا يخفى، فلا معنى للإطالة فيه.

ذكر أخوه أصبغ وفاته فقال: وتوفي أبو محمد رحمة الله عليه وغفرانه، وروحه وريحانه، وهلال سماء **الفتوة** وقاد، وصباح اقتباله صقيل الصفحات والأبراد، في ليلة الثالث من رجب الفرد (عام) اثنين وستين وخمسمائة.

ومنهم: ٦٧- عبد الله بن الرية المالقي يكنى أبا محمد. وصفه أبو العباس بن أصبغ فقال: شاعر مجيد، وعقد يزهى به الجيد. حل من زهر العلوم محل السنان من العامل، والزبرقان من المغازل، وتمت به غرر المحامد، (فقام) مقام الصلة بالعائد. قال الفقيه أبو العباس بن أصبغ: مرت جارية يوما على فتى من فتيان مالقة ونبهائها، فسألها متى يكون اللقاء، فوعدته بأن تصل عنده في المغرب، فوصلت إلي في الموعد، فصادفت أباه قد وصل من سفر، فحار الفتى وخجل منها. ثم إنه تخلف الجارية في غرفة على باب الدار. قال أصبغ: ما بها أنيس إلا البق والفأر. فجلست الجارية فيها وهي قد دهشت واستطير عقلها، وبقي الفتى مفكرا باكيا من سببها، لا يقدر على الانصراف عن والده. ثم احتال إلى أن وصل إليها. فلما كان في الصباح خرجت الجارية تبكي، وقلبها يضطرب مما دهاها. فاعتذر إليها الفتى، فلم تجبه. فاتصل خبرها بالفقيه أبي." (٢)

"بصيرا بعلوم كثيرة من علوم القرآن والأصول والحديث والفقيه وفنون العربية والحساب والطب والعبارة، وقد أخذ من كل علم بخط وافر، مع حفظه للأخبار والأشعار، روضة لجليسه. وكان قديم الطلب لذلك كله ببلده، وبغرناطة وبغيرها.

---

(١) تاريخ اربل ابن المستوفي الإربلي ٧٤٨/٢

(٢) مطلع الأنوار ونزهة البصائر والأبصار ابن خميس ص/٢٢٧

فمن شيوخه بقرطبة: الأصيلي، وأبو عمرو الإشبيلي، وابن الهندي وعباس بن أصبغ، وأبو نصر، وخلف بن قاسم، وغيرهم. وتوفي في شوال سنة ست وأربعين وأربعمائة. ومولده سنة تسع وستين وثلاثمائة. ذكره ابن بشكوال.

ومنهم:

٩٧-عبد الرحمن بن صالح بن سالم الهمداني

يكنى أبا القاسم. هو أخو شيخنا الفقيه الراوية المحدث أبي عمرو بن سالم. وكان أبو القاسم هذا من أهل الطلب والنباهة. وله سماعات كثيرة مع أخيه أبي عمرو المذكور. وصفه الفقيه أبو الطاهر فقال: أما أبو القاسم فآية العلم غير منسوخة، ونهاية قد عرفنا ثبوته ورسوخه، أعطي قدرة في التوليد أسفر صبحه إسفارا، وصيرت غيره ببيانه كالحمار يحمل أسفارا. وتوفي رحمه الله في سن الفتوة.

ومنهم:

٩٨-عبد الرحمن بن محمد بن عبد العزيز بن عبد الرحمن التجيبي

يكنى أبا القاسم. هو القاضي أبو القاسم ابن عياش، ولد الكاتب المشهور. كان رحمه الله من أهل الطلب خطيبا فصيحا تستعمله الملوك وتعظمه. وكان يزين المجالس بفصاحة لسانه، وحسن خدمته. ولي القضاء بكور كثيرة نبيهة. ولي في أحكامه. وكان مولده عام أحد وثمانين وخمسمائة. وتوفي رحمه الله في يوم السبت التاسع لجمادى الأولى عام ستة وثلاثين وستمائة.." (١)

"١٢٧- علي بن محمد بن يوسف بن عبد الملك الأنصاري

يكنى أبا الحسن، ويعرف بالوراق. أظنه ليس من مالقة، وإنما قدم عليها. قال الأديب أبو عمرو بن سالم: أنشدنا صاحبنا الفقيه الحاج أبو الحسن الوراق، قال: أنشدني أبو الحسن السيوري، قال: دخلت على أبي الفتوح نصر بن عبد الله الأزهري، عرف بابن قلاقس، وهو محموم، فقال: اسمع ما قلت في الحمى، وأنشدني:

وبغيضة تدنو وما دعيت ... فتبيت بين القلب والكبد

يصبو الفؤاد لبينها فإذا ... ولت بكاها سائر الجسد

ومنهم:

١٢٨- علي بن محمد بن علي بن جميل المعافري

يكنى أبا الحسن، ويعرف بالحاج المالقي، من العلماء الجلة الفضلاء. أخذ ببلده مالقة عن شيوخ جلة، وانتقل في سن الفتوة على بلاد المشرق فقرأ بها، وأخذ عن شيوخها، كأبي الفرج الأصبهاني وابن عساكر وغيرهم. فساد تلك البلاد ورأس. فلما

---

(١) مطلع الأنوار ونزهة البصائر والأبصار ابن خميس ص/٢٦٠

افتتح صلاح الدين بيت المقدس احتاج إلى إمام هنالك وخطيب.. فاجتمع رأي من كان بها من العلماء المشار إليهم على تقديم أبي الحسن المذكور، فكان إماما بالمسجد الأقصى من حينئذ على أن مات، فكانت جنازته هنالك جنازة لم يشهد مثلها. ولقد أخبرت أن النصارى الذين كانوا بالكنيسة هنالك كانوا يتبعونه ويرمون بعض ثيابهم على نعشه، ويناول بعضهم بعضا ويمسحون بها وجوههم تبركا به رحمه الله.

ومنهم:." (١)

"١٠٨٣ – عبد الملك بن الحسين بن علي بن البزار الصيرفي الأديب الصوفي أبو الحسن المحدث ابن المحدث، عديم النظير في الدين والصلاح، وأدب النفس، وحسن السيرة والطريقة وحفظ المروءة والجمع بين العلم والعمل ورث **الفتوة** والتصوف عن أبيه وجده، حدث عن الجوزقي والمخلدي.." (٢)

"١٥٣٨ – المعتز بن عبد الله بن المعتز بن منصور أبو نصر ، أصيل من أهل بيت المروءة ، والثروة ، والنعمة ، **والفتوة** ، والدهقنة.

سمع من القاضي ، والصيرفي ، وأبي الحسن السقا الإسفرايني ، والقاضي أبي زيد في صفر سنة ست وأربع مائة ، روى عنه أبو الحسن.." (٣)

"الله (١٩- و) محمد بن ابراهيم الخبري الفارسي، وشيخنا أبو عبد الله محمد بن أبي المعالي بن البناء البغدادي الصوفي، وأبا طالب عبد المحسن بن أبي العميد الحنفي الأبهري، وطاف البلاد، وسمع ببغداد العقاب شيخ **الفتوة** «١» ، وبحلب شيخنا أبا هاشم عبد المطلب بن الفضل بن عبد المطلب الهاشمي، وبالاسكندرية جعفر الهمداني، وسمع بحماة ودمشق ومصر وغيرها من البلاد، وحدث بشيء من الحديث بزبيد من بلاد اليمن.

أخبرني أبو الفضل بن عبد الكريم بن عبد الله بن مالك الموصلي أنه سمع منه بزبيد شيئا من الحديث.

اسحاق بن أبي ربعي الكاتب،

كان في صحبة عبد الله بن طاهر، وخرج معه من الرقة الى مصر، واجتاز في طريقه معه بحلب أو ببعض عملها، وقد قدمنا ذكره في حكاية ذكرناها في ترجمة اسحاق بن ابراهيم الرافقي.

اسحاق بن أبي عبد الرحمن،

أبو يعقوب، وقيل أبو يوسف الأنطاكي الأطروش العطار، حدث بأنطاكية عن هشام بن عمار، وهشام بن خالد الأزرق، والمؤمل بن إهاب.

روى عنه: أبو القاسم اسماعيل بن القاسم بن اسماعيل المصري الحلبي.

---

(١) مطلع الأنوار ونزهة البصائر والأبصار ابن خميس ص/٣٠٦

(٢) المنتخب من كتاب السياق لتاريخ نيسابور أَبُو إِسْحَاقَ الصَّرِيفِينِيُّ ص/٣٥٩

(٣) المنتخب من كتاب السياق لتاريخ نيسابور أَبُو إِسْحَاقَ الصَّرِيفِينِيُّ ص/٤٩٦

وأظن أن أصله بصري وسكن أنطاكية.

أنبأنا أبو المحاسن سليمان بن الفضل بن سليمان البانياسي قال: أخبرنا الحافظ (١٩- ظ) أبو القاسم بن الحسن بن هبة الله الشافعي قال: قرأت على أبي الوفاء حفاظ بن الحسن بن الحسين عن عبد العزيز التميمي قال: أخبرنا عبد الوهاب الميداني قال: حدثني أبو القاسم اسماعيل بن القاسم بن اسماعيل المصري بدمشق." (١)

"معتمد الملك يحيى بن التلميذ ما يدل على فضله وعلو قدره ونبله

وكان من المشايخ المشهورين في صناعة الطب وله تلاميذ عدة

وقال الشريف أبو العلاء محمد بن الهبارية العباسي من قصيدة يمدح الحكيم أبا الفرج يحيى بن صاعد ابن التلميذ وكان ابن الهبارية قد أتاه إلى أصبهان فحصل له من الأمراء والأكابر مالا جزيلا يقول فيها

(وجميع ما حصلته وجمعته ... منهم وكنت له بشعري كاسبا)

(نعمى أبي الفرج بن صاعد الذي ... ما زال عني في المكاسب نائبا)

(هو لا عدمت علاه حصل كما ما ... أملته ومري فكنت الحالبا)

(يحيى بن صاعد بن يحيى لم يزل ... للمكرمات إلى جنابي جالبا)

(أحيا مطامعي التي ماتت فتى ... أحيا الفتوة والمروءة دائبا)

(ما زال ينعشني نداه حاضرا ... وينوب عني في المطالب غائبا)

(في باب سيف الدولة بن بهائها ... وكذا نصير الدين كان مخاطبا)

(كاتبته بحوائجي وهززته ... فوجدته فيها الحسام القاضبا)

(وكذاك في باب الأغر وغيره ... في الخطب كنت له بذاك مخاطبا)

(ما زال يغرسني يداه ولم أزل ... بعلاه ما بين البرية خاطبا)

ومنها

(لا تحوجن أخاك لا بل عبدك القن ... ابن عبدك إن يروم أجانبا)

(فلأنت أولى بي لما عودتني ... عمن غدا لي في الأصول مناسبا)

(لا زلت أثني بالذي أوليتني ... وعلى المديح محافظا ومواظبا)

(وبقيت لي ذخرا ودمت ممتعا ... بالمجد للأبراد منه ساحبا)

(ثقة الخلافة سيد الحكماء معتمد ... الملوك الفيلسوف الكاتبا)

(لم لا تكاتبني فكتبك نزهة ... حسنا تخال من الجلال كتائبا)

(ومن الملاحة واللطافة روضة ... ومن الإفادة في البيان سحائبا)

(مازح وطايب ما استطعت فما الفتى ... من لا يكون ممازحا ومطايبا)

---

(١) بغية الطلب فى تاريخ حلب ابن العديم ١٥٤٤/٣

(وفداك من نوب الزمان وصرفه ... قوم يريدون الزمان معايبا) الكامل

ومن شعر أبي الفرج يحيى بن التلميذ نقلت من كتاب زينة الدهر لعلي بن يوسف بن أبي المعالي سعد بن علي الحظيري قال وجدت بخط الأجل الحكيم معتمد الملك يحيى بن التلميذ لنفسه لغزا في الإبرة

(وفاغرة فما في الرجل منها ... ولكن لا تسيغ به طعاما)." [١]

"(لا ترعكم سكرة الموت فما ... هي إلا انتقال من هنا)

(عنصر الأرواح فينا واحد ... وكذا الأجسام جسم عمنا)

(ما أرى نفسي إلا أنتم ... واعتقادي أنكم أنتم أنا)

(فمتى ما كان خيرا فلنا ... ومتى ما كان شرا فبنا)

(فارحموني ترحموا أنفسكم ... واعلموا أنكم في أثرنا)

(من رآني فليقو نفسه ... إنما الدنيا على قرن الفنا)

(وعليكم من كلامي جملة ... فسلام الله مدح وثنا) الرمل

ولشهاب الدين السهروردي من الكتب كتاب التلويحات اللحوية والعرشية

كتاب الألواح العمادية ألفه لعماد الدين أبي بكر بن قرا أرسلان بن داود بن أرتق صاحب خرت برت

كتاب اللحمة

كتاب المقاومات وهو لواحق على كتاب التلويحات

كتاب هياكل النور

كتاب المعارج

كتال المطارحات

كتاب حكمة الإشراق

شمس الدين الخوبي

هو الصدر الإمام العالم الكامل قاضي القضاة شمس الدين حجة الإسلام سيد العلماء والحكماء أبو العباس أحمد بن الخليل بن سعادة بن جعفر بن عيسى من مدينة خوي كان أوحد زمانه في العلوم الحكمية وعلامة وقته في الأمور الشرعية عارفا بأصول الطب وغيره من أجزاء الحكمة عاقلا كثير الحياء حسن الصورة كريم النفس محبا لفعل الخير

وكان رحمه الله ملازما للصلاة والصيام وقراءة القرآن

ولما ورد إلى الشام في أيام السلطان الملك المعظم عيسى بن الملك العادل استحضره وسمع كلامه فوجده أفضل أهل زمانه في سائر العلوم

وكان الملك المعظم عالما بالأمور الشرعية والفقه فحسن موقعه عنده وأكرمه وأطلق له جامكية وجراية

---

(١) عيون الأنباء في طبقات الأطباء ابن أبي أصيبعة ص/٣٧٢

وبقي معه في الصحبة

ثم جعله مقيما بدمشق وله منه الذي له

وقرأ عليه جماعة من المشتغلين وانتفعوا به

وكنت أتردد إليه وقرأت عليه التبصرة لابن سهلان

وكان حسن العبارة قوي البراعة فصيح اللسان بليغ البيان وافر المروة كثير **الفتوة**

وكان شيخه الإمام فخر الدين بن خطيب الري لحقه وقرأ عليه ثم ولاه الملك المعظم القضاء وجعله قاضي القضاة بدمشق

وكان مع ذلك كثير التواضع لطيف الكلام يمضي إلى الجامع ماشيا للصلوات في أوقاتها

وله تصانيف لا مزيد عليها في الجودة

وكان ساكنا في المدرسة العادلية ويلقى بها الدرس للفقهاء

ولم يزل على هذه الحال إلى أن توفي رحمه الله وهو في سن الشباب." (١)

"عز الدين بن السويدي

هو الحكيم الأجل الأوحد العالم أبو إسحق إبراهيم بن محمد من ولد سعد بن معاذ من الأوس مولده في سنة ستمائة بدمشق

ونشأ بها وهو علامة أوانه وأوحد زمانه

مجموع الفضائل كثير الفواضل كريم الأبوة عزيز **الفتوة** وافر السخاء حافظ الإخاء واشتغل بصناعة الطب حتى أتقنها إتقانا لا مزيد عليه

ولم يصل أحد من أربابها إلى ما وصل إليه

قد حصل كلياتها واشتمل على جزئياتها

واجتمع مع أفاضل الأطباء ولازم أكابر الحكماء وأخذ ما عندهم من الفوائد الطبية والأسرار الحكمية

مثل شيخنا الحكيم مهذب الدين عبد الرحيم بن علي وغيره

وقرأ أيضا في علم الأدب حتى بلغ فيه أعلى الرتب

وأتقن العربية وبرع في العلوم الأدبية

وشعره فهو الذي عجز عنه كل شاعر وقصرت عنه الأوائل والأواخر لما قد حواه من الألفاظ الفصيحة والمعاني الصحيحة والتجنيس الصنيع والتطبيق البديع

فهو الجامع لأجناس العلوم الحاوي لأنواع المنثور والمنظوم

وهو أسرع الناس بديهة في قول الشعر وأحسنهم إنشادا

ولقد رأيت منه في أوقات ينشد شعرا على البديهة في معان مختلفة لا يقدر عليها أحد سواه ولا يختص بهذا الفن إلا إياه

---

(١) عيون الأنباء في طبقات الأطباء ابن أبي أصيبعة ص/٦٤٦

وكان أبوه رحمه الله تاجرا من السويداء بحوران حسن الأخلاق طيب الأعراق لطيف المقال جميل الأفعال
وكان صديقا لأبي وبينهما مودة أكيدة وصحبة حميدة
وكنت أنا وعز الدين أيضا في المكتب عند الشيخ أبي بكر الصقلي رحمه الله فالمودة بيننا من القدم باقية على طول الزمان نامية في كل حين وأوان
والحكيم عز الدين من أجل الأطباء قدرا وأفضلهم ذكرا
وأعرف مداواة وألطف مداراة وانجع علاجا وأوضح منهاجا
ولم يزل طبيبا في البيمارستان النوري يحصل به للمرضى نهاية الأغراض في إزالة الأمراض وأفضل المنحة في اجتلاب الصحة
وخدم أيضا في البيمارستان بباب البريد وتردد إلى قلعة دمشق وكان مدرس الدخوارية
وكان له جامكية في هذه الأربع جهات
وكتب عز الدين بخطه كتبا كثيرة جدا في الطب وغيره فمنها خط منسوب طريقة أبن البواب ومنها خط يشابه مولد الكوفي وكل واحد من خطيه فهو أبهى من الأنجم الزواهر وأزهى من فاخر الجواهر وأحسن من الرياض المونقة وأنور من الشمس المشرقة
وحكى لي أنه كتب ثلاث نسخ من كتاب القانون لابن سينا
ولما كان في سنة اثنتين وثلاثين وستمائة وصل إلى دمشق تاجر من بلاد العجم ومعه نسخة من شرح ابن أبي صادق لكتاب منافع الأعضاء لجالينوس وهي صحيحة معقولة من خط المصنف ولم يكن قبل ذلك منها نسخة في الشام فحملها أبي فكتب إليه عز الدين بن السويدي قصيدة مديحا فمما على خاطري منها يقول." (١)

"ثم أقبل علينا ابن هبيرة يحدثنا، فقال: إن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه ورد على يزيد بن معاوية، فقال له: كم كان أمير المؤمنين يعطيك؟ قال: كان رحمه الله يعطيني ألف ألف. فقال يزيد: قد زدناك لترحمك عليه ألف ألف. قال: بأبي أنت،امي. قال: ولهذه ألف ألف. قال: أما أني لاأقولها لأحد بعدك. قال: ولهذه ألف ألف. قال: مايمنعني من الأطناب في وصفك إلا الإشفاق عليك من جودك. قال: ولهذه ألف ألف. وحمل المال معه، فقيل ليزيد: فرغت بيت مال المسلمين على رجل واحد. قال: إنما دفعته إلى أهل المدينة أجمعين. ثم وكل به من يعرفه خبره من حيث لايعلم، فلما دخل المدينة فرق المال فيها حتى أحتاج بعد شهر الى القرض. قال: وأقبل ابن هبيرة يفرق الهدايا وينشد شعر الخثعمي " من البسيط ":

لاتبخلن بدنيا وهي مقبلة ... فليس يقصها التبذير والسرف
فإن تولت فأحرى أن تجود بها ... فالشكر منها إذا ماأدبرت خلف

وحدث خلاد بإسناد له عن عروة بن الزبير أنه قال لعائشة: يأماه – أو: ياخالاه – نظرت في أمرك، فعجبت من أشياء ولم أعجب من أشياء، رأيتك من أفقه الناس! – فقلت: مايمنعها وهي زوجة رسول الله صلى الله عليه وسلم – ورأيتك من

---

(١) عيون الأنباء في طبقات الأطباء ابن أبي أصيبعة ص/٧٥٩

أعلم الناس بالشعر! – فقلت: مايمنعها وهي ابنة أبو بكر الصديق – ورأيتك من أعلم الناس بالطب! قال: فأخذت بثوبي وجرتني إليها وقالت: يأبا عرية إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان مسقاما، فكان أطباء العرب وأطباء العجم ينعتون له، فكنا نعالجه.

٣٦ – ... ومن أخبار أبي الحسن المدائني

وهو علي بن محمد بن عبد الله بن أبي سيف القرشي، مولى عبد الرحمان بن سمرة بن حبيب بن عبد شمس بن عبد مناف. قال أبو خيثمة: هو صدوق ثقة. وقال يحي بن معين: هو صدوق إذا حدث عن الثقات، فأحاديثه مستقيمة. وقال يحي بن معين: من أراد اخبار الجاهلية فعليه بكتب أبي عبيدة، ومن أراد أخبار الإسلام فعليه بكتب المدائني.

وحدث المدائني بإسناد له عن معاذ بن جبل قال: مات ابن لي، فكتب إلي النبي صلى الله علسه وسلم: بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله إلى معاذ بن جبل، أما بعد فعظم الله لك الأجر، وألهمك الصبر، ورزقنا وإياك الشكر، ثم إن أنفسنا وأموالنا وأهلينا من مواهب الله الهنيئة، وعواريه المستودعة، يمتع بها إلى أجل معدود، ويقبضها لوقت معلوم، جعل عليه الشكر إذا أعطى، والصبر إذا ابتلى، وقد كان ابنك من مواهب الله الهنيئة، وعواريه المستودعة، متعك به في غبطة وسرور، وقبضه منك بأجر كثير، إن صبرت واحتسبت! فلا يجتمعن عليك، يامعاذ، أن يحبط جزعك أجرك فتندم غدا على ثواب مصيبة، علمت أن المصيبة قد قصرت عنك، وأعلم أن الجزع لايرد ميتا ولايدفع حزنا، فليذهب أسفك ماهو نازل، فكأن قد.

وبإسناده عن أنس قال: وضع النبي صلى الله عليه وسلم إبراهيم في حجره وهو يجود بنفسه، وقال: لولا أنه موعد صادق ووعد جامع وأن الماضي فرط الباقي وأن الآخر لاحق الأول، لجزعنا عليك، ياإبراهيم! ثم دمعت عينه صلى الله عليه وسلم، فقال: تدمع العين ويحزن القلب، ولا نقول إلا مايرضي الرب وإنا بك، ياإبراهيم، لمحزونون! – وبه عنه صلى الله عليه وسلم: سرعة المشي تذهب ببهاء المسلم.

وقال المدائني: ليست الفتوة الفسق والفجور إنما الفتوة طعام موضوع ونائل مبذول وعفاف معروف وأذى مكفوف.." [١] "مودته.

وقال: لا تبذل وجهك إلى من يهون عليه ردك. وقال: من برك فقد أوثقك، ومن جفاك فقد أطلقك. وقال: من نم لك نم بك، ومن إذا أرضيته قال فيك ما ليس فيك، وإذا أغضبته قال فيك ما ليس فيك. وقال: الكيس العاقل هو الفطن المتغافل. وقال: من وعظ أخاه سرا فقد نصحه وزانه، ومن وعظه علانية فقد فضحه وشانه. وقال: من سام بنفسه فوق ما تساوى رده الله تعالى إلى قيمته. وقال: الفتوة حلى الأحرار.

وقال: من تزين بباطل هتك ستره. وقال: التواضع من أخلاق الكرام، والتكبر من شيم اللئام. وقال: التواضع يورث المحبة، والقناعة تورث الراحة. وقال: أرفع الناس قدرا من لا يرى قدره، وأكثرهم فضلا من لا يرى فضله. وقال: إذا كثرت الحوائج فابدأ بأهمها. وقال: من كتم سره كانت الخيرة فى يده. وقال: الشفاعات زكاة المروآت. وقال: ما ضحك من خطأ رجل إلا

---

(١) نور القبس اليغموري ص/٦٧

ثبت الله صوابه فى قلبه.

وقال: أبين ما فى الإنسان ضعفه، فمن شهد الضعف من نفسه نال الاستقامة مع الله تعالى. وقال: قال رجل لأبى بن كعب، رضى الله عنه: عظنى، فقال: واخ الإخوان على قدر تقواهم، ولا تجعل لسانك مذلة لمن لا يرغب فيه، ولا تغبط الحى إلا بما تغبط به الميت. وقال: من صدق الله نجا، ومن أشفق على دينه سلم من الردى، ومن زهد فى الدنيا قرت عيناه بما يرى من ثواب الله تعالى غدا. وقال: كن فى الدنيا زاهدا، وفى الآخرة راغبا، وأضدق الله تعالى فى جميع أمورك تنج غدا مع الناجين. وقال: من كان فيه ثلاث خصال فقد أكمل الإيمان: من أمر بالمعروف وائتمر به، ونهى عن المنكر وانتهى عنه، وحافظ على حدود الله تعالى.

وقال لأخ له فى الله تعالى يعظه ويخوفه: يا أخى، إن الدنيا دحض مزلة، ودار مذلة، عمرانها إلى الخراب صائر، وساكنها للقبور زائر، شملها على الفرقة موقوف، وغناها إلى الفقر مصروف، الإكثار فيها إعسار، والإعسار فيها يسار، فافزع إلى الله، وارض برزق الله تعالى، ولا تستلف من دار بقائك فى دار فنائك، فإن عيشك فىء زائل، وجدار مائل، أكثر من عملك، وقصر من أملك.

وقال: أرجى حديث للمسلمين حديث أبى موسى، أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال: "إذا." (١)

"وكذا إذا دخل مسجدا أو بيتا لغيره ليس فيه أحد، يستحب أن يسلم، وأن يقول: السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، السلام عليكم أهل البيت ورحمة الله وبركاته.

فصل:

إذا كان جالسا مع قوم ثم قام ليفارقهم، فالسنة أن يسلم عليهم.

٧٣٩ – فقد روينا في سنن أبي داود والترمذي وغيرهما بالأسانيد الجيدة (١) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إذا انتهى أحدكم إلى المجلس فليسلم، فإذا أراد أن يقوم فليسلم فليست الأولى بأحق من الآخرة " قال الترمذي: حديث حسن.

قلت: ظاهر هذا الحديث أنه يجب على الجماعة رد السلام على هذا الذي سلم عليهم وفارقهم، وقد قال الإمامان القاضي حسين وصاحبه أبو سعد المتولي: جرت عادة بعض الناس بالسلام عند مفارقة القوم، وذلك دعاء يستحب جوابه ولا يجب، لأن التحية إنما تكون عند اللقاء لا عند الانصراف، وهذا كلامهما، وقد أنكره الإمام أبو بكر الشاشي الأخير من أصحابنا وقال: هذا فاسد، لأن السلام سنة عند الانصراف كما هو سنة عند الجلوس، وفيه هذا الحديث، وهذا الذي قاله الشاشي هو الصواب..فصل:

إذا مر على واحد أو أكثر، وغلب على ظنه أنه إذا سلم لا يرد عليه، إما لتكبر الممرور عليه، وإما لإهماله المار أو السلام، وإما لغير ذلك، فينبغي أن يسلم ولا يتركه لهذا الظن، فإن السلام مأمور به، والذي أمر به المار أن يسلم، ولم يؤمر بأن يحصل الرد، مع أن الممرور عليه قد يخطئ الظن فيه ويرد.

---

(١) تهذيب الأسماء واللغات النووي ٥٦/١

وأما قول من لا تحقيق عنده: إن سلام المار سبب لحصول الإثم فحق الممرور عليه، فهو جهالة ظاهرة، وغباوة بينة، فإن المأمورات الشرعية لا تسقط عن المأمور بها بمثل هذه الخيالات، ولو نظرنا إلى هذا الخيال الفاسد لتركنا إنكار المنكر على من فعله جاهلا كونه منكرا، وغلب على ظننا أنه لا ينزجر بقولنا، فإن إنكارنا عليه، وتعريفنا له قبحه يكون سببا لإثمه

---

(١) قال ابن علان: قال الحافظ: مخرج هذا الحديث واحد، وإن تعددت الأسانيد إلى محمد بن عجلان.

(٢) بل كلتاهما حق وسنة مشيرة إلى حسن المعاشرة وكرم الأخلاق ولطف **الفتوة** ولطافة المروءة، فإنه إذا فارقهم من غير سلام عليهم ربما يتشوش أهل المجلس من فرقهم وهو ساكت، فكانت التسليمة الأولى إخبارا عن سلامتهم من شره عند الحضور، فكذا الثانية إخبار عن سلامتهم منشره عند الغيبة، وليست

السلامة عند الحضور أولى منها عند الغيبه، بل الثانية أولى.

(*)".[١]

"[باب الجوبي والخوبي] :

فاته هذه الترجمة وهي "الجوبي" بالجيم المضمومة والباء الموحدة وهي قبيلة من الأكراد ويقال لهم "الشوبية" أيضا بالشين المعجمة وهو:

أبو عمران موسى بن محمد بن سعيد الجوبي: كتب عنه الحافظ أبو طاهر السلفي -رحمه الله- في معجم السفر، في دمشق، قال: سمعت أبا الحسن الخرائطي بالجزيرة يقول قال الشيخ أبو بكر محمد بن الحسن البشنوي: "تعلمت أحسن الخلق من أخس الخلق: تعلمت **الفتوة** من الديك، والوفاء من الكلب، والاحتمال من الحمار، ألا ترى أن الديك إذا قدمت إليه علفا صاح بالديكة ولا يأكل خفية، والكلب إن أطعمته لقمة عرف لك ذلك ما حييت، والحمار إن ضربته ولم تطعمه وركبته صبر على أذاك من غير صياح ولا صراخ". وموسى هذا قد كتب معنا عن أبي طاهر الحنائي وابن الموازيني وغيرهما، وكتب عني فوائد، وله اسمان وكنيتان؛ ابو عمران موسى وأبو محمد عبد الرحمن.." [٢]

"[سورة يوسف (١٢) : الآيات ٢٦ الى ٢٧]

قال هي راودتني عن نفسي وشهد شاهد من أهلها إن كان قميصه قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين (٢٦) وإن كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين (٢٧)

قال هي راودتني عن نفسي طالبتني بالمؤاتاة، وإنما قال ذلك دفعا لما عرضته له من السجن أو العذاب الأليم، ولو لم تكذب عليه لما قاله. وشهد شاهد من أهلها قيل ابن عم لها. وقيل ابن خال لها صبيا في المهد.

وعن النبي صلى الله عليه وسلم «تكلم أربعة صغارا ابن ماشطة فرعون، وشاهد يوسف وصاحب جريج، وعيسى ابن مريم عليه السلام»

---

(١) الأذكار للنووي ت الأرنؤوط النووي ص/٢٥٨

(٢) تكملة إكمال الإكمال في الأنساب والأسماء والألقاب ابن الصابوني ص/٤٠

وإنما ألقى الله الشهادة على لسان أهلها لتكون ألزم عليها. إن كان قميصه قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين لأنه يدل على أنها قدت قميصه من قدامه بالدفع عن نفسها، أو أنه أسرع خلفها فتعثر بذيله فانقد جيبه.
وإن كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين لأنه يدل على أنها تبعته فاجتذبت ثوبه فقدته.
والشرطية محكية على إرادة القول أو على أن فعل الشهادة من القول، وتسميتها شهادة لأنها أدت مؤداها والجمع بين إن وكان على تأويل أن يعلم أنه كان ونحوه ونظيره قولك: إن أحسنت إلي اليوم فقد أحسنت إليك من قبل، فإن معناه أن تمنن علي بإحسانك أمنن عليك بإحساني لك السابق. وقرئ «من قبل» «ومن دبر» بالضم لأنهما قطعا عن الإضافة كقبل وبعد، وبالفتح كأنهما جعلا علمين للجهتين فمنعا الصرف وبسكون العين.

[سورة يوسف (١٢) : الآيات ٢٨ الى ٢٩]
فلما رأى قميصه قد من دبر قال إنه من كيدكن إن كيدكن عظيم (٢٨) يوسف أعرض عن هذا واستغفري لذنبك إنك كنت من الخاطئين (٢٩)
فلما رأى قميصه قد من دبر قال إنه إن قولك ما جزاء من أراد بأهلك سوءا أو إن السوء أو إن هذا الأمر. من كيدكن من حيلتكن والخطاب لها ولأمثالها أو لسائر النساء. إن كيدكن عظيم فإن كيد النساء ألطف وأعلق بالقلب وأشد تأثيرا في النفس ولأنهن يواجهن به الرجال والشيطان يوسوس به مسارقة.
يوسف حذف منه حرف النداء لقربه وتفطنه للحديث. أعرض عن هذا اكتمه ولا تذكره.
واستغفري لذنبك يا راعيل. إنك كنت من الخاطئين من القوم المذنبين من خطئ إذا أذنب متعمدا والتذكير للتغليب.

[سورة يوسف (١٢) : آية ٣٠]
وقال نسوة في المدينة امرأت العزيز تراود فتاها عن نفسه قد شغفها حبا إنا لنراها في ضلال مبين (٣٠)
وقال نسوة هي اسم لجمع امرأة وتأنيثه بهذا الاعتبار غير حقيقي ولذلك جرد فعله وضم النون لغة فيها. في المدينة ظرف لقال أي أشعن الحكاية في مصر، أو صفة نسوة وكن خمسا زوجة الحاجب والساقي والخباز والسجان وصاحب الدواب.
امرأت العزيز تراود فتاها عن نفسه تطلب مواقعة غلامها إياها.
والعزيز بلسان العرب الملك وأصل فتى فتي لقولهم فتيان والفتوة شاذة. قد شغفها حبا شق شغاف قلبها وهو حجابه حتى وصل إلى فؤادها حبا، ونصبه على التمييز لصرف الفعل عنه. وقرئ «شعفها» من شعف البعير إذا هنأه بالقطران فأحرقه.
إنا لنراها في ضلال مبين في ضلال عن الرشد وبعد عن الصواب.

[سورة يوسف (١٢) : آية ٣١]

فلما سمعت بمكرهن أرسلت إليهن وأعتدت لهن متكأ وآتت كل واحدة منهن سكينا وقالت اخرج عليهن فلما رأينه أكبرنه وقطعن أيديهن وقلن حاش لله ما هذا بشرا إن هذا إلا ملك كريم (٣١)." (١)

"" الصاحب بن عباد ":هو تلميذ إبن العميد، ولكنه فوقه بالصعود في طبقتي المرقصات والمطربات، كقوله: نحن سيدي بمجلس غني إلا عنك، شاكر إلا منك، قد تفتحت فيه عيون النرجس، وتوردت خدود البنفسج، وفاحت مجامر الأترج، وفتقت فارات النارنج، وأنطلقت السن العيدان، وقام خطباء الأوتار: هبت رياح الأقداح، ونفقت سوق الأنس، وقام منادي الطرب، وطلعت كواكب الندمان، وأمتد سماء الند، فبحياتي، إلا ما حضرت لنحصل بك في جنة الخلد، وتتصل الواسطة بالعقد. " وقوله في أخرى ": مجلسنا يا سيدي مفتقر إليك، معول في شرفه عليك، فقد أبت راحته أن تصفو إلا أن تتناولها يمناك، وأقسم غناؤه أن لا يطيب حتى تعيه أذناك، فأما خدود نارجه فقد إحمرت خجلا لإبطائك، وأما عيون نرجسه فقد حدقت تأهيلا للقائك، فبحياتي عليك، إلا ما تعجلت عليك، إلا ما تعجلت لهذه الأوطار، لئلا يخبث من يومي ما طاب، ويعود من همي ما طار، وكقوله: لا إعتراض بين الشمس والقمر، والروض والمطر. " وقوله ": الفاظ كما تورق الأشجار، ومعان كما تضحك الأزهار، من غرته تغور السلامة، حدثته السن الندامة، وكقوله: إثني عليه ثناء العطشان الوارد، على الماء البارد.

" أبو النصر العتبي ": كاتب السلطان محمود هو عندي أرفع الجميع طبقة بما يليق بهذا الكتاب، فإنه فيه أطال وأطاب، وأخذ بالآزرة لا بالأهداب، وأما أقسم على ذلك بأجل ما يقسم به وبراءتي عن يميني، وقوف المطالب بالتحقيق على كابه الموسوم باليميني، فقد صمنه من ذلك العجائب، حط بمراقية مراتب كوكب، وعنوان محاسنه في هذا الباب قوله: يوم رقت غلائل صحوه، وغنجت شمائل جوه، وضحكت ثغور رياضه، وأطرد زرد النسيم فوق حياضه، وفاحت مجامر الأزهار، وأنتشرت قلائد الأغصان عن فرائد النوار، وقسام خطباء الأطيار، على منابر الأشجار، ودارت أفلاك الأيدي بشموس الراح، في بروج الأقداح، وقد سبينا العقل في مروج الجنون، وجعلنا العذارى بأيدي المجون، فبحق الفتوة التي زان الله بها طبعك، والمروءة التي قصر الله عليها أصلك وفرعك، ألا تفضلت بالحضور، ونظمت لنا بك عقد السرور، وقوله: خيفة سألت في أودية الظنون، وبسطت إليه أجنحة المنون، ونفرته عن ضم القوادم للسكون. وقوله: ولما تسامع القوم بإقباله دب الفشل في تضاعيف أحشائهم، وسرى الوهل في تفاريق أعضائهم، وضاقت عليهم الأرض بما رحبت، فجيوب الأقطار عنهم مزورورة، وذيول الخذلان عليهم مجرورة. وكقوله: لئن حرمت برك والدار دانية، ثم رزقته والمسافة نائية، فقد يضن الحبيب قريبا بوصاله، ثم يسمح بعيدا بطيف خياله، والله يطلع علينا سوالف، تلك الأيام، السوالف، مغلقة الأصداغ بأعتاب الزمان، معجمة الأطراف بخيلان الحسن والأخلاق.

" بديع الزمان الهمذاني ": من سابقي هذه الحلبة، وممن جاز في مراتبهم أعلى رتبة، وشاهدي على ذلك قوه لمن قدم إليه كتابه قبل الوفود إليه، كتابي والبحر وإن لم أره، فقد سمعت خبره، والليث وإن لم ألقه، فقد تصورت خلقه، والملك العادل وإن لم أكن لقيته، فقد بلغني هيبته وصيته، ومن رأى من السيف أثره، فقد رأى أكثره، وهذه الحضرة وإن إحتاج إليها

---

(١) تفسير البيضاوي = أنوار التنزيل وأسرار التأويل ناصر الدين البيضاوي ١٦١/٣

المأمون، ولم يستغن عنها قارون، فإن الأحب إلي أن أقصدها قصد موال، والرجوع عنها بجمال أحب إلي من الرجوع بمال، قدمت لتعريف، وأنا أنتظر الجواب الشريف، فإن نشط الأمير لضيف ظله خفيف، وضالته رغيف، فليزجر له بالإستقبال، طائر الإقبال. " ومن محاسن تركيبه " التي إحتذى البلغاء فيها حبذوه قوله: أنا لقرب مولاي "كما طرب النشوان مالت به الخمر "، ومن الإرتياح إلى لقائه، "كما أنتفض العصفور بلله القطر "، ومن الإمتزاج بولائه، " إلتقت الصهباء والبارد العذب، ومن الإبتهاج بمزاره، "كما إهتزت تحت البارح الغصن الرطب ".

" الأمير أبو الفضل الميكاي ": له في طبقات هذا الكتاب محاسن عنوانها مثل قوله: لو إستطعت لطرت بأجنحة السحائب، وخطبت بالشكر على متون الكواكب، وقوله: كلام سلب الماء رقته، والنحل ريقته، وقوله: أيام ظل العيش رطب، وكنف الهوى رحب، وشرب الصهباء عذب.." (١)

"أمر بمعروف أو نهى عن منكر ولم يجد رخصة في السكوت، فإن مواجهته بذلك إحسان إليه في المعنى.

واعلم: أنك إن طلبت منزها عن كل عيب لم تجد، ومن غلبت محاسنه على مساويه فهو الغاية.

وقال ابن المبارك: المؤمن يطلب المعاذير، والمنافق يطلب الزلات. وقال الفضيل: **الفتوة**: الصفح عن زلات الإخوان.

وينبغي أن تترك إساءة الظن بأخيك، وأن تحمل فعله على الحسن مهما أمكن، وقد قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: "وإياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث".

واعلم: أن سوء الظن يدعو إلى التجسس المنهى عنه، وأن ستر العيوب والتغافل عنها سيمة أهل الدين.

واعلم: أنه لا يكمل إيمان المرء حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه، وأقل درجات الأخوة أن يعامل أخاه بما يحب أن يعامله به، ولا شك أنك تنتظر من أخيك أن يستر عورتك، وأن يسكت عن مساويك، فلو ظهر لك منه ضد ذلك اشتد عليك فكيف تنتظر منه مالا تعزم عليه له؟

ومتى التمست من الأنصاف مالا تسمح به دخلت في قول الله تعالى: ﴿الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون (٢) وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون﴾ [المطففين: ٢ - ٣]. ومنشأ التقصير في ستر العورة والمغرى بكشفها الحقد والحسد.

واعلم: أن من أشد الأسباب لإثارة الحقد والحسد بين الإخوان المماراة، ولا يبعث عليها إلا إظهار التميز بزيادة الفضل والعقل واحتقار المردود عليه، ومن مارى اخاه، فقد نسبه إلى الجهل والحمق، أو إلى الغفلة والسهو عن فهم الشيء على ما هو عليه. وكل ذلك استحقار، وهو يوغر الصدر ويوجب المعادة، وهو ضد الأخوة.

الحق الرابع: على اللسان بالنطق، فإن الأخوة كما تقتضى السكوت عن المكروه، تقتضى النطق بالمحبوب، بل هو أخص بالأخوة، لأن من قنع بالسكوت صحب أهل القبور، وإنما يراد الإخوان ليستفاد منهم لا ليتخلص منهم، لأن السكوت

---

(١) المرقصات والمطربات ابن سعيد المغربي ص/٤

معناه كف الأذى، فعليه أن يتودد إليه بلسانه، ويتفقده في أحواله، ويسأل عما عرض له، ويظهر شغل قلبه بسببه، ويبدى السرور بما يسر به.." (١)

"فعلت في البيت إذ مزجت ... مثل فعل الصبح في الظلم

فاهتدى ساري الظلام بها ... كاهتداء السفر بالعلم

أقول: إني إنما ابتدأت بأشعار أبي نواس في الخمر لأنه أكثر الناس إحسانا فيها، وأولهم استقصاء لمعانيها، وأسبقهم إلى التنوق في أوصافها وألقابها، وأكثرهم معاقرة لندمانها وشرابها، وأوفاهم تشوقا إليها وتطربا عليها، وأبلغهم قولا في نعوتها الرائقة وصفاتها الفائقة، وإن وجد لمن تقدمه شيء من ذلك فإنما يوجد القليل النادر، ومن تأخر عن زمانه عيال عليه وتبع له. وها أنا أذكر ما يخطر من الأشعار والأخبار فيها على حسب ما اشترطته في هذا الكتاب.

كان يقال: للشراب حدان: حد لا هم فيه، وحد لا عقل فيه، فعليك بالأول واتق الثاني. مر أنوشروان وكان يعجبه الورد بوردة ساقطة، فقال: أضاع الله من أضاعك ونزل فأخذها وقبلها وشرب مكانها سبعة أيام.

قال جميل:

فلما مات من طرب وسكر ... رددت حياته بالمسمعات

فقام يجر عطفيه خمارا ... وكان قريب عهد بالممات

ابن نباتة السعدي:

نعمت بها يجلو علي كؤوسه ... أغر الثنايا واضح الجيد أحور

فوالله ما أدري أكانت مدامة ... من الكرم تجنى أم من الشمس تعصر

إذا صبها جنح الظلام وعبها ... رأيت رداء الليل يطوى وينشر

الببغاء:

واجل شمس العقار في يد بدر ال ... حسن يخدمك منهما النيران

في كؤوس كأنها زهر الخش ... خاش ضمت شقائق النعمان

إنما سميت شقائق النعمان لأن النعمان بن المنذر رأى أرضا كثيرة الشقائق فحماها فنسب إليه.

واختدعها عند البزال بألفا ... ظ المثاني ومطربات الأغاني

فهي أولى من العرائس إن زف ... ت بعزف النايات والعيدان

قال ابن الجهم: قلت لجارية: نجعل الليلة مجلسنا في القمر، فقالت: ما أولعك بالجمع بين الضرائر، قلت: فأي الشراب أحب إليك، فقالت: ما ناسب روحي في الخفة ونكهتي في الطيب وريقي في اللذة ووجهي في الحسن، وخلقي في السلاسة.

ابن سكرة:

فما ترى في اصطباح صافية ... بكر حناها في الحانة الكبر

---

(١) مختصر منهاج القاصدين المقدسي، نجم الدين ص/١٠١

فهي لمن شم ريحها أثر ... وهي لمن رام لمسها خبر

في روضة راضها الربيع وما ... قصر في وشي قصرها المطر

وقد نأى النأي بالعقول وما ... قصر في نيل وتره الوتر

أشخص الوليد بن يزيد شراعة من الكوفة، وقال له: ما أحضرتك لأسألك عن كتاب الله ولا عن سنة نبيه صلى الله عليه وسلم، قال: والله لو سألتني عنهما لألفيتني فيهما حمارا، قال: ولكن أسألك عن **الفتوة**، قال: أنا دهقانها الخبير وطبيبها الرفيق، قال: أخبرني عن الماء، قال: لا بد منه والحمار شريكي فيه، قال: فاللبن، قال: ما رأيته قط إلا استحييت من أمي من طول ما أرضعتنيه، قال: فالسويق، قال: فالسويق شراب الحزين والمريض والمستعجل، قال: فنبيذ التمر، قال: سريع الملي سريع الإنفاش ضرط كله، قال: فنبيذ الزبيب، قال: حومة يحامها حول الأمر، قال: فما تقول في الخمر، قال: تلك صديقة روحي، قال: وأنت صديقي فاقعد، أي الطعام أحب إليك، قال: ليس لصاحب النبيذ على الطعام حكم إلا أن أشهاه إليه أمره وأنفعه أدسمه، قال: فأي المجالس أطيب، قال: البراح ما لم تحرقه الشمس ويغرقه المطر والله يا أمير المؤمنين ما شرب الناس على شيء أحسن من وجه السماء.

شاعر:

كأنما عرض في كف شاربها ... تخاله فارغا والكأس ملآن

ابن المعتز:

يا نديمي سقياني فقد لا ... ح صباح وأذن الناقوس

من كميت كأنها أرض تبر ... في نواحيه لؤلؤ مغروس

وقال:

كأنه وكأن الكأس في فمه ... هلال أول شهر غاب بالشفق

ديك الجن:

فقام تكاد الكأس تخضب كفه ... وتحسبه من وجنتيه استعارها

مشعشعة من كف ظبي كأنما ... تناولها من خده فأدارها

ظللنا بأيدينا نتعتع روحها ... وتأخذ من أقدامنا الراح ثارها

أخذه ابن الأصباغي فقال:

عقرتهم عقارة لو سالمت ... شرابها ما سميت بعقار." (١)

"بالمنح تشرق شموس المدح، وطلاوة الوجود صلاح الجود، وحسن **الفتوة** منهاج المروة، وسلامة الكريم جبائر الرميم، وحباء المعروف أعباء العروف، وهم الأريب مجانبة المريب، وسلاح السماح مفتاح النجاح، وسحوح الانتصار معين الإنصار، وإقدام المقدام حمائم المحجام وحياة الظلوم حيات المظلوم، ودعاء لصالح مجلبة المصالح، وأسنى الوصال استمرار الاتصال،

---

(١) التذكرة الفخرية بهاء الدين الإربلي ص/٦٣

ولذاذة الأموال اكتساب المآل، وثواب الآلاء إسعاف الولاء، ومكافأة المفضال مولاة الإفضال، وأجمل المكارم مخالفة الأكارم، وفخر الآدب تجميل المآدب، وتزيين الذمام مفارقة الذام، ومع الشرف إطراح السرف، ومن النعيم مصاحبة الحميم، ومن الطمع ادراع الطبع، وفي الإكرام انقياد الكرام، وبمواصلة اللئيم، مقاطعة الكريم ومحاسن الحسان استعمال الإحسان، ورفض الاستهتار دليل الأحبار، وسمن الأجسام هزال الأفهام، وإكمال النوال ثمرة الكمال، وكسب الفضل إفعوان الجهل، ولزوم الرقاد مانع المراد، وطلب الزهادة نتائج السعادة، وفي الجلل خوض البطل، وجمال السلطان نضارة الأعوان، وقرب الوشاة مضر الولاة، وقسط الشموس حصون النفوس، وحدائق المحامد غروس الأماجد، وجزاء الاعتراف اتحاف الإسعاف، وأحسن الأفاضل طالب التفاضل. وأنفس العطايا اجتناب الخطايا وأفحش العيوب إفشاء الذنوب، وأسوأ الأوقات نزول الموبقات، وأشد الشوائب محاسمة الحبائب، وأحلى المنن ملازمة السن، ومعيبة الأخلاق مفسده الاختلاف، وسبب الصلات جاذب العفاة وثناء الحسود شاهد المحسود وارتفاع الأعمال انتفاع العمال، واحتمال السفهاء شعار النبهاء، وذم المنائح اقبح القبائح، وإطلاق اللسان أسد الإنسان، وثبات الأقدام قوام الإقدام، قال الراوي: فحين نشر بيننا رنده، ورفع عندنا نده، وعلم أن كل ضب مرداته عنده قال لهم: عليكم النفيسة القيم، الأنيسة اللقم، التي وضعتها بدور الندور، ورصعتها بدور البدور، فإنها دواء المفؤود، وكفاء الوجل المزؤود، صقيلة النصل موافقة في القطع والوصل، منزهة في العكس والطرد، عن قرع حلقة باب السكون في السرد فاصقلوا لها مرآة الانتقاد، والحظوها لحظ الصيرفي النقاد، فلن يميز بين الأسد والنقاد إلا أبصار السادة النقاد، ولولا تقدم الهجود، وتضرم الأحشاء، بالجود، لزدتم من إدرار ديم هذا المدرار، فاللبيب من استغنى عن رباب العراص بسح أسمية هذا العراص وعن درة الغواص باقتناء در وهذا المغاص، فلما وقفوا على نفيسها، ورشفوا لذيذ خندريسها، وغبطوا ملحاء ملاحتها، ومدحوا فيحاء فصاحتها، قالوا له: وأيمن الله لقد امتد مدد درك لدينا ورد يوسف علم الأدب إلينا، تالله لقد آثرك الله علينا، فقال: ما بكل طاغ تطيقون العوم، ولا حول كل حول تحمدون الحوم، لا تثريب عليكم اليوم، ثم إنه لوى أذن صاحب اقتراحه، وألوى برمال المرح لاجتراحه، وقال: البسيط:

يا من إذا بارز الرزايا ... أبرز عزما خلاه ختم

عجل بما حق لي سريعا ... فالوعد دين عليك حتم

فقال له: دونك وما ترتضيه، فالشرط ما يقتضيه، فنهضنا إلى بستانه، ورتعنا في مواهب هتانه، وعند حضور القيت وقتل قتله المقيت قال: يا قوم إن لي بهذه البلدة ساحجا، متألم البلدة، وأخاف أن يبيت في خلائه، عادم تعهد خلائه، فاسمحوا لي باتشاح أشاح العود، في غد أحضر بعد معاودة العود قال: فما خالفوه حيث حالفوه ولكن أتحفوه بما فغر به فوه، فافترقنا فرقين من خببه، مشفقين من نصبه، مفهقين بضروب ضربه، لا نعلم ما صنع الله به.

المقامة الثامنة الحلوانية." (١)

"نحن نقص عليك نبأهم بالحق إنهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى (١٣)

﴿نحن نقص عليك نبأهم بالحق﴾ بالصدق ﴿إنهم فتية﴾ جمع فتى **والفتوة** بذل الندى وكف الأذى وترك الشكوى واجتناب

---

(١) المقامات الزينية ابن الصيقل الجزري ص/٢٠

المحارم واستعمال المكارم وقيل الفتى من لا يدعي قبل الفعل ولا يزكي نفسه بعد الفعل ﴿آمنوا بربهم وزدناهم هدى﴾ يقينا وكانوا من خواص دقيانوس قد قذف الله في قلوبهم الإيمان وخاف بعضهم بعضا وقالوا ليخل اثنان اثنان منا فيظهر كلاهما ما يضمر لصاحبه ففعلوا فحصل اتفاقهم على الإيمان." (١)

"وعن أبي عون قال: ذكر إبراهيم والشعبي فقال: كان إبراهيم يسكت، فإذا جاءت الفتن أو الفتيا انبرى لها. وكان الشعبي يتحدث، ويذكر الشعر وغير ذلك، فإذا جاءت الفتنة أو الفتيا أمسك.

وعن حماد بن زيد وذكر له قول إبراهيم: في الفأرة جزاء إذا قتلها المحرم فقال حماد: ما كان بالكوفة رجل أوحش ردا للآثار من إبراهيم، وذلك لقلة ما سمع من حديث النبي صلى الله عليه وسلم، ولا كان بالكوفة رجل أحسن اتباعا، ولا أحسن اقتداء من الشعبي، وذلك لكثرة ما سمع.

قال الشعبي: والله إنه لعلم حسن أن يقول الرجل إذا سئل عما لا يعلم أن يقول: لا أعلم.

قال أبو وهب محمد بن مزاحم: قيل للشعبي: إنا لنستحيي من كثرة ما تسأل فتقول: لا أدري، فقال: لكن ملائكة الله المقربون لم يستحيوا حيث سئلوا عما لا يعلمون أن قالوا: " لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم ".

كان إبراهيم النخعي صاحب قياس، والشعبي صاحب آثار، وكان الشعبي منبسطا، وكان إبراهيم منقبضا فإذا وقعت **الفتوة** انقبض الشعبي، وانبسط إبراهيم.

قال الشعبي: اقتصاد في سنة خير من اجتهاد في بدعة.

قال الشعبي: تفرق الناس منذ وقع هذا الأمر يعني: قتل عثمان على أربعة أصناف: محب." (٢)

"عبد السلام بن محمد بن أبي موسى

أبو القاسم البغدادي المخرمي الصوفي سكن مكة. وكان شيخ الحرم في وقته في التصوف. وكان ثقة.

روى عن أحمد بن عمير بسنده عن عبد الله بن مسعود قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: " إذا شك أحدكم في صلاته فليتحر الصواب، ثم يسجد سجدتي السهو " وروى عن محمد بن زيان بسنده عن ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " الحمى من فيح الجهنم، فأطفئوها بالماء ".

قال الخطيب: عبد السلام بن محمد، أبو القاسم المخرمي البغدادي. جمع بين علم الشريعة، وعلم الحقيقة، **والفتوة**، وحسن الخلق، وأقام بمكة سنين، وبها مات سنة أربع وستين وثلاثمائة.

عبد السلام بن محمد بن يوسف

أبو يوسف القزويني المتكلم على مذهب المعتزلة مصنف مشهور. سكن أطرابلس مدة، ثم عاد إلى بغداد وسكنها إلى أن توفي بها.

---

(١) تفسير النسفي = مدارك التنزيل وحقائق التأويل النسفي، أبو البركات ٢/٢٨٨

(٢) مختصر تاريخ دمشق ابن منظور ١١/٢٥٤

روى عن القاضي أبي عبد الله المحاملي بسنده عن هشام بن عامر قال: شكونا إلى النبي صلى الله عليه وسلم القرح يوم أحد، فقلنا: كيف تأمرنا بقتلانا؟ قال: "." (١)

"علي بن أحمد بن سهل

ويقال: ابن إبراهيم أبو الحسن البوشنجي الصوفي، أحد مشايخهم رحل إلى الشام.

حدث عن محمد بن عبد الرحمن الشامي الهروي بسنده إلى ابن عباس قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمنا من الأوجاع كلها أن نقول: بسم الله الكبير، أعوذ العظيم من شر عرق نعار، ومن شر حر النار.

كان أبو الحسن البوشنجي أوحد فتيان خراسان، وتكلم مع الشبلي في مسائل، وهو من أعلم مشايخ وقته بعلوم التوحيد، وعلوم المعاملات، وأحسنهم طريقة في الفتوة والتجريد، وكان دينا متعهدا للفقراء.

توفي سنة سبع وأربعين بنيسابور، وقيل: ثمان وأربعين وثلاث مئة.

وكان أسخى المشايخ، وأحسنهم خلقا وأظرفهم، وكان يدل أصحابه على العبادة، ولا يتركهم هملا، وكان له شأن عظيم في الخلق والفتوة، يرجع إلى فنون العلم، وكان متكلما عالما بعلوم القوم، وانقطعت بعده طريقة الفتوة والأخلاق عن نيسابور بموته.

سئل البوشنجي عن المروءة فقال: ترك استعمال ما هو محرم عليك مع الكرام الكاتبين.

وقال له إنسان: ادع الله لي، فقال: أعاذك الله من فتنتك.

وقال البوشنجي: أول الإيمان منوط بآخره.

سئل البوشنجي شيخ الصوفية بخراسان: ما التوحيد؟ قال: أن لا يكون مشبه الذات، ولا منفي الصفات.." (٢)

"وسئل: ما السنة؟ قال: البيعة تحت الشجرة مع النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه.

وسئل البوشنجي: ما التصوف؟ فقال: فراغ القلب، وخلاء اليدين، وقلة المبالاة بالأشكال، فأما فراغ القلب: ففي قوله عز وجل: " للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم ". وخلو اليدين لقوله: " الذي ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية ". وقلة المبالاة في قوله عز وجل: " ولا يخافون لومة لائم ".

وسئل عن القناعة فقال: المعرفة بالقسمة.

سئل البوشنجي عن الفتوة، فقال: الفتوة عندك في آية من كتاب الله عز وجل، وفي خبر عن النبي صلى الله عليه وسلم؛ فأما قول الله عز وجل: " يحبون من هاجر إليهم، ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا، ويؤثرون على أنفسهم ولو كانت بهم خصاصة ". وخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم: " لا يؤمن العبد حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه، يعني من الخير ويكره لأخيه ما يكره لنفسه ". فمن اجتمع فيه هاتان الحالتان فله الفتوة.

وسئل عن الفتوة، فقال: حسن البشر. وعن المروءة، فقال: ترك ما يكره كرام الكاتبين. وعن التوكل، فقال: أن تأكل مما

---

(١) مختصر تاريخ دمشق ابن منظور ١١٧/١٥

(٢) مختصر تاريخ دمشق ابن منظور ١٧٨/١٧

يليك، وتضع لقمتك على سكون القلب، وتعلم أن مالك فلا يفوتك.

وسئل عن وصف الإنسان، فقال: الخير منا زلة، والشر لنا صفة، وإذا عزلنا عن الكذب لم يبق لنا شيء.

وسئل عن الحب، فقال: بذل المجهود مع معرفتك المحبوب، والمحبوب مع بذل مجهودك يفعل ما يشاء.

وكان أبو الحسن البوشنجي في الخلاء، فدعا تلميذا له، فقال: انزع عني هذا." (١)

"وقال: لا يزال العالم جاهلا بما علم حتى يعمل به، فإذا عمل به كان عالما.

وقال: إن الله تعالى لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصا، ولا يقبله إذا كان له خالصا إلا على السنة.

قيل للفضيل بن عياض: ألا تحدثنا تؤجر؟ قال: على أي شيء أوجر؟ على شيء تتفكهون به في المجالس؟.

وقال: من عرف الله حق المعرفة فهو بعيد من الضلالة، ومن عرف الإخلاص فهو بعيد من الرياء، ومن أنزل الموت حق المنزلة فلا يغفل عن الموت.

وكان يقول: لا إله إلا الله، ما أقرب الأجل وما أبعد الأمل!.

وقال: أفضل الجهاد المواظبة على الصلوات، وأكبر الرباط انتظار الصلاة بعد الصلاة.

قال: وقال بعضهم: أفضل الجهاد مجاهدة النفس، أن تجاهد نفسك عن الحرام. وعما نهى الله عز وجل عنه، وعن هواك.

وقال الفضيل: لو أني أعلم أن أحدهم يطلب هذا العلم لله تعالى لكان الواجب علي أن آتيه في منزله حتى أحدثه.

قال أبو روح حاتم بن يوسف: أتيت الفضيل فقلت: يا أبا علي، معي خمسة أحاديث إن رأيت أن تأذن لي فأقرأ عليك؟ فقرأت، فإذا هو ستة، فقال لي: أف! قم يا بني، تعلم الصدق ثم اكتب الحديث.

وقال الفضيل: الفتوة الصفح عن عثرات الإخوان.

قال فيض بن إسحاق:

كنت عند الفضيل بن عياض فجاء رجل فسأله حاجة، فألح بالسؤال عليه، فقلت:." (٢)

"وبه، قال: وسئل عن الفتوة، فقال: استعمال كل خلق سني، والتبري من كل خلق دني، وأن تعمل ولا ترى أنك عملت.

محمد بن النضر بن مر بن الحر

أبو الحسن الربعي المقرئ، المعروف بابن الأخرم الدمشقي كان الإقراء صنعته مع جلالة قدره، وواسع ما يحفظه من التفسير ومعاني القراءات، إلى ما كان يعلمه من العربية في وجوه القراءات، وكان يذاكر بذلك من يذاكره، ويبتدئ بما خطر له منه من حضره، وإن لم يسأله عن شيء منه رغبة في تعليم العلم، مع حسن خلقه، وتواضعه، وانبساطه، وإعانته من يقرأ عليه بالإشارات بيده وفيه، مرة إلى الضم، ومرة إلى الفتح، ومرة إلى الكسر، ومرة إلى الإدغام، ومرة إلى الإظهار، بإشارات عرفت

---

(١) مختصر تاريخ دمشق ابن منظور ١٧/١٧٩

(٢) مختصر تاريخ دمشق ابن منظور ٢٠/٣١٩

منه.

وتوفي سنة إحدى وأربعين، أو سنة اثنتين وأربعين وثلاث مئة، وكان اليوم الذي مات فيه صائفا، وصعدت غمامة على جنازته من المصلى إلى قبره، وكانت له رحمه الله شبه الآية.

محمد بن النعمان بن بشير بن سعد

الأنصاري حدث عن أبيه، أنه قال: إن أباه أتى به رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: إني نحلت ابني هذا غلاما كان لي؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " أكل ولدك نحلته مثل هذا؟ " فقال: لا؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " فارجعه ".

ومحمد بن النعمان مدني تابعي ثقة.." (١)

"تمنى قوم عند يزيد أماني فقال يزيد: أتمنى كما تمنيتم؟ قالوا: تمنه، فقال يزيد: ليتنا لم نخلق، وليتنا إذ خلقنا لم نمت، وليتنا إذا متنا لم نحاسب، وليتنا إذا حوسبنا لا نعذب، وليتنا إن عذبنا لا نخلد.

قال دهثم العجلي: قلت ليزيد: كيف أصبحت رحمك الله؟ قال: كيف يصبح من تعد عليه أنفاسه؟ ويحصى لانقضاء أجله؟ لا يدري على خير مقدم أم على شر، ثم ذرفت عيناه.

قال يزيد الرقاشي: انظروا إلى هذه القبور سطورا بأفناء الدور، تدانوا في خططهم، وقربوا في مزارهم، وبعدوا في لقائهم، سكنوا فأوحشوا، وعمروا فأخربوا، فمن سامع بساكن موحش، وعامر مخرب غير أهل القبور؟ قال يزيد الرقاشي: خمس يقبحن من خمس: الحرص من القراء، والعجلة من الأمراء، والفحش من ذوي الشرف، والبخل من ذوي الأموال، **والفتوة** من ذوي الأسنان.

ولما حضر الموت يزيد الرقاشي قرأ: "كل نفس ذائقة الموت وإنما توفون أجوركم يوم القيامة " ألا إن الأعمال محضرة، والأجور مكملة، ولكل ساع ما سعى، وغاية الدنيا وأهلها إلى الموت، ثم بكى، وقال: يا من القبر مسكنه، وبين يدي الله موقفه، والنار غدا مورده، ماذا قدمت لنفسك؟ ماذا أعددت لمصرعك؟ ما أعددت لوقوفك بين يدي ربك؟.." (٢)

"سمعه من أبي الدرداء لفعل، ولو ضربتموه يامعاوية لضربكم الله بقارعة تحل بدياركم فتتركها منكم بلاقع.

وعن جبير بن نفير قال: خمس خصال قبيحة في أصناف من الناس: الحدة في السلطان، والحرص في القراء، **والفتوة** في الشيوخ، والشح في الأغنياء، وقلة الحياء في ذوي الأحساب توفي جبير بن نفير سنة خمس وسبعين. وقيل سنة ثمانين.

جحاف بن حكيم بن عاصم بن قيس

ابن سباع بن خزاعي بن محارب بن هلال بن فالج بن ذكوان ابن ثعلبة بن بهثة بن سليم بن منصور السلمي.

قال الجحاف بن حكيم: دخلت على عبد الملك بن مروان وهو خليفة فقال لي: ما قلت في حرب قيس وتغلب؟ قال:

---

(١) مختصر تاريخ دمشق ابن منظور ٢٨٢/٢٣

(٢) مختصر تاريخ دمشق ابن منظور ٣١٤/٢٧

قلت:

صبرت سليم للطعان وعامر ... وإذا جزعنا لم نجد من يصبر

قال: كذبت من يصبر كثير. قال: ثم قلت:

نحن الذين إذا غلوا لم يضجروا ... يوم الطعان وإن علوا لم يفخروا

قال: صدقت، كذلك حدثني أبي عن أبي سفيان قال: لما انهزم الناس ورجعوا أشرف رسول الله صلى الله عليه وسلم على وادي حنين فبصر ببني سليم في أيديهم الجحف والرماح والسيوف ولم ينهزموا، فلما نظر إليهم على تلك الحال قال: أنا ابن العواتك من سليم ولا فخر.." (١)

"آخر

كن بما أوتيته مغتبطا ... تستدم عيش القنوع المكتفي

إن في نيل المنى وشك الردى ... واجتناب القصد عين السرف

كسراج دهنه قوت له ... فإذا غرقته فيه طفى

ما قيل إن في صلاح الأموال صلاح ما فسد من الأحوال

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لا يقل مع الاصلاح شيء كما لا يكثر مع الافساد شيء ويقال من الفساد اضاعة الزاد المتلمس

لحفظ المال خير من فناه ... وسير في البلاد بغير زاد

قليل المال تصلحه فيبقى ... ولا يبقى الكثير مع الفساد

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه أصلحوا أموالكم التي رزقكم الله فان اقلالا في رفق خير من اكثار في خرق وقالوا إن في صلاح الأموال سلامة الدين وجمال الوجه وبقاء العز وصون العرض وقالوا أصلح مالك تجده لروعة الزمان وجفوه السلطان ونبوة الاخوان ودفع الأحزان وكتب عتبة بن أبي سفيان إلى وكيله يعاهده صغير مالي يكبر ولا يخف كبيره فيصغر فإنه ليس يشتغلني كثير مالي عن اصلاح قليله ولا يمنعني قليله عن كثير ما ينوبني وقال أحيحة بن الحلاج أصلحوا أموالكم فانكم لا تزالون ذوي مروات ما استغنيتم عن عشيرتكم وقال شبيب بن شيبة لبنيه إن كنتم تحبون المروأة والفتوة فأصلحوا أموالكم وقال معاوية اصلاحك ما في يدك أسلم من طلبك ما في أيدي الناس وقال عبد الله بن عباس اطلبوا الغنى باصلاح ما في أيديكم فان الفقر مجمع العيوب وقال البستي

اشفق على الفضة والعين ... تسلم من القلة والدين

فقوة العين بانسانها ... وقوة الانسان بالعين." (٢)

---

(١) مختصر تاريخ دمشق ابن منظور ١١/٦

(٢) غرر الخصائص الواضحة الوطواط ص/٣٨٩

"المدني بالمدينة المنورة، ثم باعها ضمن ما باع من النفائس، فانتقلت إلى دار بريل المشهورة، وتوجد حاليا بمكتبة جامعة ليدن، ولها فهرس من إعداد لاندبرج. (١٢) "فتوى في العشق": توجد نسختها في مكتبة مولانا آزاد بجامعة علي كره (الهند) برقم [١٧/١٦ عربية–فقه حنبلي] (٤ ورقات) ، وقد انتقلت إليها من مكتبة الشيخ حبيب الرحمن الشرواني التي كانت في قريته حبيب كنج واشتهرت ببعض المخطوطات النادرة. والنسخة بخط نسخي جيد، وليس عليها تاريخ النسخ، ولعلها من القرن العاشر.

وقد كتب على صفحة العنوان: "سؤال رفع لشيخ الإسلام أبي العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية الحراني، في رجل عاشق في صورة. نفع الله به آمين".

(١٣) "مسألة في الفتوة وآدابها وشرائطها": توجد نسختها الخطية ضمن مجموعة في مكتبة تشستر بيتي برقم [٣٥٣٧] (الورقة ٨٧أ– ٨٩أ] . وقد سبق وصفها فيما مضى برقم (٢) .

(١٤) "مسألة فيما يفعله بعض الخطباء يوم الجمعة": هي ضمن مجموعة في مكتبة جامعة برنستون برقم [١٣٧٧] (الورقة ٣٧أ–ب) .

وقد سبق وصفها برقم (٧) .

(١٥) "قاعدة في أفعال الحج": نسختها في مكتبة جامعة ليدن برقم [٢٩٨٩] (في ٧ ورقات) . جاء في آخرها: "تمت بحمد الله تعالى وعونه في ليلة يسفر صباحها عن سادس جمادى الآخرة سنة ثمان وثمان مئة، والحمد لله رب العالمين ... ".

وكتب على صفحة العنوان بخط متأخر: "هذه الرسالة بخط العلامة بيدكين التركماني." (١)

"حتى إذا خاض الفتى لجج الهوى جاءت أمور لا تطاق كبار

فلو لم ينتقل العاشق بنفسه في هذه المراتب من مرتبة إلى مرتبة، حتى وصل إلى الحد الذي يؤذيه، لم يصبه أذى، فهو الجاني على نفسه، وأشبه به قول القائل: "يداك أوكتا وفوك نفخ" (١) . فتصور بهذا أنه مخطىء بما صدر منه أو لا، وإن كان ينبغي أن يحتاط لنفسه ولا يورطها فيما فيه هلاكها.

فعلى هذا فالعاشق له ثلاث مقامات (٢) : مبتدأ، ومتوسط، ونهاية.

أما مبتدؤه ففي أول الأمر واجب عليه كتمان ذلك وعدم إفشائه للمخلوقين، تقليلا للوشاة عليه، وإمالة لقلب محبوبه إليه، مراعيا في ذلك شرائط الفتوة من العفة مع القدرة، وإلا التحق بالشيطان الرجيم وحزبه، فازداد به الأمر إلى المقام الأوسط، فيغلب عليه الحال، فلا بأس بإعلام محبوبه بمحبته إياه، فيخف بإعلامه له وشكواه إليه ما يجده منه، ويحذر من إطلاع الناس على ذلك، فهو يكون سبب هلاكه. فإن زاد به الأمر حتى يخرج عن الحدود والضوابط المذكورة، فقد التحق من هذا حاله بالمجانين والمولهين.

على أن من رخص في العشق من العقلاء، لما ذكرنا من ترويضه للنفس وتهذيبه للأخلاق، فجعله مشروطا بالعفة المذكورة، كما قال قائلهم: "عفوا تشرفوا، واعفوا تطرفوا". وقال الأحنف بن قيس (٣) :

---

(١) جامع المسائل لابن تيمية – عزير شمس ابن تيمية ١٨/١

(١) انظر شرح هذا المثل في "جمهرة الأمثال" (٤٣٠/٢) و"فصل المقال" (ص ٤٥٨) و"مجمع الأمثال" (٤١٤/٢) و"المستقصى" (٤١٠/٢) .

(٢) ذكرها ابن القيم في "الجواب الكافي" (ص١٩١-١٩٣) .

(٣) الصواب أنهما للعباس بن الأحنف، كما في "الأغاني" (٣٥٩/٨) و"التذكرة الحمدونية" (٢٢٩/٦) . وهما بلا نسبة في "روضة المحبين" (ص٣٤٤) .." [1]

"مسألة في الفتوة وآدابها وشرائطها." [2]

"مسألة

في الفتوة وآدابها وشرائطها، وهل لها أصل في كتاب الله وسنة رسول الله؟ وهل الفتوة متصلة بإبراهيم الخليل عليه السلام أو بعلي بن أبي طالب رضي الله عنه؟ وهل إذا كانت متصلة بأحد من الأنبياء أو من الأولياء، فهل للباس والماء والملح الذي يشربونه أصل في ذلك؟ حتى أنه إذا شرب أحدهم الشربة يعد نسبها إلى آدم عليه السلام، وكيف سميت فتوة؟ وأيش السبب في ذلك؟ وهل لأحد من أئمة المسلمين قول في ذلك أم لا؟.

الجواب

الحمد لله. الفتى في كلام العرب هو الحدث بالنسبة إلى غيره، كما قال تعالى: (إنهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى (١٣)) (١) ، وقال تعالى: (قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له إبراهيم (٦٠)) (٢) ، (وإذ قال موسى لفتاه) (٣) ، (وقال لفتيانه اجعلوا بضاعتهم في رحالهم) (٤) .

ثم إنها غلبت في عرف كثير من الناس على مكارم الأخلاق، لكون الشباب ألين أخلاقا من الشيوخ، وصاروا يطلقون الفتوة على ذلك، حتى قال بعض المشايخ: طريقتنا تتفتى وليس تتعرى. وكما قال آخر منهم: التصوف خلق، من زاد عليك في الخلق زاد عليك في التصوف.

---

(١) سورة الكهف: ١٣.

(٢) سورة الأنبياء: ٦٠.

(٣) سورة الكهف: ٦٠.

(٤) سورة يوسف: ٦٢.." [3]

---

(١) جامع المسائل لابن تيمية – عزير شمس ابن تيمية ١٨٢/١

(٢) جامع المسائل لابن تيمية – عزير شمس ابن تيمية ١٨٧/١

(٣) جامع المسائل لابن تيمية – عزير شمس ابن تيمية ١٨٩/١

"وأعظم مكارم الأخلاق تقوى الله، ولهذا روي عن الإمام أحمد أنه سئل عن الفتوة، فقال: ترك لما تخشى. وهذا من قوله: (وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى (٤٠) فإن الجنة هي المأوى (٤١)) (١) . ولهذا يقولون: إن هذه الآية تجمع علم الطريق، وصار يتكلم في الفتوة وما يدخل فيها من طوائف من المشايخ وغيرهم، وجماع الأمر المحمود يرجع إلى الأصلين، كما روى حديثا صححه عن أبي هريرة أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – سئل ما أكثر ما يدخل الناس الجنة؟ فقال: تقوى الله وحسن الخلق، وسئل ما أكثر ما يدخل الناس النار؟ فقال: الأجوفان: الفم والفرج (٢) .

فتقوى الله وحسن الخلق يجمع كل خير، وقد قال الله تعالى: (إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون (١٢٨)) (٣) . وسواء سمي ذلك فتوة أم لم يسم، فالاعتبار في الدين بالإخاء التي جاءت (٤) في القرآن وما علق بها من مدح وذم، ووعد ووعيد، وثواب وعقاب، فالممدوح مثل اسم الإيمان والإسلام والتقوى والإحسان والبر والصدق والعدل ونحو ذلك، والمذموم مثل الكفر والنفاق والفجور والإساءة والكذب والظلم والفواحش ونحو ذلك. فمن فعل ما يحمد عليه في القرآن حمد، ومن فعل ما يذم عليه في القرآن ذم، ومن فعل ما يحمد وما يذم استحق الحمد والذم جميعا، (وما ربك بظلام للعبيد (٤٦)) (٥) .

---

(١) سورة النازعات: ٤٠-٤١

(٢) أخرجه أحمد (٢/٤٤٢،٣٩٢،٢٩١) والبخاري في "الأدب المفرد" (٢٨٩، ٢٩٤) والترمذي (٢٠٠٤) وابن ماجه (٤٢٤٦) عن أبي هريرة.

(٣) سورة النحل: ١٢٨.

(٤) كذا في الأصل بتأنيث اسم الموصول والفعل.

(٥) سورة فصلت: ٤٦.." [1]

"يتفقون عليها ويتحالفون كما كان العرب في جاهليتهم يتحالفون ومنه الحليف الذي يكون في القبيلة فيصير منهم قال الله تعالى والذين عقدت أيمانكم فآتوهم نصيبهم إن الله كان على كل شيء شهيدا

وقال تعالى وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا إن الله يعلم ما تفعلون ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثا تتخذون أيمانكم دخلا بينكم أن تكون أمة هي أربي من أمة إنما يبلوكم الله به وليبينن لكم يوم القيامة ما كنتم فيه تختلفون

وكذلك ما يوجد من التحالف بالتآخي وغير التآخي للملوك والمشايخ وأهل الفتوة ورماة البندق وسائر المتفقين على بعض الأمور هو داخل في هذا وأيمان التعاقد والتحالف عام لبني آدم وهم في جاهليتهم تارة يتحالفون تحالفا يحبه الله كما قال

---

(١) جامع المسائل لابن تيمية – عزير شمس ابن تيمية ١/١٩٠

النبي لقد شهدت حلفا مع عمومتي في دار عبد الله بن جدعان ما يسرني بمثله حمر النعم أو قال ما يسرني حمر النعم وأن أنقضه ولو دعيت إلى مثله في الإسلام لأجبت." (١)

"بمنزلة جعل ما ليس من المحرمات منها، فلا حرام إلا ما حرمه الله، ولا دين إلا ما شرعه الله، ولهذا عظم ذم الله في القرآن لمن شرع دينا لم يأذن الله به، ولمن حرم ما لم يأذن الله بتحريمه (١) فإذا كان هذا في المباحات فكيف بالمكروهات أو المحرمات؟ ولهذا كانت هذه الأمور لا تلزم بالنذر، فلو نذر الرجل فعل مباح أو مكروه أو محرم لم يجب عليه فعله كما يجب عليه إذا نذر طاعة الله أن يطيعه، بل عليه كفارة يمين إذا لم يفعل عند أحمد وغيره، وعند آخرين لا شيء عليه، فلا يصير بالنذر ما ليس بطاعة ولا عبادة (٢) ، ونحو ذلك العهود التي تتخذ على الناس لالتزام طريقة شيخ معين وعهود أهل الفتوة ورماة البندق ونحو ذلك ليس على الرجل أن يلتزم من ذلك على وجه الدين والطاعة لله إلا ما كان دينا وطاعة لله ورسوله في شرع الله لكن قد يكون عليه كفارة عند الحنث في ذلك، ولهذا أمرت غير واحد أن يعدل عما أخذ عليه من العهد بالتزام طريقة مرجوحة أو مشتعلة على أنواع من البدع إلى ما هو خير منها من طاعة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم وإتباع الكتاب والسنة إذ كان المسلمون متفقين على أنه لا يجوز لأحد أن يعتقد أو يقول عن عمل أنه قربة وطاعة وبر وطريق إلى الله واجب أو مستحب إلا أن يكون مما أمر الله به ورسوله صلى الله عليه وسلم وذلك يعلم بالأدلة المنصوبة على ذلك، وما علم باتفاق الأمة أنه ليس بواجب ولا

(١) بل جعله من الشرك أو الكفر المتعدي الذي هو أضر من الشرك كما بيناه في تفسير (وإن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا، وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون) وغيره راجع ص ٣٩٨ – ٤٠٤ من جزء التفسير الثامن وكذا ص ١٤٣ و ١٤٧ و١٦٤ و ١٨١ منه

(٢) لعله سقط من هنا: طاعة وعبادة منصوبين." (٢)

"لباس الفتوة والخرقة عند المتصوفة ومسائل أخرى فشت فيهم

بسم الله الرحمن الرحيم

مسألة: سئلها الشيخ الإمام العالم العلامة، إمام الوقت، فريد الدهر، جوهر العلم، لب الإيمان، قطب الزمان، مفتي الفرق، شيخ الإسلام، تقي الدين أبو العباس أحمد بن الشيخ الإمام شهاب الدين عبد الحليم ابن الشيخ الإمام العلامة مؤيد السنة مجد الدين عبد السلام ابن تيمية الحراني رضي الله عنه ونفع به آمين: في جماعة يجتمعون في مجلس ويلبسون لشخص منهم لباس الفتوة ويديرون بينهم في مجلسهم شربة فيها ملح وماء يشربونها، ويزعمون أن هذا من الدين، ويذكرون في مجلسهم ألفاظا لا تليق بالعقل والدين فمنها أنهم يقولون إن رسول الله صلى الله عليه وسلم ألبس علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه لباس الفتوة ثم أمره أن يلبس من شاء، ويقولون إن اللباس أنزل على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في صندوق

(١) جامع الرسائل لابن تيمية – رشاد سالم ابن تيمية ٢/٣١٠

(٢) مجموعة الرسائل والمسائل لابن تيمية – رشيد رضا ابن تيمية ١/١٢٦

ويستدلون عليه بقوله تعالى: " يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباسا يواري سوآتكم " الآية – فهل كما زعموا أم كذب مختلق؟ وهل هو من الدين أم لا؟ وإذا لم يكن من الدين فما يجب على من يفعل ذلك أو يعين عليه؟ ومنهم من ينسب ذلك إلى الخليفة الناصر لدين الله إلى عبد الجبار ويزعم أن ذلك من الدين، فهل لذلك أصل أم لا؟ وهل الأسماء التي يسمون بها بعضهم بعضا من اسم **الفتوة** ورؤوس الأحزاب والزعماء فهل لهذا أصل أم لا؟ ويسمون المجلس الذي يجتمعون فيه دسكرة، ويقوم للقوم." (١)

"نقيب إلى الشخص الذي يلبسونه فينزعه اللباس الذي عليه بيده ويلبسه اللباس الذي يزعمون أنه لباس **الفتوة** بيده، فهل هذا جائز أم لا؟ وإذا قيل لا يجوز فعل ذلك ولا الإعانة عليه فهل يجب على ولي الأمر منعهم من ذلك؟ وهل للفتوة أصل في الشريعة أم لا؟ وإذا قيل: لا أصل لها في الشريعة فهل يجب على غير ولي الأمر أن ينكر عليهم ويمنعهم من ذلك أم لا؟ مع إمكانه من الإنكار (١) وهل أحد من الصحابة رضي الله تعالى عنه أو من التابعين أو من بعدهم من أهل العلم فعل هذه **الفتوة** المذكورة أو أمر بها أم لا؟ وهل خلق النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من النور أم خلق من الأربع عناصر أم من غير ذلك؟ وهل الحديث الذي يذكره بعض الناس لولاك ما خلق الله عرشا ولا كرسيا ولا أرضا ولا سماء ولا شمسا ولا قمرا ولا غير ذلك صحيح هو أم لا؟ وهل الأخوة التي يؤاخيها المشايخ بين الفقراء في السماع وغيره يجوز فعلها في السماع ونحوه أم لا؟ وهل آخى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بين المهاجرين والأنصار أم بين كل مهاجري وأنصاري؟ وهل آخى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم علي بن أبي طالب كرم الله وجهه أم لا؟ بينوا لنا ذلك بالتعليل والحجة المبينة وابسطوا لنا الجواب في ذلك بسطا شافيا مأجورين أثابكم الله تعالى.

لباس خرقة **الفتوة** مبتدع:

الجواب: الحمد لله أما ما ذكر من إلباس لباس **الفتوة** والسراويل أو غيره وإسقاء الملح والماء فهذا باطل لا أصل له ولم يفعل هذا رسول الله

---

(١) الوجه أن يقال تمكنه بدل امكانه فلعله محرف." (٢)

"فصل: شروط لباس خرقة **الفتوة**: والشروط التي تشترطها شيوخ **الفتوة** ما كان منها مما أمر الله به ورسوله كصدق الحديث وأداء الأمانة وأداء الفرائض واجتناب المحارم ونصر المظلوم وصلة الأرحام والوفاء بالعهد أو كانت مستحبة كالعفو عن الظالم واحتمال الأذى، وبذل المعروف الذي يحبه الله ورسوله وأن يجتمعوا على السنة ويفارق أحدهما الآخر إذا كان على بدعة ونحو ذلك فهذه يؤمن بها كل مسلم سواء شرطها شيوخ **الفتوة** أو لم يشرطوها، وما كان منها مما نهى الله عنه ورسوله مثل التحالف الذي يكون بين أهل الجاهلية إن كلا منهما يصادق صديق الآخر في الحق والباطل، ويعادي عدوه في الحق والباطل، وينصره على كل من يعاديه سواء كان الحق معه أو كان مع خصمه، فهذه شروط تحلل الحرام وتحرم

---

(١) مجموعة الرسائل والمسائل لابن تيمية – رشيد رضا ابن تيمية ١/١٤٧

(٢) مجموعة الرسائل والمسائل لابن تيمية – رشيد رضا ابن تيمية ١/١٤٨

الحلال، وهي شروط ليست في كتاب الله (١) وفي الصحيح عنه أنه صلى الله عليه وسلم قال: " ما بال رجال يشترطون شروطا ليست في كتاب الله؟ من اشترط شرطا ليس في كتاب الله فهو باطل وإن كان مائة شرط، كتاب الله أحق وشرط الله أوثق " رواه البخاري. وفي السنن عنه أنه قال: " المسلمون عند شروطهم إلا شرطا أحل حراما أو حرم حلالا " وكل ما كان من الشروط التي بين القبائل والملوك والشيوخ والأحلاف وغير ذلك فإنها على هذا الحكم باتفاق علماء المسلمين، ما كان

(١) سقط من الأصل أول الحديث من هنا إلى قوله كتاب الله فنقلناه من صحيح البخاري." [١]

"من الأمر المشروط الذي قد أمر الله به ورسوله فإنه يؤمر به كما أمر الله به ورسوله، وإن كان مما نهى عنه ورسوله فإنه ينهى عنه كما نهى الله عنه ورسوله، وليس لبني آدم أن يتعاهدوا ولا يتعاقدوا ولا يتحالفوا ولا يتشارطوا على خلاف ما أمر الله به ورسوله، بل على كل منهم أن يوفوا بالعقود والعهود التي عهدها الله إلى بني آدم كما قال الله تعالى: " واوفوا بعهدي اوف بعهدكم " وكذلك ما يعقده المرء على نفسه كعقد النذر أو يعقده الاثنان كعقد البيع والإجارة والهبة وغيرهما أو ما يكون تارة من واحد وتارة من اثنين كعقد الوقف والوصية، فإنه في جميع هذه العقود متى اشترط العاقد شيئا مما نهى الله عنه ورسوله كان شرطه باطلا.

وفي الصحيح عن عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال: " من نذر أن يطيع الله فليطعه، ومن نذر أن يعصي الله فلا يعصه " والعقود المخالفة لما أمر الله به ورسوله هي من جنس دين الجاهلية وهي شعبة من دين المشركين وأهل الكتاب الذين عقدوا عقودا أمروا فيها بما نهى الله عنه ورسوله، ونهوا فيها عما أمر الله به ورسوله فهذا أصل عظيم يجب على كل مسلم أن يتجنبه.

فصل: الفتى والفتوة والزعيم والحزب والدسكرة وما قالوه فيها: وأما لفظ الفتى فمعناه في اللغة الحدث كقوله تعالى: " إنهم فتية آمنوا بربهم ".

وقوله تعالى: " قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له إبراهيم ".

ومنه قوله تعالى: " وإذ قال موسى لفتاه " لكن لما كانت أخلاق الأحداث اللين صار." [٢]

"كثير من الشيوخ يعبرون بلفظ الفتوة عن مكارم الأخلاق كقول بعضهم: طريقنا نتفتى وليس بتقوى، وقول بعضهم: الفتوة أن تقرب من يقصيك وتكرم من يؤذيك، وتحسن إلى من يسيء إليك، سماحة لا كظما، ومودة لا مضارة، قول بعضهم: الفتوة ترك ما تهوى لما تخشى، وأمثال هذه الكلمات التي توصف فيها الفتوة بصفات محمودة محبوبة سواء سميت فتوة أو لم تسم، وهي لم تستحق المدح في الكتاب والسنة إلا لدخولها فيما حمده الله ورسوله من الأسماء كلفظ الإحسان والرحمة والعفو والصفح والحلم وكظم الغيظ والبر والصدقة والزكاة والخير ونحو ذلك من الأسماء الحسنة التي تتضمن هذه

(١) مجموعة الرسائل والمسائل لابن تيمية - رشيد رضا ابن تيمية ١٥٠/١

(٢) مجموعة الرسائل والمسائل لابن تيمية - رشيد رضا ابن تيمية ١٥١/١

المعاني، فكل اسم علق الله به المدح والثواب في الكتاب والسنة كان أهله ممدوحين، وكل اسم علق به الذم والعقاب في الكتاب والسنة كان أهله مذمومين، كلفظ الكذب والخيانة والفجور والظلم والفاحشة ونحو ذلك.
وأما لفظ الزعيم فإنه مثل لفظ الكفيل والقبيل والضمين قال تعالى: " ولمن جاء به حمل بعير وأنا به زعيم " فمن تكفل بأمر طائفة فإنه يقال: هو زعيم فإن كان قد تكفل بخير كان محمودا على ذلك وإن كان شرا كان مذموما على ذلك.
وأما رأس الحزب فإنه رأس الطائفة التي تتحزب أي تصير حزبا فإن كانوا مجتمعين على ما أمر الله به ورسوله من غير زيادة ولا نقصان فهم مؤمنون لهم ما لهم وعليهم ما عليهم، وإن كانوا قد زادوا في ذلك ونقصوا مثل التعصب لمن دخل في حزبهم بالحق والباطل والإعراض عمن لم يدخل في حزبهم سواء كان على الحق والباطل، فهذا من التفرق." (١)

"وهو الان يقرئ القرآن بالمدرسة المويدية باسم مقرى القراءات السبع وفيه انس وصحبة للاصحاب والسعي في قضاء حوايجهم وشرف نفس وكان له عم اسمه احمد بن محمد بن عبد الله النزاري تفقه برجل وصله الى صبر ثم كان يتردد الى شيخنا ابي الحسن الاصبحي فيذاكره ويزيل عنه ما اشكل عليه وولي القضاء في جبل صبر بلده فذكر لي عنه الخبير به ان قضائه كان مرضيا ولما حصل الخلاف من اهل صبر وأخربوا وأحرقوا المغربة انتقل هذا الى بلده ورجع الفقيه الى المغربة ودرس بالمدرسة الغرابية ثم انتقل إلى المدرسة المظفرية ولم يزل عليها إلى أن سافرمكة المشرفة وإليه انتهت رياسة التدريس **والفتوة** من يومئذ على أن توفي على الحال المرضي رحمة الله عليه فرجع الى بلده لأجل الضرورة إذ لم يسكن المغربة من أول سنة أربع وعشرين على رمضان من سنة ست وعشرين وهان الآن على ما أثبته في السيرة
ومنهم ابو الحسن علي بن الفقيه احمد بن الفقيه علي بن الجنيد المقدم ذكرهم مولده يوم الثلاثاء خامس رمضان سنة ثلاث وثمانين وستمائة فقيه نحوي فاضل تفقه بجماعة من فقهاء تعز وبابن الاديب وبابن الاحمر احد مدرسي زبيد وهو الان مدرس الاسدية بتعز وله مكارم اخلاق وعلو همة قل ان يجد الفقهاء له نظير لا سيما في عصرنا اجمع الاصحاب بوقتنا على ذلك فيه وله شعر حسن منه في مروره على ورد يضرب ليحمل ... اصبر على ألم الخطوب فربما ... وافي بما يختاره المكروه
او ما رأيت الورد لما هزه ... شوق الى ازهاره ضربوه ... وهو الآن معيد بمدرسة أم السلطان التي أحدثوها وقد ذكرتها مع ابن جبريل وقد انقضى ذكر اهلتعز من فقهائها واحببت ان الحق بهم الذين وردوها ودرسوا فيها وهم جماعة من الطبقة الاولى منهم ابو الحسن علي بن محمد ابن أحمد بن حديد بن علي بن محمد بن حديد بن عبد الله بن أحمد بن عيسى." (٢)

"قال المسعودى: ولم تزل أمور الصين مستقيمة فى العدل على حسب ما جرى به الأمر فيما سلف من ملوكهم الى سنة أربع وستين ومائتين؛ فإنه حدث فى ملك الصين أمر زال به النظام وانتقض به حكم شرائعهم ومنع من الجهاد. وكان سبب ذلك أن خارجيا خرج ببلد من مدن الصين وهو من غير بيت الملك، يقال له ياسر، شرير.

---

(١) مجموعة الرسائل والمسائل لابن تيمية - رشيد رضا ابن تيمية ١٥٢/١

(٢) السلوك في طبقات العلماء والملوك الجُنْدي، بهاء الدين ١٣٥/٢

وكان فى ابتداء أمره يطلب الفتوة، ويجتمع اليه أهل الدعارة والشر، فلحق الملوك وأرباب التدبير غفلة عنه لخمول ذكره، وأنه ممن لا يبالى به؛ فاشتد أمره، ونما ذكره، وكثر عتوه، وقويت شوكته، وقطع أهل الشر المسافات نحوه. فسار من موضعه وشن الغارات، ولم يزل كذلك حتى نزل مدينة خانقو «١» ، وهى المدينة العظيمة.

قال: وهى على نهر عظيم أكبر من دجلة أو نحوه، تدخله السفن التى ترد من بلاد البصرة وسيراف «٢» وعمان «٣» ومدن الهند وجزائر الزابج «٤» . وبين هذه المدينة وبحر الصين مسيرة." (١)

"فى رمى البندق والطيور المناسيب وسراويلات الفتوة، وبطل الفتوة من البلاد أجمع إلا من لبس منه، ومنع الطيور المناسيب لغيره إلا ما يؤخذ من طيوره، ومنع من الرمى بالبندق إلا من ادعى له وانتسب إليه. فأجابه الناس إلى ذلك إلا رجلا واحدا يقال له ابن السفت فإنه فارق العراق والنحق بالشام فأرسل إليه يرغبه بالمال الجريل/ ليرمى عنه وينتسب إليه فأبى. فأنكر عليه بعض أصحابه ذلك فقال: يكفينى افتخارا أن كل رام فى الدنيا رمى الخليفة إلا أنا! والعجم ينسبون إلى الناصر أنه هو الذى راسل التتار وجرأهم على البلاد، وهذه المصيبة العظمى إن كانت!

ذكر خلافة الظاهر بأمر الله

هو أبو نصر محمد بن الناصر لدين الله أبى العباس أحمد بن المستضىء بأمر الله، وهو الخليفة الخامس والثلاثون من الخلفاء العباسيين. بويع له البيعة العامة بعد وفاة والده الناصر لدين الله فى شوال سنة اثنتين وعشرين وستمائة. وكان قد خلع من ولاية العهد وقطعت خطبته كما تقدم، وإنما فعل ذلك أبوه لميله إلى ولده الصغير، فلما مات اضطر إلى أعادته لولاية العهد. قال «١» ولما ولى الخلافة أظهر العدل والإحسان وأمر بإبطال المظالم وكف الأيدى عن الناس، وأعاد على الناس ما كان أبوه قد اغتصبه من أموالهم وأملاكهم، وأبطل المكوس والحوادث. فمن ذلك أن المخزن كان له صنجة للذهب تزيد على صنجة البلد نصف." (٢)

"غضبه، وقال: قل لفلان- يعنى عضد الدولة- وسماه بغير اسمه، وشتمه: خرجت إلى نصرة ابن أخى، أو الطمع في ملكه؟ أما عرفت أنى نصرت الحسن بن «١» الفيرزان، وهو غريب منى، مرارا كثيرة أخاطر فيها بملكى ونفسى، فإذا ظفرت أعدت له بلاده، ولم أقبل منه ما قيمته درهم واحد، كل ذلك طلبا لحسن الذكر، ومحافظة على الفتوة، تريد أن تمن على بدرهمين أنفقتهما «٢» على، وعلى أولاد أخى، ثم تطمع في ممالكهم، وتهددنى بقتلهم؟ فعاد الرسول، ووصل ابن العميد، فحجبه ركن الدولة، وتهدده بالهلاك، وأنفذ إليه يقول: والله لا تركتك وذلك الفاعل- يعنى عضد الدولة-[تجتهدان] «٣» جهدكما، ثم لا أخرج إليكما إلا في ثلاثمائة جمازة، وعليها الرجال، ثم أثبتوا إن شئتم، فو الله لا أقاتلكما «٤» إلا بأقرب الناس إليكما، وكان ركن الدولة يقول: أننى أرى أخى معز الدولة في المنام كل ليلة يعض على أنامله، ويقول: يا أخى هكذا، أضمنت لى أن تخلفنى في ولدى، ثم أن الناس سعوا لابن العميد، وتوسطوا له عند ركن الدولة، وقالوا إنما [تحمل]

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب النويري ١٤/٣٣٠

(٢) نهاية الأرب في فنون الأدب النويري ٢٣/٣١٨

«٥» ابن العميد هذه الرسالة ليجعلها طريقا إلى الخلاص من عضد الدولة، والوصول إليك لتأمر بما تراه، فأذن له في الحضور عنده، واجتمع به وضمن إعاده بختيار عضد." (١)

"وفيها بعث الخليفة– الناصر لدين الله– الخلع إلى الملك العادل وأولاده، وسراويلات **الفتوة** «١» ، فلبسوها فى شهر رمضان «٢»] .

ذكر حصار ماردين «٣» وما حصل من الاتفاق

وفى سنة تسع وتسعين وخمسمائة، جمع السلطان الملك العادل عساكره، وفرق فيهم السلاح والأموال، وقدم عليهم ولده: الملك «الأشرف موسى» ، وأمره بالمسير إلى ماردين. فسار إليها وحاصرها، وشدد الحصار.

فدخل الملك الظاهر غازى، صاحب حلب، فى الصلح بين عمه وصاحب ماردين. فأجاب الملك العادل إلى الصلح– على أن يخطب له صاحب ماردين فى جميع بلاده، ويضرب السكة باسمه، ويحمل إليه مائة ألف وخمسين ألف دينار، ويكون عسكر ماردين فى خدمته، متى طلبه.

فأجاب صاحب ماردين إلى ذلك.

فرحل الملك الأشرف عنها، وحمل صاحب ماردين إلى الملك الظاهر عشرين ألف دينار، لتوسطه فى الصلح.." (٢)

"وبسط أكثر الطريق للسلطان بالثياب الفاخرة، [و «١»] مشى عليها بفرسه، ووصل إلى القلعه.

وشرع السلطان فى الستخدام للخليفة: فكتب للأمير سابق الدين بوزبا أتابك العسكر بألف فارس، وللأمير ناصر الدين محمد بن صيرم الخازندار بمائتى فارس، وللأمير الشريف نجم الدين استاد الدار بخمسمائة فارس. وأمر جماعة من العربان، وحملت إليهم الطلبخاناة والصناجق، وأنفق فيهم الأموال لعدة شهور.

واشترى السلطان مائة مملوك «٢» جمدارية وسلاح دارية للخليفة، وأعطى لكل واحد منهم ثلاثة أرؤس خيلا وجملا لعدته، ولم يبق أحد ممن تدعو الحاجة إليه من صاحب ديوان وكاتب إنشاء وديوان وأئمه ومؤذنين وغلمان وحكماء وجرائية إلا استخدموا. ولما تكامل ذلك كله تقدم السلطان بتجهيز العساكر.

وفى يوم الأربعاء تاسع عشر شهر رمضان من السنة ركب السلطان هو والخليفة فى السادسة من النهار، ونزل كل منهما فى دهليزه، واستمرت النفقه فى أجناد الخليفة.

وفى يوم العيد ركب الخليفة والسلطان تحت الجتر، وصليا العيد، وفى هذه الليلة حضر الخليفة إلى خيمة السلطان وألبسه **الفتوة** بحضور «٣» من يعتبر حضوره فى ذلك.." (٣)

"فى لسان المرء منها ... مثل لذع الزنجبيل

إنما أذهب مالى ... طول إدمان الشمول «١»

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب النويري ٢٠٧/٢٦

(٢) نهاية الأرب في فنون الأدب النويري ٣٦/٢٩

(٣) نهاية الأرب في فنون الأدب النويري ٣٦/٣٠

وحنين العود تثني ... ه يدا ظبي كحيل

فالطويل العنق الأ ... هيف كالسيف الصقيل

يا خليلى اسقيانى ... واهتفا بالشمس زولى

قل لمن لامك فيها ... من نصيح أو عذول

يبق بين الباب والدا ... ر على نعب الطلول

وقيل لأبيه عبد العزيز بن عمر: إن بنيك يشربون الخمر، فقال: صفوهم لى، فقالوا: أما فلان إذا شرب خرق ثيابه وثياب نديمه، فقال: سوف يدع هذا شربها، قالوا: وأما فلان فاذا شربها تقيأ في ثيابه، قال: وهذا سوف يدعها، قالوا: وأما آدم فإذا شربها فأسكن ما يكون لا ينال أحدا بسوء، قال: هذا لا يدعها أبدا.

ومنهم: حارثة بن زيد العدوانى

رجل من تميم- دخل يوما على زياد ابن أبيه وبوجهه أثر، فقال له زياد: ما هذا الأثر بوجهك؟ فقال: أصلح الله الأمير ركبت فرسى الأشقر «٢» فجمح بى حتى صدمنى الحائط، فقال: أما إنك لو ركبت فرسك الأشهب «٣» لم يصبك مكروه. ولحارثة فيها أشعار كثيرة وأخبار مع الأحنف ابن قيس، وكان الأحنف ينهاه عنها وهو لا ينتهى ويجيبه بشعر في مدحها وقيل:

إن حارثة هذا أدرك النبى صلى الله عليه وسلم بالسن في حال صباه وحداثته.

ومنهم: والبة بن الحباب الأسدى

وهو الذى ربى أبا نواس وأدبه وعلمه **الفتوة** وقول الشعر. حكى أن المنصور قال له يوما: ادخل إلى محمد- يعنى المهدى- وحدثه، فدخل عليه، فأول ما أنشده قوله:." (١)

"حجرة تصنع فيها الملاهى، فقال لى: اذهب فاختر منها عودا ترضاه وأصلحه غاية الإصلاح حتى لا يحتاج إلى إصلاحه وتغييره عند الضرب به؛ ففعلت وجعلته فى كمى. ودخلنا على الأمين وظهره إلينا. فلما بصرنا به من بعد قال: أخرج عودك فأخرجته، فاندفع يغنى:

وكأس شربت على لذة ... وأخرى تداويت منها بها

لكى يعلم الناس أنى امرؤ ... أتيت **الفتوة** من بابها

وشاهدنا «١» الورد والياسمي ... ن والمسمعات بقصابها «٢»

وبربطنا «٣» دائم معمل ... فأى الثلاثة أزرى بها

فاستوى الأمين جالسا وطرب طربا شديدا وقال: أحسنت والله يا عم وأحييت لى طربا. ودعا برطل فشربه على الريق وابتدأ «٤» شربه. قال منصور:

وغنى إبراهيم يومئذ على أشد طبقة يتناهى إليها في العود، وما سمعت مثل غنائه يومئذ قط. ولقد رأيت منه شيئا عجيبا لو

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب النويري ٤/٩٥

حدثت به ما صدقت:

كان إذا ابتدأ يغنى صغت الوحوش إليه ومدت أعناقها، ولم تزل تدنو حتى تكاد تضع رءوسها على الدكان الذى كنا عليه، فإذا سكت نفرت وبعدت عنا حتى تنتهى إلى أبعد غاية يمكنها التباعد عنا فيها، وجعل الأمين يعجب من ذلك. وانصرفنا من الجوائز بما لم ينصرف بمثله قط.

وعن الحسن بن إبراهيم بن رباح قال:

كنت أسأل مخارقا: أى الناس أحسن غناء؟ فكان يجيبنى جوابا مجملا، حتى." (١)

"غروره دون أن [تستوثق [١] و] تستظهر بموثق غليظ [٢] من الله تعالى؛ فإنك إذا لم تجرب حال القدرة فلا تثق بالقدرة على الترك عندها؛ فكم من ظان بنفسه كراهة المعاصى عند تعذرها فلما تيسرت له أسبابها من غير مكدر ولا مخوف من الخلق وقع فيها.

وإذا كان هذا غرور النفس فى المحظورات فإياك أن تثق بوعدها فى المباحات.

والموثق الغليظ الذى تأخذه عليها أن تجربها مرة بعد مرة فى حال القدرة، فاذا وفت بما وعدت على الدوام مع انتفاء الصوارف والأعذار ظاهرا وباطنا فلا بأس أن تثق بها وثوقا ما، ولكن تكون من تغيرها على حذر، فإنها سريعة النقض للعهد، قريبة الرجوع إلى مقتضى الطبع. وبالجملة فلا أمان منها إلا عند الترك بالإضافة إلى ما تركت فقط وذلك عند القدرة. قال: وليس من الزهد بذل المال على سبيل السخاء والفتوة وعلى سبيل استمالة القلوب ولا على سبيل الطمع، فذلك كله من محاسن العادات ولا مدخل له فى العبادات، إنما الزهد أن تترك الدنيا لعلمك بحقارتها بالإضافة إلى نفاسة الآخرة. [فأما كل نوع من الترك فإنه يتصور ممن لا يؤمن بالآخرة [١]] فذلك قد يكون مروءة وفتوة وسخاء وحسن خلق، وحسن الذكر وميل القلوب من حظوظ العاجلة، وهى ألذ وأهنأ من المال؛ بل الزاهد من أتته الدنيا راغمة عفوا وصفوا وهو قادر على التنعم بها من غير نقصان جاه وقبح اسم وفوات حظ للنفس، فتركها خوفا من أن يأنس بها فيكون آنسا بغير الله ومحبا لما سوى الله، ويكون مشركا فى حب الله غير الله؛ أو تركها طمعا فى ثواب آخر فترك التمتع بأشربة الدنيا طمعا فى أشربة الجنة، وترك التمتع بالسرارى والنسوان طمعا فى الحور العين، وترك التفرج فى البساتين طمعا فى بساتين الجنة وأشجارها، وترك التزين والتجمل بزينة الدنيا طمعا فى زينة الجنة، وترك المطاعم اللذيذة طمعا

---

[١] زيادة عن الإحياء.

[٢] كذا فى الإحياء. وفى الأصل: «بموثق عليك» .." (٢)

"لإحدى عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول سنة سبع وعشرين ومئتين، وشهده خلق من أهل بغداد وغيرها، ودفن بباب حرب، وهو يومئذ ابن ست وسبعين سنة.

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب النويري ٢١٠/٤

(٢) نهاية الأرب في فنون الأدب النويري ٢٣٦/٥

وقال الحسن بن رشيق المصري، عن أبي حفص عمر بن عبد الله الواعظ: كان بشر بن الحارث شاطرا (١) ، يجرح بالحديد، وكان سبب توبته إنه وجد قرطاسا في أتون حمام فيه: بسم الله الرحمن الرحيم، فعظم ذلك عليه، ورفع طرفه إلى السماء وقال: سيدي، اسمك ها هنا ملقى فرفعه من الأرض، وقلع عنه السحاة (٢) التي هو فيها، وأتى عطارا، فاشترى بدرهم غالية (٣) ، لم يكن معه سواه، ولطخ تلك السحاة بالغالية، فأدخله شق حائط، وانصرف إلى زجاج كان يجالسه، فقال له الزجاج: والله يا أخي أقول لك، حتى تحدثني ما فعلت في هذه الأيام، فيما بينك وبين الله تعالى، فقال: ما فعلت شيئا أعلمه، غير أنى اجتزت اليوم بأتون حمام. فذكره. فقال الزجاج: رأيت كان قائلا يقول لي في المنام: قل لبشر: ترفع اسما لنا من الأرض إجلالا أن يداس لننوهن باسمك في الدنيا والآخرة.

وقال أبو عمرو عثمان بن أحمد الدقاق المعروف بابن

---

(١) وجمعها: شطار"وهم فئة اجتماعية ظهرت وانتشرت ببغداد وغيرها من المدن، وكانت تقوم بأعمال تختلط فيها الشجاعة والنخوة بإيذاء الناس والتعدي عليهم، وقد استفحل خطرهم في العصور المتأخرة، وهم الذين يعرفون عند المصريين إلى عهد قريب **بالفتوة**.

(٢) في اللسان: السحا والسحاة والسحاءة والسحاية: ما انقشر من الشئ كسحاءة النواة والقرطاس. وسحا القرطاس: أخذ منه سحاءه أو شده بها، وسحوت القرطاس وسحيته أسحاه: إذا قشرته.

(٣) الغالية: الطيب.." [١]

"البررة، قتيل الفجرة، منصور النصرة، مخذول الخذلة، أما خاذله فقد خذله الله، وأما قاتله فقد قتله الله، وأما ناصره فقد نصره الله، ما تقولون أنتم؟ قالوا: فعلي خير أم معاوية؟ فقال: بل علي خير من معاوية قالوا: فأيهما كان أحق بالخلافة؟ قال: من جعله الله خليفة فهوا أحق.

وقال محمد بن عبد الحميد الطائي، عن هشام ابن الكلبي: قال الحكم بن هشام لابن له وكان يتعاطى الشراب: أي بني إياك والنبيذ فإنه قئ في شدقك، وسلح على عقبك، وحد في ظهرك، وتكون ضحكة للصبيان، وأميرا للذبان.

وقال رجاء بن سهل الصاغاني، عن أبي مسهر: كنا عند الحكم بن هشام العقيلي، وعنده جماعة من أصحاب الحديث فقال: إنه من أغرق في الحديث فليعد للفقر جلبابا، فليأخذ أحدكم من الحديث بقدر الطاقة، وليحترف، حذرا من الفاقة.

وقال زكريا بن يحيى، عن الأصمعي، عن الحكم بن هشام الثقفي، كان يقال: خمسة أشياء تقبح في الرجل: **الفتوة** في الشيوخ، والحرص في القراء، وقلة الحياء في ذوي الأحساب، والبخل في ذوي الأموال، والحدة في السلطان.

روى له (١) النسائي حديثا، وابن ماجه آخر، وكلاهما قد وقع لنا عاليا، أما حديث النسائي فسيأتي في ترجمة معاوية بن حفص إن شاء الله.

---

(١) تهذيب الكمال في أسماء الرجال المزي، جمال الدين ١٠٣/٤

(١) علق المؤلف في حاشيه نسخته متعقبا عبد الغني المقدسي: ذكره ولم يذكر من روى له".." (١)

"سطورا بأفناء الدور، تدانوا في خططهم، وقربوا في مزارهم، وبعدوا في لقائهم، سكنوا فأوحشوا، وعمروا فأخربوا، فمن سمع بساكن موحش وعامر مخرب غير أهل القبور؟

وعن كنانة بن جبلة قال: قال يزيد الرقاشي: خذوا الكلمة الطيبة ممن قالها وإن لم يعمل بها فإن الله تعالى يقول: (الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه" (١) ، ألا تحمد من تعطيه فانيا فيعطيك باقيا، درهما يفنى بعشرة تبقى إلى سبع مئة ضعف. أما لله مكافأة مطعمك ومسقيك وكافيك، حفظك في ليلك ونهارك وأجابك في ضرائك، كأنك نسيت ليلة وجع الأذن، وليلة وجع العين، أو خوفا في بر، أو خوفا في بحر، دعوته فاستجاب لك، إنما أنت لص من لصوص الذنوب، كلما عرض لك (عارض) (٢) عانقته، إن سرك أن تنظر إلى الدنيا بما فيها من ذهبها وفضتها وزخارفها، فهلم أخبرك، إن تشيع جنازة فهي الدنيا بما فيها من ذهبها وفضتها وزخارفها، ثم احتمل القبر بما فيه. أما أنت لست آمرك أن تحتمل (٣) تربته ولكن آمرك أن تحتمل فكرته.

وقال أحمد بن عبيد بن ناصح، عن الأصمعي: قال يزيد الرقاشي: خمس يفتحن من خمس: الحرص من القراء، والعجلة من الأمراء، والفحش من ذوي السرف، والبخل من ذوي الأموال، **والفتوة** من ذوي الاسنان.

---

(١) الزمر: ١٨.

(٢) زيادة من الحلية ٣ / ٥١.

(٣) في المطبوع من الحلية" تحتمل" وليس بشيء.." (٢)

"وقاعدة في السياحة ومعناها في هذه الأمة وقاعدة في خلة ابراهيم الخليل عليه السلام وأنه الإمام المطلق وقواعد عدة في الشهادتين

وقواعد كثيرة فيمن امتحن في الله وصبر

وقاعدة في الصبر والصفح الجميل والهجر الجميل

وقاعدة فيما تتعلق بالوسيلة بالنبي صلى الله عليه وسلم والقيام بحقوقه الواجبة على أمته في كل زمان ومكان وبيان خصائصه التي امتاز بها على جميع العالمين وبيان فضل أمته على جميع الأمم

وقاعدة تتعلق بالصبر المحمود والمذموم وقاعدة تتعلق برحمة الله تعالى في إرسال محمد صلى الله عليه وسلم وأن إرساله أجل النعم

وقاعدة في الشكر لله وأنه يتعلق بالأفعال الاختيارية

---

(١) تهذيب الكمال في أسماء الرجال المزي، جمال الدين ١٥٨/٧

(٢) تهذيب الكمال في أسماء الرجال المزي، جمال الدين ٧٥/٣٢

وقاعدة في المقربين هل يسألهم منكر ونكير

وقاعدة في الفتوة الاصطلاحية وأنه ليس لها أصل في الأحكام الشرعية

وقاعدة في الكلام على المرشدة التي ألفها ابن تومرت وله أجوبة تتعلق بها أيضا

وقاعدة في كلام الجنيد لما سئل عن التوحيد فقال هو إفراد الحدوث عن القدم." (١)

"الذي هو: أولئك، فيكون قد أخبر عنه بخبرين: أحدهما مفرد، والآخر جملة، وذلك على مذهب من يرى ذلك، فيكون في موضع رفع. وقد تقدم الكلام على الخلود، وهل هو المكث زمانا لا نهاية له، أو زمانا له نهاية؟

[سورة البقرة (٢) : الآيات ٤٠ الى ٤٣]

يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأوفوا بعهدي أوف بعهدكم وإياي فارهبون (٤٠) وآمنوا بما أنزلت مصدقا لما معكم ولا تكونوا أول كافر به ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا وإياي فاتقون (٤١) ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وأنتم تعلمون (٤٢) وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واركعوا مع الراكعين (٤٣)

ابن: محذوف اللام، وقيل: الياء خلاف، وفي وزنه على كلا التقديرين خلاف، فقيل: فعل، وقيل: فعل. فمن زعم أن أصله ياء جعله مشتقا من البناء، وهو وضع الشيء على الشيء. والابن فرع عن الأب، فهو موضوع عليه، وجعل قولهم: البنوة شاذ كالفتوة، ومن زعم أن أصله واو، وإليه ذهب الأخفش، جعل البنوة دليلا على ذلك، ولكون اللام المحذوفة واوا أكثر منها ياء. وجمع ابن جمع تكسير، فقالوا: أبناء، وجمع سلامة، فقالوا:

بنون، وهو جمع شاذ، إذ لم يسلم فيه بناء الواحد، فلم يقولوا: ابنون، ولذلك عاملت العرب هذا الجمع في بعض كلامها معاملة جمع التكسير، فألحقت التاء في فعله، كما ألحقت في فعل جمع التكسير، قال النابغة:

قالت بنو عامر خالو بني أسد ... يا بؤس للجهل ضرارا لأقوام

وقد سمع الجمع بالواو والنون فيه مصغرا، قال يسدد:

أبينوها الأصاغر خلتي وهو شاذ أيضا.

إسرائيل: اسم عجمي ممنوع الصرف للعلمية والعجمة، وقد ذكروا أنه مركب من إسرا: وهو العبد، وإيل: اسم من أسماء الله تعالى، فكأنه عبد الله، وذلك باللسان العبراني، فيكون مثل: جبرائيل، وميكائيل، وإسرافيل، وعزرائيل، قاله ابن عباس.

وقيل: معنى إسرا: صفوة، وإيل: الله تعالى، فمعناه: صفوة الله. روي ذلك عن ابن عباس وغيره، وقال بعضهم: إسرا مشتق من الأسر، وهو الشد، فكأن إسرائيل معناه: الذي." (٢)

"وقيل: ليس البر العظيم الذي يجب أن يذهلوا بشأنه عن سائر صنوف البر أمر القبلة.

وقال قتادة قبلة النصارى مشرق بيت المقدس لأنه ميلاد عيسى على نبينا وعليه السلام لقوله تعالى: مكانا شرقيا

---

(١) العقود الدرية من مناقب شيخ الإسلام أحمد بن تيمية ابن عبد الهادي ص/٥٨

(٢) البحر المحيط في التفسير أبو حيّان الأندلسي ١/٢٧٧

«١» واليهود مغربه والآية رد على الفريقين.

ولكن البر من آمن بالله البر: معنى من المعاني، فلا يكون خبره الذوات إلا مجازا، فإما أن يجعل: البر، هو نفس من آمن، على طريق المبالغة، قاله أبو عبيدة، والمعنى: ولكن البار. وإما أن يكون على حذف من الأول، أي: ولكن ذا البر، قاله الزجاج. أو من الثاني أي: بر من آمن، قاله قطرب، وعلى هذا خرجه سيبويه، قال في كتابه: وقال جل وعز: ولكن البر من آمن وإنما هو: ولكن البر بر من آمن بالله. انتهى.

وإنما اختار هذا سيبويه لأن السابق إنما هو نفي كون البر هو تولية الوجه قبل المشرق والمغرب، فالذي يستدرك إنما هو من جنس ما ينفى، ونظير ذلك: ليس الكرم أن تبذل درهما، ولكن الكرم بذل الآلاف، فلا يناسب: ولكن الكريم من يبذل الآلاف إلا إن كان قبله: ليس الكريم بباذل درهم.

وقال المبرد: لو كنت ممن يقرأ القرآن ولكن البر بفتح الباء، وإنما قال ذلك لأنه يكون اسم فاعل، تقول: بررت أبر، فأنا بر وبار، قيل: فبني تارة على فعل، نحو: كهل، وصعب، وتارة على فاعل، والأولى ادعاء حذف الألف من البر، ومثله: سر، وقر، ورب، أي: سار، وقار، وبار، وراب.

وقال الفراء: من آمن، معناه الإيمان لما وقع من موقع المصدر جعل خبرا للأول، كأنه قال: ولكن البر الإيمان بالله، والعرب تجعل الاسم خبرا للفعل، وأنشد الفراء:

لعمرك ما الفتيان أن تنبت اللحى ... ولكنما الفتيان كل فتى ندب

جعل نبات اللحية خبرا للفتى، والمعنى: لعمرك ما **الفتوة** أن تنبت اللحى، وقرأ نافع، وابن عامر: ولكن بسكون النون خفيفة، ورفع البر، وقرأ الباقون بفتح النون مشددة ونصب البر، والإعراب واضح، وقد تقدم نظير القراءتين في ولكن الشياطين كفروا «٢» .

واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين ذكر في هذه الآية إن كان الإيمان مصرحا بها كما جاء

في حديث جبريل حين سأله عن الإيمان فقال: «أن تؤمن بالله وملائكته

---

(١) سورة مريم: ١٩/ ١٦.

(٢) سورة البقرة: ٢/ ١٠٢.." (١)

"قال أحمد: ورأيت أبا سليمان حين أراد أن يلبي غشي عليه، فلما أفاق، قال: بلغني أن العبد إذ حج من غير وجهه، فقال: لبيك، قيل له: لا لبيك ولا سعديك، حتى تطرح ما في يديك، فما يؤمنا أن يقال لنا مثل هذا، ثم لبى (١)
.

قال الجنيد: شيء يروى عن أبي سليمان، أنا أستحسنه كثيرا:

من اشتغل بنفسه، شغل عن الناس، ومن اشتغل بربه، شغل عن نفسه وعن الناس (٢) .

---

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيّان الأندلسي ١٣٢/٢

ابن بحر الأسدي: سمعت أحمد بن أبي الحواري، سمعت أبا سليمان يقول:

من وثق بالله في رزقه، زاد في حسن خلقه، وأعقبه الحلم، وسخت نفسه، وقلت وساوسه في صلاته (٣) .

وعنه: **الفتوة** أن لا يراك الله حيث نهاك، ولا يفقدك حيث أمرك.

ولابن سليمان من هذا المعنى كثير في ترجمته من (تاريخ دمشق) وفي (الحلية) .

أنبأني المسلم بن محمد، عن القاسم بن علي، أخبرنا أبي، أخبرنا طاهر بن سهل، أخبرنا عبد الدائم الهلالي، أخبرنا عبد الوهاب الكلابي، حدثنا محمد بن خريم، سمعت أحمد بن أبي الحواري يقول:

تمنيت أن أرى أبا سليمان الداراني في المنام، فرأيته بعد سنة، فقلت له: يا معلم! ما فعل الله بك؟

قال: يا أحمد! دخلت من باب الصغير، فلقيت

---

(١) " الحلية " ٩ / ٢٦٣، ٢٦٤.

(٢) " البداية والنهاية " ١٠ / ٢٥٧.

(٣) " حلية الأولياء " ٩ / ٢٥٧.." [١]

"قال السلمي: هو من جلة مشايخ خراسان.

سألته امرأته أن يحملها إلى أبي يزيد، وتهبه مهرها، ففعل، فأنفقت مالها عليهما.

فلما أراد أن يرجع، قال لأبي يزيد: أوصني.

قال: تعلم **الفتوة** من هذه (١) .

وعن أبي يزيد، قال: ابن خضرويه أستاذنا.

ويقال: إن ابن خضرويه صحب إبراهيم بن أدهم.

قلت: لم يدركه أبدا.

وقد كان معمرا، فإن السلمي روى عن منصور بن عبد الله، سمع محمد بن حامد، قال:

كنت عند ابن خضرويه، وهو ينزع، فسئل عن شيء، فقال: بابا (٢) كنت أقرعه منذ خمس وتسعين سنة، الساعة يفتح، لا أدري يفتح بالسعادة أم بالشقاء؟

ووفى عنه رجل سبع مائة دينار.

قال أبو حفص النيسابوري: ما رأيت أكبر همة، ولا أصدق حالا من أحمد بن خضرويه، له قدم في التوكل.

ومن كلامه: القلوب جوالة، فإما أن تجول حول العرش، وإما أن تجول حول الحش (٣) .

= ٦ / ٣٧٣، طبقات الأولياء: ٣٧، ٣٩، طبقات الصوفية: ١٠٣، ١٠٦، طبقات الشعراني ١ / ٩٥، النجوم الزاهرة ٢

---

(١) سير أعلام النبلاء ط الرسالة الذهبي، شمس الدين ١٠/١٨٥

/ ٣٠٣، الرسالة القشيرية: ٢١.

(١) الخبر في " الحلية " ١٠ / ٤٢، بلفظ: كانت قرينته المكتنية بأم علي من بنات الكبار، حللت زوجها أحمد من صداقها على أن يزوجها أبا يزيد البسطامي، فحملها إلى أبي يزيد، فدخلت عليه، وقعدت بين يديه مسفرة عن وجهها.

فقال لها أحمد: رأيت منك عجبا، أسفرت عن وجهك بين يدي أبي يزيد! فقالت: لاني لما نظرت إليه، فقدت حظوظ نفسي، وكلما نظرت إليك، رجعت إلي حظوظ نفسي.

فلما خرج، قال لأبي يزيد: أوصني، قال: تعلم **الفتوة** من زوجتك.

(٢) في " الحلية " " باب "، بالرفع.

(٣) أي الخلاء.." [١]

"سمعت عبد الله بن علي، سمعت أبا عمرو بن علوان، وسألته: هل رأيت أبا حفص عند الجنيد؟

فقال: كنت غائبا، لكن سمعت الجنيد يقول:

أقام أبو حفص عندي سنة مع ثمانية، فكنت أطعمهم طعاما طيبا - وذكر أشياء من الثياب - فلما أرادوا السفر، كسوتهم، فقال لي: لو جئت إلى نيسابور علمناك السخاء **والفتوة**.

ثم قال: عملك كان فيه تكلف، إذا جاء الفقراء فكن معهم بلا تكلف، إن جعت جاعوا، وإن شبعت شبعوا.

قال الخلدي: لما قال أبو حفص للجنيد: لو دخلت نيسابور علمناك كيف **الفتوة**، قيل له: ما الذي رأيت منه؟

قال: صير أصحابي مخنثين، كان يتكلف لهم الألوان، وإنما **الفتوة** ترك التكلف.

وقيل: كان في خدمة أبي حفص شاب يلزم السكوت، فسأله الجنيد عنه، فقال: هذا أنفق علينا مائة ألف، واستدان مائة ألف ما سألني مسألة إجلالا لي.

قال أبو علي الثقفي: كان أبو حفص يقول:

من لم يزن أحواله كل وقت بالكتاب والسنة، ولم يتهم خواطره، فلا تعده.

وفي (معجم بغداد) للسلفي، قيل: قدم ولدان لأبي حفص النيسابوري، فحضرا عند الجنيد، فسمعا قوالين، فماتا. فجاء أبوهما، وحضر عند القوالين، فسقطا ميتين.

ابن نجيد: سمعت أبا عمرو الزجاجي يقول: كان أبو حفص نور الإسلام في وقته.

وعن أبي حفص: ما استحق اسم السخاء من ذكر العطاء، ولا لمحه بقلبه.." [٢]

"على مذهب الكلابية (١) ، فاستحكم طمعهما في إيقاع الوحشة بين هؤلاء الأئمة.

قال الحاكم: سمعت الإمام أبا بكر أحمد بن إسحاق يقول:

كان من قضاء الله - تعالى - أن الحاكم أبا سعيد لما توفي، أظهر ابن خزيمة الشماتة بوفاته، هو وجماعة من أصحابه -

---

(١) سير أعلام النبلاء ط الرسالة الذهبي، شمس الدين ٤٨٨/١١

(٢) سير أعلام النبلاء ط الرسالة الذهبي، شمس الدين ٥١٢/١٢

جهلا منهم - فسألوه أن يتخذ ضيافة، وكان لابن خزيمة بساتين نزهة.

قال: فأكرهت أنا من بين الجماعة على الخروج في الجملة إليها.

وحدثني أبو أحمد الحسين بن علي التميمي: أن الضيافة كانت في جمادى الأولى، سنة تسع وثلاث مائة، وكانت لم يعهد مثلها، عملها ابن خزيمة، فأحضر جملة من الأغنام والحملان، وأعدال السكر، والفرش، والآلات، والطباخين، ثم إنه تقدم إلى جماعة المحدثين من الشيوخ والشباب، فاجتمعوا بجنزروذ (٢) ، وركبوا منها، وتقدمهم أبو بكر يخترق الأسواق سوقا سوقا، يسألهم أن يجيبوه، ويقول لهم: سألت من يرجع إلى الفتوة والمحبة لي أن يلزم جماعتنا اليوم.

فكانوا يجيئون فوجا فوجا حتى لم يبق كبير أحد في البلد - يعني: نيسابور - والطباخون يطبخون، وجماعة من الخبازين يخبزون، حتى حمل أيضا جميع ما وجدوا في البلد من الخبز والشواء على الجمال والبغال والحمير، والإمام - رحمه الله - قائم يجري أمور الضيافة على أحسن ما يكون، حتى شهد من حضر أنه لم يشهد مثلها.

فحدثني أبو بكر أحمد بن يحيى المتكلم، قال: لما انصرفنا من

---

(١) نسبة إلى أبي محمد، عبد الله بن سعيد بن كلاب، المتوفى بعد عام ٢٤٠ هجرية. كان إمام أهل السنة في عصره، وإليه مرجعهم، ناقش المعتزلة في مجلس المأمون على طريقة كلامية عقلية، فدحرهم. مترجم في " طبقات الشافعية " للسبكي: ٢ / ٢٩٩ - ٣٠٠، وانظر آراءه في الأسماء والصفات في " مقالات الإسلاميين " ١ / ٢٤٩ وما بعدها.

(٢) قرية من قرى نيسابور. انظر " معجم البلدان " ٢ / ١٧١.." [(١)]

"غريب جدا.

مع عدالة رواته، فلا تنبغي الرواية إلا من كتاب، فإني أرى ابن وهب مع حفظه وهم فيه، وللمتن إسناد غير هذا.

أخوه:

٢٧٥ - المعمر أبو العباس محمد بن إسحاق الصبغي *

سمع: يحيى بن الذهلي، وسهل بن عمار، وإبراهيم بن عبد الله السعدي.

قال (١) :لزم الفتوة إلى آخر عمره، وكان أخوه ينهاه، عن السماع لما كان يتعاطاه (٢) .

عاش مائة سنة وأربع سنين، وأملى مجالس.

مات: سنة أربع وخمسين وثلاث مائة.

(*) الأنساب: ٨ / ٣٤.

(١) أي الحاكم.

---

(١) سير أعلام النبلاء ط الرسالة الذهبي، شمس الدين ١٤/٣٧٨

(٢) النص بتمامه في " الأنساب ": " وكان الشيخ ينهانا عن القراءة عليه لما كان يتعاطاه ظاهرا، لا لحرج في سماعة ... ".

أي أن سماعه صحيح.

وتعاطيه أمور **الفتوة** هو سبب النهي، وقد جانب الصواب محقق الجزء الثامن من " الأنساب " حين حذف لفظة " لا لحرج " ووضع مكانها كلمة من عنده قلبت المعنى المراد " لا يتحرج في سماعه " فجعل عدم تحرجه في السماع هو سبب النهي، لا تعاطيه **الفتوة**..فتأمل!..." [١]

"وحديثه من أعلى مرويات السلفي.

قال أبو نعيم الحافظ (١) :صحب أبا بكر عبد الله بن إبراهيم بن واضح، وأبا جعفر محمد بن الحسن، وزاد عليهما في طريقهما خلقا وفتوة، جمع بين علم الظاهر وعلم الباطن، لا تأخذه في الله لومة لائم، وكان ينكر على المتشبهة بالصوفية وغيرهم من الجهال فساد مقالاتهم في الحلول والإباحة والتشبيه، وغير ذلك من ذميم أخلاقهم، فعدلوا عنه لما دعاهم إلى الحق جهلا وعنادا، وانفرد في وقته بالرواية ... ، ثم سمى جماعة.

قال: وتوفي يوم عيد الفطر سنة أربع عشرة وأربع مائة.

وقال أبو بكر أحمد بن جعفر اليزدي (٢) :سمعت الإمام أبا عبد الله بن مندة وقت قدومه من خراسان، سنة إحدى وسبعين وثلاث مائة يقول - وعنده أبو جعفر ولد القاضي أبي أحمد العسال وعدة مشايخ - فسأله ابن العسال عن أخبار مشايخ البلاد التي شاهدها فقال:

طفت الشرق والغرب لم أر في الدنيا مثل رجلين: أحدهما ولدك، والثاني أبو الحسن بن ماشاذه الفقيه، ومن عزمي أن أجعله وصيي، وأسلم كتبي، إليه فإنه أهل له - أو كما قال -.

قرأت على إسحاق الأسدي، أخبركم يوسف بن خليل، أخبرنا أبو المكارم التيمي، أخبرنا أبو علي المقرئ، أخبرنا أبو نعيم في (الحلية) له قال:

ختم التحقيق بطريقة المتصوفة بأبي الحسن علي بن ماشاذه، لما أولاه الله - تعالى - من فنون العلم والسخاء **والفتوة**، كان عارفا بالله، فقيها عاملا له من الأدب الحظ الجزيل (٣) .

---

(١) في " أخبار أصبهان " ٢ / ٢٤.

(٢) سترد ترجمته برقم (١٨٦) .

(٣) " حلية الأولياء " ١٠ / ٤٠٨ بأطول مما هنا.." [٢]

"الآخرة﴾ إلى قوله: ﴿فمنهم شقي وسعيد﴾ [هود:١٠٣ - ١٠٥] .

ثم صاح وبكى، وطرح وجهه على الأرض زمانا، ثم مسح وجهه، وقال: سبحان من تكلم بهذا في القدم! سبحان من هذا

---

[١] سير أعلام النبلاء ط الرسالة الذهبي، شمس الدين ١٥/٤٨٩

[٢] سير أعلام النبلاء ط الرسالة الذهبي، شمس الدين ١٧/٢٩٨

كلامه! فصبرت ساعة، ثم سلمت، ثم قلت: أرى في وجهك أثر غيظ؟

قال: لا، بل أنشدت شيئا من كلام المخلوق، وتلوت شيئا من كلام الخالق، فلحقني ما ترى.

فتحققت صحة دينه.

وبه: قال السلفي: سمعت أبا زكريا التبريزي يقول: أفضل من قرأت عليه أبو العلاء (١) .

وسمعت أبا المكارم (٢) بأبهر - وكان من أفراد الزمان - يقول: لما توفي أبو العلاء اجتمع على قبره ثمانون شاعرا (٣) ، وختم في أسبوع واحد مئتا ختمة، إلى أن قال السلفي: وفي الجملة فكان من أهل الفضل الوافر، والأدب الباهر، والمعرفة بالنسب وأيام العرب، قرأ القرآن بروايات، وسمع الحديث على ثقات، وله في التوحيد وإثبات النبوات، وما يحض على الزهد، وإحياء طرق الفتوة والمروءة شعر كثير، والمشكل منه، فله على زعمه تفسير.

قال غرس النعمة: حدثنا الوزير أبو نصر بن جهير، حدثنا المنازي الشاعر (٤) قال:

اجتمعت بأبي العلاء، فقلت: ما هذا الذي يروى عنك؟ قال:

---

(١) في ترجمته من " تاريخ الإسلام " المنشورة في " تعريف القدماء " ٢٠٠: أفضل من رأيته ممن قرأت عليه أبو العلاء.

(٢) هو عبد الوارث بن عبد المنعم الابهري، أحد الأدباء الفضلاء تلميذ لأبي العلاء المعري، وقرأ عليه الأدب، والابهري نسبة إلى أبهر، وهي موضعان: أحدهما بلدة بالقرب من زنجان والمذكور منسوب إليها، والثانية قرية من قرى أصبهان. انظر " الأنساب " ١ / ١٢٦.

(٣) الخبر إلى هنا في " المنتظم " ٨ / ١٨٨.

(٤) هو أبو نصر أحمد بن يوسف الكاتب الوزير، المتوفى سنة (٤٣٧) هـ. وقد مرت ترجمته في الجزء السابع عشر برقم (٣٨٩) .." (١)

"ابن عبد الواحد الشيباني، البغدادي، القزاز، ابن زريق (١) الحريمي.

سمع: جده، وأبا سعد بن خشيش، وأبا القاسم الربعي، وأبا الحسين ابن الطيوري، وعلي بن محمد ابن العلاف، وابن بيان، وابن نبهان، وشجاعا الذهلي، وأبا العز محمد بن المختار، وعدة.

وانتهى إليه علو الإسناد.

حدث عنه: أبو سعد السمعاني (٢) ، وابن الأخضر، والعز محمد بن الحافظ، والبهاء عبد الرحمان، والتقي ابن باسويه، وأبو عبد الله ابن الدبيثي، والجمال أبو حمزة المقدسي، وسالم بن صصرى، وفضل الله ابن الجيلي، ومحمد بن علي ابن السباك، ومحمد بن أبي الفتوح ابن الحصري، وعبد الله بن عمر البندنيجي، وخلق.

وتفرد بإجازته ابن عبد الدائم.

قال الدبيثي (٣) : أراني مولده بخط جده في جمادى الآخرة، سنة إحدى وتسعين وأربع مائة، وتوفي في تاسع عشر ربيع

---

(١) سير أعلام النبلاء ط الرسالة الذهبي، شمس الدين ١٨/٣٣

الآخر، سنة ثلاث وثمانين وخمس مائة.

وفيها مات: عبد الجبار بن يوسف شيخ **الفتوة**، والمحدث عبد المغيث بن زهير، وقاضي القضاة علي بن أحمد ابن الدامغاني، ومحمد بن يحيي أبو الفتح البرداني، وكبير الأمراء شمس الدين محمد ابن المقدم

---

(١) قال الزكي المنذري في (التكملة) : وزريق بتقديم الزاي المضمومة وفتح الراء المهملة.

(٢) ومات قبله بإحدى وعشرين سنة لأنه توفي سنة ٥٦٢، وذكره في (تاريخه) الذي ذيل به على (تاريخ الخطيب) .

(٣) ضاع هذا القسم من تاريخ ابن الدبيثي، ولكن راجع (مختصره) الذي للذهبي: ٣ / ٢٠٩، و (تلخيص) ابن الفوطي: ٤ / الترجمة ٣١٧٣.." [1]

"بضاعة، أين قس من فصاحته، وقيس (١) في حصافته، ومن حاتم وعمرو في سماحته وحماسته (٢) ، لا من في فعله، ولا مين في قوله، ذو الوفاء والمروءة والصفاء **والفتوة**، وهو من الأولياء الذين خصوا بالكرامة، لا يفتر مع ما يتولاه من نوافل صلاته، ونوافل صلاته، يتلو كل يوم ... ، إلى أن قال:

وأنا أوثر أن أفرد لنظمه ونثره كتابا.

قيل: كان القاضي أحدب، فحدثني شيخنا أبو إسحاق الفاضلي (٣) أن القاضي الفاضل ذهب في الرسلية إلى صاحب الموصل، فأحضرت فواكه، فقال بعض الكبار منكتا: خياركم أحدب، يوري بذلك.

فقال الفاضل: خسنا خير من خياركم.

قال الحافظ المنذري (٤) : ركن إليه السلطان ركونا تاما، وتقدم عنده كثيرا، وكان كثير البر، وله آثار جميلة، توفي ليلة سابع ربيع الآخر، سنة ست وتسعين وخمس مائة.

---

(١) في (الخريدة) : وأين قيس.

(٢) في (الخريدة) : وحماسته.

فضله بالافضال حال، ونجم قبوله في أفق الاقبال عال، لا من في فعله، ولا مين في قوله، ولا خلف وعده، ولا بطء في رفده، الصادق الشيم، السابق بالكرم، ذو الوفاء والمروءة، والصفاء **والفتوة**، والتقى والصلاح، والندى والسماح، منشر رفات العلم وناشر راياته، وجالي غيابات الفضل وتالي آياته، وهو من أولياء الله الذين خصوا بكرامته، وأخلصوا لولايته، قد وفقه الله للخير كله، وفضل هذا العصر على الاعصار السالفة بفضله ونبله، فهو مع ما يتولاه من أشغال المملكة الشاغلة ومهامه المستغرقة في العاجلة لا يغفل عن الآجلة ... الخ.

(٣) هو شيخ القراء جمال الدين أبو إسحاق إبراهيم بن داود العسقلاني ثم الدمشقي الفاضلي المتوفى سنة ٦٩٢ وكان من شيوخ الذهبي البارزين في القراءات، وكان متصدرا للاقراء بتربة أم الصالح (الذهبي: (معجم الشيوخ) : ١ / الورقة: ٢٧، و

---

(١) سير أعلام النبلاء ط الرسالة الذهبي، شمس الدين ١٣٣/٢١

(معرفة القراء) : ٥٦٢ -

٥٦٣، وابن الجزري في (غاية النهاية) : ٢ / ٧١.

(٤) (التكملة) ، الترجمة: ٥٢٦.." [١]

"والمسجد العتيق، وسكنوا ثم، وعرفوا بالصالحية نسبة إلى ذاك المسجد.

سمع: أباه، وأبا المكارم بن هلال، وسلمان بن علي الرحبي، وأبا الفهم بن أبي العجائز، وعدة، وبمصر: ابن بري، وإسماعيل الزيات، وكتب وقرأ، وحصل وتقدم، وكان من العلماء العاملين، ومن الأولياء المتقين.

حدث عنه: أخوه؛ الشيخ موفق الدين، وابناه؛ عبد الله وعبد الرحمن، والضياء، وابن خليل، والزكي المنذري، والقوصي، وابن عبد الدائم، والفخر علي، وطائفة.

وقد جمع له الحافظ الضياء (سيرة) في جزءين، فشفى وكفى، وقال (١) :

كان لا يسمع دعاء إلا ويحفظه في الغالب، ويدعو به، ولا حديثا إلا وعمل به، ولا صلاة إلا صلاها.

كان يصلي بالناس في النصف (٢) مائة ركعة وهو مسن، ولا يترك قيام الليل من وقت شبوبيته.

وإذا رافق ناسا في السفر ناموا وحرسهم يصلي.

قلت: كان قدوة، صالحا، عابدا، قانتا لله، ربانيا، خاشعا، مخلصا، عديم النظير، كبير القدر، كثير الأوراد والذكر، والمروءة والفتوة والصفات الحميدة، قل أن ترى العيون مثله.

قيل: كان ربما تهجد، فإن نعس ضرب على رجليه بقضيب حتى يطير النعاس.

وكان يكثر الصيام، ولا يكاد يسمع بجنازة إلا شهدها، ولا مريض إلا عاده، ولا جهاد إلا خرج فيه، ويتلو كل ليلة سبعا مرتلا في الصلاة، وفي النهار سبعا بين الصلاتين، وإذا صلى

---

(١) انظر الجزء الذي في الظاهرية برقم ٨٣ (مجموع) .

(٢) يعني في نصف شعبان.." [٢]

"منصور، وكان ابن العطار وكبراء الدولة ميلهم إلى أبي منصور، وكانت حظية المستضيء بنفشا والمجد ابن الصاحب، وطائفة مع أبي العباس، فلما بويع، قبض على ابن العطار، وأهلك، فسحب في الشوراع ميتا، وطغى ابن الصاحب إلى أن قتل.

قال الموفق عبد اللطيف: كان الناصر شابا مرحا، عنده ميعة الشباب، يشق الدروب والأسواق أكثر الليل، والناس يتهيبون لقياه، وظهر الرفض بسبب ابن الصاحب، ثم انطفأ بهلاكه، وظهر التسنن (١) ، ثم زال، وظهرت الفتوة والبندق والحمام الهادي، وتفنن الناس في ذلك، ودخل فيه الأجلاء ثم الملوك، فألبس العادل وأولاده سراويل الفتوة، وشهاب الدين الغوري

---

[١] سير أعلام النبلاء ط الرسالة الذهبي، شمس الدين ٢١/٣٤٢

[٢] سير أعلام النبلاء ط الرسالة الذهبي، شمس الدين ٢٢/٦

صاحب غزنة والهند (٢) والأتابك سعد صاحب شيراز، وتخوف الديوان من السلطان طغريل، وجرت معه حروب وخطوب، ثم استدعوا خوارزمشاه تكش لحربه، فالتقاه على الري، واحتز رأسه، ونفذه إلى بغداد، ثم تقدم تكش نحو بغداد يطلب رسوم السلطنة، فتحركت عليه أمة الخطا، فرد إلى خوارزم ومات، وقد خطب الناصر بولاية العهد لولده الأكبر أبي نصر، ثم ضيق عليه لما استشعر منه وعين أخاه، وأخذ خط باعتراف أبي نصر بالعجز، أفسد ما بينهما النصير بن مهدي الوزير، وأفسد قلوب الرعية والجند على الناصر وبغضه إلى الملوك، وزاد الفساد، ثم قبض على الوزير، وتمكن بخراسان خوارزمشاه محمد بن تكش وتجبر واستعبد الملوك وأباد الأمم من الترك والخطا، وظلم وعسف (٣) ، وقطع خطبة الناصر من بلاده، ونال منه،

---

(١) بعد هذا في تاريخ الإسلام، والوافي للصفدي الذي ينقل منه: " المفرط ".

(٢) في تاريخ الإسلام والوافي بعد هذا: " وصاحب كيش وأتابك سعد صاحب شيراز والملك الظاهر صاحب حلب ".

(٣) في تاريخ الإسلام: " وأساء إلى باقي الأمم الذين لم يصل إليهم سيفه ورهبه الناس كلهم ".." [1]

"بالكلية، وقد ذهبت إحدى عينيه (١) ، وفي الآخر أصابه دوسنطاريا (٢) عشرين يوما ومات، وما أطلق في مرضه شيئا مما كان أحدثه من الرسوم.

قال: وكان سيئ السيرة، خرب العراق في أيامه، وتفرق أهله في البلاد، وأخذ أموالهم وأملاكهم ... ، إلى أن قال:

وجعل همه في رمي البندق والطيور المناسيب وسراويلات الفتوة.

ونقل الظهير الكازروني فيما أجاز لنا (٣) : إن الناصر في وسط خلافته هم بترك الخلافة وبالانقطاع إلى التعبد، وكتب عنه ابن الضحاك (٤) توقيعا قرئ على الأعيان، وبنى رباطا للفقراء، واتخذ إلى جانب الرباط دارا لنفسه كان يتردد إليها ويحادث الصوفية، وعمل له ثيابا كبيرة بزي القوم.

قلت: ثم نبذ هذا ومل (٥) .

ومن الحوادث في دولته قدوم أسرى الفرنج إلى بغداد وقد هزمهم صلاح الدين نوبة مرج العيون (٦) ، ومن التحف ضلع حوت طوله عشرة أذرع في عرض ذراع، وجواهر مثمنة.

وقيل: بل كان ذلك في آخر دولة المستضيء.

---

(١) وتمام الخبر: " والاخرى يبصر بها إبصارا ضعيفا ".

(٢) هو المعروف عندنا بالدزانتري.

(٣) الظاهر أن الذهبي نقل ذلك من تاريخه الكبير، وليس من " المختصر " الذي حققه الدكتور مصطفى جواد (بغداد: ١٣٧٠) ، فما وجدته فيه.

---

(١) سير أعلام النبلاء ط الرسالة الذهبي، شمس الدين ٢٢/١٩٤

(٤) هو عضد الدين أبو نصر المبارك بن الضحاك، كان أستاذ الدار العزيزة (رئيس الديوان الملكي أو الجمهوري على عصرنا) وليها سنة ٦٠٦ وبقي فيها إلى حين وفاته سنة ٦٢٧ (الجامع المختصر لابن الساعي: ٩ / ٢٨٥، وتلخيص ابن الفوطي: ٤ / ١ / ٤٥٠ وغيرهما) .

(٥) قال بشار عواد: قد وقفت على هذا التوقيع في كتاب " أخبار الزهاد " لابن الساعي الذي اكتشفته في دار الكتب المصرية سنة ١٣٨٥ / ١٩٦٥، ونشرت عنه بحثا في مجلة المورد العراقية (العدد الثالث من السنة الثالثة: ١٩٧٤) .

(٦) مرج واسع بين نهر اليرموك وشقيف أرنون.." [١]

"وفيها (١) : تفتى الناصر إلى عبد الجبار (٢) شرف **الفتوة**، وكان شجاعا مشهورا تخافه الرجال، ثم تعبد واشتهر، فطلبه الناصر، وتفتى إليه، وجعل المعول في شرع **الفتوة** عليه، وبقي الناصر يلبس سراويل **الفتوة** لسلاطين البلاد.

وفي سنة تسع وسبعين: ورد كتاب السلطان من إنشاء الفاضل فيه (٣) : وكان الفرنج قد ركبوا من الأمر نكرا، وافتضوا من البحر بكرا، وشحنوا مراكب، وضربوا بها سواحل الحجاز، وظن أنها الساعة، وانتظر المسلمون غضب الله لبيته ومقام خليله وضريح نبيه، فعمر الأخ سيف الدين مراكب ... ، إلى أن قال:

فوقع عليها أصحابنا، فأخذت المراكب بأسرها، وفر فرنجها، فسلكوا في الجبال مهاوي المهالك، ومعاطن المعاطب، وركب أصحابنا وراءهم خيل العرب يقتلون ويأسرون حتى لم يتركوا مخبرا ﴿وسيق الذين كفروا إلى جهنم زمرا (٤) ﴾ .

وفيها (٥) : تسلم صلاح الدين حلب.

وفيها: تمكن شهاب الدين الغوري، وامتد سلطانه إلى لهاور، وحاصر بها خسروشاه من ولد محمود بن سبكتكين، فنزل إليه، فأكرمه، ثم غدر به.

وبعث صلاح الدين تقدمة إلى الديوان منها شمسة يعني الجتر (٦) من

---

(١) العبر: ٤ / ٢٣٢ أيضا.

(٢) عبد الجبار بن يوسف البغدادي المتوفى سنة ٥٨٣.

(٣) انظر نص الكتاب: في الروضتين: ٢ / ٣٧ (ط. القاهرة الجديدة) .

(٤) الزمر / ٧١ وانظر الكامل لابن الأثير: ١١ / ٤٩٥ - ٤٩٦.

(٥) الكامل: ١١ / ٤٩٦ - ٤٩٨.

(٦) لفظة فارسية تعني الشمسة، وانظر معجم دوزي: ٢ / ١٤٣ " وفرهنك أفندراج ".." [٢]

"وفي سنة ٦٢٧ (١) : هزم الأشرف وصاحب الروم جلال الدين خوارزم شاه، وتمزق جمعه، واسترد الأشرف خلاط.

وقدم رسول محمد بن هود الأندلسي بأنه تملك أكثر المغرب، وخطب بها للمستنصر، فكتب له تقليد بسلطنة تلك الديار،

---

(١) سير أعلام النبلاء ط الرسالة الذهبي، شمس الدين ٢٠٢/٢٢

(٢) سير أعلام النبلاء ط الرسالة الذهبي، شمس الدين ٢٠٤/٢٢

ونفذت إليه الخلع واللواء.

وبعث خوارزم شاه يطلب من الخليفة لباس **الفتوة**، فأجيب.

وقد أخذت العرب من مخيم خوارزم شاه يوم كسرته (٢) باطية (٣) من ذهب وزنها ربع قنطار، والعجب أن هذه الملحمة (٤) ما قتل فيها من عسكر الشام سوى واحد جرح، لكن قتل من الروميين ألوف، وأما الخوارزمية فاستحر بهم القتل، وزالت هيبتهم من القلوب، وولت سعادتهم، والوقعة في رمضان.

وفي سنة ٦٢٨ (٥) : فيها خرج على ابن عبد المؤمن ابن عم له، وظفر بالملك، وقتله، وقتل من البربر خلائق.

وفي رجب بلغنا (٦) كسرة التتار لخوارزم شاه، وتفرق جمعه، وذاق

---

(١) تاريخ الإسلام، الورقة: ٢٤٤ - ٢٤٥.

(٢) كان ينبغي أن توضع هذه الفقرة بعد قوله: " واسترد الأشرف خلاط ".

(٣) الباطية: إناء من الخزف أو الفخار أو البلور لتقديم النبيذ.

أو الذي يوضع فيه ماء العطر (معجم دوزي ١ / ٤٨٤) .

(٤) يعني: الحرب بين الأشرف وصاحب الروم من جهة وجلال الدين خوارزم شاه من جهة أخرى.

(٥) تاريخ الإسلام، الورقة: ٢٤٥ - ٢٤٨.

(٦) أصل الخبر في " تاريخ الإسلام ": " وفي رجب وصل قزويني إلى الشام فأخبر..".." [١]

"بالله في رزقه زاد في حسن خلقه وأعقبه الحلم، وسخت نفسه وقلت وساوسه في صلاته.

وعنه: **الفتوة** أن لا يراك الله حيث نهاك ولا يفقدك حيث أمرك.

ولأبي سليمان من هذا المعنى كثير في ترجمته من تاريخ دمشق وفي الحلية.

أنبأني المسلم بن محمد، عن القاسم بن علي أخبرنا أبي أخبرنا طاهر بن سهل أخبرنا عبد الدائم الهلالي، أخبرنا عبد الوهاب الكلابي حدثنا محمد بن خريم سمعت أحمد بن أبي الحواري يقول: تمنيت أن أرى أبا سليمان الداراني في المنام فرأيته بعد سنة، فقلت له: يا معلم! ما فعل الله بك؟ قال: يا أحمد دخلت من باب الصغير، فلقيت وسق شيح فأخذت منه عودا فلا أدري تخللت به أم رميت به فأنا في حسابه من سنة.

قال سعيد بن حمدون والسلمي، وأبو يعقوب القراب: توفي أبو سليمان سنة خمس عشرة، ومائتين وقال أحمد بن أبي الحواري: مات سنة خمس ومائتين.." [٢]

"فسكت، فقال أبو حفص: مع من؟ قال: فكيف أقول؟ قال: لا يكن أنينك شكوى، ولا سكوتك تجلدا، ولكن بين ذلك.

---

(١) سير أعلام النبلاء ط الرسالة الذهبي، شمس الدين ١٦١/٢٣

(٢) سير أعلام النبلاء ط الحديث الذهبي، شمس الدين ٣٢٨/٨

وعن أبي حفص قال: حرست قلبي عشرين سنة ثم حرسني عشرين سنة ثم، وردت علي وعليه حالة صرنا محروسين جميعا.
قيل لأبي حفص: من الولي؟ قال: من أيد بالكرامات، وغيب عنها.
قال الخلدي: سمعت الجنيد ذكر أبا حفص النيسابوري، فقال صاحب للحلاج: نعم يا أبا القاسم كانت له حال إذا لبسته مكث اليومين، والثلاثة لا يمكن أحد أن ينظر إليه فكانوا يدعونه حتى يزول ذلك عنه.
وبلغني أنه أنفد في يوم واحد بضعة عشر ألف دينار يفتك بها أسرى، فلما أمسى لم يكن له عشاء.
قال المرتعش: دخلت مع أبي حفص على مريض فقال: ما تشتهي؟ قال: أن أبرأ فقال لأصحابه: احملوا عنه فقام معنا، وأصبحنا نعاد في الفرش.
قال السلمي: أبو حفص كان حدادا وهو أول من أظهر طريقة التصوف بنيسابور.
سمعت عبد الله بن علي سمعت أبا عمرو بن علوان، وسألته: هل رأيت أبا حفص عند الجنيد؟ فقال: كنت غائبا لكن سمعت الجنيد يقول: أقام أبو حفص عندي سنة مع ثمانية فكنت أطعمهم طعاما طيبا، وذكر أشياء من الثياب فلما أرادوا السفر كسوتهم فقال لي: لو جئت إلى نيسابور علمناك السخاء، **والفتوة** ثم قال: عملك كان فيه تكلف إذا جاء الفقراء فكن معهم بلا تكلف إن جعت جاعوا وإن شبعت شبعوا.
قال الخلدي: لما قاله أبو حفص للجنيد: لو دخلت نيسابور علمناك كيف **الفتوة**، قيل له: ما الذي رأيت منه؟ قال: صير أصحابي مخنثين كان يتكلف لهم الألوان وإنما **الفتوة** ترك التكلف.
وقيل: كان في خدمة أبي حفص شاب يلزم السكوت فسأله الجنيد عنه فقال: هذا أنفق علينا مائة ألف واستدان مائة ألف ما سألني مسألة إجلالا لي.
قال أبو علي الثقفي: كان أبو حفص يقول: من لم يزن أحواله كل وقت بالكتاب والسنة ولم يتهم خواطره فلا تعده.." (١)

"وعن أبي إسحاق إبراهيم بن محمد بن المضارب، قال: رأيت ابن خزيمة في النوم، فقلت: جزاك الله عن الإسلام خيرا. فقال: كذا قال لي جبريل في السماء.
قال الحاكم: حدثني أبو بكر محمد بن حمدون، وجماعة من مشايخنا -إلا أن ابن حمدون كان من أعرفهم بهذه الواقعة- قال: لما بلغ أبو بكر بن خزيمة من السن والرئاسة والتفرد بهما ما بلغ، كان له أصحاب صاروا في حياته أنجم الدنيا، مثل أبي علي محمد بن عبد الوهاب الثقفي، وهو أول من حمل علوم الشافعي، ودقائق ابن سريج إلى خراسان، ومثل أبي بكر أحمد بن إسحاق -يعني: الضبعي- خليفة ابن خزيمة في الفتوى، وأحسن الجماعة تصنيفا، وأحسنهم سياسة في مجالس السلاطين، وأبي بكر بن أبي عثمان، وهو آدبهم، وأكثرهم جمعا للعلوم، وأكثرهم رحلة، وشيخ المطوعة والمجاهدين، وأبي محمد يحيى بن منصور، وكان من أكابر البيوتات، وأعرفهم بمذهب ابن خزيمة وأصلحهم للقضاء. قال: فلما ورد منصور بن يحيى الطوسي نيسابور، وكان يكثر الاختلاف إلى ابن خزيمة للسماع منه -وهو معتزلي- وعاين ما عاين من الأربعة الذين سميناهم، حسدهم، واجتمع مع أبي عبد الرحمن الواعظ القدري بباب معمر في أمورهم غير مرة، فقالا: هذا إمام لا يسرع في الكلام،

---

(١) سير أعلام النبلاء ط الحديث الذهبي، شمس الدين ١٠/١٤٥

وينهى أصحابه عن التنازع في الكلام وتعليمه، وقد نبغ له أصحاب يخالفونه وهو لا يدري، فإنهم على مذهب الكلابية، فاستحكم طمعهما في إيقاع الوحشة بين هؤلاء الأئمة.

قال الحاكم: سمعت الإمام أبا بكر أحمد بن إسحاق يقول: كان من قضاء الله -تعالى- أن الحاكم أبا سعيد لما توفي، أظهر ابن خزيمة الشماتة بوفاته، هو وجماعة من أصحابه -جهلا منهم- فسألوه أن يتخذ ضيافة، وكان لابن خزيمة بساتين نزهة. قال: فأكرهت أنا من بين الجماعة على الخروج في الجملة إليها.

وحدثني أبو أحمد الحسين بن علي التميمي: أن الضيافة كانت في جمادى الأولى، سنة تسع وثلاث مائة، وكانت لم يعهد مثلها، عملها ابن خزيمة، فأحضر جملة من الأغنام والحملان، وأعدال السكر، والفرش، والآلات، والطباخين، ثم إنه تقدم إلى جماعة المحدثين من الشيوخ والشباب، فاجتمعوا بجنزروذ١ وركبوا منها، وتقدمهم أبو بكر يخترق الأسواق سوقا سوقا، يسألهم أن يجيبوه، ويقول لهم: سألت من يرجع إلى الفتوة والمحبة لي أن يلزم جماعتنا اليوم. فكانوا يجيئون فوجا فوجا حتى لم يبق كبير أحد في البلد -يعني: نيسابور- والطباخون يطبخون، وجماعة من الخبازين يخبزون، حتى حمل أيضا

---

١ هي: قرية من قرى نيسابور.." (١)

"٣١٢٢- أخوه المعمر ١:

أبو العباس محمد بن إسحاق الصبغي.

سمع يحيى بن الذهلي، وسهل بن عمار، وإبراهيم بن عبد الله السعدي.

قال: لزم الفتوة إلى آخر عمره، وكان أخوه ينهاه عن السماع لما كان يتعاطاه.

عاش مائة سنة وأربع سنين، وأملى مجالس.

مات سنة أربع وخمسين وثلاث مائة.

---

١ ترجمته في الأنساب للسمعاني "٨/ ٣٤".." (٢)

"٣٨٠٧- ابن ميلة ١:

الإمام القدوة، شيخ الإسلام، أبو الحسن، علي بن ماشاذه محمد بن أحمد بن ميله بن خرة، الأصبهاني الزاهد الفرضي، شيخ الصوفية.

ولد سنة نيف وعشرين وثلاث مائة.

وسمع: من: أبي عمرو أحمد بن محمد بن إبراهيم بن حكيم، ومحمد بن محمد بن يونس الأبهري، وأبي علي أحمد بن محمد بن إبراهيم الصحاف، ومحمد بن أحمد بن علي الأسواري، وعبد الله بن جعفر بن أحمد بن فارس، ومحمد بن عبد الله بن

---

(١) سير أعلام النبلاء ط الحديث الذهبي، شمس الدين ٢٣٢/١١

(٢) سير أعلام النبلاء ط الحديث الذهبي، شمس الدين ٧٦/١٢

أسيد، وأبي علي أحمد بن محمد ابن عاصم، وعبد الله بن محمد بن عيسى الخشاب، والقاضي أبي أحمد العسال، وغياث بن محمد، وعدة.

وأملى عدة مجالس وقع لنا منها.

حدث عنه: رجاء بن قولويه، وأبو عبد الله الثقفي الرئيس، وأبو الحسين سعيد بن محمد الجوهري، وأحمد بن عبد الله السوذرجاني، وأخوه محمد بن عبد الله، وأبو نصر عبد الرحمن بن محمد السمسار، وآخرون.

وحديثه من أعلى مرويات السلفي.

قال أبو نعيم الحافظ: صحب أبا بكر عبد الله بن إبراهيم بن واضح، وأبا جعفر محمد بن الحسن، وزاد عليهما في طريقهما خلقا وفتوة، جمع بين علم الظاهر وعلم الباطن، لا تأخذه في الله لومة لائم، وكان ينكر على المتشبهة بالصوفية وغيرهم من الجهال فساد مقالاتهم في الحلول والإباحة والتشبيه، وغير ذلك من ذميم أخلاقهم، فعدلوا عنه لما دعاهم إلى الحق جهلا وعنادا، وانفرد في وقته بالرواية ثم سمى جماعة.

قال: وتوفي يوم عيد الفطر سنة أربع عشرة وأربع مائة.

وقال أبو بكر أحمد بن جعفر اليزدي: سمعت الإمام أبا عبد الله بن مندة وقت قدومه من خراسان، سنة إحدى وسبعين وثلاث مائة يقول وعنده أبو جعفر ولد القاضي أبي أحمد العسال وعدة مشايخ فسأله ابن العسال عن أخبار مشايخ البلاد التي شاهدها فقال: طفت الشرق والغرب لم أر في الدنيا مثل رجلين: أحدهما ولدك، والثاني أبو الحسن بن ماشاذه الفقيه، ومن عزمي أن أجعله وصيي، وأسلم كتبي إليه، فإنه أهل له. أو كما قال.

قرأت على إسحاق الأسدي، أخبركم يوسف بن خليل، أخبرنا أبو المكارم التيمي، أخبرنا أبو علي المقرىء، أخبرنا أبو نعيم في "الحلية" له قال: ختم التحقيق بطريقة المتصوفة بأبي الحسن علي بن ماشاذه، لما أولاه الله -تعالى- من فنون العلم والسخاء **والفتوة**، كان عارفا بالله، فقيها عاملا، له من الأدب الحظ الجزيل.

أخبرنا الأستاذ بلال المغيثي، أخبرنا ابن روج، أخبرنا أبو طاهر السلفي، أخبرنا محمد وأحمد ابنا عبد الله قالا: أخبرنا علي بن محمد إملاء، حدثنا أبو علي الصحاف، حدثنا أبو علي الصحاف، حدثنا أحمد بن مهدي، حدثنا ثابت بن محمد، حدثنا سفيان الثوري، عن أبي الزبير، عن جابر قال: قال النبي محمد، حدثنا سفيان الثوري، عن أبي الزبير، عن جابر قال: قال النبي -صلى الله عليه وسلم: "لا يقطع الصلاة الكشر، ولكن تقطعها القرقرة".

هذا حديث منكر مع قوة إسناده، والعجب من البخاري حدث عن ثابت بن محمد الزاهد في صحيحه! وذكره في كتاب "الضعفاء". وقال فيه أبو حاتم: صدوق.

---

١ ترجمته في أخبار أصبهان "٢/ ٢٤"، والعبر "٣/ ١١٧".." (١)

---

(١) سير أعلام النبلاء ط الحديث الذهبي، شمس الدين ٧١/١٣

"وسمعت أبا المكارم بأبهر وكان من أفراد الزمان يقول: لما توفي أبو العلاء اجتمع على قبره ثمانون شاعرا وختم في أسبوع واحد مائتا ختمة. إلى أن قال السلفي: وفي الجملة فكان من أهل الفضل الوافر والأدب الباهر والمعرفة بالنسب وأيام العرب قرأ القرآن بروايات وسمع: الحديث على ثقات وله في التوحيد وإثبات النبوات وما يحض على الزهد وإحياء طرق الفتوة والمروءة شعر كثير والمشكل منه فله على زعمه تفسير.

قال غرس النعمة: حدثنا، الوزير أبو نصر بن جهير حدثنا، المنازي الشاعر قال: اجتمعت بأبي العلاء فقلت: ما هذا الذي يروى عنك؟ قال: حسدوني وكذبوا علي. فقلت: على ماذا حسدوك وقد تركت لهم الدنيا والآخرة؟ فقال: والآخرة ؟! قلت: إي والله.

ثم قال غرس النعمة: وأذكر عند ورود الخبر بموته وقد تذاكرنا إلحاده ومعنا غلام يعرف بأبي غالب بن نبهان من أهل الخير والفقه فلما كان من الغد حكى لنا قال: رأيت البارحة شيخا ضريرا على عاتقه أفعيان متدليان إلى فخذيه وكل منهما يرفع فمه إلى وجهه فيقطع منه لحما ويزدرده وهو يستغيث فهالني وقلت: من هذا؟ فقيل لي: هذا أبو العلاء المعري الملحد.

ولأبي العلاء.

لا تجلسن حرة موفقة ... مع ابن زوج لها ولا ختن

فذاك خير لها وأسلم لل ... إنسان إن الفتى من الفتن

أنشدنا أبو الحسين الحافظ ببعلبك أنشدنا جعفر بن علي أنشدنا السلفي أنشدنا أبو المكارم عبد الوارث بن محمد الأسدي أنشدنا أبو العلاء بن سليمان لنفسه:

رغبت إلى الدنيا زمانا فلم تجد ... بغير عناء والحياة بلاغ

وألقى ابنه اليأس الكريم وبنته ... لدي فعندي راحة وفراغ

وزاد فساد الناس في كل بلدة ... أحاديث مين١ تفترى وتصاغ

ومن شر ما أسرجت في الصبح والدجى ... كميت لها٢ بالشاربين مراغ

---

١ المين: الكذب.

٢ الكميت: من أسماء الخمر، لما فيها من سواد وحمرة، وفي المحكم: الكميت الخمر التي فيها سواد وحمرة.." [1]

"الأبله، القزاز:

٥٢٤٢- الأبله ١:

شاعر العراق، أبو عبد الله محمد بن بختيار الجوهري، عرف بالأبله لغفلة فيه.

مدح الخلفاء والوزراء.

روى عنه: علي بن نصر الأديب، وأبو الحسن القطيعي المؤرخ.

---

(١) سير أعلام النبلاء ط الحديث الذهبي، شمس الدين ٢٩٦/١٣

وكان شابا ظريفا، متهجدا، رائق النظم، و"ديوانه" مشهور.

مات في جمادى الآخرة سنة تسع وسبعين وخمس مائة، لم يبلغ الستين.

٥٢٤٣- القزاز ٢:

الشيخ الصالح المعمر، مسند بغداد، أبو السعادات نصر الله، ابن الشيخ المسند أبي منصور عبد الرحمن، ابن المسند أبي غالب محمد بن عبد الواحد الشيباني البغدادي القزاز، ابن زريق الحريمي.

سمع جده، وأبا سعد بن خشيش، وأبا القاسم الربعي، وأبا الحسين ابن الطيوري، وعلي بن محمد ابن العلاف، وابن بيان، وابن نبهان، وشجاعا الذهلي، وأبا العز محمد بن المختار، وعدة. وانتهى إليه علو الإسناد.

حدث عنه: أبو سعد السمعاني، وابن الأخضر، والعز محمد ابن الحافظ، والبهاء عبد الرحمن، والتقي ابن باسويه، وأبو عبد الله ابن الدبيثي، والجمال أبو حمزة المقدسي، وسالم بن صصرى، وفضل الله ابن الجيلي، ومحمد بن علي ابن السباك، ومحمد بن أبي الفتوح ابن الحصري، وعبد الله بن عمر البندنيجي، وخلق. وتفرد بإجازته ابن عبد الدائم.

قال الدبيثي: أراني مولده بخط جده في جمادى الآخرة سنة إحدى وتسعين وأربع مائة، وتوفي في تاسع عشر ربيع الآخر سنة ثلاث وثمانين وخمس مائة.

وفيها مات: عبد الجبار بن يوسف شيخ الفتوة، والمحدث عبد المغيث بن زهير، وقاضي القضاة علي بن أحمد ابن الدامغاني، ومحمد بن يحيى أبو الفتح البرداني، وكبير الأمراء شمس الدين محمد ابن المقدم قتل بعرفة، وشيخ المالكية أبو القاسم مخلوف بن جارة الإسكندراني، وشيخ الحنابلة ناصح الدين أبو الفتح ابن المني، والصدر مجد الدين هبة الله ابن علي ابن الصاحب.

---

١ ترجمته في وفيات الأعيان لابن خلكان "٤/ ترجمة ٦٧٩"، وشذرات الذهب لابن العماد "٤/ ٢٦٦".

٢ ترجمته في النجوم الزاهرة "٦/ ١٠٦"، وشذرات الذهب لابن العماد "٤/ ٢٧٦".." (١)

"لفظا في مخاطبة. إلى أن قال: فإلى من بعده الوفادة؟ وممن الإفادة؟ وفيمن السيادة؟ ولمن السعادة؟

وقال ابن خلكان: وزر للسلطان صلاح الدين بن أيوب، فقال هبة الله بن سناء الملك قصيدة منها:

قال الزمان لغيره لو رامها ... تربت يمينك لست من أربابها

اذهب طريقك لست من أربابها ... وارجع وراءك لست من أترابها

وبعز سيدنا وسيد غيرنا ... ذلت من الأيام شمس صعابها

وأتت سعادته إلى أبوابه ... لا كالذي يسعى إلى أبوابها

فلتفخر الدنيا بسائس ملكها ... منه ودارس علمها وكتابها

صوامها قوامها علامها ... عمالها بذالها وهابها

وبلغنا أن كتبه التي ملكها بلغت مائة ألف مجلد، وكان يحصلها من سائر البلاد.

---

(١) سير أعلام النبلاء ط الحديث الذهبي، شمس الدين ١٥/٣٣٥

حكى القاضي ضياء الدين ابن الشهرزوري أن القاضي الفاضل لما سمع أن العادل أخذ مصر، دعا بالموت خشية أن يستدعيه وزيره ابن شكر، أو يهينه، فأصبح ميتا، وكان ذا تهجد ومعاملة.

وللعماد في "الخريدة": وقبل شروعي في أعيان مصر أقدم ذكر من جميع أفاضل العصر كالقطرة في بحره المولى القاضي الفاضل. إلى أن قال: فهو كالشريعة المحمدية نسخت الشرائع، يخترع الأفكار، ويفترع الأبكار، هو ضابط الملك بآرائه، ورابط السلك بآلائه، إن شاء، أنشأ في يوم ما لو دون، لكان لأهل الصناعة خير بضاعة، أين قس من فصاحته، وقيس في حصافته، ومن حاتم وعمرو في سماحته وحماسته، لا من في فعله، ولا مين في قوله، ذو الوفاء والمروءة والصفاء **والفتوة**، وهو من الأولياء الذين خصوا بالكرامة، لا يفتر مع ما يتولاه من نوافل صلاته ونوافل صلاته، يتلو كل يوم.. إلى أن قال: وأنا أوثر أن أفرد لنظمه ونثره كتابا.

قيل: كان القاضي أحدب، فحدثني شيخنا أبو إسحاق الفاضلي أن القاضي الفاضل ذهب في الرسلية إلى صاحب الموصل، فأحضرت فواكه، فقال بعض الكبار منكتا: خياركم أحدب، يوري بذلك، فقال الفاضل: خسنا خير من خياركم.." (١)

"٥٤٤٣- الشيخ أبو عمر ١:

الإمام العالم الفقيه المقرئ المحدث البركة شيخ الإسلام أبو عمر محمد بن أحمد بن محمد بن مقدام بن نصر المقدسي الجماعيلي الحنبلي الزاهد، واقف المدرسة.

مولده في سنة ثمان وعشرين وخمس مائة بقرية جماعيل من عمل نابلس، وتحول إلى دمشق هو وأبوه وأخوه وقرابته مهاجرين إلى الله، وتركوا المال والوطن لاستيلاء الفرنج، وسكنوا مدة بمسجد أبي صالح بظاهر باب شرقي ثلاث سنين، ثم صعدوا إلى سفح قاسيون، وبنوا الدير المبارك والمسجد العتيق، وسكنوا ثم، وعرفوا بالصالحية نسبة إلى ذاك المسجد.

سمع: أباه، وأبا المكارم بن هلال، وسلمان بن علي الرحبي، وأبا الفهم بن أبي العجائز، وعدة، وبمصر: ابن بري، وإسماعيل الزيات، وكتب وقرأ، وحصل وتقدم، وكان من العلماء العاملين، ومن الأولياء المتقين.

حدث عنه: أخوه؛ الشيخ موفق الدين، وابناه؛ عبد الله وعبد الرحمن، والضياء، وابن خليل، والزكي المنذري، والقوصي، وابن عبد الدائم، والفخر علي، وطائفة.

وقد جمع له الحافظ الضياء "سيرة" في جزءين، فشفى وكفى، وقال: كان لا يسمع دعاء إلا ويحفظه في الغالب، ويدعو به، ولا حديثا إلا وعمل به، ولا صلاة إلا صلاها، كان يصلي بالناس في النصف مائة ركعة وهو مسن، ولا يترك قيام الليل من وقت شبوبيته. وإذا رافق ناسا في السفر ناموا وحرسهم يصلي.

قلت: كان قدوة، صالحا، عابدا، قانتا لله، ربانيا، خاشعا، مخلصا، عديم النظر، كبير القدر، كثير الأوراد والذكر، والمروءة **والفتوة** والصفات الحميدة، قل أن ترى العيون

---

(١) سير أعلام النبلاء ط الحديث الذهبي، شمس الدين ١٥/٤٤٣

١ ترجمته في النجوم الزاهرة "٦/ ٢٠١، ٢٠٢"، وشذرات الذهب لابن العماد "٥/ ٢٧-٣٠".." [١]

"وأجاز له أبو الحسين اليوسفي، وعلي بن عساكر البطائحي، وشهدة الكاتبة، وطائفة.

وقد أجاز لجماعة من الأئمة والكبراء، فكانوا يحدثون عنه في أيامه، ويتنافسون في ذلك، ويتفاخرون بالوهم.

ولم يل الخلافة أحد أطول دولة منه، لكم صاحب مصر المستنصر العبيدي ولي ستين سنة، وكذا ولي الأندلس الناصر المرواني خمسين سنة.

كان أبوه المستضيء قد تخوف منه، فحبسه، ومال إلى أخيه أبي منصور، وكان ابن العطار وكبراء الدولة ميلهم إلى أبي منصور، وكانت حظية المستضيء بنفشا والمجد ابن الصاحب وطائفة مع أبي العباس، فلما بويع قبض على ابن العطار، وأهلك فسحب في الشوارع ميتا، وطغى ابن الصاحب إلى أن قتل.

قال الموفق عبد اللطيف: كان الناصر شابا مرحا عنده ميعة الشباب، يشق الدروب والأسواق أكثر الليل، والناس يتهيبون لقياه، وظهر الرفض بسبب ابن الصاحب ثم انطفأ بهلاكه وظهر التسنن، ثم زال، وظهرت **الفتوة** والبندق والحمام الهادي، وتفنن الناس في ذلك، ودخل في الأجلاء ثم الملوك، فألبس العادل وأولاده سراويل **الفتوة**، وشهاب الدين الغوري صاحب غزنة والهند والأتابك سعد صاحب شيراز، وتخوف الديوان من السلطان طغريل، وجرت معه حروب وخطوب، ثم استدعوا خوارزمشاه تكش لحربه، فالتقاه على الري، واحتز رأسه، ونفذه إلى بغداد، ثم تقدم تكش نحو بغداد يطلب رسوم السلطنة، فتحركت عليه أمة الخطا، فرد إلى خوارزم ومات. وقد خطب الناصر بولاية العهد لولده الأكبر أبي نصر، ثم ضيق عليه لما استشعر منه وعين أخاه، وأخذ خط باعتراف أبي نصر بالعجز، أفسد ما بينهما النصير بن مهدي الوزير، وأفسد قلوب الرعية والجند على الناصر وبغضه إلى الملوك، وزاد الفساد، ثم قبض على الوزير، وتمكن بخراسان خوارزمشاه محمد بن تكش وتجبر واستعبد الملوك وأباد الأمم من الترك والخطا، وظلم وعسف، وقطع خطبة الناصر من بلاده، ونال منه، وقصد بغداد، ووصل بوادره إلى حلوان فأهلكهم ببلخ، دام عشرين يوما واتعظوا بذلك، وجمع الناصر الجيش، وأنفق الأموال، واستعد، فجاءت الأخبار أن الترك قد حشدوا، وطمعوا في البلاد، فكر إليهم وقصدهم فقصدوه وكثروه إلى أن مزقوه، وبلبلوا لبه وشتتوا شمله، وملكوا الأقطار، وصار أين توجه وجد سيوفهم متحكمة فيه، وتقاذفت به البلاد، فشرق وغرب، وأنجد وأسهل، وأصحر وأجبل، والرعب قد زلزل لبه، فعند ذلك قضى نحبه.." [٢]

"قال الموفق عبد اللطيف: أما مرض موته فسهو ونسيان؛ بقي به ستة أشهر ولم يشعر أحد من الرعية بكنه حاله حتى خفي على الوزير وأهل الدار، وكان له جارية قد علمها الخط بنفسه، فكانت تكتب مثل خطه، فكانت تكتب على التواقيع بمشهورة القهرمانة، وفي أثناء ذلك نزل جلال الدين محمد بن تكش خوارزمشاه على ضواحي بغداد هاربا منفضا من الرجال والمال والدواب، فأفسد بما وصلت يده إليه، فكانوا يدارونه ولا يمضون فيه أمرا لغيبة رأي الناصر، ثم نهب دقوقا،

---

(١) سير أعلام النبلاء ط الحديث الذهبي، شمس الدين ٥٨/١٦

(٢) سير أعلام النبلاء ط الحديث الذهبي، شمس الدين ١٦٥/١٦

وراح إلى أذربيجان.

نقل العدل شمس الدين الجزري في "تاريخه"، عن أبيه قال: سمعت المؤيد ابن العلقمي الوزير لما كان على الأستاذ دراية يقول: إن الماء الذي يشربه الإمام الناصر كان تجيء به الدواب من فوق بغداد بسبعة فراسخ ويغلى سبع غلوات ثم يحبس في الأوعية أسبوعا ثم يشرب منه، وما مات حتى سقي المرقد ثلاث مرار وشق ذكره، وأخرج منه الحصى.

وقال ابن الأثير: بقي الناصر ثلاث سنين عاطلا عن الحركة بالكلية، وقد ذهبت إحدى عينيه، وفي الآخر أصابه دوسنطاريا عشرين يوما ومات، وما أطلق في مرضه شيئا مما كان أحدثه من الرسوم.

قال: وكان سيئ السيرة، خرب العراق في أيامه، وتفرق أهله في البلاد، وأخذ أموالهم وأملاكهم. إلى أن قال: وجعل همه في رمي البندق والطيور المناسيب وسراويلات **الفتوة**.

ونقل الظهير الكازروني فيما أجاز لنا: إن الناصر في وسط خلافته هم بترك الخلافة وبالانقطاع إلى التعبد، وكتب عنه ابن الضحاك توقيعا قرئ على الأعيان، وبنى رباطا للفقراء، واتخذ إلى جانب الرباط دارا لنفسه كان يتردد إليها ويحادث الصوفية، وعمل له ثيابا كبيرة بزي القوم.

قلت: ثم نبذ هذا ومل.

ومن الحوادث في دولته قدوم أسرى الفرنج إلى بغداد وقد هزمهم صلاح الدين نوبة مرج العيون، ومن التحف ضلع حوت طوله عشرة أذرع في عرض ذراع، وجواهر مثمنة. وقيل: بل كان ذلك في آخر دولة المستضيء.

وأهلك وزير العراق ظهير الدين ابن العطار فعرفت الغوغاء بجنازته فرجموه، فهرب الحمالون فأخرج من تابوته، وسحب، فتعرى من الأكفان، وطافوا به، نسأل الله الستر، وكان جبارا عنيدا.." (١)

"أنبأني عز الدين ابن البزوري في "تاريخه"، قال: حكى التيمي، قال: كنت بحضرة ابن العطار، وقد ورد عليه شيخ فوعظه بكلام لطيف ونهاه، فقال: أخرجوه الكلب سحبا، وكرر ذلك، وقيل: هو الذي دس الباطنية على الوزير عضد الدين ابن رئيس الرؤساء حتى قتلوه، وبقي الناصر يركب ويتصيد.

وفي سنة ٧٨: نازل السلطان الموصل محاصرا، فبعث إليه الخليفة يلومه.

وفيها افتتح صاحب الروم مدينة للنصارى، وافتتح صلاح الدين حران وسروج ونصيبين والرقة والبيرة.

وفيها تفتى الناصر إلى عبد الجبار شرف **الفتوة**، وكان شجاعا مشهورا تخافه الرجال، ثم تعبد واشتهر، فطلبه الناصر، وتفتى إليه، وجعل المعول في شرع **الفتوة** عليه، وبقي الناصر يلبس سراويل **الفتوة** لسلاطين البلاد.

وفي سنة تسع وسبعين: ورد كتاب السلطان من إنشاء الفاضل فيه: "وكان الفرنج قد ركبوا من الأمر نكرا، وافتضوا من البحر بكرا، وشحنوا مراكب، وضربوا بها سواحل الحجاز، وظن أنها الساعة، وانتظر المسلمون غضب الله لبيته ومقام خليله وضريح نبيه، فعمر الأخ سيف الدين مراكب"، إلى أن قال: فوقع عليها أصحابنا فأخذت المراكب بأسرها، وفر فرنجها، فسلكوا في الجبال مهاوي المهالك، ومعاطن المعاطب، وركب أصحابنا وراءهم خيل العرب يقتلون ويأسرون حتى لم يتركوا

(١) سير أعلام النبلاء ط الحديث الذهبي، شمس الدين ١٦/١٦٩

مخبرا، ﴿وسيق الذين كفروا إلى جهنم زمرا﴾ [الزمر: ١١] .
وفيها تسلم صلاح الدين حلب.
وفيها: تمكن شهاب الدين الغوري، وامتد سلطانه إلى لهاور، وحاصر بها خسروشاه من ولد محمود بن سبكتكين، فنزل إليه، فأكرمه، ثم غدر به.
وبعث صلاح الدين تقدمة إلى الديوان منها شمسة يعني الجتر من ريش الطواويس عليها ألقاب المستنصر العبيدي. ثم نازل صلاح الدين الكرك حتى كاد أن يفتحها، ثم بلغه تحزب الفرنج عليه فتركها، وقصدهم، فعرجوا عنه فأتى دمشق، ووهب أخاه العادل حلب، ثم بعث بعده على نيابة مصر ابن أخيه الملك المظفر عم صاحب حماة.
وفي سنة ثمانين: جعل الخليفة مشهد والجواد أمنا لمن لاذ به، فحصل بذلك بلاء ومفاسد.." (١)

"عين، ثم حاصروا الأمجد ببعلبك، ورموها بالمجانيق، وأخذت، فتحول الأمجد إلى داره بدمشق.
ونازل خوارزم شاه خلاط بأوباشه وبدع وأخذ حينة وقتل أهلها ثم أخذ خلاط.
وفي سنة ٦٢٧: هزم الأشرف وصاحب الروم جلال الدين خوارزم شاه، وتمزق جمعه، واسترد الأشرف خلاط.
وقدم رسول محمد بن هود الأندلس بأنه تملك أكثر المغرب وخطب بها للمستنصر، فكتب له تقليد بسلطنة تلك الديار، ونفذت إليه الخلع واللواء.
وبعث خوارزم شاه يطلب من الخليفة لباس **الفتوة** فأجيب.
وقد أخذت العرب من مخيم خوارزم شاه يوم كسرته باطية١ من ذهب وزنها ربع قنطار، والعجب أن هذه الملحمة ما قتل فيها من عسكر الشام سوى واحد جرح، لكن قتل من الروميين ألوف، وأما الخوارزمية فاستحر بهم القتل وزالت هيبتهم من القلوب، وولت سعادتهم، والوقعة في رمضان.
وفي سنة ٦٢٨: فيها خرج على ابن عبد المؤمن ابن عم له وظفر بالملك، وقتله، وقتل من البربر خلائق.
وفي رجب بلغنا كسرة التتار لخوارزم شاه وتفرق جمعه وذاق الذل؛ وذاك أن خوارزم شاه لما انهزم في العام الماضي، بعثت الإسماعيلية تعرف التتار ضعفه، فسارعت طائفة تقصده بتوريز فلم يقدم على الملتقى، وأخذوا مراغة وعاثوا، وتقهقر هو إلى آمد فكبسته التتار، وتفرق جمعه في كل جهة، وطمع فيهم الفلاحون والكرد، وأخذت التتار إسعرد بالأمان، ثم غدروا كعوائدهم، ثم طنزة٢ وبلاد نصيبين.
وفيها: سجن الأشرف بعزتا عليا الحريري، وأفتى جماعة بقتله.
وأسست دار الحديث الأشرفية بدمشق.
وفيها ظفر بالتاج الكحال، وقد قتل جماعة ختلا في بيته، ففاح الدرب، فسمروه.

---

١ الباطية: إناء من الزجاج عظيمة تملأ من الشراب وتوضع بين الشرب يغرفون منها ويشربون، إذا وضع فيها القدح سحت

---

(١) سير أعلام النبلاء ط الحديث الذهبي، شمس الدين ١٧٠/١٦

به ورقصت من عظمها وكثرة ما فيها من الشراب، وهي معربة.

٢ طنزة: بلدة بجزيرة ابن عمر، من ديار بكر قاله ياقوت في "معجم البلدان".." [١]

"الجزء/ الصفحة/ رقم الترجمة/ اسم الترجمة

١٦/ ٢٠٨/ - عبد الجبار الحرستاني.

٩/ ١٣٨/ - عبد الجبار بن عاصم النسائي، أبو طالب البغدادي.

١٢/ ٢٢٣/ ٣٣٠٨ عبد الجبار بن عبد الصمد بن إسماعيل، أبو هاشم السلمي الدمشقي المؤدب.

١٤/ ٤٥٠/ ٤٨٢٠ عبد الجبار بن عبد الوهاب بن عبد الله، أبو الحسن النيسابوري البيع الدهان.

٩/ ٣٣٠/ ١٨٨٥ عبد الجبار بن العلاء بن عبد الجبار، أبو بكر البصري.

١٣/ ٣٣٩/ ٤١٤٨ عبد الجبار بن علي بن محمد بن حسان، أبو القاسم الإسفراييني الإسكاف.

١٤/ ٤٦٤/ ٤٨٤٢ عبد الجبار بن محمد بن أحمد، أبو محمد الخواري البيهقي.

١٣/ ٤٩/ ٣٧٧٩ عبد الجبار بن محمد بن عبد الله بن محمد، أبو محمد الجراحي المرزباني المروزي.

١٥/ ٢٦٠/ - عبد الجبار بن يحيى بن الأعرابي.

١٥/ ٣٣٥/ - عبد الجبار بن يوسف شيخ الفتوة.

١٦/ ٦٧/ ٥٤٥٨ عبد الجليل بن أبي غالب بن أبي المعالي بن مندويه، أبو مسعود الأصبهاني السريجاني.

١٦/ ٤٢٤/ - عبد الجليل بن محمد الطحاوي.

١٥/ ١٨٦/ ٥٠٨٨ عبد الجليل بن منصور بن إسماعيل بن أبي سعد بن أبي بشر، أبو محمد الهروي الفامي.

١٦/ ٩/ ٥٣٩١ عبد الجليل بن موسى بن عبد الجليل، أبو محمد الأنصاري الأندلسي القصري.

و١٦/ و٦٢/ و٥٤٤٧

١٤/ ٤٠١/ ٤٧٦٠ عبد الحق بن أبي بكر غالب بن عبد الرحمن بن غالب بن عطية، أبو محمد المحاربي الغرناطي.." [٢]

"وهذا أيضا لا أصل له ولا عرف أنه رآه

وفي إسناد الخرقة أيضا أن داود الطائي صحب حبيبا العجمي وهذا أيضا لم يعرف له حقيقة

وفيها أن حبيبا العجمي صحب الحسن البصري وهذا صحيح فإن الحسن كان له أصحاب كثيرون مثل أيوب السختياني ويونس بن عبيد وعبد الله بن عوف ومثل محمد بن واسع ومالك بن دينار وحبيب العجمي وفرقد السبخي وغيرهم من عباد البصرة

وفيها أن الحسن صحب عليا وهذا باطل ما جالسه قط وما روى أن عليا دخل البصرة فأخرج القصاص من جامعها إلا الحسن كذب بين بل ما طلب الحسن العلم إلا بعد وفاة علي مع أنه رأي عثمان يخطب

---

(١) سير أعلام النبلاء ط الحديث الذهبي، شمس الدين ٣٧٢/١٦

(٢) سير أعلام النبلاء ط الحديث الذهبي، شمس الدين ٤٢٠/١٧

وقد أفرد ابن الجوزي تأليفا في مناقبه

وأوهى من هذا نسبة لباس **الفتوة** إلى علي بإسناد مظلم يعلم بطلانه

ولهم إسناد آخر بالخرقة إلى جابر منقطع ساقط

وقد علمنا قطعا أن الصحابة لم يكونوا يلبسون مريدهم خرقة ولا يقصون شعروهم ولا فعله التابعون بل جالسوا الصحابة وتأدبوا بآدابهم كل طائفة أخذوا عمن في بلدهم من الصحابة فأخذ أهل المدينة عن عمر وأبي وزيد وأبي هريرة

ولما ذهب علي إلى الكوفة كان أهلها قد تخرجوا في دينهم بإبن مسعود وسعد وعمار وحذيفة وأخذ أهل البصرة عن عمران ابن حصين وأبي موسى وأبي بكرة وابن مغفل وخلق وأخذ أهل الشام دينهم عن معاذ وأبي عبيدة وأبي الدرداء وعبادة بن الصامت وبلال

فكيف تقول إن طريق أهل الزهد والتصوف متصل به دون غيره وكتب الزهد كثيرة جدا مثل الزهد للإمام أحمد والزهد لإبن المبارك ولوكيع بن الجراح ولهناد بن السري

ومثل كتب أخبار الزهاد كحلية الأولياء وصفة الصفوة فيها خبر كثير عن المهاجرين والأنصار وتابعيهم بإحسان وليس الذي فيها لعلي أكثر مما فيها لأبي بكر وعمر ومعاذ وابن مسعود وأبي بن كعب وأبي ذر وأبي أمامة وأمثالهم من الصحابة رضي الله عنهم أجمعين." (١)

"المجاهدين قدوة الزاهدين أبو عبد الرحمن الحنظلي مولاهم المروزي التركي الأب الخوارزمي الام التاجر السفار صاحب التصانيف النافعة والرحلات الشاسعة: ولد سنة ثماني عشرة ومائة أو بعدها بعام وأفنى عمره في الأسفار حاجا ومجاهدا وتاجرا، سمع سليمان التيمي وعاصم الأحول وحميد الطويل والربيع بن أنس وهشام بن عروة والجريري وإسماعيل بن أبي خالد وخالد الحذاء وبريد بن عبد الله بن أبي بردة وأمما سواهم حتى كتب عمن هو أصغر منه دون العلم في الأبواب والفقه وفي الغزو والزهد والرقائق وغير ذلك.

حدث عنه خلق لا يحصون من أهل الأقاليم فإنه من صباه ما فتر عن السفر. منهم عبد الرحمن بن مهدى ويحيى بن معين وحبان بن موسى وأبو بكر بن أبي شيبة وأخو عثمان وأحمد بن منيع وأحمد بن جميل المروزي والحسن بن عيسى بن ماسرجس والحسين بن الحسن المروزي والحسن بن عرفة. ووقع لي حديثه من غير وجه عاليا. وبالإجازة بيني وبينه ستة أنفس والله إني لأحبه في الله وأرجوا الخير بحبه لما أمنحه الله من التقوى والعبادة والإخلاص والجهاد وسعة العلم والإتقان والمواساة **والفتوة** والصفات الحميدة.

قال ابن مهدى: الأئمة أربعة: مالك والثوري وحماد بن زيد وابن المبارك وقد فضله ابن مهدى أيضا على الثوري وقال مرة حدثنا ابن المبارك وكان نسيج وحده. قال أحمد بن حنبل لم يكن في زمان ابن المبارك أطلب للعلم منه وعن شعيب بن حرب قال ما لقي ابن المبارك مثل نفسه. وقال شعبة: ما قدم علينا مثل ابن المبارك. وقال أبو إسحاق الفزاري: ابن المبارك إمام المسلمين. وقال ابن معين: كان ثقة متثبتا وكانت كتبه التي حدث بها نحوا من عشرين ألف حديث. قال يحيى بن آدم:

---

(١) المنتقى من منهاج الاعتدال الذهبي، شمس الدين ص/٥٠٦

كنت إذا طلبت الدقيق من المسائل فلم أجده في كتب ابن المبارك أيست منه.
وعن إسماعيل بن عياش قال: ما على وجه الأرض مثل ابن المبارك قال عباس بن مصعب: جمع ابن المبارك الحديث والفقه والعربية وأيام الناس والشجاعة والسخاء ومحبة الفرق له. قال أبو أسامة ما رأيت رجلا أطلب للعلم في الآفاق من ابن المبارك. وقال شعيب بن حرب: لو جهدت جهدي أن أكون في السنة ثلاثة أيام على ما عليه ابن المبارك لم أقدر. وقال أبو أسامة: هو أمير المؤمنين في الحديث. قال الحسن بن عيسى بن ماسرجس: اجتمع جماعة من أصحاب ابن المبارك فقالوا: عدو خصال ابن المبارك فقالوا: جمع العلم والفقه والأدب والنحو واللغة والزهد والشجاعة والشعر والفصاحة وقيام الليل والعبادة والحج والغزو والفروسية وترك الكلام فيما لا يعنيه والإنصاف وقلة الخلاف على أصحابه.." (١)

"صاروا أنجم الدنيا مثل أبي علي الثقفي وأبي بكر بن إسحاق الصبغي خليفة ابن خزيمة في الفتوى وأحسن الجماعة تصنيفا وسياسة في مجالس السلاطين، وأبي بكر بن أبي عثمان وهو آدابهم وأكثرهم جمعا للعلوم، وأبي محمد يحيى بن منصور وكان من أكابر البيوتات وأعرفهم بمذهب ابن خزيمة وأصلحهم للقضاء، فلما ورد منصور الطوسي كان يختلف إلى ابن خزيمة للسماع وهو معتزلي وعاين ما عاين من الأربعة الذين سميناهم حسدهم واجتمع مع أبي عبد الرحمن الواعظ فقالا: هذا إمام لا يسرع في الكلام وينهى عنه وقد نبغ له أصحاب يخالفونه وهو لا يدري، فإنهم على مذهب الكلابية؛ فاستحكم طمعهما في إيقاع الوحشة بينهم.

قال الحاكم سمعت أبا بكر أحمد بن إسحاق يقول: كان من قضاء الله أن الحاكم أبا سعيد لما توفي أظهر ابن خزيمة الشماتة بوفاته هو وجماعة من أصحابه جهلا منهم فسألوه أن يعمل ضيافة وكانت لابن خزيمة بساتين نزهة فأكرهت أنا من بين الجماعة على الخروج في الجملة إليها. وقال: وحدثني أبو أحمد الحسين بن علي أن الضيافة كانت في جمادى الأولى سنة تسع وكانت لم يعهد مثلها، عملها من ابن خزيمة فأحضر جملة من الأغنام والحملان وأعدال السكر والفرش والآلات والطباخين ثم تقدم إلى جماعة من المحدثين من الشبان والشيوخ فاجتمعوا بجنزرود وركبوا منها وتقدمهم أبو بكر بن خزيمة يخرق الأسواق سوقا سوقا يسألهم أن يجيبوه ويقول: سألت من يرجع إلى **الفتوة** والمحبة لي أن يلزم جماعتنا اليوم فكانوا يجيئون فوجا فوجا حتى لم يبق كبير أحد في البلد والطباخون يطبخون وجماعة من الخبازين يخبزون حتى حمل جميع ما وجدوا أيضا في البلد من الخبز والشواء على البغال والجمال والحمير، والإمام قائم يجري أمر الضيافة على أحسن ما يكون حتى شهد من حضر أنه لم يشهد مثلها. فحدثني أبو بكر أحمد بن يحيى المتكلم قال: لما انصرفنا من الضيافة اجتمعنا ليلة عند بعض أهل العلم وجرى ذكر كلام الله أقديم لم يزل أو يثبت عند إخباره تعالى إلى البغال والجمال والحمير، فأتى الطوسي في جماعة إلى ابن خزيمة وأخبروه بذلك حتى قال منصور: ألم أقل للشيخ إن هؤلاء يعتقدون مذهب الكلابية؟ وهذا مذهبهم. فجمع ابن خزيمة أصحابه وقال: ألم أنهكم غير مرة عن الخوض في الكلام؟ ولم يزدهم على هذا ذلك اليوم.
وحدثني عبد الله بن إسحاق الأنماطي المتكلم قال: لم يزل الطوسي بأبي بكر حتى." (٢)

---

(١) تذكرة الحفاظ = طبقات الحفاظ للذهبي الذهبي، شمس الدين ٢٠٢/١
(٢) تذكرة الحفاظ = طبقات الحفاظ للذهبي الذهبي، شمس الدين ٢١٠/٢

"وقد أخبرنا النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن صاحب الشملة التي غلها من المغنم انها تشتعل نارا في قبره هذا وله فيها حق فكيف بمن ظلم غيره ما لا حق له فيه فعذاب القبر عن معاصي القلب والعين والاذن والفم واللسان والبطن والفرج واليد والرجل والبدن كله فالنمام والكذاب والمغتاب وشاهد الزور وقاذف المحصن والموضع في الفتنة والداعي إلى البدعة والقائل على الله ورسوله مالا علم له به والمجازف في كلامه وآكل الربا آكل أموال اليتامى وآكل السحت من الرشوة والبرطيل ونحوهما وآكل مال أخيه المسلم بغير حق أو مال المعاهد وشارب المسكر وآكل لقمة الشجرة الملعونة والزاني واللوطي والسارق والخائن والغادر والمخادع والماكر وآخذ الربا ومعطيه وكاتبه وشاهداه والمحلل والمحلل له والمحتال على إسقاط فرائض الله وارتكاب محارمه ومؤذي المسلمين ومتتبع عوراتهم والحاكم بغير ما أنزل الله والمفتي بغير ما شرعه الله والمعين على الاثم والعدوان وقاتل النفس التي حرم الله والملحد في حرم الله والمعطل لحقائق أسماء الله وصفاته الملحد فيها والمقدم رأيه وذوقه وسياسته على سنة رسول والنائحة والمستمع إليها ونواحوا جهنم وهم المغنون الغناء الذى حرمه الله ورسوله والمستمع إليهم والذين يبنون المساجد على القبور ويوقدون عليها القناديل والسرج والمطففون في استيفاء ما لهم إذا أخذوه وهضم ما عليهم إذا بذلوه والجبارون والمتكبرون والمراؤون والهمازون واللمازون والطاعنون على السلف والذين يأتون الكهنة والمنجمين والعرافين فيسألونهم ويصدقونهم وأعوان الظلمة الذين قد باعوا آخرتهم بدنيا غيرهم والذى إذا خوفته بالله وذكرته به لم يرعو ولم ينزجر فاذا خوفته بمخلوق مثله خاف وارعوى وكف عما هو فيه والذى يهدى بكلام الله ورسوله فلا يهتدى ولا يرفع به رأسا فاذا بلغه عمن يحسن به الظن ممن يصيب ويخطىء عض عليه بالنواجذ ولم يخالفه والذى يقرأ عليه القرآن فلا يؤثر فيه وربما استثقل به فاذا سمع قرآن الشيطان ورقية الزنا ومادة النفاق طاب سره وتواجد وهاج من قلبه دواعى الطرب وود أن المغنى لا يسكت والذى يحلف بالله ويكذب فاذا حلف بالبندق أو برئ من شيخه أو قريبه أو سراويل الفتوة أو حياة من يحبه ويعظمه من المخلوقين لم يكذب ولو هدد وعوقب والذى يفتخر بالمعصية ويتكثر بها بين اخوانه وأضرابه وهو المجاهر والذى لا تأمنه على مالك وحرمتك والفاحش اللسان البذىء الذى تركه الخلق اتقاء شره وفحشه والذى يؤخر الصلاة إلى آخر وقتها وينقرها ولا يذكر الله فيها إلا قليلا ولا يؤدى زكاة ماله طيبة بها نفسه ولا يحج مع قدرته على الحج ولا يؤدى ما عليه من الحقوق مع قدرته عليها ولا يتورع من لحظة ولا لفظة ولا أكلة ولا." (١)

"قوله تعالى: ﴿يابني إسرائيل﴾ . . «بني» منادى وعلامة نصبه الياء لأنه جمع مذكر سالم وحذفت نونه للإضافة، وهو شبيه بجمع التكسير لتغير مفرده، ولذلك عامله العرب ببعض معاملة التكسير فألحقوا في فعله المسند إليه تاء التأنيث نحو: قالت بنو فلان، وقال الشاعر:

٤٠٠ - قالت بنو عامر خالوا بني أسد ... يا بؤس للجهل ضرارا لأقوام

وأعربوه بالحركات أيضا إلحاقا [له] به، قال الشاعر:

٤٠١ - وكان لنا أبو حسن علي ... أبا برا ونحن له بنين

برفع النون، وهل لامه ياء لأنه مشتق من البناء لأن الابن من فرع الأب، ومبني عليه، أو واو لقولهم: البنوة كالأبوة والأخوة؟

---

(١) الروح ابن القيم ص/٧٨

قولان. الصحيح الأول، وأما البنوة فلا دلالة فيها لأنهم قد قالوا: الفتوة، ولا خلاف أنها من ذوات الياء، إلا أن الأخفش رجح الثاني بأن حذف الواو أكثر. واختلف في." (١)

"جعل نبات اللحية خبرا للفتيان، والمعنى: لعمرك ما الفتوة أن تنبت اللحى.

وقرأ نافع وابن عامر:» ولكن البر «هنا وفيما بعد بتخفيف لكن، وبرفع» البر «، والباقون بالتشديد ولنصب، وهما واضحتان مما تقدم في قوله: ﴿ولكن الشياطين كفروا﴾ [البقرة: ١٠٢] ، وقرىء:» ولكن البار «بالألف وهي تقوي أن» البر «بالكسر المراد به اسم الفاعل لا المصدر.

ووحد» الكتاب «لفظا والمراد به الجمع، وحسن ذلك كونه مصدرا في الأصل، أو أراد به الجنس، أو أراد به القرآن، فإن من آمن به فقد آمن بكل الكتب فإنه شاهد لها بالصحة.

قوله: ﴿على حبه﴾ في محل نصب على الحال، العامل في» آتى «، أي: آتى المال حال محبته له واختياره إياه. والحب مصدر حببت لغة في أحببت كما تقدم، ويجوز أن يكون مصدر الراعي على حذف الزوائد، ويجوز أن يكون اسم مصدر وهو الإحباب كقوله: ﴿أنبتكم من الأرض نباتا﴾ [نوح: ١٧] .

والضمير المضاف إليه هذا المصدر فيه أربعة أقوال. أظهرها: أنه يعود على المال لأنه أبلغ من غيره كما ستقف عليه. الثاني: أنه يعود على الإيتاء المفهوم من قوله:» آتى «أي: على حب الإيتاء، وهذا بعيد من حيث." (٢)

"والقسوسة مصدر القس والقسيس «قلت: كأنه جعل هذا المصدر مشتقا من هذا الاسم كالأبوة والأخوة والفتوة من لفظ أب وأخ وفتى، وكنت قد قدمت أن القس بالفتح في الاصل هو المصدر، وأن العالم سمي به مبالغة، ولا أدري ما حمل من قال: إنه معرب مع وجود معناه في لغة العرب كما عرفته مما تقدم؟

والرهبان: جمع راهب كراكب وركبان، وفارس وفرسان. وقال أبو الهيثم.» إن رهبانا يكون واحدا ويكون جمعا «وأنشد على كونه مفردا قول الشاعر:

١٧٩ - ٧- لو عاينت رهبان دير في القلل ... لأقبل الرهبان يعدوا ونزل

ولو كان جمعا لقال:» يعدون «و» نزلوا «بضمير الجمع. وهذا لا حجة فيه؛ لأنه قد عاد ضمير المفرد على الجمع الصريح لتأوله بواحد كقوله تعالى: ﴿وإن لكم في الأنعام لعبرة نسقيكم مما في بطونه﴾ [النحل: ٦٦] فالهاء في» بطونه «تعود على الأنعام، وقال:

١٧٩ - ٨- وطاب البان اللقاح وبرد ... في» برد «ضمير يعود على» ألبان «وقالوا:» هو أحسن الفتيان وأجمله «.

وقال الآخر:

١٧٩ - ٩-." (٣)

---

(١) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ٣٠٩/١

(٢) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ٢٤٧/٢

(٣) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ٣٩١/٤

"وكذلك أخواتها كالصبية والفتية. وعلى كل قول فتأنيثها غير حقيقي باعتبار الجماعة، ولذلك لم يلحق فعلها تاء التأنيث، والمشهور كسر نونها، ويجوز ضمها في لغة، ونقلها أبو البقاء قراءة ولم أحفظه، وإذا ضمت نونه كان اسم جمع بلا خلاف، ويكسر في الكثرة على نسوان، والنساء جمع كثرة أيضا ولا واحد له من لفظه، كذا قال الشيخ، ومقتضى ذلك أن لا يكون النساء جمعا لنسوة لقوله: «لا واحد له من لفظه» .

و «في المدينة» يجوز تعلقه بمحذوف صفة لنسوة وهو الظاهر، وب «قال» وليس بظاهر.

قوله: ﴿تراود﴾ خبر «امرأة العزيز» ، وجيء بالمضارع تنبيها على أن المراودة صارت سجية لها وديدنا، دون الماضي، فلم يقلن «راودت» . ولام «الفتى» ياء لقولهم الفتيان وفتي، وعلى هذا فقولهم **«الفتوة»** في المصدر شاذ.

قوله: ﴿قد شغفها﴾ هذه الجملة يجوز أن [تكون] خبرا ثانيا، وأن تكون مستأنفة، وأن تكون حالا: إما من فاعل «تراود» وإما من مفعوله. و «حبا» تمييز، وهو منقول من الفاعلية، والأصل: قد شغفها حبه. والعامة على «شغفها» بالغين المعجمة مفتوحة بمعنى خرق شغاف قلبها، وهو مأخوذ من الشغاف والشغاف: حجاب القلب جليدة رقيقة. وقيل: سويداء القلب. وقيل: داء يصل إلى القلب من أجل الحب وقيل: جليدة رقيقة يقال لها لسان القلب ليست محيطة به، ومعنى شغف قلبه، أي: خرق حجابه أو أصابه فأحرقه بحرارة الحب، وهو من شغف البعير بالهناء إذا طلاه بالقطران فأحرقه. والمشغوف: من وصل الحب لقلبه، قال الأعشى:." (١)

"خمسة أشياء تقبح في خمسة أصناف: الحدة في السلطان، وقلة الحياء في ذوي الأحساب، والبخل في ذوي الأموال، **والفتوة** في الشيوخ، والحرص في العلماء والقراء.

وفيهما أيضا من حديثه «يا نساء المؤمنات لا تحقرن جارة لجارتها ولو فرسن شاة» .

وللترمذي «تهادوا فإن الهدية تذهب وحر الصدر، ولا تحقرن جارة لجارتها ولو فرسن شاة» .

الفرسن العظم قليل اللحم وهو خف البعير أيضا كالحافر للدابة وقد يستعار للشاة وهو الظلف. ونونه زائدة وقيل أصلية، ووحر الصدر بالتحريك غشه ووسواسه. ولأحمد من حديث عمر: لا يشبع الرجل دون جاره. قال في المستوعب: وحسن الجوار مأمور به فإن للجار حقا وحرمة ثم ذكر كما ذكر الحسن وزاد في آخره ما لم يعص الله تعالى. وجاء رجل إلى أبي العباس أحمد بن يحيى بن ثعلب يشاوره في الانتقال عن محلة إلى أخرى لتأذي الجوار، فقال العرب تقول صبرك على أذى من تعرفه خير لك من استحداث من لا تعرفه وكان الشيخ تقي الدين يقول هذا المعنى أيضا.

وروى البيهقي في مناقب الإمام أحمد عن عثمان بن زائدة قال العافية عشرة أجزاء تسعة منها في التغافل. فحدثت به أحمد بن حنبل فقال العافية عشرة أجزاء كلها في التغافل.

وروى أحمد عن عبد الرزاق عن معمر عن قتادة قال ما كثرت النعم على قوم قط إلا كثر أعداؤها. وقد ذكرت خبر حذيفة عن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال «لا ينبغي للمؤمن أن يذل نفسه قالوا يا رسول الله وكيف يذل نفسه؟ قال يتعرض

---

(١) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ٦/٤٧٥

من البلاء ما لا يطيق» وقال بعضهم:

إن الهوان حمار الموت يألفه ... والحر ينكره والفيل والأسد." (١)

"من ثقيف: ما المروءة قال الصلاح في الدين وإصلاح المعيشة وسخاء النفس وصلة الرحم. فقال هكذا هي عندنا في حكمة آل داود» تذاكروا المروءة عند رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فقال: «أما مروءتنا فأن نغفر لمن ظلمنا، ونعطي من حرمنا. ونصل من قطعنا، ونعطي من حرمنا» سئل عبد الله بن عمر عن المروءة فقال: العفاف وإصلاح المال. سأل معاوية الحسن بن علي عن المروءة والكرم والنجدة، فقال: أما المروءة فحفظ الرجل نفسه، وإحرازه دينه وحسن قيامه بصنعته، وترك المنازعة، وإفشاء السلام. وأما الكرم فالتبرع بالمعروف، وإعطاؤك قبل السؤال، وإطعام في المحل، وأما النجدة فالذب عن الجار، والصبر في المواطن، والإقدام على الكريهة قال طلحة بن عبيد الله جلوس الرجل ببابه من المروءة وليس من المروءة حمل الكيس في الكم.

وسئل الأحنف، عن المروءة فقال التفقه في الدين وبر الوالدين والصبر على النوائب، ويروى عن الأحنف قال: لا مروءة لكذوب، ولا إخاء لملول، ولا سؤدد لسيئ الخلق. سئل ابن شهاب الزهري عن المروءة فقال اجتناب الريب وإصلاح المال والقيام بحوائج الأهل.

وقال الزهري أيضا: الفصاحة من المروءة وقال إبراهيم النخعي ليس من المروءة كثرة الالتفات في الطريق وقال غيره من كمال المروءة أن تصون عرضك، وتكرم إخوانك، وتقيل في منزلك.

وذكرت الفتوة عند سفيان الثوري فقال: ليست الفتوة بالفسق ولا الفجور، ولكن الفتوة كما قال جعفر بن محمد طعام موضوع، وحجاب مرفوع ونائل مبذول وبشر مقبول، وعفاف معروف، وأذى مكفوف.." (٢)

"كان صاحبه محمودا وإن كان معه مال عظيم، بل قد يكون مع هذا زاهدا أزهد من فقير هلوع كما قيل للإمام أحمد وذكر ما سبق في أول الفصل وذكر الخبرين السابقين وما رواه الترمذي وحسنه وإسناده جيد عن الحسن عن أبي سعيد مرفوعا «التاجر الصدوق الأمين مع النبيين والصديقين والشهداء» وعن سفيان أنه قيل له يكون الرجل زاهدا وله مال قال نعم، إن ابتلي صبر، وإن أعطي شكر. وقال سفيان إذا بلغك عن رجل بالمشرق أنه صاحب سنة وبالمغرب صاحب سنة فابعث إليهما بالسلام وادع الله لهما فما أقل أهل السنة والجماعة.

قال القاضي أبو يعلى وذكر أبو القاسم القشيري في كتاب الرسالة إلى الصوفية وقال أحمد بن حنبل الزهد على ثلاثة أوجه ترك الحرام وهو زهد العوام (والثاني) ترك الفضول من الحلال وهو زهد الخواص (والثالث) ترك ما يشغل العبد عن الله عز وجل وهو زهد العارفين قال وسمعت محمد بن الحسين يقول سمعت علي بن عمر الحافظ سمعت أبا سهل بن زياد يقول: سمعت عبد الله بن أحمد يقول: سئل أبي ما الفتوة؟ فقال ترك ما تهوى لما تخشى.

وقال أبو العتاهية قد قلت عشرين ألف بيت في الزهد ووددت أن لي منها الأبيات الثلاثة التي لأبي نواس

---

(١) الآداب الشرعية والمنح المرعية ابن مفلح، شمس الدين ٢/١٧

(٢) الآداب الشرعية والمنح المرعية ابن مفلح، شمس الدين ٢/٢٢٠

يا نواس توقر ... وتعز وتصبر

إن يكن ساءك دهر ... فلما سرك أكثر

يا كثير الذنب عفو ال ... له من ذنبك أكبر

ورأى بعض إخوان أبي نواس له في النوم بعد أيام فقال له ما فعل الله بك قال: غفر لي بأبيات قلتها وهي الآن تحت وسادتي فنظروا فإذا برقعة تحت وسادته في بيته مكتوب فيها:

يا رب إن عظمت ذنوبي كثرة ... فلقد علمت بأن عفوك أعظم

إن كان لا يرجوك إلا محسن ... فمن الذي يدعو إليه المجرم." (١)

"بيان الطلاق المباح والحرام "، " في الحلف بالطلاق متى تجيزه ثلاثا "، " جواب من حلف لا يفعل شيئا على المذاهب الأربعة "، " الفرق المبين بين الطلاق واليمين "، " لمحة المختطف في الفرق بين الطلاق والحلف "، " الطلاق البدعي لا يقع "، " مسائل الفرق بين الحلف بالطلاق وإيقاعه والطلاق البدعي والخلع نحو ذلك "، تقدير خمسة عشر مجلدا، " مناسك الحج عدة "، " في حجة النبي صلى الله عليه وسلم "، " في العمرة المكية "، " في شهر السلاح بتبوك وشرب السويق بالعقبة وأكل التمر بالروضة وما يلبس المحرم، وزيارة الخليل عقيب الحج، وزيارة القدس مطلقا "، " جبل لبنان كأمثاله من الجبال، ليس فيه رجال غيب ولا أبدال "، " جميع أيمان المسلمين مكفرة ".

كتب في أنواع شتى

جمع بعض الناس فتاويه بالديار المصرية مدة سبع سنين في علوم شتى، فجاءت ثلاثين مجلدة، " الكلام على بطلان الفتوة المصطلح عليها بين العوام "، وليس لها أصل يتصل بعلي عليه السلام. "كشف حال المشايخ الأحمدية وأحوالهم الشيطانية "، " بطلان ما يقوله أهل بيت الشيخ عدي "، " النجوم هل لها تأثير عند الاقتران والمقابلة والخسوف والكسوف "، " هل يقبل قول المنجمين فيه ورؤية الأهلة "، "." (٢)

"عبد الرحمن بن عمر بن صومع الدير قانوني

الشيخ الصالح أبو محمد سبط الشيخ زين الدين بن عبد الدائم.

سمع من ابن اللتي، والهمذاني، والحافظ ضياء الدين المقدسي وغيرهم.

قال شيخنا علم الدين البرزالي: سمعت عليه مسند أبي بكر رضي الله عنه من أول مسند ابن حميد وغير ذلك.

ضرب التتار رقبته بالصالحية، ولم يتفق دفنه في جمادى الأولى سنة تسع وتسعين وست مئة. وكان صائما عدة أيام.

ومولده سنة تسع وعشرين وست مئة.

عبد الرحمن بن عمر بن الحسن

---

(١) الآداب الشرعية والمنح المرعية ابن مفلح، شمس الدين ٢/٢٤٢

(٢) أعيان العصر وأعوان النصر الصفدي ٢٤٥/١

ابن علي كمال الدين التيمي الأرمنتي، يعرف بالمشارف.

كان جوادا كريما، رئيسا حليما، كثير المروه، غزير **الفتوة**، شاعرا أديبا ماهرا في فن الكتابة أريبا، تقلب في الخدم الديوانية، وتسلب ما في الجهات السلطانية.

ولم يزل على حاله إلى أن فارق الدنيا، ونزح عن السفلى إلى العليا.

وتوفي رحمه الله تعالى في سنة تسع وسبع مئة.

ومن شعره:

حبست جفني على الأرق ... نغمات الورق في الورق." (١)

"الحافظ، النظر المعيني في محاكمة أولاد اليونيني، موقف الرماة من وقف حماة، مركز الرماة، القول في التقوي في الوقف التقوي، القول المختطف في دلالة: إذا اعتكف، كشف اللبس عن المسائل الخمس، غير الإيمان لأبي بكر وعمر وعثمان، زكاة مال اليتيم، الكلام على لباس **الفتوة**، وهو فتوى **الفتوة**، بيع المرهون في غيبة المديون، الألفاظ التي وضعت بإزاء المعاني الذهنية أو الخارجية، أجوبة مسائل سأله عنها ولده قاضي القضاة تاج الدين في أصول الفقه، العارضة في البينة المتعارضة، مسألة تعارض البينتين، كتاب بر الوالدين، أجوبة أسئلة حديثية وردت من الديار المصرية، نصيحة القضاة الكلام على قوله تعالى " لا جناح عليكم إن طلقتم النساء ما لم تمسوهن ".

ولما وقف على رد الشيخ تقي الدين بن تيمية على ابن المطهر في الرفض قال: وأنشدنيها من لفظه، وهي:

إن الروافض قوم لا خلاق لهم ... من أجهل الناس في علم وأكذبه

والناس في غنية عن رد إفكهم ... لهجنة الرفض واستقبال مذهبه

وابن المطهر لم تطهر خلائقه ... داع إلى الرفض غال في تعصبه

لقد تقول في الصحب الكرام ولم ... يستحي مما افتراه غير منجبه

ولابن تيمية رد عليه وفى ... بمقصد الرد واستيفاء أضربه

لكنه خلط الحق المبين بما ... يشوبه كدرا في صفو مشربه." (٢)

"سمع المرسي، وروى عنه. وسمع الشيخ عز الدين بن عبد السلام، وغيرهما.

كان كثير المروة، غزير **الفتوة**، وافر الاحتمال، كثير الإحسان إلى أهل العلم والاشتغال، يكرم العدول، ولا يرى له عن تعظيمه عدول، قد درب الأحكام فصار ابن بجدتها وخبر فصل القضايا، ما تخفي علي وهدتها من نجدتها، وكان به لمصر فخار، وللمنصب به اشتهار.

ولم يزل على حاله إلى أن اعترف أجله بما جحد، وأصبح ابن مخلوف، ولم يخلفه أحد. وتوفي رحمه الله تعالى في حادي عشري شهر جمادى الآخرة سنة ثماني عشرة وسبع مئة.

---

(١) أعيان العصر وأعوان النصر الصفدي ٣٥/٣

(٢) أعيان العصر وأعوان النصر الصفدي ٤٣٣/٣

ومولده بالنويرة من أعمال البهنسة أربع وثلاثين وست مئة. وأظن الشيخ صدر الدين بن الوكيل فيه يقول:

إلى مالك يعزونه ونويرة ... فلا عجب إن كان يدعى متمما

ولولا أن هذا البيت من المرقص لم أذكره هنا.

وتولى القاضي زين الدين بن مخلوف رحمه الله تعالى قضاء الديار المصرية في أواخر سنة خمس وثمانين وست مئة عقيب وفاة ابن شاش. ولما توفي هو رحمه الله تعالى تولى المنصب بعده قاضي القضاة تقي الدين ابن الأخنائي.." (١)

"المغرب. وكان قد سألني على أن أجيب على ذلك، فامتنعت لأن الإجابة اقتضت ذم المستفتى عليه، وكذلك أجاب جميع من كتب عليها. انتهى.

قلت: أما هذه الفتيا فقد رأيتها، ونقلتها بخطي، وهي في الجزء الثاني عشر من " التذكرة " التي لي، وقد سماها " فتوى الفتوة ومرآة المروة ". وكتب له الشيخ بهاء الدين بن النحاس وناصر الدين حسن بن النقيب، ومحيي الدين بن عبد الظاهر كتب له جوابين أحدهما له والآخر عليه، وشرف الدين بن فضل الله والسراج الوراق، وناصر الدين شافع، وشرف الدين القدسي، وشرف الدين بن قاضي إخميم، ومكين الدين الجزري كتب له جوابين، والنصير الحمامي وكمال الدين بن القليوبي، وعلم الدين بن بنت العراقي، وشمس الدين الخطيب الجزري، وعلم الدين القمني، وبدر الدين الحلبيالموقع، وعماد الدين بن العفيف الكاتب، وشمس الدين بن مهنا، بدر الدين المنبجي، وأمين الدين بن الفارغ، وشمس الدين بن دانيال، والفقيه شعيب، وناصر الدين بن الإسكاف، ونور الدين المكي، وآخر لم يذكر اسمه لأنه عاهده على ذلك.

ومن تصانيف جمال الدين المذكور كتاب " مناهج الفكر، ومناهج العبر " أربع." (٢)

"المروة، ظاهر الفتوة، طريفا لطيفا خفيفا، له قدرة على ارتجال الحكاية المطولة والشعر، سريع النادرة، قال كمال الدين جعفر الأدفوي: شعره في ثلاثة مجلدات، وكان رزق منه، يمدح القضاة والأمراء والأكابر والتجار. قال: لما جئت الى قوص وجدت بها الشيخ تقي الدين والشيخ جلال الدين الدشناوي فترددت إليهما، فقال لي كل منهما كلاما انتفعت به، فأما الشيخ تقي الدين فقال لي: أنت رجل فاضل، والسعيد من تموت سيئاته بموته، فلا تهج أحدا. وأما الشيخ جلال الدين فقال لي: أنت رجل فاضل، ومن أهل الحديث، ومع ذلك فأشاهد عليك شيئا، ما هو ببعيد أن يكون في عقيدتك شيء. وكنت متشيعا، فتبت من ذلك.

وقال: كنت مرة عند ابن البصراوي الحاجب بقوص، فحضر الشيخ علي الحريري، وحكى أنه رأى درة تقرأ سورة يس فقلت: وكان غراب يقرأ سورة السجدة، فإذا جاء عند آية السجدة سجد، وقال: سجد لك سوادي واطمأن بك فؤادي.

وتوفي رحمه الله بقوص سنة سبع وسبع مئة. ومن شعره:

إذا ابتسمت من الغور البروق ... تأوه مغرم وبكى مشوق

تذكرني العقيق وأي صب ... له صبر إذا ذكر العقيق

---

(١) أعيان العصر وأعوان النصر الصفدي ٥٤٣/٣

(٢) أعيان العصر وأعوان النصر الصفدي ٢٠٣/٤

قلت: في هذا الثاني نظر لا يخفى على من له ذوق.

ومنه:

تذكر بالسفح بانا وظلا ... فأجرى المدامع وبلا وطلا." (١)

"أليس من العجائب أن مثلي ... يرى ما قل ممتنعا عليه

وتؤكل باسمه الدنيا جميعا ... وما من ذاك شيء في يديه ٢٨ (١)

الناصر لدين الله

أحمد بن الحسن أمير المؤمنين الإمام الناصر لدين الله، أبو العباس ابن الإمام المستنصر؛ ولد يوم الاثنين عاشر رجب سنة ثلاث وخمسين وخمسمائة، وبويع له في أول ذي القعدة سنة خمس وسبعين، وتوفي سلخ رمضان سنة اثنتين وعشرين وستمائة، فكانت خلافته سبعا (٢) وأربعين سنة.

وكان أبيض اللون تركي الوجه مليح العينين أنور الوجه (٣) ، خفيف العارضين، أشقر، رقيق المحاسن؛ نقش خاتمه رجائي من الله عفوه. ولم يل (٤) الخلافة أطول مدة منه؛ وكان شابا مرحا عنده منعة (٥) الشباب، يشق الدروب والأسواق أكثر الليل، والناس يتهيبون لقاءه، وظهر التشيع في أيامه ثم انطفا، وظهر التسنن المفرط ثم زال، وظهرت الفتوة والبندق والحمام الهادي، وتفنن الناس في ذلك، وألبس الملك العادل وأولاده سراويلات الفتوة، وكذلك للملك شهاب الدين الغوري صاحب غزنة وملك الهند وجميع الملوك الذين كانوا في أيامه،

---

(١) انظر كتب التاريخ العامة؛ والروحي: ٦٨ والفخري: ٢٨٥ وتاريخ الخلفاء: ٤٨٠ ومرآة الزمان: ٦٣٥ والوافي ٦: ٣١٠ ونكت الهميان: ٩٣ والمنهل الصافي ١: ٢٦٤، ولم ترد هذه الترجمة في المطبوعة.

(٢) ص: سبع.

(٣) الوافي: الجبهة.

(٤) ص: يلي.

(٥) الوافي: ميعة.." (٢)

"وكان شديد الاهتمام بالملك ومصالحه لا يكاد يخفى عليه شيء من أمور رعيته، كبارهم وصغارهم، وكان له حيل لطيفة ومكايد خفية، يوقع الصداقة بين ملوك متعاديين، ويوقع العداوة بين ملوك متصادقين.

قال أبو المظفر سبط ابن الجوزي: قل بصر الخليفة في آخر عمره، وقيل بل ذهب، وكانت جاريته تعلم عنه، وكان قد علمها الخط، فكانت تكتب مثل خطه.

ولما مات بويع لولده أبي (١) نصر، ولقب بالظاهر لأمر الله، وكان الناصر سيء السيرة، خرب في أيامه العراق، وتفرق

---

(١) أعيان العصر وأعوان النصر الصفدي ١٨٥/٥

(٢) فوات الوفيات ابن شاكر الكتبي ٦٦/١

أهله في البلاد، وأخذ أموالهم وأملاكهم. وكان يفعل الشيء وضده، وجعل في همه في رمي البندق والطيور المنسوبة وسراويلات الفتوة، وملك من المماليك ما لم يملكه خليفة، وخطب له بالأندلس والصين. وكان أسد بني العباس.

وكتب إليه خادم اسمه يمن ورقة تتضمن عتبا (٢) ، فكتب إليه الناصر: بمن يمن يمن، ثمن يمن ثمن ثمن.

ولما صرف ابن زبادة (٣) عن عمل كان يتولاه، ولم يعرف ابن زبادة سبب عزله، كتب إلى الناصر شعرا منه:

هب أن ذلك عن رضاك فمن ترى ... يدري مع الإعراض أنك راض فوقع له على رقعته: الاختيار صرفك، والاختبار صرفك، وما عزلناك لخيانة ولا لجناية، ولكن للملك أسرار لا تطلع عليها العامة، ولتعلمن نبأه بعد حين.

ومن شعر الناصر:

---

(١) ص: أبو.

(٢) ص: عتب.

(٣) ص: زيادة؛ وأرجح أن المشار إليه هو أبو طالب يحيى بن أبي الفرج سعيد المعروف بابن زبادة (ابن خلكان ٦: ٢٤٤) أو ابن له، وقد ضبط ابن خلكان " زبادة " بالباء الموحدة وقال: هو القطعة من الزباد الذي يتطيب به النسوان.." [1]

"الفرق المبين بين الطلاق واليمين. لمحة المختطف في الفرق بين الطلاق والحلف. كتاب التحقيق في الفرق بين الأيمان والتطليق. الطلاق البدعي لا يقع. مسائل الفرق بين الطلاق البدعي والخلع ونحو ذلك. مناسك الحج. في حجة النبي صلى الله عليه وسلم. في العمرة المكية. في شهر (١) السلاح بتبوك وشرب السويق بالعقبة وأكل التمر بالروضة وما يلبس المحرم وزيارة الخليل عليه السلام عقيب الحج. زيارة القدس مطلقا. جبل لبنان كأمثاله من الجبال ليس فيه رجال الغيب (٢) ولا أبدال. جميع أيمان المسلمين مكفرة.

الكتب في أنواع شتى: جمع بعض الناس فتاويه بالديار المصرية مدة مقامه بها سبع سنين في علوم شتى، فجاءت ثلاثين مجلد. الكلام على بطلان الفتوة المصطلح عليها بين العوام، وليس لها أصل متصل بعلي رضي الله عنه. كشف حال المشايخ الأحمدية وأحوالهم الشيطانية. بطلان ما يقوله أهل بيت الشيخ عدي. النجوم: هل لها تأثير عند القران والمقابلة في الكسوف: هل يقبل قول المنجمين فيه ورؤية الأهلة، مجلد. تحريم أقسام المعزمين بالعزائم المعجمة وصرع الصحيح وصفة الخواتيم. إبطال الكيميا وتحريمها ولو صحت وراجت.

ومن نظم الشيخ تقي الدين رحمه الله تعالى على لسان الفقراء المجردين:

والله ما فقرنا اختيار ... وإنما فقرنا اضطرار

جماعة كلنا كسالى ... وأكلنا ما له عيار

تسمع منا إذا اجتمعنا ... حقيقة كلها فشار وله أجوبة وسؤالات كان يسألها نظما فيجيب عنها نظما، وليس هذا موضع إيراد ذلك رحمه الله تعالى.

---

(١) فوات الوفيات ابن شاكر الكتبي ٦٧/١

(١) ص: شرح.

(٢) الوافي: غيب.." (١)

"وواعظ تيمني وعظه ... فعرفه شيب بإنكار

ينهى عن الذنب وألحاظه ... تأمر بالذنب بإصرار

وما رأينا قبله واعظا ... مكسب آثام (١) وأوزار

لسانه يدعو إلى جنة ... ووجهه يدعو إلى نار ومن شعره أيضا:

يا طالب التزويج إنك بالذي ... تبغيه منه (٢) جاهل معذور

هل أبصرت عيناك صاحب زوجة ... إلا حزينا ما لديه سرور

لا تبغ في الدنيا نكاحا لازما ... وافعل بها ما يفعل الزنبور

أو ما تراه حين يدرك فرصة ... يدنو ويلسع لسعة ويطير وتوفي سنة تسع وستين وأربعمائة، رحمه الله تعالى وإيانا، بمنه وكرمه.

٦٣ - (٣)

ابن الطبيب الشاعر

إسحاق بن خلف الشاعر المعروف بابن الطبيب، من شعراء المعتصم؛ كان رجلا شأنه **الفتوة** ومعاشرة الشطار والتصيد بالكلاب وإيثار أصحاب الطنابير، وكان من أحسن الناس إنشادا كأنه يتغنى في إنشاده، وكان إذا راجعك الكلام لم تكد تسأم مراجعته من حسن ألفاظه. حبس مرة بجناية جناها فقال الشعر في السجن، ثم ترقى في ذلك حتى مدح الملوك، ودون شعره، ولم يزل

(١) ص: آثاما.

(٢) ص: مني، والتصويب عن الوافي.

(٣) الزركشي: ٦٧ وطبقات ابن المعتز: ٢٩٢ والوافي ٨: ٤١١.." (٢)

"على رسم **الفتوة** وضرب الطنبور إلى أن توفي في حدود الثلاثين ومائتين.

ومن شعره رحمه الله:

النحو يبسط من لسان الألكن ... والمرء تعظمه إذا لم يلحن

وإذا طلبت من العلوم أجلها ... فأجلها عندي مقيم الألسن وقال في السيف:

(١) فوات الوفيات ابن شاكر الكتبي ٨٠/١

(٢) فوات الوفيات ابن شاكر الكتبي ١٦٣/١

ألقى بجانب خصره ... أمضى من الأجل المتاح

وكأنما ذر الهبا ... ء عليه أنفاس الرياح وقال المبرد (١) : قالت الشعراء في رونق السيف ضروبا من الأقاويل ما سمعت فيها بأحسن من هذا.

وقال في ابنة أخت كان رباها (٢) :

لولا أميمة لم أجزع من العدم ... ولم أجب في الليالي حندس الظلم

وزادني رغبة في العيش معرفتي ... ذل اليتيمة يجفوها ذوو الرحم

أخشى فظاظة عم أو جفاء أخ ... وكنت أبقي عليها من أذى الكلم

تهوى لقائي وأهوى موتها شفقا ... والموت أكرم نزال (٣) على الحرم

إذا تذكرت بنتي حين تندبني ... فاضت لعبرة بنتي عبرتي بدم

---

(١) الكامل ٢: ٣٢.

(٢) انظر الحماسية رقم ٨٥ في شرح المرزوقي.

(٣) ص: نزالا.." [(١)]

"الدنيا. والله لوددت أن الله وهب لي كنه محبته ولم يبق مني جارحة لا أخذها! قال رجل للقاسم بن محمد، وقد ذهب بصره: لقد سلبت أحسن وجهك. قال: صدقت غير أني منعت النظر إلى ما يلهى، وعوضت الفكرة في العمل فيما يجدي.

قال حكيم: إياك أن تحك بثرة وإن زعزعتك، واحفظ أسنانك من القار بعد الحار والحار بعد القار، وأن تطيل النظر في عين رمدة وبئر عادية، واحذر السجود على خصفة جديدة حتى تمسحها بيدك. فرب شظية حقيرة فقأت عينا خطيرة.

أنس رضي الله عنه رفعه: من قاد أعمى أربعين خطوة لم تمسه النار.

كتب مبارك أخو سفيان الثوري إليه يشكو ذهاب بصره. فكتب إليه سفيان: أما بعد. فقد فهمت كتابك فيه شكاية ربك. فاذكر الموت يهن عليك ذهاب بصرك. والسلام.

ذكر الإمام فخر الدين رحمه الله تعالى في كتاب أسرار التنزيل عند ما ذكر **الفتوة** أن رجلا تزوج امرأة. وقبل الدخول بها، ظهر بالمرأة جدري أذهب عينها. فقال: الرجل ظهر في عيني نوع ضعف وظلمه.

ثم قال: عميت. فزفت إليه المرأة. ثم إنها ماتت بعد عشرين سنة. ففتح الرجل عينيه. فقيل له في ذلك. فقال: ما عميت ولكن تعاميت حذرا أن تحزن المرأة. فقيل له سبقت الفتيان.

وقال حكي عن الشبلي أنه قال: خطر ببالي أني بخيل ولئيم فقلت أجرب نفسي: فنويت أن كل ما آخذه اليوم أهبه لأي شخص أراه أولا. ثم إنه جاء خادم في الحال من دار الخلافة ووضع عندي صرة فيها خمسون دينارا فأخذتها وخرجت فرأيت

---

(١) فوات الوفيات ابن شاكر الكتبي ١٦٤/١

حجاما يحلق رأس أعمى. فدفعتها إلى الأعمى. فقال الأعمى: ادفعها إلى هذا الحجام: فقال الحجام أنا نويت حلق رأس هذا الأعمى لله. فقلت: إنها ذهب. فقال الأعمى ما هذا البخل؟ ثم أخذها ودفعها إلى الحجام. فقال الحجام أنا نويت حلق رأس هذا الأعمى لله: ولا آخذ الذهب. والحاصل إن ذلك الذهب ما قبله الأعمى ولا الحجام.

ونقلت من بعض المجاميع: قال بعض السادة: كنا في جنازة وحضرها معنا الشيخ أبو بكر الضرير. وبين يدي الجنازة صبيان يبكون ويقولون: من لنا بعدك يا أبة فلما سمعهم أبو بكر يقولون ذلك قال الذي كان لأبي بكر الضرير. فسألته عن سبب ذلك. فقال: كان أبي من فقراء المسلمين وكان يبيع الخزف. وكانت لي أخت أسن مني." (١)

"وظهر التشيع بسبب ابن الصاحب، ثم انطفئ بهلاكه، وظهر التسنن المفرط، ثم زال.

وظهرت **الفتوة** والبندق والحمام الهادي، وتفنن الناس في ذلك. ودخل فيه الأجلاء ثم الملوك، فألبسوا الملك العادل وأولاده سراويل **الفتوة**، والبسوا شهاب الدين الغوري ملك غزنة والهند وصاحب كيش وأتابك سعد صاحب شيراز والظاهر صاحب حلب. وتخوفوا من السلطان طغريل وجرت بينهم حروب، وفي الآخر استدعوا تكش لحربه وهو خوارزم شاه فالتقى معه على الري واحتز رأسه وسيره إلى بغداد، وكان الناصر قد خطب لولده الأكبر أبي نصر بولاية العهد، ثم ضيق عليه لما استشعر منه وعين أخاه، وألزم أبا نصر بأن اشهد على نفسه أنه لا يصلح، وانه قد نزل عن الأمر.

ولم يزل الناصر مدة حياته، في عز وجلالة، وقمع الأعداء، والاستظهار على الملوك، لم يجد ضيما، ولا خرج عليه خارجي إلا قمعه، ولا مخالف إلا دمغه. وكان شديد الاهتمام بالملك ومصالحه، لا يكاد يخفى عليه شيء من أمور رعيته كبارهم وصغارهم. وأصحاب الأخبار في أقطار الأرض، يواصلون إليه أحوال الملوك الظاهرة والباطنة. وكانت له حيل لطيفة، ومكائد خفية، وخدع لا يفطن لها أحد. يوقع الصداقة بين ملوك متعادين ويوقع العداوة بين ملوك متصادقين، وهم لا يشعرون.

ولما دخل رسول صاحب مازندران بغداد، كان يأتيه ورقة كل صباح بما فعله في الليل. وكان يبالغ في كتمان أمره والورقة تأتيه، فاختلى ليلة بامرأة دخلت إليه من باب السر، فصبحته الورقة بذلك. وكان فيها كان عليكم دواج فيه صورة الفيلة، فتحير وخرج من بغداد وهو لا يشك أن الغمام الناصر يعلم الغيب، لأن الإمامية يعتقدون أن الإمام المعصوم يعلم ما في بطن الحامل وما وراء الجدار.

وأتى رسول خوارزم شاه برسالة مخفية، وكتاب مختوم، فقيل له ارجع، فقد عرفنا ما جئت به، فرجع وهو يظن أنهم يعلمون الغيب.

ورفع إليه في المطالعات، أن رجلا كان واقفا والعسكر خارج إلى ششتر، في قوة الأمطار، وشدة البرد، فقال: كنت أريد من الله من يخبرني إلى أين يمضي هؤلاء المدابير.

---

(١) نكث الهميان في نكت العميان الصفدي ص/٣١

ويسفقني مائة خشبة، فلم تزل عين الرافع ترقب القائل، حتى وصل إلى مستقره خشية أن يطلب، فأمر الناصر في الحال، أن يطلبه." (١)

"(يا من به جمع الألوف مفرق ... ومفرق العلياء فيه مجمع)

(يا من إذا وضع المكارم في الورى ... أضحى له عمل زكي يرفع)

(يا من يعد مآثرا ومكارما ... ما عدهن عيينة والأقرع)

(أبوابه محجوجة وجبينه ... بدر وبطن الكف منه ينبع)

٣ - (ابن صغير الطبيب)

محمد بن محمد بن عبد الله ابن صغير ناصر الدين الطبيب المصري قرأ الطب والحكمة علي والده والأدب على الشيخ علاء الدين القونوي سألته عن مولده فقال سنة إحدى وتسعين وست مائة فيه ظرف الأدباء وخلاعة أهل مصر وهو من أطباء السلطان توجه مع السلطان الملك الناصر محمد إلى الحجاز سنة اثنتين وثلاثين وسبع مائة وحضر من القاهرة إلى دمشق متوجها على خيل البريد لمداواة الأمير علاء الدين الطنبغا المارداني نائب حلب فما لحقه إلا وقد تمكن منه المرض فعاد ناصر الدين)

المذكور إلى دمشق وقد تغير مزاجه من حماة فأقام بدمشق يمرض في مدرسة الدنيسري قريبا من خمسين يوما وهو من بيت كلهم أطباء وهو شريف النفس لا يطب إلا أصحابه أو بيت السلطان اجتمعت به غير مرة فوجدته لطيف العشرة دمث الأخلاق وله يد في ضرب العود وجاء الخبر إلى دمشق في ذي القعدة بوفاته بالقاهرة بالطاعون سنة تسع وأربعين وسبع مائة رحمه الله تعالى

٣ - (النصيبي القوصي)

محمد بن محمد بن عيسى ابن نحام بن نجدة بن معتوق الشيباني النصيبي ثم القوصي الأديب الشاعر الفاضل المحدث سمع العز الحراني ومحمد بن الحسين الخليلي واسماعيل بن هبة الله بن علي بن المليحي وغيرهم وحدث بالبخاري بقوص وكان له مشاركة في النحو واللغة والتاريخ والبديع والعروض والقوافي كثير المروءة ظاهر **الفتوة** ظريفا لطيفا خفيفا له قدرة على ارتجال الحكاية المطولة والشعر سريع النادرة قال كمال الدين جعفر الأدفوي شعره في ثلاث مجلدات وكان رزقه منه يمتدح القضاة والأمراء والأكابر والتجار قال لما جئت إلى قوص وجدت بها الشيخ تقي الدين والشيخ جلال الدين الدشنائي فترددت إليهما فقال لي كل منهما كلاما انتفعت به فأما الشيخ تقي الدين فقال لي أنت رجل فاضل والسعيد من تموت سيئاته بموته لا تهج أحدا فما هجوت أحدا وأما الشيخ جلال الدين فقال لي أنت رجل فاضل ومن أهل الحديث ومع ذلك

---

(١) نكث الهميان في نكت العميان الصفدي ص/٦٩

فأشاهد عليك شيئا ما هو ببعيد أن يكون في عقيدتك شيء وكنت متشيعا فتبت من ذلك وقال كنت مرة عند عز الدين البصراوي الحاجب بقوص فحضر الشيخ على الحريري وحكى أنه رأى درة تقرأ سورة يس فقلت وكان غراب يقرأ سورة السجدة فإذا جاء عند آية السجدة سجد ويقول سجد لك سوادي واطمأن بك فوادي وتوفي بقوص سنة سبع وسبع مائة ومن شعره

(الوافر إذا ابتسمت من الغور البروق ... تأوه مغرم وبكى مشوق)

(تذكرني العقيق وأي صب ... له صبر إذا ذكر العقيق)

ومن المتقارب

(تذكر بالسفح بانا وظلا ... فأجرى المدامع وبلا وطلا)

(يرجى زمانا تولى يعود ... وليس يعود زمان تولى)." (١)

"وقلت أنا فيه أيضا

(تشرط من أحب فذبت خوفا ... وقال وقد رأى جزعي عليه)

(عقيق دم جرى فأصاب خدي ... وشبه الشيء منجذب إليه)

واخبرني شيخنا الذهبي قال قرأت على الشيخ بهاء الدين رحمه الله جزء شيء قلت وغالب روايات الشيخ أثير الدين كتب الأدب عنه اعني الشيخ بهاء الدين رحمه الله تعالى محمد بن ابراهيم التجاني بالتاء المثناة من فوق والجيم والنون من بعد الألف البجلي اللغوي قال الشيخ أثير الدين مشافهة هو أديب متفنن من أهل تونس مشهور بالعلم والأدب لم يقض لي به اجتماع عند دخول تونس أنشدنا له أبو يحيى ابن عريهة

(كم قلت إذ عذر من ... كان الفؤاد منزله)

(وعطلت من فتكها ... تلك العيون الغزله)

)

(يا اشعري خده ... أني من المعتزله)

وأنشدني بالسند المذكور

(قطفت باللحظ من بستان وجنته ... تفاحة ضرجتها حمرة الخفر)

(وقلت هذا أمان من قطيعته ... فالشرع قد نص أن لا قطع في ثمر)

---

(١) الوافي بالوفيات الصفدي ٢٠١/١

قلت هو شعر جيد

٣ - (الوطواط الكتبي محمد بن ابرهيم بن يحيى بن علي الأنصاري)

المروي الأصل المصري المولد جمال الدين الكتبي المعروف بالوطواط مولده بمصر سنة اثنتين وثلثين وست ماية اخبرني الشيخ أثير الدين أبو حيان من لفظه قال المذكور له معرفة بالكتب وقيمها وله نثر حسن ومجاميع أدبية وكان بينه وبين ابن الخوتي قاضي القضاة مودة لما كان بالمحلة فلما تولى قضاء الديار المصرية توهم جمال الدين أنه يحسن إليه ويبره فسأله فلم يجبه إلى شيء من مقصوده فاستفتى عليه فضلاء الديار المصرية فكتبوا له على فتياه بأجوبة مختلفة وصير ذلك كتابا وقد راحت به نسخة إلى بلاد المغرب وكان قد سألني أن أجيب على ذلك فامتنعت لأن الأجابة أقتضت ذم المستفتى عليه وكذلك أجاب جميع من كتب عليها انتهى قلت هذا المذكور كان له فضيلة وعنده ذوق وفهم يدل على ذلك مجاميعه ولم يكن يقدر على النظم وأما النثر فإنه كان فيه مجيدا وأما هذه الفتيا المذكورة فقد رأيتها ونقلتها بخطى وسماها فتوى الفتوة ومرآة المروة وكتب له فيها الشيخ بهاء الدين ابن النحاس وناصر الدين حسن ابن النقيب ومحيي الدين ابن عبد الظاهر كتب له جوابين أحدهما له والآخر عليه وشرف الدين ابن فضل الله والسراج الوراق وناصر." (١)

"معه لم أتمكن من مجالسته فوجدته غير معجب بشعر نفسه على عادة أبناء جنسه وأنشد له

(هل في مودة ناكث من راغب ... أم هل على فقدانها من نادب)

(أم هل يفيدك أن تعاتب مولعا ... يتتبع العثرات غير مراقب)

(جعل اعتراضك للسفاهة ديدنا ... والذئب ديدنه اعتراض الراكب)

منها

(إن الفتوة علمتني شيمة ... تهدي الضياء إلى الشهاب الثاقب)

(ما زال يسلب كل من حمل الظبي ... قلمي وأحداق الظباء سوالبي)

(فهو التصرف والتصرف في الهوى ... دفنا شبابي في العذار الشائب)

(فتظلمي من ناظر أو ناظر ... وتألمي من حاجب أو حاجب)

(وقبلت عذر بني الزمان لأنهم ... سلكوا طريق بني الزمان الذاهب)

(جبلوا على رفض الوفاء لغيرهم ... وتمسكوا بالغدر ضربة لازب)

---

(١) الوافي بالوفيات الصفدي ١٤/٢

)

ومن شعره

(ألزم جفاءك بي ولو فيه الضنا ... وارفع حديث البين عما بيننا)

(فسموم هجرك في هواجره الأذى ... ونسيم وصلك في أصايله المنى)

(لي التلون من إمارات الرضى ... لكن إذا مل الحبيب تلونا)

(تبدي الإساءة في التيقظ عامدا ... وأراك تحسن في الكرى أن تحسنا)

(ما لي إذا استعطفت رأيك رمت لي ... عبتا جديدا من هناك ومن هنا)

ومنه

(إني أغار عليكم أن تسلكوا ... في الود غير طرائق الفتيان)

(وأخاف مر عتابكم ما لم أخف ... تحت العجاج عوالي المران)

(لم أجن فاستعطفتكم لكن بي ... شوقا إلى استعطافكم أجاني)

(وهبوني الجاني ألست شقيقكم ... هلا غفرتم للشقيق الجاني)

(غطوا بأذيال التجاوز منكم ... هفوات جان للندامة جان)

(ولربما كره العقوبة جازم ... كيما يفوز بلذة الغفران)

(ببعادكم أبغضت دار كرامتي ... ولقربكم أحببت درا هواني)

ومنه

(قد كنت أرجوك للبلوي إذا عرضت ... فصرت أخشاك والأيام للغير)." (١)

"ما هذا معناه فلما أصبح وذلك يوم الثامن عشر لذي الحجة عام تسعين وخمس مائة أخبر بالرؤيا فوجه فيه قاضي الجماعة أبو القاسم ابن بقي والكاتب أبو الفضل بن طاهر المعروف بابن محشوة وبشراه ويوم الاثنين بعده سئل عن مطالبه

---

(١) الوافي بالوفيات الصفدي ١١٨/٦

فقضيت وزود بأربع مائة دينار وادعى عندها محمد بن إدريس المعروف بابن مرج الكحل أنه ذلك لتوافق اسمي أبويهما فقال أبو بحر يخاطبه

(يا سارقا جاء في دعواه بالعجب ... سامحته في قريضي فادعى نسبي)

(ينمي إلى العرب العرباء مدعيا ... كذاك دعوته للشعر والأدب)

(يا أيها المرج دع للبحر لؤلؤه ... فالدر للبحر ذي الأمواج والحدب)

(هب أن شعرك شعري حين تسرقه ... أنى أنا أنت أو أنى أبوك أبي)

٣ - (زين الدين ابن السلار)

أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل بن عمر الأمير السلار بختيار الأتابكي الدمشقي الأمير الأديب زين الدين أبو العباس من بيت إمرة وتقدم وله شعر توفي سنة اثنتين وثلاثين وست مائة قال شهاب الدين القوصي في معجمه ومن خطه نقلت أنشدني لنفسه

(كأن سواد الزمر في نور وجهها ... وقد ضم فوها فاه ضم المعانق)

(سويعد غواص من الزنج مده ... إلى لؤلؤ أصدافه من عقائق)

(

وقال أيضا أنشدني لنفسه

(ولما بدت في أزرق راق لونه ... عليه من التبر المذاب غرائب)

(ظننت بأن البدر صورة وجهها ... وأن رداها أفقه والكواكب)

٣ - (علم الدين القمني)

أحمد بن إبراهيم بن حسن بن إبراهيم بن جعفر بن أحمد بن هشام ابن يوسف بن توهيت القرشي الأموي البهنسي المفتي الفقيه علم الدين القمني الضرير ولد سنة عشرين وتوفي بالقاهرة سنة ست وثمانين وست مائة روى عن ابن الجميز وغيره وأعاد بالظاهرية بالقاهرة وكانوا يكتبون عنه في الفتوى وأظنه القمني المذكور في فتوى **الفتوة** ومرآة المروة للوطواط الكاتبي لأنه ذكر من أجاب له في ذل السؤال المشهور من أهل العصر وهو نثر ونظم جيدان

أخبرني الشيخ الإمام العلامة أثير الدين أبو حيان من لفظه قال مولده ثامن عشرين شعبان سنة عشرين وكان فقيها فاضلا

وله مشاركة في نحو وأصول وكان في الحفظ آية يحفظ السطور الكثيرة والأبيات من سمعة واحدة وكان يقعد يوم الجمعة تحت الخطيب فيحفظ الخطبة من إنشاء الخطيب في مرة واحدة ويمليها بعد ذلك إلا أنه كان لا يثبت له الحفظ وكان." (١)

"عبد الله رجل أديب إلا أن الغالب عليه الخط الذي بلغ النهاية في الحسن قال ياقوت وقال الوزير عميد الدولة أبو سعد ابن عبد الرحيم في أخبار ابنه عبد الجبار ابن أحمد وكان والده أبو عبد الله الديناري مقدما مكرما يزور لحسن خطه على أبي عبد الله بن مقلة تزويرا لا يكاد يفطن له وله ولد أديب يقال له أبو يعلى عبد الجبار يذكر في بابه

٣ – (ابن الباذش)

أحمد بن أبي الحسن بن الباذش بالباء الموحدة وبعد ألف ذال معجمة وشين معجمة الإمام أبو جعفر الأنصاري الغرناطي تفنن في العلم وكان من الحفاظ الأذكياء وتوفي سنة اثنتين وأربعين وخمس مائة

٣ – (الإمام الناصر لدين الله)

أحمد بن الحسن أمير المؤمنين الإمام الناصر لدين الله أبو العباس ابن الإمام المستضيء ابن الإمام المستنجد ولد يوم الاثنين عاشر رجب سنة ثلاث وخمسين وخمس مائة وبويع له في أول ذي القعدة سنة خمس وسبعين وتوفي سلخ رمضان سنة اثنتين وعشرين وست مائة وكانت خلافته سبعا وأربعين سنة وكان أبيض اللون تركي الوجه مليح العينين أنور الجبهة)
اقنى الأنف خفيف العارضين أشقر اللحية رقيق المحاسن نقش خاتمه رجائي من الله عفوه أجاز له أبو الحسين عبد الحق اليوسفي وأبو الحسن علي بن عساكر والبطائحي وشهدة وجماعة وأجاز هو لجماعة من الكبار فكانوا يحدثون عنه في حياته ويتنافسون في ذلكن وما غرضهم العلو ولا الإسناد وإنما غرضهم التفاخر وإقامة الشعار والوهم ولم يل الخلافة أحد أطول مدة منه إلا ما ذكر عن العبيديين فإنه بقي الأمر بديار مصر للمستنصر نحوا من ستين سنة وكذا بقي الأمير عبد الرحمن أبو الحكم الأندلسي وكان أبوه المستضيء قد تخوفه فاعتقله ومال إلى أخيه أبي منصور وكان ابن العطار وأكثر الدولة وحظية المستضيء بنفشا والمجد ابن الصاحب مع أبي منصور ونفر يسير مع أبي العباس فلما بويع أبو العباس قبض على ابن العطار وسلمه إلى المماليك فخرج بعد سبعة أيام ميتا وسحب في الأسواق وتمكن المجد ابن الصاحب وزاد وطغى إلى أن قتل قال عبد اللطيف وكان الناصر شابا مرحا عنده ميعة الشباب يشق الدروب والأسواق أكثر الليل والناس يتهيبون لقاءه وظهر التشيع بسبب ابن الصاحب ثم انطفى بهلاكه وظهر التسنن المفرط ثم زال وظهرت الفتوة والبندق والحمام الهادي وتفنن الناس في ذلك ودخل فيه الأجلاء ثم الملوك فألبسوا الملك العادل وأولاده سراروبل الفتوة وألبسوا شهاب الدين الغوري ملك غزنة والهند وصاحب كيش وأتابك سعد صاحب شيراز والملك الظاهر صاحب حلب وتخوفوا من السلطان طغريل وجرت بينهم حروب وفي الآخر استدعوا تكش لحربه وهو خوارزم شاه فالتقى معه على الري واجتز رأسه وسيره إلى بغداذ وكان الناصر قد خطب لولده الأكبر أبي نصر بولاية العهد ثم ضيق." (٢)

---

(١) الوافي بالوفيات الصفدي ٦/١٣٧

(٢) الوافي بالوفيات الصفدي ٦/١٩٢

"ششتر فقال لا كتب الله عليهم سلامة فغلب ضحك الحاضرين ورفع الخبر إلى الناصر فقال يغفر له سوء أدبه بحسن نادرته ولطف موقعها ويدفع إليه مائة دينار عدد الخشب الذي ضرب به ويحكى عنه من هذه)
المادة غرائب وعجائب وكان يعطي في مواطن عطاء من لا يخاف الفقر وجاء رجل ومعه ببغاء من الهند تقرأ قل هو الله أحد تحفة للخليفة فأصبحت ميتة فجاءه فراش يطلب منه الببغاء فبكى وقال الليلة ماتت فقال عرفنا بموتها وكم كان في ظنك أن يعطيك فقال خمس مائة دينار فقال خذ هذه خمس مائة دينار فإنه علم بحالك منذ خرجت من الهند وقال أبو المظفر سبط ابن الجوزي قل بصر الخليفة في الآخر وقيل ذهب جملة وكان خادمه ريق قد استولى على الخلافة وقام مدة يوقع عنه وكان بالخليفة أمراض منها عسر البول والحصر ووجد منه شدة وشق ذكره مرارا وما زال يعتريه حتى قتله وقال شمس الدين الجزري حدثني والدي قال سمعت الوزير مؤيد الدين ابن العلقمي لما كان على الأستاذدارية يقول إن الماء الذي يشربه الإمام الناصر كانت تجبيه الدواب من فوق بغداذ بسبعة فراسخ ويغلى سبع غلوات كل يوم غلوة ثم يجلس في الأوعية سبعة أيام ثم يشرب منه وبعد هذا ما مات حتى سقي المرقد ثلاث مرات وشق ذكره وأخرج منه الحصى وقال الموفق ما مرض موته فسهو ونسيان بقي منه ستة أشهر ولم يشعر أحد بكنه حاله من الرعية حتى خفي عن الوزير وأهل الدار وكان له جارية قد علمها الخط بنفسه فكانت تكتب مثل خطه فتكتب على التوقيع بمشورة قهرمانة الدار ولما مات بويع لولده أبي نصر ولقب الظاهر بأمر الله وقد تقدم ذكره في المحمدين وكانت مدة خلافته تسعة أشهر وقال ابن الأثير بقي الناصر عاطلا عن الحركة بالكلية ثلاث سنين قد ذهب إحدى عينيه وفي الآخر أصابه دوسنطاريا عشرين يوما ولم يطلق في مرضه شيئا مما كان أحدثه من الرسوم وكان يسيء السيرة خرب في أيامه العراق وتفرق أهله في البلاد وأخذ أموالهم وأملاكهم قال وكان يفعل الشيء وضده وجعل همته في رمي البندق والطيور المناسيب وسراويلات الفتوة ونقل الظهير الكازروني في تأريخه قال الشيخ شمس الدين وأجاز لي إن الناصر في وسط خلافته هم بترك الخلافة والانقطاع إلى التعبد وكتب عنه ابن الضحاك توقيعا فقرئ على الأعيان وبنى رباطا للفقراء واتخذ إلى جانب الرباط دارا لنفسه كان يتردد إلها ويحادث الصوفية وعمل له ثيابا كثيرة بزي الصوفية قال الشيخ شمس الدين ثم ترك ذلك كله ومل الله يسامحه قال ابن النجار وملك من المماليك ما لم يملكه من تقدمه من الخفاء والملوك وخطب له بالأندلس والصين وكان أسد بني العباس وقيل إنه بلغه أن شخصا يرى خلافة يزيد فأحضره ليعاقبه فقيل له أتقول بصحة)
خلافة يزيد فقال أنا أقول إن الإمام لا ينعزل بارتكاب الفسق فأعرض عنه وأمر بإطلاقه وخاف المحاققة." (١)

"نفيسة تتلألأ ويتوهج نورها قد حملت إليه من بلاد الهند حين افتتحت فأفرد الأمير منها عشر حبات وناولها أبا القاسم وأفرد عشرا وناولها أبا زيد وقال هذه اللآلئ في غاية النفاسة فأحببت أن أشرككما فيها ولا أستبد بها فشكرا له ذلك ثم إن أبا القاسم وضع لآلئه بين يدي أبي زيد وقال إن أبا زيد مهتم بشأنها فأردت أن أصرف ما بربي به الأمير إليه فقال الأمير نعم ما فعلت ورمى بالعشرة الباقية إلى أبي زيد وقال خذها فلست في)
الفتوة بأقل حظا ولا أوكس سهما من أبي القاسم فلا تغبنن عنها فإنها ابتيعت للخزانة بثلاثين ألف درهم فباعها بثمن

---

(١) الوافي بالوفيات الصفدي ١٩٤/٦

جليل وصرفه في ثمن الضيعة التي اشتراها وكان أبو زيد ربعة نحيفا مصفارا أسمر جاحظ العين فيها تأخر وميل وبوجهه آثار جدري وهو صموت سكيت ذو وقار وهيبة دخل العراق وأخذ عن العلماء وطوف البلدان وتتلمذ لأبي يوسف يعقوب الكندي وحصل من عنده علوما جنة وتعمق في الفلسفة وهجم على أسرار التنجيم والهيئة وبرز في علم الطب وبحث عن أصول الدين أتم بحث وأبعد استقصاء ولقد جرى ذكره في مجلس الإمام أبي بكر أحمد بن محمد بن العباس البزار وكان الإمام ببلخ والمفتي بها فأثنى عليه خيرا وقال إنه كان قويم المذهب حسن الاعتقاد لم يعرف بشيء في ديانته كما ينسب إليه من نسب إلى علم الفلسفة وكل من حضر من الأفاضل أثنى عليه ونسبه إلى الاستقامة والاستواء وإنه لم يعثر له مع ما له من المصنفات الجمة على كلمة تدر على قدح عقيدته ومن حسن عقيدته أنه كان لا يثبت من علم النجوم الأحكام بل كان يثبت ما جرى عليه الحسبان حكي عنه أنه قدمت المائدة وأبو زيد يصلي وكان حسن الصلاة فطول فيها وكان أبو بكر البكري فاضلا خليعا لا يبالي ما قال ويحتمل منه ذلك لعلو سنه فضجر البكري من طول صلاة أبي زيد فالتفت إلى أبي محمد الخجندي وقال له يا أبا محمد ريح الإمامة بعد في رأس أبي زيد فخفف أبو زيد الصلاة وضحك وكان أبو زيد في أول الأمر قد خرج إلى العراق في طلب الإمام لأنه كان أولا يرى إلى الإمامية ولما ورد أحمد ابن سهل بن هاشم المروزي إلى بلخ واستولى تخومها راود أبا زيد على أن يستوزره فأبى عليه فاتخذ أبا القاسم الكعبي وزيرا وأبا زيد كاتبا ورزق أبي القاسم ألف درهم ورقا ورزق أبي زيد خمس مائة درهم وكان أبو القاسم يأمر الخازن بزيادة مائة درهم لأبي زيد من رزقه فيتناول أبو زيد ست مائة درهم وأبو القاسم تسع مائة درهم ويأخذ لنفسه مكسرة ويأمر لأبي زيد بالوضح الصحاح وحكي أبو محمد الحسن بن محمد الوزيري وكان لقي أبا زيد وتتلمذ له قال كان أبو زيد ضابطا لنفسه قليل البديهة نزر الشعر واسع الكلام في الرسائل والتأليفات إذا أخذ في الكلام أمطر اللآلئ المنثورة وكان قليل المناظرة حسن العبارة وكان يتنزه عما يقال في القرآن إلا الظاهر المستفيض من التفسير والتأويل والمشكل من الأقاويل ويتحرج أيضا عن تفضيل بعض الصحابة على بعض وعن مفاخرة العرب والعجم ويقول ليس في هذه المناظرات ما يجدي)

طائلا ولا يتضمن حاصلا لأن الله تعالى يقول في القرآن إنا أنزلناه قرآنا عربيا غير ذي عوج الآية وأما الصحابة فقوله." (١)

"يختلف حكمه بالسفر والحضر أهل البدع هل يصلى خلفهم صلاة بعض أهل المذاهب خلف بعض الصلوات المبتدعة تحريم السماع تحريم الشبابة تحريم اللعب بالشطرنج تحريم الحشيشة ووجوب الحد فيها وتنجيسها النهي عن المشاركة في أعياد النصارى واليهود وإيقاد النيران في الميلاد ونصف شعبان وما يفعل في عاشوراء من الحبوب قاعدة في مقدار الكفارة في اليمين خمس كراريس في أن المطلقة ثلاثا لا تحل إلا بنكاح زوج ثان بيان الطلاق المباح والحرام في الحلف بالطلاق وتنجيزه ثلاثا في الحيض جواب من حلف لا يفعل شيئا على المذاهب الأربعة ثم طلق ثلاثا الفرق المبين بين الطلاق واليمين لمحة المختطف في الفرق بين الطلاق والحلف الحلف بالطلاق من الأيمان حقيقة كتاب التحقيق في الفرق بين الايمان والتطليق الطلاق البدعي لا يقع مسائل الفرق بين الحلف بالطلاق وإيقاعه والطلاق البدعي والخلع ونحو ذلك تقدير خمسة عشر مجلدا مناسك الحج عدة نحو مجلد في حجة النبي عليه السلام في العمرة المكية في شهر السلاح بتبوك وشرب السويق بالعقبة

---

(١) الوافي بالوفيات الصفدي ٦/٢٥٣

وأكل التمر بالروضة وما يلبس المحرم وزيارة الخليل عقيب الحج زيارة القدس مطلقا جبل لبنان كأمثاله من الجبال ليس فيه رجال غيب ولا أبدال جميع أيمان المسلمين مكفرة)

الكتب في أنواع شتى جمع بعض الناس فتاويه بالديار المصرية مدة مقامه بها سبع سنين في علوم شتى فجاءت ثلاثين مجلدة الكلام على بطلان **الفتوة** المصطلح عليها بين العوام وليس لها أصل متصل بعلي عليه السلام كشف حال المشايخ الأحمدية وأحوالهم الشيطانية بطلان ما يقوله أهل بيت الشيخ عدي النجوم هل لها تأثير عند الاقتران والمقابلة وفي الكسوف هل يقبل قول المنجمين فيه ورؤية الأهلة مجلد تحريم أقسام المعزمين بالعزائم المعجمة وصدع الصحيح وصفة الخواتم إبطال الكيمياء وتحريمها ولو صحت ولراجت كشف حال المرازقة قاعدة في العبيديين

ومن نظم الشيخ تقي الدين رحمه الله تعالى على لسان هؤلاء الفقراء المجردين وغيرهم

(والله ما فقرنا اختيار ... وإنما فقرنا اضطرار)

(جماعة كلنا كسالى ... وأكلنا ما له عيار)

(تسمع منا إذا اجتمعنا ... حقيقة كلها فشار)

وله أجوبة سؤالات كان يسألها نظما فيجيب عنها نظما أيضا وليس هذا موضع إيراد ذلك

ومدحه جماعة من أهل عصره منهم شهاب الدين أحمد بن محمد البغداذي المعروف بابن الأبرادي الحنبلي والشيخ شمس الدين بن الصايغ وسعد الدين أبو محمد سعد الله بن عبد الأحد الحراني وأكثر من ذلك ومنه

(لئن نافقوه وهو في السجن وابتغوا ... رضاه وأبدوا رقة وتوددا)." (١)

"الطب وكان قد خدم الخلفاء والرؤساء الذين خدمهم أبوه ثم انقطع إلى القاسم بن عبيد الله وزير المعتضد واختص به حتى كان يطلعه على أسراره ويفضي إليه بما يكتمه عن غيره وذكر ابن بطلان في كتاب دعوة الأطباء أن الوزير لما بلغه أن إسحاق استعمل دواء مسهلا فأحب مداعبته وكتب إليه

(أبن لي كيف أمسيت ... وما كان من الحال)

(وكم سارت بك الناق ... ة نحو المنزل الخالي)

فكتب إليه الجواب

(بخير بت مسرورا ... رخي الحال والبال)

فأما السير والناقة والمرتبع الخالي)

فإجلالك أنسانيه يا غاية آمالي وقيل إنه كتب الجواب

(كتبت إليك والنعلان ما إن ... أقلمها من المشي العنيف)

---

(١) الوافي بالوفيات الصفدي ١٩/٧

(فإن رمت الجواب إلي فاكتب ... على العنوان يوصل للكنيف)

٣ – (عم الإمام أحمد)
إسحاق بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني عم الإمام أحمد ولد سنة إحدى وستين ومائة ومات سنة اثنتين وخمسين ومائتين سمع يزيد بن هارون وطبقته عنه ابنه حنبل بن إسحاق وغيره وكان ثقة وبينه وبين الإمام أحمد ثلاث سنين وسمع عامة مشايخ الإمام أحمد وروى عنه إبراهيم الحربي وعبد الله بن الإمام أحمد
٣ – (ابن الطبيب)
إسحاق بن خلف الشاعر المعروف بابن الطبيب من شعراء المعتصم كان رجلا شأنه الفتوة ومعاشر الشطار والتصيد بالكلاب وإيثار أصحاب الطنابير وكان من أحسن الناس إنشادا كأنه يتغنى في إنشاده وكان إذا راجعك الكلام لم تكد تسأم مراجعته لحسن ألفاظه حبس مرة لجناية جناها فقال الشعر في السجن وشهر به ثم ترقى في ذلك حتى مدح الملوك واختشاه الأشراف ودون شعره وكان أحد من اختير للمعتصم والإفشين وانصرف بالجائزة ولم يزل على رسم الفتوة وضرب الطنبور إلى أن فارق الدنيا وكان عمه طبيبا وكان لإسحاق مذهب في التشبع ومن شعره
(النحو يبسط من لسان الألكن ... والمرء تعظمه إذا لم يلحن)

(وإذا طلبت من العلوم أجلها ... فأجلها عندي مقيم الألسن)." [1]
"(فهب لي ذنوب الدمع إني أظنه ... بما كان منه إنما يبتغي ضري)

(ولو لم يرد ضري لخلى ضمائري ... تمد على أسرار مكنونها ستري)
ومن شعر بكر بن خارجة الكوفي
(يا لقومي لما جنى السلطان ... لا يكن للذي أهان الهوان
(
(سكبوا في التراب من حلب الكر ... م عقارا كأنها الزعفران)

(صبها في مكان سوء لقد صا ... دف سعد السعود ذاك المكان)

(من كميت يبدي المزاج لها لؤ ... لؤ نظم والفصل فيها جمان)

(فإذا ما اصطحبتها صغرت في ال ... قدر عندي الذي أمه الخيزران)

---

(١) الوافي بالوفيات الصفدي ٢٦٧/٨

(كيف صبري عن بعض نفسي وهل يص ... بر عن بعض نفسه الإنسان)
فأنشدت هذه الأبيات للجاحظ فقال للمنشد من حق الفتوة أن أكتب هذه الأبيات قائما إلا أن تعمدني لنقرس كان به
قلت ذكرت بهذه الأبيات ما قاله أبو الحسين الجزار
(قلت لما سكب السا ... قي على الأرض الشرابا)

(غيرة مني عليه ... ليتني كنت ترابا)

٣ - (أبو ثمامة الجذامي)
بكر بن سوادة الفقيه بمصر أبو ثمامة الجذامي روى عن عبد الله بن عمرو وسهل بن سعد وسعيد بن المسيب وأبي سالم الجيشاني وعطاء بن يسار وطائفة وثقه النسائي واستشهد به البخاري وروى له مسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه وتوفي سنة ثمان وعشرين ومائة
٣ - (ابن صرد الكاتب)
بكر بن صرد مولى بني أمية كان يكتب لجعفر بن يحي البرمكي وهو الذي قال للرشيد يحضه على البيعة لابنه القاسم المؤتمن بعد أخويه الأمين والمأمون ورويت لغيره
(يا أيها الملك الذي ... لو كان نجما كان سعدا)

(جدد لقاسم بيعة ... واقدح له في الملك زندا)." (١)

"وكان كبير النفس واسع الطعام جميل المروءة ظاهر الفتوة يطلب في كل أموره معالي الأمور وبلغ من هيبته في النفوس وقتله العيارين وإظهار الصولة والسطوة ومنع الديلم من النزول في دور الناس مبلغا عظيما
وحكم ببغداد نيفا وسبعين يوما ثم إنه صودر وأطلق فمضى إلى الموصل وأقام في ضيافة معتمد الدولة أبي المنيع فضاق صدره وتطاولت به الأيام فخرج يعتسف الطريق إلى الأهواز فلما قرب منها وضع عليه بنكير بن عياض وقتله غيلة سنة أربع عشرة وأربعمائة
٣ - (الشرمقاني المقرئ)
الحسن بن أبي الفضل أبو علي الشرمقاني المؤدب المقرئ نزيل بغداد
قال الخطيب كان من العالمين بالقراءات ووجوهها وحدث وتوفي سنة إحدى وخمسين وأربعمائة
٣ - (والي بغداد)
الحسن بن أبي الفضل أبو محمد النسوي كان صارما فاتكا مهيبا ظلوما يقتل الناس و يأخذ أموالهم وتوفي سنة اثنتين وأربعمائة

---

(١) الوافي بالوفيات الصفدي ١٢٩/١٠

وكان صاحب الشرطة ببغداد

٣ - (أبو علي الدمشقي الأخباري)

الحسن بن القاسم بن دحيم أبو علي الدمشقي حدث عن العباس ابن الوليد البيروني

وكان أخباريا وله في ذلك تصانيف وتوفي بمصر سنة سبع وعشرين وثلاثمائة وقد أناف على الثمانين

وليس هذا بالكوكبي فإن ذلك الحسين بن القاسم وهذا الحسن ومن العجيب أن وفاتيهما كانتا)

في هذا العام

٣ - (أبو علي الرازي النحوي)

الحسن بن القاسم أبو علي الرازي كان يلازم مجلس الصاحب بن عباد وكان نحويا لغويا وله كتاب المبسوط في اللغة

٣ - (غلام الهراس المقرئ)

الحسن بن القاسم بن علي الواسطي المعروف بغلام." (١)

"(حذروا الرابع الشقي دقاقا ... لا يكونن نهبه في محاق)

(إله عن بعضها فإن دقاقا ... شؤم حرها قد سار في الآفاق)

(لم تضاجع بعلا فهب سليما ... بل جريحا وجرحه غير راق)

قال أبو الجاموس البزاز النصراني اليعقوبي مضيت وأنا غلام مع أستاذي إلى باب حمدونة بنت الرشيد ومعنا بز نعرضه للبيع فخرجت إلينا دقاق تقاولنا في ثمن المتاع وفي يدها مروحة على أحد وجهيها منقوش الحر إلى أيرين أحوج من الأير إلى حرين وعلى الوجه الأخر كما أن الرحى إلى بغلين أحوج من البغل إلى رحيين

وكانت دقاق مشهورة بالظرف والمجون والفتوة قد انقطعت إلى حمدونة بنت الرشيد ثم إلى غضيض ولما تزوجها يحيى قال فيه أبو موسى الأعمى قل ليحيى نعم صبرت على الموت ولم تخش سهم ريب المنون كيف قل لي أطقت ويلك يا يحيى على الضعف منك حمل القرون

(ويح يحيى ما مر بآست دقاق ... بعدما غاب من سياط البطون)

قال ابن حمدون كتبت دقاق إلى أبي تصف هنها له صفة أعجزه الجواب فقال له صديق ابعث إلى بعض المخنثين حتى يصف متاعك فيكون جوابها فأحضر مخنثا وقال له الخبر

فقال اكتب إليها عندي القوق والبوق الأصلع المزبزق الأقرع المعروق المنتفخ العروق

يسد البثوق ويفتق الفتوق ويرم الخروق ويقضي الحقوق أسد بين جملين بغل بين حملين منار بين صخرتين رأسه رأس كلب وأصله مترس درب إذا دخل حفر وإذا خرج قشر لو نطح الفيل كوره أو دخل البحر كدره إذا رق الكلام تقارب الأجسام

---

(١) الوافي بالوفيات الصفدي ١٢/١٢٧

والتقت الساق)

بالساق ولطخ رأسه بالبصاق وقرعت البيض الذكور وجعلت الرماح تمور بطعن الفقاح وشق الأحراح صبرنا فلم نجزع وسلمنا طائعين فلم نخدع قال فقطعها

٣ - (شمس الملوك صاحب دمشق)

دقاق شمس الملوك أبو نصر بن تتش بن ألب رسلان ولي بعد قتل أبيه تاج الدولة دمشق سنة سبع وثمانين وكان بحلب راسله خادم أبيه ونائبه بقلعة دمشق سرا من أخيه رضوان ملك حلب فقدمها سرا وملكها ثم عمل هو والأتابك طغتكين زوج أمه على خادم أبيه المذكور واسمه ساوتكين فقتلاه ثم قدم رضوان إلى دمشق." (١)

"وابن صاعد وابن خزيمة وأبو عروبة وروى النسائي أيضا عن زكريا خياط السنة عنه وقال لا بأس به

وقال أبو حاتم صالح وقال ابن خزيمة ما رأيت أسرع قراءة منه ومن بندار وتوفي بمكة سنة ثمان وأربعين ومائتين

٣ - (أبو هاشم السلمي)

عبد الجبار بن عبد الصمد بن إسماعيل أبو هشام السلمي المؤدب المقرئ قرأ القراءات على أبي عبيدة أحمد بن ذكوان وسمع محمد بن خريم وجعفر بن أحمد بن عاصم والقاسم بن عيسى العصار ومحمد بن المعافي الصيداوي وسعيد بن عبد العزيز وغيرهم بالشام ومصر والحجاز وعنه تمام الرازي ومكي بن الغمر وعبد الوهاب الميداني وأبو الحسن ابن جهضم وغيرهم وجمع من المصنفات شيئا وكان ثقة مأمونا وتوفي سنة أربع وستين وثلاث مائة

٣ - (أبو سعيد الأزجي)

عبد الجبار بن يحيي بن علي بن هلال أبو سعيد الأزجي الدباس المعروف بابن الأعرابي سمع أبا القاسم بن بيان وأبا ياسر البرداني ومحمد ابن عبد الباقي الدوري وابن الحصين وجماعة سمع منه أبو محمد بن الخشاب مع تقدمه وروى عنه ابن الدبيثي والبهاء عبد الرحمن وجماعة وتوفي سنة ست وسبعين وخمس مائة

٣ - (أبو محمد المقدسي)

عبد الجبار بن يوسف بن عبد الجبار بن شبل بن علي القاضي الأكرم أبو محمد بن القاضي الأجل أبي الحجاج الجذامي الصويتي المقدسي)

ولد سنة اثنتين وعشرين وخمس مائة وتوفي ببيت المقدس سنة ثلاث وثمانين وخمس مائة

سمع من السلفي وولي ديوان الجيش بمصر مدة ومولده وداره بمصر

٣ - (شيخ الفتوة)

عبد الجبار بن يوسف بن صالح البغدادي شيخ الفتوة ورئيسها ودرة تاجها وحامل لوائها تفرد بالمروءة والعصبية وانفرد بشرف النفس والأبوة وانقطع إلى عبادة الله بموضع اتخذه لنفسه وبناه فاستدعاه الإمام الناصر وتفتى إليه ولبس منه خرج حاجا في سنة ثلاث وثمانين وخمس مائة فتوفي بالمعلاة في ذي الحجة من السنة

---

(١) الوافي بالوفيات الصفدي ١٤/١٥

٣ – (عبد الجبار الحصري)

عبد الجبار بن أبي الفضل بن الفرج بن حمزة الأزجي الحصري المقرئ الراجل الصالح قرأ القراءات على أبي الكرم الشهرزوري وسمع من أبي الوقت وابن ناصر وأبي بكر الزاغوني وجماعة وأقرأ القرآن مدة ببغداذ والموصل والقفص." (١)

"بسنه النبي صلى الله عليه وسلم ولم يحفظ عنه

وعبد الرحمن بن عمر الأوسط هو أبو شحمة وهو الذي ضربه عمرو بن العاص بمصر في الخمر ثم حمله إلى المدينة فضربه أبوه أدب الوالد ثم مرض ومات بعد شهر قال ابن عبد البر هكذا يروي معمر عن الزهري عن سالم عن أبيه وأما أهل العراق فيقولون إنه مات تحت سياط عمر وذلك غلط

وعبد الرحمن بن عمر الأصغر هو أبو المجبر وإنما سمي بذلك لأنه وقع وهو صغير فتكسر فأتي به إلى حفصة أم المؤمنين فقيل لها انظري إلى ابن أخيك المكسر فقال ليس والله بالمكسر ولكنه المجبر

٣ – (النحاس مسند مصر)

عبد الرحمن بن عمر بن محمد بن سعيد أبو محمد التجيبي المعروف بالنحاس مسند ديار مصر في وقته كان الخطيب قد هم بالرحلة إليه لعلو سنده وحديثه أعلى ما في الخلعيات

توفي سنة ست عشرة وأربع مائة

٣ – (الشنشتري الطبيب)

عبد الرحمن بن عمر بن علي الهاشمي الجعفري الشنشتري الطبيب قدم بغداذ ونزل بالنظامية وتفقه ومهر في الطب وتخرج بابن الصباغ وبابن القسيس ثم برع في الإنشاء والأدب وكتابة المنسوب وأيام الناس فنوه عز الدين الجعفري متولي البصرة بذكره وأجزل عطاءه واتصل بصاحب الديوان علاء الدين وحصل الأموال بالطب ثم إنه أقبل على التصوف ودخل في تلك المضائق وعمر خانقاه صير نفسه شيخها وعظم شأنه عند خربندا وبقي دخله في العام)

سبعين ألفا إلى أن مات سنة ثلاث وعشرين وسبع مائة وقد شاخ وهو والد نظام الدين شيخ الربوة بدمشق

٣ – (المشارف كمال الدين الأرمنتي)

عبد الرحمن بن عمر بن الحسن بن علي كمال الدين الشيمي الأرمنتي يعرف بالمشارف وكان كريما جوادا كثير المروءة **والفتوة** شاعرا أديبا تقلب في الخدم الديوانية وكان فقيها حسن السيرة توفي في سنة تسع وسبع مائة ومن شعره المديد

(حبست جفني على الأرق ... نغمات الورق في الورق)." (٢)

"١٣٧ – علان المصري علي بن أحمد بن سليمان بن الصيقل المصري المعروف بعلان كان ثقة كثير الحديث توفي سنة سبع عشرة وثلاثمائة

١٣٨ – البوشنجي الصوفي علي بن أحمد بن سهل ويقال علي بن إبراهيم أبو الحسن البوشنجي الزاهد شيخ الصوفية كان

---

(١) الوافي بالوفيات الصفدي ٢٤/١٨

(٢) الوافي بالوفيات الصفدي ١٢٢/١٨

عارفا بعلوم القوم قيل له ما التوحيد قال إلا يكون مشبه الذات ولا منفي الصفات وسئل عن **الفتوة** فقال عندك في آية ﴿يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة﴾ وفي خبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخي ما يحب لنفسه فمن اجتمعا فيه فله **الفتوة** وقال النظر فخ إبليس نصبه للصوفية وبكى قال الحاكم سمعته غير مرة يعاتب في الجمعة ويقول إن كانت الفضيلة في الجماعة فالسلامة في العزلة توفي سنة سبع وأربعين وثلاثمائة

١٣٩ - ابن المرزبان الشافعي علي بن أحمد بن المرزبان أبو الحسن البغدادي الفقيه الشافعي كان إماما ورعا أخذ الفقه عن ابن القطان وعنه أخذ الشيخ أبو حامد الإسفراييني وهو صاحب وجه في المذهب توفي سنة ست وستين وثلاثمائة كان يقول ما أعلم أن لأحد علي مظلمة وقد كان فقيها يعلم أن الغيبة مظلمة

١٤٠ - المحتسب الجرجاني علي بن أحمد بن عبد العزيز أبو الحسن الجرجاني المحتسب نزيل نيسابور أخذ عنه الحاكم وغيره وتوفي سنة ست وستين وثلاثمائة ابن الحمامي المقرئ البغدادي علي بن أحمد بن عمر بن حفص أبو الحسن ابن الحمامي البغدادي مقرئ العراق قرأ على أبي بكر محمد بن الحسن النقاش وغيره قال الخطيب كان صدوقا دينا تفرد بأسانيد القراءات علوها في وقته وتوفي سنة سبع عشرة وأربعمائة." (١)

"وقال الصبر تجرع المرارة من غير تعبيس

وقال من تحقق فى المراقبة خاف على فوت حظه من الله تعالى

وقال وقد قال الشبلى يوما بين يديه لا حول ولا قوة إلا بالله قولك ذا ضيق صدر وهو ترك للرضا بالقضاء والرضا رفع الاختيار

وقيل له ما للمريد فى مجارة الحكايات فقال الحكايات جند من جنود الله يقوى بها قلوب المريدين فسئل على ذلك شاهدا فقال قوله تعالى ﴿وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك﴾

وقيل له ما الفرق بين المريد والمراد فقال المريد تتولاه سياسة العلم والمراد تتولاه رعاية الحق لأن المريد يسير والمراد يطير وأين السائر من الطائر

وقال الإخلاص سر بين الله وعبده ولا يعلمه ملك فيكتبه ولا شيطان فيفسده ولا هوى فيميله

وقال الصادق يتقلب فى اليوم أربعين مرة والمرائى يثبت على حالة واحدة أربعين سنة

وسئل عن الحياء فقال رؤية الآلاء ورؤية التقصير يتولد منهما حالة تسمى الحياء

وقال **الفتوة** كف الأذى وبذل الندى

وقال لو أقبل صادق على الله ألف ألف سنة ثم أعرض عنه لحظة كان ما فاته أكثر مما ناله

قلت والناس يستشكلون هذه الكلمة ويتطلبون تقريرها وسألت عنها بعض العارفين بالتصوف فقال معناها يظهر بضرب

---

(١) الوافي بالوفيات الصفدي ٨٦/٢٠

مثل وهو أن الغواص إذا غاص فى البحر منقبا على نفيس الجواهر إلى أن قارب قراره وكاد يحظى بمراده أعرض وترك كان ما فاته أكثر مما ناله وكذلك من أقبل على الحق ألف ألف سنة ثم أعرض فتلك." (١)

"(كفاك يا دولة الملك المؤيد عن ... بر البرية من للفضل أعطاك)

(لك الفتوة والفتوى محررة ... لله ماذا على الحالين أفتاك)

(أحييت ما مات من علم ومن كرم ... فزادك الله من فضل وحياك)

(من ذا يجمع ما جمعت من شرف ... في الخافقين ومن يسعى لمسعاك)

(أنسى المؤيد أخبار الألى سلفوا ... في الملك ما بين وهاب وفتاك)

(ذو الرأي يشكو السلاح الجم قاطعه ... لذاك يسمى السلاح الجم بالشاكي)

(والمكرمات التي افترت مباسمها ... والغيث بالرعد يبدي شهقة الباكي)

(قل للبدور استجني في الغمام فقد ... محا سنا ابن علي حسن مرآك)

(إن ادعيت من البشر المطيف به ... غيظا فقد ثبتت في الوجه دعواك)

(يا أيها الملك المدلول قاصده ... وضده نحو ستار وهتاك)

(وحدته في الورى بالقصد وارتفعت ... وسائلي فيه عن زيغ وإشراك)." (٢)

"(وهبتك في الهوى روحي بوعد ... وبعتك عامدا نقدا بدين)

(وجئت وفي يدي كفني وسيفي ... فكيف جعلتها خفي حنين)

(وكم صيرت بعدك قيد قلبي ... وكان جمال وجهك قيد عين)

(فصرنا نشبه النسرين بعدا ... وكنا ألفة كالفرقدين)

(علمت بأن وعدك صار مينا ... لزجري مقلتيك بصارمين)

(وقلت وقد رأيتك خاب سعيي ... لكن البدر بين العقربين)

(فكم دللتني بخيال زور ... وكم أطمعتني بسراب مين)

(وهل لا قلت لي قولا صريحا ... فكان المنع إحدى الراحتين)

(عرفتك دون كل الناس لما ... نقدتك في الملاحة نقد عين)

(وكم قد شاهدتك الناس قبلي ... فما نظروك كلهم بعيني)

(وطاوعت الفتوة فيك حتى ... جعلتك في العلاء برتبتين)

(فلما أن خلا المغنى وبتنا ... عراة بالعفاف مؤزرين)

(قضينا الحج ضما واستلاما ... ولم نشعر بما في المشعرين)

---

(١) طبقات الشافعية الكبرى للسبكي السبكي، تاج الدين ٢/٢٦٥

(٢) طبقات الشافعية الكبرى للسبكي السبكي، تاج الدين ٩/٤٠٦

(أتهجرني وتحفظ عهد غيري ... وهل للموت عذر بعد ذين)

(وقلت الوعد عند الحر دين ... فكيف مطلتني وجحدت ديني)

(أأجعل لي عليك سواك عينا ... وكنت على جميع الناس عيني)

(إذا ما جاء محبوبي بذنب ... يسابقه الجمال بشافعين)

(وقلت جعلت كل الناس خصمي ... لقد شاهدت إحدى الحالتين)

(وكان الناس قبل هواك صحبي ... فهل أبقيت لي من صاحبين)." (١)

"هرب السارق

خروج المعتدة

معنى قول الإمام المطلبي إذا صح الحديث فهو مذهبي

سبب الانكفاف عن إقراء الكشاف

وقف بيسان

وقف أولاد الحافظ

النظر المعيني في محاكمة أولاد اليونيني

موقف الرماة في وقف حماه مركز الرماة

القول النقوي في الوقف التقوي

القول المختطف في دلالة كان إذا اعتكف

كشف اللبس عن المسائل الخمس

غيرة الإمان لأبي بكر وعمر وعثمان

أجوبة سؤالات أرسلت إليه من مصر حديثية أوردها بعض المشايخ على كتاب تهذيب الكمال للحافظ المزي

مسألة زكاة مال اليتيم

الكلام على لباس الفتوة وهو فتوى الفتوة

بيع المرهون في غيبة المديون." (٢)

"وقال الواحدي: تقديم الفعل يدعو إلى إسقاط علام التأنيث، على قياس إسقاط علامة التثنية، والجمع.

والمشهور: كسر نونها، ويجوز ضمها في لغة، ونقلها أبو البقاء عن قراءة، قال القرطبي: وهي قراءة الأعمش، والمفضل والسلمي.

وإذا ضمت نونه، كان اسم جمع بلا خلاف، ويكسر في الكثرة على نسوان، والنساء: جمع كثرة أيضا، ولا واحدا له من

---

(١) طبقات الشافعية الكبرى للسبكي السبكي، تاج الدين ٩/٤٢٢

(٢) طبقات الشافعية الكبرى للسبكي السبكي، تاج الدين ١٠/٣١٤

لفظه، كذا قاله أبو حيان.

ومقتضى ذلك ألا يكون النساء جمعا لنسوة؛ لقوله: لا واحد له من لفظه.

و «في المدينة» يجوز تعلقه بمحذوف، صفة ل «نسوة» ، وهو ظاهر، ويقال: ليس بظاهر.

فصل في عدد النسوة

في: إنهن خمس: امرأة حاجب الملك، وامرأة صاحب دوابه، وامرأة الخازن، وامرأة الساقي، وامرأة صاحب السجن، قاله مقاتل.

وقال الكلبي: أربع؛ فأسقط امرأة الحاجب. والأشبه أن تلك الواقعة شاعت في البلد، واشتهرت، وتحدث بها النساء، والمراد بالمدينة: مصر، وقيل: مدينة عين شمس.

قوله: «تراود» خبر «امرأة العزيز» ، وجيء بالمضارع، تنبيها على أن المراودة صارت سجية لها، وديدنا، دون الماضي فلم يقل: راودت، ولام الفتى ياء؛ لقولهم: الفتيان، وفتى، وعلى هذا؛ فقولهم: **الفتوة** في المصدر شاذ.

قال: «فتاها» ، وهو فتى زوجها؛ لأن يوسف كان عندهم في حكم المماليك، وكان ينفذ أمرها فيه.

وروى مقاتل، عن أبي عثمان النهدي، عن سلمان الفارسي رضي الله عنه قال: «إن امرأة العزيز استوهبت يوسف من زوجها، فوهبه لها، وقال: ما تصنعين به؟ قالت: اتخذه ولدا، قال: هو لك؛ فربته حتى [أيفع] ، وفي نفسها منه ما في نفسها، فكانت تتكشلإ له، وتتزين، وتدعوه من وجه اللطف؛ فعصمه الله» .

قوله: ﴿قد شغفها حبا﴾ ، وهذه الجملة يجوز أن تكمون خبرا ثانيا، وأن تكون مستأنفة، وأن تكون حالا؛ إما من فاعل «تراود» ، وإما من مفعوله، و «حبا» تمييز؛ وهو منقول من الفاعلية، وإذ الأصل: قد شغفها حبه.." (١)

"الصحيح الأول، وأما البنوة فلا دلالة فيها؛ لأنهم قد قالوا: **الفتوة** ولا خلاف أنها من ذوات «الياء» . إلا أن «الأخفش» رجح الثاني بأن حذف الواو أكثر. واختلف في وزنه فقيل: «بني» بفتح العين، وقيل: بني ــ بسكونها، وقد تقدم أنه أحد الأسماء العشرة التي سكنت فاؤها وعوض من لامها همزة الوصل. و «إسرائيل» خفض بالإضافة، ولا ينصرف للعملية والعجمة، وهو مركب تركيب الإضافة مثل: «عبد الله» فإن «إسرا» هو العبد بلغتهم، و «إيل» هو الله تعالى. وقيل: «إسرا» هو مشتق من الأسر، وهو القوة، فكان معناه الذي قواه الله. وقيل «إسرا» هو صفوة الله، و «إيل» هو الله. وقال القفال: قيل: إن «إسرا» بالعبرانية في معنى إنسان، فكأنه قيل: رجل الله، فكأنه خطاب مع اليهود الذين كانوا بالمدينة. وقيل: إنه أسرى بالليل مهاجرا إلى الله. وقيل: لأنه أسر جننا كان يطفىء سراج بيت المقدس. قال بعضهم: فعلى هذا يكون بعض الاسم عربيا، وبعضه أعجميا، وقد تصرفت فيه العرب بلغات كثيرة أفصحها لغة القرآن، وهي قراءة الجمهور. وقرأ «أبو جعفر والأعمش» : «إسرايل» بياء بعد الألف من غير همزة، وروي عن «ورش» «إسرائل» بهمزة بعد الألف دون ياء، و «إسرأل» بهمزة مفتوحة، و «إسرئل» بهمزة مكسورة بين الراء واللام، و «إسرال» بألف محضة بين الراء واللام؛ قال: [الخفيف]

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٧٨/١١

٤٢٦ - لا أرى من يعينني في حياتي ... غير نفسي إلا بني إسرال
وروي قراءة غير نافع قرأ عن نافع. و «إسرائيل» هذه مهموزة مختلسة حكاها شنبوذ، عن ورش، و «إسرايل» من غير همز ولا مد و «إسرائين» أبدلوا من اللام نونا ك «أصيلان» في «أصيلال» ؛ قال: [الرجز]." (١)

"أي: كخلالة أبي مرحب] ، وهذا اختيار الفراء، والزجاج، وقطرب.

وقال أبو علي: ومثل هذه الآية الكريمة قوله: ﴿أجعلتم سقاية الحاج﴾ [التوبة: ١٩] ، ثم قال: ﴿كمن آمن بالله﴾ [التوبة: ١٩] ؛ ليقع التمثيل بين مصدرين، أو بين فاعلين؛ إذ لا يقع التمثيل بين مصدر، وفاعل.

الرابع: أن يطلق المصدر على الشخص مبالغة؛ نحو: رجل عدل.

ويحكى عن المبرد: «لو كنت ممن يقرأ القرآن، لقرأت» ولكن البر «بفتح الباء» وإنما قال ذلك؛ لأن «البر» اسم فاعل، نقول بر يبر، فهو بار، فتارة تأتي به على فاعل، وتارة على فعل.

الخامس: أن امصدر وقع موقع اسم الفاعل، نحو: رجل عدل، أي: عادل، كما قد يقع اسم الفاعل موقعه، نحو: أقائما، وقد قعد الناس؛ في قول، هذا رأي الكوفيين، والأولى فيه ادعاء أنه محذوف من فاعل، وأن أصله: بار، فجعل «برا» ، وأصله ك «سر» ، و «رب» أصله «راب» ، وقد تقدم.

وجعل الفراء «من آمن» واقعا موقع الإيمان، فأوقع اسم الشخص على المعنى كعكسه؛ كأنه قال: «ولكن البر الإيمان بالله» قال: والعرب تجعل الاسم خبرا للفعل، وأنشد في ذلك: [الطويل]

٩١٤ - لعمرك ما الفتيان أن تنبت اللحى ... ولكنما الفتيان كل فتى ندي

جعل نبات اللحية خبرا للفتيان، والمعنى: لعمرك ما الفتوة أن تنبت اللحى.

وقرأ نافع، وابن عامر: «ولكن البر» هنا وفيما بعد بتخفيف «لكن» وبرفع «البر» ، والباقون بالتشديد، والنصب، وهما واضحتان مما في قوله: ﴿ولكن الشياطين كفروا﴾ [البقرة: ١٠٢] .

وقرئ: «ولكن البار» بالألف، وهي تقوي أن «البر» بالكسر المراد به اسم الفاعل، لا المصدر.

قال أبو عبيدة: «البر» هاهنا بمعنى البار، كقوله: ﴿والعاقبة للتقوى﴾ [طه: ١٣٢] أي: للمتقين، ومنه قوله تعالى: ﴿إن أصبح مآؤكم غورا﴾ [الملك: ٣٠] أي: غائرا، وقالت الخنساء: [البسيط]." (٢)

"مشتقا من هذا الاسم؛ كالأبوة والأخوة والفتوة من لفظ أب وأخ وفتى، وتقدم أن القس بالفتح في الأصل هو المصدر، وأن العالم سمي به مبالغة، قال شهاب الدين: ولا أدري ما حمل من قال: إنه معرب مع وجود معناه في لغة العرب كما تقدم؟ .

والرهبان: جمع راهب؛ كراكب وركبان، وفارس وفرسان، وقال أبو الهيثم: «إن رهبانا يكون واحدا ويكون جمعا» ؛ وأنشد على كونه مفردا قول الشاعر: [الرجز]

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٢/٤

(٢) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ١٩٦/٣

٢٠٣٨ – لو عاينت رهبان دير في القلل ... لأقبل الرهبان يعدو ونزل

ولو كان جمعا، لقال: «يعدون» و «نزلوا» بضمير الجمع، وهذا لا حجة فيه؛ لأنه قد عاد ضمير المفرد على الجمع الصريح؛ لتأوله بواحد؛ كقوله تعالى: ﴿وإن لكم في الأنعام لعبرة نسقيكم مما في بطونه﴾ [النحل: ٦٦] ، فالهاء في «بطونه» تعود على الأنعام؛ وقال: [الرجز]

٢٠٣٩ – وطاب ألبان اللقاح وبرد ... في «برد» ضمير يعود على «ألبان» ، وقالوا: «هو أحسن الفتيان وأجمله» ؛ وقال الآخر: [الرجز]

٢٠٤٠ – لو أن قومي حين أدعوهم حمل ... على الجبال الشم لانهد الجبل

إلى غير ذلك مما يطول ذكره، ومن مجيئه جمعا الآية، ولم يرد في القرآن الكريم إلا جمعا؛ وقال كثير: [الكامل]

٢٠٤١ – رهبان مدين والذين عهدتهم ... يبكون من حذر العقاب قعودا

لو يسمعون كما سمعت كلامها ... خروا لعزة ركعا وسجودا

قيل: ولا حجة فيه؛ لأنه قال: «والذين» فيحتمل أن الضمير إنما جمع؛ لأجل هذا الجمع، لا لكون «رهبان» جمعا، وأصرح من هذا قول جرير: [الكامل]

٢٠٤٢ – رهبان مدين لو رأوك تنزلوا ... والعصم من شعف العقول الفادر

قال أبو الهيثم: وإن جمع الرهبان الواحد «رهابين ورهابنة» ، جاز، وإن قلت: رهبانيون كان صوابا؛ كأنك تنسبه إلى الرهبانية، والرهبانية من الرهبة، وهي المخافة،." (١)

"ما كان أطيب الماضي عيشنا الماضي بها ... لو كان ذاك العيش فيها يرجع

أيام نغفر للصبا ذنب الهوى ... ونشفع الوجه الجميل فيشفع

ما سرني تبديد دمعي لؤلؤا ... وعهدته بيد الحسان يجمع ٤٨ – القاضي أبو جعفر بن أبي القاسم محمد بن أبي القاسم محمد بن جزي

ولد الخطيب المذكور (١)

هضبة وقار، تنظر إلى رضوى بعين احتقار، اقتدى بما له من كرم الأبوة، ولبس وقار الشيخ في سن الفتوة، فتقلد مآثر الفتوة وتوشح، وتأهل لرتبتهم لا علية وترشح، فما شئت من هدوء وسكون، وجنوح إلى الخير وركون، ونزاهة وعفاف، وتبلغ بكفاف، واصبح في عصره زينا، وفي جملة (٢) أعيانا عينا، إن ركض في مركزه سبق، اغو اهتز إلى محاضرة تأرج عرفة وعبق، وأدبه أدب ساطع، حسن المقاطع؛ فمن غزر قصائده التي حملتها عنه الرواة، وأعانه على مصنوعه الشريف الأدوات، قوله (٣) :

---

(١) ولد سنة ٧١٥ ولما كتب لسان الدين الإحاطة كان ما يزال حيا، تقدم قاضيا بحضرة غرناطة وخطيبا بمسجد السلطان

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٤٧٨/٧

(٨ شوال ٧٦٠) ثم انصرف عنها وأعيد إليها عام ٧٦٣، ورجح المقري أن تكون وفاته سنة ٧٨٥ وكان موصوفا بالنزاهة والمضاء، له تقيد في الفقه على كتاب والده المسمى " القوانين الفقهية " وله رجز في الفرائض. ترجم له ابن الخطيب في التاج والإحاطة ١: ١٦٣ (١: ٤٨) وانظر أزهار الرياض ٣: ١٨٧.

(٢) خ بهامش ك: وفي حلبة.

(٣) انظر القصيدة في الإحاطة ١: ١٦٥ وأزهار الرياض ٣: ١٨٢.." [١]

"سفيان بن عيينة رضي الله عنه يقول لم يعط أحد في الدنيا شيئا أعظم من النبوة ولم يعط بعد النبوة أفضل من العلم والفقه

فينبغي للعالم أن لا يضع نفسه في موضع هوان ولا يذلها لأهل الجهل والعدوان

بل ينزه نفسه أولا عما ينقص المروءة ويذهب **الفتوة**

ثم يصونها ثانيا عن الأدناس ومخالطة الفسقة والأنجاس

ثم يحملها ثالثا على الهيئة العلية والأفعال المرضية

ويجملها رابعا بالسكينة والوقار في الحضرة والأسفار وإطراق الرأس وضبط الحواس وتحسين الزي واللباس والهيبة الحسنة عند الناس

فقد كان أوائل هذه الأمة ليس لهم في طلب الزي همة إذ كانوا قد رسخ الإسلام في قلوبهم فكان العلم والدين غاية مطلوبهم

فزهدوا في الدنيا بالكثير واكتفوا من حطامها باليسير لما وقع في قلوبهم من الجد والتشمير

ثم لما حدثت الفترة بعده في الطالبين ندب الشرع إلى إقامة صورة الإئمة المتصدرين والعلماء والمدرسين والقضاة والمفتين

على خلاف ما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضي الله عنهم أجمعين

وسبب ذلك أن المقاصد والمصالح الشرعية وقمع." [٢]

"والآخرة دار جزاء، فمن لم يعمل هنا ندم هناك.

وروي من طريق النقاش: سمعت الدارقطني: سمعت أبا سهل بن زياد: سمعت عبد الله بن أحمد بن حنبل يقول: سئل أحمد رحمه الله عن **الفتوة**. فقال: ترك ما تهوى لما تخشى.

ومن طريق أحمد بن مروان المالكي، حدثنا إدريس الحداد قال: كان أحمد بن حنبل إذا ضاق به الأمر اجر نفسه من الحاكة فسوى لهم. قال إدريس: فلما كان أيام المحنة، وصرف إلى بيته حمل إليه مال جليل، وهو محتاج إلى رغيف يأكله، فرد جميع ذلك، لم يقبل منه قليلا ولا كثيرا، قال: فجعل عمه إسحاق يحسب ما رد، فإذا هو خمسمائة ألف - أو نحوها - فقال له: يا عم، أراك مشغولا بحساب ما ليس يحسب، فقال: قد رددت اليوم كذا وكذا، وأنت محتاج إلى حبة. فقال: يا عم، لو طلبنا لم يأتنا. وإنما أتانا لما تركناه.

---

(١) الكتيبة الكامنة في من لقيناه بالأندلس من شعراء المائة الثامنة لسان الدين بن الخطيب ص/١٣٨

(٢) نشر طي التعريف في فضل حملة العلم الشريف والرد على ماقتهم السخيف الوَصَابي ص/١٢٣

أخبرنا محمد بن أحمد بن عبد الرحيم، أخبرنا أبو محمد بن حبان: سمعت أبا جعفر البردي: سمعت إسماعيل بن قتيبة سمعت أحمد بن حنبل يقول: إن القلنسوه لتقع من السماء على رأس من لا يحبها.

أخبرنا أبي رحمه الله، أخبرنا أبو عمر بن عبد الوهاب إجازة، حدثنا." (١)

"ومن كلام الثاني: " الفتوة رؤية فضل الناس ونقصانك ".

ومن أصحابه أيضا أبو محمد عبد الله بن محمد الراسبي البغدادي. مات سنة سبع وستين وثلثمائة.

قال: " المحبة إذا ظهرت افتضح بها الحب، وإذا كتمت قتلت المحب كمدا ". وأنشد:

ولقد أفارقه بإظهار الهوى ... عمدا ليستر سره إعلانه

فلربما كتم الهوى إظهاره ... ولربما فضح الهوى كتمانه

وعى المحب لدى الحبيب بلاغه ... ولربما قتل البليغ لسانه

كم قد رأينا قاهرا سلطانه ... للناس، ذل بحبه سلطانه." (٢)

"مجتمعة في وسط الماء، بين واسط والبصرة، مشهورة بالعراق.

ومن كلامه: " من اشتغل بما لا يعنيه فاته ما يعنيه؛ والأنس بالخلق انقطاع عن الحق؛ والدب سنة الفقراء ووراثة الأغنياء ".

وسئل: " لماذا نحجب إجابة الدعوة؟ " فقال: " لقلة الحلال! ".

وسئل عن الفتوة، فقال: " هي الصفح عن عثرات الإخوان. وألا ترى لنفسك فضلا على غيرك ".

وسئل عن التصوف، فقال للسائل: " تسألنا عن تصوفنا أو تصوفكم؟ " فقال: " يا سيدي! كانت مسألة فصارت اثنتين؛ اشرحهما لي! " فقال: " أما تصوفكم أنتم فهو أن تصفي أسرارك، وتطيب أخبارك، وتطيع جبارك، وتقوم ليلك وتصوم نهارك.

وأما تصوف القوم، فكما قيل:

ليس التصوف بالخرق ... من قال هذا قد مرق

إن التصوف يا فتى ... حرق يمازجها قلق

وكان يعظ الناس بكرة يوم الخميس، وما بين الظهر والعصر منه.." (٣)

"ومن كلامه:) ١ (" ترك الدنيا للدنيا من علامات حب جمع الدنيا ".

ومن أصحابه أبو بكر محمد بن احمد بن جعفر الشبهي من كبار مشايخ نيسأبور. مات قبل الستين وثلاثمائة.

ومن كلامه:) ١ (" الفتوة حسن الخلق، وبذل المعروف ".." (٤)

---

(١) ذيل طبقات الحنابلة ابن رجب الحنبلي ٢٩٨/١

(٢) طبقات الأولياء ابن الملقن ص/٧٦

(٣) طبقات الأولياء ابن الملقن ص/٩٥

(٤) طبقات الأولياء ابن الملقن ص/٢٤٣

"وقال: " من هواني الدنيا أني لا ابخل بها على أحد، ولا ابخل بها على نفسي، لاحتقارها واحتقار نفسي عندي ".

ولما ورد العراق، جاء الجنيد، فراه أصحابه وقوفا على رأسه يأتمرون بأمره لا يخطئ أحده بصره عنه، فقال له الجنيد: " يا سيدي! لقد أدبت أصحابك أدب السلاطين! " فقال: " يا أبا القاسم!. إنما حسن آداب الظاهر عنوان حسن أداب الباطن ".

وقال الجنيد: " مكث عندي أبو حفص سنة، مع ثمانية انفس. فكنت كل يوم اقدم لهم طعاما جديدا، وطيبا جديدا، وذكر أشياء من النبات وغيرها. فلما أراد ان يمر كسوته، وكسوة أصحابه اجمع فلما أراد ان يفارقني قال: " لو جئت إلى نيسأبور علمناك الفتوة والسخاء! " ثم قال: " هذا الذي عملت كان تكلفا!. إذا جائك الفقراء فكن معهم بلا تكلف. فإذا جعت جاعوا، وإذا شبعت شبعوا، حتى يكون مقامهم وخرجوهم عندك شيء واحد ".

وقال أبو عثمان: "كنا مع أستاذنا أبي حفص خارج نيسأبور فتكلم علينا، وطابت نفوسنا، فإذا بأيل قد نزل من الجبل وبرك بين يدي." (١)

"أبو الحسن البوشنجي

- ٣٤٧ للهجرة

علي بن احمد بن سهل البوشنجي نسبة لبوشنج بلدة على فراشخ من هراة، أبو الحسن. أحد الأوتاد.

دخل إلى الشام والعراق. وصحب ابن عطاء والجيري وغيرهما واستوطن بنيسأبور، وبنى بها خانقاه. ولزم المسجد وتخلف عن الخروج، واعتزل الناس إلى أن مات.

مات سنة ثمان وأربعين وثلاثمائة. وغسله أبو الحسن العلوي، وصلى عليه، ودفن بجن أبي علي الغنوي.

وانقطعت طريقة الفتوى والأخلاص من نيسأبور بموته. وكان اعلم وقته للتوحيد والطريق، وأحسنهم طريقة في الفتوة والتجريد.

ومن كلامه:." (٢)

"أبو القاسم المخرمي

- ٣٦٤ للهجرة

عبد السلام بن محمد البغدادى، المخرمى أبو القاسم، شيخ الحرم. سافر، ولقي المشايخ، وسكن مكة وحدث بها.

مات سنة أربع وستين وثلثمائة. ولقى الكتاني، والروذبارى. جمع بين علمي والحقيقة، والفتوة وحسن الأخلاق.

والمخرمى نسبة إلى المخرم - محلة ببغداد - لأن بعض ولد يزيد بن المخرم نزلها فسميت به.." (٣)

---

(١) طبقات الأولياء ابن الملقن ص/٢٥٠

(٢) طبقات الأولياء ابن الملقن ص/٢٥٢

(٣) طبقات الأولياء ابن الملقن ص/٣٤٧

". . . . .

ـــــــqقال مولاي فذلك مباح والأفضل أن يقول سيدي.

[فائدة قول السيد لمملوكه عبدي وأمتي] ١

(السادسة) فيه نهي السيد أن يقول لمملوكه عبدي، وأمتي وإرشاده إلى أن يقول غلامي وجاريتي وفتاي وفتاتي؛ وذلك لأن حقيقة العبودية إنما يستحقها الله تعالى ولأن فيها تعظيما لا يليق بالمخلوق واستعماله لنفسه، وقد بين النبي - صلى الله عليه وسلم - العلة في ذلك فقال «كلكم عبيد الله» فنهى عن التطاول في اللفظ كما نهى عن التطاول في الفعل، وفي إسبال الإزار ونحوه. وأما لفظ غلامي وجاريتي وفتاي وفتاتي فليس دالا على الملك كدلالة عبدي مع أنه يطلق على الحر والمملوك وإضافته دالة على الاختصاص قال الله تعالى ﴿وإذ قال موسى لفتاه﴾ [الكهف: ٦٠] ﴿وقال لفتيانه﴾ [يوسف: ٦٢] ﴿قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له إبراهيم﴾ [الأنبياء: ٦٠] واستعمال الجارية في الحرة الصغيرة معروف في استعمال العرب وهو مشهور في الجاهلية والإسلام، وأصل **الفتوة** الشباب، وقد يستعمل الفتى فيمن كملت فضائله ومكارمه كما جاء «لا فتى إلا علي» ومن هذا أخذ الصوفية **الفتوة** المتعارفة بينهم، وأصل مدلوله الغلام الصغير إلى أن يبلغ، وقد يطلق على الرجل المستحكم القوة وهو على هذا إما مأخوذ من الغلمة وهي شهوة النكاح وكذلك الجارية في الإناث كالغلام في الذكور.

[فائدة التطاول على الرقيق وقوله عبدي وأمتي]

(السابعة) هذا النهي على التنزيه دون التحريم، وقد حمله على ذلك جميع العلماء حتى أهل الظاهر، وأشار إلى ذلك البخاري في صحيحه فبوب باب كراهية التطاول على الرقيق وقوله عبدي، وأمتي وقال الله تعالى ﴿والصالحين من عبادكم وإمائكم﴾ [النور: ٣٢] وقال ﴿عبدا مملوكا﴾ [النحل: ٧٥] ﴿وألفيا سيدها لدى الباب﴾ [يوسف: ٢٥] وقال ﴿من فتياتكم المؤمنات﴾ [النساء: ٢٥] وقال النبي - صلى الله عليه وسلم - «قوموا إلى سيدكم» ﴿اذكرني عند ربك﴾ [يوسف: ٤٢] سيدك «ومن سيدكم» ثم روى مع حديث الباب حديث ابن عمر «إذا نصح العبد سيده» وحديث أبي موسى «المملوك الذي يحسن عبادة ربه ويؤدي إلى سيده» وحديث ابن عمر «من أعتق نصيبا له من عبد» وحديثه «والعبد راع على مال سيده» وحديث أبي هريرة وزيد بن خالد «إذا زنت الأمة فاجلدوها» فاستدل البخاري بهذه الآيات والأحاديث على أن النهي في حديث الباب للكراهة، وقال ابن بطال ما جاء في هذا الباب من النهي عن التسمية فهو من باب التواضع، ويجوز أن يقول عبدي، وأمتي؛ لأن القرآن قد نطق به في قوله تعالى." (١)

"أم حبين، يجتمع إليها الصبيان، ويقولون: اطحني لنا، فتطحن بنفسها الأرض حتى تغيب فيها.

الطرسوح:

---

(١) طرح التثريب في شرح التقريب العراقي، زين الدين ٦/٢٢٣

حوت بحري، إذا أدمن كله، أورث العين غشاوة.

طرغلودس:

يعرفه أهل الأندلس، ويسمونه الضريس، بضاد معجمة مضمومة، وراء مهملة مفتوحة، وياء ساكنة منقوطة، اثنتين من تحتها وسين مهملة. قال الرازي، في كتاب الكافي: هو عصفور صغير، أصغر من جميع العصافير، لونه رمادي وأحمر وأصفر، وفي جناحيه ريشة ذهبية ومنقاره رقيق، وفي ذنبه نقط بيض متواترة، وهو دائم الصفير وأجوده السمين.

وحكمه

: الحل.

وله خاصية عجيبة

، في تفتيت الحصا المتكون في المثانة ومنع ما لم يتكون.

الطرف:

بكسر الطاء الكريم من الخيل، وقال أبو زيد: هو نعت للذكر خاصة.

الطغام:

والطغامة بفتح الطاء والغين المعجمة أرذال الطير والسباع، وهما أيضا أراذل الناس، الواحد والجمع في ذلك سواء، قاله ابن سيده.

الطفل:

ولد كل وحشية، والمولود من بني آدم والجمع أطفال، وقد يكون الطفل واحدا وجمعا، مثل الجنب. قال الله تعالى: أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء

«١»

والمطفل: الظبية معها طفلها، وهي قريبة عهد بالنتاج، وكذلك الناقة والجمع: المطافيل. قال «٢» أبو ذئيب:

وإن حديثا منك لو تبذلينه ... جنى النحل في ألبان عوذ مطافل

مطافيل أبكار حديث نتاجها ... تشاب بماء مثل ماء المفاصيل «٣»

وما أحسن قول الآخر:

فيا عجبا لمن ربيت طفلا ... ألقمه بأطراف البنان

أعلمه الرماية كل يوم ... فلما اشتد ساعده رماني

أعلمه الفتوة كل وقت ... فلما طر شاربه جفاني

وكم علمته نظم القوافي ... فلما قال قافية هجاني

ذو الطفيتين:

حية خبيثة، والطفية خوصة المقل في الأصل، وجمعها طفى، فشبه الخطين اللذين على ظهر الحية بخوصتين من خوص المقل.

قال الزمخشري: وفي كتاب العين الطفية حية لينة خبيثة وأنشد يقول:

وهم يذلونها من بعد عزتها ... كما تذل الطفي من رقية الراقي

وكذا قاله ابن سيده أيضا. وفي الصحيحين وغيرهما، من حديث ابن عمر وعائشة رضي الله تعالى." (١)

"أكرمهم بخروجك وتوجيه رسلك إليهم. وهم يقرؤونك السلام. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: اللهم لا تفرق بيني وبين أصهاري وأحبابي، واغفر لمن أحبني، وأحب أهل بيتي وأحب أصحابي. فذلك قوله تعالى إذ أوى الفتية إلى الكهف

«١» أي صار يضم الفتية. قال الثعلبي: كان أصحاب الكهف صيارفة.

قوله عز وجل إلى الكهف

هو غار بجبل منحلوس. وقيل: بناحيوس واسم الكهف حرم، وقيل خدم. قوله «٢» تعالى: فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من أمرنا رشدا

أي يسر لنا ما نلتمس من رضاك، وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: رشدا أي مخرجا من الغار في سلامة، وقيل: صوابا. قوله «٣» تعالى: فضربنا على آذانهم في الكهف

وهذا من فصاحات القرآن، التي أقرت العرب القصور عن الإتيان بمثله. ومعناه أنمناهم وألقينا وسلطنا عليهم النوم.

كما يقال ضرب الله فلانا بالفالج، أي ابتلاه به وأرسله عليه. وقيل: معناه حجبناهم عن السمع، وسددنا نفوذ الصوت إلى مسامعهم. وهذا وصف الأموات والنيام. وقال قطرب: هو كقول العرب ضرب الأمير على يد الرعية، إذا منعهم من العبث والفساد، وضرب السيد على يد عبده المأذون له في التجارة، إذا منعه من التصرف. وقال الأسود «٤» بن يعفر، وكان ضريرا، في ذلك:

ومن الحوادث لا أبالي أنني ... ضربت على الأرض بالأسداد

قوله «٥» عز وجل سنين عددا

أي معدودة وهي نعت السنين، والعد المصدر والعدد الاسم المعدود كالنقض والنقض، والقص والقصص، والخبط والخبط.

وقال أبو عبيدة: هو نصب على المصدر. قوله «٦» تعالى: ثم بعثناهم

يعني من بعد موتهم، لنعلم أي الحزبين أحصى لما لبثوا أمدا

«٧» وذلك حين تنازع المسلمون الأولون أصحاب الملك، والمسلمون الآخرون الذين أسلموا حين رأوا أصحاب الكهف، في قدر مدة لبثهم في الكهف. فقال المسلمون الأولون: لبثوا في الكهف ثلاثمائة سنين وتسع سنين، وقال المسلمون الآخرون: بل لبثوا كذا وكذا. فقال الأولون: الله أعلم بما لبثوا. فذلك قوله تعالى:

ثم بعثناهم لنعلم أي الحزبين

«٨» أي: أي الفريقين أحصى، أي أضبط وأحفظ، لما لبثوا، أي مكثوا في كهفهم نياما أمدا، غاية. وقال مجاهد: عددا.

---

(١) حياة الحيوان الكبرى الدَّمِيري ١٣١/٢

وفي نصبه وجهان: أحدهما على التفسير والثاني مفعول لبثوا.

قوله «٩» عز وجل: نحن نقص عليك

أي نقرأ وننزل عليك نبأهم بالحق

«١٠» ، أي خبر أصحاب الكهف. إنهم فتية

«١١» أي شباب وأحداث آمنوا بربهم

«١٢» ، حكم الله لهم بالفتوة، حين آمنوا بلا واسطة. لذلك قال أهل اللسان: رأس الفتوة الإيمان. وقال الجنيد: الفتوة بذل الندى، وكف." (١)

"الأذى، وترك الشكوى. وقيل: الفتوة شيآن: اجتناب المحارم واستعمال المكارم. وقيل: الفتى من لا يدعي قبل الفعل، ولا يذكي نفسه بعد الفعل. وقيل: ليس الفتى من يصبر على السياط، إنما الفتى من يجوز على الصراط، وليس الفتى من يصبر على المسكين إنما الفتى من يطعم المسكين.

قوله «١» تعالى: وزدناهم هدى

أي إيمانا وبصيرة وايقانا. وربطنا

«٢» أي شددنا على قلوبهم

«٣» بالصبر، وألهمناهم ذلك وقويناهم بنور الإيمان حين صبروا على هجران دار قومهم، وفراق ما كانوا فيه من خفض العيش، وفروا بدينهم إلى الكهف إذ قاموا

«٤» بين يدي دقيانوس فقالوا

«٥» حين عاتبهم على ترك عبادة الصنم: ربنا رب السماوات والأرض لن ندعوا من دونه إلها

«٦» ، أي لا نعبد من دونه إلها، لقد قلنا إذا شططا

«٧» ، قال ابن عباس ومقاتل رضي الله تعالى عنهم:

جورا. وقال قتادة، رحمه الله تعالى: كذبا.

وأصل الشطط والإشطاط مجاوزة القدر والافراط. هؤلاء قومنا

«٨» : بمعنى أهل بلدهم، اتخذوا

«٩» أي عبدوا من دونه آلهة

«١٠» يعني من دون الله الأصنام يعبدونها. لولا

«١١» هلا يأتون عليهم

«١٢» على عبادتهم بسلطان بين

«١٣» ، أي حجة واضحة فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا

(١) حياة الحيوان الكبرى الدَّمِيري ٢/٤٠٣

«١٤» . بزعم أن له شريكا وولدا. ثم قال بعضهم لبعض: وإذ اعتزلتموهم

«١٥» ، يعني قومهم وما يعبدون إلا الله

«١٦» ، أي واعتزلتم أصنامهم التي يعبدونها من دون الله.

وكذلك هو في مصحف عبد الله: وما يعبدون من دون الله.

فأووا إلى الكهف

«١٧» أي صيروا إليه ينشر لكم ربكم من رحمته ويهيئ لكم من أمركم مرفقا:

«١٨» أي رزقا رغدا. والمرفق ما يرتفق به الإنسان. وفيه لغتان مرفق بفتح الميم وكسر الفاء، وهي قراءة أهل المدينة والشأم وعاصم في بعض الروايات. ومرفق بكسر الميم وفتح الفاء وهي قراءة الباقين. قوله «١٩» تعالى: وترى الشمس إذا طلعت أي وترى يا محمد الشمس إذا طلعت تتزاور

«٢٠» أي تتزاور. قرأ أهل الكوفة بالتخفيف على حذف إحدى التاءين، وقرأ أهل الشأم ويعقوب: تزور، على وزن تحمر وكلها بمعنى واحد أي تميل وتعدل عن كهفهم، ذات اليمين

«٢١» أي جانب اليمين. وإذا غربت تقرضهم

«٢٢» . قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: تدعهم. وقال مقاتل بن حيان: تجاوزهم. وأصل القرض القطع ذات الشمال وهم في فجوة منه

«٢٣» . أي متسع من الكهف. وجمعها فجوات وأفجاء وفجاء.

أخبرنا الله بحفظه إياهم في مضجعهم، واختياره لهم أصلح المواضع للرقاد، فأعلمنا أنه يراهم في فضاء من الكهف، مستقبلا بنات نعش، تميل عنهم الشمس طالعة وغاربة وجارية، فلا تدخل عليهم فتؤذيهم بحرها، وتغير من ألوانهم وتبلي ثيابهم، وأنهم في متسع منه ينالهم فيه برد الريح ونسيمها، وتنفي عنهم كربة الغار وغمومه، ذلك

«٢٤» ما ذكرنا من أمر الفتية من آيات الله

«٢٥» ، أي من عجائب صنع الله ودلالات قدرته.

قوله «٢٦» عز وجل: من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا

لأن التوفيق والخذلان بيد الله عز وجل، وتحسبهم

«٢٧» يا محمد أيقاظا

«٢٨» منتبهين جمع يقظ ويقظ." (١)

"وما ذاك عن خلق يضيق بطارق ... ولكن لآخذ باحتياط على حالي

فإن صادف ما خطبته منك أيدك الله قبولا ولديك نفاقا فمنية غفل الدهر عنها وإن فارق مذهبه فيما أهداه إلى منها جرى على رسمي في المضايقة فيما أوثره وأهواه وأترقبه من قربك وأتمناه فزمام المرؤة يلزمك رد هذه الرقعة وسترها وتناسيها وأطرح

---

(١) حياة الحيوان الكبرى الدَّمِيري ٢/٤٠٤

ذكرها وإذا أنا بأبيات تتلو الخطاب:

يا عامر العمر بالفتوة والقصف ... وحث الكئوس والطرب

هل لك من صاحب يناسب في الغر ... بة بأخلاقه وبالأدب

أوحشه الدهر فاستراح إلى ... قربك متنصرا على النوب

فإن تقبلت ما أتاك به فلم ... يشب الظن فيه بالكذب

وإن أبى الزهد دون رغبتنا ... تكن كمن لم يقل ولم يجب

قال أبو الفرج ورد على ما حيرني واسترد مني ما كان الشراب حاره من تمييزي وحصل لي في الجملة أن أغلب الأوصاف على صاحبها الكتابة خطا وترسلا ونظما فشاهدته بالفراسة في ألفاظه وحمدت أخلاقه قبل الإختبار من رقعته وقلت للراهب من هذا ويحك وكيف السبيل إلى لقائه فسهل إن شئت قلت دلني قال فكيف تعمل بالغلمان قلت لاأدري قال تظهر فتورا وتنصب عذرا تفارق به أصحابك مصرفا فإذا حصلت بباب الدير عدلت بك إلى باب تدخل منه فرددت الرقعة إليه وقلت أدفعها إليه ليتأكد أنه وسكونه إلي وعرفه أن التوفر على أعمال الحيلة في المبادرة إلى حضرته على ما أوثره من التفرد أولى من التشاغل بإصدار جواب وقطع وقت بمكاتبة ومضى الراهب وعدت أصحابي بغير النشاط الذي ذهبت به فانكروا ذلك فاعتذرت إليهم بشيىء عرض لي واستدعيت ما أركبه وتقدمت إلى من كان معي من الخدم بالتوفر عن خدمتهم وقد كنا عملنا على المبيت فأجمعوا تعجل السكر والغنصراف وخرجت من باب الدير ومعي غلام صبي كنت نس به وبخدمته وتقدمت إلى الشاكرى برد الدابة وستر خبري ومباركتي فتلقاني الراهب وعدل بي إلى طريق مضيق وأدخلني إلى الدير من باب غامض وصار بي إلى باب قلاية متميز عما جاوره من الأبواب نظافة وحسنا فقرعه بحركات مختلفة كالعلامة فابتدرنا منه غلام كأن البدر ركب على أزراره مهفهف الكشح مخطفه معتدل القوام أهيفه تخال الشمس برقعت غرته والليل ناسب أصداغه وطرته في غلالة تنم على ما يستره وتجفو مع رقتها عما يظهره وعلى رأسه مجلستيه بصمت فبهر عقلي حسنا فاستوقفت نظري ثم جفل كالظبي المذعور فتلوته والراهب إلى صحن القلاية فإذا أنا ببيت فضى الحيطان رخامى الأركان مفروش بحصير قد أتعب صانعه منقوش كأنه روضة مزخرفة بالنور أضحكها سقوط الندى فوثب إلينا منه فتى مقبل الشباب حسن الصورة والإهاب ظاهر النبل والهيئة فلقيني حافيا يعثر في سراويله واعتنقني ثم قال إنما استخدمت هذا الغلام إلى تلقيك ياسيدي لا جعل ما لعلك استحسنته من وجهي مصانعا عما يرد عليك من مشاهدتي فاستحسنت اختصار الطريق إلى بسطى وارتجاله النادر على نفسه حرصا في تأنيسي وأفاض في شكري على المسارعة أمره وأنا أوصل في خلال سكتاته المبالغة في الإعتدال به ثم قال يا سيدي أنت مكدود بمن كان معك والإستماع بمحادثتك لا يتم إلا بالتوصل إلى راحتك وقد كان الأمر إلى ما ذكر فاستلقيت يسيرا ثم نهضت فخدمت في حالتي النوم واليقظة الخدمة التي ألفيتها في دور أكابر الملوك وأجلة الرؤساء وأحضر لنا خادمالم أر أحسن وجها منه يحمل طبقا يضم ما يتخذ للعشاء مما خف ولطف وقال إلا كل مني يا سيدي للحاجة ومن لك للمالحة والمساعدة فأكلنا شيئاوأقبل الليل وطلع القمر ودخل من مناظر ذلك البيت إلى فضاء أدى إلينا محاسن الغوطة وحيانا بذخائر رياضها منالنظر الجاني والنسيم العطري وجاءنا الراهب من الأشربة

بما وقع عليه اتفاقنا على الختار منه قم غالب اللذة وجرينا فيميدان المفاوضة فلم نزل تتناهب نوادر الأخبار وملح الأشعار ونمزج ذلك المزج بأظرفه ومن التودد بألطفه إلى أن توسطنا الشراب فالتفت إلى غلامه وقال يا مترف إن مولاك ليس مما يدخر عنا السرور بحضوره وما يجب أن ندخر ممكنا في مسرته فانتقع وجه الغلام حيء وخفرا فأقسم عليه بحياتي وأنا لا أعلم ما يريد فمضى وعاد يحمل طنبورا وجلس وقال لي يا سيدي أتأذن لي في خدمتك فهممت بتقبيل يده لما تداخلني من السرور بذلك فأصلح الطنبور وضرب وغنى هذه الأبيات:." (١)

"اللعب، وأليف هذا المرام الذي ينشط إليه اللاعب ويستروح إليه التعب- اقتضى الرأي الشريف أن نجعله حاكما في هذه الرتبة الجليلة بما علم أو علم منها، فاصلا بين أهلها بمعرفته التي ما برحت يؤخذ بها في قواعدها وينقل عنها- فرسم بالأمر الشريف أن يكون حاكما في البندق.

فليستقر في هذه الرتبة التي تلقاها، بيمين كفايته ويمنه، وارتقاها، بتفرده في نوعه وتقدمه في فنه، وليعتمد الإنصاف في أحكام قواعدها، وإجراء أمر أربابها على أحوالها المعروفة وعوائدها، وينافس المعروفين بها على التحلي بآدابها، والتمسك من المروءة والأخوة بأفضل أهدابها، وينصف بينهم فيما يعتد به من واجبها، ويلزم الداخل فيها بالمشي على المألوف من طرقها والمعروف من مراتبها، ولا يحكم في التقديم والتأخير بهوى نفسه، ولا يقبل من لم يتحر الصدق في يومه أنه قبل منه في أمسه؛ فإن استدامة شروطها أمان من السقوط عن درجها، وإذا حكمت نفوس أهلها الصدق في أقوالها وأفعالها فقد خرجت من خط حرجها؛ وليرع لذوي التقدم فيها قدم هجرتهم، واشتهار سيرتهم الحسنة بين أسرتهم؛ وقد خبر من أوصافه الحسنة، وسابق رتبته التي لم تكن عين العناية عنها وسنة، ما اقتضى استقرار رتبته على مكانتها ومكانها، واكتفي له من مبسوط الوصايا بعنوانها؛ فليتق الله في قوله وعمله، ويجعل الاعتماد على توفيقه غاية أمله؛ والخير يكون، إن شاء الله تعالى.

ومن ذلك ما يكتب به في إلباس الفتوة.

اعلم أن طائفة من الناس يذهبون إلى إلباس لباس الفتوة، ويقيمون لذلك شروطا وآدابا جارية بينهم. ينسبون ذلك في الأصل إلى أنه مأخوذ عن الإمام علي كرم الله وجهه.

والطريق الجاري عليه أمرهم الآن أنه إذا أراد أحدهم أخذ الطريق عن كبير من كبراء هذه الطائفة، اجتمع من أهلها من تيسر جمعه، وتقدم ذلك الكبير." (٢)

"فيلبس ذلك [المريد] «١» ثيابا، ثم يجعل في كوز أو نحوه ماء ويخلط به بعض ملح، ويقوم كل منهم فيشرب من ذلك الماء وينسبه إلى كبيره. وربما اعتنا «ابن بذلك بعض الملوك. وقد جرت العادة في ذلك أنه إذا ألبس السلطان واحدا من الأمراء أن يكتب له بذلك توقيعا.

وهذه نسخة توقيع بفتوة، من إنشاء القاضي محيي الدين بن عبد الظاهر، وهو:

الحمد لله الذي جعل أنساب الفتوة، متصلة بأشرف أسباب النبوة، وأفضل من أمده منه بكل حيل وقوة، وأسعد من سما

---

(١) مطالع البدور ومنازل السرور الغزولي ص/١٢٥

(٢) صبح الأعشى في صناعة الإنشاء القلقشندي ٢٦٨/١٢

فكان عليا على كل من سام علوه.

نحمده حمدا تغدو الأفواه به مملوة، ونشكره على مواهبه بآيات الشكر المتلوة، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة من جعل إلى منهج التوحيد رواحه وغدوه، ونشهد أن محمدا عبده ورسوله الذي شد الله أزره بخير من أفتى وفتى فنال كل فتوي من الفتيان به شرف الأبوة والبنوة، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين نصروا وليه وخذلوا عدوه، صلاة موصلة إلى نيل الأماني المرجوة.

وبعد، فإن خير من اتصل به رجاء الرجال الأجواد، وطوى البعيد إلى تحصيل مرامه كل طود من الأطواد، وأماط به عن مكارم الأخلاق لثام كل جود وامتطى ظهر خير جواد، واستمسك من ملابس الشرف بما يؤمن ويؤمل وما يشد به من كل خير لباس التقوى، وما تؤيد به عزيمته فتقوى، وما يتقيد به على رؤوس الأحزاب، وما يتنزل به عليه أحسن آية من هذا الكتاب- من اشتهر بالشجاعة التي تقدم بها على قومه، وحمد أمسها في يومه، وبالشهامة التي لها ما للسهام من تفويق، ولزرق الأسنة من تحذيق، ولبيض الصفاح من حدة متون، وللسمهرية من ازدحام إذا ازدحمت المنون، ومن صدق العزيمة، ما يشهد به كرم الشيمة، ومن شدة الباس، ما يجتمع به على طاعته كثير من الناس، ومن صدق اللهجة واللسان، ما اتصف عفافه منهما بأشرف ما يتصف به." (١)

"الإنسان، ومن طهارة النفس ما يتنافس على مثله المتنافسون، ويستضيء بأنواره القابسون، ويرفل في حلل نعمائه اللابسون؛ و [كان] «١» من الذين أبانوا عن حسن الطاعة وأنابوا، وإذا دعوا إلى استنفار جهاد واجتهاد لبوا وأجابوا، والذين لا يلوون ألسنتهم عن الصدق، ولا يولون وجوههم عن الحق، والذين لا يقعدهم عن بلوغ الأوطار مع إيمانهم حب الأوطان، وإذا نفذوا في حرب الأعداء لا ينفذون إلا بسلطان.

ولما كان فلان ذو المفاخر، والمآثر، أمير الفتيان، مميز الإخوان والأعيان، هو صاحب هذا المحفل المعقود، والممدوح بهذا المقال المحمود، والممنوح بهذا المقام المشهود، والثناء الذي سر باله بما سربله أثواب العزة والفخار، والاعتناء الذي استخير الله في اصطفائه واختباره في ذلك فخار- اقتضى حسن الرأي الشريف- كرم الله أنصاره، وأعلى مناره- أن نجيب وسائل من وقف في هذا القصد وقفة سائل، لينال بذلك كل إحسان وإحسان كل نائل، ودعا إلى الكريم العام بالإنعام، والدعاء لسلطان يدعى له ويدعو كل الأنام، فقال: أسأل الله وأسأل سلطان الأرض، ملك البسيطة إمام العصر، رافع لواء النصر، ناصر الملة المحمدية، محيي الدولة العباسية، فاتح البلاد والقلاع والأمصار، قاهر الكفار مبيد الفرنج والأرمن والتتار، سلطان الزمان، خسروان إيران، شاهنشاه القان، سلطان العالم وارث الملك، سلطان العرب والعجم والترك، الذي انتهى إليه عن أمير المؤمنين الإمام الأواب، المغوار، علي بن أبي طالب ذي الفخار، شرف الفتوة واتصال الأنساب.

قلت: هذا ما وقفت عليه من نسخة هذا التوقيع. وقد ذكر الشيخ شهاب الدين محمود الحلبي في كتابه «حسن التوسل»

(١) صبح الأعشى في صناعة الإنشاء القلقشندي ١٢/٢٦٩

نسخة تقليد أنشأه في الفتوة، أسقط منه أول الخطبة وهو:- وابتدأ منه بقوله «٢» :

نحمده على ما منحنا من نعم شتى، ووهبنا من علم وحلم غدونا بهما." (١)

"أشرف من أفتى [في الكرم وفتى] «١» وآتانا ملك خلال الشرف الذي لا ينبغي لغير ما اختصنا به من الكمال ولا يتأتى، وخصنا به من رفع أهل الطاعة إلى سماء النعم يتبوأون من جنان الكرم حيث شاءوا: وغيرهم لا تفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة من انتمى في فخار أبوة التقى إلى حسب علي، وانتهى [من بنوة المروءة] «٢» إلى سبب قوي ونسب زكي، وارتدى حلل الوقار بواسطة الفتوة عن خير وصي عن أشرف نبي، ونشهد أن محمدا عبده ورسوله الذي نور شريعته جلي، وجاه شفاعته ملي، وبسيفه وبه حاز النصر من انتمى إليه: فلا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا علي.

وبعد، فإن أولى من لبى إحساننا نداء وده، وربى امتناننا نتاج ولائه الموروث عن أبيه وجده، ورقاه كرمنا إلى رتبة علاء «٣» يقف جواد الأمل عن بلوغها عند حده، وتلقت كرائمنا «٤» وفد قصده بالترحيب، وأنزلت جار رجائه «٥» من مصر نصرها بالحرم الآمن والربع الخصيب، وأذنت لأمله ما نأى من الأغراض حتى بلغه بفضلها سهم اجتهاده المصيب، وأعدت له من حلل الجلالة ما هو أبهى من رداء السماء الذي تزداد على الأبد جدة برده القشيب، وخصته لابتناء المجد بأجل بنوة جعلت له في إرث خلال الشرف أوفر «٦» حظ وأوفى «٧» نصيب- من سمت منابر المجد بذكره، وابتسمت أسرة الحمد بشكر أوصافه ووصف شكره، واختالت مواد «٨» الثناء بحسن خلاله، واختارت كواكب السناء إقبال طوالعه بطوالع إقباله، وتمسك من طاعتنا بأمثل «٩» أسباب الهدى،." (٢)

"الأرض، القائم لجهاد أعداء الله بالسنة والفرض، فاتح الأمصار، الذي لم تزل سيوفه تهاجر في سبيل الله عن غمودها إلى أن صار له من الملائكة الكرام أنصار، الذي كرم الله شرف الفتوة بانتمائها إليه، وأعلى قدر بنوة المروءة باتصالها به عن الخلفاء الراشدين عن أب [فأب] «١» عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضوان الله عليه، وأورثه من خلقه الكرم والبأس فتحليا منه بأجل مواف [وأكمل] «٢» موافق، ومنحه بحفظ العهد من خصائصه ما عهد به إليه النبي الأمي من أنه ما يحبه إلا مؤمن ولا يبغضه إلا منافق، أعز الله سلطانه، وأوطأ جياده معاقل الكفر وأوطانه، أن يتقبل قصدي بقبول حسن، ويقبل بوجه كرمه على أملي الذي لم يقعد به عن فروض الطاعات وسننها وسن، وينظمني في سلك عقود الفتوة ملتزما بأسبابها، مقتديا «٣» بطاعته التي هي أكمل أنسابها، متصفا بموالاته التي لا يثبت لها حكم إلا بها، آتيا بشروط خدمته التي من لم يأت بها على ما يجب فما أتى البيوت من أبوابها.

فاستخرنا الله تعالى في عقد لواء هذا الفخار لمجده فخار، ونظمناه لعقد هذا المقام الكريم واسطة لمثله كان يزينها الادخار. فرسم «٤» بالأمر الشريف- لا زال جوده يعلي الجدود، ويوطد لأبناء ملوك الزمن من رتب الشرف فوق ما وطدت الآباء

---

(١) صبح الأعشى في صناعة الإنشاء القلقشندي ١٢/٢٧٠

(٢) صبح الأعشى في صناعة الإنشاء القلقشندي ١٢/٢٧١

والجدود- أن نصل سببه بهذا السبب الكريم، ونعقد حسبه في **الفتوة** بأواخي هذا الحسب الصميم، ونعذق «٥» نسبه بأصالة هذه الأبوة التي هي إلا عن مثله عقيم، ويفاض عليه شعار هذا." (١)

"الخلق المتصل عن أكرم وصي بمن قال الله تعالى في حقه: إنك لعلى خلق عظيم

«١» فليحل هذه الهضبة التي أخذت من [أفق العز بالمعاقد] «٢» ويحل هذه الرتبة التي دون بلوغها من نوع الفراقد ألف راقد، ويجر رداء الفخر على أهداب الكواكب، ويزاحم بمواكب مجده النجوم على ورود نهر المجرة بالمناكب، وليصل شرف «٣» هذه النسبة من جهته بمن «٤» رآه أهلا لذلك، وليفت في **الفتوة** بما علم من مذهبنا الذي انتهى «٥» فيه منا إلى مالك، وليطل على ملوك الأقطار، بهذه الرتبة التي تفانى الرجال على حبها، ويصل على صروف الأقدار، بهذه العناية التي جعلته- وهي حلية حزب الله- من حزبها، وليصل سر هذا الفضل العميم بإيداعه إلى أهله، وانتزاعه ممن لم يره أهلا لحمله. قلت: وما تقدم مما يكتب عن الأبواب الشريفة السلطانية بالديار المصرية والممالك الشامية، لأرباب السيوف، وأرباب الأقلام وغيرهم: من التقاليد، والتفاويض، والتواقيع، والمراسيم: المكبرة والمصغرة، ليس هو على سبيل الاستيعاب، بل على سبيل التمثيل والتذكير، لينسج على منواله، وينهج على نهجه. فإن استيفاء ما يكتب في ذلك مما يشق، ويقف القصد دونه. بل لا بد من حوادث تحدث لم يسبق لها مثال يقتفى أثره. فيحتاج الكاتب إلى حسن التصرف في إيراد ما يلائم ذلك ويناسبه. وكل كاتب ينفق من كسبه، على قدر سعته، والله تعالى هو الموفق إلى نهج الصواب، والهادي إلى طريق الحق في الأمور كلها، بمنه وكرمه.." (٢)

"بسيوفهم الحداد، ومزقت رماحهم من مخالفي دينهم القويم القلوب والأكباد، وسلم تسليما كثيرا إلى يوم التناد.

وبعد، فلما كانت المملكة القبلية جل البلاد الشامية، وبها أرزاق العساكر الإسلامية، وطريق الحاج إلى بيت الله الحرام، وزيارة نبيه عليه أفضل الصلاة والسلام، وإلى الأرض المقدسة، التي هي على الخيرات مؤسسة، وإلى الأبواب الشريفة السلطانية، وممر التجار قاصدين الديار المصرية، ومنازل العربان، ومواطن العشران «١» - وجب أن يفوض حكمها إلى من عرف بالشهامة والشجاعة، واليقظة التي لا يغفل بها عن مصلحة المسلمين ساعة؛ من أثمر غرسه وما يفوه، وأينع بالمروءة **والفتوة**، وتقدم في الكمال على زيد وعمرو، وأضرم في قلوب الأعداء نارا أحر من الجمر.

وكان الجناب الكريم- أدام الله نعمته- هو المشهور بهذه الصفات، والمنعوت بالشجاعة والإقدام وحسن الأدوات.

فلذلك رسم بالأمر العالي- لا زال إحسانه يثمر غرسا، وجوده يسر نفسا- أن يستقر الجناب المشار إليه في كشف البلاد القبلية المحروسة على منوال من تقدمه وعادته، وحدوده في ذلك ومستقر قاعدته.

فليباشر ذلك بهمته العلية، وشجاعته الأحزمية، ونفسه الأبية، وليبيض وجهه في هذه النوبة حتى يطرب الناس بالنوبة الخليلية، وليعدل في الكبير والصغير، وليقمع رؤوس عشير اتخذوا رأسهم مولى: فلبئس المولى ولبئس العشير، وليدفع أذى

---

(١) صبح الأعشى في صناعة الإنشاء القلقشندي ٢٧٣/١٢

(٢) صبح الأعشى في صناعة الإنشاء القلقشندي ٢٧٤/١٢

العرب، وليحذرهم شرا اقترب، وليكثر الركوب إلى المعاملات، ولا يخش من كثرة الحركات، وليعلم أن كل ما هو آت آت، وليتخذ الشرع الشريف إماما، وليتوخ أوامره ونواهيه نقضا وإبراما، وليقف عند." (١)

"تنسف بإشارتها جبال «النسفي» «١» ، ولسان النظر الذي أشرف على بعده فاختفى في قربه المشرقي، وصاحب الفنون وما وسقت، وأفنان الحكم والحكم وما بسقت، ونعوت الفضل والفضائل وما عطفت من البيان ونسقت.

فليتول تدريس هذه المدرسة المعمورة مؤيد الولاية، مجدد البداية لحنيفيتها والنهاية، ساجدا قلم الفتاوى **والفتوة** كلما تلا كرمه وكلمه آية بعد آية، منفقا من ألفاظه حتى يستغني عن «الكنز» «٢» وصاحبه، ويرد فرع المقال على الأصل وطالبه، ويعرض عن أعاريض «البسيط» ، ويغرق في أفكار وارده «المحيط» ، ويمد سماط العلم الذي وفى بعد «القدوري» «٣» وما خان، وتفخر بقاضيها أعظم مدينة فما يضرها فقد «قاضي خان» «٤» ، وتتذكر المقدمية في طلبته فوائد الحلقة، وينتقل الجناب الكريم من تقدمتها إلى ما هو أوفى في الغرض وأوفر في النفقة؛ والله تعالى يزيد رتب العلم به سرورا، ويجعل له باستطلاعها كتاب حكم وحكم يلقاه منشورا.

وهذه نسخة توقيع بتصدير بالجامع الأموي، كتب به لقاضي القضاة «علم." (٢)

"وما أطيب الاقتناص بعد الشرود، وكيف يرى موقع الوصل بعد الصدود:

وزادني رغبة في الحب أن منعت ... أحب شيء إلى الإنسان ما منعا!

تقضي رياضات النفوس السامية بمعاطاة كاسه، ومصافاة ناسه، لما فيهم من **الفتوة**، وكمال المروة، وصدق اللسان، وثبات الجنان، وطيب الأخلاق، وحفظ الميثاق؛ لا يعرفون غير الصدق وإن كانوا يميلون إلى الملق، ولا يبغون بصاحبهم بديلا يعطفون عليه عطف النسق؛ لا سيما تعاطي صيد طيور الواجب، الذي سنة الأكابر وجعلوا أمره من الواجب، وتشرفت به هممهم العالية: تارة إلى السماء، وآونة إلى مشارع الماء.

لا يتم سرورهم إلا برؤية تم كبدر التمام، ومصباح الظلام؛ يفر من ظله فرارا، ويريك بياض لونه وسواد منقاره شيبا ووقارا؛ ولا يداوي هموم لغبهم مثل كي، لأجنحته الخوافق في الخافقين نشر وطي، ولا تبتهج نفوسهم النفيسة إلا بإوزة، يزدري دلالها بالكاعب المعتزة، ولا يطرب أسماعهم غير لغات اللغلغة، حين تمتد كأنها مدامة في الزجاجة مفرغة، ولا يؤنسهم إلا الأنيسة الأنيسة، والدرة النفيسة، ولا يذهب حرجهم غير الحبرج الصادح، المستوقف بحسنه كل غاد ورائح؛ تكاد قلوبهم تطير بالفرح عند رؤية النسر الطائر، وتجبر خواطرهم بكسر ذلك الكاسر؛ إذا عاينوا عقبانا أعقبهم الفرح، ونزح عنهم الترح، وإن كر كركي فر عنهم البوس، ورأوا على رأسه ذلك التاج الذي لم يعل مثله على الرؤوس؛ وإن عرض غرنوق غرقوا في بحار أفكارهم، وجدوا إلى أن يقع بمجدول أوتارهم، وإن لاح ضوع كالذهب المصوغ، ألقوه في الحبال وهو بدمه مصبوغ، وإن

---

(١) صبح الأعشى في صناعة الإنشاء القلقشندي ٣١٠/١٢

(٢) صبح الأعشى في صناعة الإنشاء القلقشندي ٣٥٥/١٢

مر مرزم كالخودة الحسناء، ضربوا له الآلة الحدباء، وإن مر السبيطر أجنحته كالسحائب، جاءته المرامي من كل جانب، وإن عن عنز عمدوا إليه، حتى يسقط في يديه؛ قد تعالوا في رتبها، وتغالوا في وصف وشيها، وجعلوا كل آلة." (١)

"وتقليده، فإن كثيرا من الناس قد استقبحه ممن فعله، وكرهه لمن استعمله، ونسبه فيه إلى الشره والنهم، وحمله منه على التفه والقرم؛ فمنهم من غلط في استدلاله، فأساء في مقاله، ومنهم من شح على ماله، فدافع عنه باحتياله؛ وكل الفريقين مذموم، وجميعهما ملوم؛ لا يتعلقان بعذر واضح، ولا يعتريان من لباس فاضح؛ ومنهم الطائفة التي ترى فيها شركة العنان: فهي تتدله إذا كان لها، وتتدلى عليه إذا كان لغيرها، وترى أن المنة في المطعم للهاجم الآكل، وفي المشرب للوارد الواغل؛ وهي أحق بالحرية، وأخلق بالخيرية، وأحرى بالمروة، وأولى بالفتوة؛ وقد عرفت بالتطفيل، ولا عار فيه عند ذوي التحصيل، لأنه مشتق من الطفل وهو وقت المساء، وأوان العشاء، فلما كثر استعمل في صدر النهار وعجزه، وأوله وآخره، كما قيل للشمس والقمر:

قمران وأحدهما القمر، ولأبي بكر وعمر: العمران وأحدهما عمر؛ وقد سبق إمامنا «بيان» رحمة الله عليه إلى هذا الأمر سبقا أوجب له خلود الذكر، فهو باق بقاء الدهر، ومتجدد في كل عصر؛ وما نعرف أحدا نال من الدنيا حظا من حظوظها فبقي له منه أثر يخلفه، وصيت يستبد به إلا هو وحده، فبيان رضوان الله عليه يذكر بتطفيله كما تذكر الملوك بسيرها؛ فمن بلغ إلى نهايته، أو جرى إلى غايته، سعد بغضارة عيشه في يومه، ونباهة ذكره في غده؛ جعلنا الله جميعا من السابقين إلى مداه، والمذكورين كذكراه.

وأمره أن يعتمد موائد الكبراء والعظماء بغزاياه، وسمط الأمراء والوزراء بسراياه، فإنه يظفر منها بالغنيمة الباردة، ويصل عليها إلى الغريبة النادرة؛ وإذا استقراها وجد فيها من طرائف الألوان، الملذة للسان، وبدائع الطعوم، السائغة في الحلقوم، ما لا يجده عند غيرهم، ولا يناله إلا لديهم، لحذق صناعتهم، وجودة أدواتهم، وانزياح عللهم، وكثرة ذات بينهم؛ والله يوفر من ذلك حظنا، ويسدد نحوه لحظنا، ويوضح عليه دليلنا، ويسهل إليه سبيلنا.

وأمره أن يتبع ما يعرض لموسري التجار، ومجهزي الأمصار، من." (٢)

"الأنسة، وتوصلت بملاطفتك إلى حسم مواد الحشمة، فاستشهدت على ثقتي بك فيما أنفذته بمفارقة الحفلة «١» ، وكلف المكاثرة، فإن رأيت أن تكلني في تقبله إلى سعة أخلاقك، وتسلك في ذلك أخصر طريق إلى ما أخطبه من مودتك، وأزاحم عليه في إخائك، فعلت، إن شاء الله تعالى.

وله في مثله:

هذا اليوم- أيد الله سيدي- من أعياد المروة، ومواسم الفتوة، وأوطان السرور، ومحاسن الأزمنة والدهور، بلغه [الله] أمثاله في أنضر عيش وأسبغ سلامة، وأبسط قدرة، وأكمل مسرة، وقد توثبت إلى الاقتداء فيه بأدبه، والأخذ بمعرفة فروضه بمذهبه، وأطعت في الانبساط إليه دواعي الثقة، وأنفذت ما اعتمدت في قبوله على مكاني منه، عائذا بالتقليل من كلف المكاثرة،

---

(١) صبح الأعشى في صناعة الإنشاء القلقشندي ٣٢٣/١٤

(٢) صبح الأعشى في صناعة الإنشاء القلقشندي ٤٠٦/١٤

ومستثقل الكلفة، فإن رأى أن يأتي فيما التمسته ما يناسب شرف طبعه، وسعة أخلاقه، فعل، إن شاء الله تعالى.

وله في مثله:

لو كانت الملاطفات بحسب الرتب وقدر المنازل، لما انبسطت قدرة ولا اتسع مكان لما يستحقه نبل محله، وواجبات رياسته، ولكنت من بين خدمه ضعيف المنة عن خدمته في هذا اليوم السعيد، بلغه الله أمثاله في أفسح أجل، وأنجح أمل، بما يخدمه به ذوو الخدمات الوكيدة عنده، المكينة لديه، غير أني أثق منه- أيده الله- بحمل قليلي على علمه بإخلاصي في ولائه، وانتسابي إلى جملته، واختلاطي بأنسابه، فإن رأى أن يجريني في قبول ذلك على سنة أمثاله من ذوي الجلالة، عند أمثالي من الأولياء والحاشية، فعل.

وله في مثله:

لو كانت الهدايا لا تتقبل ما لم تناسب في نفاسة القدر، وجلالة الذكر." (١)

"اللذة، وبذخائرك من المشروب مع هذه الأوصاف [ما] يسترق حر الشكر، ويحرز قصب السبق إلى الثناء وجميل الذكر، فإن رأيت أن تنجد بالممكن منه مروتي، على قضاء حق من أوجب المنة علي بزيارتي، فعلت.

وله في مثله:

من كان للفضل نسبا، ولفلك **الفتوة** قطبا، لم تفزع القلوب من الهم إلا إليه، ولم تعول الأنفس في استماحة المسار إلا عليه، وقد طرقني من إخواني من كان الدهر يماطلني بزيارته، وينفس «١» علي بقربه ومشاهدته، فصادفني من المشروب معسرا، ووجدت الانبساط في التماسه من غيرك علي متعذرا، وإلى تفضلك تفزع مروءتي في الإسعاف منه بما يلم شعث الألفة، ويجمع شمل المسرة، ويجعلنا لك في رق الاعتداد بالمنة، ويقضي عني بتفضلك حقوق المودة.

علي بن خلف:

قد انتظم لنا- أطال الله بقاء سيدي- مجلس واقف بين النشاط والفتور، والكآبة والسرور، لغروب نجوم الخمر عن سمائه، وعطله من حلي نوره ولألائه، وقد عولنا في إطلاقه إلى إحدى الجهتين عليه، وجعلنا زمامه بيديه، فإن رأى أن يروح أفكارنا بشيء من راحه المشابهة عبقا وعتقا لأخلاقه وأعراقه، فعل، إن شاء الله تعالى.

وله في مثله:

أفضل ما أهدى سيدي ما أهدى السرور إلى أحبته، ونظم شمل المتحققين بخدمته، وحسم عنهم هواجس الفكر، وأعداهم على الدهر، وقد جمعنا مجلس وهبناه للثناء عليه، وزفت عرائس الخمر إليه، فإن رأى إيثارنا بما." (٢)

"رقيت إليه من درجة الشافع لغيره، والسائل (؟) في طريقه وذوي الحق عليه، لتكون قد أكملت علي النعمة، ووكدت لدي العارفة، واستتممت عندي الصنيعة.

أبو الخطاب بن الصابي:

---

(١) صبح الأعشى في صناعة الإنشاء القلقشندي ٥٣/٩

(٢) صبح الأعشى في صناعة الإنشاء القلقشندي ١٢٦/٩

أبسط الشفاعة وجها، وأقربها نجحا، وأوقعها في القلوب، وأسرعها إلى القبول، ما وقع من أقسام ثلاثة؛ من إدلال السائل بحسن الظن، وارتياح المسؤول إلى فعل الخير، واستحقاق المسؤول فيه لقضاء الحق، فإذا اجتمع لها ذلك كانت الثقة بها زائدة، والفتوة لها رائدة، والفضل عليها قائما، والنجح بها قادما، وكان الشكر من أقل موجوداتها، والمنة من أجل مذخوراتها.

وله: إن دل المملوك فبصدق المودة، أو عول فعلى حسن النية، أو استظهر فبقديم الحرمة، أو استنصر فبكريم الرعاية، ووراء ذلك همة من مولانا بعيدة المرامي، طويلة المساعي، شامخة الأنف، سابقة الطرف، توجد الآمال سراحا، وتوسعها نجاحا، وتأخذها خماصا، وتردها بطانا، وتوردها هزالا «١» وتصدرها سمانا «٢» ، وثقة مني قد أحكم عقدها الزمان، وأوثق شدها الامتحان، فصارت لأعراض المملوك رائدة، وفي قوة نفسه زائدة، فالمملوك من اجتماع هذه الأقسام، ووجوب ما تقتضيه من الأحكام، بين ظن جميل لا مجال للشك عليه، ويقين صحيح لا وصول للارتياب إليه.

آخر: ولئن كان المملوك أسرف في مجاري التثقيل على مولانا، فإن المملوك لم يرد بعضا من دواعي الأمل فيه، فإن المظنون من فتوة مولانا رائد الثقة بجميل نيته، ولن يعدم النجاح من اعتمد على الفتوة والثقة.

آخر: وينهي أن المملوك إن أدل، فبحق لدى مولانا أكده، أو استرسل،." (١)

"الدعوة، وحاكم البندق ونحوهم، وهذه الطوائف ممن يكتب له إلى الآن، أما حاكم البندق، فإنه لم يعهد له كتابة من ديوان الإنشاء بمصر والشام. على أن المقر الشهابي «١» بن فضل الله قد ذكر وصيته في «التعريف» ولعله ممن كان يكتب [له] في زمانه أو قبله ثم ترك، وإنما يكون ذلك بحسب اعتناء السلطان بشأن البندق وعدمه كما في لباس الفتوة، وأنه ربما اعتنى به بعض الملوك فكتب له ثم ترك.

النوع الثاني (ولاية أرباب الأقلام، وهم صنفان)

الصنف الأول (أرباب الوظائف الدينية، وهم على ثمانية أضرب)

الضرب الأول- أكابر القضاة بأقطار المملكة

، كقضاة «٢» القضاة بالحضرة السلطانية بالديار المصرية وثغر الإسكندرية، وكذلك قضاة القضاة بدمشق." (٢)

"يخليها من براعة الاستهلال، المناسبة للحال، والمقصر لها مراع لزيادة الإطناب في الوصف.

قلت: ولا يخفى أن ما ذكراه في التقاليد يجيء مثله في العهود لجريها على موجبها من مول ومولى.

أما إذا كانت الولاية بيعة فإنه يجعل موضع الوصايا ذكر التزام الخليفة البر والإحسان للخلق، ووعد النظر في أمور الرعية، وصلاح أحوالهم، وذكر التحليف للخليفة، أو له وللسلطان إن كان معه سلطان قام بعقد البيعة له على الوفاء بالعهد والدخول تحت الطاعة. قال في «حسن التوسل» : والأمر الجاري في ذلك على العادة معروف لكنه قد تقع أشياء خارجة عن العادة فيحتاج الكاتب فيها إلى حسن التصرف على ما يقتضيه الحال، وذكر من ذلك تقليدا أنشأه لمتملك سيس «١» ، وتقليدا كتبه بالفتوة، وسيأتي ذكر ذلك مع ما شاكله في مواضعه إن شاء الله تعالى.

---

(١) صبح الأعشى في صناعة الإنشاء القلقشندي ١٣٠/٩

(٢) صبح الأعشى في صناعة الإنشاء القلقشندي ٢٥٧/٩

الوجه السابع (قطع الورق)

واعلم أن الولايات من ديوان الإنشاء بالأبواب السلطانية بجملتها ينحصر قطع الورق فيها في خمسة مقادير لا يتعداها:

أحدها- قطع البغدادي الكامل

؛ وهو مختص بالبيعات والعهود مطلقا على أي الافتتاحات كان.

الثاني- قطع الثلثين من المنصوري

؛ وهو لأجل الولايات السلطانيات لأرباب السيوف وبعض أرباب الأقلام، ولا يفتتح فيها إلا بالحمد.

الثالث- قطع النصف منه

؛ وهو لما دون ذلك، ولا يفتتح فيه إلا بالحمد أيضا.." (١)

"الباب الأول في الحكايات المستطرفة والأخبار المستظرفة

كان الحجاج قد استعمل مالك بن أسماء بن خارجة، على الجزيرة، وكانت أخته هند تحت الحجاج، فبلغه عنه شيء، فعزله، وبعث إلى أهل الجزيرة، وأمرهم أن يقولوا: ظلمنا، وأخذ أموالنا، فقال بعضهم لبعض: حتى الأمير يغضب عليه اليوم، ويرضى غدا، لا تتعرضوا لذلك، ولما دخلوا على الحجاج، قدموا شيخا لهم، فسأله الحجاج عن سيرته فيهم، فأثنى عليه الشيخ خيرا، فأمر به الحجاج فضرب مائة سوط، فقال الباقون: كذب الشيخ، بل كان يظلمنا ويأخذ أموالنا فقال مالك: أيها الأمير، مثلي ومثلك، قال: قل، فقال: زعموا أنه كان أسد وذئب وثعلب، اشتركت مرة فيما تصيد، فصادت حمار وحش، وظبيا، وأرنبا، فقال الأسد للذئب: اقسم بيننا واعدل، فقال الذئب: لك الحمار، ولي الظبي، وللثعلب الأرنب، فضربه الأسد، وقطع رأسه، ووضعه بين يديه، وقال للثعلب: اقسم بيننا واعدل، فقال: الحمار لك تتغدى به، والظبي تتعشى به، والأرنب تتفكه بها فيما بين الغداء والعشاء، قال الأسد: ما أعدلك في القسمة، من علمك هذا؟ قال: الرأس الذي بين يديك، فضحك الحجاج، ورده إلى موضعه.

وصعد خالد بن عبد الله القسري منبر مكة يوم الجمعة، وهو أمير الوليد بن عبد الملك، فأثنى على الحجاج خيرا، فلما كان في الجمعة الثانية، وقد مات الوليد، ورد عليه كتاب سليمان، فأمر بشتم الحجاج، وذكر عيوبه، وإظهار البراءة منه، فصعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: إن إبليس كان يظهر من طاعة الله عز وجل، ما كانت الملائكة ترى به فضلا، وكان الله قد علم من غشه، ما كانت الملائكة قد خفي عنها، فلما أراد الله فضيحته ابتلاه السجود لآدم، فظهر لهم ما كان يخفيه عنهم، فلعنوه، وإن الحجاج كان يظهر من طاعة أمير المؤمنين ما كنا نرى له فضلا، وكان الله قد أطلع أمير المؤمنين على غله وغشه، على خلاف ما أخفي عنا، فلما أراد الله فضيحته، أجرى الله ذلك على يدي أمير المؤمنين، فالعنوه، لعنه الله، ثم نزل.

ومر غيلان بن خرشة الضبي مع عبد الله بن عامر، بنهر أم عبد الله الذي يشق البصرة، فقال عبد الله: ما أصلح هذا النهر لأهل البصرة، فقال غيلان: أجل، يا أمير المؤمنين، يتعلم العوم فيه صبيانهم، ويكون لسقيهم، ويأتيهم بميرهم، ثم عاد غيلان،

---

(١) صبح الأعشى في صناعة الإنشاء القلقشندي ٢٧٩/٩

فساير زيادا عليه، فقال زياد: ما أضر هذا النهر لأهل هذا المصر، فقال غيلان: أجل يا أمير المؤمنين، تتهدم به دورهم، وتغرق به صبيانهم، وتكثر لأجله بعوضهم.

ويحكى أن حاتما نزل به أعرابي، فبات عنده جائعا، فلما كان في السحر ركب وانصرف، فتقدمه حاتم، فلما خرج من بيت البيوت لقيه حاتم متنكرا، فقال له: أين كان بيتك البارحة؟ فقال: عند حاتم، فقال: فكيف كان؟ فقال: خير مبيت، نحر لي ناقة، فأطعمني اللحم، وسقاني الخمر، وعلف راحلتي، وسرت من عنده بخير حال، فقال له: أنا حاتم، والله، لا تبرح حتى ترى ما وصفت، فرده، وقال له: ما حملك على الكذب؟ فقال له الأعرابي: إن الناس كلهم يثنون عليك بالجود، فلو قلت شرا، لكذبوني، فرجعت مضطرا إلى قولهم؛ إبقاء على نفسي، لا عليك.

وأمر الوليد بن يزيد بحمل ابن شراعة من الكوفة، فلما قدم عليه قال: يا ابن شراعة، والله، ما أرسلت من الكوفة إليك؛ لأسألك عن كتاب الله، وسنة نبيه، قال: يا أمير المؤمنين، لو سألتني عنهما لوجدتني حمارا، قال: أرسلت إليك؛ لأسألك عن الفتوة، قال: أنا دهقانها الحكيم، وطبيبها العليم فسل عما بدا لك، قال: أخبرني عن الماء، قال: لابد لي منه، والكلب والجمل يشاركاني فيه، قال: فما تقول في اللبن؟ قال: ما رأيته إلا استحيت من أمي لطول ما أرضعتني إياه، قال: فالسويق؟ قال: شراب المحرور، والمسافر العجلان، قال: فنبيذ الزبيب؟ قال: مرعى، ولا كالسعدان، قال: فنبيذ التمر؟ قال: سريع الامتلاء، سريع الانفشاش، ضراط كله، قال: فما تقول في الخمر؟ قال: تلك صديقة روحي، جلت عن المثل، تلك التي تزيد الدم إشراقا، قال: وأنت يا ابن شراعة صديقي، إجلس، أي الطعام أحب إليك؟ قال: يا أمير المؤمنين، ليس لصاحب الشراب على الطعام حكم، غير أن أنفعه أدسمه.." (١)

"قال فصفني في خدي والعارض ... فيها جمع الشتات

وعليها دار الطراز تنبيت ... رقم ما أحلاه نبات

قال ما هو إلا شرب والحمره ... دم من تقتلو

فيه خلات خيوط زرق لاحت ... من جفون تغزلوا

قلت كف العتاب في ذي الصفة ... ما أنا في ذا القياس

وانظر في دايره تمنطقها ... بدر من غير قياس

واكسني ثوب وقار ولبسني ... بالفتوة لباس

وإن جا تخليصي غرض من يديك ... بالوصال طولوا

وإن قصر باعي عن صفحات مدحك ... بالوفا ذيلوا١

جاز في بستان مشهر القمصان ... من بكر صابحو

مثل كف المنثور في مكنونه ... حين وقف صافحو

وقميص الشقيق من أكمامو ... بالخجل فاتحو

---

(١) حدائق الأزاهر ابن عاصم الغرناطي ص/٩١

وقضيب الخلاف وقف عراه ... فرق حين فصلوا

وأوثق أزراره الورد في كمو ... وعليه فضلوا

دي الكلام يتخلع ويتفرد ... ويفصل مليح

ويفرج ويندرج أصلو ... ويفتح صحيح

ويبطن من بعد تضريبو ... بالسجاف يستريح٢

ويعري من حبكه التخريم ... ويزر رولو

أنو يطوى والنشر فيه موزون ... آخرو في أولو

ومنه يعرض بذكر أضداده بدمشق:

ذا الزجل قاسيون على الأعدا ... جد ما فيه سخف٣

وعلى أرباب المعرفة من ريش ... النعامات أخف

للصغير والكبير فقل عني ... واحذر احذر تخف

كم زيادة عن علي وإن كان ... يشتهوا يعملوا

هذا الأبلق والشقرا والميدان ... اركبوا وادخلوا

---

١ الباع: الهمة.

٢ السجاف: نوع من القماش يركب على أطراف الثوب "التخريج".

٣ قاسيون: جبل يشرف على دمشق.

٤ الأبلق: من الخيل الذي اختلط سواد لونه بالبياض، والشقرا: من الخيول ما بين الأصفر والأحمر.." (١)

"وفيه تلاف الجسم بالسقم صحة ... له وتلاف النفس عين **الفتوة**

ولما تلاقينا عشاء وضمنا ... سوء سبيلي ذي طوى والثنية١

وضنت وما منت علي بوقفة ... تعادل عندي بالمعرف وقفتي٢

عتبت فلم تعتب كأن لم يكن لقا ... وما كان إلا أن أشرت وأومت

وبانت فأما حسن صبري فخانني ... وأما جفوني بالبكاء فوفت

أغار عليها أن أهيم بحبها ... وأعرف مقداري فأنكر غيرتي

وكنت بها صبا فلما تركت ما ... أريد أرادتني لها وأحبت

بها قيس لبنى هام بل كل عاشق ... كمجنون ليلى أو كثير عزة٣

بدت فرأيت الحزم في نقض توبتي ... وقام بها عند النهى عذر محنتي

---

(١) خزانة الأدب وغاية الأرب لابن حجة الحموي الحموي، ابن حجة ٣١٥/١

فموتي بها وجدا حياة هنيئة ... وإن لم أمت في الحب عشت بغصتي

تجمعت الأهواء فيها فلا ترى ... بها غير صب لا يرى غير صبوتي

وعندي عيدي كل يوم أرى به ... جمال محياها بعين قريرة

وكل الليالي ليلة القدر إن دنت ... كما كل أيام اللقا يوم جمعة

وأي بلاد الله حلت بها فما ... أراها وفي عيني حلت غير مكة

وما سكنته فهو بيت مقدس ... بقرة عيني فيه أحشاي قرت

ومسجد الأقصى مساحب بردها ... وطيبي ثرى أرض عليها تمشت

مواطن أفراحي ومربى مآربي ... وأطوار أوطاري ومأمن خيفتي٤

مغان بها لم يدخل الدهر بيننا ... ولا كادنا صرف الزمان بفرقة٥

ولا صحبتنا النائبات بنبوة ... ولا حدثتنا الحادثات بنكبة٦

ولا اختص وقت دون وقت بطيبة ... بها كل أوقاتي مواسم لذتي

فإن رضيت عني فعمري كله ... زمان الصبا طيبا وعصر الشبيبة

وإن قربت داري فعامي كله ... ربيع اعتدال في رياض أريضة٧

---

١ سبيلي: طريقي. وذي طوى والثنية: مكانين.

٢ المعرف: هو عرفات، والوقفه على جبل عرفات من شعائر الحج في الإسلام.

٣ قيس لبنى: هو قيس بن ذريح الشاعر ولبنى حبيبته. ومجنون ليلى. هو قيس بن الملوح، الشاعر وليلى حبيبته. وكثير عزة هو كثير بن عبد الرحمن الشاعر، وعزة حبيبته. وقصص هؤلاء في العشق مشهورة.

٤ المآرب: الحاجات وكذلك أوطار.

٥ مغان: ربوع، ديار غنيت بساكنيها.

٦ النبوة: الطيش. نبا: طاش وخاب.

٧ رياض أريضة: نضرة غناء.." (١)

"يا نظرة ما جلت لي حين طلعته ... حتى انقضت وأدامتني على وجل

عاتبت إنسان عيني في تسرعه ... فقال لي ﴿خلق الإنسان من عجل﴾ ١

ومثله:

إن دمعت عيني فمن أجلها ... بكى على حالي من لا بكى

أوقعني إنسانها في الهوى ... يا أيها الإنسان ما غركا

---

(١) خزانة الأدب وغاية الأرب لابن حجة الحموي الحموي، ابن حجة ٤٤٧/١

ومثله:

قسما بشمس جبينه وضحاها ... ونهار مبسمه إذا جلاها

وبنار خديه المشعشع نورها ... وليل ضدغيه إذا يغشاها

لقد ادعيت دعاويا في حبه ... صدقت وأفلح من بذا زكاها

فنفوس عذالي عليه وعذري ... قد ألهمت بفجورها تقواها

فالعذر أسعدها مقيم دليله ... والعذل منبعث له أشقاها

ومنه قول القاضي محيي الدين بن قرناص:

إن الذين ترحلوا ... نزلوا بعين باصره

أنزلتهم في مقلتي ... فإذا هم بالساهرة٢

ومنه قول الشيخ جمال الدين بن نباتة، رحمه الله تعالى:

وأغيد جارت في القلوب لحاظه ... وأسهرت الأجفان أجفانه الوسنى٣

أجل نظرا في حاجبيه وطرفه ... ترى السحر منه قاب قوسين أو أدنى

ومنه قول الشيخ زين الدين بن الوردي، رحمه الله تعالى:

رب فلاح مليح ... قال يا أهل الفتوة

كفلي أضعف خصري ... فأعينوني بقوة٤

ومنه قول المعمار:

ابن الجمالي مات حقا ... برح بي موته وآذى

ورحت أقرأ عليه جهرا ... ﴿يا ليتني مت قبل هذا﴾ ٥

---

١ الأنبياء: ٢١/ ٣٧. وإنسان العين: بؤبؤها.

٢ الساهرة: من الأرض المنبسطة المطمئنة، وجهها.

٣ الأغيد: الفتاة التي تتمايل في مشيها "الغادة". الوسنى: الناعسة.

٤ الكفل: الردف أو العجيزة.

٥ مريم: ١٩/ ٢٣.." (١)

"مملح يالله ما أحلا ... ما ظهر لي في أعلا

غصن قامتو المياس ... خد فيه رياض أجناس

مورد. مرقم. مذهب. فيه خال. جنان. يمنع زهرو

---

(١) خزانة الأدب وغاية الأرب لابن حجة الحموي الحموي، ابن حجة ٤٥٨/٢

يجني والعيون حراس

زاد معشوقي في هجري ... وخلا الدموع تجري

ومن طول جفاه صدري ... قد ضاق واتسع ضري

وضاع من وقوف أمري ... في الياس والرجا عمري

ووتر للنكد أقواس ... صار قلبي لها برجاس

ما انكد. ماأعظم. مصعب. أحوال. حيران. ضيع عمرو

ما بين الرجا والياس

شامتو من العنبر ... وعنقو من المرمر

وريقو من السكر ... ولفظو من الجوهر

وخدو شقيق أحمر ... أنبت آس عذار أخضر

وثغرو الزكي الأنفاس ... ليس إليه ثغر ينقاس

منضد. منظم. مغرب. اشغال. رحمان. رصع درو

وأنبت في الشقيق الآس

قلبي بدري دي الكامل ... حن رأى الرقيب غافل

عن عشقي بقيت مايل ... خوف من ضدي والعاذل

ناديت والجسد ناحل ... وفيض الدموع سايل

قول آش ما شتهيت لا باس ... أن تدري خلاف الناس

ونشهد. ونعلم. من حب. لو مال. ما كان. وسع صدرو

لهذا الهم والوسواس

قطعت النهار سكران ... بالكاسات بالعيدان

من خمر رقيق ملوان ... على روض زهر ألوان

مع ندمان وأي ندمان ... ومعشوق مليح فتان

وساقي ظريف لباس ... حن جا سلطان الأغلاس

مؤيد. على أدهم. يسحب. أذيال. نيران. شعشع خمرو

أضاء الكاس بحال مقياس

الأمشاطي من فضلو ... ومن اعتدال عقلو

شهد كل عاقل لو ... لما أن سمع زجلو

وقال ما رأى مثلو ... من بعدو ولا قبلو

في بحر الأدب غطاس ... وفي أعلا الرتب دواس

من أحمد. ماجا نظم. ولا رتب. زجال. بلسان. ينشد شعرو

ون راح يسكر الجلاس

وزجل الحاج علي بن مقاتل الذي سارت به الركبان بقافية واحدة، لأنه استخدم معاني التورية، ورسيلة استخدم الألفاظ لترصيع كثرة القوافي التي عجز عن ترصيعها أهل عصره. ومطلع الزجل:

نهوى خياط سبحان تبارك من ... بالجمال جملو

بالمفصل وآية الكرسي ... نرقي شكلوا الحلو

دي لخليع الجديد نهار قلبي ... لفظ عقلي قمر

صف جبيني وشعري في تفصيل ... نظمك المبتكر

قلت خيط الصباح يفتح ذيل ... الدجى في السحر

قلبي قصرت بل هو ستر الله ... حن عليه أسبلو

حايك الزرقا فاتق الخضرا ... بالهلال كللو

قال فطيل في خدي وعرض ... بالعارض أحسن صفات

قلت حلة وردية من اطلس ... فيها جمعات شتات

وعليها دار الطراز نبت ... رقم محلاه نبات

قال ما هو إلا ثوب شرب والحمرة ... دم من تقتلو

فيه خيالات خيوط ورق لاعب ... من جفون يغزلو

قلت كف العتاب في الصنعة ... فما في ذا القياس

أطواقي عايزة تمنطقها ... بذراعين تباس

واكسني ثوب وقار ولبسني ... بالفتوة لباس

ون جا تخليصي عرض بين إيديك ... بالوصول طولو

ون قصر باعي عن صفة مدحك ... بالوفا ذيلو

جاز في بستان مشهر القمصان ... من بكير صابحو

مثل كف المنثور في كمو ... حن وقف صافحو

وقميص الشقيق من أكمامو ... يا لخجل فاتحو." (١)

"وإنما هو عبد الرحمن موسى بن محمد بن سعيد الجوبي، ذكره السلفي في " معجم السفر "، وانه سمعه بدمشق يقول: سمعت أبا الحسن الخرائطي بالجزيرة يقول: قال الشيخ أبو بكر محمد بن الحسن البشنوي: تعلمت احسن الخلق من اخس الخلق: تعلمت الفتوة من الديك، والوفاء من الكلب، والاحتمال من الحمار، ألا ترى أن الديك إذا قدمت إليه علفا صاح

---

(١) بلوغ الأمل في فن الزجل الحموي، ابن حجة ص/٢٠

بالديكة، ولا يأكل خفية، والكلب إن اطعمته لقمة عرف لك ذاك ما حييت، والحمار إن ضربته أو لم تطعمه أو ركبته صبر على ذلك من غير صياح ولا صراخ. وقال السلفي: وموسى هذا قد كتب معنا على أبي الطاهر الحنائي، وابن الموازيني، وغيرهما، وكتب عني فوائد، وله اسمان وكنيتان: أبو عمران موسى، وأبو محمد عبد الرحمن. انتهى.

ومن الجوبيين أيضا: أبو عبد الله محمد بن علي بن مهران الجوبي الفقيه الزاهد، تفقه على إلكيا الهراسي، وتزهد، وظهر له كرامات، وتوفي بديار بكر سنة نيف واربعين وخمس مئة، وله اتباع صالحون.

والجوبة، بفتح الجيم: سوق كبير من اسواق بخارا، ومحلته تسمى رأس الجوبة، محلة كبيرة بها المدرسة المشهورة بالكوكرتكينية، والنسبة إليها الجوبي، ولكن لم اعلم منها احدا.." (١)

"سنة سبع وستمائة فيها ظفر الملك الأوحد بن العادل بملك الكرج ففدى نفسه منه بمائة ألف دينار وخمسة آلاف أسير من المسلمين وأن يلتزم الصلح ثلاثين سنة وأن يزوجه ابنته بشرط ألا تفارق دينها فأطلقه الأوحد وردت على المسلمين عدة قلاع. وفيها مات الأوحد وملك خلاط بعده أخوه الأشرف. وفيها تحرك الفرنج إلى الساحل واجتمعوا في عكا فخرج الملك العادل من دمشق فوقع بينه وبينهم صلح وأخذ العادل في عمارة قلعة الطور بالقرب من عكا وسار إلى الكرك فأقام بها أياما ثم رحل إلى مصر فدخل القاهرة ونزل بدار الوزارة. وفيها مات الأمير فخر الدين جهاركس. وفيها تحرك الفرنج ثانيا فتجهز العادل للسفر إلى الشام. وفيها كفت يد الصاحب صفي الدين بن شكر عن العمل. وفيها مات السلطان نور الدين أرسلان شاه بن السلطان مسعود الأتابكي صاحب الموصل في شهر رجب وكانت مدة ملكه سبع عشرة سنة وأحد عشر شهرا وقام من بعده ابنه الملك القاهر عز الدين مسعود وقام بتدبيره الأمير بدر الدين لؤلؤ الأتابك مملوك ابيه. وفيها شرب ملوك الأطراف كأس الفتوة للخليفة الناصر ولبسوا سراويل الفتوة أيضا فوردت عليهم الرسل بذلك ليكون انتماؤهم له وأمر كل ملك أن يسقي رعيته ويلبسهم لتنتمي كل رعية إلى ملكها ففعلوا ذلك وأحضر كل ملك قضاة مملكته وفقهاءها وأمراءها وأكابرها وألبس كلا منهم له وسقاه كأس الفتوة وكان الخليفة الناصر مغرما بهذا الأمر وأمر الملوك أيضا ان تنتسب إليه في رمي البندق وتجعله قدوتها فيه. وفيها قدم إلى القاهرة كليام الفرنجي الجنوي تاجرا فاتصل بالملك العادل وأهدى إليه نفائس فاعجب العادل به وأمره بملازمته وكان كليام في باطن الأمر عينا للفرنج يطالعهم بالأحوال فقيل هذا للعادل فلم يلتفت إلى ما قيل عنه.." (٢)

"الخليقة فيعاقب عليه وعمل شخص دعوة ببغداد وغسل يده قبل أضيافه فعلم الخليفة بذلك من أصحاب أخباره فكتب في الجواب: سوء أدب من صاحب البلد وفضول من كاتب المطالعة. وكان رديء السيرة في رعيته ظالما عسوفا خرب العراق في أيامه وتفرق أهله في البلاد فأخذ أملاكهم وأموالهم وكان يحب جمع المال ويباشر الأمور بنفسه ويركب بين الناس ويجتمع بهم مع سفكه للدماء وفعله للأشياء المتضادة: فيغتصب الأموال ويتصدق وشغف برمي الطير بالبندق ولبس سراويلات الفتوة وحمل أهل الأمصار على ذلك وعمل سالم بن نصر الله بن واصل الحموي في ذلك رسالة بديعة وصنف

---

(١) توضيح المشتبه ابن ناصر الدين الدمشقي ٥٤٢/٢

(٢) السلوك لمعرفة دول الملوك المقريزي ٢٩١/١

الناصر لدين الله كتابا في مروياته سماه روح العارفين وأعده للفقهاء بمصر والشام وله شعر وفي خلافته خرب التتر بلاد المشرق حتى وصلوا إلى همذان وكان هو السبب في ذلك فإنه كتب إليهم بالعبور إلى البلاد خوفا من السلطان علاء الدين محمد بن خوارزم شاه لما هم بالاستيلاء على بغداد وأن يجعلها دار ملكه كما كانت السلجوقية ولم يمت الخليفة الناصر لدين الله حتى عمي وقيل كان يبصر بإحدى عينيه وقام من بعده في الخلافة ابنه الظاهر بأمر الله أبو نصر محمد – بعهد من أبيه – يوم مات أبوه وعمره ما ينيف على خمسين سنة وكان يقول من يفتح دكانه العصر متى يستفتح. ولما ولي أظهر العدل وأزال عدة مظالم وأطلق أهل السجون وظهر للناس وكان من قبله من الخلفاء لا يظهرون إلا نادرا. وفيها وصل الملك المسعود من اليمن إلى مكة ومضى إلى القاهرة من طريق عيذاب فقدم على أبيه الكامل بقلعة الجبل ومعه هدايا جليلة. وفيها مات الوزير الصاحب صفي الدين عبد الله بن أبي الحسن علي بن الحسين بن عبد الخالق بن الحسين بن الحسن بن منصور بن إبراهيم بن عمار بن منصور بن علي الشيبي أبو محمد المعروف بابن شكر الفقيه الدميري المالكي في يوم الجمعة ثامن شعبان – وقيل شوال – بالقاهرة ودفن برباطه منها وكان مولده بدميرة إحدى قرى مصر البحرية في تاسع صفر سنة ثمان وأربعين وخمسمائة وجمع من ابن عوف وغيره وحدث وكان جبارا جباها عاتيا عانيا بتقدمة الأراذل وتأخر الأماثل أفقر علقا كثيرا. وفيها قدم الشريف قاسم الحسيني أمير المدينة بعسكر إلى مكة وحصرها نحو شهر وبها نواب الملك الكامل فلم يتمكن منها بل قتل.." (١)

"سنة ثالث وخمسين وستمائة فيها سار الأمير عز الدين أيبك الأفرم الصالحي إلى بلاد الصعيد وأظهر الخروج عن طاعة الملك المعز وجمع العربان. فسير إليه الملك المعز الوزير الصاحب الأسعد شرف الدين الفائزي ومعه طائفة من العسكر حتى سكن الأمور. وأخرج الملك الناصر عسكرا إلى جهة ديار مصر ومعهم البحرية: وهم الأمير سيف الدين بلبان الرشيد وعز الدين أزدمر وشمس الدين سنقر الرومي وشمس الدين سنقر الأشقر وبدر الدين بيسري وسيف الدين قلاوون وسيف الدين بلبان المسعودي وركن الدين بيبرس البندقداري وعدة من مماليك الفارس أقطاي. وفيها قتل الملك المعز الأمير علاء الدين أيدغدي العزيزي بعدما قبض عليه وكان قد قبض أيضا على الفارس أقطاي العزيزي والفارسي أقطاي الأتابك وهرب منه أقش الركني وأمر الملك المعز ألا تخرج امرأة من بيتها ولا يمشي رجل بلا سراويل. فقال أبو الحسين الجزار في ذلك: حنا الملك المعز على الرعايا وألزمهم قوانين المروة وصان حريمهم من كل عار وألبسهم سروايل الفتوة وفيها توجه الناصر داود بن المعظم عيسى إلى بغداد يطلب ما أودعه عند الخليفة من الجوهر وقيمته مائة ألف دينار. فمطل مدة فتوجه إلى الحجاز واستشفع إلى الخليفة في رد وداعته وعاد إلى العراق. فعوض عن جوهره بما لا يذكر ورد إلى الشام وفيها قدم مكة أبو نمى وإدريس ومعهما جماز بن شيحة أمير المدينة فقاتلوا المبارز بن برطاس وأخذوا مكة. ومات في هذه السنة من الأعيان الأمير شرف الدين يوسف بن أبي الفوارس بن موسك القيمري بنابلس ودفن بدمشق. وتوفي نقيب الأشراف بحلب وهو الشريف

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك المقريزي ٣٤١/١

عز الدين أبو الفتوح مرتضى بن أبي طالب أحمد بن أحمد بن أبي الحسن محمد بن جعفر بن زيد بن جعفر بن إبراهيم محمد بن ممدوح أبي العلاء عن أربعوسبعين سنة بحلب.." (١)

"نصره وأن يخلعها خلع الرضى إلى أن خرج من باب زويلة وسار إلى القلعة فكان يوما مشهودا تقصر الألسنة عن وصفه. وشرع السلطان في تجهيز الخليفة للسفر واستخدم له عساكر وكتب للأمير سابق الدين بوزنا أتابك العسكر الخليفتي بألف فارس وجعل الطواشي بهاء الدين سندل الشرابي الصالحي شرابيا بخمسمائة فارس والأمير ناصر الدين بن صيرم خازندارا بمائتي فارس والأمير الشريف نجم الدين أستادارا بخمسمائة فارس وسيف الدين بلبان الشمسي دوادارا بخمسمائة فارس والأمير فارس الدين أحمد بن أزدمر اليغموري دوادارا أيضا والقاضي كمال الدين محمد بن عز الدين السنجاري وزيرا وشرف الدين أبا حامد كاتبا وأقام عدة من العربان أمراء وحمل السلطان إلى الجميع الخزائن والسلاح وغيره من الصناجق والطبلخاناه وانفق أموالا كثيرة واشترى مائة مملوك كبارا وصغارا ورتبهم سلاح دارية وجامدراية وأعطى كلا منهم ثلاثة أرؤس من الخيل وجملا لعدته ورتب سائر ما يحتاج إليه الخليفة: من صاحب ديوان وكاتب إنشاء ودواوين وأئمة وغلمان وجرائحية وحكاء وبيوتات وكملها كلها مما تحتاج إليه ورتب الجنائب وخيول الإصطبلات واستخدم الأجناد وعين لخاص الخليفة مائة فرس وعشر قطر بغال وعشر قطر جمال وطشتخاناه وحوائج خاناه وكتب لمن وفد معه من العراق تواقيع ومناشر بالإقطاعات. فلما تهيأ ذلك كله برز الدهليز الخليفتي والدهليز السلطاني إلى البركة ظاهر القاهرة وركب الخليفة والسلطان من قلعة الجبل في السادسة من نهار الأربعاء تاسع عشر شهر رمضان وسار إلى البركة فنزل كل منهما في دهليزه واستمرت النفقة في أجناد الخليفة وفي يوم عيد الفطر ركب السلطان مع الخليفة تحت المظلة وصليا صلاة العيد وحضر الخليفة إلى خيمة السلطان بالمنزلة وألبسه سراويل الفتوة بحضرة الأكابر ورتب السلطان الأمير عز الدين أيدمر الحلي نائب السلطنة بديار مصر وأقام معه الصاحب بهاء الدين بن حنا. وفي يوم السبت سادس شوال: رحل الخليفة وصحبته الملك الظاهر بجميع العساكر فساروا إلى الكسوة ظاهر دمشق وخرج إلى لقائهم عسكر دمشق في يوم الاثنين سابع ذي القعدة فنزل الخليفة بالتربة الصالحية في سفح قاسيون ونزل السلطان بقلعة دمشق.." (٢)

"أنه كان يكاتب المغيث بالكرك ويحذره من القدوم على السلطان ويشير عليه ألا يسلم نفسه وأنه كتب إلى أهل الكرك أيضا بعد القبض على المغيث يأمرهم بألا يسلموا الكرك فأسر السلطان ذلك في نفسه إلى أن سار إلى الكرك فبلغه عنه أنه يريد المبادرة إلى أخذ الكرك فسارع إليه ولاطفه وركب معه إلى الكرك وأخذها. وبلغ السلطان عنه أيضا عدة أمور من هذا النحو. وقدمت رسل الملك بركة تطلب النجدة على هولاكو – وهم الأمير جلال الدين ابن القاضي والشيخ نور الدين علي في عدة – ويخبرون بإسلامه وإسلام قومه وعلى يدهم كتاب مؤرخ بأول رجب سنة إحدى وستين وستمائة. وقدم أيضا رسول الأشكري ورسول مقدم الجنوية ورسول صاحب الروم السلاجقة فأحسن السلطان إلى الرسل وعمل لهم دعوة بأراضي اللوق وواصل الإنعام عليهم في يومي الثلاثاء والسبت عند اللعب في الميدان. وفي يوم الجمعة ثامن عشري

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك المقريزي ٤٨٧/١

(٢) السلوك لمعرفة دول الملوك المقريزي ٥٣٥/١

شعبان: خطب الخليفة الحاكم بأمر الله بحضور رسل الملك بركة ودعا للسلطان وللملك بركة في الخطبة وصلى بالناس صلاة الجمعة واجتمع بالسلطان وبالرسل وفي ليلة الأربعاء ثالث شهر رمضان: سأل السلطان الملك الظاهر الخليفة الحاكم بأمر الله: هل لبس **الفتوة** من أحد من أهل بيته الطاهرين أو من أوليائهم المتقين فقال: لا والتمس من السلطان أن يصل سببه بهذا المقصود. فلم يمكن السلطان إلا طاعته المفترضة وأن يمنحه ما كان ابن عمه رضي الله عنه قد افترضه. ولبس الخليفة في الليلة المذكورة بحضور من يعتبر حضوره في مثل ذلك وباشر اللبس الأتابك فارس الدين أقطاي بطريق الوكالة عن السلطان بحق لبسه عن الإمام المستنصر بالله أمير المؤمنين ولد الإمام الظاهر – وأبوه لجده الناصر لدين الله – والناصر لعبد الجبار لعلي ابن دغيم لعبد الله بن القير لعمر بن الرصاص لأبي بكر بن الجحيش لحسن بن الساريار لبقاء بن الطباخ لنفيس العلوي لأبي هاشم بن أبي حية لعمر بن ألبس لأبي علي الصوفي لمهنا العلوي للقائد عيسى لأمير وهران لرؤية الفارسي للملك أبي كاليجار لأبي الحسن النجار لفضل القرقاشي للقائد شبل بن المكدم لأبي الفضل القرشي للأمير حسان لجوشن الفزاري للأمير هلال النبهاني لأبي مسلم الخراساني لأبي العز النقيب لعوف الغساني لحافظ الكندي لأبي علي النوبي." (١)

"وفيها أمر بتنصيب أربعة قضاه نوابا لقاضي القضاة تاج الدين. ابن بنت الأعز فاستناب حنفيا ومالكيا وشافعيا ولم يجد من يستنيبه من الحنابلة فولى نائبا حنبليا. وفيها جهز السلطان عرب خفاجة بالخلع إلى أكابر أهل العراق وكتب إلى صاحب شراز وغيره يغويهم بهولاكو وألبس عدة من أمراء خفاجة **الفتوة** وجهز معهم الأمير عز الدين إلى شراز. وفيها جهز السلطان في البحر جماعة من البنائين والنجارين والنشارين والعتالين وعدة أخشاب وغيرها من الآلات برسم عمارة الحرم النبوي. وعملت كسوة الكعبة على العادة وحملت على البغال وطيف بها في القاهرة ومصر وركب معها الخواص وأرباب الدولة والقضاة والفقهاء والقراء والصوفية والخطباء والأئمة. وسفرت إلى مكة في العشر الأوسط من شوال وفوضت عمارة الحرم لزين بن البوزي. وفيها جمع الفرنسيس ملك الفرنج عساكره يريد أخذ دمياط فأشار عليه أصحابه يقصد تونس أولا ليسهل أخذ دمياط بعدها. فسار إلى تونس ونازلها حتى أشرف على أخذها فبعث الله في عسكره وباء هلك فيه هو وعدة من أكابر أصحابه وعاد من بقي منهم. الأمير الكبير مجير الدين أبو الهيجاء بن عيسى بن خشترين الأركسي الكردي بدمشق. وتوفي عز الدين أبو محمد عبد الرزاق بن رزق الله بن أبي بكر بن خلف الرسغي الحنبلي شيخ البلاد الجزرية بسنجار عن اثنتين وسبعين. وتوفي علم الدين أبو محمد بن أحمد بن موفق جعفر المرسي اللوري بدمشق وقد انتهت إليه مشخية الإقراء عن ستين سنة.." (٢)

"التأويل:

إن في خلق سموات القلوب وأطوارها، وخلق أرض النفوس وقرارها، واختلاف ليل البشرية وصفاتها، ونهار الروحانية وأنوارها، لآيات لأولي الألباب. الذين عبروا بقدمي الذكر والفكر عن قشر الوجود الجسماني، ووصلوا إلى لب الوجود الروحاني، فشاهدوا بعيون البصائر ونواظر الضمائر أن لهم وللعالم إلها قادرا حيا عليما سميعا بصيرا متكلما مريدا باقيا. وإنما نالوا هذه

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك المقريزي ٥٥٨/١

(٢) السلوك لمعرفة دول الملوك المقريزي ٥٦٢/١

المراتب لأنهم يذكرون الله في جميع الأحوال بالظاهر والباطن، ويتفكرون في خلق المصنوعات من البسائط والمركبات، ويقولون ما خلقت هذا باطلا أي خلقته إظهارا للحق على الخلق، ووسيلة للخلق إلى الحق. سبحانك تنزيها للحق عن الشبه بالخلق، فقنا باعد عنا عذاب نار قهرك والبعد عنك، ففيها كل الخزي والندامة والغواية والضلالة. ثم أخبر عن شرط العبودية في استجلاب فضل الربوبية بقوله: ربنا إننا سمعنا من هاتف الحق في الغيب بالسمع الحقيقي مناديا فاغفر لنا ذنوبنا أي كما أسمعتنا النداء بالإرادة القديمة لا بسعي منا قبل أن تخلقنا. فاغفر لنا بفضلك ورحمتك.

لا أضيع عمل عامل منكم بالظاهر والباطن من ذكر أو أنثى على قدر همتكم ورجوليتكم فالذين هاجروا عن الأوطان والأوطار والأعمال السيئة والأخلاق الذميمة وأخرجوا من ديارهم من معاملات الطبيعة وديارها الى عالم الحقيقة بسطوات تجلي صفات الربوبية وأوذوا في طلبي بأنواع البلاء وقاتلوا مع النفس وقتلوا بسيف الصدق لأكفرن عنهم سيئات وجودهم ولأدخلنهم جنات الوصول فيها أشجار التوكل واليقين والزهد والورع والتقوى والصدق والإخلاص والهدى والقناعة والعفة والمروءة **والفتوة** والمجاهدة والشوق والذوق والرغبة والرهبة والوفاء والطلب والمحبة والحياء والكرم والشجاعة والعلم والحلم والعزة والقدرة والهمة وغيرها من المقامات والأخلاق تجري من تحتها الأنهار أنهار العناية ثوابا من مقام العندية والله عنده حسن الثواب لا يكون عند الجنة وغيرها. وإن من أهل الكتاب من علماء الظاهر علماء متقين يكون إيمانه من نتيجة نور الله الذي دخل قلبه، ويؤمن بما أنزل إليكم من الواردات والإلهامات والكشوف وما أنزل إليهم من الخواطر الرحمانية خاشعين لله كما

قال صلى الله عليه وسلم: «إذا تجلى الله لشيء خضع له»

لا يشترون بما أوتوا من العلم والحكمة عرض الدنيا إن الله سريع الحساب يوصلهم إلى مقام العندية قبل وفاتهم اصبروا على جهاد النفس بالرياضات وصابروا في مراقبة القلب عند الابتلاءات ورابطوا الأرواح للوصل بالله واتقوا الله في الالتفات إلى ما سواه لعلكم تفلحون فتفوزوا بالبقاء بالله وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين.." (١)

"مستودع في عالم الأرواح. وأيضا من الأرواح ما هو مستقر فيه نور صفة الإيمان وما هو مستودع فيه جذبات الحق، ومنها ما هو مستقر في أنانيته مع علو رتبته بالبقاء وما هو مستودع أنانيته بالفناء، وما هو مستقر ببقاء الحق باق وما هو مستودع في بقاء البقاء عن الفناء قد فصلنا دلالات الوصول في الوصال لقوم يفقهون إشارات القلوب وهو الذي أنزل من سماء العناية ماء الهداية فأخرجنا به نبات كل شيء من أنواع المعارف فأخرجنا منه خضرا طريا من المعاني والأسرار يخرج به من الحقائق ما تركب بعضها بعضها فترتب بعضها على بعض ومن النخل يعني أصحاب الولايات من طلعها من ثمرات ولايتهم ما هو متدان للطالبين أي منهم من يكون مرئيا فينتفع بثمرات ولايته، ومنهم من يختار العزلة والانقطاع عن المريدين. وجنات يريد أرباب الزهد والتقوى **والفتوة** الذين لم يبلغوا رتبة الولاية من أعناب الاجتهاد وزيتون الأصول ورمان الفروع مشتبها أي متفقا في الأصول والفروع وغير متشابه أي مختلفا فيما بين العلماء انظروا إلى ثمر الولايات كيف ينتفع به الخواص والعوام وينعه أي الكامل منها. إن في ذلكم لآيات لقوم يؤمنون بأحوالهم وينتفعون بأموالهم وأحوالهم. وجعلوا لله إشارة إلى

---

(١) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان النيسابوري، نظام الدين القمي ٢/٣٣٧

أنه كما يخرج بماء اللطف من أرض القلوب لأربابها أنواع الكمالات كذلك يخرج بماء القهر من أرض النفوس لأصحابها أنواع الضلالات.

[سورة الأنعام (٦) : الآيات ١٠١ الى ١١٠]
بديع السماوات والأرض أنى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة وخلق كل شيء وهو بكل شيء عليم (١٠١) ذلكم الله ربكم لا إله إلا هو خالق كل شيء فاعبدوه وهو على كل شيء وكيل (١٠٢) لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير (١٠٣) قد جاءكم بصائر من ربكم فمن أبصر فلنفسه ومن عمي فعليها وما أنا عليكم بحفيظ (١٠٤) وكذلك نصرف الآيات وليقولوا درست ولنبينه لقوم يعلمون (١٠٥)
اتبع ما أوحي إليك من ربك لا إله إلا هو وأعرض عن المشركين (١٠٦) ولو شاء الله ما أشركوا وما جعلناك عليهم حفيظا وما أنت عليهم بوكيل (١٠٧) ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم كذلك زينا لكل أمة عملهم ثم إلى ربهم مرجعهم فينبئهم بما كانوا يعملون (١٠٨) وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها قل إنما الآيات عند الله وما يشعركم أنها إذا جاءت لا يؤمنون (١٠٩) ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة ونذرهم في طغيانهم يعمهون (١١٠)

القراآت:
ولم يكن بياء الغيبة: قتيبة درست بتاء التأنيث: ابن عامر وسهل ويعقوب دارست بتاء الخطاب من المدارسة: ابن كثير وابو عمرو. والباقون بتاء الخطاب درست من الدرس. عدوا على فعول بالضم: يعقوب. الباقون عدوا." (١)

"لهم على قولهم شهود فقال: قل هلم ومعناه إذا كان لازما أقبل وإذا كان متعديا أحضر.
قال الخليل: أصله «هالم» من قولهم لم الله شعثه أي جمعه كأنه قال: لم نفسك إلينا أي أقرب والهاء للتنبيه واستعطاف المأمور، ثم حذفت ألفها لكثرة الاستعمال وجعلا اسما واحدا يستوي فيه الواحد والجمع والتذكير والتأنيث في لغة أهل الحجاز، وأهل نجد يصرفونها «هلما هلموا هلمي هلممن» والأول أفصح وقد يوصل بإلى كقوله تعالى:
والقائلين لإخوانهم هلم إلينا [الأحزاب: ١٨] وقال الفراء: أصلها «هل أم» أرادوا بهل حرف الاستفهام ومعنى أم اقصد.
وقيل: إن أصل استعماله أن قالوا هل لك في الطعام أم أي اقصد. ثم شاع في الكل. أمر الله تعالى نبيه باستدعاء إقامة الشهداء من الكافرين ليظهر أن لا شاهد لهم على تحريم ما حرموه. وإنما لم يقل شهداء يشهدون لأنه ليس الغرض إحضار أناس يشهدون بالتحريم وإنما المراد إحضار شهدائهم الموسومين بالشهادة لهم المعروفين بنصرة مذهبهم ولهذا قال: فإن شهدوا أي فإن وقعت شهادتهم فلا تشهد معهم أي لا تسلم لهم ما شهدوا به ولا تصدقهم لأن شهادتهم محض الهوى والتعصب ولأجل ذلك قال أيضا: ولا تتبع أهواء الذين كذبوا بآياتنا فوضع الظاهر موضع المضمر تسجيلا عليهم بالتكذيب وليرتب

(١) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان النيسابوري، نظام الدين القمي ١٣٤/٣

عليه باقي الآية فيعلم أن المتصف بهذه الصفات لا تكون شهادتهم عند العقلاء مقبولة.

التأويل:

وهو الذي أنشأ جنات في القلوب معروشات من شجرة الإسلام والإيمان والإحسان وغير معروشات هي الصفات الروحانية التي جبلت القلوب عليها كالسخاء والحياء والوفاء والمودة **والفتوة** والشفقة والعفة والعلم والحلم والعقل والشجاعة والقناعة ونخل الإيمان وزرع الأعمال الصالحة وزيتون الأخلاق الحميدة ورمان الإخلاص بالشواهد والأحوال متشابها أعمالها وغير متشابه أحوالها كلوا من ثمره انتفعوا من ثمار الإيمان والأعمال والإخلاص بالشواهد والأحوال لا بالدعاوى والقيل والقال.

وآتوا حقه وحقه دعوة الخلق وتربيتهم بالحكمة والموعظة الحسنة ويوم حصاده أوان بلوغ السالك مبلغ الرجال البالغين عند إدراك ثمرة الكمال للواصلين دون السالك الذي يتردد بعد بين المنازل والمراحل. ولا تسرفوا بالشروع في الكلام في غير وقته والحرص على الدعوة قبل أوانها. ومن الأنعام أي ومن الصفات الحيوانية التي هي مركوزة في الإنسان ما هو مستعد لحمل الأمانة وتكاليف الشرع، ومنها ما هو مستعد للأكل والشرب لصلاح القالب وقيام البشرية. كلوا مما رزقكم الله فرزق القلب هو التحقيق من حيث البرهان، ورزق الروح هو المحبة بصدق التحرز عن الأكوان، ورزق السر هو شهود العرفان." (١)

"الخلود فكذبوهما النفس وصفاتها فعززنا بثالث من الجذبة إنا تطيرنا بكم لأن النفس وصفاتها لا يوافقهما ما يدعو الإلهام والجذبة إليه طائركم معكم لأن النفس خلقت من العدم على خاصيتها المشئومة رجل يسعى هو الروح المشتاق إلى لقاء الحق لا يسئلكم أجرا لأنه لا شرب له من مشاربكم. قيل ادخل الجنة وهي عالم الأرواح وهو كقوله يا أيتها النفس المطمئنة إلى قوله وادخلي جنتي [الفجر: ٣٠] على قومه من بعده أي بعد رجوع الروح إلى الحضرة ما أنزل إلى النفس وصفاتها ملائكة من السماء لأنهم لا يقدرون على النفس وصفاتها وإصلاح حالها، فإن صلاحها في موتها والمميت هو الله. صيحة واحدة من وارد حق فإذا هم يعني النفس وصفاتها خامدون ميتون عن أنانيته بهويته ألم يروا كم أهلكنا فيه إشارة إلى أن هذه الأمة خير الأمم شكى معهم من كل أمة وما شكى إلى أحد من غيرهم شكايتهم وآية لهم القلوب الميتة أحييناها بالطاعة ونخيل الأذكار وأعناب الأشواق وعيون الحكمة وثمر المكاشفات وعمل الخيرات والصدقات خلق الأزواج من الآباء العلوية والأمهات السفلية مما تنبت أرض البشرية بازدواج الكاف والنون. ومن أنفسهم بازدواج الروح والقلب ومما لا يعلمون من تأثير العناية في قلوب المخلصين مما لا عين رأت ولا أذن سمعت وآية لهم ليل البشرية نسلخ منه نهار الروحانية فإذا هم مظلمون بظلمة الخليقة فإن الله خلق الخلق في ظلمة ثم رش عليهم من نوره. وشمس نور الله تجري لمستقر لها وهو قلب استقر فيه رشاش نور الله وقمر القلب قدرناه ثمانية وعشرين منزلا على حسب حروف القرآن وأسماؤها:

الألفة والبر والتوبة والثبات والجمعية والحلم والخلوص والديانة والذلة والرأفة والزلفة والسلامة والشوق والصدق والصبر والطلب والظمأ والعشق والعزة **والفتوة** والقربة والكرم واللين والمروءة والنور والولاية والهداية واليقين. فإذا قطع كل المنازل فقد تخلق بخلق القرآن ولهذا قال لنبيه صلى الله عليه وسلم واعبد ربك حتى يأتيك اليقين [الحجر: ٩٠] وهو آخر المنازل والمقامات،

---

(١) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان النيسابوري، نظام الدين القمي ١٨٤/٣

فإن السالك يألف الحق أولا ثم يتوب فيثبت على ذلك حتى تحصل له الجمعية، وعلى هذا يعبر المقامات حتى يصير كاملا كالبدر، ثم يتناقص نوره بحسب دنوه من شمس شهود الحق إلى أن يتلاشى ويخفى وهو مقام الفقر الحقيقي الذي افتخر به نبينا صلى الله عليه وسلم

بقوله «الفقر فخري» .

ثم أشار بقوله لا الشمس ينبغي لها إلى أن الرب لا يصير عبدا ولا العبد ربا. ثم ذكر أن العوام محمولون في سفينة الشريعة والخواص في بحر الحقيقة كلاهما بفلك العناية وملاحة أرباب الطريقة، ومثل ما يركبون هو جناح همة المشايخ. وإن نشأ نغرق العوام في بحر الدنيا والرخص والخواص في بحر الشبهات والإباحة.." (١)

"تجمع بيني وبين من سعى بي إليك، فو الله الذي لا إله إلا هو ما في يدي لبني أمية مال ولا وديعة، ولكنني لما مثلت بين يديك وسألتني عما سألتني عنه قابلت بين هذا القول الذي ذكرته الآن، وبين ذلك القول الذي ذكرته أولا، فرأيت ذلك أقرب إلى الخلاص والنجاة. فقال: يا ربيع اجمع بينه وبين من سعى به، فجمعت بينهما، فلما رآه قال: هذا غلامي اختلس لي ثلاثة آلاف دينار من مالي وأبق مني وخاف من طلبي له، فسعى بي عند أمير المؤمنين. قال: فشدد المنصور على الغلام وخوفه، فأقر بأنه غلامه، وأنه أخذ المال الذي ذكره وسعى به كذبا عليه وخوفا من أن يقع في يده، فقال له المنصور: سألتك أيها الشيخ أن تعفو عنه، فقال: قد عفوت عنه، وأعتقته ووهبته الثلاثة آلاف التي أخذها وثلاثة آلاف أخرى أدفعها إليه.

فقال له المنصور: ما على ما فعلت من مزيد؟ قال: بلى يا أمير المؤمنين إن هذا كله لقليل في مقابلة كلامك لي وعفوك عني، ثم انصرف. قال الربيع: فكان المنصور يتعجب منه، وكلما ذكره يقول: ما رأيت مثل هذا الشيخ يا ربيع.

وغضب الرشيد على حميد الطوسي، فدعا له بالنطع «١» والسيف فبكى، فقال له: ما يبكيك؟ فقال، والله يا أمير المؤمنين: ما أفزع من الموت لأنه لا بد منه، وإنما بكيت أسفا على خروجي من الدنيا، وأمير المؤمنين ساخط علي، فضحك وعفى عنه، وقال: إن الكريم إذا خادعته انخدع.

وأمر زياد بضرب عنق رجل، فقال: أيها الأمير إن لي بك حرمة، قال: وما هي؟ قال: إني جارك بالبصرة، قال: ومن أبوك؟ قال: يا مولاي إني نسيت اسم نفسي، فكيف لا أنسى اسم أبي؟ فرد زياد كمه على فمه، وضحك وعفا عنه.

وأمر الحجاج بقتل رجل فقال: أسألك بالذي أنت غدا بين يديه أذل موقفا مني بين يديك إلا عفوت عني، فعفا عنه. ولما ضرب الحجاج رقاب أصحاب ابن الأشعث أتي برجل من بني تميم، فقال: والله يا حجاج لئن كنا أسأنا في الذنب ما أحسنت في العفو، فقال الحجاج: أف لهذه الجيف! أما كان فيهم من يحسن الكلام مثل هذا؟ وعفا عنه وخلى سبيله.

وكان إبراهيم بن المهدي يقول: والله ما عفا عني المأمون تقربا إلى الله تعالى، ولا صلة الرحم، ولكن له سوق في العفو يكره أن تكسد بقتلي «٢» . وسئل الفضل عن الفتوة، فقال: الصفح عن عثرات الأخوان. وفي بعض الكتب المنزلة. إن كثرة العفو زيادة في العمر. وأصله قوله تعالى: وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض

---

(١) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان النيسابوري، نظام الدين القمي ٥/٥٣٥

«٣» . وقال يزيد بن مزيد: أرسل إلي الرشيد ليلا يدعوني، فأوجست منه خيفة، فقال لي: أنت القائل: أنا ركن الدولة والثائر لها، والضارب أعناق بغاتها؟ لا أم لك، أي ركن، وأي ثائر أنت؟ قلت يا أمير المؤمنين: ما قلت هذا، إنما قلت: أنا عبد الدولة، والثائر لها، فأطرق وجعل ينحل غضبه عن وجهه، ثم ضحك، فقلت أحسن من هذا قولي:

خلافة الله في هارون ثابتة ... وفي بنيه إلى أن ينفخ الصور

فقال: يا فضل أعطه مائتي ألف درهم قبل أن يصبح.

وأمر مصعب بن الزبير بقتل رجل، فقال: ما أقبح بي أن أقوم يوم القيامة إلى صورتك هذه الحسنة، ووجهك هذا الذي يستضاء به، فأتعلق بأطواقك وأقول: أي رب سل مصعبا لم قتلني؟ فقال: أطلقوه، فلما أطلقوه، قال: أيها الأمير اجعل ما وهبت لي من حياتك في خفض عيش.

قال قد أمرت لك بمائة ألف درهم، فقال:

أيا المذنب الخطاء والعفو واسع ... ولو لم يكن ذنب لما عرف العفو

وتغيظ عبد الملك بن مروان على رجل، فقال: والله لئن أمكنني الله منه لأفعلن به كذا وكذا، فلما صار بين يديه قال رجاء بن حيوة: يا أمير المؤمنين قد صنع الله ما أحببت، فاصنع ما أحب الله، فعفا عنه وأمر له بصلة.

وقال الحسن: إن أفضل رداء تردى به الإنسان الحلم.

وهو والله عليك أحسن من برد الحبر. وفيه قال أبو تمام:

رقيق حواشي الحلم لو أن حلمه ... بكفيك ما ماريت في أنه برد «٤»

ويقال: الحليم سليم، والسفيه كليم. وقال محمد بن عجلان: ما شيء أشد على الشيطان من عالم معه حلم، إن تكلم تكلم بعلم، وإن سكت سكت بحلم، يقول." (١)

"أبي يحيى قاله بن حبان وإبراهيم خرج له ق.

[٣٢٧] "إبراهيم" بن محمد بن عرفة النحوي نفطويه مشهور له تصانيف بقي إلى حدود العشرين وثلاث مائة قال الدارقطني ليس بقوي ومرة لا بأس به وقال الخطيب كان صدوقا انتهى وقال مسلمة كان كثير الرواية للحديث وأيام الناس ولكن غلب عليه الملول١ وكان لا يفرغ للناس وكانت فيه شيعية.

ومات سنة تسع عشرة وثلاث مائة ويقال سنة وقال ٢١ ياقوت في معجم الأدباء هو إبراهيم بن محمد بن عرفة بن سليمان بن المغيرة بن حبيب بن المهلب بن أبي صفرة العتكي الأزدي قال الثعالبي لقب نفطويه نسبتها له بالنفط لدمامته وادمته وقدر على وزن سيبويه لأنه كان يجري على طريقته في النحو ويدرس كتابه وكان عالما بالعربية واللغة والحديث أخذ عن ثعلب والمبرد وغيرهما.

قال المرزباني ولد سنة أربع وأربعين ومائتين وكان من طهارة الأخلاق وحسن المجالسة والصدق فيما يرويه على حال ما شاهدت عليها أحدا وكان حسن الحفظ للقرآن يبتدأ في مجلسه بشيء منه على قرأة عاصم ثم يقري غيره وكان فقيها عالما

---

(١) المستطرف في كل فن مستطرف شهاب الدين الأبشيهي ص/٢٠٠

بمذهب داود رأسا فيه وكان مسندا في الحديث ثقة صدوقا لا يتعلق عليه بشيء مما رواه وكان جالس الملوك والوزراء وأتقن الحفظ للسيرة وأيام الناس ووفيات العلماء مع المروة **والفتوة** والظرف ويقول من الشعر المقطعات في الغزل وكان بينه وبين محمد بن داود مودة اكيدة وأنشد له.

شعر.

أتخالني من زلة أتعيب ... قلبي عليك أرق مما تحسب

قلبي وروحي في يديك وإنما ... أنت الحياة فأين عنك المذهب

قال ياقوت وكان بين نفطويه وابن دريد منازعة فأنشدكل منهما في الآخر ما هو

---

١ كذا في الأصل.." (١)

"صلاة وصيام وذكر ولطف وتواضع ولزوم الخير والكف عن الغيبة وأذية الغير مع **الفتوة** والبذل والإحسان إلى الناس بالعيادة وشهود الجنائز والتودد إلى الطلبة في تفهيمهم وطول روحه عليهم وكان يسعى لهم وكان يثني على فاضلهم مع لطافه مزاج وكان نحيفا أبيض حلو الصورة رقيق البشرة معتدل القامة قال الذهبي وكان ربما انزعج في المناظرة وله مسائل ينفرد بها مغمورة في بحر علمه كنظرئه وكانت له جلالة ووقع في النفوس في رحمة ورفق وكراهة للفتن والشرور قال الذهبي في المعجم المختص سمع الكثير من ابن عبد الدائم فمن بعده وكتب بعض مسموعاته وكان يدري علوم الحديث مع الدين والورع وحسن السمت والتواضع وقال الكمال جعفر كان فقيها أصوليا متدينا ثقة انتهت إليه رئاسة مذهب الشافعي بإقليمه وتصدى للإقراء وانتفعوا به وتخرج به جماعة وولي وكالة بيت المال ثم تركها ازدراء لها ولم يزل مشتغلا بما يعنيه زاهدا في المناصب إلى أن مضى على وجه جميل ثم قال أنشدنا محمد بن علي الأنفي أنشدنا البرهان الفزاري لنفسه

(وإني لأستحيي من الله كلما ... وقفت خطيبا واعظا فوق منبري)

(ولست بريئا بينهم فيبذهم ... ألا إنما يلقى المواعظ من برى)." (٢)

"وركن الدين ولد في ذي الحجة سنة ٥٩ وتفقه وطلب الحديث وسمع من الرشيد بن أبي القاسم وغيره وشارك في الفضائل وبرع في العلم واتصل بأرغون بن أبغا ثم تاب وأناب ودخل الخلوة وصحب ببغداد الشيخ عبد الرحمن وخرج عن بعض ماله وحج مرارا وله مدارج المعارج قال الذهبي كان إماما جامعا كثير التلاوة وله وقع في النفوس وكان يحط على ابن العربي ويكفره وكان مليح الشكل حسن الخلق غزير **الفتوة** كثير البر يحصل له من أملاكه في العام نحو تسعين ألفا فينفقها في القرب أخذ عنه صدر الدين بن حمويه وسراج الدين القزويني وإمام الدين علي بن مبارك البكري وذكر أن مصنفاته تزيد على ثلاثمائة وكان مليح الشكل كثير التلاوة كثير البر والإيثار وكان أولا قد داخل التتار ثم رجع وسكن تبريز وبغداد ومات في رجب ليلة الجمعة سنة ٧٣٦

---

(١) لسان الميزان ابن حجر العسقلاني ١٠٩/١

(٢) الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ابن حجر العسقلاني ٣٧/١

٦٤٤ – أحمد بن محمد بن أحمد بن هزهاز ويقال هزاهز شمس الدين أبو العباس المرداوي الطيار سمع على الفخر علي مشيخة ابن السبط وحدث في أواخر سنة ٧٥٢

٦٤٥ – أحمد بن محمد بن أحمد بن يوسف بن أحمد بن عمر الهاشمي الطنجالي من أهل مالقة أخذ عن أبيه وعن جده أبي جعفر وأبي عبد الله بن اليتيم وأبي الخطاب بن واجب وأبي عبد الله بن صاحب الأحكام وأبي الحسين محمد بن محمد بن سعيد بن زرقون وأبي الربيع بن سالم في آخرين بالإجازة." (١)

"٧٩٧ – محمد بن إبراهيم بن منصور بن علي المزي ثم الدمشقي سمع من ابن مشرف والتقي سليمان وغيرهما وبمصر من الحسن الكردي وحدث وأجاز له ابن الموازيني وآخرون وطلب بنفسه وكتب الطباق وكان يشهد على القضاة مات في صفر سنة ٧٥٢

٧٩٨ – محمد بن إبراهيم بن هبة الله بن علي بن محمد بن الحسن البكري سعد الملك ابن النبيه ولد في رمضان سنة ٦٣٣ ومات في ٢٧ شهر رمضان سنة ٧١٦

٧٩٩ – محمد بن إبراهيم بن يحيى بن علي الأنصاري جمال الدين الكتبي الأديب المشهور المعروف بالوطواط ولد في ذي الحجة سنة ٦٣٢ وكان أديبا ماهرا عارفا بالكتب وجمع مجامع أدبية وهو صاحب الرسائل المشهورة المعروفة بعين الفتوة ومرآة المروءة كتب له عليها ابن النحاس وابن عبد الظاهر وابن النقيب والسراج الوراق والنصير الحمامي والعلم العراقي وابن العفيف وابن دانيال وغيرهم وله كتاب مناهج الفكر ومباهج العبر وكتاب الدرر والغرر وله حواش على الكامل لابن الأثير في التاريخ مفيدة وله يقول ابن دانيال وقد رمد

(ولم اقطع الوطواط بخلا بكحله ... ولا أنا من يعبيه يوما تردد)

(ولكنه ينبو عن الشمس طرفه ... وكيف به لي قدرة وهو أرمد)." (٢)

"علي بن مخلوف بن ناهض النويري، زين الدين ابن رضي الدين أبي القاسم ابن تاج الدين أبي المعالي، المالكي من المائة الثامنة.

ولد سنة أربع وثلاثين وستمائة بالنويرة من أعمال البهنسا. ورأيت بخط البشبيشي أن صاحب حماة ذكر أن مولده سنة عشرين. قلت: وهو غلط.

وسمع الحديث من ابن أبي الفضل المرسي، ومن الشيخ عز الدين بن عبد السلام وغيرهما. واشتغل قليلا، واتصل بالملك المنصور قلاوون، وصيره وصيا على ولده محمد. وذكر المؤيد صاحب حماة، أن المنصور عرض عليه الوزارة، فامتنع منها.

وولي القضاء في ذي الحجة سنة خمس وثمانين. وكان قبل ذلك أمين الحكم. ثم ولي نظر الخزانة، واستقر بعد موت تقي الدين بن شأس، فباشره نحوا من ثلاثين سنة، ولكنه عزل في طول هذه المدة مرارا.

وكان يقول للناصر، أنا وصي عليك فيقول: بل على إخوتي، فيقول: وعليك فيغضب، ويعزله، ثم يسرع بإعادته، ولا يرجع

---

(١) الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ابن حجر العسقلاني ٢٩٧/١

(٢) الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ابن حجر العسقلاني ٢٤/٥

هو عن دعواه.

وكان كثير الإفضال، حسن المودة، كثير المروءة، عزيز **الفتوة**، وافر الاحتمال، عظيم البر لأهل العلم والاشتغال، عارفا بالأحكام من جهة الدربة والتجربة.

قال الصفدي: كان لمصر به فاختار، وللمنصب به اشتهار، وكان لا يعاب إلا بشراسة خلق، وقصور في العلم.

ونسبة الصدر ابن الوكيل إلى المجازفة في القول في قصيدة قال فيها:

إلى مالك يعزونه ونويرة ... فلا عجب أن كان يدعى متمما

وكان ممن عزله الناصر لما عاد من الكرك هو والبدر ابن جماعة. ثم أعادهما بعد سنة. ثم أراد الناصر إثبات مكتوب فتوقف فيه ابن مخلوف فعزله في سنة إحدى عشرة. ثم أعاده بعد أيام قلائل.." (١)

"وأراد الإشهاد عليه بذلك فامتنع، فقال محمد: ما كان بالذي يودع الإشهاد. فاتفق أن المدادي مات في سنة تسع وسبعين وعنده ودائع كثيرة، فراسله يزيد بن السندي كاتب الحكم قبل أن يموت حتى أشهد عليه بما عنده. فلما مات لم يوجد أكثر ذلك، فباع القاضي داره بخمسة آلاف دينار فوفى بها الودائع.

محمد بن هبة الله بن أحمد بن شكر أبو البركات نفيس الدين مالكي من المائة السابعة.

ولد سنة خمس وستمائة، واشتغل على مذهب مالك ومهر، وأول شيء وليه قضاء دمياط نيابة عن القاضي تاج الدين ابن بنت العز، ثم ولي القضاء بالقاهرة استقلالا بعد موت شرف الدين السبكي في ذي القعدة سنة تسع وستين.

وكان الشيخ أبو عبد الله ابن النعمان يستعين به فيما يرومه من إزالة المنكرات وقمع اليهود والنصارى، وكان القاضي كريم النفس كثير **الفتوة** حسن الاعتقاد كثير البر بأصحابه والمباسطة لهم، ولم يزل على حاله إلى جمادى الأولى سنة ثمان وسبعين فعزل هو ورفقته جميعا، وهم: تقي الدين ابن رزين الشافعي، والمعز الحنفي والحنبلي، وعاش بعد ذلك إلى ذي الحجة سنة ثمانين وستمائة فمات رحمه الله.

محمد بن أبي الفرج هبة الله بن ميسر أبو عبد الله القيسراني الأصل المصري.

شافعي من المائة السادسة، قدم والده من قيسارية في ولاية بدر الجمالي وهو معه شاب، وكان بدر قد استدعى بذوي الأموال واليسار فأنزلهم مصر لما كان جرى لها من الخراب بالغلاء الشديد، ففوض بدر لأبي الفرج الخطابة بالجامع العتيق بمصر، وكان فقيها شافعيا، فعمل فيه أبو علي حسين بن سعيد العسقلاني الشاعر المعروف بالمكربل قوله:

إن الشريعة قد وهت أركانها ... وتغيرت بالنقص أي تغير

بوزارة ابن أسامة وشهادة اب ... ن قتادة وخطابة ابن ميسر." (٢)

"وشاع عنه الارتشاء ثم أضيفت إليه الوزارة في جمادى الأولى سنة خمس وخمسين لما مات الفائزي.

واستناب القاضي شمس الدين ابن خلكان فحكم بالبلاد المصرية مدة نيابة، وصارت أكثر الثبوتات والتعلقات: منوطة به،

---

(١) رفع الإصر عن قضاة مصر ابن حجر العسقلاني ص/٢٨٠

(٢) رفع الإصر عن قضاة مصر ابن حجر العسقلاني ص/٤٢٦

وكان صرف البدر بعد الرجوع من وقعة عين جالوت وسلطنة الظاهر بيبرس وذلك في سنة تسع وخمسين، فقبض عليه وعوق القلعة، ثم أفرج عنه واستقر عوضه تاج الدين ابن بنت الأعز، ولزم بيته بطالا إلى أن مات وهو على ما كان عليه من الرياسة، وحج وجاور بمكة وحصل لأهل البلد والمجاورين به نفع كثير.
ويحكي من مكارمه ورياسته أشياء معجبة، وذكره مصنف نجم المهتدي فقال: تفقه ببلاد الشرق ورحل إلى بغداد وغيرها، ثم لما استقر الصالح أيوب في مملكة مصر رحل إليه فتمكن منه تمكن الروح من الجسد، وكان جميل الأخلاق، كريم النفس، كثير المروءة **والفتوة**، وكان يتعصب للأشاعرة، ويغض من الحنابلة.
وكانت وفاته في رجب سنة ثلاث وستين وستمائة.
ذكر ابن مسدي في ترجمة أبي المكارم عبد الله بن الحسن الدمياطي: أنه كان يلي القضاء والخطابة والتدريس بدمياط مدة حتى ولي البدر السنجاري فعزله عن بلده وتعرض لما في يده، فقدم مصر متوجها بذي الجاه، فلم يجد عن بذل المال منجاة، فأعطاه ما طلب منه ولم يرض عنه، بل كدر مسرته وسد ميسرته، وتوفي على تلك الحال.
يوسف بن خالد بن نعيم بن مقدم بن محمد بن حسن بن عليم بن محمد بن علي جمال الدين البساطي المالكي من المائة التاسعة ولد في حدود الأربعين وسبعمائة وتفقه على أخيه، وعلى شيخ المذهب خليل بن إسحاق، ويحي الرهوني، وابن مرزوق، ونور الدين الحلاوي، وسراج الدين عمر بن عادل الحنبلي، أخذ عنه العربية والحساب. والشيخ محمد الكلائي، والشيخ تاج الدين القروي وغيرهم.." (١)

"ابن عباس أنه كان يقول تجتمعون إلي يا أهل مكة وعندكم عطاء وكذا روى عن بن عمر وقال أبو عاصم الثقفي سمعت أبا جعفر يقول للناس وقد اجتمعوا عليه عليكم بعطاء هو والله خير مني وعن أبي جعفر قال ما بقي أحد أعلم بمناسك الحج من عطاء وقال عبد العزيز بن أبي حاتم عن أبيه ما أدركت أحدا أعلم بالمناسك منه وقال بن أبي ليلى كان عالما بالحج وكان يوم مات بن مائة سنة ورأيته يفطر في رمضان ويقول قال بن عباس وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين فمن تطوع خيرا فهو خير له أي أطعم أكثر من مسكين وقال عبد الله بن إبراهيم بن عمر بن كيسان عن أبيه أذكر في زمن بني أمية صائحا يصيح لا يفتي الناس الا عطاء وقال ربيعة فاق عطاء أهل مكة في **الفتوة** وقال قتادة قال لي سليمان بن هشام هل بمكة أحد قلت نعم أقدم رجل في جزيرة العرب علما قال من قلت عطاء بن أبي رباح وقال قتادة إذا اجتمع لي أربعة لم أبال من خالفهم الحسن وسعيد وإبراهيم وعطاء قال هؤلاء أئمة الأمصار وقال إسماعيل بن أمية كان عطاء يطيل الصمت فإذا تكلم يخيل إلينا أنه يؤيد وقال عبد الحميد الحماني عن أبي حنيفة ما رأيت فيمن لقيت أفضل من عطاء ولا لقيت فيمن لقيت أكذب من جابر الجعفي وقال الديباج١ ما رأيت مفتيا خيرا من عطاء وقال الأوزاعي مات عطاء يوم مات وهو أرضى أهل الأرض عند الناس وقال سلمة بن كهيل ما رأيت أحدا يريد بهذا العلم وجه الله الا ثلاثة عطاء ومجاهد

---

(١) رفع الإصر عن قضاة مصر ابن حجر العسقلاني ص/٤٧٥

١هو محمد بن عبد الله بن عمرو بنعثمان بن عفان وأمه فاطمة بنت الحسين بن علي رضي الله عنهم قتله المنصور سنة "١٤٥" ١٢ خلاصة." (١)

"(باب الفتيا على الدابة عند الجمرة)

أي: هذا باب في بيان الفتيا على الدابة عند جمرة العقبة، يقال: استفتيت الفقيه في مسألة فأفتاني، قال الجوهري: والإسم الفتيا والفتوة، وقد ذكر البخاري بابين في كتاب العلم أحدهما: باب الفتيا وهو واقف على ظهر الدابة أو غيرها، وأورد فيه حديث عبد الله بن عمرو بن العاص. والآخر: باب السؤال والفتيا عند رمي الجمار، وأورد فيه أيضا حديث عبد الله بن عمرو بن العاص، وأورد ههنا أيضا حديث عبد الله بن عمرو المذكور في البابين، وهذا منه نادر غريب.

٦٣٧١ - حدثنا عبد الله بن يوسف قال أخبرنا مالك عن ابن شهاب عن عيسى بن طلحة عن عبد الله بن عمر وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقف في حجة الوداع فجعلوا يسألونه فقال رجل لم أشعر فحلقت قبل أن أذبح ولا حرج فجاء آخر فقال لم أشعر فنحرت قبل أن أرمي قال ارم ولا حرج فما سئل يومئذ عن شيء قدم ولا أخر إلا قال افعل ولا حرج..

مطابقته للترجمة تؤخذ من قوله: (وقف في حجة الوداع) ، لأن معناه: وقف على ناقته، وقد صرح به عبد الله بن عمرو في روايته الأخرى في هذا الباب لأن البخاري روى حديثه في هذا الباب بثلاثة أوجه الأول: وقف في حجة الوداع. والثاني: أنه شهد النبي صلى الله عليه وسلم وهو يخطب. والثالث: وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم على ناقته. وقوله: (في الترجمة على الدابة) يتناول الناقة، وأما دلالته على أنه كان عند الجمرة فمن حديث عبد الله بن عمرو أيضا الذي أخرجه في كتاب العلم في: باب السؤال والفتيا عند الجمار، عن عيسى بن طلحة عن عبد الله بن عمر وقال: رأيت النبي صلى الله عليه وسلم عند الجمرة وهو يسأل ... الحديث، وهو واحد والراوي واحد.

ذكر رجاله: وهم خمسة، فالثلاثة الأول ذكروا غير مرة، وابن شهاب هو محمد بن مسلم الزهري، وعيسى بن طلحة بن عبيد الله التيمي، مات سنة مائة.

ذكر لطائف إسناده: فيه: التحديث بصيغة الجمع في موضع والإخبار كذلك في موضع. وفيه: العنعنة في ثلاثة مواضع. وفيه: أن رواته كلهم مدنيون إلا عبد الله بن يوسف فإنه تنيسي وأصله من دمشق وأنه من أفراد البخاري. وفيه: رواية التابعي عن التابعي عن الصحابي.

وقد ذكرنا في: باب الفتيا وهو على ظهر الدابة في كتاب العلم أن هذا الحديث أخرجه الأئمة الستة. وقد ذكرنا أيضا تعدد موضعه لكل منهم، وتكلمنا على ما يتعلق به من الأشياء هناك، ونتكلم أيضا على بعض ما فاتنا هناك.

فقوله: (مالك عن ابن شهاب) كذا في (الموطأ) وعند النسائي من طريق يحي القطان: عن مالك حدثني الزهري. قوله: (عن عيسى) في رواي صالح بن كيسان: حدثني عيسى، قوله: (عن عبد الله) ، في رواية صالح: أنه سمع عبد الله، وفي رواية

---

(١) تهذيب التهذيب ابن حجر العسقلاني ٢٠١/٧

ابن جريج، وهي الثانية: أن عبد الله حدثه. قوله: (وقف) في رواية ابن جرير: أنه شهد النبي صلى الله عليه وسلم أنه وقف، وقال ابن التين: هذا الحديث لا يقتضي رفع الحرج في غير المسألتين المذكورتين المنصوص عليهما في رواية مالك، لأنه صرح جوابا للسؤال، فلا يدخل فيه غيره. انتهى. قلت: هذا عجيب منه، فكأنه ذهل عن قوله: في بقية الحديث (فما سئل عن شيء وقدم ولا أخر إلا قال: إفعل ولا حرج) ، فإن قلت: يمكن أنه حمل هذا المبهم على ما ذكر؟ قلت: يرد ذلك رواية ابن جريج وأشباه ذلك، كما يجيء في الحديث الذي يأتي عقيب هذا الحديث إن شاء الله تعالى.

٣١٨ - (حدثنا سعيد بن يحي بن سعيد قال حدثنا أبي قال حدثنا ابن جريج قال حدثني الزهري عن عيسى بن طلحة عن عبد الله بن عمرو بن العاصي رضي الله عنه حدثه أنه شهد النبي - صلى الله عليه وسلم - يخطب يوم النحر فقام إليه رجل فقال كنت أحسب أن كذا قبل كذا ثم قام آخر فقال كنت أحسب أن كذا قبل كذا حلقت قبل أن أنحر نحرت قبل أن أرمي وأشباه." (١)

"وفي أيام الناصر لدين الله [هذا] ظهرت **الفتوة** بغداد، ورمي البندق، ولعب الحمام، وتفنن الناس في ذلك، ودخل فيه الأجلاء ثم الملوك؛ فألبسوا الملك العادل صاحب [مصر] ثم أولاده سراويل **الفتوة**، ولبسه أيضا الملك شهاب الدين صاحب غزنة والهند من الخليفة الناصر لدين [الله] هذا.

ولبسه جماعة أخر من الملوك. وأما لعب الحمام، فخرج فيه [عن] الحد.

يحكى عنه أنه: لما دخلت التتار البلاد، وملكوا من وراء النهر إلى العراق، وقتلوا تلك المقتلة العظيمة من المسلمين، الذي ما نكب المسلمون بأعظم منها، دخل عليه الوزير فقال له: يا مولانا أمير المؤمنين ﴿إن التتر قد ملكت البلاد وقتلت المسلمين. فقال له الناصر [لدين الله] : دعني، أنا في شيء أهم من ذلك؛ طيرتي البلقاء لي ثلاثة أيام ما رأيتها﴾ !

قلت: وفي هذه الحكاية كفاية - إن صحت عنه -.

وكانت وفاته في [سلخ] شهر رمضان سنة إثنتين وعشرين وستمائة.

وكانت خلافته سبعا وأربعين سنة.

وتخلف بعده ابنه [الظاهر] .." (٢)

"وله أيضا:

يا مبدعا بالحسن واصل أخا ... هم له عام وما وصلتا

فقال هل صيف في مساءة ... قلت نعم وفي هموم شتا

وله أيضا:

تبا لذي المكر ورعيا لذي ... قلب سليم جوده فيه ذات

فعاش في عز وفي نعمة ... وكل من في ذاته المكرمات

---

(١) عمدة القاري شرح صحيح البخاري بدر الدين العيني ٧٣/١٠

(٢) مورد اللطافة في من ولي السلطنة والخلافة ابن تغري بردي ٢٢٧/١

وله أيضا:

أقول وقد وافت فأوفت بوعدها ... قد انفردت محبوبتي بالفتوة

فيا كبد اللاحي اشعلي وتوقدي ... فإن التي أهوى وفت وتفتت

ومن شعره أيضا:

سألت من لحظه وحاجبه ... كالقوس والسهم موعدا حسنا

ففوق السهم من لواحظه ... وانقوس الحاجبان واقترنا

وله أيضا:

أتى من أحبائي رسول فقال لي: ... ترفق وهن واخضع تفز برضانا

فكم عاشق قاسى الهوان بحبنا ... فصار عزيزا حين ذاق هوانا." (١)

"تنظر، وبالسعود تبشر، كيف نهنئك بالعيد وأيامك كلها أعياد، ولياليك أعراس، وساعاتك تواريخ، وأوقاتك مواقيت، يا أكرم من أمسى وأضحى، سعدت بهذا الأضحى، عرفك الله من السعادات ما يربي على عدد من حج واعتمر، وسعى ونحر، جعل الله أعاديك كأضاحيك.

التهنئة بالنيروز وفصل الربيع

هذا اليوم في الأيام، كسيدنا في الأنام، هذا اليوم غرة في وجه الدهر وتاج على مفرق العصر، أسعد الله سيدنا بالنيروز الطالع عليه ببركاته، وأيمن طائره في جميع أيامه متصرفاته، أقبل النيروز إلى سيدنا ناشرا حلله التي استعارها من شيمته، ومبديا حليته، التي أخذها من سجيته، أسعد الله بهذا الربيع، المتشبه بخلقه الجاري في طرقه، ثم أسعده الله بالفصل الجديد، والنيروز الحميد، سعادة متصلة المادة، حافظة لجميل العادة، من هنأ سيدنا بيوم جديد، وعيد سعيد، فإني أهنىء الفصول والأعوام، الشهور والأيام ببقائه، وأسأل الله أن يؤنس الدنيا بدوام نعمائه.

التهنئة بالمهرجان

عرف الله سيدنا بركة المهرجان، وأسعده في كل أوان وزمان، عرفه الله بركة المهرجان الذي هو من أعياد المروءة، ومواقيت الفتوة، المهرجان من غرر الدهور، ومواسم السرور، فعظم الله بركته، ولقاه يمنه وسعادته، وجعل أيامه كلها محفوفة بالمواهب، مكنوفة بالعطايا والرغائب.

إقامة رسم الهدية في النوروز والمهرجان

لليوم رسم إن أخل الأولياء عد هفوة، وإن منع به الرؤساء حسب جفوة، قد سلكت مع مولاي في إقامة رسم هذا اليوم سلوك العبيد مع السادات، والأتباع مع الأرباب، لمثل هذا اليوم سنة على مثلي فيها أن يهدي ويلاطف، وعلى مثل سيدنا

---

(١) المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي ابن تغري بردي ٢/٢٩

ولا مثيل له أن يقبل ويشرف، قد خدمت سيدنا في هذا اليوم الجديد، والأوان السعيد، بقليل يوفره خلوص شكري، ويسير يكثره واضح عذري، قد نقل من إحدى." (١)

"ولما مضى ذلك على هذا الوجه الجليل عرف أنه كله في الحرائر لأنه الوجه الأحكم في النكاح، وأتبعه تعليم الحكمة في نكاح الإماء؛ فقال عاطفا على ما تقديره: هذا حكم من استطاع نكاح حرة: ﴿ومن لم يستطع منكم﴾ أي أيها المؤمنون ﴿طولا﴾ أي سعة وزيادة عبر فيما قبله بالمال تهوينا لبذله بأنه ميال، لا ثبات له، وهنا بالطول الذي معناه: التي قل من يجدها ﴿أن﴾ أي لأن ﴿ينكح المحصنات﴾ أي الحرائر، فإن الحرة مظنة العفة الجاعلة لها فيما هو كالحصن على مريد الفساد، لأن العرب كانوا يصونونهن وهن أنفسهن عن أن يكن كالإماء ﴿المؤمنات﴾ بسبب كثرة المؤنة وغلاء المهر ﴿فمن﴾ أي فلينكح إن أراد من ﴿ما ملكت أيمانكم﴾ أي مما ملك غيركم من المؤمنين ﴿من فتياتكم﴾ أي إمائكم، وأطلقت **الفتوة** _." (٢)

"لا يغنى فيه أحد عن أحد، منبها على أن الكفر به هو القاطع عن العلم وعن كل خير، فقال مؤكدا تأكيدا عظيما، إشارة إلى أن أمرهم ينبغي أن ينكره كل من يسمعه، ولا يصدقه، لما على الآخرة من الدلائل الواضحة جدا الموجبة لئلا يكذب به أحد: ﴿وهم بالآخرة﴾ أي الدار التي لا بد من الجمع إليها، لأنها محط الحكمة ﴿هم﴾ أي بضمائرهم كما هم بظواهرهم، وفي تكرير الضمير تنبيه على أن هؤلاء اختصوا بهذا الجهل، وأن غيرهم وقفوا على الهدى ﴿كافرون﴾ أي عريقون في التغطية لها، فلذلك أظلمت قلوبهم فكانوا صورا لا معاني لها؛ والملة: مذهب جماعة يحمي بعضها لبعض في الديانة، وأصله من المليلة، وهي حمى تلحق الإنسان – قاله الرماني.

وفي القاموس إن المليلة: الحر الكامن في العظم. وعبر ب ﴿تركت﴾ موضع «تجنبت» مثلا مع كونه لم يلابس تلك الملة قط، تأنيسا لهما واستدراجا إلى تركهما؛ ثم اتبع ذلك بما يدل على شرف أصله وقدم فضله بأنه من بيت النبوة ومعدن **الفتوة**، ليكون ذلك أدعى إلى قبول كلامه وإصابة." (٣)

"ولما كان في الجواب ما يسوء الخباز، أبهم ليجوز كل واحد أنه الفائز، فإن ألجأه إلى التعيين كان ذلك عذرا له في الخروج عن الأليق فقال: ﴿أما أحدكما﴾ وهو الساقي فيلخص ويقرب ﴿فيسقي ربه﴾ أي سيده الذي في خدمته ﴿خمرا﴾ كما كان ﴿وأما الآخر﴾ وهو الخباز.

ولما كان الذي له قوة أن يصلب إنما هو الملك، بنى للمفعول قوله: ﴿فيصلب﴾ ويعطب ﴿فتأكل﴾ أي فيتسبب عن صلبه أنه تأكل ﴿الطير من رأسه﴾ والآية من الاحتباك: ذكر ملزوم السلامة والقرب أولا دليلا على العطب ثانيا، وملزوم العطب ثانيا دليلا على السلامة أولا، وسيأتي شرح تعبيره من التوراة، فكأنه قيل: انظر جيدا ما الذي تقول! وروى أنهما قالا: ما رأينا شيئا، إنما كنا نلعب، فقال مشيرا بصيغة البناء للمفعول إلى عظمة الله وسهولة الأمور عليه: ﴿قضي الأمر﴾ وبينه

---

(١) لباب الآداب للثعالبي الثعالبي، أبو زيد ص/٥٦

(٢) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور برهان الدين البقاعي ٥/٢٣٥

(٣) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور برهان الدين البقاعي ١٠/٨٤

بقوله: ﴿الذي فيه﴾ أي لا في غيره ﴿تستفتيان *﴾ أي تطلبان الإفتاء فيه عملا **بالفتوة**، فسألتما عن تأويله، وهو تعبير رؤياكما كذبتما أو صدقتما، لم أقله عن جهل ولا غلط. وما أحسن." (١)

"أصل المادة، والفتي – بالقصر؛ السخي والكريم، أي الجواد الشريف النفس، والفتى: السيد الشجاع – لأن ذلك يلزم الشباب، والفتى: المملوك وإن كان بخيلا أو شيخا – لأنه غالبا لا يشتري إلا الشباب، والفتى: التلميذ، والتابع كذلك، والفتى – كغنى: الشاب أيضا، **والفتوة**: الكرم، وقد تفتى وتفاتى، وفتوتهم: غلبتهم فيها، وأفتاه في الأمر: أبانه له، والفتيا – بالضم والفتوى – ويفتح: ما أفتى به الفقيه، وهو يرجع إلى الجود وحسن الخلق، والفتيان: الليل والنهار، ولذلك يسميان الجديدين، وفتيت البنت تفتية: منعت اللعب مع الصبيان، فهو من سلب الشباب، أي فعله ومن مقلوبه مهموزا: افتأت علي الباطل: اختلقه، وبرأيه: استبد، وكلاهما يدل على جرأة وطيش، وهو بالشاب الذي لم يحنكه الدهر أجدر، وافتئت – على البناء للمفعول: مات فجأة – كأن ذلك أشد الموت؛ ومن واوية: فات الشيء فوتا وفواتا: ذهب فسبق فلم يدرك، وفاته وافتاته: ذهب عنه فسبقه،." (٢)

"بالمال، نهاهم عما ينافيه فقال: ﴿ولا تكرهوا فتياتكم﴾ أي إماءكم، ولعله عبر بلفظ **الفتوة** هزا لهم إلى معالي الأخلاق، وتخجيلا من طلب **الفتوة** من أمة ﴿على البغاء﴾ أي الزنى لتأخذوا منهن مما يأخذنه من ذلك.

ولما كان الإكراه على الزنى لا يصح إلا عند العفة، وكان ذلك نادرا من أمة، قال: ﴿إن﴾ بأداة الشك ﴿أردن تحصنا﴾ وفي ذلك زيادة تقبيح للإكراه على هذا الفعل حيث كانت النساء مطلقا يتعففن عنه مع أنهن مجبولات على حبه، فكيف إذا لم يمنعهن مانع خوف أو حياء كالإماء، فكيف إذا أذن لهن فيه. فكيف إذا ألجئن إليه، وأشار بصيغة التفعل وذكر الإرادة إلى أن ذلك لا يكون إلا عن عفة بالغة، وزاد في تصوير التقبيح بذكر علة التزام هذا العار في قوله: ﴿لتبتغوا﴾ أي تطلبوا طلبا حثيثا فيه رغبة قوية بإكراههن على الفعل الفاحش ﴿عرض الحياة الدنيا﴾ فإن العرض متحقق فيه الزوال، والدنيا مشتقة من الدناءة.

ولما نهى سبحانه عن الإكراه، رغب الموالي في التوبة عند المخالفة." (٣)

"أي يثقب ما صادفه من جني وغيره وإن كان الجني من نار فإنه ليس نارا خالصة، وعلى التنزل فربما كان الشيء الواحد أنواعا بعضها أقوى من بعض، فيؤثر أقواه في أضعفه كالحديد، وتارة يخطئ الجني وتارة يصيبه، وإذا أصابه فتارة يحرقه فيتلفه وتارة يضعفه.

ولما كان المقصود من هذا الكتاب الأعظم بيان الأصول الأربعة: التوحيد والنبوة والمعاد وإثبات القضاء والقدر، ودل سبحانه بهذه المذكورات على وجوده وكمال علمه وتمام قدرته على الأفعال الهائلة وبديع حكمته اللازم منه إثبات وحدانيته تفصيلا لبعض إجمال ﴿أو ليس الذي خلق السماوات والأرض﴾ فكان ما دونها من الأفعال أولى، سبب عن ذلك لإثبات الحشر

---

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور برهان الدين البقاعي ٩١/١٠

(٢) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور برهان الدين البقاعي ٢٠١/١٠

(٣) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور برهان الدين البقاعي ٢٦٩/١٣

الذي أخبر به هذا القرآن الذي حرسه عن تلبيس الجان بزينة الكواكب التي أنشأ منها الشهب الثواقب قوله تهكما بهم: ﴿فاستفتهم﴾ أي سلهم أن يتفتوا بأن يبينوا لك ما تسألهم عنه من إنكارهم البعث، وأصله من **الفتوة** وهي الكرم: ﴿أهم أشد﴾ أي أقوى وأشق وأصعب ﴿خلقا﴾ أي من جهة إحكام الصنعة وقوتها وعظمها ﴿أم من﴾ ولما كان المراد الإعلام بأنه لا شيء من الموجودات إلا وهو خلقه سبحانه، عبر بما يدل على ذلك دون ذكرنا، وليكون أعم، وحذف المفعول لأنه مفهوم، ولئلا يلبس إذا ذكر ضمير المستفتين،." (١)

"يقوم بها أحوال المريدين ويحيي بها معالم أسرار العارفين ويهيج بها خواطر المحبين ويجري بها دموع المشتاقين قيل فهل على ذلك من دليل قال نعم قوله تعالى وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك فأجبت لقول النبي صلى الله عليه وسلم عند ذكر الصالحين تنزل الرحمة أن أجمع ما تيسر من أخبارهم وما اشتملوا عليه من العبادة في ليلهم ونهارهم وأن أطرز ذلك باللطائف والفوائد السنية والزواجر للنفوس الغوية من المواعظ القوية مع ما أذكره من المسائل الفقهية والمنافع الطبية وقطرة من مناقب خير البرية من هو حي في قبره حياة حقيقية وفاته في ضريحه المكرم على العرش طرية وأزواجه وأصحابه وأمته المرضية وقد جعلته أبوابا وفصولا حوت معاني قوية وسميته نزهة المجالس ومنتخب النفائس وختمته بذكر الجنة رجاء أن نؤول إليها بالفضل والمنة ومنه التوفيق وبه الإعانة.

وهذا سرد ما اشتمل عليه من الأبواب والكتب والفصول

باب في الإخلاص كتاب العقائد وفضل الذكر والقرآن الخ فصل في الذكر فصل في البسملة مع فصل سور وآيات فصل في أذكار غير القرآن فصل في أذكار الصباح والمساء باب المحبة باب ذكر الموت فصل في الأمل فصل في الصبر فصل في الرضا فصل في الأدب باب فضل الدعاء باب التقوى وفعل الخيرات والكف عن المنكرات باب فضل الصلاة ليلا ونهارا ومتعلقاتها باب في فضل الجمعة ويومها وليلتها باب فضل الزكاة فصل في زكاة الأعضاء باب ذم الكبر باب ذم الغيبة والنميمة كتاب الصوم باب فضل رجب وصومه باب فضل شعبان وصلاة التسابيح باب فضل رمضان والترغيب في العمل الصالح فيه فصل في ليلة القدر باب فضل يوم عرفة والعيدين والتكبير والأضحية باب فضل صيام عاشوراء باب فضل الجوع وآفات الشبع باب فضائل الحج وزيارة النبي صلى الله عليه وسلم في أركان الحج باب فضل الجهاد باب بر والوالدين باب الحلم والصفح عن عثرات الإخوان باب الكرم **والفتوة** ورد السلام فصل في كرم الله تعالى باب فضل الصدقة وفعل المعروف فصل في إكرام الجار باب في الزهد والقناعة والتوكل فصل في القناعة فصل في التوكل باب حفظ الأمانة وترك الخيانة وذكر النساء وفضل الزواج وذم الطلاق والتحذير من لواط وفضل الزراعة فصل في الزراعة وبيان قوله صلى الله عليه وسلم خلقتم من سبع ورزقتم من سبع باب الخوف باب التوبة باب فضل العمل واجتناب الظلم والشفقة على خلق الله تعالى والإكرام للمشايخ وفضل التسريح والخضاب فصل في فضل العقل باب فضل العلم وأهله فصل سكنى الشام باب مناقب النبي صلى الله عليه وسلم باب مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم فصل في نسبه صلى الله عليه وسلم فصل في

---

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور برهان الدين البقاعي ١٦/١٩٩

رضاعه باب في فضل الصلاة والتسليم عليه صلى الله عليه وسلم في إسرائه صلى الله عليه وسلم باب في وفاته صلى الله عليه وسلم باب في مناقب الصحابة وفضائلهم وأمهات المؤمنين رضوان الله عليهم أجمعين مناقب العشرة رضي الله تعالى عنهم فاطمة رضي الله تعالى عنها فصل في تزويج حواء بآدم مناقب الحسن والحسين رضي الله تعالى عنهما مناقب العباس رضي الله تعالى عنه مناقب حمزة." (١)

"فاعف عنهم أي فيما يتعلق بحقك واستغفر لهم فيما يتعلق بحق الله تعالى أي اطلب لهم المغفرة فما أمره بذلك إلا وهو يريد أن يغفر لهم فالحمد الله على إحسانه.

باب الكرم **والفتوة** ورد السلام

قال الله تعالى ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة قيل نزلت الآية في رجل أهدى له دجاجة فدفعها لجاره فدفعها الآخر إلى جاره وهكذا إلى سبعة دور حتى رجعت إلى الأول وفي مجمع الأحباب أن بعض الصحابة رضي الله عنهم قصد ابن عمه بشربة ماء فلما وصل إليه سمع شخصا يشكو عطشا فأشار إليه أن اسقه فجاءه فوجد آخر يشكو عطشا فأشار إليه أن أسقه فجاءه فوجده قد مات فرجع إلى الثاني فكذلك ثم أتى ابن عمه فكذلك فتعجب من حسن ايثارهم مع شدة اضطرارهم رضي الله عنهم وكان ذلك في وقعة اليرموك وهو مكان معروف ينزله الحجاج في ذهابهم ويسمونه المزيريب وكان ذلك في خلافة سيدنا عمر رضي الله عنه وفي صحيح البخاري أن النبي صلى الله عليه وسلم كان أجود الناس وكان أجود من الريح المرسلة وما رد سائلا قط وما سئل عن شيء فقال لا قال النووي رحمه الله تعالى في تهذيب الأسماء واللغات ما قال صلى الله عليه وسلم لا منعا من الوجدان وأما اعتذارا فقد قالها صلى الله عليه وسلم قال تعالى قلت لا أجد ما أحملكم عليه قال في عوارف المعارف عن ابن عيينة رضي الله عنه أن لم يكن عنده صلى الله عليه وسلم ما طلب منه وعد به ثم قال في عوارف المعارف أيضا عن جبريل عليه السلام ما ووجدت أحدا أشد إنفاقا لهذا المال من رسل الله صلى الله عليه وسلم فان قيل كيف كان أجود الناس فالجواب أن الجود ما كان بغير سؤال والكرم بسؤال فالأول أبلغ وفي المنتخب أن يهوديا رأى النبي صلى الله عليه وسلم وعليه قميصان فقال يا محمد أعطني قميصا فنزع له أجودهما فقال عمر رضي الله عنه يا رسول الله هلا أعطيته الأردأ فقال أن ديننا الحنيفة السمحة لا شح فيها كسوته أفضل القميصين ليكون أرغب له في الإسلام ... موعظتان.. الأولى: رأى النبي صلى الله عليه وسلم رجلا يطوف بالكعبة وهو يقول اللهم بحرمة هذا البيت إلا غفرت لي ذنبي فقال ويحك ذنبك أعظم أم الأرضون قال بل ذنبي اعظم قال ذنبك أعظم أم السموات قال بل ذنبي أعظم قال ذنبك أعظم أم العرش قال بل ذنبي أعظم قال ذنبك أعظم أم الله قال بل الله أعظم قال صف لي ذنبك قال يا رسول الله إني صاحب مال كثير وإذا جاءني سائل فكأنما يأتني بشعلة نار قال إليك عني لا تحرقني بنارك أما علمت أن البخل كفر وأن الكفر في النار وعن النبي صلى الله عليه وسلم لما خلق الله الإيمان قال يا رب قوني فقواه بحسن الخلق ثم خلق الكفر فقال يا رب قوني فقواه بالبخل.. الثانية: قالت عائشة رضي الله عنها جاءت امرأة إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقد

---

(١) نزهة المجالس ومنتخب النفائس الصفوري ٣/١

يبست يداها قالت يا رسول الله ادع الله أن يصلح لي يدي فسألها عن ذلك فقالت رأيت في المنتم كأن أمي في واد من جهنم ومعها خرقة صغيرة وشحمة قلية." (١)

"الظاهر فليس فوقك شيء وأنت الباطن فليس دونك شيء اقض عنا الدين أغننا من الفقر.. الثالثة: قالت فاطمة رضي الله عنها رغب النبي في الجهاد وذكر فضله فسألته الجهاد فقال ألا أدلك على شيء يسير وأجره كثير ما من مؤمن ولا مؤمنة يسجد عقب الوتر سجدتين ويقول في سجوده سبوح قدوس رب الملائكة والروح خمس مرات لا يرفع رأسه حتى يغفر الله له ذنوبه كلها وإن مات في ليلته مات شهيدا وزاد في التتار خانية لما ذكر هذا الحديث في باب صلاة الوتر وأعطاه الله مائة حجة ومائة عمرة ويبعث الله له ألف ملك يكتبون الحسنات وكأنما أعتق مائة رقبة واستجاب الله دعاءه ويقرأ بين السجدتين آية الكرسي والله تعالى أعلم.

باب مناقب الحسن والحسين رضي الله عنهما

قال بعض المفسرين في قوله تعالى مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان أي بحر النبوة من فاطمة وبحر **الفتوة** من علي رضي الله عنه بينهما حاجز من التقوى فلا تبغي فاطمة على علي ولا يبغي علي على فاطمة يخرج منهما مرج البحرين أي بحر السماء وبحر الأرض فإذا وقع ماء بحر السماء على الأرض صارا لؤلؤا وكان الحسن أول أولاد فاطمة الخمسة الحسن والحسين والمحسن كان سقطا وزينب الكبرى وزينب الصغرى المكناة بأم كلثوم ولدت في حياة النبي صلى الله عليه وسلم قال البرماوي في شرح البخاري وخطبها عمر من علي رضي الله عنهما فقال أبعثها إليك فإن رضيتها فقد زوجتكها فبعثها أبوها ببرد وقال لها قولي لعمر هذا البرد الذي قال لك أبي عنه فلما قالت ذلك قال عمر قولي له رضيت رضي الله عنك وعنه ثم وضع يده على ساقها قالت تفعل هذا لولا أنك أمير المؤمنين لكسرت أنفك ثم رجعت إلى أبيها وقالت بعثتني إلى شيخ سوء فقال يا بنية أنه زوجك قال المحب الطبري ولد الحسن في النصف الثاني من رمضان في ثلاث من الهجرة قال علي رضي الله عنه لما حضرت ولادة فاطمة قال النبي صلى الله عليه وسلم لأسماء بنت عميس وأم سلمة رضي الله عنهما أحضراها فإذا وقع ولدها واستهل صارخا فأذنا في أذنه اليمنى وأقيما في أذنه اليسرى فإنه لا يفعل ذلك بمثله إلا عصم من الشيطان فلما كان اليوم السابع سماه النبي صلى الله عليه وسلم حسنا وقال النسفي لما ولدت فاطمة الحسن قال النبي صلى الله عليه وسلم لعلي سمه فقال ما يسميه إلا جده فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما كنت لأسبق بتسمية ربي فجاء جبريل وقال يا محمد إن الله يهنئك بهذا المولود ويقول لك سمه باسم ابن هارون سبر ومعناه حسن ولما ولدت الحسين قال يا محمد إن الله يهنئك بذا المولود ويقول لك سمه باسم ابن هارون سبير ومعناه حسين ... موعظة: قال وهب كان يسرج في بيت المقدس كل ليلة ألف قنديل وكان يخرج من طور سيناء زيت مثل عنق البعير حتى يقع في القناديل من غير أن يمسه أحد

---

(١) نزهة المجالس ومنتخب النفائس الصفوري ٢٠٥/١

وكانت تنزل نار بيضاء من السماء فتسرج القناديل بيد سبر وسبير أولاد هارون وكانا قد أمرا أن لا يشعلا بنار الدنيا فاستعجلا ليلة فاسرجا بنار الدنيا فأحرقتها النار فبلغ موسى ذلك." (١)

"ذلك، وتولع بالتجارة وسافر فيها بنزر يسير جدا بعد استئذان أبويه إلى الاسكندرية غير مرة فنتج ولا زال يترقى حتى تمول جدا وعد في ذوي الوجاهات سيما مع تموله وبهائه ونورانيته ومديد قامته وذكره بعلي الهمة **والفتوة** وسرعة الحركة، وحج أوائل اشتغاله بالتجارة سنة أربعين وكانت الوقفة الجمعة ثم تكرر حجه بل سافر إلى بلاد اليمن ودمشق فما دونها ووصل الجون وزار بيت المقدس وغيرها وخالط الأكابر سيما عظيم الدولة الجمالي ناظر الخاص وبعده أخذ في الانحباط إلى أن صار كآحاد الناس مقيما بالبرقوقية وذكر لي أن همته للجماع انقطعت من مدة متطاولة وأنه عرض على ابن الهمام حين رجوعه مع جانبك الجداوي من مكة جميع ما يحتاج إليه في رجوعه بحيث لا يحتاج إلى المشار إليه رام بذلك التقرب لخاطره فقال له يا أحمد إن تسكت وإلا أعلمته بهذا فكف. مات في المحرم سنة سبع وتسعين

رحمه الله وعوضه الجنة.

٢٦٦ – أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن محمد بن محمد بن عطاء الله الشهاب بن الجمال بن الناصر بن التنسي ابن عم الذي قبله والآتي أبوه / وأنه غرق في سنة أربع عشرة.

٢٦٧ – أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن محمد الشهاب بن الشمس المصري الأصل المدني الشافعي الرئيس هو وجد أبيه فمن يليه بالمدينة الشريفة ويعرف بابن الريس وبابن الخطيب. / ولد في رابع شوال سنة أربع وستين وثمانمائة بالمدينة ونشأ بها فحفظ المنهاج والعمدة وسمع بها واشتغل وأخذ عني بها الكثير ثم قدم القاهرة في سنة خمس وتسعين فاشتغل عند مدرسي الوقت ودخل الشام وغيرها ولا بأس به.

٢٦٨ – أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن يوسف أبو الفضل بن الشمس بن الشهاب العقبي الصحراوي الآتي جده وأبوه، / اعتنى به عم أبيه الزين رضوان فأسمعه على الشرف بن الكويك والولي العراقي والجمال الحنبلي والشمس الشامي والنور الفوي وطائفة واستجاز له خلقا، وما علمته حدث ولكنه أجاز في استدعاء ابني.

٢٦٩ – أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد أبو العباس اليماني الأشعري شيخ القراءات في عصره باليمن مطلقا. / ولد سنة تسع وخمسين وسبعمائة ثم مال إلى أنه سبع بتقديم السين، ممن انتفع به العفيف الناشري في القراءات وأرخ وفاته في ليلة الجمعة ثاني عشر شعبان سنة إحدى وأربعين وصلى عليه بمسجد الأشاعر بعد صبح يوم الجمعة ودفن عند شيخه المقرئ أبي بكر بن علي بن نافع.

٢٧٠ – أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد الشهاب المدني الأصل الدمياطي / وانتقل." (٢)

"والعفة وحب الخمول والتقشف في مسكنه)

وملبسه ومأكله والانعزال عن بني الدنيا والشهامة عليهم وعدم مداهنتهم والتواضع مع الفقراء **والفتوة** والاطعام وكرم النفس

---

(١) نزهة المجالس ومنتخب النفائس الصفوري ١٧٧/٢

(٢) الضوء اللامع لأهل القرن التاسع السخاوي، شمس الدين ٩٠/٢

والرياضة الزائدة والصبر على الاشتغال واحتمال جفاء الطلبة والتصدي لهم طول النهار والتقنع بزراعات يزرعها في الأرياف ومقاساة أمر المزارعين واتعابهم والاكثار من تأمل معاني كتاب الله عز وجل وتدبره مع كونه لم يستظهر جميعه ويعتذر عن ذلك بكونه لا يحب قراءته بدون تأمل وتدبر والمحاسن الجمة بحيث سمعت عن بعض علماء العصر أنه قال لم نعلم قدم مصر في هذه الأزمان مثله ولقد تحملت هي وأهلها به وبلغني أنه كان ربما جاءه الصغير لتصحيح لوحه ونحوه من الفقراء المبتدئين لقراءة درسه وعنده من يقرأ من الرؤساء فيأمرهم بقطع قراءتهم حتى ينتهي تصحيح ذاك الصغير أو قراءة ذاك الفقير لدرسه ويقول أرجو بذلك القربة وترغيبهم وأن اندرج في الربانيين ولا يعكس، ولم يحصل له انصاف من رؤساء الزمان في أمر الدنيا ولا أعطى وظيفة مناسبة لعلي مقامه وكان فصيح اللسان مفوها طلق العبارة قوي الحافظة سريع النظم جدا ولذلك فيه مالا يناسب مقامه خصوصا وهو لم يعطه كليته مع إكثاره منه لا يهاب كبير أحد وله مع القاضي علم الدين سوى ما تقدم مفاوضات منها ان القاضي تناقضت فتياه في واقعة واحدة وكان العز قد كتب عليها واتفق اجتماعهما بالقلعة في مجلس السلطان فقال العز لقاضي مذهبه يا مولانا قاضي القضاة ما الحكم عندنا في المفتي الماجين فأجابه بقوله يحجر عليه في فتياه فكانت هذه قاصمة وامتدح شيخنا بما أثبته في الجواهر وأثابه في وقت بعدد أبياته ذهبا وكذا امتدح غيره من الأعيان حتى أن امتدح الظاهر جقمق بقصيدة عرض فيها بتهدم منزله فأرسل له بأربعمائة دينار، ومن جملة أبياتها:

(والسقف خر ترابا من ركاكته ... والجدر مال أعاليها إلى الطرق)

وأجاب ابن العليف الشاعر عن لغز وقرضه له شيخنا، وخمس القصيدة المنسوبة لامامنا الشافعي التي أولها:

(خبت نار نفسي باشتعال مفارقي ... وأظلم عيشي إذ أضاء شبابها)

وكذا خمس قول الشيخ عبد القادر الكيلاني ما في المناهل منهل يستعذب كما أثبت ذلك في ترجمته من معجمي بل بلغني أنه شرع في جمعه في ديوان على حروف المعجم وكتب منه قطعة، إلى غير ذلك من التآليف والتعاليق التي كان يمليها على الطلبة ومن ذلك على)

ايساغوجي والشمسية والالفية والتوضيح." (١)

"وسماه تذكرة الناسي بأولاد أبي عبد الله الفاسي والنويريون وسماه بأولاد أحمد النويري يعني به أحمد بن عبد الرحمن بن القسم بن عبد الرحمن والقسطلانيون وسمي غاية الأماني في تراجم أولاد القسطلاني إلى غير ذلك مما أكثره في المسودات ووقفت على أكثره كالمعجم لمن كتب عنه من الشعراء ورتب أسماء تراجم الحلية والمدارك وتاريخ الأطباء وطبقات الحنابلة لابن رجب والحفاظ للذهبي والذيول عليه على حروف المعجم حيث يعين محل ذاك الاسم من الأجزاء والطبقة ليسهل كشفه ومراجعته وهو من أهم شيء عمله وأفيده، كل ذلك مع صدق اللهجة ومزيد النصح وعظيم المروءة وعلى الهمة وطرح التكلف والعفة والشهامة والأعراض عن بني الدنيا وعدم مزاحمة الرؤساء ونحوهم وكونه في التواضع **والفتوة** وبذل نفسه وفوائده وكتبه وإكرامه للغرباء والوافدين بالمحل الأعلى، ومحاسنه جمة ولم يعدم مع كثرتها من يؤذيه حتى من أفنى عمره في صحبته وعادى جمعا بمزيد محبته ولكنه اعتذر واستغفر وعد ذلك من التقصير الذي لا ينفصل عنه الكثير من صغير وكبير

---

(١) الضوء اللامع لأهل القرن التاسع السخاوي، شمس الدين ٢٠٢/٤

ولو أعرض عن الطائفتين بالكلية وجمع نفسه على التصنيف والإفادة والتحديث لاستفاد وأفاد ولكنه كثير الهضم لنفسه، وقد عرض عليه شيخنا في سنة خمسين الإقامة عنده ليرشده لبعض التصانيف فما وافق وكان رحمه الله كثير الميل إليه والإقبال عليه وأثنى عليه كما نقلته في الجواهر ومما كتبه إليه: وقد كثر شوقنا إلى مجالستكم وتشوقنا إلى متجدداتكم ويسرنا ما يبلغنا من إقبالكم على هذا الفن الذي باد جماله وحاد عن السنن المعتبر أعماله:

(وقد كنا نعدهم قليلا ... فقد صاروا أقل من القليل)

فلله الأمر، إلى أن قال: ويعرفني الولد بأحوال اليمن ومكة ووفيات من انتقل بالوفاة من نبهاء البلدين وتقييد ذلك حسب الطاقة ولا سيما منذ قطع الحافظ تقي الدين تقييداته وإن تيسر للولد الحضور في هذه السنة إلى القاهرة فليصحب معه جميع ما تجدد له من تخريج أو تجميع ليستفاد انتهى. ولما قدم رأيته استعار منه أسماء شيوخه ورأيته ينتقي منها بل ونقل عنه في ترجمة رتن من كتاب الإصابة فقال:)

وجدت بخط عمر بن محمد الهاشمي وذكر شيئا وكفى بهذا مدحه لكل منهما ووصفه بقوله مرة من أهل البيت النبوي نسبا وعلما وأنه جد واجتهد في تحصيل الأنواع الحديثية النبوية وأخرى بأنه محدث كبير شريف من أهل البيت النبوي وأخرى أنه من أهل العلم بالحديث ورجاله ومن أهل البيت النبوي إلى غيرها مما بينته في الجواهر والدرر ولو علم منه تلفته للأوصاف والثناء لما تخلف عن وصفه." (١)

"فقال له: قد فات الأمر، فلم يلبث أن عزل في أوائل التي تليها بل ما تمت السنة حتى مات الشيخ في آخر يوم الأربعاء سابع عشري رمضان سنة سبع وعشرين ودفن من الغد بالمعلاة وازدحموا على نعشه وكان منور الوجه حسن الأخلاق والمعاشرة مقصودا بالزيارة والفتوح من الأماكن البعيدة، وتاب على يده من الجبال وتهامة وغيرها من اليمن فوق مائة ألف وابتنى دارا بمكة على المروة قبل موته بسنين وبه كانت وفاته رحمه الله وإيانا، ذكره الفاسي في مكة والتقي بن فهد في معجمه.
عمر بن محمد بن مسعود الغزي بن المغربي والد المحمد بن قاضي الحنفية وأخيه. كان مالكي المذهب خيرا. مات بعد الأربعين.

عمر بن محمد بن معيبد السراج أبو حفص الأشعري نسبا واعتقادا الزبيدي بلدا ومولدا اليماني الشافعي ويعرف بالفتي من **الفتوة** وهو لقب أبيه، ولد في سنة إحدى وثمانمائة بزبيد ونشأ بها فحفظ القرآن وكتبا وأول اشتغاله على بلديه الفقيه محمد بن صالح وكان كثير الدعاء له وهو ممن عرف بإجابة الدعوة بحيث ظهرت فيه بركته وثمرة دعائه ثم قرأ على الكمال موسى بن محمد الضجاعي المنهاج وسمع عليه أشياء من كتب الفقه إلى أن تميز ثم انتقل في سنة ست وعشرين إلى الشرف بن المقري ببلد ابن عجيل اليماني فقرأ عليه الإرشاد وشرحه بل وسمعهما أيضا ونظم ذلك كما سيأتي مع جواب الشيخ له ولازمه أتم ملازمة دهرا طويلا إلى أن خرج في حياته إلى بلاد أصحاب شرقي زبيد على نحو يوم منها فمكث ببعض قراها وقرأ)

عليه بعض أهل تلك الجهة مدة ثم انتقل إلى قرية من قراها أيضا وتعرف بالمشراح فتزوج امرأة من فقهائها وقطنها عاكفا

---

(١) الضوء اللامع لأهل القرن التاسع السخاوي، شمس الدين ١٢٩/٦

على الأشغال والتصنيف كل ذلك في حياة شيخه وقصده الطلبة من الأماكن النائية فلما استولى علي بن طاهر على اليمن وملك زبيد وقرر الفقهاء في الأوقاف قدم عليه صاحب الترجمة فأكرمه ورتب له في الوقف ما يكفيه وعياله، واستنابه الشمس يوسف المقري في تدريس النظامية ثم عينت له الهكارية استقلالا وباشر ذلك فانتفع به الطلبة وتفقه عليه من لا يحصى من بلاد شتى وكثرت تلامذته وقصد بالفتاوى من الأماكن البعيدة ثم قلده ابن طاهر أمر الأوقاف وصرفها لمستحقيها والإذن في النيابة لمن لا يحسن المباشرة وأشرك معه في تقليدها غيره ممن كان يتستر به في نسبة ما لم يكن له فيه اختيار فتغيرت لذلك قلوب الخاصة على الشيخ بعد أن كان مشكورا عند الخاص والعام ملاحظا بعين التبجيل والإعظام ونسبوه إلى الغفلة وعدم الكفاءة في ذلك، واستمر الأمر في تزايد إلى أن توفي ابن طاهر واستولى." (١)

"بما أسلفت حكايته عنه في الأشراف قايتباي، وكان شيخنا كثير المحبة فيه حافظا لعهده القديم ومرافقته السابقة له، وله معه حكاية غاية في اتصاف شيخنا **بالفتوة** أوردتها في الجواهر، ولم يزل المحب على حاله إلى أن سقط في بئر مدرسة الهكارية في يوم الخميس سادس رجب سنة اثنتين وخمسين فمات وصلى عليه ثم دفن، وكان له مشهد حسن رحمه)

الله وإيانا.

محمد ولي الدين أبو الفتح الطوخي أخو الذي قبله. حفظ العمدة وعرضها في سنة إحدى وتسعين وسبعمائة على البدر الزركشي والصدر بن المناوي والأبشيطي وابن الملقن والأبناسي والدميري وغيرهم كالبرشنسي والركراكي. واشتغل وتميز وتلا بالسبع على بعض القراء وكتب على الزين بن الصائغ. ونسخ كثيرا لشيخنا وغيره وكتب عنه الأمالي وكان سريع الكتابة خيرا. مات في سنة ثمان وثلاثين. محمد التاج أبو بكر الطوخي والد المحب محمد الآتي وأخو اللذين قبله وهو الأصغر ولكنه بكنيته أشهر.

محمد بن أحمد بن محمد بن محمد بن عمر بن غازي بن قجماس الصلاح بن الشهاب بن ناصر الدين بن صلاح الدين بن سابق الدين بن غرز الدين القاهري الشافعي السلاخوري ويعرف بالشاذلي. ولد سنة ثلاث وسبعين وسبعمائة بالقاهرة ونشأ بها فحفظ القرآن وأخذ في الفقه عن الشمس الغراقي والولي العراقي في آخرين فيه وفي غيره، وتميز وسمع على الولي والفوي، وحج وجاور وسمع هناك على الجمال ابن ظهيرة والرضى أبي حامد محمد بن التقي عبد الرحمن المطري والزين محمد بن أحمد الطبري وابن سلامة وبالمدينة النبوية على بعضهم، وزار بيت المقدس وسمع بغزة وغيرها بل ذكر لنا أيضا أنه سمع على ابن صديق والطبقة وأن أثباته بذلك ضاعت وقد لقيته قديما فأجاز لي، وكان خيرا ثقة سلاخوريا بالاسطبلات السلطانية. مات في المحرم سنة أربع وستين رحمه الله.

محمد بن أحمد بن محمد بن محمد بن محمد بن أحمد بن علي بن محمد بن سليم ابن هبة الله بن حنا الشمس بن العز بن الشمس أو الزين بن الشرف بن الزين ابن المحيوي بن البهاء المصري الشافعي ويعرف بابن الصاحب. ولد سنة أربع وستين

---

(١) الضوء اللامع لأهل القرن التاسع السخاوي، شمس الدين ٦/١٣٢

وسبعمائة بالقاهرة واشتغل قليلا وتميز في الفقه والعربية وشارك في فنون وتقدم في ديوان الإنشاء وخدم بالتوقيع عند جماعة من الأمراء بل ناب في كتابه السر مدة أقام بالشام زمنا ثم درس بعد أبيه بالشريفية وغيرها، وكان وجيها." (١)

"البرشنسي في المنهاج وفي الألفية وسمع عليه البخاري في سعيد السعداء وعلى الشمس العراقي في الفقه والفرائض وكذا بحث الفصول لابن الهائم والنزهة مع النحو ورسالة الجمال المارداني في الميقات والخزرجية في العروض ومقدمة في المنطق على ناصر الدين لابارنباري، وأخذ النحو أيضا عن الشمس الشطنوفي وغيره والأصول عن الشمس العجيمي، ثم عاد إلى بلده فاستمر بها حتى مات والده فتحول إلى دمياط فقطنها وتردد منها إلى القاهرة غير مرة وسمع بها بقراءته وقراءة غيره على الشرف بن الكويك والجمال عبد الله الحنبلي والولي العراقي والتقي الفاسي في آخرين، وأجاز له عائشة ابنة ابن عبد الهادي وغيرها. وتصدى في دمياط للدريس فانتفع به جماعة كثيرون من أهلها والواردين إليها، وولي بها خطابة جامع الزكي وإمامته مع نظره وبه كانت إقامته ولقيته فيه بل وفي القاهرة قبل ذلك وقرأت عليه أشياء. وكان فاضلا خيرا ثقة كثير التلاوة آمرا بالمعروف ناهيا عن المنكر له جلالة ووجاهة وكلمة نافذة وسمت حسن وشيبة نيرة وإذا قرأ خشعت القلوب لقراءته مع التواضع **والفتوة** وحسن التودد وإكرام الغرباء والوافدين. مات بدمياط بعد أن حصل له نوع خبل في ثالث المحرم سنة ثمان وخمسين ولم يخلف بعده بها في مجموعة مثله رحمه الله ونفعنا به.)

(لا شيء أطيب عندي من مجاورتي ... بيت ربي وسعيي فيه مشكور)

(قد أثرت في أفعال الكرام ولل ... مجاورات كما قد قيل تأثير)

ودخل دمياط واسكندرية وتردد للمحلة وغيرها وأمعن النظر في علوم الأدب وأنعم حتى فاق أهل عصره فما رام بديع معنى إلا أطاعه فأنعم وأطال الاعتناء بالأدب فحوى فيه قصب السبق إلى أعلى الرتب، وكتب حاشية على التوضيح في مجلدة وبعض حاشية على الجار بردي وشرحا للخزرجية في العروض وكتابا يشتمل على قصائد مطولات كلها غزل والشفاء في بديع الاكتفاء)

وخلع العذار في وصف العذار وكأنه تطابق مع الصلاح الصفدي في تسميته، وصحائف الحسنات في وصف الخال وكأنه توارد أيضا مع الزين بن الخراط فيها وروضة المجالسة في بديع المجانسة ومراتع الغزلان في وصف الحسان من الغلمان وحلبة الكميت في وصت الخمر وكان اسمه أولا الحبور والسرور في وصف الخمور، وانتقد عليه الخيرون جمعه بل حصلت له محنة بسببه حيث ادعى عليه من أجله وطلب منه فغيبه واستفتى عليه العز السنباطي البليغ المفوه فتيا بديعة الترتيب قال العز عبد السلام القدسي إنها تكاد تكون مصنفا وبالغ العز عبد السلام البغدادي في جوابه في الحط عليه وامتنع شيخنا من الجواب قيل لكون المصنف أورد له فيه مقطوعا، وعقود اللآلا في الموشحات والأزجال والأصول الجامعة لحكم حرف المضارعة والمطالع الشمسية في المدائح النبوية وقد أنشد بعضها من لفظه بالحضرة النبوية حين حجته الثانية، وكان متقدما

---

(١) الضوء اللامع لأهل القرن التاسع السخاوي، شمس الدين ٨٨/٧

في اللغة والعربية وفنون الأدب مشاركا في غيرها حسن الخط جيد الضبط متقن الفوائد عمدة فيما يقيده أو يفيده بخطه، كتب لنفسه الكثير." (١)

"القادري الشافعي والد أبي الطاهر محمد الآتي. ولد سنة إحدة عشرة وثمانمائة بالقاهرة ومات أبوه وهو ابن سنة فتزوج بأمه العز القادري شيخ زاوية القادرية بباب الزهومة فرباه أحسن تربية وحفظ القرآن والعمدة وغالب المنهاج وعرض ثم اعتنى بسماع الحديث وسمع معنا على شيخنا وغيره بل قبلنا على الزركشي والشرابيشي والفاقوسي وصحب الشرف يونس القادري وتسلك وتهذب وحصل بعض الأجزاء والفوائد بخطه، وأجاز له باستدعاء ابن فهد المؤرخ بذي الحجة سنة سبع وثلاثين خلق واستقر في مشيخة زاوية زوج أمه المشار)

إليها، وكان خيرا نيرا كبير الهمة كثير التواضع حسن العشرة **والفتوة** مات في شعبان سنة ثمان وسبعين وصلي عليه بجامع الأزهر في مشهد حافل جدا ودفن بزاويتهم وأثنوا عليه ونعم الرجل كان رحمه الله وإيانا. محمد بن عبد الله بن عبد السلام بن محمود بن عبد السلام بن محمود بن عبادة صلاح الدين بن جمال الدين العبدوي الدمشقي الشافعي ابن عم الشمس بن محمد بن محمود بن عبد السلام الماضي. ولد فيما بين الثلاثين والأربعين وثمانمائة بدمشق ونشأ بها فأخذ عن البلاطنسي وخطاب والرضى الغزي في آخرين، وكان في خدمة ابن عمه ثم استقر في وكالة السلطان بدمشق بعد لانابلسي ثم نظر جيشها ثم ولي قضاء دمشق بعد الخيضري فدام أياما ثم صرف قبل انفصاله عن القاهرة بالشهاب بن الفرفور. وقدم القاهرة غير مرة منها في سنة إحدى وتسعين، وصودر مرة بأخذ عشرة آلاف دينار للسلطان وألف للقاصد بذلك فوزنها وهو في الترسيم ثم بعد قليل أحسن بالتوجه لمصادرته أيضا فهرب في سنة ثلاث وتسعين مع ملاءته وكثرة ما في حوزته على ما قيل ثم ظهر.

محمد بن عبد الله بن عبد القادر السكاكيني. في ابن عبد القادر بن عمر. محمد بن عبد الله بن عبد الكريم البناء الشهير بتشن. مات بمكة في ربيع الآخر سنة ستين، أرخه ابن فهد. محمد بن عبد الله بن عبد الله الشمس أبو عبد الله ثم الدمشقي الحنبلي الفقيه المقري.

ترجمه البرهان الحلبي فقال: إنسان حسن حنبلي أصلا وفرعا من محبي التقي بن تيمية، قدم حلب في عاشر المحرم سنة تسع وثلاثين فقرأ على سنن ابن ماجة ومشيخة الفخر، ثم عاد إلى جهة دمشق في خامس عشرية كتب الله سلامته. محمد بن عبد الله بن عبيد الله بن حسن السنباطي الأصل الصحراوي." (٢)

"بتعز وحضر عند المجد الشيرازي وأجاز له وتكرر دخوله زبيد وامتحن بها مدة ثم قدم مكة في رمضان سنة تسع وثلاثين فسمع بها من جماعة، وحج ثم دخل القاهرة فلازم شيخنا وسمع بقراءته وقراءة غيره عليه وعلى غيره من المسندين حتى قال شيخنا في إنبائه أنه أكب على السماع ليلا ونهارا وكتب بخطه كثيرا ثم بغته الموت فتوعك أياما. ومات في ليلة الجمعة تاسع عشر جمادى الآخرة سنة أربعين يعني بالبيمارستان المنصوري من القاهرة ودفن بمقابر الغرباء، وكان إماما عالما

---

(١) الضوء اللامع لأهل القرن التاسع السخاوي، شمس الدين ٧/٢٢٩

(٢) الضوء اللامع لأهل القرن التاسع السخاوي، شمس الدين ٨/٩٧

نحويا ناظما ناثرا سريع النظم خيرا حدث بشيء من نظمه رحمه الله وإيانا.

٣٦٩ - محمد بن محمد بن علي بن البارسلان الضياء السلجوقي البغدادي سبط ابن سكينة. /

أجاز له ابن أميلة وحدث سمع منه الطلبة، وذكره التقي بن فهد في معجمه ووصفه بالإمام.

٣٧٠ - محمد بن محمد بن علي بن أبي بكر بن عبد المحسن بن عنان بن منجا الزين بن الشمس الدجوي الأصل القاهري الشافعي والد المحب محمد الآتي ويعرف بالدجوي. / ولد في المحرم سنة تسع وعشرين وثمانمائة بالقاهرة ونشأ بها فحفظ القرآن والحاوي وألفية النحو وعرض على جماعة وقرأ على العيني في تصريف العزي ولازمة وعلى الشمس بن العماد في الفقه بل حضر دروس العلم البلقيني والمناوي وغيرهما وسمع على شيخنا ابن أصيل وكتب يسيرا على ابن حجاج، وتكسب بالشهادة وتميز فيها وعرف بمزيد الهمة **والفتوة** مع التقلل ومخالطة الناس وناب في القضاء في سنة أربع وستين عن البلقيني فمن بعده وخطب ببعض الأماكن، وأثكل ولدا له شابا حسنا فصبر، وحج في سنة أربع وثمانين ونظم في توجهه قصيدة نبوية أولها:

(صلاة وتسليم من الملك البر ... على المصطفى المبعوث للناس بالبر)

(منها: فقير وضيف جئت أبغي تكرما ... فجد وتفضل واغن يا ذا الغنى فقري)

وتعرض فيها لمنام رآه له بعضهم وأن النبي صلى الله عليه وسلم أرسل له ماء ليتوضأ به،)

وكان كثير الاستحضار لنوادر الشعر ومهمات الوقائع مجيدا لتأدية ذلك. مات في ليلة الأربعاء حادي عشرى رمضان سنة إحدى وتسعين بقرحة جمرة تعلل منها قليلا وصلى عليه من الغد بجامع المارداني لقربه من منزله ووصيته بذلك رفعا للكلفة ثم دفن بزاوية الشيخ أبي العباس البصير عند أولاده رحمه الله وإيانا.

٣٧١ - محمد بن محمد بن علي بن أبي بكر بن علي المحب أبو السعود بن المحب الكناني الشيوطي الشافعي الماضي أبوه ويعرف كهوبابن النقيب. / حفظ القرآن وغيره ولقيني بمكة في سنة إحدى وسبعين فأخذ عني يسيرا ثم قرأ علي بالقاهرة الشفا ولازم الجوجري في الفقه وغيره وفهم وهو ممتع بإحدى كريمتيه ذوو جاهة ببلده وربما أقرأ أو أفتى.." [١]

"ونظم ونثر وتقدم في الفنون ومات له في طاعون سنة أربع وستين ولدان كالغصنين في يوم واحد فرثاهما بقصيدة طويلة أولها:

(ليت شعري والبين مر المذاق ... أي شيء أغراكما بفراقي)

أنه مكر الله به فصار من رؤوس الاتحادية التابعين للحلاج وابن عربي وابن الفارض وحزبهم انتهى. وكذا كتب على شرح متن العقائد شرحا لطيفا بل شرح شرحه للتفتازاني شرحا طويلا وعمل مؤلفا في أدب القضاء ورسالة في التمانع وبرهان التمانع، وقد حج وجاور غير مرة منها في سنة سبعين وأقرأ الطلبة بمكة ولم ينفك هناك أيضا عن اللعب بالشطرنج بل رأيته في يوم العيد بمنى قبل أن أنزلها وهو يلعبه مما لو أخبرت به عنه لارتبت فيه. وبالجملة فهو بديع الذكاء والتصور مقتدر على

---

(١) الضوء اللامع لأهل القرن التاسع السخاوي، شمس الدين ٩/١٤٦

التعبير عن مراده مع تفخيم العبارات التي قد يقل محصولها وحسن النادرة والهيئة التي يتأنق فيها ومشيه على قاعدة المباشرين غالبا وسرعة الحركة وسلامة الصدر والمحبة في الإطعام **والفتوة** وبذل الجاه مع من يقصده وخفض الجانب لبني الدنيا والزهو على غيرهم غالبا، ومحاسنه أكثر وقد كتبت من نظمه في الفخر أبي بكر بن ظهيرة والشرف يحيي بن الجيعان ما أودعته في ترجمتيهما وكذا مما كتبته منه:

(الناس مثل الأراضي في طبائعها ... فما الذي لان منها كالذي صلبا)

(وقل في الناس من ترضى سجيته ... ما كل تربة أرض تنبت الذهبا)

وقد سبقه القائل:

(الناس كالأرض ومنهاهم ... كم يابس فيهم ومن لين)

(فجلمد تدمى به أرجل ... وإثمد يجعل في الأعين)

وكذا من نظمه:

(يا رب عونا على الخطب الذي ثقلت ... أعباؤه يا غياثي في مهماتي)

(لطفت بالعبد فيما مضى كرما ... يا رب فالطف به في الحال والآتي)

ولم يزل على حاله إلى أن تعلل بما امتنع معه من الركوب وصار ملقى في بيته بحيث تناقص حاله وتعطلت أكثر جهاته وكاد أن يمل حتى مات في ربيع الثاني سنة أربع وتسعين رحمه الله)

وعفا عنه وإيانا.

٥٤١ - محمد بن محمد بن سعيد الكمال الصغاني الأصل المكي الحنفي سبط يوسف الغزولي ويعرف بابن الضياء. / ذكره الفاسي فقال سمع بمكة من بعض شيوخنا وقرأ على الشمس بن سكر وأجاز له ابن أميلة والصلاح بن أبي عمر وغيرهما وما علمته حدث. وعني بالفقه وغيره وسكن قبل موته مدة طويلة بوادي نخلة ثم استقر منها بخيف بن عمير وكان يؤم فيه الناس ويخطب ويعقد الأنكحة،." (١)

"وهو إنسان متودد ذكي حسن الملتقى والمحاسن. مات إما في آخر سنة ست وتسعين أو أول التي تليها رحمه الله.

محمد بن محمد بن محمد بن عبد الرحمن أو حسن البدر بن الجنيد / مضى في.

٥٥٤ - محمد بن محمد بن محمد بن عبد الرحمن الشريف القرشي الحباك / حرفة. ولد سنة ثمان وعشرين وثمانمائة ببولاق وقطن القاهرة ولقيته بها فأنشدني قوله:

(قمر له طرفي وقلبي منزل ... ما باله عني يصد ويأفل)

---

(١) الضوء اللامع لأهل القرن التاسع السخاوي، شمس الدين ٩/٢٢١

(رشأ سباني حسنه ولحاظه ... شبه الأرامل يغزلون ويأكل)

وقوله حين ودعني:

(يا من يروم الرحيل عنا ... آمنك الله في ارتحالك)

(كان لك الله خير واق ... سلمك الله في المسالك)

٥٥٥ – محمد بن محمد بن محمد بن عبد الرحيم بن إبراهيم البدر أبو الفضل بن التقي أبي الخير بن الشمس الحنفي سبط الشمس محمد بن عبد الله بن حسين النويري أحد قراء السبع من الشافعية، / ولذا اشتهر هذا بالنويري. ولد في سنة خمس وثلاثين ونشأ فحفظ القرآن والقدوري وأخذ عن الأمين الأقصرائي وغيره كابن الديري ولازم البدر بن عبيد الله وصاهره على ابنة أخيه، وناب في القضاء عن الديري فمن بعده واختص بالتاج بن المقسي كثيرا وأكثر من مخالطته بل وعمل النقابة لابن الشحنة وقتا وصارت له نوبة في باب الحنفي، وحج غير مرة وجاور وولي التدريس بمدرسة الجاي تجاه أم السلطان من التبانة وسكنها والإعادة بأم السلطان إلى غير ذلك من الجهات وانجمع بعد موت عشرائه مع علي الهمة وحسن العشرة **والفتوة** وخفة الروح ثم كثرت مخالطته للبدري أبي البقاء بن الجيعان لتزويجه سرية له.

٥٥٦ – محمد بن محمد بن محمد ن عبد الرزاق بن عيسى بن عبد المنعم بن عمران بن حجاج الصدر بن الشرف بن الصدر السفطي المصري الشافعي والد الضياء محمد الآتي. / أخذ عن ابن الملقن والأبناسي وغيرهما كالشمس بن القطان قرأ عليه عدة علوم بل قرأ عليه سبع ختمات للأئمة السبعة ومؤلفه السهل في القراآت السبع وكتب جملة من تصانيف شيخه ابن الملقن وقرأها عليه ووصفه بالشيخ الإمام الفاضل الأوحد علم المفيدين. ومرة أخرى بالشيخ العالم الفاض لمفيد الطالبين كنز المحصلين، وتفقه كثيرا وكتب على مختصر التبريزي شرحا، وكان دينا خيرا ولي مشيخة الآثار النبوية بعد محمد بن المبرك وكان أولا يجلس مع الشهود." (١)

"عنه ما يقدح في ديانته وأعاد صاحب الترجمة ولزم الإقامة بها على طريقته في الإقراء إلى أن اتفقت كائنته مع زوجته ابنة الجمال بن هشام لصقت به لأجل غرضها كلاما قبيحا تنكره القلوب السليمة فأمر الظاهر جقمق بنفيه فشفع فيه وانتمى لجانبك الأشرفي الذي عمل شادالشر بخاناة في الأيام الاينالية وتقدم في ايام الظاهر حشقدم فأخذه عنده وصار يجلس للإقراء هناك بمدرسة سودون المؤيدي أحد الأمراء الآخورية بالقرب من زقاق حلب وجامع قوصون حتى مات وحصل له به ارتفاق وكان قد عين مرة لشيخة صهريج منجك ثم لم تنم لمساعدة الأمين الأقصرائي لولد المتوفى وتألم التقي لذلك كثيرا وكذا استقر في تدريس التفسير بالجمالية البيرية بعد السفطي وفي الإفادة بمدرسة الجاي ثم بأخرة في تدريس الأيوان المجاور للإمام الشافعي ونظره عقب إمام الكاملية مع تقدم غيره في الفقه عليه رغبة في ديانته وخيره وقبل إذ ذاك (القائل هو عبد البر بن الشحنة كما رأيته بخطه عند المؤلف رحمه الله)

---

(١) الضوء اللامع لأهل القرن التاسع السخاوي، شمس الدين ٢٢٧/٩

(تطاعنت الغواة بغير تقوى ... على درس الإمام الشافعي)

(فلم يشف الإمام لهم غليلا ... ولم يجنح إلى غير التقي)
وصاهر أحمد بن الأتابكي تنكب البردبكي على ابنته واستولدها ولدا ومن قبلها تزوج سبطة الزيني عبد القادر البلبيسي كاتب العليق واستولدها ذكرا وأنثى كل ذلك وهو ناصب نفسه لإلقاء الفنون حتى أخذ الناس عنه طبقة بعد طبقة بل أخذ عنه طبقة ثالثة وهو لا يمل ولا يفتر وكثرت تلامذته من كل مذهب وصار شيخ العصر بدون مدافع واشتهر بجودة التعليم ومزيد النصح والذكاء لكن بدون طلاقة وممن أخذ عنه أخي بل وحضر عنده في إجلاس عمله وقرض لي بعض التصانيف فبالغ وكان أحد القائمين على البقاعي في كائنة ابن الفارض وكتب على فتيا بمنعه من النقل من التوراة والإنجيل هذا مع أنه قرض له على كتابة الملجئ للاستفتاء عليه بذلك قصدا للدفع عن عنقه كل هذا مع الديانة والأمانة والتواضع والتهجد والانجماع عن أكثر بني الدنيا وسلامة الصدر **والفتوة** والرغبة في زيارة مشاهد الصالحين وملازمة قبر الليث في كل جمعة غالبا وقد حج بأخرة أيضا ورجع وهو متوعك بحيث أشرف إذ ذاك على الوفاة ثم عوفي وأقام مدة إلى أن مات في يوم الأحد ثامن ربيع الأول سنة إحدى وثمانين وصلى عليه في يومه بسبيل المؤمني ودفن بتربة جاره الأمير جكم قرا بالقرب من ضريح الشافعي وتأسف المسلمون على فقده رحمه الله وإيانا." (١)

"البدر النسابة شريكا لفتح الدين بن البلقيني وفي تدريس المدرسة المجاورة للشافعي ونظرها وخطابة جامع عمرو وإمامته عقب والده وتصدى حينئذ للتدريس والافتاء وبنى على كتابة والده في شرح مختصر المزني وحمدت كتابته ودروسه وفتاواه حتى سمعت بعض الفضلاء من طلبة والده يرجح حسن تصوره على تصور أبيه وقال لي صهره البرهان بن أبي شريف ما رأيت أحسن إدراكا للفقه منه كل ذلك مع حسن الشكالة ووفور العقل والتواضع مع الشهامة وقلة الكلام والحشمة والتجمل **والفتوة** والكرم وقد أعرض عن راتبه في اللحم بديوان الوزر قبل موته تعففا وكان كأبيه كثير الاجلال لي وراسلني وأنا بمكة يعلمني بوفاة أبيه ويستميلني إليه وكنت معه على ما يحب وهو القائم بالكف عن دفن الخطيب أبي الفضل النويري بقبة الإمام الشافعي بعد أن حفر له حيث حرك كاتب السر وغيره لذلك ولم يلبث بعد أبيه أن مات على أحسن حال من تعبد وقيام وصيام في يوم الثلاثاء سادس شوال سنة ثلاث وسبعين ودفن عند والده بالقرب من ضريح الإمام الشافعي وتأسف كثيرون على فقده رحمه الله وإيانا ٥٤ ﴿زين العابدين) حفيد القاضي مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزابادي المكي مات بها في المحرم سنة خمس وثمانين (زين العابدين) بن جلال الدين هو علي بن عبد الكريم بن محمد بن محمد بن علي بن عبد الكريم
(حرف السين المهملة)
(سبط ابن أبي جمرة) هو الشمس محمد بن أحمد بن عمر القرافي (سبط الزبير) هو علي بن محمد بن موسى بن منصور المحلى المدني وابنه أحمد (سبط شيخنا) هو يوسف بن شاهين الكركي (سبط العاملي) محمد بن محمد بن أحمد بن عبد

---

(١) الضوء اللامع لأهل القرن التاسع السخاوي، شمس الدين ١١/٧٧

النور (سبط ابن اللبان) اثنان قديم وهو محمد بن أحمد بن علي بن محمد ومتأخر وهو محمد بن عبد الرحيم بن أحمد (سبط الموصلي) ناصر الدين محمد بن موسى (سبط ابن الميلق) هو ناصر الدين محمد بن محمد بن سليمان بن خالد الملقب بالوزة (سبط ابن النقاش) عبد الرحيم بن علي بن أحمد بن عثمان (سبط ابن هشام) محمد بن عبد المجيد بن علي العجيمي ٥٤٩ (سلطان كلبرجة) مات في ذي الحجة سنة خمس وستين (سنان) شيخ تربة الدوادار هو يوسف بن أحمد (سويدان) المقري هو محمد بن سعيد (السيد الجرجاني) علي بن علي بن حسين الحسيني الحنفي وقيل علي بن محمد بن علي (سيدي الصغير وسيدي الكبير) أخوان أولهما اسمه تغرى بردى ولي للمؤيد." (١)

"من دلائل النبوة، وعلامة من الملوك على عدم الغدر وصحة **الفتوة**. كم نال به خائف الأمان، وكم صرح باسمه في التسليم بعد الأذان. يحتوي على ما في أيدي الملوك، وتراه مملوكا كالصعلوك يدور على ملء جوفه ويجول، ونزيله معه في الفارغ المشغول. هذا ولم يشك مع خلو جوفه سغبا، ولا يبدي عند دورانه تعبا. لكن يحمي ويغور، قبل أن يجري ويدور. يذوب جسمه ويحترق، ثم يلتئم فلا يفترق. لم يسع جوفه مشربا ولا مأكلا، على أنه لو دخل فيه البحر ما امتلأ، حتى وقع في جمع تكسر ولم يسلم، مع أنه يصل إلى حالة النزع ولا يألم. لا يحسن السباحة، ولا يجد حظا من الراحة. لو كف البحر أصابع زيادته وبقي ولو أصبعا، لكان منه منحدر متقلعا. وربما زاد في قيمة قدره، بحدبة تطلع في ظهره. طالما ظل به صاحبه عابثا، وحلف الجاهل به في رمضان حانثا. أن صحفته كان تركيا، وأن حذفت نصفه كان طيرا بهيا. وإن بدلت أول حروفه بذل وسخا، أو عكسته دل على التآخي لا الاخا. لم يعص مولاه طرفة عين قولا ولاعملا، على أنه ربما نسب إليه التكبر والخيلا، ووقع في الإسراف على نفسه باستعمال الطلا. فأجبت بحسب الإمكان، مع تسور الغم على حصن الفكر وختم الهم على حاصل الجنان. فلينظر المخدوم حفظه الله تعالى بعين الرضا لهذا السجع فقد هذر، ولا يزيف سبك هذه الفقر. فإنها سليمة من حسن الصياغة، مستخلصة من الفصاحة والبلاغة. أدام الله تعالى علينا جود سحائب فكرته المزرى بالندا المروي عن حاتم، وجعله في حمى السيد الكامل الفاتح الخاتم. وقد آن أن ننزع ما تنازعناه من أيدينا ونطلقه، وإلا فقد صار معنا في بوتقه.." (٢)

"وقال أبو الحسن الموسوي في الدينار البرمكي: [الكامل]

إن البرامكة الذين تقدموا ... عن عصرنا نهبوا بيوت المال

ضربوا على شكل الرحى دينارهم ... ليدور ذكرهم على الأحوال

وقال البدر يوسف بن لؤلؤ الذهبي وقد جهز إليه دراهم عليها أسود: [المتقارب]

رددت الحوادث عني وقد ... دهتني كتائبها والجنود

وأنجدتني بالجياد التي ... بعثت بها وعليها الأسود

ألف الوزير جمال الدين علي بن يوسف القفطي كتاب نهزة الخاطر ونزهة الناظر في أحاسن ما نقل من ظهور الكتب.

---

(١) الضوء اللامع لأهل القرن التاسع السخاوي، شمس الدين ١٧٤/١١

(٢) نظم العقيان في أعيان الأعيان السيوطي ص/٧٣

قال عمارة بن حمزة الكاتب من ولد عكرمة مولى ابن عباس: [السريع]

لا تشكون دهرا صححت به ... إن الغنى في صحة الجسم

هبك الإمام أكنت منتفعا ... بغضارة الدنيا مع السقم

قال أبو الفتح نصر بن سيار الأزدي [١] : [الكامل]

وبدا لنا بدر الدجى والليل قد ... شمل الأنام بفاضل الجلباب

غطى الكسوف عليه إلا لمعة ... فكأنه حسناء تحت نقاب

قال بعضهم: [البسيط]

إن كان في العي آفات مقدرة ... ففي البلاغة آفات تساويها

بعضهم: [الوافر]

ويا عجبا لمن ربيت طفلا ... ألقمه بأطراف البنان

أعلمه الرماية كل يوم ... فلما اشتد ساعده رماني

أعلمه الفتوة كل يوم ... فلما طر شاربه جفاني

وكم علمته نظم القوافي ... فلما قال قافية هجاني [٢]

قال الأبيوردي يرثي الغزالي [٣] : [البسيط]

---

[١] نصر بن سيار الأزدي: القاضي أبو الفتح، يقول عنه صاحب الدمية: له شعر بحوافز الإجادة سيار، وبقوادم الإصابة طيار، وولي القضاء والزعامة. (دمية القصر ٢/٨٥١) .

[٢] البيتان الثاني والرابع لمعن بن أوس المزني في ديوانه ص ٧٢.

[٣] الغزالي: محمد بن محمد بن محمد أبو حامد، فيلسوف متصوف له نحو مائتي مصنف منها: إحياء علوم الدين، وتهافت الفلاسفة، ومقاصد الفلاسفة، وفضائح الباطنية، وغيرها، أصله من خراسان، ورحل إلى نيسابور ثم إلى بغداد، فالحجاز فبلاد الشام فمصر، وعاد إلى بلدته، توفي سنة ٥٠٥ هـ. (طبقات الشافعية ٤/١٠١، وفيات الأعيان ١/٤٦٣، الوافي بالوفيات ١/٢٧٧، اللباب ٢/١٧٠) .." (١)

"الصدق، لأن الكذب يسود وجه المروءة، والثاني: الحياء: لأن القحة تدنس الفتوة، والثالث: تجنب الكبر، فان الكبر يفسد الشرف والأبوة، والرابع: الوفاء، وذلك من أخلاق النبوة./

وأخرج عن بكر الخليلي، قال: أنشدني أبو جعفر الخواص بعبادان بعد زوال المحنة: [الرمل]

ذهبت دولة أصحاب البدع ... ووهى حبلهم ثم انقطع

وتداعى بانصراف جمعهم ... حزب إبليس الذي كان جمع

---

(١) المحاضرات والمحاورات السيوطي ص/٢٤٢

هل لهم يا قوم في بدعتهم ... من فقيه وإمام يتبع [١]

مثل سفيان أخي ثور الذي ... علم الناس دقيقات الورع [٢]

أو سليمان أخي التيم الذي ... ترك النوم لهول المطلع

أو فقيه الحرمين مالك ... ذلك البحر الغزير المنتجع [٣]

أو فتى الإسلام أعني أحمدا ... ذاك لو قارعه القرا قرع [٤]

لم يخف سوطهم إذ خوفوا ... لا ولا سيفهم حين لمع

وأخرج عن الحسين بن الفضل البجلي البغدادي، قال: العجلة من الشيطان، إلا في خمسة أشياء، إطعام الضيف، والتوبة من الذنوب، وتزويج البكر، وتجهيز الميت، وقضاء الدين.

وأخرج من طريق هشام ابن الكلبي، عن أبيه،/ قال: قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «قيمة كل رجل ما يحسن» .

وأخرج عن عبد الله بن بريدة قال: شتم رجل ابن عباس، فقال ابن عباس: «تشتمني وفي ثلاث خصال، والله إني لأسمع بالغيث بالبلدة فأفرح به وما لي بها ثاغية ولا راغية [٥] ، وإني لأسمع بالحكم العدل بالبلدة فأفرح به، ولعلي لا أقاضي به أبدا، وإني لأمر بالآية من كتاب الله عز وجل، فأتمنى أن كل من في الأرض يعلم منها مثل ما أعلم» .

---

[١] في ش: هل يرى يا قوم.

[٢] في ب: علم الإنسان. في ع: جاء عجز البيت مكان عجز البيت الذي يليه.

[٣] في ب: ذا البحر.

[٤] والقرا: الظهر أو وسطه، يشير هنا إلى محنة احمد بن حنبل في القول بخلق القرآن وما ضرب على ذلك وعذب، وصبر حتى انجلت المحنة. راجع كتاب المحن لأبي العرب التميمي ص ٤٣٨- ٤٤٤.

[٥] الثاغية: الشاة، والراغية: الناقة.." (١)

"القلب السليم، لوجدته كما قالت حليلة وجهه الفهيم: «زوجي المس مس أرنب، والريح ريح زرنب» [١] .

التاسعة: نفس ذاكرة، بلسان شهود المسمى في معرفة أسمائه الشريفة، ولم تترك مكنة التجلي تنادي صاحبها في كل لطيفة، واذكر ربك في نفسك تضرعا وخيفة

[٢] ، فهي من بيوت، أذن الله أن ترفع عن ملابسة الحوادث، ويذكر فيها اسمه، من غير ثان ولا ثالث، ونفس حررت ميزان خوفها ورجاها، وجاوزت الأطراف، ففازت من الوسيطة بمنتهاها، شهدت معناها فرامت بلوغ مناها، وعلمت أن لا حول ولا قوة إلا بمولاها، فخرجت عن تحيل حولها وقواها، وخشعت حوادث نواهيها، فوعت كلام مناجيها، وحميت من هواها، كما حفظت من مهاويها، فنشقت أنفاس الرحمة من جميع نواحيها، وصاحب هذه هو الذاكر على الحقيقة والعيان، المحفوظ من الغفلة والنسيان، الموهوب أفضل ما يعطى السائلون من الأماني والأمان، ظاهره بالجلال في الشرع مضبوط،

---

(١) المحاضرات والمحاورات السيوطي ص/٣٦٥

وباطنه بالجمال في الجمع مبسوط، ثبت أصل شجرته، وطال فرع سدرته، كلما هزت فكرته بيد الرياضة جذع عبرته،/ تساقط من روض الرضا جني ثمرته، واستغرقته لذة ذوقه عن زهارة زهر حضرته، ولم يدع له استقبال قبلة القبول أربا دون محبوبه يرتضيه، ولا طلبا غيره يفرح بتقاضيه، فلا صدق توجهه التوحيدي في كل مقام بلسان الدهش والاصطلام، تبارك اسم ربك ذي الجلال والإكرام

[٣] ، فمتى سئلت حليلته عن نعته قالت بلسان حفظ كمال وقته [٤] : «زوجي رفيع عماد التوحيد والعلل، طويل نجاد الهمة المقدسة عن الملل، عظيم رماد الأحشاء المحترقة بالشوق لمن بين يديه لم يزل، قريب بيت **الفتوة** من النادي، سواء العاكف فيه والباد

» [٥] ./

العاشرة: هي نفس مملوكة بأصل الوضع، ذات المكنة في عوالم السمع، هي التي اصطنعت للنفس العلمية، وصنعت على عينها الحكمية، تولدت عن قوة التلقي والإلهام، وعلى صورة ما تجلى به عليها ذو الجلال والإكرام، فلما شبت على صورة الأصل، قيل لقوامها من خلف حجاب الوصل، لا تخف نجوت من الفصل، ولما دعيت لكشف القناع من حضرة السماع، فدس من خشاش الشواغل واديها، وخلع قدم صدقها نعل

---

[١] بلوغ الأرب ٢/٤٠، وصفته بأنه لين الجسد ناعمه، والأرنب دويبة لينة المس ناعمة الوبر جدا، والزرنب بوزن الأرنب، وهو نبت طيب الريح.

[٢] الأعراف ٢٠٥.

[٣] الرحمن ٧٨.

[٤] في بلوغ الأرب ٢/٤١: قالت التاسعة وهي كبشة: «زوجي رفيع العماد، طويل النجاد، عظيم الرماد، قريب البيت من الناد، لا يشبع ليلة يضاف، ولا ينام ليلة يخاف» .

[٥] من سورة الحج ٢٥، وتمام الآية: والمسجد الحرام الذي جعلناه للناس سواء العاكف فيه والباد.." (١)

"وبنى صنفكم ومن غاية شفقته ومرحمته لكم عزيز شاق شديد عليه صلى الله عليه وسلم عموم ما عنتم اى عنتكم وهلاككم والقاؤكم انفسكم بالتهلكة والتقاؤكم بالمكروه مطلقا واتصافكم به إذ هي من امارات الكفر وعلامات الشرك وعدم الإطاعة والانقياد بأوامر الله ونواهيه مع انه صلى الله عليه وسلم حريص عليكم اى على ايمانكم وإسلامكم وإصلاح حالكم إذ هو صلى الله عليه وسلم بالمؤمنين الموحدين المخلصين رؤف عطوف مشفق رحيم يرحمهم ويرضى عنهم بخروجهم عن ظلمة الكفر بنور الايمان وبالجملة كن أنت يا أكمل الرسل كما قد كنت عليه بمقتضى شفقة النبوة والمروءة **والفتوة** فإن تولوا واعرضوا عنك وانصرفوا عن الايمان بك وبدينك فقل في نفسك ملتجأ الى ربك مستظهرا منه سبحانه حسبي الله المراقب على الكافي لعموم مهامى يكفى بي ويكف مؤنة خصومتهم عنى إذ لا إله يرجع اليه في الوقائع ويلجأ نحوه في

---

(١) المحاضرات والمحاورات السيوطي ص/٣٨٧

الخطوب إلا هو سبحانه عليه لا على غيره إذ لا غير معه في الوجود توكلت فلا أرجو ولا أخاف الا منه سبحانه وكيف لا أتوكل عليه ولا ارجع نحوه إذ هو سبحانه بذاته وبعموم أسمائه وصفاته رب العرش العظيم اى مربى عروش ذرائر الأكوان الكائنة في برزخ الإمكان وهو المستوي عليها بالاستقلال والاحاطة والاستيلاء التام إذ لا شيء سواه. وكل شيء هالك الا وجهه له الحكم واليه ترجعون

خاتمة سورة البراءة

عليك ايها الطالب المشمر لسلوك مسلك الفناء كي تصل الى فضاء البقاء شكر الله سعيك وهديك الى غاية مبتغاك ان تقتفى في تشمرك هذا اثر من نبهك عليها وهديك إليها الا وهو النبي الذي اختاره الله لرسالته واصطفاه من بين خليقته لتكميل بريته وأظهره على صورته وخلقه بعموم أخلاقه لذلك اتخذه حبيبا وجعله على سائر الأنبياء اماما ونقيبا وتشبث بأذيال لطفه فعلا وقولا وشيما وخلقا صارفا عنان عزمك الى سرائر ما جاء صلى الله عليه وسلم به من عند ربه لإرشاد عباده وكذا ما سمح وجاد صلى الله عليه وسلم به من تلقاء نفسه من الرموز والإشارات التي قد استنبطها صلى الله عليه وسلم من كلام الله وفاض عليه بوحي الله والهامه لصفاء استعداده الفطري الذي قد صار صلى الله عليه وسلم به مرآة لتجليات الحق وشئونه وتطوراته وخليفة لله في ارضه وسمائه وكذا ما التقط واستنبط من فحاوي كلماته وإشاراته صلى الله عليه وسلم الأولياء الوارثون منه مقتفون اثره قدس الله أسرارهم وأرواحهم وكذا ما ورد عليهم وخطر في خواطرهم النقاوة وجرى على قرائحهم الوقادة على تفاوت طبقاتهم في طريق التوحيد من المواجيد والملهمات الغيبية المنتشئة من النفحات الإلهية والنفسات الرحمانية الناشئة من التجليات الجمالية والجلالية المتفرعة على الشئون والتطورات الكمالية الذاتية وبالجملة لا بدلك ان تفرغ همك عما سوى الحق مطلقا ولا يتيسر لك هذا الا بمتابعة المحققين المتحققين بمقام الكشف والشهود الواصلين الى مقام المراقبة والحضور مع الله وبالاستفادة منهم ومن ملتقطاتهم وواراداتهم حتى يمكن لك التمكن في مكمن الفناء والتقرر في مقر البقاء وحينئذ يصح لك ان تقول بلسان حالك ومقالك حسبي الله لا اله الا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم جعلنا الله من عباده المفوضين المتوكلين الذين يتخذون الله وقاية ووكيلا ويعتقدونه حسيبا وكفيلا." (١)

"وبعد ما نهى سبحانه عن التبذير صريحا والاعراض عمن صرف النعمة الى المعصية نهى سبحانه عن مطلق البخل والتبذير المذمومين تأكيدا ومبالغة

فقال ولا تجعل يدك مغلولة معقودة إلى عنقك بحيث لا يسع لك إعطاء شيء مما رزق الله لك على مستحقيه شحا وبخلا إذ هو افراط وتقتير وايضا لا تبسطها كل البسط بحيث لا ثبات ولا قرار عندك وفي يدك للأموال والأرزاق المسوقة نحوك لمصلحة الخيرات وبناء الخانات والرباطات وسائر مصالح العباد أصلا فهذا تفريط وتبذير وكلاهما مذمومان شرعا وعقلا فعليك بالاقتصاد الذي هو عبارة عن الكرم والجود والسماحة الممدوحة عند ارباب المروة **والفتوة** ألا وهو صراط الله الأعدل الأقوم فتقعد بعد اتصافك بالبخل والتقتير ملوما عند الله وعند الملائكة والناس أجمعين وان اتصفت بالإسراف والتبذير

---

(١) الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية النخجواني ٣٢٣/١

تقعد محسورا نادما متحسرا قلقا حائرا في نظم معاشك

إن ربك يبسط الرزق الصوري والمعنوي ويوسعه لمن يشاء من عباده بمقتضى علمه بحالهم وسعة استعدادهم وقابلية حوصلتهم ويقدر اى يقبض ويضيق على من يشاء منهم بمقتضى علمه بضيق صدورهم وقلة تمكنهم ووقارهم وحكمتهم واعتدالهم إذ الله العليم الحكيم المتقن في أفعاله لا يتجاوز عن مقتضى حكمته وكيف يتجاوز إنه سبحانه قد كان بعباده عليما خبيرا عن بواطنهم وضمائرهم وما يئول اليه أمورهم بصيرا بظواهر أحوالهم وتقلباتهم في شئونهم وتطوراتهم

ولا تقتلوا ايها البالغون لرتبة التكليف الإلهي أولادكم الحاصلة لكم من أصلابكم سواء كانوا بنين او بنات بلا رخصة شرعية سيما خشية إملاق اى من خوف فقر وفاقة إذ نحن من سعة جودنا ووفور رحمتنا نرزقهم وإياكم إذ لا رازق لكم ولهم سوانا وبالجملة إن قتلهم ان صدر عنكم كان خطأ كبيرا وذنبا عظيما عند الله

وعليكم ايها المؤمنون المتدرجون في مسالك التحقيق ان لا تقربوا الزنى بترتيب مقدمات تترتب عليها تلك الغفلة القبيحة فكيف الإتيان بها العياذ بالله إنه اى الزنا قد كان فاحشة مسقطة للعدالة مزيلة للمروءة مبطلة لحكمة التناسل التي هي المعرفة الإلهية إذ ولد الزنا لا يبلغ مرتبة الولاية ودرجة العرفان أصلا وساء سبيلا الزنا لقضاء الشهوة المعدة لسر الظهور والإظهار من لدن حكيم عليم

وعليكم ايضا ايها الموحدون القاصدون الى معارج التوحيد ان لا تقتلوا النفس التي حرم الله قتلها إذ هي بيت الله وتخريب بيته من أعظم الكبائر إلا بالحق اى برخصة شرعية من قصاص وحد وردة الى غير ذلك من الرخص التي قد عينها الشرع وبالجملة من قتل مظلوما بلا رخصة شرعية فقد جعلنا بمقتضى عدلنا لوليه اى لمن يلي امر المقتول بعده سلطانا سطوة وغلبة على القاتل الظالم مع معاونة الحكام له فلا يسرف اى الولي المنتقم في القتل لقصاص المقتول المظلوم بان يقتل غير القائل بدله او يقتله مع غيره وكيف لا يقتل القائل الظالم بدل المقتول المظلوم إنه قد كان اى المظلوم منصورا مرحوما عند الله وعند عموم الخلائق

وعليكم ايضا ايها المتوجهون نحو الحق بالعزيمة الصحيحة والقصد الخالص ان لا تقربوا مال اليتيم الذي لا متعهد له من الأبوين إلا بالتي اى بالطريقة التي هي أحسن الطرق بحالهم من ازدياد أموالهم وتنميتها وحفظها وتعميرها على وجه العدالة والمروة حتى يبلغ اليتيم أشده اى رشده وإذا بلغ الى سن التمييز والتصرف فلكم ايها الأوصياء المتعهدون لأموال اليتامى ردها حينئذ إليهم بعد اختبارهم وامتحان." (١)

"الأرض ليس الا زينة وزخرفة ستفنى وتفوت عن قريب بل هي زائلة حين ثقاتها فانية وقت وجودها وبقائها فاعلم يقينا إنا بشدة حولنا وقوتنا وكمال قدرتنا لجاعلون مصيرون مبدلون جميع ما عليها من الزخارف والذخائر صعيدا ترابا مرتفعة أملس جرزا خالية منقطعة عن النبات بحيث لا تنبت أصلا أعجبت واستبعدت عن كمال قوتنا وقدرتنا بجعل ما على الأرض صعيدا جرزا لذلك

أم حسبت وشككت أن أصحاب الكهف اى قصتهم وشانهم والكهف هو الغار الواسع في الجبل والرقيم هو اسم الجبل

---

(١) الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية النخجواني ٤٥١/١

الذي فيه الغار او اسم الوادي الذي فيه الكهف او اسم قريتهم او كلبهم او لوح رصاصى او حجري قد رقم فيه أسماؤهم وجعل على باب الكهف او اصحاب الرقيم هم قوم آخرون على اختلاف الأقوال والروايات وبالجملة قد كانوا من آياتنا الدالة على كمال قوتنا وقدرتنا عجبا اى آية يتعجب منها الناس ويستبعدون وقوعها مع انه لا شك في وقوعها إذ قد بلغت من التواتر حدا لا يتوهم فيها الكذب قطعا إذ أمثال هذا في جنب قدرتنا الكاملة سهل يسير ولو رفعت ايها المعتبر المتأمل الالف والعادة عن البين وطرحت تكرر المشاهدة والمؤانسة عن العين لكان ظهور كل ذرة من ذرائر العالم في التعجب والاستبعاد وكمال الغرابة والبداعة مثل هذا بل اغرب واعجب من هذا فلك ان تراجع وجدانك وتتأمل أمرك وشانك حتى تجد في نفسك عجائب وغرائب يدهش منها عقلك وينحسر حسك وفهمك وتكل ادراكاتك وآلاتك وبالجملة قد تحيرت وصرت مستغرقا في بحر الحيرة والدهشة من نفسك فكيف من غيرك. أذقنا بلطفك حلاوة مطالعة مبدعاتك ومشاهدة مخترعاتك بنظر العبرة والحضور

اذكر يا أكمل الرسل قصة اصحاب الكهف وقت إذ أوى اى التجأ ورجع الفتية الخمسة او السبعة او الثمانية من اشراف الروم ورؤسائهم حين دعاهم ملكهم دقيانوس الى الشرك وهم موحدون في أنفسهم فأبوا منه وهربوا إلى الكهف ملتجئين إلينا فقالوا مناجين مستغيثين من الله ربنا يا من ربانا بأنواع اللطف والكرم ووفقنا بشرف توحيدك وتقديسك آتنا بفضلك وجودك من لدنك لا بسبب أعمالنا ومقتضياتها رحمة تنجينا عن يد عدونا وعذابه وعن وبال ما دعانا اليه من الكفر والعصيان وهيئ لنا اسباب معاشنا حين كنا فارين من العدو ملتجئين إليك مستعيذين بكنفك وجوارك ووفق علينا من أمرنا الذي نعمل لمرضاتك ولوجهك الكريم رشدا وهداية توصلنا الى زلال توحيدك آمنين فائزين بلا خوف وخطر فاستجبنا لهم وأجبنا مناجاتهم وأعطينا حاجاتهم وبعد ما دخلوا الكهف ملتجئين بنا متضرعين إلينا

فضربنا وختمنا على آذانهم حين كانوا راقدين في الكهف حجابا غليظا يمنعهم سماع الأصوات مطلقا وأنمناهم على هذا الوجه سنين عددا بلا طعام ولا شراب وبلا شيء من اسباب المعاش وبالجملة هم احياء في صور الأموات منقطعين عن لوازم الحياة الصورية مطلقا سوى ان أنفاسهم تجئ وتذهب

ثم بعثناهم وأيقظناهم من منامهم بعث الموتى للحشر لنعلم اى نجرب ونميز أي الحزبين المختلفين بعد ما اختلفوا في مدة لبثهم أحصى اى اضبط واحفظ لما لبثوا من المدة أمدا يعنى أيهم احفظ ضبطا لمدة رقودهم في الكهف فكلا الفريقين اى اليهود والنصارى لا يعلمان مدة لبثهم حقا مطابقا للواقع

بل نحن نقص من مقام فضلنا وجودنا عليك يا أكمل الرسل نبأهم اى خبر مدة لبثهم ملتبسا بالحق الثابت الصحيح المطابق للواقع إنهم فتية اى شبان من ارباب الفتوة والمروة وفقوا من عند الله." (١)

"أحسن الذي كانوا يعملون يعنى احسن واولى وأوفر من الجزاء الذي يستحقون بأعمالهم بعد ايمانهم وأزيد منه بل بأضعافه وآلافه تفضلا منا إياهم وإحسانا عليهم وبعد ما قد حثهم سبحانه على الايمان والعمل الصالح اوصى لهم وأمرهم ببر الوالدين وبحسن المعاشرة معهما والتحنن نحوهما إذ هما من اقرب اسباب ظهورهم في نشأة الشهادة والبروز بمقتضى سنة

---

(١) الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية النخجواني ٤٧٢/١

الله سبحانه فقال

ووصينا الإنسان بعد ما كلفناهم بالإيمان والعمل الصالح من ان يأتي كل منهم ويعمل بوالديه حسنا اى معاملة ذات حسن يستحسنها العقل والشرع ويرتضيها الحق وتقتضيها **الفتوة** بحيث لا يحوم حولها شائبة من ولا أذى ولا استخفاف ولا استحقار بل يتذللون لهما ويتواضعون معهما على وجه الانكسار التام والتذلل المفرط وعليكم ايها المكلفون امتثال عموم أوامرهما ونواهيهما سوى الشرك بالله والطغيان على الله والعدوان معه سبحانه ومع أنبيائه ورسله وخلص عباده وإن جاهداك ايها المؤمن المأمور على بر الوالدين ابواك وبالغا في حقك مقدمين أشد اقدام والحا عليك ابلغ إلحاح وأتم إبرام لتشرك بي شيأ من مظاهري ومصنوعاتى سيما ما ليس لك به علم يعنى ليس علمك ويقينك متعلقا بألوهيته وربوبيته واستحقاقه للعبادة ولياقته للرجوع اليه في الخطوب والمهمات فلا تطعهما ولا تقبل منهما أمرهما المتعلق بالإضلال والإشراك ولا تمتثل بقولهما هذا بل اعرض عنهما وعن قولهما وأمرهما هذا ولا تمض على دينهما وملتهما إذ إلي مرجعكم ورجوعكم جميعا أصلا وفرعا مؤمنا وكافرا موحدا ومشركا وبعد رجوعكم الى فأنبئكم وأخبركم بما كنتم تعملون في دار الاختبار أحاسب عليكم أعمالكم واجازيكم على مقتضاها ان خيرا فخير وان شرا فشر

والذين آمنوا منكم في دار الاختبار مخلصين وعملوا الصالحات تكميلا لإيمانهم وتتميما له بما هو من لوازمه ومتمماته لندخلنهم حين رجوعهم إلينا في السعداء الصالحين المقبولين الآمنين المستبشرين الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون والذين كفروا منكم في النشأة الاولى وأصروا على الكفر والشرك والجحود والإنكار العياذ بالله ولم يرجعوا عنه سيما مع بعثة الرسل ونزول الكتب وورود الزواجر والروادع الكثيرة فيها لنعذبنهم البتة عذابا شديدا ولندخلنهم يوم يعرضون عليها في زمرة الأشقياء المردودين المغضوبين الذين لا نجاة لهم من النار ولا يرجى خلاصهم منها ابدا

ومن الناس المجبولين على التزلزل والتذبذب من يقول خوفا من عذاب الله آمنا بالله بلا تمكن له واطمئنان في قلبه فإذا أوذي في سبيل الله من اعداء قد انقلب على كفره وحيث جعل فتنة الناس وإذا هم في شدة كعذاب الله القادر المقتدر بالقدرة الكاملة والقوة الشاملة على انواع المحن والابتلاءات وبالجملة هم يسوون بين خوف الله وخوف الناس فكما يؤمنون بالله من خوف عذابه يكفرون به من خوف عذاب الناس وتقريعهم وتشنيعهم بلا تفاوت بين الخوفين والعذابين بل يرجحون خوف الناس على خوف الله لذلك يختارون الكفر على الايمان من ضعف يقينهم وعدم رسوخهم وتمكنهم على الايمان وذلك من عدم ترقيهم من حضيض الجهل والتقليد الى ذروة المعرفة والتوحيد ومن غاية تزلزلهم وتلونهم لئن جاء نصر وعون للمؤمنين الباذلين مهجهم في سبيل الله من ربك يا أكمل الرسل وصاروا غالبين على اعداء الله بنصر الله إياهم وفازوا بالفتح والغنائم وانواع الكرامات ليقولن أولئك المذبذبون المتزلزلون مبالغين في دعوى الموافقة والمواخاة إنا كنا معكم ومن عدادكم موافقين ظاهرا وباطنا وفي دين الإسلام متمكنين مطمئنين سرا وجهرا." (١)

"عنه صلى الله عليه وسلم العار سيما في أمثال هذه الأفعال الكائنة في قضاء الله المقضية في حضرة علمه المحيط ما كان اى ما لحق وما عرض على النبي المؤيد من عند الله بأنواع التأييدات المنتظر على الوحى والإلهام في ما عنده سبحانه

---

(١) الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية النخجواني ٢/٩٨

في عموم أحواله واعماله من حرج ضيق واثم وسآمة ووخامة عاقبة فيما فرض الله له صلى الله عليه وسلم وما قدر لأجله وما كتب واثبت في لوح قضائه وحضرة علمه المحيط من مطلق الحوادث الكائنة الجارية عليه على تعاقب الأزمان والأوقات أصلا ومن جملتها هذا النكاح وبالجملة ليس أمثال هذا ببدع من الله مخصوص بهذا النبي بل سنة الله الحكيم العليم المتقن في أفعاله المستمرة القديمة التي قد سنها سبحانه في الذين خلوا ومضوا من قبل من الأنبياء والرسل بان لا حرج ولا جريمة لهم أصلا فيما صدر عنهم من أمثاله وكان أمر الله المثبت في لوح قضائه وحكمه المبرم المحكوم به في حضرة علمه المحيط قدرا مقدورا حتما مقضيا مبرما محكوما به البتة وكيف لا يقضى ولا يحكم بالسنن المقدرة للأنبياء والرسل وهم

الذين يبلغون رسالات الله المحمولة عليهم من قبل الله بوحي الله والهامه الى من أرسلوا إليهم من الأمم بلا تبديل ولا تغيير ويخشونه وهم يخافون عنه سبحانه في عموم أحوالهم ولا يخشون أحدا إلا الله يعني من ديدنة الأنبياء العظام والرسل الكرام ومن خصلتهم الحميدة ان لا يخافوا من الناس ولا يستحيوا منهم لا من لوم لائم ولا من تعييره وتهديده بالقتل والضرب وغير ذلك بل ما يخافون ولا يخشون الا الله المنتقم الغيور المقتدر على انواع العذاب والعقاب وكفى بالله حسيبا ظهيرا ومعينا لهم يكفى مؤنة أعدائهم ويدفع عنهم شرورهم ويكف عنهم جميع ما قصدوا عليهم من المقت والمكر وانواع الأذى والضرر. ثم لما عير الناس رسول الله صلى الله عليه وسلم بانه قد تزوج زوجة ابنه ودعيه وهو زيد رد الله عليهم تعييرهم هذا وتشنيعهم هكذا فقال

ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ايها الأجانب من المؤمنين على الحقيقة سواء كان زيدا او غيره حتى تسرى حكم الحرمة في تزوج زوجته بعد ما قضى الوطر عنها ولكن كان صلى الله عليه وسلم رسول الله الهادي لعباده قد أرسله سبحانه إليكم ليهديكم الى طريق الرشد بمقتضى سنته المستمرة في الأمم السالفة ولكن من شأنه انه قد صار صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين وختم المرسلين إذ ببعثته صلى الله عليه وسلم قد كملت دائرة النبوة وتمت جريدة الرسالة **والفتوة** كما قال صلى الله عليه وسلم بعثت لأتمم مكارم الأخلاق وقال تعالى في شأنه صلى الله عليه وسلم اليوم أكملت لكم دينكم يعني ببعثته صلى الله عليه وسلم والسرفيه والله اعلم انه صلى الله عليه وسلم قد بعث على محض التوحيد الذاتي وسائر الأنبياء انما بعثوا على التوحيد الوصفي او الفعلى وبعد ما بعث صلى الله عليه وسلم على توحيد الذات فقد ختم به امر البعثة والرسالة وكمل قصر الدين القويم إذ ليس وراء توحيد الذات مرمى ومنتهى لذلك قد صار صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين وختم المرسلين وكان الله المطلع على جميع ما ظهر وما بطن بكل شيء وامر قد جرى في ملكه وملكوته وسيجرى عليما يعلم بعلمه المحيط الحضوري عموم ما قد لمع عليه نور وجوده حسب لطفه وجوده حكيما في بعثة الرسل لتنبيه من وفقه وجبله في سابق قضائه على فطرة التوحيد والايمان مختارا في ختم البعثة وتكميل الدين بعد ما قد وصل غاية كماله وظهوره

يا أيها الذين آمنوا بالله وعرفوه حق معرفته وتوحيده وعرفوا ايضا كمالات أسمائه وصفاته مقتضى ايمانكم وعرفانكم المداومة على ذكره سبحانه اذكروا الله الواحد الأحد الفرد." (١)

---

(١) الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية النخجواني ١٥٨/٢

"الشافعي رحمه الله تعالى قال لابنه: والله لو علمت أن الماء البارد يثلم في مروءتي ما شربت إلا حارا حتى أفارق الدنيا. قيل: الفتوة إظهار النعمة، وإخفاء المحنة. وقيل: كف الأذى وبذل الندى، وترك الشكوى. قيل لأنوشروان: ما الجود الذي يسع الناس كلهم؟ قال: إرادة الخير لجميعهم، وبسط الوجه لهم.

يحيى البرمكي: أعط من الدنيا وهي مقبلة، فإن ذلك لا ينقص شيئا منها، وأعط منها وهي مدبرة فإن منعك لا يبقي عليك منها شيئا. قال أنس رضي الله عنه: كنت عند الحسن بن علي رضي الله عنهما فدخلت عليه جارية بيدها طاقة ريحان، فحيته بها فقال لها: أنت حرة لوجه الله تعالى. فقلت له: حيتك جارية بطاقة ريحان لا قيمة لها فأعتقتها. قال: كذا أدبنا الله تعالى فقال: وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها

«١» وكان أحسن منها إعتاقها.

أمر المأمون الحسن بن عيسى كاتب وزيره عمرو بن مسعدة أن يكتب كتابا، فالتفت الحسن إلى الوزير ينتظر الإذن منه، ففهمه عنه المأمون فقال: يعطى الحسن مائة ألف لانتظاره أمر صاحبه. علي رضي الله عنه: كن سمحا ولا تكن مبذرا، وكن مقدرا ولا تكن مقترا. سقراط: أفضل السيرة طيب الكسب وتقدير الإنفاق. علي رضي الله عنه: لا تستحي من العطاء القليل فإن الحرمان أقل منه. قيل للأحنف: ما الإنسانية؟ قال: التواضع عند رفعة، والعفو عند قدرة، والعطاء بغير منة. بعض السلف: الأيدي ثلاث: يد بيضاء وهي المبتدئة بالمعروف، ويد خضراء وهي المكافئة، ويد سوداء وهي المانة. علي رضي الله عنه: السخاء ما كان ابتداء، فأما ما كان عن مسألة فحياء. قال ابن." (١)

"(نظرت إليه نظرة فرأيته ... على كل حال مرة وهو حامله) // الطويل //

وهي طويلة

يقال أقصر عن الشيء بمعنى انتهى أو عجز عنه

والشاهد فيه ما في البيت قبله أيضا فإنه أراد أن يبين أنه ترك ما كان يرتكبه من المحبة زمن الجهل والغي وأعرض عن معاودته فبطلت آلاته فشبه في نفسه الصبا بجهة من جهات المسير كالحج والتجارة قضى منها الوطر فأهملت آلاتها

ووجه الشبه الاشتغال التام به وركوب المهامه والمسالك الصعبة غير مبال بمهلكة ولا متحرز عن معركة

وهذا التشبيه المضمر في النفس استعارة بالكناية أثبت له بعض ما يختص بتلك الجهة وهي الأفراس والرواحل التي بها قوام السير والسفر فإثبات الأفراس والرواحل استعارة تخييلية والصبا على هذا من الصبوة بمعنى الميل إلى الجهل والفتوة ويحتمل أنه أراد بالأفراس والرواحل دواعي النفس وشهواتها والقوى الحاصلة لها في استيفاء اللذات أو أراد بها الأسباب التي قلما تتخذ في اتباع الغي إلا أوان الصبا وعنفوان الشباب فتكون استعارة الأفراس والرواحل تحقيقية لتحقق معناها عقلا إذا أريد بها الدواعي وحسا إذا أريد بها اتباع أسباب الغي

---

(١) روض الأخيار المنتخب من ربيع الأبرار الأماسي ص/٧٦

١١٢ – (والطاعنين مجامع الأضغان ...)

هو من الكامل ولا أعرف قائله وصدره." (١)

"ولم يغسلها قال ولما رأى الشيخ ابن الوفاء مني البهجة والسرور من هذه الجهة قال كيف يغسلها وقد وجب قطعها قال الشيخ ولي الدين المذكور ولم يفتح لي باب التصوف الا بهذه الكلمة ومن جملة مناقبه ايضا انه قيل له جاء رجل الى البلد ممن يقدر على جر الاثقال يحمل كذا وكذا قنطارا من الحجر قال الشيخ حمل ابريق الوضوء اصعب منه ولقد اصاب في الجواب لأن في حمل هذا الحجر الثقيل حظ النفس فيهون عليها وفي حمل ابريق الوضوء مخالفة النفس فيكون اصعب منه وله مناقب كثيرة لا يمكن شرحها الا في مجلدة مستقلة ثم انه سافر للحج من طريق البحر فأخذته النصارى وحبسوه في قلعة رودس واشتراه منهم الامير إبراهيم بك ابن قرامان ثم توطن بمدينة قسطنطينية وله فيها زاوية وجامع وقبره قدام الجامع وهو مشهور يزار ويتبرك به وكانت وفاته قدس سره العزيز في سنة ست وتسعين وثمانمائة وقال المؤرخ في تاريخ وفاته الى رحمة ربه ومنهم الشيخ العارف بالله عبد الله المشهور بحاجي خليفة

كان اصله من ولاية قسطموني واشتغل أولا بالعلوم الظاهرة وأكملها ثم اتصل الى خدمة الشيخ تاج الدين إبراهيم بن بخشى فقيه وحصل عنده طريقة الصوفية وانكشف له المراتب العالية حتى اجازه للارشاد واقامه مقامه بعد وفاته كان رحمه الله تعالى جامعا للعلوم والمعارف كلها وكان متواضعا متخشعا صاحب اخلاق حميدة وآثار سعيدة وكانت له يد طولى في تعبير الواقعات وكان مظهرا للخيرات والبركات وصاحب عز وكرامات وكان مرجعا للعلماء والفضلاء ومربيا للفقراء والصلحاء وآية في المروات والفتوة والكرم والسخاوة وكان بدنه الشريف جسيما وخلقه عظيما وكان له فم بسام ووجه بين الجلال والجمال قسام حكي عنه انه قال اتى الي الشيخ محمد ابن المولى الفاضل خواجه زاده وقال رأيت في المنام ان واحدا من اولاد الافرنج كان محبوسا في قلعة منذ سبع وعشرين سنة قال الشيخ فحسبت سنه فوافقت عدة سنه بعد بلوغه العدة المذكورة ومن جملة احواله الشريفة ان المولى الفاضل علاء الدين الفناري لما عزل عن قضاء." (٢)

"كبيرة وحمدت سيرته في القضاء ثم ترك القضاء وحج الى بيت الله الحرام ولم يمكث بعد ذلك الا قليلا حتى مات في حدود الاربعين وتسعمائة وكان رحمه الله تعالى مشهورا بالفضل وحسن السمت وله مشاركة في العلوم مع التحقيق والاتقان روح الله تعالى روحه ونور ضريحه

ومنهم العالم الفاضل الكامل المولى بدر الدين محمود من اولاد الشيخ جلال الدين الرومي

قرا على علماء عصره ثم صار مدرسا ببعض المدارس حتى صار مدرسا بمدرسة الوزير مصطفى باشا بمدينة قسطنطينية ثم صار مدرسا باحدى المدرستين المتجاورتين بادرنه ثم صار مدرسا باحدى المدارس الثمان ومات وهو مدرس بها كان رحمه الله تعالى عالما فاضلا سليم الطبع حليم النفس صاحب الكرم والمروأة جاريا على مجرى الفتوة مشتغلا بنفسه معرضا عن

---

(١) معاهد التنصيص على شواهد التلخيص أبو الفتح العباسي ١٧٢/٢

(٢) الشقائق النعمانيه في علماء الدوله العثمانيه طاشْكُبْري زَادَهْ ص/١٤٧

التعرض لاحوال الناس وكان مقبول الاخلاق مسعود الحال وقد اختلت عيناه في آخر عمره روح الله روحه ونور ضريحه
ومنهم العالم الفاضل الكامل المولى بدر الدين محمود بن عبيد الله

قرأ على علماء عصره منهم المولى الفاضل مصطفى التوقاتي والمولى شجاع الدين الرومي ثم وصل الى خدمة المولى الفاضل ابن المؤيد ثم صار مدرسا بمدرسة جنديك بمدينة بروسه ثم صار مدرسا بمدرسة السلطان بايزيد خان فيها ثم صار مدرسا بمدرسة الوزير علي باشا بمدينة قسطنطينية وكان من عتقائه ثم صار مدرسا باحدى المدرستين المتجاورتين بمدينة أدرنه ثم صار مدرسا بإحدى المدارس الثمان ثم صار قاضيا بمدينة حلب ثم صار قاضيا بمدينة ادرنه ومات وهو قاض بها في سنة سبع وثلاثين وتسعمائة كان رحمه الله جريء الجنان طليق اللسان متعبدا مستقيم الطريقة وكان له مشاركة في العلوم وكان متفقها صالحا وبنى مسجدا بمدينة أدرنه روح الله تعالى روحه ونور ضريحه
ومنهم العالم الفاضل الكامل المولى اسحق الاسكوبي

قرا رحمه الله تعالى على علماء عصره ثم وصل الى خدمة المولى الفاضل بالي." (١)

"أمكن من نفسه طائعا حتى ينكح ألقى الله عليه شهوة النساء وحمله شيطانا رجيما إلى يوم القيامة.
وأجمعت الأمة على أن من فعل بمملوكه فعل قوم لوط من اللوطية المجرمين الفاسقين الملعونين فعليه لعنة الله ثم عليه لعنة الله ثم عليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، وقد فشا ذلك في التجار والمترفين، فاتخذوا حسان المماليك سودا وبيضا لذلك فعليهم أشد اللعنة الدائمة الظاهرة، وأعظم الخزي والبوار والعذاب في الدنيا والآخرة ما داموا على هذه القبائح الشنيعة البشيعة الفظيعة الموجبة للفقر وهلاك الأموال وانمحاق البركات والخيانة في المعاملات والأمانات.
ولذلك تجد أكثرهم قد افتقر من سوء ما جناه وقبيح معاملته لمن أنعم عليه وأعطاه، ولم يرجع إلى بارئه وخالقه وموجده ورازقه بل بارزه بهذه المبارزة المبنية على خلع جلباب الحياء والمروءة والتخلي عن سائر صفات أهل الشهامة والفتوة والتحلي بصفات البهائم، بل بأقبح وأفظع صفة وخلة، إذ لا نجد حيوانا ذكرا ينكح مثله، فناهيك برذيلة تعففت عنها الحمير فكيف يليق فعلها بمن هو في صورة رئيس أو كبير، كلا بل هو أسفل من قذره وأشأم من خبره وأنتن من الجيف وأحق بالشرر والسرف، وأخو الخزي والمهانة وخائن عهد الله وما له عنده من الأمانة فبعدا له وسحقا وهلاكا في جهنم وحرقا.

[الكبيرة الثانية والستون بعد الثلاثمائة مساحقة النساء]
(الكبيرة الثانية والستون بعد الثلاثمائة: مساحقة النساء وهو أن تفعل المرأة بالمرأة مثل صورة ما يفعل بها الرجل) . كذا ذكره بعضهم واستدل له بقوله – صلى الله عليه وسلم –: «السحاق زنا النساء بينهن» وقوله: «ثلاثة لا يقبل الله منهم شهادة أن لا إله إلا الله: الراكب والمركوب، والراكبة والمركوبة، والإمام الجائر» .." (٢)

---

(١) الشقائق النعمانيه في علماء الدوله العثمانيه طاشْكُبْرِي زَادَهْ ص/٢٨١
(٢) الزواجر عن اقتراف الكبائر ابن حجر الهيتمي ٢/٢٣٥

"تعالى:

﴿قل﴾ يا محمد لهؤلاء الجهلة الذين يحللون ويحرمون من عند أنفسهم ﴿لا أجد في ما أوحي إلي محرما﴾ أي: طعاما محرما مما حرمتموه.

فائدة: في ما أوحي إلي في مقطوعة من ما في الرسم ﴿على طاعم﴾ أي طاعم كان من ذكر أو أنثى ﴿يطعمه﴾ أي: يتناوله أكلا أو شربا أو داء أو غير ذلك ﴿إلا أن يكون﴾ أي: ذلك الطعام ﴿ميتة﴾ وهي كل ما زالت حياته بغير ذكاة شرعية، وقرأ ابن كثير وابن عامر وحمزة تكون بالتأنيث والباقون بالتذكير ورفع ميتة ابن عامر على أن كان هي التامة، وعلى هذه القراءة يكون قوله تعالى: ﴿أو دما مسفوحا﴾ عطفا على أن مع ما في حيزه أي: إلا وجود ميتة أو دما مسفوحا أي: مصبوبا كالدم في العروق لا كالكبد والطحال ﴿أو لحم خنزير فإنه﴾ أي: الخنزير ﴿رجس﴾ أي: نجس فالضمير يعود على المضاف إليه لأن اللحم دخل في قوله ﴿ميتة﴾ وحينئذ ففي الآية دلالة على نجاسة الخنزير وهو حي فلحمه وكذا سائر أجزائه بطريق الأولى ثم إني رأيت البقاعي في تفسيره جرى على ذلك وقوله تعالى: ﴿أو فسقا أهل لغير الله به﴾ أي: ذبح على اسم غيره عطف على لحم خنزير وما بينهما اعتراض للتعليل.

تنبيه: ظاهر الآية أن المحرمات محصورة في هذه الأربعة وأنه لا يحرم شيء من سائر المطعومات والحيوانات غيرها وهي الميتة والدم المسفوح ولحم الخنزير وما ذبح على اسم غير الله تعالى، ويروى ذلك عن ابن عباس وعائشة وسعيد بن جبير رضي الله تعالى عنهم لأنه ثبت أنه لا طريق إلى معرفة المحرمات إلا بوحي وثبت أن الله تعالى نص في هذه الآية على هذه الأربعة أشياء وقال تعالى في (البقرة، ١٧٣)

﴿إنما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل به لغير الله﴾ وإنما تفيد الحصر فصارت هذه الآية المدنية مطابقة للآية المكية في الحكم ولكن الذي ذهب إليه جمهور العلماء أن التحريم لا يختص بهذه فقط بل المحرم ما كان بنص كتاب أو سنة، وقد وردت السنة بتحريم أشياء غير ذلك منها تحريم الحمر الأهلية وكل ذي ناب من السباع أو مخلب من الطيور وورد النهي عن أكل الهر وأكل ثمنه ويحرم أيضا كل ما أمر بقتله كالحدأة والغراب الأبقع أو نهي عن قتله كالهدهد والخفاش وما لا نص فيه بتحريم أو تحليل أو بما يدل على أحدهما كالأمر بالقتل والنهي عنه إن استطابته عرب ذوو يسار وطباع سليمة حال رفاهية حل وإن استخبثوه فلا يحل فإن اختلفوا في استطابته اتبع الأكثر فإن استووا فقريش لأنهم قطب العرب وفيهم الفتوة فإن اختلفت أو لم تحكم بشيء اعتبر الأشبه به من الحيوانات فإن استوى الشبهان أو لم يوجد ما يشبهه فحلال لهذه الآية وما جهل اسمه عمل بتسمية العرب له مما هو حلال أو حرام.

ولما حرم الله تعالى هذه الأشياء أباح أكلها عند الاضطرار بقوله تعالى: ﴿فمن اضطر﴾ أي: حصل له جوع خشي منه التلف ﴿غير باغ﴾ أي: على مضطر مثله ﴿ولا عاد﴾ أي: ولا متجاوز قدر الضرورة، وقرأ نافع وابن كثير وابن عامر والكسائي بضم النون في الوصل والباقون بالكسر ﴿فإن ربك غفور﴾ لا يؤاخذه بالأكل ﴿رحيم﴾ به حيث أباح له ذلك.

﴿وعلى الذين هادوا﴾ أي: اليهود واليهود علم على قوم موسى عليه الصلاة والسلام وسموا به اشتقاقا من هادوا أي: مالوا

إما عن عبادة العجل وإما عن دين موسى عليه السلام أو من هاد إذا رجع من خير إلى شر أو من شر إلى خير لكثرة انتقالهم عن مذاهبهم وقيل: لأنهم يتهودون أي:." (١)

"عادته، والعناقيد الثلاثة هي ثلاثة أيام يبقى في السجن، ثم يدعو به الملك فيرده إلى رتبته التي كان عليها هذا تأويل رؤياه ﴿وأما الآخر﴾ وهو صاحب طعام الملك ﴿فيصلب﴾ والسلال الثلاثة ثلاثة أيام، ويدعو به الملك فيصلبه ﴿فتأكل الطير من رأسه﴾ هذا تأويل رؤياه، قال ابن مسعود: فلما سمعا قول يوسف عليه السلام قالا: ما رأينا شيئا إنما كنا نلعب، فقال لهما يوسف عليه السلام ﴿قضي﴾ ، أي: تم ﴿الأمر الذي فيه تستفتيان﴾ ، أي: تطلبان الإفتاء فيه عملا **بالفتوة**، فسألتما عن تأويله وهو تعبير رؤياكما كذبتما أو صدقتما لم أقله عن جهل ولا غلط.

﴿وقال﴾ يوسف عليه السلام ﴿للذي ظن﴾ ، أي: علم وتحقق، فالظن بمعنى العلم؛ لأنه قاله عن وحي لقوله ﴿قضي الأمر﴾ ويجوز أن يكون ضمير ظن للساقي، فهو حينئذ على بابه ﴿أنه ناج منهما﴾ وهو الساقي ﴿اذكرني عند ربك﴾ ، أي: سيدك ملك مصر بما رأيت مني من معالي الأخلاق وطهارة الشيم الدالة على بعدي مما رميت به، والمراد بالرب هنا غير المراد به في قوله: ﴿أأرباب متفرقون﴾ فنجا الساقي وصلب صاحبه وفق ما قاله لهما يوسف عليه السلام، واختلف في ضمير ﴿فأنساه الشيطان ذكر ربه﴾ على قولين:

أحدهما: أنه يعود إلى الساقي، وهو قول جماعة من المفسرين، أي: فأنسى الشيطان الساقي أن يذكر يوسف عند الملك قالوا: لأن صرف وسوسة الشيطان إلى ذلك الرجل الساقي حتى أنساه ذكر يوسف أولى من صرفها إلى يوسف.

والقول الثاني وعليه أكثر المفسرين: أنه يرجع إلى يوسف عليه السلام. وقال الرازي: إنه الحق، أي: أن الشيطان أنسى يوسف ذكر ربه تعالى حتى استعان بمخلوق مثله، وتلك غفلة عرضت له عليه السلام، فإن الاستعانة بالمخلوق في رفع الظلم جائزة في الشريعة إلا أن حسنات الأبرار سيئات المقربين، فهذا وإن كان جائزا لعامة الخلق إلا أن الأولى بالصديقين أن يقطعوا نظرهم عن الأسباب بالكلية وأن لا يشتغلوا إلا بمسبب الأسباب، فلهذا صار يوسف عليه السلام مؤاخذا بهذا القول ولم يؤاخذه تعالى في تلك القصة البتة بل ذكره بأعظم وجوه المدح والثناء فعلم بذلك أنه عليه السلام كان مبرأ مما نسبه الجهال والحشوية إليه.

فإن قيل: كيف تمكن الشيطان من يوسف حتى أنساه ذكر ربه؟ أجيب: بأن ذلك إنما كان شغل خاطر، وأما النسيان الذي هو عبارة عن ترك الذكر وإزالته عن القلب بالكلية فلا يقدر عليه، واختلف في قدر البضع في قوله تعالى: ﴿فلبث في السجن بضع سنين﴾ فقال مجاهد: ما بين الثلاث إلى التسع. وقال ابن عباس: ما دون العشرة. وقال البغوي: وأكثر المفسرين أن البضع في هذه الآية سبع سنين، وكان قد لبث قبله خمس سنين، فجملته اثنتا عشرة سنة، وقال وهب: أصاب أيوب البلاء سبع سنين وترك يوسف في السجن سبع سنين. وقال مالك بن دينار: لما قال يوسف للساقي: اذكرني عند ربك، قيل له: يا يوسف اتخذت من دوني وكيلا لأطيلن حبسك، فبكى يوسف وقال: يا رب أنسى قلبي كثرة البلوى،

(١) السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير الخطيب الشربيني ٤٥٥/١

فقلت كلمة، قال الحسن: قال النبي صلى الله عليه وسلم «رحم الله يوسف لولا كلمته التي قالها ما لبث في السجن ما لبث» ثم بكى الحسن وقال: نحن إذا نزل بنا بلاء فزعنا إلى الناس، ذكره الثعلبي مرسلا وبغير سند. وقال الحسن أيضا: دخل جبريل على يوسف عليهما السلام في السجن، فلما رآه يوسف عرفه فقال له: يا أخا المنذرين ما لي أراك بين." [(١)]

"الكواكب الثابتة وأما قوله تعالى ﴿ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين﴾ (الملك: ٥)

فنقول: كل نير يحصل في الجو العالي فهو مصباح لأهل الأرض إلا أن تلك المصابيح منها باقية على وجه الدهر آمنة من التغير والفساد ومنها ما لا يكون كذلك وهي هذه الشهب التي يحدثها الله تعالى ويجعلها رجوما للشياطين إلى حيث يعلمون وبها يزول الإشكال.

وعن الثاني: بأن هذه الواقعة إنما تتفق في الندرة فلعلها لا تشتهر بسبب ندرتها بين الشياطين وأجاب أبو علي الجبائي: بأن حصول هذه الحالة ليس له موضع معين وإلا لم يذهبوا إليه وإنما يمنعون من المصير إلى موضع الملائكة ومواضعها مختلفة، فربما صاروا إلى موضع تصيبهم الشهب، وربما صاروا إلى غيره ولا صادفوا الملائكة ولا تصيبهم الشهب، فلما هلكوا في بعض الأوقات وسلموا في بعض الأوقات جاز أن يصيروا إلى مواضع يغلب على ظنونهم أنها لا تصيبهم الشهب فيها، كما يجوز فيمن سلك البحر أن يسلكه في موضع يغلب على ظنه حصول النجاة، وفي جواب أبي علي نظر: إذ ليس في السماء موضع قدم إلا وفيه ملك قائم أو راكع أو ساجد.

وعن الثالث: بأن الأقرب أن هذه الحالة كانت موجودة قبل النبي صلى الله عليه وسلم لكن بقلة، ولما جاء النبي صلى الله عليه وسلم وقعت بكثرة فصارت بسبب الكثرة معجزة.

وعن الرابع: بأن الشياطين ليسوا من نار خالصة وعلى التنزل بأنهم من النيران الخالصة إلا أنها نيران ضعيفة ونيران الشهب أقوى حالا منهم فلا جرم صار الأقوى مبطلا للأضعف، ألا ترى أن السراج الضعيف إذا وضع في النار القوية فإنه ينطفئ؟ فكذلك ههنا.

ولما كان المقصود الأعظم من القرآن إثبات الأصول الأربعة وهي الإلهيات والمعاد والنبوات وإثبات القضاء والقدر افتتح الله سبحانه هذه السورة بإثبات ما يدل على الصانع وعلى علمه وقدرته وحكمته ووحدانيته، وهو خالق السموات والأرض وما بينهما ورب المشارق والمغارب، ثم فرع عليها إثبات الحشر والنشر والقيامة وهو أن من قدر على ما هو أشق وأصعب وجب أن يقدر على ما هو دونه، وهو قوله تعالى:

﴿فاستفتهم﴾ أي: سل كفار مكة أن يفتوك بأن يبينوا لك ما تسألهم عنه من إنكارهم البعث وأصله من الفتوة وهي الكرم ﴿أهم أشد﴾ أي: أقوى وأشق وأصعب ﴿خلقا﴾ أي: من جهة إحكام الصنعة وقوتها وعظمها ﴿أم من خلقنا﴾ أي: من الملائكة والسموات والأرض وما بينهما والمشارق والكواكب والشهب الثواقب.

تنبيه: في الإتيان بمن تغليب للعقلاء وهو استفهام بمعنى التقرير أي: هذه الأشياء أشد خلقا كقوله تعالى ﴿لخلق السموات

---

(١) السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير الخطيب الشربيني ١١٠/٢

والأرض أكبر من خلق الناس﴾ (غافر: ٥٧)
وقوله تعالى ﴿أأنتم أشد خلقا أم السماء بناها﴾ (النازعات: ٢٧)
وقيل: معنى أم من خلقنا أي: من الأمم الماضية؛ لأن لفظ من يذكر لمن يعقل؛ والمعنى: أن هؤلاء الأمم ليسوا بأحكم خلقا من غيرهم من الأمم الخالية وقد أهلكناهم بذنوبهم فمن الذي يؤمن هؤلاء من العذاب ﴿إنا خلقناهم﴾ أي: أصلهم آدم بعظمتنا ﴿من طين﴾ أي: تراب رخو مهين ﴿لازب﴾ أي: شديد اختلاط بعضه ببعض فالتصق وخمر بحيث يعلق باليد وقال مجاهد والضحاك: منتن فهو مخلوق من غير أب ولا أم وقرأ حمزة والكسائي:
﴿بل عجبت﴾ بضم التاء والباقون بفتحها، أما بالضم فبإسناد التعجب إلى الله تعالى وليس هو كالتعجب." (١)

"﴿وقال نسوة﴾ أي جماعة من النساء وكن خمسا امرأة الساقي وامرأة الخباز وامرأة صاحب الدواب وامرأة صاحب السجن وامرأة الحاجب والنسوة اسم مفرد لجمع المرأة وتأنيثه غير حقيقي كتأنيث اللمة وهي اسم لجماعة النساء والثبة وهي اسم لجماعة الرجال ولذلك لم يلحق فعله تاء التأنيث
﴿في المدينة﴾ ظرف لقال أي أشعن الأمر في مصر أو صفة النسوة
﴿امرأة العزيز﴾ أي الملك يردن قطفير وإضافتهن لها إليه بذلك العنوان دون أن يصرحن باسمها أو اسمه ليست لقصد المبالغة في إشاعة الخبر بحكم أن النفوس إلى سماع أخبار ذوي الأخطار أميل كما قيل إذ ليس مرادهن تفضيح العزيز بل هي لقصد الإشباع في لومها بقولهن
﴿تراود فتاها﴾ أي تطالبه بمواقعته لها وتتمحل في ذلك وتخادعه
﴿عن نفسه﴾ وقيل تطلب منه الفاحشة وإيثارهن لصيغة المضارع للدلالة على دوام المراودة والفتى من الناس الشاب وأصله فتي لقولهم فتيان **والفتوة** شاذة وجمعه فتية وفتيان ويستعار للمملوك وهوالمراد ههنا وفي الحديث لا يقل أحدكم عبدي وأمتي وليقل فتاي وفتاتي وتعبيرهن عن يوسف عليه السلام بذلك مضافا إليها لا إلى العزيز الذي لا تستلزم الإضافة إليه الهوان بل ربما يشعر بنوع عزة لإبانة ما بينهما من التباين البين الناشيء عن المالكية والمملوكية وكل ذلك لتربية ما مر من المبالغة والإشباع في اللوم فإن من لا زوج لها من النساء أو لها زوج دنيء قد تعذر في مراودة الأخدان لا سيما إذا كان فيهم علو الجناب وأما التي لها زوج وأي زوج عزيز مصر فمراودتها لغيره لا سيما لعبدها الذي لا كفاءة بينها وبينه أصلا وتماديها في ذلك غاية الغي ونهاية الضلال
﴿قد شغفها حبا﴾ أي شق حبه شغاف قلبها وهو حجابه أو جلدة رقيقة يقال لها لسان القلب حتى وصل إلى فؤادها وقريء شعفها بالعين من." (٢)

"﴿إذ أوى﴾ ظرف لعجبا لا لحسبت أو مفعول لا ذكر أي حين التجأ ﴿الفتية﴾ أي أصحاب الكهف أوثر الإظهار على الإضمار لتحقيق ما كانوا عليه في أنفسهم من حال **الفتوة** فإنهم كانوا فتية من أشراف الروم أرادهم دقيانوس على

---

(١) السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير الخطيب الشربيني ٣٧٢/٣
(٢) تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم أبو السعود ٢٧٠/٤

الشرك فهربوا منه بدينهم ولأن صاحبية الكهف من فروع التجائهم إلى الكهف فلا يناسب اعتبارها معهم قبل بيانه ﴿إلى الكهف﴾ بجبلهم للجلوس واتخذوه مأوى ﴿فقالوا ربنا آتنا من لدنك﴾ من خزائن رحمتك الخاصة المكنونة عن عيون أهل العادات فمن ابتدائية متعلقة بآيتنا أو بمحذوف وقع حالا من مفعوله الثاني قدمت عليه لكونه نكرة ولو تأخرت لكانت صفة له أي آتنا كائنة من لدنك ﴿رحمة﴾ خاصة تستوجب المغفرة والرزق والأمن من الأعداء ﴿وهيئ لنا من أمرنا﴾ الذي نحن عليه من مهاجرة الكفار والمثابرة على طاعتك وأصل التهيئة إحداث هيئة الشي أي أصلح ورتب وأتمم لنا من أمرنا ﴿رشدا﴾ إصابة للطريق الموصل إلى المطلوب واهتداء إليه وكلا الجارين متعلق بهيء لاختلافهما في المعنى وتقديم المجرورين على المفعول الصريح لإظهار الاعتناء بهما وإبراز الرغبة في المؤخر بتقديم أحواله فإن تأخير ما حقه التقديم عما هو من أحواله المرغبة فيه كما يورث شوق السامع إلى وروده ينبيء عن كمال رغبة المتكلم فيه واعتنائه بحصوله لا محالة وكذا الكلام في تقديم قوله تعالى من لدنك على تقدير تعلقه بآتنا وتقديم لنا على من أمرنا للإيذان من أول الأمر يكون المسئول مرغوبا فيه لديهم أو اجعل أمرنا رشدا كله على أن من تجريدية مثلها في قولك رأيت منك أسدا." (١)

"الصفح عن العثرات

ومنها الصفح عن عثرات الإخوان، وترك تأنيبهم عليها. قال الفضيل بن عياض: (الفتوة الصفح عن عثرات الإخوان) ، فكما يجب على العبد الأدب مع سيده، يجب عليه معاشرة من يعينه عليه. قال بعض الحكماء: (المؤمن طبعا وسجية) ، وقال ابن الأعرابي: (تناسى مساوئ الإخوان يدم لك ودهم) .

وواجب على المؤمن أن يجانب طلاب الدنيا،." (٢)

"٤٦٦٠ - وعن أبي هريرة - رضي الله عنه -، عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: " «إذا انتهى أحدكم إلى مجلس، فليسلم، فإن بدا له أن يجلس فليجلس، ثم إذا قام، فليسلم فليست الأولى بأحق من الآخرة» ". رواه الترمذي، وأبو داود.

٤٦٦٠ - (وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: " إذا انتهى) أي: إذا جاء ووصل (أحدكم إلى مجلس، فليسلم، فإن بدا) : بالألف أي: ظهر (له أن يجلس فليجلس) ، أمر استحباب (ثم إذا قام) أي: بعد أن يجلس، والظاهر أن المراد به أنه إذا أراد أن ينصرف ولو لم يجلس (فليسلم) ، أي: ندب (فليست الأولى) أي: التسليمة الأولى (بأحق) أي: بأولى وأليق (من الآخرة) : بل كلتاهما حق وسنة مشعرة إلى حسن المعاشرة، وكرم الأخلاق، ولطف الفتوة ولطافة المروءة، فإنه إذا رجع ولم يسلم ربما يتشوش أهل المجلس من مراجعته على طريق السكوت، وبهذا يتبين أنه قد يقال، بل الآخرة أولى من الأولى ؛ لأن تركها ربما يتسامح فيه بخلاف الثانية على ما هو المشاهد في المتعارف، لا سيما إذا كان في المجلس ما لا يذاع ولا يشاع، ولذا قيل: كما أن التسليمة الأولى إخبار عن سلامتهم من شره عند الحضور، فكذلك

---

(١) تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم أبو السعود ٥/٢٠٦

(٢) آداب العشرة وذكر الصحبة والأخوة الغزي، أبو البركات ص/١٦

الثانية إخبار عن سلامتهم من شره عند الغيبة، وليست السلامة عند الحضور أولى من السلامة عند الغيبة، بل الثانية أولى، هذا وليس في الحديث ما يدل على وجوب جواب التسليمة الثانية أصلا لا نفيا ولا إثباتا، وقد قدمنا عن بعض أئمتنا التصريح بعدم وجوب جواب السلام الثاني ووجهنا توجيهه.
وقال النووي: ظاهر هذا الحديث يدل على أنه يجب على الجماعة رد السلام على الذي يسلم على الجماعة عند المفارقة. قال القاضي حسين، وأبو سعيد المتولي: جرت عادة بعض الناس بالسلام عند المفارقة وذلك دعاء يستحب جوابه ولا يجب ؛ لأن التحية إنما تكون عند اللقاء لا عند الانصراف، وأنكره الشاشي، وقال: إن السلام سنة عند الانصراف، كما هو سنة عند اللقاء، فكما يجب الرد عند اللقاء كذلك عند الانصراف. وهذا هو الصحيح اهـ. والتحقيق ما قالاه مبين بالفرق الدقيق، والله ولي التوفيق. (رواه الترمذي، وأبو داود) . وكذا أحمد وابن حبان والحاكم.." (١)
"الفصل الثالث

٤٧٨١ - «وعن عبد الحميد بن جبير بن شيبة، قال: جلست إلى سعيد بن المسيب، فحدثني أن جده حزنا قدم على النبي - صلى الله عليه وسلم - فقال: " ما اسمك؟ " قال: اسمي حزن، قال: " بل أنت سهل " قال: ما أنا بمغير اسما سمانيه أبي. قال ابن المسيب: فما زالت فينا الحزونة بعد» . رواه البخاري.

الفصل الثالث

٤٧٨١ - (عن عبد الحميد بن جبير بن شيبة) : قال المؤلف: حجبي، روى عن عمته صفية وابن المسيب، وعنه ابن جريج وابن عيينة (قال: جلست إلى سعيد بن المسيب) : - بتشديد التحتية المفتوحة وقد تكسر، وهو من أكابر التابعين، وقد سبق ذكره (فحدثني أن جده حزنا) : بفتح حاء وسكون زاي (قدم على النبي - صلى الله عليه وسلم - فقال: " ما اسمك؟ " فقال: اسمي حزن، قال: " بل أنت سهل) أي: فإن الحزن ضد السهل، وقد ورد: «إن الله تعالى يحب السهل الطليق» ، على مما رواه البيهقي وغيره، عن أبي هريرة، ومنه قوله صلى الله عليه وسلم: " «اللهم لا سهل إلا ما جعلته سهلا، وأنت تجعل الحزن سهلا إذا شئت» "، وفي القاموس: الحزن ما غلظ من الأرض، والسهل: من الأرض ضد الحزن. (قال: ما أنا بمغير اسما سمانيه أبي) : وفي رواية أبي داود؛ لأن السهل يوطأ ويمتهن أي: لا أغير اسمي؛ لأن السهل يوطأ ويهان أي: يداس بالأقدام، وفيه نوع نزغة من نزغات إبليس وقياساته من التلبيس، حيث لم يدر أن من تواضع لله رفعه الله، وأن المرء عند الامتحان يكرم أو يهان، والحاصل أنه -كما قيل: الأسماء تنزل من السماء - يوافق اسمه حزنه الجبلية مطابقا للحزن الجبلي، وما أفاده قول الحكيم الإلهي، وأبعد الطيبي في قوله: بل أنت سهل أي: هذا الاسم غير مناسب لك؛ لأنك حليم لين الجانب ينبغي أن تسمى سهلا، فإنه لو كان حليما لين الجانب لراعى أدب جانب النبوة، وعمل بمقتضى أخلاق الفتوة، ولو بدل اسمه السهل بالحزن، فكيف والأمر بالعكس، وقد أباه حتى سرى هذا الطبع في ذريته؟ (قال ابن المسيب:

---

(١) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح الملا على القاري ٧/٢٩٥٢

فما زالت فينا) أي: معشر أولاده (الحزونة) أي: صعوبة الخلق على ما ذكره السيوطي (بعد) أي: بعد إباء أبي اسم السهل من النبي - صلى الله عليه وسلم -. (رواه البخاري) .." (١)

"٤٩٥٢ - وعن سهل بن سعد - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - " «أنا وكافل اليتيم له ولغيره، في الجنة هكذا " وأشار بالسبابة والوسطى وفرج بينهما شيئا» . رواه البخاري.

٤٩٥٢ - (وعن سهل بن سعد) أي: الساعدي - رضي الله عنه - (قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أنا وكافل اليتيم) أي: الذي مات أبوه وهو صغير يستوي فيه المذكر والمؤنث أي: مربيه (له) ، أي: كائنا لذلك الكافل كولد ولده، وإن أسفل، أو ابن أخيه ونحوه (ولغيره) ، الواو بمعنى: " أو " أي أو كائنا لغيره فيكون أجنبيا منه (في الجنة) خبر أنا ومعطوفة (هكذا) إشارة إلى كمال القرب (وأشار بالسبابة) أي: المسبحة (والوسطى وفرج) بالتشديد أي: فرق (بينهما شيئا) أي: قليلا لعدم تصور الكثير، وكأنه أشار بذلك إلى علو مرتبة النبوة وإن تلاها رتبة **الفتوة** والمروة، هذا وفي النهاية: الكافل هو القائم بأمر اليتيم المربي له، وهو من الكفيل بمعنى: الضمين، والضمير في له ولغيره راجع إلى الكافل أي: أن اليتيم سواء كان للكافل من ذوي رحمه وأنسابه، أو كان أجنبيا لغيره وتكفل به. قال الطيبي قوله: (في الجنة) خبر (أنا) وهكذا نصب على المصدر من متعلق الخبر، وأشار بالسبابة والوسطى أي: أشار بهما إلى ما في ضميره عليه السلام من معنى الانضمام وهو بيان (هكذا) . اهـ.." (٢)

"٦٤٨ - (إذا رأيتم) خطاب مشافهة وقع للصحابة والمراد به غيرهم من أمته ممن سيكون في آخر الزمان بدليل جعله في خبر آخر من أشراط الساعة (الرايات السود) جمع راية وهي علم الجيش (قد جاءت من قبل خراسان) أي من جهتها. قال ابن كثير: ليست هي الرايات التي أقبل بها أبو مسلم الخراساني فأسلب بها دولة بني أمية بل رايات تأتي صحبة المهدي (فأتوها) للقتال معها والنصرة لأهلها وزاد في رواية ولو حبوا على الثلج (فإن فيها خليفة الله) محمد بن عبد الله (المهدي) الجائي قبل عيسى عليه الصلاة والسلام أو معه وقد ملئت الأرض ظلما وجورا فيملؤها قسطا وعدلا ويمكث في الخلافة خمسا أو سبعا أو تسعا ولا أصل كما قال المؤلف لقول القرطبي إن ظهوره يكون بالمغرب ولا حاجة للأصالة بإيراد ترجمته وأخباره لأن أعلام الأمة وحملة السنة المتقدمين اعتنوا بجمعها بما يتحصل منه في جملة مجلدات سيما ابن أبي شيبة وابن خزيمة وأبو داود وابن حبيب وابن دريد وجمع لا يحصون من علماء الرواية والدراسة وأفردت أخباره بتآليف عشرة أو تزيد وجاء ابن بريدة فجمع زبدها في مجلد حافل سماه العواصم عن الفتن القواصم فمن أكثر من أخباره في شرح هذا الحديث فما أراد إلا تكثير السواد لقلة الأمداد قال الحراني: والخليفة ذات قائم بما يقوم به المستخلف على حسب مرتبة ذلك الخليفة منه انتهى وكل من استخلفه الله في عمارة الأرض وسياسة الناس وتكميل نفوسهم وتنفيذ أمره فيهم فهو خليفة لكن لا لحاجة به تعالى إلى من ينوبه بل لقصور المستخلف عليه عن قبول فيضه وتنفيذ أمره (فإن قلت) ما حكمة إضافته

---

(١) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح الملا على القاري ٧/٣٠١٠

(٢) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح الملا على القاري ٧/٣١٠١

إلى الله وهلا قال الخليفة؟ قلت هو إشارة إلى أنه إنسان كامل قد تجلى عن الرذائل وتحلى بالفضائل ومحل الاجتهاد والفتوة بحيث لم يفته إلا مقام النبوة وفيه رد على الطيبي كمتبوعه في ذهابهم إلى امتناع أن يقال خليفة الله لغير آدم وداود عليهما السلام

(حم ك عن ثوبان) مولى المصطفى صلى الله عليه وسلم من حمير أو مذبح أو السراة اشتراه المصطفى صلى الله عليه وسلم وأعتقه ولم يزل يخدمه سفرا وحضرا وفيه علي بن زيد بن جذعان نقل في الميزان عن أحمد وغيره تضعيفه ثم قال الذهبي أراه حديثا منكرا وأورده ابن الجوزي في الموضوعات قال ابن حجر ولم يصب إذ ليس فيه متهم بالكذب انتهى وأما خبر ولا مهدي إلا عيسى بن مريم قال الذهبي واه والحاكم ورده متعجبا لا محتجا والنسائي منكر وبفرض صحته يحتمل أنه سقط منه لفظ زمن بعد إلا وهو مضمر -[٣٦٤]- فيه أو معناه لا مهدي كاملا معصوما." (١)

"٣٥١٠ - (ثلاثة من مكارم الأخلاق عند الله) أضافها إليه للتشريف (أن تعفو عمن ظلمك) فلا تنتقم منه عند القدرة (وتعطي من حرمك) عطاءه أو تسبب في حرمانك عطاء غيره (وتصل من قطعك) ولا تعامله بمثل فعله. (٢)قال العارف ابن عربي: الأخلاق ثلاثة أنواع خلق متعد وخلق غير متعد وخلق مشترك والمتعدي قسمان متعدي بمنفعة كالجود والفتوة ومتعد بدفع مضرة كالعفو والصفح وتحمل الأذى مع القدرة على الجزاء والتمكن منه وغير المتعدي كالورع والزهد والتوكل والمشترك كالصبر على أذى الخلق وبسط الوجه وكمال البشر

(خط عن أنس) بن مالك ورواه عنه أيضا الديلمي باللفظ المذكور." (٣)

"ربوع فضل يضاهي التبر تربتها ... ودار أنس يحاكي الدر حصباها

عدا على جيرة حلوا بساحتها ... صرف الزمان فأبلاهم وأبلاها

بدور تم غمام الموت جللها ... شموس فضل سحاب الترب غشاها

فالمجد يبكي عليها جازعا أسفا ... والدين يندبها والفضل ينعاها

يا حبذا أزمن في ظلهم سلفت ... ما كان أقصرها عمرا وأحلاها

أوقات أنس قضيناها فما ذكرت ... إلا وقطع قلب الصب ذكراها

ياسادة هجروا واستوطنوا هجرا ... واها لقلب المعنى بعدكم واها

رعيا لليلات وصل بالحمى سلفت ... سقيا لأيامنا بالخيف سقياها

لعقدكم شق جيب المجد وانصدعت ... أركانه وبكم ما كان أفواها

وحر من شامخات العلم أرفعها ... وانهد من باذخها الحلم أرساها

يا ثاويا بالمصلى من قرى هجر ... كسيت من حلل الرضوان أرضاها

---

(١) فيض القدير المناوي ٣٦٣/١

(٢) فائدة

(٣) فيض القدير المناوي ٣٢١/٣

أقمت يا بحر بالبحرين فاجتمعت ... ثلاثة كن أمثالا وأشباها

ثلاثة أنت أسداها وأغرزها ... جودا وأعذبها طمعا وأحلاها

حويت من درر الحلياء ما حويا ... لكن درك أعلاها وأغلاها

يا أخمصا وطئت هامن السهمى شرفا ... شقاك من ديم الوسمى أسماها

ويا ضريحا علا فوق السماك علا ... عليك من ثصلوات الله أزكاها

بك أنطوى من شموس الفضل آخرها ... ومن معالم دين الله أسناها

ومن شوامخ أطواد الفتوة أرساها ... وأرفعها قدرا وأنهاها

فاسحب على الفلك العلوي دبل علا ... فقد حويت من العلياء أعلاها

عليك مني سلام الله ما صدحت ... على غصون أراك الدوح ورقاها

تولى ابن البراج قضاء طرابلس عشرين سنة أو ثلاثين. وكان للشيخ أبي جعفر الطوسي أيام قرائته على السيد المرتضى كل شهر إثني عشر دينارا، ولابن البراج كل شهر ثمانية دنانير، وكان السيد المرتضى يجري على تلامذته، وكان قدس الله روحه يدرس في." (١)

"الصلاح وفيه تورية:

رب فلاح مليح ... قال يا أهل الفتوة

كفلي أضعف خصري ... فأعينوني بقوة

ولآخر فيه

يا عاشقين حاذروا ... مبتسما من ثغره

فطرفة الساحر مذ ... شككتم في أمره

يريد أن يخرجكم ... من أرضكم بسحره

عبد الله بن المعتز

ضعيفة أجفانه ... والقلب منه حجر

كأنما أجفانه ... من فعله تعتذر

الصلاح وفيه تورية

أضحى يقول عذاره ... هل فيكم لي عاذر

الورد ضاع بخده ... وأنا عليه دائر

وله كذلك

وصاحب لما أتاه الغنى ... تاه ونفس المرء طماحة

---

(١) الكشكول البهاء العاملي ٢٠٥/١

وقيل قد أبصرت منه يدا ... لشكرها قلت ولا راحة

وله في المجون كذا

كم من مليح صغير ... على المعنى تعسر

وما تيسر منه ... وصل إلى أن تعذر سمع أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه رجلا يتكلم بما لا يعنيه، فقال له: يا هذا إنما تملي على كاتبيك كتابا إلى ربك.

قال أفلاطون إذا أردت أن يطيب عيشك فارض من الناس بقولهم إنك مجنون بدل قولهم إنك عاقل.

دخل أبو حازم على عمر بن عبد العزيز فقال له عمر: عظني، فقال: اضطجع ثم اجعل الموت عند رأسك؛ ثم انظر ما تحب أن يكون فيك في تلك الساعة فخذ به الآن، وما تكره أن يكون فيك تلك الساعة فدعه الآن، فلعل الساعة قريب.

دخل صالح بن بشر الزاهد على المهدي فقال له: عظني؛ فقال له: أليس جلس هذا المجلس أبوك وعمك قبلك؟ قال: بلى قال: أكانت لهم أعمال ترجو لهم النجاة بها وأعمال يخاف عليهم الهلكة منها، قال: نعم، قال: فأنظر فما رجوت لهم فيه فآته، وما خفت عليهم فاجتنبه.

أتى عبد الله بن مسلم إلى الرشيد فهم بقتله فقال له عبد الله: أسألك بالذي أنت بين يديه أذل مني بين يديك؛ والذي هو أقدر على عقابك منك على عقابي إلا عفوت عني فعفى عنه.

قوله تعالى: " ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح " ليس دالا على أن الكواكب مركوزة في فلك القمر بل على أن فلك القمر مزين بها وهو كذلك؛ لشفافة الأفلاك وكذا قوله." (١)

"وكان والده يعظمه ويثنى عليه ويشير إليه بالمعرفة في الفقه وحج مرارا واجتمع في حجته الأخيرة بالشيخ العالم الصالح محمد بن عراق وكان من رجال الطريق المشايخ التحقيق فصحبه ولازمه وتسلك على يده وكان سخيا كثير الصدقة وفعل المعروف محبا للصالحين والفقراء حسن العقيدة فيهم كثير المواصلة لهم مواضبا على الطاعة ولم يزل على ذلك حتى استشهد في معركة الكفار لما دخل الافرنج الشحر وقتلوا الأمير مطران وغيره وأسروا ونهبوا وذلك بعد فجر يوم الجمعة عاشر شهر ربيع الثاني من السنة المذكورة ودفن عند والده رحمهما الله تعالى ونفع بهما آمين آمين

وله من التصانيف نكت على روض المقري في مجلدين لطيفين وله نكت على الارشاد في مجلدين لطيفين أيضا وله تصنيف حسن في بابه مفيد جدا وله أيضا كتاب مشكاة الأنوار وهو غاية الحسن كثير النفع وكفاه شرفا أن مؤلفه قال في وصفه في أثناء وصيته وعليك بالأوراد التي علقتها في كراريس سميتها مشكاة الأنوار عليك بها عليك بها فاني ضمنتها والله الاسم الأعظم الذي هو اكسير الأولياء ولكن لا يظهر إلا بالمداومة مع الصيانة والديانة والعفة والسلامة من الوقوع في الشبهات والشهوات عليك بحفظ ما فيها عن ظهر القلب وله وصية مختصرة ومن كلامه من كان همه المعالف فاتته المعارف وكأن يعظم السادة الأشراف ال أبا علوي جدا

وحكي عنه أنه قال طفت كثيرا من البلدان كمكة المعظمة والمدينة المشرفة واليمن والأنيس وغيرها ونظر كثيرا من الحجاج

---

(١) الكشكول البهاء العاملي ١٦/٢

ممن يفد إلى بيت الله الحرام من أطراف البلاد وسائر الآفاق وسألت غير واحد من الثقات فما ذكروا لي ولا وجدت في الاشراف مثل آل أبا علوي وطريقتهم في الاستقامة والاتباع للكتاب والسنة ومما كتب به إلى بعض السادة آل ابا علوي من جملة مكتوب ما صورته فأنتم أهل الفضل والاحسان ومعدن سر النبوة والفضائل **والفتوة** قليلكم كثير حقيركم جليل ضعيفكم قوي مسكينكم غني ولكن أكثرهم لا يعلمون أوصاف غيركم طارئة وكمالاتكم ذاتية كيف يبلغ شأو الذات فضيلة الصفات." (١)

"وفيها في ليلة الأربعاء ثامن عشرين المحرم كانت ولادة شيخنا السيد الكبير والعلم الشهير العارف بالله تعالى عفيف الدين الشيخ عبد الله العيدروس فسح الله في مدته بتريم وتاريخ ذذلك العام بجمعه ذرهم وكان جعل هذا التاريخ والده نفع الله به ثم نظمه فقال

ذرهم إشارة للك عن العبارة ... بفصح بميلادك مع البشارة ... الله قل ذرهم في الحرارة ... في ضمنها التوحيد والإشارة ...

ونشأ على قدم العفاف والتقوى وقرأ على جماعة من علماء عصره وشارك في كثير من الفنون مع عقل وجود وتواضع وحلم وحسن خلق وما أحسن قوله شيخنا الشيخ عبد المعطي بن حسن أبا كثير المكي رحمه الله تعالى فيه

هو القطب عبد الله نخبة حيدر ... ربي العلى والمجد والأصل هاشم ... تفرد بالمعروف والدين والتقى ... وليس له في عصره من يقاوم ... له همة فوق السماكين قد علت ... وحسن اتضاع زينته المكارم ... فيما ابن رسول الله ياسر سبطه ... ويا بضعة الزهراء جاها وفايم ... ورثت العلا والمجد لا عن كلالة ... فآباؤك الأطهار أسد ضراغم ... فياقطب ياابن القطب يا أوحد الورى ... رقيت مقاما ليس فيه مزاحم ... بصدر رحيب واسع قد وسعتهم ... وجود حكاه الوابل المتراكم ... وسعت الورى حلما وبشرا بهيبة ... وبذلك للمعروف والثغر باسم ... ثناء جميل عنك يثنى معطر ... ووفرك مبذول وعرضك سالم ... دماثة أخلاق عطية خالق ... وخيم كريم أصله متقادم ... جمعت خصالا يا ابن شيخ حميدة ... بواحدة يسمو الفتى ويساهم ... حياء ومعروفا وجودا بشاشة ... وعلما وحلما جل من هو قاسم ...

وهو الله كما وصفه شيخنا وفوق ذلك فكم قد اجتمع في ذاته الشريفة من الأخلاق المحمودة المنيفة كالحياء والمروءة والسخاء **والفتوة** وبالجملة فهو جواد كريم عالم بالكتاب والسنة عامل بهما قائم بما جرى عليه سلفه من الأوراد الأذكار واكرام الوافدين واطعام الفقراء والمساكين وبذل الجاه في الشفاعات للمسلمين وإصلاح ذات بينهم حتى أنه لو." (٢)

"\.. تبا لناعق بين صاح ينبئنا ... أبكى الدماء وأبكى الجن والبشر

أبكى الفحول مع الأبطال أجمعها ... أبكى الخيول كذا الأفيال فاعتبر

أبكى الأسود مع النمور مع الظبا ... أبكى الديار وأعماها مع البصر

---

(١) النور السافر عن أخبار القرن العاشر العَيْدَرُوس ص/١٢٦

(٢) النور السافر عن أخبار القرن العاشر العَيْدَرُوس ص/٢٠٠

أبكي الرعية والفتوة والندا ... أبكي البرية من ساه ومدكر
أبكي المواكب والأملاك قاطبة ... أبكي المراكب والأفلاك ذو الدسر
أبكي الرمال كذا الأطلال نادبة ... أبكي القفار مع الأنهار والبحر
أما التجار فقد صاروا بأسرهم ... كالشاة تخشى شر ذي أشر
يا ويحسرت ما سرت لساكنها ... الله يحفظها من طارق الغير
لبس السواد رعاياه ولم يلموا ... لكن حكم القضا جار بلا نكر
كان شجاعته في كل معترك ... كيوم ميران أسى من سنا القمر
وكم خصائص فيه ما لها عدد ... ومكرمات بلا عدد لمستطر
لو كان يسمع أهل الروم كيف جرى ... لجهزوا الجيش اغارات في الأثر
لكن نصر إلهجل ناصرنا ... يكفي ويجعل من عاداه في عبر
تاريخ ميتته سلخ لقعدتنا ... يوم الثلاثاء مسآء منه فاذكر
أما السنون فإذا سوف أرقمها ... بحمرة بحساب اجمل البهر
لا غرو أن الشهادة حازها رجب ... فرد كفرد عظيم القدر في الشهر
خوطب كأصل له مذ كان في صغر ... خان خداوند ساد الناس في كبر
فأعجب لهذي الدنا لا تحتشم أحدا ... قد أسست صفوها دأبا على كدر
فقللمغرور في دنياه كن يقظا ... لها المصرع في غفلات محتذر
كيف التحذر والأقدار سابقة ... لا بد منها على الأرواح والصور
لو كان يفدى من الأموات سيدنا ... كنا فديناه بالأسماك والبصر
يارب ترحمه تغفر لمعشره ... تجعل مآثره اهى من الدرر
وأرض عنه خصوما أنت تعلمهم ... وخصه بعلا الجنات والسرر
وعم أهلا وأحبابا وكل فتى ... يهوى لخير وبالخيرات مشتهر
وخص أصلا ل أيضا قرابته ... الله يحفظهم بالعلم والسور
يارب وارحم لميتهم فضلا وميتنا ... يارب واعمم بخير منك وانتصر
يارب فاحرس الكوت ثم ساكنه ... وأحفظ لحافظيه وصفيهم من الكدر
وأغفر لمنشئها حقا وسامعها ... وأرحم لراقمها في الطرس والسطر." (١)

"إذا الظافر الميمون في متنه علا ... بدا الزهو في الطفين منه يجول
فمن رام تشبيها له قال موجزا ... وإن كان وصف الحسن منه يطول

---

(١) النور السافر عن أخبار القرن العاشر العَيْدَرُوس ص/٢٤٣

هو الفلك الدوار في صهواته ... لبدر الدياجي مطلع وأوفل

وما أبدع قوله في وصف الراح والحض على النبذ للهموم والاطراح بمعاطاة كئوسها وموالاة تأنيسها ومعاقرة دنانها واهتصار ثمار **الفتوة** وأفنانها والإعراض عن الأيام وأنكادها والجري في ميدان الصهوة إلى أبعد آمادها:

سل الهموم إذا نبا زمن ... بمدامة صفراء كالذهب

مزجت فمن در على ذهب ... طاف ومن حبب على لهب

وكأن ساقيها يثير شذا ... مسك لدى الأقوام منتهب

ولله هو فقد ندب إلى المندوب وذهب إلى داواة القلوب من الندوب وإبارئها من الآلام وإهدائها كل تحية وسلام وابهاجها بآصال وبكر وعلاجها من هموم وفكر في زمن حلى عاطله وجلى في أحسن الصور باطله ونفقت محالاته وطبقت أرضه وسماءه استحالتها فلبيد كأسد وذيبه مستاسد وأحفاسه تنمر وبعاثه قد استنسر استراحة إلا في معاطاة حميا ومؤاخاة وسيم المحيا وقد كان ابن عمار ذهب مذهبه وفضضه وذهبه بالإبداع حين دخل سرقسطه ورى غباره أهلها وتكاثف جهلها وشاهد منها من لا يعلم معنى ولا فصلا وواصل من لا يعرف قطعا ولا وصلا فأقبل على راحة يتعاطاها." [١]

"وقال ابن ظافر (١) في وصف هذا المجلس حاذيا حذو الفتح، ما صورته:

حضر الأستاذ أبو محمد ابن السيد عند المأمون ابن ذي النون في بعض منتزهاته، في وقت (٢) طاب نعيمه، وسرت بالسعودنجومه، والروض قد أجاد وشيه راقمه، والماء قد جرت بين الأعشاب أراقمه، وثم بركة مملوة، كأنها مرآة مجلوة، قد اتخذت سباع الصفر بشاطئها غابا، ومجت بها من سائغ الماء لعابا، فكأنها آساد عين، أدلعت ألسنة من لجين، وهي لا تزال تقذف الماء ولا تفتر، وتنظم لآلي الحباب بعدما تنثر، فأمره بوصف ذلك الموضع، الذي تخد (٣) إليه ركائب القلوب وتوضع، فقال بديها يا منظرا ... إلخ، انتهى.

ثم قال الفتح في هذا التصنيف بعد كلام في المذكور، ما نصه: وما أبدع قوله في وصف الراح، والحض على النبذ للهموم والاطراح، بمعاطاة كاسها، وموالاة إيناسها (٤) ، ومعاقرة دنانها، واهتصار ثمار **الفتوة** وأفنانها (٥) ، والإعراض عن الأيام وأنكادها، والجري في ميدان الصبوة إلى أبعد آمادها:

سل الهموم إذا نبا زمن ... بمدامة صفراء كالذهب

مزجت فمن در على ذهب ... طاف ومن حبب على لهب

وكأن ساقيها يثير شذا ... مسك لدى الأقوام منتهب ولله هو فقد ندب إلى المندوب، وذهب إلى مداواة القلوب من الندوب، وإبرائها من الآلام، وإهدائها كل تحية وسلام، وإبهاجها بآصال وبكر، وعلاجها من هموم وفكر، في زمن حلي عاطله، وجلي في أحسن الصور

---

(١) في ك ق ط ج: وقال الفضل؛ وصوابه ما أثبت، فهذا النص في بدائع البدائه ٢: ٤٠.

---

(١) أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض المقري التلمساني ٣/١٠٩

(٢) البدائع: يوم.

(٣) البدائع: تخب.

(٤) أزهار الرياض: بمعاطاة كؤوسها، وموالاة تأنيسها.

(٥) ك: من أفنائها.." [١]

"الجواب ذكره ابن عطية في تفسيره، وبسطه الشيخ، رضي الله تعالى عنه، فقال: عموم المؤمنين يقولون " اهدنا الصراط المستقيم " معناه نسألك التثبيت فيما هو حاصل والإرشاد لما ليس بحاصل، فإنهم حصل لهم التوحيد، وفاتهم درجات الصالحين، والصالحون يقولون " اهدنا الصراط المستقيم " معناه نسألك التثبيت فيما هو حاصل والإرشاد لما ليس بحاصل، لأنهم حصل لهم الصلاح، وفاتهم درجات الشهداء، والشهيد يقول " اهدنا الصراط المستقيم " درجة الشهادة، وفاته درجة الصديقية، والصديق كذلك يقول " اهدنا الصراط المستقيم " إذ حصلت له درجة الصديقية، وفاتته درجة القطب، والقطب كذلك يقول " اهدنا الصراط المستقيم " فإنه حصلت له رتبة القطبانية، وفاته علم إذا شاء الله تعالى أن يطلعه عليه أطلعه. وقال، رضي الله تعالى عنه: الفتوة الإيمان، قال الله سبحانه وتعالى " إنهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى " وقال، رضي الله تعالى عنه، في قوله سبحانه وتعالى حاكيا عن الشيطان " ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم ... الأية " ولم يقل من فوقهم ولا من تحتهم لأن فوقهم التوحيد وتحتهم الإسلام. وقال، رضي الله تعالى عنه: التقوى في كتاب الله، عز وجل، على أقسام: تقوى النار، قال الله سبحانه وتعالى " واتقوا النار " وتقوى اليوم، قال الله تعالى " واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله، وتقوى الربوبية، قال الله تعالى " يا أيها الناس اتقوا ربكم " وتقوى الألوهية " واتقوا الله " وتقوى الإنية " واتقوى يا أولي الألباب " وقال، رضي الله تعالى عنه، في قول رسول الله، صلى الله عليه وسلم، " أنا سيد ولد آدم ولا فخر " أي: لا أفتخر بالسيادة، وإنما الفخر لي بالعبودية لله، وكان كثيرا ما ينشد:." [٢]

"أفضيض مسك أم بلن ... سية لرياها نميم

بلد حبيب أفقه ... لفتى يحل به كريم

إيه أبا عبد الإل ... هـ نداء مغلوب العزيم

إن عيل صبري من فرا ... قك فاعذاب به أليم

أو أتبعتك حنينها ... نفسي فأنت لها قسيم

ذكري لعهدك كالعرا ... ر سرى فبرج بالسليم

مهما ذممت فما زما ... ني في ذمامك بالذميم

زمن كمألوف الرضا ... ع يشوق ذكراه الفطيم

أيام أعقد ناظري ... في ذلك المرأى الوسيم

---

(١) نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ت إحسان عباس المقري التلمساني ٦٤٥/١

(٢) نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ت إحسان عباس المقري التلمساني ١٩٢/٢

وأرى الفتوة غضة ... في ثوب أواه حليم

الله يعلم أن حب ... ك من فؤادي في الصميم

ولئن تحمل عنك لي ... جسم فعن قلب مقيم

قل لي بأي خلال سر ... ك فيك أفتن أو أهيم

ألمجدك العمم الذي ... نسق الحديث مع القديم

أم ظرفك الغض الجنى ... أم عرضك الصافي الأديم

أم برك العذب الجما ... م وبشرك الغض الجميم

إن أشمست تلك الطلا ... قة فالندى منها مغيم

أم بالبدائع كاللآ ... لي من نثير أو نظيم

لبلاغة إن عد أه ... لوها فأنت بها زعيم

فقر تسوغ بها المدا ... م وبشرك الغض الجميم

إن الذي قسم الحظو ... ظ حباك بالخلق العظيم

لا أستزيد الله نع ... مى فيك لا بل أستديم

فلقد أقر العين أن ... ك غرة الزمن البهيم

حسبي الثناء بحسن بر ... ك ما بدى برق وشيم." (١)

"أبا مسلم، إن الفتى بفؤاده ... ومقوله لا بالمراكب واللبس

وليس رواء المرء يغني قلامة ... إذا كان مقصورا على قصر النفس

وليس يفيد الحلم والعلم والحجى ... أبا مسلم طول القعود على الكرسي واستدعاه الحكم المستنصر بالله أمير المؤمنين فعجل إليه وأسرع، فأمرع من آماله ما أمرع، فلما طالت نواه، واستطالت عليه لوعته وجواه، وحن إلى مستكنه بإشبيلية ومثواه، استأذنه في اللحوق بها فلومه ولواه، فكتب إلى من كان يألفه ويهواه:

ويحك يا سلم لا تراعي ... لا بد للبين من مساع

لا تحسبيني صبرت إلا ... كصبر ميت على النزاع

ما خلق الله من عذاب ... أشد من وقفة الوداع

ما بينها والحمام فرق ... إلا المناحات في النواعي

إن يفترق شملنا وشيكا ... من بعد ما كان في اجتماع

فكل شمل إلى افتراق ... وكل شعب إلى انصداع

وكل قرب إلى بعاد ... وكل وصل إلى انقطاع ٢ - وقال - سامحه الله تعالى - بعد ترجمة السلطان بالمرية المعتصم بن

---

(١) نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ت إحسان عباس المقري التلمساني ٢٧٢/٣

صمادح ما نصه: ابنه عز الدولة أبو مروان عبد الله (١) ، فتى الراح المعاقر لدنانها، المهتصر لأغصان الفتوة وأفنانها، المهجر لفلاة الظباء والآرام، المشهر في باب الصبابة والغرام، نشأ في حجر أبيه نديم قهوة، ومديم صبوة، وخديم شهوة، لا يريم كاسا، ولا يروم إلا اقتضاء وانتكاسا، ما شهد قتلا ولا قتالا، ولا تقلد صارما إلا مختالا، قد أمن منه جنان الجبان، وعدت له غصون البان، ومازال مرتضعا لأخلاف البطالة، مقتطعا ما شاء من إطالة، متوغلا

(١) لم ترد هذه الترجمة في المطمح المطبوع.." [١]

"٣٥ - باب حق أي واجب الزواج على المرأة

أي ما يجب له عليها ويستحقه منها (قال الله تعالى) : (﴿الرجال قوامون على النساء﴾) يقومون عليهن قيام الولاة على الرعية، وعلل ذلك بأمرين: وهما قوله: (﴿بما فضل الله بعضهم على بعض﴾) أي بسبب تفضيله بالرجال على النساء بكمال العقل وحسن التدبير ومزيد القوة في الأعمال والطاعات، ولذلك خصوا بالفتوة والإمامة والولاية وإقامة الشعائر والشهادة في مجامع القضايا ووجوب الجهاد والجمعة ونحوها والتعصيب وزيادة السهم في الميراث والاستبداد بالفراق. وبأمر كسبي هو قوله: (﴿وبما أنفقوا من أموالهم﴾) في نكاحهن كالمهر والنفقة. ثم قسم الله النساء قسمين فقال: (﴿فالصالحات قانتات﴾) مطيعات قائمات بحقوق الأزواج (﴿حافظات للغيب﴾) لمواجب الغيب: أي يحفظن في غيبة الأزواج ما يجب حفظه في النفس والمال، وقيل للأسرار (﴿بما حفظ ا﴾) أي بحفظ الله إياهن بالأمر على حفظ الغيب والحث عليه بالوعد والوعيد والتوفيق له، أوبالذي حفظه الله لهن عليهم من المهر والنفقة والقيام بحفظهن والذب عنهن. قال السفاقسي: قراءة الجمهور برفع الجلالة وما مصدرية: أي يحفظ الله إياهن وجوز كون ما موصولا اسميا محذوف العائد: أي بما حفظهالله، وأجاز أبو البقاء أن تكون نكرة موصوفة والعائد محذوف، وقرأ أبو جعفر بنصب الجلالة فما بمعنى الذي، وفي حفظ ضمير يعود عليها: أي بالبر الذي حفظ حق الله من التعفف وغيره، وقدره ابن جني بما حفظ حدود الله والمضاف متعين لأن الذات المقدسة لا ينسب حفظها إلى أحد وفيه حذف الضمير من حفظ: أي بحفظهن وهو قبيح لا يجوز إلا في الشعر، والأحسن أن لا يقال حذف الضمير بل عاد عليهن مفردا ملاحظة للجنس، فكأن الصالحات في معنى من صلح، وإنما أدى إلى هذه الشذوذ في هذه القراءة توجيهها على أن ما موصولة، أما إذا جعلناها مصدرية كما تقدم فلا اهـ.

(وأما الأحاديث) النبوية (فمنها حديث عمرو بن الأحوص السابق) بالرفع (في الباب قبله) .." [٢]

"لقد حزت فضل السبق في كل حلبة ... من الفضل حتى حزت في شأوك المدى

تصول بسيف من أصولك قاطع ... فلا ملحد إلا وملقيه ملحدا

فتى بالفتاوى والفتوة يملأ الطروس ... سطورا للهدى منه والجدى

ولم يختلف في فضله اثنان أنه ... المبرز في جمع العلوم تفردا

(١) نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ت إحسان عباس المقري التلمساني ٤٠/٧

(٢) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين ابن علان ١٠٨/٣

وما روضة أسدى إليها الندى يدا ... فراحت فأنفاس الشذا تشكر السدى

بأبهى وأزهى من بيان بنانه ... إذا نظم الدر الفريد ونضدا

على حين أعطاه الزمان زمامة ... ووطا له حتى علاه ولحدا

وصرفه طوعا له في صروفه ... فمن شاء أدناه، ومن شاء أبعدا

وأخدمه زهر الليالي جواريا وأمضى له أيامه العز أعيدا

وجاد بنعماه على أوليائه ... وعاد ببؤس من سطاه على العدى

وأظهره كالشمس صيتا ورفعة ... فيا ليت شعري ما عدا في الذي بدا

فأصبح من سهم الحوادث مقصدا ... وقد كان في ربع الحوادث مقصدا

أرب العلى إن غبت عنا برغمنا ... فذكرك فينا لا يزال مجددا

وإن سرت من دار الفناء مفوضا فقد صرت في دار البقاء مخلدا

عليك سلام من الله من بلديك ... الفقير العناياتي عبدك أحمدا

ولا زال للأمطار قبرك مسجدا ... تظل عليه ركعا فيه سجدا

وأشهد الرحمان في الخلد وجهه ... وحسبك أن تلقى الحبيب وتشهدا

إسماعيل شاه سلطان العجم

إسماعيل شاه بن طهماز بن عباس بن إسماعيل شاه ابن حيدر بن جنيد ابن الشيخ صفي الدين الأردبيلي، الشهير بالصوفي سلطان العجم المعروفين بقزل باش، وإنما سمي سلطانهم بالصوفي نسبة إلى جبل الصوف المزاحم لأنطاكية لكون جدهم حيدر كان مقيما بها، ولما ظهرت بدعته قام عليه عالم أنطاكية العلامة شمس الدين العجمي، واستنصر عليه بكافل حلب جانم المكحل في حدود سنة ثمان وخمسين وثمانمائة، ثم تغلب بعده ولده حيدر، وجمع عساكر، والتقى هو وعساكر أهل السنة، فقتل هو، وكسر عسكره، ثم نشأ بعد ولده إسماعيل، وتغلب على العراق والعجم وسار إليه السلطان سليم بن بايزيد بن عثمان، والتقى هو وعساكره معه، وهو في عساكره فكسره السلطان سليم، ثم نشأ بعده ولده عباس شاه ابن إسماعيل، فسافر إليه السلطان." (١)

"ومن أحاديث يشفى بها الغليل، ويصح مزاج النسيم العليل، تنفتح منها في رياض المسامرة، من أجفان الكمائم عيون أنوارها الزاهرة، ويحسو فم السمع منها ماء حياة يطيل عمر المسرة، وتكتحل منها المآثر بما هو لعيونها قرة، من كل من هو لتشييد المجد أكرم باني، حتى تكفل الثناء له بعمر ثاني، يشيب في وجه السماء حاجب القمر هلالا، ويشتعل رأس الشمس شيبا ولم ير له مثالا.

إذا ما روى الإنسان أخبار من مضى ... فتحسبه قد عاش من أول الدهر

---

(١) الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة الغزي، نجم الدين ١٢١/٣

وتحسبه قد عاش آخر دهره ... إلى الحشر إن أبقى الجميل من الذكر

فقد عاش كل الدهر من عاش عالما ... كريما حليما فاغتنم أطول العمر

وسواء تلفت المريض للطبيب، وفرحة الأديب بلقا الأديب، لا سيما أهل العصر، الهاصري أغصان المنى ألطف هصر، القائلين في رياضها، الواردين نمير حياضها، فقد سرت كلماتهم مسرى الأرواح في الأجساد، وأثنى عليها ثناء نسيم الرياض على العهاد، وقد انتصر لكل عصر من أحيا ميته، وعمر من دارس عهوده بيته، كصاحب) اليتيمة (و) قلائد العقيان (و) المية (و) الذخيرة (و) عقود الجمان (، وحمية المرء لعصره، وقيامه على منابر نصره، من آيات **الفتوة**، التي هي على لسان الحمية متلوة، فليس منا من لم يغتذ بدر المجد في مهاده، ولم يفتخر في المحافل بأستاذه وإسناده، إلا أن الأدب في هذه الأعصار، قد هبت على أطلاله ريح ذات إعصار، حتى أخلقت عرى المحامد، واسترخى في جريه عنان القصائد، وتقلصت أذيال الظلال، وخطب البلاء على منابر الأطلال، وعفا رسم الكرام، فعليه مني السلام.." (١)

"أبو الصفاء مصطفى بن العجمي الحلبي

روض وريق أغصان المروة، ريان من ماء المكارم **والفتوة**، فارس الشهباء نبلا وأدبا، طبعه أخو ابنة العنب صفاء وطربا، أردان شبابه باللطف مذهبة، وكئوس آدابه المجلوة للقلوب محببة، إذا ابتسمت عقود ألفاظه كسد نظيم الجوهر، وخيل أنها لرقتها من خدود الغيد تعصر، أقبلت على شعره الفصاحة بوجه جميل، وقصر عن إدراك لطفه النسيم وهو عليل، مع صباحة محيا يهزأ بالروض الوسيم، إذا عطرت مجامر نفحاته أذيال النسيم، نفحت في برود الزهر نشرا، وعبثت بمباسم النور الضاحكة بشرا.

ثمل من سلافة الطل في الزه ... ر وناهيك طيبها من كاس

ولم تزل كئوس أدبه على الندامى مجلوة؛ حتى ورد موارد الموت فبدلت بالكدر صفوة.

وأي صفاء لا يكدره الدهر فقطفت زهرة شبابه، وقد سقتها دموع أحبابه.

فمن شعره، ما أنشدني له الطالوي، من قصيدة اخترت منها قوله:." (٢)

"السيد احمد بن النقيب الحلبي

سيد عجنت بماء الوحي والنبوة، وغرست نبعته في ساحة الفضل **والفتوة**، له مناقب هي الوشى حسنا وبهجة.

إذا نشرت كانت ممسكة النشر وغرائب رغائب في الكرم واضحة المحجة.

يظل بها مستعبد النظم والنثر اجتليت بحلب محياه، فأكرمني بجوده ونداه، ومدحته شكرا لما اولاه:

وكذا الهاشمي مثلك لا يم ... دح إلا بهاشمي الكلام

فاستعار) ديواني (، واشتغل بمطالعته وانتخابه، وفي اثناء ذلك دعوته فلم يجب،." (٣)

---

(١) ريحانة الألبا وزهرة الحياة الدنيا الشهاب الخفاجي ص/٥

(٢) ريحانة الألبا وزهرة الحياة الدنيا الشهاب الخفاجي ص/١٤٥

(٣) ريحانة الألبا وزهرة الحياة الدنيا الشهاب الخفاجي ص/٢٨٤

"السيد عبد الخالق الفاسي

أديب تجتنى منه الألباب يانع ثمراتها، وسماه لم تخرج بدور كماله عن هالاتها.

فرع من شجرة النبوة، المسقية بماء الوحى **والفتوة.**

فعلا وسما، فأصله ثابت وفرعه في السما.

فطرازه مذهب على كم المجد، أنه من ذؤابة تنوس بين تهامة ونجد.

عقد على صدر المناقب العلية، وتاج معقود برأس العصابة العلوية.

تولد بين المصطفى ووصية ... ولا غزوان تزكو هناك الغرائس

شمامة في يد الأدب، وريحانة من رياحين العرب.

لم تزل سيارة المسائل تلقط أخباره، وركبان الأخبار تتزود وتمتاز أشعاره.

فمما أنشدني له الأديب محمد الفاسي:

إذا ما رمت نصح الناس طرا ... تحر المقبلين ذوى الإياب

فلا تسمع سوى من كان حبا ... وإلا لا خراج على خراب." (١)

"فمنهم، رحمهم الله تعالى:

عبد الله بن شمس الدين بن مطهر اليمني

فرع من ذوابة، هاشم، ونبعة من وشيج تلك المكارم.

من آل مطهر وهم ملوك مكرمون، لا يمس صحف مجدهم إلا المطهرون، من حدث البشرية، ودنس الهيولى الدنية.

من كل من قضى للعلياء وطرها، وتلى آيات المجد وسورها.

تعبق منهم أنفاس النبوة، وتجر على وجه البسيطة أذيال **الفتوة.**

لم تمنح محاسنهم من صحف الليالي والأيام، ولا تثمر بمثلها أغصان اليراع والأقلام.

مغارس طالت في ربا المجد فالتقت ... على أنبياء الله والخلفاء

إذا حمل الناس اللواء علامة ... كفاهم مثار النقع كل لواء

حتى أغارت عليهم جيوش ابن عثمان فذوى ذلك الثمر، واستفت الأيام ماء حياتهم فلم يبق إلا الكدر.

فالتجأ إلى جبل كوكبان، واستظل به من هجير حوادث الحدثان." (٢)

"وسلم فأخطأ فتأمل ووجود الجنة مضرح به في الآية وعلوها مأخوذ من الهبوط والمعتزلة خالفوا في وجودها، وقبول التوبة تفضل منه وقد وغد به من لا يخلف الميعاد لا وجوبا كما زعمه المعتزلة وقوله وأن غيره لا يخلد الخ بناء على حمل

---

(١) ريحانة الألبا وزهرة الحياة الدنيا الشهاب الخفاجي ص/٣٦٩

(٢) ريحانة الألبا وزهرة الحياة الدنيا الشهاب الخفاجي ص/٤٥١

الخلود على التأبيد بالقرائن وافادة مثل هو قائلها الحصر، ولك أن تقول إنه ليس بناء على هذا بل إنه لما ذكر الفريقين وخص الخلود بأحدهما دل على أنه ليس صفة لغيرهم وهو الظاهر من قوله مفهوم فافهم. قوله: (لما ذكر دلائل التوحيد والنبوة الخ) هذا إشارة إلى ارتباط الآية بما قبلها ويزيدها ربطا ذكر بني إسرائيل بعد المكذبين ودلائل التوحيد من قوله: ﴿يا أيها الناس اعبدوا ربكم﴾ [سورة البقرة، الآية: ٢١] الخ ودلائل النبوة ﴿إن كنتم في ريب﴾ الخ والمعاد من.

توله: ﴿فاتقوا النار﴾ الخ وقوله وعقبها تعداد النعم إن قرئ بالتخفيف فتعداد فاعله وان شدد فتعداد منصوب بنزع الخافض أو بتضمينه التصيير ونحوه فمن قال: الصواب بتعداد النعم استسمن ذا ورم وكلامه بين في الارتباط وخاطب الخ جواب لم واقتفاء الحجج أي اتباع الدلائل لأنهم أعلم بها من غيرهم فكان ينبغي أن يكونوا أول من آمن به عليه الصلاة والسلام.

قوله:) أي أولاد يعقوب الخ) يعني أن الابن وان كان مختصا بالولد الذكر لكنه إذا أضيف وقيل: بنو فلان يعم الذكور والإناث وهو معنى عرفي فيكون في معنى الأولاد مطلقا، واسرائيل اسم يعقوب عليه الصلاة والسلام، وبني جمع ابن شبيه بجمع التكسير لتغير مفرده ولذا ألحق في فعله تاء التأنيث نحو قالت بنو فلان وقد أعرب بالحروف وهل لامه ياء لأنه مشتق من البناء لأن الابن فرع الأب ومبني عليه أو واو لقولهم البنوة كالأبوة والأخوة قولان الصحيح الأول ولذأ اقتصر المصنف عليه وأما البنوة فلا دلالة فيها لأنهم قالوا الفتوة ولا خلاف أنها من ذوات الياء إلا أن الأخفش رجح الثاني لأن حذف الواو أكثر، واختلف في وزنه فقيل: بنى بفتح العين وقيل: بني بسكونها وهو أحد الأسماء العشرة التي سكنت فاؤها وعوض من لامها همزة الوصل وقوله مبني ا بيه تجوز أي متولد وكل ما يحصل من فعل أحد يتسبب فهو ولده فيقال أبو الحرب للمحراب وللقصيدة ونحوها بنت الفكر وهو من النسبة إلى الآلة مجازا والانتساب في الحقيقة إلى المفكر فلذلك عطف على ما هو مثال للمنسوب إلى الصانع وجعلى إسرائيل لقبا لإشعاره بالمدح لأنه بمعنى صفوة الله أو عبد الذ وايل في لغتهم بمعنى الله. قوله: (أي بالتفكر فيها الخ) الذكر بكسر الذال وضمها بمعنى واحد ويكونان باللسان والجنان، وقال الكسائي: هو بالكسر للسان وبالضم للقلب وضد الأول الصمت وضد الثاني النسيان وعلى العموم فإما أن يكون مثتركا بينهما أو موضوعا لمعنى عام شامل لهما والظاهر الأول فأشار المصنف إلى أن المم اد التصؤر التفكر في النعمة وأن اله غصود من الأمر بذلك الشكر والقيام بحقوقها كما تقول: أتذكر إحساني لك فإن المراد هلا وفيت حقه فلذلك عطف عليه القيام بشكرها عطفا تفسيريا فلا يرد عليه ما قيل: الذكر هنا قلبي، والمطلوب به هو القيام بشكرها إيماء إلى أنها من النعم الجسام التي لا مانع للعاقل

عن القيام بشكرها إلا الغفلة عنها والذهاب هذه الدقيقة على المصنف رحمه الله عطف القيام بشكرها على التفكر فيها كأنه أدرجه في معنى الذكر، وفيه من التكلف ما لا يخفى وهو بعينه مراد المصنف رحمه الله. قوله: (والتقييد بهم) وفي نسخة وتقييد النعم بهم يعني بالوصف بقوله التي الخ والظاهر أن المراد بالنعمة وهي المنعم بها مطلق النعم الإلهية العامة لكل مخلوق كبعث الرسل عليهم الصلاة والسلام وخلق االتحوي والرزق ولكن قيدت في النظم بهم ولم تطلق أو تعمم بأن يقال: أنعمت بها على عبادي أو تخص! بغيرهم بأن يقال: على أمة محمد صلى الله عليه وسلم ليكون أدعى لشكرهم لأنها لو لم تخص بهم لربما حملهم الحسد والغيرة على كفرانها وما قيل: إنه حمل النعمة ههنا على النعمة التي أنعم بها على آبائهم حمل لكلامه

من غير دليل على ما لم يرده. قوله: (وقيل أراد بها ما أندم الخ) هذا هو الذي ارتضاه الزمخشري والمصنف رحمه الله تعالى ضعفه لأن السياق ينافيه فإن قوله: ﴿وآمنوا بما أنزلت﴾ [سورة البقرة، الآية: ٤١، لا يتصور في حق آبائهم مع أنه قيل: عليه أن فيه جمعا." (١)

"والإسكندرية لكنه فيل عليه إن مارزكزه صتنافي ما مر من أن قطفير كان على خزائن "! صز، ومككها الريان وفني يائي بدليل تث! نيته! لأنها ترد الأشياء لأصولها فالفتوة على هذا شاذة، وقيل إنه يائي وواوي ككنوت وكنيت، وله نظائر كثيرة. قوله: (شق شغاف قلبها الخ) الشغاف بوزن سحاب حجاب القلب، وقيل سويداؤه، والفؤاد القلب، وقوله لصرف الفعل عنه أي محول عن الفاعل، والأصل شغفها حبه، وهنأه بالهمزة بمعنى طلاه بالقطران، ومعنى إحراقه أنه أثر في جلده، وهذا أصله، والشغف والشعف تاثير الحب وهما متقاربان، وقد فرق بينهما. قوله: (باغتيابهق وإنما سماه مكرا الخ) يعني أن المكر استعير للغيبة لشبهها له في الإخفاء كما أشار إليه، وعلى الوجه الثاني هو حقيقة، وكذا على الأخير لأنهت مكرن بها في إظهار كتمان السر حتى أطلعن على أمرها، وقوله لتريهن أي زليخا، وفي نسخة ليرين أي النسوة من الثلاثي. قوله: (تدعوهن) أي للضيافة مكرا بهن لما سيأتي، ويبهتن مجهول أي يتحيرن، وأما بهته فبمعنى افترى عليه، ويقطعنها أي الأيدي من قطع الثلاثي، وكونه من الأفعال بمعنى يجعلنها قاطعة لها ركيك ويجوز أن يكون من التفعيل، ويبكتن من التبكيت، وهو الغلبة أي يغلبن بالحجة التي لها مما له من الجمال الذي لا يمكن صبر النساء معه ويهاب عطف على يبهتن أي يخاف يوسف عليه الصلاة والسلام فينقاد لها وهو مناف للمقام، ولذا لم يجعله في الكشاف وجها، وجمع بين المكرين. قوله: (متكأ طعاما) هو على الثاني اسم مكان أو ا-لة بمعنى الوسادة، وهو مستعمل في حقيقته، وقوله فإنهم كانوا يتكؤون الخ بيان لوجه إطلاقه عليهما، وعلى الأول هو اسم للطعام، وهو اسم مفعول أو مصدر جعل كناية أو مجازا عنه، والظاهر الثاني أي اتكاء أو متكأ له، واستشهد بالبيت للأول، وأنه لو فعل لأنه المحتاج للإثبات، وأما الثاني فهو اسم مكان لا حاجة لإثباته، والتترف كالترفه

التنعم، وقوله ولذلك، أي لكونه فعل المترفين المتكبرين نهى عنه في الحديث الذي رواه ابن أبي شيبة عن جابر رض! ي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم: " نهى أن يثل الرجل بشماله وأن يثل متكئا) (١١ لكن الواقع! في الحديين النهي عن اكل، والنهي عن الهشرب ثبت بدلالة القياس، ولذا صرحوا به قال العلافمه في قوله، وآتت كك، وإحدة- تف! يره " اعتدف لهره متكأ فجئن و! دن وآتت كل واحدة الخ، ولا يبعد أن تسمى هذه الواو فصيحة فاحفظه. قوله: (قال جميل) هو من شعراء العرب الإسلامية، وهو مشهور، والبيت من قصيدة له من بحر الخفيف، وعروضها مختلف، وأولها:

رسا.! اروقفت في طلمله كخدت أقضي الصيا؟ غ مثن جلله

موحشا ما ترى به أحدا تنسج الترب ريح معتدله

ومنها:

فظللنابنعمة واتكأفا وشربنا الحلال من قلله

---

(١) حاشيه الشهاب علي تفسير البيضاوي =عنايه القاضي وكفاية الراضي الشهاب الخفاجي ١٤٤/٢

قال ابن قتيبة معنى اتكأنا أكلنا، وطعمنا والقلل جمع قلة، وهي الجرة، والحلال أراد به النبيذ. قوله: (وقيل المتكأ طحم. يحزحزا) بألحاء المهملة أي يقطع، وكونه بالجيم جوزه بعضهم لأن معنا. قريب منه والأول أولى لأنه المعروف، وأما الجز فأستعماله في قطع / الصوف، ونحو.، وهذا مخالف للأول لأنه مطلق الظ! ط بخ! ، وهذا مخصوص باللخم.،. ونن! هـ. قوله: (وقرئ متكا بحذف الهمزة) أي وضم الميم، وتشديد التاء مفتعا من أوكيت القربة إذا شددت فاها بالوكاء، والمعنى اعتدت شيئا يستندن عليه بالاتكاء أو بالقطع، وقرئ بالمد على أنه إشباع كما قالوا في منتزح، وهو البعيد، منتق اح، وقرئ متكا بضم! الميم، وسكون التاء

والتنوين، وروي فيه الضم، والفتح، وهو الأترج بضم الهمزة، والراء المهملة، وبينهما تاء ساكنة وفي آخره جيم مشددة، ويقال اترنج وترنج، وهو ثمر معروف، وقيل ما يقطع من المأكولات من متكه، وهو وبتكه بمعنى قطعه، والباء والميم تتعاقب كثيرا كلازم ولازب، وقيل إنه طعام يقالط له زما ورد وقرئ متكأ بفتح فسكون، وفي آخره همزة من تكىء بمعنى اتكأ، ومعناه كمعنى متكأ. قوله: (عظمته الخ) فأكبر. بمعنى كبره أي عظمه، وقيل أكبرن بمعنى حضن، والإكبار يكون بمعنى الحيض، وأنشدوا عليه بيتا قيل إنه مصنوع، وسمي الحيض إكبارا لكون البلوغ يعرف به كأنه يدخلهم سن الكبر فيكون." (١)

"على أنهم لا ملجأ ولا منجا لهم فإن من يكون ملجؤه العذاب كيف يرى وجه الخلاص والنجاة، وقوله: منجا لم يقلى وملجأ لأنهما بمعنى والفرق إنما هو في التعدية بإلى وعدمه، وقيل إنه عائد على الموعد والمبالغة المذكورة باقية أيضا. قوله: (يعني قرى عاد وثمود وأضرابهم) أي أشباههم في الهلاك والإشارة لتنزيلهم لعلمه بهم منزلة المحسوس، وقوله: خبره أهلكناهم أو القرى، والجملة حالية كما في البحر والقرى صفة والوصف بالجامد في باب الإشارة مشهور، والوصف جار على الإعرابين، وفوله: مفعول مضمر بالإضافة أي مقدر، وقوله: في أحدهما أي قبل تلك أو القرى ولا ركاكة في الثاني كما قيل: لأن تلك يشار بها للمؤنث من العقلاء وغيرهم ويجوز أن تكون القرى عبارة عن أهلها مجازا، وقوله: كقريش ذكر أنهم نظيرهم في الظلم إشارة إلى أن ما ذكر إنذار وتهديد لهم والمراء الجدال وذكره لسبقه. قوله: الإهلاكهم وقتا معلوما الما جاز في كل من المهلك على القرا آت والموعد هنا أن يكون زمانا ومصدرا لكن إذا كان أحدهما زمانا لا بد من جعل الآخر مصدرا لئلا يكون للزمان زمان أشار إلى أن الأول مصدر، والثاني اسم زمان ولم يعكسه لركاكته، وقال: وقتا معلوما لأن الموعد لا يكون إلا كذلك والا فاسم الزمان مبهم، وقوله: ولا يستقدمون لم يذكره في الكشاف وذكره أولى وتفسيره الأول على ضم الميم وفتح اللام، وقوله: حملا على ما شذ الظاهر أن يقول: لأنه ورد شاذا إذ الشاذ لا يحمل عليه والقراءة ليست بالقياس، إذ هي منقولة عن النبي صلى الله عليه وسلم ولو شذوذا والشاذ هو مجيء المصدر الميمي مكسورا فيما عين مضارعه مكسورة وفي دعوى الشذوذ نظرا لما في القاموس من أن هلك جاء من باب ضرب ومنع وعلم والمحيض بالضاد المعجمة مصحدر بمعنى الحيض وذكره إشارة إلى أن الشذوذ لا يختص بالصحيح. قوله ة) ﴿وإذ قال موسى﴾) هو موسى بن عمران عليه الصلاة والسلام على الصحيح وقال: أهل الكتاب وتبعهم بعض المحدثين والمؤرخين أنه هنا موسى بن ميشا بالمعجمة بن يوسف بن يعقوب وهو موسى الأول وإنما أنكره أهل الكتاب لإنكارهم ئعلم النبي من غيره، وقال: الكرماني

---

(١) حاشيه الشهاب علي تفسير البيضاوي =عنايه القاضي وكفاية الراضي الشهاب الخفاجي ١٧٢/٥

لا غضاضة في تعلم نبي من نبي آخر واذ على تقدير اذكر مفعول لا ظرف لأن ذكره للوقت لا في الوقت ومعناه قل لا تذكر، وقوله فإنه كان يخدمه ويتبعه قدمه لأنه الأصح ولذا أضافه إليه والعرب تسمى الخادم فتى لأن الغالب استخدام من هو في سن **الفتوة**. قوله: (وقيل لعبده) فالإضافة للملك وأطلق عليه فنى لما ورد في الحديث الصحيح ليقل أحدكم فتاي وفتاتي ولا يقل عبدي وأمتي وهو من آداب الشريعة وليس إطلاق زلك بمكروه لكنه خلاف الأولى ولم يرتض هذا القول المصنف رحمه الله كما في الكشاف لأنه مخالف للمشهور. قوله: (لا أزال) فهي ناقصة من أخوات كان وحذف الخبر فيها قليل كما ذكره الرضي خلافا لأبي حيان وغيره ممن زعم أنه ضرورة والخبر المحذوف هنا ثقديره أسير ونحوه لدلالة الحال والغاية عليه إذ لا بد لها من مغيي، والمناسب له هنا السير والسفر ومما ول ل على هذا المقدر قوله: فلما بلغا مجمع بينهما فلا وجه لما قيل إنه لا دلالة في النظم مليه، وقوله: من حيث للتعليل إن قيد الحيثية قد يذكر للتعليل وقد يذكر للتقييد وقد يذكر للاطلاق كما مر، وفي نسخة من حيث إنها والضمير لحتى من حيث إنها كلمة أو غاية وهو مان لوجه الدلالة وضميران لذلك القول، وقوله: وعليه متعلق بدلالة والضمير راجع إلى الخبر " ن الوصول إلى المكان لا يكون إلا بعد السير. قوله: (ويجور أن يكون أصله لا يبرح

مسيري (فحتى مع مجرورها خبر والخبر في الحقيقة، متعلقه فحذف منه المضاف إليه وهو مسير بمعنى السير فانقلب الضمير من البروز والجر إلى الرفع والاستتار وانقلب الفعل من الغيبة إلى التكلم وكذا الفعل الواقع في الخبر وهو أبلغ كان أصله يبلغ ليحصل الربط، واعترض عليه بأنه حينئذ يخلو الخبر من الرابط إلا أن يقدر حتى أبلغ به أو يقال: إن الضمير المستتر في كائن يكفي للربط أو أن وجود الربط بعد التغيير صورة يكفي فيه وإن كان المقدر في قوة المذكور. قوله: (وأن يكون لا أبرج بمعنى لا أرول) فهي تامة لا تحتاج إلى خبر لكن لا بد من تقدير متعلق له ليتم المعنى كما أشار إليه بقوله: عما أنا عليه الخ ومضارع." (١)

"وقف عليها بالألف في المواضع الثلاثة خلافا للرسم أبو عمرو والكساتي ويعقوب ووقف عليها الباقون بالحذف اتباعا للرسم. إلا أن ابن عامر ضم الهاء اتباعا للياء فيها. قوله: (لما نهى عما عسى يفضي إلى السفاح) أي يؤدي إليه بتحريك عرق الشهوة وهو النظر وابداء الزينة وضرب الأرجل، والسفاح أصله صب الماء ثم جعل بمعنى الزنا والمخل صفته والمقتضى صفة النسب والمؤذية قيل إنه راجع إلى الثلاثة من الألفة وحسن التربية ومزيد الشفقة وعسى مقحمة هنا وقد وقع مثله في عبارة الكشاف كقوله: فإن عسى- كان ذاك وخطأه أبو حيان فيه. وقال: إنه تركيب أعجمي وخرجها الفاضل اليمني في الإعراف على وجهين أحدهما هذا ونقل في همع الهوامع عن الفراء جواز اقحامها فإن أردت تفصيله فارجع إليه والزجر عنه. في قوله: الزانية الخ. وقوله: الحافظ له أي للنسب أو للنوع وبعد الزجر متعلق بنهي والمبالغة من النهي عن النظر والزينة وهوءتعليل للنهي. وتزويج المولية راجع للأولياء والمملوك واجع للسادة والمولية بصيغة المفعول من ينفذ فيها تصرف الولي وتثبت عليها الولاية. قوله: (وفيه دليل على وجوب تزويج المولية) اعترض! عليه بأنه كيف يكون دليلا والأمر عندنا للندب. لكنه يقول إنه عندنا خلاف الأصل والظاهر وكأن الطاهر أن يقول عند طلبهما كما وقع في بعض النسخ

---

(١) حاشيه الشهاب علي تفسير البيضاوي =عنايه القاضي وكفاية الراضي الشهاب الخفاجي ٦/١١٤

إلا أنه قيل: إنه أرجعه إلى المولية إشارة إلى أنه لا عبر بطلب المملوك ولا وجه له لأنه بغير طلب غير واجب عند المصنف وقد تكلف له بما تركه أولى من ذكره. قوله: (واشعار بأن المرأة الخ) إن أراد بالمرأة ما يعم المرأة العاقلة البالغة فلا ولاية لأحد عليها عندنا ودخولها تحت الأمر لشمول الأيامى لها مقيد بإذنها. كما أن الرجل من الأيامى كذلك بالاتفاق والأمرو لكون المعتاد فيه! المعاونة والتوسط لإصلاح حالهما. قوله: (وأيامى مقلوب أيايم) ذهب المصنف تبعا للزمخشري ومن تابعه إلى أنه مقلوب لأن فعيلا وفيعلا لا يجمعان على فعالى فأصله يتائم وأيايم فقدمت الميم. وفتحت للتخفيف فقلبت الياء ألفا لتحركها وانفتاح ما قبلها ويتيم أيضا جرى مجرى الأسماء الجلصدة! لأن فعيلا الوصفي يجمع على فعال ككريم وكرام لا على فعائل. وقد مر في سورة النساء أنه لما جر! مجرى الأسماء الجامدة كفارس وصاحب جمع على يتائم ثم قلب فقيل يتامى أو جمع على

يتمي كأسري لأنه من باب الآفات ثم جمع يتمى على يتامى وذهب ابن مالك ومن تبعه إلى أنه شاذ لا قلب فيه وهو ظاهر كلام سيبو-له وذهب ابن الحاجب إلى أنهم حملوا يتامى وأيامى على وجاعي وحياطي لقرب اللفظ والمعنى. قوله: (وهو العزب الخ) عن محمد هي الثيب واختار الكرخي ما ذكره المصنف ويشهد له ما روي أنه صلى الله عليه وسلم قال: الأيم أحق بنفسها من وليها والبكر تستأذن في نفسها واذيها صماتها ألا ترى كيف قابلها بالبكر وفي رواية الثيب أحق كذا في المغرب وفيما استدل به نظر وقال التبريزي في شرح ديوان أبي تمام قد كثر استجمال هذه الكلمة في الرجل إذا ماتت امرأته وفي المرأة إذا مات زوجها وفي الشعر القديم ما يدل على أن ذلك بالموت وبترك الزواج من غير موت قال الشماخ:

يقر بعيني أن أحدث إنها وإن لم أنلها أيم لم تتزوج ...

انتهى وقد ورد بهذا المعنى في قوله الحماسي:

كل حي تايم منه اهـ حرس أومنهايتيم ...

قوله: (فإن تنكحي أنكح وإن تتأيمي وإن كنت أفتى منكم أتأيم (وان كنت أفتى جملة معترضة وأفتى أفعل تفضيل من **الفتوة** وهي الشباب وأتأيم جواب الشرط مجزوم وحرك بالكسر لأجل الشعر ومنكم خطاب بصيغة الجمع للواحدة كقوله:

ولو شئت حرمت النساء سواكم

قوله: (وتخصيص الصالحين الخ) أي ليحصن دينهم ويحفظ عليهم صلاحهم لأنهم ينزلون منزلة الأولاد فكانوا مظنة الاهتمام وعلى الوجه الثاني المراد بالصلاح معناه اللغوي فالأمر للندب كما لا يخفى. قوله: (رد لما عسى الخ) مر نظيره والغنية ما يستغنى به وغاد ورائح بمعنى آت وذاهب وهو من كلامهم قديما ومعناه لا يستقر على حال فيكون أمرا بغنى القلب والإتكال وخصوا به لما ذكره فلا يرد عليه شيء. وقوله: اطلبوا الغنى في هذه الآية أي بالتزوج كما

صرح به فيما تابعه من الأحاديث. وقوله: لكن مشروط بالمشيئة دفع لما يتوهم من أنه لا يخلف الميعاد." (١)

"أن أرتفع وأن أحضر مجرور بفي مقدرة وأن أشهد معطوف عليه وقال المبرد جملة أحضر حال من الياء وأن أشهد معطوف على المعنى لأنه لما قال أحضر دل على الحضور كما تقول من كذب كان شرا له أي كان الكذب كذا نقلوا عنه

---

(١) حاشيه الشهاب علي تفسير البيضاوي =عنايه القاضي وكفاية الراضي الشهاب الخفاجي ٣٧٤/٦

ولئن صحت رواية النصب فهو محمول على أنه توهم أنه أتى بأن فنصب كقوله (الطويل)

(بدا لي أني لست مدرك ما مضى ... ولا سابق شيئا إذا كان جائيا)

بجر سابق على توهم أنه قال لست بمدرك ما مضى وهذا لا يجوز القياس عليه وروي ألا أيهذا الزاجري وروي أيضا ألا أيها اللاحي بتشديد الياء والوغي الحرب وأصله الأصوات التي تكون فيها وقال ابن جني الوغي بالمهملة الصوت وبالمعجمة الحرب نفسها والشهود الحضور يقال شهدت المجلس بمعنى حضرته وأخلده أبقاه ومعنى البيت يا من يلومني في حضور الحرب لئلا أقتل وفي ان أنفق مالي لئلا أفتقر ما أنت مخلدي إن قبلت منك فدعني أنفق مالي في الفتوة ولا أخلفه لغيري وهذا البيت من قصيدة لطرفة بن العبد وهي إحدى المعلقات السبع ونذكر ترجمته وأخباره في موضع آخر إن شاء الله تعالى وبعد هذا البيت

(فإن كنت لا تستطيع دفع منيتي ... فذرني أبادرها بما ملكت يدي)." [1]

"التحقيق.

قال ابن السكيت: يعني بالبردي غديرا ينبت البردى. وقال البكري في معجم ما استعجم: هو غدير لبني كلاب. وأنشد هذا البيت. والبردي: مبتدأ وأول مشرب: خبره والجملة: مقول وقوله: أجل جير ... إلخ مقول لقول محذوف أي: فقيل لهن أجل جير إلخ. ورواء بالكسر والمد: جمع ريان وريا كعطاش جمع عطشان وعطشى. وأسافل: جمع أسفل وهو المكان المنخفض.

يريد: إن اجتمع الماء في أراضيه المنخفضة حتى صار غديرا فالبردي أول مشرب وإلا فلا.

فجواب الشرط محذوف يدل عليه ما قبله.

وقد استشهد ابن هشام في المغني بهذا المصراع فقط. وفي بعض نسخه تمام البيت من شعر طفيل كما شرحنا. ولله دره في صنيعه.

وقوله: تحاثثن ... إلخ هذا جواب لما والنون ضمير الظعائن. والحث: الإسراع. وحث الفرس على العدو: صاح به أو وكزه برجل أو ضرب. وتحاثثن: تسارعن. واستعجلت زيدا: طلبت عجلته. فهو متعد وكل مفعوله.

ومواشك: اسم فاعل

واشك أي: سارع. ومواشك صفة محذوف أي: كل بعير مواشك.

واللؤمة بضم اللام وسكون الهمزة.

قال ابن السكيت: هي متاع الإبل وما يلقى عليها من رحل ومفارش. وجملة: لم يعد. . إلخ صفة لمواشك وأن: مصدرية أي: لم يتجاوز شق نابه. يريد أنه كامل الفتوة. وشق: بفتح قال ابن السكيت: يقال شق نابه وشقا نابه ونجم نابه وفطر

---

(١) خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب للبغدادي عبد القادر البغدادي ١/١٢٠

نابه وبزل نابه. وأصله)

الاشتقاق يقال: تبزل ما بينهم. انتهى.." (١)

"عليه قبل من انتصابه بالظرف وتعلقه بالفعل. فقوله:

(أعلاقة أم الوليد بعدما ... أفنان رأسك كالثغام المخلس)

بعد منتصب بما نصب به المصدر الذي هو علاقة فكذلك ينبغي أن يكون الفعل على ما كان عليه قبل دخول هذا الحرف من اقتضائه للفاعل وإسناده إليه. هذا كلامه. وقوله: ولم نر في سائر كلامهم الفعل بلا فاعل يرد عليه زيادة كان في نحو: ما كان أحسن زيدا.

-

وفيه أيضا دخول فعل على فعل. فقوله: غير موجود ممنوع.

وقوله: ويقوي هذا أن الفعل مع دخول ما هذه تجده دالا إلى آخره يرد عليه أن الحرف المكفوف وقوله: ألا ترى أن الاسم في حال دخول هذا الحرف إياه على ما كان عليه قبل انتصابه بالظرف وتعلقه بالفعل ... إلخ هذا يشهد عليه لا له فإن الكلام في طلب المعمول لا في طلب العامل)

والمعمول لبعد بالإضافة مفقود لوجود المانع وهو الكف. وهذا هو المدعى. فلا يرد على سيبويه شيء مما ذكره. والله أعلم.

وروى أبو محمد الأعرابي:

(صددت فأطولت الصدود ولا أرى ... وصالا على طول الصدود يدوم)

وعليه لا شاهد فيه. والبيت من أبيات للمرار الفقعسي أوردها أبو محمد الأعرابي في ضالة الأديب وفي فرحة الأديب وهي:

(صرمت ولم تصرم وأنت صروم ... وكيف تصابى من يقال حليم)

(صددت فأطولت الصدود وقلما ... وصال على طول الصدود يدوم)

(وليس الغواني للجفاء ولا الذي ... له عن تقاضي دينهن هموم)

(ولنما يستنجز الوعد تابع ... هواهن حلاف لهن أثيم)

الصرم: القطع صرمه صرما من باب ضرب والاسم الصرم بالضم. وكيف استفهام إنكاري.

وتصابي: مصدر تصابى: تكلف الصبوة وهو الميل إلى الجهل **والفتوة**. يقال:

صبا يصبو والصدود كالإعراض. وأطولت كان القياس فيه أطلت لكنه جاء مصححا على الأصل كاستحوذ.

والغواني: جمع غانية الجارية التي غنيت بزوجها وقد تكون التي غنيت بحسنها وجمالها عن الزينة. والجفاء: خلاف البر وجفوته أجفوه إذا أعرضت." (٢)

---

(١) خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب للبغدادي عبد القادر البغدادي ١٠/١٠٩

(٢) خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب للبغدادي عبد القادر البغدادي ١٠/٢٣١

"(في فتية كسيوف الهند قد علموا ... أن هالك كل من يحفى وينتعل)

(نازعتهم قضب الريحان متكئأ ... وقهوة مزة راووقها خضل)

(لا يستفيقون منها وهي راهنة ... إلا بهات وإن علوا وإن نهلوا)

(يسعى بها ذو زجاجات له نطف ... مقلص أسفل السربال معتمل)

(ومستجيب تخال الصنج يسمعه ... إذا ترجع فيه القينة الفضل)

(من كل ذلك يوم قد لهوت به ... وفي التجارب طول اللهو والغزل)

قوله: وقد أخالس رب هذا البيت ... إلخ أسارق ويروى: أراقب

وغفلته: بالنصب بدل اشتمال من رب البيت. وإنما يراقب غفلته ليلهو بامرأته. وهذا مما يقتضي بذل المال لها حتى توافقه.

وقوله: ما يئل أي: ما ينجو مني ولا يخلص ووأل يئل بمعنى نجا ينجو والموئل موضع النجاة.

وقله: وقد أقود ... إلخ الصبا: اسم من صبا يصبو صبوة أي: مال إلى الجهل والفتوة. وفيه قلب أي: يقودني الصبا فأتبعه.

والشرة بالكسر هي شرة الشباب وهو حرصه ونشاطه.

ويروى بدله: ذو الشارة وهي الهيئة الحسنة. والغزل بكسر الزاي وهو الذي يحب الغزل بفتحتين وهو محادثة النساء وهذا أيضا مما يوجب بذل الأموال.

وقوله: وقد غدوت ... إلخ أي: ذهبت غدوة. والحانوت: بيت الخمار. والشاوي: الذي يشوي اللحم. والمشل بكسر الميم وفتح الشين: الخفيف في الحاجة. والشلشل بضم الشينين: المتحرك.

والشول بفتح أوله وكسر ثانيه: الذي يحمل الشيء يقال: شلت به وأشلته. وقيل هو من قولهم: فلان يشول في حاجته أي يعنى بها ويتحرك فيها. ومن رواه: شول بضم ففتح فهو." (١)

"لصاحبه الكثر وهو كثرة المال فاجتمع الغنى

والشباب له وهو سخي. انتهى.

وهذات البيت أول أبيات أربعة لعلقمة بن عبدة. وهي ثابتة في ديوانه. وقد اقتصر أبو تمام في الحماسة على البيت الأول والثاني وهو: ونسبهما لبعض بني أسد. ونسبهما في مختار أشعار القبائل لابنه وهو خالد بن علقمة بن عبدة. ونسبهما بعضهم لابن ابنه وهو عبد الرحمن بن علي بن علقمة بن عبدة. ونسبهما الأعلم الشنتمري في حماسته لحميد بن سجار الضبي. وكذا هو في حاشية الصحاح منسوب لحميد.

والكثر بضم الكاف ومثله القل: المال الكثير والمال القليل يقال: ماله قل ولا كثر. قال أبو عبيد: سمعت أبا زيد يقول: الكثر والكثير واحد. قال في الصحاح: هما بالضم والكسر.

وقوله: مع الكثر في موضع النصب صفة لمعيشة. وجملة يعطاه الخ بالبناء للمفعول: حال من الكثر والهاء ضمير الكثر وهو المفعول الثاني للعطاء. والفتى نائب الفاعل وهو مفعوله الأول.

---

(١) خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب للبغدادي عبد القادر البغدادي ٣٥٤/١١

والمتلف بالرفع: صفة للفتى وكذلك الندي. وروي: يعطاها بضمير المؤنث على أنه عائد على المعيشة مع قيدها. والفتى قال في الصحاح: هو السخي الكريم يقال: هو فتى بين **الفتوة** وقد تفتى وتفاتى والجمع فتيان وفتية وفتو على فعول وفتي مثل عصي. والمتلف: المفرق لماله يقال: رجل متلف لماله ومتلاف بالمبالغة. والندي: السخي قال في الصحاح: وندوت من الجود يقال: سن وللناس الندى فندوا بفتح الدال ويقال: فلان ندي الكف: إذا كان سخيا. وقد روي في ديوانه البيت هكذا:)." (١)

" قال الصاغاني في العباب: ذكر مثل هنا يعين أن يكون ما قبله بتقدير لا مثل هيثم وابن خبيري: قال ابن الكلبي في جمهرة نسب عذرة: فمن بني ضبيس جميل بن عبد الله بن معمر بن الحارث بن خبيري بن ظبيان اه.

وجميل هذا هو صاحب بثينة المشهور وهو المراد بابن خبيري: فيكون نسب إلى أحد أجداده. ومدحه **بالفتوة** لأنه كان شجيعا يحمي أدبار المطي من الأعداء.

وقال بعضهم: المراد بابن خبيري علي رضي الله عنه والإضافة للملابسة. وهذا لا أصل له.

وقيل: أراد به مرحبا وهو الذي بارزه علي رضي الله عنه يوم خيبر فقتله.

وهذا الشاهد من أبيات سيبويه الخمسين التي لم يعين قائلها. وقد أورد هذين البيتين أبو عبيد في الغريب المصنف مع أبيات قبلهما وهي: الرجز

(قد حشها الليل بعصلبي ... مهاجر ليس بأعرابي)

(أروع خراج من الدوي ... عمرس كالمرس الملوي)

قال الصاغاني في العباب: العصلبي بفتح العين وسكون الصاد المهملتين: الشديد الباقي على المشي والعمل. وأنشد الأبيات على الفراء في نوادره لبعض بني دبير بضم الدال وفتح الموحدة مصغرا وهي قبيلة من بني أسد.

وقال شارح شواهد الغريب ابن السيرافي: يقال حش النار يحشها حشا إذا بالغ في إيقادها وإحمائها. وإنما يريد أن الإبل قد رميت برجل." (٢)

"سأتقيه.

وهو أصح معنى مما حكى سيبويه لأنه جعلها استفهامية منصوبة بعلمت الواقع بعدها وهو فاسد من طريق المعنى. ويمكن أن يكون منصوبا بإضمار فعل يدل عليه سأتقيه كأنه قال: دعي كل شيء سأتقي ماذا علمت سأتقيه. اه. وقد خفي على الأعلم ظهور كون ما في البيت استفهامية فزعم أنها موصولة قال: الشاهد فيه جعل ماذا اسما واحدا بمنزلة الذي والمعنى دعي الذي علمته فإني سأتقيه لعلمي مثل الذي علمت ولكن نبئيني بما غاب عني وعنك مما يأتي به الدهر أي: لا تعذليني فيما أبادر به الزمان من إتلاف مالي في وجوه **الفتوة** ولا تخوفيني الفقر. اه. والمفهوم من تقريره أن التاء من علمت مكسورة. قال النحاس: وهي رواية أبي الحسن وأما رواية أبي إسحاق فهي بضم التاء. قال النحاس: ف إذا هنا لا تكون بمعنى الذي لأنه

---

(١) خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب للبغدادي عبد القادر البغدادي ٣/٢٨٠

(٢) خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب للبغدادي عبد القادر البغدادي ٤/٥٩

لا يجوز دعي ما الذي علمت. قال أبو إسحاق: لا يكون ذا هنا إلا بمنزلة اسم مع ما وذلك أنها لا تخلو من إحدى ثلاث جهات: إما أن تكون ما صلة وذا بمعنى الذي وهذا لا يجوز)

لأن ذا لا يكون بمعنى الذي إلا مع ما ومن الاستفهاميتين وكذا استعملت. وإما أن يكون ما بمعنى الذي وذا بمعنى الذي فتكون ما مفعولة وذا مبتدأ وعلمت صلة ويبقى المبتدأ بلا خبر. فإن قلت: أضمر هو فكأنك قلت: دعي الذي هو الذي علمت. فهذا قبيح. وهذا الذي قال سيبويه والذي لا يجوز في هذا الموضع لئلا يلزم أن تحذف هو منفصلة. الثالث: أن تكون ما مع ذا بمنزلة اسم واحد. اه.." (١)

"والبيت من قصيدة للمتلمس أورد بعضها الشريف ضياء الدين هبة الله علي بن محمد بن حمزة الحسيني في حماسته وهي:

(صبا من بعد سلوته فؤادي ... وسمح للقرينة بانقياد))

(عقارا عتقت في الدن حتى ... كأن حبابها حدق الجراد)

(جماد لها جماد ولا تقولن ... لها يوما إذا ذكرت حماد)

هذا ما أورده الشريف. وقوله: صبا من بعد سلوته إلخ ماضي يصبو صبوة أي: مال إلى الجهل **والفتوة**. وسمح بمهملتين: بمعنى ذل وفاعله ضمير الفؤاد. ويقال: أسمح بالألف أيضا.

والقرينة: النفس ومثله القرونة بالواو أيضا. يقال: أسمحت قرينته وقرونته وكذلك قرينه وقرونه بدون هاء أي: ذلت نفسه وتابعته على الأمر.

وقوله: كأني شارب يوم استبدوا إلخ أي: مضوا برأيهم كذا قال الشريف صاحب الحماسة. وهو من استبد فلان بكذا أي: انفرد به. والواو ضمير تعود على قوم حبيبته. وقوله:." (٢)

"دليل)

قاطع من الإجماع. يقال: يديت إليه يدا. ودم محذوف منه الياء يقال: دم ودميان.

قال الشاعر: جرى الدميان بالخبر اليقين والبنوة ليس بشاهد قاطع في الواو لأنهم يقولون: **الفتوة** والتثنية فتيان فابن يجوز أن يكون المحذوف منه الواو والياء وهما عندي متساويان. اه.

وقد حكى الخلاف ابن الشجري في أماليه في كون العين محركة أو ساكنة وفي كون اللام ياء أو واوا ورجح كونها ياء قال: ودم عند بعض التصريفيين دمي ساكن العين قالوا: لأن الأصل في هذه المنقوصات أن تكون أعينها سواكن حتى يقوم دليل على الحركة من حيث كان السكون هو الأصل والحركة طارئة.

قالوا: وليس ظهور الحركة في دميان دليلا على أن العين متحركة في الأصل لأن الاسم إذا حذفت لامه واستمرت حركات الإعراب على عينه ثم أعيدت اللام في بعض تصاريف الكلمة ألزموا العين الحركة.

---

(١) خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب للبغدادي عبد القادر البغدادي ١٤٣/٦

(٢) خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب للبغدادي عبد القادر البغدادي ٣٤١/٦

وقال من خالف أصحاب هذا القول: أصل دم دمي بفتح العين لأن بعض العرب قلبوا لامه ألفا فألحقوه بباب رحا فقالوا: هذا دم ودما كرحا.

وقال بعض العرب في تثنيته دمان فلم يردوا اللام كما قالوا في تثنية يد يدان. والوجه أن يكون العمل على الأكثر. وكذلك حكى قوم دموان. والأعرف فيه الياء.

وعليه أنشدوا: جرى الدميان بالخبر اليقين." (١)

"وكذا قال ابن هشام في المغني. وقال العيني: إن دخول كي على المصدرية نادر.

ورأيت في طبقات النحاة لأبي بكر محمد الشهير بالتاريخي عند ترجمة يونس ابن حبيب أن يونس قال: كان عبد الأعلى بن عبد الله بن عامر فصيحا وهو الذي يقول:

(إذا أنت لم تنفع فضر فإنما ... يرجى الفتى كيما يضر وينفعا)

فعلى هذه الرواية ما: زائدة ويضر منصوب بكي واللام مقدرة وأنت: فاعل لفعل محذوف يفسره المذكور أي: إذا لم تنفع الصديق فضر العدو. وإنما قدر الفعل واقعا على هذا المفعول لأن العاقل لا يأمر بالضر مطلقا وحسن المقابلة اقتضى تعيين الأول.

ويرجى بتشديد الجيم المفتوحة أي: إنما يرجى الكامل في **الفتوة** لضرر من يستحق الضر ونفع من يستحق النفع.

وقيل: يمكن حمل البيت على أن المراد الحث على النفع بالأمر بالضرر لا على أنه مراد ولا

وروى: يراد بدل يرجى.

قال العيني: البيت للنابغة الذبياني وقيل للنابغة الجعدي. والأصح أن قائله قيس بن الخطيم.

ذكره البحتري في حماسته. اه.." (٢)

"يجعلون الألف واللام عقيب الإضافة وأهل البصرة يضمرون ما يعلق الذكر بالأول وتقديره عندهم: أجب الظهر منه. انتهى.

وتقدمت ترجمة النابغة الذبياني في الشاهد الرابع بعد المائة.

وأنشد بعده وهو من شواهد س: الطويل ولله عينا حبتر أيما فتى على أنه قد يستفاد من الاستفهام معنى التعجب كما هنا فإن فيه معنى التعجب من **الفتوة** كما تقول: أي رجل زيد وقد تضمنت أي معنى المدح والتعجب الذي تضمنته نعم وحبذا.

وأي: إذا أضيفت إلى مشتق من صفة يمكن المدح بها كانت للمدح بالوصف الذي اشتق منه الاسم الذي أضيفت إليه.

فإذا قلت: مررت بفارس أي فارس فقد أثنيت عليه بالفروسية خاصة.)

وإن أضيفت إلى غير مشتق فهي للثناء عليه بكل صفة يمكن أن يثنى عليه بها

---

(١) خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب للبغدادي عبد القادر البغدادي ٤٨٦/٧

(٢) خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب للبغدادي عبد القادر البغدادي ٤٩٩/٨

فإذا قلت: مررت برجل، أي رجل، فقد أتيت عليه ثناء عاما في كل ما يمدح به الرجل. قال سيبويه: وسألته – يعني الخليل – عن قوله: ...." (١)

"سال قضيب حديدا.

قضيب اسم واد باليمن وقد تقدم هذا وقصته هذا وقصته في حرف الهمزة.

ومما يلحق بهذا الباب قولهم في الدعاء:

سلط الله عليه الورى وحمى خيبرا!

والورى بالتحريك اسم من قولك: ورى القيح جوفه يريه إذا أكله؛ وقولهم:

سله من كذا سل الشعرة من العجين.

يحكى أنه لما هم حسان بن ثابت رضي الله عنه أن يهجو أهل مكة قال له النبي صلى الله عليه وسلم: كيف وأنا منهم؟ أو كما قال صلى الله عليه وسلم فقال حسان: لأسلنك سل الشعرة من العجين! وأتي بعض الملوك في الصدر الأول برجل وضاع يضع الحديث كذبا فقال اضربوا عنقه! فذهبوا به ليقتلوه. فلما خرجوا قال لهم: أنظروني حتى أجرد كلامي وأسقطه من دواوين الحديث لئلا يلبس على الناس! فرجعوا إلى الملك وشاوروه فقال لهم: اقتلوه! فإن هنا رجالا يسلون كلامه سل الشعرة من العجين. وقولك مثلا:

أسلط من ذئب متنمر.

وقولهم:

السؤدد مع السواد.

أي إنما يحصل زمان **الفتوة** وسواد الشعر. ونحوه قول الحماسي:

إذا المرء أعيته السيادة ناشئا ... فمطلبها كهلا عليه عسير

وقولك مثلا:

أسير من المثل.." (٢)

"وله مختصر أسواق الأشواق للبقاعي سماه تزيين الأسواق وله رسالة في الهيئة وله كفاية المحتاج في علم العلاج قلت وهذه زيادة على تأليفه التي ذكرها الطالوي وقد ذكره البديعي في ذكرى حبيب فقال في وصفه ضرير ماله في العلوم الحكمية

---

(١) خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب للبغدادي عبد القادر البغدادي ٣٧٠/٩

(٢) زهر الأكم في الأمثال والحكم الحسن اليوسي ١٨٣/٣

نظير وطبيب ماله في الأزمنة الغابرة ضريب حكيم صفت من قذى الخطأ موارد أنظاره وصحت عن غمام الأوهام آفاق أفكاره حل عقد المشكلات بما قيده وبيض وجه العلوم الرياضية بما سوده بآثار تقتضي إثبات محاسنه بالتخليد وتقييد مآثره للتأبيد وكان ملازما لكتاب اخوان الصفا وخلان الوفا للمجريطي ولكتابيه رتبة الحكيم وغاية الحكيم ومن كتب الشيخ القانون والشفا والنجاة والحكمة الشرقية والتعليقات ورسالة الأجرام السماوية والإشارات مع شرحه لنصير الدين الطوسي وللإمام فخر الدين الرازي والمحاكمات بينهما لقطب الدين الرازي وحواشيه للسيد ومن كتب السهروردي المشارق والمطارحات وكتاب التلويحات وشرحه لهبة الله البغدادي وكان شريف مكة يلهج بتذكاره ويستهدي من الحجاج تفاريق أخباره وهزه الشوق على أن استقدمه عليه واستحضره إليه ليجعل السماع عيانا والخبر برهانا فلما مثل بساحته طامعا في تقبيل راحته أمر أن يعرض عليه أحد حاضري مجلس أنسه ليختبر بذلك قوة حدسه فمذ صافحت يده يد ذلك الجليس قال هذه يد دعى خسيس لا يضوع منها أرج النبوة ولا يستنشق عرف الفتوة ثم أمر بعرضه على القوم واحدا بعد واحد حتى وصل إلى الشريف فقبل يده تقبيل المحب الواجد وأعجب من ذلك ما أخبرني به من أثق به بالقاهرة المعزية قال كان له حجرة بالمدرسة الظاهرية اتخذها لإجتماعه بالناس ومداواة أصحاب الباس فورد عليه في بعض الأيام رجل من الاجتهاد مجهر بالسلام فمذ سمع سلامه عرف مرامه وقال اذهب فلا شفى الله لك علة ولا برد الله لك غله تشرب الخمر وتفعل لك الأمر حتى يحدثا لك هذا الداء وتأتي الضرير تروم منه الأدواء ثم استتابه وشفاه من دائه بعد ما أشفاه وما فهم كنه علته الأمن تحرك شفته وعجائبه في هذا الباب لا تحصى وغرائبه لا تستقصى وقال الشلي في تاريخه العقد عندما ذكره أنه استدعاه الشريف حسن لبعض نسائه فلما دخل قادته جارية ولما خرجت به قال للشريف إن الجارية لما دخلت بي كانت بكرا ولما خرجت بي صارت." (١)

"(ويزيد المليك إذ كان يهوى ... صوت حدو الحداة في كل تارة)

(وتغنى الركبان إذ كان منشاه البوادي ... حتى اعترته الحضارة)

(وكمر وإن الفتوة إذ كان ... يوالي في عبطة أسفاره)

مروان ذي الفتوة كان منشأه بالبادية في كلب ففصح لسانه

(فيرى اللهو والسماع مناه ... ويرى الحرب قطبه ومداره)

(وكآل العباس إذ كان عبد الله ... يقضي طوع المنى أوطاره)

(كم غدا ليلة الثلاثاء والسبت ... يوالي الغبوق بالقرقارة)

---

(١) خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر المحبي ١٤٧/٢

(وابن صفوان في الندامى يعاطيه ... كؤوس الحديث خلف الستارة)

(ولديهم أبو دلامة طورا ... يصطفيه ويجتلي أشعاره)
ابن صفوان هو خالد بن صفوان كان من أقرب الناس منزلة عند أبي العباس ينادمه ويسامره لطول لسانه وبلاغته وكثرة روايته وأبو دلامة اسمه زيد بن الحارث وكان مولى لبني أسد ظريفا فصيحا كثير النوادر باحثا خليعا مدمنا للشراب راوية للأخبار والأشعار
(وتحيي منصورهم من ورا النسك ... راحا وإلى عليها استتاره)

(حل منه ابن جعفر في ندامه ... محلا إذ كان يبلو اعتشاره)

(فيراه فيهم ظريفا أديبا ... لسنا حاذقا لطيف الإشارة)
ابن جعفر هو محمد بن جعفر بن عبد الله بن العباس وكان يأنس به ويلتذ به وبمحادثته ويأنس به خاليا وكان كما ذكر
(ثم كان المهدي يجلس للأنس ... فيصفي لشربه أو طاره)

(وفليح بن العورا يشد ولديه ... فينسى حنينه وادكاره)

(ولديه ترب الغناء أبو إسحاق ... يشدو بصنع ومهاره)
قال إسحاق كان المهدي في أول أمره يساتر بالشراب حتى قدم عليه فليح ابن العوراء المغني فكان يغنيه فيما مدح به من الشعر وأبو إسحاق هو إبراهيم الموصلي المشهور بالغناء
(ثم كان الهادي إذا حاول الشرب ... وغنى ابن جامع نختاره)

(يتولى الندام عيسى بن داب ... عنده والطلا لديه مداره)

(وكذاك ابن مصعب والعزيزي ... أنا خايدا إنيان اختياره)." (١)

"بالتجويد ثم اشتغل بالعلم وتفقه فى الدين على جماعة واعتنى بسائر العلوم وجمع بين الحقيقة والشريعة ثم دخل الهند فقابله بعض وزراء السلطان المسمى ملك ريحان بالاكرام واقام عنده برهة يدرس ويفيد ثم عاد الى وطنه ومشى على طريقة آبائه من النفع والقرى فظهر شأنه ودخل الهند مرة ثانية ونال عند الملك ريحان مرتبة علية قال وبلغنى انه حج وانه أخذ عن جماعة من العارفين بالحرمين ولم تكن له كثرة قراءة وانما كان مجدا فى الطلب له جلد على مطالعة الكتب وربما سهر أكثر الليل فى ذلك وله خط حسن كتب بخطه عدة كتب اكثرها فى العربية والادب وله رسائل مشتملة على عبارات فصيحة

---

(١) خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر المحبي ٢/٤٠٠

ونكت بديعة وكان عذب اللسان حلو المنطق جوادا سخيا كثير الورع تام المروءة كامل الفتوة حافظا لسيرة السلف ولم يزل فى التحصيل حتى توفى الى رحمة الله تعالى وكانت وفاته فى سنة أربع وخمسين وألف رحمه الله

السيد علوى بن محمد بن أبى بكر بن عبد الرحمن بن عبد الله بن علوى بن أبى بكر الجفرى بن محمد بن على بن محمد بن أحمد بن الاستاذ الاعظم الفقيه المقدم ويعرف كسلفه بالجفرى أحد العباد المشهورين ذكره الشلى وقال فى ترجمته ولد بمدينة قسم ونشأ بها ثم اشتغل بالتجارة وبورك له فيها وجاب البلاد وسار الى الجبال وأقام بالمستفاض أرض المهرة مدة وعظمه سلطانها ورحل الى السواحل وبجله ملوكها وارتحل الى الهند واليمن ومصر وغيرها وكان كثير الاسفار الى الحج وزيارة النبى وصحب جماعة من اكابر الصوفية وانتفع بصحبتهم وكان غاية فى الجود والكرم وصلة الرحم وحب الفقراء والاحسان اليهم ومحبة العلم والعلماء والصلحاء والاولياء وكان دينا صدوقا وقورا مشهورا بالعفاف وكرم النفس كثير الورع وكان على قدم كامل من الصلاح والعبادة وكثرة الصدقة والصلة ثم أقام بتريم وترك السفر وتخلى للعبادة وكان من عادته حين يستهل شهر رمضان لا يخرج من بيته حتى ينسلخ الا لصلاة الجمعة أو صلاة صلاة التراويح وكان وجيها عند الناس مقبول الشفاعة والقول مسموع الكلمة صبورا على السعى فى قضاء حوائج المسلمين وكان عاقلا محتشما ذا رأى صواب وكان بينه وبين سيدى محمد بن عمر البيتى صحبة ومودة عظيمة قال الشلى وكان الوالد يعنى والده أبا بكر يقول لم أر مثلها بين اثنين قط ولزم صحبة الشيخ عبد الرحمن السقاف بن محمد العيدروس فى آخر عمره ملازمة تامة." (١)

"(لم أكن مقاما على ذا ولكن ... كان طوعا لامركم اقدامى)

(عمرك الله يا نديمى أنشد ... جارتا كيف تحسنين ملامى)

وله يرثى والده وقد توفى بالمصلى من قرى البحرين لثمان خلون من شهر ربيع الاول سنة أربع وثمانين وتسعمائة عن ست وستين سنة وشهرين وسبعة أيام ومولده أول يوم محرم سنة ثمان عشرة وتسعمائة

(قف بالطلول وسلها أين سلماها ... ورو من جرع الاجفان جرعاها)

(ورده الطرف فى أطراف ساحتها ... وأرج الوصل من أرواح أرجاها)

(فان يفتك من الاطلال مخبرها ... فلا يفوتنك مرآها ورياها)

(ربوع فضل تباهى التبر تربتها ... ودار أنس يحاكى الدر حصباها)

(عدا على جيرة حلوا بساحتها ... صرف الزمان فأبلاهم وأبلاها)

---

(١) خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر المحبي ١٢١/٣

(بدور تم غمام الموت حللها ... شموس فضل سحاب الترب غشاها)

(فالمجد يبكى عليها جازعا أسفا ... والدين يندبها والفضل ينعاها)

(يا حبذا زمن فى ظلهم سلفت ... ما كان أقصرها عمرا وأحلاها)

(أوقات أنس قضيناها فما ذكرت ... الا وقطع قلب الصب ذكراها)

(يا جيرة هجروا واستوطنوا هجرا ... واها لقلبى المعنى بعدكم واها)

(رعيا لليلات وصل بالحمى سلفت ... سقيا لايامنا بالخيف سقياها)

(لفقدكم شق جيب المجد وانصدعت ... أركانه وبكم ما كان أقواها)

(وخر من شامخات العلم أرفعها ... وانهد من باذخات العلم أرساها)

(يا ثاويا بالمصلى من قرى هجر ... كسيت من حلل الرضوان أصفاها)

(أقمت يا بحر بالبحرين فاجتمعت ... ثلاثة كن أمثالا وأشباها)

(ثلاثة أنت أنداها وأغزرها ... جودا وأعذبها طعما وأصفاها)

(حويت من درر العلياء ما حويا ... لكن درك أعلاها وأغلاها)

(يا أعظما وطئت هام السهى شرفا ... سقاك من ديم الوسمى أسماها)

(ويا ضريحا على هام السماك علا ... عليك من صلوات الله أزكاها)

(فيك انطوى من شموس الفضل أضوأها ... ومن معالم دين الله أسناها)

(ومن شوامخ أطواد الفتوة أرساها وأرفعها قدرا وأبهاها)

(فاسحب على الفلك الا على ذيول على ... فقد حويت من العلياء علياها)." (١)

"قبل السلطان فلما وصل الى ثغر جدة أدركه بريد الحمام وذلك فى سنة ثلاث وأربعين وألف

محمد بن محمد بن على الشهير بالحزرمى البصير الدمشقى المولد والوفاة الحنفى الفقيه العالم الجليل القدر أحد شيوخ الحنفية المتصدين للافادة أخذ الفقه عن اجلاء كبار منهم الشيخ محمد بن العلمى نزيل دمشق وقرأ انواع العلوم على المنلا محمد بن عبد الملك البغدادى الدمشقى وحصل وبرع ولزمه جماعة من الفضلاء أخذوا عنه وانتفعوا به وكان أول أمره فقيرا فسكن فى حجرة بمدرسة العزيزية واتفق انه دخل حجرته بعض السراق وأخذوا اسبابه وبعض دراهم كان جمعها من كد وجهد فحصل له كمال الالم وفى اثناء ذلك عرض له العمى وكان عروضه له فى حدود سنة عشرين وألف فعالج بصره مدة فما أفاده العلاج فسافر الى بغداد راجيا ان يبرأ على يد أحد فما تيسر له فعاد الى دمشق ثم وجهت اليه المدرسة اليونسية فدرس بها وكان له بقعة بالجامع الاموى وكان قبل ان يكف ولى الخطابة بجامع السلطان سليمان مدة وكانت وفاته فى سنة اثنتين وأربعين وألف ودفن بمقبرة باب الصغير والحذرمى نسبة الى حزر ما بفتح الحاء المهملة بعد هازاى ساكنة ثم راء مفتوحة فيم فألف قرية بغوطة دمشق

محمد بن محمد الملقب نجم الدين الحلفاوى الانصارى الحلبى الدار الحنفى المذهب خطيب جامع حلب وصدرها المستوفى اقسام النباهة والبراعة وكان فى عصره أوحد الفضلاء وابلغ البلغاء وله الصيت الذائع بالسخاء والمروءة ووفور المهابة والفتوة ذكره الخفاجة فى الخبايا فقال فى وصفه نجم طلع من وافق المكارم زائد الارتفاع ونزل منازل سعد رقى فيها عن قوس الشرف باطول ذراع يقطع أوقاته فى طلب الفضائل والكمال ولا ينزه طرفه فى غير سماء خلال أو رياض جمال فلو كان العلم بالثريا لناله أو بالعيوق لطاله ثم أورد له ابياتا كتبها الى النجم فيها سؤال نحوى والابيات هى هذه

(أنجما أضاءت سماء الرتب ... به وتسامت فخارا حلب)

(أخالى واسمى أخلا لاسمه ... وكم من اخاء يفوق النسب)

(أبن كلمة قيل مبنية ... بغير اختلاف لهم أو شغب)

(وان نعتت كان اعرابها ... باعراب ناعتها ما السبب)." (٢)

"المنشئ فقال فى وصفه تكون ببلد قريب من مغنيسا جوهر ذاته وبها كانت أوطانه وأوطار لذاته ولما حلت بيد الشباب لمائمه وصدحت فى أغصان الفتوة حمائمه تيقن أن فقد العز فى الحضر وأن السفر يسفر عن غرة الظفر

(والمرء ليس ببالغ فى أرضه ... كالصقر ليس بصائد فى وكره)

---

(١) خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر المحبي ٤٥١/٣

(٢) خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر المحبي ١٨١/٤

كما أن السيف لا يقطع فى غمده ولا يظهر ما دام فيه جوهر فرنده والدر لولا تنقله من البحر لما علا التاج والنحر ولولا سير الهلال لما ظفر بعد النقص بالكمال

(فالماء يكسب ما جرى ... طيبا ويخبث ما استقر)

فخرج منها ودار فى بقاع الارض وبلدانها حتى وصل الى القاهرة وانتظم فى سلك كتبة ديوانها وبينما هو فى بعض تلك الخدم اذ برز أمر سلطان الامم راقم طراز العدالة على حلل البلاد ومن هو مقصود لكل موجود ومراد بعمارة الحرم المحترم الامين فعين لخدمة الكتابة اذ كان من الكرام الكاتبين يا من يرى حرما يسرى الى حرم فجاور حرم الله وخفض عيشه على الجوار وراعى حق الخدمة حتى كأنه لبيت الله عبد الدار وانضم بعد ذلك الى بعض الخدام بالديوان السلطانى لا زال مطلعا الشموس الامانى ثم لما أصبحت مغنيسا لذكاء الدولة المحمدية مشرقا وفلكها ببدر كمال ذاته مشرقا تقلد عقد مناصب تلك الدولة حتى صار لالا ولم يقل أحدا قوله لا لا ورقاه لما فيه من الاستعداد كترقى مراتب الاعداد فسلك طريق العداله ولم يدرك أحد فى كماله كماله وهذا من أقوى الداعيات له على التقديم وأعظم الباعثات لتخطيه كل حديث وقديم وحين نسخ نور محمد أحكام من قبله وحل ذكاء دولته من فلك السلطنة محله ولمعت فى اسرتها أنوار أسرته واستنار العالم بشمس جبهته قلده صارم الوزاره وتوجه بتاج الصداره ثم نقله الى الوزارة العظمى وأنشد لسان الحال حين أصبحت أفعاله أسما

(ذى المعالى فليعل من قد تعالى ... هكذا هكذا والا فلالا)

وما كان شمس العصر الاصيل ولع قصر وقته بظل عدله الظليل قصرت دولته مع ذلك القصر وما خالط الصفو فيها كدر بل صحب بتدبيره مزاج العباد وجمع بعدله بين الاضداد كالخد يجمع بين الماء واللهب فلو دام مدة فى رياض الوزاره لاتخذ العصفور من مخالب البزاة أو كاره ولولا ما فى فم الاسد من البخر لما تباعد عنه الغزال ونفر بل اتخذ حضنه كناسه وحصنه لكن أسرع الدهر بغدره ورد." (١)

"وقد تطفل المحب بهذه العجالة على جنابه، فليغض عليه طرف حلمه، وليجر في الترسل على سننه ورسمه.

السيد أحمد بن علي الصفوري حسيب طرز كم الأحساب، ونسيب باهت بنسبته الأنساب.

محله سر المطلوب، وقرارة محبته حبة القلوب.

من سراة أنوفهم شم، ووجوههم غر، وعزتهم قعساء، ونسبهم حر.

لهم القدر الأغلى، وشرفهم الشرف الأعلى.

وهو ممن تأثل مجده في بحبوحة ذلك الشرف، وتبوأ من السيادة أسنى الغرف.

مرتوية أفياؤه بماء النبوة، متأرجة أرجاؤه بعبير **الفتوة**.

مع مهارة في العلوم، ومحاضرة مستفزة للحلوم.

وأخلاق صقلها الكرم الوضاح، وطبيعة شغف بها الكمال الفضاح.

وله أدب تردى بالبراعة وتوشح، وشعر استعد للقبول التام وترشح.

---

(١) خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر المحبي ٢٨٣/٤

فمنه قوله:

أيا رب قد مكنت في القلوب حبه ... وحكمته في الصب بالقول والفعل

وألهمته الإعراض عني ولم تدع ... لقلبي صبرا عنه في الهجر والوصل

فألهمه إحسانا إلي فليس لي ... سوى لطفك المعهود إن لم تكن تسلي

وإلا فسو الحب بيني وبينه ... فإنك يا مولاي توصف بالعدل

وهذا أسلوب لطيف، وهو نقل أسلوب من الكلام إلى آخر تظرفا، كاستعماله في الغزل ما عهد وروده في الدعاء والمناجاة.

كقول صدر الدين بن الوكيل:

يا رب جفني قد جفاه هجوعه ... والوجد يعصي مهجتي ويطيعه

يا رب قلبي قد تصدع بالهوى ... فإلى متى هذا البعاد يروعه

يا رب بدر الحي غاب عن الحمى ... فمتى أراه وفي القباب طلوعه

يا رب في الأظعان سار فؤاده ... يا ليته لو كان سار جميعه

يا رب لا أدع البكا في حبهم ... من بعدهم جهد المقل دموعه

يا رب عذب في الهوى من ساءني ... بمقاله أحلى الهوى ممنوعه

يا رب هذا بينه وبعاده ... فمتى يكون إيابه ورجوعه

ومثله استعمال الغزل على طراز الأوامر السلطانية، كقول الشاب الظريف:

أعز الله أنصار العيون ... وخلد ملك هاتيك الجفون

وأسبغ ظل ذاك الشعر يوما ... على قد به هيف الغصون

وللسيد أحمد، كما رأيته بخطه:

إذا أنت لم تقرب يناجيك خاطري ... وإن تدن مني فالجوارح أعين

لأنك مطلوبي على كل حالة ... وإن أك مختارا فرؤياك أحسن

ورأى حكمة تؤثر عن الإمام محمد بن الحنفية، وهي: ليس بحكيم من لم يعاشر بالمعروف من لم يجد من معاشرته بدا، حتى يجعل الله له فرجا، ومن الضيق مخرجا.

فنظمها في قوله:

إذا أنت لم تقدر على ترك عشرة ... لذي شوكة فانصح وعامله بالرفق

ولا تضجرن من ضيق ما قد لقيته ... عسى فرج يأتيك من خالق الخلق

وكتب إلى صديق له يعتذر عن وعد لم يوفه:

أيا من فضله والجود سارا ... مسير النيرين بلا معارض

وعدتك سيدي والوعد دين ... ولكن ما سلمت من العوارض

السيد محمد بن علي، المعروف بالقدسي فرع من شجرة طيبة المنابت، ثبت أصلها وزاحمت أغصانها الثوابت، تسامت بنسبة

النبوة معاليها، واخضرت بماء الرسالة أعاليها.
فكأنما كسيت من سندس الجنات، فشفت عنها مرآة الزمان بأحسن الحسنات.
وهذا السيد وإن قاربت رحلته من السنين المائة، فذكره مخلد في ألسنة الجيل بعد الجيل والفئة بعد الفئة.
تتحاسد على رقة طبعه الطباع، كما تتحاسد على رباعه المقدسة الرباع.
فروض فضله ممرع خصيب، وله في الأدب الغض أوفى حظ ونصيب.
إلا أنه في آخره غلبت عليه سوداؤه، فبلغ من نفسه ما كان يتوقع أن يبلغه أعداؤه.
فمن شعره، قوله في هجاء الشمس بن المنقار، لما تعصب على الداودي، ومنعه التحديث:
منعت ابن داود الحديث بجلق ... وما مثله في الشام والله من قار." (١)
"فعلى كل حال هو إنسان، كله إحسان، وكل عضو في مدحه لسان.
به **الفتوة** يسهل صعبها، ويلتئم شعبها.
وهو في صدق وفائه، ليس أحد من أكفائه.
وقد اتحدت به من منذ عرفت الاتحاد، فما رأيته مال عن طريق المودة ولا حاد.
وله علي حق مشيخة أنا من بحرها أغترف، وبألطافها الدائمة أعترف.
وكثيرا ما أرد ورده، وأقتطف ريحانه وورده.
فأنتشق رائحة الجنان، وأتعشق رائحة الجنان.
بمحاضرة تهز المعاطف اهتزاز الغصون، ورونق لفظ لم يدع قيمة للدر المصون.
إذا شاهدته العيون تقر، وإذا ذوكرت به نوب الأيام تفر.
في زمن انفصمت من أعلامه تلك العقود، ولم يبق فيه إلا هو آخر العنقود.
فإن شئت قل: جعله الله خلفا عن سلف، وإن أردت قل: أبقاه الله عوضا عن تلف.
فمما أخذته عنه من شعره الذي قاله في عنفوانه، وجاء به كسقيط الطل على ورد الروض وأقحوانه. قوله من قصيدة:
بأبي من مهجتي جرحا ... وإليه الشوق ما برحا
دأبه حربي وسفك دمي ... ليته بالسلم لو سمحا
غصن بان مثمر قمرا ... يتهادى قده مرحا
مذ تثنى غصن قامته ... عندليب الوجد قد صدحا
أي خمر أدار ناظره ... ما سقى عقلا فمنه صحا
إن رآني باكيا حزنا ... ظل عجبا ضاحكا فرحا
إن يكن حزني يسر به ... فأنا أهوى به البرحا

---

(١) نفحة الريحانة ورشحة طلاء الحانة المحبي ٨٩/١

وعذولي جاء ينصحني ... قلت يا من لامني ولحا

ضل عقلي والفؤاد معا ... ليس لي وعي لمن نصحا

جد وجدي عادم جلدي ... غاض صبري والهوى طفحا

لم يزل طرفي يسح دما ... إذ به طير الكرى ذبحا

هذا معنى متداول، منه قول الشهاب الخفاجي:

ولو لم يكن ذابحا للكرى ... لما سال من مقلتي النجيع

آه واشوقاه مت أسى ... هل دنو للذي نزحا

إن شدت ورقاء في فنن ... شدوها زند الجوى قدحا

وإذا ما شام طرف الش ... ام طرفي للدما سفحا

يا سقى وادي دمشق حيا ... طاب مغتبقا ومصطبحا

وكتبت إليه من مصر: سيدي الذي له دعائي وثنائي، وإلى نحوه انعطافي وانثنائي.

لا عدمت الآمال توجهها إليه، وكما أتم الله النعمة به فأتمها عليه.

أنهي إليه دعاء يتباهى به يراع ومهرق، وثناء يجعل طيبه فوق سالف ومفرق.

متمسكا من الود بحبل وثيق، ومن العهد بما يتعطر بها النشر الفتيق.

ومتذكرا عيشا استجليت سناه، واستحليت ثناه.

وإني أتلهب على طول نواه، وحر جواه.

وقد وسمت بإقبالك أيامي الغفل، وفتحت بمذاكرتك عن خزانة قلبي القفل.

إلى أن صرف الدهر بحدثانه، وحكم على ما هو شأنه بعدوانه.

وأعاد علي العين أثرا، والخبر خبرا.

واللقاء توهما، والمناسمة توسما.

فتذكري لأيامك التي لم أنس عهدها، تركني لا أنتفع بأيام الناس بعدها.

وإني لا أرتاح إلا بذكر فضائلك، ولا أستأنس إلا بكرم شمائلك.

أمزج بها الضحايا فتتبسم، وأستدعي بها صبا القبول فتتنسم.

ولولا اشتعال النار في جذوة الغضا ... لما كان يدري المرء ما نفحة الند

وأما الأشواق فإن القلب مستقرها ومستودعها، ومحلها ومجتمعها.

وهو عند مولاي فليسأل به خبيرا، وأما الأثنية فإنها على ألسنة الركبان فلينشر بها حبيرا.

وإلى مثلك يتقرب بإخلاص الوداد، ومن فضلك تجتنى ثمرة حسن الاعتقاد.

فسلامي على هاتيك الشمائل، سلام الندى على ورق الخمائل.

وتحيتي لتلك الحضرة، تحية النسيم للماء والخضرة.

وأما دمشق فشوقي إليها شوق البلبل إلى الورد، وامرؤ القيس إلى الأبلق الفرد.

وأنا مهد تسليماتي إلى كل يابس من دوحها وأخضر، ومتبرج من ثمراتها في قباء رواء أنضر.

وأشتاق عهدها والعمر ربيع نضر، والروض جر عليه ذيله الخضر:." (١)

"في جنح ليلاتهم أذكارهم ... تعرفها بلابل الأسحار

كم دعوة في المحل أضحت لهم ... تفري جفون السحب باستعبار

فارقتهم لاعن رضى وإنما ... عنان عزمي في يد الأقدار

نشوان خمر السهد طرفي نومه ... أغرقه البكاء في تيار

وما بكائي غير رش أدمع ... يوقظ من نومته اصطباري

لعل من لطف الإله مددا ... يوصلني بهم إلى دياري

فأكسب الفوز بفضل قربهم ... فربما يجر بالجوار

لا زال ريحان تحياتي لهم ... يرف في روض الثنا المعطار

واللطف ما زال يحيي أرضهم ... تحية النسيم للأزهار

وهذه فصول جعلتها لشعراء خطة الشام من وجوه قطانها، المنيخين في أعطانها، المقيمين بأوطانها.

ابتدأت منها بأهل المسجد الأقصى، وانتهيت إلى أهل حماة على الوجه المستقصى.

فصل

في شعراء القدس التي كانت قبلة القبل، وروضة الشرف التي أنبتت غصون الكرامة مثمرة بالقبل وناهيك بتربة عجنت بماء الوحي، وتوفر لقصدها الوخد والوخى.

وأهلها أصحاب الذوات القدسية، والبلاغة القسية.

والآراء السديدة، والنفوس الشديدة.

عصابة في رءوس المجد إن ذكروا ... يفوح مسك ثناء البدو والحضر

ليت المكارم لم تعشق شمائلهم ... فللكمال رقيب عائن النظر

فمن مشاهير بيوتها: بيت العلمي سلسلته لا يستقل بذكرها قلم، ولا يقطع علم من وصفها إلا ويبدو علم.

ما منهم إلا من شد مئزره للأمر، وروى ظمأ الآمال بنائله الغمر.

عف الإزار، خفيف من الأوزار.

ازدادت به قبيله وعشيره، وظهرت فيه مخائل الرشد وتباشيره.

وأشهرهم:

---

(١) نفحة الريحانة ورشحة طلاء الحانة المحبي ١٥٥/١

محمد بن عمر الصوفي

إن كان أسرته بين الورى علما ... فإنه علم في ذلك العلم

ملك التصرف في التصوف، وأبدع التفرع في التعرف.

وطريقته في القوم، مبرأة من المحذور واللوم.

تحلى في إماطة الشبه بالاتقاء، وترقى في ذروة المعارف حد الارتقاء.

وهو على ودائع الأسرار مأمون ثقة، والقلوب كلها على جلالته متفقة.

ففمه قفل إجابة، ويده مفتاح إجابة.

وكلماته تدل على تمكنه في علم الأخيار، وتعرف أن نظره بمرآه الخيال مجلاة من غبار الأغيار.

ولم يبلغني من شعره إلا تائية ابن حبيب، ومطلعها:

بسم الإله ابتدائي في مهماتي ... فذاك حصني في كل الملمات

بيت أبي اللطف ثنية العلم والفتوة، وهضبة الحلم والمروة.

ما منهم إلا من حذا برياسة، وتروى من نفاسة وكياسة.

وأضاء بدرا وشمسا، وأفاض عشرا وخمسا:

ألطافهم لا تزال سابغة ... سائغة حجبت عن الرنق

تطيب آثارهم لأنهم ... من طيب العود طيب الورق

وأقربهم عهدا:

على بن جار الله

أحد أمجادهم، ومتقاد نجادهم.

فاتهم فضلا وكرما، وأضحى لزوار المكارم مناخا وحرما.

لا يرتجع وفد الآمال عن ساحته، ولا يزول لقب الندى عن راحته.

وهو رئيس الحرم ومفتيه، وملتمس الفضل ومؤتيه.

وله القدر العلي، والفضل الجلي، وكلماته على صدور الغانيات من الحلي.

إلا أنه فسيح مدى الافتنان، ممدود حبال الامتنان.

لم يزل في شعاب الفتاك يتوغل، وفي طريق الانتهاك يتغلغل.

وطفر آخرا طفرة النظام، فتفرقت آراؤه في أمور أعيت على الانتظام.

وكان أمير غزة ابن رضوان ممن كثرت عليه عيونه، وساءت فيه ظنونه.

فاحتال عليه، في استدناه إليه.

حتى إذا حصل على تلك الأغراض، فتك فيه على غرة فتكة البراض.
وذهب كأمس الذاهب، والدهر هكذا واهب ناهب.
فالله يسهم له مع أهل الثواب، ويلهمه عند السؤال الجواب.
وقد أثبت له من أشعاره ما تود الشمس سناه، والنسيم اللدن رقة معناه.
فمنه قوله، من قصيدة مطلعها:." (١)

"والخال مركز دور للعذار بدا ... أم ذاك نضح عثار الخط بالقلم
أم حبة وضعت كيما تصيد بها ... حب القلوب فصادت كل ملتثم
أم الفراش هوى طير الفؤاد على ... نار بخدك حتى صار كالفحم
قوله: والخال، البيت، من قول الراميني الإسترابادي:
هل نضحت أقلام خط العذار ... في مشقها فالخال نضح العثار
أم استدار الخد لما غدت ... نقطته مركز ذاك المدار
قوله: أم حبة، هذا كثير، وقد تقدم في ترجمة السفرجلاني.
وقوله: أم الفراش، هذا من قول عون الدين العجمي، وفيه زيادة:
لهيب الخد حين بدا لعيني ... هوى قلبي عليه كالفراش
فأحرقه فصار عليه خالا ... وها أثر الدخان على الحواشي
وله يرثي والده، وقد توفي بالمصلى من قرى البحرين، لثمان خلون من شهر ربيع الأول، سنة أربع وثمانين وتسعمائة، عن ست وستين سنة وشهرين وسبعة أيام:
قف بالطلول وسلها أين سلماها ... ورو من جرع الأجفان جرعاها
وردد الطرف في أطراف ساحتها ... وأرج الوصل من أرواح أرجاها
فإن يفتك من الأطلال مخبرها ... فلا يفوتنك مرآها ورياها
ربوع فضل يضاهي التبر تربتها ... ودار أنس يحاكي الدر حصباها
عدا على جيرة حلوا بساحتها ... صرف الزمان فأبلاهم وأبلاها
بدورتم غمام الموت جللها ... شموس فضل سحاب الترب غشاها
فالمجد يبكي عليها جازعا أسفا ... والدين يندبها والفضل ينعاها
يا حبذا أزمن في ظلهم سلفت ... ما كان أقصرها عمرا وأحلاها
أوقات أنس قضيناها فما ذكرت ... إلا وقطع قلب الصب ذكراها
باجيرة هجروا واستوطنوا هجرا ... واها لقلب المعنى بعدكم واها

---

(١) نفحة الريحانة ورشحة طلاء الحانة المحبي ٢٠٩/١

رعيا لليلات وصل بالحمى سلفت ... سقيا لأيامنا بالخيف سقياها

لفقدكم شق جيب المجد وانصدعت ... أركانه وبكم ما كان أقواها

وخر من شامخات العلم أرفعها ... وانهد من باذخات الفضل أرساها

يا ثاويا بالمصلى من قرى هجر ... كسيت من حلل الرضوان أضفاها

أقمت يا بحر بالبحرين فاجتمعت ... ثلاثة كن أمثالا وأشباها

ثلاثة أنت أندها وأغزرها ... جودا وأعذبها طعما وأضفاها

حويت من درر العلياء ما حويا ... لكن درك أعلاها وأغلاها

يا أعظما وطئت هام السها شرفا ... سقاك من ديم الوسمى أسماها

ويا ضريحا علا فوق السماك علا ... عليك من صلوات الله أزكاها

فيك انطوى من شموس الفضل أضوءها ... ومن معالم دين الله أسناها

ومن شوامخ أطواد الفتوة أر ... ساها وأرفعها قدرا وأبهاها

فاسحب على الفلك الأعلى ذيول علا ... فقد حويت من العلياء علياها

عليك منا صلاة الله ما صدحت ... على غصون أراك الدوح ورقاها

ومن مقطعاته قوله:

لعينيك فضل كثير على ... وذاك لأني يا قاتلي

تعلمت من سحرها فعقدت ... لسان الرقيب مع العاذل

وكتب من قزوين إلى والده، وهو بالهراة:

بقزوين جسمي وروحي ثوت ... بأرض الهراة وسكانها." (١)

"السيد حسين النبهاني

أديب بشرطه، الموجب لخموله وحطه.

فما نقص من حظه، زيد في حظه.

سروجي المذهب، ذاهب في التلون كل مذهب.

لا يهبط بلدا إلا أبدى أعجوبة محجوبة، وبنى دسته على حيلة منصوبة، وجدة مغصوبة.

ثم يفارقه مفارقة لبد، ويقول: " لا أقسم بهذا البلد ".

وقد رأيته بالروم وجهه أغبر، وهمه من وعائه أكبر.

يظهر كل يوم في نمط، وحيثما سقط لقط.

وعاشر ممن أعرف فرقة رفقة، أداه خلل حاله معهم إلى فرقة وحرقة.

---

(١) نفحة الريحانة ورشحة طلاء الحانة المحبي ١/٢٢٧

وتلاعبت به الظنون في ذلك الفريق، تلاعب موج البحر المهتاج بالغريق.

وبقي أنقى من الراحة، شاكيا بلسان كمده مغداه ومراحه.

وفارقته وهو منغمر في تلك الأوحال، وتبريحه ما برح وحاله ما حال.

ثم بلغني أنه انتعش، فكانت نعشته النعشة الأخيرة، وأدركه أجله الذي نفى الحكيم تقديمه وتأخيره.

وهو بارع في النظام والنثار، إلا أنه يرمى في شعره بالإكثار.

ولكون الكثير مملول الطباع، لم أذكر منه إلا نزرا سهل الانطباع.

فمنه قوله، من قصيدة في المدح:

العلم والحلم والمعروف والجود ... وكل وصف حميد فيك موجود

حويت ذلك إرثا عن أب فأب ... كأنكم في رياض المجد عنقود

يا من بسؤدده أعداؤه شهدت ... وكيف لا وهو مشهور ومشهود

ففي العطا تغرق الدنيا بأجمعها ... وفي السطا تتوقاك الصناديد

حاشاك تحرم عبدا مات من ظمأ ... ومنهل الجود من كفيك مورود

لا سيما أن لي حق الجوار ولي ... في كل آن بمدحي فيك تغريد

وما تقادم عهدي في الدعا لكم ... إلا ويعقبه في الحال تجريد

ولم يجاور كريما قط ذو أمل ... إلا غدا وهو من نعماه محسود

لكن حالي لم يعلم بها أحد ... إذ لا يحيط بها رسم وتحديد

وأنشدني نادرة الوقت المولى عارف للنبهاني، يمدحه:

أنا في التباعد والدنو ... أرجو لمولانا العلو

أبدا تراني رافعا ... كفي إلى رب عفو

أدعوه في سر وجه ... ر أن يديمك في السمو

فيما يسر به الصدي ... ق وما يساء به العدو

يا عارفا هو للمعا ... رف بالعشي وبالغدو

بل للفضائل والفوا ... ضل والفتوة والمرو

من دأبه بث المكا ... رم والحفيظة والحنو

من سيفه ثكل العدا ... ة وسيبه حور وحو

وبذكره طاب المدي ... ح أما تراه في زهو

مولاي يا من فضله ... ما إن رأيت له كفو

هذي العجالة قد أتت ... ك تعوذ من طرف السلو

وتميس في حلل الفصا ... حة بالملاحة والدنو

نطقت بما يحوى الحشا ... لا بالتقول والغلو

وهي التي لو رامها ... قس رمته بالنبو

اسلم ودم تسمو على ... شم الذرى أسمى السمو

القاضي ناصر الدين الحلفاوي

حليف أدب وأرب، وأليف جذل وطرب.

ورونق روض ناضر، وتحفه جواب حاضر.

وقد طالت في الفضل باعه، وأشربت حب الأدب طباعه.

فذهب في مجاله عرضا وطولا، وأصبح فيه وهو صاحب يد طولى.

ترد أربابه عليه، ويرجعون في دعاويهم إليه.

فتعرب براعته عن فصل خطاب، وتسفر حكومته عن ثناء مستطاب.

وهو خالص من الشوب، طاهر العرض والثوب.

نقي الشيبة، ممتزج المباسطة بالهيبة.

توفي عن سن عالية، وحالته بالرفاهية حالية.

وقد أثبت من شعره ما سهل مساقه، وأحكم في الصنعة اتساقه.

فمنه قوله من سلسلة أولها:

يا معتدل القد هو لوعدك إنجاز ... أو طيف خيال يلم نحوي إن جاز." (١)

"ادعو أن خصره في انتحال ... فلذا بان قده الممشوق

وأقاموا الدليل ردفا ثقيلا ... قلت مهلا دليلكم مطروق

وممن منشآته قوله من رسالة: يقبل الأرض معترفا برق العبودية قربا وبعدا، ومقرا بأن فراق تلك الحضرة الزاكية لم يبق له على مقاومة التصبر جهدا.

ارتكب مجاز التصبر ليفوز بحقيقة الاصطبار، واستعار لقلبه جناح الشوق فهو هو يود لو أنه نحوكم قد طار.

عجل عليه البين بدنو حينه، وسبك في بودقة خدوده خالص إبريز دمعة عينه.

وقطر بتصعيد أنفاسه لجين دموعه، ونفى بتأوهه وأنينه طير هجوعه.

بين أيادي من حلاه الله بأشرف المناقب، ورفع رتبته العلية على أعلى المراتب.

ونصب له لواء المجد، وخفض له جناح السعد.

---

(١) نفحة الريحانة ورشحة طلاء الحانة المحبي ٣١٨/١

المجزوم بأنه أوحد العصر والأوان، والمحكوم بقصر الفضل عليه من غير احتياج إلى حجة وبرهان.
من فتح لأبناء دهره أبواب التحقيق، وفاق أقرانه بحسن التنقيح والتدقيق.
وحل من مشكلات العلوم ما أعجز كل نحرير، وأبرز غواضم الدقائق على أطراف الثمام بأحسن تقرير.
فهو المسند إليه في باب العلم، والمشار إليه بأنه إمام الحلم.
وله من رسالة أخرى: انفتح له في فضل تصريف الأيام أبواب المزيد، وتسلطت عل أصوله أيدي العلل فعاين العذاب الشديد.
فحاله رق له أولو التمييز، ومتى ارتفعت زفراته بعامل التجني من يوسف الملاحة نادى أيها العزيز.
تناوب في إهلاكه ماضي طرفه وسمهري قده فقرأت باب تنازع العاملين، وتمادى موصول جفاه فأرسل سحاب الناظرين.
وأوقع الفؤاد في عروض الأسقام، وآذن بتقطيع الأوصال بسيوف الغرام.

محمد بن حسن الكواكبي
عنوان كتاب العلى، يكتب آخرا ويقرأ اولا.
له يفرض الشكر ويحتم، وبه يبدأ الذكر ويختم.
فلهذه ختمت به باب أولى **الفتوة** والبسالة، كما ختمت بمحمد صلى الله عليه وسلم باب النبوة والرسالة.
فإنه من خلص نحلته، القائم بتأييد ملته.
ومن تقدمه بالنسبة إليه، كلهم في الفقه عيال عليه.
فهم مقدمات لشكل الفضل الأول، وهي النتيجة التي عليها في القياس المعول.
فقد يتأخر الهاطل عن الرعد، والنائل عن الوعد.
ومراتب الأعداد، تترقى بتأخير رقمها وتزداد.
وتجيء فذلكة الحساب أخيرة ... لتكون جامعة العديد الأوفر
ولا غرو فالكبير تتقدمه المواكب، والشمس بطلوعها تغيب الكواكب.
فهو النير الأعظم، وعصماء عقد النفاسة المنظم.
مزاياه تستغرق الألفاظ من النثير والنظيم، والذي قسم الحظوظ بين الناس حباه بالخلق العظيم.
وقد متعه الله بحوالسه وأعضائه، وأمته بني الدنيا بإيناسه وإغضائه.
فاقتعد الرتبة التي أرته إلى الفلك صاعدا، وصحب الهمة التي صيرته يتناول الكواكب قاعدا.
وأنا إذا أردت وصفه الذي بهر، وبدا كالصبح إذا اشتهر.
قلت في شأنه الباهر، ومحله الزاهي الزاهر:
ليت الكواكب تدنو لي فأنظمها ... عقود مدح فلا أرضى له كلمي
وله من النظم الذي أبدعه فكره، واكسب صحائف الأيام فخر الأبد ذكره ما يسمو إلى الأسماع سمو حباب الماء، ويعمل

في القلوب عمل الأفعال في الأسماء.

فمنه قوله مضمنا بيتي المرسي:

حتى م في ليل الهمو ... م زناد فكرك تقتدح

قلب تحرق بالأسى ... ودموع عين تنسفح

ارفق بنفسك واعتصم ... بحمى المهيمن تنشرح

اضرع له إن ضاق عن ... ك خناق حالك تنفسح

ما أم ساحة جوده ... ذو محنة إلا منح

أو جاءه ذو المعضلا ... ت بمغلق إلا فتح

فدع السوى وانهج على الن ... هج القويم المتضح

واسمع مقالة ناصح ... إن كنت ممن ينتصح

ما تم إلا ما يري ... د فدع مرادك واطرح

واترك وساوسك التي ... شغلت فؤادك تسترح

وله في الغزل:." (١)

"ويرى سفك دم العشاق فرضا ... في هواه أو يموتون غراما

زارني وهنا ولا أعرف لي ... منه ميعادا فأدركت المراما

جاء في حلة من سندس ... ثمل الأعطاف سكرا يترامى

فاعترتني دهشة من حسنه ... حين أرخى لي عن الوجه اللثاما

منها:

ليلة كانت كإبهام القطا ... أو كرجع الطرف قصرا وانصراما

حيث كان العيش غضا والصبا ... مجمع اللذات والدهر غلاما

يا حماما ناح في أيكته ... صادحا ما كنت لي إلا حماما

تندب الإلف ولا تذري دما ... ودموعي تشبه الغيث انسجاما

السيد علوي بن إسماعيل من خلص الأسرة العلوية، الضاربين خيامهم في المنازل العلوية.

له في هجر ذكر لم يعرف الهجر، وفضائل توضحت مثلما توضح الفجر.

أطلعته السيادة من شرقها، فوضعته تاجا فوق فرقها.

وهو في الكمال مخلوق على أحسن فطرة، والبحران عنده لا يتجاوزان قطرة.

وقد رأيت له في النسيب ثلاثة عشر بيتا، تحيي الطرب إذا كان ميتا.

---

(١) نفحة الريحانة ورشحة طلاء الحانة المحبي ٣٣١/١

فأثبتها وأنا مستطار فرحا، وأهز عطفي بحسن انسجامها مرحا.
وهي قوله:
بنفسي أفدي وقل الفدا ... غزالا بوادي النقا أغيدا
مليحا إذا فض عن وجهه ... نقاب الحيا خلت بدرا بدا
غزالا ولكن إذا ما نصب ... شراكا لأصطاده استأسدا
سقيم اللواحظ مكحولها ... ولم يعرف الميل والإثمدا
رشيق القوام إذا هزه ... رأيت الغصون له سجدا
له ريقة طعمها سكر ... يجلي الصدا ويروي الصدى
ولحظ كعضب ولكنه ... يشق القلوب وما جردا
تفرد بالحسن دون الملا ... فسبحان مولى له أفردا
نأى بعد فهو لغيري ولي ... قريب المزار بعيد المدى
رعى الله أيامنا الماضيات ... وعيش الفتاء به أرغدا
وصب على ترب تلك الربوع ... مثعنجرا مبرقا مرعدا
إلى حيث أخفت صروف الزمان ... وشمل الوصال بها بددا
وأضحت قفارا وليس بهن ... من ذلك الجمع إلا الصدى
إذا قلت أين حبيبي غدا ... يجيب بأين حبيبي غدا
السيد محمد بن عبد الحسين بن إبراهيم بن أبي شبابة جمال هذا البيت وجملة مفاخره، وفذلكة حسابه المنوطة به أحساب أوائله وأواخره.
تكونت بالبحرين جوهرة ذاته، وبها كانت أوطانه وأوطار لذاته.
ولما حلت بيد الشباب تمائمه، وصدحت في أفنان الفتوة حمائمه.
تنقل في البلاد فأحرز الطارف من الكمال والتلاد.
كما تنقل الدر من البحر، فعلا على التاج والنحر.
ثم أقام آخرا بأصبهان، وبها انتقل من دار العياء والامتهان.
فمن شعره قوله، من قصيدة يمدح بها النظام ابن معصوم، وهو بالهند.
ومطلعهام:
أرى علما ما زال يخفق بالنصر ... به فوق أوج المجد تعلو يد الفخر
مضى العمر لا دنيا بلغت بها المنى ... ولا عملا أرجو به الفوز في الحشر
ولا كسب علم في القيامة شافع ... ولا ظفرت كفي بمغن من الوفر

وأصبحت بعد الدرس في الهند تاجرا ... وإن لم أفز منها بفائدة التجر

طويت دواوين الفضائل والتقى ... وصرت إلى طي الأماني والنشر

وسودت بالأوزار بيض صحائفي ... وبيضت سود الشعر في طلب الصفر

وبعت نفيس الدين والعمر صفقة ... فيا ليت شعري ما الذي بهما أشري." (١)

"ذاك شمس الفضل المستوي على عرش الكمال، وقمر الفخر السابح في بحر السؤدد والفعال.

مركز السماحة والحماسة، وقدوة الملوك الساسة.

فتى من طينة المجد ... وما السؤدد بالعد

جواهر مجده انتظمت ... نظام جواهر العقد

كريم عزف رياه ... يفوح بنفحة الند

مساعيه مشنفة ... يواقيت من المجد

فمن حيي بعشرته ... غدا بالكوكب السعد

ذكره أطيب من نفس الحبيب، وروحه أخف من تغيب الرقيب.

ومفاكهته أشهى من رشف الثغر الشنيب، وأخلاقه أوسع من الفناء الرحيب.

رحيب فناء الصدر ليس بضيق ... ولا حرج لكن يعيد كما يبدي

ففيه مجال للتواضع والعلى ... وفيه نصيب للفكاهة والجد

نور العترة وفخرها، وملاك الأمة وسرها، وسيد الأسرة بأسرها ابن بجدتها، وأبو عذرتها.

الطب اللب، السري الندب، الواضع الهناء مواضع النقب.

الندس المهذب، الحول القلب.

عذيقها المرجب، وحجرها المأوب.

جنة الدهر، ودرة تقصاره الفخر.

الرحلة، العلامة، الشهير.

مصباح زيت النبوة، وسيد أرباب **الفتوة**.

فحسبه صميم، ونسبه كريم.

وآباؤه أهلة المحامد، وأقمار المشاهد، وشجا فؤاد الحاسد.

فهم المجلون في حلبة العليا، والفائزون بالفذ والتوأم من أزلام الدين والدنيا، والمحلقون في فضاء العز غاية القصوى.

قوم غذتهم لبان العز والكرم ... مشوبة بسهاد الحكم والحكم

بيض بهاليل يستسقى الغمام بهم ... في المحل إن ضن يوما هاطل الديم

---

(١) نفحة الريحانة ورشحة طلاء الحانة المحبي ٣٧٨/١

تبوءوا بيت مجد من يلوذ به ... فإنه من صروف الدهر في حرم
لا يدفع الخطب يوما بحر ساحته ... ولا يمر لديه غير مبتسم
ولا يدير إليه عين حادثة ... ولا يمد عليه كف مهتضم
أسد إذا لمعت في جنح معترك ... سيوفها أمطرتها من عبيط دم
مدرعون دلاصا من شجاعتهم ... مقلدون بأسياف من الهمم
قد ألبسوا في دروع الفخر أردية ... تحيرها كرم الأخلاق والشيم
كادت تخر نجوم الأفق ساجدة ... لهم وقد طلعوا من مشرق الكرم
يفوح عرف المعالي إن ذكرتهم ... ويعبق الأفق مسكا من حديث فم
أولئك أرومة سيد الأسرة، وجرثومة سرة السرة، من علماء العترة.
غرة أبناء البطين، وناظورة أهل بيت الأمين، محيي الدين، المفضل عبد الله بن أمير المؤمنين، شرف الدين، بن شمس الدين، بن أمير المؤمنين المهدي لدين الله، رضوان الله تعالى عليهم أجمعين.
سلسلة من ذهب ... منوطة بالشهب
ونسبة ترددت ... بين وصي ونبي
سبحان من قدسها ... عن سيئات النسب
لا برح نسبه تميمة في أجياد الحسب، ولا انفك حسبه عقدا في لبات المكارم والأدب.
وأدبه حلية لعاطل الأدب، وجمالا لشرف الأسماء والنسب.
ولا برحت أردية العلياء محبرة بمساعيه، وربطة الفضل معلمة بأياديه، وركاب الفضائل والفواضل معكوفة بناديه.
ولا فتىء عاكفا تحت سرادق الكرم، واقفا في رواق من حسن الشمائل والشيم تخفق عليه أعلام العلم، وتنشر أمامه ألوية الحلم.
ما طلع نجم في برجه، ونجم طالع في مرجه.
دام في روضة النعيم تغني ... ه على أيكة الهنا أفراح
لا خلا من هلاله فلك المج ... د ولا غاب نجمه الوضاح
فلجيد العلياء منه عقود ... ولعطف الفخار منه وشاح
فلا أصابته عين الكمال، ولا سلب الدهر بفقده ثوب الجمال.
ولا برح كعبة للجود، وعصمة للمنجود، ونورا يلوح في أبناء الوجود.
أما بعد؛ فإنها لما فاحت نسمات الأشواق، ودارت على كئوسها دور الرفاق.." (١)

---

(١) نفحة الريحانة ورشحة طلاء الحانة المحبي ٤٠٢/١

"وأمضت أمرها المستقبل وأرادت السيوف أن تحاكيه مضاء فجاوز حدها، وأشرقت الأحرار بالإحسان فما منهم إلا من يقول لمن يدعيه بالحرية: لا تدعني إلا بيا عبدها.

فأبقى الله حماها الذي ما من خائف إلا هو له مأمن، وروض جنابها الذي عنعن عنه العنبري أحاديث ذكاء ضنت بصحتها عن أن.

وصفا باطنها بأنهارها، وحلى ظاهرها بأزهارها.

وملأ صحون ديارها المسكية الروائح من قطر الغوادي، ونسج لها من بيض خيوله حلة خضراء يقول كل ناظر إليها كأنما نسجت على مرادي:

فإنها أرض لمن لم يجد ... لعيبه عن منهج منهجا

ندب يعيد الفرض أن لا يرى ... بابا له عن مرتج مرتجا

وسيد أقامته المعالي والعوالي فلم يختلف في فضله اثنان، وهمام أضحى المشتري لرتبة رجحت من قبل أن يرصد الميزان.

ومولى صار نصيرا للخلافة فنعم المولى ونعم النصير، وصاحب أقلام حطم عوالي الأعداء بترسل قصيرها قبل أن تقول بيدي لا بيديك يا قصير.

وملك إذا صلت صوارمه لم يبق للعدى غير التسليم، أو أراد تكليم المعاندين بألسنة أسنة أذعنوا له قبل التكليم.

أو عقد ألويته حل بالمخالف الوبال والتلف، أو وجف بخيله وركابه على الأعداء قيل جرى القلم بهلاكهم وجف.

أو وصف لهم عزائمه وترسلاته ظنوا بأنهم عياله ألف صف من عزائمه وصف أو وكف جود كفه أقلع السحاب عن مجاراته وكف.

أو ملأ سمعنا أمالي لا قالي لها فهي المليحة المليحة، أو جادل طعن الخصم بعوالي أحاديثه الصحيحة.

أنى تجاريه فرسان العلوم ومن ... غباره في هواديهن ما نقضوا

فهو رب السيف والطيلسان، والقلم الذي يزداد إفصاحا كلما قطع منه اللسان.

واليد التي لا تهرع الناس إليها فيفوزون بالخمسة الأشباح، وتدعو الأنام لها بالبسط فكم ظفروا من أناملها بأياد تجل عن الإيضاح.

وتحتقر الثريا أن تكون لتقبيلها فما، وتعوذ أناملها الخمس بالسبع الطباق فما.

والنسب الذي هو كصدر الرمح إلا أنه لا مطعن فيه لجارح، ولا نقص في كمال بدره لمنتقص ولا عيب في زند شرفه القادح.

نسب تحسب العلى بحلاه ... قلدتها نجومها الجوزاء

ولم لا يكون نسبه النسب العزيز، والسلسلة المنوطة بالشهب المصوغة من الإبريز.

وهو من قوم عجنت طينتهم بماء الوحي والنبوة، ونبتت نبعتهم في حديقة الفضل **والفتوة**.

وترددوا ما بين الخلالة والإمارة اللتين لا يبلى على مر الجديدين شرفهما العظيم، وشهد بفضلهما الحديث النبوي والقرآن الكريم على رأي الأشعرية وما أجل من شهد بفضلهم الحديث والقديم.

أضاءت لهم أحسابهم ووجوههم ... دجى الليل حتى نظم الجزع ثاقبه
شقيق روض الفضل والعليا، ولو أنصفته لقلت ريحانته لأنه سمي الحسين أحد ريحانتي الرسول من الدنيا.
شرف الإسلام والمسلمين، الحسين بن عبد القادر بن الناصر بن عبد الرب بن علي بن شمس الدين بن أمير المؤمنين.
جمال ذا العصر كانوا في الحياة وهم ... بعد الممات جمال الكتب والسير
لا زال آخذا بآفاق سماء الفضائل والفواضل، فله أقمارها الطوالع ولغيره نجومها الأوافل.
ولا برح سيدا إذا علت رتبة أو جن دهر كان لهما أفضل راق، ونبيلا للقلوب وفاق، في أنه أفضل من ساد الأنام وفاق.
وإماما في العلوم تنبذ عند سماع حديثه العقيق، وهماما نظره في الأمور كالسيف السريجي في الدقة والاستواء وكالسراج في البريق.
منوطا عمره بيوم التناد، مفسحا في أيامه حتى لم يدر أهي أحاد أم سداس في أحاد.
وبعد بذل أدعية بلغت إلى الأفق الأعلى ورحبت فوقه مظهرا، ومضى سلاحهن في كل من استقبل الحال بأمر مكروه فأضحى مضمرا انكساره مظهرا.
إذا رفعت يوما لذي العرش خيمة ... لصدق ولائي فيك بين السرادق
اعتمادا على ما أخرجه مسلم، من حديث أبي الدرداء عن أم الدرداء: " دعوة الرجل لأخيه بظهر الغيب مستجابة، وملك فوق رأسه يقول: آمين آمين، ولك بمثل ".
وعلى ما ورد في الحديث الصحيح عن ابن عباس سيد الصحابة، في أن دعوة الرجل لأخيه بظهر الغيب أحد الدعوات الخمس المستجابة.." (١)

"بأبي الذي كتمت محبته ... مني الحشا فعليه ينضم
لا لا أصرح باسمه أبدا ... ويجل أن يجلى له وسم
وأقول يا نعم وآونة ... سلمى ولا نعم ولا سلم
يا عاذلي إن كنت ذا رشد ... آذان كل متيم صم
أقصر فما عذل بمتبع ... سيان فيه القل والجم
إن رمت تصديقي فلم رجلا ... في راحتيه يغرق اليم

وقوله، مضمنا:

ورب فتى في معبر قد تلاعبت ... به الريح في شرق المحل وغربه
إذا ذهبت ريح الشمال بسمعه ... وبالبصر الريح الجنوب وسلبه
يناديهما ريح الجنوب وقد مضت ... بما أسأراه من بقية لبه
بعيشكما لا تتركاه مروعا ... خذا من صبا نجد أمانا لقلبه

---

(١) نفحة الريحانة ورشحة طلاء الحانة المحبي ١/٤٥٥

وقوله، وفيه الإيداع:

وردة الخد نورت ... فاختشى قول هاتها

فحماها بجمرة ... لم أكن من جناتها

يريد قول الأول:

لم أكن من جناتها شهد الل ... ه وإني لحرها صالي

وله:

شاربه المخضر مذ لاح في ... محمر ياقوت له مستطاب

فحده بالقص لما غدا ... سكران من خمر الثنايا العذاب

وله في مليح، يأكل قاتا:

أشبه ثغره والقات فيه ... وقد ذهبت بفتنته القلوب

لآل قد نبتن على عقيق ... وبينهما زمردة تذوب

آخر الجزء الثالث، ويليه الجزء الرابع، وأوله: الباب السادس

في عجائب نبغاء الحجاز استدراك سقط أثناء الطبع في صفحة ٥٧٤ بعد قوله:

همت بها وأعجب الإبداع ... ذو طيلسان هام في قناع

قوله:

أفدي بقلب المستهام دلها ... من ذا على قتل النفوس دلها

الجزء الرابع

الباب السادس

في عجائب نبغاء الحجاز

هذا الباب ورب الكعبة، أعظم ما حوته الجعبة.

وهو باب واسع الأطناب، والإيجاز فيه أولى من الإطناب.

فإذا قل مدحي في أوصاف أهله نثيرا ونظيما، فإن فكري يمر بنعتهم فيقف له إجلالا وتعظيما.

فإن بسطت القول، مع هذه القوة والحول فعلى الصراط أحكم الأوصاف، وفي الميزان أتوفى الإنصاف.

وغاية ما أقول إذا وجهت إلى الكعبة مجدهم صلوات التقديس والتعظيم، وزينت معاطفها بدر ثناء أبهى من در العقد النظيم:

كفى شرفا قطرا به أهل مكة ... على جسد المجد الموثل راس

وما الناس إلا هم وليس سواهم ... إذا قال رب الناس يا أيها الناس

فأول من أبدأ به منهم آل البيت والمقام، ورؤساء النبعة التي تقرأ في صحائفهم فواتح الأرقام.

وهم الأشراف بنو حسن بن أبي نمى أصحاب النسب الواضح، ونخبة قريش الأباطح.

ورونق ضئضيء المجد وبحبوح الكرم، وسراة أسرة البلدة التي أكنافها حرم، وذؤابة الشرف التي مجاذبتها لم ترم.
مون الفضل المبر، الذين سقوا شجر الكرم بغيث البر.
أقول فيهم مقالة يحي بن معاذ: طينة عجنت بماء الوحي وغرست فيها أشجار النبوة، وسقيت بماء الرسالة **والفتوة**.
فهل يفوح منها إلا مسك الهدى، وعنبر التقى، وهل تثمر إلا ثمار الندى، وتهدل إلا الأغصان الشامخة المرتقى؟ شرف ضخم ونائل جزيل، وفخر شاهداه وحي وتنزيل.
يفتخر الزمان بوجودهم على ما مضى من الأزمنة وسلف، ويتوج الدهر بأيامهم الخضر رءوس سنية فيحصل لها بذلك غاية الشرف.
الشريف إدريس بن حسن سلطان الأكياس، ومن سيرته سيرة ابن سيد الناس.
رفعه الله مكانا عليا، وأغدق عليه عهاد المجد وسميا ووليا.
فأبوابه كعبة تطوف بها آمال العفاة، وتصلى بالقبل إلى أبوابها الشفاه.." (١)

"وسامح فمنديل القرار مقطع ... ورق لقلب لا يقر من العدم
ودم أبدا في نعمة ضدها لها ... يطأطيء رأسا في الرغام على الرغم
وكتب إلى القاضي أحمد بن عيسى المرشدي، يهنيه بزيارة النبي صلى الله عليه وسلم:
زيارة رفعتها للقبول يد ... وسفرة أسفرت في طيها مدد
يهنيك زورة خير الخلق في رجب ... يا من ربيع يديه دائما لبد
الله والشافع المختار قد نظرا ... إليك والركب إذ سايرته سعدوا
أخلصت لله في هذي الزيارة إذ ... شددت وجناء لا تشكو إذا تخد
وفزت في لثم أعتاب مقربة ... إليه قوم بها في زيهم حمدوا
نعم لكم ذمة منه بتسمية ... يهنى محمد من ذا الحمد ما يجد
قد سرت لله سير الصالحين إلى ... نبيه وعلى الألطاف تعتمد
قصدت سوح إمام الرسل سيدهم ... غوث العباد إذا في حشرهم جهدوا
ورمت من فضله فضلا تزيد به ... فضائلا هي في علياءك السند
طابت بطيبة أوقات الألى قصدوا ... تقبيل تربته والخير قد وجدوا
هبت عليهم نسيمات الرضا سحرا ... فزال عنهم لهيب القلب والكمد
زاروا جسوما وزرنا نحن أفئدة ... في سبسب الوجد والأشواق تطرد
بشراك يا زائر المختار لا برحت ... عليك منه مبرات سمت ترد
لا زلت تقصده ما سار زائره ... إليه في كل عام نجمه يقد

(١) نفحة الريحانة ورشحة طلاء الحانة المحبي ٢/٥

فأجابه بقوله:

أذي زهور رياض زانها النضد ... أم الدراري التي في أفقها تقد

أم ذي جواهر تيجان الملوك بلى ... جواهر التاج إذ قيست بها تأد

أم العقود أم المنظوم من كلم ... أعان نأظمه التأييد والمدد

أم ذي عرائس أفكار محجبة ... أماطت الستر عنها للأديب يد

يد طويلة باع في العلوم لها ... في كل ما يعجز الأفهام منتقد

كأنها حين وافتني على غرر ... أرى قتيل الهوى عذب اللمى الصرد

قد أذكرتني أياما حلت وخلت ... واغتال لذتنا في طيها الأبد

وافت تهني محبا لم يزل قلقا ... إلى لقائك صبا وهو مضطهد

وكان لما أتت أحرى بتهنية ... بها لما أطفأت من حر ما يجد

وقلت فيها وزرنا نحن أفئدة ... معرضا فانجلى ما جنه الخلد

فالحمد لله زار المصطفى الجسد ... مع الفؤاد وحق الأجر والرشد

هذا وأنت على العلات أجمعها ... لدى المحب لموموق ومعتمد

لأن كل اعتدال من سواك يرى ... يفوقه منك عندي ذلك الأود

عليك مني تحيات مضاعفة ... من المهيمن تترى مالها أمد

عفيف الدين بن عبد الله ابن حسين الثقفي هذا من أهل الطائف، أديب كثير اللطائف.

ثقفي مثقف قناة المجد، جرى إلى آماد الفتوة فبلغها بالجد والجد.

وقد أطرب بأناشيده من لم يكن يطرب، وأتى بما يسكر من سمعه وإن لم يكن يشرب.

بعبارة مستغنية عن التصنع، وبديهة لم تشب بخطر التمنع.

مصقولة بلا تطرية واسطة، مجلوة بلا منة ماشطة.

وكل كلامه عليه مسحة النضارة، وله ملاحة البداوة وهي تفوق الحضارة.." (١)

"وأعذب من صوب الغمامة مرشفا ... وأضوأ من لمع البروق تبسما

وأجمل من ليلى وسلمى وعزة ... وسعدى ولبنى والرباب وكلثما

وكم ملك في قومه كان قاهرا ... فأضحى ذليلا في هواها متيما

يدين بما تهوى مطيعا لأمرها ... وإن ظلمته لم يكن متظلما

تظل الملوك الصيد تعثر بالثرى ... إذا قاربوا أو شاهدوا ذلك الحمى

وممن ذيل عليها العارف بالله تعالى السيد حاتم بن الأهدل اليمني:

---

(١) نفحة الريحانة ورشحة طلاء الحانة المحبي ٤٤/٢

وأبرزتها بطحاء مكة بعدما ... أصات المنادي بالصلاة فأعتما

وسرحت عيني في رياض خدودها ... فشاهدت روضا كالربيع منمنما

سقته مياه الحسن فازداد بهجة ... وغادر قلبي بالحطيم محطما

حسينية حسناء لمياء نحوها ... ت، جه قلبي بالغرام وأحرما

سعيت إليها بالصفاء مسلما ... لروحي وقلبي طاف سبعا وزمزما

غزال يعير الظبي لفتة جيدها ... وعن قدها المياس سل بانة الحمى

فتاة يعير الشمس بهجة وجهها ... سناها بغير الحسن لن يتلثما

عدا خصرها جسمي سقاما وجفنها ... تعدى على جفني وللنوم حرما

إليها ثنت قلبي الثنايا صبابة ... فيا ما أحيلى ذلك الثغر واللمى

إذا حدثت فاح العبير وأظهرت ... برمزتها مني الحديث المكتما

وأما بيت أبي دهبل، المذيل عليه، فهو من قصيدة له يصف فيها ناقته، حدث به موسى بن يعقوب، قال: أنشدني أبو دهبل يوما:

ألا علق القلب المتيم كلثما ... لجاجا فلم يلزم من الحب ملزما

خرجت بها من بطن مكة بعدما ... أصات المنادي بالصلاة فأعتما

فما نام من راع ولا ارتد سامر ... من الحي حتى جاوزت بي يلملما

ومرت ببطن الليث تهوي كأنها ... تبادر بالإدلاج نهبا مقسما

وجازت على البزواء والليل كاسر ... جناحين بالبزواء وردا وأدهما

فما ذر قرن الشمس حتى تبينت ... بعليب نخلا مشرفا أو مخيما

ومرت على أشطان روقة بالضحى ... فما حدرت للماء عينا ولا فما

وما شربت حتى ثنيت زمامها ... وخفت عليها أن تجر وتكلما

فقلت لها: قد نلت غير ذميمة ... وأصبح وادي البرك غيثا مديما

قال: فقلت: ما كنت إلا على الريح.

فقال: يا ابن أخي، إن عمك كان إذا هم فعل، وهي العجاجة.

هكذا رواه أبو الفرج الأصبهاني، في الجامع الكبير، وفي رواية البيت المذيل بعض تغيير كما رأيت، والروايات تختلف.

السيد حسين بن علي بن حسن بن شدقم غصن بسق من روضة الفتوة، وأشبه أصله مجدا فحقق شواهد النبوة.

ما شئت من فضل سما باكتسابه، وفخر ما زال يعلو بانتسابه.

وجد أطاعه أبيه وشامسه، وأدب أنار به داجيه وطامسه.

وهو ممن دخل الهند كجده، فعلا بها قدره فوق ما قدره بجده.

وقد رأيت من شعره قطعتين، فأثبتهما له حسنتين.

فالأولى قوله من قصيدة نبوية أولها:

أقيما على الجرعاء في دومتي سعد ... وقولا لحادي العيس عيسك لا تحدي

فإن بذاك الحي إلفا ألفته ... قديما ولم أبلغ برؤيته قصدي

عسى نظرة منه أبل بها الصدى ... ويسكن ما ألقاه من لاعج الوجد." (١)

"وقد ذقت حلواء البنين على الصبا ... فلا تحسبني قلت ما قلت عن جهل

البنين، وذلك أن البنين لا يسمون شيئا تكون الحلواء من لوازمه.

وأقبح من هاتين الاستعارتين من قبح الألفاظ قول ابن المعتز:

(كل يوم يبول زب السحاب) .

وأحسن ما قيل في العذر عن بيت أبي تمام: قول المرزوقي: إنما ذكر ماء الملام لما قال بعده: ماء بكائي على طريقة المشاكلة.

وهذا محل إيراد شيء مما وقع من محاسن الاستعارة نثرا ونظما.

أما النثر فمن محاسنه، قول الحسن بن وهب: شربت البارحة على وجه السماء وعقد الثريا ونطاق الجوزاء، فلما انتبه الفجر نمت، فما عقلت حتى لحقني قميص الشمس.

وقول الصاحب بن عباد في استزارة: غدا يا سيدي ينحسر الصيام، ويطيب المدام، فلا بد من أن نقيم أسواق الإنس نافقة، وننشر أعلام السرور خافقة، فبالفتوة أنها قسم للظراف، تفرض حسن الإسعاف، لما بادرتنا ولو على جناح الرياح والسلام.

وقوله أيضا رحمه الله في مثل ذلك: نحن يا سيدي، في مجلس غني إلا عنك، شاكر إلا منك، قد تفتحت فيه عيون النرجس، وتوردت خدود الورد، وتجعدت أصداغ البنفسج، وفاحت مجامر الأترج، وتفتقت فارات النارنج، ونطقت السنة العيدان، وقامت خطباء الأوتار، وهبت رياح الأقداح، ونفقت سوق الأنس. وقام منادي الطرب، وطلعت كواكب الندمان، وامتدت سماء الند. فبحياتي عليك إلا ما حضرت، لنحصل بك في جنة الخلد، وتتصل الواسطة بالعقد.

وقول أبي نصر العتبي: هذا يوم قد رقت غلائل صحوه، وغنجت شمائل جوه، وضحكت ثغور رياضه، واضطربت زرد النسيم فوق حياضه وفاحت مجامر الأزهار، وانتثرت قلائد الأغصان، عن فرائد الأنوار؛ وقامت خطباء الأطيار، على منابر الأشجار، ودارت أفلاك الراح بشموس الأقداح، وسيبنا العقل في مرج الجنون، وخلعنا العذار بأيدي المجون.

وقول الآخر: ولقد عرق بالندى جبين النسيم، وابتل جناح الهواء، وضربت خيمة الغمام، واغرورقت مقلة السماء، وقام خطيب الرعد، ونبض عرق البرق.

وما أحسن قول القاضي الفاضل معتذرا عن كتاب كتبه لبعض أصحابه ليلا: كتبها المملوك وقد عمشت عين السراج، وشابت لمة الدواة، وكل خاطر السكين، وضاق صدر الورقة.

وقول علي بن ظافر: بت ليلة في منزل اعترفت له مشيدات القصور بالانخفاض والقصور، والبدر قد محا خضاب الظلماء،

---

(١) نفحة الريحانة ورشحة طلاء الحانة المحبي ٢/١٠٦

وجلا محياه في زرقة قناع السماء، وكسى الجدران ثيابا من فضة، ونثر كافوره على مسك الثرى بعد أن سحقه ورضه، والروض قد ابتسم محياه، ووشت بأسرار محاسنه رياه، والنسيم قد عانق قامات الأغصان فميلها، وغصبها مباسم نورها فقبلها، وعندنا مغن قد وقع على تفضيله الإجماع، وتغايرت على محاسنه الأبصار والأسماع، إن بدا، فالشمس طالعة، أو شدا، فالورق ساجعة، تغازله مقلة سراج قد قصر على وجهه تحديقه، وقابله فقلنا: البدر قابل عيوقه، وهو يغار عليه من النسيم كلما خفق وهب، ويستجيش عليه تلويح بارقة الموشى بالذهب، ويديم حرقته وسهده، ويبذل في الطاقة طاقته وجهده. فتارة يضمخه بخلوقه، وتارة يحليه بعقيقه، وآونة يكسوه أواب شقيقه. فلم نزل كذلك حتى نعس طرف المصاح، واستيقظ نائم الصباح.

وما أحسن قول ابن زيدون يحكي أو اجتماعه بمعشوقته ولادة بنت المستكفي قال: كنت في أيام الشباب هائما بغادة أرى الحياة متعلقة بقربها، ولا يزيدني امتناعها إلا اغتباطا، فلما ساعد القضاء وآن اللقاء، كتبت إلي:

ترقب إذا جن الظلام زيارتي ... فإني رأيت الليل اكتم للسر

وبي منك ما لو كان بالشمس لم تلح ... وبالبدر لم يطلع وبالنجم لم يسر

ثم لما طوى النهار كافوره، ونشر الليل عبيره، أقبلت بقد كالقضيب في ردف كالثيب، وقد أطبقت نرجس المقل على ورد الخجل، فملنا روض مدبج، وظل سجسج، قد قامت رايات أشجاره، وامتدت سلاسل أنهاره، ودر الطل منشور، وجيب الراح مزرور. فلما شببنا نارها، وأدرت منا ثارها، باح كل منا بحبه، وشكا ما بقلبه، وبتنا بليلة نجتني أقحوان الثغور ونقطف رمان الصدور. فلما نشر الصباح لواءه، وطوى الليل ظلماءه، وأدعتها وأنشأت:

وادع الصبر محب ودعك ... ذائع من سره ما أودعك

يقرع السن على أن لم يكن ... زاد في تلك الخطا إذ شيعك

يا أخ البد سناء وسنا ... حفظ الله زمانا أطلعك." (١)

"ومن وشاهد هذا النوع قوله صلى الله عليه وآله وسلم: أن الكريم بن الكريم بن الكريم بن الكريم يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم. قال في النهاية: لأنه اجتمع له شرف النبوة والعلم، والكمال والجمال، والعفة وكرم الأخلاق، والعدل ورياسة الدنيا والدين، فهو نبي ابن نبي ابن نبي ابن نبي، رابع أربعة في النبوة.

ويروى: أن سبرة بن عياش الجشمي أنشد عبد الملك بن مروان قصيدة دريد بن الصمة التي منها قوله:

قتلنا بعبد الله خير لداته ... ذواب بن أسماء بن زيد بن قارب

فلما وصل إلى هذا البيت قال: لولا القافية لبلغ به آدم.

ومن شواهده الشعرية أيضا قول الأعشى:

أقيس بن مسعود بن قيس بن خالد ... وأنت الذي ترجو بقاءك وائل

وقول ابن دريد وجمع ثمانية أسماء في بيت واحد، ولم يقع في شواهد هذا النوع نظيره انسجاما وجمعا:

---

(١) أنوار الربيع في أنواع البديع ابن معصوم الحسني ص/٥٠

فنعم أخو الجلى ومستنبط الندى ... وملجأ محزون ومفزع لاهث

عياذ بن عمرو بن الحسين بن غانم بن زيد بن منظور بن زيد بن حارث

وقوله أيضا في هذه القصيدة:

خليلي من شمس بن عمرو بن غانم ... ونصر بن زهران بن كعب بن حارث

وكان أبو تمام كثيرا ما يستعمل هذا النوع في شعره، فمنه قوله:

لمحمد بن الهيثم بن شبانة ... مجد إلى حيث السماك مقيم

وقوله:

عمرو بن كلثوم بن مالك بن عتاب بن سعد سهمكم لا يسهم

وقوله أيضا، وهو أحسن مما تقدم له:

نوح صفا من عهد نوح له ... شرب العلى في الحسب الفارع

مطرد الآباء في نسبة ... كالصبح في إشراقة الساطع

مناسب تحسب من ضوئها ... منازلا للقمر الطالع

كالدلو والحوت وأشراطه ... والبطن والنجم إلى التالع

نوح بن عمر بن حوي بن عم ... رو بن حوي بن الفتى مانع

فأتى بستة من منازل القمر، وقابلها بستة من الأسماء، لولا أن نغص بذكر الفتى في سادس جد، وإن لم يرد فتى السن، وإنما أراد من الفتوة لكنه موهم. والتالع هو الدبران، كأنه تلع جيده أي مده.

ومنه قول بعضهم:

من يكن رام حاجة بعدت عن ... ه وأعيت عليه كل العياء

فلها أحمد المرجى بن يحيى بن معاذ بن مسلم بن رجاء

وقول أبي سعيد الرستمي في تهنئة الصاحب بن عباد:

تهني ابن عباد بن عباس بن عب ... د الله نعمى بالكرامة تردف

وقول عبد الصمد بن بابك من أبيات: ت

لاموا على ظمأي إليك فلا دروا ... في ماء خدك ما حلاوة موردي

طورا أحيا بالأقاح وتارة ... في الخد بالريحان والورد الندي

وجه كما سفر الصباح وحوله ... حسنا بقايا جنح ليل أسود

وكأنما خاف العيون فألبست ... وجناته زردا مخافة معتد

أنى يخاف من استجار محبه ... بمحمد بن علي بن محمد

وقول سراج الدين عمر الوراق:

فله الجمال غدا بغير منازع ... ولي الجوى فيه بغير قسيم

وكذا العلى لمحمد بن محمد بن علي بن محمد بن سليم

وقول الأديب أبي الحكم مالك بن المرحل في أبي عبد الله بن يربوع:

صحبت عمري ناسا من ذوي حسب ... حازوا الثناء بموروث ومطبوع

فلم أجد فاضلا فيما صحبت سوى ... محمد بن أبي العيش بن يربوع

وقول أبي الحسن اللحام في أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن حامد:

محمد بن علي ... سبط الحسين بن حامد

وافى فسر ولي ... به وأكمد حاسد

وقول بعض شعراء المغرب في إدريس بن حمود خليفة الأندلس:

وكأن الشمس لما أشرقت ... فانثنت عنها عيون الناظرين

وجه إدريس بن يحيى بن علي بن حمود أمير المؤمنين

وقلت أنا وقد وصلت من هذا التأليف إلى هذا المحل سابع محرم الحرام:

ما عاد عاشوراء إلا همت ... عيني بدمع هاطل ساكب

وجدا علي بط الرسول الحسين بن علي بن أبي طالب

ومن شواهد بالألقاب قول البطائحي في المستظهر بالله العباسي:

أصبحت بالمستظهر بن المقتدي ... بالله ابن القائم بن القادر

مستعصيا أرجو نوال أكفه ... وبأن يكون على العشيرة ناصري

فيقر مع كبري قراري عنده ... ويفوز من مدحي بشعر سائر

وهذه الأمثلة كلها جارية عل المشهور في الإطراد من ذكر اسم الممدوح وأسماء آبائه فقط.." (١)

"فمن إنشائه ما كتبه إلى الشيخ عبد الرحمن المرشدي من الطائف. المحفوف باللطائف. قبلت أرضا ميطت بها تمائمي. وحننت لها إذ أنت لفراقها حمائمي. أول أرض مس جسمي ترابها. وغذاني بلبان الأدب أترابها. وقوم لحن ألحاني أعرابها. وكفلني قبل ما كلفني الله أعرابها. ونعق بسعادي مذ ولدت غرابها هي الحرم الآمن من كل خيفة ومخافة والمعقل الذي ينتقم الله ممن أزعر حاله وأخافه والعصمة التي كحل طرف النائم بها أثمد الرحمة والمأمن الذي اتسع بالرحمة اتساع الرحم فلا ضيق بنازليه وإن كثروا ولا زحمة لا يضار بحره وقلة مائه ولا يعاب بانقطاع سفائن الأرزاق بمخائه وخليصائه فهو جنة من شانها أن تحف بالمكاره ومن الناس من يقاد إلى الجنة وهو كاره بينا هي كذلك إذ غشيتها من الله الكريم نظره وانكشف عنها ما يخشى ويكره ولكل بكرة أصيل ولكل أصيل بكره فسال الله الذي بيده المن والمنون. وأمره مقدر بين الكاف والنون. أن يقر العيون بإجراء العيون. وهذا عندي من نوع الاستخدام. ويمتع النواظر بوجوه أحبابنا النواضر ويحرسهم في الأهل

---

(١) أنوار الربيع في أنواع البديع ابن معصوم الحسني ص/٢٥١

والأنفس والأخدام. سيما الخدن الصديق. والخل الشفيق. المقدم في حقوق الإخاء على الأخ الشقيق. مظهر القول بالوحدة حيث لا اثينية بيني وبينه. مصداق القول بالحلول إذ كان لساني وعيني وكنت لسانه وعينه. شيخ الاسلام. ناشر علم الفتوى والفتوة على مفارق الأنام. ناثل كنانة الفوائد في قبائل المستفيدين بما يبلغ قصي المطالب لمن سام وحام الامام المقتدى به في الصلاة والصلات المفزوع إليه إذا نزلت المشكلات وحلت المعضلات القائم بالحجة. الدال على المحجة الثابت تفرده على المعقول والمنقول بأصدق ثبت وأصح حجة. العالم النحرير. العامل بالاحتياط والتحرير. خطيب المسلمين المفوه. المدره المؤيد بحول الله والقوة. مولانا الشيخ عبد الرحمن بن عيسى لا زال عباب فضله قاموسا. ولا برح علمه في دياجى المشكلات قابوسا. وأنهيت إلى حضرته التي تفقأت علما وامتلأت ذكاء وفهما وتعبيري عن المضارع بالماضي مجاز مرسل لما تقدم من الاتحاد والحلو والاستطراد نوع بديعي وحديثه مسلسل شوقا أذهل العبد عن المكاتبه وأشغله عمن لم يكاتبه وعمن كاتبه فإن البعد عن مولانا بالجسد من أعظم موجبات الكد ومقتضيات النكد فالله تعالى يقرب سويعات الاجتماع بخير البقاع وقد كتبت بغاية العجلة عند توجه السفاره وتوجههم مما هو أشق من نقب سماره فليعذر مولانا عما بها من التقصير وليتفضل بابلاغ السلام للصديق الكبير والعلم الشهير العالم العلامة الحجة الفهامة مولانا الصنو الشيخ أحمد لا زال في معارج المعالي يصعد والسلام فكتب إليه الشيخ عبد الرحمن مراجعا بما صورته إن أرضا ميطت بها تمائمك لجديرة بالتقبيل ورياضا تغنت بها حمائمك لحقيقة بالتعظيم والتبجيل كيف وقد أنبتت دوحتك التي تفرعت منها فتأصلت وأثبتت سرحتك التي أثمرت مثلك فوجدت بهذا الوجود وتحصلت وهي دوحة النبوة التي بها فضلت مكة على المدينة على ما اخترته وبينت دلائله وصرحت الرسالة التي طالما ملأ المولى عند الاملاء على الملأ بتفضيلها تصانيفه ورسائله أرضا صدح بها طائر سعدك وما نعق إلا يسيء ضدك الغراب وكفلك بها أو أنس مهدك مبعديك عن جفا طبائع الأعراب وأجير ألحانك من لحن يفتقر إلى تقويمه بالأعراب. اللهم إلا أن يكون هذا في قوة السالبة وعدم اقتضائها وجود الموضوع مقرر عند أولي الألباب فيا أيها المشوق إلى معاهده ومسقط رأسه. والمعوق عنه لقلة موارده وحرارة أنفاسه المتعطش إلى لقاء خدنه المتطلع إلى الاجتماع بقرمه وقرنه لعمرك إنه إليك لاشوق. وبقول المتقدم أجدر وأليق

يا من له بين الضلوع مراتع ... أناشيق أناشيق أناشيق." (١)

"فغدا الملك باهرا من رآه ... شاكرا ما أتيتما من سداد

فيه أيديكما على الظفر الحلو ... وأيدي قوم على الأكباد

هذه دولة المكارم والرأ ... فة والمجد والندا والايادي

كسفت ساعة كما تكسف الشمس ... وعادت فنورها في ازدياد

لله در أبي الطيب، كأنما شاهد هذه الواقعة. فوضع هذا الدر مواضعه. فلا بدع للمتنبي إذ أخبر بالمغيبات. وحدث عما هو آت. وكان ذلك مما له من المعجزات. والآيات البينات. فالله تعالى يصون شملكم عن التفريق. ويوشى شملكم بطراز الوفاق والتوفيق. ويمتع بكم الرعايا. بل كافة البرايا. والسلام. على الدوام. ومنه ما كتبه إلى الشريف ادريس بن الحسن سلطان مكة

---

(١) سلافة العصر في محاسن الشعراء بكل مصر ابن معصوم الحسني ص/٢٣

المشرفة مهنيا له بالبرء من مرضه الذي مرضه بالشرق. يقبل الأرض متضرع اعتاض من الهجوع الهجود. وارتاض بالركوع والسجود. ولاذ بالملتزم الشريف والمستجار. وعاذ بالركن المنيف والاستار. وتوصل إلى الله تعالى بكل نبي ورسول. وتوسل إليه في أعز مرام وسول. مذ طرقه طارق أسهره وأقلقه. وأوقعه في بحار الفكر والمغرقة. وأضجعه على القتاد والمعك. حين لايم ذلك الجسد الشريف الوعك. فإني لك والتجري على حمي مصون بأسوار السور. يحوط بها عن تطرق الحوادث والغير. لم يزل قايما في طاعة خالقة ومنشيه. دائما في مساعي مبدعه ومبديه. كيف تطرقت الحمى إلى ذلك الحمي. وإني استجازت المقام حيثما. يا لها جرأة على متهيب. واقداما على ممتنع متجنب. لكن لا بدع في ذلك. ولا عجب مما هنالك.

فمنازل الحمى الجسوم فقل لنا ... ما عذرها في تركها خيراتها

اعجب بها شرفا فطال وقوفها ... لتأمل الأعضاء لا لاذاتها

وإلا

فكيف تعلك الدنيا بشيء ... وأنت المستغاث لم ينوب

وكيف تنوبك الدنيا بداء ... وأنت لعلة الدنيا طبيب

فوعزتك القعسا. وصحتك التي أطابت للمعالي نفسا. لئن اعتللت فقد اعتلت لعلتك السماء والأرض. وتمارض لمرضك الباس والكرم المحض. بل اعتل لعلتك في العيون الغمض. وذوى لذلك شباب الزمان الغض. فالحمد لله الذي أزال العرض بعد حصول الانتفاع بثوابه. وابعد المرض عن ذلك الجسم اللطيف وما ثوى به. فقد رفعت في ساحات التهاني رايات البشاير. وتليت في منازل الأماني آيات الأشاير وظهر برهان البعد الباهر. وأنشد لسان المجد معبرا عن ضميره باسمه الطاهر. فقال. واطلب المقال.

المجد عوفي مذ عوفيت والكرم ... وزال عنك إلى أعدائك الألم

صحت بصحتك الغارات وابتهجت ... بها المكارم وانهلت بها الديم

وراجع الشمس نور كان فارقها ... كأنما فقده من جسمها سقم

فنوسع المنعم على هذه النعمة حمدا وشكرا. ونصير الثناء على ذلك اللسان ذكرا وللجنان ذكرا. إذ من علينا بشفاء سيد تفرد في شأو المعالي. وارتفع شأنه على الأثير العالي. وتفرع غصنه من دوحة النبوة والخلافة. وتضوع نشره من سوحة الفتوة والشرافة وأحيا الله به مآثر آبائه الصيد من آل هاشم. وأعيابه الغلب الصناديد من كل غاشم. وحمي بكلاءته حمي البيت المطهر. وحرس بإيالته سوح حرمه الأطهر. واختاره على الخليقة خليفة. وامتازه بكل سجية شريفة. وجمع له بين فخامة القدر. ولطافة الخلق السبط الحسن. وأتاح له مآثر جده الكامل الخلق السبط الحسن. ومنحه الشفقة على رعيته. والرأفة عند استجاشة شهامته وحميته. فالله تعالى يبقيه وساحته عن تطرق الغير محروسة. وباحته بكل عزأ ولعز مانوسة. فالحمد لله على بلوغ الأمل باجابة الدعا وقبول العمل ممن تبتل ودعا. وقد كان الواجب على العبد المثول بنفسه إلى تلك الحضرة العالية. والحلول بتلك الرحبة السامية. ليتملى بطلعة مولانا وقد تسربل بسربال الصحة. ولبس ثياب الشفا فتلك أعظم منحه. غير إن العجز أقعده. وسوء الحظ أبعده فأناب كتابه منابه. وأقامه سفيرا يبلغ ما نابه. مهنيا مولانا بالصحة والعافية.

ومصح جسده الشريف بيد الله الشافية

وما أخصك في بر بتهنئة ... إذا سلمت فكل الناس قد سلموا." (١)

"لا أجد قوافل النسائم. فأستودعها بدائع الأثنية والتحايا. ولا أظفر بصوادح الحمائم. فأستخدمها لنقل ودائع الأدعية إلى رب المفاخر والمزايا. تعذر اقتناصها في حريم هذا الحرم. ولو تشبثت في ذلك بحبائل الطيف. ودام نفورها عن أهل هذا السوح المحترم. فلا يطمع في إيلافهم بها رحلة الشتاء والصيف. فالمسؤل من كرم الله تعالى أن يمن بتواصل لا يعدل معه إلى التوصل بهذه الوسائل. ولا يفتقر إلى التطويل بترتيب المقدمات في صفحات الصحائف والرسائل. يا مولانا لا ريب في إن البلاغة ذات أنواع وأقسام. وإن نوع الايجاز منها ينشرح له منها صدور المهارق وتمتد إليه أعناق الأقلام. فلا يحسن العدول عنه إذا كان مقتضي المقام سلوك نهجه الذي هو سواء السبيل. ولا يمدح الاسهاب والاطناب في كل حين فقد وقع النهي الصريح عن القال والقيل. وحيث كان مولانا مكدر البال لحنينه إلى الوطن. مشوش الفكر لبعده عن السوح المحترم والحرم المؤتمن. تعين على المملوك الاقتصار. خوفا من السآم والملال. وترجح لديه الاختصار. عملا بقولهم لكل مقام مقال. هذا وإن لهذه الديار من الحنين إلى مولانا أضعاف ما أفصحت عنه فصاحة كلمه. ولها من التطلع والتشوق أمثال ما بلغت إليه بلاغة يراعه وقلمه. لم تزل ربوعها الخوالي تستعيذ برب البيت من لواعج الحزن والأسف. وتستعين بكل من بكى واستبكى وذكر المنازل والأحباب واستوقف ووقف. لابدع إذا انهلت سحائب دمعها الهطال. ولا غرو إن سحت بسواكب الشؤن على ما بقى فيها من الرسوم والأطلال. فقد لعمري ألقت بأفلاذ كبدها وتخلت. ورمت المحبين بما بها من دآء الهجر وما انسلت. فلم تزل تجيب أنين الأخلاء بما يسمع فيها من الصدا. وتشحذ بأشجانها أذهانهم فينجلى بذلك بعض ما غشيها من الصدا.

قد مررنا بالدار وهي خلاء ... فبكينا طلولها والرسوما

وسألنا ربوعها فانصرفنا ... بشفاء وما سألنا حكيما

ولقد افتقد المخلص أنس مولانا في هذا العيد الذي استنار بمصابيح مشكاة ضيآء النبوة. واستبان فضله ببزوغ شمس فلك الرسالة وبدر سمآء الفتوة.

فالله يبقيك لأمثالنا ... والله يحييك لأمثاله

وقد تم فيه ما به قد جرت العاده. وخفقت على رؤس الطوائف أعلام التنسك والزهاده. فأخذ كل من ذوي اللهو والزهد نصيبه المقسوم. وتمتع كل من الفريقين بتلك الليلة المشهودة وبذلك اليوم المعلوم. وما وسع الأعيان أن لا يستجيبوا حضرة الأفندي ومولانا شيخ الحرم. لكنهم صاروا يتسللون لواذا فانفصل سلك ذلك النظام وانفصم. وقد كان الوزير المعظم. والحكيم النحرير المفخم. أعزه الله تعالى. ممن أحيا تلك الليلة بأنفاسه المسيحيه. وكمل تلك الحضرة بذاته الملكة المليكيه. فجلس نواب المحاكم على ميمنة المنيب وجنح شيخ الحرم إلى اليسار. وأجلس حضرة الوزير إلى ما يلي سلطان هيكله فلولا ما حازه من العلوم لقيل جزى الله اليسار. هذا واستغفر الله من الاطناب. الذي جرى به القلم فاستلزم عدم الوفاء بالوعد.

---

(١) سلافة العصر في محاسن الشعراء بكل مصر ابن معصوم الحسني ص/٤٠

واعتذر بما تقرر في مقتضى التطويل لدى مخاطبة الأحباب. عازما علي أن لا أعود إلى مثل ذلك من بعد. والسلام. فأعاد عليه الجواب ثانيا وصورته

يا سميري روح بمكة روحي ... شاديا إن رغبت في إسعادي

فذراها سربي وطيبي ثراها ... وسبيل المسيل وردي وزادي

نقلتني عنها الخطوب فجذت ... وارداتي ولم تدم أورادي

آه لو يسمح الزمان بعود ... فعسي أن تعود لي أعيادي." (١)

"وصل إلي من تلقاه سيد تولى الروح الأمين تحريك مهود آبائه. وجاء إلي من أرجاء أيدي جده الذي نفحت شنشنته الأرجة من دوحة إبائه. وتنقل في الأصلاب الطاهره. فأضحت شمائله هذه الشمائل العنبرية الباهره. أبت أخلاقه إلا أن تسمو وتتقاصر دون معاليه أرباب الرتب. وأبى فضله إلا أن يتسنزل دراري الأفق إذا كتب من كتب. تبارك الذي أنشأه وحلاه بهذه المعارف. وأظله في خميلة شرف تهتز أعطافه في روضها البديع الوارف. ولا بدع فمن كان محمد أباه. وعلى أودعه في الأصداف الثمينة وحباه. أن يتطاول إلى الأثير بفخاره. ويسمو على كافة الحسب والنسب بنجاره. كتاب ما هو إلا سحر بابل. وسلافة أدب تلعب بعقول الأنابل. وأيم الله أنه ترك الفكر حيارى. والذكر من جوابه سكارى وما هم بسكارى. إن تأملت بيانه. قلت لله در منشئه وحرس بنيانه. ما هو إلا تقاصير عقود نحور الخرد الكواعب أناط بها مولانا ابريزه وعقيانه. ثم أنه أفاض الله على أعطافه سوابغ فضله. وأسبل جوده الهامر على ساحاته المشرقة ومساعيه التي تنفحت بشمائم نبله. أودع كتابه جملة فنون لا يقوم بالاحاطة بكنهها أحد. وكليات اندرج تحتها جزئيات لو رآها الرئيس لم يتجاوز في ضرب قانونه الحد. وبالله أقسم أنه كشف لي ما انبههم من مخدرات الحكم. وأماط نقاب الفضل عن محررات فهوم يجزم فرسان التدقيق بأنه بين أرباب العقول الفاضلة حكم. ولله دره فيما حكى عن حاله من غوامض الاشارات. بعبارة مفهمة لتلك الرموز والاعتبارات. وفهمت من كتاب مولانا أنه شكا ألما ألم بجسمه. وما هو إلا أنه زار ذلك الجثمان للتشرف وحاشا أن يكون لمحو رسمه. وكيف وهو حياة العالم. وخيرة الله من بني آدم. وهو الذي بوجوده استنت السنن وفرض الفرض. وصدقت عليه كلمة قوله تعالى وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض. وعرف مكنونات التنزيل ومضمونات الأثر صحيحها والهزيل. ولقد بالغ المملوك في تكليف سيده بالمكاتبه. ولم يطلع على ما حكاه لسان قلمه من الفتور عن المخاطبه. إلا بتحبير انبوبته التي لا تزال بالفضائل راعفه. وتحرير كلمه التي لا تفتأ تهدى لخدم أعتابه كل عارفه. ولعمري لقد سررت بأن مولانا تتمايد أعطافه في رياض العافيه. وتتمايل أكتافه إلا أنها في غياض أنهار صافيه. وأيم الله لا أزال أشتاق إلى محيا أقسم أنه فطرت قسماته من ملامح النبوة. وعطرت نسماته من ريحانتي هاتيك المكارم والفتوه. ثم أن سيدي لا تزال صدقاته على المملوك متواليه. من تفاح فياح. وأوراق عطرة الأرواح. متتاليه. وترنج كأنما هو أنامل بالندى مبسوطه. وبأنواع العبائر المخضلة محوطه. حتى أن المملوك القروي. وأما ما أشار إليه مولانا من أم القرى وكونها من مقتضيات الفصاحه. فما أنا إلا عن جراثيمك الطيبة الزكية اقتبس محسنات الألفاظ وأروى مآثر السماحه. وإلا فالمعجز من البلاغات والسور. هو ما حكته

---

(١) سلافة العصر في محاسن الشعراء بكل مصر ابن معصوم الحسني ص/٥٧

لهاة جدك عن مفيض الفيوضات القدسية على الذوات والصور. فما المملوك إلا سلمان بيتكم. وحسان كرمكم وصيتكم. والباذل لمهجته في مرضاة أبيك الفاتح الخاتم. المتمسك بود آل بيت لا يفرحون بالمسرات ولا يترحون بالمآتم. هذا والله يجزي سيدنا ومولانا عنا أفضل الجزا. ويجعل نصيبه من الثواب الجزيل أوفى الأنصباء والأجزا. والملتمس أن لا يخليني من دعائه ووداده. وأن يكون وسيلتي يوم لا وسيلة إلا هو وأسلافه الكرام إلى كوثر النعيم ووراده. والسلام. ومنه ما كتبه أيضا إليه. وقد سأله عن خبر الناب الوارد م مصر. يقبل الأرض لاثما تلك الأعتاب الشريفه. ويؤدي الفرض جازما بأنه تشرف بالاضافة إلى شرائف تلك الرحاب المنيفه. رحاب سيدنا ومولانا الذي تفرع من ذلك المحتد المعظم. وغدى لبان النبوة فلا بدع إذا ارتفع مقامه العلي وتنظم. وتدرع سربال **الفتوة** بكريمة قل لا أسألكم عليه أجرا. وتشرع بجلباب الفضائل فكان مصداقا لعظيمة إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس شرفا وذكرا. غرة ذلك المحيا النبوي. درة عقد ذلك المحيا الأماني العلوي. سلالة الائمة الذين حبهم يسند على أرائك النعيم. دلالة الجلة الذين ودهم أداهم إلى تلقي الأكواب من راحات ملائك التنعيم. الغني بنسبه الواضح عن الطراز الأخضر. السني بحسبه الفاضح إذا ازدهر روض الاحساب الأنضر. السيد الذي إذا قال قال الذي عنده علم من الكتاب. الأيد إذا طال قصر كماة الفصول والأجناس عن حد." (١)

"وبعد فقد وصلت الكراسة العظيمه. الحاوية من الدر نثيره ونظيمه. فما الدراري في أفلاكها. ولا الدرر في أسلاكها. بأبهى من كلماتها في ترصيعها.؟ وأزهي من فقراتها في تسجيعها. ولقد حار المملوك بين ذلك المنظوم والمنثور. فوقف متعجبا حتى تذكر الحديث المأثور. إن من العشر لحكمه. وإن من البيان لسحرا. فعلم أن مثل ذلك ليس إلا في قدرة من سحر بالبيان وسخر بالعقول سخرا. على رسلك يا فارس البلاغه. والأخذ من حسن القول بلاغه. إذا جريت في مضمارك فمن يجاريك. وإذا بريت أقلامك فمن يباريك. فلله شهاب فكرك الذي قد وقد. وأقلامك النافثات في العقود لا في العقد. ما هذا السحر الذي تتلى عنده سورة الفلق. وما هذا النظم والنثر اللذان أصبح منهما البلغاء في قلق. فهلا غضضت من عنانك قليلا. وأرحت من راح جواد فكره وراءك كليلا. ولعمري أن البلاغة قد قلدتك مقاليدها. وملكتك طريفها وتليدها. فأنت حميد الكلام ولا أقول عبد حميده. فلو تأخر عصره لكان من أقل خدام فضلك وأذل عبيده. ولا يتوهم المولى أن ذلك من باب المبالغه. في اطراء تلك الكلمات البالغه. والقلم وما يسطرون. لو سمع ما يصفه به أهل البلاغة ويطرون. لعلم أن المملوك موجز. عند ما قيل في ذلك المعجز. فالله تعالى يديمك للبلاغة والبراعه. ويبقى بوجودك وجود الأدب واليراعه. فإن الأدب جسم أنت له روح. ولولاك لأصبح وهو بالعراء مطروح. فراجعني بقوله

يا مهديا وشي الربيع المزهر ... بل روضة تزهو بحسن المنظر

غناء باكرها الحيا وتفتحت ... أزهارها غب السحاب الممطر

ردت لنا من نشرها زمن الصبا ... وشممت منها طيب تلك الأعصر

ارتاح سكرا من سلافة لفظها ... وهي المصونة عن خمار المسكر

لله درك من همام بارع ... في كل فن غنية المستخبر

---

(١) سلافة العصر في محاسن الشعراء بكل مصر ابن معصوم الحسني ص/٦٧

ما هذه الدرر التي أبرزتها ... شبه المجرة في خلال الأسطر

لا غرو إن ساد الأنام بفضله ... من كان ندبا من سلالة حيدر

من معشر شم الأنوف وليدهم ... أدنى محل خطاه فوق المشتري

حاز الموة والفتوة والسخا ... والعلم والتقوى وطيب العنصر

فليهنك الشرف الرفيع ومجدك ال ... عالي المنيع وحسن قول المخبر

واسلم ودم في عزة وجلالة ... باد علاك على ممر الأدهر

وصل وصلك الله إلى كل مقام علي. وأجل قدرك حتى يقر بفضلك كل من هو بالفضل ملي. ويعترف بكمالك في كل فن أربابه. ويغترف من علمك أهل ذلك العلم وأصحابه. تقريظك الذي فاق بقريضه كل قريض فائق. وينثره كل نثر رائق. فخجل المملوك من ارساله بالكراسه. وعلم أن ارسالها لم يكن من الكياسه. وقد كان يقدم في ذلك رجلا ويؤخر أخرى. لعلمه أنها إلى من ترسل وبين يدي من تقرى. وعلى كل حال كما قيل. جهد المقل دموعه. وإلا فمن جمدت طبيعته. وخمدت قريحته. وطال عهده بالمنثور والمنظوم. ومال عن قول الشعر وممارسة العلوم. فجدير أن يستر عواره. ويخفى نثره وأشعاره. ولا يعرضها على من ألقت إليه الفصاحة قيادها. وأعلت به اسنادها. وهو يظهرها تارة في حلبة الأشعار وتارة في كسوة الانشا. ويبرزها طورا حضريه. وطورا نجديه. ويتصرف فيها كيف يشا وهي له أطوع من اليد. وأذل من العبد. إن دعاها أجابته. وإن ناداها لبته. وإن أعرض عنها استقبلته وإن هجرها أتته. شعر

فقد ملكتها دون البرايا ... فها هي لا تميل إلى سواكا

وتلقيتها عن آبائك الكرام. المشتهر صيت فضلهم بين العلماء الأعلام. الذين ارتقوا من المجد ذروته. واقتعدوا صهوته. وتناقلت بأحاديث فضله الركبان. وتطاولت لنيل نيلهم أعيان الأعيان. وقد أعطاك الله في شبيبتك من الفضل. ما يحير الفكر ويبهر العقل. ويتمناه الشاب والكهل. ويترجاه أهل العقد والحل. والمرجو والمأمول صون هذا المعترف بعجزه عن تعاطي ما لا يستطيعه من الأمور. فإن تعالى ما لا يستطاع مذموم عند الخواص مستهجن عند الجمهور. وعليك السلام. في المبدا والختام. ما يتعطر به المداد عند تحبيره. ويتخير القلم ابان تحريره. وترتاح الروح عند سماعه. وتنير مرآة النفس وقت انطباعه. والسلام.." (١)

"والمأمول من هذه الحضرة التي جلت بما ذكر على المدح قدرا. وتنزلت عن مستحقها فقابلته وقبلته كرما وجبرا. أن تجتلي هذه العروس المنصوصة في أريكة بعين الرضا الجليله. وتجلها الصدر وتوليها اليد جريا على عوائدها المألوفة الجميله. وفي اجازة المصطفى كعبا بالبردة التي بيعت بمائة ألف درهم تشريع أي تشريع. ودليل على تأويل ما يوهمه بعض الأحاديث ليقع الجمع بين كلام الشفيع. صلى الله عليه وعلى آله وصحبه والتابعين السميع. ما جليت خود على كفئها مختالة في زهو عجيب بديع. قال ذلك بفمه. وزبره بقلمه. فقير رحمة ربه. وأسير وصمة ذنبه. عبد القادر بن محمد الحسيني الطبري امام المقام الشريف. وتلاه الشيخ عبد الرحمن بن عيسى المرشدي فقال مقرظا أيضا بسم الله الرحمن الرحيم وهو حسبي ونعم

---

(١) سلافة العصر في محاسن الشعراء بكل مصر ابن معصوم الحسني ص/١١٧

الوكيل. الحمد لم بعث أحمد بما أفحم البلغاء وأعجز. ونعته بالفضل الذي من عبر عن كنهه وإن أطنب أوجز. وجعل هجرته لتواريخ الأمم السالفة ناسخه. وشريعته على توالي السنين المتناسقة راسخه. وكشف له عن حقائق أسراره ما لم ينكشف لغيره حجابها. فحدث بهذه النعمة قائلا أنا مدينة العلم وعلى بابها. صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه. وشيعته ووارثيه وحزبه. صلاة وسلاما تتوالى بركات رحمتهما. وتتشالى رحمات بركتهما. أما بعد فقد أجلت نظري في تأمل هذا العقد الفريد. وتعقل هذا الدر النضيد. فألفيته عقدا بجواهر البلاغة قد تفضل. وعلى عقود الفانيات تميز وتفضل. فلله فكرة أبدعته على أبدع أسلوب حكيم. وقريحة أفرغته في قالب انموذج عظيم. لو منحه ابن الحسين لما تنبا عجبا بالقريض بل كان به تأمله. أو سمعه أبو تمام لأتخذه تميمة لعود عقله الذي توله به وتدله. أربى على من تقدمه من عناة هذا الشان ولا أقول الفضل للمتقدم. وحقق دعوى كم ترك الأول للآخر فالتصديق بها أمر متحتم. فهو معجز أحمد. والاضافة للفاعل. وفتح من لدن الصمد. لا بجعل الجاعل. ما نال ابن نباته حلاوة معانيه. ولا ذاق ابن سكرة عذوبة مبانيه. ولا تحلى الحلي بحلى عقوده. ولا قامت لابن حجة حجة عند شهوده. لو رآه القاضي الفاضل لقضى على نفسه. أو العماد الكاتب لنكس قلمه على راسه. ولا بدع فالممدوح به من تستميل سجاياه القوافي إلى امتداحه. وتستدعي مزاياه العفاة إلى امتناعه وامتياحه. وتتسابق الألفاظ في ميادين مدحه المطابق للواقع طلقا. وتتناسق الحفاظ في هذه المواقع فإن أحسن قول أنت قائله قول يقال إذا ما قلته صدقا كيف لا وهو من دوحة أثمرت ملوكا. وسرحة أنتجت حلائف انتظمت مآثرهم في أجياد الزمان سلوكا. نتجوا من عنصر النبوة والرساله. وانتحوا من معدن الفتوة والبساله.

إن ترد على حالهم عن يقين ... فالقهم يوم نائل أو نزال

تلق بيض الوجوه سود مثار النق ... ع خضر الاكتاف صم النصال." (١)

"عفيف الدين عبد الله بن حسين

بن جاشل الثقفي

ثقفي النسب. مثقف قناة الحسب. برى نبعة طبعه بالمروءة وثقف. وجرى إلى أماد الفتوة ملء عنانه وما توقف. وخطب عرائس الكرم والوفا. فبنى عليها بالبنين والرفا. إلى أخلاق أقطعها الروض أنفاسه. وشيم يتنافس فيها رغبة ونفاسه. وأدب أدار به رحيق البيان المعتق. وملأ الأكمام بزهر كمامه المفتق. وكم أنست إلى مؤانسته في الاغتراب. واعتضت بمجالسته عن الأهل والأتراب. فرأيته شخص كمال لا ترى العيون له نقصا وطالعت به ديوان المسرة والمبرة مستقصى وله شعر تأخذ محاسنه السالمة من التصنع بمجامع القلوب. وفق ما قيل.

حسن الحضارة مجلوب بتطرية ... وفي البداوة حسن غير مجلوب

وكم أنشد الأسماع حاله المطرب

ولست بنحوي يلوك لسانه ... ولكن سيلقى يقول فيعرب

وقد أثبت له ما تغتبقه راحا. وتملأ بلطائفه ومحاسنه راحا. فمنه قوله مخاطبا الوالد في غرض له

---

(١) سلافة العصر في محاسن الشعراء بكل مصر ابن معصوم الحسني ص/١٢٥

يا امام الهدى ومستأصل المج ... د وترب الندى وكهف الأنام

وعروس الوغا إذا ستهم الخط ... ب ومردى أسد الشرى في الصدام

إن عزمي والقلب في قيد حسنا ... ك وشوقي يثني إليك زمامي

ضاق صدري حتى تحرج نومي ... عن جفوني وقد سئمت مقامي

لا ملالا ولا اختيارا ولكن ... من زمان مغرى بضيم الكرام

نابني ما علمت من كيد واش ... منذ عامين ما هنيت مقامي

غير ما قد رأيته كما يعلم الل ... هـ ولكن الزور طبع الطغام

لو تصدي للجيش مثلك ندب ... نافذ العزم ثابت الأقدام

ودعا للبراز كل كريم ... ما تسامت أسد الشرى بالنعام

غير أن الفتى إذا ساء ظنا ... صار طبعا يقضى على الأوهام

وإذا كنت أنت صارم عزمي ... دمت في عزة بعزك سامي

فانتهز فرصة الزمان أصب ... قبل تسطو به يد الأيام

وانتفذني بما يكيد حسودي ... أو براي يشفي غليل أوامي

وقوله مخاطبا له أيضا

أبا هاشم سدت الأنام بباذخ ... من المجد مبنى على الحزم والوفا

خلقت نحيفا والمروءة والذكا ... تصوغ الفتى ماضي الضرائب مرهفا

فما شرف الانسان إلا بقلبه ... متى طاب ما واراه من شخصه كفا

وقوله مراجعا الأخ الأعز السيد محمد يحيى من قصيدة كتبها إليه

سقى طلابين الأجارع واللوى ... وحيا زمانا لم نرع فيه بالنوى

ورعيا لأيام هناك سوالف ... قضينا به عصر الشبيبة والهوى

بظل جناب والندامى عصابة ... كرام المساعي ترغم الخصم إن غوى

على السفح ما بين القصير إلى الحمى ... إلى الحصن نطوي الود عنا وما انطوى

ليالي لا تخطى سهام رميتي ... ولا عافني الوالي الغيور وإن زوى

وأصبحت يثنيني الحجى عن هويتي ... ويمنعني دهر تمادى وما ارعوى

ولله كم من يوم دجن وصلته ... بليل على الربع الجنوبي وما حوى

وساعات أنس كلما عن ذكرها ... يهيجني فرط الصبابة والجوى

لكل غضيض الطرف أحوي إذا رنا ... سباك النهى والصبر واستأثر القوى

إذا أفتر عن ثغر حكى الدر نظمه ... وإن لاح قلت الشمس في خط الاستوا

يشير فأدرى ما يقول برمزه ... فأفضى على ما في هواه بما نوى

عليم بعلات الغواني وطبها ... ومفتي الندامى في محاورة الهوى
جريت على طرق الغرم كما جرت ... مواهب يحيى في النوال بما احتوى
فتى فيه للراجي مخايل تقتفي ... على أنه حامى الكتيبة واللوى
نماه إلى العلياء غارف سادة ... مآثرهم مشهودة لمن ارتوى
وصنو الذي يبدو لذي الحدس أنه ... امام هدى عن ذورة العز ما لوى." (١)
"أتاني من نادى علاك خريدة ... تضمن معناها الحريري بما روى
تخبر عن صب ضنين بظبية ... محجبة تحكى غزالا بذي طوى
فحسبك دين الحب دينا فإنه ... ترقى بأرباب القلوب عن السوى
ولا تبتئس من قول لاح ولائم ... لعمرك ما ضل المحب وما غوى
إليك عماد الدين عقدا يصوغه ... هوى لكم بين الجوانح قد ثوى
ودم وابق واسلم ما ترنم طائر ... وما زمزم الحادي بمنعرج اللوى
وقوله مراجعا له أيضا عن أبيات أرسلها إليه
خليلي هل رند الحجاز على علمي ... وهل ربرب الوادي مقيم على السلم
وهل أثلات الواديين أنيقة ... تعهدها الغزلان غب الحيا الوسمي
وهل ربرب الربع الجنوبي ثابت ... على ما مضى أم قد تمادي على الصرم
رعى الله هاتيك المنازل إنها ... وإن بعدت شوقي إليها انتضى عزمي
معاهد أنس كلما عن ذكرها ... لقلبي ترى عيني مدامعها تهمي
فما ساعدت ورق الحمام أخالسي ... ولا روحت ريح الصبا عن أخي هم
فيا مربع الترحال قل لابن أحمد ... ربيب العلى يحيى وترب الندى المسمي
أتاني من نادي علاك رسالة ... نفثت بها كلمي وزدت بها سقمي
تضمن من خمسين يوما شكاية ... فيما الحب إلا ما يمض وما يمصي
فكيف بمن قاسى سنينا من النوى ... وراح من الهجران جلدا على عظم
فأحلى الهوى ما عزمته وعذبه ... منادمة الأحباب من بارد الظلم
ودم وابق يا نجل الملوك معظما ... ولا زلت كنزا للمكارم والحزم
وكتبت أنا إليه معاتبا
أناس عفيف الدين أم أنت ذاكر ... عهودا سقتهن العهاد البواكر
ومثلك من لم ينس عهدا وإنما ... هو الدهر لا بلفى على الدهر ناصر

---

(١) سلافة العصر في محاسن الشعراء بكل مصر ابن معصوم الحسني ص/١٤٢

وما أنت ممن يخبس الود عنده ... ولكن قضاء أوجبته المقادر

أروم لك العذر الجميل مصححا ... وفاك وقد كادت تضيق المعاذر

أعيذك أن أمسى لودك عامرا ... ويصبح ودي وهو عندك داثر

أنا لك أصل في المرؤة طاهر ... وفضل بأنواع الفتوة ظاهر

وإن تنسك الأيام عهدي فإنني ... وحقك للعهد القديم لذاكر

إليك أخا الهيجاء نفثة موجع ... رآك لها أهلا فهل أنت شاكر

ودم وابق واسلم ما تألق بارق ... وهب نسيم واستهلت مواطر

فراجعني بقوله

أبا حسن قلبي بودك عامر ... ولم يخل من ذكراكم منه خاطر

ولولا مراعاة الزمان وأهله ... لما عاقني بعد ولا صد زاجر

ولكن لأحوال الزمان معاذر ... إذا كان هذا الدهر ممن نحاذر

أعيذك لا يخطر ببالك أنني ... سلوت وإن الود عندي داثر

أبى الله لي والمجد من قول قائل ... فلان لميثاق الأحبة غادر

وقد تقبل العذر الخفي تكرما ... فما بال عذري واقف وهو سافر

إليك أبا المنصور عذرا تجمجت ... به نفثات الود وهي حواسر

تجشمها طود العتاب ودونه ... تجشم سمر الخط وهي شواهر

بقيت فإني عن جوابك محجم ... ومعتذر عنه فقل أنا عاذر

وقال مخاطبا لي عند ورود الخبر بوفاة الوالدة المرحومة

يا أيها العلم الندب الذي شهدت ... بفضله جملة السادات والعلما

ومن تملك رق المكرمات فتى ... وشاد للحكم بيتا قبل ما احتلما

لا تبتئس من زمان فر ناجذه ... وفوق السهم لما أن عدا فرمى

فالدهر حرب وإن أبدى مسالمة ... لم يعط سلما ولم يبق امرؤ سلما." (١)

"أفي كل آت للتنائي نوائب ... وفي كل حين للتناجي أحوال

أيا دارنا بالاثل لا زال هاميا ... بربعك مسكى الغلالة هطال

ويا جيرتي طال البعاد فهل أرى ... يساعدني في القرب حظ واقبال

وهل يسعف الدهر الخؤون بزورة ... على رغم أيامي بها يسعد البال

خليلي قد طال المقام على القذى ... وحال على ذي الحال يا قوم أحوال

---

(١) سلافة العصر في محاسن الشعراء بكل مصر ابن معصوم الحسني ص/١٤٣

يمر زماني بالأماني وينقضي ... على غير ما أبغي ربيع وشوال
إلى كم أرى في مربع الذل ثاويا ... وفي الحال أخلال وفي المال أقلال
ونجمي منجوس وذكري خامل ... وقدري منحوس وجدي بطال
فلا ينعشن قلبي قريضا أصوغه ... ولا يشرحن صدري فعول وفعلال
ولا ينعمن بالي بعلم أفيده ... ومعضلة فيها غموس وأشكال
أميط جلابيب الخفا عن رموزها ... لترفع أستار ويذهب أعضال
ويلمع نور الحق بعد خفائه ... فيهدي به قوم عن الحق ضلال
سأغسل رجس الذل عني بنهضة ... يقل بها حل ويكثر ترحال
واركب متن البيد سير إلى العلى ... وما كل قوال إذا قال فعال
اقنع بالمر النقيع وأرتوي ... وبالقرب مني سلسبيل وسلسال
إذا لا مدت بالسماحة راحتي ... ولا ثار لي يوم الكريهة قسطال
ولا هم قلبي بالمعالي ونيلها ... ولا كان لي عن موقف الذل أجفال

وقال يرثي والده الشيخ العلامة حسين بن عبد الصمد وقد توفي بالمصلي من قرى البحرين لثمان خلون من شهر ربيع الأول سنة أربع وثمانين وتسعمائة عن ست وستين سنة وشهرين وسبعة أيام ومولده أول يوم من محرم سنة ثمانية عشر وتسعمائة

قف بالطلول وسلها أين سلماها ... ورو من جرع الأجفان جرعاها
وردد الطرف في أطراف ساحتها ... وأرج الروح من أرواح أرجاها
فإن يفتك من الأطلال مخبرها ... فلا يفوتنك مرآها ورياها
ربوع فضل تباهي التبر ترتبها ... ودار أنس تخال الدر حصباها
عدا على جيرة حلوا بساحتها ... صرف الزمان فأبلاهم وأبلاها
بدور تم غمام الموت جللها ... شموس فضل سحاب الترب غشاها
فالمجد يبكي عليها جازعا أسفا ... والدين يندبها والفضل ينعاها
يا حبذا أزمن في ظلهم سلفت ... ما كان أقصرها عمرا وأحلاها
أوقات أنس قضيناها فما ذكرت ... إلا وقطع قلب الصب ذكراها
يا جيرة هجروا واستوطنوا هجرا ... واها لقلبي المعنى بعدكم واها
رعيا لليلات وصل بالحمى سلفت ... سقيا لأيامنا بالخيف سقياها
لفقدكم شق جيب المجد وانصدعت ... أركانه وبكم ما كان أقواها
وخر من شامخات العلم أرفعها ... وأنهد من باذخات العلم أرساها
يا ثاويا بالمصلي من قرى هجر ... كسيت من حلل الرضوان أصفاها

أقمت يا بحر بالبحرين فاجتمعت ... ثلاثة كن أمثالا وأشباها

ثلاثة أنت أنداها وغرزها ... جودا وأعذبها طعما وأصفاها

حويت من درر العلياء ما حويا ... لكن درك أعلاها وأغلاها

يا أعظما وطئت هام السهى شرفا ... سقاك من ديم الوسمى أسماها

ويا ضريحا على فوق السماك علي ... عليك من صلوات الله أزكاها

فيك انطوى من شموس الفضل أضوءها ... ومن معالم دين الله أسناها

ومن شوامخ أطواد **الفتوة** أرسا ... ها وأرفعها قدرا وأبهاها

فاسحب على الفلك إلا على ذيول علي ... فقد حويت من العلياء أعلاها." (١)

"سيد تفرع من دوحة النبوة والرسالة. وأيد ترعرع في روضة **الفتوة** والبسالة. زبدة سلالة السراة من لؤي بن غالب. ونتيجة مقدمات القضايا التي هي للعدل والجور موجبات سوالب. تاط طرف مجده بين الرئاسة والسيادة وجمع بين كرم الأصل والخطاب الفصل فاجتمعت له الحسنى والزيادة وآباؤه من سادات كوكبان الأعظمين وأئمة الزيدية المتسمين بأمرة المؤمنين الذين أرغموا أنف الدهر بشمم أقدارهم واركوا أديم الخطوب بهمم اقتدارهم فطلعوا في آفاق الشرف شموسا وأقمارا واقتطفوا من حدائق الرئاسة زهورا ومارا وما زالوا هناك مستولين على تلك الحصون والأطراف منازل الأشراف حتى غزت جيوش بني عثمان اليمن واستولت على القصور منها والدمن فنازلوهم في ديارهم وحصونهم وظهروا على ظاهرهم ومصونهم وشددوا حصارهم وفرقوا أنصارهم إلى أن جنحوا للسلم قسرا فتركوهم في مواطنهم كأنهم أسرى ثم دالت الدول ونال أواخرهم ما لم ينله الأول كما سيأتي ذكره مجملا إن لم يكن مفصلا وكوكبان هذا مقر ملكهم ومستقر ملكهم وهو حصن على جبل باليمن ينيف بقلة سماء ويخوض براسه في عنان السماء تسقط قوادم الأبصار قبل الوقوع عليه وتهمي خوافي اللحاظ دون التلحيق إليه وأخبرني من رأه أنه يرى من مسيرة ثلاثة أيام ولما دخلت العساكر العثمانية إلى الأقطار اليمنية كان كبير السادة المذكورين الامام شرف الدين جد السيد محمد المذكور ثم عمه السيد مطهر بن شرف الدين فأظهرا الطاعات للسلطان واذنا في الخطبة له في تلك الأوطان وكتبا بذلك إليه وعرضا طاعتهما عليه ثم وقع بينهما وبين الأمراء الرومية جدال أفضى بهم لى جلاد وقتال.

ولما بلغ ذلك السلطان سليمان كتب إلى السيد مطهر بن شرف الدين هذا الكتاب وضمنه شديد التهديد والعتاب وصورته هذا مثالنا الشريف السلطاني وخطابنا المنيف الخاقاني لا زال نافذا مطاعا بالعون الرباني والمن الصمداني أرسلناه إلى الأمير الكبير العون النضير الهمام الظهير الشريف الحسيب الأديب النسيب فرع الشجرة الزكية طراز العصابة العلوية نسل السلالة الهاشمية السيد مطهر ابن الامام شرف الدين نخصه بسلام أتم وثناء أعم ونسند لعلمه الكريم أنه لم يزل يتصل بمسامعنا الشريفة العالية المنيفة اخلاصه لدينا وقيامه بقلبه وقالبه في مرضاة سلطنتنا والانقياد لجنبانا وبمقتضى ذلك كان حصل شكرنا التام وثناؤنا العام على مناصحته ولما برزت أوامرنا الشريفة سابقا بتعيين وزيرنا الأعظم والدستور المكرم سليمان باشا إلى

---

(١) سلافة العصر في محاسن الشعراء بكل مصر ابن معصوم الحسني ص/١٧٥

البلاد الهندية لفتح تلك الولاية السنية احياء لسنة البلاد وقطعا لدائرة أهل الكفر والعناد فاستبشر لذلك كل مسا فرحا وسرورا ووقع ما قدر الله وكان أمر الله قدرا مقدورا فرجع وزيرنا المشار إليه ووجد طائفة من اللوتدية تملكوا بلاد زبيد من المملكة المحمية وحصل منهم غاية المشاق وأذى الرعية وزاد ظلمهم وجورهم على العباد وعم ضررهم كل حاضر وباد فتتبع آثارهم وقطع دابرهم واستنقذ الرعايا من أيديهم وصارت مملكة زبيد من جملة ممالكنا الشريفة وعادت إلى أعتابنا العالية المنيفة.." (١)

"نور العثرة وفخرها. وملاك الأمة وسرها. وسيد الأسرة بأسرها. ابن نجدتها وأبو عذرها. الطب اللب. السري الندي. الواضع الهنا مواضع النقب. الندس المهذب الحول القلب. غذيقها المرجب. وحجيرها الماوب. حسنة الدهر. ودرة تقصار الفخر. الرحلة العلامة الشهير مصباح زيت النبوة. وسيدار باب **الفتوة**. كريم الحرولة والابوه فحسبه صميم. ونسبه كريم. واباؤه أهلة المحامد. وأقمار المشاهد. وشجي فؤاد الحاسد فهم المجلون في حلبات العليا. والفائزون من أزلام الدين والدنيا. والمحلقون في قضاء الغوالي الغاية القصوى.

بيض لها ليل يستسقى الغمام بهم ... في المحل إن ضن يوما هاطل الديم

يفوق عرف المعالي إن ذكرتهم ... ويعبق المسك من حديثهم

هم أرومة سيد الأسره. وجرثومة سرة السره. من علماء العتره. غرة أبناء البطين. ناظورة أهل بيت النبي الأمين. محيي الدين. المفضل عبد الله ابن أمير المؤمنين. يحيى شرف الدين. سلسلة من ذهب. منوطة بالشهب. ونسبة ترددت بين وصي ونبي سبحان من قدسها من سيآت النسب. لا برح نسبه تميمة في أجياد الحسب. ولا انفك حسبه رقية في لبات المكارم والأرب. ولا زال أدبه حليا لعاطل الأدب. وجمالا لشرف الأسماء والنسب. ولا فتئت أردية العلماء محبرة بمساعيه. ومطارف المحامد مفوفة بمعاليه. وريطة الفضل معلمة بأياديه. وركاب الفضائل والفواضل معكوفة بناديه. ولا برح عاكفا تحت سرادق الكرم. واقفا في رواق من حسن الشمائل والشيم. تخفق عليه أعلام العلم. وتنشر أماه ألوية الحلم. ما طلع نجم في برجه. ولاح نوره. ونجم طلع في مرجه. وفاح نوره.

دام في روضة النعيم تغنيه ... على ايكة الهنا الأفراح

لا خلا من هلاله فلك المجد ... ولا غاب نجمه الوضاح

فلجيد العليا منه عقود ... ولعطف الفخار منه وشاح

فلا أصابته عين الكمال. ولا سلب الدهر بفقده ثوب الجمال. ولا برح كعبة للجود. وعصرة للمنجود. ونورا يلوح في أثناء الوجود. فإنه لما نفحت سمات الأشواق. ودارت على كؤوسها دون الرفاق. قدمت كتابي إلى الحضرة ينهى. إلى مولاي أن شوقي إلى مرآه البهي. ومحياه السني. شوق الغريب إلى الوطن. والنازح إلى السكن والمهجور إلى العناق. والمخمور إلى الدهاق. والصديان إلى الماء القراح. والحيران إلى تبلج الصباح. يحدثه أني من بينه فقيد الجلد. عميد الخلد. جديد الكمد. بالي الصبر والجسد. تهزني إليه نسائم الأصيل. وتبكيني مباسم البرق الكليل. وتشجيني نوح الحمام على الهديل. وإني لا

---

(١) سلافة العصر في محاسن الشعراء بكل مصر ابن معصوم الحسني ص/٢٤٨

أزال من فراقه متلفعا بأبراد الضنى. متعلقا بأذيال المنى لا يجمعني والسلوان فنا. ولا يفرق بيني وبين الأسف إلا القرب وإلا الفنا. ولعمري لولا رأفة سيدي بولده. وبضعة جسده. وفلذة كبده. قد أبر على كل مألوف. وأربى على عطف كل أب عطوف. لارخيت عنان القلم في ميدان الشكوى. ولكني ثنيته طاويا الكشح على البلوى. فرقا أن تالم نفس مولاي. وإشفاقا أن يلتاح قلبه من جواي. وأمرته أن يرد فناء سيدي مسرورا فرحا. وأن يسحب ذيله في ساحاته مرحا. ويسفر طلاقة وبشرا. ويفتر ثمة عن ثغر خريدة عذرا. ملتثما للأرض بين يديه. قاضيا بعض ما يجب من الثناء عليه. إذ ليس بممكن أداء الثناء بوجهه. ولا بلوغ غايته وكنهه. هيهات هيهات ذاك أعز من بيض الأفوق. وأبعد من العبوق. والا بلق العقوق. غير أن الحياء من عظمة تلك العفوه. والجلال لابهة تلك الربوه قد كسر من نشاطه. لما ضرب الحيا بسياطه. فلم يقدم إلا مدهوننا فشلا. مصوبا بناصيته خجلا. فليصرف سيدي زنديه صفحا. ويضرب عن تتبع تبعاته عفوا وصفحا. فقد جاء ملقيا للمعاذير. معترفا بالقصور لا التقصير. وسيدي أكرم الناس شنشنه. وأولى من ستر سيئة ونشر حسنه. فلعل سيدي أن يغمض عن قذاه عين التغاضي. ويلحظه بعين محب راضي. فإن الرضى عينه عن العيوب حسيره. كما أن عين السخط بالذنوب بصيره. والكريم من أقال عثرة الكرام. واللئيم على هفوة المعترفين نمام. والانسان إلى شاكلته يجمح. وكل اناء بالذي فيه يرشح

ما كريم من لا يقيل عثارا ... لكريم ويستر العوراء

إنما الحر من يجر على الزلات ... منه ذيلا ويغضي حياء." (١)

"الحكيم الآسي. والطبيب النطاسي. المديد الباع. المشيد الرباع. فارس حكماء فارس. المحيي من آثار الحكمة كل عارف ودارس. بلغ على فتا سنه ما لم يبلغه المشايخ الكبار. وبرع في فن الطب براعة لا يشق لها غبار. فلو أدركه الشيخ الرئيس. لقضى له بالرئاسه. أو ابن النفسي. لقال له فضلك الجدير بالنفاسه. أو المعلم الأول. لأذعن بأنه الذي عليه المعول. أو التالي. لقال إليه فليثن الأعنة الثاني. ولو راجعته البروق شاكية لزال خفقانها. أو الشمس عند الغروب لأذهب برقانها. إلى تقدس نفس وذات ومكارم أخلاق مستلذات واطلاق كف وطلاقة محياه يحيي بهما عفاة كرمه وعلمه إذا حيا ورد علينا من الهد في سنة خمس وسبعين وهو يرفل من الشباب في برد قشيب. ويتخلق من الوقار والسكينة بأخلاق الشنيب. فعاشرت منه صديق صدق ووفا. وصفي محبة وصفا. وحافظ لازمة الصحبة والعهود. وقائل من حدائق الفتوة في روض معهود. واعتنى في مدة يسيرة بأدب العرب. فملا منه الدلو إلى عقد الكرب. وأبرز فيه نثرا ونظما. وأجرى من سلسال طبعه ما ينوب عن الماء الزلال لمن يظما وأما نظمه بلسانه فما زهر ربيعه وورد نيسانه وقد أقر له أقرانه بالاعجاز والتفرد في نوعي الحقيقة منه والمجاز وهذا حين أثبت من شعره العربي ما هو شرط الكتاب ونجعة المشاب فمنه قوله متغزلا

من أودع الشهد والسلاف فمه ... والجوهر الفرد فيه من قسمه

وواو صدغيه فوق عارضه ... يا ليت شعري بالمسك من رقمه

ووافر الحسن والجمال له ... من دون كل الحسان من رسمه

---

(١) سلافة العصر في محاسن الشعراء بكل مصر ابن معصوم الحسني ص/٢٥٤

وخده الورد في تضرجه ... ما ضره لو محبه لثمه

دمي ودمعي بلحظه سفكا ... فلا شقى منه ربه سقمه

كم من قتيل بسيف مقلته ... لم يخش ثارا لما أباح دمه

كتمت حبي عن الوشاة فما ... ظن به كاشح ولا علمه

وكم محب أعيت مذاهبه ... أذاع سر الهوى وما كتمه

وقوله أيضا وأجاد في الجناس ما شاء

قضى وجدا بحب أهيل رامه ... وما نال الذي في الحب رامه

محب لم يطع فيهم عذولا ... ولا قبلت مسامع الملامه

بهاه عن الهوى لاحيه سرا ... فقال له جهارا في الملامه

فقولوا يا أهيل الود قولوا ... علام هجرتم المضني علامه

وقد أمسى بحبكم قتيلا ... وحبكم له أضحى علامه

وكتبت إليه وقد تخلف عن زيارتي لعذر سنح

شوقي إليكم يا أهل ودي ... ألف بين الأسى وبيني

هذا وشوقي لكم أراه ... شوقا لنفسي من غير مين

وصدق ما أدعيه فيكم ... أن عليا أبو الحسين

فأجاب وأجاد

يا أيها السيد الحسيني ... شرف قدرا أبا الحسيني

إن بنت عنكم فلي فؤاد ... لديكم لم يمل لبين

دمت مدا الدهر في سرور ... رحيب صدر قرير عين

تذري مساعيك في المعالي ... بذى نواس وذي رعين

وقال أيضا

كشف الصبح اللثاما ... وجلا عنا الظلاما

فأجل لي الكاس ونبه ... أيها الساقي الندامى

علنا نقضي كما رم ... نا من الأنس المراما

ما ترى الورق على الا ... يك يجاوبن الحماما

وزهور الروض أصبحن ... يفتقن الكماما

والحيا يبكي عليه ... ن فيضحكم ابتساما

ووميض البرق قد سل ... على الأفق حساما

وحبيب النفس قدلاح لنا بدرا تماما

أي عذر لك إن لم ... تصل الراح مداما
فاغنم الأنس وباين ... من لحا فيه ولاما
وعارض بهذه الأبيات أبيات بلدية الشيخ سعدي الشيرازي التي هي
يا نديمي قم بليل ... واسقني واسق الندامى
خلني أسهر ليلى ... ودع الناس نياما
اسقياني وهدير الر ... عد قد أبكى الغماما
في أوان كشف الورد ... عن الوجه اللثاما." (١)

"لله مجلسنا والغصن يعطفه ... من نسمة الصبح تقديم وتأخير
والنهر جسم بثوب الزهر ملتحف ... والزهر برد من الريحان مزرور
فصل الربيع إذا ما العشق وافقه ... للقلب فيه وللأشجار تقطير
وللسماء التباس بالرياض لما ... حكت كواكبها منها التصاوير
فالزهرة الورد والسعد الشقائق والم ... جرة النهر والجوزاء منثور
تصرفت بي أيامي لتنقصني ... فما تغيرت والتصريف تغيير
لا ينفع المرء تدبير يهذبه ... إلا إذا عضد التدبير تقدير
وقال أيضا
شهودي على أني لاذن العلى قرط ... لباس التقى والعلم والشعر والخط
فإن قبلت مني الشهادة أثبتت ... مرادي وإلا فالصوارم والخط
حويت ملاك المجد من قبل أن يرى ... لمسك عذاري في صفا عارضي خط
ولم يقض لي الدهر الخؤون مطالبي ... وها قد بدا للشيب في لمتي وخط
ألا أتشكى من زماني وقد غدا ... سلاحا به يسطو على الأجدل البط
وتفترس الضان احتقارا أسوده ... ويقصر عما يدرك الجعفر الشط
وتخضع شمس الأفق منه لدى السهى ... ويسجد لليل النهار وينحط
تخالف حكم الفضل والنقص عنده ... فهذا به قبض وهذا له بسط
وليس لأهل النظم فيه محرك ... فلا ماجد يعطى ولا شاذن يعطو
إلى الله أشكو جور دهري وجيرة ... نأوا بالجفا عني ولم ينأهم شحط
تباين ما بيني وبين أحبتي ... كان لم يكن وصل لدينا ولا ربط
نصيبهم مني دنو إذا جفوا ... رضا ونصيبي منهم أبدا سخط

---

(١) سلافة العصر في محاسن الشعراء بكل مصر ابن معصوم الحسني ص/٢٨٤

ولو صوبوا أنظارهم بي وحاولوا ... خطا وصوابا لم يصيبوا ولم يخطوا

وقال

بدا شيب المحب فبان لما ... عذار حبيبه في الخد لاحا

فهذا صبحه أمسى مساء ... وذاك مساءه أضحى صباحا

وقال

دع الدنيا ولا تركن إليها ... فزخرفها سيذهب عن قليل

وإن ضحكت بوجهك فهو منها ... كضحك السيف في وجه القتيل

وأنشدني له شيخنا الشيخ جعفر بن كمال الدين البحراني في مرثية له في السيد مبارك بن مطلب قال وهو مما زعم أنه لم يسبق إليه وكان يقول لو لم يكن لي من الشعر إلا هذان البيتان لكفى

سفها توهم ما أرقن من الظبا ... أيدي القيون من الأشعة جوهرا

هذا عمود الماء طلقا جاريا ... وافاه ما صدع العلى فتكسرا

قلت فإني لأعجب من زعمه أنه لم يسبق إليه وليس فيه غير تشبيه فرند السيف بالماء المتكسر وهذا المعنى في قول أبي العلا المعري من قصيدته المشهورة

وكل أبيض هندي به شطب ... مثل التكسر في جار بمنحدر

وقلت أنا في السيف وأظن أني لم أسبق إليه والله أعلم

لا تحسبن فرند صارمه به ... وشيا أجادته القيون فأبهرا

هذا ندى يمناه سال بمتنه ... فغدا يلوح بصفحتيه مجوهرا

الشيخ جمال الدين محمد

بن عبد الله النجفي المالكي من أولاد مالك الأشتر

ذو النسب الأشتري. والأدب البحتري. سماء فضل مشرقة البروج. وحديقة دب مزهرة المروج وطود حلم لا تزعزعه الرياح وبحر علم لا يفيض الامتياح طلع في سماء البيان سراجا وعلي في سبع الطباق منها معراجا ونهد إلى معاقل المعاني ببلاغته ففتحها وشرع أرشية أقلامه إلي قلب البديع فمنحها. ونظم في أسلاك القريض درة المنتقى. وأجرى سلسال ترسله بين العذيب والنقي إلى أخلاق وشمايل قال منها في رياض وخمائل. وصفاء سريرة وضمير. كرع منه في عذب نمير. إن ذكرت **الفتوة** فهو شيخها وفتاها. أو المروة فهو مصيفها ومشتاها. ولقد عاشرته حضرا وسفرا. فألفيته على العسر واليسر كما قال الشنفري.

فلا جزع من خلة متكشف ... ولا مرح تحت الغنى متجيل." (١)

---

(١) سلافة العصر في محاسن الشعراء بكل مصر ابن معصوم الحسني ص/٣١٩

"فأنت لها ابن وأنت لها أب ... وأنت لها صنو وأنت الأقارب

كذاك عشقت العلم والجود والتقى ... وللناس فيما يعشقون مذاهب

قذفت لنا يا أيها البحر موجة ... من النظم في أثنائها الدر راسب

وكلفتني حالا محالا بأنني ... أعارض درا لم يثقبه ثاقب

فلم أستطع خلفا لأمرك أنه ... لأمر على كل البرية واجب

فكنت كمن قد عارض الدر بالحصى ... فها أنا بالتقصير طبعي أحاسب

وحسبي عذيرا إنني لك طابع ... كما أن حسبي إنني فيك راغب

ولا زلت في روض من العيش ناضر ... إلى دارك العليا تؤب الرغائب

وله مؤرخا الدار التي بنيت لسكناه بالديار الهنديه

يا من له دار المكارم ساميه ... من عهد آدم في القرون الخاليه

لك بيت فضل لا يحاكى رفعة ... فبنيت دارا للنواظر حاكيه

شيدتها وسمائها حتى غدت ... للسبع ثامنة فصرن ثمانيه

حاشا لفضلك أن يساميه بنا ... ولبيت مجدك أن تنال أعاليه

هذا البيت ملحون القافية إذ صوابها أعاليه بسكون اليا لأنها في محل الرفع على أنها مفعول ما لم يسم فاعله

لن تبن قبل وبعد دار مثلها ... ولو أن أفلاك الزمان البانيه

طيبت نكهتها فخلنا إنما ... أجزاؤها من عنبر في غاليه

هذا لسان الحال أبلغ خاطب ... قد قام ينشد للقصور الساميه

وهب العلى صنو العلى غيث الورى ... نجل الرسول من المنازل عاليه

هذا البيت أيضا مختل القافية إذ صوابها عاليها لأن الضمير راجع إلى المنازل

والسعد طاف بركنها مترنما ... متغنيا ومن السرور بحاشيه

لما تغالت غبطة في ربها ... شمس الزمان وذي السجايا الزاهيه

مني اسمعوا وبي اقتدوا تاريخها ... دار النعيم لأحمد متعاليه

فانعم ولذ ودا لها متملكا ... ما دامت الشمس المنيرة جاريه

ولم أر من شعره ما أرضى اثباته غير هذا والله أعلم

القسم الخامس في

محاسن أهل المغرب

وايراد شيء من نثرهم ونظمهم المطرب

قال المؤلف عفا الله عنه لم أسمع في باب التلميح ومدح هذه الطبقه بأحلى مما حكاه أبو الوليد الشقندي في آخر رسالته التي فضل بر الأندلس فيها على بر العدوه حيث قال وأنا أحكي لك حكاية جرت لي في مجلس الفقيه الرئيس أبي بكر بن زهر وذلك أني كنت يوما بين يديه فدخل علينا رجل أعجمي من فضلاء خراسان وكان ابن زهر يكرمه فقلت له ما تقول في علماء الأندلس وكتابهم وشعرائهم فقال كبرت. فلم أفهم مقصده واستبردت ما أتى به وفهم عني أبو بكر ابن زهر أني نظرته نظر المستبرد المنكر فقال لي قرأت شعر المتنبي قلت نعم وحفظت جميعه فقال على نفسك اذن فلتفكر وخاطرك بقلة الفهم فلتتهم فذكرني بقول المتنبي

كبرت حول ديارهم لما بدت ... منها الشموس وليس فيها شموس

فاعتذرت إلى الخراساني وقلت له قد كبرت في عيني بقدر ما صغرت نفسي عندي حين لم أفهم نيل مقصدك انتهى

أبو العباس أحمد المنصور بالله

بن أبي عبد الله المهدي القاسم بأمر الله الشريف الحسني سلطان المغرب وابن سلطانه

ملك تفرع منه جرثومة الملك والنبوة. وتدرع جلباب الشرف والمجد **والفتوة**. فطلع من المغرب بدر على مشرقا. وراج لعداته بماء حسامه مغضا مشرقا. فهو كما قلت فيه. لما بلغني من احتفاله بالفضل وتحفيه.

بدر على مشرقه المغرب ... ومبدع في مجده مغرب

له مزايا لا تناهي ولا ... يعرب عن تبيانها المعرب." (١)

"وله من التآليف التفسير وسماه: (ضياء السبيل إلى معالم التنزيل) . وله كتاب: (رفع الالتباس ببيان اشتراك معاني الفاتحة وسورة الناس) وله: (رسالة في ختم البخاري) و (رسالة في فضائل عاشوراء) و (نظم أنموذج اللبيب للسيوطي) و (شرحه) شرحا عظيما (ونظم أم البراهين) و (نظم عقيدة النسفي) و (نظم مختصر المنار) و (نظم إيساغوجي) و (العقد والمدخل في علم البلاغة للعضد) وله (فتح الوهاب بنظم رسالة الآداب للعضد) وله (شرح على تصنيف الشيخ محمد البركلي المسمى بالكفاية سماه حسن العناية بالكفاية) و (شرح الأذكار للنووي) و (شرح رياض الصالحين له) وله (درر القلائد فيما يتعلق بزمزم وسقاية العباس من الفوائد) و (شرح منسك النووي الكبير سماه فتح الفتاح في شرح الإيضاح) و (شرح منظومة السيوطي في موافقات عمر رضي الله عنه للقرآن) وله مؤلف في رجال الأربعين النووية، ومؤلفات في التنباك أحدهما يسمى (تحفة ذوي الإدراك في المنع من التنباك) والآخر (إعلام الإخوان بتحريم الدخان) . و (الابتهاج في ختم المنهاج) و (نظم القطر والآجرومية) و (حاشية على شرحها للشيخ خالد) و (رشف الرحيق من شراب الصديق) و (مؤلف في أجداده إلى الصديق) و (مؤلف فيمن اسمه زيد) و (حسن النبا في فضل قبا) اختصره من (جواهر الأنبا للشيخ إبراهيم الوصابي) و (زهر الربا في مسجد قبا) و (النفحات الأحدية تصدير وتعجيز الكواكب الدرية. أمن تذكر جيران بذي سلم) و (العلم المفرد في فضل الحجر الأسود) وله (إتحاف الإسلام ببيان أن المصطفى عليه الصلاة والسلام لا يخلو عنه زمان ولا مكان)

---

(١) سلافة العصر في محاسن الشعراء بكل مصر ابن معصوم الحسني ص/٣٢٨

وشمس الآفاق فيما للمصطفى صلى الله عليه وسلم من كرم الأخلاق) و (خاتم الفتوة في خاتم النبوة) و (لطيف اللطائف بتاريخ وج والطائف) ومؤلف فيمن أردفهم النبي صلى الله عليه وسلم على سماه: (بغية الظرفا في معرفة الردفا) وبلغوا فوق الأربعين. وله (المنح الأحدية بتقريب معاني الهمزية) و (شرح قلادة العقيان بشعب الإيمان) للشيخ إبراهيم بن حسن مفتي ديار الشرف و (الأقوال المعرفة بفضائل يوم عرفة) وكتاب (الفتح المستجاد لبغداد) و (منهج من ألف فيما يرسم بالياء وما يرسم بالألف) و (مورد الصفافي مولد المصطفى) و (النفحات العنبرية في مدح خير البرية) و (عيون الإفادة في أحرف الزيادة) و (شرح منظومة ابن الشحنة في المعاني والبيان) و (شرح الزبد) وله (المنهل العذب المفرد في الفتح العثماني لمصر) و (من ولوا نيابة تلك البلد) وله ثلاثة تواريخ في بناء الكعبة أحدهما ألفه برسم خزانة السلطان مراد وسماه باسم فيه تاريخ عام عمارته هو (إنباء المؤيد الجليل مراد ببناء بيت الوهاب الجواد وأرسله إلى السلطان صحبة المشير بتأليفه السيد محمد الأنقروي، وسأله أن يعين له من الصدقات والجرايات ما يقوم له بالكفاية، وأن يجدد له درسا لتفسير الكتاب الكريم ولحديث المصطفى صلى الله عليه وسلم، فما أحدث. وله رسالة في تعريف واجب الاستثناء وجائزه سماها (فتح المالك في تجويز طريق ابن مالك) . وغير ذلك من الرسائل.

ولد في عشرين صفر سنة ست وتسعين وتسع مئة. وتوفي نهار الثلاثاء لتسع بقين من ذي الحجة سنة سبع وخمسين وألف. ودفن بالمعلاة بالقرب من قبر شيخ الإسلام ابن حجر المكي.

هذا وقد حضرت درسه في التفسير عند الكعبة تجاه الحجر. ودخلت حجرته وأجازني إجازة خاصة بعد أن أجازني عامة بسائر مروياته ليلة دخولنا إلى مكة وأنا داخل أنا ووالدي من باب السلام، فوجدناه متوجها من الطواف في طريق مدخلنا إلى الطواف بالتماس والدي لي منه ذلك، وأنا ابن إحدى عشرة سنة. وذلك سنة خمس وخمسين وألف على مهاجرها أفضل صلاة وأكمل تحية.

محمد نجم الدين بن يحيى الفرضي." (١)

"على عنقود لا شبعهم وجاء رجل من اهل الكتاب الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا أبا القاسم تزعم ان اهل الجنة يأكلون ويشربون فقال (نعم والذي نفس محمد بيده ان أحدهم ليعطى قوة مائة رجل في الاكل والشرب والجماع) قال فان الذي يأكل له حاجة والجنة طيبة ليس فيها أذى قال عليه السلام (حاجة أحدهم عرق كريح المسك) ولهم فيها اى في الجنة أزواج اى نساء وحور مطهرة مهذبة من الأحوال المستقذرة كالحيض والنفاس والبول والغائط والمنى والمخاط والبلغم والورم والدرن والصداع وسائر الأوجاع والولادة ودنس الطبع وسوء الخلق وميل الطبع الى غير الأزواج وغير ذلك ومطهرة ابلغ من طاهرة ومتطهرة للاشعار بان مطهرا طهرهن وما هو الا الله سبحانه وتعالى قال الحسن هن عجائزكم العمص العمش طهرن من قاذورات الدنيا وعن ابن عباس رضى الله عنهما خلق الحور العين من أصابع رجليها الى ركبتيها من الزعفران ومن ركبتيها الى ثدييها من المسك الأذفر ومن ثدييها الى عنقها من العنبر الأشهب اى الأبيض ومن عنقها الى رأسها من الكافور إذا أقبلت يتلألأ نور وجهها كما

---

(١) مشيخة أبي المواهب الحنبلي ابن عبد الباقي الحنبلي ص/١٨

يتلألأ نور الشمس لاهل الدنيا وهم فيها خالدون اى دائمون احياء لا يموتون ولا يخرجون منها قال عكرمة اهل الجنة ولد ثلاث وثلاثين سنة رجالهم ونساؤهم وقامتهم ستون ذراعا على قامة أبيهم آدم شباب جرد مرد مكحلون عليهم سبعون حلة تتلون كل حلة فى كل ساعة سبعين لونا لا يبزقون ولا يمتخطون وما كان فوق ذلك من الأذى فهو ابعد يزدادون كل يوم جمالا وحسنا كما يزداد اهل الدنيا هرما وضعفا لا يفنى شبابهم ولا تبلى ثيابهم واعلم ان معظم اللذات الحسية لما كان مقصورا على المساكن والمطاعم والمناكح حسبما يقضى به الاستقراء وكان ملاك جميع ذلك الدوام والثبات إذ كل نعمة وان جلت حيث كانت في شرف الزوال ومعرض الاضمحلال فانها منغصة غير صافية من شوائب الألم بشر المؤمنون بها وبدوامها تكميلا للبهجة والسرور وفي التأويلات النجمية وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات تجري من تحتها الأنهار اى يحصل لهم جنات القربة معجلة من بذر الايمان الحقيقي وأعمالهم القلبية الصالحة والروحية والسرية بالتوحيد والتجريد والتفريد من أشجار التوكل واليقين والزهد والورع والتقوى والصدق والإخلاص والهدى والقناعة والعفة والمروءة **والفتوة** والمجاهدة والمكابدة والشوق والذوق والرغبة والرهبة والخوف والخشية والرجاء والصفاء والوفاء والطلب والارادة والمحبة والحياء والكرم والسخاوة والشجاعة والعلم والمعرفة والعزة والرفعة والقدرة والحلم والعفو والرحمة والهمة العالية وغيرها من المقامات والأخلاق تجرى من تحتها مياه العناية والتوفيق والرأفة والعطفة والفضل كلما رزقوا منها من هذه الأشجار من ثمرة من ثمرات المشاهدات والمكاشفات والمعاينات رزقا اى عطفا وصحة وعطية قالوا هذا الذي رزقنا من قبل وذلك لان اصحاب المشاهدات يشاهدون أحوالا شتى في صورة واحدة من ثمرات مجاهداتهم فيظن بعضهم من المتوسطين ان هذا المشاهد هو الذي يشاهده قبل هذا فتكون الصورة تلك الصورة ولكن المعنى هو حقيقة اخرى مثاله يشاهد السالك نورا في صورة نار كما شاهد موسى عليه السلام نور الهداية في صورة نار كما قال انى آنست نارا فتكون تارة تلك." (١)

"نصيب عظيم كائن من جنس ما كسبوا من الأعمال الحسنة وهو الثواب الذي هو المنافع الحسنة او من أجل ما كسبوا لانهم استحقوا ذلك الثواب الحسن بسبب أعمالهم الحسنة ومن أجلها فتكون من ابتدائية لان العلة مبدأ الحكم ثم اومأ الى قدرته محذرا من الموت وحاثا على اعمال الخير بقوله والله سريع الحساب والحساب يراد به نفس الجزاء على الأعمال فان الحساب سبب للاخذ والعطاء واطلاق اسم السبب جائز شائع اى يحاسب العباد على كثرتهم وكثرة أعمالهم في مقدار لمحة لعدم احتياجه الى عقد يد او وعى صدر او نظر وفكر فاحذروا من الإخلال بطاعة من هذا شأن قدرته او يوشك ان يقيم القيامة ويحاسب الناس وفي خطبة بعض المتقدمين ولت الدنيا حذاء ولم يبق الاصابة كصبابة الإناء فليبادر المؤمن الى الطاعات واكتساب الحسنات والذكر في كل الحالات قال الحسن البصري اذكروني بما يذكر الصغير أباه فانه أول ما يتكلم يقول يا اب يا اب فعلى كل مسلم ان يقول يا رب يا رب وعن النبي عليه السلام (أغبط أوليائي عندى مؤمن خفيف الحاذ ذو حظ من الصلاة احسن عبادة ربه وأطاعه في السر وكان غامضا فى الناس لا يشار اليه بالأصابع وكان رزقه كفافا فصبر على ذلك) ثم نقر بيده فقال (هكذا عجلت منيته قلت بواكيه قل تراؤه) وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر ان يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار والاشارة فاذا قضيتم مناسك وصلتكم وبلغتم مبلغ

---

(١) روح البيان إسماعيل حقي ٨٤/١

الرجال البالغين من اهل الكمال فلا تأمنوا مكر الله ولا تهملوا وظائف ذكر الله فاذكروا الله كما تذكرون في حال طفوليتكم آباءكم للحاجة والافتقار بالعجز والانكسار وفي حال رجوليتكم للحجة والافتخار بالمحبة والاستظهار فاذكروا الله افتقارا وافتخارا او أشد ذكرا وأكد في الافتخار لانه يمكن للطفل الاستغناء عن الله بولي وكذلك البالغ يحتمل ان يفتخر بغير الله ولكن العباد ليس لهم من دون الله من ولى ولا واق فمن الناس من اهل الطلب والسلوك من يقول بتسويل النفس وغرورها بحسبان الوصول والكمال عند النسيان وتغير الأحوال ربنا آتنا في الدنيا حسنة يعنى تميل نفسه الى الدنيا وتنسى المقصد الأصلي ويظن الطالب الممكور انه قد استغنى عن الاجتهاد فاهمل وظائف الذكر ورياضة النفس ومخاطرة القلب ومراقبة السر فاستولت عليه النفس وغلب عليه الهوى واستهوته الشياطين في الأرض حيران حتى أوقعته في اودية الهجران والفراق وما له في الآخرة من خلاق ومنهم اى من اهل الوصول وارباب **الفتوة** من يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة نعمة من النعم الظاهرة كالعافية والصحة والسعة والفراغة والطاعة واستطاعة البدن والوجاهة والإرشاد والأخلاق وفي الآخرة حسنة نعمة من النعم الباطنة هي الكشوف والمشاهدات وانواع القربات والمواصلات وقنا عذاب النار اى نار القطيعة وحرقة الفراق أولئك لهم نصيب اى لهؤلاء البالغين الواصلين نصيب وافر مما كسبوا من المقامات والكرامات ومما سألوا من إيتاء الحسنات والله سريع الحساب لكلا الفريقين فيما سألوه اى يعطيهم بحسب نياتهم على قدر هممهم وطوياتهم كذا في التأويلات النجمية واذكروا الله اى كبروه أعقاب الصلوات وعند ذبح القرابين ورمى الجمار وغيرها في أيام معدودات فى ايام التشريق هي ثلاثة ايام بعد يوم النحر. أولها يوم القر وهو الحادي عشر." (١)

"يخرجونهم بالوساوس وغيرها من طريق الإضلال والإغواء من النور اى الايمان الفطري الذي جبلوا عليه كافة إلى الظلمات اى ظلمات الكفر وفساد الاستعداد والانهماك في الشهوات او من نور اليقينيات الى ظلمات الشكوك والشبهات واسناد الإخراج الى الطاغوت مجاز لكونها سببا له وذلك لا ينافى كون المخرج حقيقة هو الله تعالى فالآية لا تصلح ان تكون متمسكا للمعتزلة فيما ذهبوا اليه من ان الكفر ونحوه مما لا يكون أصلح للعبد ليس من الله تعالى بناء على انه أضاف الكفر الى الطاغوت لا الى نفسه أولئك اشارة الى الموصول باعتبار اتصافه بما في حيز الصلة وما يتبعه من القبائح أصحاب النار اى ملابسوها وملازموها بسبب مالهم من الجرائم هم فيها خالدون ماكثون ابدا ولم يقل بعد قوله يخرجهم من الظلمات إلى النور أولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون تعظيما لشأن المؤمنين لان البيان اللفظي لا يفى بما أعد لهم في دار الثواب واعلم ان مراتب المؤمنين في الايمان متفاوتة وهم ثلاث طوائف. عوام المؤمنين. وخواصهم

. وخواص الخواص فالعوام يخرجهم الله من ظلمات الكفر والضلالة الى نور الايمان والهداية كقوله تعالى والذين اهتدوا زادهم هدى والخواص يخرجهم من ظلمات الصفات النفسانية والجسمانية الى نور الروحانية الربانية كقوله تعالى الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله واطمئنان القلب بالذكر لم يكن الا بعد تصفيته عن الصفات النفسانية وتحليته بالصفات الروحانية وخواص الخواص يخرجهم من ظلمات حدوث الحلقة الروحانية بافنائهم عن وجودهم الى نور تجلى صفة القدم لهم ليبقيهم به كقوله تعالى إنهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى الآية نسبهم الى **الفتوة** لما خاطروا بأرواحهم في طلب الحق وآمنوا بالله وكفروا

---

(١) روح البيان إسماعيل حقي ١/ ٣٢٠

بطاغوت دقيانوس فلما تقربوا الى الله بقدم **الفتوة** تقرب إليهم بمزيد العناية فاخرجهم من ظلمات النفسانية الى نور الروحانية فلما تنورت أنفسهم بانوار أرواحهم اطمأنت الى ذكر الله وآنست به واستوحشت عن محبة اهل الدنيا وما فيها فاحبوا الخلاء كما كان حال النبي عليه الصلاة والسلام فى بدء الأمر قالت عائشة رضى الله عنها أول ما بدئ به عليه الصلا والسلام كان حبب اليه الخلاء ولعمرى هذا دأب كل طالب محق مريد صادق كذا في التأويلات النجمية قال الفخر الرازي بطريق الاعتراض ان جمعا من الصوفية يقولون الاشتغال بغير الله حجاب عن معرفة الله والأنبياء عليهم الصلاة والسلام لا يدعون الخلق الا الى الطاعات والتكاليف فهم يشغلون الخلق بغير الله ويمنعونهم عن الاشتغال بالله فوجب ان لا يكون ذلك حقا وصدقا انتهى كلامه يقول الفقير جامع هذه المجالس النفيسة هذا الاعتراض ليس بشئ فان الطاعات والتكاليف وسائل الى معرفة الله الملك اللطيف فالدعوة ليست الا الى معرفة الله حقيقة ألا يرى الى تفسير ابن عباس رضى الله عنهما عند قوله تعالى وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون بقوله ليعرفون وانما عدل عنه الى ليعبدون مع انه خلاف مقتضى الظاهر حينئذ اشعارا بان المعرفة المقبولة هي التي تحصل بطريق العبادة فالاشتغال بغير الله وبغير عبادته حجاب أي حجاب ولذلك." (١)

"والإثم والجفوة والدعوة فألحق به عار الا يفارقه فى الدنيا والآخرة قال والذي يدل على هذا ما روى عن الشعبي فى قوله عتل حيث قال العتل الشديد والزنيم الذي له زنمة من الشر يعرف بها كما تعرف الشاة وقيل سنعلمه يوم القيامة بعلامة مشوهة يعلم بها من سائر الكفرة بأن نسود وجه غاية التسويد إذ كان بالغا فى عداوة سيد المرسلين عليه وعليهم الصلاة والسلام أقصى مراتب العداوة فيكون الخرطوم مجازا عن الوجه على طريق ذكر الجزء وارادة الكل وفى التأويلات النجمية نكوى خرطوم استعداده بكى نار الحجاب والبعد حتى لا يشم النفحات الالهية والنسمات الربانية إنا بلوناهم يقال بلى الثوب بلى اى خلق بلوته اختبرته كأنى اخلقته من كثرة اختبارى له والبلايا اختبارات والمعنى انا ابتلينا اهل مكة بالقحط والجوع سبع سنين بدعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أكلوا الجيف والجلود والعظام والدم لتمردهم وكفرانهم نعم الله تعالى كما بلونا أصحاب الجنة اى ابتلاء مثل ابتلاء اصحاب الجنة المعروف خبرها عندهم واللام للعهد والكاف فى موضع النصب على انها نعت المصدر محذوف وما مصدرية والجنة البستان وبالفارسية باغ. واصحاب الجنة قوم من اهل ضنعاء وفى كشف الاسرار سه برادر بودند. كانت لأبيهم هذه الجنة دون صنعاء بفرسخين وقال السهيلي هى جنة بضروان وضروان على فراسخ من صنعاء وفى فتح الرحمن الجنة بستان يقال له ضروان باليمين وكان اصحاب هذه الجنة بعد رفع عيسى عليه السلام بيسير وكانوا بخلاء وكان أبوهم يأخذ منها قوت سنة ويتصدق بالباقي وكان ينادى الفقراء وقت الصرام ويترك لهم ما اخطأه المنجل وما فى أسفل الاكداس وما اخطأه القطاف من العنب وما بقي على البساط الذي يبسط تحت النخلة إذا صرمت (قال الكاشفى) وده از يك حاصل نيز بر ايشان قسمت كردى. فكان يجتمع لهم شيء كثير ويتزودون به أياما كثيرة فلما مات أبوهم قال بنوه ان فعلنا ما كان يفعل أبو ناضاق علينا الأمر ونحن أولوا عيال فحلفوا فيما بينهم وذلك قوله تعالى إذ أقسموا ظرف لبلونا والاقسام سوكند خوردن يعنى سوكند خوردند وارثان باغ كه ٧/٨نهان از فقرا ليصرمنها

(١) روح البيان إسماعيل حقي ٤٠٩/١

الصرام والصرم قطع ثمار النخيل وبالفارسية بار خرما بريدن. من صرمه إذا قطعه اى ليقطعن ثمارها من الرطب والعنب ويجمعن محصولها من الحرث وغيره مصبحين اى داخلين فى الصباح مبكرين وسواد الليل باق قوله ليصرمنها جواب للقسم وجاء على خلاف منطوقهم ولو جاء على منطوقهم لقيل النصر منها بنون المتكلم ومصبحين حال من فاعل ليصرمنها ولا يستثنون اى لا يقولون ان شاء الله وتسميته استثناء مع انه شرط من حيث ان مؤداه مؤدى الاستثناء فان قولك لأخرجن ان شاء الله ولا اخرج الا ان شاء الله بمعنى واحد والجملة مستأنفة او حال بعد حال لعل إيراده بعد إيراد اقسامهم على فعل مضمر لمقصودهم مستنكر عند ارباب المروة واصحاب **الفتوة** لتقبيح شأنهم بذكر السببين لحرمانهم وان كان أحدهما كافيا فيه لكن ذكر الاقسام على امر مستنكر اولا وجعل ترك الاستثناء حالا منه يفيد اصالته وقوته فى اقتضاء الحرمان والأظهر ان المعنى ولا يستثنون حصة المساكين اى لا يميزونها ولا يخرجونها كما كان يفعله." (١)

"والاشارة فيها انا بجميع اسمائنا اللطيفة الجمالية الاكرامية أعطيناك يا محمد القلب ورسول الهدى المبعوث الى جميع القوى بالخير والهدى الكوثر وهو العلم الكثير الفائض من منبع الاسم الرحمن فانا رحمناك بهذه الرحمة العامة الشاملة لجميع الرحمات فلذا صرت مظهر الرحمة الكلية فى جميع المواطن فلك علم الاحكام وعلم الحقائق فصل فى مسجد الفناء والتسليم وهو المسجد الابراهيمى لربك اى لشكر ربك ولادامة شهوده وابقاء حضوره معك فى جميع الحالات وانحر بدنة البدن فى طريق الخدمة وبدنة الطبيعة فى طريق العفة وبدنة النفس فى طريق **الفتوة** ان شانئك اى مبغضك من القوى الشريرة الانفسية والآفاقية هو الأبتر المقطوع أعقابه وآخره كما قال تعالى فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين الذي ربى أولياءه فجعل لهم الوصل كما جعل لاعدائهم القطع ثم ان قوله هو الأبتر يوقف عليه ثم يقال الله اكبر ولا يوصل بالتكبير حذرا من الإيهام

تفسير سورة الكافرين

ست آيات مكية او مدنية بسم الله الرحمن الرحيم

قل يا أيها الكافرون قالوا فى مناداتهم بهذا الوصف الذي يسترذلونه فى بلدتهم ومحل عزهم وشوكتهم إيذان بأنه عليه السلام محروس منهم ففيها علم من اعلام النبوة وفى التعبير بالجمع الصحيح دلالة على قلتهم او حقارتهم وذلتهم وهم كفرة مخصوصة كالوليد بن المغيرة وابى جهل والعاص بن وائل وامية بن خلف والأسود بن عبد يغوث والحارث بن قيس ونحوهم قد علم الله انه لا يأتى ولا يتأتى منهم الايمان ابدا على ما هو مضمون السورة فالخطاب للرسول عليه السلام بالنسبة الى قوم مخصوصين فلا يردان مقتضى هذا الأمر ان يقول كل مسلم ذلك لكل جماعة من الكفار مع ان الشرع ليس حاكما به روى ان رهطا من عتاة قريش قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم هلم فاتبع ديننا ونتبع دينك بعبد آلهتنا سنة ونعبد إلهك سنة فقال معاذ الله ان أشرك بالله غيره فقالوا استلم بعض آلهتنا نصدقك ونعبد إلهك فنزلت فغدا الى المسجد الحرام وفيه الملأ من قريش فقام على رؤوسهم فقرأها عليهم فأيسوا منه عند ذلك وآذوه وأصحابه وفيه اشارة الى الذين ستروا نور استعدادهم

---

(١) روح البيان إسماعيل حقي ١١٤/١٠

الأصلي بظلمة صفات النفوس وآثار الطبيعة فحجبوا عن الحق بالغير لا أعبد ما تعبدون اى فيما يستقبل لان لا لا تدخل غالبا الأعلى مضارع فى معنى الاستقبال كما ان ما لا تدخل الأعلى مضارع فى معنى الحال الا ترى ان لن تأكيد فيما ينفيه لا قال الخليل فى لن أصله لا والمعنى لا افعل فى المستقبل ما تطلبونه منى من عبادة آلهتكم ولا أنتم عابدون ما أعبد اى ولا أنتم فاعلون فى المستقبل ما اطلب منكم من عبادة الهى والمراد ولا أنتم عابدون عبادة يعتد بها إذا العبادة مع اشراك الانداد لا تكون فى حيز الاعتداد ولا أنا عابد ما عبدتم اى وما كنت عابدا فيما سلف ما عبدتم فيه اى لم يعهد منى عبادة صنم فى الجاهلية فكيف يرجى منى فى الإسلام ولا أنتم عابدون ما أعبد اى وما عبدتم فى وقت من الأوقات ما انا على عبادته وهو الله تعالى فليس فى." (١)

"والعزم والقوة والفتوة والمير والرمي والحماسة والسماحة والتشمير لخطة الخطبة وكتبة الكتابة وغيرها من المخايل المخيلة فى استدعاء الزيادة والشمائل الشاملة لجوامع السعادة وبما أنفقوا من أموالهم اى وبسبب انفاقهم من أموالهم فى نكاحهن كالمهر والنفقة وهذا ادل على وجوب نفقات الزوجات على الأزواج- روى- ان سعد بن الربيع أحد نقباء الأنصار رضى الله عنهم نشزت عليه امرأته حبيبة بنت زيد بن ابى زهير فلطمها فانطلق بها أبوها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وشكا فقال عليه السلام (لنقتصن منه) فنزلت فقال صلى الله عليه وسلم (أردنا امرا وأراد الله امرا والذي أراد الله خير) ورفع القصاص فلا قصاص فى اللطمة ونحوها والحكم فى النفس وما دونها مذكور فى الفروع فالصالحات منهن قانتات مطيعات لله تعالى قائمات بحقوق الأزواج حافظات للغيب اى لمواجب الغيب اى لما يجب عليهن حفظه فى حال غيبة الأزواج من الفروج والأموال والبيوت. وعن النبي صلى الله عليه وسلم (خير النساء امرأة ان نظرت إليها سرتك وان أمرتها اطاعتك وإذا غبت عنها حفظتك فى مالها ونفسها) ولا الآية واضافة المال إليها للاشعار بان ماله فى حق التصرف فى حكم مالها بما حفظ الله ما مصدرية اى بحفظه تعالى اياهن اى بالأمر بحفظ الغيب والحث عليه بالوعد والوعيد والتوفيق له. او موصولة اى بالذي حفظ الله لهن عليهم من المهر والنفقة والقيام بحفظهن والذب عنهن واللاتي تخافون نشوزهن خطاب للازواج وارشاد لهم الى طريق القيام عليهن والخوف حالة تحصل فى القلب عند حدوث امر مكروه او عند الظن او العلم بحدوثه وقد يراد به أحدهما اى تظنون عصيانهن وترفعهن عن مطاوعتكم فعظوهن فانصحوهن بالترغيب والترهيب. قال الامام ابو منصور العظة كلام يلين القلوب القاسية ويرغب الطبائع النافرة وهى بتذكير العواقب واهجروهن بعد ذلك ان لم ينفع الوعظ والنصيحة والهجر الترك عن قلى في المضاجع اى فى المراقد فلا تدخلوهن تحت اللحف ولا تباشروهن جمع مضجع وهو موضع وضع الجنب للنوم واضربوهن ان لم ينجع ما فعلتم من العظة والهجران غير مبرح ولا شائن ولا كاسر ولا خادش فالامور الثلاثة مترتبة ينبغى ان يدرج فيها فإن أطعنكم بذلك كما هو الظاهر لانه منتهى ما يعد زاجرا فلا تبغوا عليهن سبيلا بالتوبيخ والاذية اى فازيلوا عنهن التعرض واجعلوا ما كان منهن كأن لم يكن فان التائب من الذنب كمن لاذنب له إن الله كان عليا اى أعلى عليكم قدرة منكم عليهن كبيرا اى أعظم حكما عليكم منكم عليهن فاحذروا واعفوا عنهن إذا رجعن لانكم تعصونه على علو شأنه وكبرياء سلطانه ثم تتوبون فيتوب عليكم فانتم أحق بالعفو عمن جنى عليكم إذا رجع.

---

(١) روح البيان إسماعيل حقي ٥٢٦/١٠

قال فى الشرعة وشرحها إذا وقف واطلع من زوجته على فجور اى فسق او كذب او ميل الى الباطل فانه يطلقها الا ان لا يصبر عنها فيمسكها- روى- انه جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله لى امرأة لا ترد يد لامس قال (طلقها) قال أحبها قال (أمسكها) خوفا عليه بانه ان طلقها اتبعها وفسد هو ايضا معها فرأى ما فى دوام نكاحه." (١)

"تتم أربعون سنة من عمره. والثالثة سن الكهولة وهو سن الانحطاط اليسير الخفي وتمامه الى ستين سنة. والرابعة سن الشيخوخة وهو سن الانحطاط العظيم الظاهر وتمامه عند الأطباء الى مائة وعشرين سنة. والأشد غاية الوصول الى الفطرة الاولى بالتجرد عن غواشى الخلقة التي يسميها الصوفية بمقام **الفتوة** قال فى التعريفات **الفتوة** فى اللغة السخاء والكرم وفى اصطلاح اهل الحقيقة هى ان تؤثر الخلق على نفسك بالدنيا والآخرة آتيناه حكما كمالا فى العلم والعمل استعد به الحكم بين الناس بالحق ورياستهم قال القشيري من جملة الحكم الذي آتاه الله نفوذ حكمه على نفسه حتى غلب شهوته فامتنع عما راودته زليخا عن نفسه ومن لا حكم له على نفسه لم ينفذ حكمه على غيره قال الامام نقلا عن الحسن كان نبيا من الوقت الذي ألقى فيه فى غيابة الجب لقوله تعالى ولما بلغ أشده آتيناه ولذا لم يقل هاهنا ولما بلغ أشده
واستوى كما قال فى قصة موسى لان موسى اوحى اليه عند منتهى الأشد والاستواء وهو أربعون سنة واوحى الى يوسف عند اوله وهو ثمان عشرة سنة وعلما قالوا المراد من الحكم الحكمة العملية ومن العلم الحكمة النظرية وذلك لان اصحاب الرياضات والمجاهدات يصلون اولا الى الحكمة العملية ثم يترقون منها الى الحكمة النظرية. واما اصحاب الافكار والانظار العقلية فانهم يصلون اولا الى الحكمة النظرية ثم ينزلون منها الى الحكمة العملية وطريقة يوسف عليه السلام هى الاول لانه صبر على المكاره والبلاء والمحن ففتح الله له أبواب المكاشفات: قال الحافظ

مكن ز غصه شكايت كه در طريق طلب ... براحتى نرسيد آنكه زحمتى نكشيد

: وقال

چه جورها كه كشيدند بلبلان از دى ... ببوى آنكه دكر نو بهار باز آمد

والحاصل ان طريقة يوسف طريقة السالك المجذوب لا طريقة المجذوب السالك والاولى هى سنة الله الغالبة فى أنبيائه وأوليائه ففى قوله حكما وعلما اشارة الى استكمال النفس فى قوتها العملية والنظرية وعن الحسن من احسن عبادة ربه فى شبيبته آتاه الله الحكمة فى اكتهاله وفيه اشارة الى ان المطيع تفتح له ينابيع الحكمة وتنبيه على ان العطية الالهية تصل الى العبد وان طال العهد إذا جاء أوانها فلطالب الحق ان ينتظر احسان الله تعالى ولا ييأس منه وفى الحديث (أفضل اعمال أمتي انتظارهم فرج الله) قال النصر لما عقل يوسف عن الله او امره ونواهيه واستقام معه على شروط الأدب أعطاه حكما على الغيب فى تعبير الرؤيا وعلما بنفسه فى مخالفة هواها قال بعض الأكابر الكمال العلمي أفضل من الكمال العملي والتقصير من جهة العلم أشد من التقصير من جهة العمل فان حسن العقيدة وصفاء القريحة بسبب العلم والكمال ولشرفه امر الله تعالى سيد الأنبياء صلوات الله عليه وعليهم وسلامه بطلب الزيادة منه فقال وقل رب زدني علما وقد ذكر اهل الاشارة ان آدم عليه

---

(١) روح البيان إسماعيل حقي ٢/٢٠٢

السلام وصل الى رياسة سجود الملائكة بعلم الأسماء وسليمان الى الملك العظيم بالفهم وعلم منطق الطير ويوسف الى النجاة والشرف والعز بعلم التعبير فالعالم بعلم التوحيد كيف لا ينجو من الجحيم وينال شرف لقاء الله تعالى فى دار النعيم وكذلك اى مثل الجزاء العجيب الذي." (١)

"دو چشم از پى صنع بارى نكوست ... ز عيب برادر فرو كير ودوست

در معرفت ديده آدميست ... كه بگشوده بر آسمان وزميست

وإن الساعة اى القيامة لتوقعها كل ساعة كما فى المدارك وقال ابن ملك هى اسم لوقت تقوم فيه القيامة سمى بها لانها ساعة خفيفة يحدث فيها امر عظيم وقال ابن الشيخ سميت الساعة ساعة لسعيها الى جانب الوقوع ومسافتها الأنفاس لآتية لكائنة لا محالة كما قيل [كر چه قيامت دير آمد ولى مى آمد] اى فينتقم الله لك يا محمد فيها من أعدائك وهم المكذبون ويجازيك على حسناتك وإياهم على سيآتهم فانه ما خلق السموات والأرض وما بينهما الا ليجزى كل محسن بإحسانه وكل مسيئ بإساءته فاصفح الصفح الجميل يقال صفح عنه عفا وصفح اعرض وترك اى فاعرض عن المكذبين إعراضا جميلا وتحمل اذيتهم ولا تعجل بالانتقام منهم وعاملهم معاملة الصفوح الحليم قال الكاشفى يعنى [عفو كن حق نفس خود را ودر صدد مكافات مباش] إن ربك الذي يبلغك الى غاية الكمال هو الخلاق لك ولهم ولسائر الموجودات على الإطلاق قال الكاشفى [اوست آفريننده خلائق وأفلاك نظم خالق أفلاك وأنجم بر علا مردم وديو و پرى ومرغ را]

خالق دريا ودشت وكوه وتيه ... ملكت او بي حد واو بي شبيه

نقش او كر دست ونقاش من اوست ... غير اگر دعوى كند او ظلم جوست

العليم [دانا باهل وفاق ونفاق] وفى الإرشاد بأحوالك وأحوالهم بتفاصيلها فلا يخفى عليه شيء مما جرى بينك وبينهم فهو حقيق بان تكل جميع الأمور اليه ليحكم بينهم وفى الآية امر بالمخالفة بالخلق الحسن وكان صلى الله عليه وسلم احسن الناس خلقا وأرجح الناس حلما وأعظم الناس عفوا وأسخى الناس كفا قال الفضيل الفتوة الصفح عن عثرات الاخوان وكان زين العابدين عظيم التجاوز والصفح والعفو حتى انه سبه رجل فتغافل عنه فقال له إياك اعنى فقال وعنك اعرض أشار الى آية خذ العفو وأمر بالعرف واعرض عن الجاهلين ولما ضرب جعفر بن سليمان العباسي والى المدينة مالكا رضى الله عنه ونال منه وحمل مغشيا وأفاق قال أشهدكم انى جعلت ضاربى فى حل ثم سئل فقال خفت ان أموت والقى النبي صلى الله عليه وسلم واستحيي منه ان يدخل بعض آله النار بسببى ولما قدم المنصور المدينة ناداه ليقتص له من جعفر فقال أعوذ بالله والله ما ارتفع منها سوط الا وقد جعلته فى حل لقرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم قيل الحلم ملح الأخلاق وكانت عائشة رضى الله عنها تبكى على جارية فقيل لها فى ذلك فقالت ابكى حسرة على ما فاتنى من تحمل السفه منها والحلم عن سوء خلقها فانها سيئة الخلق والاشارة وما خلقنا السماوات والأرض وما بينهما إلا بالحق اى الا مظهر الآيات الحق بالحق لارباب الحق المكاشفين بصفات الحق فانه لا شعور للسموات والأرض وما بينهما من غير الإنسان بانها مظهر لآيات الحق وانما الشعور بذلك للانسان الكامل كما قال إن في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات

---

(١) روح البيان إسماعيل حقي ٢٣٣/٤

لأولي الألباب وهم الذين خلص لب اخلاقهم الربانية من قشر صفاتهم الانسانية وفيه معنى آخر وما خلقنا السماوات اى سموات الأرواح." (١)

"خاطرت كى رقم فيض پذيرد هيهات ... مكر از نقش پراكنده ورق ساده كنى

وان كان اصحاب الكهف آووا الى الكهف خوفا من لقاء دقيانوس وفرارا فانهم آووا الى كهف الخلوة شوقا الى لقائى وفرارا الى: قال الحافظ

شكر كمال حلاوت پس از رياضت يافت ... نخست در شكن تنك از ان مكان كيرد

وان كان مرادهم من قولهم ربنا آتنا الآية النجاة من شر دقيانوس والخروج من الغار بالسلامة فمراد هؤلاء القوم النجاة من شر نفوسهم والخروج من ظلمات غار الوجود للوصول الى أنوار جمالى وجلالى: قال الحافظ

مددى كر بچراغى نكند آتش طور ... چاره تيره شب وادي ايمن چه كنم

وبقوله فضربنا الآية يشير الى سد آذان ظاهر اصحاب الخلوة وآذان باطنهم لئلا يقرع مسامعهم كلام الخلق فتنقش الواح قلوبهم به وكذلك ينعزل جميع حواسهم عن نقش قلوبهم ثم انهم يمحون النقوش السابقة عن القلوب بملازمة استعمال كلمة الطلاسة وهى كلمة لا اله الا الله حتى تصفو قلوبهم بنفي لا اله عما سوى الله وبإثبات الا الله تتنور قلوبهم بنور الله وتنتقش بنور العلوم اللدنية الى ان يتجلى تبارك وتعالى لقلوبهم بذاته وجميع صفاته ليفنيهم الله عنهم ويبقيهم به وهو سر قوله ثم بعثناهم اى احييناهم بنا لنعلم أي الحزبين اى حزب اصحاب الكهف وحزب اصحاب الخلوة احصى اى اخطأ وأصوب لما لبثوا فى كهفهم وبيت خلوتهم أمدا غاية لبثهم نحن نقص عليك اى نخبرك ونبين لك وقد مر اشتقاقه فى مطلع سورة يوسف نبأهم اى خبر اصحاب الكهف والرقيم بالحق صفة لمصدر محذوف اى نقص قصا ملتبسا بالحق والصدق وفيه اشارة الى ان القصاص كثيرا يقصون بالباطل ويزيدون وينقصون ويغيرون القصة كل واحد يعمل برأيه موافقا لطبعه وهواه وما يقص بالحق الا الله تعالى إنهم فتية [شبان] آمنوا بربهم قال فى التكملة سبب ايمانهم ان حواريا من حواريى عيسى عليه السلام أراد ان يدخل مدنيتهم فقيل له ان على بابها صنما لا يدخلها أحد إلا سجد له فامتنع من دخولها وأتى حماما كان قريبا من تلك المدينة فآجر نفسه فيه فكان يعمل فيه فتعلق به فتية من اهل المدينة فجعل يخبرهم خبر السماء وخبر الآخرة حتى آمنوا به وصدقوه ثم هرب الحوارى بسبب ابن الملك أراد دخول الحمام بامرأة فنهاه الحوارى فانتهره فلما دخل مع المرأة ماتا فى الحمام فطلبه الملك لما قيل له انه قتل ابنك فهرب ثم قال الملك من كان يصحبه فسموا الفتية فهربوا الى الكهف يقول الفقير الظاهر ان ايمانهم كان بالإلهام الملكوتي والانجذاب اللاهوتى من غير دليل يدلهم على ذلك كما يشير اليه كلام التأويلات وسيأتى واختلف فيهم متى كانوا فروى بعض الناس انهم كانوا قبل عيسى ابن مريم وان عيسى اخبر قومه خبرهم وان بعثهم من نومهم كان بعد رفع عيسى فى الفترة بينه وبين محمد عليهما السلام وروى بعضهم ان أمرهم كان بعد عيسى

---

(١) روح البيان إسماعيل حقي ٤/٤٨٥

وانهم كانوا على دين عيسى قال الطبري وعليه اكثر العلماء وزدناهم [وبيفزوديم ايشانرا] هدى بان ثبتناهم على الدين الحق وأظهرنا لهم مكنونات محاسنه وفى التأويلات النجمية سماهم باسم **الفتوة** لانهم آمنوا." (١)

"من العقاب فوهب لي ربي حين رجعت من مدين حكما اى علما وحكمة وجعلني من المرسلين إليكم وفى فتح الرحمن حكما اى نبوة وجعلنى من المرسلين درجة ثانية للنبوة فرب نبي ليس برسول قال بعض الكبار ان الله تعالى إذا أراد ان يبلغ أحدا من خلقه الى مقام من المقامات العالية يلقى عليه رعبا حتى يفر اليه من خلقه فيكشف له خصائص أسراره كما فعل بموسى عليه السلام ومعاصى الخواص ليست كمعاصى غيرهم فانهم لا يقعون فيها بحكم الشهوة الطبيعية بل بحسب الخطا وذلك مرفوع وتلك اى التربية المدلول عليها بقوله (ألم نربك) نعمة تمنها علي اى تمن بها على ظاهرا وهى فى الحقيقة أن عبدت بني إسرائيل اى تعبيدك بنى إسرائيل وقصدك إياهم بذبح أبنائهم فان السبب فى وقوعي عندك وحصولى فى تربيتك يعنى لو لم يفعل فرعون ذلك اى قهر بنى إسرائيل وذبح أبنائهم لتكفلت أم موسى بتربيته ولما قذفته فى اليم حتى يصل الى فرعون ويربى بتربيته فكيف يمتن عليه بما كان بلاؤه سببا له قوله تلك مبتدأ ونعمة خبرها وتمنها على صفة وان عبدت خبر مبتدأ محذوف اى وهى فى الحقيقة تعبيد قومى. والتعبيد: بالفارسية [دام كردن وبنده كرفتن] يقال عبدته إذا أخذته عبدا وقهرته وذللته رد موسى عليه السلام اولا ما وبخه فرعون قدحا فى نبوته ثم رجع الى ما عده عليه من النعمة ولم يصرح برده حيث كان صدقا غير قادح فى دعواه بل نبه على ان ذلك كان فى الحقيقة نعمة لكونه مسببا عنها قال بعضهم بدأ فرعون بكلام السفلة ومن على نبى الله بما أطعمه والمنة النعمة الثقيلة ويقال ذلك على وجهين أحدهما ان يكون ذلك بالفعل فيقال من فلان على فلان إذا أثقله بالنعمة وعلى ذلك قوله تعالى (لقد من الله على المؤمنين) وذلك فى الحقيقة لا يكون الا لله تعالى والثاني ان يكون ذلك بالقول وذلك مستقبح فيما بين الناس الا عند كفران النعمة ولقبح ذلك قيل المنة تهدم الصنيعة ولحسن ذكرها عند الكفران قيل إذا كفرت النعمة حسنت المنة اى عد النعمة قال محمد بن على الترمذي قدس سره ليس من **الفتوة** تذكار الصنائع وتعدادها على من اصطنعت اليه ألا ترى الى فرعون لما لم يكن له فتوة كيف ذكر صنيعه وامتن به على موسى

از ناكسان دهر ثبوت طمع مدار ... از طبع دير خاصيت آدمي مجوى

اعلم ان الله تعالى جعل موسى عليه السلام مظهر صفة لطفه بان جعله نبيا مرسلا وله فى هذا المعنى كمالية لا يبلغها الا بالتربية ومقاساة شدائد الرسالة مع فرعون وجعل فرعون مظهر صفة قهره بان جعله مكذبا لموسى ومعاندا له وكان لفرعون كمالية فى التمرد والآباء والاستكبار لم يبلغها إبليس ليعلم ان للانسان استعدادا فى اظهار صفة اللطف لم يكن للملك ولذلك صار الإنسان مسجودا للملك والملك ساجده ولو لم يكن موسى عليه السلام داعيا لفرعون الى الله تعالى وهو مكذبه لم يبلغ فرعون الى كماليته فى التمرد ليكون مظهر الصفة القهر بالتربية فى التمرد كذا فى التأويلات النجمية وقس

---

(١) روح البيان إسماعيل حقي ٥/٢٢١

عليهما كل موسى وكل فرعون فى كل عصر الى قيام الساعة فان الأشياء تتبين بالاضداد وتبلغ الى كمالها قال فرعون وما رب العالمين ما استفهامية معناها أي شيء والرب المربى والمتكفل لمصلحة الموجودات والعالم اسم لما سوى الله تعالى." (١)

"الى حد الوصال ثم يرد الى الفترة ويقع فى القبض مما كان به من صفاء الحال فيتناقص ويرجع الى نقصان امره الى ان يرفع قلبه من وقته ثم يجود عليه الحق فيوفقه لرجوعه عن فترته وافاقته من سكرته فلا يزال يصفو حاله الى ان يقرب من الوصال ويرتقى الى ذروة الكمال فعند ذلك يقول بلسان الحال ما زلت انزل من ودادك منزلا تتحير الألباب عند نزوله وفى التأويلات النجمية وبقوله (والقمر قدرناه منازل) يشير الى قمر القلب فان القلب كالقمر فى استفادة النور من شمس الروح اولا ثم من شمس شهود الحق تعالى ثانيا وله ثمانية وعشرون منزلا على حسب حروف القرآن كما ان للقمر ثمانية وعشرون منزلا فالقلب ينزل فى كل حين منها بمنزل وهذه اسماؤها الالفة والبر والتوبة والثبات والجمعية والحلم والخلوص والديانة والذلة والرأفة والزلفة والسلامة

والشوق والصدق والضرر والطلب والظمأ والعشق والغيرة **والفتوة** والقربة والكرم واللين والمروءة والنور والولاية والهداية واليقين فاذا صار الى آخر منازله فقد تخلق بخلق القرآن واعتصم بحبل الله وله آن ان يعتصم بالله ولهذا قال الله تعالى لنبيه فى قطع منازل العبودية (واعبد ربك حتى يأتيك اليقين) ويقال للمؤمن فى الجنة اقرأ وارق يعنى اقرأ القرآن وارتق فى مقامات القرب وبقوله (حتى عاد كالعرجون القديم) يشير الى سير قمر القلب فى منازله فاذا الف الحق تعالى فى أول منزله ثم بر بالايمان والعمل الصالح ثم تاب وتوجه الى الحضرة ثم ثبت على تلك التوبة جعل له الجمعية مع الله فيستنير قمر قلبه بنور ربه حتى يصير بدرا كاملا ثم يتناقص بدنوه من شمس شهود الحق تعالى قليلا كلما ازداد دنوه من الشمس ازداد فى نفسه نقصانا الى ان يتلاشى ويخفى ولا يرى له اثر وهذا مقام الفقر الحقيقي الذي افتخر به النبي صلى الله عليه وسلم فى قوله (الفقر فخرى) لانه عليه السلام كلما ازداد دنوه الى الحضرة ليلة المعراج ازداد فى فقره عن الوجود كما اخبر الله تعالى عنه بقوله (ثم دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى) كمل هاهنا فقره عن الوجود فوجده الله تعالى عائلا فاغناه بجوده انتهى واعلم ان القمر مرآة قابلة لان تكتسب النور من قرص الشمس حسب المحاذاة بينهما ولما كان دور الشمس بطيئا كان ظهور اثرها دائرا على حصول الفصول الاربعة التي هى الربيع والصيف والخريف والشتاء ولما كان دور القمر سريعا كان ظهور اثره فى الكون سريعا والى القمر ينظر القلب فى سرعة الحركة ولهذا السر اسكن الله آدم فى فلك القمر لمناسبة باطنه به فى سرعة حركاته وتقلباته. ثم ان القمر مرئى مدرك واما الشمس فى إشراقها واضاءتها وتلألؤ شعاعها لا تدرك كيفيتها وكميتها على ما هى عليه من تمنعها وامتناعها واحتيج الى طريق يتوصل به الى ابصارها بقدر الوسع فافادت الفكرة والخبرة ان يأخذ الإنسان اناء كثيفا ويملأه ماء صافيا نظيفا ويضعه فى مقابلة الشمس لتنعكس صورة من الشمس فى الماء فيلاحظ الإنسان الشمس بغير دفع تلألؤ الاضواء ويراها فى أسفل قعر الإناء فان اللطيف من شأنه القبول والكثيف من شأنه الإمساك فقبل الماء وامسك الإناء وهذا تدبير من يريد أبصار الشمس الظاهرة بمقلته." (٢)

---

(١) روح البيان إسماعيل حقي ٦/٢٦٨

(٢) روح البيان إسماعيل حقي ٧/٤٠٠

"أوضاع وإشكال خلاف ما عليه الناس وقال ابو العالية أنكر سلامهم في ذلك الزمان وفي تلك الأرض لان السلام لم يكن تحيتهم لانه كان بين أظهر قوم كافرين لا يحيى بعضهم بعضا بالسلام الذي هو تحية المسلمين (وقال الكاشفى) يعنى هركز چون شما قومى نديدم در صورت وقامت مرا بڲوييد چه كسانيد ايشان كفته اند مهما نانيم فراغ إلى أهله يقال راغ الى كذا اى مالى اليه سرا فالاختفاء معتبر في مفهوم الروغ اى ذهب إليهم على خفية من ضيفه فان من أدب المضيف أن يبادر بالقرى من غير ان يشعر به الضيف حذرا من أن يكفه الضيف ويعذره او يصير منتظرا (وحكى) انه نزل ببعض المشايخ ضيف فأشار الى مريد له بإحضار الطعام فاستبطأ فلما جاء سأله عن وجهه فقال المريد وجدت على السفرة نملا فتوقفت الى ان خرجت منها فقال الشيخ أصبت **الفتوة** ولما اطلع على هذه الحال بعض من هوا على حالا من ذلك الشيخ قال لم يصب **الفتوة** فان الأدب تعجيل القرى وحق الضيف أحق من حق النمل فكان الواجب على المريد أن يلقيها على الأرض ويجيئ بالسفرة مستعجلا فجاء بعجل سمين الفاء فصيحة مفصحة عن جمل محذوفة والباء للتعدية والعجل ولد البقرة لتصور عجلته التي تعدم منه إذا صار ثورا او بقرة والسمن لكونه من جنس السمن وتولده عنه والمعنى فذبح عجلا سمينا لانه كان عامة ماله البقر واختار السمين زيادة في إكرامهم فحنذه اى شواه فجاء به يعنى ڀس بياورد كوساله فربه بريان كرده فقربه إليهم بأن وضعه لديهم حسبما هو المعتاد ليأكلوا فلم يأكلوا ولما رأى منهم ترك الاكل قال ألا تأكلون منه إنكارا لعدم تعرضهم للاكل وحثا عليه (وروى) انهم قالوا نحن لا نأكل بغير ثمن قال ابراهيم كلوا واعطوا ثمنه قالوا وما ثمنه قال إذا أكلتم فقولوا بسم الله وإذا فرغتم فقولوا الحمد لله فتجب الملائكة من قوله فلما رآهم لا يأكلون فأوجس منهم الوجس الصوت الخفي كالايجاس وذلك في النفس اى أضمر في نفسه خيفة اى خوفا فتوهم انهم أعداء جاؤا بالشر فان عادة من يجي بالشر والضرر أن لا يتناول من طعام من يريد اضراره قال في عين المعاني من لم يأكل طعامك لم يحفظ ذمامك يقول الفقير يخالفه سلامهم فان المسلم لا بد وأن يكون من أهل السلم وقيل وقع في نفسه انهم ملائكة أرسلوا لعذاب قالوا حين أحسوا بخوفه لا تخف انا رسل الله وقيل مسح جبريل العجل بجناحه فقام يمشى حتى لحق بأمه فعرفهم وأمن منهم وبشروه وبشارت ومڑده دادند مر او را وفي سورة الصافات وبشرناه اى بواسطتهم بغلام هو اسحق والغلام الطار الشارب والكهل ضده او من حين يولد الى أن يشب كما في القاموس عليم عند بلوغه واستوائه ولم تلد له سارة غيره فأقبلت امرأته سارة لما سمعت بشارتهم الى بيتها وكانت في زاوية تنظر إليهم قال ابن الشيخ فأقبلت الى أهلها وكانت مع زوجها في خدمتهم فلما تكلموا بولادتها استحيت وأعرضت عنهم فذكر الله ذلك بلفظ الإقبال على الأهل ولم يذكره بلفظ الأدبار عن الملائكة قال سعدى المفتى كذا في التفسير الكبير ولا يناسبه قوله كذلك قال ربك فانه يقتضى كونها عندهم فالاقبال إليهم في صرة." (١)

"ملكه انما الإيثار لمن يرى الأشياء للحق فمن وصل اليه فهو أحق يه فاذا وصل شيء من ذلك اليه يرى نفسه ويده فيه يد غصب او يد امانة يوصلها الى صاحبها ويؤديها اليه معاذ بن جبل را ديدند كه در بازار مكه ميكرديد ووزيره تره ميجيد وميكفت هذا ملكك مع رضاك وملك الدنيا مع سخطك

---

(١) روح البيان إسماعيل حقي ١٦٢/٩

خيز يارا تا بميخانه زمانى دم زنيم ... آتش اندر ملكت آل بنى آدم زنيم

هر چه اسبابست جمع آييم وبس جمع آوريم ... پس بحكم حال بيزارى همه برهم زنيم

ومن يوق شح نفسه وهر كه نكاه داشته شود از بخل نفس او يعنى منع كند نفس را از حب مال وبغض انفاق والوقاية حفظ الشيء مما يؤذيه ويضره والشح بالضم والكسر بخل مع حرص فيكون جامعا بين ذميمتين من صفات النفس وأضافته الى النفس لانه غريزة فيها مقتضية للحرص على المنع الذي هو البخل اى ومن يوق بتوفيق الله شحها حتى يخالفها فيما يغلب عليها من حب المال وبغض الانفاق فأولئك هم المفلحون الفائزون بكل مطلوب الناجون من كل مكروه والفلاح اسم لسعادة الدارين والجملة اعتراض وارد لمدح الأنصار والثناء عليهم فان **الفتوة** هى الأوصاف المذكورة في حقهم فلهم جلائل الصفات ودقائق الأحوال ولذا قال عليه السلام آية الايمان حب الأنصار وآية النفاق بغض الأنصار وقال عليه السلام اللهم اغفر للانصار ولا بناء الأنصار وأبناء أبناء الأنصار قال السهر وردى فى العوارف السخاء صفة غريزية في مقابلة الشح والشح من لوازم صفة النفس حكم الله بالفلاح لمن يوقى الشح اى لمن أنفق وبذل والنبي عليه السلام نبه بقوله ثلاث مهلكات وثلاث منجيات فجعل احدى المهلكات شحا مطاعا ولم يقل مجرد الشح يكون مهلكا بل انما يكون مهلكا إذا كان مطاعا فاما كونه موجودا في النفس غير مطاع لا ينكر ذلك لانه من لوازم النفس مستمد من اصل جبلتها الترابي وفي التراب قبض وإمساك وليس ذلك بالعجب من الآدمي وهو جبلى فيه وانما العجب وجود السخاء في الغريزة وهو في نفوس الصوفية الداعي لهم الى البذل والإيثار والسخاء أتم وأكمل من الجود وفي مقابلة الجود البخل وفي مقابلة السخاء الشح والجود والبخل يتطرق إليهما الاكتساب بطريق العادة بخلاف الشح والسخاء إذ كانا من ضرورة الغريزة وكل سخى جواد وليس كل جواد سخيا والحق تعالى لا يوصف بالسخاء لان السخاء من نتيجة الغرائز والله تعالى منزه عن الغريزة والجود يتطرق اليه الرياء ويأتي به الإنسان متطلعا الى عوض من الخلق والثواب من الله تعالى والسخاء لا يتطرق اليه الرياء لانه ينبع من النفس الزكية المرتفعة عن الأعواض دنيا وآخرة لان طلب العوض مشعر بالبخل لكونه معلولا بالعوض فما تمحض سخاء فالسخاء لأهل الصفاء والإيثار لاهل الأنوار وقال الحسن رحمه الله الشح هو العمل بالمعاصي كأنه يشح بالطاعة فدخل فيه ما قيل الشح أن تطمح عين الرجل الى ما ليس له وقال عليه السلام من الشح نظرك الى امرأة غيرك وذلك فان الناظر يشح بالغض والعفة فلا يفلح (وروى) ان رجلا قال لعبد الله بن مسعود رضى الله عنه انى أخاف أن." (١)

"حيث يجب إمساكه بحكم الشرع أو) بحكم (المروءة، وهي) أي المروءة (رغبة صادقة للنفس في الإفادة) للغير مما ينتفع به (بقدر ما يمكن **والفتوة**) في اللغة السخاء والكرم، وفي اصطلاح أهل الحقيقة إيثار الخلق بنفسك بعد أن تؤثرهم بالدنيا والآخرة بأن تبذل نفسك لكل خسيس ونفيس فيما يريد وتمكنه من التصرف فيك، وقيل أن يكون العبد أبدا في أمر غيره، وإليه يشير قوله – صلى الله تعالى عليه وسلم – «لا يزال الله في حاجة العبد ما دام العبد في حاجة أخيه» ، وقيل هي الصفح عن عثرات الإخوان وستر عيوبهم، وقيل أن لا ترى لنفسك فضلا على غيرك، وقيل إظهار النعمة وكتمان

---

(١) روح البيان إسماعيل حقي ٩/٤٣٥

المحبة (أخص منها، وهي) أي الفتوة (كف الأذى وبذل الندى) أي الإحسان (والصفح عن العثرات) أي الإعراض عن الزلات (وستر العورات) أي القبائح، (وهما) أي البخل والإسراف (في مخالفة الشرع حرامان) كالبخل بما أوجبه الله تعالى، وإضاعة المال فيما يحرم كمنع الزكاة، وإعطاء المال بالخمر والغناء (وفي مخالفة المروءة مكروهان تنزيها. وضدهما)
أي البخل والإسراف (، وهو الوسط بين ذينك الطرفين التفريط والإفراط) أي الإكثار ضد التفريط (مع الميل إلى البذل السخاء) خبر لقوله وضدهما (والجود) عطف تفسير للسخاء (فهو ملكة بذل المال زائدا على الواجب) الشرعي أو المروءة (لنيل الثواب أو) تحصيل (فضيلة الجود وتطهير النفس عن رذالة البخل لا لغرض آخر) من الأغراض الدنيوية (مع الاحتراز عن الإسراف قال الله تعالى ﴿ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك﴾ [الإسراء: ٢٩] أي لا تجعل يدك مربوطة إلى عنقك من كثرة البخل مخافة أن تغلط وتعطي ﴿ولا تبسطها﴾ [الإسراء: ٢٩] أي اليد ﴿كل البسط﴾ [الإسراء: ٢٩] في الإعطاء فتمثيلان لمنع الشحيح، وإسراف المبذر نهى عنهما آمرا بالاقتصاد بينهما الذي هو الكرم ﴿فتقعد ملوما﴾ [الإسراء: ٢٩] فتصير ملوما عند الله تعالى، وعند الناس بالإسراف وسوء التدبير ﴿محسورا﴾ [الإسراء: ٢٩] نادما أو منقطعا بك قيل نزلت حين «جاء صبي إلى رسول الله – صلى الله تعالى عليه وسلم – فقال إن أمي تسألك درعا، ولم يكن لرسول الله إلا قميصه فقال للصبي عد، وقتا آخر فذهب إلى أمه فقالت قل له إن أمي تسألك الدرع الذي عليك فدخل رسول الله – صلى الله تعالى عليه وسلم – داره فنزع قميصه فأعطاه، وقعد عريانا فأذن بلال وانتظروا للصلاة فلم يخرج فقال الله تعالى ﴿ولا تجعل يدك﴾ [الإسراء: ٢٩] الآية ﴿والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا﴾ [الفرقان: ٦٧] » لم يجاوزوا حد الكرم ﴿ولم يقتروا﴾ [الفرقان: ٦٧] ، ولم يضيقوا تضييق الشحيح، وقيل الإسراف هو الإنفاق في المحارم والتقتير منع الواجب." (١)

"والمنكح وضرورات المعيشة فإن هذه الحاجات إذا لم تتيسر كان القلب منصرفا إلى تدبيرها فلا يتفرغ للدين (وبه يصان عن ذل السؤال) ، وقد عرفت آنفا (وبه ينال درجات المتصدقين) بل يلحق بهم الذين لهم قربة خاصة به تعالى (وبه يوصل الرحم) الذي هو من أفضل الفضائل (وبه يدفع حاجات الفقراء) المحتاجين؛ ولقضاء حاجات المسلمين فوائد جمة دينية ودنيوية (ويقضي ديونهم) فهو من قبيل عون البر، والله في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه المسلم (ويذهب همومهم) التي تهيئ للوصول (وغمومهم) التي قد وقعت ومن سر مؤمنا فقد سر الله تعالى (ويسلي قلوبهم) من مضايقة الفقر، وأفكار الدين ومن خوف نفقة من عليه مؤنته (وبه يحصل نفع الناس ببناء المساجد) التي هي من أفضل العبادات المتعدية؛ لأنه بناء بيت لله، وإعانة للخلق على أفضل طاعاتهم، وأقرب قرباتهم وقد جاء «من بنى لله مسجدا، ولو كمفحص قطاة بنى الله له مثله في الجنة» (والمدارس) ، وإن كانت بدعة لكن قد عرفت سابقا من المصنف أنها من البدعة الحسنة بل أفضل العبادات الغير المنقطعة لإعانتها على أفضلها وهو العلم مطلقا (والرباطات) لسكنى الفقراء والأرامل واليتامى، وإجراء الصدقات عليهم (والقناطر) على الأنهار العظام (وسد الثغور) أي مواضع المخافة من هجوم الأعداء قيل ودار المرضى ونصب الجباب في الطرق وغير ذلك من الأوقاف المرصدة للخيرات، وهي من الخيرات المؤبدة الدرة بعد الموت المستجلبة لبركة أدعية الصالحين إلى أوقات متمادية وناهيك به خيرا فهذه جملة فوائد المال في الدين سوى ما يتعلق بالحظوظ العاجلة

---

(١) بريقة محمودية في شرح طريقة محمدية وشريعة نبوية في سيرة أحمدية محمد الخادمي ٣/٣

من الخلاص من حقارة الفقر والوصول إلى العز والمجد بين الخلق وكثرة الإخوان والأعوان والأصدقاء والوقار والكرامة في القلوب وكل ذلك مما يقتضيه المال من الحظوظ الدنيوية.

فإن قيل فهذه أوصاف مادحة للمال كما سماه الله تعالى في كثير من مواضع القرآن خيرا، وقد علمت آفات المال وغوائله قلت قال في مفتاح السعادة لا يمكن التوفيق بينهما إلا ببيان آفات المال، وفوائده. اعلم أن المال مثل حية فيها سم وترياق فمن عرف فوائدها وغوائلها أمكنه أن يحترز من شرها ويستدر من خيرها أما الفوائد فإما دنيوية يعرفها كل أحد؛ ولهذا يتهالكون عليها، وأما الدينية فثلاثة أنواع الأول ما ينفقه على نفسه إما في العبادات كالحج والجهاد أو في الاستعانة على العبادة كالمطعم والملبس والمسكن والمنكح وضرورات المعيشة، وإنما حظوظ الدنيا ما يزيد عليها من التنعم والتلذذ.

الثاني: ما يصرفه إلى الناس، وهي أربعة: أحدها الصدقة وثانيها المروءة كالضيافة والهدية والإعانة، وهذا أيضا من الدينية إذ به يكتسب الإخوان والأصدقاء، وصفة السخاء والجود والمروءة **والفتوة** ففيها مثوبات أيضا وثالثها وقاية العرض كدفع هجو الشاعر أو سب السفهاء، وقطع ألسنتهم، وفائدتها دينية وأخروية؛ لأن في وقاية العرض منع المغتاب ودفع آفة الانتقام ورابعها الاستخدام إذ الإنسان لو تولى جميع مصالحه لضاعت أوقاته كشراء الطعام وطبخه وكنس البيت حتى نسخ الكتاب الذي يحتاج إليه فلا بد له من مال يدفع أمثال هذه الحوائج.

النوع الثالث الخير للعامة كبناء نحو المساجد، وهي من الخيرات المؤبدة هذه هي الدينية مع ما في المال من الحظوظ العاجلة من الخلاص من ذل السؤال وحقارة الفقر والوصول إلى العز والمجد بين الخلق وكثرة الإخوان والأعوان والكرامة والوقار، وأما الآفات فإما دينية، وهي ثلاثة الأول أن الإنسان إذا استشعر من نفسه القدرة على المعصية انبعثت داعية المعاصي فإن اقتحم ذلك هلك، وإن صبر وقع في شدة.

الثاني أنه يجر إلى التنعم في المباحات ثم يألفه ثم يجر البعض إلى البعض حتى لا يكفيه الحلال فيقتحم الشبهات فيدعو إلى الربا فضلا عن الشبهات والمداهنة والكذب والنفاق؛ لأن حاجة الناس تؤذي.

الثالث: وهو الذي لا ينفك عنه أحد، وهو أنه يلهيه عن ذكر الله، وأنه خسران عظيم، وهو الداء العضال." [1]

"١٣٠ - (ومن عظيم منه السلام ... ولطفه بسائر الأنام)

١٣ - (أن أرشد الخلق إلى الوصول ... مبينا للحق ب الرسول)

١٣ - (وشرط من أكرم ب النبوة ... حرية ذكورة ك قوة)

١٣٣ - (ولا تنال رتبة النبوة ... ب الكسب والتهذيب **والفتوة**)

١٣٤ - (لكنها فضل من المولى الأجل ... لمن يشا من خلقه إلى الأجل)

١٣٥ - (ولم تزل فيما مضى الأنباء ... من فضله تأتي لمن يشاء)

١٣٦ - (حتى أتى ب الخاتم الذي ختم ... به وأعلانا على كل الأمم)." [2]

---

(١) بريقة محمودية في شرح طريقة محمدية وشريعة نبوية في سيرة أحمدية محمد الخادمي ٣/٣٧

(٢) العقيدة السفارينية = الدرة المضية في عقد أهل الفرقة المرضية السفاريني ص/٨٣

"فيغفلون عن مقالهن.

والحاصل اختصاص النبوة بأشرف أفراد النوع الإنساني من كمال العقل والذكاء والفطنة وقوة الرأي ولو في الصبا كعيسى ويحيى عليهما السلام، والسلامة من كل ما نفر عن الاتباع كدناءة الآباء وعهر الأمهات والغلظة والعيوب المنفرة للطباع كالبرص والجذام، والأمور المخلة بالمروءة كأكل على الطريق، والحرف الدنية كالحجامة، وكل ما يخل بحكمة البعثة ونحو ذلك، وبالله التوفيق.

ولما ذكر ما أشعر بانفراد كمال النوع الإنساني بالنبوة واختصاص الذكور الأحرار المنزهين عن النقائص بها خشي أن يتوهم متوهم بأن ذلك يدرك بالرياضة والتهذيب والجد والاجتهاد والتأديب، فنفى ذلك بقوله:

[النبوة غير مكتسبة]

((ولا تنال رتبة النبوة ... بالكسب والتهذيب والفتوة))

((لكنها فضل من المولى الأجل ... لمن يشا من خلقه إلى الأجل))

((ولا تنال)) بضم التاء المثناة فوق مبنيا لما لم يسم فاعله، أي: لم تعط ((رتبة)) بالرفع نائب الفاعل، يقال: ناله ينوله إذا أعطاه، قال في القاموس: النوال والنائل العطاء، ونلته ونلت له وبه أنوله وأنلته إياه، ونولته أعطيته.

والرتبة بالضم، والمرتبة المنزلة ((النبوة)) بالجر لإضافتها إلى الرتبة، وهي عبارة عن صفة عالية ينكشف بها من الغيوب التي هي مطلوبات الله من عباده وأحكامه التي يكلفهم بها انكشافا يناسب انكشاف النار للدهن برؤية الدخان، وانكشاف رائحة المسك بجذب النفس إلى الأنف والمراد بها هنا: ما يعم الرسالة كما لا يخفى ((بالكسب)) متعلق بلا تنال " و " لا تنال رتبة النبوة ودرجة الرسالة أيضا بـ ((التهذيب)) أي: تنقية البدن وتصفية الأخلاق وخلوص البنية من الأخلاق الرذيلة وتبقية الأوصاف الجميلة والنعوت الجليلة ((و)) لا تنال رتبة النبوة أيضا بـ ((الفتوة)) أي: كرم النفس وتخليصها من الأوصاف المذمومة إلى الأوصاف الممدوحة، قال في القاموس: الفتوة الكرم، وقد تفتى وتفاتى يعني تعاطى أوصاف الفتوة وتخلق بها، وراض نفسه حتى صار من ذويها، وفتوهم إذا غلبتهم فيها.

فمذهب أهل الحق أن النبوة لا تنال بمجرد الكسب بالجد والاجتهاد، وتكلف أنواع العبادات، واقتحام أشق الطاعات، وتدأب في تهذيب نفسه، وتنقية خواطره." (١)

"الخير فيك وفي رجالكوالدهر يفخر في مثالكوكذاك يروى عن أبي

ك وجدك السامي وخالكولك المودة والفتوةوالحجى شكرا لذلك

يتلوهم الفضل الذيما ذال يخبر عن كمالكمنح الآله وذاك من

حسن اعتقادك واتكالكيا فخر آل الترجمانوعزهم وأنعم بذلك

أنت المذهب والمحببوالتأدب من خصالكوالناس طرا يمدحون

---

(١) لوامع الأنوار البهية السفاريني ٢/٢٦٧

ويشهدون بحسن حالكهذا وأنك في الوغتختف الكواسر من نزالك
ما سرت خلف قبيلةوقناك أسبق من نبالكألا أسرت كبيرها
والجيش أصبح في اعتقالكوالجود فيك سجيةوالشح لم يخطر ببالك
والمجد قد أورثتهمن قومك النجبا وآلكمن رام مجدك فليكن
يا واحد الدنيا كذلك
وطلب منه امضاء حجة نظما حين كان نائب الشرع بمحكمة الميدان فكتب
لما تأملت ما تحويه أسطره ... وصح عندي ما في طيه وقعا
أنفذته واثقا بالله معتمدا ... عليه دون الورى راض بما صنعا
فإنني أحمد الكنجي ابن أبي ال ... ثناء الذي بحبال الله مدرعا
وانني النائب الشرعي بمحكمة ال ... ميدان والحر في دنياه من قنعا
يا رب فاختم بخير لي وخذ بيدي ... ما طاف بالبيت عبد صالح ودعا
ومن شعره ما قاله مخمسا
دعوني من مكائدكم دعوني ... فما نظرت مثالكم عيوني
فيا تيسا تعمم بالقرون ... تقول أنا لكبير فعظموني
ألا ثكلتك أمك من كبير
جهلتم نسائر الأشياء جمعا ... وفيكم صار جل اللوم طبعا
فيا لردى الورى جوزيت صنعا ... إذا كان الصغير أعم نفعا
فما فضل الكبير على الصغير
وله قسما ومن بالحب قد أبلاني ... اني لغيرك ما لويت عناني
يا أيها الظبي الذي ألحاظه ... من غنجهن السقم قد وافاني
مالي أراك اضعتني وتركتني ... في حر نار بعضها أضناني
وصبوت عني بعد كنت مواصلي ... وأمرت عندي بالجلوس مكاني
فلك البقاء فالرب يوم ان تسل ... عني تراجعني فلا تلقاني
ان المحب إذا تناهى عمره ... فالدهر لا يعطيه عمرا ثاني." (١)

"قصرت عن درك شأوه الجهابذة من طبق الآفاق بمحامده وأدب الفحول بقرى فضائل موائده وضم إلى جرثومة النسب الهاشمي سجايا الندى الحاتمي وإلى صفاء الحسب بهاء الظرف والأدب وإلى خيم المروة شهامة الفتوة وإلى علو الهمة الشامخة كرم المجادة الباذخة وقرن بين وجاهة المهابة وأنس التواضع والنجابة وأضاف حميد الأخلاق إلى طيب عنصر الأعراق

---

(١) سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر محمد خليل المرادي ١٩٨/١

حتى أغتدي الفضل عليه مقصورا والكمال في صفاته محصورا ونادت معاليه لطلاب الفضائل إذ أعياهم حجابها هلموا ألم تعلموا إن مدينة العلم على بابها ابقاء الله وصدر الكمال بقلائد فضله حالي وأفق العلى مستنير بمجده العالي ما هطلت السحابة وألقت أرواقها وأنبتت الأفنان أوراقها إن الجوارح مني كلهن فم عند الدعاء إذا ما قلت آمينا أهدي إليه تحيات لها عرف نسائم الروض إذ هبت ولطائم مسك أرين وتبت أو تسليمات ألطف من ماء الغمام وأرق من حباب ألحاظ المستهام وشوقا لا شوق سعدي ولبنى ولا شوق صريع بني عامر وليلى وهو الشوق حتى يستوي القرب والبعاد ويستولي على الرقاد والتهويم السهاد فحبذا حديث نسيم اخلاء وحليف غرام أو داء اجلاء لعمرك إنه مهر عرائس الأرواح وتقدمة بشريات نفائس الأرواح لو تضمه جله ولا أقول كله صفحات الصحف وإني لي باصطباح كأس أنف على إنه وأن صار من بداهة الساعة وانتظم في أسلاك عفو اليراعة فأنى لي بافشاء أسرار الحبيب ووده ونشر مطوى مكنون عهده

لا لا أبوح بحب بثنة إنها ... أخذت علي مواثقا وعهودا

كلا فذاك أمر ما إليه سبيل ... فديني في الحب كما قيل

واياك واسم العامرية انني ... أغار عليها من فم المتكلم

فلا جرم إن ذلك أوجب خزن الأسرار محافظة والعياذ بالله سبحانه من أن تزلف الألفة بابصار الأغيار والمرجو تنميق الطروس بتجير آثار صحتكم وارسال جواب ما حررناه لحضرتكم وقدمناه لديكم سابقا والسلام وله من قصيدة مطلعها

سل الحسن عما تحتويه شمائله ... فما الحسن الا ذاته ومخائله

وما هو الأفاضح الشمس في الضحى ... وما البدر الا ما تزر غلائله

وما حمرة الياقوت الا زكاة ما ... حوى خده الزاهي وزكاه عامله

وما خاله الا رشيد بطيبه ... على حبه صبا أضلت قوافله

وما البرق يحكي منه غير مباسم ... بها يهتدي الساري وهن دلائله." (١)

"فيتوقع ارتجاؤها فعلى كل حال هو إنسان كل إحسان وكل عضو في مدحه لسان به **الفتوة** يسهل صعبها ويلتئم شعبها وهو في صدق وفائه ليس أحد من أكفائه وقد اتحدت به منذ عرفت الاتحاد فما رأيته مال عن طريق المودة ولاحاد وله على مشيخة أنا من بحرها اغترف وبألطافها الدائمة اعترف وكثيرا ما أرد ورده واقتطف ريحانه ووردة فانتشق رائحة الجنان وأتعشق راحة الجنان بمحاضرة تهز المعاطف اهتزاز الغصون ورونق لفظ لم يدع قيمة للدر المصون إذا شاهدته العيون تقر وإذا ذوكرت به نوب الأيام تفر في زمن انغمضت من أعلامه تلك العقود ولم يبق فيه إلا هو آخر العنقود فإن شئت قل جعله الله خلفا عن سلف وإن أردت قل أبقاه الله عوضا عن تلف فمما أخذته عنه من شعره الذي قاله في عنفوانه وجاء به كسقيط الطل على ورد الرياض واقحوانه انتهى مقاله فمن شعره قوله

بأبي من مهجتي جرحا ... وإليه الشوق ما برحا

دابه حربي وسفك دمى ... ليته بالسلم لو سمحا

---

(١) سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر محمد خليل المرادي ٢/٣٠١

غصن بان مثمر قمرا ... يتهادى قده مرحا

من تثنى غصن قامته ... عندليب الوجد قد صدحا

أي حين دار ناظره ... ما سقى عقلا فمنه صحا

إن رآني باكيا حزنا ... ظل عجبا ضاحكا فرحا

إن يكن حزني يسر به ... فأنا أهوى به البرحا

وعذولي جاء ينصحني ... قلت يا من لامني ولحا

ضل عقلي والفؤاد معا ... ليس لي وعى لمن نصحا

جد وجدي عادم جلدي ... غاض صبري والهوى طفحا

لم يزل طرفي يشح دما ... إذ به طير الكرى ذبحا

هذا معنى متداول منه قول الشهاب

ولو لم يكن ذابحا للكرى ... لما سال من مقلتي النجيع

ومنها

آه وأشوقاه مت أسى ... هل دنو للذي نزحا

إن شدت ورقاء في فنن ... شدوها زند الهو قدحا

وإذا ما شام طرف الشا ... م طرفي للدما سفحا

يا سقي وادي دمشق حيا ... طاب مغتبقا ومصطبحا." (١)

"وقال في وصفه سيد رهط وفريق تنوعا بين أصيل وعريق رقى من التواضع سلم الشرف ولم يخش المعاني في مدحته السرف فاصله في دفتر **الفتوة** ثابت وغصنه في بحبوحة التقديس نابت ولد بكر الفكر من حين ولادته وقلد جيد الأدب من دره المفصل بأفخر قلادته فهو للآمل مظنة رجاه وبقمر وجهه أقبل نهاره وأدبر دجاه يهب على الأنفاس من خلائقه بعرف الطيب ويجري من الأهواء مجرى الماء في الغصن الرطيب وثمة أدب يتبرج تبرج العقيلة وفكر صفا من الكدر ولا صفا المرآة الصقيلة وخط أخذ في الحسن كل الخط وكأنما أوجده الله ليكون متمتع القلب واللحظ فمتى سقى قلمه من الحبر أنبت ما بين الجداول عروق التبر فمداده يجول في رقيم الصفحات فتتوشى علاماته وإذا تحققت فيه النظر فما هو إلا من رقوم الخد ودواواته ولاماته وله شعر أعده من هدايا الزمان ولا أحسبه إلا من مفصلات الجمان والبهرمان ومن شعره قوله

إن الذين تقدموا لم يتركوا ... معنى به يتقدم المتأخر

قد أنتجوا أبكار أفكار لهم ... عقم المعاني مثلها متعذر

فإذا نصبنا من حبال تخيل ... شركا به معنى نصيد ونظفر

عصفت سموم هموم فكر قطعت ... تلك الحبال وفر منها الخاطر

---

(١) سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر محمد خليل المرادي ١٦٨/٣

والدهر أخرس كل ذي لسن فلو ... سحبان كاف منطقا لا يقدر
والشعر في سوق البلاغة كاسد ... فترى البليغ كجاهل لا يشعر
والفضل أقفر ربعه لكنه ... بوجود مولانا الأمين معمر
علامة الدنيا وواحد دهره ... وأجل أهل العصر قدرا يذكر
ملك العلوم له جيوش بلاغة ... وفصاحة فبهم يعز وينصر
تخذ الفهوم دعية منقادة ... تأتيه طائعة بما هو يأمر
يقظ يكاد يحيط علما بالذي ... تجري به الأقدار حين يقدر
ما زال يملأ من لآلي لفظه ... أصداف آذان لنا ويقرر
تالله ما رشف الرضاب لراشف ... من ثغر ذي شنب حكاه الجوهر
أحلى وأعذب من كؤس حديثه ... تملى وتشر بها العقول فتكسر
فاق الذين تقدموه بسبقهم ... وبه الأواخر تزدهي بل تفخر
بالسؤل يمنح قبل تسآل فان ... سبق السؤال عطاؤه يتعذر
لو أن أيسر جوده قدما سرى ... في الكون لم يبق وحقك معسر
قد أبدع الرحمن صورة خلقه ... ليرى جميل الصنع فيه المبصر
وجه كأن الشمس بعض بهائه ... ما زال يحسده عليه النير." (١)

"وفاته ببعلبك سنة ثمان وخمسين ومائة وألف عن ثلاث وستين سنة رحمه الله تعالى.

يحيى الموصلي

ابن فخر الدين الموصلي مفتي الحنفية الشيخ الفاضل النبيل المفنن البارع ولد بالموصل سنة اثنتي عشرة ومائة وألف ونشأ بها وترجمه السيد محمد أمين الموصلي وقال في حقه ربيع الفضل والمحاسن صاحب الفضائل والكمال مرجع الطلاب وأرباب المعالي وبالجملة فهو بالشرف كالنار على العلم وبالكرم كذوارف الديم أصل طاهر وفرع زكي ونسب قرشي علوي ليس في الموصل كصحة نسبه ونسب أبناء عمه إلا نسبة السيادة التي في باب العراق أبناء السيد عيسى الطحاوي ثم هذا السيد يتيمة زمانه له صدقات جارية وللفقراء في ماله رواتب ووظائف فيقال إنه في كل يوم يعطى زهاء ثلاثين راتبا ومنزله ربيع الضيوف وأبناء السبيل لا يمر به يوم إلا وعنده ضيف أو أكثر وقد مهر في الفتوى والعلم والتقدم وكان توجيه الفتوى إليه سنة ثلاث وأربعين ومائة وألف ثم أخذت منه ثم عادت إليه وله الأيادي المشهورة والمحاضرة المبرورة والفضائل المعمورة وأخذ علمه عن جماعة منهم الشيخ حمد الجميلي فقيه وقته وهو الآن يقرئ التفسير للقاضي يقرأه على جماعة من الطلبة ما بين فاضل وزكي عاقل وله الخبرة التامة في صناعة الفارسية واللغة التركية وبالاسطرلاب والربع المجيب وغير ذلك من الفضائل

---

(١) سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر محمد خليل المرادي ٤/١٨٠

ونظمه أحلى من القند وترجمه صاحب الروض فقال واحد الفضل ومرجعه ومنبع العلم وموضعه الذي عقدت عليه الخناصر وورث الفضل كابرا عن كابر فهو الفاضل الذي أورق غصن شبابه في ساحة المجد والفتوة حيث ناداه قلم الافتاء من أعلى هامات الفضل يا يحيى خذ الكتاب بقوة قد عقدت رايات الكمال عليه وانتشرت وضمخت جوانبه بعبير المعارف وانتثرت سطعت أنوار الافادة من جانبه في كل مقام فأشرقت شمس أفضاله على رؤس الربى وهامات الأكمام فاسترق بلفظه الرائق أبناء الزمن فكان أدبه ألذ للعيون من معاطاة الوسن انتهى وحج في سنة سبع وخمسين ومائة وألف وله شعر لطيف منه قوله مقرظا على الروض لعثمان أفندي الدفتري

عقود وشحت صدر الطروس ... أم السكر المخامر للنفوس

ومنثور فصيح راق معنى ... بروض مثل صهباء الكؤس

شطور سطوره تنمو وتزهو ... برونقه على العقد النفيس

صحائفه لأعين ناظريه ... تضيء بلاغة مثل الشموس

فهنا إذ وجدناه كأنا ... ثملنا من حساء الخندريس." (١)

"بالحس والمعنى، لأن الفتوة من شأن أهل التوحيد، ومن شيم أهل التجريد، كما هو معلوم من حالهم، نفعنا الله بذكرهم، وخرطنا في سلكهم. آمين.

قال الورتجبي: «الوالدين» : مشايخ المعرفة. ثم نقل عن الجنيد، أنه قال: أمرني أبي أمرا، وأمرني السري أمرا.

فقدمت أمر السري على أمر أبي، وكل ما وجدت فهو من بركاته. هـ. وذوو القربى هم الأخوة في الشيخ، واليتامى: من قصدهم من المتفقرة الجاهلة، والمساكين: ضعفاء اليقين من العامة، أمر الله تعالى أهل الخصوصية بالإحسان إليهم والبرور بهم، وهو أن يقرهم في طريقهم، ويحوشهم إلى ربهم.

والجار ذي القربى وهو جارك في السكنى وأخوك في النسبة، فيستحق عليك زيادة الإحسان. والجار الجنب: من جاورك من العوام فتنصحه وترشده، والصاحب بالجنب: من رافقك في أمر من العوام، كسفر وغيره، وابن السبيل:

من نزل بأهل الخصوصية من الأضياف، فلهم حق الضيافة عليهم حسا ومعنى، وما ملكت أيمانكم: مالكم تصرف عليهم من الأهل والبنين والإماء والعبيد، فتقربونهم إلى حضرة الملك المجيد. ثم أمرهم بالتواضع والإقبال على الخاص والعام. فقال: إن الله لا يحب من كان مختالا فخورا. والله تعالى أعلم.

ثم بين حال أضداد هؤلاء، فقال:

[سورة النساء (٤) : الآيات ٣٧ الى ٣٩]

الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل ويكتمون ما آتاهم الله من فضله وأعتدنا للكافرين عذابا مهينا (٣٧) والذين ينفقون أموالهم رئاء الناس ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ومن يكن الشيطان له قرينا فساء قرينا (٣٨) وماذا عليهم لو آمنوا بالله

---

(١) سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر محمد خليل المرادي ٤/٢٣٣

واليوم الآخر وأنفقوا مما رزقهم الله وكان الله بهم عليما (٣٩)

قلت: (الذين) بدل من: «من كان» ، أو منصوب على الذم، أو مرفوع عليه، أي: هم. أو مبتدأ حذف خبره، أي: نعذبهم عذابا مهينا، أو أحقاء بكل ملامة، و (الذين ينفقون) : عطف على الأولى، أو مبتدأ حذف خبره، أي: الشيطان قرينهم. والبخل فيه لغتان: البخل والبخل بحركتين.

يقول الحق جل جلاله: الذين يبخلون بأموالهم على أقاربهم وجيرانهم، ويأمرون الناس بالبخل ويكتمون ما آتاهم الله من الغنى، فيظهرون القلة والعيلة، أو يكتمون العلم بصفة النبي صلى الله عليه وسلم، هم أحقاء بكل لوم وعتاب. وأعتدنا للكافرين منهم عذابا مهينا يهينهم ويخزيهم، نزلت في اليهود، كانوا يقولون." (١)

"إذ ضرب الله على آذانهم فناموا، ونفقتهم عند رؤوسهم. فخرج «دقيانوس» في طلبهم بخيله ورجله، فوجدهم قد دخلوا الكهف، فأمر بإخراجهم فلم يطق أحد منهم أن يدخله، فلما ضاق بهم ذرعا، قال قائل منهم: أليس لو كنت قدرت عليهم قتلتهم؟ قال: بلى. قال: فابن عليهم باب الكهف ودعهم يموتوا جوعا وعطشا، ففعل فكان شأنهم ما قص الله تعالى، إذ قال:

إنهم فتية، استئناف بياني، كأن سائلا سأل عن حالهم، فقال: إنهم فتية شبان كاملون في **الفتوة** آمنوا بربهم، فيه التفات إلى ذكر الربوبية التي اقتضت تربيتهم وحفظهم، وزدناهم هدى بأن ثبتناهم على ما كانوا عليه، وأظهرنا لهم من مكنونات محاسننا ما آثروا به الفناء على البقاء. وفيه التفات إلى التكلم لزيادة الاعتناء بشأنهم، وربطنا على قلوبهم أي: قويناهم، حتى اقتحموا مضايق الصبر على هجر الأهل والأوطان، والنعيم والإخوان، واجترءوا على الصدع بالحق من غير خوف ولا حذر، والرد على دقيانوس الجبار إذ قاموا أي: انتصبوا لإظهار شعار الدين، قال مجاهد: خرجوا من المدينة فاجتمعوا على غير ميعاد. فقال أكبرهم: إني لأجد في نفسي شيئا، إن ربي هو رب السموات والأرض، فقالوا: نحن أيضا كذلك، فقاموا جميعا فقالوا ربنا رب السماوات والأرض، وعزموا على التصميم بذلك. وقيل: قاموا بين يدي الجبار من غير مبالاة به، حين عاتبهم على ترك عبادة الأصنام، فحينئذ يكون ما سيأتي من قوله تعالى: (هؤلاء ...) الخ: منقطعا صادرا عنهم، بعد خروجهم من عنده.

ثم قالوا: لن ندعوا من دونه إلها، لا استقلالا ولا اشتراكا، ولم يقولوا: ربا للتصميم على الرد على المخالفين، حيث كانوا يسمون أصنامهم آلهة، وللإشعار بأن مدار العبودية على وصف الألوهية. لقد قلنا إذا شططا: قولا ذا شطط، وهو الجور والتعدي، أي: لقد جرنا وأفرطنا في الكفر، وقلنا قولا خارجا عن حد المعقول، إن دعونا إلها غير الله جزما.

هؤلاء قومنا قد اتخذوا من دونه آلهة، فيه معنى الإنكار، لولا: هلا يأتون عليهم:

على ألوهيتهم بسلطان بين: بحجة ظاهرة، فمن أظلم أي: لا أحد أظلم ممن افترى على الله كذبا بنسبة الشريك إليه فإنه أظلم من كل ظالم.

وإذ اعتزلتموهم أي: فارقتموهم وفارقتم ما يعبدون إلا الله فأووا إلى الكهف: فالتجئوا إليه، والمعنى: وإذ اعتزلتموهم اعتزالا

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ٥٠٣/١

اعتقاديا فاعتزلوهم اعتزالا جسمانيا، ينشر لكم ربكم: يبسط لكم ويوسع عليكم من رحمته في الدارين، ويهيئ لكم من أمركم الذي أنتم بصدده من الفرار بالدين، مرفقا: ما ترتفقون به، أي: تنتفعون، وجزمهم بذلك لنصوع يقينهم، وقوة وثوقهم بفضل الله. والله تعالى أعلم.." (١)

"المخضرمين ثم المغير اسمهم ثم المواخا بينهم ثم اللباب في الألقاب ثم بذل الجهد في من سمي بفهد وابن فهد والمشارق المنيرة في ذكر بني ظهيرة وله في كل بيت من بيوت مكة المشهورة بالعلم مصنف وله غير ذلك من المصنفات ومات يوم الجمعة سابع شهر رمضان سنة ٨٨٥ خمس وثمانين وثمان مائة

٣٤٩ - عمر بن مجد السراج أبوحفص اليماني الزبيدي الشافعي

ويعرف بالفتى من الفتوة وهو لقب أبيه ولد سنة ٨٠١ واحدة وثمان مائو بزبيد ونشأ بها وقرأ على الفقيه محمد بن صالح والشرف بن المقرى ولازمه أتم دهرا ملازمة طويلا ثم انتقل إلى بلاد أصاب فمكث ببعض قراها وارتحل إليه الطلبة واشتغل بالتدريس والتصنيف وقصده الطلبة من الأماكن البعيدة كل ذلك في حياة شيخه ولما استولى علي بن طاهر على اليمن أكرم صاحب الترجمة ورتب له من الوقف ما يكفيه ثم قلده أمر الأوقاف وصرفها لمستحقها والإذن في النيابة لمن لا يحسن المباشرة وله تصانيف منها مهمات المهمات اختصر فيها مهمات الأسنوي والابريز في تصحيح الوجيز والالهمام لما في الروض من الأوهام مصنف شيخه ابن المقري وأفرد زوائد الأنوار على الروضة وسماه أنوار الأنوار وكذا فعل في جواهر القمولى وشرح المنهاج لابن الملقن وقد انتفع به في الفقه أهل اليمن طبقة بعد طبقة حتى صار غالبهم من تلامذته ومات في صفر سنة ٨٨٧ سبع وثمانين وثمان مائة وارتجت النواحي لموته." (٢)

"قدموا (١) على عمر بن الخطاب ذكروا ذلك (٢) له، فقال: من أفتاكم بهذا؟ فقالوا: كعب، قال: فإني أمرته (٣) عليكم حتى ترجعوا. ثم لما كانوا ببعض الطريق (٤) - طريق (٥) مكة - مرت بهم رجل (٦) من جراد (٧) ، فأفتاهم (٨) كعب بأن يأكلوه ويأخذوه فلما قدموا (٩) على عمر ذكروا

---

(١) أي بالمدينة وهي ممر ركب الشام الذاهبين إلى مكة.

(٢) أي أكلهم لحم الصيد في الإحرام.

(٣) قوله: فإني أمرته، من التأمير أي جعلته أميرا عليكم لتقتدوا به في سفركم لعلمه وفضله حتى ترجعوا من نسككم.

(٤) أي بين مكة والمدينة.

(٥) بيان لبعض الطريق.

(٦) بكسر الراء: أي قطيع وطائفة.

(٧) بالفتح يقال له في الفارسية (ملخ) وهو حلال بالإجماع من غير ذبح.

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ٢٥٣/٣

(٢) البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع الشوكاني ٥١٣/١

(٨) قوله: فأفتاهم، هذه الفتوة المذكورة في هذه الرواية مخالفة لما ورد عنه أنه حكم بالجزاء في قتل الجراد كما في رواية مالك على ما يأتي، وفي رواية الشافعي بسند حسن عن عبد الله بن أبي عمار، قال: أقبلت مع معاذ بن جبل وكعب الأحبار في أناس محرمين من البيت المقدس بعمرة حتى إذا كنا ببعض الطريق وكعب على نار يصطلي مرت به رجل من جرادتين فقتلهما، وكان قد نسي إحرامه ثم ذكر إحرامه فألقاهما، فلما قدمنا المدينة قص كعب على عمر فقال: ما جعلت على نفسك يا كعب؟ فقال: درهمين، فقال عمر: بخ بخ، درهمان خير من مائة جرادة. وهذا يثبت أن كعبا رجع عن فتواه بعدم الجزاء، ويحتمل العكس، ولا يجزم بأحدهما إلا إذا ثبت تأخر أحدهما، فيكون ذلك مرجوعا إليه، ويمكن أن يكون ذلك الاختلاف للاختلاف في الجراد البري والبحري.

(٩) أي بالمدينة بعد الفراغ من النسك.." (١)

"وكتب في الفتاوى كتائب عزيزة من أهمها كتابه "معين المفتي" وكتب "حاشية جليلة على القطر" لابن هشام سلك فيها مسلك المحققين من علماء المعقول قد طبعت في المطبعة التونسية وقرأناها وأقرأناها فإذا هي عنوان علم واسع ومدرك شاسع، ومنها يستفاد أن له كتابة على شواهد المغني غير أنا لم نقف عليها، أما "حاشيته على لامية الزقاق" فهي كنز التحارير الرقاق، وناهيك به من إمام شريف، تحلى بالعلم والتأليف، وزين ذلك بحسن الأدب اللطيف، له غيرة وحمية، وكرم نفس وإنسانية، وهيبة ربانية، رفعت مقامه على سائر أهل الروية. وله من علو المقدار وحسن الآثار، ما خلد ذكر، بكثير من الأخبار، الدالة على خلوص علمه وعمله بغير إنكار، ولم تزل الرجال تأخذ عنه طبقة بعد طبقة إلى أن أتاه أجله فتوفي ليلة السبت الثامن والعشرين من ذي القعدة الحرام سنة أربع وثلاثين ومائتين وألف ودفن بتربة آبائه في أعلى الزلاج عليه رحمة الله. وقد رثاه الشيخ "أحمد الكيلاني" بقوله: [الطويل]

أيا عين فيضي واهطلي بسجام ... أمام ضريح ضم خير إمام

ويا قلب كيف الصبر قد حال بيننا ... وبين غمام الديق غيم حمام

فأعظم به رزءا لقد حل بالثرى ... وأمسى به في حيرة وهيام

وأظلم أفق الجو واعبر لونه ... متى هتف الناعي بنعي همام

إمام جليل القدر من آل هاشم ... سليل فحول من بطون كرام

هو الحسن الندب الشريف الذي رقت ... به زمرة الأشراف أعلى مقام

فقد كان في دنياه أعذب مورد ... وقد صار مرجوا ليوم قيام

وقد كان للدين الحنيفي صارما ... وللعان والملهوف صوب غمام

وما كنت أدري قبل أن ضمه الثرى ... بأن الثرى يخفي بدورتمام

فراح ولم تعرف له قط هفوة ... وسار إلى فردوسه بسلام

فمن لدروس العلم أو لمنابر ... ومن للقضايا عند نشر خصام

---

(١) التعليق الممجد على موطأ محمد اللكنوي، أبو الحسنات ٣٣٣/٢

ومن لعويص القول من بعد سيد ... يحل من التعقيد كل كلام

تآليفه قد طار في الأرض صيتها ... بتحرير أبحاث وحسن نظام

سيتدبه البيت العتيق ومن به ... ويبكيه طول الدهر كل إمام

ولا غرو أن شخ السماء بنوئه ... وصار الثرى من فقده كرجام

وماذا عجيب للذي كان علمه ... سراجا منيرا في سواد ظلام

فلا زلت يا فخر الزمان مخلدا ... لأرفع مجد في أعز مقام

ولازلت يا طود العلوم مرقرقا ... على تربك المسكي فيض ركام

عليك سلام الله ما هبت الصبا ... وما لاح برق من خلال غمام

مدى الدهر ما قد قال فيك مؤرخ: ... فلله من رمس لأسمى همام

[..١٢٣٤..] ٣٩ الشيخ محمد الشريف هو الشيخ أبو عبد الله محمد بن عبد الكبير أخو الإمام المتقدم الذكر، وناهيك به من جوهرة برزت من أصداف النبوة، وتقدم إلى التكريم والتبجيل في زمن الفتوة، ولد سنة خمس وستين ومائة وألف وتربى في عز بيته وتعاليم أبيه وجده، وأخذ عن والده والشيخ "صالح الكواش" والشيخ "محمد الغرياني" وعن خاله الشيخ "محمد الشحمي" والشيخ "محمد بن قاسم المحجوب" وغيرهم من أعلام جامع الزيتونة إلى أن بلغ في العلوم أشده، وظهرت عليه البراعة التي أضافت إلى شرفه ومفاخره مكارم مستجدة، وجلس للتدريس، وقلد الأجياد من در علومه النفيس. وتقدم لشهادة الديوان يوم الأربعاء الرابع والعشرين من جمادى الثانية سنة عشرين ومائتين وألف عوضا عن الشيخ "حسونة بوكراع"، ثم قدمه والده عوضه للتدريس بجامع محمد باي المرادي، ونقابة الأشراف، وإمامة مسجد دار الباشا فزان جميعها بعلمه وفضله. غير أنه عند وفاة والده تنقلت نقابة الأشراف من بيتهم واستمر هو في خدمة العلم لولا أنه شغلته خطة الإشهاد على أوقاف الديوان، وكانت من الخطط النبيهة في ذلك الأوان، بما يقتضيه التحري والوقوف على جزئيات مداخيل الوقف ومصاريفه كما هو شأن عدول الرضا أمثاله، ولذلك لم يبلغ في بث العلوم إلى غاية آماله. ومع ذلك كان يقرىء بجامع الزيتونة قرب باب الشفاء وأقرأ شرح التاودي على العاصمية وغيره.." (١)

"يظهر لي أن من تروى في المحاورة المذكورة في أمر التشطير لابد له من أحد أمرين، فإما أنه يتهم صدقها، أو أنه ينتقد علي عملي ويراني أبرمت الشيخ وثقلت عليه، بوقوفي لديه موقف الغريم المستقضى دينا واجبا، فلهذا وجب أن أبين سبب ما فعلت، ليتحقق صدق ما نقلت، وبتقديمي هذا البرهان أكون زدت المطالع معرفة بهذا الرجل الذي كان آية من بدائه خلق الله.

والحكاية هي أني وجدت يوما في مجلس جماعة من كبراء الدولة التونسية فذكر أحدهم شدة إعجابه بقصيدة بشر ثم تلاها عليهم فتهز هوت إليها القلوب وودوا أن تكون أكثر طولا فقال رجل منهم إن أحببتم تطويلها بما يفوق على ما سمعتم حسنا فاقترحوا على الشيخ محمود قابادو أن يشطرها لكم ففرحوا برأيه وكلفوه إلى الافتراح فاعتذر، وأشار إلى آخر، والآخر

---

(١) مسامرات الظريف بحسن التعريف محمد السنوسي ص/٥٢

إلى غيره، وكلهم يقول لا فائدة في الطلب لأن الشيخ بخيل بجواهره، فيعد ثم يلوي ويضيع السعي سدى، ثم إنه وقع الإجماع على أن أكون أنا السفير إليه، وقالوا كلنا يعلم ما لك عنده من العزازة، فلا شك في أن يستحي منك ويلبي دعوتك، ولكن حذار من قبول الوعد إلى غد، قلت: لابد من إمهاله ولو ليلة لمثل هذا الاقتراح، فضحكوا كلهم وقالوا: كأنك لا تعلم اقتدار صاحبنا، وأخذوا يوردون علي من إخباره ما يذهل العقل، فمن ذلك أنه كان في دعون معهم مرة فذكروا بيتا حماسيا لأبي الطيب والتمسوا منه أن ينظم لهم قصيدة على ذلك النمط من الغلو والإغراق **بالفتوة**، فأخذ ينشد حتى غادر ذلك المتنبئ وراءه بمراحل، ثم ابتدره أحدهم ببيت من تائية الفارضي، واقترح عليه النظم على نسق تلك الجناسات، فانتقل فورا من فخامة ذلك التحمس إلى رقة ذلك النسيب، حتى أدهشهم، وقالوا: لو شاء الإنشاد يوما كاملا لقدر عليه لما عنده من غزارة المادة فهو بحر لا ينزح. وذكروا لي عجائب أخبار عن ذاكرته الوقادة حاصلها أنه ما قرأ شيئا فنسيه وأن ما يقرع سماعه إعادتها عليهم ففعل، فمن ذلك ما أترك العهدة فيه على الناقل، أنه تلي عليه يوما رسالة بالفرنساوية، فلما فرغ منها، أعاد الشيخ كلماتها مع أنه لا يعرف شيئا من لغات الإفرنج، فلما سمعت كل ذلك توجهت إليه حازما على الإلحاح، فكان في ما بيننا ما مر بيانه وجاء فعله بقصيدة بشر مصداقا لما قيل لي عنه.

أما حليته، فقد كان طويل القامة، مستوفي الجسامة، رقيق البشرة، أبيض مشربا بحمرة، أدعج العينين، حسن الابتسام، عذب الألفاظ لطيف نغمة الكلام، يميل برقة لفظه إلى الإشمام، وكان سهل الجناب رقيق الحاشية أنيسا متواضعا على أنه ما كان يحجم أحيانا عن القول أنه أعلم الناس طرا وما كان مهذارا، ولا سريع الكلام، وكان يخيل لسامعه أن فيه سرا موجبا لتصديق ما ينطق به، ذلك لأنه ينطق متأنيا، كأن كلماته تتصعد من سويداء قلبه يرافقها أحيانا تصاعد أنفاسه، وكان يحب الوحدة كأنه غير راض عن الناس، ومع علو طبقة عقله كان يظهر أحيانا ساذجا، وما كان يسعى للدنيا ولا يحتال لطلب الوجاهة، ولذلك كان قليل النشب، تلازمه حرفة الأدب، أما علومه ففضلا عن أنه كان الفقيه المحقق، والحافظ المدقق، واللغوي النحرير والأديب الماهر، الناظم الناثر، والمالك لزمام المعاني، والبيان والبديع، والنحو، والصرف، والعروض، لم يكن أجنبيا عن سائر العلوم كالفلك، والمساحة، والحساب، والطب، والتاريخ، واستخراج الغوامض من علوم النجوم والجفر وأشباهها، وما كان يرى من الألغاز والمعمى شيئا، إلا وكشف عنه الغطاء فورا، وقد توفي وما أخاله بلغ الخمسين، وإني عليه لمن الآسفين. أهـ. مكتوب رشيد الدحداح.

وحيث تضمن هذا المكتوب ذكر واقعة تشطير القصيدة الغراء وتصديرها فإني أثبت ذلك هنا تزيينا لترجمته وهذا نصه: [الوافر]

رنت بفواتر الأجفان سكرى ... يخيل سحرهن النجب خزرا

فيالك من فتون في فتور ... ومن سكر به السحر استمرا

عقيلة ربرب جيدا وطرفا ... وخوطة بانة قدا وخصرا

يجول بخدها ماء وراح ... ليمتزجا فما أن يستقرا

يبيح لناظر وردا نضيرا ... ويورد حائما وردا مقرا

أما وعيونها الدعج اللواتي ... أقامت للهوى العذري عذرا

وخال بين قوسي حاجبيها ... بحيث يكون قطب الحسن قرا." (١)

"الباب الثاني: في وصف الغرائز والملكات وما يأخذ مأخذها ويضاف إليها

فصل في كرم الأخلاق ولؤمها

يقال: فلان كريم الخليقة، شريف الملكة، سري الأخلاق، نبيل النفس، حر الخلال، محمود الشمائل، أريحي الطباع، كريم المخبر، كريم المحسر، صدق المعجم، محمود المكسر، حر الطينة، محض الضريبة، جزل المروءة، شريف المساعي، أغر المكارم. وإنه لمن تتوسم فيه مخايل الكرم، ويقرأ في أسرته عنوان الكرم، ويجول في غرته ماء الكرم، ويقطر من شمائله ماء الكرم، ويفوح من خلائقه عرف الكرم، وإنه لينطق الكرم من محاسن خلاله، ويتمثل الكرم في منطقه وأفعاله.

وقد خلق الله فلانا من طينة الكرم، وصاغه من معدن العتق، وأنبته من أرومة الحرية، وجمع فيه خلال الفتوة. وهو بقية الكرام." (٢)

".. يأتون سوقا لا يباع ويشتري ... فيه فخذ منه بلا أثمان

قد اسلف التجار أثمان المبيع بعقدهم في بيعة الرضوان ... لله سوق قد اقامته الملا ... ئكة الكرام بكل ما احسان ... فيها الذي والله لا عين رأت ... كلا ولا سمعت به أذنان

كلا ولم يخطر على قلب امرىء فيكون عنه معبرا بلسان ... فيرى امرءا من فوقه في هيئة ... فيروعه ما تنظر العينان

فاذا عليه مثلها اذ ليس يلحق أهلها شيء من الأحزان ... واها لذا السوق الذي من حله ... نال التهاني كلها بأمان ... يدعى بسوق تعارف ما فيه من ... صخب ولا غش ولا ايمان

وتجارة من ليس تلهيه تجا ر ... ات ولا بيع عن الرحمن

أهل المروءة والفتوة والتقى ... والذكر للرحمن كل أوان

يا من تعوض عنه بالسوق الذي ... ركزت لديه راية الشيطان

لو كنت تدري قدر ذاك السوق لم تركن ... الى سوق الكساد الفاني ...." (٣)

"قال القدوري: المسألة بخلقه لا تجوز. لأنه لا حق للخلق على الخالق. فلا تجوز وفاقا.

وهذا الذي قاله أبو حنيفة وأصحابه- من أن الله لا يسأل بمخلوق- له معنيان: أحدهما هو موافق لسائر الأئمة الذين يمنعون أن يقسم أحد بالمخلوق، فإنه إذا منع أن يقسم على مخلوق بمخلوق، فلأن يمنع أن يقسم على الخالق بمخلوق، أولى وأحرى. وهذا بخلاف إقسامه سبحانه بمخلوقاته والليل إذا يغشى والنهار إذا تجلى [الليل: ١- ٢] ، والشمس وضحاها [الشمس: ١] . والنازعات غرقا [النازعات: ١] ، والصافات صفا [الصافات: ١]- فإن إقسامه بمخلوقاته يتضمن من

---

(١) مسامرات الظريف بحسن التعريف محمد السنوسي ص/٢٦٧

(٢) نجعة الرائد وشرعة الوارد في المترادف والمتوارد اليازجي، إبراهيم ٧٥/١

(٣) توضيح المقاصد شرح الكافية الشافية نونية ابن القيم أحمد بن عيسى ٥٨٨/٢

ذكر آياته الدالة على قدرته وحكمته ووحدانيته، ما يحسن معه إقسامه. بخلاف المخلوق، فإن إقسامه بالمخلوقات شرك بخالقها. كما

في (السنن) عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال «١» : «من حلف بغير الله فقد أشرك» .

وقد صححه الترمذي وغيره.

وفي لفظ: فقد كفر

. وقد صححه الحاكم.

وقد ثبت عنه في (الصحيحين) «٢» أنه قال: من كان حالفا فليحلف بالله. وقال: لا تحلفوا بآبائكم. فإن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم.

وفي (الصحيحين) عنه أنه قال «٣» : من حلف باللات والعزى فليقل: لا إله إلا الله.

وقد اتفق المسلمون على أنه من حلف بالمخلوقات المحترمة، أو بما يعتقد هو حرمته- كالعرش والكرسي والكعبة والمسجد الحرام والمسجد الأقصى ومسجد النبي صلى الله عليه وسلم والملائكة والصالحين والملوك وسيوف المجاهدين وترب الأنبياء والصالحين وسراويل الفتوة وغير ذلك ... - لا ينعقد يمينه، ولا كفارة في الحنث بذلك.

---

(١)

أخرجه الترمذي في: النذور، ٩- حدثنا قتيبة، ونصه: عن ابن عمر سمع رجلا يقول: لا، والكعبة! فقال ابن عمر: لا يحلف بغير الله. فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك»

. (٢)

أخرجه البخاري في: مناقب الأنصار، ٢٦- باب أيام الجاهلية، حديث ١٢٩٨ ونصه: عن ابن عمر رضي الله عنهما، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال «ألا من كان حالفا، فلا يحلف إلا بالله» وكانت قريش تحلف بآبائها، فقال «لا تحلفوا بآبائكم» .

وأخرجه مسلم في: الإيمان، حديث ٣ و ٤.

(٣)

أخرجه البخاري في: الأيمان والنذور، ٥- باب لا يحلف باللات والعزى ولا بالطواغيت، حديث ٢٠٥٢ ونصه: عن أبي هريرة رضي الله عنه: عن النبي صلى الله عليه وسلم قال «من حلف فقال في حلفه: باللات والعزى، فليقل: لا إله إلا الله ومن قال لصاحبه: تعال أقامرك، فليتصدق» .

وأخرجه مسلم في: الإيمان، حديث ٥

.." (١)

---

(١) تفسير القاسمي = محاسن التأويل القاسمي ١٢٨/٤

"المناظرة، واتباع الحق، والرفق والمداراة، على وجه يظهر منه أن القصد إثبات الحق وإزهاق الباطل، وأن لا غرض سواه.

وقوله تعالى:

القول في تأويل قوله تعالى: [سورة النحل (١٦) : آية ١٢٦]

وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين (١٢٦)

وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين أي الزموا سيرة العدالة، لا تجاوزوها. فإنها أقل درجات كمالكم. فإن كان لكم قدم في **الفتوة**، وعرق راسخ في الفضل والكرم والمروءة، فاتركوا الانتصار والانتقام ممن جنى عليكم، وعارضوه بالعفو مع القدرة، واصبروا على الجناية، فإنه لهو خير للصابرين ألا تراه كيف أكده بالقسم واللام في جوابه، وترك المضمر إلى المظهر حيث ما قال:

(لهو خير لكم) بل قال: لهو خير للصابرين للتسجيل عليهم بالمدح والتعظيم بصفة الصبر. فإن الصابر ترقى عن مقام النفس وقابل فعل نفس صاحبه بصفة القلب.

فلم يتكدر بظهور صفة النفس. وعارض ظلمة نفس صاحبه بنور قلبه. فكثيرا ما يندم ويتجاوز عن مقام النفس. وتنكسر سورة غضبه فيصلح. وإن لم يكن لكم هذا المقام الشريف، فلا تعاقبوا المسيء بسورة الغضب، بأكثر مما جنى عليكم، فتظلموا، أو تتورطوا بأقبح الرذائل وأفحشها. فيفسد حالكم ويزيد وبالكم على وبال الجاني.

أفاده القاشاني.

تنبيهات:

الأول: في (الإكليل) : قال ابن العربي: في الآية جواز المماثلة في القصاص.

خلافا لمن قال: لا قود إلا بالسيف. ويستدل بها لمسألة الظفر. كما أخرج ابن أبي حاتم عن ابن سيرين والنخعي أنهما استدلا بها عليها. ولفظ النخعي: سئل عن الرجل يخون الرجل ثم يقع له في يده الدراهم؟ قال: إن شاء ذهب من دراهمه بمثل ما خانه. ثم قرأ هذه الآية. ولفظ ابن سيرين: إن أخذ منكم رجل شيئا، فخذوا مثله.

قال ابن كثير: وكذا قال مجاهد وإبراهيم والحسن البصري وغيرهم، واختاره ابن جرير. فعمومها يشمل العدل في القصاص والمماثلة في استيفاء الحق.

الثاني:

قال محمد بن إسحاق عن بعض أصحابه، عن عطاء بن يسار قال: نزلت سورة النحل كلها بمكة. وهي مكية إلا ثلاث آيات من آخرها نزلت بالمدينة بعد." (١)

---

(١) تفسير القاسمي = محاسن التأويل القاسمي ٦/٤٢٣

"هو في سن **الفتوة**. وكان يوشع خادم موسى عليه السلام ومحبا له، وإذا غيرة على كرامته. ولذلك اختصه موسى رفيقا له وخادما. وصار خليفة من بعده على بني إسرائيل. وفتح عليه تعالى بيت المقدس ونصره على الجبارين. وقوله تعالى:

القول في تأويل قوله تعالى: [سورة الكهف (١٨) : آية ٦١]

فلما بلغا مجمع بينهما نسيا حوتهما فاتخذ سبيله في البحر سربا (٦١)

فلما بلغا مجمع بينهما أي البحرين نسيا حوتهما أي خبر حوتهما، وتفقد أمره، وكانا تزوداه.

فاتخذ سبيله أي طريقه في البحر سربا أي مثل السرب في الأرض، واضح المسلك، معجزة جعلت علامة للمطلوب.

القول في تأويل قوله تعالى: [سورة الكهف (١٨) : آية ٦٢]

فلما جاوزا قال لفتاه آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا (٦٢)

فلما جاوزا أي مجمع بينهما، وهو المكان الذي نسيا فيه الحوت قال لفتاه آتنا غداءنا أي ما نتغدى به لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا أي تعبا ومشقة.

القول في تأويل قوله تعالى: [سورة الكهف (١٨) : آية ٦٣]

قال أرأيت إذ أوينا إلى الصخرة فإني نسيت الحوت وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره واتخذ سبيله في البحر عجبا (٦٣)

قال أرأيت إذ أوينا إلى الصخرة فإني نسيت الحوت أي خبر الحوت. وإسناد النسيان إليهما، أولا، إما بمعنى نسيان طلبه، والذهول عن نفقده، لعدم الحاجة إليه.

وإما للتغليب، بناء على أن الناسي إنما كان يوشع وحده. فإنه نسي أن يخبر موسى بشأنه العجيب، فيكون كقوله تعالى: يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان [الرحمن: ٢٢] ، وإنما يخرج من المالح وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره أي لك. و (أن أذكره) بدل من الهاء في (أنسانيه) أي وما أنساني ذكره إلا الشيطان. وقد قرأ حفص بضم الهاء من غير صلة وصلا، والباقون بكسرها واتخذ سبيله في البحر عجبا أي أمرا عجيبا، إذ صار الماء عليه سربا.." (١)

"للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم أي من مواطنهم ومألوفاتهم يبتغون فضلا من الله أي من العلوم والفضائل الخلقية ورضوانا أي منه، وهو أعظم ما يرغب فيه، وينصرون الله ورسوله أي يبذل النفوس لقوة اليقين أولئك هم الصادقون قال القاشاني: أي في الإيمان اليقيني لتصديق أعمالهم دعواهم، إذ علامة وجدان اليقين ظهور أثره على الجوارح، بحيث لا تمكن حركاتها إلا على مقتضى شاهدهم من العلم.

ثم أشار إلى أن إيثار هؤلاء بالعطاء مما تطيب به نفوس إخوانهم الأنصار، لحرصهم، رضي الله عنهم، على الإيثار دون الاستئثار، بقوله:

---

(١) تفسير القاسمي = محاسن التأويل القاسمي ٤٧/٧

القول في تأويل قوله تعالى: [سورة الحشر (٥٩) : آية ٩]

والذين تبوؤا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون (٩)

والذين تبوؤا الدار أي دار الهجرة. أي توطنوها والإيمان من قبلهم أي من قبل مجيء المهاجرين إليهم. وعطف الإيمان قيل: بتقدير عامل. أي وأخلصوا الإيمان. وقيل: استعمل التبوؤ في لازم معناه، وهو اللزوم والتمكن.

والمعنى: لزموا الدار والإيمان. وجوز أيضا تنزيل الإيمان منزلة المكان الذي يتمكن فيه، على أنه استعارة بالكناية، ويثبت له التبوؤ على طريق التخييل.

يحبون من هاجر إليهم أي لوجود الجنسية في الصفاء، والموافقة في الدين والإخاء. قال الشهاب: المراد بمحبتهم المهاجرين هنا، مواساتهم، وعدم الاستثقال والتبرم منهم، إذا احتاجوا إليهم، فالمحبة كناية عما ذكر، كما قيل:

يا أخي! واللبيب، إن خان دهر، ... يستبين العدو ممن يحب

ولا يجدون في صدورهم أي في أنفسهم حاجة أي طلبا أو حسدا مما أوتوا أي مما أوتي المهاجرون من الفيء وغيره، لسلامة قلوبهم، وطهارتها عن دواعي الحرض. ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة أي حاجة وفاقة.

قال القاشاني: لتجردهم وتوجههم إلى جناب القدس، وترفعهم عن مواد الرجس، وكون الفضيلة لهم أمرا ذاتيا، باقتضاء الفطرة، وفرط محبة الإخوان بالحقيقة، والأعوان في الطريقة. فتقديمهم أصحابهم على أنفسهم، لمكان الفتوة، وكمال المروة، ولقوة التوحيد، والاحتراز عن حظ النفس.." (١)

"وعيوبه ومساوئ أهله فهو من الغيبة وذلك حرام في حق كل مسلم، ويزجرك عنه أمران:

أحدهما: أن تطالع أحوال نفسك فإن وجدت فيها شيئا واحدا مذموما فهون على نفسك ما تراه من أخيك وقدر أنه عاجز عن قهر نفسه في تلك الخصلة الواحدة كما أنك عاجز عما أنت مبتلى به، ولا تستثقله بخصلة واحدة مذمومة، فأي الرجال المهذب.

والأمر الثاني: أن تعلم أنك لو طلبت منزها عن كل عيب اعتزلت عن الخلق كافة ولن تجد من تصاحبه أصلا، فما من أحد من الناس إلا وله محاسن ومساوئ، فإذا غلبت المحاسن المساوئ فهو الغاية والمنتهى، فالمؤمن الكريم أبدا يحضر في نفسه محاسن أخيه لينبعث من قلبه التوقير والود والاحترام. وأما المنافق اللئيم فإنه أبدا يلاحظ المساوئ والعيوب. قال «ابن المبارك» : «المؤمن يطلب المعاذير والمنافق يطلب العثرات» . وقال «الفضيل» : «الفتوة العفو عن زلات الإخوان» ولذلك قال عليه السلام: «استعيذوا بالله من جار السوء الذي إن رأى خيرا ستره وإن رأى شرا أظهره» .

(بحث سوء الظن)

---

(١) تفسير القاسمي = محاسن التأويل القاسمي ١٨٧/٩

وكما يجب عليك السكوت بلسانك عن مساوئه يجب عليك السكوت بقلبك وذلك بترك إساءة الظن، فسوء الظن غيبة بالقلب وهو منهي عنه أيضا، وحده أن لا تحمل فعله على وجه فاسد ما أمكن أن يحمل على وجه خير، فأما ما انكشف بيقين ومشاهدة فاحمله على سهو ونسيان إن أمكن، وسوء الظن يدعو إلى التجسس والتحسس وقد قال – صلى الله عليه وسلم –: " لا تحسسوا ولا تجسسوا ولا تقاطعوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخوانا ". والتجسس في تطلع الأخبار، والتحسس بالمراقبة بالعين، فستر العيوب والتجاهل والتغافل عنها شيمة أهل الدين.

واعلم أنه لا يتم إيمان المرء ما لم يحب لأخيه ما يحب لنفسه، وأقل درجات الأخوة أن يعامل أخاه بما يحب أن يعامله به، ومنشأ التقصير في ستر العورة أو السعي في كشفها الداء الدفين وهو الحقد والحسد، ومن في قلبه سخيمة على مسلم فإيمانه ضعيف، وأمر مخطر، وقلبه خبيث لا يصلح للقاء الله.

ومن ذلك: أن يسكت عن إفشاء سره الذي استودعه، وله أن ينكره وإن كان كاذبا فليس الصدق واجبا في كل مقام، فإنه كما يجوز للرجل أن يخفي عيوب نفسه وأسراره وإن احتاج إلى الكذب فله أن يفعل ذلك في حق أخيه، فإن أخاه نازل منزلته وهما كشخص واحد لا يختلفان إلا بالبدن، هذه حقيقة الأخوة، وقد قال عليه السلام: " من ستر عورة أخيه ستره الله." (١)

"الأسخياء، فلا يوصف بالجود إلا من يصطنع المعروف، ويسلك سبيل المروءة **والفتوة**، وهذا أيضا مما يعظم الثواب فيه، فقد وردت أخبار كثيرة في الهدايا، والضيافات، وإطعام الطعام، من غير اشتراط الفقر والفاقة في مصارفها.

وأما وقاية العرض: فنعني به بذل المال لدفع هجو الشعراء، وثلب السفهاء ودفع شرهم، وهو أيضا – مع تنجز فائدته في العاجلة – من الحظوظ الدينية، ففي الحديث: «ما وقى به المرء عرضه كتب له به صدقة» وكيف لا وفيه منع المغتاب عن معصية الغيبة، واحتراز عما يثور من كلامه من العداوة التي تحمل في المكافأة والانتقام على مجاوزة حدود الشريعة.

وأما الاستخدام: فهو أن الأعمال التي يحتاج إليها الإنسان كثيرة، ولو تولاها بنفسه ضاعت أوقاته.

النوع الثالث: ما لا يصرفه إلى إنسان معين، ولكن يحصل به خير عام؛ كبناء المساجد، والقناطر، والرباطات، ودور المرضى، وغير ذلك من الأوقاف المرصدة للخيرات، وهي من الخيرات المؤبدة الدارة بعد الموت، المستجلبة بركة أدعية الصالحين، وناهيك بها خيرا، فهذه جملة فوائد المال في الدين.

وأما الآفات: فدينية ودنيوية، وأما الدينية فثلاث:

الأولى: أن تجر إلى المعاصي، فإن المال يحرك داعية المعاصي وارتكاب الفجور.

الثانية: أن يجر إلى التنعم في المباحات، والتمرن عليه، حتى يصير مألوفا عنده ومحبوبا لا يصبر عنه، وإذا اشتد أنسه به ربما لا يقدر على التوصل إليه بالكسب الحلال، فيقتحم الشبهات، ويخوض في الكذب والنفاق، وسائر الأخلاق الرديئة؛ لينتظم له أمر دنياه، ويتيسر له تنعمه، وذلك من شؤم المال.

الثالثة: أنه يلهيه إصلاح ماله عن ذكر الله تعالى، وكل ما شغل العبد عن الله فهو خسران.

---

(١) موعظة المؤمنين من إحياء علوم الدين القاسمي ص/١٣٢

وأما الآفات الدنيوية فكثيرة؛ كالخوف، والحزن، والغم، والهم، والتعب في دفع الحساب، وتجشم المصاعب في حفظ المال وكسبه، والفكر في خصومة الشركاء ومنازعتهم.

وأدوية أفكار الدنيا لا نهاية لها. فإن ترياق المال أخذه من حله، وصرفه في الخيرات، وما عدا ذلك سموم وآفات. نسأله تعالى السلام والعون بلطفه وكرمه.

بيان ذم الحرص والطمع ومدح القناعة والاقتصاد:

ينبغي للفقير أن يكون قانعا منقطع الطمع عن الخلق، غير متلفت إلى ما في أيديهم، ولا حريصا على اكتساب المال كيف كان؛ لئلا يتدنس بذل الحرص، فيجره إلى مساوئ الأخلاق وارتكاب المنكرات، وقد جبل الآدمي على الحرص والطمع وقلة القناعة، قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –:." (١)

"ربما لهم آل الأمر إلى خسارتهم.

ويقال: إن مضايقاتها المالية مما كان بينها وبين الأمير بشير الشهابي من الاختلاف والضغينة، وقد سبب ذلك فيها من الخوف الذي أوقعها في مرض عضال قضت به نحبها ولم يكن عندها حال وفاتها أحد من الإفرنج، بل أحاط بها جماعة من خدامها من أهل البلاد فنهبوا بيتها حالما أدركتها المنية وعند وفاتها حضر قنصل الإنكليز من بيروت لأجل دفنها، ودفنت بالبستان المجاور لدارها، وقد روى الأهالي عنها قصصا كثيرة غريبة تكاد أن تكون من الخرافات لا يوثق بها وكتب الدكتور (مريون) الذين بقي عندها بضع سنين طبيبا لها سيرة حياتها بالإنكليزية في ثلاثة مجلدات رواية عنها وقصة أسفارها في ثلاثة مجلدات طبعت بالإنكليزية بعد وفاتها بمدة قصيرة.

وقد زارها كثير من السياح الأوروبيين ومن جملتهم (دو لامرتين) الشاعر الفرنساوي المشهور فإنه لما كان في سورية سنة ١٨٣٢ م يطوف في نواحيها ويتفرج على بلدانها ومناظرها رغب في زيارة تلك الخاتون إلا أنه كان في ذلك الوقت من أصعب الأمور على الإفرنج أن يقابلوها ولاسيما الإنكليز ومن كانوا من ذوي قرابتها فبعث إليها مع رسول بالرسالة الآتية ترجمتها:

سيدتي، من سائح مثلك في الشرق وغريب في هذه الديار جاءها ليتأمل في مناظر الطبيعة وآثارها وأعمال الله فيها، وقد وصل إلى سورية منذ مدة مع عائلته وهو يحسب يوما يتمكن فيه من مقابلة امرأة هي نفسها من عجائب الشرق الذي جاءه زائرا من أجمل سياحته وألذها، فإذا شئت أن تقابليني فاذكري لي اليوم الملائم لذلك وقولي لي أينبغي أن أتوجه وحدي أو يمكنني أن أسير إليك بجماعة من خلاني يرغبون مثلي كل الرغبة في التشرف بمقابلتك، وأرجو يا سيدتي أن لا يكون هذا الطلب سببا لتكلفك ما يزعجك في عزلتك فإنني أعرف من نفسي قيمة الحرية ومحاسن الانفراد ولذلك لا يسوءني البتة رفضك مقابلتي، بل أتلقى ذلك بالتوقير والاحترام إلى آخره.

وفي ٣٠ أيلول (سبتمبر) من السنة نفسها سار إليه طبيبها ودعاه إلى جون فذهب مع الدكتور (ليوزدي) والموسيو (يرسيقال)

---

(١) موعظة المؤمنين من إحياء علوم الدين القاسمي ص/٢٢١

ولما وصلوا نزل كل منهم في غرفة ضيقة لا نوافذ لها ولا أثاث فيها ولم يتمكنوا من مقابلتها حال وصولهم لأنها لم تكن تقابل الناس قبل ساعة الثالثة بعد الظهر، فلما حان الوقت أتاه غلام أسود وأدخله غرفتها قال: وكان الظلام قد أسبل عليها ذيله فلم أتمكن بسهولة من أن أتبين هيئتها اللطيفة المؤذنة بالهيبة والجلال وذلك الوجه الأبيض الصبيح، فنهضت وهي في زي الشرقيين، ودنت مني، ومدت إلى يدها مسلمة علي فأمعنت بها بالنظر، وإذا فيها من لطف المعاني ما لا تستطيع السنون محوه.

نعم، إن نضارة الوجه واللون والرونق تمضي مع الفتوة إلا أنه متى كان الجمال في القد وهيئة الوجه مع العظمة والجلال، وطرأ عليه تقلبات باختلاف أزمان الحياة لا يزول تماما، وهذا كله على (لاري ستنهوب) وكان على رأسها عمامة بيضاء وعلى جبهتها عصابة من الكتان أرجوانية اللون طرفاها مرسلان على كتفيها وعلى بدنها شال من الكشمير الأصفر وفستان تركي كبير من الحرير الأبيض، كماه متدليان وهو مشقوق عند الصدر يظهر من تحته فستان آخر من نسج الفرس تتصاعد منه أزهار تكاد أن تصل إلى عنقها وهي مرتبطة بعضها ببعض بخرز من اللؤلؤ، وكان في رجليها خفان تركيان أصفران وهي تحسن لبس ذلك جميعه كأنها تعودته من صغرها.

وبعد السلام قالت لي: قد أتيت من مكان بعيد وكلفت مشاق السفر لترى ناسكة فأهلا بك وإنني قلما يزورني الأجانب فيراني منهم في السنة واحد أو اثنان في الأكثر غير أن مكتوبك أعجبني وودت أن اعرف إنسانا يحبا لله والطبيعة والانفراد، وذلك نفس ما أحبه ولاح أيضا أن يجمعنا متحابين وإننا نتوافق في المشرب ويسرني الآن أني لم أخطئ في ظني وقد توسمت فيك عندما رأيتك أمورا تجعلني أن لا أندم على رغبتي في مشاهدتك، وناهيك أنني لما سمعت وقع قدميك وأنت داخل خالجني نفس تلك الخواطر فاجلس ودعنا." (١)

"ورضوانه، إنه هو المجيب لكل طالب وسائل، والقريب الذي من دعاه استمسك بأنفع الوسائل.

أما بعد فيقول العبد الفقير، والضعيف الحقير، المتبرىء من كل حول وقوة، والمتبوىء نفسه لخدمة ذوي الفضل والفتوة، الأسير الفاني، والكسير الجاني، المفتقر إلى عفو مولاه المحسان الغفار، عبد الرزاق ابن المرحوم حسن بن إبراهيم البيطار أصلح الله خلل حاله، ونشله بمنه وكرمه من نكبة أوحاله، أن أحلى ما يتحلى به جيد الإنسان، وأولى ما يتملى منه الأديب الولهان، علم يكتسي به ويكتسبه، وفضل يتزين به وينتخبه، وفائدة يبيض غابر عمره بتسويدها، وعائدة يصرف نقد أيامه ولياليه بتقييدها، ودرة ساقطة من معدن الإطلاق يلتقطها، أو قلادة من قريحته ينظمها خوف الشرود ويسبطها، أو سيرة لمن سبق يرقمها، أو رقيقة من بدائع البدائه يحررها ويرسمها:

من كل معنى ولفظ ... كخمرة في زجاجه

يسري النسيم إليه ... يبغي لديه علاجه

فإن الكامل هو الذي يشتغل بما يجله، لا بما يسقطه في أودية الهوان ويذله، وقد كنت معروفا بجمع لآلي أخبار السادة والأعيان، مشغوفا بالتقاط آثارهم المزرية بعقود الجمان، حتى رقمت من أخبارهم أوراقا شتى، بيد أنني إذا أردت الوقوع على

---

(١) الدر المنثور في طبقات ربات الخدور زينب فواز ص/٣٠

مراد منها لا أجتمع به حتى وحتى، فعن لي أن أجمعها في كتاب تعذب مطالعته، وتقرب على الطالب مراجعته، وأن أقصر الوطر، على ترجمة أعيان القرن الثالث عشر، لأن الأمين المحبي رحمه الله ترجم أهل القرن الحادي، كما أن القرن الثاني قد ترجمه المرادي، فأردت أن أتطفل عليهما بديوان يكون لكتابيهما ذيلا، وإن كنت أعلم أني لست لذلك أهيلا، ولكن من أغرب الغريب، وأعجب العجيب، هو أني رأيت أن بعض الناس قد ضنوا بتراجمهم أن تصاغ في قالب التحوير، كأنما يطلب منهم." (١)

"وقد صح له وثبت لسلفه العظام؛ القبول التام، لدى الخاص والعام، واقتسام الأموال من وقت سام؛ واقتحام الأهوال من وقت حام، على أنه الشبل الذي قد ترعرع في بحبوحة الغابة الحيدرية، ونشأ في أحضان البرأة الصفوية، فربض ربضة الضرغام، وتشعشع كالبدر التمام، وكبت الخصم الألد؛ بما منع وردع ودفع ورد؛ ونقض وأبرم، وقوض وهد؛ وفتق ورتق وحل وشد؛ أحزم حزام، وكتب ما أثبت به حقية مدعاه ببطلان دليل الغاصب، من مخلفات آبائه ذوي الأبوة، وأولي **الفتوة**، أشرف المناصب، كأنه اتخذ من أظفاره التي لم تقلم لمحابره الأقلام، فملأ الأقاليم السبع بزئيره؛ والجهات الست بهمهمته في الآجام، وأملى فأبلى سرائر سر تثبت الأقانيم الثلاث، من غير لثاث، ذلك اليراع بصريفه وصريره فأسمعت كلمات باريه الصم الدعاء للاستسلام، وغسلت ذئاب المعارضين عن الإقعاء بفناء أجمة هذا الباسل المقدام، وراغت ثعالب المناقضين عن جلسة القرفصاء بباب غاب هذا الغشمشم القمقام، فمتى شاء قال للسعد أو أشار للفخر على ساق العبودية، وقدم الرقية، بساحة أعتابنا الصفوية، الفسيحة المساحة، وباحة أبوابنا الحيدرية الغير مباحة، قم قام، وقانا الله تعالى وإياه هول المطلع ورزقنا وإياه حسن الختام، وكان المترجم على حالة صالحة، ووسيلة راجحة، إلى أن خطبته المنية لدار السلام، سنة ألف ومائتين و ...

السيد إبراهيم فصيح بن السيد صبغة الله المشهور بحيدري زاده البغدادي

عالم عصره، وفريد مصره، ونخبة زمانه، وعمدة أهل وقته وأوانه، الحسيب العلوي، والنسيب النبوي، ذو المقام الفاخر، والاحترام الباهر، والصفات الحميدة، والشمائل المجيدة، والسيرة الحسنة، والسريرة المستحسنة،." (٢)

"هذه الليلة رأيت القطب عبد القادر الجيلاني فسلم علي ورحب بي، ثم قال استقبل ضيوفي فإنهم في الصباح يردون عليك من صبحه، فأنا خارج لاستقبالهم وانصرف ثم عند الزوال جاء الوابور ومعه جماعة من الهنديين القادرين فجاء بهم جميعا إلى داره، وقال لي قد وصل بحمد الله ضيوف الأستاذ وكان يقوم بخدمتهم بنفسه ما وكلهم إلى أحد من خدمه، وكان يقدم لكل واحد منهم ما يشتهيه من طعام وشراب ودواء على حسب حاجتهم، وهذا أمر نادر لا يقدر عليه في الناس إلا السادة الأكابر، ومع ذلك هو مقصود للسؤال والجواب، وإقراء الطلاب، ولم يزل مقامه يعلو واحترامه يسمو، إلى أن دعاه داعي المنية، وذلك سنة ألف ومائتين ونيف وتسعين.

---

(١) حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر عبد الرزاق البيطار ص/٤

(٢) حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر عبد الرزاق البيطار ص/٤٤

الشريف السيد الأستاذ أبو الهدى بن السيد حسن وادي بن السيد خزام ابن السيد علي الخزام بن السيد حسين برهان الدين الرفاعي الخالدي الصيادي

قطب مدار الفضائل، ومجمع أسنى الشمائل، مصباح ذوي العرفان، ومفتاح غيب كعبة الوجدان، الحسيب الذي علا حسبه ذروة العلا، والنسيب الذي اشتهر نسبه بين الملا، من سراة لهم السر الأعلى، وحماة لهم القدر الأجلى، وأفاضل استوى فضلهم على عرش الكمال، وأماثل قد طار ذكرهم في الآفاق وجال كل مجال، وطاول شرفهم الحمل والميزان، وحاول الترقي إلى ذروة اليمن والإيمان، وهو ممن تأثل مجده في بحبوحة ذلك الشرف، وتبوأ من السيادة أسنى الغرف، مرتوية أفياؤه بماء النبوة، متأرجة أرجاؤه بعبير **الفتوة**، مع مهارة في العلوم، ومحاضرة فاض فيضها من فضل سيبه الموسوم، وأخلاق تألق جمالها الوضاح، وأوصاف تأنق عبير روضها الفواح، وأدب تردى بالبراعة وتوشح، وشعر ترنح للقبول وترشح، وحسن تلاعب بأطراف الكلام، وتناسب فيما تنشره ألسنة الأقلام، وجمال ألبسه الكمال إهابه، وجلال لو رآه الغضنفر الكاسر في غابه هابه.." (١)

"الولي الكبير العلامة المحدث عبد النور بن عبد الواحد الهائلي ما نصه: رأيت بخط غير خط الإمام شهاب الدين بن حجر العسقلاني رحمه الله تعالى: أجزت لأهل زبيد خصوصا ولأهل اليمن كافة عموما أن يرووا عني هذه الكتب صحيح البخاري وصحيح مسلم والجمع بين الصحيحين للحميدي، وكتاب السنن لأبي داوود، وكتاب السنن للحافظ النسائي وهو المختار من السنن الكبرى، وكتاب الجامع للإمام أبي عيسى الترمذي وكتاب العلل له أيضا، وكتاب الموطأ للإمام مالك بن أنس الأصبحي، وكتاب التجريد للقاضي عبد الرحمن البارزي بأسانيدي التي ذكرتها إجازة معين لمعين، وكذلك ما يصح عندهم من مر ويأتي من الأجزاء الحديثية والكتب المسندة، وما لي من قول ونظم ونثر على اختلاف جميع ذلك وتباين أنواعه وأجنايسه، إجازة تامة بشرطه المعتبر عند أهل الأثر، قاله وكتبه أحمد ابن علي بن محمد العسقلاني الشهير بابن حجر انتهى قال: وهو باق إلى هذا العام سنة ألف ومائتين وثمان وأربعين يذكر الله ويذكر بآلائه، ويملي من علوم السنة والكتاب ما يفيد ذوي العقول والألباب انتهى أقول: وقد توفي المترجم المرقوم نفعنا الله ببركاته وأعاد علينا وعلى المسلمين من صالح دعواته سنة ألف ومائتين وثلاث وخمسين هجرية.

الشريف السيد أحمد أسعد المدني الحسيني ابن السيد محمد أسعد ابن السيد أحمد الحنفي الماتريدي مفتي المدينة المنورة النبوية المحمدية

بدر كمال بدا من أفق النبوة والرسالة، وروض جمال غدا مثمرا يانع **الفتوة** والبسالة، وتاج فضل قد ارتفع علاه على هام النسب، ومنهاج سؤل قد ارتضع من لبان المجد والحسب، وكوكب علم قد ارتقى مداره على أوج العلو، ومطلب حلم قد انتقى ذروة الرفعة والسمو، وغصن شجرة أصلها ثابت وفرعها في السماء، وحصن نجاة ما طاف به طائف." (٢)

---

(١) حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر عبد الرزاق البيطار ص/٧٢

(٢) حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر عبد الرزاق البيطار ص/٢١٠

"الدارين سيد بني آدم. وعلى آله وصحبه. ومن تعلق بحبه. ما اكتحلت عيون الطروس بمراود الأقلام. وقلدت نحور الدروس بعقود ألفاظ العلماء الأعلام. وبعد فإن الفكر والخيال. دخلا بي إلى رياض ضاع زهرها فنم عليه النسيم ودار عليه الماء الزلال. أكلها دائم وظلها. كأنما قابلت مرآتها جنة النعيم فانطبع فيها مثالها وشكلها. فتلقتنا عوديات طيورها بالصدح. ومجامر كمائم ورودها بالنفح. وزهرها بثغر باسم ونهرها بقلب صافي. وأدواحها ببسط بساط البسط من ظلها الضافي. وقامت لنا الأشجار على سوقها. وسفرت لنا عرائس الورود على لثام غبوقها. وأدارت علينا سلاف طلها كؤوس الزهور. قبل أن ترشفه شمس البكور. وحيتنا راحة الراحة والسرور. بأصابع المنثور. وغنت لنا مطوقات شواديها على العيدان. وأعربت وهي عجماء بفنون تمايلت لها قدود الأفنان. حتى لو سمعها ركب العشاق. على النوى لنسي الحجاز والعراق. وتمنى الدخول لذلك البستان. ورقصت بين أيدينا جواري الماء. وظهرت مع وجود شمولنا وبدورنا نجوم النبات حتى ظنناها نجوم السماء. ولاح لنا عارض الغيث وشارب الآس فاذكر العيش السالف. وطاف النسيم بكعبة صفانا طواف القدوم فما كان ألطف ذلك الطائف. غير أننا كنا نسمع محاورة. ضمنها منافرة ومحاضرة. فسألنا الرياض عن جلية الأثر. فقالت سلوا النسيم فقد أصبح عند النسيم الخبر. فوجهنا وجه السؤال الوسيم. إلى قبلة النسيم. فتدلى وتدلل. وما ألطف النسيم إذا تعلل، ثم مر بنا مقبلا ومقبلا، وكلما مر حلا، وقال يا أهل الفراسة والسياسة، **والفتوة** والمروءة والحماسة، إنها منافسة بين الماء والهواء أوجبها حب انفراد كل منهما عن صاحبه بالرياسة، فهل تنعمون بحضورهما لديكم، ومثولهما بين يديكم، ليعرض كل ماله من حسن الأوصاف، وتحكموا بينهما بالعدل والإنصاف، فقلنا لا نكره ذلك ولا نأباه، فهلم بهما إلينا." (١)

"الشريف حسن أبو أحمد بن علي الحسيني البخاري القنوجي العالم العلامة

فرع من ذؤابة هاشم، ونبعة من وشيج تلك المكارم، من آل السيد جلال الدين البخاري، وهو من عصبة كلهم سادة مكرمون، لا يمس صحف مجدهم إلا المطهرون، من حدث البشرية، ودنس الهيولى الدنية، من كل من قضى للعلياء وطرها، وتلا آيات الكرامة وسورها، تعبق منهم أنفاس النبوة، وتجر لهم على وجه البسيطة أذيال **الفتوة**، ولم تمح محاسنهم من صحائف الليالي والأيام، ولا تثمر بمثلها أغصان اليراع والأقلام.

ولد رحمه الله سنة ألف ومائتين وعشر. ثم قرأ القرآن وتعلم الفنون الآلية وحصل الأدب وسافر إلى البلاد، ودار على المشايخ الأمجاد، من أجلهم أبناء الشيخ أحمد ولي الله المحدث الدهلوي، وهم الشيخ عبد العزيز والشيخ رفيع الدين والشيخ عبد القادر رحمهم الله تعالى، وكان له محبة أكيدة مع الشيخ إسماعيل الشهيد، والشيخ عبد الحي المرحوم، وكانت بيعته على يد السيد العارف أحمد البريلوي، سافر معه إلى خراسان، وجاهد في الله باللسان والجنان والبيان، والصارم والسنان، ثم عاد إلى موطنه قنوج، وألقى به عصا التسيار، واشتغل بالتآليف والتذكير، وهدى الناس إلى هدى الله الجبار، وكان آية بينة من آيات الله في التقوى والعبادة والعمل، وتأثير الوعظ وقلة الأمل، وإيثار القناعة في المأكل والمشرب والملبس، ذا سطوة عظيمة، وهيبة فخيمة، يخافه الأمراء والعلماء، لسانه أمضى من السيف البتار، وسوطه على المبتدعين والمشركين يثير قتار الدمار. لم

---

(١) حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر عبد الرزاق البيطار ص/٢١٩

يزل مواظبا على الطاعات والعبادات، قائما لله تعالى بالحجج البينات، عاملا بالدليل، تاركا للاقتدا بالغير، متباعدا عن التقليد متمسكا." (١)

"ولا سمعت بمثلك أذن حي ... وأجمل منك لم تلد النساء

خلقت مبرأ من كل عيب ... وشيمتك الفتوة والسخاء

وصورك المصور محض خير ... كأنك قد خلقت كما تشاء

وكم له من قصائد وأبيات، أكثرها في الحكم والتوسلات، قد أفردت بديوان كبير، وهو في قطره معروف وشهير، ثم إنه في منتصف شوال سنة أربع وسبعين ومائتين وألف قاده الشوق والغرام، لحج بيت الله الحرام، فرأى المصطفى صلى الله عليه وسلم في المنام، وشكا إليه الفاقة فتعهد له بتيسير المرام، فعند ذلك شد إزار السفر، وتوجه معتمدا على بارىء البشر، وسار معه جملة من الأفاضل، وذوي الفضائل والفواضل، كأخيه السيد حسن الفاضل الهمام، وابن عمه السيد عبد القادر أبي رباح كعبة السادة الكرام، والسيد عبد اللطيف الرفاعي والسيد أحمد أبي الأنوار، وغيرهم من القادة الأخيار، وبعد قضاء الحج ناداه مولاه، واختاره لجواره واصطفاه، وكانت وفاته بمكة المكرمة في يوم الأحد الحادي والعشرين من ذي الحجة الحرام سنة ألف ومائتين وأربع وسبعين، ودفن في المعلا ما بين آمنة الرضا وخديجة أم المؤمنين، بجوار العالم الدمشقي الشيخ عبد الرحمن الكزبري قدوة المحدثين، وكان مرضه ثلاثة أيام، عليه رحمة الملك السلام.

حسين أفندي بن أحمد الشهير والده بإمام حسن باشا الصدر الأعظم القاضي بدمشق

ولد بدار السلطنة السنية، وجد واجتهد في طلب العلوم الشرعية والأدبية، ونفح نشره، وعلا صيته وذكره، وكان متضلعا في العلوم العقلية، مستحضرا للعلوم النقلية، كثير العبادة متواضعا مهابا متعففا عن أموال الناس. قدم دمشق سنة إحدى وأربعين ومائتين وألف في أول شعبان بوظيفة القضاء فتعاطى الأحكام، على أحسن ما يرام، وامتزج مع العلماء امتزاج." (٢)

"حرف الدال

الشيخ داود بن أحمد بن إسماعيل المعري ثم الحلبي الحنفي أبو سليمان سيف الدين الأكمه

العالم الذي تهلل به محيا العالم بهجة وسرورا، وتجمل به جيد الدهر فكان له فرحة وحبورا، ذو النجدة والمروة، والمجد والفتوة، من سجعت بمحاسنه حمائم شمائله، ولمعت من سماء مكارمه بوارق فضائله، فبهر الأنام بأخلاقه الرضية، واشتمل بما لبسه من الكمال على كل منقبة جلية، وله من محاسن الكلام ما تشربه أفواه المسامع، ومن بديع النثر والنظام ما يزري ببدائه البدائع. ولد هذا الهمام والجهبذ الإمام بمعرة النعمان، سنة ثلاث وثلاثين ومائة وألف، من هجرة سيد ولد عدنان، ثم بعد أن قرأ القرآن وأتمه، وجوده على القراء الأئمة، دخل مدينة حلب وأكب بها على التحصيل والطلب، وأخذ عن جماعة أفاضل، قد اشتهروا بالمناقب والفضائل. منهم العلامة عبد الرحمن بن مصطفى البكفالوني، وأبو الثناء محمود بن شعبان

---

(١) حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر عبد الرزاق البيطار ص/٤٨٦

(٢) حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر عبد الرزاق البيطار ص/٥٤٤

البزستاني، والنور علي بن أحمد الدابقي، ومحمد الحلبي بن علي الأنطاكي المفتي، وأبو عبد الله محمد بن إبراهيم الطرابلوسي المفتي، والسيد حسن بن شعبان السرمينين وأبو عبد الله محمد بن محمد الأنطاكي، وأبو العدل قاسم بن محمد البكرجي، وغيرهم من العلاء الأعلام، والسادات العظام، وأجازوه بما تجوز لهم روايته، وتصح لهم درايته، ودخل دمشق الشام، وأخذ أيضا عن علمائها الأعلام، وأجازوه." (١)

"عبد الحميد بن شاكر بن إبراهيم الزهراوي الحمصي

ريحانة الجليس وحانة الأنيس، تفرع من دوحة الرسالة والنبوة، وترعرع في روضة البسالة **والفتوة**، فجمع بين كرم الأصل والأخلاق، وطلع بدره في سماء المعارف وراق، واقتطف من حدائق الآداب أزهارا، وارتشف من زلال الكمال وعلا قدرا وفخارا، وقرن بين النسب والسيادة، وتقلد بالحسب وتحلى بالعلم والزهادة. إن تكلم أفاد وأطرب، وإن كتب أجاد وعما في ضميره أعرب، مع رقة تفوق نسيم الصبا، ولطافة ما سمع بها نجيب إلا وإليها مال وصبا. صرف نقد شبابه في الطلب والتحصيل، وأكمل مواد معلوماته نهاية التكميل، مع ذكاء عجيب وإدراك غريب، وهمة عالية ومروءة سامية، وطبع أشهى من الراح وسجع الضم تثني الملاح. ثم سافر إلى الآستانة ليقضي بها شأنه، وعينت له الدولة العالية معاش الإكرام، وأخرجته من الآستانة إلى الشام، فاختلط بعلمائها وجلس مع فهمائها، وأظهر للبعض بعض ما لديه من بديع المعاني، وأضمر بعض أشياء لا يجوز كشف سترها إلا لمعاني. وكان من دأبه إظهار الانتقاد، وعدم الميل إلى التأويل وإن ما ورد به النص عليه الاعتماد.

وقد ألف رسالة سماها الفقه والتصوف، وهي مشتملة على ثلاث رسائل ينتقد بها على كتب الفقه والأصول والتصوف، وقد زاد في اعتراضه، وحكم على كثير مما قالوه بانتقاضه، وتجاهر بهذا الأمر بين الخاص والعام، ونشر هذه الرسالة بين الأنام. فلما علم الناس بها أنكروها، واحتقروا ما اشتملت عليه وحظروها، وقام لها العلماء على قدم وساق، واتفقوا على تكفير مؤلفها من غير شقاق. ثم ذهبوا أفواجا إلى الوالي من غير فتور، وأخبروه عن المترجم بما يكدر الخاطر ويسجر الصدور. وقالوا لقد تعدى طوره، وأشاع في الناس جوره، وأذاع الضلال ولم يخش من أمير." (٢)

"وبالجملة فهو مفرد علم، وأوحد علت له في العلوم القدم، وحيث لم تؤذن الأقدار، بالإقامة في هذه الدار، دعاه داعي اللقا إلى دار البقا، وقد أثبت ترجمته السيد محمد سند، وتلا صحيح مناقبه بأعلى سند، وفي آخر مدته قصده للقراءة عليه حضرة مولانا الشيخ خالد، فوجدت يتقلب على فرش المرض الزائد، ولم يمض عليه أيام حتى اختار الآخرة دار السلام، وذلك عام ألف ومائتين واثني عشر رضي الله تعالى عنه وأرضاه.

السيد عبد الرحمن أفندي بن السيد طالب الرفاعي نقيب البصرة

قد ترجمه السيد أبو الهدى أفندي فقال: الإمام الجواد، الطاهر الأجداد، الرفيع العماد، رب المحامد المشتهرة، ينتهي نسبه

---

(١) حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر عبد الرزاق البيطار ص/٦٠٨

(٢) حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر عبد الرزاق البيطار ص/٧٩١

من طريق السيد شعبان إلى القطب الفرد عظيم الإمداد سيدنا الشيخ عز الدين أحمد الصياد رضي الله عنه. نشأ كأسلافه الكرام البررة في مدينة البصرة وشب بها وولي أمر النقابة بعد أبيه، واشتهر أمره وحسن في البلاد ذكره، وكان على جانب عظيم من الشهامة والمروة وحسن الأخلاق **والفتوة**، وكان يضرب بجوده المثل. توفي رحمه الله في البصرة سنة إحدى وتسعين ومائتين وألف وأرخه شاعر العراق السيد عبد الغفار الأخرس بتاريخ بديع افتتحه بقوله رحمه الله:

قبر به سيد شريف ... تدفع في مثله الكروب

اختتمه بقوله:

يوم به قد قيل أرخ ... مضى إلى به النقيب

الشيخ عبد الرحمن بن حسن الريمي الذماري

ولد سنة ألف ومائتين وسبع. قال الإمام الشوكاني في البدر الطالع: له قراءة علي وهو من عباد الله الصالحين، ومن العلماء العاملين، المتعبدين." (١)

"المباح. ولا غرو فهو فرع الشجرة الطيبة المنابت، قد ثبت أصلها وزاحمت أغصانها الثوابت، تسامت بالنسبة إلى شرف النبوة أعاليها، واخضرت بماء **الفتوة** أدواح معانيها ومعاليها:

كل المفاخر والمناقب جمعت ... فيه على الإطلاق والتقييد

والمجد مقصور عليه أثيله ... والعز تحت ظلاله الممدود

تلقى برؤيته المنى أو ما ترى ... عنوانه بجبينه المسعود

لو تشعر الدنيا لقالت إن ذا ... مضمون أشعاري وبيت قصيدي

ومع ذلك فهو فارس ميدان اليراع والصفاح، وليث الرماح الخطية والأقلام الفلاح. فهو لعمري الموصوف حقا ببسط الكف ما أعرض يوما عن بذل المعروف ولا كف. فهيهات أن يصفه الواصف وإن أطال الكلام، أو أن يحكيه العارف وإن ملأ بطون الدفاتر وبرى ألسنة الأقلام. وأما ذكر نسبه الموصول بأشرف نبي وأجل رسول، فهو التقي العابد والغازي المجاهد، الأمير عبد القادر المغربي الجزائري بن السيد محيي الدين بن السيد المصطفى بن السيد محمد بن السيد المختار بن السيد عبد القادر بن السيد أحمد المختار بن السيد عبد القادر بن السيد أحمد المعروف بابن حذه مرضعته بن السيد محمد بن السيد عبد القوي بن السيد علي بن السيد أحمد بن السيد عبد القوي بن السيد خالد بن السيد يوسف بن السيد أحد بن السيد بشار بن السيد محمد بن السيد مسعود بن السيد طاووس بن السيد يعقوب بن السيد عبد القوي بن السيد أحمد بن السيد محمد بن السيد إدريس الأصغر بن السيد إدريس الأكبر بن السيد عبد الله بن السيد الحسن المثنى بن السيد الحسن السبط بن السيد علي بن أبي طالب." (٢)

---

(١) حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر عبد الرزاق البيطار ص/٨٣١

(٢) حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر عبد الرزاق البيطار ص/٨٨٤

"على المتاريس الواقعة بقرب الشاطئ، فلما رأى عبد الله باشا ذلك الهول العظيم، والخطب الجسيم، ندم على عدم الطاعة والتسليم، وعلم أن نجمه قد سقط، وعقد عزه قد انحل وانفرط، وأنه عما قريب يؤخذ أسيرا، ويقاد أمام عدوه ذليلا حقيرا، بعد أن كان واليا ومشيرا، ولكنه أظهر الصبر والجلد، وسار بالعسكر إلى خارج البلد، بقصد المدافعة والممانعة، وسد أبواب الهجمات المتتابعة، فخاض ساحة المعركة، وجرت بينهم وقعة مهلكة، قتل فيها من قواد المصريين، وأبطالها المشهورين، الشجاع المقدام، إسماعيل بك القائم مقام، وبموت هذا الأسد الغضنفر، ارتد جيش المصريين وتأخر، وضعفت عزيمته وتقهقر، فلما رأى إبراهيم باشا أن العسكر، قد أمسى في ارتباك منكر، خشي من الهزيمة والانكسار، بعد ذلك الفوز والاستظهار، فتقدم نحو جنوده بحرسه، وهو راكب على ظهر فرسه، وجعل يحرضهم على الثبات والجهاد، ويحثهم على الصبر والجلاد، ويقول هذا يوم الانتصار، هذا يوم الافتخار، هذا يوم بلوغ الأوطار، فكانوا تارة يتقدمون وتارة يتأخرون، فعند ذلك سل سيفه من غمده، وانعطف بالحملة أمام جنده، واقتحم مواكب الأعداء فشق الصفوف والكتائب، وأظهر بشدة شجاعته وبسالته العجائب، فتشجعت عزيمة العساكر، من هيبة هذا البطل الكاسر، وداخلتهم الحماسة **والفتوة**، وكروا على أعدائهم بكل نشاط وقوة، فسدوا عليهم الطرق والطرائق، وأثخنوهم بضرب السيوف والبنادق، وأزاحوهم إلى ما وراء الخنادق، ثم قويت عزيمة المحصورين، وانعطفوا بالحملة على المحاصرين، وحينئذ اختلط الرجال بالرجال، والأبطال بالأبطال، والتحم القتال، واتسع المجال، وعظمت الأهوال، وجرى الدم وسال، وتمكنت الصوارم، في الرقاب والجماجم، والحراب والخناجر، في الصدور." (١)

"من الصباح، ولا الريا من الرياح، ولا النوى من النواح، ولا الفلا من الفلاح، ولا السما من السماح، ولا القرا من القراح، ولا الربا من الرباح، ولا العقار من العقار، ولا بوح من نوح، ولا الخد من الحد، ولا الجد من الجد، ولا الوجد من الوخد، ولا الشمع من السمع، ولا قابوس من فانوس، ولا الشاعر من المشاعر، ولا القاضي من القاصي، ولا الضد من الصد، ولا الحامد من الجامد، ولا الصائغ من الصانع، ولا الناظر من الباصر، ولا الصابر من الصائر، ولا الجابر من الحاير، ولا المعنى من المغنى، ولا القاصي من القاصر، ولا الزاهي من الزاهر، ولا الوافي من الوافر، ولا الهاجي من الهاجر، ولا الهامي من الهامر، ولا الآمي من الآمر، ولا الراسي من الراسخ، ولا الناسي من الناسخ، ولا الساري من السارق، ولا العالي من العالم، ولا الشاكي من الشاكر، ولا الصابي من الصابر، ولا السالي من السالك.

فكيف أترجم ويذكر حالي المبهم المعجم، وأنعت بمقال وكلام، وتجري بخصوصي مياه الأقلام، ويقال عني مادح نفسه يقريك السلام، وانخرط في سلك من ذكرته، وسمط من وضعته ونشرته، وأصف نفسي لشيء يمحضه التكذيب، وأنشئ مقالا يصير هدفا للتعريض والتأنيب، ولا يخفى أن الجهل شلل في يد الرياسة، آفة في رجل الرجولية، صمم في سمع الأريحية، قذى في عين المروءة، بخر في فم **الفتوة**، فلج في سن السيادة، لكنه في لسان الشهامة، بهق في وجه السعادة، صداع في رأس الكياسة، علة في جسم المعالي، مرض في قلب المجد والفضل، قوة في قلب السيادة، متانة في يد **الفتوة**، ابتسام في فم الشهامة، جلاء

---

(١) حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر عبد الرزاق البيطار ص/٩٦٠

في عين المعالي، وضاءة في وجه الكياسة والرياسة، فصاحة في لسان السعادة، صحة في جسم الدولة، ونعمة مغبوطة ومنحة بها المفاخر مربوطة، فيا ليتني ارعويت، وما تصديت وادعيت، ولكني وإن كنت." (١)

"الألحاظ، فأشعاره قد طارت في الآفاق، وانعقد على كمال جمالها الاتفاق، لا يبلي جدتها الجديدان، ولا تزداد إلا حسنا على تردد الأزمان، قد كادت الأيام تنشدها طربا، والأنام توردها حلية وأدبا، ونثره يقطر ظرفا ويمزج بالراح رقة ولطفا، لسان الراغب في مدحه عن مراده قاصر، وقلم الكاتب عن استيفاء حليته في ميدان جولانه حائر، فلا ريب أنه عين الزمان ويمينه، لو حلف الدهر ليأتين بمثله حنثت يمينه، فهو بحر كله جود، وحبر كل فضل في ذاته موجود، مع تواضع يفرغ على مجالسه جلباب السرور، ولطف يجلب لمؤانسه كل حبور، ومنطق تحاشى عن النطق بما يعاب، ووجه بشوش يوهم المسيء له أنه بفعله أصاب، غير أن يده قد صالت على ماله، فلا ترد يد مستمنح خالبة من نواله، كثير المروءة والفتوة، يميل في أموره إلى الحزم والقوة. حسن المجالسة عذب الاستشهاد، لا يأتي جليسه بمعنى من العلوم إلا واستشهد له بأبيات من حفظه أو نظمه حسب المراد.

وقد أخبرني حفظه الله حينما سألته عن مقدار ما يحفظه من الأبيات الشعرية، فقال: ما ينوف على عشرين ألف بيت من نظمه ونظم غيره زيادة على المحفوظات النثرية، يهوى الإطلاق والطرب ومذاكرة العلوم، ويأبى الترفع والتحجب والتمسك بأحوال ذوي الرسوم، ويقول بأن رفعة القدر والشأن، ليس بالعجب والكبر وسلاطة اللسان، وكيف لا يكون كذلك وهو فرع شجرة أصلها ثابت وفرعها في السماء، قد اتصلت بسيد الرسل وسند الأنبياء.

وأما والده فهو علم الفضل والإنصاف، وشرف النعوت والأوصاف، افتخر به الآباء والبنون، وتجملت بفضائله الشهور والسنون، شهرته من الأنام شهرة القمر ليلة بدره، ومحله من الكمال حيث يستمد كل ذي قدر من قدره، وهذا المترجم نتيجة ذلك الأصل، فلذا تفرد في زمانه في الكمال والفضل، تحقق بأنواع العلوم الحديثة والقديمة، وتعشق في الطريق الواضح فكان لا يسلك غير الطريقة القويمة، وناهيك بهذا الشرف العظيم والفضل الجسيم.." (٢)

"رسالة في مناقب أهل البيت، ومنها الأربيعينية في أربعين حديثا رواها
عن شيخه نجم الدين محمد بن أحمد الموفق الأذكاني بسنده إلى أنس بن مالك رضي الله
عنه، ومنها رسالة في آيات الأحكام من القرآن الكريم، ومنها رسالة سير الطالبين، وهو
كتاب جمع فيه بعض أصحابه ما كتب في مواضع شتى من الفوائد الأنيقة، ومنها رسالة
أخلاقية ومنها كشف الحقائق رسالة له جمعها محمد بن محمد الخوصي، ومنها الرسالة
الفتوتية قال: وذلك مما أوصيت به الأخ في الله المحسن الموفق السعيد أخي الشيخ حاجي
بن المرحوم طوطي عليشاهي الختلاني، أصلح الله شأنه في الدارين وألبسه لباس الفتوة
الذي هو جزء الخرقة المباركة كما لبست من شيخي نجم الدين أبي الميامن محمد بن أحمد

(١) حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر عبد الرزاق البيطار ص/١٣٩٦

(٢) حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر عبد الرزاق البيطار ص/١٤٢٤

الأذكاني، انتهى، ومنها جهل أسرار وفيه ثمان وثمانون منظومة، ومنها الاختيارات جمع فيها الأبيات الرائقة في الحقائق والمعارف، ومنها السبعين، رسالة جمع فيها سبعين حديثا في فضائل أهل البيت وأكثر أحاديثها مأخوذة من الفردوس وأحاديثها غير مقبولة عند المحدثين، وعلى تلك الرسالة تخريج للشيخ فتح محمد بن محمد عيسى البرهانبوري، ومنها معاش السالكين أوله: الحمد لله على نعمائه، الخ، ومنها معرفة النفس رسالة له أولها: شكر وثناي آن خداي را، الخ، ومنها إنسان نامه، في القيافة، أولها: حمد وسباس وثناي بي قياس، ومنها الواردات، بالفارسية، أولها: رب اشرح لي صدري ويسر لي أمري، الخ، ومنها الرسالة الذكرية الصغرى بالعربية في فضل الذكر وخواصه وحقائقه، ومنها الرسالة الغيبية أولها: سلام الله تعالى على فلان ورحمة الله وبركاته، ومنها شرح أسماء الله الحسنى بالعربية، أولها: اللهم افتح باب الدخول في شواكل الأسماء، الخ، ومنها الرسالة الخواطرية بالعربية، أولها: والله يقول الحق وهو يهدي السبيل، الخ، ومنها الخطبة الأميرية، بالعربية، ومنها المناجاة الأميرية، بالفارسية.

وكانت وفاته بتيراه من أرض ياغستان حين خرج من كشمير ووصل إليها، فنقلوا جسده إلى ختلان من أعمال بدخشان ودفنوه بها، وكان ذلك في سنة ست وثمانين وسبعمائة، كما في مهر جهانتاب.

الشيخ علي بن أحمد الغوري

الشيخ الصالح علي بن أحمد الغوري أحد الرجال المعروفين بالفضل والصلاح، أخذ الطريقة عن الشيخ ركن الدين أبي الفتح الملتاني، وكان يسكن بمدينة كره، له كنز العباد في شرح الأوراد كتاب بسيط في شرح أوراد الشيخ شهاب الدين عمر بن محمد السهروردي، وتلك النسخة موجودة في مكتبة المرحوم خدا بخش خان بمدينة عظيم آباد، كما في محبوب الألباب.

الشيخ علي بن محمد الجيوري

السيد الشريف العلامة علي بن محمد بن علي بن أحمد بن أبي بكر بن أحمد ابن محمد بن الحسين الشيخ علاء الدين الحسيني الجيوري كان من الأولياء السالكين المرتاضين.

ولد ونشأ بأرض الهند، وقرأ العلم على الشيخ حميد الدين مخلص بن عبد الله الدهلوي ولازمه مدة من الزمان، وكان حميد الدين يحبه حبا مفرطا ويحترمه ويشتغل بتعليمه وتربيته أكثر مما كان يشتغل بغيه، كما في مناقب السادات للدولت آبادي، ثم إنه سافر إلى العراق وأدرك المشايخ الكبار وأخذ الطريقة عن الشيخ شهاب الدين عمر بن محمد السهروردي بلا واسطة وغيره، كما في جامع العلوم وقيل: إنه أخذ عن الشيخ قوام الدين محمود بن محمد

الدهلوي عن والده شيخ الاسلام قطب الدين محمد الكروي، كما في تذكرة السادات وقيل:
إنه أخذ عن الشيخ قطب الدين محمد المذكور بلا واسطة ولده، كما في منبع الأنساب
والصواب أنه أخذ عن الشيخ قوام الدين محمود بن محمد الدهلوي، وأخذ عنه الشيخ
شمس الدين خواجكي العريضي الملتاني ثم الكروي، والشيخ محمد بن نظام الدين
البهرائجي، والشيخ عين الدين البيجابوري، والشيخ ركن الدين محمد الجنيدي، وخلق كثير
من العلماء والمشايخ، وأما جيور فإنه بكسر الجيم وسكون التحتية وفتح الواو قرية مشهورة
من أعمال بلند شهر وقد أخطأ فيه كثير من الناس." (١)

"شاه على حقيقة الحال وتعب
إلى الغاية وجلس للقضاء وأمضى في الملكين حكم القصاص، ولم يمنعه كونهما من عظماء ملوكه
الخاصة به من أن يعمل الشريعة.

من مكارمه أنه استقل بالملك خمسا وخمسين سنة وجاهد في الله حق الجهاد ووسع حدود ملكه إلى
مالوه وإلى بلاد السند كما علمت، ولكنه في تلك المدة الطويلة لم يطمح إلى بلاد المسلمين ولم
يستشرف لها قط، وإذا استولى القوي منهم على الضعيف كما قام بنصرة الضعيف، كما وقع له في
سنة ست وستين وثمانمائة إذ وصل إليه حاجب نظام شاه البهمني صاحب دكن يخبره أن محمود شاه
الخلجي صاحب مالوه خرج إليه بعساكره، فعطف السلطان عنانه من الصيد وتوجه إلى سلطان بور
بمن حضر معه، وأمر الوزير أن يلحقه بالعسكر، ولما نزل بسلطان بور قدم حاجب آخر يخبر
بالحرب وأنه حاصر دار ملكه بيدر، فنهض السلطان من سلطان بور، ولما كان منزله تهالنير قدم
حاجب آخر يخبر برجوع الخلجي، وذلك لأنه سمع بوصول محمود شاه الكجراتي فترك بيدر ورجع
إلى مندو، وكذلك في سنة سبع وستين وثمانمائة وصل حاجب نظام شاه يخبر أن الخلجي خرج
بتسعين ألف فارس إلى حدود نظام شاه، فنهض السلطان مع الحاجب وبلغ الخلجي ذلك بفتح آباد من
أعمال تلنكانه فرجع إلى دار ملكه، فكتب السلطان إلى محمود شاه الخلجي ما معناه: ليس من المروءة
قصد طفل لم يبلغ الحلم وقد التزمت حفظ ملكه إلى أن يبلغ مبلغ الرجال، فإن دخلت في حده خرجت
إلى حدك وفيما يليك من جهات الكفر ما يغني عنه ويرفع درجتك بالجهاد.

وإذا انتهيت إلى السلا مة في مداك فلا تجاوز

وكذلك لما بلغ محمود شاد سنة سبع وسبعين وثمانمائة خروج النوتك القواسه على سلطان السند بلغ
عددهم أربعين ألفا، وهي طائفة بحرية تسكن الجزر بنواحي السند، لا تجتمع على طاعة أحد، إنما
هي من لصوص البحر، فنهض من مصطفى آباد إرقالا يسير كل يوم ستين فرسخا، فلما قرب من

---

(١) نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر = الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام عبد الحي الحسني ١٧٩/٢

السند تفرقوا، فتوقف السلطان بمنزله إلى أن وصل رسول ملك السند برسالة تتضمن شكره، فرجع إلى دار ملكه، وكذلك لما بلغه أن جماعة من الأمراء تغلبت في خانديس واختل بها نظام الملك نهض إلى برهانبور بعساكره، وولي عليها عالم خان بن أحسن خان الفاروقي أحد وارثي المملكة، ولقبه أعظم همايون عادل خان، وكان ابن بنته، وذلك في سنة أربع عشرة وتسعمائة.

ومن ذلك أنه لما توفي محمود شاه الخلجي سنة ثلاث وتسعين وثمانمائة وبلغ وفاته ترحم عليه وعمل له زيارة فعرض عليه بعض أرباب الرأي الخروج إلى مندو، فأجابه: ليس من **الفتوة** اجتماع مصيبتين في وقت واحد على أهل بيته: فقد ذاته، وخلل جهاته.

ومن ذلك أنه لما سمع سنة ست وتسعمائة أن ناصر الدين شاه الخلجي سم أباه غياث الدين الخلجي خرج إلى مندو وقصد تأديبه لا ملكه، وبينما كان ينهض تواترت الرسل من ناصر الدين ببراءة ذمته فتركه، وفي كلها مفخرة عظيمة له.

ومن مكارمه قيامه بتعمير البلاد، وتأسيس المساج والمدارس والخوانق، وتكثير الزراعة، وغرس الأشجار المثمرة، وبناء الحدائق والبساتين وتحريض الناس على ذلك، وإعانتهم بحفر الآبار وإجراء العيون، ولذلك أقبل عليه الناس إقبالا كليا، ووفد عليه البناؤن والمعمارون وأهل الحرف والصنائع من بلاد العجم، فقاموا بحرفهم وصنائعهم، فصارت كجرات رياضا مخضرة بكثرة الحياض والآبار والحدائق والزروع والفواكه الطيبة، وصارت بلاد كجرات متجرة تجلب منها الثياب الرفيعة إلى بلاد أخرى، وذلك كله لميل سلطانها محمود شاه إلى ما يصلح به الملك والدولة ويترفه به رعاياه.

ومن مكارمه قيامه بتربية العلماء والصالحين لما كان مجبولا على حب العلم وأهله، فاجتمع في حضرته خلق كثير من أفاضل العرب والعجم، حتى صارت بلاد كجرات عامرة آهلة من العلماء، ووفد عليه المحدثون من بلاد العرب، وأقبل الناس على الحديث الشريف، فتشابهت باليمن الميمون، وفاقت على سائر بلاد الهند في ذلك.

وقد وفد عليه العلامة جلال الدين محمد بن محمد." (١)

"في هذا الإقليم، وأفاضه على سكانه في أحسن تقويم، ثم تصدى له

ولده الشيخ نور الحق المتوفي سنة ثلاث وسبعين وألف، وكذلك بعض تلامذته على القلة ومن سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها كما اتفق عليه أهل الملة، وتحديث هؤلاء أهل الصلاح وإن كان على طريق الفقهاء المقلدة القراح دون المحدثين المبرزين المتبعين الأقحاح ولكن مع ذلك لا يخلو عن كثير فائدة في الدين وعظيم عائدة بالمسلمين - جزاهم الله تعالى عن المسلمين خير الجزاء وأفاض عليهم رحمته السحاء - انتهى.

---

(١) نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر = الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام عبد الحي الحسني ٤٢٧/٤

وبالجملة فإنه درس وأفتى وصنف، وشرح الكتب ونقل معانيها من العربية إلى الفارسية، وكشف عن إشاراتها الباهرة ولطائفها الزاهرة بالعبارة الجلية المشرق عليها نور الإذن الرباني، واللائح عليها أثر القبول الرحماني.

وتصانيفه من الصغار والكبار كثيرة، منها تأليف القلب الأليف بكتابة فهرست التواليف أوله الحمد لله منزل الكتب السماوية، ألخ عدد فيه كتبه زهاء ثلاثين مجلدا، منها لمعات التنقيح في شرح مشكاة المصابيح، وهو أجل وأعظم وأطول وأكبر تصنيفاته، قال في تأليف القلب الأليف في حق ذلك الكتاب: وقد جاء بتوفيق الله وتأييده كتابا حافلا شاملا مفيدا نافعا في شرح الأحاديث النبوية، على مصدرها الصلاة والتحية، مشتملة على تحقيقات مفيدة وتدقيقات بديعة، وفوائد شريفة ونكات لطيفة، ومنها أسماء الرجال والرواة المذكورين في المشكاة، ومنها أشعة اللمعات في شرح المشكاة شرح فارسي في أربع مجلدات، قال في تأليف الأليف، إنه تلو لأخته لمعات التنقيح في شرح المشكاة وأرجح منها في التنقيح والتهذيب والضبط والربط وأكبر منها في الحجم والضخامة، ومنها جامع البركات في منتخب شرح المشكاة، وهو يشتمل على فوائد كثيرة وعوائد غزيرة، ومنها مدارج النبوة ومراتب الفتوة في سير النبي صلى الله عليه وسلم وأخباره بالفارسية في مجلدين، ومنها مطلع الأنوار البهية في الحلية الجلية النبوية، ومنها ذكر إجازات الحديث في القديم والحديث، ومنها أسماء الأساتذة – رحمة الله عليهم أجمعين – ومنها فصول الخطب لنيل أعالي الرتب، ومنها تنبيه العارف بما وقع العوارف في باب إخلاص الصوفية – قدس الله أسرارهم الصفية – من الحكم على ما صدر من أخبارهم عن أحوالهم تحدثا بنعمة الله أنها من باب الشكر وغلبة الحال، ومنها طريق الإفادة في شرح سفر السعادة للفيروز آبادي، وسماه الطريق القويم شرح الصراط المستقيم، ومنها جذب القلوب إلى ديار المحبوب، وهو تاريخ المدينة المنورة بالفارسية، ومنها أحوال الأئمة الاثني عشر وهو ملخص من فصل الخطاب، ومنها زبدة الآثار منتخب بهجة الأسرار في مناقب الشيخ الإمام عبد القادر الجيلاني، ومنها شرح فتوح الغيب للشيخ عبد القادر الجيلاني واسمه مفتاح الفتوح لفتح أبواب النصوص، ومنها الأنوار الجلية في أحوال المشايخ الشاذلية، ذكر فيه ثمانية رجال من عظمائهم وعلمائهم، ومنها زاد المتقين في سلوك طريق اليقين في سيرة الشيخ علي بن حسام الدين المتقي المكي وصاحبه الشيخ عبد الوهاب بن ولي الله المندوي البرهانبوري ومشايخ أخر من أهل العرب والعجم، ومنها أخبار الأخيار في أحوال الأبرار من أهل هذه الديار، قال في تأليف الأليف: إنه أول مصنفاته، ومنها ذكر الملوك في أخبار سلاطين الهند، واسمه متضمن لتاريخ التصنيف، ومنها تحقيق الإشارة إلى تعميم البشارة في إثبات البشارة بالجنة لغير الأصحاب المشتهرين بالعشرة المبشرة وعدم اختصاصهم وبيان سبب اشتهارهم بذلك، ومنها جمع الأحاديث الأربعين في أبواب علوم الدين، ومنها

ترجمة الأحاديث الأربعين في نصيحة الملوك والسلاطين، ومنها المطلب الأعلى في شرح أسماء الله الحسنى وصفاته العلى، ومنها ترغيب أهل السعادات على تكثير الصلاة على سيد الكائنات صلى الله عليه وسلم، ومنها الأجوبة الإثنا عشر في توجيه الصلاة على سيد البشر، رسالة حوت توجيهات التشبيه الواقع في الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، ومنها تحقيق ما ثبت بالسنة من الأعمال في أيام السنة، ومنها الرسالة النورية السلطانية في بيان قواعد السلطنة وأحكامها وأركانها وأسبابها وآلاتها، صنفها للسلطان نور الدين جهانكير بن أكبر شاه، ومنها آداب الصالحين وهو ملخص من إحياء العلوم للغزالي في آداب الأكل الشرب والمنام والمعاشرة وغيرها، ومنها مرج البحرين في الجمع بين الطريقين وهي رسالة." (١)

"هم خور ومه بر آسمان دم ز رخ نكو زنند بل كله كج وهمان زلف رسن فكن كجا است

سوسن وسرو را بباغ هست أكر قد وزبان همجو بسي ومس جسي با روش وسخن كجا است

ز آب كهر به بروريد مادران بتان مكر ورنه بآب ونان دهر اين همه لطف فن كجا است

آب بطبع تركند جامه وجسمها وليك آب كزو نكشت تر جامه جزآن بدن كجا است

إلى غير ذلك من الأبيات الكثيرة، وخرج من لندن لعشر خلون من صفر سنة سبع عشرة ومائتين وذهب إلى باريس ثم رجع إلى الهند وسكن بكلكته.

ومن مصنفاته منتخب رياض الشعراء للداغستاني صنفه بأمر الحكيم محمد حسين بن محمد هادي العقيلي صاحب مخزن الأدوية ومنها خلاصة الأفكار صنفه سنة ست ومائتين وألف، ومنها المسير الطالبي صنفه سنة تسع عشرة ومائتين وألف بكلكته.

وكانت وفاته في سنة عشرين ومائتين وألف، كما في محبوب الألباب.

أبو ظفر بهادر شاه الدهلوي

الملك الفاضل أبو ظفر بن أكبر شاه بن شاه عالم التيموري الدهلوي، أبو ظفر سراج الدين بهادر شاه كان من الرجال المعروفين في العائلة الملكية، ولد ونشأ بدار الملك دهلي، وجلس على سرير الملك بعد أبيه، وتمتع براتب أجراه الإنكليز، ثم زيد فيه خمس وعشرون ألفا، وكان شاعرا صوفيا، أخذ الطريقة عن الشيخ فخر الدين الدهلوي، ولما ثارت العساكر الإنكليزية على الحكومة سنة ثلاث وسبعين ومائتين وألف بايعوه وولوه عليهم، وسفكوا الدماء، ونهبوا الأموال، ثم غلبت الدولة الإنكليزية على الجنود الهندية، وقبضوا على بهادر شاه، وأرسلوه إلى مدينة رنجون في بورما فمات بها، وله أربعة دواوين الشعر بأردو، توفي سنة ثمان وسبعين ومائتين وألف، كما في جنة المشرق.

وكان يتصف ببعض صفات **الفتوة** والغيرة، وكان جديرا بأن ينهض بالعائلة الحاكمة لو ساعده

---

(١) نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر = الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام عبد الحي الحسني ٥/٥٥٥

الزمان وتوفرت له الأسباب، ولكن الحكومة المغولية كانت قد بلغت منتهى الضعف، وسرى الوهن في أبناء البلاد، فكان شأنه في ذلك شأن آخر الملوك في الحكومات المنقرضة.

وقد عاملته الحكومة الانكليزية بقسوة نادرة ووحشية بالغة، فقتلت أبناءه بين يديه، وهو يتحمل كل ذلك في صبر وجلد، وعجز واضطرار.

ويمتاز شعره بالرقة والتأثير نتيجة أحواله الشخصية، وتجاربه المريرة يتجلى فيه الحزن والتعبير عن المشاعر الرقيقة، مع التجلد وسمو الهمة وقوة العزيمة.

الحكيم أبو علي الأمروهوي

الشيخ الفاضل أبو علي بن غلام علي الشيعي الأمروهوي الحكيم، ولد بدهلي سنة اثنتين ومائتين وألف وقرأ الفقه والحديث والعربية على السيد محمد عبادت الأمروهوي، وقرأ الكتب الطبية على رضي الدين الأمروهوي الحكيم، ودرس خمسا وعشرين سنة ببلدة بانده ومن مصنفاته هادي المخالفين في الرد على تحفة المسلمين وحجية الايمان وكشف الرين في إثبات العزاء على الحسين وتعليقات على الطب الأكبر والفوائد الحسينية في المفردات، مات لتسع بقين من صفر سنة اثنتين وسبعين ومائتين وألف، كما في تكملة نجوم السماء.

السيد أبو القاسم الطوكي

السيد الشريف أبو القاسم بن أحمد علي بن عبد السبحان الحسني الحسيني النصير آبادي ثم الطوكي أحد الرجال المشهورين بالفضل والصلاح، ولد ونشأ في مهد العلم والمعرفة وقرأ العلم على أساتذة عصره، وأقبل إلى الشعر إقبالا كليا واعترته شعبة من الجنون، واستولت عليه نشوة الشباب، فمضت عليه شهور وأعوام على تلك الحال، وكان وزير الدولة أمير ناحية طوك يأمره بالمعروف وينهاه عن المنكر، ولكنه لا يصغي إليه، فلما توفي وزير الدولة تاب عن ذلك وأناب إلى الله سبحانه بقلبه وقالبه، وعمر أوقاته بالطاعات، واشتغل بمطالعة الكتاب والسنة، ولم يزل." (١)

"الحكيم بقاء الله الأكبر آبادي

الشيخ الفاضل بقاء الله بن إسحاق بن إسماعيل الدهلوي الأكبر آبادي الطبيب المشهور بالحذاقة، كان من نسل بقاء خان الحكيم المشهور، مات يوم الإثنين من شهر شوال سنة خمس عشرة ومائتين وألف بمدينة أكبر آباد فدفن عند أخيه ذكاء الله في مقبرة الشيخ علاء الدين، كما في مهر جهانتاب.

الحكيم بقاء الله السنديلوي

الشيخ الفاضل بقاء الله بن مقبول أولياء بن غلام أشرف الحسيني السنديلوي الطبيب المشهور، كان اسمه قادر بخش، ولد ونشأ ببلدة سنديله وقرأ العلم على الشيخ حيدر علي بن حمد الله السنديلوي

---

(١) نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر = الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام عبد الحي الحسني ٨٩٤/٧

وعلى غيره من العلماء، ثم أخذ الصناعة الطبية عن الحكيم ببر علي الموهاني، وكان مرزوق القبول.

مات لسبع عشرة خلون من شوال سنة أربع وستين ومائتين وألف، كما في تذكرة العلماء للناروي.

السيد بنده حسين اللكهنوي

الشيخ الفاضل بنده حسين بن محمد بن دلدار علي الشيعي النقوي النصير آبادي أحد العلماء المجتهدين في الشيعة، ولد ونشأ بمدينة لكهنؤ وقرأ العلم على والده وعلى أخيه مرتضى بن محمد، ولازمهما مدة من الزمان، وحصل له الإجازة من والده، فلما توفي ولده تولى الاجتهاد حسب وصيته.

ومن مصنفاته: الرسالة الخليلية وتحفة السالكين ومقطوع اليد والصراط السوي ونهج السداد والمواعظ الحسينية.

مات سنة أربع وتسعين ومائتين وألف بمدينة لكهنؤ، فدفن في حسينية جده كما في تكملة نجوم السماء.

مولوي بهادر حسين المئوي

الشيخ الصالح بهادر حسين المئوي الأعظكدهي أحد العلماء المتورعين، ولد ونشأ بمئو، قرية عظيمة من أعمال أعظمكده وسافر للعلم إلى بنارس وقرأ بها على أساتذة عصره، وبرع وفاق أقرانه في كثير من العلوم، ثم رجع إلى بلدته، وكان قوي الحفظ، سريع الإدراك، صالحا، متين الديانة، يسترزق بالحياكة.

مات سنة سبعين ومائتين وألف، كما في تاريخ مكرم.

بهادر شاه التيموري

لما مات أكبر شاه التيموري أمير المؤمنين ١٢٥٤ هـ جلس على سريره ولده أبو ظفر بهادر شاه وتمتع براتب أبيه، ثم أضيف إليه خمسة وعشرون ألفا.

وكان شاعرا صوفيا من مريدي الشيخ فخر الدين الدهلوي، ولما ثارت العساكر الإنكليزية على الإنكليز سنة ثلاث وسبعين ومائتين وألف ذهبت إلى دهلي، وبايعت أبا ظفر بهادر شاه، وسفكت الدماء، ونهبت الأموال، ثم غلب الإنكليز على الجنود الوطنية، ألقي القبض على أبي ظفر، فأرسل به إلى رنجون عاصمة بورما فمات بها سنة ثمان وسبعين ومائتين وألف.

وكان يتصف ببعض صفات الفتوة والغيرة، وكان جديرا بأن ينهض بالعائلة الحاكمة، وساعده الزمان وتوفرت له الأسباب، ولكن الحكومة المغولية كانت قد بلغت منتهى الضعف وسرى الوهن في أبناء البلاد، فكان شأنه في ذلك شأن آخر الملوك في الحكومات المنقرضة.

وقد عاملته الحكومة الإنكليزية بقسوة نادرة ووحشية بالغة فقتلت أبناءه بين يديه وهو يتحمل كل ذلك

في صبر وجلد، وعجز واضطرار.

ويمتاز شعره بالرقة والتأثير نتيجة أحواله الشخصية، وتجاربه المريرة، يتجلى فيه الحزن والتعبير عن المشاعر الرقيقة مع التجلد وسمو الهمة وقوة العزيمة، وكان يتقلب في الشعر بظفر.

حرف الباء الفارسية

الشيخ بناه عطاء السلوني

الشيخ العالم الصالح بناه عطاء بن كريم عطاء بن محمد بناه بن محمد أشرف ابن بير محمد العمري." (١)

"صاحب الفتوحات وأجازه بحق إجازته في المنام

عن الشيخ محب الله الإله آبادي والشيخ محي الدين محمد بن علي ابن عربي صاحب الفتوحات وجعله صاحب سره، فتولى الشياخة بعده.

وكان شيخا جليلا وقورا، عظيم المنزلة عند الأمراء، يدرس الفصوص والفتوحات، له مصنفات عديدة، منها: لطائف أكبري على منوال لطائف أشرفي، جمع فيه ملفوظات شيخه.

مات سنة إحدى وأربعين ومائتين وألف ببلدة لكهنؤ، كما في الانتصاح.

السيد حسن بن أحمد علي البريلوي

الشاب الصالح المجاهد حسن بن أحمد علي بن عبد السبحان بن عثمان الشريف الحسني النصير آبادي البريلوي المشهور بحسن مثنى والملقب بسيد موسى كان من رجال العلم والفتوة، ولد ونشأ بعفة وصلاح، وأخذ عن خال والده السيد الشريف أحمد بن عرفان الشهيد البريلوي، ولازمه وسافر معه إلى بلاد ثغور الهند، فجاهد في سبيل الله معه وجرح في معركة مايار قريب مردان وحمل جريحا، وهو صابر محتسب يحمد الله على هذه السعادة.

مات على إثر ذلك وهو يومئذ شاب لم يبلغ العشرين، وكان ذلك في شهر رجب سنة ست وأربعين ومائتين وألف.

السيد حسن بن دلدار علي النصير آبادي

الشيخ الفاضل حسن بن دلدار علي بن محمد معين الحسني النقوي الشيعي النصير آبادي ثم اللكهنوي أحد العلماء المذكرين، ولد ببلدة لكهنؤ لتسع بقين من ذي القعدة سنة خمس ومائتين وألف، واشتغل بالعلم على والده زمانا، ثم قرأ على صنوه الكبير محمد بن دلدار علي، وبرع في كثير من العلوم والفنون، وكان حليما متواضعا محسنا إلى الناس.

له تعليقات على تحرير الأقليدس ورسالة في تحقيق التعليق بمشيئة الله سبحانه ورسالة في أحكام الموتى، ورسالة في القراءة، ورسالة في تذكرة الشيوخ والشبان في المواعظ، وكتاب مبسوط في

---

(١) نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر = الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام عبد الحي الحسني ٩٣٧/٧

أصول الدين بالهندي.

مات لإحدى عشرة خلون من شوال سنة ستين ومائتين وألف ببلدة لكهنؤ، وله أربع وخمسون سنة، كما في تذكرة العلماء، وفي نجوم السماء: أنه مات سنة سبعين ومائتين وألف وله أربع وستون سنة.

مرزا حسن بخش العظيم آبادي

الشيخ الفاضل حسن بخش الشيعي العظيم آبادي أحد كبار العلماء، قرأ العلم على السيد حسين بن دلدار علي النصير آبادي، وتفقه عليه، ثم سافر إلى الحرمين الشريفين، فحج وزار ورحل إلى كربلاء ولازم الشيخ كاظم الرشتي واختار طريقته غير المرضية عند عامة الشيعة، ورجع إلى الهند سنة اثنتين وخمسين مائتين وألف، فدخل لكهنؤ، وأقام بها مدة طويلة، وأشاع طريقة شيخه الرشتي، وصنف الرسائل في تاييد مذهبه نحو كشف الظلام وترجمة حياة النفس وقصر مواعظه على مذهب الرشتي، فأنكر أستاذه حسين بن دلدار علي وبذل جهده في إصلاحه، وصنف الإفادات الحسينية في الرد على الرشتي، وقال في مفتح كتابه: ومن غريب ما اتفق أن بعض أفاضل الطلبة ممن قرأ علي دهرا طويلا ووثقت به وواسيته لأنه سلك مسلكا رضيا وما هو أحسن سبيلا، سافر إلى حج بيت الله الحرام ثم إلى مشاهد أئمة العراق – عليهم ألف تحية وسلام – فوصل إلى خدمة العلماء الحائر المنيف ونظر إلى معركة عظمى بين الوضيع والشريف وأدرك بها الفاضل الرشتي فألفاه بزعمه عالي الكعب في العلوم، فأحسن الظن به وبقي في صحبته واستفاد من خدمته ما أفساد عليه من عقيدته، ثم رجع إلينا وقد رشح في قلبه الباطل، فأخذ في تأليف بعض الرسائل، منها: رسالة في وجوب صلاة الجمعة تكلم فيها على طريقة المتفقهين، ومنها رسالة: تكلم فيها في أصول الدين قد أكثر الطعن فيها على المتكلمين سماها بكشف الظلام وإن هو إلا إمحاق حق وإظلام ظلام وكشف ما كتموه من الأوهام، ثم استجازني فطويت عنه كشحا وأعرضت وجهي عنه صفحا وعرض لي التأسف وأخذني التلهف على ما أحدث في الإسلام والتبس." (١)

"وجده، وكان شاعرا مجيد الشعر، له ديوان الشعر الفارسي والهندي.

توفي لليلتين خلتا من ربيع الأول سنة ثلاث وتسعين ومائتين وألف، كما في مشجرة الشيخ بدر الدين.

مولانا ولاية علي الصادق بوري

الشيخ الإمام العالم المحدث المجاهد المصلح ولاية علي بن فتح علي بن وارث علي بن محمد سعيد الهاشمي الصادق بوري العظيم آبادي أحد العلماء الربانيين، ولد بصادق بور سنة خمس ومائتين وألف، واشتغل بالعلم مدة ببلدته، ثم سافر إلى لكهنؤ وقرأ الكتب الدرسية على الشيخ أشرف بن نعمة

(١) نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر = الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام عبد الحي الحسني ٩٥٠/٧

الله اللكهنوي، وبايع سيدنا الإمام أحمد بن عرفان البريلوي الشهيد، ثم رجع إلى بلدته، وأقام الجمعة والجماعة، واشتغل بالتدريس والتذكير مدة، ثم لازم شيخه السيد أحمد المذكور وأخذ الحديث عن الشيخ إسماعيل بن عبد الغني الدهلوي، وسافر معه إلى الحدود، وجاهد في الله مدة، ثم بعثه شيخه السيد أحمد إلى بلاد دكن، فسافر إلى حيدر آباد وأقام بها زمانا، وهدى الله به بعض عباده، ثم لما سمع بشهادة السيد في معركة بالاكوت رجع إلى بلده عظيم آباد وأقام بها سنتين، ثم سافر إلى الحجاز فحج وزار، وأسند الحديث عن الشيخ عبد الله سراج مفتي الأحناف بمكة المباركة، ثم راح إلى اليمن ونجد وحضرموت وغيرها من أقطاع العرب وأخذ عن القاضي محمد بن علي الشوكاني، ثم عاد إلى الهند وبعث أخاه عناية علي إلى الحدود ثم ارتحل بنفسه وغزا علي كشمير وحصل له الفتوحات العظيمة، فلاذ صاحب كشمير بالإنكليز، فوقعوا فيه وأخذوه وأتوا به إلى لاهور وأمره الحاكم العام أن يفرق الجنود ويذهب بنفسه إلى عظيم آباد، ولا ينتقل من بيته سنتين، فرضي بذلك وأقام ببلدته وعكف على التدريس والتلقين والتذكير، حتى انقضت المدة، فارتحل مع أهله وعياله ودار البلاد، ثم ذهب إلى الحدود، واشتغل بها بالتدريس والتلقين وتعليم الفنون الحربية وتجهيز الجيوش.

وكان ربع القامة، مائلا إلى الطول أسمر اللون أزج الحاجبين، كث اللحية، يلوح على وجهه علائم الهم ومخائل الذل والافتقار، وكان حريصا على اتباع السنة السنية، متتبعا للسنن في كتب الحديث والسير عاملا بها، جامعا بين العلم والعمل والعبادة والفتوة، عالي الهمة، بعيد النظر، رابط الجأش، زاهدا في الدنيا، مقبلا إلى الله بقلبه وقالبه، قوي التأثير كثير الابتهال والدعاء.

وقال القنوجي في إبقاء المنن: إني لقيته في قنوج وحضرت تذكيره فما رأيت أحدا أسرع تأثيرا منه، انتهى.

مات في شهر الله المحرم سنة تسع وستين ومائتين وألف.

السيد ولاية علي الكامونبوري

الشيخ الفاضل ولاية علي الشيعي الكامونبوري أحد رجال العلم، قرأ أكثر الكتب الدرسية على السيد حسين بن رمضان علي النوهروي وسافر إلى مشاهد العراق، وأخذ بها عن السيد مرتضى.

مات سنة ست وتسعين ومائتين وألف، كما في تكملة نجوم السماء.

الشيخ ولاية علي الإسلامبوري

الشيخ الصالح ولاية علي بن كريم بخش بن مير علي بن حسن علي الحسيني الهمداني الإسلامبوري أحد المشايخ المشهورين، كان من نسل الشهاب علي الحسيني الهمداني رحمه الله، ولد سنة سبع عشرة ومائتين وألف باسلامبور، قرية جامعة من أعمال عظيم آباد وقرأ المختصرات في

الصرف والنحو وغيرهما، ثم لازم الشيخ يحيى علي النوآبادي، وأخذ عنه الطريقة، ثم عكف على الإفادة والعبادة، وكان شيخا صالحا مرزوق القبول، أخذ عنه خلق كثير.

مات في الرابع عشر من محرم سنة ثلاثمائة وألف، كما في أنوار الولاية.

المفتي ولي الله الفرخ آبادي

الشيخ العالم الفقيه المفتي ولي الله بن أحمد علي الحسيني الفرخ آبادي أحد العلماء المشهورين، ولد." (١)

"إلى غير ذلك من شعره الذي جمعه بمجموع سماه (الباقيات الصالحات) وكله على هذا المنهج، ومن العجب من يسلك هذا المسلك كيف يدعي أنه من أهل السنة وليس من الروافض.

وله أبيات في الشيخ عبد القادر الكيلاني وهي هذه وقد سلك فيها من الغلو مسلك ما نقلناه من شعره:

أبيات شعري حكت آيات تنزيل ... تتلى بحضرة ممدوحي بترتيل

وعت من الملأ الأعلى لها آذان ... فشنفتها بتكبير وتهليل

قد انطوى العالم الأسمى بأحرفها ... فعطر النشر منها طيب تأويل

عن حسنها قاصرات الطرف قد قصرت ... أحبب بكاعبة النهدين عطبول

ماست دلالا تعاطيني الرضاب طلا ... فهمت ما بين عسال ومعسول

تاهت على اللؤلؤ المنثور إذ نظمت ... في مدح مولاي عبد القادر الجيلي

قطب عليه مدار العالمين له ... دور تسلسل لا في قيد تعطيل

غوث وغيث لراجيه وخائفه ... يحمى ويهمى بأفضال وتفضيل

سجنجل لتجلي ذاته ظهرت ... لعينه عينه من غير تمثيل

جلاء نقطة غين العين تربته ... كم فزت منها بتعفير وتكحيل

طوفان علم به نوح النبوة في ... فلك الفتوة ينجى كل محمول

خضم فيض بعيد العور فيه رست ... سفن الولاية لا في ساحل النيل

مصباح فضل بنبراس الجمال زهت ... مشكاته فيه لا في ضوء قنديل

نور بسيط على وجه البسيطة بل ... ببحر محيط بمعقول ومنقول

قرآن جمع لأشتات الهبات من الذر ... ات لا قبض بسط العرض والطول

فرقان فرق العلى آياته رسمت ... في جبهة كللت منه بإكليل

مفتاح غيب بلا ريب ببرزخه ... باب الشهود لديه غير مقفول

في عالم الغيب قد صحت مشاهدة ... له فجاء بكشف غير معلول

تواثت أولياء الله بعثته ... منذ الست ومن جيل إلى جيل

---

(١) نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر = الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام عبد الحي الحسني ١١٣٤/٧

في النشأتين له حال تصرفه ...

تالله في كل معقود ومحلول." (١)

"إلى قاص وهو يقص، فقال: أعلمت الناسخ والمنسوخ؟ قال لا، قال: هلكت وأهلكت.

قال وحدثنا زهير بن عباد الرواسي، حدثنا أسد بن حمران عن جويبر عن الضحاك، أن علي بن أبي طالب دخل مسجد الكوفة فإذا قاص يقص فقام على رأسه فقال: يا هذا! تعرف الناسخ من المنسوخ؟ قال: لا، قال: أفتعرف مدني القرآن من مكيه؟ قال: لا، قال: هلكت وأهلكت. قال: أتدرون من هذا؟ هذا يقول: اعرفوني اعرفوني١.

وقد صنف ابن الجوزي مجلدا في مناقب الحسن البصري، وصنف أبو عبد الله محمد بن عبد الواحي المقدسي جزءا فيمن لقيه من أصحابه، وأخبار الحسن مشهورة في مثل "تاريخ البخاري".

قال شيخ الإسلام: "وقد كتبت أسانيد الخرقة، لأنه كان فيها أسانيد فبينتها ليعرف الحق من الباطل، ولهم أسانيد أخر بالخرقة المنسوبة إلى جابر، وهو منقطع جدا، وقد عقل بالنقل المتواتر أن الصحابة لم يكونوا يلبسون مريديهم خرقة، ولا يقصون شعورهم، ولا التابعون، ولكن هذا فعله بعض مشايخ المشرق من المتأخرين وأخبار الحسن مذكورة بالأسانيد الثابتة في كتب كثيرة يعلم منها ما ذكرنا.

وقد أفرد أبو الفرج ابن الجوزي له كتابا في مناقبه وأخباره.

وأضعف من هذا نسبة **الفتوة** إلى علي، وفي إسنادها من الرجال المجهولين الذين لا يعرف لهم ذكر ما يبين كذبها.

وقد علم كل من له علم بأحوال الصحابة والتابعين أنه لم يكن فيهم أحد يلبس سراويل، ولا يسقي ملحا، ولا يختص أحد بطريقة تسمى **الفتوة**، لكن كانوا

---

١ انظر "نواسخ القرآن" لابن الجوزي (رقم: ١- وما بعده) . ط. المكتبة العصرية- بتحقيقي.." (٢)

"تتنقل بين أشجارها فتطرب بالأغاريد، وتستهوي بالأناشيد:

فاسألنها واجعل بكاك جوابا ... تجد الدمع سائلا ومجيبا

أنا لا أعجب لشيء عجبي لهولاء الأدباء؛ يحزنون فلا يبكون، ويطربون فلا يضحكون، ويتألمون بلا أنين، ويعشقون بغير حنين.

أيطرب البلبل فيغرد، ويشجى الحمام فينوح، ويطرب الشاعر ويشجى الكاتب فلا ينطق لسانهما، ولا يهتز قلمهما؟

لما أسن عمر بن أبي ربيعة ورأى أن الغزل والتصابي غير لائق بشيبه ووقاره عزم على هجره فما استطاع إلى ذلك سبيلا، وغلب على أمره كما يغلب المرء على غرائزه وسجاياه، فاحتال لذلك بأن حلف ألا يقول بيتا من الشعر إلا أعتق رقبة، فشكا إليه رجل حبا برح به، فحن واهتاج ونظم أبياتا في شأن الرجل ووجده، ثم أعتق عن كل بيت رقبة.

---

(١) غاية الأماني في الرد على النبهاني الألوسي، محمود شكري ١/١٥٩

(٢) غاية الأماني في الرد على النبهاني الألوسي، محمود شكري ٢/٤٣٧

فهل نذر أدباؤنا ما نذر عمر بن أبي ربيعة وهم في شرخ الشباب وإبان **الفتوة؟** إن كانوا فعلوا ذلك فأسأل الله لهم قصة كقصة عمر تهيج أشجانهم فتحنث أيمانهم، والأمة كفيلة لهم بوفاء النذور وكفارات الأيمان:

وذو الشوق القديم وإن تعزى ... مشوق حين يلقى العاشقينا." (١)

"وأكثر إعظامه. فقيل له: من هذا يا أمير المؤمنين. قال: هذا أول من فتق لساني بذكر الله. وأدناني من رحمة الله

تأديب الصغير

٢٠٦ قالت الحكماء: من أدب ولده صغيرا سر به كبيرا. وقالوا: أطبع الطين ما كان رطبا. وأعدل العود ما كان لدنا. وقال صالح ابن عبد القدوس:

وإن من أدبته في الصبا ... كالعود يسقي الماء في غرسه

حتى تراه مورقا ناضرا ... بعد الذي أبصرت من يبسه

والشيخ لا يترك أخلاقه ... حتى يوارى في ثرى رمسه

إذا ارعوى عاد له جهله ... كذي الضنى عاد إلى نكسه

ما تبلغ الأعداء من جاهل ... ما يبلغ الجاهل من نفسه

قال بعضهم في سوء تربية صغير:

فيا عجبا لمن ربيت طفلا ... ألقمه بأطراف البنان

أعلمه الرماية كل يوم ... فلما أشتد ساعده رماني

أعلمه **الفتوة** كل وقت ... فلما طر شاربه جفاني

وكم علمته نظم القوافي ... فلما قال قافية هجاني

قال بعض الحكماء: الحياء في الصبي خير من الخوف. لأن الحياء يدل على العقل. والخوف يدل على الجبن. (لابن عبد ربه)." (٢)

"نوع فضل يضاهي التبر تربتها ... ودار أنس يحاكي الدر حصباها

عدا كل جيرة حلوا بساحتها ... صرف الزمان فأبلاهم وأبلاها

بدور تم غمام الموت جللها ... شموس فضل سحاب الترب غشاها

فالمجد يبكي عليها أسفا ... والدين يندبها والفضل ينعاها

يا حبذا أزمن في ظلهم سلفت ... ما كان أقصرها عمرا وأحلاها

أوقات أنس قضيناها فما ذكرت ... إلا وقطع قلب الصب ذكراها

---

(١) النظرات المنفلوطي ٢/٢٤٨

(٢) مجاني الأدب في حدائق العرب لويس شيخو ٢/١٣٥

يا سادة هجروا واستوطنوا هجرا ... واها لقلب المعنى بعدكم واها

رعيا لليلات وصل بالحمى سلفت ... سقيا لأيامنا بالخيف سقياها

لفقدكم شق جيب المجد وانصدعت ... أركانه وبكم ما كان أقواها

وخر من شامخات العلم أرفعها ... وأنهد من باذخات الحلم أرساها

يا ثاويا بالمصلى من قرى هجر ... كسيت من حلل الرضوان أرضاها

أقمت يا بحر بالبحرين فاجتمعت ... ثلاثة كن أمثالا وأشباها

ثلاثة أنت أسداها وأغزرها ... جودا وأعذبها طعما وأحلاها

حويت من درر الحلياء ما حويا ... لكن درك أعلاها وأغلاها

يا أخمصا وطئت هام السهى شرفا ... سقاك من ديم الوسمي أسماها

ويا ضريحا علا فوق السماك علا ... عليك من صلوات الله أزكاها

فيك انطوى من شموس الفضل آخرها ... ومن معالم دين الله أسناها

ومن شوامخ أطواد الفتوة أر ... ساها وأرفعها قدرا وأنهاها

فاسحب على الفلك العلوي ذيل علا ... فقد حويت من العلياء أعلاها." (١)

"منازل آبائه الأولين. فيكون أولهم علما وأدبا. وهو آخرهم ميلادا ونسبا

في الأشواق وحسن التواصل

كتب أبو النصر العتبي كاتب السلطان محمود إلى صديق له

هذا يوم قد رقت غلائل صحوه وهبت شمائل خيره. وضحكت ثغور رياضه. واطرد ورود النسيم فوق حياضه. وفاحت مجامر الأزهار. وانتثرت قلائد الأغصان من فرائد الأنوار. وقام خطباء الأطيار. على منابر الأشجار. ودارت أفلاك الأيدي بشموس الراح. في بروج الأقداح. فبحق الفتوة التي زان الله بها طبعك. والمروءة التي قصر عليها أصلك وفرعك. إلا ما تفضلت علينا بالحضور. ونظمت لنا بك عقود السرور (حلبة الكميت للنواجي)

كتب الشيخ البسطامي إلى بعض السادة

أما بعد فالعبد الكليم. ينهي إلى السيد الرحيم. من شوقه الذي ملك قياده. وعمر بفوائده فؤاده. ومابرح العبد يدعو لمولانا في سره وجهره. وينشر على بساط إحسانه جوهر شكره. ويتشوق إليه تشوق الساهر غلى المنام. ويهديه من ثنائه أحسن من ضحك الزهر لبكاء الغمام:

والروض يبدو زهرها متبسما ... فكأنه لبكا الغمام قد اشتفى

(١) مجاني الأدب في حدائق العرب لويس شيخو ٤/٥٠

وقد سطرت هذه العبودية مظهرا من إحسان مولانا ما لا يخفى. وذاكرا من تفضلاته ما تعجز عنه الألسن وصفا. المسؤول من صدقاته." (١)

"قادرا على أمور الزواج من النفقة وما يتبعها، وكان به توقان «١» إلى النساء حتى لا تزل به القدم في مهواة المعاصي وحمأة الشرور فإن للشباب فتوة «٢» ونزوة تدفع الشاب إلى إطاعة شهوته وتقهره على إرضائها بدون أن يبالي سوء مغبة أو حسنها، وكم جر ذلك من ويلات وأعقب من أدواء استفحل فيما بعد شرها، وعم ضررها وأصبحت ملافاتها عسيرة وتدارك أخطارها في غير الوسع والطاقة، وكم من شاب أغرته شهوته واستبعدته لذته فاتى نفسه من المعاصي حظها وأروى من الموبقات «٣» غلتها فكان عاقبة ذلك أن افتقر بعد يسر ومال عريض، وضعف بعد قوة وصحة شاملة، وانتابته الأمراض والعلل فصار حليف الهم والسهاد، ينام على مثل شوك القتاد «٤» ، قد أقض مضجعه، وذبلت نضرته وتنكرت له الحياة بعد إقبالها، وكشرت له الأيام بعد ابتسامها، وكلبه الزمان «٥» وقد كان له مواتيا «٦» مطيعا، ونفر منه الأصدقاء، وكان قرة أعينهم وموضع الغبطة والسرور منهم.

ولقد بين الرسول صلى الله عليه وسلم حكمة المبادرة إلى الزواج بعد القدرة والاستطاعة بأنها تحصن الفرج عن الوقوع في المحرمات وملابسة ما يغضب الله ويزري بالشرف»

والكرامة، وتدعو إلى العفة وغض البصر عما لا يجعل من محارم الله، أضف إلى ذلك أن المبادرة إلى الزواج تمكن المرء إذا رزق أولادا من تربيتهم والقيام بشؤونهم وإعدادهم لمستقبل حياتهم وجعلهم رجالا صالحين ينفعون أنفسهم وأمتهم، ويجعل منهم عمادا لها وقوة، يرهب بهم جانبها، وتقوى شوكتها وتحفظ هيبتها وكرامتها، ويدفع من يريد إذلالها واستعبادها. وأما إذا أبطأ في الزواج حتى تقدم به العمر فقد لا يستطيع تربية أولاده لضعف قوته وعجزه عن تحصيل ما به حياتهم وتوفير أسباب السعادة لهم، وربما أدركه الأجل فيتركهم كزغب القطا «٨» مهيضي

---

(١) توقان: اشتياق.

(٢) فتوة: الفتوة: الشباب بين طوري المراهقة والرجولة.

(٣) الموبقات: المهلكات.

(٤) القتاد: نبات صلب له شوك كالإبر.

(٥) كلبه الزمان: وثب عليه.

(٦) مواتيا: مطاوعا.

(٧) يزري: يعايب ويعتب.

(٨) كزغب القطا: أي يتركهم صغارا ضعافا.." (٢)

---

(١) مجاني الأدب في حدائق العرب لويس شيخو ٢٦٥/٥

(٢) الأدب النبوي محمد عبد العزيز الخَوْلي ص/٢٤٣

"سحبت عليه غرورها، ولا النفوس نقلت فيه شرورها، ولا الحياة أزارته باطلها وزورها، لو شاء الله لبنى بيته بمصر على نهر فياض، ووادٍ كله قطع الرياض، ولو شاء الله لاتخذ بيته بالشام بين الجداول المظللة، والربى المكللة والغصون المهدلة، والقطوف المذللة، ولو شاء الله جلت قدرته لرفع بيته على أنوف الجبابرة، ملوك الأعصر الغابرة، وفوق هام آلهتهم وهي ممهدة منضدة، في الغرف المشيدة، والقباب الممردة، ولكنه تعالى نظر إلى أم القرى، فرأى بها ذلا لعز سلطانه، وافتقارا إلى غناه وإحسانه، ورأى خشوعا يستأنس به الإيمان، وتجردا تسكن إليه العبادة، ورأى انفرادا يجري في معنى التوحيد، فأمر إبراهيم حواريه، وبنيه وخليله وصفيه: أن يرفع بذلك الوادي ركن بنيته، وينصب بين شعابه منار وحدانيته، بنيان قام بالضعف والقوة، ونهض على كاهل الكهولة وساعد الفتوة، واشتركت." (١)

"(إلي بالسيد البدوي باب المصطفى ... بحر الفتوة والمكارم والندا)

(وبعابد المتعال ثم مجاهد ... فهما الوسيلة للملثم أحمد)

الخ جنونهم القبيح.

فكل ما كان هكذا من توسلات الأحمدية والبرهامية والقادرية والبيومية والشاذلية والخلوتية والعفيفية والحبيبية والخليلية وأمثالهم فلا تلتفوا إليه واحذوره كل الحذر، و ﴿اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه من أولياء﴾ ، ﴿وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله إن الله شديد العقاب﴾ .

يا إخواني، والله إن آية واحدة بل كلمة واحدة بل حرفا واحدا من كتاب ربكم أو من سنة نبيكم خير لكم من جميع هذه التهاويش المبتدعة التي لا يجوز لكم أن تتعبدوا بها، ولو عشتم عمر نوح تتعبدون بها ما قبل الله منها حرفا واحدا منكم إن سلمتم من عقابه ولا أظنه أبدا إلا بالتوبة النصوح لأن الله لا يعبد إلا بما شرع لا بالمحدثات والبدع، والدليل على بطلان عملكم قوله [صلى الله عليه وسلم] : " من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد ". وقوله: " فمن رغب عن سنتي فليس مني " هذه نصيحتي إليكم، يا إخواني، ومن شاء فليتبع، ومن شاء فليبتدع ﴿وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر إنا أعتدنا للظالمين نارا أحاط بهم سرادقها﴾ .

فصل في تركهم للاسم الأعظم الرفيع، وتعبدهم بالاسم الأحقر الوضيع

اعلم أن من أدهى الدواهي أنك ترى الجم الغفير قد أعرضوا عن الوارد الثابت عن المعصوم إلى ما زينه لهم واخترعه شياطين الإنس من المتصوفة وأهل الطريق، يتركون ما تعبد به الرسول [صلى الله عليه وسلم] هو وأصحابه من الذكر باسم الله الأعظم، ويتعبدون باهم صقك حلع يص ويقولون: إن هذا هو." (٢)

---

(١) أسواق الذهب أحمد شوقي ص/٧٦

(٢) السنن والمبتدعات المتعلقة بالأذكار والصلوات الشقيري ص/٢٦٦

"(يا صاحبي السجن أما أحدكما فيسقي ربه خمرا وأما الآخر فيصلب فتأكل الطير من رأسه قضي الأمر الذي فيه تستفتيان وقال للذي ظن أنه ناج منهما اذكرني عند ربك فأنساه الشيطان ذكر ربه فلبث في السجن بضع سنين

(تأويله لمنامي صاحبي السجن ووصيته للناجي منهما) :

(ياصاحبي السجن أما أحدكما) وهو الذي رأى أنه يعصر خمرا (فيسقي ربه خمرا) يعني بربه: مالك رقبته وهو الملك، لا ربوبية العبودية، فملك مصر في عهد يوسف لم يدع الربوبية والألوهية كفرعون موسى وغيره، بل كان من ملوك العرب الرعاة الذين ملكوا البلاد عدة قرون (وأما الآخر) وهو الذي رأى أنه يحمل خبزا تأكل الطير منه (فيصلب فتأكل الطير من رأسه) أي الطير التي تأكل اللحوم كالحدأة. وهذا التأويل قريب من أصل رؤيا كل منهما، وقد يكون من خواطرهما النومية، وتأويلهما على كل حال من مكاشفات يوسف ويؤكدها قوله: (قضي الأمر الذي فيه تستفتيان) فهذا نبأ زائد على تعبير رؤياهما، ورد مورد الجواب عن سؤال كان يخطر ببالهما، أو أسئلة في صفة ذلك التعبير وهل هو قطعي أم ظني يجوز غيره ومتى يكون؟ فهو يقول لهما: إن الأمر الذي يهمكما أو يشكل عليكما وتستفتياني فيه قد قضي وبت فيه وانتهى حكمه. والاستفتاء في اللغة السؤال عن المشكل المجهول، والفتوى جوابه سواء أكان نبأ أم حكما، وقد غلب في الاستعمال الشرعي في السؤال عن الأحكام الشرعية، ومن الشواهد على عمومه: أفتوني في رؤياي ٤٣ وهي مشتقة من **الفتوة** الدالة على معنى القوة والمضاء والثقة.

قلت: إن هذه الفتوى من يوسف - عليه السلام - زائدة على ما عبر به رؤياهما، داخلة في قسم المكاشفة ونبأ الغيب مما علمه الله - تعالى - وجعله آية له ليثقوا بقوله وهم أولو علم وفن وسحر، ومعناها أنه علم بوحي ربه أن الملك قد حكم في أمرهما بما قاله، لا من باب تأويل الرؤيا على تقدير كون ما رأيا من النوع الصادق منها لا من أضغاث الأحلام (وسنبين الفرق بينهما في التفسير الإجمالي لكليات السورة إن شاء الله تعالى) .." (١)

"صححه الترمذي وغيره، وفي لفظ " فقد كفر "، وقد صححه الحاكم، وقد ثبت عنه في الصحيحين أنه قال: " من كان حالفا فليحلف بالله "، وقال: " لا تحلفوا بآبائكم فإن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم "، وفي الصحيحين عنه أنه قال: " من حلف باللات والعزى فليقل: لا إله إلا الله ". وقد اتفق المسلمون على أنه من حلف بالمخلوقات المحترمة، أو بما يعتقد هو حرمته ؛ كالعرش والكرسي والكعبة والمسجد الحرام والمسجد الأقصى ومسجد النبي صلى الله عليه وسلم، والملائكة والصالحين، والملوك وسيوف المجاهدين، وقرب الأنبياء والصالحين، وإيمان السدق وسراويل **الفتوة**، وغير ذلك - لا ينعقد يمينه، ولا كفارة في الحلف بذلك.

" والحلف بالمخلوقات حرام عند الجمهور، وهو مذهب أبي حنيفة، وأحد القولين في مذهب الشافعي وأحمد، وقد حكي إجماع الصحابة على ذلك، وقيل: هي مكروهة كراهة تنزيه، والأول أصح، حتى قال عبد الله بن مسعود، وعبد الله بن عباس، وعبد الله بن عمرو: لأن أحلف بالله كاذبا أحب إلي من أن أحلف بغير الله صادقا، وذلك لأن الحلف بغير الله شرك، والشرك أعظم من الكذب، وإنما نعرف النزاع في الحلف بالأنبياء، فعن أحمد في الحلف بالنبي صلى الله عليه وسلم

---

(١) تفسير المنار محمد رشيد رضا ٢٥٧/١٢

روايتان: (إحداهما) لا ينعقد اليمين به كقول الجمهور: مالك وأبي حنيفة والشافعي.
(والثانية) ينعقد اليمين به، واختار ذلك طائفة من أصحابه كالقاضي وأتباعه، وابن المنذر وافق هؤلاء،
وقصر أكثر هؤلاء النزاع في ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم خاصة، وعدى ابن عقيل هذا الحكم إلى سائر الأنبياء.
وإيجاب الكفارة بالحلف بمخلوق وإن كان نبيا قول ضعيف في الغاية، مخالف للأصول والنصوص، فالإقسام به على الله والسؤال به بمعنى الإقسام، هو من هذا الجنس.
" والذي قاله أبو حنيفة وأصحابه وغيرهم من العلماء من أنه لا يجوز أن يسأل الله تعالى بمخلوق، لا بحق الأنبياء، ولا غير ذلك، يتضمن شيئين كما تقدم.
(أحدهما) : الإقسام على الله سبحانه وتعالى به، وهذا منهي عنه عند جماهير العلماء كما تقدم، كما ينهى أن يقسم على الله بالكعبة والمشاعر باتفاق العلماء.
(والثاني) السؤال به، فهذا يجوزه طائفة من الناس، ونقل في ذلك آثار عن بعض السلف، وهو موجود في دعاء كثير من الناس، لكن ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك، كله ضعيف، بل موضوع، وليس عنه حديث ثابت قد يظن أن لهم فيه حجة إلا حديث الأعمى الذي علمه أن يقول: " أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد نبي الرحمة ".
" وحديث الأعمى لا حجة لهم فيه ؛ فإنه صريح في أنه إنما توسل بدعاء النبي صلى الله عليه وسلم." (١)

"والبوار والعذاب في الدنيا والآخرة، ما داموا على هذه القبائح الشنيعة الفظيعة، الموجبة للفقر وهلاك الأموال وانمحاق البركات، والخيانة في المعاملات والأمانات؛ ولذلك تجد أكثرهم قد افتقر من سوء ما جناه، وقبيح معاملته لمن أنعم عليه وأعطاه، ولم يرجع إلى بارئه وخالقه، وموجده ورازقه، بل بارزه بهذه المبارزة المبنية على خلع جلباب الحياء والمروءة والتخلي عن سائر صفات أهل الشهامة **والفتوة**، والتحلي بصفات البهائم بل بأقبح وأفظع صفة وخلة، إذ لا نجد حيوانا ذكرا ينكح مثله، فناهيك برذيلة تعف عنها الحمير، فكيف يليق فعلها بمن هو في صورة رئيس أو كبير؟ كلا بل هو أسفل من قدره،
وأشأم من خبره، وأنتن من الجيف، وأحق بالشرور والسرف، وأخو الخزي والمهانة، وخائن عهد الله وماله عنده من الأمانة، فبعدا له وسحقا، وهلاكا في جهنم وحرقا اهـ.
وقال السيد الآلوسي في آخر تفسير هذه القصة من روح المعاني: وبعض الفسقة اليوم - دمرهم الله تعالى - يهونون أمرها ويتيمون بها، ويفتخرون بالإكثار منها، ومنهم من يفعلها أخذا للثأر، ولكن من أين؟ ومنهم من يحمد الله سبحانه عليها مبنية للمفعول، وذلك لأنهم نالوا الصدارة بأعجازهم نسأل الله العفو والعافية في الدين والدنيا والآخرة اهـ.
وأقول: إن هذه الفتن بالمرد هي التي حملت بعض الفقهاء على تحريم النظر إلى الغلام الأمرد ولا سيما إذا كان جميل الصورة، أطلقه بعضهم وخصه آخرون بنظر الشهوة الذي هو ذريعة الفاحشة. روى ابن أبي الدنيا والبيهقي عن الوضين بن عطاء عن بعض التابعين قال: كانوا يكرهون أن يحد الرجل النظر إلى وجه الغلام الجميل - وعن الحسن بن ذكوان أنه قال: لا

---
(١) تفسير المنار محمد رشيد رضا ٦/٣٠٩

تجالسوا أولاد الأغنياء فإن لهم صورا كصور النساء وهم أشد فتنة من العذارى – وعن النجيب بن السدي قال كان يقال: لا يبيت الرجل في بيت مع المرد – وعن ابن سهل قال: سيكون في هذه الأمة قوم يقال لهم اللوطيون على ثلاثة أصناف: صنف ينظرون، وصنف يصافحون، وصنف يعملون ذلك العمل – وعن مجاهد قال: لو أن الذي يعمل ذلك العمل (يعني عمل قوم لوط) اغتسل بكل قطرة في السماء وكل قطرة في الأرض لم يزل نجسا.

وأخرج البيهقي عن عبد الله بن المبارك قال: دخل سفيان الثوري الحمام، فدخل عليه غلام صبيح فقال: أخرجوه فإني أرى مع كل امرأة شيطانا ومع كل غلام بضعة عشر شيطانا. يعني أن الوسوسة والإغراء بالغلام الجميل يزيد على الإغراء بالمرأة بضعة عشر ضعفا لسهولة الوصول إليه وكثرة وسائله، وهل كان من الممكن أن تدخل المرأة الحمام على الرجال كما دخل ذلك الغلام وكما يدخل النساء في غير بلاد المسلمين، حتى إنهن يتولين تنظيف الرجال في الحمامات. ومن وسائل الافتتان بالمرد التعليم والانتساب إلى طريقة المتصوفة، فيجعل الخير وسيلة إلى الشر، وكم فتن أستاذ من هؤلاء وأولئك بمريده وتلميذه وأخفى هواه حتى فسدت." (١)

"وكذلك لو فعل في البيت الثاني لكان ذكره اللذة زائدا في المعنى؛ لأن الزق لا يسبأ إلا للذة، وإنما وصف نفسه بالفتوة والشجاعة بعد أن وصفها بالتملك والرفاهية، وقد أتبعه المتنبي في قوله:

وقفت وما في الموت شك لواقف ... كأنك في جفن الردى وهو نائم

تمر بك الأبطال كلمى هزيمة ... ووجهك وضاح وثغرك باسم

وذكر الواحدي في شرحهما اعتراض سيف الدولة عليه وعلى امرئ القيس وتخلص المتنبي لنفسه وله، غير أن ترتيب امرئ القيس أبدع وفيه من الفائدة ما ليس في بيتي أبي الطيب.

بقي أن نذكر بعض المآخذ التي أصبناها في شعر هذا الشاعر، فمن ذلك أنه له استعانة ضعيفة بالحروف والكلمات، كقوله:

ألا رب يوم منهن صالح

وأن له تكرارا قبيحا في الألفاظ والمعاني يجيء بها على وجه واحد في مواضع مختلفة من غير أن يتصرف في ذلك بما يخفي قبح هذا التكرار وينفي عنه الظنة.

ومنها دخوله في وجوه المناقضة والإحالة في بعض الكلام، وذلك مما يدل على أنه يرسله إرسالا كما اتفق، لا يبتغي به إلا لذة المنطق، وإلا مواتاة ما في نفسه من الميل إلى القول؛ وبهذا كان ختام قصائده مقتضبا، وقلما قطع الشعر على كلمة بديعة إلا في القليل كختام قصيدته السينية:

ألا إن بعد العدم للمرء قنوة ... وبعد المشيب طول عمر ملبسا

فكأن الشعر يقترح عليه اقتراحا متى فرغ من المعنى الذي يريده سكت دون أن ينظر إلى موضع السكوت وأن الإصابة فيه كأحسن الكلام.

ومنها استعمال الكلام المؤنث في شعره، كقوله: لك الويلات إنك مرجلي، ونحوه، دون أن يوطئ لذلك بما يحسن التضمين

---

(١) تفسير المنار محمد رشيد رضا ٤٦٣/٨

ويخرج الكلمة المؤنثة مخرجا لا يكفي فيه أن يكون حلقيا فقط.

أما ما وقع له غير ذلك من اضطراب بعض القوافي وثقل الألفاظ مما يكد لسان الناطق المتحفظ، فذلك متجاوز عنه بعذر البداوة، والغريب عندنا مألوف عند أهله.." (١)

"وقال: فرطت فيها ثم أقبلت تتعب في طلبها! فقال قصيدته؛ وهي تربى على مائة بيت، وتختلف بعد المائة باختلاف الروايات، ذكر فيها الأطلال واستوقف بها ثم شبه قباب النساء بسفين الماء، ووصف ذات هواه في الحي فبسط من ذلك صورة رائعة من صور الطبيعة، ثم التفت إلى ناقته فأمضى بها الهم عند احتضاره، واستأمن بها على وضح الطريق من عثاره، ووصف من توثيق خلقها وطيب مرعاها وكرم العتق فيها وتراصف عظامها وتداخل أعضائها؛ فبنى على ذلك بناء يحسن أن يكون بابا من علم التشريح البيطري في الجاهلية.... ثم ذكر نشاطها وإسراعها وسهولتها، ونقل من ذلك إلى نفسه فوصف نفاذه ومضيه على الهول وأنه يتقلب على جنبي السيادة واللهو، ونسج من ذلك حاشيته، ثم كأنما سكر كلامه فوصف من سفهه ما تحامته من أجله العشيرة حتى أفرد إفراد البعير الأجرب المذلل.. وبعد أن انتهى إلى المذلة صحا على لائمه وأخذ يعد لذاته مما يصفه بالمخيلة **والفتوة** ونضرة العيش، ثم خرج من ذلك بالسوداء، فذكر الموت ووازن بينه وبين الحياة، ليدل على أن ربح الحياة هو الربح وصار كلامه من ذكر الموت إلى النزع، غير أنه هجم بهذا الموت يعاتب ابن عمه مالكا الذي ضيع إبله، فكأنه يذكره أن ضياع إبله خطب يسير، إذ يحم القضاء فتضيع روحه في الوادي الذي لا يتقدم فيه يطلبها ولا تنشد فيه عند ربها، ثم جعل يذكره بالقربى ورعايتها كأنه يستعطف، ولكنه اتخذ من ذلك وسيلة تخلص بها إلى عمرو بن مرثد أحد سادات العرب، فقال:

فلو شاء ربي كنت قيس بن خالد ... ولو شاء ربي كنت عمرو بن مرثد

وكان عمرو هذا كثير الولد، فقالوا إنه لما بلغه قول طرفة وجه إليه وقال: أما الولد فالله يرزقك، وأما المال فسنجعلك فيه أسوتنا، فأمر سبعة من ولده فدفع إليه كل واحد عشرا من الإبل، وأمر ثلاثة من بني بنيه فدفع إليه كل واحد عشرا.

ثم عاد طرفة فنفض غبار الذلة، واستكثر بعد القلة، وتميح في شعره وهدرت هذه الكلمات في أشداقه، حتى قطع القصيدة على حكمة بالغة لا تزال تدور في الناس فهو بها على الفناء يتجدد، وكأنها كانت نفسا من إنفاس المخلود فقرنت باسمه من هذه القوافي الدالية قافية "المخلد".

ومن مختار تلك القصيدة قوله:

إذا القوم قالوا من فتى؟ خلت أنني ... عنيت، فلم أكسل ولم أتبلد

وإن يلتق القوم الجميع تلاقني ... إلى ذروة البيت الرفيع المصمد

أرى قبر نحام بخيل بماله ... كقبر غوي في البطالة مفسد

أرى الموت يعتام الكرام ويصطفي ... عقيلة مال الفاحش المتشدد

لعمرك إن الموت ما أخطأ الفتى ... لكالطول المرخى وثنياه في اليد

---

(١) تاريخ آداب العرب الرافعي ، مصطفى صادق ١٤٢/٣

وقوله مفتخرا فيها:

أنا الرجل الضرب الذي تعرفونه ... خشاش كرأس الحية المتوقد

فآليت لا ينفك كشحي بطانة ... لعضب رقيق الشفرتين مهند

إذا ابتدر القوم السلاح وجدتني ... منيعا إذا بلت بقائمه يدي

وختامها:

ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلا ... ويأتيك بالأخبار من لم تزود

ويأتيك بالأنباء من لم تبع له ... بتاتا ولم تضرب له حين موعد." (١)

"إليك إلا بنظرتها إلى تلك. أفبهيمة هي لا تعقل، أم أنت رجل ساحر، أم فيك ما ليس في الناس، أم أنا لا أفقه شيئا؟

فضحك مسم وقال: إن لي خبرا عجيبا: كنت أنزل "الأبلة" وأنا متعيش١ فحملت منها تجارة إلى البصرة فربحت، ولم أزل أحمل من هذه إلى هذه فأربح ولا أخسر، حتى كثر مالي، ثم بدا لي أن أتسع في الآفاق البعيدة لأجمع التجارة من أطرافها، وأبسط يدي للمال حيث يكثر وحيث يقل، وكنت في ميعة الشباب وغلوائه، وأول هجمة **الفتوة** على الدنيا، وقلت: إن في ذلك خلالا؛ فأرى الأمم في بلادها ومعايشها، وأتقلب في التجارة، وأجمع المال والطرائف، وأفيد عظة وعبرة، وأعلم علما جديدا، ولعلني أصيب الزوجة التي أشتهيها وأصور لها في نفسي التصاوير، فإن أمري من أوله كان إلى علو فلا أريد إلا الغاية، ولا أرمي إلا للسبق، ولا أرضى أن أتخلف في جماعة الناس. وكأني لم أر في الأبلة، ولا في البصرة امرأة بتلك التصاوير التي في نفسي، فتأخذها عيني، فتعجبني، فتصلح لي، فأتزوج بها، وطمعت أن أستنزل نجما من تلك الآفاق أحرزه في داري؛ فما زلت أرمي من بلد إلى بلد حتى دخلت "بلخ"٢ من أجل مدن خراسان وأوسعها غلة؛ تحمل غلتها إلى جميع خراسان وإلى خوارزم؛ وفيها يومئذ -كان- عالمها وإمامها "أبو عبد الله البلخي" وكنا نعرف اسمه في البصرة؛ إذ كان قد نزلها في رحلته وأكثر الكتابة بها عن الرواة والعلماء؛ فاستخفتني إليه نزية من شوقي إلى الوطن، كأن فيه بلدي وأهلي؛ فذهبت إلى حلقته، وسمعته يفسر قول النبي -صلى الله عليه وسلم: "سوداء ولود خير من حسناء لا تلد". فما كان الشيخ إلا في سحابة، وما كان كلامه إلا وحيا يوحى إليه. سمعت -والله- كلاما لا عهد لي بمثله، وأنا من أول نشأتي أجلس إلى العلماء والأدباء، وأداخلهم في فنون من المذاكرة، فما سمعت ولا قرأت مثل كلام البلخي، ولقد حفظته حتى ما تفوتني لفظة منه، وبقي هذا الكلام يعمل في نفسي عمله، ويدفعني إلى معانيه دفعا، حتى أتى علي ما سأحدثك به. إن الكلمة في الذهن لتوجد الحادثة في الدنيا.

وقال ابن أيمن: اطو خبرك إن شئت، ولكن اذكر لي كلام البلخي، فقد تعلقت نفسي به.

---

(١) تاريخ آداب العرب الرافعي ، مصطفى صادق ١٥٢/٣

١ أي: متكسب ليعيش لا ليغتني؛ وهذا يسميه العامة "المتسبب".

٢ موقعها اليوم في بلاد الأفغان.." (١)

"المفردة، وحين تجيء تظرفا وتماجنا وحين تخرج مخرج النادرة أو تبعث عليها

الفتوة وميعة الشباب في بعض الحب الشديد، كما فعل امرؤ القيس، فأما أن

يكون فيها أكثر شعره وعليها كل عمله ويتقلب الرجل وكأنه ليس في فمه إلا لسان امرأة فهذا ما لا أراه فنا، إلا أن يقال فن الرجل اللص وفن المرأة العاهرة كما يقال فن الشاعر وفن المصور مثلا!

وقد نصوا على أن امرأ القيس هو الذي افتتح تلك المعاني التي أومأنا

إليها وأن الشعراء اتبعوه، فأين النص أن ابن أبي ربيعة افتتح هذه الطريقة – من: قلت لها وقالت لي، وكنت وكانت، وفعلت وفعلت؟

ومن الذي اتبعه في هذا الباب وأنفذ فيه أكثر شعره ولو أنهم كانوا يرونه مبتدعا لنصوا على ذلك كما نصوا على غيره. بل كان جرير يرى تلك الطريقة هذيانا، حتى استحكمت

معاني ابن أبي ربيعة فرآه حينئذ قال الشعر.

وإن هناك أصلا مقررا في الأدب العربي، وذلك أن فحول الشعراء

يسبقون إلى ابتداع المعاني والأساليب فيتبعهم فيها من بعدهم، إذ لا يقول أحد شعرا ولا يكون شاعرا إلا عن رواية وحفظ. فقد يتفق المعنى لشاعر متقدم أو تستوي له الطريقة في بعض الأساليب فيأتي بعده من يجد ذلك في طبعه ويكون قد اعتاد منه في أسباب عيشه ودهره ما لا يجري به اعتبار شاعر آخر، فيحتذي

على حذو الأول ويتخذ كلامه أصلا يبني عليه فيكثر من ذلك ويقلبه على

وجوهه حتى يميته ولا يدع فيه شيئا لغيره، وليس ابن أبي ربيعة بدعا في ذلك، فإن أبا نواس احتذى على الأعشى في الخمر ولكنه أكثر فيها حتى عرفت به هذه الطريقة وحتى لم يكن يرى لغيره فيها معنى وهو حي، وهذا البحتري رأى بعض شعراء المتقدمين يذكر طيف الحبيب وزيارته، وقد قالوا إن أول من سبق إلى هذا المعنى " جران العود" في قوله:

سقيا لزورك من زور أتاك به. . . حديث نفسك عنه وهو مشغول

ثم أخذه العباس بن الأحنف وأخذه أبو تمام، فجاء البحتري فتعلق عليه

وأكثر منه وجعل وصف الخيال طريقة من طرائقه فعرف بها.

وكيف وضع فن البديع لو لم يكن مسلم بن الوليد قد جرى على هذا الأصل

فتتبع ما رآه في شعر الشعراء من استعارة وتشبيه ومجاز ثم قصدها في شعره وعمل على أن يتكلفها حتى نهج الطريقة لأبي

---

(١) وحي القلم الرافعي ، مصطفى صادق ١٣٩/١

تمام من بعده فجاء هذا واستنفذ فيها شعره

– حتى غرف بها وغرفت به والأصل – كما رأيت – من أبيات متفرقة وكلمات مأثورة.." (١)

"ونصبنني غرض الرماة تصيبني ... محن أحد من السيوف مضاربا

أظمتني الدنيا فلما جئتها ... مستسقيا مطرت علي مصائبا

وحبيت من خوص الركاب بأسود ... من دارش فغدوت أمشي راكبا

حال متى علم ابن منصور بها ... جاء الزمان الي منها تائبا

ملك سنان قناته وبنانه ... يتباريان دما وعرفا ساكبا

يستصغر الخطر الكبير لوفده ... ويظن دجلة ليس تكفي شاربا

كرما فلو حدثته عن نفسه ... بعظيم ما صنعت لظنك كاذبا

سل عن شجاعته وزره مسالما ... وحذار ثم حذار منه محاربا

فالموت تعرف بالصفات طباعه ... لم تلق خلقا ذاق موتا آئبا

أن تلقه لا تلق إلا جحفلا ... أو قسطلا أو طاعنا أو ضاربا

أو هاربا أو راغبا أو طالبا ... أو راهبا أو هالكا أو نادبا

وإذا نظرت إلى الجبال رأيتها ... فوق السهول عواسلا وقواضبا

وإذا نظرت الى السهول رأيتها ... تحت الجبال فوارسا وجنائبا

وعجاجة ترك الحديد سوادها ... زنجا تبسم أو قذالا شائبا

فكأنما كسي النهار بها دجى ... ليل وأطلعت الرماح كواكبا

قد عسكرت معها الرزايا عسكرا ... وتكتبت فيها الرجال كتائبا

أسد فرائسها الأسود يقودها ... أسد تصير له الأسود ثعالبا

في رتبة حجب الورى عن نيلها ... وعلا فسموه علي الحاجبا

ودعوه من فرط السخاء مبذرا ... ودعوه من غصب النفوس الغاصبا

هذا الذي أفنى النضار مواهبا ... وعداه قتلا والزمان تجاربا

ومخيب العذال مما أملوا ... منه وليس يرد كفا خائبا

هذا الذي أبصرت منه حاضرا ... مثل الذي أبصرت منه غائبا

كالبدر من حيث التفت رأيته ... يهدي إلى عينيك نورا ثاقبا

كالبحر يقذف للقريب جوهرا ... جوادا ويبعث للبعيد سحائبا

كالشمس في كبد السماء وضوؤها ... يغشى البلاد مشارقا ومغاربا

---

(١) تحت راية القرآن الرافعي ، مصطفى صادق ص/٢٢٩

أمهجن الكرماء والمرزي بهم ... وتروك كل كريم قوم عاتبا

شادوا مناقبهم وشدت مناقبا ... وجدت مناقبهم بهن مثالبا

لبيك غيظ الحاسدين الراتبا ... أنا لنخبر من يديك عجائبا

تدبير ذي حنك يفكر في غد ... وهجوم غر لا يخاف عواقبا

وعطاء مال لو عداه طالب ... أنفقته في أن يلاقي طالبا

خذ من ثناي عليك ما أستطيعه ... لا تلزمني في الثناء الواجبا

فلقد دهشت لما فعلت ودونه ... ما يدهش الملك الحفيظ الكاتبا

وقال يمدح ابا أيوب:

سرب محاسنه حرمت ذواتها ... داني الصفات بعيد موصوفاتها

أفي فكنت إذا رميت بمقلتي ... بشرا رأيت أرق من عبراتها

يستاق عيسهم أنيني خلفها ... تتوهم الزفرات زجر حداته

وكأنها شجر بدت لكنها ... شجر جنيت المر من ثمراتها

لا سرت من ابل لو أن فوقها ... لمحت حرارة مدمعي سماتها

وحملت ما حملت من هذي المها ... وحملت ما حملت من حسرتها

اني على شغفي بما في خمرها ... لأعف عما في سرابيلاتها

وترى المروة والفتوة والأبوة ... في كل مليحة ضراتها

هن الثلاث المانعاتي لذتي ... في خلوتي لا الخوف من تبعاتها

ومطالب فيها الهلاك أتيتها ... ثبت الجنان كأنني لم آتها

ومقانب بمقانب غادرتها ... أقوات وحش كن من؟ أقواتها

أقبلتها غرر الجياد كأنما ... أيدي بني عمران في جبهاتها

الثابتين فروسة كجلودها ... في ظهرها والطعن في لباتها

العارفين بها كما عرفتهم ... والراكبين جدودهم أماتها

فكأنها نتيجت قياما تحتهم ... وكأنهم ولدوا على صهواتها

أن الكرام بلا كرام منهم ... مثل القلوب بلا سويداواتها

تلك النفوس الغالبات على العلى ... والمجد يغلبها على شهواتها

سقيت منابتها التي سقت الورى ... بيدي ابي أيوب خير نباتها

ليس التعجب من مواهب ماله ... بل من سلامتها إلى أوقاتها

عجبا له حفظ العنان بأنمل ... ما حفظها الأشياء من عاداتها

لو مر يركض في سطور كتابة ... أحصى بحافر مهره ميماتها." (١)

"ونقل في ((السلافة)) أيضا ترجمة أبي بكر الخاتوني، فقال في حقه: هو الشيخ فخر الدين الخاتوني، كاتب ماهر، وشاعر قلد الطروس من نظمة عقود الجواهر، وأديب سهم أده لشواكل الأغراض مصيب، وأديب أحرز من فضل أو فهرسهم ونصيب، جرى في مضمار القريض ملء عنانه، واجتنى زهر رياضه واقتطف ورد جنانه، وهو ممن حلب الدهر أشطره، وفرى من أديم الزمان أسطره، وشعره بحر لا يلفى لمدة جزر، رقيق الحواشي لا هراء ولا نزر، فمن بدائعه التي هي من بديع الحسن مصورة قولة مخاطبا أهل المدينة المنورة على سكانها وآله وأصحابه الكرام أفضل الصلاة وأزكى السلام:

يا أهل طيبة لا زالت شمائلكم ... كالروض باكره سار من الديم

أنفاسكم والنفوس الغر لا برحت ... كالزهر والزهر في لطف وفي كرم

ما أمكم زائر إلا وآب بما ... يربو على فكره من كل مغتنم

فأنتم الطاهرون الطيبون ومن ... لا ريب في مجدهم من سالف القدم

لا عيب فيهم سوى أن النزيل بهم ... يسلو عن الأهل والأوطان والحشم

جميلكم جل أن يحصى وفضلكم ... في الناس أشهر من نار على علم

كفاكم بجوار المصطفى شرفا ... وجار ذي الجاه أنى كان لم يضم

لولكم خيرة الله الكريم لما ... كنتم له جيرة من سائر الأمم

والله جل اسمه بالقرب خولكم ... وزادكم بسطة في العلم والهمم

لا زلتن وأمان الله يكلؤكم ... مما يحاذر في حرز من اللمم

وكيف يخشى الرزايا أن تلم بكم ... وأنتم من حمى المختار في حرم

عليه صلى إله العرش ما سجعت ... ورق الحمائم بين الضال والسلم

وآله الطهر والصحب الكرام ومن ... والأهم من جمع العرب والعجم

وممن نقل له صاحب ((السلافة)) أيضا الشيخ أحمد بن محمد الجوهري قال في حقه: هو جوهري النثر والنظم، زهري السجايا العظام، حلى بعقود نظمه عواطل الأجياد، وسبق بجواد فهمه الصافنات الجياد مع اضطلاع بفنون العلوم، واطلاع على خفايا المنطوق والمفهوم، وديانة وورع، وصيانة فاق فيها وبرع، وأخلاق وشيم، كأنفس الرياض غب الديم، وها أنا أثبت من بهي كلامه وسني نظامه ما تنشق منه نشر العبهري، وتقتني منه ((صحاح الجوهري)) كان أول وفوده علينا بالديار الهندية أهدى إلي كراسية من نثره ونظمه، فكتب إليه ما صورته:

زهر الدراري أم نظام الجوهري ... وشذا السلافة أم شميم العبهر؟

أم زهر روض قد تبسم ضاحكا ... إذ جاده صوب الغمام الممطر

---

(١) نزهة الأبصار بطرائف الأخبار والأشعار عبد الرحمن بن درهم ص/٣٦

وشذور تبرأم جمان قلائد ... تزهو وتزهو في مقلد جؤذر؟

أم هذه ألفاظ مولى ماجد ... ورث البلاغة أكبر عن أكبر؟

يزري بنظم الدهر باهر نظمه ... ويفوق مكسره مذاب السكر

فلشعرة الشعري العبور تضاءلت ... كرها وودت أنها لم تظهر

والنثرة العليا هوت من نثره ... خجلا وقالت ليته لم ينثر

قد أعجز البلغاء معجز أحمد ... فأقر أكثرهم بعجز مقصر

يا مهديا لي من ستي نظامه ... ونشاره درا بهي المنظر

شكرا لفضلك شكر ممنون فقد ... حليت جيدي من نظام الجوهري

فراجعني بقوله:

يا مهديا وشي الربيع المزهر ... بل روضة تزهو بحسن المنظر

غناء باكرها الحيا وتفتحت ... أزهارها غب السحاب الممطر

ردت لنا من بشرها زمن الصبا ... وشممت منها طيب تلك الأعصر

ارتاح سكرا من سلافة لفظها ... وهي المصونة عن خمار المسكر

لله درك من همام بارع ... في كل فن غنية المستخبر

ما هذه الدرر التي أبرزتها ... شبه المجرة في خلال الأسطر

لا غرو أن ساد الأنام بفضله ... من كان ندبا من سلالة حيدر

من معشر شم الأنوف وليدهم ... أدنى محل خطاه فوق المشتري

حاز المروءة **والفتوة** والسخا ... والعلم والتقوى وطيب العنصر

فليهنك الشرف الرفيع ومجدك ... العالي المنيع وحسن قول المخبر

واسلم ودم في عزة وخلالة ... باد علاك على ممر الأدهر

قال مؤلف ((السلافة)) : ومن شعرة مادحا والدي رحمه الله بقوله:

كلما غنت على الدوح الحمام ... هيجت أشواق قلبي المستهام

ذكرته ساجعات المنحنى ... وربي نجد وهاتيك الخيام." (١)

"فدع لجج التعنيف وابك بذي اللوى ... ديارا كأنها للتقادم مهرق

أحالت مغانيها السنون فأصبحت ... قوى لهريق الودق والريح مخرق

وقفت بها والقلب بالوجد موثق ... كفيت الردى والجفن بالدمع مطلق

أناشد بينونة الحي من جوى ... بقلب إذا هب النسائم يخفق

---

(١) نزهة الأبصار بطرائف الأخبار والأشعار عبد الرحمن بن درهم ص/١٨٣

شج تتصاباه الصبا وتلوعه الجنو ... ب ويشجوه الحمام المطوق

إلى الله أفعال الليالي بها وبي ... لقد كنت منها دائم الدهر أفرق

فسم سمة الصبر الجميل لعلها ... تذيل فإن لم تغن فالصبر أخلق

فلو سلمت من حادث الدهر دمنة ... تمطى على هام الدهور الخورنق

وممن نقل عنه في ((السلافة)) عفيف الدين عبد الله بن الحسين جاشل، الثقفي، قال في حقه: ثقفي النسب، مثقف قناة الحسب، برى نبعة طبعه بالمروءة وثقف، وجرى إلى آماد الفتوة وما توقف، وخطب عرائس الكرم والوفا، فبنى عليه بالبنين والرفا إلى أخلاق أقطعها الروض أنفاسه، وشيم يتنافس فيها رغبة ونفاسه، وله شعر تأخذ محاسنه السالمة من التصنيع بمجامع القلوب وفق ما قيل:

حسن الحضارة مجلوب بتطرية ... وفي البداوة حسن غير مجلوب

وكم أنشد الأسماع حاله المطرب:

ولست بنحوي يلوك لسانه ... ولكن سيلقي أقول فأعرب

وقد اثبت له ما نغتبقه راحا ونملا بلطافته ومحاسنه راحا فمن ذلك قوله مراجعا للأخ الأعز السيد محمد يحي عن قصيدة كتبها إليه:

سقى طللا بين الأجارع واللوى ... وحيا زمانا لم نرع فيه بالنوى

وريعا لأيام هناك سوالف ... قضينا بها عصر الشبيبة والهوى

بظل جناب والندامى عصابة ... كرام المساعي ترغم الخصم إن غوى

على السفح ما بين القصير إلى الحمى ... إلى الحصن نطوي الود عنا وما انطوى

ليالي لا تخطي سهام رميتي ... ولا عاقني الوالي الغيور إن زوى

وأصبحت يثنيني الحجى عن هويتي ... ويمنعني دهر تمادى وما ارعوى

ولله كم من يوم دجن وصلته ... بليل على الربع الجنوبي وما حوى

وساعات أنس كلما عن ذكرها ... يهيجن فرط الصبابة والجوى

لكل غضيض الطرف أحوى إذا رنا ... سباك النهى والصبر واستأثر القوى

إذا افتر عن ثغر حكى الدر نظمه ... وإن لاح قلت الشمس في خط الاستوا

يشير فأدري ما يقول برمزه ... فأقضي على ما في هواه بما نوى

عليهم بعلات الغواني وطبها ... ومفتي الندامى في محاورة الهوى

جريت على طرق الغرام كما جرت ... مواهب يحي في النوال بما أحتوى

فتى فيه للراجي مخائل تقتفى ... على أنه حامي الكتيبة واللوا

نماه إلى العليا أكارم سادة ... مآثره مشهورة لمن ارتوى

أيا ابن الذي أحيا الندى بعد موته ... وشيد ربع المجد من بعد ما هوى

وصنو الذي يبدو لذي الحدس أنه ... إمام هدى عن ذروة العز ما لوى

أتاني من نادي علاك جريدة ... تضمن معناها الحريري بما روى

تخبر عن صب ضنين بظبية ... محجبة تحكي غزالا بذي طوى

فحسبك دين الحب دينا فإنه ... ترقى بأرباب القلوب عن السوى

ولا تبتئس من قول لاح ولائم ... لعمرك ما ضل المحب وما غوى

إليك عماد الدين عقدا يصوغه ... هوى لكم بين الجوانح قد ثوى

ودم وابق واسلم ما ترنم طائر ... وما زمزم الحادي بمنعرج اللوى

وله أيضا مراجعا له عن أبيات كتبها إليه:

خليلي هل رند الحجاز على علمي ... وهل ربرب الوادي مقيم على السلم

وهل أثلاث الواديين أنيقة ... تعهدها الغولان غب الحيا الوسمي

وهل ربرب الربع الحنوبي ثابت ... على ما مضى أم قد تمادى على صرمي

رعى الله هاتيك المنازل إنها ... وإن بعدت شوقي إليها انتضى عزمي

معاهد أنس كلما عن ذكرها ... لقلبي ترى عيني مدامعها تهمي

فما ساعدت ورق الحمام أخا أسى ... ولا روحت ريح الصباعن أخي هم

فيا مربع الترحال قل لابن أحمد ... ربيب العلى يحيى وترب الندى المسمي

أتاني من نادي علاك رسالة ... نفثت بها كلمي وزدت بها سقمي

تضمن من خمسين يوم شكاية ... فما الحب إلا ما يمض وما يصمي." (١)

"فكيف بمن قاسى سنين من النوى ... وراح من الهجران جلدا على عظم

فأحلى الهوى ما عز منه وعذبه ... منادمة الأحباب من بارد الظلم

ودم وابق يا نجل الملوك معظما ... ولا زلت كنزا للمكارم والحزم

قال أبن معصوم وكتبت إليه معاتبا:

أناس عفيف الدين أم أنت ذاكر ... عهودا سقتهن العهاد البواكر

ومثلك من لم ينس عهدا وإنما ... هو الدهر لا يلفى على الدهر ناصر

وما أنت ممن يبخس الود عنده ... ولكن قضاء أوجبته المقادر

أورم لك العذر الجميل مصححا ... وفاك وقد كادت تضيق المعاذر

أعيذك أن أمسي لودك عامرا ... ويصبح ودي وهو عندك داثر

---

(١) نزهة الأبصار بطرائف الأخبار والأشعار عبد الرحمن بن درهم ص/١٨٧

أنا لك أصل في المروءة طاهر ... وفصل بأنواع **الفتوة** ظاهر

وإن تنسك الأيام عهدي فإنني ... وحقك للعهد القديم لذاكر

إليك أخا الهيجاء نفثة موجع ... رآك لها أهلا فهل أنت شاكر؟

ودم وابق واسلم ما تألق بارق ... وهب نسيم واستهلت مواطر

فراجعني بقوله:

أبا حسن قلبي بودك عامر ... ولم يخل من ذكراكم منه خاطر

ولولا مراعاة الزمان وأهلة ... لما عاقني بعد ولا صد زاجر

ولكن لأحوال الزمان معاذر ... إذا كان هذا الدهر ممن نحاذر

أعيذك لا يخطر ببالك أنني ... سلوت وإن الود عندي داثر

أبي الله والمجد من قول قائل ... فلان لميثاق الأحبة غادر

وقد تقبل العذر الخفي تكرما ... فما بال عذري واقف وهو مسافر؟

إليك أبا منصور عذرا تجمجمت ... به نفثات الود وهي حواسر

تجشمها فإني عن جوابك محجم ... ومعتذر عنه فقل أنا عاذر

وممن نقل عنه صاحب ((السلافة)) إبراهيم ن يوسف المهتار الملكي، قال في حقه: شاعر بذيء اللسان،كثير الإساءة قليل الإحسان، وقد نقل من محاسن شعره مقاطيع جيدة تدل على جودة شعرة، وإنه ليس بدون من نقل عنه، ولكن للناس فيما يعشقون مذاهب، وقد ذكر له قصيدة قالها لما وقع البيت المعظم وهي:

ماجت قواعد بيت الله واضطربت ... واهتزت الأرض من أقطارها وربت

وأمست الكعبة الغراء واقعة ... مما أشك بأن الساعة أقتربت

فأي خطب به أحشاؤنا انصدعت ... وأي هول به ألبابنا سلبت

وأي دهر لقينا من نوائبه ... ما لو على الشامخات الشم لا نسربت

إنا إلى الله من دنيا منغصة ... أيامها مستردات لما وهبت

أبدت عجائب لا تقوى العقول لها ... وأي نفس من الأيام ما عجبت

هي التي لعبت جدت وفت غدرت ... قست ألانت أبت دانت نأت قربت

كم رام أهل النهى من قبل أعصرنا ... صفوا لعيشهم من شوبها فأبت

وكم أرادوا بإدراك ومعرفة ... تقويم منآدها بالرأي فاضطربت

فما نرجي وقد ولت بشاشتها ... وأوجه الأنس من لذاتها شحبت

ما بعد منظر بيت الله منهدما ... تلقى حشاشة حر في البقا رغبت

فأي عين على ما كان ما انسكبت ... وأي روح على ما صار ما وصبت؟

لهفي على كعبة الله التي افترقت ... أحجارها بعدما في حبها اصطحبت
لهفي على تلكم الأستار كيف غدت ... أيدي سبا وبوحل السحب قد سحبت
لهفي على تلكم الآثار كيف عفت ... وكيف جذت حبال الوصل واقتطفت
لهفي على تلكم الأطفال كيف قضت ... وكيف جذت حبال الوصل واقتضبت
لهفي على تلكم الأقمار ما شرقت ... بالماء إلا بآفاق الثرى غربت
لهفي ولست لعمري منشدا أبدا ... سقى منى وليالي الخيف ما شربت
فكم بأكنافها من مهجة ذهبت ... وكم جنوب على ساحتها وجبت
وكم بذلك من ذكرى ومعتبر ... لمن تذكر لكن النهى عزبت
يا خالق الخلق عفوا عن جرائمنا ... فخوف أنفاسنا مما قد ارتكبت
وقوله من صدر قصيدة:
قف بالمعاهد من ميثاء ملحوب ... شرقي كاظمة فالجزع فاللوب
واستلمح البرق إذ تهفو لوامعه ... على النقاهل سقى حي الأعاريب
يا حبذا إذ بدا يفتر مبتسما ... أعلى الثنية من شم الشناخيب
والجو مضطرم الأحشاء يحسبه ... بردا أصيب حواشيه بالهوب
يا بارقا لاح وهنا من ديارهم ... كأنه حين يهفو قلب مرعوب." (١)
"وثنى عنه الظبا مخمورة ... والكؤوس الروس والدم المداما
قلب الطرف به فكرا تجد ... ديمة تجري وضرغاما شهاما
وأخا الفضل إذا ما انسجمت ... سحبه أخجل سحبان نظاما
أبحر الدنيا إذا ما سجلت ... جوده أقعدها الفخر وقاما
لو أتاه يوم حشر سائل ... وهو لا يملك إذ ذاك حطاما
لتلقاه بأعلى همة ... وحباه بالذي صلى وصاما
أيها المولى الذي من ربه ... سمي المولى وسميت الغلاما
لا تضعني وأجد تربيتي ... تلفني إذ صدق الجد تماما
واهن بالعيد الذي أنت بنا ... مثله في الدهر فضلا واحتراما
والقه شكرا ببشر إذ أتى ... بعد أن صمت فوفيت الصياما
واسم واسلم بالمعالي مقصدا ... نحوك الخلق رجاء تترامى
وقال أيضا وهي قصيدة تشتمل على أنواع من البديع:

---

(١) نزهة الأبصار بطرائف الأخبار والأشعار عبد الرحمن بن درهم ص/١٨٨

قلبي وطرفك منصوب ومكسور ... كلاهما مطلق منا ومأسور

ناديت دمع جفوني كي ترحمه ... يا مستغاثي مالي عنك تحذير

حاكى فؤادي منك الوجه وافترقا ... فذاك نار لتعذيبي وذا نور

قدري وقدرك مخفوض ومنتصب ... والثغر والدمع منظوم ومنثور

بخفض قدري فيك الناس تعرفني ... وهكذا الحب تعريف وتنكير

قد أعرب الحب نحوا بيننا حسنا ... فالشعر والشعر مرفوع ومجرور

يا طرف من نبهت قلبي محاسنه ... ذكري كسيفك في الآفاق مشهور

ينجاب ذو الجهل عني حين يبصرني ... كأنما أنا صبح وهو ديجور

لو رمت فخرا على المحبوب قلت له ... دمعي وثغرك ياقوت وبلور

أصناف جونة عطار بطالعته ... فحاله عنبر والخد كافور

أقام سوق الهوى خد له أبدا ... لحبة القلب فيه اليوم تعسير

لا ترج مني امتناعا عن محبته ... له على فلك المريخ تدوير

أبدى ضروب بديع طرفه فله ... في فتية العشق تصريح وتشطير

حمت لواحظه معسول ريقته ... ياكوثرا منعتنا ورده الحور

تقول إن صدقتنا القول مقلته ... يا محرمي العشق إني كعبة زوروا

قد أخلصت كيمياء الحب وجنته ... كأنها للهوى العذري إكسير

لو لم يكن كيمياء ما تسير لل ... أنفاس والدمع تصعيد وتقطير

يحيا بجعفر دمع فضل وفي ... أنا الرشيد به والقلب مسرور

يا دمع مقلتي الكشاف أنت لفي ... تقدير للحب تأويل وتفسير

وسعت للدمع أشكالا خلفت بها ... اقليدسا ولها في الخد تحرير

لله مجلسا الغصن يعطفه ... من نسمة الصبح تقديم وتأخير

والنهر جسم بثوب الزهر ملتحف ... والزهر برد من الريحان مسرور

فصل الربيع إذا ما العشق وافقه ... القلب فيه وللأشجار تقطير

وللسماء التباس بالرياض لما ... حكت كواكبها منها التصاوير

والزهوة الورد والسعد الشقائق وال ... مجمرة النهر والجوزاء منثور

تصرفت بي أيامي لتنقصني ... فما تغيرت والتصريف تغيير

لا ينفع المرء تدبير يهذبه ... إلا إذا عضد التدبير تقدير

شعر

محمد عبد الله النجفي ومن رجال (السلافة) أيضا الشيخ محمد بن عبد الله النجفي المالكي من ذرية مالك بن الأشتر، قال

في حقه: ذو النسب الأشتري، والأدب البحتري، سماء فضل مشرق البروج، وحديقة أدب مزهزة المروج، وطود حلم لا تزعزعه الرياح، وبحر علم لا يغبض لممتاح، طلع في سماء البيان سراجا، وعلا في السبع الطباق منها معراجا، ونه إلى معاقل المعاني ببلاغته ففتحها، وشرع أرشية أقلامه إلى قلب البديع فمتحها، ونظم في أسلاك القريض دره المنتقى، وأجرى سلسال ترسله ين العذيب والنقى إلى أخلاق وشمائل، قال منها في رياض وخمائل، وصفاء سريرة وضمير، كرع منه في عذب نمير، إن ذكرت **الفتوة** فهو شيخها وفتاها، أو المروة فهو مصيفها ومشتاها، ولقد عاشرته سفرا وحضرا، فألفيته على العسر كما قال الشنفرى:

فلا جزع من خلة متكشف ... ولا رمح تحت الغنى متخيل

ثم ذكر من نثره ما تهتز له الأعطاف طربا، وترشفه الأذواق ضربا وأثبت من شعره ما كتبه من أصبهان إلى أصحابه بالعزي:

أيا ريح هل باكرت حي بني بكر ... فقد هاج شوقي ما بطيك من نثر." (١)

"**الفتوة** (ولا

تكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة) بالنحل: ٩٢] وقولوا له عند الغاية قد جئناك بآية ولا تهابوا الجيش وإن كبر سيهزم الجمع ويولون الدبر ولا تظنوا من ظاهر الأمر حلول البلوى (إذ أنتم بالعدوة الدنيا وهم بالعدوة القصوى) [الأنفال: ٤٢] بل قاتلوهم قتال المستشهدين (وليجدوا فيكم غلظة واعلموا أن الله مع المتقين) [التوبة: ١٢٣] وإذا اشتبك القتال فليدب كل منكم على مولاه (وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله) [الأنفال: ٦١] فسيروا ودعوا الأولاد والجنة (وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة) [آل عمران: ١٣٣] ولا تسألوا عن الميرة من أصله (وإن خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله) [التوبة: ٢٨] فإن الله قد أثاركم لقتال العذال العائبين (ليقطع طرفا من الذين كفروا أو يكبتهم فينقلبوا خآئبين) [آل عمران: ١٢٧] واحملوا عليهم فإنهم متى طعنوا في جنوبهم رضوا أن يكونوا مع الخوالف (وطبع الله على قلوبهم) [التوبة: ٩٣] ولا تدبروا إذا رأيتموهم قدامكم (إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم) [محمد: ٧] وإن أخذتم أسرى فقاتلوا أنصارها (فإما منا بعد وإما فدآء حتى تضع الحرب أوزارها) [محمد: ٤] فإن أطعتم رفعتم وأصلح الله بالكم (وإن تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم) [محمد: ٣٨]." (٢)

"(ا) إن موسى بعد أن أنزلت عليه التوراة وكلمه الله بلا واسطة، وحج خصمه بالمعجزات العظيمة التي لم يتفق مثلها لأكثر الأنبياء- يبعد أن يبعثه الله بعد ذلك ليستفيد علما من غيره- ورد هذا بأنه لا يبعد بأن العالم الكامل فى أكثر العلوم يجهل بعد أشياء، فيحتاج فى تعلمها إلى من دونه، وهذا مشاهد معلوم.

(ب) إن موسى عليه السلام بعد خروجه من مصر وذهابه إلى التيه توفى ولم يخرج قومه منه إلا بعد وفاته، ولو كانت هذه القصة معه لا قتضت خروجه من التيه، لأنها لم تكن وهو فى مصر بالاتفاق.

(ح) إنها لو كانت معه لا قتضت غيبته أياما، ولو كان كذلك لعلمها الكثير من بنى إسرائيل الذين كانوا معه ونقلت لتوافر

---

(١) نزهة الأبصار بطرائف الأخبار والأشعار عبد الرحمن بن درهم ص/٢٢٤

(٢) جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب أحمد الهاشمي ١٢٢/١

الدواعي على نقلها، ولم يكن شيء من ذلك، فإذا لم تكن معه- ورد هذا بأنه قد يكون موسى عليه السلام خرج وغاب أياما، لكن لم يعلموا أنه ذهب لهذا الغرض، بل ذهب ليناجي ربه، ولم يقفهم على حقيقة غيبته بعد أن رجع، لعلمه بقصور فهمهم، فخاف من حط قدره عندهم، فأوصى فتاه بكتمان ذلك.

وعلى الجملة فإنكارهم لا يؤبه به، وهو جائز عقلا وقد أخبر به سبحانه رسوله (٢) من فتاه؟

فتى موسى- هو يوشع بن نون بن إفرائيم بن يوسف عليه السلام، وقد كان يخدمه ويتعلم منه، والعرب تسمى الخادم فتى، لأن الخدم أكثر ما يكونون فى سن الفتوة كما يطلقون على العبد فتى،

وفى الحديث الصحيح «ليقل أحدكم فتاى وفتاتى، ولا يقل عبدى وأمتى»

وهذا من محاسن الآداب الشرعية.

(٣) من الخضر؟

الخضر (بفتح الخاء وكسرها وكسر الضاد وسكونها) لقب لصاحب موسى، واسمه بليا (بفتح الباء وسكون اللام) ابن ملكان، والأكثرون على أنه كان نبيا، ولهم على ذلك أدلة:." (١)

"أي: أقلع عنه وامتنع والمراد انتهى ميله، والتعرية الإزالة يريد أنه ترك ما كان يرتكبه زمن الحب من الجهل والغي وأعرض عن معاودة ما كان منصرف إليه من اللهو فبطلت الآلات التي كان يستعملها.

فقد شبه الصبا بجهة من جهات المسير كالحج والتجارة، قضى منها حاجاته، فبطلت آلاته تشبيها مضمرا في النفس واستعارة الجهة للصبا وحذفها ورمز إليها بشيء من لوازمها وهي الأفراس والرواحل، فالجهة هي المكنية عند الجمهور، وإثبات الأفراس والرواحل لها تخييلية، والأفراس والرواحل مستعملان في حقيقتهما عندهم أيضا، أما عند السكاكي فيجوز أن تكون الأفراس والرواحل استعارة تحقيقية إن أراد بها دواعي النفس وشهواتها والقوى الحاصلة لها في استيفاء اللذات، أو أريد بها أسباب اتباع الغي من المال والأعوان لتحقق معناها عقلا إن أريد منها الدواعي، أو حسا إن أريد منها الأسباب، وعلى هذا فالمراد بالصبا زمان الشباب، ويجوز أن تكون تخييلية إن جعلت الأفراس والرواحل مستعارة لأمر وهمي تخيل للصبا من الصبوة وهو الميل إلى الجهل والفتوة.." (٢)

"السيد المحسن بن المؤيد بن المتوكل

السيد العلامة المحسن ابن الإمام المؤيد بالله محمد ابن المتوكل على الله إسماعيل ابن الإمام القاسم بن محمد الحسني وأخذ عن السد العلامة الحسين بن احمد زبارة وغيره من أكابر علماء عصره وكان عالما جليلا عظيما ورئيسا للأعلام فخيما حسن الأخلاق وكان قاضى القضاة في ايام المتوكل على الله القاسم بن الحسين وولده المنصور الحسين وله شغلة بقضاء حوائج المسلمين واسداء المعروف إلى المؤمنين ومات في سنة ١١٤١ احدى وأربعين ومائة وألف رحمه الله وإيانا والمؤمنين

---

(١) تفسير المراغي المراغي، أحمد بن مصطفى ١٧٢/١٥

(٢) علوم البلاغة البيان، المعاني، البديع المراغي، أحمد بن مصطفى ص/٢٧٤

آمين

السيد محسن بن محمد فايع الصنعانى

السيد الماجد الكريم التقى محسن بن محمد بن على فايع الصنعانى وكان حسن الأخلاق واسع المروءة رفيع السيادة **والفتوة** كريم الطباع مفضالا بذل نفسه في معاونة الفقراء والمساكين والوافدين إلى الخلفاء وأتعب خاطره في الطلب لهم وتفقد أحوالهم والسعى في قضاء حوايجهم وعلاج مرضاهم والقيام بموءنتهم وجعلت بنظره صدقات وصلات فبالغ في التحرى عليها وإنفاقها في وجوه الخير وعمر المساجد العجيبة وزاد في بعضها زيادة محتاج إليها واعتنى بدرسة القرآن وأهل المنازل وجعل لهم راتبا معلوما خصوصا في شهر رمضان وتعلق بأعمال دولية ولكنه مال التعلق بباب الخير وله الزيادة الواسعة النافعة في مسجد الفليحى بصنعاء وكان يضيق بالمصلين فأنفق عليه جل ماله وبنى لله مسجدا في ساحة سمرة معمر بصنعاء عمره في آخر أيامه ووقف له وللزيادة في مسجد الفليحى وقفا واسعا وكان كثيرا العوارض والأمراض متلقيا لها بالقبول." (١)

"ولئن نطقت بشكر برك مفصحا ... فلسان حالي بالشكاية أنطق١

فإنه شبه الحال الدالة على المقصود بإنسان متكلم في الدلالة؛ فأثبت لها اللسان الذي به قوام الدلالة في الإنسان٢.

وأما قول زهير:

صحا القلب عن سلمى وأقصر باطله ... وعري أفراس الصبا ورواحله٣

فيحتمل أن يكون استعارة تخييلية، وأن يكون استعارة تحقيقية؛ أما التخييل فأن يكون أراد أن يبين أنه ترك ما كان يرتكبه أوان المحبة من الجهل والغي، وأعرض عن معاودته؛ فتعطلت آلاته كأي أمر وطنت النفس على تركه؛ فإنه تهمل آلاته فتتعطل، فشبه الصبا بجهة من جهات المسير -كالحج والتجارة- قضي منها الوطر فأهملت آلاتها، فتعطلت٤، فأثبت له الأفراس والرواحل٥؛ فالصبا على هذا من الصبوة بمعنى الميل إلى الجهل **والفتوة**، لا بمعنى الفتاء٦. وأما التحقيق فأن يكون أراد بالأفراس والرواحل دواعي النفوس وشهواتها، والقوى الحاصلة لها في استيفاء اللذات، أو الأسباب التي قلما تتآخذ في اتباع الغي إلا أوان الصبا٧.." (٢)

"وشرط من أكرم بالنبوة ... حرية ذكورة كقوة (١)

ولا تنال رتبة النبوة ... بالكسب والتهذيب **والفتوة** (٢)

---

(١) أي: وشرط كل إنسان أكرم بالنبوة، من النبأ، أي: الخبر، لأنه يخبر عن الله، أو النبوة، وهو الارتفاع، لارتفاع رتبته، حرية خبر المبتدأ، لأن الرق وصف لا يليق بمقام النبوة؛ ذكورة؛ لقوله تعالى: ﴿وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا نوحي إليهم﴾ [النحل: ٤٣] فأثبتها للرجال دون النساء، لاقتضاء الرسالة الاشتهار بالدعوة؛ كقوة أي: كما يعتبر فيمن أكرمه الله بالنبوة،

---

(١) الملحق التابع للبدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع مُحَمَّد زَبَارَة ٢/١٩٢

(٢) بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة عبد المتعال الصعيدي ٣/٥٢٢

أن يكون قويا بأعباء ما حمل من ثقل النبوة، والقوة عند الضعف.

والله سبحانه وتعالى، أعلم حيث يجعل رسالته أصلا وميراثا، فليس كل أحد أهلا ولا صالحا لتحمل رسالته، بل لها محال مخصوصة لا تليق إلا بها، ولا تصلح إلا لها، والله أعلم بهذه المحال منكم، ولكن جرت عادة الله في إرسال الرسل: أنه لم يبعث نبيا ولا رسولا، إلا رجلا حرا قويا، في أشرف منسب أمته، حسن الخلق والخلق، ليسهل عليه تحمل الخلق من أشرف أفراد النوع الإنساني، من كمال العقل، والذكاء، والفطنة وقوة الرأي، قال تعالى: ﴿الله يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس﴾ [الحج: ٧٥] .

(٢) أي: ولم تعط منزلة النبوة بالكسب والاجتهاد، وتكلف أنواع

العبادة، ولا بالتهذيب: تنقية البدن، وتصفية الأخلاق،

والاتصاف بالفضائل؛ ولا **بالفتوة** وكرم النفس، وتخليصها من الأوصاف المذمومة، إلى الأوصاف الممدوحة.." [١]

"المجال، وأحجم عن الزج بسية قوسي في هذا النضال. اتقاء ما عسى أن يعرض له المرء نفسه من متاعب تنوء بالقوة، أو فلتات سهام الفهم وإن بلغ ساعد الذهن كمال **الفتوة**، فبقيت أسوف النفس مرة ومرة أسومها زجرا، فإن رأيت منها تصميما أحلتها على فرصة أخرى، وأنا آمل أن يمنح من التيسير، ما يشجع على قصد هذا الغرض العسير، وفيما أنا بين إقدام وإحجام، أتخيل هذا الحقل مرة القتاد وأخرى الثمام إذا أنا بأملي قد خيل إلي أنه تباعد أو انقضى، إذا قدر أن تسند إلي خطة القضا (١) ، فبقيت متلهفا ولات حين مناص، وأضمرت تحقيق هاته الأمنية متى أجمل الله الخلاص، وكنت أحادث بذلك الأصحاب والإخوان، وأضرب المثل بأبي الوليد ابن رشد في كتاب «البيان» (٢) ، ولم أزل كلما مضت مدة يزداد التمني وأرجو إنجازه، إلى أن أو شك أن تمضي عليه مدة الحيازة، فإذا الله قد من بالنقلة إلى خطة الفتيا (٣) ، وأصبحت الهمة مصروفة إلى ما تنصرف إليه الهمم العليا، فتحول إلى الرجاء ذلك اليأس، وطمعت أن أكون ممن أوتي الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها الناس (٤) . هنا لك عقدت العزم على تحقيق ما كنت أضمرته، واستعنت بالله تعالى واستخرته، وعلمت أن ما يهول من توقع كلل أو غلط، لا ينبغي أن يحول بيني وبين نسج هذا النمط، إذا بذلت الوسع من الاجتهاد، وتوخيت طرق الصواب والسداد.

أقدمت على هذا المهم إقدام الشجاع على وادي السباع (٥) متوسطا في معترك أنظار

---

(١) في ٢٦ رمضان ١٣٣١ هـ والقضاء هنا بالقصر لمراعاة السجع.

(٢) حيث ذكر أنه شرع فيه، ثم عاقه عنه تقليد خطة القضاء بقرطبة فعزم على الرجوع إليه إن أريح من القضاء، وأنه عرض عزمه على أمير المؤمنين علي بن يوسف ابن تاشفين، فأجابه لذلك وأعفاه من القضاء ليعود إلى إكمال كتابه «البيان والتحصيل» وهذا الكتاب هو شرح جليل على كتاب «العتبية» الذي جمع فيه العتبي سماع أصحاب مالك منه، وسماع أصحاب ابن القاسم منه.

---

[١] حاشية الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية عبد الرحمن بن قاسم ص/١٠٠

(٣) في ٢٦ رجب ١٣٤١ هـ.

(٤) أردت الإشارة إلى الحديث: «لا حسد إلا في اثنتين» لأنه يتعين أن لا يكون المراد خصوص الجمع بين القضاء بها وتعليمها، بل يحصل المقصود ولو بأن يقضى بها مدة، ويعلمها الناس مدة أخرى.

(٥) وادي السباع موضع بين مكة والبصرة وهو واد قفر من السكان تكثر به السباع قال سحيم بن وثيل:

مررت على وادي السباع ولا أرى ... كوادي السباع حين يظلم واديا

أقل به ركب أتوه تئية ... وأخوف إلا ما وقى الله ساريا." (١)

"وتأكيد الجملة بحرف التأكيد لقطع إلحاحهم بتحقيق أن حزنه لفراقه ثابت، تنزيلا لهم منزلة من ينكر ذلك، إذ رأى إلحاحهم. ويسري التأكيد إلى جملة وأخاف أن يأكله الذئب.

فأبوا إلا المراجعة قالوا: لئن أكله الذئب ونحن عصبة إنا إذا لخاسرون.

واللام في لئن أكله موطئة للقسم، أرادوا تأكيد الجواب باللام. وإن ولام الابتداء وإذن الجوابية تحقيقا لحصول خسرانهم على تقدير حصول الشرط. والمراد:

الكناية عن عدم تفريطهم فيه وعن حفظهم إياه لأن المرء لا يرضى أن يوصف بالخسران.

والمراد بالخسران: انتفاء النفع المرجو من الرجال، استعاروا له انتفاء نفع التاجر من تجره، وهو خيبة مذمومة، أي إنا إذن لمسلوبون من صفات الفتوة من قوة ومقدرة ويقظة. فكونهم عصبة يحول دون تواطيهم على ما يوجب الخسران لجميعهم. وتقدم معنى العصبة آنفا، وفي هذا عبرة من مقدار إظهار الصلاح مع استبطان الضر والإهلاك.

وقرأ الجمهور بتحقيق همزة الذئب على الأصل. وقرأه ورش عن نافع، والسوسي عن أبي عمرو، والكسائي بتخفيف الهمزة ياء. وفي بعض التفاسير نسب تخفيف الهمزة إلى خلف، وأبي جعفر، وذلك لا يعرف في كتب القراءات. وفي البيضاوي أن أبا عمرو أظهر الهمزة في التوقف، وأن حمزة أظهرها في الوصل.." (٢)

"وجعل الثناء على إبراهيم- عليه السلام- مقدمة لذلك لبيان أن فضل الإسلام فضل زائد على جميع الأديان بأن مبدأه برسول ومنتهاه برسول. وهذا فضل لم يحظ به دين آخر.

فالمقصود بعد هذا التمهيد وهاته المقدمة هو الإفضاء إلى قوله: ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم حنيفا [سورة النحل: ١٢٣] ، وقد قال تعالى في الآية الأخرى: ملة أبيكم إبراهيم هو سماكم المسلمين من قبل [سورة الحج: ٧٨] .

والأصل الأصيل الذي تفرع عنه وعن فروعه هذا الانتقال ما ذكر في الآية قبلها من تحريم أهل الجاهلية على أنفسهم كثيرا مما أنعم الله به على الناس.

ونظرهم باليهود إذ حرم الله عليهم أشياء، تشديدا عليهم، فجاء بهذا الانتقال لإفادة أن كلا الفريقين قد حادوا عن الحنيفية التي يزعمون أنهم متابعوها، وأن الحنيفية هي ما

---

(١) التحرير والتنوير ابن عاشور ٦/١

(٢) التحرير والتنوير ابن عاشور ٢٣٢/١٢

جاء به الإسلام من إباحة ما في الأرض جميعا من الطيبات، إلا ما بين الله تحريمه في آية قل لا أجد في ما أوحي إلي محرما [سورة الأنعام: ١٤٥] الآية.

وقد وصف إبراهيم- عليه السلام- بأنه كان أمة. والأمة: الطائفة العظيمة من الناس التي تجمعها جهة جامعة. وتقدم في قوله تعالى كان الناس أمة واحدة في سورة البقرة [٢١٣] . ووصف إبراهيم- عليه السلام- بذلك وصف بديع جامع لمعنيين:

أحدهما: أنه كان في الفضل والفتوة والكمال بمنزلة أمة كاملة. وهذا كقولهم: أنت الرجل كل الرجل، وقول البحتري:

ولم أر أمثال الرجال تفاوتا ... لدى الفضل حتى عد ألف بواحد

وعن عمر بن الخطاب- رضي الله عنه- أن النبيء صلى الله عليه وسلم قال «معاذ أمة قانت لله» .." (١)

"وأوى أويا إلى المكان: جعله مسكنا له، فالمكان: المأوى. وقد تقدم عند قوله تعالى: أولئك مأواهم النار بما كانوا يكسبون في سورة يونس [٨] .

والفتية: جمع قلة لفتى، وهو الشاب المكتمل. وتقدم عند قوله تعالى في سورة يوسف. والمراد بالفتية: أصحاب الكهف. وهذا من الإظهار في مقام الإضمار لأن مقتضى الظاهر أن يقال: إذ أووا، فعدل عن ذلك لما يدل عليه لفظ الفتية من كونهم أترابا متقاربي السن. وذكرهم بهذا الوصف للإيماء إلى ما فيه من اكتمال خلق الرجولية المعبر عنه بالفتوة الجامع لمعنى سداد الرأي، وثبات الجأش، والدفاع عن الحق، ولذلك عدل عن الإضمار فلم يقل: إذ أووا إلى الكهف.

ودلت الفاء في جملة فقالوا على أنهم لما أووا إلى الكهف بادروا بالابتهال إلى الله.

ودعوا الله أن يؤتيهم رحمة من لدنه، وذلك جامع لخير الدنيا والآخرة، أي أن يمن عليهم برحمة عظيمة تناسب عنايته باتباع الدين الذي أمر به، فزيادة من لدنك للتعلق بفعل الإيتاء تشير إلى ذلك، لأن في (من) معنى الابتداء وفي (لدن) معنى العندية والانتساب إليه، فذلك أبلغ مما لو قالوا: آتنا رحمة، لأن الخلق كلهم بمحل الرحمة من الله، ولكنهم سألوا رحمة خاصة وافرة في حين توقع ضدها، وقصدوا الأمن على إيمانهم من الفتنة، ولئلا يلاقوا في اغترابهم مشقة وألما، وأن لا يهينهم أعداء الدين فيصيروا فتنة للقوم الكافرين.

ثم سألوا الله أن يقدر لهم أحوالا تكون عاقبتها حصول ما خولهم من الثبات على الدين الحق والنجاة من مناوأة المشركين. فعبر عن ذلك التقدير بالتهيئة التي هي إعداد أسباب حصول الشيء.

و (من) في قوله: من أمرنا ابتدائية.." (٢)

"والأشد: سن الفتوة واستجماع القوى. وقد تقدم في [سورة يوسف: ٢٢] ولما بلغ أشده آتيناه حكما وعلما.

ووقع في [سورة المؤمن: ٦٧] ثم لتبلغوا أشدكم ثم لتكونوا شيوخا، فعطف طور الشيخوخة على طور الأشد باعتبار أن الشيخوخة مقصد للأحياء لحبهم التعمير، وتلك الآية وردت مورد الامتنان فذكر فيها الطور الذي يتملى المرء فيه بالحياة،

---

(١) التحرير والتنوير ابن عاشور ١٤/٣١٥

(٢) التحرير والتنوير ابن عاشور ١٥/٢٦٦

ولم يذكر في آية سورة الحج لأنها وردت مورد الاستدلال على الإحياء بعد العدم فلم يذكر فيها من الأطوار إلا ما فيه ازدياد القوة ونماء الحياة دون الشيخوخة القريبة من الاضمحلال، ولأن المخاطبين بها فريق معين من المشركين كانوا في طور الأشد، وقد نبهوا عقب ذلك إلى أن منهم نفرا يردون إلى أرذل العمر، وهو طور الشيخوخة بقوله: ومنكم من يرد إلى أرذل العمر.

وجيء بقوله ومنكم من يتوفى على وجه الاعتراض استقراء لأحوال الأطوار الدالة على عظيم القدرة والحكمة الإلهية مع التنبيه على تخلل الوجود والعدم أطوار الإنسان بدءا ونهاية كما يقتضيه مقام الاستدلال على البعث. والمعنى: ومنكم من يتوفى قبل بلوغ بعض الأطوار. وأما أصل الوفاة فهي لاحقة لكل إنسان لا لبعضهم، وقد صرح بهذا في سورة المؤمن [٦٧] : ومنكم من يتوفى من قبل.

وقوله ومنكم من يرد إلى أرذل العمر هو عديل قوله تعالى: ومنكم من يتوفى. وسكت عن ذكر الموت بعد أرذل العمر لأنه معلوم بطريقة لحسن الخطاب.." (١)

"و (أيما) منصوب ب قضيت. و (أي) اسم موصول مبهم مثل (ما) . وزيدت بعدها (ما) للتأكيد ليصير الموصول شبيها بأسماء الشرط لأن تأكيد ما في اسم الموصول من الإبهام يكسبه عموما فيشبه الشرط فلذلك جعل له جواب كجواب الشرط. والجملة كلها بدل اشتمال من جملة ذلك بيني وبينك لأن التخيير في منتهى الأجل مما اشتمل عليه التعاقد المفاد بجملة ذلك بيني وبينك.

والعدوان بضم العين: الاعتداء على الحق، أي فلا تعتدي علي. فنفى جنس العدوان الذي منه عدوان مستأجره. واستشهد موسى على نفسه وعلى شعيب بشهادة الله.

وأصل الوكيل: الذي وكل إليه الأمر، وأراد هنا أنه وكل على الوفاء بما تعاقدا عليه حتى إذا أخل أحدهما بشيء كان الله مؤاخذه. ولما ضمن الوكيل معنى الشاهد عدي بحرف علي وكان حقه أن يعدى ب (إلى) .

والعبرة من سياقة هذا الجزء من القصة المفتتح بقوله تعالى ولما توجه تلقاء مدين إلى قوله والله على ما نقول وكيل [القصص: ٢٢- ٢٨] هو ما تضمنته من فضائل الأعمال ومناقب أهل الكمال وكيف هيأ الله تعالى موسى لتلقي الرسالة بأن قلبه في أطوار الفضائل، وأعظمها معاشرة رسول من رسل الله ومصاهرته، وما تتضمنه من خصال المروءة **والفتوة** التي استكنت في نفسه من فعل المعروف، وإغاثة الملهوف، والرأفة بالضعيف، والزهد، والقناعة، وشكر ربه على ما أسدى إليه، ومن العفاف والرغبة في عشرة الصالحين، والعمل لهم، والوفاء بالعقد، والثبات على العهد حتى كان خاتمة ذلك تشريفه بالرسالة وما تضمنته من خصال النبوءة التي أبداها شعيب من حب القرى، وتأمين الخائف، والرفق في المعاملة، ليعتبر المشركون بذلك إن كان لهم اعتبار في مقايسة تلك الأحوال بأجناسها من أحوال النبيء صلى الله عليه وسلم فيهتدوا إلى أن ما عرفوه

(١) التحرير والتنوير ابن عاشور ٢٠١/١٧

به من زكي الخصال قبل رسالته وتقويم سيرته، وزكاء سريرته، وإعانته على نوائب الحق، وتزوجه بأفضل امرأة من نساء قومه، إن هي إلا خصال فاذة فيه بين قومه وإن هي إلا." (١)

"فأما رؤيتة زينب في بيت زيد إن كانت عن عمد فذلك أنه استأذن في بيت زيد، فإن الاستئذان واجب فلا شك أنه رأى وجهها وأعجبته ولا أحسب ذلك لأن النساء لم يكن يسترن وجوههن قال تعالى: ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها [النور: ٣١] (أي الوجه والكفين) وزيد كان من أشد الناس اتصالا بالنبيء، وزينب كانت ابنة عمته وزوج مولاه ومتبناه، فكانت مختلطة بأهله، وهو الذي زوجها زيدا، فلا يصح أن يكون ما رآها إلا حين جاء بيت زيد، وإن كانت الريح رفعت الستر فرأى من محاسنها وزينتها ما لم يكن يراه من قبل، فكذلك لا عجب فيه لأن رؤية الفجأة لا مؤاخذة عليها، وحصول الاستحسان عقب النظر الذي ليس بحرام أمر قهري لا يملك الإنسان صرفه عن نفسه، وهل استحسان ذات المرأة إلا كاستحسان الرياض والجنات والزهور والخيل ونحو ذلك مما سماه الله زينة إذا لم يتبعه النظار نظرة.

وأما ما خطر في نفس النبيء صلى الله عليه وسلم من مودة تزوجها فإن وقع فما هو بخطب جليل لأنه خاطر لا يملك المرء صرفه عن نفسه وقد علمت أن قوله: وتخشى الناس ليس بلوم، وأن قوله: والله أحق أن تخشاه ليس فيه لوم ولا توبيخ على عدم خشية الله ولكنه تأكيد لعدم الاكتراث بخشية الناس.

وإنما تظهر مجالات النفوس في ميادين **الفتوة** بمقدار مصابرتها على الكمال في مقاومة ما ينشأ عن تلك المرائي من ضعف في النفوس وخور العزائم وكفاك دليلا على تمكن رسول الله صلى الله عليه وسلم من هذا المقام وهو أفضل من ترسخ قدمه في أمثاله أنه لم يزل يراجع زيدا في إمساك زوجه مشيرا عليه بما فيه خير له وزيد يرى ذلك إشارة ونصحا لا أمرا وشرعا.

ولو صح أن زيدا علم مودة النبيء صلى الله عليه وسلم تزوج زينب فطلقها زيد لذلك دون أمر من النبيء عليه الصلاة والسلام ولا التماس لما كان عجبا فإنهم كانوا يؤثرون النبيء صلى الله عليه وسلم على

أنفسهم، وقد تنازل له دحية الكلبي عن صفية بنت حيي بعد أن صارت له في سهمه من مغانم خيبر، وقد عرض سعد بن الربيع على عبد الرحمان بن عوف أن يتنازل له عن إحدى زوجتيه يختارها للمؤاخاة التي آخى النبيء صلى الله عليه وسلم." (٢)

"تكون أن تفسيرية، أي شرع لكم وجوب إقامة الدين الموحى به وعدم التفرق فيه كما سيأتي. وأيا ما كان فالمقصود أن الإسلام لا يخالف هذه الشرائع المسماة، وأن اتباعه يأتي بما أتت به من خير الدنيا والآخرة.

والاقتصار على ذكر دين نوح وإبراهيم وموسى وعيسى لأن نوحا أول رسول أرسله الله إلى الناس، فدينه هو أساس الديانات، قال تعالى: إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيئين من بعده [النساء: ١٦٣] ولأن دين إبراهيم هو أصل الحنيفية وانتشر بين العرب بدعوة إسماعيل إليه فهو أشهر الأديان بين العرب، وكانوا على أثارة منه في الحج والختان والقرى **والفتوة**. ودين موسى هو أوسع الأديان السابقة في تشريع الأحكام، وأما دين عيسى فلأنه الدين الذي سبق دين الإسلام ولم يكن

---

(١) التحرير والتنوير ابن عاشور ١١٠/٢٠

(٢) التحرير والتنوير ابن عاشور ٣٦/٢٢

بينهما دين آخر، وليتضمن التهيئة إلى دعوة اليهود والنصارى إلى دين الإسلام. وتعقيب ذكر دين نوح بما أوحي إلى محمد عليهما السلام للإشارة إلى أن دين الإسلام هو الخاتم للأديان، فعطف، على أول الأديان جمعا بين طرفي الأديان، ثم ذكر بعدهما الأديان الثلاثة الأخر لأنها متوسطة بين الدينين المذكورين قبلها. وهذا نسج بديع من نظم الكلام، ولولا هذا الاعتبار لكان ذكر الإسلام مبتدأ به كما في قوله: إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيئين من بعده [النساء: ١٦٣] وقوله: وإذ أخذنا من النبيئين ميثاقهم ومنك ومن نوح الآية في سورة الأحزاب [٧] .

وذكر في «الكشاف» في آية الأحزاب أن تقديم ذكر النبيء صلى الله عليه وسلم في التفصيل لبيان أفضليته لأن المقام هنالك لسرد من أخذ عليهم الميثاق، وأما آية سورة الشورى فإنما أوردت في مقام وصف دين الإسلام بالأصالة والاستقامة فكأن الله قال: شرع لكم الدين الأصيل الذي بعث به نوحا في العهد القديم وبعث به محمدا صلى الله عليه وسلم في العهد الحديث، وبعث به من توسط بينهما.

فقوله: والذي أوحينا إليك هو ما سبق نزوله قبل هذه الآية من القرآن بما فيه من أحكام، فعطفه على ما وصى به نوحا لما بينه وبين ما وصى به نوحا من المغايرة بزيادة التفصيل والتفريع. وذكره عقب ما وصى به نوحا للنكتة التي تقدمت.." (١)

"عدا ذلك من أحوال الحياة فهو متاع قليل، ولذلك أعقب مثل الحياة الدنيا بالإخبار عن الآخرة بقوله: «في الآخرة عذاب» إلخ.

وافتتاح هذا بقوله تعالى: اعلموا للوجه الذي بيناه آنفا في قوله: اعلموا أن الله يحي الأرض بعد موتها [الحديد: ١٧] .

وأنما المفتوحة الهمزة أخت (إنما) المكسورة الهمزة في إفادة الحصر، وحصر الحياة الدنيا في الأخبار الجارية عليها هو قصر أحوال الناس في الحياة على هذه الأمور الستة باعتبار غالب الناس، فهو قصر ادعائي بالنظر إلى ما تنصرف إليه همم غالب الناس من شؤون الحياة الدنيا، والتي إن سلم بعضهم من بعضها لا يخلو من ملابسة بعض آخر إلا الذين عصمهم الله تعالى فجعل أعمالهم في الحياة كلها لوجه الله، وإلا فإن الحياة قد يكون فيها أعمال التقى والمنافع والإحسان والتأييد للحق وتعليم الفضائل وتشريع القوانين.

وقد ذكر هنا من شؤون الحياة ما هو الغالب على الناس وما لا يخلو من مقارفة تضييع الغايات الشريفة أو اقتحام مساو ذميمة، وهي أصول أحوال المجتمع في الحياة، وهي أيضا أصول أطوار آحاد الناس في تطور كل واحد منهم، فإن اللعب طور سن الطفولة والصبا، واللهو طور الشباب، والزينة طور **الفتوة**، والتفاخر طور الكهولة، والتكاثر طور الشيخوخة. وذكر هنا خمسة أشياء:

فاللعب: اسم لقول أو فعل يراد به المزح والهزل لتمضية الوقت أو إزالة وحشة الوحدة، أو السكون، أو السكوت، أو لجلب فرح ومسرة للنفس، أو يجلب مثل ذلك للحبيب، أو يجلب ضده للبغيض، كإعمال الأعضاء وتحريكها دفعا لوحشة السكون، والهذيان المقصود لدفع وحشة السكوت، ومنه العبث، وكالمزح مع المرأة لاجتلاب إقبالها ومع الطفل تحببا أو إرضاء له.

---

(١) التحرير والتنوير ابن عاشور ٢٥/٥١

واللعب: هو الغالب على أعمال الأطفال والصبيان فطور الطفولة طور اللعب ويتفاوت غيرهم في الإتيان منه فيقل ويكثر بحسب تفاوت الناس في الأطوار الأولى من الإنسان وفي رجاحة العقول وضعفها. والإفراط فيه من غير أصحاب طوره يؤذن بخسة العقل، ولذلك قال قوم إبراهيم له: أجئتنا بالحق أم أنت من اللاعبين [الأنبياء: ٥٥] .." (١)

"واللعب يكثر في أحوال الناس في الدنيا فهو جزء عظيم من أحوالها وحسبك أنه يعمر معظم أحوال الصبا.

واللهو: اسم لفعل أو قول يقصد منه التذاذ النفس به وصرفها عن ألم حاصل من تعب الجسد أو الحزن أو الكمد، يقال: لها عن الشيء، أي تشاغل عنه. قال امرؤ القيس:

وبيضة خدر لا يرام خباؤها ... تمتعت من لهو بها غير معجل

وقال النابغة يذكر حجه:

حياك ربي فإنا لا يحل لنا ... لهو النساء وإن الدين قد عزما

ويغلب اللهو على أحوال الشباب فطور الشباب طوره، ويكثر اللهو في أحوال الدنيا من تطلب اللذات والطرب.

والزينة: تحسين الذات أو المكان بما يجعل وقعه عند ناظره مسرا له، وفي طباع الناس الرغبة في أن تكون مناظرهم حسنة في عين ناظريهم وذلك في طباع النساء أشد، وربما كان من أسباب شدته فيهن كثرة إغراء الرجال لهن بذلك.

ويكثر التزين في طور الفتوة لأن الرجل يشعر بابتداء زوال محاسن شبابه، والمرأة التي كانت غانية تحب أن تكون حالية، وليس ذلك لأجل تعرضها للرجال كما يتوهمه الرجال فيهن غرورا بأنفسهم بل ذلك لتكون حسنة في الناس من الرجال والنساء.

ويغلب التزين على أحوال الحياة فإن معظم المساكن والملابس يراد منه الزينة، وهي

ذاتية ومعنوية، ومن المعنوية ما يسمى في أصول الفقه بالتحسيني.

والتفاخر: الكلام الذي يفخر به، والفخر: حديث المرء عن محامده والصفات المحمودة منها فيه بالحق أو الباطل. وصيغ منه زنة التفاعل لأن شأن الفخر أن يقع بين جانبين كما أنبأ به تقييده بظرف بينكم.

والناس يتفاخرون بالصفات المحمودة في عصورهم وأجيالهم وعاداتهم، فمن." (٢)

"﴿الله الذي خلقكم من ضعف﴾ أي من شيء ضعيف؛ لا قوة له: وهو المني. أو أريد به الطفولة؛ وهي مكمن الضعف ﴿ثم جعل من بعد ضعف قوة﴾ وهو سن الشباب والفتوة ﴿ثم جعل من بعد قوة ضعفا﴾ وهو الهرم والشيخوخة." (٣)

"(إنما يستأذنك الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر) إنما كافة ومكفوفة وما بعده تقدم إعرابه والمعنى إن الذين يستأذنون هم المترددون المتحيرون، أما المستبصرون المؤمنون فهم مستقرون على ما عزموا عليه وما هو واجب عليهم، وهذا من أرقى أفانين الأدب الواجبة الاحتذاء، فانه لا يليق بالمرء أن يستأذن أخاه في أن يسدي إليه معروفا كما لا يليق بالمضيف

---

(١) التحرير والتنوير ابن عاشور ٢٧/٤٠١

(٢) التحرير والتنوير ابن عاشور ٢٧/٤٠٢

(٣) أوضح التفاسير محمد عبد اللطيف الخطيب ص/٤٩٨

أن يستأذن ضيفه في أن يقدم إليه، فإن الاستئذان في هذا الموطن دليل التكلف، وخليق بذوي المروءة وأرباب **الفتوة** أن لا يتثاقلوا إذا ندبوا الى أمر جدير بالمروءة قال طرفة:

إذا القوم قالوا من فتى خلت أنني ... عنيت فلم أكسل ولم أتبلد

وقال آخر:

إن تبتدر غاية يوما لمكرمة ... تلق السوابق منا والمصلينا

وأشعارهم طافحة بذلك.

(وارتابت قلوبهم فهم في ريبهم يترددون) عطف على لا يؤمنون وارتابت قلوبهم فعل وفاعل أي شكت في الدين، فهم الفاء عاطفة وهم مبتدأ وفي ريبهم جار ومجرور متعلقان بيترددون وجملة يترددون خبر.

(ولو أرادوا الخروج لأعدوا له عدة) كلام معطوف أيضا ولك أن تجعله مستأنفا ولو شرطية وأرادوا الخروج فعل وفاعل ومفعول به واللام واقعة في جواب لو وأعدوا فعل وفاعل وله متعلقان بأعدوا وعدة مفعول به. (ولكن كره الله انبعاثهم) الواو عاطفة على محذوف كأنه." (١)

"حفاة عراة وهيئة أجسامهم رثة بالية تضطرب لرداءتها وقذارتها فكأن جسمه جلدة مثل الهيكل فقط يضطرب ويتحرك ولا تستدل عليه إلا بقعقعة خفيفة وأحسب أبا الطيب رمق سماء هذا المعنى حين قال واصفا نحو له:

كفى بجسمي نحولا أنني رجل ... لولا مخاطبتي إياك لم ترني

وانظر بعد ذلك الى أسمى مطلب يجنح اليه العقلاء: «تخلي سبيلي فأعبد ربي» وهذا بمثابة مثل ضربه النبي صلى الله عليه وسلم لكل انسان ليجود بماله في مشروعات الخير وليثق بالله الرزاق المنفق المخلف، وليتحلى بشيم السخاء والعطاء، وما أجمل قول أبي فراس الحمداني وقد تضمن هذه المعاني السامية كلها كما صور **الفتوة** أجمل تصوير:

غيري يغيره الفعال الجافي ... ويحول عن شيم الكريم الوافي

إن الغني هو الغني بنفسه ... ولو انه عاري المناكب حاف

ما كل ما فوق البسيطة كافيا ... وإذا قنعت فكل شيء كاف

وتعاف لي طمع الحريص فتوتي ... ومروءتي وقناعتي وعفافي." (٢)

"١٠- المطلق والمقيد والعام والخاص والنص والمؤول والناسخ والمنسوخ والمجمل والمفسر والاستثناء وهذا قول الفقهاء.

١١- الحذف والصلة، والتقديم والتأخير، والاستعارة والتكرار، والكناية والحقيقة والمجاز، والمجمل والمفسر، والظاهر والغريب وهذا قول علماء اللغة.

١٢- التذكير والتأنيث، والشرط والجزاء، والتصريف والإعراب والإقسام وجوابها، والجمع والإفراد والتصغير والتعظيم، واختلاف الأدوات وهو قول علماء النحو.

---

(١) إعراب القرآن وبيانه محيي الدين درويش ١٠٧/٤

(٢) إعراب القرآن وبيانه محيي الدين درويش ٦٣٦/٥

١٣- الزهد والقناعة مع اليقين والجزم والخدمة مع الحياء، والكرم والفتوة مع الفقر، والمجاهدة والمراقبة مع الخوف، والرجاء والتضرع والاستغفار مع الرضى، والشكر والصبر مع المحاسبة والمحبة والشوق مع المشاهدة وهذا قول الصوفية.

١٤- أمر ونهي وبشارة وإنذار وأخبار وأمثال.

١٥- علم الإنشاء، وعلم الإيجاد، وعلم التوحيد والتنزيه، وعلم صفات الذات، وعلم صفات الفعل، وعلم صفات العفو والعذاب، وعلم الحشر والحساب، وعلم النبوات.

١٦- المحكم والمتشابه والناسخ والمنسوخ والخصوص والعموم والقصص.

١٧- سبع لغات لغة قريش ولغة اليمن ولغة جرهم ولغة هوازن ولغة قضاعة ولغة تميم ولغة طي.

١٨- سبعة أوجه إعراب للكلمة الواحدة حتى يكون المعنى واحدا وإن اختلف لفظا.

١٩- سبعة أحرف هي أمهات الهجاء وهي الألف والباء والجيم والدال والزاي والسين والعين.

٢٠- إن جبريل كان يكرر كل كلمة سبع مرات على سبعة أوجه.

٢١- تقرير كون القرآن نزل بمعان متسق مفهومها مختلف مسموعها حيث يجوز التغاير إذا لم تبدل كلمة عذاب بكلمة رحمة. وروى القائلون في معرض." (١)

"الزبيدي، الشافعي.

فقيه.

من آثاره: مختصر القوت للاذرعي، مختصر الفقيه للجمال الريمي ولم يكملهما.

(ط) السخاوي: الضوء اللامع ٦: ٢٨٣ محمد الطهراني (..- ١٢٩٩ هـ) (..- ١٨٨٢ م) محمد بن ابراهيم النواب الطهراني.

مؤرخ.

من تصانيفه الكثيرة: فيض الدمع في مقتل الحسين عليه السلام، وعقد اللئالي في التاريخ.

(ط) آغا بزرك: اعلام الشيعة ٢: ٢٣: ٢٤ محمد الوطواط (٦٣٢ - ٧١٨ هـ) (١٢٣٥ - ١٣١٨ م) محمد بن ابراهيم بن يحيى بن علي الانصاري، الكتبي، المعروف بالوطواط، اديب، مؤرخ، عارف بالكتب.

من آثاره: حواش على الكامل في التاريخ لابن الاثير، مناهج الفكر، ومباهج العبر، غرر الخصائص الواضحة وعرر النقائص الفاضحة، فتى الفتوة ومرآة المروة والدرر والغرر في شعراء الاندلس.

(خ) فهرس المؤلفين بالظاهرية

(ط) ابن حجر: الدرر الكامنة ٣: ٢٩٨، ٢٩٩، الصفدي: الوافي ٢: ١٦ - ١٨، حاجي خليفة: كشف الظنون ٧٤٨، ١٢٠١، ١٢٤١، ١٣٨٠، ١٨٤٦، كوبرلي زاده محمد باشا كتبخانه سنده ٧٦، يكي جامع كتبخانه سنده ٥٣، البغدادي: هدية العارفين ٢: ١٤٣، ١٤٤ - Ahlwardt:..verzeichniss der ara: bischen handschriften

---

(١) التفسير الحديث محمد عزة دروزة ٢٤٧/١

(م) عبد الوهاب V: 173 , Rieu: Arabic manuscript 805 , Brockelmann 54 , 53: s , II عزام: الثقافة بالقاهرة س ١، ع ٢٩، ص ٥ - ٧، ع ٣١، ص ٨ - ١٢، فؤاد سيد: العالم العربي بالقاهرة س ١، ع ٤، ص ٧٣، عيسى المعلوف: المقتبس ٥: ٥٤٠ - ٥٤٣ محمد الكلاباذي (..- ٣٨٤ هـ) (..- ٩٩٤ م) محمد بن ابراهيم بن يعقوب الكلاباذي، البخاري، الحنفي (تاج الاسلام، أبو بكر) محدث، صوفي، مشارك في بعض العلوم.

من آثاره: الاربعون في الحديث، امال

في الحديث، التعرف لمذهب التصوف، فصل الخطاب، وبحر الفوائد المشهور بمعاني الاخبار.

(خ) فهرس مخطوطات الظاهرية (ط) البغدادي: هدية العارفين ٢: ٥٤، حاجي خليفة: كشف الظنون ٥٣، ١٠٥، ٢٢٥، فهرست الخديوية ١: ٢٧٥ ٢٠٠: Brockelmann: g , I." (١)

"ابن خالد بن سالم الازدي، السلمي، النيسابوري (أبو عبد الرحمن) صوفي، محدث، حافظ، مفسر، مؤرخ.

ولد في ١٠ جمادي الاخرة، وكتب الحديث بمرو ونيسابور، وقدم بغداد مرات،

وحدث بها عن شيوخ خراسان، وتوفي بنيسابور في شعبان (١) .

من تصانيفه الكثيرة (٢) : عيوب النفس، **الفتوة**، طبقات الصوفية، وحقايق تفسير القرآن، وأربعون حديثا.

(خ) الذهبي: سير النبلاء ١١: ٥٥ - ٥٧، ابن الملقن: طبقات الاولياء ٢٨ / ١، ابن شاكر الكتبي: عيون التواريخ ١٣: ٤٧ / ١، مناقب الشافعي وطبقات أصحابه من تاريخ الذهبي ١٠٩ / ٢، ١١٠ / ٢، ابن عبد الهادي: كتاب في التراجم ٣٩ / ١، عام ٤٥٥١، ظاهرية، فهرس مخطوطات الظاهرية (ط) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد ٢: ٢٤٨، ٢٤٩، ابن الجوزي: المنتظم ٨: ٦، السبكي: طبقات الشافعية ٣: ٦٠ - ٦٢، الذهبي: تذكرة الحفاظ ٣: ٢٣٣ - ٢٣٥، ابن الاثير:

---

(١) وقيل: في رجب (٢) في تذكرة الحفاظ: بلغ فهرس تصانيفه المائة أو أكثر، وفي طبقات الشافعية: وتصانيفه يقال: انها ألف جزء." (٢)

"إلى **الفتوة**، ثم انقطع إلى العلم، فأخذ عن بدر الدين الحسني وعبد الحكيم الافغاني وامين الارناؤط، وساهم في تأسيس جمعية العربية الفتاة السرية، واسس المدرسة العثمانية (الكاملية) وسافر إلى مصر، ثم عاد إلى دمشق، فقبض عليه وارسل إلى عاليه بلبنان، ثم اطلق سراحه، وتوجه إلى الحجاز، وانضم إلى الثورة العربية، وحكم الترك عليه بالاعدام غيابا، ثم انتقل إلى مصر، وساهم في تأسيس حزب الاتحاد السوري، ثم في تأسيس اللجنة الوطنية العليا بدمشق، وغادر دمشق بعد الاحتلال الفرنسي، وحكم الفرنسيون عليه بالاعدام غيابا،

فرحل إلى فلسطين ومصر واليمن، ثم استدعاه الملك عبد العزيز آل سعود إلى الحجاز، وعهد إليه بمديرية معارف الحجاز ثم رجع إلى فلسطين فأقام بحيفا مدة وانشأ مدرسة، وعاد إلى دمشق بعد الغاء حكم الاعدام، فساهم في تأسيس جمعية العلماء

---

(١) معجم المؤلفين عمر رضا كحالة ٢٢٢/٨

(٢) معجم المؤلفين عمر رضا كحالة ٢٥٩/٩

واختير رئيسا لها، وتوفي بدمشق في ٢٢ جمادى الآخرة، ودفن بمقبرة الدحداح.

من آثاره: ذكرى موقعة حطين بالاشتراك مع غيره، والنقد والبيان في دفع اوهام خزيران بالاشتراك مع محمد عز الدين القسام.

(خ) فهرس المؤلفين بالظاهرية (ط) ادهم الجندي: أعلام الادب والفن ٢: ٧٧، ٧٨ فائز الغصين: مذكرات عن الثورة العربية ٢١٢، ٢١٣، الزركلي: الاعلام ٧: ٢٣٥، ٢٣٦ (م) محمد جميل الشطي: التمدن الاسلامي عدد رجب ١٣٧٣ هـ، العرفان ٣٩: ٨ محمد البحيري (كان حيا قبل ١٣١١ هـ) (١٨٩٣ م) محمد كامل البحيري.

فاضل.

من

آثاره: رياض طرابلس الشام.

(خ) فهرس المؤلفين بالظاهرية محمد التدمري (كان حيا ٧٤١ هـ) (١٣٤٠ م) محمد بن كامل التدمري، الشافعي (شمس الدين، أبو عبد الله) من القضاة، ولي قضاء القدس سنة ٧٤١ هـ، وقضاء دمشق.

من مصنفاته: شرح الاربعين.

الفروق، والاشباه والنظائر.

(ط) مجير الدين الحنبلي: الانس الجليل ٤٦٨." [١]

"وامتثالا لأمر أبيهم يعقوب أعاد فريق من أبنائه الكرة، تاركين الفريق الآخر مع أبيهم، فرحلوا إلى مصر من جديد، واتخذوا جميع الوسائل للمثول مرة أخرى بين يدي عزيز مصر -وهو في الحقيقة أخوهم يوسف- طالبين منه إسعافهم بالتموين اللازم لهم، مقابل أخذه منهم بضاعة قليلة جاؤوا بها، ولم يكتموا عنه طمعهم في أن يوفي لهم الكيل، ورجاءهم في أن يتصدق عليهم بما تجود به نفسه الكريمة. ﴿فلما دخلوا عليه قالوا يا أيها العزيز مسنا وأهلنا الضر﴾ والضر يشمل المجاعة التي أصابت بلادهم، والهم الذي نزل بعائلتهم ﴿وجئنا ببضاعة مزجاة﴾ أي بضاعة قليلة ﴿فأوف لنا الكيل وتصدق علينا إن الله يجزي المتصدقين﴾.

وفي هذه المناسبة انتهز يوسف الفرصة، فكشف عن وجهه النقاب، وعرفهم بأن " عزيز مصر " الذي يتحدثون إليه الآن هو أخوهم يوسف بالذات، وأن أخاهم الذي حجزه عنده في المرة الماضية هو أخوه بنيامين، وإذن فهم الآن أفراد أسرتهم، وأمام واحد منهم، وذكرهم بما فعلوه به وبأخيه، ناسبا ذلك الفعل إلى ما كانوا عليه في حال **الفتوة** من جهل بحقائق الأمور، وغفلة عن خفايا الأقدار، واستعرض أمامهم نعمة الله عليه وعلى أخيه، وأن مصير كل من اتقى وصبر، هو الفوز والظفر

---

(١) معجم المؤلفين عمر رضا كحالة ١١/١٥٨

﴿قال هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه إذ أنتم جاهلون * قالوا أإنك لأنت يوسف قال أنا يوسف وهذا أخي قد من الله علينا إنه من يتق ويصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين﴾.." (١)

"أبيهم، وهنا تتجلى معالم " **الفتوة** " التي امتاز بها إبراهيم عليه السلام، من جرأته في نصرة الحق، ومهاجمته للباطل، وتحديه للتقاليد البالية، مهما كلفه ذلك من التضحيات الغالية، ولا يلبث قومه أن يسألوه مستفسرين وهم مترددون: ﴿قالوا أجئتنا بالحق أم أنت من اللاعبين﴾ يريدون أن يعرفوا هل هو جاد فيما يقول، أم أن كلامه مجرد لعب وهزل، لكن إبراهيم ينفي هذا الاحتمال، ويرفع في الحين كل إشكال، ﴿قال بل ربكم رب السماوات والأرض الذي فطرهن وأنا على ذلكم من الشاهدين﴾، وبهذا أفهم قومه أن الإله الوحيد الذي يجب أن يعبدوه هو رب السماوات والأرض الذي خلقهن، فهو ربهم الحق وحده لا شريك له، وزكى هذه الدعوى بشهادته عليها، إذ هو رسول الله وخليل الرحمن، وكفى بشهادته حجة وبرهانا، على غرار قوله تعالى في سورة آل عمران: ﴿شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائما بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم﴾ [الآية: ١٨]، فلفظ ﴿الشاهدين﴾ في هذه الآية مأخوذ من (الشهادة) بمعناها المعروف، لا من (المشاهدة) بمعنى مجرد الرؤية والحضور.

ويفكر إبراهيم في وسيلة فعالة توقظ قومه، وتثير انتباههم، وتقنعهم بأن عبادة الأصنام لا جدوى لها ولا فائدة منها، لأن الأصنام لا تملك لنفسها ضرا ولا نفعا، بل هي أضعف من الضعف، وأعجز من العجز، فيعقد العزم على إهانتها، مقسما على ذلك بالله العظيم، ويحدث نفسه قائلا: ﴿وتالله لأكيدن أصنامكم بعد أن تولوا مدبرين﴾، ثم لا يلبث أن ينتهز فرصة." (٢)

"شيوخا﴾ [الآية: ٦٧]. وتصل مرحلة بلوغ الأشد إلى القمة عند بلوغ سن الأربعين، حيث تهيمن القوة العقلية على القوة الجسمية، قال الرازي: " فلهذا السر اختار الله تعالى هذا السن للوحي، ويروى أنه لم يبعث نبي إلا على رأس الأربعين سنة ". وقد اعتنى كتاب الله عناية خاصة بمرحلة الأربعين من حياة كل إنسان، وما ينتظر أن يبلغ فيها من وعي ونضج واستقامة، فقال تعالى فيما سيأتي من سورة الأحقاف: ﴿حتى إذا بلغ أشده وبلغ أربعين سنة قال رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي وأن أعمل صالحا ترضاه وأصلح لي في ذريتي إني تبت إليك وإني من المسلمين﴾ [الآية: ١٥].

ويلاحظ أن كتاب الله صدر الآيات المتعلقة بمرحلة **الفتوة** والشباب في حياة موسى عليه السلام بذكر ما أنعم به عليه من الحكمة والفهم، وسجل اسمه في سجل المحسنين الخالدين من عباده، وكأن ذلك تمهيد لما سيقصه من الحادث الطارئ الذي أقض مضجع موسى قبل النبوة، وهو الحادث الذي لقي فيه على يده أحد الرعايا الفرعونيين مصرعه، عقب لكمة لم يكن ينتظر أن تؤدي إلى وفاته، وذلك حتى لا يسيء أحد الظن بموسى ولا ينتقص من مقامه الرفيع عند الله، فقد كانت تلك

---

(١) التيسير في أحاديث التفسير محمد المكي الناصري ٣/٢٠٢

(٢) التيسير في أحاديث التفسير محمد المكي الناصري ٤/١٣٢

اللكمة تأديبا للظالم، وإغاثة للمظلوم، ونصرة للحق، وإلى هذه الحادثة يشير قوله تعالى: ﴿ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها﴾ ووقت الغفلة يكون عادة إما في وقت القيلولة – في منتصف النهار – وإما بين العشاءين في الليل، عندما يتفرق الناس و يأوون." (١)

"أمرها بين الناس، وتردد اسم موسى بصفته مسؤولا عنها، هم آل فرعون بمؤاخذته عليها ﴿وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى قال يا موسى إن الملأ يأتمرون بك ليقتلوك فاخرج إني لك من الناصحين﴾، والرجل الذي اطلع على هذا السر من مصدره، وتحمل مشقة الانتقال للإفضاء به إلى موسى في غفلة عن الأنظار، وسباق مع الذين يتعقبون موسى، من زبانية فرعون الأشرار، حتى يخبره الخبر، فيبادر بمغادرة مصر قبل أن تمتد إليه أيديهم، هو فيما ذهب إليه أكثر المفسرين، " مؤمن آل فرعون " نفسه، الذي لم يكن على دين فرعون رغما عن كونه ابن عمه، والذي كان على ملة يوسف قبل أن يتنبأ موسى ويؤمن به. والوصف " بالرجولة " و " **الفتوة** " لا يلقيه كتاب الله جزافا، وإنما يصف به أصحاب المواقف الحاسمة في نصرة الحق والجهر به والدفاع عنه، والتمسك بحبله والثبات عليه، من أولي العزم الصادقين.

فمن الوصف " **بالفتوة** " التي هي كمال الصفات في الفتى، قوله تعالى في شأن إبراهيم: ﴿قالوا سمعنا فتى يذكرهم﴾ [الأنبياء: ٦٠]، وقوله تعالى في شأن أهل الكهف: ﴿إنهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى﴾ [الآية: ١٣].

ومن الوصف " بالرجولة " التي هي كمال الصفات في الرجل قوله تعالى: ﴿فيه رجال يحبون أن يتطهروا﴾ [التوبة: ١٠٨]، وقوله تعالى: ﴿رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله﴾ [النور: ٣٧]، وقوله تعالى هنا: ﴿وجاء رجل من أقصى المدينة." (٢)

"وقيل: نزل بلغة مضر خاصة لقول عمر: نزل القران بلغة مضر. وعين بعضهم السبع من مضر أنهم: هذيل، وكنانة، وقيس، وضبة، وتيم الرباب، وأسد بن خزيمة، وقريش، فهذه قبائل مضر تستوعب سبع لغات.

وقيل: انزل القرآن أولا بلسان قريش ومن جاورهم من العرب الفصحاء، ثم أبيح للعرب أن يقرءوه بلغاتهم التي جرت عادتهم باستعمالها عن اختلافهم فى الألفاظ والإعراب، ولم يكلف أحدا منهم الانتقال عن لغته إلى لغة أخرى للمشقة، ولما كان فيهم من الحمية، ولطلب تسهيل فهم المراد.

وقيل: المراد سبعة أصناف: أمر، ونهى، وحلال، وحرام، ومحكم، ومتشابه، وأمثال.

وقيل: المراد بها: الحذف، والصلة، والتقديم، والتأخير، والاستعارة، والتكرار، والكناية، والحقيقة، والمجاز، والمجمل، والمفسر، والظاهر، والغريب.

وقيل: المراد بها: التذكير، والتأنيث، والشرط، والجزاء، والتصريف، والإعراب، والأقسام وجوابها، والجمع، والإفراد، والتصغير، والتعظيم، واختلاف الأدوات.

---

(١) التيسير في أحاديث التفسير محمد المكي الناصري ٤/٤٩٣

(٢) التيسير في أحاديث التفسير محمد المكي الناصري ٤/٤٩٦

وقيل: المراد بها سبعة أنواع من المعاملات: الزهد، والقناعة مع اليقين، والجزم، والخدمة مع الحياء، والكرم، **والفتوة** مع الفقر، والمجاهدة، والمراقبة مع الخوف، والرجاء، والتضرع، والاستغفار مع الرضا، والشكر، والصبر مع المحاسبة، والمحبة، والشوق مع المشاهدة.

وقيل: إن المراد بها سبعة علوم: علم الإنشاء والإيجاد وعلم التوحيد والتنزيه، وعلم صفات الذات، وعلم صفات الفعل، وعلم صفات العفو والعذاب، وعلم الحشر والحساب، وعلم النبوات.." (١)

"(كل) : لفظ كل هو لضم أجزاء الشيء وذلك ضربان، أحدهما الضام لذات الشيء وأحواله المختصة به، ويفيد معنى التمام نحو قوله تعالى: ولا تبسطها كل البسط أي بسطا تاما، قال الشاعر:

ليس الفتى كل الفتى ... إلا الفتى فى أدبه

أي التام **الفتوة**. والثاني الضام للذوات وذلك يضاف تارة إلى جمع معرف بالألف واللام نحو قولك كل القوم، وتارة إلى ضمير ذلك نحو قوله تعالى: فسجد الملائكة كلهم أجمعون وقوله: ليظهره على الدين كله أو إلى نكرة مفردة نحو قوله: وكل إنسان ألزمناه- وهو بكل شيء عليم إلى غيرها من الآيات وربما عرى عن الإضافة ويقدر ذلك فيه نحو قوله: كل في فلك يسبحون- وكل أتوه داخرين- وكلهم آتيه يوم القيامة فردا- وكلا جعلنا صالحين- كل من الصابرين- وكلا ضربنا له الأمثال إلى غير ذلك فى القرآن مما يكثر تعداده. ولم يرد فى شىء من القرآن ولا فى شىء من كلام الفصحاء الكل بالألف واللام وإنما ذلك شيء يجرى فى كلام المتكلمين والفقهاء ومن نحا نحوهم. والكلالة اسم لما عدا الولد والوالد من الورثة، وقال ابن عباس: هو اسم لمن عدا الولد،

وروى أن النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن الكلالة فقال:

«من مات وليس له ولد ولا والد»

فجعله اسما للميت وكلا القولين صحيح.

فإن الكلالة مصدر يجمع الوارث والموروث جميعا وتسميتها بذلك إما لأن النسب كل عن اللحوق به أو لأنه قد لحق به بالعرض من أحد طرفيه وذلك لأن الانتساب ضربان، أحدهما: بالعمق كنسبة الأب والابن، والثاني بالعرض كنسبة الأخ والعم، قال قطرب: الكلالة اسم لما عدا الأبوين والأخ، وليس بشىء، وقال بعضهم هو اسم لكل وارث كقول الشاعر:

والمرء يبخل بالحقو ... ق وللكلالة ما يسيم

من أسام الإبل إذا أخرجها للمرعى ولم يقصد الشاعر بما ظنه هذا وإنما خص الكلالة ليزهد الإنسان فى جمع المال لأن ترك المال لهم أشد من تركه للأولاد، وتنبيها أن من خلفت له المال فجار مجرى الكلالة وذلك كقولك ما تجمعه فهو للعدو، وتقول العرب لم يرث فلان كذا كلالة لمن تخصص بشىء قد كان لأبيه، قال الشاعر:." (٢)

---

(١) الموسوعة القرآنية إبراهيم الإبياري ٥٣/٢

(٢) الموسوعة القرآنية إبراهيم الإبياري ٤٩٣/٨

"فوجد كل ما في الكون مسخر لخدمته والاشياء تستجيب له فظن بمرور الزمن ان له سيطرة على هذا الكون. . ولذلك عاش وفي ذهنه قوة الاسباب. . يأخذ الاسباب وهو فاعلها فيجدها قد اعطته واستجابت له. . ولم يلتفت الى خالق الاسباب الذي خلق لها قوانينها فجعلها تستجيب للانسان. . وقد اشار الحق تبارك وتعالى الى ذلك في قوله جل جلاله: ﴿كلا إن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى﴾ [العلق: ٦ – ٧] ذلك ان الانسان يحرث الارض فتعطيه الثمر. . فيعتقد انه هو الذي اخضع الارض ووضع لها قوانينها لتعطيه ما يريد. . يضغط على زر الكهرباء فينير المكان فيعتقد انه هو الذي اوجد هذه الكهرباء﴾ يركب الطائرة. . وتسير به في الجو فيعتقد انه هو الذي جعلها تطير. . وينسى الخصائص التي وضعها الله سبحانه وتعالى في الغلاف الجوي ليستطيع ان يحمل هذه الطائرة. . يفتح التليفزيون ويرى أمامه احداث العالم فيعتقد ان ذلك قد حدث بقدرته هو. . وينسى ان الله تبارك وتعالى وضع في الغلاف الجوي خصائص جعلته ينقل الصوت والصورة من اقصى الدنيا الى اقصاها في ثوان معدودة. . وهكذا كل ما حولنا يظن الانسان انه اخضعه بذاته. . بينما كل هذا مسخر من الله سبحانه وتعالى لخدمة الانسان. . وهو الذي خلق ووضع القوانين. . نقول له انك لو فهمت معنى ذاتية الاشياء ما حدثتك نفسك بذلك. . الشيء الذاتي هو ما كان بذاتك لا يتغير ولا يتخلف ابدا. . انما الامر الذي ليس بذاتك هو الذي يتغير. .

واذا نظرت إلى ذاتيتك تلك التي اغرتك واطغتك. . ستفهم ان كلمة ذاتية هي ألا تكون محتاجا الى غيرك بل كل شيء من نفسك. . وانت في حياتك كلها ليس لك ذاتية. . لأن كل شيء حولك متغير بدون ارادتك. . وانت طفل محتاج إلى أبيك في بدء حياتك. . فاذا كبرت وأصبح لك قوة واستجابت الاحداث لك فإنك لا تستطيع ان تجعل فترة الشباب والفتوة هذه تبقى.

. فالزمن يملك ولكن لفترة محدودة. . فاذا وصلت الى مرحلة الشيخوخة فستحتاج الى من يأخذ بيدك ويعينك. . ربما على ادق حاجاتك وهي الطعام والشراب. .." (١)

"إلى الخلق الأول. وكذلك كل شيء متكاثر سواء أكان حيوانا أم نباتا. وعندما نسير بالإحصاء إلى الأمام سنجد الأعداد تتزايد، وتكون القفزة كبيرة. وعندما يبلغنا الحق أنه خلقنا من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء، فإن علم الإحصاء إنما يؤكد ذلك. والتكاثر إنا يأتي بالتزاوج. والتزاوج جاء من آدم وحواء. وأراد الحق أن يرزق آدم بتوائم ليتزوج كل توأم بالتوأم المخالف له في النوع من الحمل المختلف. أي يتزوج الذكر من الأنثى التي لم تولد معه في بطن واحدة.

وجاء ربنا لنا بهذه القصة كي يبين لنا أصل التكاثر بيانا رمزيا. أوضح سبحانه: أن التباعد الزوجي كان موجودا، ولكنه التباعد الإضافي، صحيح سيكون هذا الولد أخا للبنت هذه، وهذه البنت أخته؛ لكن حين تكون مولودة مع هذا، وتأتي بطن ثان فيها ذكر وأنثى، فسيكون فيها بعد إضافي، فتتزوج البنت لهذا البطن بالذكر في البطن الثاني. والذكر للبطن الثاني للبنت في البطن الآخر، وهذا هو البعد الإضافي الذي كان متاحا في ذلك الوقت؛ لأن العالم كان لا يزال في بداية طفولته

---

(١) تفسير الشعراوي الشعراوي ١٣٩/١

الواهية.

ونلحظ مثل هذا الأمر في الريف، حين يقول فلاح آخر: «الذرة بتاعك خايب» ، يقول الفلاح الثاني: إني آخذ من الأرض التي أخذت منها الذرة وأعطيها تقاوى منها، فأنا قد زرعت فدانا من ذرة، وأحجز كيلتين أو ثلاثا أستخدمها تقاوى لأزرعها، فتخرج الذرة ضعيفة، فيقول الفلاح الناضج: يا شيخ هات من ذرة جارك. فيكون ذرة جاري فيه شيء من البعد. وبعد ذلك تصير النوعية واحدة، فيقول الفلاح الناضج: هات من بلد أخرى. وبعد ذلك من بلد ثالثة، ولذلك فالتهجين والتكاثر كيف نشأ؟ من أين نأتي بالتقاوى؟ كلما جئنا بها من الخارج يكون الناتج قويا.

كذلك التزاوج ليكون في هذه الزوجية مواهب، ولذلك فطن العربي قديما لها، ومن العجيب أن هذا العربي البدوي الذي لم يشتغل بثقافة ولم نعرف له تعليما ولا علما، يهتدي إلى مثل هذه الحقيقة اهتداء يجعلها قضية عامة فطرية.

ويريد أن يمدح رجلا بالفتوة، فيقول عنه:

فتى لم تلده بنت عم فيضوي ... وقد يضوي سليل الأقارب." (١)

"ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليعلنها قضية كونية مادية تجريبية معملية:» أنتم أعلم بأمر دنياكم «

أي أنه صلى الله عليه وسلم ترك للأمة إدارة شئونها التجريبية، ولم يكن ذلك القول تركا للحبل على الغارب في شئون المنهج، فقد وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم الفيصل فيما تتدخل فيه السماء، وفيما تتركه السماء للبشر، وأعمار الناس -كما نعلم - تختلف، فنحن نقول للإنسان طفولة، وله فتوة، وشباب، وله اكتمال رجولة ونضج؛ لذلك يعطي الحق من الأحكام ما يناسب هذا المجتمع؛ يعطي أولا الاحتياج المادي للطفولة، وعند عصر الفتوة يعطيه المسائل الإدراكية، وعندما يصل إلى الرشد يعطيه زمام الحركة في الكون على ضوء المنهج، فكانت رسالة الإسلام على ميعاد مع رشد الزمان، فأمن الحق سبحانه أتباع محمد صلى الله عليه وسلم ، أن يقفوا ليحموا حركة الإنسان من أهواء البشر. وكانت الرسل تأتي من عند الله بالبلاغ للمجتمعات البشرية السابقة علىلإسلام. وكانت السماء هي التي تؤدب. ولكن عندما اكتمل رشد الإنسانية، رأينا الرسول يبلغ، ويوكله الله في أن يؤدب من يخرج على منهج الله في حركة الحياة، لأنه صلى الله عليه وسلم أصبح مأمونا على ذلك.

وإذا نظرت إلى الكون قديما لوجدته كونا انعزاليا، فكل جماعة في مكان لا تعلم شيئا عن الجماعة الأخرى، وكل جماعة لها نظامها وحركتها وعيشها وداءاتها.

والإسلام جاء على اجتماع للبشر جميعا. فقد علم الله أزلا أن الإسلام سيجيء على ميعاد مع إلغاء فوارق الزمن والمسافات، وأن الداء يصبح في الشرق فلا يبيت إلا وهو في الغرب، وكذلك ما يحدث في الغرب لا يبيت إلا وهو في الشرق.

إذن فقد اتحدت الداءات ولا بد أن يكون الدواء واحدا فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم جامعا للزمان وجامعا للمكان ومانعا أن يجيء رسول آخر بعده، وأن العالم قد وصل إلى قمة نضجه. فإذا ما جاء الإنسان ليعلم منهج الله ب

---

(١) تفسير الشعراوي الشعراوي ٣٠٧١/٥

«افعل» ولا «تفعل» ، وجد أن المنهج محروس بالمنهج، بمعنى أن الكتب السابقة على القرآن فيها «افعل» و «لاتفعل» ، والقرآن أيضا فيه «افعل» و «لا تفعل» لكن المنهج." (١)

"ومن قال سأنزل مثل ما أنزل الله، ما هي عقوبات هؤلاء الذين يفترون على الله الكذب، ويحاولون التغرير بالناس مدعين أن الله أنزل عليهم وحيا؟

يقول الحق سبحانه: ﴿ولو ترى إذ الظالمون في غمرات الموت والملائكة باسطوا أيديهم أخرجوا أنفسكم اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق وكنتم عن آياته تستكبرون﴾ [الأنعام: ٩٣] .

وساعة تسمع «لو» هذه تعرف أنها شرطية، وأنت تقول – مثلا – لو جاءني فلان لأكرمته. وحين تقرأ القرآن تجد كثيرا من «لو» ليس لها جواب، لماذا؟ لأن الإتيان بالجواب يعني حصر الجواب الذي لا يمكن للفظ أن يحصره فأنت تتركه للسامع مثلما تجد شابا يلعب دور **الفتوة** في الحارة ويتعب سكانها، ثم وقع في أيدي الشرطة وأخذوه ليعاقبوه، فيقول واحد ممن رأوه من قبل وهو يرهق أهل الحارة: آه لو رأيتم الولد **الفتوة** وهو في يد الشرطة!

أين جواب الشرط هنا؟ إنه لا يأتي؛ لأنه يتسع لأمر عجيب يضيق الأسلوب عن أدائه.

والحق سبحانه وتعالى يقول هنا: ﴿ولو ترى إذ الظالمون في غمرات الموت﴾ ولم يقل لي: ماذا ترى؟ لأنك سترى عجبا لا يؤديه اللفظ. و «الغمرات» هي الشدة التي لا يستطيع الإنسان منها فكاكا ولا تخلصا.

ويتابع الحق: ﴿والملائكة باسطوا أيديهم أخرجوا أنفسكم﴾ فهل هم ملائكة الموت الذين يقبضون الروح؟ أو الكلام في ملائكة العذاب؟ إنها تشمل النوعين: ملائكة قبض الروح وملائكة العذاب.

﴿والملائكة باسطوا أيديهم أخرجوا أنفسكم﴾ كأن ملائكة قبض الروح." (٢)

"ولكن هذا الاستمتاع في النهاية لا يعطي أمرا زائدا عن المقدور لكل جنس؛ ولذلك تجد أن كل من يعمل بالسحر وتسخير الجن إنما يعاني؛ مصداقا لقول الحق سبحانه: ﴿فزادوهم رهقا﴾ [الجن: ٦] .

وأنت تجد رزق الذي يقوم بالسحر أو تسخير الجن يأتي من يد من لا يعلم السحر، ولو كان في تعلم ذلك ميزة فوق البشر؛ لجعل رزقه من مصدر آخر غير من لا يعلمون السحر أو تسخير الجن.

وأنت حين ترى الواحد من هؤلاء، تجد على ملامحه غبرة، وفي ذريته آفة أو عيبا، فمنهم من هو أعور أو أكتع أو أعرج؛ لأنه أراد أن يأخذ فرصة في الحياة أكثر من غيره من البشر؛ بواسطة الجن، وهذه الفرصة تزيده رهقا؛ ولذلك فليلزم كل إنسان أدبه وقدره الذي شاءه الله سبحانه وتعالى له؛ فلا يفكر في أخذ فرصة تزيد من رهقه.

ونحن نرى في البشر من يستخدم صاحب القوة الجسدية أو قدرة تصويب السلاح؛ ليرهب غيره، وقد ينجح في ذلك مرة أو أكثر، ثم ينقلب هذا (**الفتوة**) أو ذلك القاتل المأجور على من استأجره.

إذن: فلا بد أن يحترم كل إنسان قدر الله سبحانه وتعالى في نفسه، وألا يأخذ فرصة من جنس آخر؛ يظن أنها تزيده في

---

(١) تفسير الشعراوي الشعراوي ٣١٧٧/٥

(٢) تفسير الشعراوي الشعراوي ٣٧٩٧/٦

دنياه شيئا، لكنها في الواقع ستزيده تعبا وتزيده رهقا.

ولذلك نجد الحق سبحانه وتعالى يقول عنهم: ﴿ربنا استمتع بعضنا ببعض وبلغنآ أجلنا الذي أجلت لنا قال النار مثواكم﴾ [الأنعام: ١٢٨] .." (١)

"الحسن، والمثل: حين لا يتأبى فقير على قدر الله أن جعله فقيرا، ويحاول أن يحسن ويتقن ما يعمل، فيوضح الله بحسن الجزاء: أنت قبلت قدري، وأحسنت عملك؛ فخذ الجزاء الطيب. وهذا حال عظماء الدنيا كلهم.

وهكذا نجد قول الحق سبحانه:

﴿وكذلك نجزي المحسنين﴾ [يوسف: ٢٢] .

لا ينطبق على يوسف وحده؛ بل على كل من يحسن استقبال قدر الله؛ لأنه سبحانه ساعة يأتي بحكم من الأحكام؛ وبعد ذلك يعمم الحكم؛ فهذا يعني أن هذا الحكم ليس خاصا بل هو عام.

وإذا كان الحق سبحانه يورد هذا في مناسبة بعينها، فإنه يقرر بعدها أن كل محسن يعطيه الله الحكم والعلم.

وقول الحق سبحانه:

﴿ولما بلغ أشده. .﴾ [يوسف: ٢٢] .

يوحي لنا أن يوسف عليه السلام كان قد بلغ مرحلة **الفتوة**، وهنا بدأت متاعبه في القصر، ففي طفولته نظرت إليه امرأة العزيز كطفل جميل؛ فلم يكن يملك ملامح الرجولة التي تهيج أنوثتها.

أما بعد البلوغ فنجد حالها قد تغير، فقد بدأت تدرك مفاتنه؛ وأخذ خيالها يسرح فيما هو أكثر من الإدراك، وهو التهاب الوجدان." (٢)

"والشجر الكبير الضخم المعمر وغيرها كثير. فإذا كان الحق سبحانه سينسف هذه الجبال ويزيلها عن أماكنها، فغيرها مما على وجه الأرض زائل من باب أولى.

ثم يقول سبحانه: ﴿وترى الأرض بارزة﴾ [الكهف: ٤٧]

الأرض: كل ما أقلك من هذه البسيطة التي نعيش عليها، وكل ما يعلوك ويظلك فهو سماء، ومعنى: ﴿بارزة﴾ البراز: هو الفضاء، أي: وترى الأرض فضاء خالية مما كان عليها من أشكال الجبال والمباني والأشجار، حتى البحر الذي يغطي جزءا كبيرا من الأرض.

كل هذه الأشكال ذهبت لا وجود لها، فكأن الأرض برزت بعد أن كانت مختبئة: بعضها تحت الجبال، وبعضها تحت الأشجار، وبعضها تحت المباني، وبعضها تحت الماء، فأصبحت فضاء واسعا، ليس فيه معلم لشيء.

ومن ذلك ما نسميه نحن المبارزة، فنرى **الفتوة** يقول للآخر (اطلع لي بره) أي: في مكان خال حتى لا يجد شيئا يحتمي به، أو حائطا مثلا يستند عليه، وبرز فلان لفلان وبارزه أي: صارعه.

---

(١) تفسير الشعراوي الشعراوي ٥٨٩٣/١٠

(٢) تفسير الشعراوي الشعراوي ٦٩٠٢/١١

﴿وحشرناهم﴾ [الكهف: ٤٧] أي: جمعناهم ليوم الحساب؛ لأنهم فارقوا الدنيا على مراحل من لدن آدم عليه السلام، والموت يحصد الأرواح، وقد جاء اليوم الذي يجمع فيه هؤلاء.

﴿فلم نغادر منهم أحدا﴾ [الكهف: ٤٧] أي: لم نترك منهم واحدا، الكل معرض على الله، وكلمة ﴿نغادر﴾ [الكهف: ٤٧] ومادة (غدر) تؤدي جميعها معنى الترك، فالغدر مثلا ترك الوفاء وخيانة الأمانة." (١)

"فعلة إصلاح الجدار ماكان تحته من مال يجب أن يحفظ لحين أن يكبر هذان الغلامان ويتمكنا من حفظه وحمايته في قرية من اللئام. وكأن الحق سبحانه وتعالى أرسله لهذين الغلامين في هذا الوقت بالذات، حيث أخذ الجدار في التصدع، وظهرت عليه علامات الانهيار ليقوم بإصلاحه قبل أن يقع وينكشف أمر الكنز وصاحبيه في حال الضعف وعدم القدرة على حمايته.

ثم إن العبد الصالح أصلح الجدار ورده إلى ماكان عليه رد من علمه الله من لدنه، فيقال: إنه بناه بناء موقوتا يتناسب وعمر الغلامين، وكأنه بناه على عمر افتراضي ينتهي ببلوغ الغلامين سن الرشد والقدرة على حماية الكنز فينهار. وهذه في الواقع عملية دقيقة لا يقدر على حسابها إلا من أوتي علما خاصا من الله تعالى.

ويبدو من سياق الآية أنهما كانا في سن واحدة توأمين لقوله تعالى: ﴿فأراد ربك أن يبلغآ أشدهما. ﴾ [الكهف: ٨٢] أي: سويا، ومعنى الأشد: أي القوة، حيث تكتمل أجهزة الجسم وتستوي، وأجهزة الجسم تكتمل حينما يصبح المرء قادرا على إنجاب مثله.

وتلاحظ أن الحق سبحانه وتعالى قال هنا: ﴿يبلغآ أشدهما. ﴾ [الكهف: ٨٢] ولم يقل رشدهما، لأن هناك فرقا بين الرشد والأشد فالرشد: حسن التصرف في الأمور، أما الأشد: فهو القوة، والغلامان هنا في حاجة إلى القوة التي تحمي كنزهما من هؤلاء اللئام فناسب هنا ﴿أشدهما. ﴾ [الكهف: ٨٢]

ثم يقول تعالى: ﴿ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك. ﴾ [الكهف: ٨٢] أي: يستخرجاه بما لديهما من القوة **والفتوة**. والرحمة: صفة تعطى للمرحوم لتمنعه من الداء، كما في قوله تعالى: ﴿وننزل." (٢)

"ثم يقول سبحانه: ﴿ولا تكرهوا فتياتكم على البغآء إن أردن تحصنا لتبتغوا عرض الحياة الدنيا ومن يكرههن فإن الله من بعد إكراههن غفور رحيم﴾ [النور: ٣٣] .

يقال للمملوك: فتى، وللمملوكة: فتاة، فقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم أن يقول الرجل: عبدي وأمتي إنما يقول: فتاي وفتاتي، فهذه التسمية أكرم لهؤلاء وأرفع، فالفتى من **الفتوة** والقوة كأنك تقول: هذا قوتي الذي يساعدني ويعينني على مسائل الحياة، فالنبي صلى الله عليه وسلم يريد أن يرفع من شأنهم.

ومن هؤلاء جماعة المماليك الذين حكموا مصر في يوم من الأيام، وكانوا من أبناء الملوك والسلاطين والأعيان.

والبغاء ظاهرة جاء الإسلام فوجدها منتشرة، فكان الرجل الذي يملك مجموعة من الإماء ينصب لهن راية تدل عليهن،

---

(١) تفسير الشعراوي الشعراوي ٨٩٢٩/١٤

(٢) تفسير الشعراوي الشعراوي ٨٩٧٣/١٤

ويأتيهن الشباب ويقبض هو الثمن، ومن هؤلاء عبد الله بن أبي بن سلول رأس النفاق، وكان عنده (مسيكة، ومعاذه) وفيه نزلت هذه الآية.

وتأويل الآية: لا تكرهوا الإماء على البغاء، وقد كن يبكين، ويرفضن هذا الفعل، وكن يؤذين ويتعرضن للغمز واللمز، ويتجرأ." (١)

"أن يوقظ غفلتنا وينبهنا ويحذرنا من دعاة الباطل الذين يزينون لنا الإسراف في أمور حياتنا، ويهونون علينا الحرام يقولون: لا بأس في هذا، ولا مانع من هذا، وهذا ليس حرام. ربنا يعطينا المناعة اللازمة ضد هؤلاء حتى لا ننساق لضلالاتهم.

لذلك جاء في الحديث الشريف: «استفت قلبك، واستفت نفسك، وإن أفتوك، وإن أفتوك، وإن أفتوك» .

وفي هذا دليل على أنه سيأتي أناس يفتون بغير علم، ويزينون للناس الباطل، ويقنعونهم به. والفتوى من **الفتوة** القوة، ومنه قوله تعالى: ﴿قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له إبراهيم﴾ [الأنبياء: ٦٠] .

وقوله تعالى: ﴿إنهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى﴾ [الكهف: ١٣] .

كذلك الفتوى تعني: القوة في أمر الدين والتمكن من مسائله وقضاياه، وإن كانت القوة المادية في أمر الدنيا لها حد تنتهي عنده فإن القوة في أمر الدين لا تنتهي إلى حد، لأن الدين أمده واسع، وبحره لا ساحل له. والقوة نعرفها في أي ناحية من النواحي، لكن قوة القوى هي القوة في أمر الدين.

نقول: فلان فتي يعني: قوي بذاته، وأفتاه فلان أي: أعطاه القوة، كأنه كان ضعيفا في حكم من أحكام الشرع، فذهب إلى المفتي فأفتاه يعني: أعطاه فتوة في أمر الدين. مثل قولنا: غني فلان أي: بذاته، وأغناه أي: غيره، كما يقول سبحانه: ﴿وما نقموا إلا أن أغناهم الله ورسوله من فضله﴾ [التوبة: ٧٤] .." (٢)

"سبق أن تكلمنا في معنى الفتوى، وأنها من **الفتوة** أي: القوة، وهي مثل: غني فلان أي: صار غنيا بذاته، وأغناه غيره أمده بالغنى، كذلك أفتاه يعني: أعطاه قوة في الحكم والحجة.

وقالت: ﴿في أمري﴾ [النمل: ٣٢] مع أن الأمر خاص بالدولة كلها، لا بها وحدها؛ لأنها رمز للدولة وللملك، وإن تعرض لها سليمان فسوف يخدش ملكها أولا، وينال من هيبتها قبل رعيتها.

﴿ما كنت قاطعة أمرا حتى تشهدون﴾ [النمل: ٣٢] يعني: لا أبت في أمر إلا في حضوركم، وبعد استشارتكم. وهذا يدل على أنها كانت تأخذ بمبدأ الشورى رغم ما كان لها من الملك والسيطرة والهيمنة.

فرد عليها الملأ من قومها: ﴿قالوا نحن أولو قوة﴾." (٣)

---

(١) تفسير الشعراوي الشعراوي ١٠٢٦٧/١٦

(٢) تفسير الشعراوي الشعراوي ١٠٦٥٢/١٧

(٣) تفسير الشعراوي الشعراوي ١٠٧٧٨/١٧

"عمر: نعم صدق الله ﴿سيهزم الجمع ويولون الدبر﴾ [القمر: ٤٥] .
لذلك يقولون: لا يموت ظالم في الدنيا حتى ينتقم الله منه، ولم ير الناس فيه ما يدل على انتقام الله منه تعجبوا وقال أحدهم: لا بد أن الله انتقم منه دون أن نشعر، فإن أفلت من عذاب الدنيا، فوراء هذه الدار أخرى يعاقب فيها المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته، وعدل الله – عز وجل – يقتضي هذه المحاسبة.
والحق – تبارك وتعالى – يجعل من قارون عبرة لكل من لا يؤمن بالآخرة ليخاف من عذاب الله، ويحذر عقابه، والعبرة هنا بمن؟ بقارون رأس من رؤوس القوم، وأغنى أغنيائهم، **والفتوة** فيهم، فحين يأخذه الله يكون في أخذه عبرة لمن دونه.
وحدثونا أن صديقا لنا كان يعمل بجمرك الأسكندرية، فتجمع عليه بعض زملائه من الفتوات الذين يريدون فرض سيطرتهم على الآخرين، فما كان منه إلا أن أخذ كبيرهم، فألقاه في الأرض، وعندها تفرق الآخرون وانصرفوا عنه.
ومن هذا المنطلق أخذ الله تعالى قارون، وهو **الفتوة**، ورمز الغنى والجاه بين قومه، فقال تعالى: ﴿إن قارون كان من قوم موسى ... ﴾ [القصص: ٧٦] إذن: حينما نتأمل حياة موسى عليه السلام نجده قد مني بصناديد الكفر، فقد واجه فرعون الذي ادعى الألوهية، وواجه هامان، ثم موسى السامري الذي خانه في قومه في غيبته، فدعاهم إلى عبادة العجل.." [١]
"مازالت الآيات تحدثنا عن مواكب الرسالات، لكنها تتكلم عن المكذبين عادا وثمود، وهنا ﴿وقارون وفرعون وهامان ... ﴾ [العنكبوت: ٣٩] والدليل على قوله سبحانه في الآية السابقة ﴿وكانوا مستبصرين﴾ [العنكبوت: ٣٨] قوله تعالى هنا ﴿ولقد جآءهم موسى بالبينات ... ﴾ [العنكبوت: ٣٩] أي: بالأمور الواضحة التي لا تدع مجالا للشك في صدق الحق سبحانه، وفي صدق الرسول في البلاغ عن الله.
﴿فاستكبروا في الأرض ... ﴾ [العنكبوت: ٣٩] استكبر: يعني افتعل الكبر، فلم يقل تكبر، إنما استكبر كأنه في ذاته ما كان ينبغي له أن يستكبر؛ لأن الذي يتكبر يتكبر بشيء ذاتي فيه، إنما بشيء موهوب؟ لأنه قد يسلب منه، فكيف يتكبر به؟
لذلك نقول للمتكبر أنه غفلت عينه عن مرأى ربه في آثار خلقه، فلو كان ربه في باله لاستحى أن يتكبر.
فالإنسان لو أنه يلحظ كبرياء ربه لصغر في نفسه، ولاستحى أن يتكبر، كما أن المتكبر بقوته وعافيته غبي؛ لأنه لم ينظر في حال الضعيف الذي يتعالى عليه، فلربما يفوقه في شيء آخر، أو عنده عبقرية في أمر أهم من **الفتوة** والقوة، ثم ألم ينظر هذا **الفتوة** أنها مسألة عرضية، انتقلت إليه من غيره، وسوف تنتقل منه إلى غيره.." [٢]
"بتركيب سماعة للأذن فيسمع، وكذلك في النظارة للبصر، إذن: فكل شيء له أثر مرئي أو مسموع، لكن المهم في الآلة التي تسمع أو ترى؛ لذلك يقولون إن أرادوا المبالغة؛ فلان يسمع دبة النملة.
ومعنى ﴿وكأين من دآبة لا تحمل رزقها ... ﴾ [العنكبوت: ٦٠] ليست كل الدواب تحمل رزقها، فكثير منها لا تحمل رزقا، ومع ذلك تأكل وتعيش، ويحتمل أن يكون المعنى: لأنها لا تقدر على حمله، أو تقدر على حمله ولكنها لا تفعل،

---

(١) تفسير الشعراوي الشعراوي ١١٠٠٩/١٨
(٢) تفسير الشعراوي الشعراوي ١١١٦٤/١٨

فمثلا القمل والبراغيث التي تكثر مع الإهمال في النظافة الشخصية أتحمل رزقا؟ والناموسة التي تتغذى مع ضعفها على دم الإنسان **الفتوة** المتجبر، الميكروب الذي يفتك بالإنسان. . إلخ هذه أشياء لا تحمل رزقها.

أما الحمار مثلا مع قدرته على الحمل لا يحمل رزقه؛ لذلك تراه إن شبع لا يدخر شيئا، وربما يدوس الأكل الباقي، أو يبول عليه، وكذلك كل الحيوانات حتى أنهم يقولون: لا يعرف الادخار من المخلوقات إلا الإنسان والفأر والنمل.

وقد جعل الله الادخار في هؤلاء لحكمة ولبيان طلاقة قدرته تعالى، وأن الادخار عند هذه المخلوقات ليس قصورا من الخالق سبحانه في أن يجعل بعض الدواب لا تحمل رزقها، بل يخلق لها وسائل تعجز أنت عنها.

ولك أن تتأمل قرى النمل وما فيها من عجائب، فقد لاحظ الباحثون في هذا المجال أنك لو تركت بقايا طعام مثلا تأتي نملة وتحوم حوله ثم تنصرف وترسل إليه عددا من النمل يستطيع حمل هذه القطعة، ولو ضاعفت وزن هذه القطعة لتضاعف عدد النمل.." (١)

"أنفسكم أفلا تبصرون﴾ [الذاريات: ٢١] وجمع بين النوعين في قوله سبحانه: ﴿سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق ... ﴾ [فصلت: ٥٣] .

فهنا يقول: تأمل في نفسك أنت: ﴿الله الذي خلقكم من ضعف ... ﴾ [الروم: ٥٤] ، فإن قال الإنسان المكلف الآن: أنا لم أشاهد مرحلة الضعف التي خلقت منها.

نقول: نعم لم تشاهدها في نفسك، فلم تكن لك ساعتها مشاهدة، لكن شاهدتها في غيرك، شاهدتها في الماء المهين الذي يتكون منه الجنين، وفي الأم الحامل، وفي المرأة حين تضع وليدها صغيرا ضعيفا، ليس له قدم تسعى، ولا يد تبطش، ولا سن تقطع، ومع ذلك ربي بعناية الله حتى صار إلى مرحلة القوة التي أنت فيها الآن.

إذن: فدليل الضعف مشهود لكل إنسان، لا في ذاته، لكن في غيره، وفي مشاهداته كل يوم، وكل منا شاهد مئات الأطفال في مراحل النمو المختلفة، فالطفل يولد لا حول له ولا قوة، ثم يأخذ في النمو والكبر فيستطيع الجلوس، ثم الحبو، ثم المشي، إلى أن تكتمل أجهزته ويبلغ مرحلة الرشد **والفتوة**.

وعندها يكلفه الحق - سبحانه وتعالى - وينبغي أن نكلفه نحن أيضا، وأن نستغل فترة الشباب هذه في العمل المثمر، فنحن نرى الثمرة الناضجة إذا لم يقطفها صاحبها تسقط هي بين يديه، وكأنها تريد أن تؤدي مهمتها التي خلقها الله من أجلها.

لذلك، فإن آفتنا نحن ومن أسباب تأخر مجتمعاتنا أننا نطيل عمر طفولة أبنائنا، فنعامل الشاب حتى سن الخامسة والعشرين على أنه." (٢)

"والمعنى: نرجعه من حال القوة **والفتوة** إلى حال الضعف والهرم وعدم القدرة، كما قال سبحانه: ﴿ومنكم من يرد إلى أرذل العمر لكي لا يعلم بعد علم شيئا ... ﴾ [النحل: ٧٠]

فبعد القوة يتكئ على عصا، ثم لا يستطيع السير فيحبو، أو يحمل كما يحمل الطفل الصغير، هذا هو التنكيس في الخلق،

---

(١) تفسير الشعراوي الشعراوي ١١٢٥١/١٨

(٢) تفسير الشعراوي الشعراوي ١١٥٢٩/١٨

وحين نتأمله نقول: الحمد لله لو عافانا من هذه الفترة وهذه التنكيسة، ونعلم أن الموت لطف من الله ورحمة بالعباد، ألا ترى أن من وصل إلى هذه المرحلة يضيق به أهله، وربما تمنوا وفاته ليستريح وليستريحوا؟

وتنكيس رءوس المجرمين فيه إشارة إلى أن هذه هي العاقبة فاحذر المخالفة، فمن تكبر وتغطرس في الدنيا نكست رأسه في الآخرة، ومن تواضع لله في الدنيا رفعت رأسه، وهذا معنى الحديث الشريف: «من تواضع لله رفعه» .

وفي تنكيس رءوس المجرمين يوم القيامة معنى آخر؛ لأن الحق - سبحانه وتعالى - سيفعل في كل مخالف في الآخرة من جنس ما فعل في الدنيا، وهؤلاء الذين نكس الله رءوسهم في الاخرة فعلوا ذلك في الدنيا، واقرأ إن شئت قول ربك: ﴿ألا إنهم يثنون صدورهم ليستخفوا منه ... ﴾ [هود: ٥]

أي: يطأطئون رءوسهم؛ لكي لا يواجهوا رسول الله، فللحق صولة وقوة لا يثبت الباطل أمامها؛ لذلك نسمع من أصحاب الحق:." (١)

"الأندلس أعظم محنها في تلك المدة العصيبة، ولاح لإسبانيا النصرانية أن حرب الاسترداد القومية لن تلبث حتى تتوج في أعوام قلائل أخرى، بالقضاء على ما بقي من تراث الإسلام في الأندلس.

ولكن شاء القدر أن تتمخض هذه المحنة التي اجتاحت الأندلس في أوائل القرن السابع الهجري، عن قيام دولة إسلامية جديدة، هي مملكة غرناطة، تتمتع بالرغم من صغرها بكثير من عوامل **الفتوة** والحيوية، وفي الوقت الذي خيل فيه لإسبانيا النصرانية أنها أضحت على وشك الإجهاز على المملكة الإسلامية، كانت بذور صراع طويل الأمد تنمو وتتوطد. وإذا بالنهاية المرجوة تستحيل إلى بداية جديدة. ولقد استطالت هذه المرحلة الأخيرة في حرب الاسترداد زهاء مائتين وخمسين عاما، ثبتت فيه المملكة الإسلامية في غرناطة لهجمات إسبانيا النصرانية المستمرة، وعملت على استغلال كل فرصة للمطاولة والمقاومة، وأبدت في الجهاد على صغر رقعتها وضآلة مواردها، بسالة عجيبة. وكانت كلما شعرت بالخطر الداهم يكاد ينقض عليها ويودي بحياتها، استغاثت بجارتها المسلمة من وراء البحر، أو عصفت بإسبانيا النصرانية ريح الخلاف والتفرق، فشغلتها عن إرهاق المملكة الإسلامية حينا من الوقت، حتى شاء القدر بعد طول الجهاد، أن تنتهي هذه المعركة القاسية الطويلة، إلى نهايتها المحتومة، وأن تنهار المملكة الإسلامية الصغيرة تحت ضغط القوة القاهرة، وأن تختتم حياتها المجيدة أبية كريمة.

٢ - طبيعة الصراع الإسلامي النصراني في الأندلس

استمر هذا الصراع قرونا بين الأمة الأندلسية، وبين إسبانيا النصرانية، وكانت العوامل القومية والدينية تمتزج بأدوار هذا الصراع في معظم أطواره، وكانت تشتد وتخبو حينا تبعا لتطور الحوادث. ولما فتح المسلمون إسبانيا، وسيطرت الدولة الإسلامية على معظم أنحائها، قامت المملكة الإسبانية." (٢)

---

(١) تفسير الشعراوي الشعراوي ١١٨١٨/١٩

(٢) قادة فتح الأندلس محمود شيت خطاب ١٢٧/٢

"الاستغاثة بالأموات، ولكن سرعان ما ينتبه من دقق النظر في هذه القصة إلى أن القبورية في استدلالهم بهذه القصة على جواز الاستغاثة بالأموات عند الكربات * لمن أعظم أصحاب التمويهات والتلبيسات *كما سيظهر الآن الجواب * الذي يقطع دابر أهل الارتياب *:

الجواب:

أن هذه القصة لا صلة لها بالاستغاثة بالغائب الذي لا يقدر ولا ينفع * أو الميت الذي لا يعلم ولا يرى ولا يسمع * كما لا علاقة لها بطلب ما لا يقدر عليه إلا الله.

بل تدل على جواز الطلب من الحي الحاضر فيما يقدر عليه، فإن هاجر قد سمعت جبريل الحي الحاضر، فطلبت منه ما كان يقدر عليه وإن لم تكن تراه، ومن ظن غير ذلك فقد افترى على أمنا هاجر، وتقول على أهل بيت النبوة * وبهت أهل الصفوة والفتوة *.

وأتى بتمويه وتحريف * وجاء بتلبيس وتخريف *.

قال العلامتان: نعمان الآلوسي (١٣١٧هـ) ، وابن أخيه شكري الآلوسي (١٣٤٢هـ) ، واللفظ للأول:

(إن كلامنا فيمن يستغاث به عند إلمام ما لا يقدر عليه إلا الله تعالى، أو لسؤال ما لا يعطيه ويمنعه إلا الله سبحانه.

وأما فيما عدا ذلك مما يجري فيه التعاون والتعاضد بين الناس،." (١)

"مخلوق شيئا منع المانعون طلبه من غيره سبحانه، حتى احتمل عنده أن يكون المستغاث به المطلوب منه شيطانا، والعياذ بالله تعالى.

فانظر إلى هذا الجهل الوخيم * والتجاسر العظيم * حتى نسب ما نسب إلى بيت النبوة * وأهل الصفوة والفتوة * فقاتل الله أهل الكفر والضلال *كيف لعب الشيطان بعقولهم حتى أوردهم المهالك والأهوال *؟ .

ولا بدع من هذا العراقي أن يصدر منه ما صدر * فقد بلغ به الكفر والجهل والوقاحة إلى حد لا يمكن أن يذكر *.

نسأل الله تعالى العفو والعافية * وقلوبا عن أكدار الجهل صافية *) .

الشبهة السابعة:

تشبثت القبورية بحديث ابن مسعود مرفوعا:

(«وإذا انفلتت دابة أحدكم بأرض فلاة، فليناد: يا عباد الله احبسوا، يا عباد الله احبسوا، فإن لله عز وجل في الأرض حاضرا سيحبسه») .

قلت:

إن القبورية يعدون هذا الحديث من أقوى حججهم في الاستغاثة بالأموات عند الكربات، ويزعمون أنه يفيد الاستغاثة برجال الغيب، وأن هذا." (٢)

---

(١) جهود علماء الحنفية في إبطال عقائد القبورية شمس الدين الأفغاني ١٢٦٧/٣

(٢) جهود علماء الحنفية في إبطال عقائد القبورية شمس الدين الأفغاني ١٢٧١/٣

"١٣١. أن أرشد الخلق إلى الوصول ... مبينا للحق بالرسول

١٣٢. وشرط من أكرم بالنبوة ... حرية ذكورة كقوة

١٣٣. ولا تنال رتبة النبوة ... بالكسب والتهذيب والفتوة

١٣٤. ولكنها فضل من المولى الأجل ... لمن يشأ من خلقه إلى الأجل

١٣٥. ولم تزل فيما مضى الأنباء ... من فضله تأتي لمن تشاء

١٣٦. حتى أتى بالخاتم الذي ختم ... به وإعلانا على كل الأمم

١٣٧. وخصه بذاك المقام ... وبعثه لسائر الأنام

١٣٨. ومعجز القرآن كالمعراج ... حقا بلا مين ولا اعوجاج

١٣٩. فكم حباه ربه وفضله ... وخصه سبحانه وخوله

١٤٠. ومعجزات خاتم الأنبياء ... كثيرة تجل عن إحصائي

١٤١. منها كلام الله معجز الورى ... كذا انشقاق البدر من غير امترا

١٤٢. وأفضل العالم من غير امترا ... نبينا المبعوث في أم القرى

١٤٣. وبعده الأفضل أهل العزم ... فالرسل ثم الأنبيا بالجزم

١٤٤. وأن كل واحد منهم سلم ... من كل ما نقص ومن كفر عصم

١٤٥. كذاك من إفك ومن خيانة ... لوصفهم بالصدق والأمانة

١٤٦. وجائز في حق كل الرسل ... النوم والنكاح مثل الأكل

١٤٧. وليس في الأمة بالتحقيق ... في الفضل والمعروف كالصديق

١٤٨. وبعده الفاروق من غير افترا ... وبعده عثمان فاترك المرا

١٤٩. وبعده فالفضل حقيقيا فاسمع ... نظامي هذا للبطين الأنزع

١٥٠. مجدل الأبطال ماضي العزم ... مفرج الأوجال وافي الحزم

١٥١. وافي الندى مبدي الهدى مردي العدا ... مجلي الصدا ويا ويل من فيه اعتدى

١٥٢. فحبه كحبهم حتما وجب ... ومن تعدى أو قلي فقد كذب." (١)

"ثم قال المؤلف رحمه الله تعالى:

١٣٣- ولا تنال رتبة النبوة ... بالكسب والتهذيب والفتوة

١٣٤- لكنها فضل من المولى الأجل ... لمن يشا من خلقه إلى الأجل

---

(١) شرح العقيدة السفارينية ابن عثيمين ص/١٣

الشرح

قال المؤلف رحمه الله:

ولا تنال رتبة النبوة ... بالكسب والتهذيب **والفتوة**

يعني أن رتبة النبوة لا تنال بعمل العبد، وهذا أيضا كما سبق لا مجال له الآن؛ لأن الرسالة ختمت بمحمد صلى الله عليه وسلم.

وقول المؤلف: إن النبوة لا تنال (بالكسب) يعني بالتخلق بالأخلاق الفاضلة، والقيام بما يجب على الإنسان من الحقوق التي لربه والتي للخلق. (والتهذيب) أي ولا تنال أيضا بتهذيب الإنسان نفسه، وتهذيب غيره، بأن يكون رجلا مريدا للإصلاح ساعيا فيه.

قوله: (**والفتوة**) أي وكذلك لا تنال **بالفتوة**، وهي الكرم والشجاعة.

وذكر المؤلف رحمه الله هذا الكلام ردا على بعض المتكلمين الذين قالوا: إنه يمكن للإنسان أن يهيئ نفسه ويهذبها حتى يكون مؤهلا للنبوة فيكون نبيا، وهذا ليس بصحيح، فالنبوة لا تنال بالكسب، ولا يمكن أن يصل إليها الإنسان بالكسب. ولكن ربما يقول قائل: ألم يقل الله تعالى: (الله أعلم حيث يجعل رسالته) (الأنعام: الآية١٢٤)) ؟ فنقول: بلى، ولكن هذا الذي كان أهلا للرسالة، لم تكن هذه الأهلية بعمل منه بل كانت بفضل من الله تعالى، ويدل لذلك أننا نجد أناسا وصولا إلى القمة في الكرم والشجاعة وحسن الأخلاق في الجاهلية؛ مثل عبد." [(١)]

"فلا يجدني أرفع الرافعي عن الخطأ، ولا أجله عن الضعف ولا أنزهه عما هو من عمل كل إنسان حي ناطق يأمل ويشتهي.

ولقد عرفنا الرافعي زمنا –طال أو قصر– فأحببناه ومنحناه من أنفسنا ومنحنا من ذات نفسه، ورضيناه أبا وأخا وصديقا وأستاذا ومؤدبا فلم نجد إلا حسن الظن به في كل أبوته وإخائه وصداقته وأستاذيته، ولقد مات الرافعي الكاتب الأديب وهو على عهدنا به إنسانا نحبه ولا ننزهه، ثم جاء الأستاذ سيد قطب بحسن أدبه يقول في الرجل غير ما عهدناه، يؤول كلامه ويأخذ منه ويدع ويتفلسف ويحلل ويزعم القدرة على التولج في طويات القلوب وغيب النفوس فيكشف أسرارها ويميل اللثام عما استودعت من خبيئاتها، ثم هو في ذلك لا يتورع ولا يحتاط، ولا يرعى زمام الموت ولا يوجب حق الحي.

هذا الذي ترك الدنيا بالأمس وحيدا، وخلف من ورائه صغارا وكبارا من أبنائه وحفدته وأصحابه واللائذين به، ثم يراهم والدمع يأخذهم بين الذكرى المؤلمة والألم البالغ، ولو فعل لعرف كيف أخطأ ومن أين أساء ولوجده لزاما عليه أن يقدر عاطفة الحي إن لم يعظم حرمة الموت.

جعل١ الأستاذ يستثير دفائن الإحن والأحقاد التي كانت بين الرافعي والعقاد ليتخذ منها دليله الذي يفزع إليه في أحكامه على الرافعي، لا بل على قلب الرافعي ونفسه وإيمانه بعمله وعقيدته فيه، ثم لم يرض بذلك حتى نفخ منها من روح الحياة

(١) شرح العقيدة السفارينية ابن عثيمين ص/٥٢٥

ما جعلها مما يكتب الأطباء عن الأطباء للإيلام والإثارة لا للجرح والتعديل والنقد. وكأن **الفتوة** عادت جذعة بين الرافعي نفسه وبين العقاد وإلا فما الذي رمى في صدر الأستاذ بهذه الغضبة الجائحة من أجل العقاد!

---

١ الرسالة ٩ مايو ١٩٣٨.." (١)

"إذا قل ماء الوجه قل حياؤه

ولا خير في وجه إذا قل ماؤه

حياؤك فاحفظ عليك فإنما

يدل على فعل الكريم حياؤه

اللهم يا جامع الناس ليوم لا ريب فيه اجمع بيننا وبين الصدق والنية الصالحة والإخلاص والخشوع والمراقبة واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين برحمتك يا أرحم الراحمين وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

(فصل)

وأما الحياء من الناس فهو قسمان: الأول أن يستحي المرء من الناس وهو جازم بأنه لا يأتي هذا المنكر ولا يفعل هذه الرذيلة خوفا من الله تعالى وحياء منه أيضا ولو لم يطلع عليه أحد من خلق الله وهذا هو الحازم الذي عرف كيف يستفيد من صفة الحياء، ويأخذ أجرها كاملا لأن الحياء إنما يمدح من جميع جهاته إذا ترتب عليه الكف عن القبائح التي لا يرضاها الدين الإسلامي في جميع الأحوال.

وروي أن حذيفة بن اليماني أتى الجمعة فوجد الناس قد انصرفوا فتنكب الطريق عن الناس وقال لا خير فيمن لا يستحي من الناس.

إذا لم تصن عرضا ولم تخش خالقا

وتستحي مخلوقا فما شئت فاصنع

ويقال خمسة أشياء تقبح في خمسة أصناف قلة الحياء في ذوي الأحساب والحدة في السلطان، والبخل في ذوي الأموال، **والفتوة** في." (٢)

".. قد أسلف التجار أثمان المبيـ ... ؟؟؟؟ ... ع بعقدهم في بيعة الرضوان ... ؟؟؟؟ ... لله سوق قد أقامته الملا

ئكة الكرام بكل ما إحسان

---

(١) المعارك الأدبية أنور الجندي ص/٢٦٩

(٢) موارد الظمآن لدروس الزمان عبد العزيز السلمان ٣/٣٧٠

فيه الذي والله لا عين رأت

كلا ولا سمعت به أذنان

كلا ولم يخطر على قلب امرئ

فيكون عنه معبرا بلسان

فيرى امرأ من فوقه في هيئة

فيروعه ما تنظر العينان

فإذا عليه مثلها إذ ليس يل ... ؟؟؟؟ ... حق أهلها شيء من الأحزان ... ؟؟؟؟ ... واها لذا السوق الذي من حله

نال التهاني كلها بأمان

يدعى بسوق تعارف ما فيه من

صخب ولا غش ولا أيمان

وتجارة من ليس تلهيه تجا

رات ولا بيع عن الرحمن

أهل المروءة والفتوة والتقى

والذكر للرحمن كل أوان

يا من تعوض عنه بالسوق الذي." (١)

"كتاب اللباس

الحديث الأول

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا تلبسوا الحرير، فإنه من لبسه في الدنيا لم يلبسه في الآخرة".

الحديث الثاني

عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "لا تلبسوا الحرير، ولا الديباج، ولا تشربوا في آنية الذهب والفضة، ولا تأكلوا في صحافهما، فإنها لهم في الدنيا ولكم في الآخرة".

المعنى الإجمالي:

نهى النبي صلى الله عليه وسلم الرجال عن لبس الحرير والديباج، لما في لبسهما- للذكر- من الميوعة والتأنث، والتشبه بالنساء الناعمات المترفات.

والرجل يطلب منه الخشونة، والقوة، والفتوة.

كما نهى كلا من الرجال والنساء عن الأكل والشرب في صحاف الذهب والفضة وآنيتهما، لما في ذلك من السرف،

---

(١) موارد الظمآن لدروس الزمان عبد العزيز السلمان ٥٩٨/٥

والفخر، والخيلاء، وكسر قلوب الفقراء الذين لا يجدون رخيص النقد لقضاء الضروري من حاجاتهم، ولما فيه من تضييق النقدين على المتعاملين.

وكما قال صلى الله عليه وسلم: إن الأكل فيهما في الدنيا للكفار الذين تعجلوا طيباتهم في حياتهم الدنيا. واستمتعوا بها.

وهي لكم- أيها المسلمون خالصة- يوم القيامة إذا اجتنبتموها خوفا من الله تعالى وطمعا فيما عنده.

كما أن من لبس الحرير من الرجال في الدنيا، فقد تعجل متعته، ولذا فإنه لن يلبسه في الآخرة.

(ومن تعجل شيئا قبل أوانه عوقب بحرمانه) والله شديد العقاب.

ما يستفاد من الحديثين:

١- تحريم لبس الحرير والديباج على الذكور، والوعيد الشديد على من لبسه.." (١)

"وإفشاء السلام، وهو إعلانه وإظهاره لكل أحد، وهو أداء للسنة، ودعاء للمسلمين من بعضهم لبعض، وسبب لجلب المودة.

فقد جاء في الحديث "ألا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم".

أما الأشياء التي نهى عنها في هذا الحديث، فالتختم بخواتم الذهب للرجال، لما فيه من التأنث والميوعة، وانتفاء الرجولة التي سيماها الخشونة.

وعن الشرب بآنية الفضة، لما فيه من السرف والبطر، وإذا منع الشرب مع الحاجة إليه فسائر الاستعمالات أولى بالمنع والتحريم.

وعن المياثر، والقسي، والحرير، والديباج، والإستبرق، وأنواع الحرير على الرجال.

فإنها تدعو إلى اللين والترف اللذين هما سبب العطالة والدعة.

والرجل يطلب منه النشاط والصلابة **والفتوة**، ليكون دائما مستعدا للقيام بواجب الدفاع عن دينه وحرمه ووطنه.

ما يستفاد من الحديث:

١- استحباب عيادة المريض وتجب إذا كان يجب بره. كالوالدين، أو كان يترتب على تركه مفسدة.

٢- استحباب اتباع الجنائز للصلاة عليها ودفنها، وهو فرض كفاية: يسقط مع قيام من يكفى، وإلا أثم من علم بحاله وقدر عليه فتركه.

ومن تبعها حتى يصلى عليها فله قيراط من الأجر، ومن شهدها حتى تدفن فله قيراطان.

تشميت العاطس إذا حمد الله بقوله: (يرحمك الله) وهو واجب إلى نهاية ثلاث مرات، وبعدهن يدعو له بالشفاء.

٤- إبرار قسم المقسم، وهو من مستحب، لما فيه من جبر القلب وإجابة طلبه في غير إثم.

٥- وفيه وجوب نصر المظلوم بقدر استطاعته، لأنه من النهي عن المنكر. وفيه رد للشر، وإعانة المظلوم، وكف الظالم.

٦- إجابة الدعوة. فإن كانت لعرس وجبت الإجابة إن لم يكن ثم منكر لا يقدر على إزالته وإن كانت لغيره من الدعوات

---

(١) تيسير العلام شرح عمدة الأحكام عبد الله بن صالح آل بسام ص/٧٢٩

المباحة استحبت.

وتتأكد بما يترتب عليها من إزالة ضغينة، أو دفع شر.

٧- إفشاء السلام بين المسلمين، لأنه دعاء بالسلامة، وعنوان على المحبة والإخاء.

٨- النهي عن تختم الرجال بخواتم الذهب، فهو محرم.

وقد ابتلى به كثير من الشباب المائع.." (١)

"إلى الحب والغزل، وعلى شيء من عوائدهم وأساليبهم فيهما، وحدثنا عن غرام بعضهم بالجمال الأشقر، وعن اتخاذ الحمائم لتبليغ الرسائل، وعن التهادي بخصل الشعر مبخرة بالعنبر مرشوشة بماء الورد وقد جمعت في اصلها بالصطكي وبالشمع الأبيض المصفى ولفت في تطاريف الوشي والخز وما أشبه لتكون تذكرة للمحبين، وحدثنا عن ضروب من الحب عندهم أدت إلى الجنون وأخرى أدت إلى الانتحار. ويستشف من أقوال ابن حزم سيطرة الجارية على دنيا الغزل، في الأكثر، وقد يكون من الأخبار ذات الدلالة العميقة قوله: ان المنصور بن أبي عامر قتل جارية تغنت بغزل قيل فيه " صبح " أم مؤيد، وان آلا مغيث استؤصلوا ولم يبق منهم إلا الشريد الضال لأن أحمد بن مغيث تغزل بإحدى بنات الخلفاء (١) ، مما يدل على قيام حدود صارمة تجعل نساء الأشراف في منزلة خاصة لا تتطاول إليها، أولا يجب أن تتطاول، عيون الشعراء المتغزلين.

على ان ابن حزم ربط الحب في رسالته بالنظرة الأفلاطونية أو قل وثق العلاقة بينه وبين الاخلاق، ولم يكن جاريا في هذا على طبيعته المتدينة فحسب، بل كان أيضا يصور تيارا قويا في شعر الحب بالأندلس، وجد قبل ان يكتب طوق الحمامة. إذ كانت علاقة الشعر بالأخلاق قد أخذت تتحدد لا على نحو رومنطيقي إعرابي كما حدث في نسيب المشارقة إبان العصر الأموي بل على نحو من الإيمان بالعفاف عند المقدرة وانه سمة أخلاقية ملازمة للفتوة نفسها، تلك **الفتوة** النابعة أيضا من النظرة الدينية. وكان ابن فرج صاحب الحدائق نفسه من خير من يمثلون هذا الاتجاه في مقطوعتين من شعره وصلتا إلينا، يقول في إحداهما:

---

(١) الطوق: ٣٨.." (٢)

"بحيث احتجت عن عينيه القيم الجماعية، كما احتجت عنه إمكان سقوط العظمة التي يستظل بظلها فلما تقلص الظل أصيب الشاعر " بضربة " المفاجأة الحادة؟ هل كان المعتمد رمزا للبطولة والفروسية **والفتوة** الكاملة فكان انهياره مأساويا لأنه كان يعني انهيار الرمز الكبير؟ هل أحس أولئك الشعراء انهم يودعون صورة " السيادة " العربية في الأندلس إلى الأبد؟ هل كان بكاؤهم على صاحبهم نفورا طبيعيا من السادة الجدد ونحن نعلم أن الشعراء الثلاثة تحاسوا سلطان المرابطين من بعد، ولم يتصلوا بهم؟ . لم لا نقول أن سقوط " العزيز "؟ الصديق - الراعي - الشاعر؟ يستدعي الأسى مثلما يستدعي

---

(١) تيسير العلام شرح عمدة الأحكام عبد الله بن صالح آل بسام ص/٧٣٣

(٢) تاريخ الأدب الأندلسي (عصر الطوائف والمرابطين) إحسان عباس ص/١٥٧

الوفاء؟

وقد كان المعتمد نفسه كأحد هؤلاء الأوفياء في إحساسه بالتغيير المخيف الذي لحقه بعد السرير والصولجان، حين اصبح أسيرا مقيدا " وحمل في السيفين، وأحل في العدوة محل الدفين، تنبذه منابره واعواده، ولا يدنو منه زواره ولا عواده " (١) ، فتمثل قصوره: المبارك والوحيد والزاهي ورأى التاج والنهر وكل ما ألفه في أيام ملكه تندبه وتبكيه، واستشهر الغربة والإذلال في كل خطوة، فسجل مشاعره الحزينة وهو يقارن بين حالتيه، وتخير اللحظات التي يحس الإنسان فيها بالبون الواسع بين معالم البهجة والأسى كأيام العيد، فصور ما آل إليه وما آلت إليه بناته من جوع وفقر (٢) :

فيما مضى كنت بالأعياد مسرورا ... فجاءك العيد في اغمات مسرورا

ترى بناتك في الاطمار جائعة ... يغزلن للناس لا يملكن قطميرا

---

(١) القلائد: ٢٣ – ٢٤.

(٢) ديوان المعتمد: ١٠٠ – ١٠١.."[1]

"أحسن الشعر أكذبه

وابن حزم يأخذ برأي من يقولك أحسن الشعر أكذبه، ولذلك فهو مبني على الإغراق. فإذا أخذ الشاعر في الصدق فقال " الليل ليل والنهار نهار " أصبح محطا للهزء والسخرية؛ وهذا الإغراق تصدقه الآية القرآنية في الشعراء. ولذلك نهى النبي عن الإكثار منه إلا ما خرج عن حد الشعر، فكان مواعظ وحكما ومدحا للنبي صلى الله عليه وسلم (١) .

المواعظ والحكم والنبويات خارجة عن حد الشعر

فابن حزم يعتقد ان المواعظ والحكم والمدائح النبوية خارجة عن حد الشعر لأنها تقوم على الصدق، بينا الشعر يقوم على الكذب.

استبعاد الشعر في المنهج التربوي

ولهذا فإنه حين اتخذ مدخله إلى الشعر تربية الشبان تربية خلقية، نهى عن كل نوع من الشعر، ولم يبق إلا المواعظ والحكم وما فيه ذكر الخير: نهى عن الأغزال والرقيق لأنها تحث على الصبابة وتدعو إلى الفتنة وتحض على الفتوة وتصرف النفس إلى الخلاعة واللذات وتسهل الانهماك في الشطارة والفسق؛ ونهى عن الأشعار المقولة في التصعلك وذكر الحروب لأنها تثير النفوس وتهيج الطبيعة وتسهل على المرء موارد التلف في غير حق وقد تؤدي إلى هلاك النفس وخسران الآخرة؛ ونهى عن أشعار التغرب وصفات المفاوز والبيد لأنها تسهل التحول والتغرب؛ ونهى عن الهجاء فهو أفسد أنواع الشعر لأنه يهون على المرء كونه في حالة السفلة. أما المدح والرثاء فهما من المباح المكروه، من المباح لأنه قد تذكر فيهما الفضائل ويتم التذكير بالموت، ومن المكروه لان الكذب يلفهما بردائه، ولا خير في الكذب (٢) .

---

(١) تاريخ الأدب الأندلسي (عصر الطوائف والمرابطين) إحسان عباس ص/١٨٩

(١) التقريب: ٢٠٦ - ٢٠٧.

(٢) رسائل ابن حزم: ٦٥ - ٦٧.." (١)

"وقال:

فإذا ما انقضى دنان على الله؟ ... واعتمدنا مواضع الصلوات وانفق كثيرا من طاقته الشعرية في التغزل بالغلمان، حتى ان السجن لم يشغله عن هذا الموضوع، بل ظل سادرا فيه، ومن الإنصاف له أن نسجل له مزجة بين التهتك والتعفف في مقام واحد، ذهابا مع ما يسميه هو المروة أو **الفتوة**.

ومع ذلك فان السجن كان من أقوى الدوافع التي كادت أن تحطم عليه طريقته الشعرية، التي قامت على المجانة واللهو في الموضوع وعلى الإغراق والإحالة في تعقب الصور والمعاني، وانطلقت أشعاره في السجن من خلجات الحزن العميق ودوافعه، ورده وضعه إلى شيء من التأمل في نفسه وفي نهايته، وملأ أبياته بالبكاء حينا وبالتشوق إلى الانطلاق حينا آخر، وحلت العاطفة الجياشة في شعره محل التصنيع الذهني، ومن أمثلة ذلك قوله (١) :

وقالت تظن الدهر سيجمع بيننا ... فقلت لها من بظن محقق

ولكنني فيما زجرت بمقلتي ... زجرت اجتماع الشمل بعد التفرق

أباكية يوما ولم يأن وقته ... سينفد قبل اليوم دمعك فارفقي ومن قصائده التي انبعثت من المحبس أيضا (٢) :

على كبري تهمي السحاب وتذرف ... وعن جزعي تبكي الحمام وتهتف

كأن السحاب الواكفات غواسلي ... وتلك على فقدي نوائح هتف ولو أنا قارنا هذه الانطلاقات العاطفية بأبياته التي أوردتها من قبل في وصف الأزهار والربيع لتبين لنا الفرق واضحا، فهنالك اهتدى إلى معنيين جميلين بعد الكد والاجتهاد، حين زعم اولا ان الماء قد غاص

---

(١) المطمح: ٧٢

(٢) المطمح: ٧٣." (٢)

"وتحض على **الفتوة**، وتصرف النفس إلى الخلاعة واللذات وتسهل الانهماك في الشطارة والعشق وتنهي عن الحقائق حتى ربما أدى ذلك إلى الهلاك والفساد في الدين وتبذير المال في الوجوه الذميمة وأخلاق العرض واذهاب المروءة وتضييع الواجبات. وان سماع شعر رقيق لينقض بنية الرائض لنفسه حتى يحتاج إلى إصلاحها ومعاناتها برهة، لا سيما ما كان يعني بالمذكر وصفة الخمر والخلاعة، فان هذا النوع يسهل الفسوق ويهون المعاصي ويردي جملة.

والضرب الثاني: الأشعار المقولة في التصعلك وذكر الحروب مشعر عنترة وعروة بن الورد وسعد بن ناشب وما هنالك، فان هذه أشعار تثير النفوس وتهيج الطبيعة وتسهل على المرء موارد التلف في غير حق وربما أدته إلى هلاك نفسه في غير حق

---

(١) تاريخ النقد الأدبي عند العرب إحسان عباس ص/٤٨٧

(٢) تاريخ الأدب الأندلسي (عصر سيادة قرطبة) إحسان عباس ص/١٦٦

والى خسارة الآخرة مع اثارة الفتن وتهوين الجنايات والأحوال الشنيعة والشره إلى الظلم وسفك الدماء.

والضرب الثالث: أشعار التغرب وصفات المفاوز والبيد المهامه فأنها تسهل التحول والتغرب وتنشب المرء فيما ربما صعب عليه التخلص منه بلا معنى.

والضرب الرابع: الهجاء فان هذا الضرب أفسد الضروب لطالبه فانه يهون على المرء الكون في حالة أهل السفه من كناسي الحشوش والمعاناة لصنعة الزمير المتكسبين بالسفاهة والنذالة والخساسة وتمزيق الأعراض وذكر العورات وانتهاك حرم الآبار والأمهات وفي هذا حلول الدمار في الدنيا والآخرة.

ثم صنفان من الشعر لا بنهي عنهما نهيا تاما ولا يحض عليها بل هما عندنا من المباح المكروه وهما: المدح والرثاء، فأما إباحتهما فلأن فيهما ذكر فضائل الموت والممدوح وهذا يقتضي للراوي ذلك الشعر الرغبة في مثل ذلك الحال، وأما كراهتنا لهما فان اكثر ما في هذين." (١)

"وكري إذا نادى المضاف محنبا ... كسيد الغضا نبهته المتورد١

وتقصير يوم الدجن والدجن معجب ... ببهكنة تحت الخباء المعمد٢

وواضح أنه يجعل من خلال الفتى هذه الخصال الثلاث، وهي الخمر والفروسية أو الشجاعة في الحرب والتمتع بالنساء؛ على أن هذه الفتوة التي يصورها طرفة كانت تتسامى عند كثير من فرسانهم مثل عنترة؛ بل حتى من صعاليكهم مثل عروة بن الورد، وسنعرض لذلك في موضع آخر.

ومهما يكن فقد كانت الخمر وما يتبعها من استباحة النساء شائعة في هذا العصر، وكان يشيع معها القمار أو الميسر، وكانت عادتهم فيه أن يذبحوا ناقة أو بعيرا، ويقسموا ما يذبحونه عشرة أجزاء، ثم يأتوا بأحد عشر قدحا، يجرون عليها قمارهم، وكانوا يجعلون لسبعة منها نصيبا إن فازت، وعلى أصحابها غرم إن خابت، وأكبرها نصيبا يسمى المعلى. أما الأربعة الباقون فلا حظ لها حتى إن فازت.

وأكبر الدلالة على شيوع هذه الآفات بينهم الآيات الكثيرة التي هاجمتها في القرآن الكريم وما وضعه الإسلام لها من عقاب صارم حتى يكف العرب عنها، وقد شدد في عقوبة استباحة النساء، وأكثر من النهي عن الخمر والميسر من مثل قوله تعالى: ﴿إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون﴾ وقد وصف الخمر بأنها ﴿رجس من عمل الشيطان﴾ . ونجد في الحديث النبوي نهيا كثيرا عنها وأن الله لعنها ولعن عاصرها ومعتصرها وشاربها٣ وقد جعل لها

١المضاف: الخائف المذعور، والمحنب الفرس الذي في قوائمه أو ضلوعه انحناء قليل. والسيد: الذئب، والغضا: شجر، نبهته: هيجته، المتورد: الجريء. يقول: إذا استغاث به خائف عطف فرسا يسرع في عدوه إسراع ذئب الغضا الجريء حين تهيجه.

٢ الدجن: الغيم، البهكنة: المرأة الجميلة المعمد: المرفوع بالعماد.

---

(١) تاريخ الأدب الأندلسي (عصر سيادة قرطبة) إحسان عباس ص/١٨٦

٣ انظر كتاب الأشربة في سنن أبي داود، وابن ماجة والنسائي، والبخاري. وراجع دائرة المعارف الإسلامية في مادة خمر.." (١)

"أرين محاسنا وكنن أخرى ... من الأجياد والبشر المصون

ويقول: إنهن كن يمددن أعناقهن مستشرفات للنظر وصاحبته بينهن تفوقهن حسنا وجمالا. وكن كطبيعة النساء في كل عصر ينصرفن عن الشيب ومن قل ماله١؛ ولذلك كثر عتابهم معهن، وخاصة من حيث ما يأخذنه عليهم من البذل الذي يذهب بأموالهم، ودائما نراهم يحتجون عليهن بأن خلود المرء في بذله لا في ثرائه٢. وقد يصورون في تعلقهم بالمرأة ضربا من المتاع الحسي، على نحو ما يصور ذلك طرفة في معلقته وكذلك امرؤ القيس، ومرد ذلك إلى ضرب شاع عندهم من **الفتوة**؛ فهم يتمدحون بأنهم ينالون من المرأة ما يريدون، وكانوا وثنيين ولم يكن هناك دين يردعهم. على أن منهم من كان يتسامى في غزله حتى ليمكن القول بأن الغزل العذري له أصول في الجاهلية عند عنترة وأضرابه.

ومن المؤكد أن المرأة الحرة لم تكن ممتهنة عندهم؛ بل كانت في المكان المصون، وكان الشاعر يستلهمها شعره؛ ولذلك كان يضعها في صدر قصيده، ونحس عند كثيرين منهم -وخاصة فرسانهم من مثل عنترة- أنهم يقدمون مغامراتهم في الكرم وفي الحرب لها لينالوا حبها، وكان أكثر ما يشجيهم ويبعث الموجدة في قلوبهم أن تؤسر وتسبى؛ فكان لا يقر لهم قرار إلا أن يعودوا بها مكرمة إلى ديارهم.

ومن موضوعات شعرهم المهمة الوصف، وقد وصفوا كل شيء وقعت عليه أعينهم في صحرائهم، وفي العادة يذكرون ذلك بعد غزلهم وتشبيبهم؛ إذ يخرج الشعراء إلى وصف رحلاتهم في الصحراء، فيتحدثون عن قطعهم للمفاوز البعيدة، فوق إبلهم، ويأخذون في وصفها وصفا مسهبا على نحو ما هو معروف عن طرفة في وصفه لناقته بمعلقته وقد كاد أن لا يترك فيها عضوا ولا جزءا دون وصف وتصوير، والمفضليات والأصمعيات تزخر بأحاديثهم عنها ومقدار ما كانوا يرون فيها من جمال وكانوا يشبهونها بالقصور ويشبهون قوائمها بالأعمدة وقد يشبهونها بالسفن والقناطر ويشبهون قوائمها بجذوع الطلح ويديها بالصخر الغليظ أو بيدي السابح، وصوتها

---

١ المفضليات: ص٣٥، ١٨٦، ٤١٨.

٢ المفضليات: ص١١٨، ص١٢٥. بيت ٤ وما بعده رقم ٥٩ ورقم ١٠٤ بيت ١١، ١٢.." (٢)

"عنده على العقل المتفلسف والصياغة الفلسفية، وقد ذهب يستخدم هذه الحكم، مضيفا إليها ضروبا من القافية المنطقية الدقيقة حتى ينال ما يريده من الدوي العالي:

وتركك في الدنيا دويا كأنما ... تداول سمع المرء أنمله العشر

لقد كان هذا التصنع للفلسفة والمنطق يحدث له ذلك الدوي والضجيج الذي يريده، وبدأ -كما رأينا- فطرز شعره بأمثال

---

(١) تاريخ الأدب العربي العصر الجاهلي شوقي ضيف ص/٧١

(٢) تاريخ الأدب العربي العصر الجاهلي شوقي ضيف ص/٢١٤

الفلسفة اليونانية، ثم أخذ ينشر أسماء أصحابها في شعره من مثل أرسططاليس وبطليموس والإسكندر الأفروديسي على نحو ما يلقانا في رائيته التي مدح بها ابن العميد. كما أخذ يستعير ألفاظها واصطلاحاتها، كأن يستعير الحركة والسكون في قوله:

تناهى سكون الحسن في حركاتها ... وليس لراء وجهها لم يمت عذر

أو يستعير كلمة القياس الفاسد في قوله:

بشر تصور غاية في آية ... تنفي الظنون وتفسد التقييسا

أو يشير إلى بعض أفكار المتفلسفة وآرائهم في مثل قوله:

تخالف الناس حتى لا اتفاق لهم ... إلا على شجب والخلف في الشجب١

فقيل تخلد نفس المرء باقية ... وقيل تشرك جسم المرء في العطب

وكأنه كان يشك في الروح وخلودها. ونراه يقول:

وترى الفتوة والمروة والأبـ ... وة في كل مليحة ضراتها

هن الثلاث المانعاتي لذتي ... في خلوتي لا الخوف من تبعاتها

يقول العكبري في التعليق على هذين البيتين: إنه يشير بذلك إلى قول المتفلسفة: "إن النفوس تركت الشهوات البهيمية طبعا لا خوفا"٢، وقد نراه يعتد بمذهب السوفسطائية في مثل قوله:

هون على بصر ما شق منظره ... فإنما يقظات العين كالحلم

فإن السوفسطائيين لا يؤمنون بوجود المحسوسات، وذهب صاحب "سرح العيون" إلى أنه كان على مذهب الهوائية أو المادية لقوله:

تبخل أيدينا بأرواحنا ... على زمان هي من كسبه

---

١ الشجب: الهلاك والموت.

٢ التبيان ٢/ ٢٢٨.." (١)

"المستغفري ضبطه بنون مثقلة بعد الفاء، وآخره جيم، وهو اسم فارسي.

فتنة:

يأتي في حرف الواو: وصال.

الفتوة: (١)

ذكر ابن القيم – رحمه الله تعالى – أن الهروي ذكر من منازل ﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾ : منزلة: **الفتوة**.

---

(١) الفن ومذاهبه في الشعر العربي شوقي ضيف ص/٣٢٧

والفتوة هي استعمال الأخلاق الكريمة مع الخلق. ثم قال ابن القيم في ((مدارج الساكين)) :

(وأصل **الفتوة**: من الفتى، وهو الشاب الحدث السن، قال الله تعالى عن أهل الكهف: ﴿إنهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى﴾ .. فاسم الفتى لا يشعر بمدح ولا ذم كاسم الشاب والحدث. ولذلك لم يجئ اسم: **الفتوة** في القرآن، ولا في السنة، ولا في لسان السلف، وإنما استعمله من بعدهم في مكارم الأخلاق.

وأصلها عندهم: أن يكون العبد أبدا في أمر غيره. وأقدم من علمته تكلم في **الفتوة**: جعفر بن محمد، ثم الفضيل بن عياض، والإمام أحمد، وسهل بن عبد الله، والجنيد. وغيرهم) . اهـ.

وإن هذا الحكم الاستقرائي من ابن القيم – رحمه الله تعالى – أن اسم **الفتوة** لا أصل له في الوحيين الشريفين، يبين بجلاء أنه من مستحدث الاصطلاح في التعبد، وإن قال به بعض الأكابر، فالأولى عدم استعماله. والله أعلم.

فحيط:

يأتي في حرف الواو: وصال.

---

(١) (**الفتوة**: مدارج السالكين ٢/ ٣٤١. وانظر: اللمع لابن بيدكين فهو مهم. فتاوى السبكي.." [١]

"فضائل إبراهيم عليه السلام

استشكل بعض الناس أننا أمرنا بأن نصلي على محمد كما نصلي على إبراهيم، أو نطلب من الله صلاته على محمد كما صلى على آل إبراهيم، وكيف دعي له بمثل صلاته على إبراهيم، يقول العلماء: إن المشبه دون المشبه به، فيكون إبراهيم على هذا أفضل من محمد والأمر بالعكس، وأجاب العلماء بأن محمدا صلى الله عليه وسلم من آل إبراهيم، فهو واحد منهم، ولا شك أيضا أن إبراهيم عليه السلام له ميزة وله فضائل أثنى الله عليه بها، ومدحه بها، فذكر أنه دعا الناس وهو صغير، وبكتهم ووبخهم وهو لا يزال في **الفتوة**، كما حكى الله عنهم: ﴿قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له إبراهيم﴾ [الأنبياء:٦٠] وذلك عندما كسر أصنامهم وهو لم يزل فتى شابا، وذلك دليل على أنه قام بالدعوة وهو شاب.

وكذلك أيضا وقعت له المعجزة الكبيرة، وهو أن الله تعالى جعل النار عليه بردا وسلاما.

كذلك وهب الله له على الكبر إسماعيل وإسحاق، ولما دعا بقوله: ﴿رب هب لي من الصالحين﴾ [الصافات:١٠٠] أجاب الله تعالى دعوته ووهب له الصالحين.

كذلك أيضا جعل الأنبياء بعده كلهم من ذريته، فأولاده أنبياء إسماعيل وإسحاق، وكذلك ابن ابنه يعقوب، وكذلك يوسف بن يعقوب، وهكذا ذرية يعقوب الذي هو إسرائيل عليه السلام، وكذا أيضا من كان بعدهم من ذريتهم إلى أن كان نبينا صلى الله عليه وسلم، وهو من ذرية إسماعيل بن إبراهيم، فالكل من ذرية إبراهيم، فهم من آل إبراهيم.

ومن فضائله: أن الله تعالى جعل على يديه بناء البيت، أمره الله تعالى أن يبنيه بعدما اندرس واندثر، قال الله تعالى: ﴿وإذ

---

(١) معجم المناهي اللفظية بكر أبو زيد ص/٤٠٢

بوأنا لإبراهيم مكان البيت﴾ [الحج:٢٦] مكانه يعني: موضعه، وقال تعالى: ﴿وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل﴾ [البقرة:١٢٧] فجعله الله تعالى على يديه، وأمره بأن يطهره بقوله: ﴿وطهر بيتي للطائفين﴾ [الحج:٢٦] ﴿أن طهرا بيتي للطائفين﴾ [البقرة:١٢٥] فهذه كلها من الخصائص والميزات، ولما كان بهذا الشرف لم يكن هناك استنكار في أن يصلى على محمد كما صلي على آل إبراهيم.." (١)

"والأشد: قوة الإنسان واشتعال حرارته، من الشدة بمعنى القوة والارتفاع. يقال: شد النهار، إذا ارتفع، وهو مفرد جاء بصيغة الجمع، ولا واحد له من لفظه.

والمراد ببلوغ أشده: أن يصل سنه على الراجح- إلى ثلاث وثلاثين سنة.

وقوله: أوزعني أى: رغبني ووفقني، من قولك: أوزعت فلانا بكذا، إذا أغريته وحببته في فعله. أى: أن هذا الإنسان بعد أن بقي في بطن أمه ما بقي، وبعد أن وضعته وأرضعته وفطمته وتولته برعايتها، واستمرت حياته «حتى إذا بلغ أشده» أى: حتى إذا بلغ زمن استكمال قوته، وبلغ أربعين سنة وهي تمام اكتمال العقل والقوة **والفتوة**.

قال على سبيل الشكر لخالقه رب أوزعني ... أى: يا رب وفقني وألهمنى أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي بأن وفقتني ووفقتهما إلى صراطك المستقيم، وبأن رزقتهما العطف علي، ورزقتني الشكر لهما، ووفقني- أيضا- أن أعمل صالحا ترضاه منى، وتقبله عندك وأصلح لي في ذريتي أى: واجعل- يا إلهى- الصلاح راسخا في ذريتي، وساريا فيها، لأن صلاح الذرية فيه السعادة الغامرة للآباء.

إني تبت إليك توبة صادقة نصوحا وإنى من المسلمين الذين أخلصوا نفوسهم لطاعتك، وقلوبهم لمرضاتك.

فأنت ترى أن الآية الكريمة قد اشتملت على أسمى ألوان الدعوات، التي عن طريق إجابتها تتحقق السعادة الدنيوية والأخروية.

قال صاحب الكشاف: فإن قلت: ما معنى «في» في قوله: وأصلح لي في ذريتي؟

قلت: معناه أن يجعل ذريته موقعا للصلاح ومظنته، كأنه قال: هب لي الصلاح في ذريتي، وأوقعه فيهم. «١» .

وفي الآية الكريمة: تنبيه للعقلاء، إلى أن شأنهم- خصوصا عند بلوغ سن الأربعين. أن يكثروا من التضرع إلى الله بالدعاء، وأن يتزودوا بالعمل الصالح، فإنها السن التي بعث الله- تعالى- فيها معظم الأنبياء، والتي فيها يكتمل العقل، وتستجمع القوة، ويرسخ فيها خلق الإنسان الذي تعوده وألفه ورحم الله القائل:

إذا المرء وافى الأربعين ولم يكن ... له دون ما يهوى حياء ولا ستر

فدعه، ولا تنفس عليه الذي مضى ... وإن جر أسباب الحياة له العمر

---

(١) تفسير الكشاف ج ٤ ص ٣٠٢.." (٢)

---

(١) شرح الطحاوية لابن جبرين ابن جبرين ١٠/٣٥

(٢) التفسير الوسيط لطنطاوي محمد سيد طنطاوي ١٩٢/١٣

"نورهم كالبدر قال: " أخلاقهم على خلق رجل واحد، على صورة أبيهم آدم ستون ذراعا في السماء ". (١)

ومن جمال صورتهم أنهم يكونون جردا مردا كأنهم مكحلون، وكلهم يدخل الجنة في عمر القوة والفتوة والشباب أبناء ثلاث وثلاثين، ففي مسند أحمد وسنن الترمذي عن معاذ بن جبل عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال: " يدخل أهل الجنة جردا مردا، كأنهم مكحلون، أبناء ثلاث وثلاثين ". (٢)

وأهل الجنة –كما جاء في حديث أبي هريرة في الصحيحين – " لا يبصقون، ولا يمتخطون، ولا يتغوطون ". (٣)

وأهل الجنة لا ينامون، فقد جاء في حديث جابر بن عبد الله، وعبد الله ابن أبي أوفى أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال: "النوم أخو الموت، ولا ينام أهل الجنة". (٤)

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الجنة، باب أول زمرة يدخلون الجنة، (٢١٧٩/٤) ورقم الحديث: ٢٨٣٤.

(٢) صحيح الجامع: (٣٣٧/٦) ، ورقمه: ٧٩٢٨، وقال الشيخ ناصر فيه: صحيح.

(٣) هذا جزء من حديث طويل سقناه بكامله في (دخول الجنة) .

(٤) أورد الشيخ ناصر الدين الألباني هذا الحديث في "سلسلة الأحاديث الصحيحة": (٧٤/٣) ورقمه: ١٠٨٧، وقد ذكر هناك أنه أخرجه كثير من كتب الحديث منها الكامل لابن عدي، والحلية لأبي نعيم، تاريخ أصبان له، وقد جمع الشيخ ناصر طرق الحديث، وختم الكلام على الحديث قائلا: "وبالجملة فالحديث صحيح من بعض طرقه عن جابر".." [١]

" قد أسلف التجار أثمان المبيـ ... ـع بعقدهم في بيعة الرضوان

لله سوق قد أقامته الملا ... ئكة الكرام بكل ما إحسان

فيها الذي والله لا عين رأت ... كلا ولا سمعت به أذنان

كلا ولم يخطر على قلب امرئ ... فيكون عنه معبرا بلسان

فيرى امرءا من فوقه في هيئة ... فيروعه ما تنظر العينان

فإذا عليه مثلها إذ ليس يلـ ... ـحق أهلها شيء من الأحزان

واها لذا السوق الذي من حله ... نال التهاني كلها بأمان

يدعى بسوق تعارف ما فيه من ... صخب ولا غش ولا أيمان

وتجارة من ليس تلهيه تجا ... رات ولا بيع عن الرحمن

أهل المروة والفتوة والتقى ... والذكر للرحمان كل أوان

يا من تعوض عنه بالسوق الذي ... ركزت لديه راية الشيطان

لو كنت تدري قدر ذاك السوق لم ... تركن إلى سوق الكساد الفاني." [٢]

---

(١) الجنة والنار سليمان الأشقر، عمر ص/٢٢٢

(٢) الكافية الشافية في الإنتصار للفرقة الناجية ٧٥١ ا ص/١٠٢٥

"٤٤* ٦* إذا ما عدمت الأصل والعقل والندى

* فما لحياة في جنابك طيب

٤٤* ٧* وعبده كالموحد اللها

* وفي انصرافي إلى محلي

٤٥* ١* سرب محاسنه حرمت ذواتها

* داني الصفات بعيد موصوفاتها

٤٥* ٢* أوفى فكنت إذا رميت بمقلتي

* بشرا رأيت أرق من عبراتها

٤٥* ٣* يستاق عيسهم أنيني خلفها

* تتوهم الزفرات زجر حداتها

٤٥* ٤* وكأنها شجر بدت لكنها

* شجر جنيت الموت من ثمراتها

٤٥* ٥* لا سرت من إبل لواني فوقها

* لمحت حرارة مدمعي سماتها

٤٥* ٦* وحملت ما حملت من هذي المها

* وحملت ما حملت من حسراتها

٤٥* ٧* إني على شغفي بما في خمرها

* لأعف عما في سرابيلاتها

٤٥* ٨* وترى المروة والفتوة والأبو

* ة في كل مليحة ضراتها

٤٥* ٩* هن الثلاث المانعاتي لذتي

* في خلوتي لا الخوف من تبعاتها

٤٥* ١٠* ومطالب فيها الهلاك أتيتها

* ثبت الجنان كأنني لم آتها

٤٥* ١١* ومقانب بمقانب غادرتها

* أقوات وحش كن من أقواتها

٤٥* ١٢* أقبلتها غرر الجياد كأنما

* أيدي بني عمران في جبهاتها

٤٥* ١٣* ألثابتين فروسة كجلودها

* في ظهرها والطعن في لباتها

٤٥* ١٤* ألعارفين بها كما عرفتهم

* والراكبين جدودهم أماتها

٤٥* ١٥* فكأنما نتجت قياما تحتهم

* وكأنهم ولدوا على صهواتها

٤٥* ١٦* إن الكرام بلا كرام منهم

* مثل القلوب بلا سويداواتها

٤٥* ١٧* تلك النفوس الغالبات على العلى

* والمجد يغلبها على شهواتها

٤٥* ١٨* سقيت منابتها التي سقت الورى

* بندى أبي أيوب خير نباتها." (١)

"طرفة بن العبد في رؤيته للحياة والموت من خلال معلقته

لمحة عن الشاعر

...

طرفة بن العبد:

طرفة هو عمرو بن العبد بن سفيان يمتد نسبه إلى بكر بن وائل ليصله إلى ربيعة فهو واحد من شعراء ربيعة١، وطرفة بالتحريك لقبه وهي واحدة الطرفاء ضرب من الشجر، والعرب تسمى أبناءها بما غلظ وخشن من الشجر تفاؤلا، نحو طلحة وسمرة وقتادة كما تسمى بأسماء الحيوان وخاصة ما يستنكره منها كأسد وحنظلة وحرب وعلقمة لأنها تشعر بالشدة والقوة لدى سامعيها، بينما يسمون عبيدهم بما يستحب كرباح وأيمن، وذلك لأنها سمت أبناءها لأعدائها وسمت عبيدها لأنفسها٢ وطرفة من أسرة شاعرة نبغ فيها أكثر من شاعر فخاله المتلمس الضبعي وأخته الخرنق شاعرة ومن أسرته الحارث بن حلزة صاحب المعلقة والمرقش الأصغر والمرقش الأكبر، فالأصغر عم طرفة، والأكبر عم الأصغر فورث بذلك الموهبة الفنية كما يرث الناس المال أو الشرف.

وطرفة صاحب شخصية واضحة في شعره وصاحب مذهب واضح في حياته، فهو داعية من دعاة اللهو واللذة، جمع إلى فتوة الشباب وطيشه حكمة الشيوخ وتفكيرهم.

كان أبوه شابا قويا ظاهر **الفتوة** والجرأة، مات وطرفة طفل صغير وقد ترك غير طرفة ابنا آخر اسمه معبد ورد ذكره في معلقة طرفة:

---

(١) ديوان أبي الطيب المتنبي ١ ص/٤٢

١ الشعر والشعراء: جـ١٩١/١ تحقيق أحمد شاكر ط دار التراث العربي ١٩٧٧.

٢ الاشتقاق لابن دريد صـ٤.." (١)

"إن هذا ولا ريب تفكير مشرق، وقلب يتجه الاتجاه السليم، الذي يجب أن تسير فيه الأمة العربية منذ أن رأت الغرب الجشع يطمع، ويحد براثنه لينهشها الواحدة تلو الأخرى، ولو فعلت ذلك من أواسط القرن التاسع عشر ما أصابها اليوم ما أصابها.

وكان أديب ممن يعشق حرية الرأي وينادي بالدستور، وقد كتب مقالا يرد فيه على الشيخ حمزة فتح الله، محرر جريدة "البرهان" في سنة ١٨٨١، حين دعا الشيخ إلى حكم الفرد يوم افتتاح مجلس النواب، فقال له أديب:

صفحا لصرف الدهر عن هفواته ... إن كان هذا اليوم من حسناته

وكيف لا؟ وهو حاجة النفس، وأمنية القلب، منذ توجه الخاطر إلى السياسة الوطنية، وانصرف العزم إلى إحياء الهمم، وانعقدت النية على حفظ الحقوق، واتحدت الوجهة في القيام بالواجبات، وهو النشأة التي كست الوطن رداء الفتوة قشيبا، وهو البنية التي غرست للأمة غصن الأمل رطيبا، وهو ما رجوناه زمانا، ودافعنا الزمن فيه، وتمنيناه أعواما، وغلبنا الحدثان عليه، فيها حسنه من يوم رد فائت البهاء، وأحيا مائت الرجاء، وأعاد شباب الأمة، وسدل ستور النعمة، وأظهرت مقاصد الأمير، وأيد مساعي الوزير، وقضى لبانات النبهاء، وحقق أماني النزهاء١".

وكان أديب مغرما بمصر، محبا لها حبا ملك شغاف قلبه، مثله في ذلك مثل الشدياق، ولا بدع، فقد آنته في غربته، وأعطته الحرية التي حرمها في وطنه، وأفسحت له مجال العمل، وقدرت جهده، حتى منحه الخديوي الرتبة الثالثة بيده، وأنزلت كفاءته منزلتها، فعينته في الوظائف الكبيرة، ثم إنها ملجأ الأحرار، وزعيمة الشرق العربي، ونهوضها -كما كان ذلك رأي أستاذه جمال الدين- نهوض للعرب أجمعين، وفي مصر يقول أديب: "ومصر، ولا حياء في الحب، بلد تركت فيه زهرة أيام الشباب، وخلفت غرس الآداب، وهززت غصن الأماني رطيبا،

١ جريدة مصر في ٢٩ من يناير ١٨٨٢.." (٢)

"أثر العرب في الحضارة الأوربية وآدابها وغنائها وموسيقاها، وبحسبك أن تعلم أن الفلسفة الإسلامية ظلت تدرس في جامعات أوربا حتى سنة ١٦٥٠، وأن أرسطو لم يكن يفهم إلا بشروح ابن رشد، وأن طب ابن سينا كان غاية كل مشتغل بالطب في أوربا أمدا طويلا، وأن مئات الكلمات العربية التي تنبيء عن الحضارة والعلم قد دخلت اللغات الأوربية واستعجمت؛ من مثل: قيثارة، وقطران، وأميرال، وشراب، وزعفران، وكافور، وقرمز، وصك، ورزمة، وإكسير، وكيمياء، وجبر، وساقية، وما شاكل ذلك، وهم الذين علموهم صناعة الحرير والغلائل الموشاة، وصناعة السلاح والخز المذهب،

(١) دراسة في نصوص العصر الجاهلي تحليل وتذوق السيد أحمد عمارة ص/١٩٢

(٢) في الأدب الحديث عمر الدسوقي ٩٢/١

والفسيفساء والبلور والورق والأصباغ والأدهان، والمعادن، وعلم الجبر والحساب بأرقامه١.

واتصل الغرب مرة أخرى بالشرق إبان الحروب الصليبية التي شنها متعصبة المسيحيين، حينما أنسوا في عرب الأندلس ضعفا، وظلت نحو قرنين وطوفان جنود أوروبا يتكسر على صفاة حماة الإسلام، ويرتد، ثم يعود أشد مما كان بأسا، فتقابله صدمات تخفف من غلوائه، وهكذا حتى خمد، ولكن خلف هذا الاتصال الطويل آثارا بعيدة الغور في كل من المغاربة والمشارقة، أما المغاربة فدهشوا من حضارة العرب في بلادهم، ووجدوا أشياء كثيرة لا عهد لهم بها، فقلدوا المشارقة في لبس الدروع الخفيفة المنسوجة، وفي استخدام الموسيقى العسكرية؛ واصطنعوا السيوف والرماح، وأخذوا عنهم فن بناء الحصون وحفر الخنادق، وإقامة الاستحكمات، واستعملوا النار لنقل أخبارهم في الليل، والحمام الزاجل بالنهار، وأخذوا كثيرا من أصول الهندسة وتأسيس المنازل بالطنافس والنماذج والسجاد والأواني الخزفية وغيرها، وإن الفلسفة اليونانية التي يعتز بها الغرب، وعليها بنى حضارته وثقافته، إنما وصلت إليه عن طريق العرب، فهم الذين حفظوها وشرحوها وعلقوا عليها، وأضافوا إليها فلسفتهم وآراءهم، فلما استيقظت أوربا وجدت الطريق ممهدا فسارت في المدنية بخطى واسعة.

---

١ راجع: تراث الإسلامن، وراجع كذلك غزوات العرب في أوربا للأمير شكيب أرسلان، وأثر الشرق في الغرب، ترجمة الدكتور فؤاد حسنين، وكتابنا الفتوة عند العرب، الفصل الخاص بالموازنة بين الفتوة العربية والفروسية الغربية.." [1]

"وأما المثل الأعلى الذي يدعي الشعوبيون أنه مفقود عند العرب، فحسبنا أن نقول في الرد على دعواهم: إن الحياة العربية في الجاهلية كانت مليئة بأمثلة الوفاء والكرم والشجاعة، كانت الفضائل والذكر الحسن هي الغاية التي يصبو إليها كثير من أبناء الصحراء، وكلها مثل عليا، لو سارت عليها الإنسانية لسعدت١، ولقد برهنت لك على أن الكلمة موجودة في اللغة العربية وفي القرآن الكريم الذي نزل على عرب الجاهلية، ولو لم يعرف العرب هذه الكلمة ويفهموا مدلولها ما نزل بها القرآن الكريم، على أن الغرب لا يعرف في لغة من لغاته كلمات كثيرة تملأ الحياة العربية، وتفخر بها الإنسانية فكلمات "العرض" و"المروءة" و"النجدة" ليس لها ما يقابلها في الأعجمية.

وإذا عدنا إلى الناحية الأدبية وجدنا الشعر العربي -وهو مفخرة العرب ومجتلى بيانهم- تكثر فيه ألوان الحكمة مصوغة صياغة متقنة، وما الحكمة إلا حقيقة مجردة تدل على تفهم لأسرار الوجود، وعلى الخيال الشامل الذي ينتظم طبائع البشر وأحوالهم، ويصدر عليهم حكما يصلح لكل زمان ومكان، وينطبق على كثير منهم مهما اختلفت عصورهم وبيئاتهم.

وبعد فلنسأل سؤالا آخر وهو: أحقا توجد فوارق عقلية أصيلة بين الشعوب، يمتاز أحدها بالذكاء الغالب، والعقلية الخالقة، والخيال المبتكر، وتسلب الطبيعة أحدها، فهو فدم في جملته بطئ التفكير، ليس له قدرة على الخلق والابتكار وإن أجاد التقليد؟؟ وإذا وجدت الفروق العقلية بين الشعوب كما يدعي المتعصبون لأجناسهم، والمنساقون وراء عواطفهم، فهل هذه الصفات لازمة للشعب لا تتغير بتغير البيئة والزمان؟ وعلى أي أساس وجدت هذه الفروق العقلية؟ أهي نتيجة للبيئة الطبيعية أم البيئة الاجتماعية؟

---

(١) في الأدب الحديث عمر الدسوقي ٣٧٥/١

يقول سرل برت C.Burt في كتابه كيف يعمل العقل٢: إن هذه التعميمات التي تشغف بها بعض الجهات لتفضيل ما يسمونه الأجناس الآرية

---

١ راجع كتابنا "الفتوة عند العرب" فقد وفينا هذا الموضوع بحثا ثمة.

٢ الجزء الثاني، ترجمة الأستاذ محمد خلف الله، ص١٦٥.." (١)

"الحماسة والغزل والوصف والتشبيه والمجاز، كل هذا ونحوه مظهر من مظاهر الخيال١، والخيال كما نعلم هو وضع الأشياء في علاقات جديدة، وهو نوعان: تفسيري وابتكاري، ويتمثل التفسيري في تلك الصيغ البيانية العددية، أما الابتكاري فيتمثل في خلق أشياء ومناظر وشخصيات ليس لها وجود، وكلا النوعين يغص به الأدب العربي على طريقته الخاصة، وقد أفضت في بيان ذلك في غير هذا الكتاب٢، ومع ذلك فالشعر العربي في كل عصوره مليء بالقصص المحبوكة العقدة الرائعة الخيال٣، ولا يمنع أنه من الشعر الوجداني، فقد مرت بأوربا فترة ساد فيها الشعر الوجداني، ولا تزال له السيطرة، وبطل عهد الملاحم والمسرحيات الشعرية.

ثم هناك سؤال آخر علينا أن نسأله قبل أن ندع الكلام في هذا الموضوع، وهو: أحقا تبتدئ الحضارة الإنسانية بعلوم اليونان وثقافتهم، لم يسبقهم في ذلك سابق، وأن هذه الديانات والميثولوجيا والقوانين والفلسفة هي كلها من ابتكار اليونان، وحدهم وبذلك احتلوا هذه المكانة السامية في التاريخ، وبهم تميزت الشعوب الأورقبي وفاقت غيرها؟

كثير من الناس الذين لم يبحثوا الموضوع أو بحثوه بحثا سطحيا، يقولون في غير تردد: أجل! هذه المدنية والثقافة والفلسفة التي رويت عن اليونان هي من ابتكارهم، والإنسانية مدينة لهم بالشيء الكثير في هذا المضمار.

ولكن هناك من شك في ذلك، بل هناك من أثبت بأدلة يقينة أن اليونان في دياناتهم، آلهتهم، وأسماء بعض هذه الآلهة، وما تتطبه الديانة من طقوس، ثم في قوانينهم، وفي آدابهم تتلمذوا على المصريين القدماء وأخذوا عنهم وأثبت أن

---

١ فجر الإسلام، ص٤٣.

٢ راجع كتابنا الفتوة عن العرب.

٣ خذ مثلا قصيدة الحطيئة التي مطلعها:

وطاوي ثلاث عاصب البطن مرمل ... ببيداء لم يعرف بها ساكن رسما

وقصيدة زهير في الصيد: "وغيث من الوسمى حو تلاعه" وقصيدة امرئ القيس ويومه بدارة جلجل ومعلقة عمرو بن كلثوم، ومعظم شعر ابن أبي ربيعة ولا سيما قصيدته الرائية "أمن أل نعم أنت غاد فمبكر" وقصيدة البحتري في الذئب كلها من الشعر القصص.." (٢)

---

(١) في الأدب الحديث عمر الدسوقي ٤٠٣/١

(٢) في الأدب الحديث عمر الدسوقي ٤٠٦/١

"فاستخرجوا منها دليلا على رجحان بعض الأمم الأوربية على بعض، واستئثار جماعة من تلك الأمم بشرف السيادة والابتكار، وشعائر الحضارة والثقافة دون الجماعة الأخرى، فتصدى لها يومئذ من الأوربيين من ينكرها ويزيفها ويبالغ في السخر بها، بعد أن كانوا يتفقون على ترويجها، والإغضاء عنها حين كانت معرفتها لاصقة بالشرق وحده موقوفة عليه دون غيره".

وبحسبي الآن ماسقته من أدلة١ على أن أسطورة العقلية السامية والآرية لا تثبت أمام الأدلة العلمية، وأن القصة، على الرغم من وجودها في الأدب العربي كما هي موجودة عند كل الأمم، وإن لم تأخذ القالب الفني الذي لم يظهر بالقصص الأوربي إلا في أواسط القرن الثامن عشر، لا تحتل هذه المكانة الممتازة في عالم الأدب، ولا يوصف من لم ينبغ في تأليفها بعقم الخيال وجمود العاطفة وضحالة الفكر.

وكم كان بودي أن أفيض في أدب القصة، وأبين أصولها وكيفية إنشائها، ولكن هذا يحتاج إلى كتاب قائم بنفسه، وإنما دعاني إلى الخوض في القصة على هذه الطريقة إقبال المترجمين في العهد الذي نتحدث عنه عليها إقبالا زائدا، وتأثر الأدب العربي الحديث بها بعد ذلك تاثرا بالغا، حتى دعا ذلك إلى القول بأنها لم يكن موجودة عند العرب، وأن العقلية السامية لا تستطيع إنتاج القصة لما بها من فقر في الخيال، وقد مر بك قبل عند كلامنا على الترجمة الجهود التي بذلت في سبيل ترويج القصة الغربية، وأن هذا الطور هو طور النقل والتمثيل، ولم يكن قد بدأ بعد طور التقليد والمحاكاة، ولا سيما في الرواية، وإن ابتدأ في المسرحية مبكرا نوعا ما، وسنعود إلى الكلام في توسع عن القصة في الأدب المصري الحديث في الأجزاء التالية -إن شاء الله، أما المسرحية فقد أفردنا لها كتابا خاصا هو الآن بين أيدي القراء.

---

١ إذا أردت المزيد فاقرأ مقالة مجلة الأنصار بالعدد ٤٦ السنة الرابعة، شوال ١٣٦٣، وكتابنا "النابغة الذبياني" فقد تكلمت فيه عن موضوع القصة من زوايا جديدة، وأضفت إلى ما نفقده هنا براهين أخرى، ثم كتابنا "الفتوة عند العرب" وفيه فصل ضاف عن ميزة العقل العربي وتفوقه، مدعوم بالحجج العلمية القوية.." [(١)]

"طه حسين: أ- فسلفة ابن خلدون الاجماعية، تعريب محمد عبد الله عنان.

ب- في الأدب الجاهلي.

ج- حافظ وشوقي.

عباس العقاد: أ- شعراء مصر وبيئاتهم في الجيل الماضي.

ب- سعد زغلول سيرة وتحية.

ج- الفصول.

د- ١١ يوليو وضرب الإسكندرية.

عثمان أمين: محمد عبده في سلسلة أعلام الإسلام.

---

(١) في الأدب الحديث عمر الدسوقي ٤٠٨/١

عبد الرحمن الرافعي: ١- الحركة القومية.

٢- عصر إسماعيل، جزءان.

٣- تاريخ الثورة العرابية والاحتلال الإنجليزي.

٤- مصطفى كامل.

عبد القادر حمزة: على هامش التاريخ المصري القديم ج١.

عبد الله فكري: الآثار الفكرية.

عبد الله نديم: الأستاذ والتنكيت والتبكيت.

علي أبو النصر: الديوان.

علي مبارك: الخطط التوفيقية.

عمر الدسوقي: ١- إخوان الصفا.

٢- **الفتوة** عند العرب.

٣- المسرحية.

٤- دراسات أدبية.

فرح أنطوان: مجلة الجامعة.

فون فسينديك: ابن خلدون مؤرخ الحضارة العرابية، ترجمة محمد عبد الله عنان.

فيليبدي طرازي: الصحافة العربية، أربعة أجزاء.

قدري طوقان: جمال الدين أراؤه وأثره - محاضرة.

كلوت بك: لمحة عامة إلى مصر.

لوبان "J.H. Lobban" English Essays

ويس شيخو: أ- تاريخ الآداب العربية في القرن التاسع عشر، جزءان.." [(١)]

"وبجانب هذا نرى إقبالا على المحاضرات الأدبية، وانتشار قاعات المحاضرات والاهتمام بالأحاديث في المذياع، حتى بلغ عدد المحاضرات الأدبية والثقافية المتنوعة في عام ١٩٥١ ما يزيد عن ألف محاضرة.

وقد انتشرت المطابع العربية في أنحاء القطر المصري حتى زاد عددها عن الألف١، وأخذت تزود الجمهور بشتى المؤلفات، والكتب المترجمة، والكتب القديمة التي نحا فيها العلماء نحو المستشرقين في الإخراج والتحقيق، وقد بلغ عدد الكتب الأدبية المؤلفة في سنة ١٩٤٧ مائة وثلاثين كتابا، وفي سنة ١٩٤٨ ما يقرب من مائة وعشرين كتابا، وفي سنة ١٩٥٠ ما يزيد عن مائة كتاب عدا كتب التاريخ والاقتصاد والفلسفة والاجتماع، والسياسة، والعلوم، والدين، والتصوف، واللغة، والمعارف العامة٢.

---

(١) في الأدب الحديث عمر الدسوقي ٤٢١/١

ومن أشهر الكتب الأدبية التي ظهرت في السنوات الأخيرة؛ أبحاث ومقالات لأحمد الشايب، وأبو الفوارس لمحمد فريد أبو حديد، وأدب مصر الإسلامية للدكتور محمد كامل حسين، وعلى الأثير للعقاد، وقصصنا الشعبي للدكتور فؤاد حسنين، والجاحظ لشفيق جبري، ورحلة الربيع للدكتور طه حسين، وصوت العالم لميخائيل نعيمة، والنقد المنهجي عند العرب للدكتور محمد مندور والفتوة عند العرب والمسرحية لعمر الدسوقي؛ كما ظهر فيض من القصص ودواوين الشعراء والكتب المحققة. وقد عظمت العناية بالترجمة، وترجم الجيد والرديء من كل لغة، فترجمت أميرة بابل لفولتير، وأقاصيص لكبار كتاب الإنجليز، والإنسان الكامل، وجنيفا، وحيرة طبيب لبرناردشو، وترجم الدكتور طه حسين زاديج لفولتير، وترجم طعام الآلهة لويلز، والعالم الطريف لألدس هكسلي، وفي خلال العصور والآلهة عطاش لأناتول فرانس، وهنري وريتشارد الثاني والعاصفة لشكسبير عدا ما ترجمه مطران سابقا، ومدرسة الزوجات لأندريه جيد، وسالومي لأسكار وايلد،

---

١ الإحصاء العام سنة ١٩٤٥ المطبوع سنة ١٩٤٨.

٢ السجل الثقافي لسنة ١٩٤٨ ولسنة ١٩٥٠- ١٩٥٢.." (١)

"في طريقة نقده، ومحاولته تفويض الفكرة الشائعة عن الشعر والتي ورثها شعراء العصر الحديث، وساروا على نهجها منذ البارودي، فكان يضرب بمعوله من غير رحمة، ثم إلى طبيعته الجامحة وانفعالاته في غضبه ورضاه، فيشتد في سخطه كما يبالغ في ثنائه.

ولسنا بصدد نقد ابن الرومي وتبيان طريقته وما فيها من عيوب وحسنات ولكنا بصدد المازني وطريقته في النقد، وإن كان لا يفوتنا هنا التنويه بما كان للعرب من نظرة صادقة إلى الحياة، ومن إكبارهم النفس الإنسانية وسبر أغوارها كما تجلى في حكمهم الكثيرة التي نعدها قوانين مركزة تشف عن النفس الإنسانية في كل زمان ومكان.

أما الحق والفضيلة فلا أظن أمة من الأمم عنيت بهما مثلما عنيت الأمة العربية في أدبها وسلوكها وقانونها، ولولا خشية الاستطراد والخروج عن البحث لوفيت هذا الموضوع حقه، وبحسبي أن أحيل القارئ على كتابنا "الفتوة عند العرب" في الفصل الذي عقدته للموازنة بين العرب وسواهم من الأمم وبخاصة الغربية منها. ونستطيع أن نضيف هذا الجموح والشطط في نقد المازني للشعر العربي إلى نقده لشكري وحافظ ذلك النقد الذي تبرأ منه فيما بعد وندم عليه.

ويفسر لنا المازني مذهبه في النقد فقال: "مذهبي في النقد أن أنظر ما في الكتاب من الإحسان مقيسة إلى جملة ما فيه من العيب، فإذا أربى الإحسان على الإساءة تقبلته، وتجاوزت عما فيه من نقص أو مأخذ وإلا رفضته، فهو ميزان ينصب، وأي كفتيه رجحت أخذت بها، وهذا في مذهبي هو العدل الميسور في وزن الآراء والأعمال والحكم عليها"، ويعلل لرأيه هذا بأن كتابا ما لا يخلو من نقص ولو خلا –وتلك مرتبة لا تنال– لما كان إنسانيا "بل أنا أذهب إلى أن من البواعث الخفية على

---

(١) في الأدب الحديث عمر الدسوقي ١٨٧/٢

الإعجاب أن يفطن القارئ إلى مواضع النقص ومواطن الضعف، وأن يحس ولو إحساسا غامضا أن الكتاب من الكتب على جلالة قدره وعظم شأنه وندرة مثله، وعجز الأكثرين عن الإتيان بما يقاربه لا يخلو من زلات." (١)

"الفصل الخامس: المدرسة التقليدية

مدخل

...

الفصل الخامس: المدرسة التقليدية

عرف البارودي كيف يعيد للشعر العربي الحديث ديباجته القوية، وينهض به نهضة قارعة تخطت عدة قرون إلى الخلف حتى رجعت إلى عهود القوة والنضارة، ومتجنبة الزخرف والطلاء الغث، والركاكة، وضحالة المعاني، والتقليد لعصور الضعف والعجمة. ثم نهضت البلاد نهضات قوية في التعليم وإحياء التراث العربي القديم، وأخذت المطبعة تزود المتأدبين بنفائس الأدب العربي في أبهى عصوره كما عرفت آنفا.

وكان من الطبيعي أن يحذوا الشعراء الذين جاءوا بعد البارودي حذوه في أول الأمر، ولا سيما هؤلاء الذين لم يتزودوا بثقافة غربية، أو عرفوها وثقفوها ولم يكن لهم تلك الطبيعة الثائرة، أو القوة على ابتداع مذهب جديد في الأدب، ولم يروا نموذجا إبداعيا يحاكونه، فحافظوا على المذهب الذي عرفوه، وأجادوه.

لقد قلدوا الشعر العربي القديم في أوج عزته كما فعل البارودي، ولم يلتفتوا إلا نادرا لما تخلف عن عصور الضعف من حلى وزخارف ومحسنات، وتاريخ شعري.

وأهم خصائص تلك المدرسة التقليدية الحديثة متانة الأسلوب، والعناية به عناية فائقة فقلما تجد خروجا على قواعد اللغة، أو خطأ، أو ركاكة وإنما تجد شعرا مصقولا متينا، مشرق الديباجة. تجد هذا عند صبري، وعند حافظ، وعند عبد المطلب، وعند البكري، والجارم، ومحرم، والكاشف، ونسيم ومن على شاكلتهم، على اختلاف بينهم في تقليدهم الشعراء الأقدمين الذين تأثروا بهم، فمنهم من راقه شعراء العصرالعباسي والشعر في ازدهاره، فقلدوا أبا نواس والبحتري وأبا العلاء، وابن الرومي، وعارضوهم في قصائدهم ونسجوا على منوال أسلوبهم: جزالة في رقة الحضارة وعذوبة المدينة القديمة، وولع بالتشبيهات والاستعارات وأنواع المجاز، ومنهم من رجع إلى الخلف أكثر من هذا فتوعر قليلا وحاكى شعراء العصر الأموي، أو الجاهلي، وجاء شعره بدوي النسج، متين التركيب، عليه سيما الفتوة العربية قبل أن ترققها الحضارة، مثل عبد المطلب.." (٢)

"يظهر اللوعة والألم وشدة الحزن في رثائه وهذا شأن الشعراء الذين يرثون وهم مفجوعون، ولا تجد له في رثائه بيت حكمة أو موعظة كما ترى عند شوقي، فالقصيدة كلها في المرثى، وبعد هذا الباب من أقوى أبواب شعره.

وثمة غرض آخر من أغراض شعره كان فيه صادقا لأصله العربي، وذلك هو الوصف، فقد اشتهر العرب بالدقة في الوصف، ولا سيما إذا كانوا بدوا؛ لأن الصحراء قد أرهفت حواسهم، فعنوا بدقائق الأشياء، وقد بينت فيغير هذا الكتاب أثرها فيهم

---

(١) في الأدب الحديث عمر الدسوقي ٢/٢٧٩

(٢) في الأدب الحديث عمر الدسوقي ٢/٣٣٧

وفي أدبهم١.

ومن الغريب أن عبد المطلب يحسن تصوير الحالات أكثر من تصوير الأشياء، ولعلك تتذكر ما نقله نجيب حداد عن الفرق بين الشعر العربي والغربي٢ في هذا الموضوع، وأن الغربيين اشتهروا بوصف الحالات على العكس من العرب، وهذا يدل على شاعرية قوية لدى عبد المطلب، ولو أوتيت حظا من ثقافة غربية أو وجهت توجيها لأبدعت أيما إبداع.

ومن تلك الحالات التي صورها فأجاد تصويرها حال المعلم، وتعسف الإنجليز في مصر وتصوير حاله وهو ضيف بقصر الباسل، وتصويره لموظف الحكومة إبان الحرب العالمية الأولى، وما عاناه من غلاء، وبؤس وشقاء، وتصوير للجنود الإنجليز وسواهم بمصر أيام الحرب العالمية الأولى، إلى غير ذلك من الحالات التي أهاجت شاعريته، فاستجابت لها، وأبدعت في تصويرها. خذ مثلا قوله يصف حال بعض الطلبة المصريين وقد هوى بهم قطار في طريقهم إلى برلين يطلبون العلم بعد الثورة المصرية:

حملوا مني لو أن جذوتها ... لفحت جبال الألب تستعر

بأبي نفوس في الدنا زهدت ... فمضت لدار الخلد تبتدر

بأبي غرانيق الصبا ذهبت ... أشلاؤها في الترب تنتثر

بأبي دم قان هناك جرى ... فوق الثرى كالمسك ينتشر

---

١ ارجع إلى النابغة الذبياني ص٤٥ وما بعدها، وإلى الفتوة عند العرب الفصل الثاني.

٢ راجع فصل النقد الأدبي من هذا الكتاب.." (١)

"القرنين، وكل طريق واد بين الصدفين، وكل قنطرة قنطرة خرازاذ١، أو قنطرة البردان٢ ببغداد، وكل قصر قصر المشتهي٣، وكل كنيسة كنيسة الراها٤.

وهاك مثلا آخر يريك ولوعه بضرب الأمثال والإشارات التاريخية والأدبية، وإن لم تفد فائدة جديدة في إيضاح المعنى، وإنما ساقها للتعالم، وعلى طريقة المقامات "وإذا هو أجود من حاتم٥، وأبا أي من حنيف الحناتم٦ وأحزم من سنان٧، وأعدل من الميزان وأحمى من مجير الظعن٨، وأعقل من ابن تقن وأحيا من كعاب٩، وأحلم من فرخ عقاب١٠ وأجمل من ذي العمامه١١، وأثر من كعب بن مامة١٢، وأجسر من قاتل عقبة١٣، وأحكم من هرم بن قطبة١٤، وأبطش من دوسر١٥ وأجرأ من قسور١٦.

---

١ قنطرة خرازاذ: منسوبة إلى خرازاذ أم أرادشير، وهي بسمرقند بين "إيدج والرباط" وكانوا يعدونها قديما من عجائب الدنيا؛ لأن طولها ألف ذراع وعلوها مائة وخمسون، وأكرها مبنى بالرصاص والحديد.

٢ قنطرة البردان: نسبة إلى قرية قريبة من بغداد على سبعة فراسخ، وفيها يقول جحظة:

---

(١) في الأدب الحديث عمر الدسوقي ٢/٤١٩

في رقة البردان بين مزارع ... مجنوفة ببنفسج وبهار

بلد يشبه صيفه بخريفه ... رطب الأصائل بارد الأسحار

٣ وقصر المشتهي: أحد القصور التي أعدها الفاطميون للنزهة بمصر.

٤ كنيسةالرها: نسبة إلى مدينة الرها –بالجزيرة بين الموصل والشام.

٥ هو حاتم الطائي الجواد المشهور، وقد ذكرنا قصص جوده في كتابنا "الفتوة عند العرب" ووضعنا له صورة تاريخية واضحة بعنوان "فتى كريم" ص٣٨٢ ط ثالثة.

٦ أباى: من البأى وهو الفخر، وقد بلغ من فخر حنيف وزهوه أنه لم يكن يكلم أحدا حتى يبدأه بالكلام.

٧ سنان: هو سنان بن أبي حارثة، وقيل لم يجتمع الحزم والحلم في رجل فسار بهما المثل إلا في سنان.

٨ مجير الظعن: والظعن جمع ظعينة وهي المرأة في هودجها ومجير الظعن هو ربيعة بن مكدم وقد وضعنا له صورة كاملة زاهية في كتابنا "الفتوة عند العرب"بعنوان "حامي الظعينة" ص٣٤٢ ط ثالثة.

٩ ابن تقن: يقال إنه من قوم "عاد"، وقد أراد لقمان أن يشتري إبلا له أعجبته، فامتنع ابن تقن عن البيع، فاحتال لقمان لسرقتها، فلم يتمكن لفرط حذره وفيه قال الشاعر:

تجمع إن كنت ابن تقن فطانة ... وتغبن أحيانا هنات دواهيا

فضرب بعقله المثل.

الكتاب: الفتاة الناهد، وتكون عادة أشد حياء من غيرها من النساء الكبيرات.

١٠ أحلم من فراخ عقاب. ذكر الأصمعي أنه سمع أعرابيا يقول: "سنان بن حارثة أحلم من فرخ عقاب" فقال له وما حلمه: قال. يخرج من بيضة على رأس تبق، فلا يتحرك حتى يقر ريشه، ولو تحرك سقط، فضرب به المثل.

١١ ذو العمامة: هو سعيد بن العاص بن أمية، وكان في الجاهلية إذا لبس العمامة لا يلبس قرشي عمامة على لونها، وإذا خرج لم تبق امرأة إلا برزت للنظر إليه من جماله ولما أفضت الخلافة إلى عبد الملك بن مروان خطب بنت سعيد إلى أخيها عمرو بن سعيد الأشدق فأجابه عمرو بقوله:

فتاة أبوها ذو العمامة وابنه ... أخوها فما أكفاؤها بكثير

ويصح أن يكون هذا اللقب لرياسته لا لجماله، وكان يلقب كذلك بذي العصابة.

١٢ كعب بن مامة الإيادي: جواد مشهور ذكرنا قصة إيثارة، حتى ضحى بنفسه في سبيل غيره في كتابنا: "الفتوة عند العرب" في باب الكرم ص١٨٤ ط ثالثة.

١٣ عقبة: هو عقبة بن سلم من بني هناءة من أهل اليمن وكان أبو جعفر المنصور، قد وجهه إلى البحرين، وأهلها من ربيعة، فقتل منهم خلقا كثيرا، وانضم إلى خدمته رجل من عبد قيس لازمه سنتين فلما عزل عقبة ورجع إلى بغداد رحل معه العبدي، وبينما عقبة واقف بباب المهدي، بعد موت أبي جعفر وجأه العبدي بسكين في بطنه فقتله أخذا بثأرقومه. فضرب بجسارته المثل؛ لأن عقبة كان مهيبا جدا.

١٤ هرم بن قطبة: هو الذي تحاكم إليه عامر بن الطفيل وعلقمة بن علاثة الجعفر بأن، فقال لهما: أنتما كركبتي البعير تقعان معا، ولم يفضل أحدهما على الآخر فضرب به المثل.

١٥ الدوسر: الجمع الضخم أو الأسد الصلب والدوسر كان يطلق على كتيبة النعمان بن المنذر وبها يضرب المثل.

١٦ القسور والقسورة: الأسد وجرأته معروفة.." [١]

"عباس محمود العقاد:

١- جورج برناردشو "سلسلة اقرأ".

٢- ديوان أعاصير مغرب.

٣- ديوان عابر سبيل.

٤- الديوان في النقد والأدب.

٥- ساعات بين الكتب.

٦- شعراء مصر وبيئاتهم في الجيل الماضي.

٧- معراج الشعر "مقال في مجلة الكتب أكتوبر سنة ١٩٤٧".

٨- مطالعات في الكتب والحياة.

٩- مقدمة بلاغة العرب في القرن العشرين.

عبد الحميد حسن:

الأصول الفنية للأدب.

عبد الرحمن الرافعي:

١- مصطفى كامل.

٢- محمد فريد.

٣- ثورة سنة ١٩١٩ ج١، ٢.

عبد الرحمن شكري:

مقدمة الجزء الخامس من ديوان شكري.

عبد العزيز محمد: التربية الاستقلالية "ترجمة".

على مبارك:

الخطوط التوفيقية.

عمر الدسوقي:

١- في الأدب الحديث الجزء الأول.

---

(١) في الأدب الحديث عمر الدسوقي ٤٥٣/٢

٢- ترجمة للشيخ على يوسف صاحب المؤيد "الكتاب يولية سنة ١٩٤٨".

٣- **الفتوة** عند العرب.

٤- دراسة أدبية جزء أول.

الأمير عمر طوسون:

البعثات العلمية في عهد محمد علي وعهد عباس الأول وسعيد.

فيليب دي طرازى:

تاريخ الصحافة العربية.

قاسم أمين:

١- تحرير المرأة.

٢- المرأة الجديدة.

الأب لويس شيخو:

الآداب العربية في الربع الأول من القرن العشرين.." (١)

"زمان ومكان- نجد أن من خصائصها الفريدة، أنها استطاعت دائما وفي كل العصور، وحتى العصر الحالي مواكبة كل التطورات الحادثة، بما تحمله من تلك الخصائص والوسائل التي تمكنها من ذلك ومن بينها مثلا:

- الاشتقاق.

- القياس.

- النحت.

ومن خلال استخدام كتاب المقالات لهذه الوسائل اللغوية الفنية وغيرها، جرت دماء **الفتوة** والشباب الدائم، في جسد لغتنا العربية، وكان من الطبيعي أن تشهد ذلك صفحات الجرائد والمجلات عامة، ومواقع وأنهار وسطور المقالات خاصة، تلك التي شهدت الاحتكاك الحقيقي، والصدام المباشر بين اللغة، والفكر الحضاري الحديث، وحيث أمكن –من خلال التفاعل المستمر والتأثير والتأثر- إضافة "معجم جديد وعصري" إلى المعجم اللغوي التقليدي، يقوم على ما اشتقه الكتاب ونحتوه وراحوا يقيسونه، ثم يولدون منه الألفاظ التي سرعان ما تداولها الناس في كل مكان، وذلك بالإضافة إلى الألفاظ التي ولدتها الحياة الحديثة الواقعة نفسها، وإلى التراكيب التي يقوم هؤلاء أيضا بصياغتها، وإلى استخدامهم "العصري" لأبواب وأنواع البيان العربي.

وفي حفاظ كتاب المقالات على هذا النهج القويم، وفي استمرارهم عليه، ما يدعم اللغة العربية، ويزيد من قوتها وارتباط فكر القارئ وثقافته بها وعنها.

٤- ومن هنا فنحن لا نرى غضاضة أو حرجا أو عيبا في أن يستخدم كاتب المقالة هذه "اللغة الجديدة العصرية" التي نقدم

---

(١) في الأدب الحديث عمر الدسوقي ٢/٤٨٥

بعض تراكيبها وألفاظها من واقع المقالات التي نشرت بصحيفتين عربيتين في الآونة الأخيرة، وعلى سبيل المثال لا الحصر:

أ- فنحن نقرأ من بين سطور مقالة واحدة نشرتها صحيفة "الدستور" الأردنية هذه الكلمات والألفاظ والتراكيب والتعبيرات الجديدة العصرية التي لم يكن كاتب الجيل السابق يعرفها أو يعرف إليها سبيلا ومنها مثلا:

"رفاق السلاح، الاقتتال، تصفية منظمة التحرير، البدائل الجاهزة، روابط القرى، الساحة اللبنانية، الأصابع العربية، تمرير المؤامرة، الحوار الديمقراطي،." (١)

"٣٦- الشهرستاني، الملل والنحل بهامش الفصل في الملل والأهواء لابن حزم، الطبعة الأدبية بمصر ١٣٢٠هـ.

٣٧- الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ليدن ١٨٩٣م.

٣٨- طه حسين، في الأدب الجاهلي، دار المعارف ١٩٥٤.

٣٩- طه حسين، حديث الأربعاء، دار المعارف ١٩٥٤.

٤٠- ابن عبد البر النمري القرطبي، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، حيدر آباد ١٣١٨هـ.

٤١- ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب، توري ليدن ١٩٢٠، والجزء الخاص بمصر "ماسيه" ١٩١٤.

٤٢- عبد الرزاق حميدة، الأدب العربي في مصر، لجنة البيان العربي سنة ١٩٥١.

٤٣- ابن عبد ربه، العقد الفريد، لجنة التأليف والترجمة والنشر سنة ١٩٤٢م.

٤٤- ابن عساكر، التاريخ الكبير، ط روضة الشام ١٣٢٩هـ.

٤٥- العقاد، "عباس العقاد" أعلام الإسلام.

٤٦- عمر الدسوقي، **الفتوة** عند العرب، مكتبة نهضة مصر سنة ١٩٥٩.

٤٧- فكا، دائرة المعارف الإسلامية، فصل "أسامة".

٤٨- فيليب حتى، تاريخ العرب، بيروت دار الكشاف ١٩٥١م.

٤٩- القالي "أبو علي"، ذيل الأمالي، دار الكتب ١٩٢٦.

٥٠- ابن قتيبة الشعر والشعراء، إحياء الكتب العربية سنة ١٣٦٤هـ.

٥١- القفطي، أخبار الحكماء، طبع السعادة بمصر، تاريخ الحكماء، طبع أوربا.

٥٢- القلقشندي، صبح الأعشى، المطبعة الأميرية ١٩١٩م.

٥٣- الكندي، الولاة والقضاء، الكاثوليكية بيروت سنة ١٩٠٨.

٥٤- ماسينيون، خطط الكوفة، ترجمة المصعبي.." (٢)

"فدى للفارس الجشمي نفسي ... أفديه بمن لي من حميم

أفديه بكل بني سليم ... بظاعنهم وبالإنس المقيم

---

(١) فنون التحرير الصحفي بين النظرية والتطبيق المقال الصحفي محمود أدهم ص/٢٥٢

(٢) شعر الفتوح الإسلامية في صدر الإسلام النعمان عبد المتعال القاضي ص/٣٠٩

كما من هاشم أقررت عيني ... وكانت لا تنام ولا تنيم

خصصت بها أخا الأمراء قيسا ... فتى في بيت مكرمة كريم١

٦- ولقد تحدث "نيكلسون" عن الشنفرى وتأبط شرا بوصفهما طرازين يصوران المثل الأعلى للبطل العربي، فقال ما فحواه: "نستطيع أن نتخذ الشنفرى الأزدي وزميله تأبط شرا نموذجا للبطل العربي المثالي، فكلاهما خليع خارج عن النظام، سريع العدو، وشاعر ممتاز، ولا سيما الأول منهما"٢.

حقا، إنه يتجلى في هذين البطلين كثير من السمات العربية الأصيلة؛ كالشجاعة والكرم، والشاعرية الجيدة، والاشتراكية، إلا أنهما يعتبران من صعاليك العرب الخارجين على القانون والنظام العام المتعارف عليه لدى القبائل، ومن اللصوص المغيرين -وإن كانا في الواقع أشرف ألف مرة من المستعمرين الغربيين في القرن العشرين- ونحن لا نعترض على "نيكلسون" في اعتبارهما بطلين، وإنما اعتراضنا على ضربهما مثلا أعلى للبطولة العربية؛ لأن في هذا جرحا لهذه البطولة، ومن ذا الذي يقدر هذا المثل، إذا عددنا من مميزاته الأصلية، اللصوصية والنهب والسلب والتشرد في متاهات الصحراء وأقنان الجبال مع الذئاب والنمور والضباع؟!

لقد كانت قريش تعف عن السلب والنهب؛ ولهذا اتخذت لها من التجارة رحلة في الشتاء والصيف كوسيلة شريفة للكسب الحلال.

فإذا أردنا أن نلتمس المثل الأعلى للبطولة العربية، فإنه يجدر بنا أن نبحث عن شخصية أكثر تكاملا، شخصية تدنو من معنى "الفتوة" عند العرب.

---

١ ديوان الخنساء ٢٣١، وبلاغات النساء ١٦٧، والأغاني ١٣/ ١٤٠، ولسان العرب ١٦/ ٧٨.

٢ Aliterary History of the Arabs p. 79.." (١)

"والجهل أضر الأصحاب، والذم أقبح الأثواب، والجاهل من جهله في إغواء، ومن هواه في إغراء، فقوله سقيم، وفعله ذميم، ودولة الجاهل عبرة للعاقل، وقديما قيل: "عالم معاند خير من جاهل مساعد"، و"الجهل بالفضائل من أقبح الرذائل".

والجهل يضع والعلم يرفع، قال الشاعر:

العلم يرفع بيت لا عماد له ... والجهل يهدم بيت العز والشرف (١)

ولله در القائل:

فيا عجبا لمن ربيت طفلا ... ألقمه بأطراف البنان

أعلمه الرماية كل يوم ... فلما اشتد ساعده رماني

أعلمه الفتوة كل وقت ... فلما طر شاربه جفاني

---

(١) قصة الأدب في الحجاز عبد الله عبد الجبار ص/٤٥٩

وكم علمته نظم القوافي ... فلما قال قافية هجاني (٢)

الفتيا بغير علم إثم

جاء في محكم الذكر: ﴿قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغي بغير الحق وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون﴾ (٣) ، وجاء في السنة النبوية: (من أفتي بغير علم كان إثمه على من أفتاه) (٤) ، ولصفي الدين الحلي (٥) :

---

(١) – جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب تأليف السيد أحمد الهاشمي، ص٧٠٠ ، الناشر: مكتبة المعارف، بيروت، طبعة جديدة محققة ومنقحة أشرف على تصحيحها لجنة من الجامعيين، والموسوعة الشعرية ص١٢٨.

(٢) – رويت هذه الأبيات لمعن بن أوس وللبيد وقيل غير ذلك ، وانظر: الموسوعة الشعرية ص١٢٥، ومجمع الأمثال للميداني ، وأدب الدنيا والدين.

(٣) – سورة الأعراف الآية (٣٣) .

(٤) – أخرجه أبو داود سليمان الاشعث السجستاني الأزدي، في سننه باب التوقي في الفتيا حديث (٣٦٥٧) .

(٥) – عبد العزيز بن سرايا بن علي بن أبي القاسم، السنبسي الطائي، شاعر عصره، ولد ونشأ في الحلة، بين الكوفة وبغداد، واشتغل بالتجارة فكان يرحل إلى الشام ومصر وماردين وغيرها في تجارته ويعود إلى العراق، انقطع مدة إلى أصحاب ماردين فتقرب من ملوك الدولة الأرتقية ومدحهم وأجزلوا له عطاياهم. ورحل إلى القاهرة، فمدح السلطان الملك الناصر وتوفي ببغداد، له (ديوان شعر) ، و (العاطل الحالي) : رسالة في الزجل والموالي، و (الأغلاطي) ، معجم للأغلاط اللغوية و (درر النحور) ، وهي قصائده المعروفة بالأرتقيات، و (صفوة الشعراء وخلاصة البلغاء) ، و (الخدمة الجليلة) ، رسالة في وصف الصيد بالبندق.." [١]

"اين اكتسبه وفيما انفقه) (١) وقديما قيل: ان العرب لم تبك شيئا بكاءها على الشباب وفواته وضياعه، قال ابو العتاهية:

بكيت على الشباب بدمع عيني ... فلم يغن البكاء ولا النحيب

فيا أسفا أسفت على شباب ... نعاه الشيب والرأس الخضيب

عريت من الشباب وكان غضا ... كما يعرى من الورق القضيب

فيا ليت الشباب يعود يوما ... فأخبره بما صنع المشيب

وقال اخر:

---

(١) صيد الأفكار في الأدب والأخلاق والحكم والأمثال حسين بن محمد المهدي ٣٨/١

وودعني الشباب وكنت أسعى ... إلى داعي الشباب إذا دعاني
وان يفن الشباب فكل شيء ... من الدنيا فلا يغرك فاني (٢)

القوة في الشباب ولكنها تنتهي الى ضعف، فالله وحده هوالقوي، وهو الذي يهب اسباب القوة **والفتوة**، فان كنت شابا فلاتغتر بقوتك، فهؤلاء قوم عاد عصوا الله وقالوا من اشد منا قوة فاخذهم الله بذنوبهم كما حكى الله ذلك في كتابه: ﴿فأما عاد فاستكبروا في الأرض بغير الحق وقالوا من أشد منا قوة أولم يروا أن الله الذي خلقهم هو أشد منهم قوة وكانوا بآياتنا يجحدون * فأرسلنا عليهم ريحا صرصرا في أيام نحسات لنذيقهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة أخزى وهم لا ينصرون﴾ (٣) .

---

(١) – المعجم الأوسط للمؤلف العلامة: أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، الناشر: دار الحرمين – القاهرة، ١٤١٥هـ تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد ، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، حديث رقم (٤٧١٠) .
(٢) – هذان البيتان لنصيب بن رباح.
(٣) – سورة فصلت الايتان (١٥-١٦) .." [1]

"وإن شئت سامى واسط الكور رأسها ... وعامت بضبعيها نجاء الخفيدد٥٥
وإن شئت لم ترقل وإن شئت أرقلت ... مخافة ملوي من القد محصد٥٦
على مثلها أمضي إذا قال صاحبي ... ألا ليتني أفديك منها وأفتدي٥٧
أما لبيد فقد تحدث كذلك عن ناقته من حيث السرعة، واحتمال الأسفار، وأعضاء جسمها، ولكنه في تصوير سرعتها يقارنها مرة بأتان يطاردها فحل قد اعتاد مطاردة الفحول، فأثر ذلك في جسمه ونشاطه وسرعته، وأخذ يعلو حدب الأكام، وكان الغبار يرتفع في الفضاء من إثر جريهما، كأنه دخان نار ساطعة قد هبت عليها رياح الشمال، واستمرا على ذلك حتى أضناهما التعب، واشتد بهما العطش، ومرة أخرى يقارنها ببقرة وحشية قد أكل السبع ولدها، فذعرت، فأخذت تجري في الفيافي والقفار، وتسمع صوت صياد فتمتلئ رعبا، وتزداد سرعة، ويحس الصائد أنه لا أمل في أن ينالها بسهامه، فيرسل وراءها كلابا مسترخية الآذان، معودة للصيد، فلحقتها الكلاب، فرجعت البقرة عليهن تطعنهن لتطردهن عن نفسها.
والشاعر في هذا الوصف قد أفادنا بهذا الاستطراد، بتصوير حمر الوحش، والبقر الوحشية، وكلاب الصيد، وهذه الأوصاف تنبئنا عن أحوال هذه الحيوانات وطبيعتها، كما تدل على دقة الملاحظة، وقوة الإحساس الشعري عند الشاعر الجاهلي.
أما الخيل، فما أكثر الحديث عنها في الشعر الجاهلي، سواء في مجال الصيد، أم في مجال الحرب، وكلاهما يجيء في معرض الفخر **بالفتوة** والبطولة. وقد اشتهر بنعت الخيل من الشعراء طفيل الغنوي وأبو دؤاد الإيادي. والنابغة الجعدي. ومن خير الأمثلة في وصف خيل الصيد

---

(١) صيد الأفكار في الأدب والأخلاق والحكم والأمثال حسين بن محمد المهدي ١١٥/٢

٥٥ سامي:باري في السمو وهو العلو. الكور: الرحل. وواسط الكور: وسطه، وهو العود الذي بين مورك الرحل ومؤخرته، وهو كالقربوس للسرج. عامت: سبحت. بضبعيها: بعضديها. النجاء: السرعة. الخفيدد: ذكر النعام. شبه الناقة به في السرعة. يقول: وإذا أردت أن تسرع، جذبت زمامها، فارتفع رأسها إلى أعلى حتى يوازي وسط الرحل، وانطلقت كالظليم في سرعة فائقة دون أن يحس راكبها أي تعب، وكأنها في عدوها تسبح على سطح الماء.

٥٦ الإرقال: نوع من السير السريع. وفيه تنفض رأسها لشدة سيرها. ملوي: سوط مفتول، القد: ما قد من الجلد. محصد: محكم، شديد الفتل. يقول الشاعر: إن هذه الناقة مذللة مروضة، طوع إرادته، إن شئت تركتها تسير سيرا عاديا، وإن شئت أسرعت مخافة سوط شديد الفتل.

٥٧ على مثلها: على مثل هذه الناقة التي تقدم وصفها. أفديك منها، أي من الصحراء، وقد أضمرها ولم يتقدم لها ذكر لأن سياق الكلام وذكر الناقة والسير يدل عليها. أفديك: أعطيك فداءك وتنجو. وأفتدي: أي أنا منها وأنجو.." (١)

"- فيا عجبا لمن ربيت طفلا ... ألقمه بأطراف البنان.

- أعلمه الرماية كل يوم ... فلما اشتد ساعده رماني.

- أعلمه الفتوة كل وقت ... فلما طر شاربه جفاني.

- وكم علمته نظم القوافي ... فلما قال قافية هجاني.

الميداني." (٢)

"- ظننت بغى الفتوة والتمني ... تزول بالاكتهال فخاب ظني

- أرى قلبي يظل على صباه ... ولو حامت على التسعين سني

- يكلفني الشقي هوى الصبايا ... فأهواهن ممتثلا كأني ....

- ويولغني بأصغرهن سنا ... وأصغرهن أبعدهن عني

- بكيت فقال أصحابي: أتبكي؟ ... فقلت مضى الشباب فهل أغني؟

- ولو راح الهوى لأراح نفسي ... من الصد المبرح والتجني

- ولكن الهوى باق وقلبي ... بمعترك اللحاظ بلا مجن

- دعوا دمعي يسيل فما لمثلي ... شعور المستريح المطمئن

- وليس أحق من عيني بدمعي ... وأولى بالبكاء علي مني

الياس حبيب فرحات." (٣)

---

(١) في تاريخ الأدب الجاهلي علي الجندي ص/٣٥٥

(٢) مجمع الحكم والأمثال في الشعر العربي أحمد قبش ٣٩/١

(٣) مجمع الحكم والأمثال في الشعر العربي أحمد قبش ٤١٨/٥

"الإحساس بما في النص من متعة جمالية وفنية، لا أقصد هذا ولا أقصد التحليل السطحي الذي يقف عند حد المعنى الظاهر كما أشرت، وإنما أقصد التذوق الذي يدفع الباحث إلى الجري وراء العلل، والكشف عنها. أقصد: التحليل الذي يجعله يغوص في أعماق النص، ويكشف عن عناصر الجمال فيه، ويوضح تأثيرها في نفس المتلقي، يتخطى جانب الذات عنده، وجانب المتعة إلى الكشف عن العلل والأسباب، بل يتخطى ذلك كله إلى أثر ذلك في نفس المتلقي.

فالتذوق لا يقصد لذاته، ولا لمجرد الكشف عن أحاسيس الباحث إزاء الأعمال الأدبية فحسب، فإذا وقف باحث أمام فن المتنبي الشعري مثلا، وتذوقه تذوقا صحيحا، ثم انتقل من التذوق إلى البحث عن مصادر الجمال فيه، فإنه سوف يقف على روعة لا مثيل له، روعة تجسيده لمعاني العروبة وأحاسيسها، ومعاني الفتوة والبطولة، وتصويره الرائع لاعتداده بنفسه، وغير ذلك من خصائص فنية تبدو من خلال هذا التذوق، وذلك التحليل.

ولا شك في أن ذلك كله سوف ينعكس على نفس القارئ نتيجة لما يقوم به الباحث من تسجيل آثار انعكاساته على نفسه، وكما يحلل الباحث فن شاعر ويتذوقها، ينبغي أن يحلل شخصية الشاعر، ويكشف عن أثر العناصر الداخلية والخارجية فيها، أي: في هذه الشخصية. بمعنى: أنها يحلل المؤثرات ذاتها التي كونت شخصيته، فالشاعر ثمرة ظروف كثيرة متشابكة، والباحث يكشف من خلال تحليله لشخصيته عن طبيعة تلك الظروف وأبعادها النفسية والشخصية، كما يحلل الباحث المؤثرات التي تعاونت على تكوين غرض معين. تأمل استخدامات التحليل، أو مجالات استخدام التحليل، ليس في تحليل النص فقط، وإنما يحلل المؤثرات التي تعاونت على تكوين غرض معين، أو التي طبعت فن." (١)

"٢٨- عز الدين إسماعيل: المكونات الأولى للثقافة العربية، بغداد، وزارة الإعلام، ١٩٧٢م.

٢٩- عفت الشرقاي: قضايا الأدب الجاهلي، بيروت، دار النهضة العربية، ١٩٧٨م.

٣٠- علي أحمد سعيد: الثابت والمتحول "الجزء الأول"، بيرت، دار العودة، ١٩٧٤م.

٣١- علي شلق: نقاط التطور في الأدب العربي، بيروت، دار القلم، ١٩٧٥م.

٣٢- علي العتوم: قضايا الأدب الجاهلي، عمان، ١٩٨٤م.

٣٣- عمر الدسوقي: الفتوة عند العرب، القاهرة، مكتبة نهضة مصر، ١٩٥١م.

٣٤- فاطمة محجوب: قضية الزمن في الشعر العربي، دار المعارف بمصر، ١٩٨٠م.

٣٥- كمال اليازجي: في الشعر العربي القديم "٣ أجزاء" بيروت، دار الكتاب اللبناني، ط١: ١٩٧٣م.

٣٦- محمد بن إبراهيم الحقيل: الوحشيات والأوابد عند الشعراء في الجاهلية، القاهرة، مطابع سجل العرب، ١٩٨٠م.

٣٧- محمد أحمد الغمراوي: النقد التحليلي، القاهرة، ط١: ١٩٢٧م، ط٢: بيروت، ١٩٨٠م.

٣٨- محمد أبو الأنوار: من قضايا الأدب الجاهلي، القاهرة، مكتبة الشباب، ١٩٧٦م.

٣٩- محمد الخضر حسين: نقض كتاب الشعر الجاهلي، القاهرة، مطبعة السلفية، ١٩٢٧م.

٤٠- محمد رجب بيومي: موقف النقد الأدبي من الشعر الجاهلي، الرياض، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، د.

---

(١) أصول البحث الأدبي ومصادره – جامعة المدينة جامعة المدينة العالمية ص/٢٦٤

ت.

٤١- محمد زكي العشماوي: قضايا النقد الأدبي بين القديم والجديد، بيروت، دار النهضة العربية، ١٩٧٩م.

٤٢- محمد عبد المعيد خان: الأساطير العربية قبل الإسلام، القاهرة، مطبعة لجنة التأليف، ١٩٣٧م.

٤٣، ٤٤- محمد عبد المنعم خفاجي: الحياة الأدبية في العصر الجاهلي، القاهرة، المكتبة التجارية، ط١: ١٩٤٩م، ط٢: ١٩٥٨م.." (١)

"أما الأدوات، أدوات التحليل والتذوق والنقد وإصدار الحكم على العمل الأدبي، فتلك ستكون نافعة لأدبنا، وإنني أظن أننا نظلم أدبنا العربي القديم بعامة، والجاهلي بخاصة، إن نحن أخضعناه إخضاعا أعمى بلا قيد أو شرط وبلا تحفظ لهذه المناهج والمذاهب؛ لأننا عندئذ سنتمحك ونحاول أن نحشره أحيانا في قوالب لا يدخل فيها ولا تناسبه، قد يفقد نكهته الخاصة المميزة.

وثمة أمور ينبغي للنقد الحديث والناقد أيضا أن يتنبه إليها عند دراسة الشعر الجاهلي:

١- إن الشعر الجاهلي عميق الصلة ببنية اللغة.

٢- أن يقرأ الشعر قراءة مسموعة منغمة حسب إيقاعها.

٣- أن يلاحظ الرمز عند الشعراء الكبار.

٤- إن الشعر هو ميثولوجيا الجاهلية.

٥- أن يلاحظ الملاحم فيه.

٦- أن يلاحظ الصراع الميتافيزيقي بين الإنسان والطبيعة الصحراوية.

٧- أن يلاحظ معركة الشاعر مع الدهر، وأن الحماسة توكيد لا شعوري ضد الدهر.

٨- أن يلاحظ التطرف في الكرم والفخر.

٩- إن المبالغة هي بلاغة المعاناة الجدية.

١٠- **الفتوة** هي السبب الناتج عن هدم فتوة الإنسان بالعدم.

ويخلص الدكتور عفت الشرقاوي١ القضايا التي تثار في الدراسات النقدية الحديثة بأنها: إما قضايا تتصل بقضايا الثقافة العربية التي نشأ فيها هذا الأدب، وإما قضايا متصلة بتوثيق نصوص هذا الأدب وتفسيرها تفسيرا أدبيا حديثا.

وفي ندوة عدقتها مجلة "فصول"٢ بعنوان: "مشكلة المنهج في النقد العربي المعاصر" اشترك فيها كل من الأساتذة: شكري عياد، وعبد المحسن بدر، وبدر الديب، وصبري حافظ، وعز الدين إسماعيل، وجابر عصفور، ومن الآراء التي طرحها المشتركون فيها:

١ إعادة تقييم المسلمات الأدبية السائدة في فترة معينة، بحيث تتوافر لكل فترة

---

(١) الأدب الجاهلي في آثار الدارسين قديما وحديثا عفيف عبد الرحمن ص/١٠٩

١ دروس ونصوص في قضايا الأدب الجاهلي، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٧٩، المقدمة.

٢ فصول، مجلد ١ العدد ٣ "١٩٨١"، ص٢٤٢ وما بعدها.." (١)

"ولنستمع إليه مرة ثانية يحدثنا عن بعض الشئون الداخلية عقب سقوط وزارة رياض، وتولية شريف، وكان رياض من ألد أعداء الصحافة الحرة والأقلام الجريئة، وقد سقطت وزارته حين أمر بفض مجلس النواب، فلما جاء شريف ألغى هذا الأمر فحياه أديب بمقال استهله بقوله:

ولي وطن آليت ألا أبيعه ... وألا أرى غيري له الدهر مالكا

ثم يقول فيه للمصريين: "لقد نهضتم من ورطة الذل بما تم لكم من إقامة الحكومة الوطنية، وتأييد الهيئة الثورية، فصار الأمر منكم وإليكم، وتبعته لكم وعليكم، لتنظروا إلى مستقبلكم نظر الآمن، وتستعملوا ما حصل لكم من الحقوق، وما رد إليكم من الحرية فيما يجلب لكم الخير، ويدفع عنكم الضير، ولا تكونوا كمن وجد كنزا فأدهشه المال، فلم يودعه مكانا أمينا، فأتاه السارق على غرة، فأفاق يطلب الكنز فرأى الأرض قفرا والمزار بعيدا".

وقال أديب يوم افتتاح مجلس النواب سنة ١٨٨١، معبرا عن فرحته منددا بمحرر جريدة البرهان الشيخ حمزة فتح الله حين دعا إلى حكم الفرد:

صفحا لهذا الدهر عن هفواته ... إن كان هذا اليوم حسناته

وكيف لا؟ وهو حاجة النفس، وأمنية القلب، منذ توجه الخاطر إلى السياسة الوطنية، وانصرف العزم إلى إحياء الهمم، وانعقدت النية على حفظ الحقوق، واتحدت الوجهة في القيام بالواجبات، وهو النشأة التي كست الوطن رداء **الفتوة** قشيبا، وهو البغية التي غرست للأخمة غصن الأمل رطيبا، وهو ما رجوناه زمانه، ودافعنا الزمن فيه، وتمنيناه أعواما، وغالبنا الحدثان عليه، فيا حسنه من يوم رد فائت البهاء، وأحيا ميت الرجاء وأعاد شباب الأمة، وسدل ستور النعمة، وأظهر مقاصد الأمير، وأيد مساعي الوزير، وقضى لبانات النبهاء، وحقق أماني النزهاء".

ولنستمع إليه كذلك يقول عن الحزب الوطني الذي أنشئ في أوائل عهد توفيق وما يتعلق به من أماني، موضحا سياسته، وأنه "يريد أن يكون المصري في." (٢)

"يستطيع من زينة، وظهر في مظهر **الفتوة** والقوة وفارق مكة، فتعرض للحجيج في طريق المدينة والشام والعراق، يتلمس نساءهم، ويتبين هوادجهن، ويعرض منها لمن تظهر عليها آثار النعمة والترف، فإذا وافى الحجيج مكة وغيرها من مواضع المناسك كان عمر قد أحصى النساء اللاتي يجب أن يكون بينه وبينهن لقاء أو حديث أو مكاتبة، وكان له رسل تعمل في ذلك فتأتيه المواعيد في مكة حينا، وفي منى حينا آخر، وكان أحب ساعات الدهر إليه أوائل الليل من أيام الموسم حيث ينتهز النساء فرصة الليل فيخرجن للطواف، هناك كان عمر بن أبي ربيعة يترصدهن، ومنهم من كانت تترصده، وهنالك كانت تبتدي الأحاديث لتتم بعيدا عن البيت، حتى إذا انتهى الموسم، وأزمع الحجيج العودة إلى بلادهم".

---

(١) الأدب الجاهلي في آثار الدارسين قديما وحديثا عفيف عبد الرحمن ص/١٦٨

(٢) نشأة النثر الحديث وتطوره عمر الدسوقي ص/٧٢

"رأيت عمر مقسما بين نساء المدينة ونساء الشام ونساء العراق، يشيع هذه ثم يعود، فيشيع تلك، ثم يترك هاتين ليشيع امرأة أخرى، وهو لا يفرغ من تشييع امرأة إلا قال الشعر الجيد يسبقها إلى موطنها، ولا يلبث أن يسقط بين أيدي المغنيين، فإذا هو مصدر للهو والطرب لهذه الاستقراطية المترفة من أبناء قريش والأمصار، فكان موسم الحج موسم شعر وغناء في الحجاز١".

على الرغم من أن أسلوب طه حسين يحفل برنين الألفاظ، وجرس العبارات أكثر من الفكرة المدروسة، والمعنى العميق فقد كان شيئا جديدا، متميزا في الكتابة العربية الحديثة، فيه من لغة العرب البيان والإشراق واللمح، ومن الفرنسية الوضوح والإبانة والدقة.

---

١ راجع: حديث الأربعاء: جـ١ ص٢٠٩ وما بعدها.." (١)

"التعقيد اللفظي: أن يكون الكلام خفي الدلالة على المعنى لخلل واقع في نظمه وتركيبه، بحيث لا يكون ترتيب الألفاظ على وفق ترتيب المعاني بسبب تقديم، أو تأخير، أو فصل، أو حذف، أو نحو ذلك مما يترتب عليه صعوبة فهم المعنى المراد، وهو على ضربين: شديد، وخفيف.

فالشديد كما في قول الفرزدق١ يمدح إبراهيم بن المخزومي خال هشام بن عبد الملك، أحد خلفاء بني أمية:

وما مثله في الناس إلا مملكا ... أبو أمه حي أبوه يقاربه

يريد أن يقول: ليس مثل الممدوح في الناس حي يقاربه في الفضائل إلا مملكا٢ أبو أم ذلك الملك أبو الممدوح أي: لا يحاكيه أحد إلا ابن أخته وهو "هشام". ففيه فاصل كبير بين البدل وهو "حي" والمبدل منه وهو "مثله" وفيه تقديم المستثنى وهو "مملكا" على المستثنى منه وهو "حي"٣، وفيه فصل بين المبتدأ والخبر وهما: "أبو أمه أبوه" بأجنبي هو "حي"، وبين الصفة والموصوف وهما: "حي يقاربه" بأجنبي هو "أبوه" فانظر إلى أي حد وصل تعقيد اللفظ حتى عمي المعنى، واستغلق على الفهم٤.

---

١ هو همام بن غالب بن صعصعة، الشاعر التميمي الأموي المعروف، وقد لقب بهذا اللقب لتقطيع وجهه بالجدري على ما يروى.

٢ أي: رجل أعطي الملك والجاه، يريد هشاما.

٣ إنما عد تقديم المستثنى من موجبات التعقيد في البيت المذكور مع أنه جار على وفق قوانين النحاة؛ لأن التعقيد يزداد به وهو مما يقبل التفاوت شدة وضعفا.

٤ قيل: ويمكن أن يخرج البيت على وجه لا تعقيد فيه، فيجعل "إلا مملكا" مستثنى من الضمير المستتر في متعلق الجار والمجرور الواقع خبر "ما" أو خبر "مثله" على الخلاف في جعل "ما" حجازية أو تميمية، ويجعل "أبو أمه" مبتدأ و"حي" خبرا،

---

(١) المقال وتطوره في الأدب المعاصر السيد مرسي أبو ذكري ص/٢٠٥

ويجعل "أبوه" خبرا بعد خبر، والجملة صفة "لمملكا"، وكذلك جملة "يقاربه" أي: إلا مملكا موصوفا بهذه الصفة، وبأنه يقارب خاله في الفضائل. وعلى هذا القول يكون المراد بالحياة في قوله: "حي" الشبوبية **والفتوة**، وغاية ما يرد على هذا الوجه أن فيه نصب "مملكا"، والمختار رفعه لتأخر المستثنى على المستثنى منه بعد النفي.." (١)

"الجملة الواحدة، وقد يجاوره بعد ذلك سجع بين نهايتي جملتين؛ كقوله: "كان الشيخ مهيبا رهيبا، وكان فخما ضخما، قد ارتفعت قامته في السماء، وامتد جسمه في الفضاء١".

وكلف طه حسين بتلك الوسائل السابقة المحققة للتتابع يورطه أحيانا في اللف والدوران من غير ضرورة، كما يورطه أحيانا أخرى في بطء الحركة الأسلوبية، ويجعل من صورة -في بعض ما يكتب- شيئا شبيها بصور السينما التي تعرض بالطريقة البطيئة، لتوضيح حركة خفية، أو تسجيل موقف غريب.

على أن الغالب على طريقة طه حسين، استخدام التتابع بوسائله العديدة في تجسيم أبعاد الصور الحسية، وتعميق الإحساس بأبعاد الصور النفسية، وتأكيد الإيمان بالفكرة المجردة، فما يبدو في ظاهره تكرارا وإعادة، إنما هو في حقيقته تتابع، في كل جزء من أجزائه زيادة ولو طفيفة، وتغيير ولو يسير، ونمو ولو غير ملحوظ، أشبه ما يكون بكل لقطة من لقطات "الفيلم" الجزئية التي تؤلف في جملتها اللقطة الكلية في حركتها وحيويتها، ثم تؤلف مع اللقطات الكلية الأخرى أبعاد العمل الفني، وأعماقه وإيحاءات فنه.

ونستطيع أن نتبين طريقه "التصوير المتتابع" التي أطلقناها على طريقة طه حسين، في النموذج التالي، وهو جزء من مقال له "عن الحب في شعر عمر بن أبي ربيعة".. وفي هذا النموذج يقول طه حسين.

" ... وكان كل شيء في حياة عمر وسيلة إلى الاتصال بالمرأة وذكرها، والتحدث إليها، ولا سيما الحج، فلم يكن ابن أبي ربيعة يفهم من موسم الحج إلا أنه معرض إسلامي للجمال، كان إذا قرب الموسم اتخذ أجمل ما كان يستطيع من زينة، وظهر في مظهر **الفتوة** والقوة، وفارق مكة،

---

١ انظر: "على هامش السيرة" لطه حسين جـ٣ ص١.." (٢)

"٢٤٧- خطبة الأشترالنخعي:

وقام الأشتر يخطب الناس بقناصرين، وهو يومئذ على فرس أدهم مثل حلك١ الغراب، فقال:

"الحمد لله الذي خلق السموات العلى، الرحمن على العرش استوى، له ما في السموات وما في الأرض وما بينهما وما تحت الثرى، أحمده على حسن البلاء، وتظاهر النعماء، حمدا كثيرا، بكرة وأصيلا، من هداه الله فقد اهتدى، ومن يضلل فقد غوى، أرسل محمدا بالصواب والهدى، فأظهره على الدين كله ولو كره المشركون، صلى الله عليه وآله.

ثم قد كان مما قضى الله سبحانه وقدر، أن ساقتنا المقادير إلى أهل هذه البلدة من الأرض، فلفت بيننا وبين عدو الله

---

(١) المنهاج الواضح للبلاغة حامد عونى ٣٩/٣

(٢) تطور الأدب الحديث في مصر أحمد هيكل ص/٣٨١

وعدونا، فنحن بحمد الله ونعمه ومنه وفضله، قريرة أعيننا، طيبة أنفسنا، نرجو بقتالهم حسن الثواب، والأمن من العقاب، معنا ابن عم نبينا، وسيف من سيوف الله، علي بن أبي طالب، صلى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، لم يسبقه إلى الصلاة ذكر، حتى كان شيخا لم يكن له صبوة٢، ولا نبوة٣، ولا هفوة، ولاسقطة، فقيه في دين الله تعالى، عالم بحدود الله، ذو رأي أصيل، وصبر جميل، وعفاف قديم، فاتقوا الله وعليكم بالحزم والجد، واعلموا أنكم على الحق، وأن القوم على الباطل، إنما تقاتلون معاوية وأنتم مع البدريين قريب من مائة بدري، سوى من حولكم من أصحاب محمد، أكثر ما معكم رايات قد كانت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومعاوية مع رايات قد كانت مع المشركين على رسول الله صلى الله عليه وسلم،

---

١ الحلك: شدة السواد، وفي الأصل: "حثل" وهو تحريف.

٢ الصبوة: جهلة الفتوة.

٣ نبا السهم عن الهدف: قصر ولم يصبه، والمراد أنه لا يعرف عنه تقصير في الدين ولا وهن.." (١)

"فتبسم المعتصم وقال: "كاد الله يا تميم أن يسبق السيف العذل١، اذهب فقد غفرت لك الصبوة٢، ووهبتك للصبية"، ثم أمر بفك قيوده وخلع عليه، وعقد له بشاطئ الفرات.

"العقد الفريد ١: ١٤٥، وزهر الآداب ٣: ٨٩".

---

١ العذل كشمس وسبب: اللوم؛ وهو مثل؛ وأول من قاله ضبة بن أد بن طابخة؛ وكان له ابنان يقال لأحدهما سعد؛ وللآخر سعيد؛ فنفرت إبل لضبة تحت الليل؛ فوجه ابنيه في طلبها فتفرقا؛ فوجدها سعد فردها؛ ومضى سعيد في طلبها؛ فلقيه الحرث بن كعب، كان على الغلام بردان؛ فسأله الحرث إياهما فأبى عليه فقتله وأخذ برديه؛ فكان ضبة إذا أمسى فرأى تحت الليل سوادا. قال: أسعد أم سعيد؟ فمكث ضبة بذلك ما شاء الله أن يمكث؛ ثم إنه حج فوافى عكاظ فلقي بها الحرث بن كعب؛ ورأى عليه بردى ابنه سعيد فعرفهما، فقال له: هل أنت مخبري ما هذان البردان اللذان عليك؟ قال بلى: لقيت غلاما؛ هما عليه فسألته إياهما؛ فأبى علي فقتلته؛ وأخذت برديه هذين؛ فقال ضبة: بسيفك هذا؟ قال نعم؛ فقال: فأعطنيه أنظر إليه فإني أظنه صارما؛ فأعطاه الحرث سيفه؛ فلما أخذه من يده هزه وقال: الحديث ذو شجون، ثم ضربه حتى قتله؛ فقيل له يا ضبة: أفي الشهر الحرام؟ فقال: سبق السيف العذل.

٢ جهلة الفتوة.." (٢)

"رجوعها إليه، دل على أن التحليل ليس بمشروع لها ولا لغيرها.

وأما في العادات فمثل: لبس الصوف عبادة وحلق الرأس على وجه التعبد في غير نسك ولزوم زي واحد وجعله دينا وقربة

---

(١) جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة أحمد زكي صفوت ٣٥٩/١

(٢) جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة أحمد زكي صفوت ١٤٧/٣

ومن ذلك لباس الفتوة والخرقة عند المتصوفة.. ونحو ذلك، مع أن الأصل في الأفعال العادية عدم التحريم وكذلك في المعاملات، ولكن لما ألحق المبتدع إليها أوصافا ليست لها من قبل الشارع كاعتقاده التقرب بهذا العمل، وجعله دينا وعبادة، أو إلحاق حكم شرعي بالندب أو الوجوب أو الجواز، وليس له هذا الحكم من جهة الشرع كان هذا هو سبب اعتبار هذه الأعمال وأمثالها بدعا في دين الله.

وهذا الذي مضى هو قسم البدع الفعلية، وأما البدع التركية، فإن الحديث عنها فيما يلي:

وسيكون الكلام عن الترك هنا على قسمين:

١- الترك من قبل الشارع.

٢- الترك من قبل المكلف.

القسم الأول: الترك من قبل الشارع:." (١)

". قسم برئاسة أحمد بن عبد الرحمن.

. قسم برئاسة ولي الدين عبد الهادي.

· المؤتمر العالمي لتاريخ المهدية أقيم في بيت المهدي بالخرطوم في الفترة من ٢٩ نوفمبر إلى ٢ ديسمبر ١٩٨١م، وقد ألقى أحمد بن عبد الرحمن المهدي كلمة في هذا الحقل.

الأفكار والمعتقدات:

· إن شخصية المهدي القوية، والمعتقد الديني الذي يدعو إليه، والسخط العام الذي كان سائدا ضد الولاة الذين كانوا يفرضون الضرائب الباهظة على الناس، وتفشي الرشوة والمظالم، وسيطرة الأتراك والإنجليز، كان ذلك كله دور مهم في تجمع الناس حول هذه الدعوة بهدف التخلص من الوضع المزري الذي هم فيه إذ وجدوا في المهدي المنفذ والمخلص.

· دعا المهدي إلى ضرورة العودة مباشرة إلى الكتاب والسنة دون غيرهما من الكتب التي يرى أنها تبعد بخلافاتها وشرورها عن فهم المسلم البسيط العادي.

· أوقف العمل بالمذاهب الفقهية المختلفة، وحرم الاشتغال بعلم الكلام (*) ، وفتح باب الاجتهاد (*) في الدين، وأقر كذلك كتاب كشف الغمة للشعراني، والسيرة الحلبية، وتفسير روح البيان للبيضاوي، وتفسير الجلالين!!

· ألغى جميع الطرق الصوفية وأبطل جميع الأوراد داعيا الجميع إلى نبذ الخلافات والالتفاف حول طريقته المهدية مؤلفا لهم وردا يقرءونه يوميا، ومن هذا الباب دخلت مرة أخرى في بوتقة الصوفية وانصهرت فيها، وداخلتها الأخطاء العقدية كقول المهدي بأنه معصوم وأنه المهدي المنتظر.

· لما تحركت الحكومة لضرب المهدية في جزيرة أبا كتب المهدي خمس رايات رفع عليها شعار (لا إله إلا الله محمد رسول الله) وعلى أربعة منها كتب على كل واحدة منها اسم واحد من الأقطاب الأربعة المتصوفة وهم: الجيلاني، والرفاعي، والدسوقي، والبدوي. أما الخامسة فقد كتب عليها "محمد المهدي خليفة رسول الله" وعلى ذلك فهو يزعم أنه الإمام،

---

(١) حقيقة البدعة وأحكامها سعيد بن ناصر الغامدي ٤٢/٢

والمهدي، وخليفة رسول الله.

• أبرز ما في دعوته إلحاحه الشديد على موضوع الجهاد (*) والقوة **والفتوة**.

• يزعم المهدي بأن مهديته قد جاءته بأمر من رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ يقول: "وقد جاءني في اليقظة ومعه الخلفاء الراشدون والأقطاب (*) والخضر ـ عليه السلام ـ وأمسك بيدي صلى الله عليه وسلم." (١)

"فترات الاضطهاد تظهر دعاوى فصل الدين (*) عن الدولة مثلما جاء في رسالة هوزيوس أسقف (*) قرطبة للإمبراطور قسطنطيوس عام ٣٥٥م: "أما من جهتك فينبغي ألا تجر على نفسك جريمة ارتكاب ذنب خطير، بأن تسعى لأن تتولى حكومة الكنيسة، فلتعط ما لقيصر لقيصر، ولتجعل لله ما لله، فلا يجوز لنا أن نباشر سلطة دنيوية وليس لك أيها الإمبراطور الحق في أن تحرق البخور". وهذا ما اعتقدته حركة (*) الإصلاح الكلونية أنه سبيل لإصلاح الكنيسة.

• انتشرت داخل الكنيسة كافة مظاهر الانحراف والفساد مثل السيمونية (*) ، ومخالفة القانون الكنسي (*) ، رغم دعاوى الرهبنة (*) والعزوبة وحياة الزهد والتقشف التي فرضها القانون الكنسي، ولم تستثن أحدا بدء من البابا (*) حتى أصغر كاهن (*) وراهب. تقول القديسة كاترين السينائية في القرن الرابع عشر الميلادي: "إنك أينما وليت وجهك سواء نحو القساوسة (*) أو الأساقفة (*) أو... لم تر إلا شرا ورذيلة، تزكم أنفك رائحة الخطايا الآدمية البشعة، اتخذوا بطونهم إلها لهم، يأكلون ويشربون في الولائم الصاخبة، حيث يتمرغون في الأقذار، ويقضون حياتهم في الفسق والفجور".

– كان للرهبانية أثرها البالغ على الأخلاق (*) الأوربية، فانعدمت أخلاق **الفتوة** والمروءة التي أصبحت من المعايب والرذائل، كما هجر الناس البشاشة والسماحة والشجاعة. ومن أهم نتائجها أن تزلزلت دعائم حياة الأسرة، فكثيرا ما أصبحت الأمهات ثكلى، والأزواج أيامى، والأولاد يتامى، بعد خطفهم من الرهبان، فأصبحوا يتكففون الناس ويتوجهون إلى الصحراء، همهم الوحيد أن ينقذوا أنفسهم في الآخرة. وكان الرهبان يفرون من ظل النساء ويتأثمون من قربهن، يعتقدون أن مصادفتهن في الطريق العام والتحدث إليهن ولو كن أمهات أو زوجات أو شقيقات تحبط أعمالهم وجهودهم الروحية.

* رغم الجوانب والآثار السلبية للحروب الصليبية وما تميزت به من قسوة ضد المخالفين سواء كانوا من نصارى أو مسلمين، إلا أنها كانت سببا في انتقال المعارف الإسلامية إلى أوروبا. تقول الكاتبة الألمانية هونكة في شمس العرب تسطع على الغرب: "وكان للحروب الصليبية دور هام في تطور نظام الحصون وطرق الدفاع، أي في أوروبا"، وتقول: "اختلط ملوك أوروبا وأمراؤها بملوك الشرق وأمراء المسلمين في أثناء الحرب الصليبية، ورأوا بأعينهم أدباء العرب وشعراءهم ومؤرخيهم، لاسيما من كان منهم بمعية صلاح الدين الأيوبي". وتقول: "وفي مراكز العلم الأوروبية لم يكن هناك عالم واحد من بين العلماء إلا ومد يديه إلى الكنوز العربية".." (٢)

"عين فتشغلهم عن الله. لقد انفردوا مع الله راسخين لا يتزلزلون عن عبوديتهم مع الله طرفة عين (١) .

ويرى ابن عربي في فتوحاته المكية أن هذا الاسم أطلق عليهم؛ لأنهم أخفوا مكانتهم الشريفة في العامة، فكأن المكانة تلومهم

---

(١) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة مجموعة من المؤلفين ١/٣١٣

(٢) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة مجموعة من المؤلفين ٢/٦١٠

حيث لم يظهروا عزتها وسلطانها (٢) .

وقد شبههم المنوفي في كتابه جمهرة الأولياء بأهل الكهف في فتوتهم وحالهم، حين قال في التعريف بهم: "الملامة نعت لإبدال أهل **الفتوة**، واسم الملامية أو الملامتية أطلق علي قوم يلومون أنفسهم مع حسن أحوالهم ونموها"، وقد استفاض المنوفي في الأمثلة للملامتية وحشر كثيرا من الناس أمثلة للفتوة (٣) .

وقد قسم شيخ الإسلام الملامية إلي قسمين:

ملامية يفعلون ما يحبه الله ورسوله ولا يخافون لومة لائم في ذلك، وهؤلاء هم أهل الملام المحمود.

وملامية يفعلون ما يبغضه الله ورسوله ويصرون على الملام في ذلك والصبر عليه، وهؤلاء هم أهل الملام المذموم.

قال: "وبهذا يحصل الفرق بين الملامية الذين يفعلون ما يحبه الله ورسوله

---

(١) هذا النص عن مقدمة رسالة الملامتية تحقيق د. أبو العلا العفيفي ص٢٠، وأما في الفتوحات المكية فإن النص يبدأ من قوله: "لقد انفردوا مع الله.." الخ ٣٩/٣.

(٢) الفتوحات المكية ٤٠/٣.

(٣) جمهرة الأولياء ١٢٢/١ – ١٣٠.." [1]

"السيئة السائدة بين الناس، وكف أيدي العابثين وأصحاب النهب والسلب والغارات العشائرية والقبلية التي كانت تنشر الفوضى والرعب في نفوس الناس، وتوجيه النزعة القتالية إلى الجهاد المشروع الذي يحقق الدين والعدل والأمن والاستقرار والاجتماع.

ثامنا: عمل مع الإمام محمد بن عبد الوهاب على نشر العلم والفقه في الدين، والعناية بكتاب الله وحديث رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وعلوم السلف، والعلوم الأخرى النافعة، فقد نشطت الحركة العلمية في وقته وبعده نشاطا ملحوظا، وكثرت الدروس والحلق وطلاب العلم، وما يخدم ذلك من الوسائل والأوقاف والنفقات، فكان الإمامان ينفقان على نشر العلم وطلابه بسخاء.

تاسعا: وقد عمل الإمام محمد بن سعود على كل ما يقوي دولة التوحيد من القوة العسكرية والمادية والمعنوية، بإعداد الجيوش والأسلحة، وبناء الحصون والقلاع، وحفر الخنادق، وتدريب الناس والشباب بخاصة على **الفتوة** والفروسية (١) .

عاشرا: كما عمل بكل جد وإخلاص على تسخير كل إمكانات الدولة التي شيدها في خدمة الدين والدعوة، فكان يعاضد الإمام محمد بن عبد الوهاب في إرسال الدعاة والمرشدين، ويبعث العلماء لشرح مبادئ الدعوة والدولة ومقاصدها، ورد المفتريات حولها.

حادي عشر: من أبرز ما عمله لنصرة الدين من الأعمال الباقية: تربيته لأبنائه وأحفاده وأبناء أسرته، ورجال دولته على الدين والفضيلة والعقيدة النقية الصلبة، والكفاح في سبيل ذلك، وبرهان ذلك ما كان عليه ابنه عبد العزيز وحفيده سعود

---

(١) فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام وبيان موقف الإسلام منها د. غالب بن علي عواجي ٨٧٨/٣

وإخوانهم وسلالتهم من خدمة الدين والعلم والفضيلة، ونصرة أهلها ونشر السنة، ومحاربة البدع والرذائل، والعمل بشرع الله تعالى واحترام العلماء وتقديرهم. والاهتمام بشؤون المسلمين، وتحقيق الأمن والعدل والاستقرار فجزاه الله وجزاهم جميعا عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء.

---

(١) انظر: المصدر السابق ص (١٠٢) .." (١)

"من التلبيس ـ لأن الله أمره في السماء أن ينظر إليه، فما نظر، واستدل على ذلك بقوله تعالى: ﴿ما زاغ البصر وما طغى﴾ [النجم: ١٧] . والآية في أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قد رأى جبريل على صورته التي خلقه الله عليها، وأن البصر ما زاغ ولا طغى، وهو ينظر إلى جبريل (فانظر كيف حول الحلاج الآية عن معناها، وأن المقصود بها هو: ما زاغ البصر أي ما نظر إلى الله، لأنه ليست هناك ذات مستقلة لله ـ تبارك وتعالى ـ في زعم الصوفية، بل ذاته هي ذات موجوداته. انظر هذا في كلام النابلسي الآتي) .

وأما الدليل الآخر الذي ساقه الحلاج، فهو قول الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ: (اللهم بك أصول وبك أجول وبك أقول) (هو جزء محرف من حديث رواه أبو داود في (سننه ٢٦٣٢) عن أنس بن مالك، ولفظه: كان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ إذا غزا قال: (اللهم أنت عضدي ونصيري، بك أجول، وبك أصول، وبك أقاتل) وصحح إسناده أستاذنا الألباني في (تخريج الكلم الطيب ص٧٥) كما رواه ببعض اختصار الترمذي (٢/٢٧٨) وحسنه، وأحمد (١٦/٦)) والمعنى الذي هو مراد الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ هو معنى لا حول ولا قوة إلا بالله، فلا يستطيع أحد أن يفعل خيرا، أو يوفق إلى خير إلا بحول الله وقوته ولكن الحلاج قلب هذا المعنى إلى عقيدته الخبيثة في الرب جل وعلا، وجعل معناها أن الرسول قال ذلك لأنه كان متحققا أنه هو هو، أي أنه هو الله! ! .

وأما موسى في نظر الحلاج فلم يكن على معرفة بحقيقة الرب، ولذلك قال له: ﴿رب أرني أنظر إليك﴾ [الأعراف: ١٤٣] .

ولقد كان من الجرأة بمكان أن يظهر الحلاج دعوته وعقيدته على هذا النحو من الصراحة والوضوح، ولقد كان يعاصره عدد كبير من المتصوفة في العراق وإيران والشام، ولكنهم قنعوا بالإشارات والرموز إلى عقيدتهم، ولم يقنع هو إلا بالتصريح، وقد سمى هو هذا المقام الذي وصل إليه مقام الفتوة، وفي ذلك يقول:

" تناظرت مع إبليس وفرعون في الفتوة (الفتوة التي عناها الحلاج هنا هي الجرأة في إظهار معتقده، وأستاذه في ذلك كما يقول إبليس وفرعون! !) ، فقال إبليس: إن سجدت سقط." (٢)

"عني اسم الفتوة، وقال فرعون: إن آمنت برسوله سقطت من منزلة الفتوة، وقلت أنا أيضا: إن رجعت عن دعواي وقولي سقطت من بساط الفتوة! ! وقال إبليس: أنا خير منه، حين لم ير غيره غيرا، وقال فرعون: ﴿ما علمت لكم من إله

---

(١) إسلامية لا وهابية ناصر العقل ص/٢٩

(٢) الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة عبد الرحمن بن عبد الخالق ص/٩١

غيري﴾ [القصص: ٣٨] . حين لم يعرف في قومه من يميز بين الحق والباطل! ! وقلت أنا: إن لم تعرفوه فاعرفوا آثاره، وأنا ذلك الأثر، وأنا الحق لأني ما زلت أبدا بالحق حقا! ! فصاحبي وأستاذي إبليس وفرعون، وإبليس هدد بالنار وما رجع عن دعواه، وفرعون أغرق في اليم وما رجع عن دعواه، ولم يقر بالواسطة أبدا، وإن قتلت أو صلبت أو قطعت يداي ورجلاي، ما رجعت عن دعواي " (الطواسين ص٥٢) .

وهذا الذي وصل الحلاج إليه قد كان عقيدة لكثير من معاصريه، ولكنهم لم يستطيعوا التصريح به بنفس الوضوح والصراحة التي صرح بها الحلاج، يقول الشبلي: "كنت والحسين بن منصور شيئا واحدا إلا أنه أظهر وكتمت " وقد مر بك هذا القول.

ولقد حاول الحلاج أن ينقل عموم المتصوفة إلى موقفه، ولذلك لم يفتأ يحركهم نحو هذه الغاية، ففي الرسالة القشيرية أنه لقي إبراهيم الخواص فقال له الحلاج: ماذا صنعت في هذه الأسفار، وقطع هذه المفاوز؟ قال: بقيت في التوكل أصحح نفسي عليه. فقال الحلاج: أفنيت عمرك في عمران باطنك، فأين الفناء في التوحيد! !

ويدخل الحلاج مسجد بغداد، ويرى الجنيد يتكلم على المنبر والجنيد سيد الطائفة في وقته فيقول له: يا أبا القاسم إن الله لا يرضى من العالم بالعلم حتى يجده في العلم، فإن كنت في العلم فالزم مكانك، وإلا فانزل، فنزل الجنيد ولم يتكلم على الناس شهرا (أخبار الحلاج طبع ماسنيون) .

وهذا القول من الحلاج للجنيد إنكار شديد عليه، وأمر له بأن يظهر ما يعتقده، وبأن يتحقق ظاهرا فيما تحقق فيه باطنا. وهذا معنى قوله: " فإن." (١)

"دينا لم يشرعه الله، وجعل ما ليس من الواجبات والمستحبات منها بمنزلة جعل ما ليس من المحرمات منها، فلا حرام إلا ما حرمه الله، ولا دين إلا ما شرعه الله؛ ولهذا عظم ذم الله في القرآن لمن شرع دينا لم يأذن الله به، ولمن حرم ما لم يأذن الله بتحريمه فإذا كان هذا في المباحات فكيف بالمكروهات أو المحرمات؟ ولهذا كانت هذه الأمور لا تلزم بالنذر، فلو نذر الرجل فعل مباح أو مكروه أو محرم لم يجب عليه فعله كما يجب عليه إذا نذر طاعة الله أن يطيعه؛ بل عليه كفارة يمين إذا لم يفعل عند أحمد وغيره، وعند آخرين لا شيء عليه. فلا يصير بالنذر ما ليس بطاعة ولا عبادة طاعة وعبادة.

ونحو ذلك العهود التي تتخذ على الناس لالتزام طريقة شيخ معين كعهود أهل (**الفتوة**) و (رماة البندق) ونحو ذلك ليس على الرجل أن يلتزم من ذلك على وجه الدين والطاعة لله إلا ما كان دينا وطاعة لله ورسوله في شرع الله؛ لكن قد يكون عليه كفارة عند الحنث في ذلك؛ ولهذا أمرت غير واحد أن يعدل عما أخذ عليه من العهد بالتزام طريقة مرجوحة أو مشتملة على أنواع من البدع إلى ما هو خير منها من طاعة الله ورسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ واتباع الكتاب والسنة؛ إذا كان المسلمون متفقين على أنه لا يجوز لأحد أن يعتقد أو يقول عن عمل: إنه قربة وطاعة وبر وطريق إلى الله واجب أو مستحب إلا أن يكون مما أمر الله به ورسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وذلك يعلم بالأدلة المنصوبة على ذلك، وما علم باتفاق الأمة أنه ليس بواجب ولا مستحب ولا قربة لم يجز أن يعتقد أو يقال إنه قربة وطاعة.

(١) الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة عبد الرحمن بن عبد الخالق ص/٩٢

فكذلك هم متفقون على أنه لا يجوز قصد التقرب به إلى الله، ولا التعبد به ولا اتخاذه دينا ولا عمله من الحسنات، فلا يجوز جعله من الدين لا باعتقاد وقول، ولا بإرادة وعمل.

وبإهمال هذا الأصل غلط خلق كثير من العلماء والعباد يرون الشيء إذا لم يكن محرما لا ينهى عنه، بل يقال إنه جائز ولا يفرقون بين اتخاذه دينا وطاعة وبرا، وبين استعماله كما تستعمل المباحات المحضة، ومعلوم أن اتخاذه دينا بالاعتقاد أو الاقتصاد أو بهما أو بالقول أو بالعمل أو بهما من أعظم." (١)

"١٣ . لباس الفتوة والخرقة عند المتصوفة: كانت ضمن المجموع السابق ذكره، ونشرها رشيد رضا في المجلة في جزئين ١،

١٤ . قاعدة أهل السنة في رحمة أهل البدع: نشرها الشيخ رشيد وقال: إنها من أنفس ما كتب شيخ الإسلام ولخص منهجه في الرد على أهل البدع من خلالها في مسألتين، الأولى: بيان الحق بالأدلة. والثانية: عدم الجزم بتكفير شخص معين له شبهة تأويل ٢.

١٥ . الصوفية والفقراء ٣: اعتمد عليه رشيد رضا في بيان بدع الصوفية.

١٦ . السبعينية: طبعت ضمن مجموع فتاوى لشيخ الإسلام ٤. وقد رد فيه على ابن سبعين.

١٧ . التسعينية: لقد حقق هذا الكتاب لدرجة " الدكتوراه" في جامعة الإمام ٥، وقد اطلع عليه رشيد رضا ضمن "مجموع الفتاوى " المشار إليه قبل.

١٨ . منهاج السنة النبوية: وهو أعظم رد على الرافضة، وقد طبع مع " درء التعارض" في مطبعة بولاق، وإذا كان الشيخ رشيد قد اطلع على درء التعارض فقد اطلع أيضا ضرورة على " منهاج السنة" وقد أشار إلى أنه اطلع على كتاب في الرد على الرافضة، لشيخ الإسلام ٦.

١٩. المراكشية: هي جواب سؤال رفع لشيخ الإسلام ونشرها رشيد

---

١ انظر: المجلة (٢٦/ ٢٦٥و ٥٢٣) وهي في المجموع (١١/ ٨٥) .

٢ انظر: المجلة (٣١/ ٢٨١) وهي في المجموع ٣/ ٢٧٨. ٢٩٢) .

٣ انظر: المجلة (٥/٥٦)

٤ انظر: مجلة المنار (١٥/ ٥٥٥) ،وطبعت مفردة باسم " بغية المرتاد" ت: موسى الدويش. ط. مكتبة العلوم والحكم، الثالثة، ١٤١٥هـ

٥ انظر: علي شبل: "الثبت لمخطوطات ابن تيمية" (ص: ٥٥) ط. دار الوطن.

٦ انظر: مجلة المنار (١٢١/٢٢)." (٢)

---

(١) الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة عبد الرحمن بن عبد الخالق ص/٣٩٥

(٢) منهج الشيخ محمد رشيد رضا في العقيدة تامر محمد محمود متولي ص/١٩٩

"حكم لمس الخاطب لمخطوبته والخروج معها

Q شخص قرأ الفاتحة على امرأة -أي: خطوبة- وخرج معها وهو متوضئ، ولمس يدها، هل يجوز أن يخرج معها؟! وما حكم مصافحة النساء؟

A قراءة الفاتحة هذه التي فعلها لا تحل له أي شيء، فلا يجوز له أن يمس يدها؛ لأن النبي قال: (لئن يطعن أحدكم بمخيط من حديد في رأسه، خير له من أن يمس امرأة لا تحل له) .

أما هل هذا المس ينقض الوضوء أو لا ينقض الوضوء؟! فقولان لأهل العلم، والأصح منهما -كما يظهر والله أعلم- اختيار عبد الله بن عباس أن المس الذي هو دون الجماع لا يوجب وضوءا؛ لأن عائشة مست رجل الرسول وهو ساجد، ولم يخرج الرسول عليه الصلاة والسلام من صلاته، وحمل قوله تعالى: ﴿أو لامستم النساء﴾ [النساء:٤٣] على أن المراد هو الجماع، أما إذا شعر بأنه أمذى وخاصة إذا كان في مثل هذه الحالة من **الفتوة** -وهي كذلك- فإذا تأكد أنه أمذى وجب عليه الوضوء.." (١)

"حفظ الفروج من الحرام

قال تعالى: ﴿والذين هم لفروجهم حافظون﴾ [المعارج:٢٩] أي: حافظون للفروج من كل ما منع الله منه، حافظون للفروج من الزنا، فإن الله قال: ﴿ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق أثاما﴾ [الفرقان:٦٨] .

والنبي صلى الله عليه وسلم ذكر أن الزناة تحرق فروجهم ويوضعون عراة في مثل التنور، كما رأى ذلك عليه الصلاة والسلام في الرؤيا، فهم حافظون للفروج من الزنا، وحافظون للفروج من الاستمناء، وبهذه الآية الكريمة استدل الإمام الشافعي على تحريم الاستمناء؛ لأن الله قال: ﴿والذين هم لفروجهم حافظون * إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين * فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون﴾ [المعارج:٢٩-٣١] قال: والاستمناء من ما وراء ذلك.

وأيضا: حافظون لفروجهم من أن يراها أحد، قال النبي عليه الصلاة والسلام: (لا ينظر الرجل إلى عورة الرجل، ولا تنظر المرأة إلى عورة المرأة) .

قال تعالى: ﴿إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين﴾ [المعارج:٣٠] قوله: (فإنهم غير ملومين) يفيد أنه ليس عليهم لوم إذا أتوا نساءهم أو أتوا إماءهم، لكن نفي اللوم يفيد أكثر من ذلك، وهو أن إتيان النساء مستحب؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (وفي بضع أحدكم صدقة) وفي الحديث المعروف: (يأتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر يا رسول الله؟ قال: نعم، أرأيت لو وضعها في حرام أكان عليه وزر؟ قال: نعم، قال: كذلك لو وضعها في الحلال كان له أجر) .

فأحيانا الحكم لا يؤخذ من آية واحدة فقط، أو من حديث واحد فقط، فمثلا: الله سبحانه وتعالى قال في كتابه الكريم: ﴿إن الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما﴾ [البقرة:١٥٨] فلو أخذت

---

(١) سلسلة التفسير لمصطفى العدوي مصطفى العدوي ٨/٧٠

حكم الطواف بين الصفا والمروة من الآية فقط، لكان حاصل ما في الآية: أنه لا إثم عليك إذا طفت، لكن من النصوص الأخرى استفدت وجوب السعي بين الصفا والمروة، بل من العلماء من قال بفرضية السعي بين الصفا والمروة.

فالحكم لا يؤخذ من آية واحدة فقط، كذلك في قصر الصلاة: ﴿فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة إن خفتم أن يفتنكم الذين كفروا﴾ [النساء:١٠١] إن أخذت الحكم من الآية فغاية ما أفادته الآية أنه لا إثم عليك إذا قصرت، ومنهم من قال بوجوب القصر، والجمهور على الاستحباب، لحديث: (فرضت الصلاة مثنى مثنى، فزيد في صلاة الحضر وأقرت في صلاة السفر) .

فالأحكام لا تؤخذ من آية واحدة ولا من حديث واحد فقط.

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون﴾ [المعارج:٣١] فعلى ذلك ينصح الشاب الذي تعتريه الشهوة **والفتوة** بما نصح به الرسول صلى الله عليه وسلم حين قال: (يا معشر الشباب! من استطاع منكم الباءة فليتزوج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء) هذه نصيحة رسول الله.

وقال الله سبحانه: ﴿وليستعفف الذين لا يجدون نكاحا حتى يغنيهم الله من فضله﴾ [النور:٣٣] .

وقال النبي عليه الصلاة والسلام: (ومن يستعف يعفه الله) ، وفي الرواية الأخرى: (ومن يستعفف يعفه الله) .

فهذه إرشادات للشباب، ألا يتبعوا النفس وهواها ولا يسيروا وراءها، ولا أن يكون كل ما احتاجت النفس إلى شيء فعله، بل كن كما علمك الرسول عليه الصلاة والسلام، عليك بالصيام وعليك بالاستعفاف، وعليك بغض البصر، وعليك باتخاذ التدابير الواردة في شرعنا للوقاية من الجنس.." (١)

"واختص دون الأنبياء بدعوة ... وسع العباد عمومها وشمولها

فاضت على الثقلين منه أشعة ... طلعت وما عقب الطلوع أفولها»

«١» وجاء في أخرى [من مجزوء الكامل] :

وجاء في أخرى [من مجزوء الكامل] :

«لولا النبي محمد ... هلك الورى في سوء حاله

أعلى الورى قدرا وأكر ... مهم وأظهرهم دلاله

ختم الإله به النبو ... ة **والفتوة** والرسالة

واختصه دون البر ... ية بالمكانة والجلالة»

«٢»

٣٥٩ محمد بن عبد الله الطرابلسي

أبو النصر، الأديب الحنفي، المتوفى قريبا من المدينة المنورة عام ١٢١٨ هـ/ ١٨٠٣ م. له: - بشائر النصر بصحب بدر-

---

(١) سلسلة التفسير لمصطفى العدوي مصطفى العدوي ٨/٧٤

تخميس وشرح قصيدة البردة للبوصيري- شرح قصيدة بانت سعاد «٣» .

٣٦٠ محمد بن عبد الله بن ظهيرة المخزومي القرشي

ولد عام ٧٥١ هـ/ ١٣٥٠ م بمكة المكرمة. وبها نشأ ودرس على جماعة من العلماء منهم: خليل المالكي والتقي الحرازي ومحمد الحضرمي والعز بن جماعة والموفق الحنبلي واليافعي ... ثم رحل إلى مصر فسمع من أبي الفرج ابن القاري والحراوي. ورحل أيضا إلى دمشق وبعلبك وغيرهما من المدن الإسلامية وأخذ عن علمائها. ثم تصدر في الحجاز لنشر العلم حتى لقب بعالم الحجاز. اشتهر بالعبادة والأوراد. وقد استفاد منه السخاوي في علم الحديث. توفي بمكة عام ٨١٧ هـ/ ١٤١٤ م ودفن بالمعلاة. له: -

---

(١) الثقلين: الإنس والجن. أفول: غروب.

(٢) البغدادي، هدية العارفين ٢/ ١٤١؛ البغدادي، إيضاح المكنون ٢/ ٦٥٨؛ النبهاني، المجموعة النبهانية ٣/ ٢٧٣- ٢٧٤؛ كحالة، معجم ١٠/ ٢٣٧- ٢٣٨.

(٣) البغدادي، هدية ٢/ ٣٥٥؛ كحالة، معجم ١٠/ ٢٢٠- ٢٢١.." (١)

"٣٨٠ محمد علي بن محمد علان البكري الصديقي

ولد بمكة عام ٩٩٦ هـ/ ١٥٨٨ م. وتوفي بها عام ١٠٥٧ هـ/ ١٦٤٧ م.

له مصنفات كثيرة منها: - إتحاف أهل الإسلام والإيمان ببيان أن المصطفى صلى الله عليه وسلم لا يخلو عنه زمان- خاتم الفتوة في خاتم النبوة- روضة الصفا في آداب زيارة المصطفى- شمس الآفاق فيما للمصطفى صلى الله عليه وسلم من كرم الأخلاق- مثير شوق الأنام إلى حج بيت الله الحرام- الفتحية في الطريقة المحمدية- مورد الصفا في مولد المصطفى صلى الله عليه وسلم- النفحات الأحدية تصدير وتعجيز الكواكب الدرية للبوصيري- النفحات العنبرية في مدح خير البرية «١» .

٣٨١ محمد بن علي بن مصطفى الجمالي

ولد بحلب عام ١١٠٨ هـ/ ١٦٩٦ م. ونشأ بها، وأخذ العلم عن علمائها: سليمان النحوي، حسب الله، محمد الطرابلسي نزيل حلب، يوسف الحسيني الدمشقي مفتي حلب. برع في الفقه والنظم والإنشاء. توفي أواخر رمضان عام ١١٧٣ هـ/ ١٧٥٩ م. له ديوان شعر معظمه في المديح النبوي. من شعره قوله في عقد حليته عليه الصلاة والسلام [من الخفيف] : جود الناس وأصدقهم]

«حبذا طيب طيبة الفيحاء ... مهبط الوحي مستقر الرضاء

---

(١) معجم أعلام شعراء المدح النبوي محمد أحمد درنيقة ص/٣٦٧

بلدة أينعت خمائل نور ... ثم أضحت مخضلة الأرجاء

شرفت بالنبي طه التهامي ... أكرم الخلق أشرف الأنبياء

كمل الله خلقه وحباه ... حلية توجت بكل بهاء

كان فخما مفخما يتلالا ... وجهه بالضيا كبدر السماء

أزهر اللون أدعج العين أقنى ... الأنف رحب الجبين ذي اللألاء

أشنب الثغر أخرق السن وضا ... ح المحيا ذا لحية كثاء

---

(١) البغدادي، إيضاح المكنون ٢/ ٦٦٥؛ البغدادي، هدية ٢/ ٢٨٣- ٢٨٤؛ كحالة، معجم ١١/ ٥٤- ٥٥.." [(١)]

"التفسير

٢٠ - ﴿الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم ... ﴾ الآية.

لما أنكرت الآية السابقة استواء الذين يسقون الحجاج ويعمرون المسجد الحرام - وهم مشركون - مع المؤمنين المجاهدين في سبيل الله، جاءت هذه الآية وما بعدها لبيان عظيم درجاتهم عند الله، بسبب ما اتصفوا به من الكمالات:

والمعنى: الذين آمنوا بالله تعالى ربا وبمحمد - صلى الله عليه وسلم - نبيا، وهجروا وطنهم مكة إلى المدينة، حماية لدينهم وأمنا على أنفسهم وعقيدتهم، وجاهدوا الكفار بأموالهم وأنفسهم، في طريق مرضاة الله وإعزاز دينه، لا طلبا للشهرة والاتسام بالشجاعة والفتوة، ولا تهافتا على نيل الغنيمة من غير تطلع إلى جانب الله، أولئك ﴿أعظم درجة عند الله﴾. أعلى رتبة وأكثر كرامة ممن لم يتصف بها من هؤلاء الذين أشركوا بالله، وخلطوا بشركهم سقاية الحجاج وعمارة المسجد الحرام.

وأفعل التفضيل في قوله تعالى: ﴿أعظم درجة﴾ على غير بابه، فليس للمشركين أي درجة من الفضل والثواب بسبب شركهم، ولذلك عقبه بقوله:

﴿وأولئك هم الفائزون﴾:

وأولئك المنعوتون بهذه الكمالات هم المختصون بالفوز العظيم والظفر بالبغية دون سواهم، فكيف يزعم أولئك المشركون علوهم في الفضل على المؤمنين، من أجل سقايتهم الحجاج وعمارتهم المسجد الحرام وهم بربهم يشركون:

ثم يبين الله عظيم درجاتهم وفوزهم ويبشرهم فيقول:

٢١ - ﴿يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم﴾:

يخبرهم الله مبشرا برحمة عظيمة منه في دنياهم وأخراهم، ورضوان كريم عن فضائلهم، وجنات يقصر الوصف عن بيان عظمتها، لهم فيها نعيم لا يقادر قدره، دائم لا نفاذ له ولا شك في أن الإخبار بذلك يسرهم ويرضى قلوبهم ويغيظ عدوهم.." (٢)

---

(١) معجم أعلام شعراء المدح النبوي محمد أحمد درنيقة ص/٣٧٩

(٢) التفسير الوسيط - مجمع البحوث مجموعة من المؤلفين ١٦٧٥/٣

"﴿أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا (٩) إذ أوى الفتية إلى الكهف فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من أمرنا رشدا (١٠) فضربنا على آذانهم في الكهف سنين عددا (١١) ثم بعثناهم لنعلم أي الحزبين أحصى لما لبثوا أمدا (١٢)﴾

المفردات:

﴿أم﴾: معناها هنا: بل، التي للانتقال من حديث إلى حديث، مع همزة الاستفهام المتضمنة معنى النهي.

﴿حسبت﴾: أي ظننت؛ أو علمت، من الحسبان بمعنى الظن أو العلم، وقد استعمل في كل من المعنيين.

﴿الكهف﴾: النقب المتسع في الجبل، فإن لم يكن متسعا فهو الغار.

﴿والرقيم﴾: هو اللوح الذي رقمت فيه أسماء أصحاب الكهف، أو قصتهم؛ قيل كان من حجارة، وقيل كان من رصاص.

﴿الفتية﴾: جمع فتى بوزن صبي؛ وهو الشاب الحدث القوي. من الفتاء، وهو الشباب وزنا ومعنى، أو من **الفتوة**، وفيها معنى الشهامة والنجدة.

﴿وهيئ﴾: أي يسر وسهل.

﴿رشدا﴾: أي إصابة لطريق السداد والرشاد واهتداء إليه، وهو خلاف الغي.

﴿فضربنا على آذانهم﴾: المفعول ملاحظ، تقديره حجابا، أي ألقيناه على آذانهم.

والمراد أنمناهم إنامة ثقيلة لا تنبههم فيها الأصوات.." (١)

"وتبدأ القصة بعد هذه المقدمة، بكلمات تنبئ عن الحقيقة سافرة مضيئة، كالشمس في رابعة النهار، فيقول عز من قائل: ﴿نحن نقص عليك نبأهم بالحق﴾ (الكهف: ١٣) فدل قوله: ﴿نحن﴾، وقوله: ﴿نقص﴾، بنون المعظم لنفسه، على أن الذي يذكر ذلك هو الله العظيم، المتصف بكل صفات الجلال والكمال، فما يخبر به منبثق من باب العليم الخبير، الذي أحاط بكل شيء علما، وفي توجيه الخطاب من الله لرسوله في قوله: ﴿نحن نقص عليك﴾ (يوسف: ٣) إيناس له وعناية به وتطمين لقلبه.

وبخاصة أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- كان في مكة لا دولة له ولا سلطان، كان هو وأصحابه يلقون العنت والإيذاء من كفار قريش، وكان -عليه الصلاة والسلام- وأصحابه ممنوعين من رد هذا الإيذاء ولو بكلمة، فكانوا وإمامهم رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في حاجة إلى هذا التطمين وذلك الإيناس.

أما قوله: ﴿نبأهم﴾، فهو دليل على أن هذا ليس مجرد خبر يقال، إنما هو نبأ عظيم وقصة فيها الكثير من الدروس النافعة، ومما يضيف إلى ما سيذكره ربنا من نبئهم قوله: بالحق، فالحق لحمته وسداه وبدايته ونهايته، كل كلمة يقولها سبحانه صادرة من جناب الحق، لا مجال فيها لتزوير أو تلفيق أو كذب، أو أخبار وأقوال من نسج الخيال، كما قال ربنا: ﴿وبالحق أنزلناه وبالحق نزل﴾ (الإسراء: ١٠٥) وكما قال: ﴿إن الحكم إلا لله يقص الحق وهو خير الفاصلين﴾ (الأنعام: ٥٧).

فما أعظم هذه البداية، التي تجعلك تلقي السمع لما سيقصه الحق -جل وعلا- من نبأ هؤلاء الفتية، وبدأت القصة وما زلنا

---

(١) التفسير الوسيط - مجمع البحوث مجموعة من المؤلفين ٥/٨٣٧

في شوطها الأول وبدايتها، فتصف هؤلاء بأنهم فتية، وقد سبق في مطلع القصة هذا الوصف في قوله: ﴿إذ أوى الفتية إلى الكهف﴾ (الكهف: ١٠) وقد تبين لنا من هذا الوصف أنهم شباب في سن **الفتوة** والقوة، وهذا يرشدنا إلى أن الشباب أقرب إلى التغيير والتحول،." (١)

"المفردات:

تستفتيان الاستفتاء طلب الفتوى أى: السؤال عن المشكل المجهول والفتوى جوابه وهذا اللفظ مأخوذ من **الفتوة** الدالة على معنى القوة والثقة بضع قيل:

هو من ثلاث إلى تسع ويغلب أن يطلق على السبع.

المعنى:

بعد أن تكلم مع صاحبيه في شأن التوحيد ومقدماته تكلم في تأويل رؤياهما فقال:

يا صاحباي أما أحدكما- الذي رأى أنه يعصر عنبا يصير خمرا- فيسقى ربه خمرا وربه مالكه وسيده ولم يقصد ربوبية العبادة فإن ملك مصر أيام يوسف لم يدع الألوهية كفرعون مصر أيام موسى. وأما الثاني- وهو الذي رأى أنه يحمل خبزا تأكل الطير منه فيصلب فتأكل الطير آكلة اللحوم كالحدأة من رأسه، لا تناقشا! قد قدر الله الأمر وسبق الحكم الذي فيه تستفتيان، وهذا خارج عن تأويل الرؤيا ولكنه من باب المكاشفة وصفاء الأرواح، لعله إخبار ووحى ليوسف، وقال للذي ظن أنه ناج منهما- وانظر إلى التعبير بقوله: ظن أى: في الواقع لأنه ربما يغير الملك رأيه الذي قال أو تأتى حوائل تحول بين تحقيق ما قاله يوسف قال له-: اذكرني عند ربك وسيدك الملك، أى:

حدثه عن خبري وحالي، ويقصد يوسف أن يطرق الأبواب الظاهرية والأسباب المادية ليخرج من السجن فيتمم فصول روايته.

فأنسى الشيطان صاحبه أن يذكر يوسف عند الملك فأنساه الشيطان ذكر إخبار ربه أى: تذكيره بأمر يوسف فترتب على هذا أن يلبث في السجن بضع سنين هل هي ثلاثة أو سبعة أو قل أو أكثر الله أعلم بتحديدها وإن كانت من ثلاث إلى تسع.." (٢)

"المفردات:

ضعف الضعف: ما قبل القوة شيبة أى: شيبا وهو بياض الشعر الأسود ساعة: مدة من الزمن قليلة يؤفكون يقال: أفك الرجل: إذا صرف عن الصدق والخير ولا هم يستعتبون أى: لا يطلب منهم الإعتاب.

وحقيقة أعتبته: أزلت عتبة فالإعتاب إزالة العتب بفعل ما يرضى، يقال: استعتبته فأعتبنى، أى: استرضيته فأرضانى مبطلون أى: متبعون الباطل والسحر ولا يستخفنك يقال: استخف فلان فلانا، أي: استجهله حتى حمله على اتباعه في الغي.

---

(١) التفسير الموضوعي ٢ - جامعة المدينة جامعة المدينة العالمية ص/٢٢٢

(٢) التفسير الواضح محمد محمود حجازي ١٧٩/٢

المعنى:

وهذه الآية تتعلق بالإنسان ناطقة بإثبات القدرة والعلم والإرادة وغيرها من الصفات لله- سبحانه وتعالى- فهذا الانتقال والتحول من حال إلى حال دليل على القدرة، وآية على البعث الذي ينكره المشركون.

الله هو الذي خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة، فالإنسان خلق من مني يمنى، من ماء مهين، من نطفة هي غاية في الضعف والصغر والقلة، حتى أنها تحوى ملايين صالحة لتلقيح بويضة المرأة. والشخص منا يكون واحدا منها، ثم يظل ينتقل الإنسان من ضعف: وهو في بطن أمه ثم وهو رضيع، ثم وهو يدرج حتى يصير في دور المراهقة والشباب والرجولة فتظهر عليه علامات القوة **والفتوة** والشباب، ثم جعل من بعد القوة ضعفا وشيبة. تلك مراحل لا بد من مرورها على الإنسان ويستحيل عليه أن يولد قويا، كما أنه يستحيل عليه أن يكون في دور الشيخوخة قويا بل لا بد فيها من ضعف وشيبة.." (١)

"ولما ذكر سابقا أنه خالق الليل والنهار لتسكنوا فيه، والنهار لتبصروا أمر معاشكم وخالق الأرض للاستقرار عليها، والسماء كالبناء عليكم، وصوركم في أحسن صورة ورزقكم من فضله بأبهى نعمه. ذكر هنا من دلائل التوحيد والكمال أنه خلقكم من تراب، أى: خلق أباكم آدم منه أو خلقنا من تراب إذ المنى من الدم، والدم من الغذاء وهو من التراب، ثم من نطفة ثم من علقة ثم يخرجكم من بطون أمهاتكم أطفالا ثم يرعاكم لتبلغوا قوتكم ومنتهى شبابكم، ثم يبقيكم لتكونوا شيوخا كبارا ضعافا بعد القوة **والفتوة**، ومنكم من يتوفى من قبل هذا، ومنكم من يرد إلى أرذل العمر، فعل ذلك بكم لتبلغوا أجلا مسمى ووقتا محدودا ينتهى بانقضاء الآجال.

ولعلكم بعد هذه الآيات الكونية الناطقة بوحدانية الله تعالى، وأنه الخالق القادر السميع البصير وأنه الإله ولا إله غيره، ولعلكم بعد هذا تعقلون دلائل التوحيد فتوحدوه.

هو الذي يحيى، وهو الذي يميت، وهو الذي إذا أراد شيئا حصل بمقتضى إرادته بسرعة كأنه قال له: كن فيكون، وهذا تمثيل لتأثير قدرة الله في المقدورات التي يريدها وتصوير لسرعة حصولها من غير أن يكون أمر ولا مأمور.

المجادلون وجزاؤهم وصبر النبي صلى الله عليه وسلم على إيذائهم [سورة غافر (٤٠) : الآيات ٦٩ الى ٧٨]

ألم تر إلى الذين يجادلون في آيات الله أنى يصرفون (٦٩) الذين كذبوا بالكتاب وبما أرسلنا به رسلنا فسوف يعلمون (٧٠) إذ الأغلال في أعناقهم والسلاسل يسحبون (٧١) في الحميم ثم في النار يسجرون (٧٢) ثم قيل لهم أين ما كنتم تشركون (٧٣)

من دون الله قالوا ضلوا عنا بل لم نكن ندعوا من قبل شيئا كذلك يضل الله الكافرين (٧٤) ذلكم بما كنتم تفرحون في الأرض بغير الحق وبما كنتم تمرحون (٧٥) ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين (٧٦) فاصبر إن وعد الله حق فإما نرينك بعض الذي نعدهم أو نتوفينك فإلينا يرجعون (٧٧) ولقد أرسلنا رسلا من قبلك منهم من قصصنا عليك

---

(١) التفسير الواضح محمد محمود حجازي ٣٨/٣

ومنهم من لم نقصص عليك وما كان لرسول أن يأتي بآية إلا بإذن الله فإذا جاء أمر الله قضي بالحق وخسر هنالك المبطلون (٧٨)." (١)

"قال صالح ابن الإمام أحمد: دخلت على أبي يوما فقلت بلغني أن رجلا جاء إلى فضل الأنماطي فقال له: اجعلني في حل إذا لم أقم بنصرتك ، فقال فضل: لا جعلت أحدا في حل ، فتبسم أبي وسكت.

وقال عبد الله ابن الإمام أحمد: قال أبي: وجه إلي الواثق أن اجعل المعتصم في حل من ضربه إياك ، فقلت ما خرجت من داره حتى جعلته في حل. وذكرت قول النبي صلى الله عليه وسلم ﴿لا يقوم يوم القيامة إلا من عفا﴾ فعفوت عنه.

وروى الخلال عن الحسن قال: أفضل أخلاق المؤمن العفو. وروى أيضا من رواية مجالد عن الشعبي عن مسروق سمعت عمر يقول: كل الناس مني في حل.

قال أبو عبد الرحمن السلمي رحمه الله تعالى في آداب الصحبة:

ومن آدابها: الصفح عن عثرات الإخوان وترك تأنيبهم عليها، قال الله تعالى: (فاصفح الصفح الجميل) [الحجر: ٨٥] في التفسير: أن لا يكون فيه تقريع، ولا تأنيب، ولا توقيف، ولا معاتبة. وقيل أيضا: هو رضا بلا عتاب.

أورد أبو عبد الرحمن السلمي رحمه الله تعالى في آداب الصحبة عن الفضيل بن عياض يقول: " **الفتوة**: العفو عن عثرات الإخوان "

وأورد أبو عبد الرحمن السلمي رحمه الله تعالى في آداب الصحبة عن الأصمعي قال: قال أعرابي: " تناس مساوئ الإخوان يدم لك ودهم "." (٢)

"إن صور المجاهرة بالمعاصي . في هذا العصر .كثيرة جدا، لا يمكن استقصاؤها في هذه العجالة، غير أننا نشير إلى أمثلة من ذلك، وهاك بعض صور المجاهرة بالمعاصي:

عليه السلام هذا رجل يتحدث أمام الملأ عن سفرته وما تخللها من فسق وفجور، فيتفاخر بذلك في المجالس ويحسب أن ذلك من **الفتوة** وكمال الرجولة، وهو - والله - من الذلة والمهانة وضعة النفس وخبث الباطن وضعف الإيمان جدا وقسوة القلب.

عليه السلام وهذا شاب يتحدث عن مغازلاته ومغامراته. .

عليه السلام وهذه فتاة تتحدث عن علاقاتها الآثمة عبر الهاتف. .

عليه السلام وهذا صاحب عمل يعطي زملائه دروسا مجانية في ظلم العمال وأكل أموالهم. .

عليه السلام وهذا عامل يكشف ستر الله عليه فيتحدث عن سرقته لصاحب العمل ويعلم أصدقائه بعض الحيل في ذلك.

عليه السلام ومنها الدعوة إلى وحدة الأديان وتصحيح عقائد الكفر.

عليه السلام ومنها الاحتفال بأعياد الكفار وإعلان ذلك في الصحف والمجلات والقنوات مثل الاحتفال بالكريسمس وعيد الحب وعيد الأم وغيرها.

---

(١) التفسير الواضح محمد محمود حجازي ٣/٣١٦

(٢) فصل الخطاب في الزهد والرقائق والآداب محمد نصر الدين محمد عويضة ١٠/٣١٧

- ومنها خروج المرأة أمام الملأ متعطرة ومتزينة.
- ومنها خروج المرأة وهي تلبس العباءة القصيرة أو المزركشة أو الشفافة، أو تلبس البنطال أو الكعب العالي وتجاهر بذلك أمام الملأ.
- ومنها خلوة المرأة بالسائق الأجنبي أمام الملأ، وكذلك خلوتها بالبائعين في الأسواق والمحلات التجارية.
- ومنها ممارسة عادة التدخين أمام الملأ.
- ومنها إسبال الثياب للرجال.
- ومنها حلق اللحى، والمجاهرة تشمل الحالق والمحلوق.
- ومنها قص الشعر على مثال أهل الكفر.
- ومنها تشبه النساء بالرجال والرجال بالنساء.
- ومنها سفر المرأة وحدها بدون محرم.
- ومنها ترك الرجال لصلاة الجماعة بدون عذر.
- ومنها لبس الرجال للذهب والحرير.
- ومنها السباب واللعن عمدا أمام الملأ.
- ومنها تعاطي بعض الشباب – هداهم الله – أنواع المعاكسات في الأسواق والشوارع والحدائق وأماكن الترفيه وغيرها.
- ومنها لبس الشباب للشورت الذي يظهر الفخذين والسير به في الشوارع، وكذلك لبس السلاسل والفانيلات التي عليها صور خليعة.
- ومنها إتلاف السيارات بالتفحيط والتطعيس.
- ومنها الإفطار في رمضان عمدا أمام الملأ بدون عذر.
- ومنها مزاولة أنشطة تجارية محرمة كالبنوك الربوية ومحلات أشرطة الغناء ومحلات الشيشة والجراك وغيرها.
- ومنها قيام بعض الشباب بالضرب على آلات الطرب والموسيقى في البر أو في المنتزهات وغيرها.
- ومنها إزعاج الناس بأصوات المغنين والمغنيات عبر الراديو أو التلفاز.." (١)

"باب تزكية النفوس:

[*] (عناصر الباب:

(معنى تزكية النفوس:

(اهتمام السلف بتزكية النفوس:

(معالم في منهج السلوك والأخلاق عند السلف:

(قضية التزكية:

---

(١) فصل الخطاب في الزهد والرقائق والآداب محمد نصر الدين محمد عويضة ٤٥٠/٣

(فصل في منزلة الأدب:

(فصل في منزلة اليقين:

(فصل في منزلة الأنس بالله:

(فصل في منزلة الذكر:

(فصل في منزلة الفقر:

(فصل في منزلة الغنى العالي:

(فصل في منزلة الإحسان:

(فصل في منزلة العلم:

(فصل في منزلة الحكمة:

(فصل في منزلة الفراسة:

(فصل في منزلة التعظيم:

(فصل في منزلة السكينة:

(فصل في منزلة الطمأنينة:

(فصل في منزلة علو الهمة:

(فصل في منزلة الغيرة:." (١)

"(حديث أبي هريرة رضي الله عنه الثابت في صحيح الجامع) أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: إن العبد إذا أخطاء خطيئة نكتت في قلبه نكته سوداء فإن هو نزع و استغفر و تاب صقل قلبه وإن عاد زيد فيها حتى تعلو على قلبه و هو الران الذي ذكر الله تعالى فذلك الران الذي ذكره الله في كتابه (كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون) [المطففين: ١٤].

(مفاسد المجاهرة بالمعاصي:

(١) أنها استخفاف بأوامر الله عز وجل ونواهيه.

(٢) أنها تؤدي إلى إلف المعصية واعتياد القبائح واستمرائها وكأنها أمور عادية لا شيء فيها.

(٣) أنها بمثابة دعوة للغير إلى ارتكاب المعاصي وإشاعة الفساد ونشر للمنكرات.

(٤) أنها ربما أدت إلى استحلال المعصية فيكفر بذلك والعياذ بالله.

(٥) أنها دليل على سوء الخلق والوقاحة وقلة أدب صاحبها.

(٦) أنها دليل على قسوة القلب واستحكام الغفلة من قلب المجاهر.

---

(١) فصل الخطاب في الزهد والرقائق والآداب محمد نصر الدين محمد عويضة ١/٤

(صور من المجاهرة بالمعاصي والعياذ بالله:

إن صور المجاهرة بالمعاصي ـ في هذا العصر ـ كثيرة جدا، لا يمكن استقصاؤها في هذه العجالة، غير أننا نشير إلى أمثلة من ذلك، وهاك بعض صور المجاهرة بالمعاصي:

(هذا رجل يتحدث أمام الملأ عن سفرته وما تخللها من فسق وفجور، فيتفاخر بذلك في المجالس ويحسب أن ذلك من **الفتوة** وكمال الرجولة، وهو – والله – من الذلة والمهانة وضعة النفس وخبث الباطن وضعف الإيمان جدا وقسوة القلب.

(وهذا شاب يتحدث عن مغازلاته ومغامراته. .

(وهذه فتاة تتحدث عن علاقاتها الآثمة عبر الهاتف. .

(وهذا صاحب عمل يعطي زملائه دروسا مجانية في ظلم العمال وأكل أموالهم. .

(وهذا عامل يكشف ستر الله عليه فيتحدث عن سرقته لصاحب العمل ويعلم أصدقائه بعض الحيل في ذلك.

(ومنها الدعوة إلى وحدة الأديان وتصحيح عقائد الكفر.

(ومنها الاحتفال بأعياد الكفار وإعلان ذلك في الصحف والمجلات والقنوات مثل الاحتفال بالكريسمس وعيد الحب وعيد الأم وغيرها.

(ومنها خروج المرأة أمام الملأ متعطرة ومتزينة.

(ومنها خروج المرأة وهي تلبس العباءة القصيرة أو المزركشة أو الشفافة، أو تلبس البنطال أو الكعب العالي وتجاهر بذلك أمام الملأ.

(ومنها خلوة المرأة بالسائق الأجنبي أمام الملأ، وكذلك خلوتها بالبائعين في الأسواق والمحلات التجارية.

(ومنها ممارسة عادة التدخين أمام الملأ.

(ومنها إسبال الثياب للرجال.." (١)

"إن صور المجاهرة بالمعاصي ـ في هذا العصر ـ كثيرة جدا، لا يمكن استقصاؤها في هذه العجالة، غير أننا نشير إلى أمثلة من ذلك، وهاك بعض صور المجاهرة بالمعاصي:

(هذا رجل يتحدث أمام الملأ عن سفرته وما تخللها من فسق وفجور، فيتفاخر بذلك في المجالس ويحسب أن ذلك من **الفتوة** وكمال الرجولة، وهو – والله – من الذلة والمهانة وضعة النفس وخبث الباطن وضعف الإيمان جدا وقسوة القلب.

(وهذا شاب يتحدث عن مغازلاته ومغامراته. .

(وهذه فتاة تتحدث عن علاقاتها الآثمة عبر الهاتف. .

(وهذا صاحب عمل يعطي زملائه دروسا مجانية في ظلم العمال وأكل أموالهم. .

(وهذا عامل يكشف ستر الله عليه فيتحدث عن سرقته لصاحب العمل ويعلم أصدقائه بعض الحيل في ذلك.

---

(١) فصل الخطاب في الزهد والرقائق والآداب محمد نصر الدين محمد عويضة ٣٤٧/٤

(ومنها الدعوة إلى وحدة الأديان وتصحيح عقائد الكفر.

(ومنها الاحتفال بأعياد الكفار وإعلان ذلك في الصحف والمجلات والقنوات مثل الاحتفال بالكريسمس وعيد الحب وعيد الأم وغيرها.

(ومنها خروج المرأة أمام الملأ متعطرة ومتزينة.

(ومنها خروج المرأة وهي تلبس العباءة القصيرة أو المزركشة أو الشفافة، أو تلبس البنطال أو الكعب العالي وتجاهر بذلك أمام الملأ.

(ومنها خلوة المرأة بالسائق الأجنبي أمام الملأ، وكذلك خلوتها بالبائعين في الأسواق والمحلات التجارية.

(ومنها ممارسة عادة التدخين أمام الملأ.

(ومنها إسبال الثياب للرجال.

(ومنها حلق اللحى، والمجاهرة تشمل الحالق والمحلوق.

(ومنها قص الشعر على مثال أهل الكفر.

(ومنها تشبه النساء بالرجال والرجال بالنساء.

(ومنها سفر المرأة وحدها بدون محرم.

(ومنها ترك الرجال لصلاة الجماعة بدون عذر.

(ومنها لبس الرجال للذهب والحرير.

(ومنها السباب واللعن عمدا أمام الملأ.

(ومنها تعاطي بعض الشباب – هداهم الله – أنواع المعاكسات في الأسواق والشوارع والحدائق وأماكن الترفيه وغيرها.

(ومنها لبس الشباب للشورت الذي يظهر الفخذين والسير به في الشوارع، وكذلك لبس السلاسل والفانيلات التي عليها صور خليعة.

(ومنها إتلاف السيارات بالتفحيط والتطعيس.

(ومنها الإفطار في رمضان عمدا أمام الملأ بدون عذر.

(ومنها مزاولة أنشطة تجارية محرمة كالبنوك الربوية ومحلات أشرطة الغناء ومحلات الشيشة والجراك وغيرها.

(ومنها قيام بعض الشباب بالضرب على آلات الطرب والموسيقى في البر أو في المنتزهات وغيرها.

(ومنها إزعاج الناس بأصوات المغنين والمغنيات عبر الراديو أو التلفاز.." (١)

"(وقال يحيى بن معاذ: الزهد يورث السخاء بالملك والحب يورث السخاء بالروح

وقال ابن الجلاء: الزهد هو النظر إلى الدنيا بعين الزوال فتصغر في عينك فيسهل عليك الإعراض عنها.

(وقال ابن خفيف: الزهد وجود الراحة في الخروج من الملك

---

(١) فصل الخطاب في الزهد والرقائق والآداب محمد نصر الدين محمد عويضة ٢٩٦/٥

وقال أيضا: الزهد سلو القلب عن الأسباب ونفض الأيدي من الأملاك وقيل: هو عزوف القلب عن الدنيا بلا تكلف.
(وقال الجنيد: الزهد خلو القلب عما خلت منه اليد وقال الإمام أحمد الزهد في الدنيا قصر الأمل وعنه رواية أخرى: أنه عدم فرحه بإقبالها ولا حزنه على إدبارها فإنه سئل عن الرجل يكون معه ألف دينار هل يكون زاهدا فقال: نعم على شريطة أن لا يفرح إذا زادت ولا يحزن إذا نقصت.
(وقال عبد الله بن المبارك: هو الثقة بالله مع حب الفقر وهذا قول شقيق ويوسف بن أسباط.
(وقال عبد الواحد بن زيد الزهد: الزهد في الدينار والدرهم.
(وقال أبو سليمان الداراني: ترك ما يشغل عن الله وهو قول الشبلي.
(وسأل رويم الجنيد عن الزهد فقال: استصغار الدنيا ومحو آثارها من القلب وقال مرة: هو خلو اليد عن الملك والقلب عن التتبع.
(وقال يحيى بن معاذ: لا يبلغ أحد حقيقة الزهد حتى يكون فيه ثلاث خصال: عمل بلا علاقة وقول بلا طمع وعز بلا رياسة وقال أيضا: الزاهد يسعطك الخل والخردل والعارف يشمك المسك والعنبر وقيل: حقيقته هو الزهد في النفس وهذا قول ذي النون المصري.
(وقيل: الزهد الإيثار عند الاستغناء **والفتوة** الإيثار عند الحاجة قال الله تعالى: ﴿ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة﴾ [الحشر:٩]
(وقال رجل ليحيى بن معاذ: متى أدخل حانوت التوكل وألبس رداء الزاهدين وأقعد معهم فقال: إذا صرت من رياضتك لنفسك إلى حد لو قطع الله الرزق عنك ثلاثة أيام لم تضعف نفسك فأما ما لم تبلغ إلى هذه الدرجة فجلوسك على بساط الزاهدين جهل ثم لا آمن عليك أن تفتضح.
(وقد قال الإمام أحمد بن حنبل: الزهد على ثلاثة أوجه الأول: ترك الحرام وهو زهد العوام والثاني: ترك الفضول من الحلال وهو زهد الخواص والثالث: ترك ما يشغل عن الله وهو زهد العارفين، وهذا الكلام من الإمام أحمد يأتي على جميع ما تقدم من كلام المشايخ مع زيادة تفصيله وتبيين درجاته وهو من أجمع الكلام وهو يدل على أنه رضي الله عنه من هذا العلم بالمحل الأعلى وقد شهد الشافعي رحمه الله بإمامته في ثمانية أشياء:." (١)

"(السادسة: الجود بنفع البدن على اختلاف أنواعه كما قال: يصبح على كل سلامى من أحدكم صدقة كل يوم تطلع فيه الشمس يعدل بين اثنين: صدقة ويعين الرجل في دابته فيحمله عليها أو يرفع له عليها متاعه: صدقة والكلمة الطيبة: صدقة وبكل خطوة يمشيها الرجل إلى الصلاة: "صدقة ويميط الأذى عن الطريق": صدقة متفق عليه.
(السابعة: الجود بالعرض كجود أبي ضمضم من الصحابة رضي الله عنهم كان إذا أصبح قال: اللهم إنه لا مال لي أتصدق به على الناس وقد تصدقت عليهم بعرضي فمن شتمني أو قذفني: فهو في حل فقال النبي صلى الله عليه وسلم: من يستطيع منكم أن يكون كأبي ضمضم وفي هذا الجود من سلامة الصدر وراحة القلب والتخلص من معاداة الخلق ما فيه.

---

(١) فصل الخطاب في الزهد والرقائق والآداب محمد نصر الدين محمد عويضة ٩/٦

(الثامنة: الجود بالصبر والاحتمال والإغضاء وهذه مرتبة شريفة من مراتبه وهي أنفع لصاحبها من الجود بالمال وأعز له وأنصر وأملك لنفسه وأشرف لها ولا يقدر عليها إلا النفوس الكبار فمن صعب عليه الجود بماله فعليه بهذا الجود فإنه يجتني ثمرة عواقبه الحميدة في الدنيا قبل الآخرة وهذا جود الفتوة قال تعالى: ﴿والجروح قصاص فمن تصدق به فهو كفارة له﴾ [المائدة: ٤٥] وفي هذا الجود قال تعالى: ﴿وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفا وأصلح فأجره على الله إنه لا يحب الظالمين﴾ [الشورى: ٤٠] فذكر المقامات الثلاثة في هذه الآية: مقام العدل وأذن فيه ومقام الفضل وندب إليه ومقام الظلم وحرمه.

(التاسعة: الجود بالخلق والبشر والبسطة وهو فوق الجود بالصبر والاحتمال والعفو وهو الذي بلغ بصاحبه درجة الصائم القائم وهو أثقل ما يوضع في الميزان قال النبي صلى الله عليه وسلم: "لا تحقرن من المعروف شيئا ولو أن تلقى أخاك ووجهك منبسط إليه" وفي هذا الجود من المنافع والمسار وأنواع المصالح ما فيه والعبد لا يمكنه أن يسع الناس بحاله ويمكنه أن يسعهم بخلقه واحتماله.." (١)

"[*] (أورد ابن أبي الدنيا رحمه الله تعالى في كتابه التواضع والخمول عن جميل بن زيد قال رأى بن عمر رجلا يجر إزاره فقال إن للشيطان إخوانا مرتين أو ثلاثا.

(فصل في منزلة الفتوة:

[*] (قال ابن القيم رحمه الله تعالى في كتابه مدارج السالكين:

ومن منازل إياك نعبد وإياك نستعين منزلة الفتوة هذه المنزلة

«حقيقتها هي منزلة الإحسان إلى الناس وكف الأذى عنهم واحتمال أذاهم» فهي استعمال حسن الخلق معهم فهي في الحقيقة نتيجة حسن الخلق واستعماله، والفرق بينها وبين المروءة: أن المروءة أعم منها فالفتوة نوع من أنواع المروءة فإن المروءة استعمال ما يجمل ويزين مما هو مختص بالعبد أو متعد إلى غيره وترك ما يدنس ويشين مما هو مختص أيضا به أو متعلق بغيره و الفتوة إنما هي استعمال الأخلاق الكريمة مع الخلق فهي ثلاثة منازل: منزلة التخلق وحسن الخلق ومنزلة الفتوة، ومنزلة المروءة، وقد تقدمت منزلة الخلق وهذه منزلة شريفة لم تعبر عنها الشريعة باسم الفتوة بل عبرت عنها باسم مكارم الأخلاق كما في حديث يوسف بن محمد بن المنكدر عن أبيه عن جابر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم: إن الله بعثني لأتمم مكارم الأخلاق ومحاسن الأفعال، وأصل الفتوة من الفتى وهو الشاب الحديث السن قال الله تعالى عن أهل الكهف: ﴿إنهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى﴾ [الكهف: ١٣] وقال عن قوم إبراهيم أنهم ﴿قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له إبراهيم﴾ [الأنبياء: ٦٠] وقال تعالى عن يوسف ﴿ودخل معه السجن فتيان﴾ [يوسف: ٣٦] وقال لفتيانه: ﴿اجعلوا بضاعتهم في رحالهم﴾ [يوسف:٦٢]

فاسم الفتى لا يشعر بمدح ولا ذم كاسم الشاب والحدث ولذلك لم يجيء اسم الفتوة في القرآن ولا في السنة ولا في لسان السلف وإنما استعمله من بعدهم في مكارم الأخلاق وأصلها عندهم: أن يكون العبد أبدا: في أمر غيره وأقدم من علمته

---

(١) فصل الخطاب في الزهد والرقائق والآداب محمد نصر الدين محمد عويضة ٦/٣٤٣

تكلم في **الفتوة** جعفر بن محمد ثم الفضيل بن عياض والإمام أحمد وسهل بن عبد الله والجنيد ثم الطائفة فيذكر أن جعفر بن محمد سئل عن **الفتوة** فقال للسائل: ما تقول أنت فقال: إن أعطيت شكرت وإن منعت صبرت فقال: الكلاب عندنا كذلك فقال السائل: يا ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم فما **الفتوة** عندكم فقال: «إن أعطينا آثرنا وإن منعنا شكرنا»

(وقال الفضيل بن عياض: **الفتوة** الصفح عن عثرات الإخوان.." (١)

"(وقال الإمام أحمد رضي الله عنه في رواية ابنه عبد الله عنه وقد سئل عن **الفتوة** فقال: ترك ما تهوى لما تخشى ولا أعلم لأحد من الأئمة الأربعة فيها سواه.

(وسئل الجنيد عن **الفتوة** فقال: لا تنافر فقيرا ولا تعارض غنيا.

(وقال الحارث المحاسبي: **الفتوة** أن تنصف ولا تنتصف.

(وقال عمر بن عثمان المكي: **الفتوة** حسن الخلق.

(وقال محمد بن علي الترمذي: **الفتوة** أن تكون خصما لربك على نفسك.

(وقيل: **الفتوة** أن لا ترى لنفسك فضلا على غيرك.

(وقال الدقاق: هذا الخلق لا يكون كماله إلا لرسول الله صلى الله عليه وسلم فإن كل أحد يقول يوم القيامة: نفسي نفسي وهو يقول: أمتي أمتي.

(وقيل: **الفتوة** كسر الصنم الذي بينك وبين الله تعالى وهو نفسك فإن الله حكى عن خليله إبراهيم عليه السلام: أنه جعل الأصنام جذاذا فكسر الأصنام له فالفتى من كسر صنما واحدا في الله.

(وقيل: **الفتوة** أن لا تكون خصما لأحد يعني في حفظ نفسك وأما في حق الله **فالفتوة**: أن تكون خصما لكل أحد ولو كان الحبيب المصافيا.

(وقال الترمذي: **الفتوة** أن يستوي عندكم المقيم والطارىء.

(وقال بعضهم: **الفتوة** أن لا يميز بين أن يأكل عنده ولي أو كافر.

(وقال الجنيد أيضا: **الفتوة** كف الأذى وبذل الندى.

(وقال سهل: هي اتباع السنة.

(وقيل: هي الوفاء والحفاظ.

(وقيل: فضيلة تأتيها ولا ترى نفسك فيها.

(وقيل: أن لا تحتجب ممن قصدك.

(وقيل: أن لا تهرب إذا أقبل العافي يعني طالب المعروف.

(وقيل: إظهار النعمة وإسرار المحنة.

(وقيل: أن لا تدخر ولا تعتذر.

---

(١) فصل الخطاب في الزهد والرقائق والآداب محمد نصر الدين محمد عويضة ٤٤٥/٦

(وقيل: تزوج رجل بامرأة فلما دخلت عليه رأى بها الجدري فقال: اشتكيت عيني ثم قال: عميت فبعد عشرين سنة ماتت ولم تعلم أنه بصير فقيل له في ذلك فقال: كرهت أن يحزنها رؤيتي لما بها فقيل له: سبقت الفتيان وقيل: ليس من **الفتوة** أن تربح على صديقك.

(واستضاف رجل جماعة من الفتيان فلما فرغوا من الطعام خرجت جارية تصب الماء على أيديهم فانقبض واحد منهم وقال: ليس من **الفتوة** أن تصب النسوان الماء على أيدي الرجال فقال آخر منهم: أنا منذ سنين أدخل إلى هذه الدار ولم أعلم أن امرأة تصب الماء على أيدينا أو رجلا.." (١)

"(وقدم جماعة فتيان لزيارة فتى فقال الرجل: يا غلام قدم السفرة فلم يقدم فقالها ثانيا وثالثا فلم يقدم فنظر بعضهم إلى بعض وقالوا: ليس من **الفتوة** أن يستخدم الرجل من يتعاصى عليه في تقديم السفرة كل هذا فقال الرجل: لم أبطأت بالسفرة فقال الغلام: كان عليها نمل فلم يكن من الأدب تقديم السفرة إلى الفتيان مع النمل ولم يكن من **الفتوة** إلقاء النمل وطردهم عن الزاد فلبثت حتى دب النمل فقالوا: يا غلام مثلك يخدم الفتيان.

(ومن **الفتوة** التي لا تلحق: ما يذكر أن رجلا نام من الحاج في المدينة ففقد هميانا فيه ألف دينار فقام فزعا فوجد جعفر بن محمد فعلق به وقال: أخذت همياني فقال: أي شيء كان فيه قال: ألف دينار فأدخله داره ووزن له ألف دينار ثم إن الرجل وجد هميانه فجاء إلى جعفر معتذرا بالمال فأبى أن يقبله منه وقال: شيء أخرجته من يدي لا أسترده أبدا فقال الرجل للناس: من هذا فقالوا: هذا جعفر بن محمد رضي الله عنه.

(فصل في منزلة المروءة:

[*] (قال ابن القيم رحمه الله تعالى في كتابه مدارج السالكين:

ومن منازل إياك نعبد وإياك نستعين منزلة المروءة

المروءة فعولة من لفظ المرء **كالفتوة** من الفتى والإنسانية من الإنسان ولهذا كان حقيقتها: «اتصاف النفس بصفات الإنسان التي فارق بها الحيوان البهيم والشيطان الرجيم»،

(فإن في النفس ثلاثه دواع متجاذبة:

(داع يدعوها إلى الاتصاف بأخلاق الشيطان: من الكبر والحسد والعلو والبغي والشر والأذى والفساد والغش.

(وداع يدعوها إلى أخلاق الحيوان وهو داعي الشهوة.

(وداع يدعوها إلى أخلاق الملك: من الإحسان والنصح والبر والعلم والطاعة.

(فحقيقة المروءة: بغض ذينك الداعيين وإجابة الداعي الثالث وقلة المروءة وعدمها: هو الاسترسال مع ذينك الداعيين والتوجه لدعوتهما أين كانت، فالإنسانية والمروءة **والفتوة**: كلها في عصيان الداعيين وإجابة الداعي الثالث كما قال بعض السلف: خلق الله الملائكة عقولا بلا شهوة وخلق البهائم شهوة بلا عقول وخلق ابن آدم وركب فيه العقل والشهوة فمن

(١) فصل الخطاب في الزهد والرقائق والآداب محمد نصر الدين محمد عويضة ٦/٤٤٦

غلب عقله شهوته: التحق بالملائكة ومن غلبت شهوته عقله: التحق بالبهائم «ولهذا قيل في حد المروءة: إنها غلبة العقل للشهوة»

وقال الفقهاء في حدها: «هي استعمال ما يجمل العبد ويزينه وترك ما يدنسه ويشينه»

وقيل: المروءة استعمال كل خلق حسن واجتناب كل خلق قبيح.

مسألة: ما هو حقيقة المروءة؟

[*] (قال ابن القيم رحمه الله تعالى في كتابه مدارج السالكين:." (١)

"أخرجني من السجن﴾ [يوسف: ١٠٠] ولم يقل: أخرجني من الجب حفظا للأدب مع إخوته وتفتيا عليهم: أن لا يخجلهم بما جرى في الجب وقال: ﴿وجاء بكم من البدو﴾ ولم يقل: رفع عنكم جهد الجوع والحاجة أدبا معهم وأضاف ما جرى إلى السبب ولم يضفه إلى المباشر الذي هو أقرب إليه منه فقال:

﴿من بعد أن نزغ الشيطان بيني وبين إخوتي﴾ فأعطى **الفتوة** والكرم والأدب حقه ولهذا لم يكن كمال هذا الخلق إلا للرسل والأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم

ومن هذا أمر النبي صلى الله عليه وسلم الرجل: أن يستر عورته وإن كان خاليا لا يراه أحد أدبا مع الله على حسب القرب منه وتعظيمه وإجلاله وشدة الحياء منه ومعرفة وقاره.

وقال بعضهم: الزم الأدب ظاهرا وباطنا فما أساء أحد الأدب في الظاهر إلا عوقب ظاهرا وما أساء أحد الأدب باطنا إلا عوقب باطنا.

وقال عبد الله بن المبارك رحمه الله: «من تهاون بالأدب عوقب بحرمان السنن»

«ومن تهاون بالسنن عوقب بحرمان الفرائض» «ومن تهاون بالفرائض عوقب بحرمان المعرفة»

وقيل: الأدب في العمل علامة قبول العمل وحقيقة الأدب استعمال الخلق الجميل (ولهذا كان الأدب: استخراج ما في الطبيعة من الكمال من القوة إلى الفعل

فإن لله سبحانه هيأ الإنسان لقبول الكمال بما أعطاه من الأهلية والاستعداد التي جعلها فيه كامنة كالنار في الزناد فألهمه ومكنه وعرفه وأرشده وأرسل إليه رسله وأنزل إليه كتبه لاستخراج تلك القوة التي أهله بها لكماله إلى الفعل قال الله تعالى: ﴿ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها﴾ [الشمس: ٧ - ١٠] فعبر عن خلق النفس بالتسوية والدالة على الاعتدال والتمام ثم أخبر عن قبولها للفجور والتقوى وأن ذلك نالها منه امتحانا واختبارا ثم خص بالفلاح من زكاها فنماها وعلاها ورفعها بآدابه التي أدب بها رسله وأنبياءه وأولياءه وهي التقوى ثم حكم بالشقاء على من دساها فأخفاها وحقرها وصغرها وقمعها بالفجور والله سبحانه وتعالى أعلم.

(منزلة الأدب في الدين:

---

(١) فصل الخطاب في الزهد والرقائق والآداب محمد نصر الدين محمد عويضة ٤٤٧/٦

[*] (قال ابن القيم رحمه الله تعالى في كتابه مدارج السالكين:
والأدب هو الدين كله فإن ستر العورة من الأدب والوضوء وغسل." (١)

"وفي تاريخنا أمثلة عظيمة في هذا المقام، ففي ترجمة محسن بن محمد بن على فايع الصنعاني أنه: كان حسن الأخلاق واسع المروءة رفيع السيادة والفتوة كريم الطباع مفضالا بذل نفسه في معاونة الفقراء والمساكين والوافدين إلى الخلفاء وأتعب خاطره في الطلب لهم وتفقد أحوالهم والسعي في قضاء حوائجهم وعلاج مرضاهم والقيام بمئونتهم وجعلت بنظره صدقات وصلات فبالغ في التحري عليها وإنفاقها في وجوه الخير وعمر المساجد العجيبة وزاد في بعضها زيادة محتاج إليها واعتنى بدرسة القرآن وأهل المنازل وجعل لهم راتبا معلوما خصوصا في شهر رمضان.. وله الزيادة الواسعة النافعة في مسجد الفليحي بصنعاء وكان يضيق بالمصلين فأنفق عليه جل ماله وبنى لله مسجدا في ساحة سمرة معمر بصنعاء عمره في آخر أيامه ووقف له.. وكان كثير العوارض والأمراض متلقيا لها بالقبول. (البدر الطالع ٢ / ١٩٢)

وكان بعض النبلاء المسلمين يعطي فقراء الفلاحين البذور، والتقاوي إعانة لهم على زرع محاصيل يستفيدون منها. ومن صور التعاون العامة؛ ما جاء في آداب الطريق وقد جمعها الحافظ ابن حجر رحمه الله في قوله:." (٢)

"من تحامي عشيرته له، وإبعاده عنها حتى اجتنب منهم، وعزل البعير الأجرب الذي يعزل عن الإبل الصحاح حتى لا يصيبها بعداوه، وذلك حيث يقول:

وما زال تشرابي الخمور ولذتي ... وبيعي وإتلافي طريفي ومتلدي
إلى أن تحامتني العشيرة كلها ... وأفردت إفراد البعير المعبد

ومع شيوعها في الجاهلية وفقدان الوازع الديني الذي يحرمها لم يكن معاقروها مثلا أعلى يحتذي به بين الرجال، ولا كانوا قدوة صالحة بين الناس، لأنهم ساقطو الهمة لا يرجيهم الناس لدفع ضرر أو جلب منفعة، وذلك ما يصوره قول أحد شعراء الجاهلية:

وليس فتى الفتيان من جل همه ... صبوح وإن أمسى ففضل غبوق
ولكن فتى الفتيان من راح أو غدا ... لضر عدو أو لنفع صديق

وواضح من هذا النص أن المثل الأعلى للفتوة والرجولة هو الشجاع القادر على منازلة الأعداء، الكريم القادر على نفع الأصدقاء، وليس المثل الأعلى للرجال ذلك المدمن على الشراب في صباحه ومسائه، فهو منعدم المروءة، ساقط الهمة، لا يرجى في حرب ولا سلم لأنه جعل همه هواه.

وفي سير شعراء الجاهلية ما يقدم لنا دليلا على أن الذين أولعوا بها واشتهروا بها بين قومهم وذويهم كانوا يدمنونها في مرحلة من مراحل طيش الشباب، وعرامة الفتوة، ألهاهم الغنى والترف عن التعلق بمعالي الأمور، وعن الانشغال بجلائل الأعمال، ففي حياة امرئ القيس لمحات دالة على أن انغماسه في اللذات وانهماكه في اللهو والشراب كان في الفترة الأولى من حياته

---

(١) فصل الخطاب في الزهد والرقائق والآداب محمد نصر الدين محمد عويضة ٤٥٧/٦

(٢) كونوا على الخير أعوانا محمد صالح المنجد ص/٣٤

وقد طرده أبوه حجر الكندي الذي كان ملكا على بني أسد، وبلغه مقتل أبيه وهو في مجلس شرابه، وقال قولته المشهورة التي صارت مثلا: ضيعني صغيرا، وحملني دمه كبيرا اليوم خمر، وغدا أمر، لا صحو اليوم، ولا سكر غدا ". وكان ذلك الحادث فاصلا بين عهدين وحدا بين مرحلتين في حياته.

وقد مدح زهير بن أبي سلمى حصن بن حذيفة الفزاري، فكان مما امتدح من فضائله أنه لا يشرب الخمر، ولا يهلك فيها ماله وإنما يذهب بماله كثرة عطاياه للمحتاجين، وذلك حيث يقول:." (١)

"ثالثا: الالتزام بحرفية النصوص، وعدم النظر إلى مقاصد الشريعة:

ولذلك فإن الفقه الظاهري عاداه أهل العلم ورأوا فيه انحرافا عن الجادة، رغم أن الناظر في كتاب ك "المحلى" لابن حزم لا يرى سوى نصوص من كتاب ربنا وسنة نبينا - صلى الله عليه وسلم - وقول صحابي أو تابعي، وهذا كله جيد، لكن للأسف عدم الأخذ بأصول منهج السلف في الاستدلال جعلته يخرج علينا بأقوال شاذة معروفة.

رابعا: الغلو:

والغلو يعني؛ الانحراف عن الجادة، فالدين دين سمح لا إفراط فيه ولا تفريط، وكم من آراء شذت بسبب موقف متشدد وقفه أحد أهل العلم فهجره العلماء، كما فعل نجم الدين الطوفي الذي قدم المصلحة المرسلة على النص الشرعي، وشهر بذلك بعض الرويبضة في هذا العصر حتى يتسنى لهم تبرير الواقع ومداهنة من يريدون.

فيا أيها المتفقه ...

هل لنا أن ننشد فيك بغيتنا غدا؟ لعلي أحتاج في نهاية المطاف أن أذكرك بأمر يعز بين طلاب العلم الجمع بينه وبين العلم، مع أنه الثمرة المرجوة، وباعث **الفتوة**، والأصل الأصيل في رحلتك إلى الله، أعني "المنهج"، وتلك قاعدة انطلاقك الأخيرة معي، أسأل الله أن يختم لنا بخاتمة السعادة أجمعين.." (٢)

---

(١) دور الأدب في مكافحة الخمر بين الجاهلية والإسلام محمود محمد سالم ص/١٣٧

(٢) منطلقات طالب العلم محمد حسين يعقوب ص/٣٤١